أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»




العَلي والحُسيني
رحمهما الله



صَاحبُ السُّمو الشَّيخ صُباح الأحمد الصُّباح
متأثرًا بفقدان شهيدَي الدَّعوة



هدية العدد: معلَّقة «علوم الحديث، ونُخبة الفِكَر»

## الإِعلامُ الإِسلاميُّ .. مُشكلاته وآماله

- موانعُ التَّفكير السَّليم
- الهجرةُ منطلقٌ وغاية
- بناء الحسّ الثَّقافي


مجلة الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

info@alwaei.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي


أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

# جديدنا




**من مصادر التراث العربي والإسلامي**

من أهم الإصدارات التي أصدرتها مجلة الوعي الإسلامي حيث عرض مؤلفه لجملة من مصادر التراث التي عليها الاعتماد الأكبر في التأليف والتحقيق؛ وَتطرق فيها لطريقة مؤلفيها وأهم مآخذهم؛ ثم عرَّج على نسخها المطبوعة وطرق الاستفادة منها.

# الافتتاحية

# الإعلام الإسلامي

الحمد لله نبوء له بنعمه شكرا واعترافا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها عنده ازدلافا، قال سبحانه: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ (البقرة: ٨٣)، وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله أفضل من نطق بدُرِّ الكلم أصدافا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تأرجوا بالقول الصالح أعرافا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان يرجو جنات ألفافا.

أما بعد؛ فإن الدعوة إلى الله هي إعلام بشرعه، ودلالة على هديه، وتنفيذ لوصية نبيه ﷺ: «بلغوا عني ولو آية» (رواه البخاري: ٣٤٦١)، والإعلام في الإسلام لا ينفك عن الدعوة؛ لأنه بلاغ مبين لحقائق هذا الدين، وهي – أي: الدعوة – عبادة سامية تنضبط بالتوجه إلى الله إخلاصا وتوحيدا، قال جل جلاله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

ولا شك أن ديننا الإسلامي هو الدين الشامل لكل ما يحتاج إليه الفرد في سائر مناحي الحياة، وقد أوجب الله تعالى على أهل الإسلام تبليغ هذا الدين القويم حتى يحصل لهم الفلاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

والإعلام الإسلامي الهادف هو إتقان إيصال دعوة الهدى والحق إلى العالمين، بالضوابط الشرعية، فهو إعلام مبني على الصدق مع التحلي بالعدل والإنصاف والأمانة. قال الإمام الغزالي رحمه الله: «فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان؛ سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلا من قيده بلجام الشرع وكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله». انظر: مرقاة المفاتيح، (٣٠٤/٧).

ولا ريب بأن الإعلام الإسلامي – بهذا المنطق – أصل يسري في النشاط الإعلامي كله، يصوغه ويوجهه منذ بداية الفكرة إلى أن يغدو عملا منتجا متكاملا، وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي موضوعيا تتحاكم إليه جميع هذه النشاطات الإعلامية ثم لا يجد أي نشاط منها حرجا في التسليم لحكمه والإذعان لتوجيهه.

وهذا ما دعا بعض أهل الاختصاص إلى القول بأن فهم الإعلام الإسلامي بهذه الصورة الشاملة، ينسجم مع الحقيقة الأصيلة لهذا الدين، وهي أنه منهج شامل للحياة، وليس منهجا جزئيا يعالج جانبا من جوانب الواقع الإنساني، ويهمل الجوانب الأخرى.

وإن تزايد الحاجة إلى وجود إعلام إسلامي يستند إلى عدة مبررات منها: أن الإسلام هو منهج شامل لحياة الإنسان التي رسمها الإسلام لتتوافق مع الغاية الرئيسة من وجوده ألا وهي استخلافه في الأرض لعمارة الكون وفق شرعه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ (البقرة:٣٠).

وختاما؛ فإن المسلمين بحاجة ماسة إلى صياغة منظومة إعلامية، تحدد معالم المنهج الإسلامي في النشاط الإعلامي لتحقق في حياة الأمة الإسلامية – على الدوام – الاستقرار والتوازن، وتخلصها من آثار التناقض الذي تعاني منه الأمة، كلما ابتعدت عن منهج الله.

ورحم الله من قال:

**تكلم وسدد ما استطعت فإنما — كلامك حي والسكوت جماد**

**فإن لم تجد قولا سديدا تقوله — فصمتك عن غير السداد سداد**

وأبلغ من ذلك قول المصطفى ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» (رواه البخاري: ٦٠١٨).



رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٩ | محرم ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٧م





**المراسلات**

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




# في هذا العدد





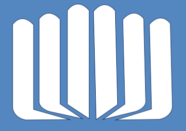

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





# كلمة العدد

## أثر الإعلام الإسلامي

في عصر الفضائيات والإنترنت.. عصر السموات المفتوحة.. يبرز دور الإعلام وأثره كلاعب رئيسي في التأثير على وعي الأفراد والمجتمعات تجاه قضية معينة سلبا أو إيجابا، وأصبح بالإمكان تصدير أي فكر أو رأي مهما كان، رفيعا أو وضيعا، في برامج تؤثر على الإنسان عقلا وشكلا، تغير من عاداته وتقاليده وأسلوب حياته دون حسيب يمنع ولا رقيب يحذف.

من هنا أصبح استخدام الإعلام في الدعوة إلى الله والدفاع عن المسلمين وشرح قضاياهم فرض كفاية يمليه واقع الحال، أخذا من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ (الأنفال:٦٠) والإعلام بجميع منافذه قوة ذات تأثير مباشر ويجب استغلاله في نشر رسالة الإسلام وتوضيح قضاياه. وقوله تعالى أيضا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ (النحل:١٢٥) ومن الحكمة اختيار الوسيلة المناسبة للدعوة والتي لم تعد مقتصرة في زماننا على الخطبة والقصيدة والدرس والموعظة فقط، بل امتدت لتشمل جوانب كثيرة يمكن تغطيتها عن طريق الإعلام والبث المباشر ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة، لكن بناء صرح إعلامي إسلامي متميز وفعال لا يتم عن طريق إنشاء قناة فضائية هنا أو موقع إلكتروني هناك دون النظر إلى ما يقدمه من محتوى، بل لابد من التركيز على أن يكون ما يقدم ذا مستوى فني وتقني عال جاذب للمشاهد ومرتبط بواقع الناس ليستقطبهم ويؤثر فيهم وتستخدم فيه وسائل العرض الجذابة لجميع الأعمار والفئات وفق منهج إعلامي إسلامي سليم.

**مدير التحرير**
**فهد الخزي**

## الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

**ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

أ. د. أمان محمد قحيف - مفكر وباحث

# الإعداد النفسي للهجرة

لدراسة الهجرة النبوية جوانب متعددة وأبعاد متنوعة، وحظيت معظم أبعادها بعناية حملة الأقلام واهتماماتهم، فتناولها بعضهم من الجانب التأريخي، في حين تناولها بعضهم الآخر من الجانب الدعوي من حيث كونها تمثل نقلة كبرى ولحظة مفصلية في مجال الدعوة ونشر الدين الحنيف، وتناولها العديد من الباحثين والكتاب من جانب التنظيم والترتيب لنجاحها، وكانت زاوية رؤيتهم تتجه صوب التنسيق والترتيب وتحديد الأدوار المنوطة بكل فرد ساهم في الهجرة المباركة بدءا من الصدِّيق أبي بكر إلى علي بن أبي طالب إلى أسماء بنت أبي بكر إلى عبدالله بن أبي بكر إلى عامر بن فهيرة. ونشير إلى أن هناك بعدا لم تلمسه الأقلام ولم تتعهده الدراسات بالتناول التفصيلي أو القراءة التحليلية إلى الآن رغم أهميته وضرورته لنجاح أي عمل له قيمة وليس الهجرة فحسب، إنه البعد المتعلق بالإعداد النفسي (السيكولوجي) للمشاركين والمساهمين والمخططين للهجرة النبوية المباركة.

وإذا كان نجاح أي مشروع من المشاريع الكبرى يحتاج أول ما يحتاج إلى العمل على إعداد القائمين به أو المشاركين فيه إعدادا نفسيا يؤهلهم للقيام به على أكمل وجه فإننا نلمس تحقق ذلك واقعيا في مسألة الهجرة النبوية المباركة على النحو التالي:

أولا: شاء الله تبارك وتعالى أن يعد النبي ﷺ نفسيا للهجرة منذ اليوم الأول لتلقيه الوحي، حيث جاءت الروايات تترا مؤكدة أن السيدة خديجة رضي الله عنهما أخذت النبي ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي كان رفيقا لزيد بن عمرو بن نفيل في البحث عن الحنيفية السمحة إلا أنه تنصر، وهنالك قالت له خديجة: اسمع من ابن أخيك. قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام. يا ليتني كنت فيها جذعا، يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم»، قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا (١).

ويرى كاتب السطور أن في هذا النص العديد والعديد من الملامح التي تساهم في إعداد الرسول ﷺ نفسيا لمواجهة ما ينتظره من خطوب وما سيتعرض له من محن وأزمات؛ حيث نأخذ من قول ورقة ابن نوفل للنبي ﷺ في بداية الحوار: «هذا الناموس الذي أنزل على موسى عليه السلام» نأخذ من هذا القول أن فيه طمأنة لقلب النبي ﷺ بأن ما يأتيه هو الناموس - أي بشير الخير - الذي أتى الأنبياء من قبله، من هنا يتأكد للنبي أن ما يأتيه ليس شيطانا يؤذيه ولا هو جن يتلاعب به، ولا هو عمل من أعمال السحرة أو الكهنة، فالرسول ﷺ يطمئن بهذا الكلام على كونه من أنبياء الله تعالى ورسله الذين اصطفاهم لتبليغ كلمته إلى عباده.

والحق أن القراءة المتأنية لهذا الموقف تكشف لنا النقاب عن أن الله تبارك وتعالى شاء أن يسمع النبي ﷺ من ورقة بن نوفل أن أهل قريته سيعملون على إخراجه من مكة التي هي بلده ومسقط رأسه. ويأتي تساؤل النبي ﷺ باندهاش وتعجب: «أومخرجي هم»؛ ليمثل درجة من درجات الإعداد النفسي لتقبل واقعة إخراجه من بلده ووطنه الذي تربى به ونهل من خيراته واعتاد نفسيا ومعنويا على العيش فيه والتعامل مع أجوائه ومناخه الثقافي والاجتماعي. ويشاء الله تبارك وتعالى أيضا أن يقول ورقة للنبي ﷺ: «لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي»، وهنا يطمئن ورقة النبي على كونه لن يكون بدعا من الرسل عندما يتعرض للإيذاء والإخراج من دياره وموطنه، فتلك هي سنة الله مع أهل الدعوات والرسالات من قبل، وهذا الأمر يجعل النبي ﷺ يطمئن نفسيا إلى أن الهجرة من الأوطان والإخراج منها قد تعرض له الأنبياء والرسل السابقون عليه زمنيا، وفي هذا المعنى ما فيه من الارتياح النفسي والقلبي للرسول ﷺ، وفيه أيضا ما فيه من عوامل تعينه على تحمل هذا الموقف الصعب وتلك اللحظة القاسية، لحظة الخروج من موطنه إلى مكان آخر، وهذا الأمر يمنحه أيضا قوة نفسية تعينه على مواجهة الخطوب وتحمل أعباء الدعوة، فتلك هي ضريبة الرسالة وهذا هو ثمن الإخلاص لله عز وجل.

ولعلنا نأخذ أيضا من قول ورقة للنبي ﷺ: «وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا» أن ثمة إيحاء للنبي ﷺ أن الله سيوجد له من البشر وقتها من يقف معه ويؤيده وينصره ويدافع عنه في مواجهة خصومة والمتربصين به.. وفي هذا دعم واضح أيضا للناحية الروحية والنفسية لدى رسول الله ﷺ حيث يشعر بأنه لن يكون وحده عند خروجه بل سيقف معه وينافح عنه العديد من أهل الإخلاص وأهل البحث عن الحق والحقيقة.

من هنا نستخلص أن المولى سبحانه وتعالى أعد نبيه نفسيا للهجرة من البداية؛ لأن الرسول ﷺ قد استقبل خبر الهجرة في الوقت الذي استقبل فيه تصديق أنه مبعوث (٢)؛ ذلك لأن ورقة بن نوفل الذي كان أول من أخبره بأن ما يأتيه هو نفس الناموس الذي جاء إلى موسى عليه السلام أخبره في نفس الوقت بأن بني بلدته لن يتقبلوا دعوته بانشراح في الصدور أو تفتح في الأفئدة، وسيترك مكة مهاجرا.

ونضيف في هذا السياق موقفا حدث ليلة هجرته ﷺ هذا الموقف دعمه نفسيا كأقصى ما يكون الدعم، ألا وهو خروجه ﷺ من داره ولم يره أحد بينما كان أشد شباب قبائل مكة وكثرة من رجالها في انتظاره بالباب ليضربوه ضربة رجل واحد، فإذا بالله تعالى يضرب على رؤوسهم بالنوم فيخرج رسول الله ﷺ من بيته المحاصر بهؤلاء الأقوياء الأشداء دون أن يراه أحد أو يشعر به فرد منهم، ولا شك أن في ذلك دلالة واضحة وبرهان ساطع يؤكد للنبي ﷺ أن الله تبارك وتعالى يرعاه ويحفظه من كيد الكائدين ومكر الماكرين، الأمر الذي جعل الرسول ﷺ يشعر بثقة تامة في كونه محاطا بالعناية الإلهية ومحفوظا بالقدرة الربانية، من ثم فلا غرابة أن يقول لأبي بكر ساعة أن خاف الصدِّيق من أن ينظر أحدهم تحت قدميه وهم في الغار فيراهم: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (٣).

ولقد ذكر القرآن الكريم هذا المعنى الرائع بقول الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠).

ثانيا: كان الصدِّيق أبو بكر هو رفيق رسول الله ﷺ في رحلة الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة، من هنا فكان لابد أن يتم إعداده هو الآخر إعدادا نفسيا لتحمل مسؤولية مصاحبة رسول الله ﷺ والسير معه طوال هذه الطريق الوعرة والمسالك الصعبة، من هنا فقد سارت الأحداث وفق ترتيب إلهي أدى في النهاية إلى إعداد نفس الصدِّيق الطيبة وروحه الطاهرة إعدادا يجعلها أكثر قدرة على تحمل مشاق الطريق دون أن يتطرق إليه التردد في مواجهة الصعوبات أو الخوف من الإقدام على المخاطر، وبإمكاننا أن نضع أيدينا في هذا السياق على نقطتين هما:

الأولى: أن رسول الله ﷺ استبقى أبا بكر في مكة ولم يسمح له بالهجرة كما كان يسمح لبقية الصحابة رضي الله عنهم الذين تتابعوا في الخروج من مكة.

الثانية: أن النبي ﷺ كان يقول له إذا طلب الاستئذان للهجرة: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا» (٤).

ولعل عدم سماح الرسول ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه بالهجرة كان يجعله يتساءل فيما بينه وبين نفسه عن السبب في منع الرسول له من الانطلاق في الهجرة كباقي الصحابة، وهنا لابد أن ندرك أن في هذا التساؤل ما فيه من الإعداد النفسي، والتوجه الروحي نحو الاشتياق للهجرة إلى المدينة ومفارقة غلاظ الأكباد القاطنين بمكة من أهل قريش وطغمتها الطاغية المتجبرة آنذاك.

ولنا أن نأخذ من قول النبي ﷺ له: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا»، أن الرسول ﷺ كان يرسل له رسالة غير مباشرة بأنه سيكون رفيقه في الهجرة من دون التصريح بذلك، الأمر الذي يجعله على أهبة الاستعداد النفسي لبدء المسير والانطلاق نحو المدينة المنورة في صحبة رسول الله ﷺ في أي وقت يطلب منه الحبيب ذلك، ولقد تجلى ذلك واضحا في سروره وغبطته الغامرة عندما جاءه النبي في الهاجرة ليخبره خبر الهجرة وخبر الصحبة.

وهنا ظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب أبي بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ في الهجرة، كما ظهر حب باقي الصحابة أجمعين، وهذا الحب كان نابعا من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق، أو نابعا من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع (٥).

وتجسد هذا الحب في قول النبي ﷺ له: «الصحبة يا أبا بكر»، فرد مسرعا، متهللا، مستبشرا: «الصحبة يا رسول الله؟».

### الهوامش

١- رواه البخاري ومسلم.
٢- الشيخ محمد متولي. السيرة النبوية، المكتبة التوفيقية، القاهرة. (ص٣٦٢).
٣- أخرجه البخاري ومسلم.
٤- قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي: «معناه فيما أخرجه البخاري من حديث عائشة الطويل في الهجرة».
٥- انظر: د. علي محمد الصلابي. السيرة النبوية، (ص٣٦٥).

عبدالسلام حسن
ماجستير في الشريعة الإسلامية - سورية

# هل أتاك حديث الهجرة المباركة؟

إن أخلاق النبي ﷺ وسجاياه، لا تشتمل على مثلها نفس بشرية، فقد كان ﷺ شجاع القلب، حليما، سمح الأخلاق، واسع الأمل، كبير الهمة، لبث في قومه ثلاث عشرة سنة في مكة بعد البعثة؛ يدعو إلى الله، فلا يلبي دعوته إلا الرجل بعد الرجل، فلم يبلغ الملل من نفسه، ولم يخلص اليأس إلى قلبه؛ بل كان يقول: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته؛ حتى يظهره الله، أو أهلك دونه» (١).

ومازال هذا شأنه ﷺ؛ حتى علم أن مكة لن تكون مبعث الدعوة، ولا مطلع تلك الشمس المشرقة، فهاجر إلى المدينة المنورة؛ فانتقل الإسلام بانتقاله من السكون إلى الحركة، ومن طور الخفاء إلى طور الظهور؛ لذلك كانت الهجرة مبدأ تاريخ الإسلام؛ لأنها أكبر مظهر من مظاهره.

لقد لقي ﷺ في هجرته مشقة عظمى؛ فإن قومه كانوا يكرهون مهاجرته؛ مخافة أن يجد في دار هجرته من الأعوان والأنصار ما لم يجد بينهم، فوضعوا عليه العيون والجواسيس؛ فخرج من بينهم ليلة الهجرة متنكرا، بعد ما ترك في فراشه ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ عبثا بهم، وتضليلا لهم عن اللحاق به.

ومشى ﷺ هو وصاحبه أبوبكر الصديق رضي الله عنه يتسلقان الصخور، ويتسربان في الأغوار والكهوف، ويلوذان بأكناف الشعاب والهضاب، حتى تم لهما ما قد تم، بفضل الصبر والثبات على الحق.

لقد تآمر المشركون على الرسول ﷺ، وقرروا أن يفتكوا به أو يقتلوه، لكن الله تعالى حماه وأيده ونصره فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس:٩).

### معجزات باهرات

وأيد الله تعالى رسوله الكريم بالمعجزات الباهرات، والآيات البينات، لتدل على نبوته ورسالته، ومنها ما حصل لسراقة بن مالك، حينما أراد أن يؤذي رسول الله ﷺ، فساخت قوائم الفرس في الأرض، ونجى الله تعالى نبيه الكريم من أذى قريش، بعد أن رصدت جائزة لمن يأتي بالرسول ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال:٣٠).

ويلقي رسول الله ﷺ مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه نظرة على البيت الحرام، نظرة حزن، قائلا: «والله إنك لأحب أرض الله إلي، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» (٢).

دموعه ﷺ تهراق على وجنتيه، يعلن للعالم أجمع أن وطن الداعية حيث مصلحة دعوته.

وفي الطريق إلى الغار يرى النبي ﷺ من أبي بكر عجبا، يسير أمامه مرة، وخلفه مرة، وعن يمينه مرة، وعن شماله مرة، فيسأله النبي ﷺ: «لم هذا يا أبا بكر؟». فيقول ﷺ: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، وأتذكر الرصد فأمشي أمامك، وعن يمينك وعن شمالك؛ لا آمن عليك.

فيقول النبي ﷺ: «يا أبا بكر، لو كان شيء؛ لأحببت أن يكون بك دوني؟» (٣).

قال: نعم، والذي بعثك بالحق، إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة كلها.

ويصلان إلى الغار (غار ثور)، وينزل الصديق الغار قبل رسول الله ﷺ يستبرئه، وينظفه من أي أذى، فيقع عليه دون المصطفى ﷺ، ثم ينزل رسول الله ﷺ ويتوسد، وينام قرير العين وهو الطريد الشريد؛ لأنه واثق بنصر الله سبحانه وتعالى.

### ثقة وثبات

ووصل المشركون إلى الغار، واشتد البحث عن رسول الله وصاحبه، وتفرقت العيون في الدروب، وفي الجبال، وفي

الكهوف، واقتفيت الآثار حتى أحاطوا برسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، وأصبحا منهم رأي العين، وأزاغ الله منهم الأبصار.

حزن أبو بكر الصديق رضي الله عنه حزنا شديدا على رسول الله ﷺ لا على نفسه، فما كان يعيش لنفسه، فقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا.

فقال عليه الصلاة والسلام، وهو في جوف الجبل أشد ثباتا من ذلك الجبل، في ثقة بالله جل جلاله: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! لا تحزن إن الله معنا» (٤).

ووالله الذي لا إله إلا هو، لو سارت مع قريش كل الأحياء، وتشققت القبور فخرج الأموات يسحبون أكفانهم خلف قريش، يقلبون حجارة الأرض، ويزحزحون جبالها، ويفتشون فجاجها - ما قدروا على اثنين الله ثالثهما.

لقد كان رسول الله ﷺ في حالة من الأمان والطمأنينة لم يصل إليها بشر في الأرض، وهو يرى نفسه بين عدوه لا يحول بينهما إلا التفاتة واحدة، لماذا؟ لأنه واثق بنصر الله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال:٣٠).

## عقيدة راسخة

وتثبت لنا الهجرة المباركة أن العقيدة أشرف مبتغى، وأسمى ما رسخه المصطفى، صلوات ربي وسلامه عليه، فدونها تهون الأوطان والأموال وسائر ما تحرص عليه نفس الإنسان، فحاجة العباد إليها فوق كل حاجة، وضرورتهم إليها فوق كل ضرورة؛ لأنه لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله.

العقيدة تحرر المؤمن من العبودية لغير الله تعالى، فيشعر بالعزة والكرامة، فلا يستكين إلا لله وحده، ومنه وحده يلتمس النصر والتأييد، والمعونة والتوفيق، والرشاد والسداد، وهذا يلخصه ربعي ابن عامر رضي الله عنه في كلمته الشهيرة لرستم: «إن الله ابتعثنا لنخرج - من أراد من العباد - من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

## ملامح تربوية

ومن أهم الملامح التربوية المستقاة من الهجرة النبوية الشريفة أن السيدة أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، كانت مسؤولة الإمداد والتموين، فكانت، رضي الله عنها، تأتي رسول الله ﷺ وصاحبه بالطعام، حتى أنها في ذات مرة لم تجد ما تربط جراب الطعام، فشقت نطاقها نصفين، فربطت الطعام بنصفه، وانتطقت بالنصف الآخر، فسميت بـ«ذات النطاقين».

أما عبدالله بن أبي بكر، رضي الله عنهما، فقد كان مدير الاتصالات النبوية في الهجرة، فكان رضي الله عنه يبيت مع القوم حتى يحل ظلام الليل، ثم يذهب بالأخبار إلى مختبأ الرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه، ثم يعود إلى مبيته في مكة فجرا.

وكان عامر بن فهيرة رضي الله عنه يزيل الأثر؛ أثر السير في الطريق.

وكان عبدالله بن أريقط دليل النبي ﷺ، وكان إذ ذاك على الشرك، ومنه نخلص بدرس أنه يجوز الاستعانة بأصحاب الكفاءات وإن كانوا على غير دين الإسلام في الأعمال التي لا تدخل في صميم العقيدة.

## صناعة الأمل

إن من دروس الهجرة: صناعة الأمل؛ الأمل في موعود الله، الأمل في مستقبل مشرق، الأمل في الفرج بعد الشدة، والعزة بعد الذلة، واليسر بعد العسر.

وهجرة المصطفى ﷺ كانت فاتحة الأمل، وطريق العودة له ولأصحابه إلى مكة فاتحين ظافرين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص:٨٥)، أي: إلى مكة المكرمة.

كما دلت الهجرة النبوية على فضل المسجد ودوره في التربية والتعليم، وتوحيد الكلمة، ورص الصف، ويتجلى ذلك في أن أول عمل قام به رسول الله ﷺ بعد دخوله المدينة المنورة بناء المسجد: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۝٣٧﴾ (النور:٣٦-٣٧).

ومن دروس الهجرة: أن الأخوة الإيمانية القائمة على أساس العقيدة الصافية سبب في بناء المجتمع وتحصينه، ويتجلى ذلك في عقد الإخاء الذي جمع المهاجرين والأنصار.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

وقد غيرت الهجرة النبوية مجرى التاريخ، وحملت في طياتها معاني التضحية والصحبة، والصبر والنصر، والتوكل والإخاء: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠).

---

### الهوامش

١ - ذكره ابن هشام في السيرة النبوية: رقم: (٢٦٦/١).

٢ - رواه الترمذي في المناقب بسند صحيح، الحديث رقم: (٣٩٢٥).

٣ - رواه البيهقي في الدلائل.

٤ - رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ثاني اثنين، ح رقم: (٤٣٨٦).

علاء الدين حسن
كاتب ومفكر سوري



# الهجرة... منطلق وغاية

عندما نستعرض سيرة النبي ﷺ، نجده أنه قد أمضى معظم حياته مهاجرا في سبيل الله، منذ بدء وعيه، وإلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

لقد هاجر عليه الصلاة والسلام ابتداء ما كان عليه قومه من ظلم وطغيان، ثم هاجر إلى غار حراء متأملا قدرة الله عز وجل حتى تهيأت روحه لتلقي خبر السماء، ومن أول يوم في الدعوة الإسلامية المباركة والرسول ﷺ يعلم أنه سيخرج من بلده مهاجرا؛ ففي حديثه مع ورقة بن نوفل عندما اصطحبته زوجه خديجة رضي الله عنها إلى ابن عمها ورقة قال له: «هذا الناموس الذي نزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك»، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي» (١).

لقد بعث الله عز وجل محمدا ﷺ بدعوة تملأ القلوب نورا، وتشرق بها العقول رشدا، فسابق إلى قبولها رجال عقلاء، ونساء فاضلات، وصبيان لا زالوا على فطرة الله، وبقيت سائرة في شيء من الخفاء، وكفار قريش لا يلقون لهم بالا، حتى أخذ رسول الله ﷺ يقرع بها الأسماع في المجامع، ويحذر من عبادة الأصنام، ويسفه أحلام من يعبدونها، فكان ذلك مثيرا لغيظ المشركين، وحافزا لهم على مناوءة هذه الدعوة، والصد عن سبيلها، فوجدوا في أيديهم وسيلة، هي أن يفتنوا المؤمنين، ويسوموهم سوء العذاب؛ حتى يعودوا إلى ظلمات الشرك، وحتى يرهبوا غيرهم ممن تحدثهم نفوسهم بالدخول في دين القيِّمة.

ثم إن المشركين فرضوا على رسول الله ﷺ، وعلى من آمن معه الحصار الاقتصادي، فأمر ﷺ بهجرتين إلى الحبشة.

ومرت الأيام، وجاء عام الحزن؛ حيث فقد ﷺ عمه أبا طالب، وزوجه خديجة رضي الله عنها، وزادت قريش من طغيانها، فهاجر ﷺ إلى الطائف، فلم يجد فيها إلا عدم القبول، فعاد يدعو ربه شاكيا إليه ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس.

## شجاعة وأمل

لقد كان ﷺ شجاع القلب، فلم يهب أن يدعو إلى التوحيد قوما مشركين يعلم أنهم غلاظ جفاة، يحبون آلهتهم حبهم لأبنائهم وآبائهم.

نعم، لقد كان ﷺ على ثقة من نجاح دعوته، وكان ﷺ حليما سمح الأخلاق؛ فلم يزعجه أن كان قومه يؤذونه، ويزدرونه، ويضعون التراب على رأسه، ويلقون على ظهره أمعاء الشاة، وسلى الجزور، وهو في صلاته، بل كان يقول: «اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون» (٢).

كان ﷺ واسع الأمل، كبير الهمة، صلب النفس، كان يقول: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك دونه» (٣).

ثم جاءت الهجرة الكبرى إلى المدينة المنورة بوحي من الله تعالى، ومع هذه الهجرة المباركة، نتذكر مواقف عظيمة غيرت مجرى التاريخ.

لقد تجلى في حدث الهجرة صدق

الإرادة، وكمال البطولة، وقوة الإيمان، كيف لا وهي التي فرقت بين الحق والباطل، والخير والشر، وفصلت بين الهدى والضلال، والنور والظلام، وأرست دعائم العدالة، وأعلت صروح المجد والفخار.

## تحرير الإنسان

لقد بدلت هذه الهجرة معالم الحياة؛ لينبثق فجر أعلى شموخا، وأقوى أركانا، وأعمق جذورا؛ حيث أخذ كل دوره:

- علي بن أبي طالب ﵁ ينام على فراش رسول الله ﷺ مضحيا بحياته من أجل رسول الله ﷺ؛ ليكون أول من يفدي بروحه في تاريخ الإسلام.
- عبد الله بن أبي بكر ﵄ ينقل الأنباء العاجلة عبر فضاء المحبة لرسول الله ﷺ.
- عبد الله بن أريقط، يدل على معالم الطريق.
- عامر بن فهيرة، يغيب أثر سير الرسول ﷺ وصاحبه ﵁.

ولم يغب اسم المرأة؛ حيث أعدَّت عائشة وأسماء رضي الله عنهما الزاد لرسول الله ﷺ وصاحبه ﵁.

**هذا عليٌ في فراش المصطفى**
**يفديه من سيف العدا البتار**
**ومناقبُ الصديق جل بهاؤها**
**قد أهلته لصحبة المختار**
**أسماءُ تأتي بالطعام إليهما**
**وشقيقها متعهد الأخبار**
**مولى أبي بكر يسمى عامرا**
**في رعيه يعفي على الآثار.**

وأحبط الله عز وجل خطط المشركين الذين اتفقوا على أن يأتوا من كل قبيلة برجل؛ ليضربوا محمدا ﷺ ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه بين القبائل قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

## كلمة سواء

وفي الليلة الموعودة فيما بينهم لسفك الدم الزكي، وإزهاق روح الدعوة، أحاط النفر الأشقياء بدار النبوة، وكان فيهم أبو جهل، وعقبة بن أبي معيط، وأمية ابن خلف، والنضر بن الحارث، وطعمة ابن عدي، وزمعة بن الأسود، وغير هؤلاء الصناديد، ممن بلغوا مائة عدا.

وما كان بيت النبوة مدينة محصنة، ولا قلعة محكمة، ولم يكن بداخله عدد غفير، حتى تواجهه قريش بهذا الحشد الجلد بعد تشاور وتحاور، وإنما كان بيتا متواضعا، لا يعز على مقتحم، ولا يستعصي على متسلق، وكان في داخله مع محمد شاب تحدى وحده جموع الشباب المتربص، في شجاعة مؤمنة، وفدائية جريئة.

## واقعية التوكل

ويجعل الله تعالى من بين أيدي المشركين سدا ومن خلفهم سدا، ويلقي على أبصارهم غشاوة قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١).

لقد قام ﷺ بتأمين زاده ولم ينتظر مائدة من السماء، وقام بالتمويه على أعدائه ولم يكتف بالغشاوة على أعينهم والسد من بين أيديهم ومن خلفهم، وقام بتضليلهم عن غاره ولم ينتظر ريحا صرصرا عاتية تخفي آثاره عنهم، وقام بدراسة تقارير عبد الله بن أبي بكر بدقة متناهية ليعرف تحرك أعدائه ولم يكتف ببيان روح القدس، واستأجر ابن أريقط ليدله وصاحبه على الطريق على الرغم من أنه كان يستنير بنور الله، واتخذ لنفسه صاحبا على الرغم من أنه يعلم أن الله معه في كل حال، وكل هذا يؤكد على أن الإيمان لا يتلاقى البتة مع الفهم التواكلي الذي تروج له كثير من الفضائيات وهي تمارس صناعة النجومية للدجاجلة والمشعوذين.

وعندما يقترن العزم الصحيح بالتوكل على من بيده ملكوت كل شيء، تكون العاقبة رشدا وفلاحا يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

## حب الديار

لقد هاجر عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبو بكر الصديق ﵁، وما أن بلغ ﷺ مشارف مكة، حتى التفت إليها قائلا: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» (٤).

فحب الأوطان والديار فطرة فطر الله الناس عليها، ومن قديم قال عنترة:

**أحن إلى تلك المنازل كلما**
**غدا طائر في أيكة يترنم**

ومهما كان هذا الوطن صغيرا أو كبيرا؛ فإن مكانته ومنزلته تبقى في نفوس أبنائه كبيرة وغالية، وعندما جاء الإسلام أكد على ضرورة هذا الحب، وجعل حفظ الوطن والأرض من أساسيات هذا الدين.

ودخل ﷺ غار ثور، ودخل الصديق أولا؛ ليؤمن النبي الكريم من الخطر، وهذا ما يجب أن يكون عليه حال كل مؤمن.

ويلتقي المشركون على باب الغار، فيقول الصديق ﵁: لو نظروا تحت أقدامهم لرأونا، فيقول ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» (٥).

من كان الله معه فلا أحد عليه، ومن كان الله عليه فلا أحد معه، كن مع الله ترى الله معك.

إلهي يا رب ماذا فقد من وجدك؟ وماذا وجد من فقدك؟

**يا نازل الغار والأعداء تنتظر**
**لا تخش كيدا فإن الحق منتصر**
**ولن تقوم لحزب الشرك قائمة**
**مهما تجمع أهل الشرك وائتمروا**

وأعمى الله أبصار المشركين، ولم يخطر ببال أحد منهم أن يتساءل عما بداخل الغار، و والله لو أن أحدهم وضع عينيه تحت قدميه لما رأى رسول الله وصاحبه؛ لأنهما كانا في معية من لا تدركه الأبصار.

**وأمده بحراسة وعناية**
**محفوفة باللطف والإحسان**
**وهو الجدير بأن يعظم قدره**
**عند القدير مدبر الأكوان**

وتابع الرسول ﷺ وصاحبه ﵁ الرحلة المظفرة سالمين غانمين قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ



﴿ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٤٠).

عزيزٌ في انتقامه وانتصاره، لا يضام من لاذ ببابه، واحتمى بالتمسك بخطابه. حكيمٌ في أقواله وأفعاله.

## وعد بالعودة

هاجر ﷺ سرا؛ ليعلمنا الأخذ بالأسباب، وودع وطنه مستعينا بالكتمان، والقلب يخفق، وجبريل يبشره بأن الله سيعيده عما قريب ظافرا فاتحا يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖۚ﴾ (القصص:٨٥).

وبينما هما في الطريق إلى المدينة المنورة، كان الصديق رضي الله عنه يتوجس خيفة على رسول الله ﷺ، فساعة يمشي إلى يمينه، وتارة إلى شماله، وطورا من خلفه، وحينا من أمامه، ويواصلان السير في تلك الصحراء، فيراهما سراقة بن مالك، وكان قد خرج يطلب رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه طمعا في الفوز بمائة ناقة جعلتها قريش جائزة لمن يأتي بمحمد ﷺ وصاحبه رضي الله عنه حيَّين أو ميِّتَين، ولكن الله حال بينه وبين ما أراد، وسقط من على ظهر فرسه، فعلم بأن محمدا رسول الله، وراح يطلب الأمان، ويستجيب نبي الرحمة ﷺ.

**وإذا رحمت فأنت أم أو أب**

**هذان في الدنيا هما الرحماء**

يستجيب نبي الرحمة ويقول له: «كيف بك يا سراقة إذا ألبسك الله سواري كسرى» (٦).

لقد خرج سراقة أول النهار جاهدا على رسول الله وصاحبه، فصار آخر النهار حارسا لهما (٧).

وعاش سراقة، وأطال الله عمره، وأسلم وحسن إسلامه، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جاءت الغنائم من بلاد الفرس، ومنها: غنائم كسرى وتحفه الشخصية وحليه، ومنها، سواراه، وتذكر الفاروق وعد الرسول وبشارته لسراقة بن مالك، فقال: أين سراقة بن مالك؟ فقام رجل من القوم وقال: ها أنا يا أمير المؤمنين، قال: أتذكر يوم قال لك رسول الله ﷺ كذا؟ قال: نعم، قال عمر: فتعال ألبسك سواري كسرى، فارفع يديك وقل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى، وألبسهما سراقة الأعرابي (٨).

## البيع الرابح

ولما أراد صهيب الرومي رضي الله عنه أن يلحق برسول الله ﷺ، فوجئ بمن يريدون منعه قائلين: أتيتنا صعلوكا وها أنت أضحيت ذا مال وبنين، فقال: إن دللتكم على مكان مالي، أكنتم تاركي من أجل أن أهاجر؟ قالوا: نعم. فدلهم على أواقي من ذهب تحت باب دار له في مكة، وقال: هنالك الذهب فخذوه، ثم لحق برسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: «ربح البيع يا أبا يحيى» (٩).

## طلع البدر

ولما وصل ﷺ المدينة المنورة، عام ستمائة واثنين وعشرين للميلاد بعد أحد عشر يوما من خروجه من مكة، استقبل أروع استقبال، ووجد فيها قلوبا تفتحت لدعوة الحق، كل يعمل لخير الإسلام وتحقيق العزة والحرية، إنها هجرة في سبيل

الرحمن، أما عندما ينضم الإنسان إلى الباطل، فإن هجرته تكون في سبيل الشيطان.

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله: «الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان، وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان؛ لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام الشيطان» (١٠).

والهجرة حركة مبدئية ذات منطلق وغاية وهدف، يغلفها اطمئنان ناتج عن الثقة بالله عز وجل، ومن أجل تحديد المنطلق لا بد أن نستند إلى أمر الله، ومَن عمل من غير أمر الله فقد ضل وتاه.

وتكشف الصورة التي استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله ﷺ، عن مدى المحبة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار.

لقد كان أهل طيبة ينتظرون تحت لفح الشمس وصول النبي الكريم، حتى إذا أدبر النهار عادوا صباح اليوم الثاني، فلما طلع رسول الله عليهم، جاشت عواطف الأنصار، وانطلقوا يعبرون عن مدى محبتهم الشديدة لرسولهم الكريم.

وبركت ناقته ﷺ أمام دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فأكرمه أعظم تكريم.

وكان بناء المسجد أول عمل قام به ﷺ لدى وصوله المدينة، وكان يباشر العمل مع أصحابه، وينقل الحجارة بنفسه؛ لأن روح المحبة والمساواة لا تتم إلا في المسجد الذي، فيه عقدت الرايات، ومنه تخرج القادة، وهو مركز الشعائر، ومن على منبره تلقى تعاليم المودة.

ولم يكن المسجد الذي أقامه النبي ﷺ مزخرفا، وإنما كان مفروشا بالرمل، مسقوفا بسعف النخيل، أعمدته جذوع الشجر، وهذا المسجد هو الذي بنى الحضارة، فاستماع الناس إلى صوت نبيهم وهو يقرأ القرآن، أمدهم بقوة روحية وأدبية وحماسية.

صرخ الصديق من الظلام وقال بعد تردد

**أين الطريق وأين أين درب المهتدي**
**جاوبته برضى وقلب صادق هذي يدي**
**خذها تعال نصيحة من مؤمن وموحد**
**الراحة الكبرى تجدها في رحاب المسجد**

فالمساجد مشارق إيمان، وينابيع هدى ورحمة، يتجرد الإنسان بارتيادها من مشاغل الدنيا؛ ليكون مع الله في ذكر وعبادة، وليتمثل معنى صدق الإخاء.

قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة» (١١).

وفي حديث آخر: «من غدا إلى المسجد، لا يريد إلا ليتعلم خيرا، أو يعلمه، كان له أجر معتمر تام العمرة» (١٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده» (١٣).

وصلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وأدركَ مَن سبقنا أهمية المسجد، فكانوا يعقدون فيه كل عقد مهم. ومن بين السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجل قلبه معلق بالمساجد» (١٤).

## استراتيجية التآخي

ثم آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فجرت بينهم أنهار العطاء، وتكونت القاعدة الإسلامية الحرة التي انطلق منها دين الإسلام ليغمر بقاع الأرض بأنوار هديه، وفي أعقاب أحداثها اكتمل التشريع الإسلامي الحنيف، واستقبلت البشرية منهج الله في واقعه العملي بتفاصيله المحكمة؛ فالهجرة الشريفة جسدت أسمى مواقف الصبر والثبات، وأعظم مظاهر التضحية والفداء؛ حيث انطلق المسلمون تاركين بيوتهم وأهليهم وأموالهم، صابرين محتسبين في سبيل سلامة عقيدتهم، فسجل التاريخ في حركة هجرتهم أسطع الصفحات.

ولم تكن الهجرة فرارا من الميدان، ولا مجرد انتقال من بلد إلى آخر، وإنما كانت هجرة من أرض جثم فيها الشرك، وحكمها الجهل، وسادها البغي، إلى أرض سطع فيها نور الحق، وأشرق منها ضياء التوحيد.

وكانت نجاةً من الظلم؛ ظلم النفس بالشرك والرذيلة، وظلم المجتمع بالطغيان والفوضى.

ولقد أدرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه عظمة الهجرة، كما أدرك المسلمون ذلك، فجعلوها بدءا للتاريخ الإسلامي؛ لأنها ساعدت على نشر الإسلام، ولأن نسماتها عدل ورحمة، وأهدافها عزة ورفعة، وسماتها صلاح وإصلاح، ودعوتها بناء وإحسان، وركائزها بر وتعاون.

وبعد:

إنه لشرف لنا عظيم أن نمتثل عزيمة وثبات المهاجرين والأنصار، المهاجرين ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ (الحشر:٨). والأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

### الهوامش

١- مسند أحمد (٥٣/٤٣)، و صحيح البخاري (٧/١).
٢- أخرجه البخاري، برقم: (٣٤٧٧)، ورقم: (٦٩٢٩)، ومسلم، برقم: (١٧٩٢).
٣- أورده ابن هشام في السيرة النبوية: (٢٦٦/١).
٤- رواه الترمذي، برقم: (٣٩٢٥).
٥- رواه البخاري، برقم: (٤٣٨٦).
٦- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٣٥٧/٦).
٧- زاد المعاد: (٤٥/٣).
٨- الإصابة في تمييز الصحابة، الترجمة رقم: (٣١١٥).
٩- رواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي بصحته.
١٠- نضرة النعيم: (٤٤٠/٨).
١١- رواه مسلم، برقم: (٦٦٦).
١٢- رواه الحاكم في المستدرك، برقم: (٣١١).
١٣- رواه أبو داود، برقم: (١٤٥٥).
١٤- رواه البخاري، برقم: (٦٢٩).

حوار: أبوالحسن الجمال





# الدكتور حسام الدين شاشية.. ورحلة البحث عن الموريسكيين

قد أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات التي تنوعت بين البحث العلمي المحكم في المؤتمرات العلمية التي حضرها في تونس والدول العربية والغربية، والمؤلفات الرصينة التي دلت على تبحره في مجاله.
له جهود جبارة وإنتاج غزير في مجال كتابة التاريخ وتحقيق النصوص التي تتعلق بالمورسكيين وأماكن تواجدهم في الأندلس وإفريقيا.
حقق بعض آثار المورسيكيين تخصصه العلمي الرفيع، ومن هذه الآثار: «السفارديم والمورسيكيون»: «رحلة التهجير والتوطين في بلاد المغرب (١٤٩٢- ١٧٥٦م) تعدد الروايات والمسارات» دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي (٢٠١٥م)، «ناصر الدين على القوم الكافرين» دراسة وتحقيق، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي (٢٠١٥م)، أيضا ومن الأبحاث: «وثيقتان جديدتان بين مولاي الحسن الحفصي والملك الإسباني شارل الخامس»، و«غرب الأندلس أو البرتغال الإسلامية ومدينة ميرتله في المصادر العربية»، و«الجدل الديني من خلال كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين»، و«تطور النظرة لمدينة غرناطة في كتابات الإخباريين والرحالة»، و«العائلات الموريسكية في تونس بين الماضي والحاضر: المساهمة والمحافظة»، و«المجال المورسيكي في تونس»، وغيرها...
إنه الدكتور حسام الدين شاشية الباحث التونسي في التاريخ، وقد ناقشنا معه عدة قضايا تاريخية وفكرية تتعلق بتاريخ المورسيكيين، وتحدثنا معه عن المصطلح والدوافع التي جعلته يلج هذا المجال العسير وهي دوافع ذاتية حيث أن عائلته تنتمي على الأرجح لأسرة موريسكية كانت تعمل بصناعة الشاشية، وهي الحرفة الرئيسية للمورسيكيين، وتطرق الحوار لتقييمه للدراسات العربية حول المورسيكيين والتحديات التي تواجه الباحث اليوم في دراسته تاريخ المورسيكيين ونتاجهم الحضاري، وموضوعات أخرى سوف نطالعها في الحوار التالي:

**• بداية نود أن تعرفنا بمصطلح «المورسيكيين»؟**

- ليس من السهل تعريف مصطلح «المورسيكيين» أي (Los moriscos) باللغة الإسبانية، لكن هنا أريد بداية أن أنفي التعريف الشائع، خصوصا في الدراسات العربية من أن كلمة مورسيكي هي كلمة تحقيرية، تعني «المسلم الصغير»، فمن الناحية اللغوية مصطلح «المورسيكي» لا يشير إلى هذا المعنى، بل أن كلمة مورسيكي مشتقة من كلمة «مور» ذات الأصل اللاتيني موروس (Maurus)، التي كانت تستعمل في الفترة الرومانية للإشارة إلى سكان الولايات الموريتانية، أي المغرب الأوسط والغربي.

أما في العصور الوسيطة فقد استعملها سكان شبه الجزيرة الإيبيرية للإحالة إلى «الفاتحين» من البربر والعرب، لتشمل فيما بعد كل مسلمي الأندلس وشمال إفريقيا.

والدليل على أن عبارة مورسيكي ليست سلبية في حد ذاتها، بل اكتسبت معاني سلبية مع احتداد الصراع بين المجموعة المورسيكية والمسيحيين القدماء في الثلث الأخير من القرن السادس عشر بعد ثورة البشرات، هو أن المورسيكيين أنفسهم استعملوا مصطلح «مورسيكي» في بعض كتاباتهم باللغة الإسبانية.

كذلك نضيف في هذا الإطار أن الإخباري أندراس برنالداث استعمل كلمة مورسيكي منذ العشرية الأولى للقرن السادس عشر، للإشارة إلى اليهود الذين كانوا يقيمون في المناطق التي يسيطر عليها المسلمون في الأندلس، وللتفريق بين السفارديم المهجرين واليهود المحليين في فاس، الذين يسميهم «اليهود المورسيكيين «judíos moriscos» حسب المؤرخ الفرنسي بيرنارد فينسنت أول استعمال رسمي لمصطلح مورسيكي يعود إلى (٢) سبتمبر (١٥٢١م)، من خلال قرار أصدرته بلدية باثا، الموجودة في مملكة غرناطة، ليتواتر فيما بعد وبصفة تدريجية، حتى يصبح في حدود (١٥٦٠م) الكلمة الأكثر تداولا، خصوصا مع احتداد المواجهة بين الجماعة المورسيكية من جهة والمجتمع المسيحي سواء على الصعيد الاجتماعي والديني والسياسي.

على كل، من الناحية الأكاديمية يمكننا تحديد الجماعة المورسيكية على أنها أقلية ذات أصول إيبيرية وإسلامية، تعرضت لعملية تعميد قسري في الغالب بداية القرن السادس عشر، وطردت من إسبانيا ما بين (١٦٠٩م-١٦١٤م)، حيث استطاع البعض البقاء في إسبانيا أو عاد إليها، في حين أن البعض الآخر هجروا إلى عديد بلدان البحر الأبيض المتوسط، وتوجه عدد هام إلى بلدان شمال إفريقيا.

## القبعات الحمراء

**• ما الدوافع التي جعلتك تتخصص في التاريخ السياسي والحضاري للمورسيكيين؟**

- الدافع الأول هو دافع ذاتي، فلقب عائلتي «شاشية» وهي الصناعة (القبعات الحمراء) التي عرف بها المورسيكيون في تونس، من هنا كان بعض المدرسين في المدرسة يخبرونني بأن أصل عائلتي أندلسي، بمعنى أني بدأت في دراسة الموضوع المورسيكي كمحاولة للبحث عن حقيقة أصل العائلة -وهو الأمر الذي لم أوفق فيه حتى اليوم- لذلك اخترت في الجامعة أن أدرس التاريخ وأتعلم اللغة الإسبانية، وهكذا تطورت الأمور شيئا فشيئا، وأضيف إلى الدوافع الذاتية دوافع أخرى علمية أكاديمية، لعل أهمها نقص الدراسات العربية الأصيلة حول الموضوع المورسيكي.

**•** كيف تقيم الدراسات العربية حول المورسكيين؟ وأهم الدارسين لها؟

- أحصى الأستاذ عبد الجليل التميمي في البيبلوغرافيا التي نشرها حول المورسيكيين، والتي أشرنا إليها سابقا، فقط حوالي مائة اسم باحث عربي، طوال القرن العشرين، والذين يمكن أن نذكر من بينهم بداية: محمد عبدالله عنان، الذي خصص الجزء الرابع من كتابه «دولة الإسلام في الأندلس لمن سماهم العرب المتنصرين»، أي المورسيكيين، مركزا بالخصوص على الاضطهاد الذي تعرض له هؤلاء قبيل عملية الطرد.

كذلك أصدر سنة (١٩٧٥م) في مجلة الأصالة الجزائرية مقالا حول موقف السلطات الإسلامية من المورسيكيين، ثم الأردني محمد عبده حتاملة، الذي أصدر منذ بداية الثمانينات عددا من الدراسات، واهتم خصوصا بعملية تنصير المورسيكيين، وموقف السلطات الإسبانية الرسمية منهم وعملية التهجير، كما نجد الفلسطيني عادل سعيد بشتاوي الذي اهتم خصوصا بالحضور المورسيكي في إسبانيا، وألف في نفس السياق كل من أسعد حومد وعلي حسن الشطشاط.

أعتقد أن الدراسات العربية حول الموضوع المورسيكي مازال ينقصها الكثير من حيث الكم والكيف، فمن جهة المكتبة العربية مازالت في حاجة إلى الإثراء بعديد المؤلفات التي تكشف جوانب مختلفة عن حياة المورسيكيين؛ ومن جهة ثانية عدد غير قليل من الكتابات العربية في هذا الموضوع تسقط في المقاربة العاطفية غير العلمية، المؤرخ يجب أن يتصف بالموضوعية، وأن يعامل جميع الفاعلين بنفس الدرجة والمسافة، وإلا سيكون ما نكتبه مجرد بكاء ورثاء.

ما أقوله هنا لا ينفي وجود العديد من الكتابات العربية المحترمة حول المورسيكيين، فمثلا من الرواد يمكن أن أذكر المرحوم الأستاذ مصطفى سليمان زبيس، والمؤرخ التونسي الأستاذ عبد الجليل التميمي الذي أنشأ مركز بحث منذ الثمانينات حول الدراسات المورسيكية والعثمانية، وله العديد من الكتابات والترجمات. كذلك يمكن أن أذكر الأستاذ جمال عبد الرحمن والفريق العامل معه أو ما يمكن تسميته «بمدرسة الترجمة المورسيكية المصرية»، الذي قام بترجمة ومراجعة

العديد من الأعمال في إطار «المشروع القومي للترجمة»، تحت رعاية المجلس الأعلى للثقافة في مصر. أيضا الزملاء في المغرب، وبدرجة أقل في الجزائر اشتغلوا حول الموضوع، ولهم مؤلفات محترمة.

## القضية الموريسكية

**● التحديات التي تواجه الباحث اليوم في دراسته تاريخ الموركسيين ونتاجهم الحضاري؟**

- التحديات عديدة ومتنوعة، وقد ذكرت بعضها، أي بداية على الباحث أن لا يسقط في التعامل العاطفي مع الموضوع الموريسكي، فحسب رأيي خدمة «القضية الموريسكية» لا يكون بالبكاء عليها، بل بالبحث الجدي الرصين الذي يمكن أن يكشف العديد من الجوانب عن تاريخ هذه الجماعة التي عانت قبل وبعد الطرد.

ثانيا في عالمنا العربي هناك نقص كبير في المؤلفات حول الموضوع الموريسكي، وهو ما يعقد عمل الباحث.

كذلك أغلب -إن لم نقل: كل- المخطوطات الموريسكية موجودة في الأرشيفات والمكتبات الأوروبية، فعلى الباحث التكفل بالمصاريف المادية الباهظة للوصول إلى هذه المخطوطات ودراستها.

**● وماذا عن بقايا الموريسكيين في المغرب الإسلامي؟**

- الموريسكيون هم مكون هام من مكونات المجتمعات المغاربية، ليس لدينا الإحصائيات الدقيقة حول أعداد المهجرين لكل بلد، لكن معظم الترجيحات تذهب إلى أنه قد توجه إلى المغرب بعد طرد سنة (١٦٠٩م-١٦١٤م) حوالي (٨٠) ألف مهجر، في حين توجه إلى الجزائر (٥٠) ألف، وتوجه إلى تونس (١٠٠) ألف.

هنا يجب القول أن عملية الاندماج في المجتمعات المحلية قد كانت سلسة إلى حد ما، مع بعض الإشكاليات، فمثلا وقع نهب وقتل أعداد من الموريسكيين من قبل بعض قطاع الطريق في طريقهم من الموانئ التي أنزلتهم بها السفن وبعض المدن المغاربية كمستغانم والجزائر.

أيضا تعرض أعداد من الموريسكيين لعدد من الصعوبات للاندماج في المجتمع المحلي، فمنهم من كان لا يحسن إلا الإسبانية، ولا يستطيع التواصل إلا بها، من هنا مثلا سمح لهم في تونس الولي سيدي بلغيث القشاش الصلاة باللغة الإسبانية، كما أننا نجد مؤلفات حول العقيدة والعبادات الإسلامية قد دونها الموريسكيون بالإسبانية.

● ماذا تبقى من الموريسكيين حضاريا وثقافيا؟

- في الحقيقة أنا لست من الذين يغالون في نسب كل شيء تقريبا للموريسكيين، لكن يجب القول أن هجرتهم إلى البلدان المغاربية قد أثرت كثيرا مجتمعات هذه البلدان على العديد الأصعدة، فإليهم يرجع الفضل في تطوير العديد من الأنشطة الفلاحية والصناعية، فمثلا في تونس طوروا العديد من تقنيات الري، وطوروا صناعة الشاشية التي كانت ومازالت تصدر إلى العديد من البلدان الإفريقية. كذلك فإنهم طوروا المطبخ المغاربي، وهنا أذكر بعض الأكلات، كحلويات كعك الورقة الذي يصنع في مدينة زغوان والبناضج والقرص والكويارس التي تصنع في مدن سليمان وتستور.

أما على الصعيد المعماري فقد شيدوا العديد من المعالم الهامة: جوامع على الطراز الأندلسي، قناطر موانئ، ولعلي هنا أذكر بعض المهندسين الموريسكيين كالحاج موسى الغرناطي الذي أصلح ميناء الجزائر وبنى حصن غار الملح ورمم جسر بنزرت، أو محمد بن غالب الذي أشرف على بناء وترميم العديد من الجوامع في تونس.

أما في المجال العلمي فقد برز العديد من العلماء الموريسكيين كالفقيه أحمد الشريف الأندلسي المقيم بتونس، والذي دعي لأن يكون معلما للسلطان العثماني مراد الرابع، أو محمد بن عبد الرفيع المرسي وأحمد بن قاسم الحجري وغيرهم.

> **موريسكي.. على الأرجح**
>
> وقد ولد الدكتور حسام الدين شاشية في «بني خلاد» بتونس لأسرة تعود على الأرجح أصولها إلى الموريسكيين، وحصل على درجة الماجستير من كلية الآداب بمنوبة في رسالة بعنوان «مدينة ميرتلة التاريخية: التراث الثقافي والمعماري لمدينة إسلامية في البرتغال: دراسة لتجربة نموذجية في تثمين التراث»، والدكتور حسام كمؤرخ يمتلك أدواته ويسخرها بدقة، كما حصل على شهادة الدكتوراه في رسالة بعنوان «السفارديم والموريسكيون: رحلة التهجير والتوطين في بلاد المغرب (١٤٩٢-١٧٥٦م) تعدد الروايات والمسارات» كما يتقن العديد من اللغات مثل: الفرنسية والإسبانية والبرتغالية والإسبانية.

## تراث الموركسيين العلمي

**● وماذا عن تحقيق تراثهم العلمي وتجربتك في هذا المجال؟**

- بداية يجب القول أن التراث الموريسكي مازال في حاجة إلى مزيد الاشتغال، والعديد من الأعمال تستحق التحقيق.

أنا قمت بتحقيق النسخة المصرية من مخطوطة «ناصر الدين على القوم الكافرين» لأحمد بن قاسم الحجري، والتي هي مختصر لكتابه المفقود الذي ألفه أيضا بمصر أي «رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب».

أهمية المخطوطة التي حققتها والمحفوظة بجامع الأزهر أن بها بعض المعلومات الجديدة، كما تمكنا من المقارنة بين المخطوطتين التونسية والمصرية، وهو ما قمت به فعلا في الدراسة التي أرفقت بها التحقيق.

كذلك لنفس المؤلف الحجري حققت خاتمة كتابه «العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع»، وترجمت له

أيضا من الإسبانية إلى العربية رسالة هامة جدا مكونة من عشر صفحات، مرسلة من باريس إلى الموريسكيين بإسطنبول سنة (١٦١٢م)، وبها عدد من التفاصيل حول طرد الموريسكيين. هذا بالإضافة إلى عدد من الأعمال الأخرى التي سيصدر البعض منها قريبا، والبعض الآخر الذي أنا بصدد تحقيقه ودراسته.

**• ما رأيك في دور المستشرقين في دراسة التاريخ الأندلسي عموما، والموريسكي على وجه الخصوص؟**

- لعب المستشرقون دور مهم في دراسة وتحقيق التراث الأندلسي والموريسكي، حيث يمكن نذكر من بين الرواد الفرنسي «ليفي بروفنسال» صاحب العديد من المؤلفات عن تاريخ الأندلس.

أما من الإسبان فيمكن ذكر العديد من الأمثلة كـ«أنطونيو مالبيكا» المختص في تاريخ غرناطة أو «ماريا فيغوارا» وغيرهم.

في حين من المستشرقين البرتغاليين يمكن ذكر «كلوديو توراس» الذي أسس منذ نهاية السبعينات مركزا للدراسات الإسلامية في مدينة ميرتلة جنوب البرتغال، فأعاد بذلك الاعتبار للتاريخ الإسلامي بالبرتغال.

بطبيعة الحال ونحن نتحدث عن دور المستشرقين في التاريخ الأندلسي لا يمكن أن ننسى المدرسة الهولندية، وخصوصا الدور الذي لعبه رينهارت دوزي صاحب الموسوعة العظيمة حول «تاريخ المسلمين في إسبانيا».

بالنسبة لدور المستشرقين في التاريخ الموريسكي فيمكن القول أنه دور أساسي، فطبيعة الحال أكثر من درس هذا التاريخ هم الإسبان، حيث عاد الاهتمام بالموضوع الموريسكي مع بداية القرن العشرين، وتطورت الدراسات تدريجيا شيئا فشيئا.

فمثلا بالنسبة لتاريخ الموريسكيين في تونس لعب المستشرق «ميكال دي أيبالثا» دورا أساسيا في تطوير معرفتنا بالتاريخ الموريسكي، فقد نشر وحقق العديد من الوثائق، وأنجز العديد من المؤلفات، ككتابه الشهير: «الموريسكيون قبل وبعد الطرد» أو كتابه الذي نشر بعد وفاته سنة (٢٠٠٩م) «الإسبانية المتحدثة في تونس» بالإشتراك مع الأستاذ عبد الحكيم القفصي.

أيضا من بين المستشرقين الإسبان يمكن ذكر «أنطونيو دومنغاث» الذي ألف بالإشتراك مع الفرنسي «برنارد فينسنت» كتاب: «تاريخ الموريسكيين: حياة ومأساة أقلية»، والمستشرقة «مارثيدس غارثيا أرينال» التي لها عشرات المؤلفات حول الموريسكيين في إسبانيا والمغرب، وكذلك الأستاذ «لويس برنباه بونس» الذي واصل على خطى أستاذه «ميكال دي أيبالثا» دراسة الحضور الموريسكي في بلاد المغرب.

أما من المستشرقين الهولنديين فيمكن ذكر «خيررارد ويجرس» الذي درس العديد من المخطوطات الموريسكية.

كذلك من بين المؤرخين الفرنسيين الذين اهتموا بتاريخ الموريسكيين الأستاذ «لويس كارداياك» الذي أنجز منذ السبعينات رسالة دكتوراه حول الجدل الديني عند الموريسكيين.

**«الموريسكيون في تونس»**

أنشأ الدكتور حسام الدين شاشية موقعا إلكترونيًا سماه «الموريسكيون في تونس» عام (٢٠٠٨م)، وهو يهدف إلى:

أولا: تقديم مادة تاريخية مبسطة حول الموضوع الموريسكي لعموم المتابعين، أي تقديم هذه المادة في شكل مقالات قصيرة، صور، فيديوات، أخبار.

ثانيا: أردت من هذا الموقع أن يكون همزة وصل بين عموم المهتمين بالشأن الموريسكي، وذلك من خلال نشر أخبار الكتب والمقالات الجديدة، المؤتمرات والندوات، التعريف بالباحثين في الموضوع الموريسكي.

في الحقيقة أنا سعيد بما أنجزته في هذا الموقع طيلة حوالي ثماني سنوات، فتقريبا كل من يبحث عن شيء يتعلق بالموريسكيين بأي لغة كانت يظهر له موقع الموريسكيون في تونس في نتائج البحث.

يزور الموقع يوميا حوالي (٣٠٠) زائر، ويتم تصفح صفحاته بمعدل (١٠٠٠) صفحة تقريبا، وزوراه من كل أنحاء العالم، بل أجد البعض يستشهد بروابط من الموقع في أبحاثهم ومقالاتهم الصحفية وحتى الأكاديمية.

## جيل المستشرقين الجديد

**• هل هناك تواصل أو جيل جديد من المستشرقين المهتمين بالموضوع الموريسكي؟**

نعم، بكل تأكيد، تقريبا يتم سنويا مناقشة رسائل دكتوراه حول الموريسكيين في الجامعات الإسبانية، فمثلا في نهاية السنة الماضية ناقش الزميل الإيطالي «برونو بومارا» رسالة دكتوراه حول الحضور الموريسكي في إيطاليا، وما طرحه في هذه الرسالة يعتبر من المواضيع الجديدة والطريفة في التاريخ الموريسكي، فتقريبا لم نكن نعرف أي شيء حول الموريسكيين في إيطاليا.

كذلك من الجيل الجديد من المهتمين بالموضوع الموريسكي يمكن ذكر «بورخا فرانكو» الذي يدرس الموريسكيين من خلال الأعمال الفنية للعصر الذهبي، أو «بابرا رويث» التي تدرس التراث الموريسكي بجهة أراغون.

أيضا هناك اهتمام اليوم من الجامعات الأميركية بالدراسات الموريسكية، فمثلا يمكن أن أذكر من جامعة بوسطن لوسات بلباركا التي قامت بدراسة مقارنة حول الجدل الإسلامي-المسيحي من خلال أعمال الموريسكي إبراهيم الطيبلي وأحد الكتاب الإسبان، أو مؤلفات «طوني بلغيسي» و«جيمس أميلينغ» صاحب كتاب: تواريخ متوازية: «الخوديوكونفراسوس والموريسكيون في إسبانيا الحديثة».

القاهرة - عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

# الإعلام الإسلامي.. واقعه وآماله

الإعلام وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، وبيان للحق وتزيينه للناس، وتفنيد للباطل وتقبيحه لديهم، هذا ما يؤكد عليه عدد من العلماء والمختصين تواصلت معهم «الوعي الإسلامي» للحديث عن الإعلام الإسلامي واقعه...آماله...وما يجابهه من عقبات، وشددوا على انفراد هذا الإعلام بالانطلاق من عظمة ورقي الدين الذي يمثله، وينضبط بمقاصده، وأهدافه، بلا تحريف، أو كذب، أو مبالغة، ولا تفريط، أو استهانة.

مزيد من التفاصيل في التحقيق التالي:

بداية، يقول د. حسن الشافعي عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف: «إن الدعوة إلى الله ضرورة في كل وقت وحين؛ لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران:١١٠)، وقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل:١٢٥)، وقوله أيضًا: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم:٧)، وهذه الآيات تفيد الإعلام، والإخبار، والدعوة بأسلوب منضبط».

## إعادة النقط على الحروف

وأضاف د. الشافعي: «الشريعة الإسلامية اشترطت في إعلام الناس بالرسالة المطلوبة؛ الحكمة والموعظة الحسنة، ولم تحدد الوسيلة، فالدعوة واجبة بكل الوسائل المشروعة، وترك لنا الإسلام حرية الإبداع في اختيار الوسيلة التي توضح طريق الحق بدلائله، وتحذر من طرق الشر والسبل الموصلة إليه، ما يؤكد أن الإسلام دين عظيم يتسم بالرقي في مخاطبة الإنسانية كلها، وينضبط بمقاصد وأهداف الشرع، ولذلك عندما نوصله للناس عبر الوسائل المستحدثة في كل عصر يجب السير على نهج الإسلام بلا تحريف أو كذب أو مبالغة، ولا تفريط أو استهانة».

**د. الشافعي: التحيز والاختلاف وضعف القائمين... أبرز سلبيات الإعلام الإسلامي الضعيف**

وأوضح أن على القائم على الإعلام الإسلامي أن يكون هدفه خالصًا لوجه الله، لا يبتغي بذلك أجرًا من الناس، وحذَّر من استخدام أشكال وقوالب لا تليق بعرض الأفكار الدعوية أو القضايا الإسلامية، مشيرًا إلى أن ذلك يؤدي إلى الاستهانة بالدين والشريعة، قائلا: «عرض الدين والدعوة إليه ينبغي أن يلتزم بضوابطه».

وأضاف أننا نعيش الآن في حرب على الثوابت الدينية، والإعلام الإسلامي الحالي لا يستطيع مواجهتها، فقد اختلطت المفاهيم والمصطلحات، الأمر الذي يتطلب حملة موسعة لإعادة النقط على الحروف، وتصحيح المصطلحات والمفاهيم الإسلامية من التحريفات التي ضربتها سواء من أبناء الدين أو من غيرهم.

وأشار إلى بعض سلبيات الإعلام الإسلامي الحالي ومنها التحيز، والبحث عن سبل الخلاف أكثر من سبل الاتحاد، فضلا عن ضعف المسؤولين عنه، والحرب الشرسة التي تُمارس عليه من الإعلام الآخر.

وطالب د. الشافعي وسائل الإعلام الموجودة حاليًا بإعادة تقييم وضعها واختيار جمهورها والتأثير في كثيرين ببرامج تفيد المجتمع وتنطلق من الضوابط الإسلامية المعروفة، مشيرًا إلى أن الناس يبحثون عن الصدق في

زمن الكذب والتزييف، يبحثون عمن يوضح الطريق ويرشدهم إلى الأخلاق التي فقدتها كثير من مجتمعاتنا.

### تطوير ودعم

بدوره، توجه د. عبدالصبور فاضل عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر بالشكر أولا إلى مجلة «الوعي الإسلامي» مؤكدًا أنها تأتي في صدارة المجلات الإسلامية التي تبذل جهودًا كبيرة لنشر التوعية الإسلامية لجميع فئات المجتمع، مشيرًا إلى أن المجلة تقوم بمجهود محمود، لكنها لا تستطيع بمفردها مجابهة كل ما طرأ على عالمنا الإسلامي من أفكار متطرفة، ولهذا كان لزامًا علينا أن ننظر إلى شبكة الفضاء الإلكتروني والعمل على إنشاء مواقع باللغات الحية لمواجهة هذه الأفكار وحماية الشباب المسلم في كل المعمورة منها ومن كل الأفكار الهدامة.

مشيرًا إلى ضرورة تحالف مختلف أنماط الإعلام الإسلامي للتصدي لما تبثه وسائل الإعلام الأخرى خاصة على الإنترنت والتي تضم مواقع إلحادية ومواقع هابطة لا حصر لها، ومن ثم تفنيد ما تروجه من شبهات حول الإسلام.

وأضاف أنه ومن خلال المؤشرات العلمية تبين أن الإقبال على الإعلام الإلكتروني أكثر من الوسائل المطبوعة والمسموعة والمرئية، ولا يمكن إنكار دور ما تقدمه هذه الوسائل، ومن ثم ينبغي أن يسلك الإعلام الإسلامي نفس الوسائل التكنولوجية للوصول إلى الناس والتركيز على القضايا التي تهم المسلمين في الداخل والخارج، وتعرض أحوالهم، والواقع الذي يعيشونه وتفنيد المشكلات النابعة من نقص المعلومات الدينية، وكذا نقل واقع الأقليات الإسلامية وما يعانون منها.

**د. عبدالصبور: استخدام وسائل العصر ضرورة لإيصال الرسالة في الداخل والخارج**

وأضاف: «السؤال الصعب هنا هل يستطيع الإعلام الإسلامي أن يوفر هذه التغطيات الحية لهذه البلاد الإسلامية البعيدة؟ وهل لديه من الموارد المالية ما يكفي لتكوين شبكة مراسلين تصل لبلاد المسلمين كافة ونقل الواقع الإسلامي بصورة حقيقية؟».

وتابع: «لا بد من تضافر كل البلاد العربية والإسلامية لتطوير الإعلام الإسلامي مع إمكانية إنشاء مواقع إلكترونية تصل للشباب لمحاربة أفكار التطرف والمواقع الهابطة، ولهذا من المهم أيضًا إنشاء فضائيات لتصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين، وتعمل على إيصال المعلومة الصحيحة لكل مسلم».

وتابع: «قد تكون هناك بعض المشكلات التي تعوق تنفيذ ذلك، لكن بالإمكان المضي قدمًا لإظهار ثمار هذه الخطط مع أهمية وجود الدعم الفني والمالي وتوفير أصحاب الخبرات والنماذج العلمية لإيصال الصورة الحقيقة عن إسلامنا المعتدل المتسامح».

### انفلات

وأما د. محمد عبدالخالق أستاذ الإعلام بجامعة القاهرة؛ فأكد أن الإعلام العربي بشكل عام تضربه حالة من التخبط الشديد، والإعلام الإسلامي بصفة أكبر، حيث ظهر دعاة وأئمة على قدر جيد من التفقه في الدين، لكنهم في المقابل غير مطلعين

**د. عبدالخالق: غياب الانضباط ساهم في ظهور إعلام يستهدف الدين من داخله**

على الإعلام ومداخله، ومن ثم سقطوا في أخطاء شنيعة وتسببوا في ارتباك كبير للجمهور، فضلا عن الأدعياء الذين لا يعلمون شيئًا في الدين وتسلقوا الإعلام وأصبح لهم أسماء رنانة، لكن ضررهم أكبر من نفعهم، ولهم انعكاسات سلبية على الإعلام الإسلامي وعلى الدين نفسه.

وأضاف: الأمر شائك جدًا، وعلاجه يحتاج إلى البحث عن الأصل والجذور وتنقيتها، فالإعلام في الوقت الحالي يعتبر أقوى وسيلة لتوصيل الدين والدعوة إلى الله، لكننا نستخدمه بطريقة خاطئة تضر ولا تنفع، وتعين الأعداء على مهاجمة الدين.

وتابع: «الإسلام يدعم حرية الرأي والتعبير بالضوابط الأخلاقية، التي لا تؤذي القارئ أو المشاهد أو المستمع، لكننا في الواقع نجد أن أغلب البرامج الدينية قد تحولت إلى برامج لنشر الفتاوى الشاذة بغية استقطاب أكبر قدر من المشاهدين، وكذا تناول مسائل حساسة على الهواء مباشرة دون حياء أو انضباط، وبرامج أخرى تتناول أمور عقائدية دون دراية أو علم، وهذه من البرامج التي تسيء إلى الإعلام الإسلامي ولا تنفعه».

وقال: «ابتعاد الإعلام الإسلامي المنضبط عن المشهد ساهم في ظهور إعلام مموَّل ومنفلت يستهدف الدين من داخله ويحرف نصوص كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ، وآراء المشايخ، ويضعها في صورة دعائية ورسالة مباشرة تأسر عقول وقلوب الشباب».

ودعا د. عبدالخالق إلى ضرورة أن يكون هناك تعاون وتنسيق قوي بين وسائل الإعلام الإسلامية عبر العالم، قائلا: «الرسالة واحدة، والهدف واحد، فهل يمكننا أن نحيد خلافاتنا ونتعاون لإنقاذ أمتنا مما يحدق بها من أخطار؟ حينها يمكننا أن نتحدث

عن كل شيء بدقة وأن نساعد في بناء المجتمع ونحسن صورة أئمتنا ودعاتنا ونوصل الرسالة المنشودة».

### فشل

من جانبه، قال د. سعيد صابر أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة: «إن الدعوة إلى الإسلام قديمًا كانت تتم عبر الاتصال الشخصي والأحاديث الجانبية وخلال رحلات التجارة، وتطورت بعدها حينما بُنيت المساجد، ثم المراكز ودور العلم وحلقات تحفيظ كتاب الله عز وجل، والفقه، ورغم هشاشة الصورة التي قد تخطر في بالنا إلا أنها كانت قوية جدًا، وساهمت في انتقال الدعوة بسلاسة؛ لأنها كانت تتسم بالصدق، ولأن الاتصال المباشر كان ولا زال من أقوى أنواع الاتصال تأثيرًا».

وأضاف: «أن المنابر لعبت دورًا كبيرًا في خلق الإعلام الإسلامي، الذي يعاني من نكسة في العصر الحالي، على الرغم من الانتشار الهائل في وسائل الاتصال، ومواقع التواصل الاجتماعي والذي لم يستطع الإعلام الإسلامي الاستفادة منها كما ينبغي، بل نجد أن وسائل الدعوة على وسائل الإعلام الحديث أصبحت مادة للسخرية، لضعف الصورة التي تقدم من خلاله».

وتابع: «فالتقنيات الحديثة لها فوائد مذهلة لكننا لا نستخدمها بصورتها المثلى؛ لأن غرض بعض الدعاة أصبح الربح وليس توصيل الرسالة الهادفة، فضلا عن ارتقاء دعاة للإعلام لا يمتلكون القدرة ولا العلم على التواصل والاتصال».

وأشار إلى أن الفترة الحالية تحتاج إلى إعلام إسلامي قوي بصورة كبيرة جدًا، لاسيما في ظل التعرض لهجمات إعلامية مركزة تضرب في جذور الأفكار والثقافة والدين، فتارة يسبون البخاري ويقللون من شأنه،

**د. صابر: هناك فشل في الاستفادة من التطور التقني**

وتارة في صلاح الدين الأيوبي، وتارة في القرآن أو السنة، وهذا من أبناء الداخل، فماذا عن الهجمات الخارجية التي تساوي بين الإرهاب، والعرب، والمسلمين».

وأضاف د. صابر: «لا يقتصر دور الإعلام على الوقوف حاجزًا ضد أعداء الدين، بل عليه أيضًا مسؤوليات اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، فالدين في كل شيء له أصل وجذور، وعلى القائمين على وسائل إعلام تستمد اتجاهها من الدين أن تدرس الجمهور جيدًا، وأن تحدد أهدافها وأن تبتعد عن الصراعات الضيقة، وأن تصقل خبرات القائمين عليه، وأن تختار وجوهًا جديدة بعيدًا عن دعاة الفضائيات الذين استولوا على الشاشات ليل نهار وفقدوا مصداقيتهم».

وشدد على ضرورة استعادة الثقة بالإعلام الإسلامي وتعميق دوره في المجتمع، مشيرًا إلى أن مهمة الإعلام تتجاوز تعليم الناس أمور دينهم وتثقيفهم، بل عليها أن تزرع فيهم الأمل بلا شطط ولا غلو، وعلى الإعلام الإسلامي أن يخرج من دائرة التلقين والتحفيظ والتنظير إلى الإبداع والتفكير والعمل».

### تخفيف الطاقة السلبية

وأخيرًا، يشير د. صبري عبدالودود أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة، إلى أن العديد من الإحصائيات تثبت أن العرب يبحثون على مواقع الإنترنت وشاشات التلفزيون عن الموضوعات الترفيهية؛ لأنهم يعانون من أعراض اكتئاب واضطرابات نفسية شديدة، بسبب الأزمات والحروب في كثير من دولهم، مشيرًا إلى أن كل هذه العوارض تحتاج إلى إعلام ديني روحاني منضبط، يخفف الطاقة السلبية المختزنة داخلهم، لكن ما يحدث هو العكس تمامًا؛ لأن أغلب توجهات الإعلام الإسلامي حاليًا لاسيما الفضائي غير منضبط بأخلاق الإسلام وتعاليمه، الأمر الذي يزيد من حدة الانهيار».

**د. عبد الودود: ينبغي أن يخفف إعلامنا الطاقة السلبية التي يعاني منها الناس**

وأضاف: «أن متابعة وسيلة إعلام لمدة ساعة واحدة يوميًا تؤثر على الحالة النفسية، ولدينا الآن أغلب العرب يتابعون الوسائل لأكثر من (١٥) ساعة يوميًا، مشيرًا إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي زادت في حالة الاكتئاب لما تعرضه من مشاهد قاسية وأمور تافهة لا تنفع العقل والروح بل تدمرهما».

وتابع: «لا يستطيع أي إنسان الاستغناء عن الإعلام، لكن لا بد من تنقية ما يعرضه، وهنا يأتي دور الإعلام الإسلامي، ولا يقتصر الأمر على قناة إسلامية أو دينية بل لا بد من أن يكون هناك برامج موجهة تخترق جميع القنوات، وتحث على الخير بطرق إبداعية، وتخفف عن النفس ما تتعرض له يوميًا، وبالطبع يمكن للصحافة المطبوعة أن تقوم بدور مشابه خاصة أن لها جمهورها».

وأضاف: «أن نحو (١٠٪) من مجموع العالم العربي والإسلامي يتابعون القنوات الدينية المتخصصة و(٤٠٪) يتابعون البرامج التي تتعلق بأمور تعليمية وثقافية، لذا علينا استغلال هذه المساحة في خلق إعلام إسلامي هادف يؤثر في المشاهدين بصورة إيجابية، ويصحح لديهم المفاهيم المغلوطة».

عايد جاسم
صحافي وإعلامي
كويتي

# الإعـلام الإسـلامـي واستثمار الفرص في «السوشيال ميديا»

فتحت ثورة المعلومات وتطورات التقنية الحديثة بابا جديدا للتنافس بين الوسائل الإعلامية، في ظل صراع محموم على استقطاب الجماهير وكسب أكبر عدد من المتابعين لتحقيق أهداف التأثير وبلوغ الرسالة الإعلامية.

ودخل الإعلام الجديد منافسا قويا للإعلام التقليدي، وربما تجاوزه في التأثير بعدما توسع نفوذه بشكل كبير مع تنامي استخدام التكنولوجيا والإنترنت ما حول العالم إلى قرية صغيرة بات التأثير فيها كبيرا والرسالة الإعلامية قوية، وسريعة الوصول مهما كانت المسافات بعيدة، والبلدان والثقافات والديانات مختلفة.

وفي ظل التطور الإعلامي الكبير والمتنوع، واتجاه الكثير من المؤسسات الإعلامية التقليدية الى الاستفادة من تطورات التقنية الحديثة واستخدام «السوشيال ميديا» بأدواته المختلفة التي فرضت نفسها بقوة كإعلام جديد بالغ التأثير لإيصال رسالتها الإعلامية وتحقيق أهدافها في الوصول إلى أكبر قاعدة جماهيرية تستهدفها وسائل الإعلام، يبرز السؤال عن دور الإعلام الإسلامي وكيفية تعاطيه مع «السوشيال ميديا»، وسرعة نقل المعلومة والخبر، وكيف يمكن توظيف هذه الوسائل الحديثة لمصلحة الخطاب الإسلامي؟ والتأثير في الرأي العام واستثمار الفرص المتاحة في الإنترنت.

ومن دون شك أن شبكات التواصل الاجتماعي مثل: «تويتر» و «فيسبوك» و «إنستغرام» و «سناب شات» وغيرها من مواقع وتطبيقات جديدة، أحدثت تغييرا جذريا في المشهد الإعلامي وفرضت على وسائل الإعلام باختلاف مجالاتها إعادة سياساتها واستراتيجياتها وخطابها الإعلامي، بعدما وجدت وسائل الإعلام التقليدية نفسها أمام إعلام جديد يغير المفاهيم السابقة ويؤسس لنهج جديد في التعاطي مع الحدث الإعلامي.

وبدأت الكثير من المؤسسات الإعلامية التقليدية الاستفادة من الإعلام الجديد، واعتماده وسيلة من الوسائل الرسمية بالنسبة لها، فأصبحت تبث تقاريرها ورسائلها الإعلامية عبر شبكات التواصل الاجتماعي لضمان وصول خطابها الإعلامي إلى شرائح جديدة وفئات مختلفة، ربما ليست ذات صلة بالوسائل الإعلامية التقليدية ولا تعرف الطريق إليها، فجاء الدخول إليها عبر هذه المنصات الإعلامية الجديدة لكسب جمهور إعلامي جديد والتأثير فيه بما يبث من تقارير ومعلومات مركزة ومكثفة.

ورغم أهمية هذه المنصات الإعلامية الحديثة التي دخلت العالم بقوة وبسرعة بفضل النمو السريع والكبير للتكنولوجيا الحديثة والتطور التقني الهائل الذي يشهده العالم ما جعل الإعلام الجديد أشبه بالعملاق الذي يزداد نموا وضخامة في كل يوم يتم فيه تطوير التقنيات الحديثة والتوسع في شبكة الإنترنت وخدمات المعلومات ووسائل الاتصال، إلا أن لها من السلبيات مثلما لها من الإيجابيات. فإذا كان في الإعلام التقليدي ثمة ضوابط ورقابة على المحتوى قبل النشر، فإن هذه الرقابة تكاد تتلاشى في الإعلام الجديد الذي أتاح لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي ممارسة إعلامية بلا قيود، وهو ما يعيدنا إلى السؤال عما إذا كان الإعلام الإسلامي قادر على مواكبة هذه السرعة الإعلامية وتقديم خطاب إعلامي فعال ومؤثر، يتصف بالموضوعية والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة.

لعل أحد التحديات الرئيسية التي تواجه مستقبل الإعلامي الإسلامي التنامي الهائل للإعلام الجديد والانتشار الكبير لشبكات التواصل الاجتماعي والتأثير البالغ الذي باتت تلعبه هذه المنصات الإعلامية الحديثة ما يتطلب دراسة وافية وشاملة عن كيفية توظيف هذا التطور التقني والاستفادة منه بما يخدم الإعلام الإسلامي ويتيح له الانتشار والقدرة على التأثير في الرأي العام، وإيصال الخطاب الإسلامي بصورة حديثة ومتكاملة الأركان.

ورغم أن الإعلام الإسلامي يتواجد في شبكات التواصل الاجتماعي واستفاد من المنصات الإعلامية الحديثة في تقديم رسالته وخطابه الإعلامي إلا أن الأمر يحتاج إلى جهد أكبر وعمل أوسع وأشمل ليكون التأثير بالغا والرسالة قوية وفعالة، حتى تكون النتيجة إيجابية ومثمرة وذات مردود فعلي.

لا يمكن إيقاف النمو الهائل للمنصات الإعلامية الحديثة أو تجاهل تأثيرها، لكن يمكن الاستفادة منها في خدمة الدين ونشر المبادئ والقيم الإسلامية، وإعادة صياغة الخطاب الإسلامي لتكون رسالته بالغة التأثير في عالم فضاء مفتوح.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

## الإعلام الإسلامي

# خطوات حثيثة في المسار الصحيح

يلعب الإعلام دورا جوهريا ومؤثرا في المجتمعات، تتعاظم درجة تأثيره تزامنا مع التطور التكنولوجي الذي أتاح له فرصة للانتشار والتوسع ليغزو كل بيت، ولا نكون مبالغين لو قلنا كل غرفة وكل فرد من أفراد الأسرة والمجتمع بغض النظر عن العمر أو المستوى التعليمي والثقافي، فبات كافيا أن يملك المرء جهازا ذكيا وخط إنترنت وحسابا في واحدة من شبكات التواصل الاجتماعي، لتكون بين يديه أخبار العالم لحظة وقوعها، وباللغة التي يتقنها ويفهمها، والمجال الذي يريد.

فما لا يمكن نكرانه أو تجاهله هو دور الإعلام وتأثيره المباشر وغير المباشر في حياتنا وتفكيرنا وقراراتنا، بل وفي مجريات أحداث الأمم على مر العصور، وكلما تطورت أدواته ووسائله، التي سهلت وصوله للجميع من دون تقنين أو تفنيد، عظم تأثيره، ليغدو سلاحا ذا حدين، بإمكانه أن يبني ويُنجي، ولو أسيء استخدامه أو خبثت نوايا من يوجهونه ويديرونه فهو بكل تأكيد يملك القدرة المرعبة على التدمير والهدم.

ومن هنا ينبثق دور الإعلام الإسلامي، فهو يمثل السد المنيع الذي يمنع تسرب تيارات الهدم والتدمير الفكرية التي يتم تمريرها إلى المجتمعات الإسلامية عن طريق قنوات ومنابر الإعلام التي تديرها قوى علمانية، تبث عبرها السموم الفكرية المراد بها تدمير مجتمعاتنا من العمق، عبر زعزعتها وجرفها بعيدا عن قيم ومبادئ ديننا الحنيف التي تمثل هويتنا ومصدر قوتنا وإلهامنا.

وأمام هذه التحديات لا يمكن للإعلام الإسلامي أن يقف ويكتفي بدور المتفرج على هذه الحرب الفكرية والأخلاقية الموجهة بكل خبث نحو أجيال أمتنا، فهو يمثل المرساة التي تثبت سفينة المجتمع وتمنعها من الانجراف بعيدا نحو التيارات المهلكة والسقوط أخيرا في القاع المظلم من الجهل واللاوعي.

فبعد أن أدركت قوى الغرب المعادية للإسلام أنها مهما حاولت فلن يكون بمقدورها اجتثاث الإسلام بالحروب المدارة على أرض الواقع، التي لم تكن سوى محطات استنزاف لقواتهم أكثر منها محطات تقدم وسيطرة.. حينها اتبعوا أسلوبا أكثر فعالية، وهو محاربة المسلمين فكريا وأخلاقيا، عبر غزو فكري موجه، وبأساليب متطورة وشاملة، تكفل بزوغ أجيال إسلامية بعيدة كل البعد عن القيم والمبادئ الإسلامية الرصينة، التي تحدد هويتنا كمسلمين، والتي بفضلها كنا الأمة الأقوى على وجه الأرض يهابنا ملوك الشرق والغرب وتتهافت الأمم على النهل من منابع علومنا واكتشافاتنا.

بقليل من الصبر والكثير من الجهد نجحت هذه القوى، عبر منابر الإعلام التي تدعمها، من بث أفكارها المسمومة لتنمو أجيال مسلمة متذبذبة، تائهة في سراديب من الغفلة والسطحية، فاقدة للهوية والثقة، لا تجد في دينها أو أصلها ما تعتز به، لأن البوصلة الفكرية لها قد فقدت القدرة على العمل بشكل صحيح بسبب المغناطيس المسموم المزروع في كل بيت.

ومن هنا تبرز أهمية الإعلام الإسلامي، فهو المنبر المنوط به إعادة الاتزان لبوصلة التفكير لدى الشعوب الإسلامية، وعليه تكون مهمة تعزيز الهوية العربية والإسلامية في عقول كل هذه الأجيال المتعاقبة.

قبل عقود طويلة كانت المنابر الإعلامية العلمانية في أوج قوتها؛ بسبب الدعم اللامتناهي الذي تحصل عليه من القوى الغربية وحتى الداخلية المعادية للإسلام وكل ما هو ملتزم ومتزن، بينما الإعلام الإسلامي كان لا يزال في بداية نموه، حيث كان محصورا في عدة مجلات ودوريات تصدرها بعض الجمعيات والمراكز الإسلامية.

أما الآن فقد اختلف الوضع كثيرا، بعد أن وعت الشعوب العربية للحرب الفكرية الشرسة الرامية لاجتثاث هويتها العربية والإسلامية، وجر أجيالها بعيدا عن منابع قيم دينها الحنيف، حيث تكون في المنتصف، بعيدة عن أي هوية، بلا ركائز، ولا حتى طوق نجاة يعيدها إلى أصلها أو يأخذها إلى أي أرض صلبة تستطيع الوقوف عليها.

وعليه بدأت الجهود تتكاتف، ليحصل الإعلام الإسلامي على الدعم الذي يحتاج إليه، فتنوعت أدواته ووسائله، ليصل إلى جميع فئات المجتمع من دون استثناء، مسخرا كل المنابر الإعلامية المتاحة، فتعددت صوره بين دوريات ومجلات أسبوعية وشهرية وفصلية، وجرائد يومية، وقنوات فضائية وإذاعية، ومواقع إلكترونية، وكلها باختلاف أنواعها وأشكالها فتحت قنوات التواصل المباشر مع




القارئ والمستمع والمشاهد عبر شبكات التواصل الاجتماعي مما أتاح لها فرصة دراسة الأثر الذي تصنعه على المتلقي، وبالتالي تعمل على تطوير الإنتاج ليوافق احتياجاتهم، فلا تغرد خارج السرب، أو تشذ بعيدا عن الواقع المعاش لتغدو الساحة مجددا فريسة للإعلام العلماني ليعبث بالعقول كيفما يشاء.

استفاد الإعلام الإسلامي من التكنولوجيا التي فرضت نفسها على الواقع، فانتشر بشكل ملحوظ، واتسعت شريحة متابعيه وقرائه، ممن يبحثون عن المضمون الهادف والراقي.

ورغم أن الإعلام الإسلامي لايزال يعاني من بعض القصور في بعض الجوانب، كانعدام التشبيك بين المنابر الإعلامية، سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية، مما يؤدي إلى تشتت كثير من الجهود، التي لو توحدت لتحكم في الساحة الإعلامية وسد الثغرات التي تنفذ منها التيارات العلمانية لتسمم العقول، أضف إلى ذلك غياب الحرفية والكوادر الإعلامية العالية التدريب في بعض المنابر، ممن يضع بين يدي المتلقي مضمونا هادفا لكنه مؤطر في قالب ركيك وضعيف، وفي ظل المنافسة المستعرة من التيارات الإعلامية الأخرى التي تلهي القارئ عن المضمون بالقوالب البراقة، فإن هذه المنابر تفقد متابعيها وتخسر فرصة الانتشار والتوسع.

ومع ذلك، لا يمكن نكران التقدم الذي أحرزه الإعلام الإسلامي، فقد نجح في الخروج من الزاوية الضيقة التي كان محشورا فيها قبل سنوات، فانفتح على أغلب المجالات التي تهم القارئ والمثقف العربي، والتي تتيح له مواكبة كل جديد فلا يكون معزول عن العالم حوله، ولا يضطر إلى البحث عن بديل يزوده بما يحتاج. فأصبح في متناول القارئ العربي دوريات ومجلات وجرائد إسلامية متخصصة وشاملة بنفس الوقت تعنى بالقضايا السياسية، الاجتماعية، الأسرية، العلمية، وحتى الأدبية.

إلى جانب تركيز الانتباه للقارئ الناشئ من خلال تخصيص مجلات للأطفال لضمان جيل مثقف يترعرع منذ نعومة أظافره على القيم والمبادئ الإسلامية.

مع توسع وانتشار المجلات الإسلامية وتعدد مجالاتها وأبوابها، مثلت هذه المجلات الحاضن الآمن لكل الأقلام المبدعة التي وجدت بين صفحاتها المساحة الآمنة للكتابة والتطور والإبداع من دون الحاجة إلى التخلي عن المبادئ والقيم.

كل ذلك يعكس مدى التقدم الذي يحققه الإعلام الإسلامي، ويعد مبشرا لخطوات أكثر جدية واحترافية وتجاوز نقاط القصور، ليسحب البساط من تحت أقدام الإعلام العلماني ويحشره في الزاوية، حيث ينبغي أن يكون.

فبزوغ جيل واع ومثقف وعلى قدر عال من الالتزام والاتزان الفكري والعقائدي كفيل بنبذ كل الأفكار الدخيلة على مجتمعنا، وإخراج هذا الجيل يعد إحدى مسؤوليات الإعلام الإسلامي الذي يغذ الخطى في سبيل تحقيق هذه الغاية وحتما سيصل.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي

# الإعلام الإسلامي.. مشكلات وآمال

لا أحد ينكر أن الإعلام بمختلف تجلياته، مقروءا أو مسموعا أو مرئيا أو تفاعليا، بات جزءا أساسيا من حياتنا اليومية؛ يشكل العقول، ويوجه الآراء، ويحمل الأفكار والتوجهات، ويرسخ لنفوذ المرسل وصاحب النافذة الإعلامية.

ولم يعد بوسع أحد أن يتجاهل هذا التأثير الهائل للإعلام، ويعيش بمعزل عن موجاته، بل ولا أن ينجو من آثاره الجانبية بدرجة أو بأخرى.

وكما نشاهد، فقد أصبح الإعلام أكثر قدرة على اختراق الحواجز والخصوصيات، وعلى النفاذ إلى شرائح متعددة ومتنوعة؛ ومن ثم، زاد تأثيره في حياة الناس، لاسيما شرائح الشباب والمراهقين، الذين يمثلون الجمهور الأكثر تماسا مع وسائل الإعلام المختلفة، كما تشير دراسات كثيرة.

في خضم هذا الانفجار الإعلامي والثورة الرقمية تبرز التساؤلات عن موقع «الإعلام الإسلامي»، وقدرته على إحراز مكانة في هذه الخريطة الإعلامية، بجانب التساؤل عن مدى جاهزيته لمواكبة التطورات، وإمكانية التغلب على المشكلات التي تواجهه؛ حتى يتمكن من الوصول إلى شرائح أكبر، وتقديم خطاب مناسب من حيث الشكل والمضمون والأدوات.

## وقفة مع المفهوم

من المهم ابتداء أن نتوقف أمام ما يعنيه مفهوم «الإعلام الإسلامي»، الذي يبدو غير واضح بدرجة كافية لدى البعض؛ حتى ننطلق من أرضية واضحة فيما يتلو تجلية مضمون المصطلح وما يرمي إليه.

ويلاحظ د. عبدالقادر طاش أن نظرات الناس حول «الإعلام الإسلامي» تختلف ما بين النظرة الجغرافية، والنظرة التاريخية، والنظرة الواقعية التجزيئية (١).

وبينما تفهم النظرة الجغرافية «الإعلام الإسلامي» على اعتبار أنه الإعلام الصادر من دول العالم الإسلامي، أو الجهات التي تنتسب إلى الإسلام بمفهومه الجغرافي الرسمي، من دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة، وتكاد هذه النظرة أن تكون سائدة في الدراسات الأجنبية عن هذا الإعلام.. فإن النظرة التاريخية للإعلام الإسلامي تكاد تحصره في إطار زمني ضيق؛ فتوحي بأنه مفهوم تراثي، وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة؛ مثل تلك الدراسات التي تتناول الإعلام ووسائله في عهد النبوة أو الخلفاء الراشدين.

وأما النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي، فهي تستند، كما يوضح عبدالقادر طاش، إلى صور الممارسة الواقعية لبعض جوانب «الإعلام الإسلامي» المحدودة، وتفهم هذا الإعلام باعتباره إعلاما «دينيا متخصصا». ولذلك يغلب على من ينحو هذا المنحى أن يفهم «الإعلام الإسلامي» في حدود الصفحات الدينية وركن الفتاوى والخطب المنبرية في الصحافة اليومية، أو في حدود تلك الصحف والمجلات التي تسمي نفسها بالإسلامية، أو في حدود البرامج والأحاديث الدينية في الراديو، أو في حدود البرامج والأفلام والمسلسلات التاريخية والدينية، التي يشاهدونها عبر الشاشة التلفازية أو السينمائية.

ويوضح عبدالقادر طاش أن هذه النظرات المختلفة للإعلام الإسلامي بها بعض جوانب الصحة، لكنها لا تعبر عن حقيقة «الإعلام الإسلامي» بشموله وتكامله، ولا تمثل جوهره الأصيل، وخصائصه النظرية والتطبيقية.

ويخلص إلى أن المفهوم البديل، بل المفهوم الحق للإعلام الإسلامي، هو المفهوم المنهجي؛ الذي لا يجعل مقاييس إسلامية الإعلام مبنية على أساس الحدود الجغرافية والمكانية، أو الوضعية التاريخية المحدودة، أو الممارسة الواقعية الخاطئة للإعلام في الحياة؛ بل يبني تلك المقاييس والمعايير على أساس المنطلقات الرئيسية، والأطر الفكرية والاجتماعية والإنسانية المنبثقة من روح الإسلام وتصوراته الكلية وقيمه السامية، وعلى أساس الضوابط الشرعية التي ينبغي أن يسير الإعلام على هدي منها، ويلتزم بها في نشاطاته المختلفة وممارساته الواقعية.

## مشكلات الإعلام تتلخص في الإمكانات والبيئة التي يتحرك فيها

ويبين طاش أن «الإعلام الإسلامي»، بهذا المفهوم المنهجي، روح تسري في النشاط الإعلامي كله؛ تصوغه وتحركه وتوجهه منذ أن كان فكرة إلى أن يغدو عملا منتجا متكاملا، مقروءا كان أو مسموعا أو مرئيا. وبذلك يصبح «الإعلام الإسلامي» منهجا قويما وحكما موضوعيا؛ تسير وفقه جميع النشاطات الإعلامية في كل الوسائل والقنوات من دون أن يحيد نشاط واحد منها عن الطريق، أو يتناقض مع النشاطات الأخرى، سواء في الوسيلة الواحدة أو الوسائل المتعددة.

ومع هذا المفهوم يتفق د. محيي الدين عبدالحليم، الذي يعرف «الإعلام الإسلامي» بأنه: تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالاتصال، لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته (٢).

ومن خلال هذين الرأيين يمكن لنا أن نقول إن «الإعلام الإسلامي» له مفهومان: عام وخاص؛ و«المفهوم العام» هو ما يقصده د. طاش ود. عبدالحليم وغيرهما، وهو ينظر إلى الإعلام الإسلامي باعتباره منهجا وحكما يضبط المفاهيم الإعلامية، والسلوك الإعلامي، أيا كانت مجالاته وأدواته.

أما «المفهوم الخاص» للإعلام الإسلامي فهو يتعامل معه باعتباره أداة محددة لنشر الثقافة والفكر الإسلاميين، من خلال الصحف والمجلات والفضائيات؛ وبما يناسب الشرائح المتعددة.. وهذا المفهوم الخاص هو ما نركز عليه في المقال.

### مشكلات وتحديات

يواجه «الإعلام الإسلامي» مشكلات متعددة، تتراوح، من زاوية عامة، بين مشكلات بينية تخصه من حيث المضمون والهدف والرسالة والأدوات، ومشكلات أخرى تتصل بالإمكانات والبيئة التي يتحرك فيها.

ويمكن الإشارة إلى أهم هذه المشكلات والتحديات في النقاط التالية:

#### ١- المضمون والأدوات

تمثل مشكلة عدم وضوح مضمون «الإعلام الإسلامي»، بجانب التقصير في طبيعة الأدوات التي ينبغي أن يتخذها، مشكلة أساسية من مشكلات هذا الإعلام.

والبعض ينكر أصلا وجود «إعلام

إسلامي»، بزعم أن قواعد الخبر أو التحقيق أو غير ذلك من فنون العمل الإعلامي، لا تختلف من دين إلى آخر، ولا يمكن صبغها بصبغة محددة، مثل الصبغة الإسلامية.

لكن وكما سبقت الإشارة، فإن «الإعلام الإسلامي» له مفهومان: عام وخاص؛ وفي المفهوم الأول يكون منهجا ومعيارا، وفي المفهوم الثاني يكون أداة لنشر رسالة أكثر تخصصا، أي القيم والمفاهيم الإسلامية، وليس الفن الإعلامي عموما.

وفيما يتصل بهذه النقطة، من المهم أن ندرك أن «الإعلام الإسلامي»، بمعناه الخاص، ليست وظيفته نشر العلوم الشرعية واللغوية، التي قد لا تهم سوى المتخصصين؛ بل له رسالة أشمل وأعم من ذلك، وهي نشر الثقافة الإسلامية لعموم المسلمين والقراء، والدفاع عن الإسلام، خصوصا أمام الشبهات التي تشغل الرأي العام.

وعلى ذلك، فينبغي أن يبتعد «الإعلام الإسلامي» عن تناول الموضوعات الدقيقة جدا، التي مجالها قاعات البحث والدراسة.. بجانب أن عليه أن يبتعد عن اللغة التراثية غير المفهومة لعموم الناس، ليستفيد بدلا من ذلك من لغة الخطاب الإعلامي؛ التي باستطاعتها إيصال الرسالة لشرائح أكثر اتساعا وتنوعا.

أما فيما يخص الأدوات فعلى «الإعلام الإسلامي»، لاسيما المكتوب، أن يضم للمقال فنون العمل الإعلامي الأخرى، من تحقيق وحوار.. إلخ؛ بحيث تتنوع القوالب الإعلامية، وتجذب جمهورا أكبر.. وألا يتحول المقال إلى ما يشبه خطبة الجمعة المكتوبة، بأن يركز على الجانب الوعظي في تناول الموضوع؛ بل عليه أن يرمي لإقناع القارئ، وأن يجري حوارا معه، ويترك بصماته الذاتية في تناول الفكرة، من دون الإكثار من الاستشهاد بالنصوص الشرعية.

**نقص التمويل في العمل الإعلامي الإسلامي واضح بجلاء**

**٢- الكوادر والمهارات**

نلاحظ أن معظم العاملين في «الإعلام الإسلامي» هم من ذوي التخصصات الشرعية، الذين لم تتح لهم فرصة الاطلاع على فنون الإعلام الحديث؛ سواء من خلال الدراسات الأكاديمية أو الدورات التدريبية.

وهذا خلل كبير ينتج عنه عدم القدرة على إيصال رسالة الإسلام من خلال عمل إعلامي ناجح، إضافة إلى غلبة اللغة الشرعية والمفردات التراثية على اللغة الإعلامية المطلوبة لتحقيق تواصل فعال مع الجمهور.

ولذا «يأتي توافر المهارات الدعوية في مقدمة عوامل نجاح أو فشل الخطط الإعلامية. وفي غيبة عناصر مؤمنة برسالتها، متفهمة لطبيعة عملها، دارسة لفنون الإعلام ونظريات الاتصال، عارفة بلغة الحوار والنقاش، يتوافر لها الذكاء والفطنة، والخلفية الثقافية، والموهبة الفطرية، والملكات الضرورية.. في غيبة هذه العناصر، فإن خطط الإعلام الدعوي لن تستطيع تحقيق أهدافها، حتى لو توافرت لها الوسائل التقنية المتقدمة، والإمكانات المادية الكبيرة؛ لأنه إذا كان المضمون قويا، وكانت وسيلة الإعلام المستخدمة تتمتع بقدرات فعالة، ثم تفتقر هذه الخطط إلى دعاة وإعلاميين متمرسين؛ فإن هذا سيقضي حتما على كل احتمالات نجاح العمل الإعلامي، حتى لو كان الموضوع يعالج جوانب مهمة، ويتناول قضايا حيوية» (٣).

## التجديد في الموضوعات

لا يجوز أن يظل «الإعلام الإسلامي» دائرا في عدة موضوعات تتصل بالمناسبات الإسلامية؛ مثل الهجرة وشهر رمضان والحج، خصوصا مع عدم التجديد في تناولها، والبحث عن زوايا مبتكرة فيها.

بل على «الإعلام الإسلامي» أن يشتبك مع الواقع، ويقدم رؤى تساعد المسلم على تجاوز التحديات والعقبات التي يعانيها.. وما أكثر الموضوعات (التربوية والاقتصادية والاجتماعية) التي يزدحم بها واقعنا وتنتظر معالجة إعلامية ناضجة، تمتزج فيها الرؤية الشرعية مع الإدراك العميق بالواقع.. فهي موضوعات لا يجوز تجاهلها والدوران في فلك المناسبات الإسلامية.

## نقص التمويل

كما نلاحظ أيضا نقص التمويل في العمل الإعلامي الإسلامي، بحيث لا يتمكن بسبب هذا النقص من الاستعانة بكوادر متميزة، ومن إخراج عمل إعلامي ذي كفاءة تقدر على جذب الجمهور.

ولاشك أن هذا يؤثر سلبا في فاعلية «الإعلام الإسلامي»، ويجعله غير قادر على المنافسة؛ لاسيما إذا رأينا في المقابل إنفاقا سخيا على الإعلام الآخر الذي يتعارض في قيمه وأهدافه مع المنهج الإسلامي.

فقد نجد «أفكارا جيدة لمشروع صحيفة أو إصدار، إلا أن كثيرا من هذه المشاريع اصطدمت بصخرة الواقع التمويلي، من خلال انصراف كثيرين، حتى من المؤمنين بالمشروع الإسلامي، عن تمويل الإعلام وتبني مشاريعه» (٤).

## السقف المتاح

ثمة علاقة عضوية، لا تنفصم عراها، بين الإبداع والحرية؛ فبقدر

مساحة الحرية المتاحة للمبدعين، يكون العطاء الذي يمكن أن يقدموه لأمتهم (٥).

ومن هنا، يجب أن يعطى «الإعلام الإسلامي» مدى واسعا من الحرية لينطلق ويبدع، مادام ملتزما بقيم الإسلام ومنهجه، وبأخلاقيات العمل الإعلامي؛ من الصدق، والنزاهة، ونشدان الحقيقة.

فلا توضع أمامه الحواجز بإجباره على تناول موضوعات محددة لا تتصل بمجرى الحياة ولا بالواقع الملح، ولا يزج به في معارك هامشية تخصم من رصيد الرسالة القيمية التي يسعى إلى نشرها.

وعلينا أن ندرك أن إعلاء سقف الحرية أمام «الإعلام الإسلامي» هو جزء مهم من عملية تجديد الخطاب الإسلامي نفسه؛ فهي إجراءات يستفيد بعضها من بعض، ويخدم بعضها بعضا.

## كثرة الشبهات

وهذه مشكلة أخرى تضغط على «الإعلام الإسلامي»، حيث تكثر الشبهات المطروحة على الساحة الإعلامية والفكرية الموجهة ضد الإسلام، مع قلة من يحسنون التصدي لها؛ بحيث لا ننتهي من شبهة حتى تتولد أخرى؛ مما يتطلب إعدادا جيدا لكوادر إعلامية متميزة، والتوسع في المنابر الإعلامية المتنوعة.

ومن المؤسف، أن نرى جرأة كبيرة وتهجما عنيفا على الإسلام، من دون أن نرى فعلا إعلاميا قادرا على لجم هذه الجرأة، والرد عليها حجة بحجة، وإقناعا بإقناع.

## ضغط الإعلام المنفلت

ومن العقبات أيضا أمام «الإعلام الإسلامي» وجود ضغط كثيف من الإعلام المنفلت، الذي ينشر أفكارا تخالف المنهج الإسلامي، ويلعب على وتر الغرائز والشهوات؛ الأمر الذي يشوش عقل المتلقين، وينشر الفساد والانحلال، خصوصا بين الشباب. مما يعني بالتالي وجود عقبات وتحديات كبيرة أمام «الإعلام الإسلامي» حتى يمكنه تجاوز هذه الانحرافات، والوصول إلى تلك الشرائح بالحجة والإقناع والخطاب الهادئ، كيلا يدعها فريسة للإعلام المنفلت.

وتلك مهمة ليست سهلة، وتحتاج إلى فهم جيد بطبيعة المخاطبين وما يعانونه، كما تحتاج إلى الإلمام الكافي بأساليب الدعوة وآدابها؛ فالإعلام الإسلامي هو جزء من العمل الدعوي بشكل عام.

وقديما قال الشاعر:

**متى يبلغ البنيان يوما تمامه**

**إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم**

فإذا كان الإعلام الإسلامي يواجه بالعشرات بل المئات من وسائل الإعلام المنفلت، فلاشك أن المهمة أمامه ثقيلة، والجهود المطلوبة منه أضعاف ما هي على الأرض.

## التنسيق بين المؤسسات الإعلامية الإسلامية

من المهم إيجاد تنسيق بين المؤسسات الإعلامية الإسلامية في مختلف البلاد الإسلامية؛ لتبادل الخبرات، ومراكمة الجهود، والتشاور في كيفية مواجهة التحديات. ومن المؤكد أن غياب هذا التنسيق يقلل من كفاءة «الإعلام الإسلامي».

ويمكن إيجاد هذا التنسيق من خلال تفعيل الهيئات الإعلامية الجامعة، أو البروتوكولات المشتركة، إضافة إلى تنظيم المؤتمرات والمنتديات التي تعد فرصة لتبادل الخبرات والمهارات.

هذه أبرز المشكلات والعقبات التي ينبغي العمل على تذليلها أمام «الإعلام الإسلامي»؛ حتى تكون رسالته أكثر فاعلية وانتشارا وتماسا مع شرائح عريضة.

## آمال كبيرة

إن «الإعلام الإسلامي» عليه آمال كبيرة في نشر القيم والمفاهيم الإسلامية، وفي ترسيخ الثقافة الإسلامية، لاسيما بين الشباب، والوصول بهذه الثقافة إلى شرائح متعددة؛ بجانب دوره الفعال في الذود عن الإسلام ورد الشبهات والافتراءات عنه.

وهذه مهمة تستلزم ابتداء الوعي بدور «الإعلام الإسلامي» وبرسالته وأهميته، كما تستدعي بذل الجهود في الإعداد الجيد للكوادر الإعلامية، وإزالة العقبات أمامها، إضافة إلى المراجعة المستمرة للأداء والخطوات.

وتلك رسالة جليلة ينبغي أن يعان عليها الإعلام الإسلامي من كل مسلم غيور محب لدينه وأمته.

## الهوامش

١- انظر الدراسة المهمة: «إضاءات حول الإعلام الإسلامي»، د. عبدالقادر طاش، ضمن كتاب «مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي»، نخبة من المفكرين والكتاب، (ص: ٣٥- ٣٨)، سلسلة «كتاب الأمة»، رقم ٢٨، رجب ١٤١١هـ، بتصرف واختصار.

٢- نقلا عن مقال: «الإعلام الإسلامي.. تعريفه وأهدافه والغاية منه»، محمد خير رمضان يوسف، منشور بموقع «الألوكة».

٣- «إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية»، د. محيي الدين عبدالحليم، (ص:١٣٢)، سلسلة «كتاب الأمة»، (رقم ٦٤)، ط١، ربيع الأول (١٤١٩هـ).

٤- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول، ص:٩١، والذي نظمته مجلة «الوعي الإسلامي»، ط١، (٢٠١٢م).

٥- «إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية»، (ص:١٤٧و١٤٨).

عبد العالي زواغي
باحث وإعلامي - الجزائر

# الإعلام الإسلامي... محاولة للفهم والتأصيل

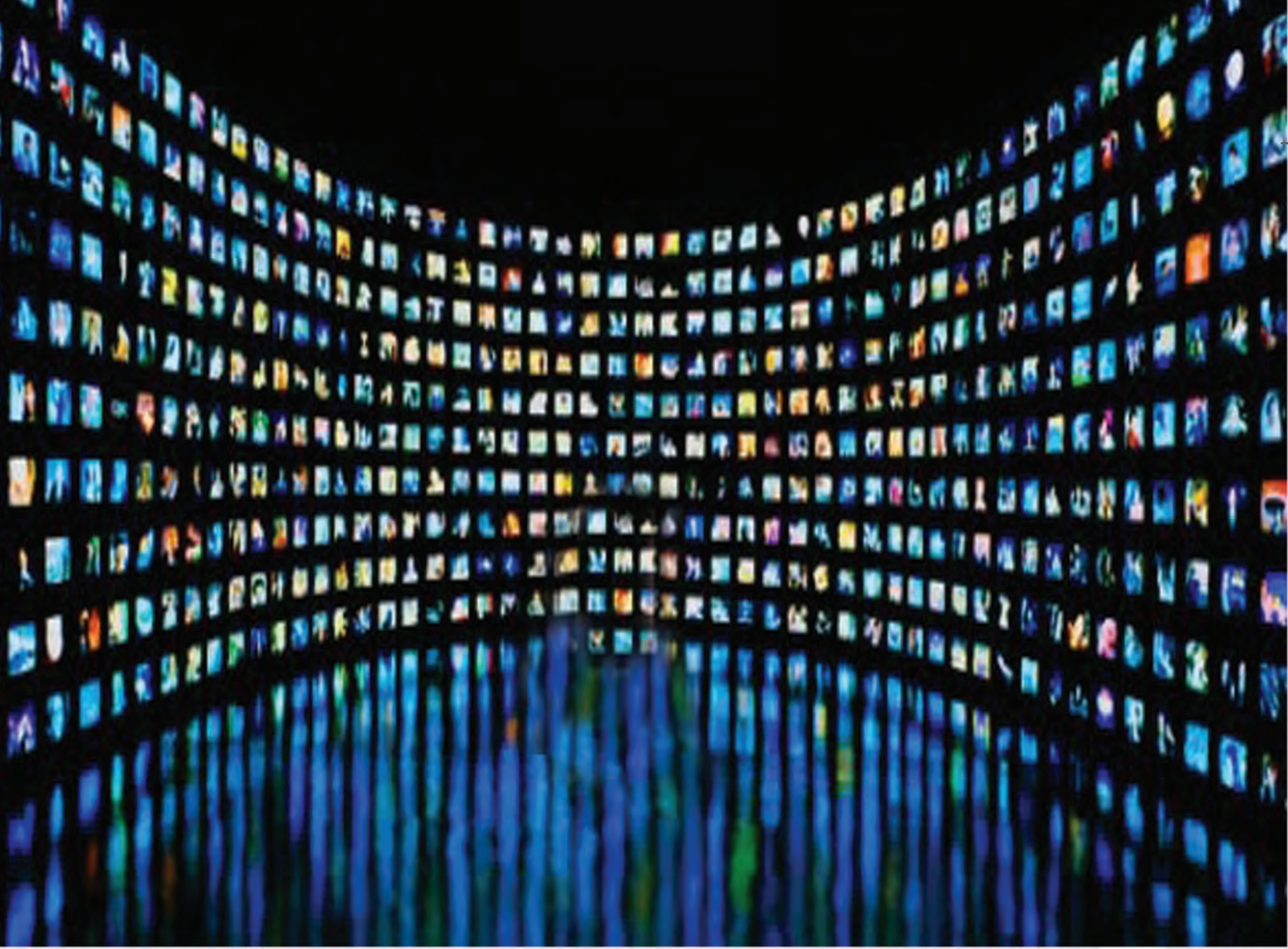
يمثل العصر الذي نعيشه عصر الإعلام وبجدارة، حيث إن أغلب الناس يقضون وقتهم مع الإعلام استقبالا وتفاعلا كل بحسبه، وهذا التغلغل والنفوذ على مستوى الأفراد والأمم يتطلب من أصحاب الرسالة الإسلامية والدعاة والمصلحين الولوج الذكي والمدروس؛ لتحقيق مجموعة من الأهداف الإسلامية، خصوصا في ظل التصور الشمولي للإسلام باعتباره منهجا للحياة، ودستورا لحركة الإنسان والمجتمع في هذه الحياة، حيث يقدم البدائل الإسلامية في مختلف مجالات الحياة، ومنها الإعلام بجانبيه النظري، والتطبيقي، لما لهذا المجال من أهمية بالغة وخطيرة في توجيه عقول الجماهير، وتشكيل سلوكاتها في الحياة، في عالم تحول إلى قرية كونية، خصوصا وأنه نشأ وتطور في كنف الحضارة الغربية، فأصبح الإعلام أداة فعالة للقوى الغربية للعمل على تمكينه من بسط سيطرته ونشر حضارته، والعمل على تشكيل العالم وفق الطريقة التي يريدها كلٌّ من النظام الدولي الجديد والعولمة في إطار النظريات الإعلامية الغربية، حتى أن آفة العالم العربي والإسلامي اليوم تتحدد في غياب إعلام قوي يؤدي وظائفه الحضارية بكل صدق، وهذا ما فتح الباب أمام الغزو الإعلامي الأجنبي، فأصبح العالم الإسلامي كله حقل تجارب لكل من هبّ ودبّ، من الشرق أومن الغرب، سعيا لإفساد شعوبه وإبعادهم عن دينهم وحضارتهم، من خلال رسالة إعلامية تتسم بالآتي:

- التضليل وإلباس الحق ثوب الباطل، وإظهار الجاني بمظهر الضحية، والعكس صحيح، ومن ذلك ما يشاع من ربط الإسلام بالإرهاب، وما يبث ويتناقل من حبِّ اليهود للسّلام.
- البعد عن الدقة والعلمية عند الحديث عن المسلمين.
- التطفيف، وازدواجية المعايير، وسياسة الكيل بمكيالين.
- الانحياز التام ضد الفكرة الإسلامية الصحيحة، والسعي الدؤوب لزرع بذور التفرقة بين المسلمين.
- إحلال الرذيلة وإفساد الأخلاق ونشر العنف.

## تأثير الإعلام الغربي على المجتمعات العربية والإسلامية

مما زاد من قوة وسلطة الإعلام الغربي وتأثيره بشكل محسوس على أفكار واتجاهات الجماهير بالعالم العربي والإسلامي، وإغراق مجتمعاتنا بمحتوى ورسائل إعلامية متشبعة بالابتذال والإسفاف والتجاوزات الأخلاقية، افتقارنا إلى إعلام قوي وهادف يعمل على ضوء المبادئ الإسلامية الداعية للفضيلة في كل مناحي الحياة، ومن هذا المنطلق برزت الحاجة إلى ما اصطلح على تسميته بـ: «الإعلام الإسلامي»، الإعلام الذي يعالج الثغرات التي أوجدتها العولمة، والإعلام الذي يساعد على حماية الحياة الخاصة للأفراد والأمن القومي للمجتمعات، والقادر على إيقاف التهديد الذي تمثله العولمة للذاتية الثقافية للأمم والشعوب العربية والإسلامية، والقادر أيضا على توفير العدالة في تدفق المعلومات لكل الأمم والشعوب الأخرى، وغيرها من القضايا التي ينبغي على الإعلام الإسلامي معالجتها وتقديم أفضل الحلول لها.

ولما كان العالم الإسلامي جزءًا لا يتجزأ عن غيره من الدول والمجتمعات التي تتعرض لما يبث من برامج إعلامية مختلفة؛ فقد كان طبيعيا أن تتأثر كثير من هذه المجتمعات المسلمة بمضامين وأهداف الرسائل الإعلامية الصادرة من أجهزة الإعلام المختلفة، ولاسيّما بعد سيطرة الشبكات الإذاعية والأقمار الصناعية، ولما كانت المصادر الإعلامية في معظمها بعيدة عن هدي الإسلام ومبادئه، أو على الأقل غير حريصة على تقديم مفاهيم الإسلام وتوجيهاته ضمن مضامين برامجها، فقد أتاح ذلك سيطرةً ملموسة على ما يصل العقل المسلم من برامج منحرفة عن هدي الله، حتى أصبحت مثل هذه البرامج قضايا مُسَلّما بها لدى بعض الناشئة، حيث لا بديل عنها تقدمه الدول والمؤسسات الإسلامية، والتي كانت، بل وما زالت، لا تمتلك تقنيات الاتصال الحديثة أو التنظير والتأصيل الإسلامي للرسالة الإعلامية، فنحن إذا أردنا أن نقنع العالم بالدِّين الإسلامي كدعوة عالمية، لابد أن يكون ذلك من خلال إعلام قوي، يستفيد مما وصل إليه التقدم



المذهل في صناعة الاتصال.

## مفهوم الإعلام الإسلامي

إن الإعلام الإسلامي يمثل جسرا له أهميته البالغة في تواصل البشر، وتتبع هذه الأهمية من الدِّين الإسلامي نفسه فهو دين دعوة، ودين إعلام، وما الإعلام الإسلامي إلا الوجه المعاصر للدعوة الإسلامية وما الفرق بينهما إلا حداثة كلمة الإعلام، وعراقة كلمة الدعوة، لكن ما يجب الإشارة إليه هو أن النزعة الغالبة عندما يطرح الإعلام الإسلامي هي النظر إلى هذا الإعلام على أنه إعلام ديني، وهي تعتبر حسب الكثير من المتخصصين نظرة ضيقة، حيث أن هناك فرقا بينهما، فالإعلام الديني هو جزء من الإعلام الإسلامي، ولذلك لا ينبغي أن نحصر الإعلام الإسلامي في الإعلام الديني، حيث يقول عبد القادر طاش في هذا الخصوص: «نحن نقصد بالإعلام الديني الإعلام الموجه، الذي يخدم المجالات الشرعية والدعوية بشكل مباشر، وهذا أمر مطلوب، وحاجة الأمة إلى مثل هذا الإعلام ماسَّة وكبيرة، ولكن هذا هو أقرب ما يكون إلى الإعلام المتخصص الذي يتناول جانبا واحدا من جوانب الحياة، ونحن منهجنا الإسلامي منهج شامل لكل جوانب الحياة، ومن ثم فهناك جوانب سياسية، واقتصادية، وثقافية، واجتماعية، وترفيهية، وما إلى ذلك من قطاعات الحياة المختلفة، والتي لابد للإعلام الإسلامي أن يغطيها».

وقد اختلفت وجهات النظر حول مفهوم الإعلام الإسلامي، وتعددت آراء الباحثين حوله ولم يصلوا إلى تحديد مفهوم جامع مانع رغم أنهم بذلوا مجهودات يُشكرون عليها، وقدموا جملة مفاهيم نورد أهمها فيما يلي:

- الإعلام الإسلامي حسب محي الدين حليم هو: «تزويد الجماهير بحقائق الدين الإسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بصورة مباشرة، أو من خلال وسيلة إعلامية عامة بوساطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة متعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، وذلك بغية تكوين رأي عام صائب يُعنى بالحقائق الدينية وترجمتها في سلوكه ومعاملاته»، كما أنه يرى أن «الأصل في الإعلام الإسلامي أنه إعلام عام غير متخصص لمجتمع مسلم، أو دولة إسلامية، أو حكومة إسلامية، لكن الواقع لمجتمعاتنا الإسلامية يحتم علينا القول بأن الإعلام الإسلامي في ظروفنا المعاصرة هو صورة من صور الإعلام المتخصص، وهو الإعلام الديني».
- يعرَف الإعلام الإسلامي كذلك بأنه:

«استخدام منهج إسلامي بأسلوب فني إعلامي يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم متفقهون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة، مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة، والقيم والمبادئ والمُثُل للمسلمين ولغير المسلمين في كل زمان ومكان في إطار الموضوعية التامة بهدف التوجيه والتوعية والإرشاد لإحداث التأثير المطلوب».

– كما أن هناك تعريفا آخر يفرق بينه وبين الإعلام العصري، حيث يعرف الإعلام الإسلامي على أنه: «أداة الدعوة لبلوغ هدفها وهو يتميز عن الإعلام غير الإسلامي بأنه إعلام ذو مبادئ أخلاقية وأحكام سلوكية وقواعد وضوابط لا يحيد عنها، مستمدة من دين الإسلام، وهو إعلام واضح صريح عفيف الأسلوب نظيف الوسيلة، شريف القصد عنوانه الصدق، وشعاره الصراحة وغايته الحق لا يضل ولا يضلل، بل يهدي إلى الحق والتي هي أقوم، و لا يعلن إلا ما يبطن ولا يتبع الأساليب الملتوية ولا سبل التغرير والخداع والميكيافلية».

– وهناك تعريف مجرد أتى به محمود كرم سليمان، إذ يعرف الإعلام الإسلامي على أنه: «عملية الاتصال التي تشمل جميع أنشطة الإعلام في المجتمع الإسلامي وتؤدي جميع وظائفه المثلى، الإخبارية والإرشادية والترويجية على المستوى الوطني، والدولي، والعالمي، وتلتزم بالإسلام في كل أهدافها ووسائلها وفيما يصدر عنها من رسائل ومواد إعلامية وثقافية وترويجية، تعتمد على الإعلاميين الملتزمين بالإسلام قولا وعملا، وتستخدم جميع وسائل وأجهزة الإعلام المتخصصة والعامة».

### بداية ظهور الإعلام الإسلامي

يرى رئيس مركز الشرق الأوسط

**الإعلام الإسلامي إعلام واضح شعاره الصراحة وغايته الحق**

للدراسات الاستراتيجية الدكتور أنور عشقي، في حوار نشرته صحيفة المدينة السعودية: «أن الإعلام الإسلامي بدأ من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين حينما بدأت رياح الثقافة الغربية تهب على الأمة الإسلامية والعربية، ووقتها كان العالم الإسلامي تحت مسماه وانبرى تحت ذلك بعض المفكرين الإسلاميين لإرساء هذا الإعلام الإسلامي.

كانت البداية مع جمال الدين الأفغاني وكان له تلاميذ حملوا الراية من بعده ومنهم الشيخ محمد عبده، بعد ذلك حمل الراية اثنان من أشهر الإعلاميين والعلماء الإسلاميين وهما: رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، فرشيد رضا كانت لديه جريدة «المنار»، ومحب الدين الخطيب كانت له مجلة «البحث» التي تربى عليها عدد كبير من المصلحين، ومن هنا ظهر الإعلام الإسلامي الذي حافظ على الروح الإسلامية في مواجهة التيارات العلمانية التي كانت تغزو المنطقة الإسلامية».

ومثل غيره من الأنشطة الإنسانية، واجهت محاولات أسلمة العمل الإعلامي، عقبة فنية، لها علاقة بتحديد الجانب التطبيقي للمصطلح ونطاق عمله، فالمشكلة التي واجهت مصطلح «الإعلام الإسلامي»، لم تقف عند تعريف ماهية النشاط وطبيعة الممارسة، بل تعدتها كذلك إلى وضع آلية لتطبيق المصطلح نفسه، ووضعه موضع التنفيذ بسبب تعقد النشاط الإعلامي، وتجاوزه مفهوم الممارسة الإعلامية البسيطة، لذلك وجب التعرض لبعض التعريفات التي حاولت أن تلم بهذا المصطلح، مع العلم أن الباحثين المتخصصين في الإعلام لم يتفقوا على تعريف جامع له حتى الآن، فهو مصطلح لعلم جديد، وتعريفات العلوم لا تستقر ولا تتبلور إلا بعد بيان جوانبه المختلفة والاتفاق على أسسه ومبادئه والاستقرار عليها، فنظرة الناس إلى الإعلام الإسلامي قد تقتصر على قياس إسلاميته من زاوية واحدة دون الإلمام بجوانبه، وقد حدد بعض الباحثين نظرة الناس تجاهه بثلاث نظرات:

١ – النظرة الجغرافية التي تجعل كل إعلام صادر عن جهة إسلامية فهو إعلام إسلامي.

٢– النظرة التاريخية التي تحصر الإعلام الإسلامي في إطار زمني ضيق.

٣ – النظرة التجزيئية التي تستند إلى صور الممارسة الواقعية وتحصره في الصفحات الدينية والبرامج الدينية.

ورغم أن هناك بعضا من جوانب الصحة حول مفهوم الإعلام الإسلامي من خلال النظرات الثلاثة إلا أنها لا تعبر تعبيرا صادقا عن حقيقة الإعلام الإسلامي وكنهه، حيث إن النظرة الأولى تحجم الإعلام الإسلامي، وتقصر إسلاميته على أنه صادر من بقعة إسلامية دون أي اعتبار إلى منهجه ومضمونه وأخلاقياته وأسلوبه.

أما النظرة التاريخية فهي تطبق عليه فكرة الرجعية التي يتهم بها الإسلام إذ تفصله عن الواقع ومتطلبات العصر الحالي، مع إيماننا العميق بأنه يجب أن يكون شاملا شمول الإسلام.

وأما النظرة التجزيئية فتلك نظرة تقصم ظهر هذا الإعلام وتظلمه وتضيق عليه رحابته بما يسمى بالصفحات الدينية، أو الإعلام الديني الذي يعد خطرا على الإسلام بحد ذاته؛ لأنه يجعل الإسلام شأنا من شؤون الحياة، فكما أن هناك برنامجا، أو إعلاما اجتماعيا، أو إعلاما سياسيا؛ فهناك إعلام ديني.

د.آندي حجازي
كاتبة أردنية تربوية

# الحروب الإعلامية هل نكسبها أم نخسرها؟

أصبحت التحديات في هذا العصر تحديات إعلامية بمعنى الكلمة، فلو قلنا إن الحروب والصراعات اليوم قائمة على من يستغل أو يفعل أو يوظف الإعلام لمصلحته، فإننا لا نبالغ. في الماضي كانوا يطلقون على الإعلام السلطة الرابعة، ولكنه اليوم بات في مقدمة السلطات الثلاث، بل ومسيطر عليها، فأصبح من يملك وسيلة إعلامية يملك سلطة وسيطرة على عقول بشرية بأعداد لا يستهان بها في العالم كله.

في الماضي القريب كان الإعلام يتمثل في المقروء أو المسموع، لكنه اليوم أصبح يعتمد أكثر على الإعلام المرئي الذي أصبح قويا جدا بدرجة لا يمكن أن يستهان بها، حيث تضمن المحطات الفضائية وشبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بأنواعها وتطبيقاتها التي لا تنتهي وكل يوم تقدم الجديد، ولا نقلل كذلك من شأن الصحف اليومية والمجلات التي تقدم وتنشر أفكارا مختلفة حسب رؤية متبنيها، فالإعلام اليوم هو من يبني العقول ويغسلها ويصنع الأجيال والأفكار والرؤى والسياسات!

والخطورة بمكان هي دور وسائل الإعلام بشتى صنوفها، المرئية والمسموعة والمكتوبة، في مسح أدمغة متابعيها وغسلها بمرور الزمن ومع تكرار أفكارها والتركيز على أهدافها، فلا يمكن لمحطة فضائية مثلا أن تقوم وتقوى من دون أهداف محددة ومدروسة دراسة تامة ومعروفة من قبل الجهات الداعمة، فلابد لها من دعم كبير وجهات ممولة حتى تقوم لها قائمة، وكلما صرفت الأموال عليها زاد حجم الإقبال عليها وزاد تأثيرها في العقول. ومن هنا تكمن الخطورة، خطورة من القائم على تلك البرامج والمحطات الفضائية؟ ومن المسيطر على تلك الصحف والمجلات؟ ومن المسير لشبكات التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والسنابشات والواتساب وغيرها؟

فالحقيقة أن الحركة الصهيونية والماسونية في العالم أدركت أهمية الإعلام ومدى تأثيره في النفوس وفي تربية النشء وتنشئته على ما يريدون، فأدركوا تماما دور الإعلام في بث الأفكار والقيم التي يسعون لها، ودوره في تفكيك الأسر والتلاعب بالقيم الأخلاقية ونشر الرذيلة والفاحشة والأفكار الشيطانية في العالم، فقامت بالسيطرة على ثلاثة أرباع الصحف والقنوات الفضائية في الولايات المتحدة وحدها؛ وأصبح للحركة الصهيونية شبكة واسعة من المحطات والإذاعات الأميركية التي تبلغ اليوم أكثر من ٨٧٥٠ محطة إذاعية وفضائية تلفزيونية، كمحطة CBC وشبكة إذاعة كولومبيا CBS ومحطة الشركة الوطنية الأميركية NBC وMBS وإذاعة «صوت أميركا» (الإذاعة الرسمية والأساسية في البث الإذاعي)، والتي تبلغ ميزانيتها السنوية مئات ملايين الدولارات، فكلها يسيطر عليها اللوبي الصهيوني!

وبات توجد أعداد كبيرة من اليهود في مجال كتابة وتنسيق البرامج والأخبار والتعليقات والإخراج، فسيطرة اليهود الصهاينة على وسائل الإعلام الأميركية تفوق كل تصور، حيث يسيطرون على أغلب دور النشر والإنتاج السينمائي وإنتاج الأفلام العالمية والمكتبات العامة والصحف التي تصدر في أميركا، ومما يؤكد ذلك ما جاء في «بروتوكولات حكماء صهيون»: «وستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثورية وفوضوية، وستكون الجرائد مثل الإله الهندي مقدسة». وجاء في بروتوكول آخر: «ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذا، وبقينا نحن وراء الستار».

وأكد البروتوكول الثاني عشر أهمية السيطرة على وسائل الإعلام: «ستكون هـذه الـوسـائـل خـالـصـة فـي أيـدي حكومتنا». وهذا ما تم لهم، حيث كانت الصحافة المكتوبة في السابق تسيطر على العقول، واليوم مع تطور وسائل الإعـلام أصبـح الـصـهـايـنـة واليهود هـم مـن يـسيـطـرون عـلـى الصحافة المرئية والمسموعة ووسائل التواصل الاجتماعي بشتى أنواعها!

### إفساد أم إصلاح؟

قد يقول قائل إن هذا مبالغ به، ولكن الواقع يثبت ذلك، ألم نر كيف انتشر الفساد في العالم كله؟ ألم نـر كيف انتشرت الأفكار الخبيثة في العالم، وكيف انتشرت الإباحية وتشجيع الزنا والـشـذوذ والـربـا وكل المحـرمـات وما يضر بالبشرية؟ ألم نر كيف انتشرت الأغاني والمسلسلات والأفلام الهابطة والمفسدة حتى وصلت إلينا في عالمنا الـعـربـي والإسـلامـي، بـل وأصبحت متقبلة لـدى الكثير مـن مجتمعاتنا، بل أصبـح المـمـثـلـون وأصـحـاب الفن ومصممو الملابس هم النموذج المحتذى لدى أبنائنا ذكورا وإناثا؟! ألم تتراجع القيم في عالمنا العربي بل وفي العالم كله؟ ألم يعد جل اهتمام أبنائنا وصرف أوقاتهم على ما تبثه تلك المحطات ومواقع التواصل الاجتماعي؟ وهل بات هناك أخطر من الإعـلام فـي زماننا هذا؟!

بـات الإعــلام يصنـع الـفـكـر ويغير فـي العقول ويربـي الأبـنـاء بل والآباء والأمـهـات، غير فـي طريقة تفكيرنا وفي ثوابتنا ومعتقداتنا وطريقة لباسنا واقتناعنا باللباس الشرعي الإسلامي، الذي ما تفتأ وسائل الإعلام تحارب أهله وتقاومهم وتجعله رمـزا للتخلف الحضاري والفكري والتقييد لحرية المرأة!

إن الإعـلام الـيـوم يصنع لـنـا طريقة طعامنا وطريقة لباسنا، وما نأكل وما نفكر وما نتبنى، إنه يحاول جاهدا نزع ثوب الحياء عنا، وقطع أوصال ثقافتنا وتبديل ثوبها بثوب ثقافة جديد لا ينتمي إلى حضارتنا المشرفة والمشرقة بصلة، بل ينـزع عنا ثـوب الاعتزاز بالماضي وينسينا إياه، ويشعرنا وكأننا لم نكن يوما شيئا في سجل التاريخ، وكأننا كنا عالة على الأمم! والحقيقة غير ذلك، بل يكفينا أننا عندما حكمنا العالم لم نظلم الأمم والشعوب ولم نجـرم فـي حقها أو نضطهدها أو نعذب أهلها ونشردهم كما تفعل الدول العظمى اليوم التي تدعي التحضر، وهي ما تفتأ تقتل الملايين من البشر وتشردهم وتنتهك أعراضهم وأموالهم وتنهبها لمصلحتها!

### الحروب اليوم إعلامية

الحـرب الـيـوم لم تعد حربا بالسلاح والنار والسيف، بل أصبحت الحروب فكرية، وسلاحها هو الإعـلام. ولذلك من يسيطر اليوم على الإعلام يسيطر على العالم، خصوصا مع تواصل العالم الـسـريـع وربطـه بشبكـات التواصل والإنترنت، فالأفكار التي تريد نشرها اليوم ما عليك سوى بثها عبر وسائل التواصل الاجتماعي بلا رقيب، ولذا أحسن الأعداء المخربين نشر سمومهم عبر تلك الوسائل، فغيرت كثيرا في عقول مجتمعاتنا الإسلامية للأسوأ للأسف.

إن أخطـر الأفـكـار الـتـي روجـت لها وسائل الإعلام الصهيونية والماسونية هي محاربة الإسلام وأهله، ونشر أفكار الإلحاد والعلمانية واللادينية، ونجحت كثيـرا فـي مـحـاربـة الـفـكـر الإسلامي ونشـر الأفكار الزائفة المضللة عنه، ونشر فكرة أن الإسلام يشجع التطرف والـتـشـدد والإرهــاب والـقـتـل والدمار والتخلف والتراجع عن باقي الشعوب، بـل وانـتـشـرت وســادت الـفـكـرة في عالمنا العربي حتى بات أبناء المجتمع العربي المسلم هم أول من يروجون لها ويتشدقون بها، ويتفاخر كثيرون بأنهم أصبـحـوا ينتمون إلـى الفكر الغربي الأجنبي والفكر المتطور المتحضر، كما يصفونه، وأنهم لا ينتمون إلـى الفكر الإسلامي، الذي، كما يتهمونه، يشجع الإرهـاب والـعـودة إلـى قـرون مـا قبل التاريخ والتحضر!

فما أخبثه مـن دور قـام بـه الإعلام الغربي الأميركي على وجه الخصوص، وبمساندة الروسي والأوروبـي، فكلهم يتفقـون عـلـى مـحـاربـة الإســلام ولا يـريـدون أن تقـوم لـه قائمة أو ترجع الـخـلافـة الإسـلامـيـة الـقـويـة الـتـي قد تسيطر عليهم وتضمهم تحت جناحها.

مـن جـانـب آخـر؛ فـإن أبـنـاءنـا اليوم أصبح جل اهتمامهم لا بتطور أممهم وشعوبهم أو حتى أنفسهم، أو مراقبة ما يرضي الله تعالى وما يفيدهم في آخرتهم، بل أضحى اهتمامهم بلباسهم واتـبـاع كل جـديـد فـي كل شـيء، في المأكل والملبس والتكنولوجيا وطريقة التفكير، فـأخـذتـهم ملـهـيات الحياة الدنيا بعيدا جدا عن الهدف السامي الـذي خلقوا لأجـلـه، وهـو عـبـادة الله وحده، فأصبحوا مثلا يفضلون الانتقال للعيش في الدول الغربية والتخلي عن لباسهم الإسلامي وعاداتهم وعباداتهم الإسلامية في مقابل البقاء والاستمتاع بالحياة الدنيا وما تقدمه من وسائل تقدم وترفيه وخدمات في تلك البلاد، فباعوا آخرتهم بدنياهم دون أن يندموا أو يحزنوا لذلك!

والمسؤولـيـة الـيـوم تقع على عـاتـق كل مسلم وكل إنـسـان وكل مـسـؤول، بأن يوظف وسائل الإعلام بما يحب ربنا، وأن يستوعب مـا يـدور حـولـه، وكيف استطاع اللوبي الصهيوني الوصول إلــى الإعــلام والـتـلاعـب بـه ونـشـر سمومه وأفكاره الشيطانية من خلاله في كل العالم، وكيف استطاع تحقيق

أهدافه، ونحن مازلنا لا نلقي للإعلام بالا! بل نستخدمه كوسيلة للترفيه وقضاء الأوقات ومعرفة آخر المنتجات والصيحات والأفلام والفيديوهات فقط! فما أحوجنا اليوم إلى إعلام إسلامي حقيقي.

### التحديات أمام الإعلام الإسلامي

وهذا الإعلام الإسلامي يحتاج إلى ما يلي ليكون فاعلا ومنتجا:

**أولا-** تحديد الأهداف وتوحيدها؛ وهي: نشر الدين الإسلامي الصحيح وأفكاره الحقيقية التي تهدف إلى السمو والرقي ببني البشر وإلى عمارة الأرض لا إلى تخريبها ودمارها، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران:١٠٤).

**ثانيا-** تحديد منظومة القيم الأخلاقية، التي علينا التمسك بها والعمل على دعمها فعليا بكل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة؛ كعمل الخير ومساعدة الآخرين والعمل التعاوني والتطوعي، والأمانة والصدق وعدم قبول الرشى، وخطورة التعامل الربوي، وعدم تقبل نشر الفاحشة وشرب الخمر والمخدرات، وعاقبة عقوق الوالدين وقطع الأرحام وإهمال التربية.

**ثالثا-** إيجاد مصادر تمويل مالية لدعم تلك القنوات والمحطات التلفزيونية والإذاعية الإسلامية وعلى الشبكة العنكبوتية لدعم نشر الإسلام وأخلاقه الراقية وأفكاره التنموية والخيرية وحب الخير والعدل والتسامح وتشجيع العمل والإنتاج والتصالح بين الشعوب المسلمة. فلا يمكن أن تقوم قائمة للإعلام العربي الإسلامي ما لم يتم دعمه بملايين الدولارات، وهو ما تنبهت إليه أميركا، حيث تدعم بميزانيات ضخمة محطات التلفزة والإذاعة وشبكات التواصل التي تبث أفكارها السياسية والاجتماعية والثقافية، مما جعلها تسيطر على العالم. فالحرب هي فكرية إعلامية بمعنى الكلمة.

**رابعا-** توحيد الجهود العربية والدولية من أجل إعلام إسلامي منظم يعكس صورة الإسلام الناصعة، ويدعو إليه، وينشر الخير، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.. وهو دور المسلمين على مر العصور، فالإعلام وسيلة فعالة، بل الوسيلة الأولى اليوم التي يمكن الاستفادة منها في نشر الإسلام وتعاليمه وفي زيادة عدد أتباعه وتعليم الناس أمور الدين السليم.

**خامسا-** إخلاص الجهود الفردية للعاملين في قطاع الإعلام وحقوله ومجالاته على نشر الفضيلة والخير والأمن والتسامح وقصص السيرة النبوية وقصص الصحابة والتابعين والعلماء المسلمين ودورهم في الحضارة، ليكونوا نماذج يحتذى ويقتدى بها، ومحاربة كل ما هو مضلل عن الإسلام وأهله.

**سادسا-** العمل بشتى السبل عبر وسائل الإعلام على تغيير الأفكار التي انتشرت عن الإسلام بأنه دين إرهاب ودين تشدد وتطرف وتخلف ولا يصلح لكل الأزمان وانه يدعو للقتل والدمار، والحقيقة أنه أكثر الأديان تصالحا وتسامحا مع الآخر وتقبلا له، فكم عاش اليهود والنصارى في ظل الدولة الإسلامية بكل أمن وسلام وعدالة اجتماعية لا نظير لها!

**سابعا-** القراءة والاطلاع، اطلاع العاملين في المجال الإعلامي على التاريخ الإسلامي الحقيقي والتاريخ الحديث كالحروب العالمية، ومقارنة الأديان والثقافات، فهم يحتاجون إلى الفكر الواسع والثقافة والعلم الشرعي والتاريخي من أجل القدرة على الوقوف في وجه الأفكار المضللة والمزيفة عن الإسلام والتصدي لها.

**ثامنا-** إنتاج برامج وأفلام ومسلسلات ذات قيم وفوائد تربوية وأخلاقية من منظور إسلامي؛ تنهض بأخلاق أبنائنا وشبابنا وتحارب ما يرونه من أفلام تشجع العنف والقتل والكراهية والتدمير والزنا وشتى أنواع الخبث والفاحشة. وهذه لابد لها من مؤسسات داعمة ومصادر تمويل وجهات تشجعها وتتابعها.

**تاسعا-** إنشاء محطات فضائية وسمعية واجتماعية إسلامية خاصة بالأطفال؛ تخاطب عقول الأطفال والمراهقين وتعمل على التنشئة الأخلاقية الحميدة والتنمية الفكرية والدينية والعلمية والثقافية لأبنائنا، فننتج لهم أفلاما وبرامج خاصة تجذب انتباههم وتناسب اهتماماتهم في هذا العصر، لا منفرة أو مملة، مستعينين بالمربين والمفكرين والمهتمين بقضايا الطفولة والمراهقة، وما أحوج أطفالنا لها بدلا من استيراد أفلام ومسلسلات لأطفالنا تخريبية هدامة لا تناسب ثقافتنا العربية والإسلامية، فالتربية تبدأ من الطفولة المبكرة.

**عاشرا-** انتقاء العاملين في المحطات والقنوات الفضائية والإذاعات الإسلامية بحذر وطبقا لمواصفات معينة، ليساعدوا على تحقيق الغايات من الإعلام الإسلامي المنشود الذي نطمح إليه في عالمنا الإسلامي لا الإعلام المضلل الذي يخدم مصالح وأهداف جهات معينة وأشخاص محددين وقوى عظمى، فالعمل في مجال الإعلام الإسلامي يجب ألا يكون مجرد وظيفة ووسيلة لكسب لقمة العيش مع عقول فارغة من المضمون، فلابد من التأهيل والتدريب وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك وعدم الاستهانة بدور الإعلام، فبالإعلام نكسب المعركة اليوم أو نخسرها.

د. رضا محمود عكاشة
أستاذ الإعلام – جامعة الأزهر



# كيف يتوب الإعلاميون عن خطيئة «الصراع»؟

يؤسفنا أن نقرر ما تكرر من أن عالمنا الإسلامي يعاني نوعا من غياب الوعي بالمصطلح الاجتماعي وخطورته على ثقافته ووعيه الفكري، وأن هذا الغياب قد أفسح المجال لترسيخ مصطلحات مدمرة ووافدة من بيئات غير بيئتنا، الأمر الذي أصيبت معه مفاصل كثيرة في المجتمع المسلم بهشاشة في الفكر وضعف في القيم والأخلاق.

من أخطر المصطلحات التي تسللت إلى وسائل الإعلام مفهوم (الصراع) (conflict) الذي يتم تدريسه لطلاب علم الاتصال باعتباره المعيار الأبرز للنشر بين الناس، ويتم تطبيقه بين الصحفيين باعتبار أن الصدام والعراك هو غاية الإعلام القصوى، وقد صار الصراع نظرية متكاملة لمفهوم عمل الإعلام في هياكله المعرفية والسياسية والمالية.

وفي يقين فإن هذه النظرية تمثل الجذر الفكري لجل الممارسات الطائشة للشاشات والصحف والمواقع في عالم اليوم، كما نشاهده في التركيز علي الدمار وغرس الاحتقان وفتن الإثارة والشهرة والحديث عن المؤامرات ومافيا الفلوس والمخدرات وصراع الإنسان مع نفسه وزوجته وحاكمه، وتقديم الهدم على البناء والاغتصاب على الزواج الشرعي وصدام الحضارات، ومفردات العنف في دنيا السياسة، فضلا عما يحدث في شتى بقاع العالم الإسلامي.

وقبل الإشارة إلى ما قد نسميه «البديل الإسلامي» للصراع الإعلامي، ينبغي التأكيد على حقيقة واضحة وهي أن تنظير الصراع في علم الإعلام وممارسته هو امتداد طبيعي للصراع في بناءات المجتمع الغربي كله عبر مداراته الجغرافية والتاريخية والفلسفية والمادية.

فالصراع مفهوم يعود للتراث الإغريقي والروماني الذي تأسس على الصراع مع الطبيعة وبين الآلهة، وقد جسده السيف والدراما، كما فشلت الروحانية النصرانية في ترويض هذه المدرسة المتطرفة في أوروبا والتي تصادم دائما بين مملكة الرب ومملكة الأرض، وتفاقمت صراعات الثنائيات القطبية بين الأداة والعبادة والحياة والعدمية والإيمان والإلحاد والفرد والجماعة والروح والبدن والشرق والغرب.

وقد أعطت الفلسفات الحديثة طابعا ماديا قاسيا لدلالات الصراع الإنساني كما حدث من دارون (١٨٠٩-١٨٨٢م) في عبارته الصراع من أجل البقاء، أومن ميكا فيللي (١٤٦٩-١٥٢٧م) في مفهوم الغاية تبرر الوسيلة، أوعند هوبز (١٥٨٨-١٦٧٩م) حرب الكل ضد الكل، فضلا عن جدلية ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) المفعمة بالصراع ومصادرة الآخر، أو كما حدث في تيار صراع الحضارات المتصادم مع الأخر والمتكئ على غطرسة سياسة الغرب وعنصرية الاستشراق وغرور القوة العسكرية كما عند صامويل هنتنجتون ورفاقه منذ طرحه في بداية التسعينات (١).

## أربعة مقاصد للبديل الإسلامي

البديل الإنساني الذي نطرحه في هذا السياق هو تبني الإعلام لنظرية التدافع الإسلامي التي تعكس التنافس والتحدي في كون الله سبحانه وتعالى كما تتفادى مصائب الصدام التناحري بين خلق الله تعالى.

التدافع الإسلامي في الممارسة الإعلامية يعلي قيمة الكلمة الطيبة والصورة العفيفة في بناء الكون وإعماره وفي تحريك إدارة التغيير في الأمة وفي جمع البشر على كلمة سواء وحماية الأرض من الإفساد.

هذه النظرية الإعلامية تنطلق من منطلق «مقاصد الشريعة» في الناس، وهي شريعة كما سماها الإمام محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) «شريعة مسالمة» مسالمة الإنسان مع نفسه وأنسه بالطبيعة وتعارفه مع كل أجناس الأرض.

ولئن أبرز الفقهاء مقاصد شريعة الإسلام في حفظ الكليات الخمس لبني الإنسان وهي: النفس، والمال، والعقيدة، والعقل، والعرض، فإن نظرية التدافع الإعلامي في ضوء الشريعة تنطلق من الكليات والحقائق التي يمكن إجمالها في أربعة مكونات مبدئية:

– مبدأ الاختلاف والتنوع: وهو حقيقة كونية تدفع الإنسانية للتكامل والاعتماد المتبادل بعضهم على بعض. القرآن الكريم عرض هذه الكلية باعتبارها مرادفة لخلق الكون وغاية خلق الإنسان، يقول الحق: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم:٢٢)، ويقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود:١١٨-١١٩)، بل استعمل القرآن وهو يقرر التباين في المعيشة والدرجات كلمة «التسخير» باعتباره ممارسة مقصودة بين بني البشر، يقول الحق: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف:٣٢).

– مبدأ الاستخلاف والإعمار: فقوام حركة البشر هو التحضر والعمران، وهو إنجاز تاريخي كمي وكيفي تراكمي يتجاوز به الإنسان تحديات الواقع. يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور:٥٥).

– مبدأ الابتلاء والمكابدة: المسلم الإنسان يؤمن أن حياته ومجتمعه وعالمه متعرض دوما لشيء من الحرمان والخوف والتنافس على المنافع ودرء المفاسد ونقص المعايش وربما التهجير والبغي، والمسلم الإنسان يؤمن أن دفع الابتلاء لا يكون بكراهية الذات أو التمرد على الحياة أو مصادرة الآخر ونقضه.

الله سبحانه وتعالى أشار إلى التعامل الإيماني مع قدرية الابتلاءات على نحو رائع في كل الحالات وعلى كافه أصعدة الفعل وردة الفعل. يقرر الحق ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ (البلد:٤)، ويقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف:٧)، ويقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة:١٥٥)، ويقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة:١٢٠).

هذا مقصد الشرع من مبدأ الابتلاء، الفاعلية الإنسانية في قلب القدرية الكونية، والإصلاح والصبر مع مجاهدة كل صنوف العدوان.

– مبدأ التوسط في بعده العقدي والجغرافي والحضاري: فالأمة الوسط الإسلامية هي وسطية كذلك في التدافع والمكابدة، وسطية بين الجبر والاختيار، ووسطية بين الروحانية والمادية، وبين واقع الأمكنة ووقع الأحداث

والحضارات، وبين الرضا والسكون والحركة والانقلاب نحو المجاهدة، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ (آل عمران:١٧٣-١٧٤)،

ووسطية في الاستنفار والنصرة بين حركة الضمير والابتسامة والدعوة والكلمة والجدل والحوار وبين حركة الأموال والأبدان في ساحات القتال.

وحتى الجهاد وهو ذروة سنام المدافعة نجد العلماء في ضوء النص الشرعي قد وضعوا له نحو ثلاث عشرة مرتبة تشتمل على مدافعة النفس والشيطان والجهاد بالقرآن وبالمال ولدفع الظلم ودرء المنكرات وحماية الدين والأوطان كما قال ابن القيم (٢).

بل أظهر معالم الوسطية هو الإيمان بنظرية التجديد والتداول الحضاري. فالمسلمون امتلكوا الريادة لقرون عدة، أو كانوا كما في الخطاب السياسي المعاصر هم «العالم الأول»، ثم تراجعوا كما هم الآن فصاروا «العالم الثالث» هذا التراجع لا يعني أنهم يتصارعون ليبيدوا الآخر، بل يوجب عليهم التدافع لتدول لهم مقومات حضارة بني الإنسان.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١٤٠)

## الدفع مادة قرآنية

في التأصيل الإسلامي لنظرية التدافع نجد أن الدفع مادة قرآنية وردت في كتاب الله عشر مرات في سياقات شديدة الدلالة؛

ففي آيتين يتحدث القرآن عن رد المال بمسؤولية الضمير الإيماني لليتامى عند بلوغ سن الرشد، ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾ (النساء:٦)،

وفي آيتين يحدد القرآن أمر «ادفع» في مواجهة ما يصنعه أهل العداء بأن يكون بالتي هي أحسن، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون:٩٦)، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤)،

وفي آيتين يقرر الخالق قدرية وقوع العذاب للمخالفين، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ (الطور:٧-٨)، ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ (المعارج:١-٣)، وفي آية ارتبط الدفع بالجهاد، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ﴾ (آل عمران:١٦٧)، قال ابن عباس: كثروا سواد المسلمين. وقيل: رابطوا بالجهاد. وقال الحسن بن صالح: ادفعوا بالدعاء (٣).

بيد أن مادة الدفع ارتبطت في ثلاث آيات بالدفع الذاتي الحركي الاجتماعي الذي نقصده هنا، بالمكابدة الحضارية الكونية الفكرية بين الناس على الأرض كلها، بمواجهة الاعتداء البدني والعقدي على الفئة المؤمنة أو إخراجها من ديارها بغير حق، ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠)، وهناك في سياق مشابه، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ (البقرة:٢٥١)، وهكذا، يدفع الله عن قوم بقوم آخرين، ويدفع عن كلمة بكلمة أخرى، وعن دين وحضارة وقوة بأخريات.

ومن الدلالات البارزة في الآيات أن رب الكون لم يوضح أي شخص أو حضارة أو ثقافة دافعة أو مدفوعة، فكل «بعض» دافع وكل بعض مدفوع أو مدفوع ليتدافع.

في ظلال هذا المعنى يقول أحد العلماء: «قوى الشر الجامح الفتان تصارع قوى الإيمان، وقبل أن يأذن الخالق لأهل الحق بالانطلاق للدفاع، آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم، في مهمة إنسانية كبيرة، لا صراع على عرض... وراء هذا كله تلك القاعدة العامة: حاجة العقيدة للدفاع عنها، لن يحمي الأرض أو أماكن العبادة من الفساد إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض، دفاع الله عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم، فالبيئة الإنسانية تستيقظ وهي تواجه الخطر، النصر السريع يعطل الطاقات، لابد من التدافع لتؤدي الإنسانية المؤمنة دورها لتصل إلى أكمل ما هو مقدور».

## نحو نظرية للتدافع الإعلامي

على مثل هذه الأرضية يمكن طرح أبرز عناصر نظرية التدافع الإعلامي المبتغاة، وهي عناصر تأخذ في الاعتبار التناحر الإعلامي القاسي حول كل شيء كما في الممارسات السلبية اليومية، كما لا تنفك كثيرا عن المعطيات العلمية لنظريات الاتصال التي طرحها علماء الغرب والشرق (٤)، كما تستلهم مقاصد الإسلام الكبرى في بناء الإنسان وعمارة الكون.

من بين عناصر هذا الطرح:

- الضمير الجواني ومجاهدة شهوات النفس هي منطلق القائمين بالاتصال بين الناس.
- الجنس والأمومة والتملك والتدين والرزق والخوف، هي دوافع فطرية في الإنسان لا ينبغي أن تكون موضعا للصراعات، لا بالإثارة ولا بالكبت.
- الاستئناس بالطبيعة لا التصارع معها، وبالتالي اعتبار الأحداث الطبيعية ليست أزمات هالكة موجهة للإنسان.



- التدافع إلى الأحسن، فالإعلام ليس وسيلة لزيادة الاحتقان بل هو وسيلة لتفكيك الانفعال وإزالة ما قد يكون من عداوات وتقديم الحلول والمنافع.

- التكوينات اللغوية والسلالية جزء من التعارف عبر وسائط الاتصال، والتميز على أساس عرقي ليس من خصائص الخطاب الإعلامي الإنساني البناء.

- الدين في قلب العمل الإعلامي وهو يؤسس للتعايش المعلن بين المختلفين في المعتقد والانتماء.

- الآخر من مكونات التدافع وغاياته، والحوار الإعلامي واجب لتبادل المعارف، فليس عندنا مقولة: «الآخرون هم الجحيم» كما يقول الفيلسوف الوجودي سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠م).

- تجاوز النزاع بين دوائر الانتماء الإنساني أو بين ما هو وطني وما هو قومي وما هو إسلامي أو عالمي وبناء حالة حوارية توافقية بين جل مقومات الإنسانية وحضارتها.

- الإيجابية للذات وللآخر حسب طبيعة الحدث ومعيار الحكم.

- السلبية للذات وللآخر، فليس المسلمون خالين من العيوب وليس الآخر خال من التجاوزات.

- تليين قساوات السلطة - المال والنفوذ والسلاح والحكم - بشكل يجعل هذه الأطراف جزءا أصيلا من وسائل خدمة المجتمع وبنائه وليس قهره أو هدمه.

- تحييد تصورات القوى الدولية السلبية عن الآخر وهو هنا المسلم، وبناء تصورات موضوعية للمسلمين عن الآخر.

- البعد بالإعلام عن سياسة فرض القبول (production consent) فالإقناع لا يمارس قسرا كما أن الإعلاميين ليسوا طرفا في خلق الصراع وتأجيجه.

- الحلال والحرام عنصر إنساني فطري في أبعاده النفسية والاجتماعية وينعكس بالضرورة على الصحفي ومصدر المعلومة والمسؤول والجمهور.

- التواضع الحضاري أحد أبرز مكونات التدافع الإعلامي، بعيدا عن حالة الاستلاب والاستعلاء الحضاري، فلا الجنس الآري ولا الشعب العربي ولا الثقافة الأنجلو سكسونية تعطى مبررا لإقصاء الآخر أو اعتبار أحد بأنه هو شعب الله المختار من دون خلق الله.

الأولى: أن يجتمع نفر من أهل البحث والدرس في علم الإعلام مع نفر من أهل الصحافة والكلمة والصورة ليرصدوا السلبيات المدمرة لمفهوم الصراع الذي عشش في عقول بعض إعلاميينا ويعلنوا التوبة والبراءة من سلبيات هذا المفهوم الصدامي الذي أضاع مسؤولية الكلمة.

الثانية: أن يدرك الجميع أننا بحاجة ملحة لبناء رؤى معرفية ذات جذور إسلامية يشارك فيها المجامع العلمية من خلال فقهاء الإعلام والاجتماع والشريعة والتربية ورأس المال، ففي تراثنا آلاف التجارب الرائعة التي يمكن أن نهديها للأمة الإنسانية.

الثالثة: البدء في حوار جاد مع عدد من منظري علم الإعلام في أوروبا وأمريكا لإزالة آثار تعصبات الاستشراق والتبشير في تصنيف الإنسان وتوصيفه وتنقية مناخ الإعلام من أدران الفلسفات المصادرة للآخر، وأيضا استقطاب نفر من الباحثين الموضوعيين في الشرق والعالم النامي لتدعيم هذا الطرح المعتدل في دنيا الإعلام ونظرياته الحاكمة.

الرابعة: أن يلاحظ ولاة الأمر الإعلامي والسياسي عندنا أن صراعات الأداء الإعلامي وهيافاته لا يمكن أن تنفصل عن هشاشة النظام الاجتماعي وتشققاته، فالإعلام كما علمنا أساتذتنا ونعلم أولادنا هو انعكاس للبيئة المحلية والدولية؛ لنصلح شأننا كله حتى ينصلح إعلامنا كله.

### الهوامش

١- معتز عبدالله، التعصب دراسة نفسية اجتماعية.
- جعفر شيخ إدريس، صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي.
٢- الإمام محمد بن عبد الوهاب، مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزية، (ص:٩٤-١٠٠).
٣- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ص:٤٢٦)..
٤- يراجع: هربرت تشيلر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان.
-برنت روبن، الاتصال والسلوك الإنساني، ترجمة جامعة الملك سعود، الرياض.
- محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير.

أحمد الظرافي
باحث في التاريخ الإسلامي
اليمن

# الفرق بين العنوة والصلح

اهتم العلماء المسلمون اهتماما كبيرا بالأراضي المفتوحة، وتحديد طريقة فتحها صلحا أو عنوة، لأنه في ضوء ذلك يتقرر ما على هذه الأرض وأصحابها من واجبات، وما يتبقى لأصحابها سواء من المسلمين، أو المعاهدين. ومن أهم الكتب التي اعتنت بهذه الجوانب، منذ وقت مبكر: كتاب الخراج لأبي يوسف قاضي قضاة الخليفة هارون الرشيد، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي، وكتاب الاستخراج في أحكام الخراج لابن رجب الحنبلي، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب فتوح البلدان للبلاذري.

**أولا- تعريف العنوة والصلح**

قسم المسلمون الأراضي المفتوحة، خارج حدود شبه الجزيرة العربية، وفقا لطريقة فتحها، إلى قسمين رئيسيين: أرض عنوة وأرض صلح، فأرض العنوة هي التي غُلب أصحابها عليها، وأحرزها المسلمون بأسيافهم، ومن دون عقد ولا عهد. وأرض الصلح، هي التي صالح أصحابُها عليها، قبل أن يقدر المسلمون عليهم، وتمسك أصحابها بديانتهم السابقة، ولم يدخلوا في الإسلام. مع ملاحظة هامة وهي أن هذا النوع من الأراضي، لا تشمل أراضي الملوك والأشراف والكنائس والمعابد، التي افتتحت عنوة، فإن هذه الأراضي، تعتبر صوافي، وتكون ملكيتها لبيت مال المسلمين، ولكن للإمام الحقُّ في أن يقطع منها لمن يشاء من أهل الغَناء والفضل، لاستغلالها، وفي هذه الحالة تتحول إلى أرض عشرية.

وأما الأرض التي أسلم أهلها عليها طوعا، فهذه تبقى بأيديهم بملكية تامة، وعليها العشر، وأصحابها أحرار مسلمون لأنهم أسلموا قبل أن يظهر عليهم المسلمون، وقبل أن يجري عليهم الخراج.

ويعتبِر الفقهاء هذا التمييز.. أساسا، ليس فقط لتمييز مختلف تصنيفات الخراج (بوصفه فائضا إنتاجيا تقتسمه الدولة مع أسياد الأرض) بل أيضا لتصنيف مختلف ملكية الأرض (١).

**ثانيا- معاملة أرض العنوة**

هناك خياران في معاملة هذه الأراضي، وكلاهما من حق الإمام، على قول أكثر العلماء، وهما:

الخيار الأول: أن تعتبر هذه الأرض غنائم، فتقسم، كما تقسم الأموال المنقولة، فيكون أربعة أخماسها للمقاتلين الذين افتتحوها، ويكون الخمس الباقي لمن سمى الله تبارك وتعالى. وهم الذين نزلت



فيهم الآية ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الأنفال:٤١). وهذا كما فعل الرسول ﷺ في خيبر. ذلك أنه جعلها غنيمة، فخمّسها، وقسمها بين المسلمين الفاتحين. وفي هذه الحالة تصير هذه الأرض، ملكية خاصة للفاتحين، باعتبار أن الأرض، التي فتحت عنوة، هي في الأصل غنيمة، وهي بالتالي، ملك للمقاتلين، ولا يكون ثمة خراج عليهم، إنما عليهم زكاتها، وهو العشر أو نصف العشر، حسب طريقة السقي (٢).

الخيار الثاني: أن لا تقسم هذه الأرض، وتترك ملكية عامة (فيئا) (٣)، لجميع المسلمين، أو وقفا للأمة، وتبقى بأيدي أصحابها، ويكون لهم حق المنفعة فيها، وللمسلمين الخراج عليها، إضافة إلى أدائهم الجزية عن رؤوسهم، وكان هذا هو الأسلوب المتبع غالبا في معاملة الأرض المفتوحة، وهو الذي اتبعه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معاملة أراضي السواد والشام ومصر. وفي هذه الحالة يجب مراعاة الاعتبارات التالية:

## أرض الخراج ملك للأمة لا يُتصرف فيها

١- أن الخراج المضروب على هذه الأرض، يكون ضريبة عليها، ويكون في معنى الأجرة، والأجرة لا تسقط بانتقال الملك، كما هو معروف: ولذلك يجب الخراج على من كانت الأرض في يده، مسلما كان أو كافرا (٤). وفيما إذا كان ثمة زكاة على المسلم، الذي تكون في يده هذه الأرض بعد الخراج. فالأقوى أن عليه ذلك، على اعتبار أن الخراج على الأرض، والعشر زكاة مفروضة على المسلمين، وكان عمر بن عبدالعزيز، ممن يقول بذلك (٥).

٢- أن خراج هذه الأرض يستحق سواء زرعت أم لم تزرع، ما لم يكن هناك مانع منع صاحبها من الزرع، فإن وجد هذا المانع، فلا خراج عليه، ومتى أصاب الزرعَ آفةٌ فلا خراج عليه أيضا.

٣- أن هذه الأراضي لا يجوز التصرف فيها بأي نوع من أنواع التصرفات، لأنها ملك الأمة، وهي وإن كانت قد تركت بيد أصحابها الذين تم اعتبارهم ذمة، إلا أنهم ليسوا سوى مزارعين، يتولون استغلال الأرض. فإذا اعتنق أحدهم الإسلام، فحينئذ تسقط الجزية عن رأسه، لكنه يستمر في دفع الخراج. وقد قرر عمر بن عبدالعزيز أن أرض الخراج، هي فيء للأمة، وأنها يجب أن تبقى خراجية، بدءا من سنة (١٠٠هـ/ ٧١٨م) (المدة)، لا يجوز بيعها، منعا لتحويلها، إلى عشرية (٦).

٤- أن الخراج المضروب على هذه الأرض يجوز زيادته أو تخفيضه عند الضرورة، وحسب مقتضيات المصلحة، وتغير الأزمان.

وقد استند الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وقف الأرض وعدم تقسيمها إلى بعض الآيات التي تخص الفيء، وهي الآيات (٧-١٠) من سورة الحشر. وأما دوافعه فكانت متعددة، منها: حرصه في أن

تكون هذه الأراضي موردا ماليا ثابتا للمسلمين وللدولة في عهده ومن بعده. كما أنه لاحظ عدم معرفة العرب بالزراعة، وضرورة تفرغهم للجهاد، وخطر تفرقهم على الأرض مع قلة عددهم بالنسبة للمغلوبين. ويبدو أنه أيضا خاف من النزاع بين المسلمين على الأراضي (٧).

**ثالثا- معاملة أرض أهل الصلح**

وبالنسبة للأراضي التي صالح عليها أهلها قبل أن يقدر المسلمون عليهم، وظلوا على عقيدتهم السابقة، ولم يدخلوا في الإسلام، فتترك بأيدي أصحابها، على أن يؤدوا عنها الخراج. أي أن أرضهم تصير أرضا خراجية، ريعها للأمة، أو لبيت المال، ماداموا على شركهم، إضافة إلى تأدية الجزية عن رؤوسهم، ويعفى من الجزية كل من يقاتل مع المسلمين، ومع مراعاة الاعتبارات التالية:

١- أن هذه الأرض تظل بأيدي أصحابها بملكية تامة، فيجوز لهم التصرف بها كيفما يشاءون فيزرعونها أو يستخدمونها، لأي غرض آخر، كما يحق لهم بيعها وتوريثها وقضاء الدين منها، دونما قيد.

٢- إذا أسلم صاحب هذه الأرض، سقطت الجزية عن رأسه، وسقط الخراج المضروب عن أرضه، لأنه عند الجمهور في حكم الجزية، وصارت أرض عشر، وكذلك إن انتقلت من يد كافر إلى يد مسلم. وأما إذا انتقلت من يد كافر إلى يد كافر، كان الخراج على من هي في يده. وهذا يعني أن الوارد من هذا الخراج يقل كلما زادت أعداد الداخلين في الإسلام، شأنه شأن الجزية.

## أرض الصلح ملك تام لأصحابها

٣- أن ما ضرب من خراج على هذه الأرض، لا يزاد فيه، حتى وإن احتملوا أكثر من ذلك، لأنه قد جرى الصلح عليه، ولكن إن عجزوا عن تأدية ما اصطلح عليه يخفف عنهم.

مع العلم بأنه قد ينص الاتفاق مع أهل الصلح على دفع ضريبة واحدة، تسمى جزية أو خراجا، وتشمل الضريبتين معا (الجزية والخراج)، ولا يمكن الزيادة عليها، وتبقى أرضهم بأيديهم بملكية تامة، ولا تكون أرض خراج.. وكانت هذه الضريبة عامة تفرض على أهل المنطقة ثم توزع بينهم على الأفراد أو باعتبار الرؤوس (٨)، وتكون جبايتها من مسؤولية الرؤساء المحليين، مقابل حصولهم على إعفاءات لأنفسهم في العادة.

### الهوامش

١- الفضل شلق، الخراج والإقطاع والدولة، دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة الإسلامية، كتاب منشور كمقدمة لمجلد «في النظام الاقتصادي الإسلامي»، دار الحداثة، بيروت، (ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٤).

٢- للمزيد حول هذا انظر، عبدالعزيز الدوري، النظم الإسلامية، سلسلة الأعمال الكاملة -٦-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (ط ١، ٢٠٠٨م، ص ٩٦-٩٨).

٣- الفيء، في الأصل، هو كل مال وصل إلى المسلمين عفوا من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب. والأصل فيه وفي توزيعه قول الله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (الحشر:٧). ولكن هذا المفهوم تطور، فصار لفظ «الفيء» يستعمل أيضا، للدلالة على أرض الخراج أو على واردها، كما يستعمل للدلالة على وارد البلاد المفتوحة عموما.

٤- انظر: محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عمر بن الخطاب، سلسلة موسوعات فقه السلف (٨)، دار النفائس، بيروت، طبعة موسعة ومنقحة، د. ت، (ص٣٨٠، ٣٨١).

٥- انظر، يحيى بن آدم القرشي، كتاب الخراج، تحقيق أحمد شاكر، الكتاب الثاني ضمن مجلد «في النظام الاقتصادي الإسلامي»، (ص ٤٠١-٤٠٢، ٥٧٩-٥٨٢).

٦- عبدالعزيز الدوري وغيداء كاتبي، الفتح والأرض في الأندلس، بحث منشور على الموقع الإلكتروني لمجمع اللغة العربية، الأردن، في صيغة pdf، الورقة رقم ٦٠.

٧- الفضل شلق، المرجع السابق، (ص ٢٤).

٨- انظر، الدوري، النظم الإسلامية، (ص١٠٧).

د. الحسين بودميع
أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي- المغرب

# موانع التفكير السليم

من المعلوم الثابت أن الطريقة التي يفكر بها الإنسان تنعكس على تصوره وسلوكه ووضعه النفسي؛ فإن كان تفكيره سليما في منطلقاته وطريقته كان تصوره للوجود والموجودات سليما وسلوكه قويما وضميره مرتاحا ومساعيه ناجحة، وإن كان تفكيره مضطربا وفاسدا كان تصوره خاطئا وسلوكه منحرفا ومشاعره مأزومة ومطامحه منتكسة؛ ومن هنا يستمد التفكير السليم وإدراك عوائقه أهميته.

وموانع التفكير السليم: جملة من مظاهر الخلل تصيب منظار العقل فتشوش رؤيته للحقائق على ما هي عليه، وتمنعه من التفكير الصحيح؛ ومنها:

١- التعميم في إصدار الأحكام؛ وهو إضفاء وصف فرد من الناس أو الأشياء وإشاعة حكمه على كل الأفراد المشاكلة له أو المشاركة له في بعض صفاته؛ كالجنس، أو العرق، أو اللون، أو الموطن، أو المذهب، أو الدين، أو اللغة...

والتعميم يشيع في أوساط البسطاء وأولي السذاجة من الناس؛ فلضعف إدراكهم لحقائق الأمور، وعدم تأنيهم في فهمها تجد أحدهم كثيرا ما يسرع في تعميم صفة فرد (فضيلة كانت أو رذيلة) على عائلته كلها أو قبيلته أو أهل دينه أو مذهبه، أو أهل لغته أو لونه أو موطنه؛ كالحكم على العرب جميعا بكراهة العمل وحب العطالة والكسل، أو الحكم للمجتمعات الغربية كلها باحترام المواعيد، أو لليابانيين كافة بالحرص على النظام وحب العمل...

وهذا المظهر من الخلل الفكري يقود صاحبه إلى الظلم والخطأ في إصدار الأحكام؛ فيتهم كثيرا من الأبرياء، ويبرئ كثيرا من الخاطئين.

وقد ورد في الشرع ما يحذر من التعميم، ويدل على خطأ من يسلك مسلكه؛ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس فرية لرجل هجا رجلا فهجا القبيلة بأسرها» (١).

وقرر النبي ﷺ أن اختلاف طبائع الناس ومعادنهم ما بين نفيس وخسيس قانون مطرد في كل زمان ومكان؛ فقال: «تجدون الناس معادن» (صحيح البخاري)؛ فكل مجتمع -أيا كان عصره وموطنه- لابد مؤلف من الأخيار والأشرار، والأذكياء والأغبياء، ومن يحب الجد والعمل ومن شيمته حب اللهو والكسل، ومن يفي بالعهود والعقود والمواعيد ومن ينكثها، وما من قرية أو مدينة -أيا كان زمانها ومكانها- إلا ويصدق عليها ما سطره ابن بطوطة في وصف مصر من أن «بها ما شئت من عالم وجاهل، وجاد وهازل، وحليم وسفيه، ووضيع ونبيه، وشريف ومشروف، ومنكر ومعروف» (٢).

كما حذر ﷺ من الحكم على أهل زمان بأسرهم بالضلال والشر؛ فقال: «إذا قال الرجل هلك الناس، فهو أهلكهم» (صحيح مسلم).

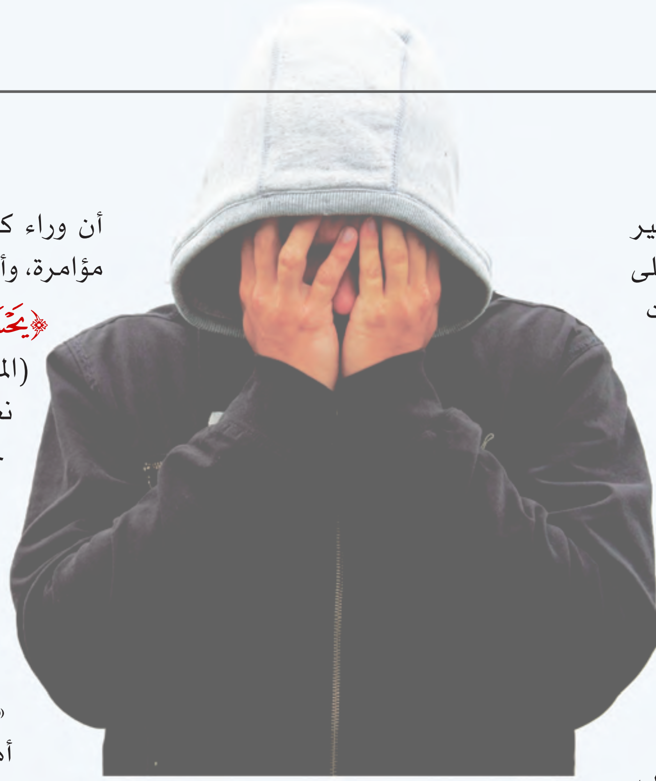
وحين تحدث الله عن بعض مكائد اليهود وشرورهم قال: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ﴾ (آل عمران:١١٣). فلم يعمم.

٢- الإسقاط؛ وهو أن يحكم الشخص

على الغير بما في نفسه من الخير والشر، أو يعمم تجربته الشخصية على الآخرين، أو تجارب بعض الجماعات أو الشعوب على الجميع، غافلا عن الفوارق الموجودة بين الأفراد والشعوب؛ وهذا الخلل كالتعميم يقود صاحبه إلى الخطأ فيما يصدره من أحكام.

٣- إبطال القانون الكلي بتخلف بعض أفراده عنه؛ ومعنى ذلك أن يحكم بفساد القاعدة العامة لشذوذ بعض جزئياتها عن حكمها، وهذا خطأ؛ فإن الاطراد التام ليس شرطا في صحة القواعد، لندرة ذلك فيها، خاصة في المجالات الإنسانية، ولقد قيل: «من القواعد عدم اطراد القواعد»؛ فعلى سبيل المثال: لا يقبل عاقل أن نحكم ببطلان القاعدة القرآنية التالية حول العسل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل:٦٩)، لأن بعض أفراد المرضى غير مشمول بقانونها؛ لهذا لما شذ مريض في زمن النبي ﷺ عن شمول قاعدة نجاعة العسل في الشفاء، ولم ينفع فيه أولا، حكم ﷺ بصحة القانون الكلي الذي يقرره القرآن حول العسل، وشذوذ حالة هذا المريض؛ فقال لأخيه: «صدق الله وكذب بطن أخيك» (صحيح البخاري).

وكذا لا نقبل التشكيك في القانون القرآني التالي: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (النور:٢٦)؛ لتخلف بعض أفرادها عنها فيما حكاه القرآن نفسه من تزوج بعض الخبيثين بالطيبات؛ كفرعون، وتزوج بعض الطيبين بالخبيثات؛ كنوح ولوط، وفيما سجله الواقع التاريخي



## التفكير السلبي يميل بصاحبه إلى التشاؤم وسوداوية الحياة

من قصص أزواج طيبين اقترنوا بزوجات خبيثات، أو العكس.

كما أنه ليس باستطاعة من له غرض في تزيين التدخين مثلا أن يبطل ما اتفق عليه الجميع من أن تعاطي التدخين مضر بالصحة، أو يشكك فيه؛ بعرض نماذج من عشرات الشباب المدخنين الأصحاء الأقوياء الذين لم ينل منهم التدخين شيئا مع طول تعاطيهم له.

٤-السلبية في التفكير؛ والتفكير السلبي هو الذي يميل بصاحبه إلى التشاؤم والسوداوية في النظر إلى الناس وإلى الحياة حاضرها ومستقبلها.

وهذا الخلل في التفكير يقود صاحبه في الغالب إلى اليأس والقنوط والإحباط، وطول الاكتئاب، ويجعله يغلب الحكم على الناس بالشر والفساد، ويبالغ في إساءة الظن بالآخرين، والشك في نواياهم ومقاصدهم، حتى ليظن أن وراء كل تصرف من تصرفاتهم مؤامرة، وأنه المستهدف بتلك المؤامرة؛ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (المنافقون:٤)، وإن وُهب نعمة ظن أن الناس بأسرهم حاسدون له، متربصون به، جاهدون في الكيد له والإيقاع به؛ وهذا من نكد العيش؛ لذا حذر الشرع من النظرة السلبية لعموم الناس؛ فقال النبي ﷺ: «من قال هلك الناس، فهو أهلكهم» (صحيح مسلم).

ونهى الله عن سوء الظن بالغير من غير موجب؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات:١٢)، ومن حكيم الشعر: قول إيلياء أبي ماضي:

**إن شر الجناة في الأرض نفس**
**تتوقى قبل الرحيل الرحيلا**
**وترى الشوك في الورود، وتعمى**
**أن ترى فوقها الندى إكليلا**
**أيهذا الشاكي وما بك داء**
**كن جميلا تر الوجود جميلا**

وعكس هذه النزعة التشاؤمية:

٥- النظرة المثالية للناس والأشياء، والمبالغة في التفاؤل، والإفراط في حسن الظن بالناس، والإغراق في الأحلام الوردية، ونسيان أن الحياة مليئة بالمصاعب والتحديات، وأن الإنسان مخلوق للابتلاء، وأنه معرض للمصائب والأخطار، والغفلة عن أن الناس بر وفاجر، وكريم ولئيم.

وصاحب هذه النظرة يتعرض لكثير من الصدمات والانتكاسات النفسية عندما يصطدم بالواقع، ويكتشف أنه على خلاف ما كان يظن أو يحلم، وقد لا يستطيع الصمود أمام صدمة الواقع القوية، كما يكون عرضة لكثير من حيل وخدع المحتالين من الناس.

٦- التسرع والعجلة في إصدار الأحكام، وهو عدم التأني والتثبت عند الحكم على الناس والأشياء؛ فيحكم على الشخص قبل معرفته، وعلى الموضوع قبل الإحاطة به من كل جوانبه؛ وغالبا ما تكون أحكام المتسرع خاطئة، والنتائج التي يتوصل إليها غير سليمة؛ مما ينعكس سلبا على أفكاره وسلوكه وعلاقته بالناس.

٧- النظرة الأحادية؛ وهي النظر إلى موضوع التفكير من جانب واحد أو زاوية واحدة؛ كالتركيز على سلبيات رفيقه أو زوجه دون التفات إلى إيجابياته، أو السماع من طرف واحد في الخصومة، أو قراءة رأي واحد في الموضوع المختلف فيه، أو استخلاص حكم الشرع من نص واحد من نصوصه، أو نسبة رأي لعالم اعتمادا على ما قاله في موضع واحد من كتاب واحد من كتبه، أو التركيز على سبب واحد عند تفسير ظاهرة من الظواهر؛ كإرجاع تخلف بعض الشعوب إلى العوامل الذاتية فقط وإغفال الأسباب الخارجية أو العكس...

٨- النزعة التسويغية؛ ويقوم الفكر التسويغي أو التبريري على إحالة الأخطاء الشخصية والعجز الذاتي على أسباب خارجية تبرئة للنفس، وتهربا من تحمل المسؤولية عن القصور والتقصير الشخصي، وهذه النزعة ناشئة إما عن الغرور وظن الكمال الذاتي، أو انعدام الشجاعة على الاعتراف بالأخطاء والعجز الشخصي؛ فصاحب هذه النزعة دائما يحيل مسؤولية فشله على الآخرين، أو يلقي باللائمة على البيئة غير المساعدة على النجاح، أو يحتج بالقدر...

فالطالب الفاشل مثلا، إن كان من أهل هذا النزوع، تجده يلقي باللائمة على أساتذته أو أسرته أو ظروفه المادية

**الإستقامة والصلاح هما الحاسم في تحديد حياة الشخص**

الصعبة... ولا يتساءل مرة عما إن كان له دور ما في فشله، ولا يلتفت إلى الناجحين ممن يعيشون الظروف ذاتها، ويواجهون الإكراهات نفسها أو أشد...

وتجد الزائغ عن طريق الصلاح والاستقامة يبرر انحرافه بفساد الزمان، وكوننا في عصر يعج بالفتن، قد قويت فيه الشبهات وطغت فيه الشهوات، وعلا فيه صوت دعاتها، ولا نجد فيه على الإيمان معينا...

وقد نبه الله سبحانه بما قص علينا من القصص إلى أن الاستعداد الشخصي للاستقامة والصلاح أو عدمه هو الحاسم في تحديد طبيعة حياة الشخص نجاحا أو فشلا، استقامة أو انحرافا؛ فقص علينا نبأ امرأتين فاسدتين في بيئة صالحة؛ قطعا لعذر من يقول من أهل الكفر: لو كنا في بيئة خيرة لكنا من الأخيار؛ فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ (التحريم:١٠)؛ فهاتان امرأتان عاشت كل منهما في بيت نبوة، وبيت النبوة هو أنظف وأصلح بيئة يمكن أن تساعد من يعيش فيها على الصلاح والاستقامة، ومع ذلك لم يفدهما ذلك في شيء؛ لغياب الاستعداد للاستقامة وتحمل تبعاتها لديهما.

وخبرنا نبأ امرأتين صالحتين في بيئة فاسدة؛ حتى لا يقول المؤمن: نحن في زمن فاسد، الغلبة فيه للشر وأهله، ولسنا نجد على الاستقامة والنجاح معينا؛ فقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم:١١-١٢)؛ وهاتان امرأتان نشأت وعاشت كل منهما في أفسد بيئة وأشدها انحرافا؛ تُكره من يعيش فيها على الضلال والانحراف إكراها، وتعاقب من علمت منه رغبة عن مسايرة فسادها عقابا غليظا، ومع ذلك وقفت كل واحدة منهما ثابتة ضد تيار الفساد، واستمسكت بالحق وحدها، وعاكست بيئة كافرة بأسرها، ولو سايرتا قومهما في ضلالهم بدعوى فساد البيئة وسطوة الشر وأهله وانعدام المعين على الخير؛ لما عذرهما ربهما، ولقيل لهما، كما قيل للأوليين: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾.

**الهوامش**

١- أخرجه ابن ماجه في، باب ما كره من الشعر، رقم (٣٧٦١)، وابن حبان في صحيحه، رقم (٥٧٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب الشاعر يكثر الوقيعة في الناس، رقم (٢١٦٥٩)، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ط. دار الفيحاء ودار السلام: ١٠/٦٦٣: «سنده حسن»، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٤٨٧).

٢- رحلة ابن بطوطة، ط. دار صادر، بيروت، ط.٣، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص ٢٢.

إدريس بحوت
مشرف تربوي، وباحث في علوم التربية والتواصل - المغرب

# البحث التربوي وعلاقته بترشيد الممارسات البيداغوجية الصفية (الديداكتيكية) (١)

يعد البحث العلمي بمفهومه الشامل، وفي جميع المجالات، بمنزلة الرافعة الأساسية لتحقيق التنمية الشاملة، وطنيا ودوليا. إذ نجد أن أي مجال كيفما كان نوعه؛ اقتصاديا، أو سياسيا، أو اجتماعيا، أو طبيا، أو تربويا، مرتهن تقدمه بمدى تقدم البحث العلمي نفسه الذي يستمد منه روحه ومدده.

وإلا، فكم من قطاع/مجال فقد مكانته وتوقف عن التطور والاستمرارية. وكم من مجال لم يبرح بعد نقطة الإقلاع بعد طول مدة، وتوالي الانتظار. وكم من قطاعات حيوية فقدت أنفاسها وأسلمتها «هدية مجانية» لبراثن التخلف والتدهور والتأزم؛ بسبب تفريطها في جانب البحث العلمي.

ذلك أن البحث العلمي إنتاج لـ«المعرفة» و«النظريات»، التي تعد حلولا لإشكالات عالقة، وأجوبة عن تساؤلات تؤرق الإنسان، وفرضيات تسعى إلى رفع اللبس وتبسيط الإشكالات.. التي تقض مضجع «الباحث» المهموم والمتبصر.

ويمكن اعتبار هذا «الإنتاج المعرفي» بمنزلة «روح» يحيا بها سائر المجتمع؛ والمجتمع الذي لا ينتج مجتمع ميت، ومآله آيل لا محالة إلى الدمار والخراب. لذا، فلا غرو أن نجد في التراث والفكر الإسلاميين محطات مشرقة، عاشت النور وفي النور ونشرت النور الذي أضاء لها دروب الجهل. وأخرى خافتة ومظلمة.. عاشت في دهاليز الضلال لما فقدت قبس البحث العلمي المضيء.

كما لا نعجب أن وجدنا مجتمعات غربية، قديما وحديثا، سطع نورها، وامتدت حضارتها حين تمسكت بزمام البحث العلمي؛ بحثا، وتدريسا، ومدارسة، ومحاضرة، ومناظرة، وتنظيرا، وتأليفا. فتألقت، وهي على ملتها الصريحة التي تخالف الأوامر الإلهية، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران:١٩) وأحرزت قصب السبق، ومازالت، في ميادين شتى، وأنحاء تترى.

إذن، فحضور البحث العلمي يقدم أمما إلى تسنم الدرجات، وغيابه أو تغييبه يدليها إلى أدنى الدركات، فالمسألة متأرجحة بين الربح والخسران، ومتعلقهما لا يعدو أن يكون الحضارة و/أو الإنسان.

إذا كانت هذه النتيجة المنطقية مسلم بها للبحث العلمي بشكل بدهي ومطلق، فالأمر ينطبق أيضا على البحث التربوي؛ إذ إنه لا يقل أهمية عن البحث في الطب أو الإدارة، أو السياسة، أو الاقتصاد، أو الاجتماع.. بل يعد في نظرنا هو أولى أنواع البحوث التي وجب البدار إليها بالرعاية والاهتمام والمدارسة. وأهميته القصوى تتجلى أساسا في النظر إلى كونه مترابطا بالإنسان الذي يعده ويصنعه ليقود السياسة والاجتماع والاقتصاد والطب.. إلخ

فالطبيب، والمهندس، والسياسي، وعالم الاجتماع.. قبل أن يتوج بالصفة، هو خريج المنظومة التربوية، ووشائجه موصولة بالمدرسة العمومية/الأهلية التي يعد إنتاجا لها، ومخرجا من مخرجاتها. ولذلك، فكلما كان «المخرج/المنتوج» سليما، بالمفهوم العميق لمدلول السلامة، كانت «صيغة الصفة» متماهية مع حال الموصوف، وسرت فاعليتها، وانتشر مفعولها وجدواها رويدا رويدا في شرايين المجتمع، سريان العلاجات الطبية السليمة في عروق الجسم.. فأنتجت السلامة البدنية والعقلية والروحية.. لإعداد الإنسان «الحفيظ العليم». تحقيقا للوصف القرآني اليوسفي: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٥٥).

والمنظومة التربوية في جوهرها هي





جهاز نسقي متكامل، يشتغل وفق ضوابط وتصورات، وباعتماد آليات ومقاربات. ففي الشق التصوري؛ نجد مجمل الغايات الكبرى للدولة التي تعرف بالسياسات التربوية. غير أن هذه السياسات هي نظرية. لذا، تم الاحتياج إلى الآليات والمقاربات البيداغوجية والديداكتيكية لتنزيل التصورات، وتطبيق السياسات؛ وهو الشق الثاني الذي تتوقف عليه أي منظومة تربوية لتجسيد المعنى المطلوب لها لدى الدولة التي ترسم سياساتها.

وكلا الشقين في المنظومة التربوية (المنهجي التصوري، والمنهجي التنزيلي) يتوقفان على نتائج البحث التربوي وأدبياته.

فالدولة، أي دولة، التي تخطط لسياساتها التربوية في معزل عن نتائج البحث التربوي، وعدم إشراك الخبرة التربوية لأهل الشأن من أطر وخبراء وباحثين في التربية، ستكون سياساتها



## الإرتباط وثيق بين الممارسات الصفية والبحوث التربوية

مختلة وشوهاء معوجة ومفتقرة لأسس وضوابط التخطيط والبناء .. ومعرضة للتلف، تماما مثل اقتناء لباس جاهز للغير دون مراعاة المقاس وخصوصية المستفيد.

كما أن الممارس البيداغوجي والديداكتيكي الذي يظل حبيس حجرته الصفية، ولا ينفتح علميا على الساحة العلمية والتربوية.. للإفادة من مستجدات البحث التربوي، ونتائج الأبحاث السلوكية والنفسية.. سيجهد نفسه، ويجني على أبناء الأمة الذين أنيطت بكاهله مسؤولية تنشئتهم وتربيتهم. وسيعيق، في نهاية المطاف، ولو بشكل غير مباشر، عجلة التنمية للدولة، وإفشال سياستها التربوية الرشيدة والسديدة. بمعنى أن عدم ترشيد الممارسات الصفية أخطر معيق، وأقوى معول للحط من المنظومة التربوية مهما بلغت من الريادة والكمال على المستوى الفلسفي.

وبالمقابل، فإن الممارسات الصفية التي تمتح دوما من الدراسات التربوية والسيكولوجية، غالبا ما تتسم بالرشد والرشاد في المبتدى والمنتهى.

ونظرا لأهمية هذه الممارسات في علاقتها بالبحث التربوي، واستحضارا لخطورتها في نفس الآن، وانطلاقا من الخبرة الميدانية في التدريس والإشراف التربوي، فإننا نؤكد على أنه لترشيد الممارسات الصفية داخل حجرات الدرس، ولتجويد المنتوج التربوي، وبناء الكفايات والمواصفات المطلوبة في الخريجين، فإنه لا مناص من التفكير في السبل الكفيلة، والمناهج السديدة لتيسير استثمار نتائج الأبحاث والدراسات النفسية في المنظومات التربوية والسياسات التربوية داخل الوطن العربي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، وحتى يكون البحث التربوي ذا جدوى وفاعلية، وأمرا ميسرا يقبل عليه المدرسون والطلاب، تنبغي إعادة النظر في كثير مما يكتب ويؤلف وينشر؛ لأن معظم الأبحاث التربوية الرائجة في الوطن العربي، حسب علمنا واهتمامنا، تعتورها عدة إشكالات؛ أبرزها: البعد النظري الموغل في التفلسف؛ إشكال التناول المنهجي في التأليف، الذي تولد عنه إشكال التناول في التدريس؛ إشكال تحرير المصطلح التربوي؛ إشكال الترجمة والنقل إلى اللغة العربية؛ التناول الهامد لمباحث ومفاهيم علوم التربية؛ إشكال الملاءمة والوظيفية في علاقتها وتكييفها مع الواقع الاجتماعي والتربوي والممارساتي.

إن تضافر هذه الاختلالات المتعددة لمن المعيقات التي أحالت دون الإفادة والاستفادة من قضايا علوم التربية وعلم النفس التربوي في السياسات التربوية داخل الوطن العربي عموما، وفي الممارسات البيداغوجية الصفية على وجه الخصوص.

**الهامش**

١- الديداكتيك: يقصد به علم التدريس في شقه التطبيقي العملي داخل حجرة الدرس.

التحرير

### خرجا في سبيل الله فاغتالتهما يد المطموسة قلوبهم

# العلي والحسيني شهيدا الدعوة




فقدت الأمة الإسلامية «عموما» والكويت «خصوصا» خامة علمية رائدة، نالت منها يد الغدر فوقع الخبر كالصاعقة على القلوب، فهد النفس، وأجرى العين؛ حيث توشحت الكويت بالحزن في داعية من أبرز دعاتها؛ الأستاذ الدكتور وليد محمد عبد الله العلي، العميد المساعد في كلية الشريعة بجامعة الكويت، وإمام وخطيب مسجد الدولة الكبير، والداعية الهمام نائب مدير نيابة الأسرة الشيخ فهد الحسيني اللذين غيبتهما يد الإرهاب الآثمة في العاصمة «واغادوغو» بجمهورية «بوركينافاسو»، خلال وجودهما في مهمة دعوية خيرية.

كانا رحمهما الله عازمين على الوصول فوصلا، جريا في مضمار العلم وجابا الآفاق وتتبعا الأعماق.

أما الشيخ العلي فقد أتقن الأصول، وأحكم الفصول، كان رحمه الله في العلم والفضل والتقى كالحصن المشيد والذخر العتيد، وكان في الفتن من أمتن الناس حبالا وأرسخها جبالا، فما وافق الكتاب والسنة نصح، وما خالف دفع.

وكان رحمه الله في جميع أعماله منظما دقيقا، وبمن يعمل معه لطيفا رفيقا، يظن كل من يقابله بأنه صديقه المقرب.

ويرى المراقب لردِّه فعل الناس عند سماعهم خبر وفاته أن هذه الشخصية الفذة من الشخصيات التي أجمع الناس على محبتهم رغم تعدد مشاربهم واختلاف تياراتهم، فلا يذكره الذاكر إلا بخير، بل وينبري كل واحد منهم ليذكر موقفا لطيفا أو خلقا منيفا رآه أو عايشه معه.


رئيس التحرير السابق يتوسط د. العلي ود. الطاهر خذيري

**الدكتور وليد العلي إمام المسجد الكبير بالكويت وأحد أعمدته**

لقد ترك الفقيد تراثا من الأعمال الرائدة إضافة إلى عمله الجامعي الأكاديمي؛ فكان رحمه الله من المؤسسين لجائزة الكويت الدولية للقرآن الكريم وقراءاته وتجويده وتلاوته منذ ثمان سنوات، إضافة إلى مشاركاته الفعالة في العديد من اللجان التخصصية بوزارة الأوقاف خصوصا، وبجامعة الكويت وغيرها عموما، كاللجنة الخاصة بالوظائف الدينية، ولجنة اختبارات الأئمة والمؤذنين.

لله دره، كان إضافة على ما ذكر من المناصب الإدارية باحثا سمت همته


شيخ الحنابلة عبدالله العقيل يتوسط د. عبدالمحسن الخرافي ود. العلي

في التأليف والتحقيق، فترك للأمة ثمرة جهوده، حيث خص مجلة «الوعي الإسلامي» بثمرة يانعة من ثمرات علمه وهو كتابه الموسوم بـ: «جواب العلامة السفاريني على من زعم أن العمل غير جائز بكتب الفقه لأنها محدثة» وهو من أروع كتبه وأهمها، حيث يناقش هذا الكتاب موضوعا لا يخوض في غماره إلا طالب علم متمرس نحرير، حيث قال رحمه الله في افتتاحية التحقيق: «فقد اقتضت حكمة الله سبحانه أن ضبط الدين وحفظه، بأن نصب للناس أئمة مجتمعا على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى».

وقد خص أيضا - رحمه الله - مجلة «الوعي الإسلامي» بالعديد من المساهمات العلمية، منها مقاله الرائد الموسوم بـ: «الوصايا المهمة المأثورة عن حكيم الأمة»؛ حيث استهله رحمه الله بقوله: «اعلموا رحمني الله وإياكم أن مما يرقق الطباع، فيعظ القلوب ويشنف الأسماع، ويدعو أصحابها إلى الاتباع ما جاء في وصايا السلف التي هي من أجل المواعظ التحف، وحسبنا من وصايا السلف التي تعلي الهمة، وصايا ومواعظ حكيم هذه الأمة الذي هو أول قضاة الشام، وصدر قرائها الأعلام وخير له من هذه الفضائل العظام، حسن صحبته لخير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، إنه عامر الأنصاري الملقب بـ: «عويمر»، أحد رجالات الخزرج الفضلاء، المعروف والمشتهر بكنية أبي الدرداء، فدونكم هذه الوصايا والمواعظ والحكم الذاخرة، التي تصلح لمن اتعظ بها شؤون الدين والدنيا والآخرة».

### نذر شبابه للدعوة

وأما الشيخ الحسيني فقد ذكره الشيخ وليد عبدالله الغانم بقوله بعد الحادث:

**القاضي فهد الحسيني بنيابة الأسرة نذر حياته للدعوة**

«لا أدري ما الذي عمله الحسيني في السر في حياته حتى يشهره الله سبحانه بالخير بعد وفاته».

قليلون هم الذين يعرفون فهد الحسيني، وحتى من عرفه فلا يدري عنه أنه حافظ وخاتم للقرآن الكريم، وذو صوت شجي، وقليلون هم الذين يعلمون أن فهدا نذر شبابه للدعوة داخل الكويت وخارجها، واختار أصعب مواطنها وأشقها في إفريقيا، قليلون الذين يعلمون أن فهدا كاره للأضواء والشهرة، ولا يتحدث عن أعماله، وقليلون هم الذين يعلمون أن فهدا رغم وظيفته في السلطة القضائية فإن ذلك لم يمنعه من استغلال وقته باقي اليوم في تعليم أبناء الجاليات والوافدين في المعهد الديني دروس الفقه والعقيدة، وقليلون هم الذين يعلمون أن فهدا يخصص جزءا من إجازته السنوية للسفر إلى مجاهل إفريقيا لمتابعة أعمال الخير والدعوة إلى الله سبحانه.

وأضاف الغانم: «إن للعمل الخيري والدعوي والتطوعي رجالا ونساء وشبابا وبنات من أبناء الكويت، صدقوا الله في قولهم وعملهم، وبمثل أولئك تفتخر الكويت وترتفع رايتها على الكرة الأرضية، وندعو الله سبحانه أن يجعل الحبيبين وليدا العلي وفهدا الحسيني من هذه الزمرة الفالحة، وأن يتقبلهما عنده من الشهداء، والله الموفق».

### قصة شهيدين

«اليوم هو يوم الجمعة الذي يوافق العشرين من شهر ذي القعدة عام (١٤٣٨) من هجرة النبي ﷺ، الموافق للحادي عشر من شهر أغسطس (٢٠١٧م) وفي مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في «كوناكري» عاصمة جمهورية غينيا، شرح الله صدر هذا الأخ للإسلام».

كانت تلك هي الكلمات الأخيرة المسجلة التي قالها إمام المسجد الكبير الراحل الدكتور وليد العلي بعدما هدى الله على يديه شخصا جديدا للإسلام.

وفي يوم الأحد الذي يوافق الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة عام

(١٤٣٨) من هجرة النبي ﷺ، الموافق للثالث عشر من شهر أغسطس (٢٠١٧م) وفي أحد المطاعم التي تقع في مدينة «واغادوغو» عاصمة بوركينا فاسو حجبت غشاوة الضلال قلبي قاتلين استهدفا الآمنين برصاص الغدر ففقدت الأمة الإسلامية فقيدين جديدين من خيرة رجالها.

### العلي في سطور

الدكتور وليد العلي هو إمام وخطيب المسجد الكبير في الكويت، وأستاذ الشريعة والدراسات الإسلامية، حفظ القرآن الكريم قبل نحو (٢٨) عاما، والتحق بكلية القرآن الكريم في المدينة المنورة، وكان أول كويتي يتخرج في هذه الكلية، ودرس علوم القراءات والتفسير، وأكمل الماجستير والدكتوراه في قسم العقيدة.

وقرأ الشيخ العلي القرآن على مجموعة من المشايخ والعلماء؛ منهم: الشيخ يوسف محمد شفيع، والشيخ عبد الحكيم خاطر، عضو لجنة مراجعة المصحف في مجمع الملك فهد، كما قرأ على الشيخ عبد العزيز الزيات، رحمه الله.

وكان صاحب خطب مشهورة، وخاصة في المناسبات والمواقف، التي كان يشدد فيها على طاعة الله ورسوله، والعمل على حفظ الوطن من كل المخاطر، والدعوة إلى الوحدة الوطنية.

### الأوقاف تنعي

أعلن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية محمد ناصر الجبري أن حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه أصدر أوامره بإطلاق اسمي الشهيدين إمام المسجد الكبير الشيخ الدكتور وليد العلي والشيخ فهد الحسيني على مسجدين جديدين في الكويت.

وقال الجبري في تصريح صحفي:



صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الصباح متأثرا بفقدان شهيدي الدعوة

«إن عزاءنا في الفقيدين أنهما خرجا من الكويت إلى أقصى الغرب الإفريقي لنشر العلم الشرعي وما أخرجهما إلا الدعوة إلى الله تعالى ونشر دينه الصحيح في ربوع الأرض».

وأضاف الجبري: «تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ الاعتداء الآثم على دعاة أبرياء ذهبوا لتقديم دورات شرعية لتعليم المسلمين أمور دينهم وآلمنا المصاب في داعية من أبرز دعاة الكويت علما وجهدا في الدعوة داخل الكويت وخارجها وهو الدكتور وليد العلي». مؤكدا أن الكويت ستظل منارة للوسطية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة من خلال أبنائها الأوفياء.

وقد أصدر الجبري توجيهات بتسمية مبنى المركز الثقافي في المسجد الكبير المخصص لدعوة الجاليات وتحفيظ القرآن والدروس الشرعية باسم الدكتور وليد العلي.

ونعى وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والأمين العام للجنة العليا لتعزيز الوسطية المهندس فريد أسد عمادي الفقيدين وعدد الكثير من مآثر إمام وخطيب مسجد الدولة الكبير الدكتور وليد العلي قائلا: «فقدنا بحق داعية متميزا في دعوته ومتفردا في جهوده معروفا بوسطيته وفكره المستنير ولعل من أمارات حسن الخاتمة أن الفقيدين الداعيتين لقيا ربهما وهما قد خرجا في سبيل الله ما أخرجهما إلا الدعوة لدين الله وقد بشر الرسول ﷺ أمثالهما بقوله: «إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله، قالوا: وكيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته».
(رواه أحمد).



د. العلي وعلى يساره د. محمد مندكار والجيلاني وعلى يمينه باحث الوعي الإسلامي تركي النصر

### مواقف

قال الداعية الأستاذ الدكتور خالد المذكور « زاملت الشيخ وليد العلي فترة قبل تقاعدي من الكلية، ولمست فيه سمت العلماء ومسلك الدعاة هو وتلميذه فهد الحسيني، فقد فقدت الكويت بوفاتهما عالمين جليلين نشيطين في قمة عطائهما وصالح أعمالهما.

وعلق القارئ والإمام الشيخ فهد سالم الكندري على استشهاد الداعية الدكتور وليد العلي بقوله: «شيخي وزميلي في المسجد الدكتور وليد العلي رحمه الله دائم السفر في سبيل الله لا يكل ولايمل دائم الابتسامة أسأل الله أن يتقبله من الشهداء».

وقال القارئ والمنشد المعروف مشاري راشد العفاسي: «إنا لله وإنا إليه راجعون لا تكاد الدنيا تصفو لأحد حتى صارت مراثينا أكثر وأصدق أشعارنا، رحم الله الشيخ الدكتور وليد العلي والشيخ فهد الحسيني».

وقال المهندس عبدالله العلي شقيق الشهيد الدكتور وليد العلي في تصريح له: «إننا لا


جانب من تشييع جنازة الفقيدين

نقول إلا ما يرضي الله، والحمد لله رب العالمين، ولا اعتراض على قدره، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا أمر الله وليس هناك أفضل من الشهادة، ونحتسبهما عند الله من الشهداء».

وقال: «إن العمل التطوعي في الكويت لم يأت من فراغ وإنما استكمالا للدور الذي يقوم به والدنا صاحب السمو الأمير قائد الإنسانية الذي خصص طائرة أميرية لنقلنا والعودة بالجثامين، مشيرا إلى أن الشهيد الدكتور العلي له (٣) أولاد و (٣) بنات، وقد غادر إلى بوركينا فاسو قبل أسبوع وكان يتواصل معنا عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكان يطلعنا على جهودهم الدعوية، ومن ذلك الفيديو الذي انتشر للشهيد الدكتور العلي ومعه أحد المسلمين الجدد يشهر إسلامه».

وقال براك شقيق الشهيد فهد الحسيني: «إن الفاجعة كانت كبيرة، لكن ما يسعدنا أنهم شهداء عند رب العالمين، وهذا الأمر مصدر فخر لنا نحن، مؤكدا أن الشهيدين كانا في رحلة لإنجاز عدد من الأعمال الخيرية لكن يد الشر المتمثل في الإرهاب امتدت إليهما لتغتالهما، لكن لن تستطيع أن تؤثر على العمل الخيري الكويتي». وأضاف: «إن الشعب الكويتي لم يقصر معنا ووقف وقفة يشكر عليها وهذا ليس بجديد على هذا الشعب الذي يعد مثالا يحتذى».

وقال يوسف العوضي أحد أقرباء الشهيد فهد الحسيني: «لقد كنت وفهدا نعمل في الجهاز القضائي وكنا دفعة واحدة تربطنا علاقة قوية، حيث نجلس في ديوانية واحدة ونسافر معا، وهو من اقترح علينا أن نمضي العشر الأواخر من كل عام في الحرم المكي». مضيفا: «أن الشهيد فهدا كان مشهودا له بحسن الأخلاق الحميدة وكان يعشق العمل الخيري والتطوعي والدعوي».

هذا وتنتهز مجلة «الوعي الإسلامي» هذا الحدث الجلل لتقديم أبلغ عبارات التعازي وأصدقها للأمة والكويت عامة، ولأسرة الفقيدين وذويهما خاصة قائلة لهم: «إنا لله وإنا إليه راجعون، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، تسليما لمن له الخلق والأمر، وصبرا على هذا المصاب الذي أورث في القلب تزايد الجمر، فقرح الجفون، وأسال العيون وإن الفقيدين قد نزلا في جوار الكريم، فلله الخلق والأمر، وليس إلا الصبر والأجر، هذا والموت منهل لابد من وروده، ومحضر لابد من شهوده، ورسول لابد منه، وأمر لا محيص عنه، ورحم الله من قال:

**وما هذه الأيام إلا مراحل**
**يحث بها حاد من الموت قاصد**
**وأعجب شيء لو تأملت أنها**
**منازل تطوى والمسافر قاعد**



أحد مؤلفات د. وليد العلي

أ. د. عبد الله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

# ما القراءة ولماذا تتعدد وما فوائدها وأهدافها؟ (٢)

**أولا: ابتسار**

**القراءة فعل معرفي تنويري قصدي ينشأ لدى الأفراد والجماعات سعيا إلى التطور والانتقال من حال إلى أخرى، كما ينتقل النضج في الفاكهة. إنها تبادل الحديث بين القارئ وبين الكاتب الذي اجتهد في جمع واصطفاء معلومات وخبرات كابد عرق القربة في العثور عليها ليقدمها للقارئ في أبهى صورة تضمن لها إحياء العقول والقلوب؛ بما تبسطه من جواهر ونفائس وملتقطات توسع الرؤية، وتحرض على التغيير الذي يفضي إلى تحقيق انتصارات، تولد الأمل في إدراك حياة فضلى تثبت الحضور الفعال في صناعة المعارف التي تجعلنا نغطس في منجزات العقل البشري لانتقاء المغزى داخل التعدد الدلالي، الذي يجعل الذات القارئة، ذات متغيرة بعد أن وقعت في روض دمث أذفر، بأزاهيره المتنوعة، وروائحه العطرة التي تجعل فعل القراءة «غير قابل للسيطرة عليه في الواقع... لأن العلامة اللغوية مكان للغموض الثابت بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي، فالقارئ وهو يواجه النص، لا يعرف بيقين تام هل يجب عليه أن يؤسس تأويله على البنية النحوية للجملة، أو على البنية البلاغية؟» (١)، فمثلا عبارة: «المال والأبناء زينة الحياة»، يمكن أن نفسرها ظاهريا بأن المال والأبناء يجعلون الحياة زاهية مترفة مبهجة، ويمكن أن نؤول العبارة بأن المال والأبناء مجرد أعراض زائدة يمكن للحياة أن تعاش من دونهما لأنهما مجرد زينة، ومعلوم أن الزينة يمكن الاستغناء عنها من دون أن يختل نظام الحياة، إذ الحياة من دون المال والأبناء مثل المرأة العاطل عن الحلي.**

## ثانيا: لماذا تتعدد القراءة للنص الواحد؟

يجب أن نقرر مطمئنين أنه عندما تكون الكتابة علمية تحمل مضمونا معرفيا محددا، ولا «تهتم بالانتقاء، لأنها لا تعنى بالاعتبارات الوجدانية، فتقلع عن جمال النحو بعلائقه المؤثرة، كما تقلع عن جمال الصرف الذي يعطي الصيغة الفاعلية الجمالية، وتتجاهل الفروق الدقيقة بين المفردات، كل ذلك لأنها كتابة مباشرة لا تخاطب الشعور، والمفردة في مضمارها إن هي إلا وسيلة لمخاطبة العقل مباشرة» (٢)، فإن وظيفة القراءة تقتصر على الكشف عن مضمون النص وصياغته في موقف محدد، أو في أطروحة تكون سجينة الحروف والكلمات والجمل والفقرات؛ ومن ثمة فإن هذا النوع من النصوص لا يتطلب من القارئ سوى البرهنة على ممارسة الفهم والتفسير والمناقشة اعتمادا على قواعد محددة لا يختلف فيها اثنان، فتغدو القراءة واحدة ووحيدة، تفضي إلى حقيقة مقررة يجب العثور عليها.

أما عندما يكون النص خذروفيا يقيم أسلوبه الجمالي على الغرابة، وتتوارى فيه المعاني لتصبح مجرد تظاهرة لشيء آخر، فإنه يجب إدراك صعوبة أن النص لا يقول حقيقته كاملة؛ لأن مشاهده المتخيلة تدعونا إلى السفر المدهش الذي يخالف رؤيتنا العادية للحياة، وأن صوره الفنية تتجاوز المألوف، وأن الألفاظ والعبارات المجتنة لا تتمتع بمعنى محدد، ولكن بوظائف تولد علاقات لغوية جديدة تتجاوز الظاهر لتخلق دلالات إيحائية، وعندما يرى الأديب «أن المفردة كائن حي ودلالة حيوية، تقوم بوظيفة نقل المشاعر في صيغ مغايرة للاستعمال المعهود، ولا تنتهي غايته عند صياغة الفكرة فقط، بل عند بث الروح في ثنايا الكلمات، فتغدو بدائل عنه، وهذه المعايشة بين المفردة والمبدع تحتاج إلى وقفة ذوقية لأجل عملية الانتقاء، لأن الكلمة سترسم صاحبها بملامح جسدية، وملامح ذهنية في سجل خيالي، وهذا ما يحوجه إلى التأمل في المفردة قبل وصولها إلى النص، فيغربل المفردات لأنه يخشى زللها» (٣)، فإن البعد الجمالي اللافت للنص هو الذي يشرعن تعدد القراءة وحجيتها على الشكل الآتي:

- لأن النص يحتاج إلى قارئ نهم يوقظ فيه الحياة، ويفتح خزائنه لعرض مكنوناته، وينبه على مواطن الخبء فيه، ويعقد القران بين بلاغة الكلمة وبين جمال الصور والأساليب القائمة على

الإغـراء والاسـتهـواء، وليس إلـى قارئ يكتفي بالقبض على أنصاف الحقائق. ولـهـذا كـان «جـون بـول سـارتـر» يؤكد أن النص خـذروف غريب لا يوجد إلا بالحركة، ولابد له من فعل ملموس هو القراءة.

- لأن النص المكتنز بالعبارات الشائقة والألفاظ المزمومة النابضة بالحياة؛ لا يسلم نفسه للقارئ بسهولة، إنه بحاجة إلى قارئ مترهي حاذق بأسرار العبارات، نقاب عن الـدلالات التكاثرية المنفلتة للفظة الأدبية التي تخالف الوضوح التام، لأن الكلمة عندما تترك ساحتها لتوظف فـي ملعب الجـمـال الأدبـي؛ تتمرد عل الدلالة المركزية لصالح دلالات هامشية فرعية أنقى وأبهى وأخـف. ومـن أجل هذه البلاغة الراقية التي لا تدانيها ولا تساميها بلاغة بشرية، قيل بأن القرآن الكريم حمال أوجه، كما قيل: من أراد العـلم فليثور الـقـرآن، أي فليستوش حقيقته وليفتش عن معانيه.

- لأن الـقـراء عـديـدون، فهناك القارئ العادي الذي يكتفي بالتقبل السلبي من خلال العثور على المعنى الخطي الذي يطفو على سطح الكلمات والجمل، والقارئ الناقد الذي يستعين بالأدوات المنهاجية لتحليل النصوص رغبة في العثور على المعاني الخفية التي تحجبها الطبقات الأسلوبية التي يلتجئ إليها الكاتب العنكبوت، وهناك القارئ الكاتب الـذي ينتج نصا مـوازيـا لنص المؤلف، ناهيك عـن ارتـبـاط الـقـراء بظروفهم النـفـسـيـة والـثـقـافـيـة والاجتماعية والدينية، مما يجعل التباين في القراءة يطول الـقـارئ الـواحـد فـي مناسبات مختلفة، ولهذا اقـتـرح «ميشال بيكار» أن نعثر في كل قارئ على «ثلاث هيئات جوهرية وهي: الذي يقرأ (Le liseur) وما قرأ (Le lu)، والهيئة الناقدة (Le lectant)، ولقد عرَّف الذي يقرأ: بأنه ذلك الجـزء مـن الإنـسـان الـذي يمسك الكتاب بين يديه، فيحافظ على الصلة مـع العـالـم الخـارجـي، وحـدد مـا قـرأ: بأنه الوعي الباطن الكامن في القارئ، وهـو يـتـفـاعـل مـع البـنـى الاستيهامية (Fantusmatiques) الـواردة في النص. أما الهيئة النـاقـدة: فهي هيئة الترصن النقدية التي تهتم بتشعبات الأثر الأدبي. وهكذا تبدو القراءة عملية معقدة متشعبة بين مستويات ثلاثة من العلاقة مع النص» (٤).

أما «رولان بارت» فيتحدث في كتابه «لذة القراءة» عن أربعة أنواع من القراء غايتهم البحث عن مكامن اللذة في النصوص. على هـذه الشـاكـلة: الـقـارئ المهووس، والقارئ الهستيري والقارئ الـذي ينتج على هـامـش الـنـص نـصـا هـذيـانيـا، ثم الـقـارئ الـذي يتلذذ بأماكن معينة في جسد النص. وعلى العموم يمكن النظر إلى اختلاف القراء على هذه الشاكلة:

١- القارئ العادي الذي يكتفي بالعثور على المعنى الخطي البـارد الـذي يظهر على سطح النص.

٢- القارئ الانتقائي وهو الذي يحرص على اعتيام واصطفاء الأدوات المساعدة على إدراك المراد من القراءة، إنه قارئ ينـصـرف إلـى نـوع محـدد مـن الكتب: (سياسية أو دينية أو أدبية أو علمية أو سردية...) مكيفا قراءاته حسب الحاجة والوقت ودواعي الفهم والتحليل لعناصر مـحـددة فـي الـنـص تـكـون هـي الموجهة لأهداف القراءة.

٣- القارئ المهووس الذي يتلذذ بإنتاج خطاب مواز للنص، هو بمثابة نص آخر على هامش النص المقروء.

٤- الـقـارئ المـاهـر، وهـو الـقـارئ الناقد العليم الذي يمتلك معرفة علمية ولغوية وفنية ثم منهجية قـادرة على التحاور مع النص، وعلى كشف شرائط إنتاجه، ناهيك عن خدعه الفنية التي تحجبها الطبقات الأسلوبية التي يتستر خلفها المبدع، الذي يحرص على إخفاء أدوات الزينة اللفظية والمعنوية والتصويرية التي بحوزته.

ولكي تكون الحجة أوضح، والبرهان على تعدد الـقـراءة باختلاف الـقـراء وتباين مفاهيمهم المرجعية أظهر، واليقين أن ما يبلغه فهم قارئ عادي، دون ما يدركه قارئ عارف بأسرار الكلام أجلى وأكمل، أكتفي في هذا المقال بعرض أمثلة تظهر اخـتـلاف الـقـراء فـي إدراك مكنونات النصوص على شاكلة هذه العبارة: «فـلانـة خـرسـاء الأسـاور». لا ريـب أن هذه العبارة التي تقوم على الكناية، لم تقع مستقصاة من لدن القراء، فهناك من اكتفى بتفسير خطي بارد باهت لا يبلغ كنه العبارة قائلا: الأنثى أساورها لا تخشخش، ولا تحدث رنينا. وهناك من القراء من جاء بقبائل من الرأي في الشرح والتعليل منتهيا إلى ما يظنه المراد، مؤكدا أن أساور هذه المرأة صامتة لأنها ثابتة في مكانها لا تتحرك لكي تحدث أساورها وسوسة. أما الـقـراء الحذاق لأسـرار العربية، الـذيـن قلبوا الألفاظ والمعاني على بصر وتمكن حتى أدركوا من أين تلوى عروة اللفظ، وغاصوا في البحث عـن معقد المعنى الخفـي، فقد قـالـوا فـي تـأويـل العـبـارة: فـلانـة بدينة مكتنزة ممتلئة هيفـاء. وهـي لعمري عبارة كان يراد بها مدح المرأة لأن نموذج الجمال في المرأة عند الإنسان العربي لحظتئذ يتمثل في اكتنازها وامتلائها، ولهذا قال الشاعر رؤبة:

**ومن هَوَايَ الرُّجَّحُ الأثائث**

**تُميلها أعجازها الأواعِثُ**

لهذا يـبـدو أن الـقـراء متفاوتون في الغوص على معاني النص، منهم من اكتفى بملامسة القشرة والسطوح، ومـنـهـم مـن سـعـى كـل سـعـيـه فـي البـسـط والاسـتـقـصـاء، لكنه سقط فـي أخـذ المعنـى على غـره مـن دون إدراك غـوره، ومنهم الـفـارس المـاهـر بمدافن البراعة، الذي يري الناظرين حسا دقيقا وإحـاطـة واسعة وتجلية للمغزى بما يعجز الطوق، على شاكلة الصحابي ابن عباس الذي كان ماهرا فـي اسـتـنـبـاط دقـائـق المـعـانـي، التي لا يـمـكـن بـلـوغـهـا إلا بمـكـابـدة عرق الـقـربـة، كما تظهر الـحـادثـة الآتـيـة: عـنـدمـا نـزلـت سـورة «الـنـصـر» على سيدنا محمد ﷺ، سـأل عمر رضي الله عنه الصحابة عـن معنى الـسـورة، فكان جوابهم أن الله تعالى يدعو رسوله بـالإكـثـار مـن التسبيح والاستغفار، ويبشره بالنصر والتمكين، الذي يجعل الناس يسارعون في اعتناق الإسلام زرافـات وأفـواجـا. انطلاقا مـن هذا الفهم الخطي المباشر، التفت إلى ابن



عباس الذي لا تعتاص عليه مسألة من مسائل التأويل، ولا تحتجب عنه معرفة بأسرار القرآن الكريم، ولاسيما بعد أن دعا له الرسول ﷺ قائلا: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» - مستطلعا رأيه عن هذا الفهم الذي أدلى به الصحابة، فقال ابن عباس: إن مغزى السورة يتمثل في نعي الرسول ﷺ، إذ ليس بعد التمام إلا النقصان. وعند ذلك قال عمر بن الخطاب: والله لا أفهم منها إلا ما ذكرت.

وكما أن الورد في الأكمام مجهول الشذا، لا يظهره إلا الفرك والحركة ليفوح أرجه، كذلك النصوص تحتاج إلى عمليات الكر والفر، ومعرفة قوانين تشكلها، مع التقاط الإشعاعات الساطعة التي تنبض بها ألفاظها التي قد يلتبس معناها على القراء على شاكلة الآيتين القرآنيتين الآتيتين: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن:٦) وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٣) إذ إن الذين لم يترعوا في الثقافة التراثية، والذين لم يؤتوا بلاغة فهم سياق الكلام وارتباط الألفاظ بعضها ببعض، يكتفون بالقول: إن النجم المقصود من الآية هو الكوكب في السماء، وأن الزمهرير في الآية الأخرى هو البرد الشديد؛ لكن عند التدقيق والتقصي، والإطاحة بالاحتمالات غير المناسبة للسياق، واستحضار المخزون المعرفي والثقافي، وارتباط الكلام بعضه ببعض، يظهر أن التفسير الأول للآيتين الكريمتين لم تتسع منادح النظر عند أصحابه لإدراك دور السياق في رفع اللبس عن كلمة «النجم» التي تعد من المشترك اللفظي، الذي لم يعد المجتمع اللغوي المعاصر يستعمل لها سوى معنى الكوكب في السماء، أما معنى النبات الذي لا ساق له، فقد أماته المجتمع اللغوي، ومن ثمة لا نعثر على المعنى الثاني للفظة إلا في حدود ضيقة جدا، مثل النص القرآني والشعر العربي القديم، على شاكلة قول الشاعر:

**أراعي النجم في السير إليكم**
**ويرعاه من البيدا جوادي**

أي ويرعى جوادي النجم من البيداء. ومعنى هذا أنه لا ينبغي في أثناء الشرح والتفسير الاكتفاء بالخدمة التي يقدمها لنا المعجم، وإنما على نباهة وفطنة القارئ، الذي يتجاوز المعرفة اللغوية التي تظهرها الكلمات المعزولة عن السياق، إلى المغزى الذي ترشد إليه عمليات الكر والفر السياقية والدلالية والثقافية والفنية؛ بغية الدخول إلى تضاريس النص لاكتشاف قوانينه النصية القائمة على التوازي الصوتي والمعنوي بين أربعة مكونات: اثنان في السماء وهما: «الشمس والقمر» وآخران في الأرض وهما: «النجم والشجر» وبهذا يتضح بجلاء أن الدراية بطرائق رصف الكلمات، والمعرفة بالسياق وبالعناصر الثقافية والفنية، هي التي تضمن لنا الفهم الدقيق لمغزى النص. وقل الشيء ذاته بالنسبة إلى الآية التي ورد فيها لفظ «الزمهرير» الذي يدل بدوره على معنيين: البرد الشديد، واسم من أسماء القمر. ولكي نضبط المراد من الآية، لابد من الانتقال من الفهم العرفي، إلى فهم آخر ترجمه شواهد خارجية يضيفها القارئ، اعتمادا على السياق الذي

يتحدث عن الجنة التي ليس فيها ليل ولا نهار، بخلاف الحياة الدنيا، ومن ثمة فإن المعنى المرجوح من الآية أن أصحاب الجنة لا يرون فيها لا الشمس التي تدل على النهار، ولا القمر الذي يشير إلى الليل. تلك هي المعاني الخفية التي لا يدركها إلا الأحوذيون الفطناء، الذين لا يقفون عند الفهم الحرفي البسيط الذي تعبر عنه ألفاظ اللغة المباشرة، لأن تلك المعاني السطحية الباهتة ليست سوى ظلال للمعاني الخفية التي يحتاج إدراكها مزيدا من البحث والتنقير والغوص على جواهرها المكنونة التي لا توجد على السيف.

## ثالثا: فوائد القراءة

القراءة فعل ضروري لأجل التذكر، ولذلك قيل: أسمع فأنسى، وأقرأ فأتذكر. إنها نظر واستبصار «فالنظر هو الرؤية بالعين مع التفكر والتدبر، والاستبصار هو الفهم والتحليل والتفسير والتطبيق والنقد والتقويم عن طريق استخدام كل قوى الإدراك الظاهرة والباطنة» (٥) إن القراءة هي التي تجعل القارئ يحصل بأيسر جهد ما كابد فيه الآخرون عرق القربة. إنها فعل تطوير الذات، وإنماء الفكر، وتنشيط الذاكرة؛ وعندما تكون عادة مركوزة في طبيعة الإنسان، تصبح ملكة ومهارة للتحكم في صناعة المعارف المفيدة الماتعة. أما فوائدها الظاهرة والباطنة، فيمكن تلخيصها في ما يأتي:

- القراءة نافذة نطل من خلالها على العالم، ووسيلة للتعلم الذاتي المستمر، تساعدنا على توسيع المدارك والخبرات، وتمدنا بأنجع التجارب للتأسيس عليها في حياتنا اليومية، كما تعلمنا كيفية اتقاء الأسباب المفضية للفشل.
- وسيلة لإغناء الذخيرة اللغوية للقارئ، وتنمية المعارف المختلفة، والسبيل الناهجة للرقي والتقدم.
- توفر المتعة، وتنشط الفكر، وتزيد الفضول والرغبة في الاطلاع.
- وسيلة لتمرين العقل على التذكر، ولاسيما أن الخواطر والأفكار مثل الضرع؛ إذا حلب سح ودر، وإن ترك شح وجف.
- تخفف من التوتر، وتحسن المزاج، وتهدئ القلق، وتهذب الذوق.
- تنمي وتجود المهارات السماعية والتواصلية والكتابية.
- تقوي الذاكرة، وتجعل القارئ على استعداد دائم للتلقي عن طيب خاطر.
- تذكي الحس الإبداعي، وتساعد على الانفتاح وقبول الأفكار المحصدة، لأجل احتضانها والدفاع عنها.
- تشجع على البحث، وعلى الإقبال على التأليف والكتابة، وتحارب الكسل والإهمال والفراغ.
- تحرض على التغيير لتحقيق نجاحات تولد الأمل في بلوغ الأهداف المرتجاة.
- تطهر روح القارئ من الأفكار القذرة الخاوية مثل مومات النحل.
- تعمق الفهم، وتساعد على تدبير الاختلاف بين الناس، وعلى حل المشكلات.
- توسع النظرة إلى الحياة، وتعمل على تغييرها نحو الأفضل والأجود، نتيجة التفاعل الإيجابي مع المقروء.
- تساعد على تهيئة الجسم للاسترخاء والنوم المريح، وتجلب المتعة والتسلية، وتملأ الفراغ، ولاسيما بالنسبة إلى فنون القصة والرواية والحكايات الشعبية والأساطير.

## رابعا: أهداف القراءة

١- أهداف معرفية: الغرض منها الزيادة في الرصيد المعرفي للقارئ من خلال الاتصال بشتى أنواع المعارف المقروءة في ميادين مختلفة: (علمية وأدبية ودينية وسياسية واجتماعية وفلسفية...)، فالمرء يقرأ ليتغذى ويتثقف على تجارب الآخرين؛ رغبة من في التفوق والتميز وإدراك النجاح في الحياة.

٢- أهداف واقعية: ترتبط بالواقع المجتمعي الذي يتعرف عليه القارئ من خلال قراءاته، التي تنمي صلته بالمجتمع الذي يعيش فيه، لأجل الإسهام في تحقيق انتصارات، تعيد إلى فوضى الحياة معناها ونظامها، رغبة في ابتكار حلول محصدة لتجاوز مشكلات ذلك الواقع، بحثا عن القيم الأصيلة في المجتمع المنحط.

٣- أهداف نفسية: تخص إشباع الحاجات النفسية والوجدانية للقارئ، لأجل تغليب المشاعر النبيلة، وإشاعة قيم التضامن والتطهير المجتمعي، كما تدعو إلى ذلك النصوص الشعرية والسردية والمسرحية التي تعالج تلك المشكلات.

٤- أهداف فطرية: تدعو المرء للقراءة، وتحثه على طلب العلم والمعرفة من المهد إلى اللحد، استجابة للأمر الإلهي الذي يحثنا على القراءة والتعلم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق:١-٥).

## خامسا: تأزير

أرجو أن أفلح في التعريف بهذا الموضوع على الكمال المراد، وأن أبلغ في الإبانة عنه بأمثلة موضحة لصراط التأويلات التي يقتضيها السياق؛ ما لا يقصر عن الإفادة إذا قصر عن الإجادة، وألا أدع قارئا على لبس من أمر القراءة والقراء، الذين يقتدى بقراءاتهم القادرة على وضع الصوى والمنارات التي تهدي المواكب العربية إلى السبيل الناهجة لحب القراءة، التي بواسطتها نستطيع تحويل عجين الفكر العربي الفطير إلى مادة مقوية تضخ دماء جديدة في عروق القراء العرب، فيشتعل وقودهم ويهيج عاشيهم غافلهم، ويحذو الذين كانت أعينهم وعقولهم في غطاء عن القراءة، حذو الذين قرعوا ظنبوب الاجتهاد في ممارستها آناء الليل وأطراف النهار، لتعود شمس الحضارة العربية ساطعة كما كانت، بل أبهى مما كانت عندما كان الفكر العربي يطاول أعنان السماء.

### الهوامش

١- القراءة، لفانسون جوف، تقديم وترجمة: محمد أيت لعميم ونصر الدين شكير، (ص:١٣٠).
٢- جماليات المفردة القرآنية، للدكتور أحمد ياسوف، إشراف وتقديم الدكتور نور الدين عتر، (ص:٢٦).
٣- المرجع نفسه، (ص:٢٦-٢٧).
٤- القراءة، لفنسان جوف، ترجمة سعاد التريكي، مراجعة جلال الغربي ومحمود الهميسي، (ص:٦٢)، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس (٢٠١٥م).
٥- فنون اللغة العربية، للدكتور أحمد علي مذكور، (ص:١٣٥).

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١١)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

## المتفق والمفترق في اسم «ابن جماعة»

**١- بدر الدين بن جماعة «الجد» (ت:٧٣٣هـ):**

هو بدر الدين أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن سعد الله، ابن جماعة الكناني الحموي الشافعي.

ولد في حماة سنة: (٦٣٩هـ)، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي.

من مصنفاته:

- المنهل الروي في الحديث النبوي.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني.
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم.
- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام.

وغيرها من المصنفات.

وتوفي بمصر. (١)

**٢- عز الدين بن جماعة «الابن» (ت:٧٦٧هـ):**

هو عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ثم المصري، الحافظ.

ولد سنة: (٦٩٤هـ)، وولي قضاء الديار المصرية.

من كتبه:

- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك.
- المناسك الصغرى.
- تخريج أحاديث الرافعي.
- التساعيات في الحديث.
- نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب.
- أنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة.

وجاور بالحجاز، ومات بمكة (٢).

**٣- عز الدين بن جماعة «الحفيد» (ت:٨١٩هـ):**

هو أبو عبد الله عز الدين محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد، الكناني الحموي ثم المصري، الشافعي، عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان.

ولد في مدينة ينبع - على شاطئ البحر الأحمر- سنة: (٧٤٩هـ)، ثم انتقل إلى القاهرة وسكنها، وتتلمذ لابن خلدون، وكان مكثرا من التصنيف، جمعت أسماء كتبه في كراسين.

من كتبه:

- إعانة الإنسان على إحكام اللسان في النحو.
- زوال الترح بشرح منظومة غرامي صحيح لابن فرح في مصطلح الحديث.
- درج المعالي في شرح بدء الأمالي في العقيدة.
- التبيين في شرح الأربعين النووية.
- غاية الأماني في علم المعاني. وغيرها من المصنفات.

وتوفي في القاهرة بالطاعون (٣).

**٤- عماد الدين بن جماعة (ت: ٨٦١هـ):**

هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن إبراهيم بن عبد الله ابن جماعة الكناني، المقدسي الشافعي.

ولد في مدينة القدس سنة: (٨٢٥هـ)، وتوفي فيها، وكان خطيبا فصيحا زاهدا.

من مصنفاته:

- شرح ألفية الحديث للزين العراقي.
- شرح تصريف الغزي.
- شرح ألفاظ الشفاء. (٤)

**٥- نجم الدين بن جماعة (ت بعد: ٩٠١هـ):**

هو أبو البقاء، نجم الدين محمد ابن إبراهيم بن عبد الله ابن جماعة المقدسي الشافعي، فقيه شافعي.

ولد سنة: (٨٣٣هـ)، استقر في مشيخة الصلاحية ببيت المقدس، وخطب بالأقصى، وحدث وأفتى وصنف كتبا، له أكثر من (٣٠٠) شيخ.

من مصنفاته:

- الدر النظيم في أخبار موسى الكليم.
- النجم اللامع شرح جمع الجوامع، لابن السبكي. (٥)

## المتفق والمفترق في اسم «القرطبي»

**١- أبو العباس القرطبي «المحدث» (ت:٦٥٦هـ):**

هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، من رجال الحديث.

ولد بقرطبة سنة: (٥٧٨هـ)، ثم رحل إلى الإسكندرية، وصار مدرسا بها.

من كتبه:

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، شرح به كتابا من تصنيفه في اختصار مسلم.
- اختصار صحيح البخاري.
- مختصر الصحيحين. (٦)

**٢- القرطبي «المفسر» (ت:٦٧١هـ):**

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، فقيه مالكي، من كبار المفسرين.

ولد بقرطبة، ثم رحل إلى الشرق، واستقر بمصر.

من كتبه:

- الجامع لأحكام القرآن، يعرف بتفسير القرطبي.
- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.
- التذكار في أفضل الأذكار.
- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة.

وغيرها من المصنفات.

توفي في مصر. (٧)

### الهوامش

١- ينظر: الأعلام للزركلي (٥/٢٩٧)، ومعجم المؤلفين (٨/٢٠١).
٢- ينظر: الضوء اللامع (٧/١٧١)، والأعلام للزركلي (٤/٢٦)، ومعجم المؤلفين (٥/٢٥٧).
٣- ينظر: الأعلام للزركلي (٦/٥٥)، ومعجم المؤلفين (٩/١١١).
٤- ينظر: الضوء اللامع (١/٤٤٤)، والأعلام للزركلي (٥/٣١٨).
٥- ينظر: الضوء اللامع (٦/٢٥٥)، والأعلام (٥/٣٠١)، ومعجم المؤلفين (٨/٢٠٧).
٦- ينظر: البداية والنهاية (١٣/٢١٣)، والأعلام (١/١٨٦).
٧- ينظر: نفح الطيب (١/٤٢٨)، والأعلام للزركلي (٥/٣٢٢).

محمد ناصرالدين لحمادي
أستاذ اللغة العربية وآدابها
- المغرب

# قصيدة البنا في ذكراها المئة

**تلك مائة سنة كاملة مرت على قصيدة: «تحية العام الهجري سنة ١٣٣٩هـ» (١)، للشاعر السوداني عبد الله عمر البنا رحمه الله (١٣٠٨-١٤٠٦هـ/ ١٨٩٠-١٩٨٥م)، وهو واحد من كبار شعراء السودان في العصر الحديث، كان حافظا للكتاب للعزيز، وخريجا من الأزهر الشريف، وكان شاعر الثورة المهدوية والمدافع عن مطالبها والسائر في ركاب دعوتها، كما كان ذا غيرة على أمته ينشد صلاحها ورقيها ويرثي لخورها وسباتها، فجاء شعره إصلاحيا استنهاضها حاضا على المعالي والمجد منفرا من الدنايا والضعة، وقد اغتنم البنا مناسبة بزوغ هلال عام تسع وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية الشريفة، ليخاطب الأمة العربية الإسلامية، معبرا عما يجول في خلده من خواطر، وما يعتصر قلبه من حسرات، وما تتوق إليه نفسه من آمال.**

لقد جعل قصيدته مجال تأمل لماضي العرب والمسلمين وحاضرهم؛ فأخذ يعرض ألواحا من سالف عهد الأمة المشرق، حيث النماذج المزهرة والأحداث المشرقة، مقارنا إياها بالمآل المؤسف الذي صار إليه الحال وقد فشا الجهل والهوان والتخلف، مما أهل شاعرنا لاستخلاص عبر بليغة وعظات عظيمة، لينتهي أخيرا بتوجيه النصيحة إلى بني أمته، وهو محب لهم مشفق عليهم وإن قسا عليهم أو أغلظ، فكثيرا ما يقسو المحب على من يحب ابتغاء مصلحته وحسن عاقبته.

### مناجاة الهلال

يتخذ الشاعر هلال السنة الجديدة شاهدا على عظماء التاريخ وتقلبات أحداثه، فيسائله واثقا من صدق أجوبته غير مبال بضآلته، لأنها لا تدل على غرارة أو فجاجة، بل إنه واسع المعرفة بالأحداث خبير بها منذ فجر التاريخ، فلديه، إذًا الجواب الشافي المسلي عن النفس مآسي الحاضر بأمجاد الماضي، يقول عبد الله البنا:

**يا ذا الهلال عن الدنيا أو الدين**
**حدث، فإن حديثا منك يشفيني**
**طلعت كالنون لا تنفك في صغر**
**طفلا، وإنك قد شاهدت ذا النون**
**سايرت نوحا ولم تركب سفينته**
**وأنت فتى في عصر زبلين**
**حدث عن الأعصر الأولى لتضحكني**
**فإن أخبار هذا العصر تبكيني**

يسائل البنا الهلال مبتغيا أجوبته التي تبرئ القلب العليل، إنه الهلال الذي يحتفظ بفتوته، ليس كالإنسان المختلس عمره المغتال شبابه، حداثة الهلال تحفظ له ذاكرته قوية، اتخذها الشاعر ملاذا ليستحضر خبر الدين والدنيا، فسأل عن نبيين كريمين: نوح ويونس، عليهما السلام، فنوح بمنزلة الأب الثاني للبشرية عقب الطوفان بعد أن نجى الله الطائفة المؤمنة القليلة التي كانت معه، والإشارة إلى يونس فيها أيضا معنى الولادة الثانية، بعد النجاة من ظلمتي اليم وبطن الحوت سالما، وفي ذكر هذين النبيين الكريمين تفاؤل بولادة جديدة لهذه الأمة وقومة من سباتها.

كما ساءل الشاعر الهلال عن فرديناند فون زبلين، وهو مبتكر المنطاد، فضلا عن أنه جنرال ألماني ومصنع طائرات.

إن الشاعر، وهو يسأل عن صنفين من الناس: الأنبياء والمخترعين، فكأنه يدعو إلى التمسك بميرات الأنبياء الذي هو زاد المسلم ونوره، كما يدعو إلى الحرص على العلم الذي لا رقي في مدارج التمدن من دونه.

ولما كان الشاعر يسأل عن الدين والدنيا معا، فإنه يلتمس من الهلال أن يخبره عن الممالك العظيمة التي آل أمرها إلى هوان بعد عز، وقلة بعد كثرة:

**خبر ملوكا ذوي عز وأبهة**
**أن الملوك، وإن عزوا، إلى هون**

إنه تنبيه لكل من قد يغتر بسلطانه، إلى أن العزة لا تدوم، فجدتها تبلى ومدتها تفنى، والشاعر يسوق نماذج لذلك من التاريخ الإسلامي، نماذج كانت ملء السمع والبصر، ففجعها الدهر، فعادت أثرا بعد عين، مجد أثيل مأسوف عليه يحدثنا الشاعر، على لسان الهلال الشاهد على تعاقب الممالك، عن مجد بني العباس الداثر، حيث غيبت اللحود ذوي البذل والعطاء، وعمار مسجد بغداد الأعظم، السادة ذوي الخير والدين العلماء، وحيث وقفت زبيدة زوج الرشيد تنظر تهاوي الدولة وضياع المجد بانشغال ولديها بالاقتتال عن المعالي:

وارمق بطرفك من بغداد داثرها

واندب بها كل ماضي العزم ميمون

سلها، تخبرك كم ضمت مقابرها

من ذي حفاظ وبذل غير ممنون

سلها عن المسجد المعمور جانبه

بالعلم والخير والآداب والدين

وسل زبيدة عن قصر تبوأه

بعد الأمين، حسام الشهم مأمون

ثم يعرج الشاعر على دولة بني أمية برجالها الذين سادوا الدنيا، وكيف فجعت بهم عاصمة دولتهم دمشق، فكأن لم يكونوا:

وقبلها ابك دمشقا إنها فجعت

بسادة عمروا الدنيا أساطين

وفي سياق الاعتبار بالدولة الأموية، يشير إلى مؤسسها معاوية ابن أبي سفيان وما اتصف به من حسن السياسة القائمة على اللين وتأليف القلوب، والسخاء والحلم اللذين يقابل بهما شاتميه، فكأنها دعوة من الشاعر حكام اليوم إلى سلوك هذا المسلك، يقول البنا:

وسل معاوية عن شاتميه، فكم

عفا وأعطى برأي غير مرصون (٢)

يأسو جروح مقال ليس يؤلمه

بالمال، والمال من أجدى القرابين

هي السياسة تأليف وبذل ندى

والرفق واللين، كل المجد في اللين

ولم يتحدث عن مشاهير الأمويين غير معاوية، ليتوقف، تبعا للخط التراجعي الذي ينهجه الشاعر، عند أزهى لحظات التاريخ الإسلامي وأشد صفحاته نصوعا، ممثلة في البدايات الأولى للدولة الإسلامية، حيث الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وهم يعمرون المدينة المنورة، بما حازوه من كريم الفضائل وجميل الشمائل، ويخص البنا منهم بالذكر سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، الذي كان يسهر الليالي تقربا إلى الله وتتبعا لأحوال رعيته ورفقا بضعائفها، لينتهي إلى ذكر النبي ﷺ، باعتباره النموذج الأكمل والقدوة الأمثل، إذ هو ذروة السنام من الكرم، ومنبع الرحمة بالبائس الفقير، والحزين ذي الجناح الكسير، يقول:

وعهد طيبة فاذكر فيه كل فتى

جم الرماد من الشم العرانين

واذكر ليالي للفاروق أرقه

فيها التقى وحنان بالمساكين

وكم تفجر فيها المصطفى كرما

عطفا ورفقا ببادي الفقر محزون

إن تذكر الشاعر تلك المواقف أجج الأسى في نفسه الأسف على ماض عظيم للأسلاف ضيعه الأخلاف، فلم يجد سوى البكاء ليشفي به غلته:

إني بكيت على ماض تكفل لل

مجد الأثيل بفخر غير ممنون

إن أسف الشاعر على أمته جعله يخاطب بني قومه، وفي نفسه حسرة، بكلام غليظ قاس، ولكنه نابع عن حرص ورحمة، ذلك أن الحال الذي آلت إليه الأمة يذكي انفعالات الشاعر، فلم يعد قادرا على كظمها أو ردها:

أحبتي ودعاء الحب مرحمة

لا يحزنكم بالنصح تلقيني

فرب قول غليظ اللفظ باطنه

رحمى، ولين بفظ الروح مقرون

## انحراف اجتماعي خطير

بعد ذلك التأسف تأتي تأملات الشاعر لحال أمته، فيشخص حالها البشيع ومآلها الفظيع، وأهم التجليات الفاسدة لتلك الحال البائسة: الاستكانة إلى الحضيض والتثاقل عن المجد والركون إلى الأهواء والغرق في الفرقة، مما يجعل الأمة أبعد ما تكون عن العلياء والمجد اللذين لا تنالهما نفس حقيرة جبانة، يقول:

ترضون بالدون والعلياء تقسم، لا

تدين يوما لراضي النفس بالدون

والمجد ينأى فلا تدنو مراكبه

من الجبان ولا ينقاد بالهون

تفرق وتوان واتباع هوى

إن الهوى لهوان غير مأمون

ولعل من أبشع الأدواء التي بليت بها الأمة: الجهل، جهلها سبل المعالي مما يزيد وهنها، ومن أدوائها أيضا: هجر المدرسة التي هي محضن العلم والنور، والتهكم بأبنائها الراغبين في الإصلاح، والتقهقر الاقتصادي المتمثل في ذيوع الغش والاحتكار والربا، والمسارعة إلى المفاسد والمعاصي مع إعراض على الفرائض الإسلامية والسنن النبوية، مع فقر المروءة مع الغنى، وضعف الشخصية مع قوة البدن، وغلبة التفكير الضحل والرأي الساذج، وكفى بذلك بلاء عظيما، يقول البنا:

بليتم، وبلايا الدهر إن نزلت

فالصبر يكشف منها كل مدفون

بأمة جهلت طرق العلاء، فلم

تسبق لغاية معقول ومخزون

فللمدارس هجران وسخرية

وفي المتاجر ضعف غير موزون

وللمفاسد إسراع وتلبية
ولا التفات لمفروض ومسنون
فمن غني فقير من مروءته
ومن قوي بضعف النفس مرهون

ومن مظاهر الانحراف الاجتماعي الخطير اتخاذ نماذج مزورة تزيد المقتدين بها رهقًا، والمهتدين بها ضلالا، تماما كالسامري الذي أضل فئاما من الناس حين نصب لهم العجل ودعاهم إلى الوثنية والشرك المبين، إن تلك القدوات الزائفة لا تزن أمورها بميزان العقل السليم أو الدين القويم، بل تتبع ما تهوى لتنال أطماعها الدنيوية، محتالة بالدين، متظاهرة به مدعية له، لتخدع الأغرار السذج، دون نظر فيما يستجلبه ذلك من غضب الله وعقوبته، يقول البنا:

وهيكل تبعته الناس عن سرف
كالسامري بلا عقل ولا دين
يحتال بالدين للدنيا فيجمعها
سحتا، وتورده في قاع سجين

## درب المعالي

بعد النقد الذاتي الذي تولى الشاعر توجيهه لواقع أمته المنكوب، يتوجه إلى أحبته، أبناء أمته، بنصائح غاية في النفاسة، لم يبخل عليهم بشيء منها، لعلهم ينعمون النظر فيها فينهضون من مهاوي كبوتهم، ويتحررون من أغلال تخلفهم، يقول:

أحبتي، هي نفس هاج هائجها
من الشجون، فلم تبخل بمكنون
إن الحياة لمضمار، إذا ازدحمت
بها الرجال تردي كل مفتون
لها وسائل إن شدت أواصرها
تبين المجد فيها أي تبيين
تواضع وتأن واتباع نهى
والصبر والحزم أزكى في الموازين
فأحسنوا إنما الإحسان واسطة
للعاملين به من كل تمكين
ثم انشروا من شريف العلم أنفعه
فإنما هو مبنى كل تمدين
العلم زين وبالأخلاق رفعته
إن قارنته بدا في خير تزيين
إن الخلائق إن طابت منابتها
كانت لكسب المعالي كالبراهين

يؤكد الشاعر لبني قومه في نصحه أن الحياة مجال للعمل واسع، ومضمار للكد عظيم، لا تحتمل من أهلها القائمين عليها أن تغلهم الفتنة، فتقعدهم عن سبل المعالي وطرائق المجد فتزل أقدامهم فتردى في قاع التخلف والذل.

يبين البنا وسائل الرقي تلك، فيوصي بالحرص التواضع ونبذ الكبر، واتخاذ الأناة منهجا في العمل، مع الاستضاءة بنور العقل والفكر، ومن كان ذلك ديدنه كان أحوج إلى التسلح بالصبر والحزم في مواجهة ما قد يعتريه من فتور وتعب وملل، حتى يتحقق المبتغى وينال المراد.

ومن أهم ما يوصي به الشاعر أمته: الإحسان، وهو أحد أهم المبادئ العظيمة التي يقيم عليها الإسلام تصوره للحياة، والإحسان في العمل، في نظر الشاعر، طريق التمكين والمنعة بين الأمم، ولا ينسى العلم النافع، فيوصي به بني أمته، ذلك أنه أساس صرح المدنية والحضارة، ومحال لمن زهد في العلوم أن يكون له إسهام في تمدن شعبه وأمته، بيد أن العلم، مع عظم أهميته، ينبغي أن يقرن بالأخلاق، فهو غير كاف ما لم يتوج ربه بخلاق يزين علمه، ويكون له خير عون في الدلالة على المعالي واكتسابها.

وبعد، فتلك وقفات مع قصيدة عبد الله عمر البنا، التي نظمها بمناسبة رأس العام الهجري قبل مائة سنة، وقد جعلها رحمة الله عليه، في النقد البناء والتوجيه الصادق، لعل أمتنا العربية الإسلامية تستلهم الدروس وتستبط العظات، فبعد أن عاشت عهود زهو وسيادة، مرهوبة الجانب مصونة الثغور، صارت اليوم تعيش على هامش العالم ضعيفة متخلفة متفرقة، ومن عاش على الهامش اليوم استقر في هامش التاريخ غدا أيضا.

لقد صور الشاعر واقع الأمة البائس تصويرا دقيقا، وهو لا يزال كما صوره إن لم يكن أسوأ، حيث مظاهر التخلف العلمي والتقهقر الاقتصادي والخواء الفكري، مع اهتمام مرضي بالمظاهر الجوفاء التي لا تغني صاحبها شيئا، ولم يكلف الشاعر نفسه رسم ملامح الواقع القاتم فحسب، بل انبرى مصححا له مقترحا الحلول الكفيلة بالتحرر منه، تلك الحلول تتمثل في أشياء ثلاثة أساسية: إحسان العمل؛ لأنه أساس التمكين، وطلب العلم الذي هو شرط النهضة، وتزيين العلم بأحسن الأخلاق؛ لأن الأمم الأخلاق، فما أحوجنا إلى العمل بتلك النصائح السامية، التي هي أساس كل حضارة ومنشأ كل مدنية وقوام كل نهضة.

### الهوامش

١- مختارات من الأدب السوداني، (ص:١٤٠-١٤٢).
٢- لـ: «رصن» أكثر من دلالة، وهي في النص بمعنى غير معيب.

د. امباي بن كيبا كاه
الأمين العام للمجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية في غامبيا

### رثاء للفقيدين

# قلوبنا تهواكما

## الدكتور وليد العلي والشيخ فهد الحسيني

| | |
|---|---|
| هذا قضاء الله جل جلاله | كلُّ يموت ويستجيب نداءه |
| وعزاؤنا بمحمد خير الورى | مَن هيأ المولى له جناته |
| أ «وليدُ» كنت مسالما تبغي الهدى | لله تسعى طالبا مرضاته |
| أ «وليدُ» كنت معلما ومربيا | ومبينا للدين ضاء مرامه |
| أوقدت في إفريقيا سُرُج الهدى | وبنيت صرحا قد علت أركانه |
| وتأسست جذر العقيدة واستوت | أغصانها فالعلم طاب ثماره |
| نعم المرافقُ «فهدُ» في سبل الهدى | نعم المساعدُ «فهدُ» في أخلاقه |
| في سمته في علمه في هديه | فكلاكما عَجَبٌ سمت آدابه |
| فقلوبنا تهواكما في حَق مَن | برأ الورى سبحانه سبحانه |
| الله يجمعنا بكم في جنة الـ | فردوس تشملنا بها رحماته |
| فلأهلكم مني العزاءُ وشعبكم | وتحفكم من ربكم بركاته |
| صلى الإله على النبي محمد | مع آله ومن اقتفى آثاره |

محمد المغربي
كاتب صحافي

# عفوا..
# لغتي تعني هويتي

لا أخفى عشقي، بل وشغفي بلغتنا الجميلة «لغة الضاد» والتي أطلق عليها العجم هذه التسمية؛ لصعوبة نطق حرف الضاد عندهم؛ لأنه الحرف الوحيد الذي لا يوجد بأي لغة أخرى، فيصعب على غير العربي النطق بهذا الحرف، الذي يخرج عند ارتفاع اللسان لسقف الأسنان العلوي، فيقول سيبويه: «يعتبر حرف الضاد أحد الأصوات غير المستحسنة في اللغة، ومن لا يستطيع نطق حرف الضاد بطريقة صحيحة لا يمكنه قراءة القرآن والشعر بطريقة صحيحة، فبعض العجم يخلطون بين حرفي الظاء والضاد، لذا ألف بعض اللغويين رسائل لتميز بين حرفي الضاد والظاء».

فعندما نبحر في محيط التاريخ، نجد اللغة العربية من أقدم اللغات فهي أحد اللغات السامية و التي انتشرت بشكل كبير في العالم، ويتحدث بها أكثر من أربعمائة واثنين وعشرين مليون نسمة من بلاد عربية، بل وغير عربية مثل تركيا وتشاد ومالي والسنغال، ويقال أن إسماعيل عليه السلام هو أول من كتب بالعربية، والنطق يسبق الكتابة يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥)، فقد حباها الله بشرف ما بعده شرف، بأن جعلها لغة القرآن، والتي يستخدمها ملايين المسلمين في أداء الصلاة، وتلاوة القرآن، وممارسة العبادات التي لا يمكن أن تمارس بدونها.

يقول الله تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الزمر:٢٨)، قال ابن كثير: «أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف».

وتعتبر من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية فمعجم لسان العرب لابن منظور يحتوي على أكثر من ثمانين ألف مادة، وهي من أغنى اللغات بالمفردات، والتي تساعد المبدعين من الشعراء والعلماء بل والفلاسفة أيضا من صياغة أفكارهم، فكل مرادف فيها له دلالة خاصة متباينة، فمثلا كلمة «الأسد» لها مرادفات كثيرة منها: «قسورة» لكن كل اسم له معنى يختص به في السياق.

ومن مميزاتها أيضا القدرة على «الاشتقاق» إن صح التعبير، ورغم أن هذه الميزة متوفرة في لغات أخرى إلا أن العربية أوسع وأغنى، ويعد الاشتقاق أكبر مصدر لثراء اللغة العربية، ليناسب المستجدات والمعاني المستحدثة، كما أنها لغة تتسم بالمرونة، بمعنى طواعية ألفاظها للدلالة على المعاني المقصودة، فهي لغة قائمة على جذور متناسقة قلما نجدها في لغات أخرى؛ فالفعل الماضي «ذهب» مثلا مضارعه «يذهب» وأمره

«اذهب» من نبت واحد، أما مثيله في الإنجليزية فماضيه (went) ومضارعه (go) كلمتان مختلفتان كليا.

يرى علماء اللغة بأن اللغة العربية تتميز بوفرة ألفاظها، وكثرتها، وتنوع أساليبها، وعذوبة منطقها، ووضوح مخارج حروفها، بل وإمكانية إطالة حروف ألفاظها فنجد مثلا في قوله تعالى: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ (الحجر:٢٢)، حرف عطف، وفعلا ماضيا، وفاعلا، ومفعولا به أول، ومفعولا به ثان، فهل توجد لغة غير العربية بهذه القوة والفصاحة والقدرة على الإطالة في حروف لفظ واحد؟

أزعم أن الباحث في معاجم اللغة العربية سوف يتعجب لما تحتويه هذه المعاجم من مفردات لغوية وألفاظ لا حصر لها.

فتميزت بالكثير من المميزات التي ضمنت لها الريادة على جميع اللغات الأخرى، بل وضمنت لها البقاء والارتقاء إلى قيام الساعة، عكس لغات أخرى ماتت بموت أممها مثل اللغة اللاتينية والسريانية.

فالعربية لغة عاشت تحت ظل القرآن، وعلى رغم التشويه والتحريف الذي طرأ على مفرادتها في اللهجات التي عرفت بالعامية إلا أن خصوصيتها أمست كما أصبحت من أربعة عشر قرنا، والدليل على ذلك أن عاشقي اللغة العربية عبر التاريخ يستطيعون فهم وتذوق تراث العرب من الشعر الجاهلي قديما وحتى عصرنا الحالي، على عكس لغات أخرى تغيرت مع مرور الأزمان.

تتميز اللغة العربية بأنها تقرأ كما تكتب، عكس اللغات الأخرى، فالإنجليزية مثلا لا تكتب كما تنطق، فحتما ستجد حروفا زائدة في كثير من كلماتها، كما تتميز بصفة «الإيجاز» وهي صفة واضحة فيها، فيقول الرسول ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم».

وتقول العرب: البلاغة الإيجاز، و: خير الكلام ما قل ودل.

فهي لغة تخاطب المشاعر والأحاسيس من خلال شعرها ونثرها وأدبها بأساليب متباينة.

كما أن اللغة العربية تمتلك القدرة على تعريب المصطلحات الأجنبية إذا ما دعتها الضرورة لذلك.

فقد أثرت اللغة العربية في اللغات المعاصرة لظهور الإسلام تأثيرا متباينا بالإحياء تارة، وبالإبادة تارة أخرى، فساهمت في إحياء لغات مثل اللغة التركية، والفارسية، كما ساهمت في تهميش لغات أخرى مثل اللغة القبطية، والسريانية، والعبرية، وأدخلت ألفاظا من جنسها على لغات أجنبية مثل: الإنجليزية، والفرنسية، والإسبانية.

واللغة العربية واحدة من بين اللغات الست المعترف بها رسميا في الأمم المتحدة، وتحتوي اللغة العربية على ثمانية وعشرين حرفا ولو أضفنا الهمزة لأصبحت تسعة وعشرين حرفا أي أكثر من حروف اللغة الإنجليزية الأشهر استعمالا في العالم فهي أقل منها.

ومن أقوال المؤرخين عن «الضاد»:

– اللغة العربية بدأت فجأة على غاية الكمال وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة. «أرنست رينان».

– كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم، وسحرها الفريد، فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى في سحر تلك اللغة. «المستشرقة الألمانية زيغرد هونكة».

– ما جهل الناس، ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب، وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس. «الإمام الشافعي رحمه الله».

إني أربأ بكل عربي مسلم عن الانزلاق إلى مستنقع التخلي عن الهوية العربية وتهميشها بحجة التعلق والتأثر بالحضارة الأوربية، ومن ثم الاهتمام والتباهي بإجادة اللغات الأجنبية الخاصة بها، وإهمال لغته لغة القرآن، والتي إن ضاعت فقدنا معها الهوية الإسلامية، فاللغة العربية تعتبر الحاضنة للهوية، وأهميتها أهمية الروح للجسد، وهي أهم وسائل الحفاظ على هويتنا الإسلامية والتعبير عنها.

لابد من النهوض باللغة العربية، وتطوير أساليب تدريسها، وجعلها محببة لأبنائنا الدارسين، وتطوير المنظومة التعليمية بمساعدة الأنظمة العربية، وتعاون الأسرة العربية مع أنظمتها تلك.

ولابد من استعمال اللغة العربية في حياتنا اليومية ولو بالتدريج لتجنب مشقة عدم الاعتياد على ممارسة ذلك، وتطبيق هذا الاستعمال في المساجد والمدارس والجامعات ومناهج التعليم، لتتواصل الأجيال وتترابط كالبنيان المرصوص.

لغتنا هي هويتنا، وإنما تحيا الأمة بإحياء لغتها، وتمرض بمرضها، وتموت بموتها.

يقول الشاعر مادحا لغتنا الجميلة:

**لغة إذا وردت على أسماعنا**
**كانت لنا بردا على الأكباد**
**ستظل رابطة توحد بيننا**
**فهي الرجاء لناطق بالضاد**

ويقول الشاعر أيضا:

**إلى لغة الضاد كان انتمائي**
**وإني بميراث قومي فخور**

د. عبدالواحد عبدالله الخميسي
الأستاذ بجامعة الإيمان
اليمن



### من وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم

# مراعاة النظير في القرآن الكريم

من معجزات القرآن الكريم البلاغية كونه مع قلة الحجم متضمنا للمعنى الجم، بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان:٢٧). والقرآن الكريم وإن كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يوريه، ونفع ما يوليه، فإنه:

**كالبدر من حيث التفت رأيته**
**يهدي إلى عينيك نورا ثاقبا**

والبلاغة: هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون به؛ ولذلك قيل في المثل: «لكل مقام مقال».

والكلام البليغ: هو ما يبلغ به المعنى قلب السامع، فيتمكن من نفسه أيما تمكن، مع صورة مقبولة، ومعرض حسن.

وكتاب الله الكريم على القمة من ذلك، أعني أنه يتربع على قمة البلاغة التي تخرس عنها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة.

وأنواع البلاغة كثيرة جدا، منها: ما يسمى بـ«مراعاة النظير»، وتسمى أيضا بالتناسب والائتلاف والتوفيق، وهي: أن يجمع الناظم أو الناثر في

الكلام بين أمر وما يناسبه (١).

ومن أمثلته في الشعر: قول البحتري في إبل أنحلها السير (من بحر الخفيف):

**كالقسي المعطفات بل الأسـ**
**ـهم مبرية بل الأوتار**

فإنه لما شبه الإبل بالقسي، وأراد أن يكرر التشبيه كان يمكنه أن يشبهها بالعراجين وهي القضبان التي تحمل حبات التمر، أو بنون الخط (حرف النون)؛ لأن المعنى واحد في الانحناء والرقة، ولكنه قصد المناسبة بين الأسهم والأوتار، وذلك لما تقدم ذكر القسي. ولعمري لقد أصاب الغرض في هذا المرمى (٢).

ومنه قول السلامي في هذا الباب (من بحر الكامل):

والنقع ثوب بالسيوف مطرز
والأرض فرش بالجياد محمل
وسطور خيلك إنما ألفاتها
سمر تنقط بالدماء وتشكل

فإنه ناسب بين الثوب والتطريز، وبين الفرش والحمل، وبين السطور والألفات، وبين النقط والشكل (٣).

هذا؛ وتأتي هذه المراعاة والتناسب في علم البديع على أربعة أضرب:

الضرب الأول: تشابه الأطراف

وهو «أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى» (الإيضاح، للخطيب القزويني:١/٣٢٤).

ومنه في القرآن العظيم:

أ – قول الله عزوجل في وصف ذاته جل وعلا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:١٠٣).

فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ في ختام الآية يلائم ما جاء قبله؛ إذ كلمة «اللطيف» تلائم وصفه تعالى بأنه لا تدركه الأبصار، وكلمة «الخبير» تلائم وصفه بأنه يدرك الأبصار جميعها. فاللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب أن من يدرك شيئا يكون خبيرا به (٤).

ب – قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ (الحج:٦٤).

فقوله: ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ جيء به للتنبيه على أن ماله ليس لحاجة؛ بل هو غني عنه، جواد به، فإذا جاد به حمده المنعم عليه (٥).

ج– قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (السجدة:٢٦-٢٧).

فقوله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ في ختام الآية الأولى يناسب قوله سبحانه في أولها: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾؛ لأن الموعظة سمعية، فاعتبر فيها السمع؛ لأنهم ما كان لهم قوة الإدراك بأنفسهم والاستنباط بعقولهم، فقال: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾، يعني: ليس لهم درجة المتعلم الذي يسمع الشيء ويفهمه، أي: أفلا يسمعون عظات الله وتذكيره إياهم بآياته، وتعريفهم بمواضع حججه؟

وقوله سبحانه في ختام الثانية: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ يناسب قوله في أولها: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾؛ لأن الموعظة بصرية. فالحالة ترى بخلاف حالة الماضين، فإنها كانت مسموعة، أي: أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا برؤيتهم إياه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذر علي أن أحيي بها الأموات، وأنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم؟! (٦).

د – قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٠٩). روي أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ فجاء بـ«غفور رحيم» بدل «عزيز حكيم»، ولم يكن الأعرابي يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول هكذا؛ لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه. فظهر أن المناسب ما عليه التلاوة وهو أن ختم الآية لا يصلح إلا بـ«عزيز حكيم» (٧).

هـ – قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨).

فإن قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يوهم أن الفاصلة هي: «الغفور الرحيم»، ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن تكون التلاوة على ما هي عليه: «العزيز الحكيم»؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب، من قولهم: عزه يعزه عزا، إذا غلبه، ومنه المثل «من عز بز»، أي: من غلب سلب، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا؛ لأن الحكيم هو من يضع الشيء في محله والله تعالى كذلك؛ إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك، والحكمة فيما فعلته (٨).

و – قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٤).

وقال في سورة أخرى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل:١٨).

فختمت آية إبراهيم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، وختمت آية النحل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ مع أن المحدث عنه في الآيتين واحد وهم العباد؛ وذلك مراعاة للنظير؛ فكأنه تعالى يقول: إذا حصلت لك النعم الكثيرة، فأنت – أيها الإنسان – آخذها، وأنا معطيها، فحصل لك عند أخذها وصفان: أحدهما: كونك ظلوما، والثاني: كونك كفارا؛ وذلك لعدم وفائك بشكرها. وحصل لي عند إعطائها إياك وصفان: أحدهما: أني غفور أقابل ظلمك بغفراني، والثاني: أني رحيم أقابل كفرك برحمتي، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاك إلا بالوفاء (٩).

## الضرب الثاني: ائتلاف اللفظ مع المعنى

وهو «أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد»، فإن كان المعنى فخما كانت ألفاظه فخمة، أو جزلا فجزلة، أو غريبا فغريبة، أو متداولة فمتداولة، أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك (١٠).

وهو نوعان:

**١- قوة اللفظ لقوة المعنى**

وهو «أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلابد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا؛ لأن الألفاظ أدلة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني» (١١).

ومنه في القرآن الكريم:

أ – قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر:٤٢)، فمقتدر ههنا أبلغ من قادر، وإنما عدل إليه للدلالة على تفخيم الأمر، وشدة الأخذ الذي لا يصدر إلا عن قوة الغضب، أو للدلالة على بسطة القدرة، فإن المقتدر أبلغ في البسطة من القادر، وذاك أن «مقتدر» اسم فاعل من «اقتدر»، و«قادر» اسم فاعل من «قدر»، ولا شك أن «افتعل» أبلغ من «فعل». وعلى هذا ورد قول أبي نواس (من بحر الكامل):

**فعفوت عني عفو مقتدر**
**حلت له نقم فألغاها**

أي: عفوت عني عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن إمضاء قدرته (١٢).

ب – قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح:١٠)، فإن: «غفارا» أبلغ في المغفرة من «غافر»؛ لأن «فعالا» يدل على كثرة صدور الفعل، و«فاعلا» لا يدل على الكثرة (المثل السائر:٢/١٩٨).

ج – قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢)، فالتواب هو الذي تتكرر منه التوبة مرة على مرة، وهو فعال وذلك أبلغ من التائب الذي هو «فاعل»، فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب، أي: صدرت منه التوبة مرة واحدة، فإذا قيل: «تواب»، كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة.

وهذا وما يجري مجراه إنما يعمد إليه لضرب من التوكيد، ولا يوجد ذلك إلا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول، وكالفعل نفسه (١٣).

د – قوله عزوجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢).
جاء في النص اختيار كلمة «اصطبر» ملائما للمعنى المراد، وهو تكلف الصبر، بمغالبة النفس، ولو اختير لفظ «اصبر» لما استفيد هذا المعنى (البلاغة العربية، لحبنكة الميداني:٢/٥٢٤). أي: كما تأمرهم بالصلاة فحافظ عليها فعلا، فإن الوعظ بلسان الفعل أتم منه بلسان القول.

هـ – قوله عزوجل بشأن إدخال أهل جهنم فيها: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ (الشعراء:٩٤-٩٥).
جاء في هذا النص اختيار لفظ «كبكبوا» ملائما تماما للمعنى المراد منه، وذلك لأن فعل «كب» يدل على المرة الواحدة، والمعنيون بالآية لا يجمعون ويكبون كبة واحدة. أما فعل: «كبكب» فهو يدل على معنى الكب المتكرر المتتابع، وهو أمر تدل عليه الصيغة التي فيها تكرار للحروف، كدلالة الوسوسة على التكرير، ودلالة السلسلة على تتابع الحلقات، ودلالة الصلصلة على تكرار الصوت، كصوت الجرس؛ وبناء على ذلك فإن الكبكبة الجماعية المتكررة أدل على الإهانة، وأكثر ملاءمة للمعنى المراد (١٤).

**٢- تناسب اللفظ مع المعنى**

«وهذا النوع عبارة عن أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد منه، فإن كان فخما كانت ألفاظه مفخمة، أو غريبا فغريبة، أو متداولا فمتداولة، أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك» (١٥).

ومنه في القرآن العظيم:

أ – قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ (هود:١١٣).
حيث عدل عن لفظ الإحراق والاصطلاء إلى لفظ المس، فلم يقل: «فتحرقكم النار»، ولا «فتصلوا النار»، وإنما جاء بلفظ «فتمسكم»؛ مراعاة للنظير؛ لأنه لما كان الركون إلى الظلمة (وهو الميل إليهم والاعتماد عليهم) ليس كالمشاركة لهم، وإنما هو دونها وأقل منها، لما كان ذلك كذلك، وجب أن يكون العقاب على الركون دون العقاب على الظلم؛ فلذلك ناسب المقام اختيار لفظ المس الذي هو دون الإحراق والاصطلاء (١٦). ولم يقل الظالمين، وعدل عن ذلك إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾؛ لما يحتمل الأول من استمرار الظلم الذي لا يلائم المساس،

ولا تحصل به المبالغة التي تحصل من لفظ الثاني من وقوع الظلم على سبيل الندور؛ ليلائم المعنى.

ب - قوله عزوجل: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة:٢٨٦).

جاء في هذا النص تلاؤم بين اللفظ المختار والمعنى المراد به، إذ جاء فيه التفريق بين ما يدل على فعل الحسنات وما يدل على فعل السيئات، فاختير فيه فعل «كسب» الذي يستعمل في مكاسب الحياة الدنيا من مال وغيره مرادا به فعل الحسنات والخيرات؛ لأنها ثروة يدخرها الإنسان، فتنفعه في دنياه وأخراه، وإن شق فعلها على نفسه.

واختير فيه فعل «اكتسب» الذي فيه معنى تكلف حمل العبء مرادا به فعل السيئات والمعاصي والآثام؛ لأنها أوزار وأحمال ثقيلة تأتيه بأنواع من العذاب في دنياه وأخراه، وإن جلبت له لذة عاجلة، وهان فعلها على نفسه (١٧).

فمن لطف الله ورحمته، جعل الثواب على أدنى ملابسة للطاعة؛ فلهذا أتى فيه بالفعل الثلاثي المجرد «كسبت»، وجعل العقاب على مزاولة عظيمة للفعل وعلاج؛ فلهذا خصه ببناء المبالغة بالزيادة على الثلاثي «اكتسبت» (١٨).

## الضرب الثالث: ائتلاف اللفظ مع اللفظ

وهو «أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله؛ رعاية لحسن الجوار والمناسبة» (١٩).

ومن تطبيقاته في القرآن الكريم:

أ - قول الله عزوجل مخبرا بما قاله أولاد يعقوب عليه السلام بشأن يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴾ (يوسف:٨٥).

في هذا النص من الائتلاف جمع اللفظ الغريب مع اللفظ الغريب؛ حيث أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء، فإنها أقل استعمالا، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو، وبأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار وهو «تفتأ»، وكان من الممكن اختيار فعل: «لا تزال»، فهو أقرب إلى الأفهام، وأكثر استعمالا من فعل: «لا تفتأ»، وهو بحذف «لا» النافية منه أشد غرابة، وجاء بأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحرض، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخيا لحسن الجوار ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم.

ولما أراد غير ذلك قال: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:٣٨).

فجاءت ألفاظ هذه الآية كلها متداولة لا غرابة في كلمة منها، فكانت متلائمة حسنة التجاور (٢٠).

وهكذا رأينا أن من حسن الاختيار في نظم الكلام اختيار الألفاظ المتلائمة في الغرابة؛ وفي غير الغرابة؛ توخيا لحسن الجوار كما يجمع في الحفل من الناس كل صنف من صنفه.

## الضرب الرابع: إيهام التناسب

كأن يكون اللفظ مشتركا بين معنيين: أحدهما: يناسب ما جاء في الكلام من معان إلا أنه غير مراد. والآخر: لا يناسب وهو المراد (٢١).

ومثاله قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ (الرحمن: ٥-٦).

فإن كلمة «النجم» تأتي بمعنى الأجرام المضيئة في السماء، وهذا المعنى يلائم ويناسب كلمتي الشمس والقمر؛ لأنهما جرمان أحدهما مضيء والآخر منير، لكن هذا المعنى للنجم غير مراد النص، فكان استخدامه من إيهام التناسب؛ إذ كان يمكن استخدام كلمة أخرى تؤدي المعنى المراد دون أن يكون فيها إيهام التناسب، ككلمة «النبت» مثلا.

وتأتي كلمة «النجم» بمعنى النبات الذي لا ساق له، يقال لغة: نجم الشيء والنبات نجما ونجوما إذا طلع وظهر، وهذا المعنى يناسب معنى كلمة الشجر.

فناسبت كلمة «النجم» بمعناها غير المراد ما سبقها، وهما الشمس والقمر، وناسبت بمعناها المراد ما جاء بعدها، وهو الشجر، وهذا فن بديع تنبه له البلاغيون فألحقوه بمراعاة النظير على اعتبار أن فيه إيهام التناسب (٢٢).

### الهوامش

١- (خزانة الأدب، لابن حجة الحموي:١/٢٩٣؛ وجواهر البلاغة، لأحمد الهاشمي:٣٠٤).
٢- (خزانة الأدب:١/٢٩٣).
٣- (خزانة الأدب:١/٢٩٤).
٤- (الإيضاح: ٣٢٥؛ وجواهر البلاغة:٣٠٤، بتصرف).
٥- (الإيضاح:٣٢٥).
٦- (خزانة الأدب:١/٣٦٧؛ وأنوار الربيع في أنواع البديع، علي خان ميرزا:١/٣٠٧، بتصرف).
٧- (أنوار الربيع:١/٣٠٧).
٨- (أنوار الربيع:١/٣٠٧).
٩- (تفسير «مفاتيح الغيب»، للرازي:١٩/١٠٠).
١٠- (أنوار الربيع:١/٤٨٥).
١١- (المثل السائر، لابن الأثير:٢/٥٦).
١٢- (المثل السائر:٢/١٩٧-١٩٨).
١٣- (المثل السائر:٢/١٩٨).
١٤- (البلاغة العربية:٢/٥٢٣).
١٥- (أنوار الربيع:١/٤٨٥).
١٦- (أنوار الربيع:١/٤٨٥).
١٧- (البلاغة العربية، للميداني:٢/٥٢٢-٥٢٣).
١٨- (الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي:٢/٨٧).
١٩- (الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي:٣/٢٩٩).
٢٠- (الإتقان في علوم القرآن:٣/٢٩٩-٣٠٠).
٢١- (البلاغة العربية:٢/٣٨٤).
٢٢- (البلاغة العربية:٢/٣٨٤).

نجاح عبدالقادر سرور
باحث دراسات إسلامية
مصر

# الدعوة العائلية.. إبراهيم الخليل أنموذجا

الدعوة العائلية مجال قصر فيه كثير من الدعاة، على الرغم من الأهمية القصوى لهذا المجال من مجالات الدعوة إلى الله. وأمام الدعاة قدوة وأسوة في الدعوة العائلية أثبتها القرآن العظيم والسنة المطهرة؛ هذه القدوة في الدعوة العائلية تتمثل في سيدنا إبراهيم، عليه السلام، خليل الله؛ الذي وصفه ربه بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (النحل:١٢٠). وقال عنه رسول الله ﷺ إنه أبوه وإنه نتاج دعوته حين سئل: ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم» (١). إن أول درس نتعلمه كدعاة من خليل الله إبراهيم هو عدم التقصير في الدعوة العائلية؛ لقد دعا أباه، وبعد ذلك دعا زوجه سارة، ودعا زوجه هاجر، وولده إسماعيل، وامرأة ولده إسماعيل؛ وهكذا أكد على أن المحيط الأسري هو في القمة من الأهمية، وذلك ما قصر فيه كثير من الدعاة في هذا الزمان! فعلى الرغم من بذل كثير منهم الجهد في المحيط العام، فإنهم يقصرون تقصيرا بينا في الدعوة العائلية، بل وقد تتوتر العلاقة بينه وبين بعض أفراد أسرته بسبب أمور تتصل بالدعوة! فترى دعاة مشغولين تماما بالدعوة خارج نطاق الأسرة، ويهملون تماما الدعوة داخل نطاق الأسرة، وترى دعاة آخرين يبذلون الجهد القليل والنزر اليسير من الدعوة العائلية وبطريقة عشوائية لا تنظيم فيها؛ كما ترى دعاة ربما واجهوا أقاربهم بطريقة غير حكيمة، فكان العداء هو الثمرة، وبدلا من أن يكونوا معاونين له وسندا قويا لدعوته، إذا بهم يمثلون عقبة كؤود أمام نشر الدعوة، وذلك بتضخيمهم أخطاء هذا الداعية، ونشرها بين الناس نكاية فيه، مما يؤثر سلبا على قبول الناس له. والداعية في جميع الأحوال هو المسؤول عن كل ذلك، لأنه لابد له أن يكون حكيما إلى أقصى درجات الحكمة مع أقاربه على وجه الخصوص.

إن خليل الله إبراهيم يعلمنا هذه الحكمة في خطابه الرقيق لأبيه، وفي حواره التشاوري مع ولده، وفي حمايته وتأييده لسارة زوجه الأولى، وحدبه ونصحه لهاجر زوجه الأخرى، ونصحه المستمر لولده بخصوص تطليقه الزوجة الساخطة غير الصابرة التي تجحد نعمة الله، وتثبيته وإمساكه زوجه الأخرى التي ترضى وتقنع وتشكر الله.

أما أبوه فقد استخدم معه منتهى الرفق والرقة في الخطاب الدعوي. لقد علم إبراهيم الخليل الدعاة كيف يخاطبون ذويهم وأقاربهم وكبار السن عموما. إنه خاطب أباه الكافر برقة وتودد وتلطف، واستخدم معه منتهى الإحسان والرفق والتوقير، فإذا به يناديه بهذا النداء اللطيف الرقيق: «يا أبت»، ويكرره أكثر من مرة ومع كل جملة: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ (مريم:٤٢-٤٥). هكذا يعلمنا الدعوة في رفق ولين وتودد وتلطف، خصوصا إذا كان المدعو كبير السن. كذلك يعلمنا خليل الله إبراهيم أن الداعية يجب عليه ألا ينجرف مع المعاند ويحول الأمر إلى خصومة شخصية، وإنما هو يجاهد بدعوته جهادا سلميا من أجل إحقاق الحق؛ إنه لا يقابل أباه بعناد مثل عناده أو بتهديد يقابل تهديده حين قال له: «لأرجمنك»، وإنما يقابل ذلك بالحسنى ويقول له: «سلام عليك».. فالأمر ليس خصومة شخصية، وإنما هو أكبر من ذلك؛ إنه حق، وحقيقة، ومقاومة للباطل أينما كان.

وأما سارة فقد قال الله في شأنها: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا

**لا خصومة شخصية في الدعوة مع المعاند**

بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ
﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ
وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ
عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ
أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾

(هود:٧١-٧٣).. فهي التي بشرتها الملائكة بالولد وهي في سن كبيرة.

عن ابن عباس قال: كانت سارة بنت تسعين سنة، وإبراهيم ابن مئة وعشرين سنة، فجاء جبريل عليه السلام إلى سارة بالبشرى، فقال: «أبشري بولد يقال له إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» (٢). فكانت سارة أول امرأة تبشر من الملائكة، كما بشرت بعد ذلك مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام، وكما بشرت خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. وسارة هي المرأة الوحيدة المؤمنة التي لم يكن على ظهر الأرض مؤمن غيرها حين بعث إبراهيم الخليل، فكانا وحدهما في كل ربوع الأرض المؤمنين من بين الناس جميعا.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يحدث عن إبراهيم: «بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس. فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة، قال: يا سارة، ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي وإنك أختي في كتاب الله فلا تكذبيني» (٣). فأطاعته ووقفت إلى جواره تنشر معه دين الله. وهي التي نجاها الله من جبروت هذا الملك الجبار، حيث أرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد. فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت فأطلق. ورد الله كيد الفاجر في نحره، وأخدمها هاجر. قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء (٤).

## الاستفهام لمعرفة طباع النفس من مقدمات الدعوة

وأما هاجر: فهي أم إسماعيل، والقدوة في طاعة الزوج في الله، وفي التوكل الحق على الله، وقد استخدم إبراهيم الخليل معها الدعوة العائلية، فلما دعاها إلى أن ترضى بما قضاه الله قالت: إذن لن يضيعنا. قال ابن عباس: ثم قفى إبراهيم منطلقا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟! فقالت له ذلك مرارا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آالله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا (٥).

و أما ولده إسماعيل فهو الذي دعاه أبوه وهو صغير فاستجاب فورا، حتى قال لأبيه حين قال له إنه رأى أنه يذبحه، رد قائلا: يا أبت، افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. ولقد استخدم إبراهيم الخليل في دعوته ولده أسلوب التودد والرفق والعرض اللطيف والنداء الرقيق: «يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك»، وطلب رأيه ورده بعد أن يفكر في ترو: «فانظر ماذا ترى».. رقة وشورى وقربا ولطفا وتوددا. ولذلك كانت العلاقة بينهما علاقة أبوة وأخوة وصداقة وكأنهما شخص واحد يتصرف بإرادة واحدة.. انظر كيف قابله بعد غياب طويل. قال ابن عباس: ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد؛ يعني التزمه وعانقه حبا وشوقا وحنانا، وعرض عليه إبراهيم في حوار هادئ وتشاور حميم أمر الله إليه أن يبني له بيتا، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.. فانظر إلى حواره مع ولده واستئذانه الولد بصيغة الاستفهام الرقيق: «وتعينني؟».. قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم» (٦).. فلا والله ما وجدت علاقة حميمة متينة بين أب وولده كما وجدت بين خليل الله إبراهيم والذبيح إسماعيل. كما لم توجد علاقة حميمة متينة بين أخ وأخيه كما وجدت بين موسى وأخيه هارون.

وأما امرأة ولده الأولى فكانت من النوع الساخط، ولقد استخدم معها إبراهيم الخليل نمطا آخر من الدعوة العائلية، يتمثل في الاستفهام لمعرفة طباع النفس واستعدادها للرضا بما قسم الله من عدمه.. يقول ابن عباس: فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا. ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم؛ فقالت: نحن بشر، نحن في ضيق وشدة!.. فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك

فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه.. فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك. قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها (٧). لقد استخدم إبراهيم الخليل معها التغيير السلمي، والتورية اللطيفة، فهو لم يخبرها بلفظ صريح: إذا جاء إسماعيل فقولي له إن أباك يأمرك أن تطلقني.. كلا وإنما استخدم معها أسلوب التعريض والتورية حرصا على نفسيتها وحتى لا يؤذي مشاعرها، ولأن العلاقة بين إسماعيل وأبيه كانت في قمة السمو والتفاهم والتوحد، فسرعان ما فهم إسماعيل مراد أبيه، وبين لها ما أراده وطلقها طاعة لوالده.

و أما امرأة ولده الأخرى فقد استخدم إبراهيم الخليل نفس أسلوب التورية معها، فسألها ليعرف مدى قناعتها ومستوى أخلاقها، ولما تبين له أنها من القانعات بما قسم الله، رضي عنها.. يقول ابن عباس: وتزوج إسماعيل أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا. قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم. فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك. قال ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك (٨).. هكذا استخدم معها أسلوب التورية في لطف وحكمة، ليكون ذلك أدعى لسرورها وسعادتها حين تعرف من إسماعيل تفسير قول أبيه: ثبت عتبة بابك.. فانظر إلى وقع هذه الكلمة على نفس تلك المرأة وشعورها بمنتهى الامتنان والسعادة حين تدرك أن خليل الله يراها زوجة صالحة لولده النبي وتستحق أن تستمر زوجة لإسماعيل.

وهكذا يجب على الداعية أن يهتم بالدعوة العائلية، ويختار الأسلوب الأمثل الذي به يحقق الهدف المنشود ليكون أهله أول من يعاونه في نشر دعوته إلى الله. فإن الدعوة في محيط العائلة تتميز بسهولة وصول الداعية إلى من يدعوهم إلى الله، فهو واحد منهم يعيش بينهم، ومن السهل عليه أن يمارس دعوته بشتى الطرق الدعوية من وعظ قولي وقدوة سلوكية.

كما أن الدعوة العائلية تتميز بسهولة دعوة النساء القريبات، وبالتالي يستطيع أن ينقل دعوته إلى محيط نسائي، ينشرها بدوره في محيط الأخوات والصديقات لهؤلاء النساء عن طريق تبنيهن دعوته ونشرها. كما أن الدعوة العائلية يمكن من خلالها أن يستخدم الداعية أنماطا غير تقليدية في الدعوة، كتنظيم المسابقات بين أفراد عائلته، والاهتمام بالنشء والأطفال الصغار، وممارسة الأسلوب التربوي الصحيح معهم، ودعوة كبار السن في عائلته بحكمة وتوقير وإجلال. كما يمكنه القيام بتوزيع أدوات دعوية عليهم، مثل الشرائط الموثقة الصحيحة التي تحمل علما صحيحا، والكتيبات الدعوية التي تحث على فضيلة من الفضائل أو فرض من الفروض أو أدب من الآداب، وذلك كله بطريقة فيها صلة رحم وحرص على إرادة الخير لأسرته.

كما يمكنه كذلك استغلال المناسبات العائلية المختلفة التي تجتمع فيها الأسرة والعائلة الكبيرة، فيمارس دعوته برفق ولطف وعدم مصادمة، خصوصا مع كبار السن أو الذين يمكن لهم أن يظنوا أنه يريد أن يسحب بساط القيادة للأسرة من تحت أرجلهم، وإنما يجب عليه استخدام أقصى درجات الحكمة وهو ينبه على عادة أو تقليد لا يتفق مع تعاليم الإسلام، وعليه أن يركز دائما على حبه الخير لهم، وألا تفارق الابتسامة وجهه، وأن يكون قادرا على انتقاء الألفاظ التي تقرب ولا تفرق، وذلك كله في غير مهادنة أو تنازل؛ إنه الأسلوب السهل الممتنع الذي لا يستخدمه إلا الأذكياء في الدعوة إلى الله. وعلى الداعية أخيرا أن يركز في البداية على تصحيح العقيدة عند أفراد عائلته، ويبني الخوف من الله والرجاء في الله في نفوسهم، وذلك بالترغيب والترهيب وتعظيم الله عزوجل في نفوسهم. لقد علمنا خليل الله إبراهيم البدء بالدعوة في محيط الأسرة لننطلق إلى المحيط الأكبر والأوسع، ولنحقق ما قاله الله عزوجل لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ (الشعراء:٢١٤).

الهوامش

١- أحمد ٢٢٦/٤٥.
٢- المستدرك ٢٩٣/٩.
٣- البخاري ١٤٥/١١، وأبو داود ١٣٢/٦.
٤- البخاري ١٤٥/١١.
٥- البخاري ١٥/١١.
٦- السابق.
٧- السابق.
٨- السابق.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

**ملاحظة:**

**- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.**

**- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.**

**- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.**

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

علياء ناصف
كاتبة صحافية - مصر



# ماذا يلعبون وبماذا يلهون؟!

لا يدرك الكثير من الآباء والأمهات خطورة الفترة التي يقضيها أطفالهم في اللهو واللعب، ظنا منهم أنها فترة ترويح عن نفس واستمتاع بريء لا يوجد أي خوف من جرائه، في حين أن واقع الأمر يؤكد وبقوة عكس ذلك!

فما بين ألعاب تسيء إلى المقدسات الدينية، وألعاب تغتال براءة الأطفال، بل وربما تصيبها في مقتل، وألعاب تشكل كارثة جسدية على عيون الأطفال ووجوههم، وألعاب تهدد الاستقرار النفسي للأطفال، وغير ذلك من الألعاب الكارثية التي يقضي فيها الأطفال فترات طويلة من دون إدراك حقيقي من قبل الوالدين بمحتوى هذه الفترات العمرية التي الأولى فيها لمحتوى هادف موزون يثمر، لا محتوى هدام يخرب ويدمر.

ومن هنا وجب التنبيه إلى أن هناك من الألعاب، سواء أكانت ألعابا حسية ملموسة أم ألعابا إلكترونية، بها من الخطر ما يستلزم القلق من جانب الوالدين على عقول أطفالهم، وأخلاقيات صغارهم وسلوكياتهم.

ولنأت إلى الخطر الأعظم، وهو المساس بالمقدسات الدينية والرموز الإسلامية، ولعل البعض قد قرأ التحذير من لعبة شهيرة في مجال الألعاب الإلكترونية بها من الإساءة الواضحة للإسلام ما لا تخطئه عين.

وعلى مستوى آخر، فإن كلا من الأب والأم يقومون بأنفسهم بشراء ألعاب على هيئة الألعاب الحربية، وغيرها من الألعاب التي تستخدم الأشعة الضارة التي قد تصيب أعين الأطفال إصابات خطيرة، وربما يصل الأمر للحاجة إلى إجراء بعض العمليات الجراحية على إثر ما تعرضت له أعين الأطفال من جراء استخدام ألعاب غير مؤهلة لأن تكون متاحة أمام أي طفل لا يدري عواقب استخدامها بشكل خطأ.

أما الألعاب التي في متناول الكثير من الأطفال من خلال الدخول على شبكة الإنترنت عبر شاشات الكمبيوتر وأجهزة الجوال والأجهزة الإلكترونية المخصصة للألعاب فقط، فحدث ولا حرج عن صور ولقطات لا تتناسب بأي حال من الأحوال مع منظومة القيم التي جاء الإسلام ليرسخ دعائمها ويوطن أركانها.

ليس هذا فحسب، بل إن بعضا من هذه الألعاب الإلكترونية مثل بعض ألعاب «البلاي ستيشن» تولد طاقة سلبية من الحدة والعنف لدى الأطفال بقدر ما فيها من القتال والدمار، ومن ثم الخراب لعقول وقلوب غضة بريئة.

إن الأمر ينبغي ألا يمر مرورا بسيطا بذهن الآباء وبخاطر الأمهات، بل يجب أن تتجلى عواقبه واضحة بعقولهم لتدور في خلدهم هذه الآثار السلبية الخطرة. ولن يكلف أحد أولي الأمر في هذا الصدد نفسه أن يطلع على كم الأبحاث والدراسات التي توضح كم الأضرار الوخيمة النفسية والعصبية والجسدية من جراء ترك الأطفال والمراهقين تحت سيطرة هذه الألعاب غير الآمنة من دون وعي أو رقابة من الأسرة.

لينظر كل أب وللتمعن كل أم في وجه أطفالهم وهم يلعبون مثل هذه الألعاب، ليلحظ بنفسه علامات ومظاهر الشد العصبي والتوتر النفسي التي تكشف



# للألعاب الإلكترونية آثارها المدمرة على شخصية الطفل

بنفسها عن كم الطاقات السلبية التي تنشب أظافرها في وجدان الصغار غير القادرين على اتخاذ القرار بالتخلص من هذه الألعاب الملغومة.

لقد دأب العديد من الأسر على ترك أبنائهم بين براثن هذه الألعاب، ظنا أنهم بهذا لا يحرمونهم حقهم المشروع في اللعب واللهو والترفيه، ومعتقدين أنهم يلعبون كما يلعب أقرانهم ممن هم في مثل أعمارهم، وأن الأمر وبرغم التحذيرات لا يعدو كونه نوعا من التسلية التي لا تستدعي الخوف والقلق.

ولكن حين يدققون النظر في حالة الشغف والإدمان من قبل الطفل على هذه الألعاب، إلى الدرجة التي تجعله يفضل البقاء معها منفردا معزولا معها عن المشاركة الاجتماعية، والخروج إلى حيز أرحب يكون فيه صداقات ويتعرف فيه على معلومات، ويقضي أوقاتا أطيب وأنفع تكون بمنزلة إضافة وصقل معرفي لعقله ولشخصيته، فإن الأمر حينئذ قد بدأ يدق ناقوس الخطر.

أما أن تبدأ مظاهر للعنف والشراسة تتولد في سلوكياتهم وتعاملاتهم، فهنا قد استفحل الخطر، مما يحتم مداواة الأمر سريعا بتنقيح ما في أيدي الأطفال من وسائل لهو ولعب، ونبذ ورفض أي ألعاب تحض على العدوانية والكراهية وغير ذلك من المشاعر المدمرة.

إن الطفل في مرحلة البناء والتكوين لشخصيته في أمس الحاجة لأن يختلط بالآخرين لا أن ينزوي في ركن من المنزل وحيدا ليعيش مع شخصيات خيالية ربما لا يتعلم منها الحسن بقدر ما يتعلم منها القبيح والذميم، وفي الأغلب الأعم لا تكون هناك رقابة حقيقية من قبل الأسرة على ما في أيد أطفالها من ألعاب على اختلاف مسمياتها وأنواعها.

فإذا كانت الحاجة تستدعي أن يكتشف الطفل الذي لم تكتمل مداركه هذا العالم، فإن الله أودع بالكبار القدرة على التمييز، فليكن بجانب الطفل وهو يلعب بهذه الألعاب فرد من الأسرة بالغ راشد قد تعرف عليها قبله وعرف طيبها من خبيثها، وأدرك ما يفيد منها وينمي الذكاء والخيال بإيجابية، وما يضر وينعكس بالسلب على شخصية الطفل.

كما ينبغي تخصيص الوقت الأكبر من حياة الطفل من أجل اكتسب خلق قويم وسلوكيات سوية غير معوجة، وهذا لن يتم إلا من خلال الواقع لا الخيال، والواقع لا يصطدم مع حق الطفل في اللعب واللهو، حيث يمكننا من خلال الألعاب التقليدية أن نعمل على إكساب الطفل العديد من القيم والسلوكيات الصحيحة، فهي على العكس من الألعاب الإلكترونية يكون الطفل فيها منتميا لجماعة من الأطفال يلعبون ويلهون معا، وبذلك يمكن أن نغرس بداخلهم قيما إيجابية بناءة.

على سبيل المثال، الكثير من الأطفال الذكور يحبون اللعب بالكرة، وتعد لعبة كرة القدم نموذجا لأن نلفت انتباههم إلى أن يقوم كل فريق بمصافحة الفريق الآخر حال الهزيمة والخسارة، مما يؤصل الروح الرياضية الإيجابية لديهم، وهذا بالطبع ما لا يحدث في نفس اللعبة حال أن تدرج كلعبة من الألعاب الإلكترونية.

أيضا فيما يتعلق بما تحبه الصغيرات من اللعب واللهو بالدمى والعرائس، فلتكن هناك دمى وعرائس محلية الصنع تنافس الدمية الشهيرة «باربي» التي لا تعكس ثقافتها وأزياؤها ثقافة الفتاة المسلمة ولا هويتها الوطنية في مختلف البلدان العربية، بحيث يتأصل مفهوم الزي الإسلامي والهوية الوطنية في وجدان الطفلة الصغيرة، هذا الزي الذي من الوارد أن تختلف تصاميمه من دولة عربية لأخرى، إلا أنه يتفق في المبادئ العامة التي تراعي حدود ما أحله الله تعالى وما نهى عنه.

خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي - مصر

# بناء الحس الثقافي عند الطفل

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (رواه مسلم) والحديث يدلنا على أن الطفل عجينة رخوة مطواعة، في يد قبضة يد متفانية في تحويرها وتشكيلها على النحو الذي تريد، بدءا بتحديد الاهتمامات، ومرورا بصياغة الشخصية، وانتهاء بغرس العقيدة، وفي ذلك إشارة بالغة إلى أن عوامل التأثر والتكيف والاقتداء تأتي ثمرة طبيعية لطول الصحبة وإدامة التلازم واضطراد المتابعة، ونستحضر هذه المعاني في الولوج إلى لب القضية التي نطرحها هنا، وهي دور الأسرة في بناء الحس الثقافي لدى الطفل، فمن الخطأ الاعتقاد أن هذا الأمر يقع على عاتق المؤسسات التعليمية والتربوية وحدها، وأن

**الطفل المحب للقراءة والاطلاع نتاج بيئة تشجع على حب المعرفة**

الأسرة لا تستطيع القيام بشيء من هذا القبيل؛ لأن واجبها الأساسي ينحصر عند حدود توفير مقومات الحياة للأبناء من مأكل، وملبس، ورعاية صحية، إلى آخر ذلك من مقومات حياتية، ولكن الواقع يقول إن الأسرة هي التي يجب أن تبدأ بالتربية الثقافية للطفل، وتعمل على إنماء الحس الثقافي لديه، فكما أن الطفل لا يتعلم الجري، إلا إذا استعد له بالمشي؛ فإنه لا يتربى على حب الثقافة والمعرفة، إلا بأن يكون هناك دافع من الوالدين إلى تربيته على هذا الجانب، فهما أول

من يزرع هذه البذرة في نفسه، ويعملان على تنميتها بأسرع وقت ممكن حتى تأتي بالثمار المرجوة منها في المستقبل، فالأطفال عندما يولدون في بيئة تشجع على القراءة وحب المعرفة، ويجدون حولهم كثيرا من الكتب الخاصة بهم، ويجدون الوالدين والراشدين يقرؤون، ويشاهدون الكبار يعاملون الكتب بعناية واهتمام؛ فإن مثل هذه البيئة المثقفة، لا شك أنها ستفرز طفلا محبا للمعرفة والثقافة والاطلاع، على نحو مما نرى في العديد من دول الغرب، الذين يقرؤون لأطفالهم في سن مبكرة جدا، لاعتقادهم أن فيروسات القراءة يجب أن تصيب الطفل في سن مبكرة، ونلمس الآن هذا البون الشاسع من خلال إحصائيات القراءة بيننا وبينهم، فبينما تشير الدراسات، إلى أن الفرد في الدول المتقدمة «يقرأ ما لا يقل عن عشرين كتابا في العام؛ فإننا نكتشف أيضا، أن كل ثمانين مواطنا عربيا يقرؤون كتابا واحدا خلال العام، وفي قول آخر فإن المواطن العربي يقرأ جزءا من ثمانين جزءا من كتاب واحد في العام» (١) فالأسرة التي لا يقرأ الآباء فيها الكتب والصحف، ولا يتمتعون بالحس الجمالي وبالذوق الرفيع في التعامل مع الأشياء بالتأكيد سيصعب على هؤلاء الآباء أن يوفروا لأطفالهم ثقافة راقية، ومسارا ثقافيا رفيعا، وستبقى مساعيهم بسبب عزوفهم عن الفعل الثقافي والحضاري مساعي زائفة لا تؤتي أكلها، الأمر الذي يمكن أن يترتب عليه أن نخسر جيلا بكامله، إذا نحن لم نسع إلى استيعابه عصريا، وإلى التعامل معه ثقافيا وحضاريا بما يقتضيه العصر الذي نعيش فيه، كما أن تربية وتنمية الحس الثقافي لدى الطفل، لا تكون مصادفة، ومن تلقاء نفسها، بل تحتاج من الأسرة تنظيما واعيا وفق منهاج محدد، وبطرائق تربوية ووسائل متعددة ومختلفة يكمل بعضها بعضا، من أجل الوصول إلى ثقافة تكاملية في نفس الطفل، وأهم هذه الوسائل هي:

## مجلات الأطفال تسهم في بناء ثقافة تكاملية لدى الطفل

### مجلات الأطفال

تحتل مجلات الأطفال مكانا بارزا في انطباعات الطفل، حتى عند الذين لا يعرفون القراءة منهم، وبدأنا بالمجلة أولا؛ لاحتوائها موضوعات متعددة ومتنوعة خلاف الكتاب، الذي يتناول موضوعا واحدا، وبذلك تتفادى المجلة احتمالات تسرب المَلَل إلى نفس الطفل، في الوقت الذي نريد أن نغرس فيه عادة حب القراءة والمعرفة، ولكن علينا في هذه المرحلة الأولى من عمر الطفل أن نجلب له المجلات التي تعتمد على جانب الصورة أكثر من الكلمة فحسب ما يقرر علماء النفس «بأن حاسة البصر عند الطفل تأخذ تدريجيا في النمو تبعا لتطور الطفل ونموه، حتى تصبح الحاسة الأولى التي يعتمد عليها في اكتسابه للمعرفة خلال هذه المرحلة من عمره» (٢) كما لا بأس خلال هذه المرحلة أن يقوم الوالدان أمام الأطفال وعلى ملأ منهم بالقراءة لهم عما تحمله المجلة من أخبار جميلة ومعارف خاصة عامة غريبة وطريفة، على أن تكون قراءة جهرية يسمع الطفل تفاصيلها، ثم مع تعلمه للقراءة نجعله يعتمد على نفسه حتى تصبح هذه المطبوعة على علاقة حميمة معه، يأنس بها ويتحاور معها، ودورنا كآباء هنا أن نفتح معه باب المناقشة والحوار حول ما يقرؤه، ونترك له حرية طرح الأسئلة، فهذا أمر ضروري ومهم «فأفضل وقت لتغذية الطفل بمعلومات جديدة هو الوقت الذي نجيب فيه عن أسئلته، فالطفل عندما يسأل، فمعنى ذلك أنه مهتم وأنه مهيأ لاستقبال الإجابة



وفحصها وتأملها ومناقشتها، ومن ثم يرسخ ما يقنع به في ذاكرته» (٣)

### الكتاب

يؤدي الكتاب دورا مكملا لدور مجلة الطفل، إذ يتعرف الطفل في البداية على عالم الكتاب عبر القراءة المشتركة، التي يجب أن تظل إحدى اهتمامات الوالدين، ففي البداية القراء هم الآباء، ثم عندما يكبر الطفل نعمل على تنمية مهارة القراءة المستقلة لديه، ولكي يكون للكتاب دور مهم لدى الطفل فعلينا كآباء وأمهات أن نعمل على مساعدة الطفل في اختيار الكتب المناسبة في موضوعها وصورها لكل سن، كذلك اختيار الكتب المناسبة في حجم الحروف، ذلك أنه في سن ما قبل المدرسة يصعب على الأطفال تركيز أبصارهم فترة طويلة على الأشياء الدقيقة، لذلك يجب في كتب هذه المرحلة أن نستخدم حروف الكتابة الكبيرة الحجم جدا، كما يجب تخصيص عدة أرفف في غرفة الطفل لحفظ الكتب وتدريب الأطفال على إعادة الكتب إلى مكانها بعد الانتهاء من مطالعتها، كي يدرك الطفل أهمية الكتاب كعنصر أساسي من مكونات حجرته.

### سينما ومسرح الطفل

لسينما ومسرح الطفل دور مهم في مجال التربية المعرفية للطفل، حيث يُعتبران في عصرنا الراهن وسيلتان مهمتان وسريعتان في تقديم المعلومات للأطفال، من حيث القدرة على توضيح الأفكار والحقائق المراد شرحها في مختلف مجالات العلم والمعرفة، وتوصليها للطفل بطريقة سهلة ميسرة، وبأقل وقت ممكن هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الطفل عن طريقهما يكتسب مهارات جديدة مثل تعلم اللغة من حيث النطق، وسلامة التعبير والتجسيد الفعلي لدلالات الصيغ والألفاظ، وإشباع رغبة الطفل الفطرية في الحركة والتمثيل والتقليد، وإلقاء الشعر والنثر إلى آخر ذلك من مهارات معرفية وثقافية يكتسبها الطفل منهما، ولكي يأتيا بالثمار المرجوة منهما في مجال تثقيف الطفل، يجب أن تعتمد النصوص المقدمة للطفل على البراعة في الكتابة وفقا للمعايير التي وضعها المختصون والمربون والأدباء، والتي تعتمد على المضمون الهادف وفقا لقيم المجتمع، الذي يعيش فيه الطفل، دون السقوط في أسلوب التلقين والوعظ المباشر، الذي يفقد العمل الفني بريقه في نفس الطفل، ودورنا كآباء هنا أن نشجع الطفل على إبداء رأيه في هذه المادة السينمائية والمسرحية المقدمة له، تعويدا له على ممارسة حرية التعبير والمناقشة، مع التوقف عند أهم النقاط التي أعجبت الطفل، والتي لم تعجبه ومدى ما ترك العمل الفني على الطفل من أثر من مادة ثقافية أو ما استوعبه، فعلى سبيل المثال، إذا رأى الآباء أن الطفل لا يهتم سوى بالحوادث السطحية وبالمعارف العابرة وبالمغامرات العادية، فعلينا أن نقوده إلى نوع من الفهم أكثر عمقا، وإلى نوع من المعرفة الحقيقية، وذلك عبر طرح الأسئلة والحوارات المباشرة، وغير المباشرة، وبذلك نغرس في نفس الطفل نوعا أكثر عمقا لبذر بذور ثقافة النقد وإبداء الرأي في شتى المواد الإعلامية والثقافية المقدمة له، فتنشأ لديه القدرة على تمييز الغث من السمين فيما يقدم له.

### الاتصال المباشر مع الأشياء

والاتصال المباشر مع الأشياء وسيلة مهمة في تربية الحس الثقافي لدى الطفل، وللوالدين هنا دور مهم في هذا الجانب، عن طريق استصحاب الأطفال في جولات ورحلات إلى المواقع الأثرية والمتاحف السياحية، والمصانع، والحقول، ومعارض الكتب، والمهرجانات الأدبية والترفيهية، والأسواق، فكل ذلك يوقظ عند الطفل مشاعر كثيرة وعميقة، تسهم في نشر الثقافة وتعميم المعرفة، ودقة الملاحظة، الأمر الذي يسهم في إنماء التجربة المعرفية للطفل، وعلينا كآباء وأمهات، أن نترك الطفل يتحدث عما شاهده فتنشأ لديه ثروة لغوية وتتكون لديه بذور مختلفة الأفكار ووجهات النظر، في الأشخاص والأشياء التي تسمو بذوق الطفل، وتدفعه إلى حب المعرفة والبحث والاطلاع بعد ذلك.

وفي النهاية نقول: إن مثقفي الغد هم نتاج الأمهات والآباء الذين يقرؤون لأطفالهم منذ الطفولة، يقرؤون لهم خلال لحظات الهدوء اليومي، يقرؤون لهم عند النوم ليلا، فعندئذ فقط تعد الثقافة وحب المعرفة عنصرا أساسيا وجوهريا من عناصر الحياة للأطفال.

---

### الهوامش

١- كيف نقرأ المستقبل؟ د. نبيل حنفي، سلسلة كتاب اليوم، (ص:٧٤).

٢- تربية الحس الجمالي عند الطفل العربي، د. راتب الغوثاني، مجلة المنهل السعودية، عدد شوال / ذو القعدة عام (١٤٢٠هـ).

٣- تنمية عادة القراءة عند الأطفال، يعقوب الشاروني، سلسلة اقرأ، (ص:٤٦).

نعيم نعيم السلاموني
باحث دراسات إسلامية
مصر

# سعادة طفلك تبدأ من جمال اسمه

حث الإسلام كل أسرة إذا أكرمها الله عزوجل بالولد أن تختار له اسما حسنا؛ بحيث لا يستقبحه الناس ولا يستنكره الطفل بعد أن يكبر ويعقل كأن يكون اسما يوحي بالتشاؤم أو بذم معناه أو علما لشخص اشتهر بالسوء. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم» (رواه أبوداود).

**ومن الحقائق العلمية في تسمية الطفل:**

١- إن تسمية الطفل لها تأثير واضح في سلوكاته وحياته نفسيا واجتماعيا.

٢- كثير ما يتم الحكم على سلوك الفرد وشخصيته من اسمه، فإذا كان مقبولا يتم تفسيره وفقا لهذه التسمية، حتى لو كان سلوكه لا يتفق مع اسمه، والعكس صحيح، حتى ولو كان سلوكه رائعا (د. محمد السكران - أستاذ التربية ورئيس رابطة التربية الحديثة - جريدة الأهرام ٢٠١٤/٢/٢م).

٣- أظهرت الدراسات أن ترهيب مجموعة من الطلبة لتلميذ بعينه يرتكز على اسمه، فهم يبحثون عن ذي الشخصية الضعيفة والتي يكون اسمه الغريب أو القديم إحدى وسائلهم للاستهزاء والسخرية به.

٤- كثير من الناس تأثروا سلبا بأسمائهم، وبعضهم حاول تغييرها لأنها تحمل معاني سيئة، فالأسماء القبيحة تثير في نفس صاحبها عدم الرضا عن النفس وتدفعه للانطواء على الذات والانعزال عن الآخرين.

**سمات الاسم الحسن**

- يجب أن يكون الاسم عربيا فالأمة المعتزة بذاتها تحافظ على هويتها ولا تقلد الآخرين.
- أن يكون حسن المعنى، فلا قيمة لأي اسم إذا كان معناه غير حسن، وأن يكون مقبولا في أعراف البيئة المحلية.
- يجب أن يكون الاسم متناسبا مع كافة المراحل العمرية للإنسان.
- إن من أهم حقوق الطفل أن يسمى تسمية مقبولة لأنه عنوان الحياة في المجتمع.
- يعد الاسم أحد أهم الملامح الشخصية للفرد التي تميزه عن الآخرين، فإذا كان اسما محببا أحبه أصحابه وإن كان غير ذلك تسبب في كثير من الإحراج والمواقف السيئة للطفل والكبير أيضا.

وخلاصة القول:

فالواجب أن يتخير الآباء والأمهات لأبنائهم أسماء حسنة يعتز بها الأبناء ويشعرون تجاهها بالرضا خلال حياتهم، وتزيد من تنمية ثقة الطفل بنفسه، وتشكل قدوة حسنة للآخرين.. فحرصا على السلامة النفسية يجب أن نوفق في اختيار الاسم والنظر للمستقبل.

فالأسماء التي تحمل معاني الخير والجمال والحب والكمال توقظ في وجدان صاحبها المعاني السامية والمشاعر النبيلة وتشعره بالعزة والافتخار باسمه واحترام ذاته.



د. سعد عبد الله الجدعان
باحث أكاديمي.

## سلسلة الذوق والآداب (٣)

# اللباقة في التعامل مع الخدم

إن للأخلاق الفاضلة أهمية عظمى في حياة الإنسان فهذه الأهمية أي أهمية الأخلاق تفوق أهمية الأكل والشرب لأن سعادة الفرد في الدنيا تكون بحسن خلقه بين الناس ويأنس بها يوم لقاء ربه، والإنسان الذي يعيش بدون أخلاق تجد شره أكثر من خيره، والإسلام حث على مكارم الأخلاق ومدحها، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لم يكن النبي ﷺ فاحشا، ولا متفحشا، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقا» (١).

إن المسلم المتأدب بالأخلاق الفاضلة قريب من الرحمن.

إن خلق المسلم في التعامل مع الناس يأتي تبعا لخلقه في تعامله مع الله عز وجل فإن كان متبعا لشرع الله ملتزما به انعكس ذلك في تعامله مع الناس. ومن الأخلاق التي دعا الإسلام وحث عليها حسن التعامل مع العمال والخدم لقد عني الإسلام العظيم بالخدم أشد العناية وحفظ لهم كرامتهم وآدميتهم وجعلهم أخوة لنا، فعن المعرور قال لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك، فقال: «إني ساببت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم» (٢).

صدق رسول الله ﷺ فأمرنا بالإحسان إليهم وأن نرحمهم وأن لا نكلفهم ما لا يطيقون، وأن نطعمهم مما نطعم وأن نلبسهم مما نلبس وأن لا نهضمهم حقهم وحذرنا من ظلمهم وأن نعينهم إذا كلفناهم فوق طاقتهم ولا نعيب عليهم إذا أخطؤوا كما كان هدي نبينا ﷺ مع من كان يخدمه من الصحابة الأجلاء اقتضت مشيئة الله وحكمته أن يجعل بعض عباده أغنياء وبعضهم فقراء، وسخر كلا من الطائفتين للأخرى. والخدم نعمة من الله تعالى على المخدومين لتسهيل أمور دنياهم، فيتحملوا عنهم أعباء الأعمال وهمومها ليوفروا على مخدوميهم الراحة والسعادة والتخفيف من المتاعب والمشاق، ولذا نهج لنا الإسلام منهاجا يضمن

حقوق الخدم ماليا وأدبيا كإطعامهم واحترامهم وإكرامهم.
عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم فأخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن أنسا غلام كيِّس فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر ما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا» (٣).

### الحقوق الأساسية للخادم

**١- الإحسان إليه والعفو عنه:**
عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ أقبل من خيبر ومعه غلامان فقال علي يا رسول الله أخدمنا، فقال خذ أيهما شئت قال خر لي، قال: خذ هذا ولا تضربه فإني قد رأيته يصلي مقبلنا من خيبر وإني نهيت عن ضرب أهل الصلاة، وأعطى أبا ذر غلاما وقال استوص به معروفا فأعتقه فقال له النبي ﷺ ما فعل الغلام؟ قال: يا رسول الله أمرتني أن أستوصي به معروفا فأعتقته» (٤).
الخدم إخوة لنا في الإنسانية و بعضهم في الدين، ألجأتهم الظروف الاجتماعية والاقتصادية للعمل تحت يد المخدومين، وما أعذب الحرية التي تعشقها النفوس؛ لأن الإنسان يولد حرا لا يستذله إنسان ولا يتسلط عليه ومادامت الظروف ونظام الحياة قد أوجدا هذا العمل نظير لقمة العيش لهم ولأهليهم فلنرقب هذه الظروف ولنتعامل على أساس أن الإسلام دين العدالة الاجتماعية.
إن المعاملة الحسنة والعناية بالخدم ترضي الله ورسوله ﷺ وتضمن لنا منهم الإخلاص والحرص والحب والوفاء فقد قيل: جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها.
وإليك هذه القصة التي تبين الأثر الذي تركته حسن المعاملة:
عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار» (٥).
**٢- عدم ضرب الخادم:** عن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا: اعلم أبا مسعود لَلَّهُ أقدر عليك منك عليه. فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار» (٦).
**٣- لا تقل له قبح الله وجهك:**
عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا قبح الله وجهه» (٧).
**٤- ليتجنب الوجه في الضرب:**
عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إذا ضرب أحدكم خادمة فليجتنب الوجه» (٨).
**٥- إذا لطم عبده فليعتقه:** عن هلال بن يساف قال كنا نبيع البَزَّ في دار سويد بن مقرن فخرجت جارية له فقالت لرجل شيئا، فلطمها فرأى ذلك سويد بن مقرن فقال: ألطمت وجهها لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا فأمرنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نعتقها. وفي رواية: فخرجت جارية، فقالت لرجل منا كلمة، فلطمها، فغضب سويد» (٩).
**٦- الرفق بهم:** وتفقد شؤونهم وجعل أوقات لهم يستريحون فيها من عناء العمل فهم الساعد الذي يعين واليد التي تنفع ولا تعرف قيمتهم إلا عند افتقادهم فنحمد الله الذي سخرهم لنا، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في العبيد: «إن أحسنوا فاقبلوا، وإن أساؤوا فاعفوا، وإن غلبوكم فبيعوا» (١٠).

### اللباقة في التعامل مع الأصدقاء

إن من الميزات العظيمة لهذا الدين أنه جاء بحسن الخلق عند التعامل مع الناس على اختلاف أشكالهم وألوانهم ومن بين الناس الأصدقاء فكيف يتعامل المسلم مع أصدقاءه وماهي شروط الصداقة والمحبة، وكيف يكون التعامل بالحسنى مع الأصدقاء؟
واجب على المسلم أن يحترم أصدقاءه وأن يبادلهم حبا بحب واحتراما باحترام؛ لأن هذا من صميم الدين وقد حثنا الإسلام على حسن اختيار الأصدقاء والصديق الحسن هو الذي يعينك على طاعة الله ويكون معك في الشدة والرخاء، ويكون حسن الخلق، موفور العقل وهذا مجمل صفات الصديق الحسن.
عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (١١).
عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي» (١٢).
وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما أعطي عبد بعد الإسلام خير من رجل صالح.
وعن الإمام الأوزاعي رحمه الله قال: سمعت بلال بن سعد يقول: أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من

الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك دينارا.

وقال عثمان بن حكيم: اصحب من هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا.

ومؤدى هذا الكلام وغيره يدل على حث الإسلام على حسن اختيار الأصدقاء وصحبة الإنسان الصالح.

أما عن حسن التعامل مع الأصدقاء فأجملها في نقاط

**أولا:** المشاركة في السراء والضراء والمواساة وقت الأزمات والنكبات، فقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لابنه عبد الله: ما الكرم؟ قال صدق الإخاء في الشدة والرخاء.

فالمؤاخاة الحقة هي التي تقوم بغير طمع كما أن من دلائل المؤاخاة التوافق والانسجام.

**ثانيا:** الأمانة وهي من أخص الصفات عند التعامل مع الأصدقاء وهي شرط لمؤاخاة الصديق.

يقول الحارث المحاسبي: ولا تواخ إلا أمينا.

وقال الإمام الماوردي عن فضل الصديق المخلص: ولعمري إن إخوان الصدق من أنفس الذخائر وأفضل العدد لأنهم شهمان النفوس وأولياء النوائب.

**ثالثا:** العون والنصيحة وهذا الأمر مهم جدا فإن المؤمن مرآة أخيه يستر عليه عيوبه وينصحه بلطف ويعينه على قضاء حوائجه ما استطاع إلى ذلك سبيلا وينصحه فيما ينفعه وينهاه عن موارد السوء والشر.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: معاتبة الأخ خير من فقده ومن لك بأخيك كله.

وقال الشاعر:

**ومن الذي ترجى سجاياه كلها**

**كفى المرء نبلا أن تعد معايبه**

**رابعا:** الزيارة لها فضلها وآدابها كذلك فإن زيارة الأصدقاء ومودتهم باب عظيم من أبواب الخير وينبغي أن يراعى عند زيارة الأصدقاء أمران:

١- قلة الزيارة.

٢- أن تكون خالصة لله.

ففي فضل زيارة الإخوان والأصدقاء والتي تكون خالية من أي غرض دنيوي يروي أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عاد مريضا، أو زار أخا له في الله، ناداه مناد: أن طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا» (١٣).

والزيارة تكون على فترات متقطعة حتى لا يمل الصديق، فالبعد يؤدي إلى حسن اللقاء وجودة العلاقات.

**خامسا:** بشاشة الرجل لصديقه وطلاقة وجهه إذا لقيه وهذا الأمر من الأمور المفضلة عند لقاء المرء إخوانه وأصدقائه وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لقي الرجل فرأى في وجهه البشر صافحه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان إذا صافح رجلا لم يترك يده حتى يكون هو التارك ليد رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١٤).

**سادسا:** سخاء النفس بالبذل للأصدقاء، فكثيرة هي الأحاديث النبوية التي تحث على البذل بين الأصدقاء بشرط أن يكون ذلك لله سبحانه وتعالى وليس لأي غرض دنيوي أو انتظار التعامل بالمثل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وجبت محبتي للمتباذلين فيَّ وجبت محبتي للمتزاورين فيَّ» وفي رواية: «حقت محبتي للمتباذلين فيَّ».

فمن حسن خلق المرء أن يكون كريما سخيا على إخوانه بما هو متاح له من مال أو مطعم أو ملبس.

**سابعا:** التعبير عن الحب للأصدقاء والتقدير والاحترام والود لهم وهذا إحدى أركان الصداقة القوية إضافة إلى بذل المال والخدمات في حدود المتاح وقد أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نخبر من نحبه بأن نعرفه أننا نحبه في الله فهذا مدخل عظيم من مداخل الألفة والمحبة بين الأصدقاء.

---

**الهوامش**

١- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٣٥٥٩).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، رقم: (٣٠).

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، (٥-٢٢٤٤)، ومسلم، (٤-١٨٠٣).

٤- أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٥-٢٥٠)، والبخاري في الأدب المفرد، (١-٦٨).

٥- أخرجه البخاري، (١-٤٥٥).

٦- أخرجه مسلم، (٥-٩٢)، وأبو داود، (٧-٤٢٤).

٧- أخرجه البخاري في الأدب المفرد(١-٧١).

٨- المصدر السابق.

٩- أخرجه أبو عوانة في مسنده، (٤-٦٩)، والبخاري في الأدب المفرد، (١-٧٢).

١٠- ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: فيه عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف، (٤-٢٣٩)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب، (٣-٢٢١)، وقال: فيه عاصم بن عبيد الله، وقد مشاه بعضهم، ولا يضر في المتابعات، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره.

١١- رواه أبو داود، (٤-٤٠٧)، والترمذي، (٤-٥٨٩)، وأحمد في مسنده، (٢-٣٠٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٣٥٤٥).

١٢- رواه أبو داود، (٤-٤٠٧)، والترمذي، (٤-٦٠٠)، وقال: حسن إنما نعرفه من هذا الوجه. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٣٠٣٦).

١٣- رواه الترمذي، رقم: (٢٠٠٨)، وقال حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (٦٣٨٧).

١٤- قال الألباني في السلسلة الصحيحة: «... وبالجملة، فالحديث صحيح بهذه الطرق، ولاسيما وله شواهد»، (٥/٦٣٥).

فاطمة عبدالرؤوف
باحثة تربوية - مصر



# التربية الفطرية.. السهل الممتنع

تتزايد شكوى الكثير من الآباء والمربين من صعوبات تربية النشء. وعلى الرغم من أن الكثيرين منهم نالوا حظا لا بأس به من التعليم، وربما قدرا من الثروة يمنحهم فرصا معيشية جيدة، فإن مشكلات الأبناء وسوء السلوك والاضطرابات النفسية التي يعاني منها الكثير منهم تركت الآباء في حالة من الحيرة، ولجأ الكثيرون إلى الاستشاريين التربويين، أو إلى القراءة المتخصصة، أو حتى إلى حضور بعض الدورات التدريبية؛ محاولة منهم لفهم الأبناء والاقتراب من عالمهم، ومن ثم محاولة تصحيح سلوكهم وتربيتهم على أسس سليمة. وفي المقابل، تساءل آخرون: هل التربية بحاجة إلى كل هذه القراءات والدورات؟ والسؤال الأهم: كيف نجح آباء بسطاء محدودو التعليم في الماضي في تربية أبناء صالحين بينما فشل آباء على قدر عال جدا من التعليم والثقافة في تربية أبناء أسوياء؟ وعلى الرغم من أنها ليست قاعدة مطردة، فإنه وجد في الماضي، وعلى مدار كل العصور، أبناء غير صالحين نتاج تربية خاطئة وفاشلة، وبالطبع هناك أبناء غير صالحين على الرغم من صلاح آبائهم وحسن تربيتهم، كما أن عصرنا ممتلئ بنماذج لأبناء حسنت تربيتهم وأثمرت ثمارها اليانعة إلا أنه يبقى سؤال يتردد كثيرا: هل التربية مسألة فطرية بسيطة، أم هي علم معقد ليس من السهل إتقانه؟

## التربية والفطرة

أودع الله عزوجل في فطرة الإنسان كل ما يحتاج إليه من أجل أن يعيش مستقيما هو ونسله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ (الروم:٣٠). هذه الحاسة الإيمانية الخلقية التي توجد مع الإنسان منذ لحظة مولده «ما من مولود إلا يولد على الفطرة» (رواه مسلم)، كفيلة أن تهدي الإنسان سبله في الحياة، وكفيلة أن تمنح المربي الأدوات والمفاتيح اللازمة لنجاحه في عملية التربية؛ شريطة الاستماع إلى صوتها والاستجابة له، وهي مسألة سهلة وممكنة رغم كل تعقيدات العصر الحديث لو منح الإنسان نفسه فرصة للاستبصار

فقط ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات:٢١).
ومن هذه المفاتيح التربوية الفطرية:

### تقوى الله

الفطرة الإنسانية هي أكبر ملهم للإيمان، ومن يؤمن بالله لابد أن يحرص على التقوى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (يونس:٦٣).
الإنسان الذي يتقي الله عزوجل في كل قول وعمل، يستمد من الله سبحانه قوة يفتح بها قلوب الأبناء، وتضمن له سرعة استجابتهم، بل إن من يتقي الله عزوجل يحفظ الله له أبناءه، قال ابن عباس في قوله ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (الكهف:٨٢): حفظا بصلاح أبيهما.
من يتق الله يحرص على الكسب الطيب بلا أدنى شبهة والذي به يستجاب الدعاء. وكثيرا ما سئل الصالحون عن سر صلاح وبر أبنائهم، فأجابوا أننا لم نطعمهم لقمة من حرام.

### الاستعانة

ومن النقاط التي ترتبط بتقوى الله عزوجل الاستعانة به سبحانه والدعاء بأن يهدي الأبناء، وهي مسألة ليست بحاجة إلى دورات تربوية، ولكنها مسألة فطرية عند كل مؤمن، والله سبحانه وتعالى هو من بيده القلوب.. فدعاء الصالحين يحظى الأبناء بقسط وافر منه ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ (الأحقاف:١٥)، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان:٧٤).
الاستعانة بالله عزوجل من أجل صلاح الأبناء تلزم الآباء بالصبر وتكرار المحاولات «لا تعاملوا أولادكم باليأس، إنما استعينوا بالله على صلاحهم، اطلبوا من الله أن يصلحهم. ولما تكون عاجزا عن تربيتهم، فالمفروض أن يزيد رجاؤك بربك ولا تيأس منهم ومن ربك.
احذر ترك طلب الهداية والصلاح للأبناء، فهذا يأس من الله! واليأس من الله هذه كبيرة من كبائر الذنوب!
املأ قلبك أن المعين لابد أن يردهم إليك سالمين، لكن اطلب منه -سبحانه وتعالى- ذلك».

### الحب

الحب ليس عملا قلبيا فقط، إنه كالإيمان اعتقاد وقول وعمل، جميع الآباء يحبون أبناءهم.. هذه مسألة فطرية، ولكن لابد من إظهار هذا الحب بالقول، هذه قاعدة في الحياة عموما، فما بالك مع الأبناء وفي الحديث: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه» (رواه الترمذي).
فإذا كان النبي ﷺ يحث الإخوة في الدين أن يعلنوا كلمة الحب ولا يتركوها كشعور مجرد في القلب حتى يستطيع الطرف الآخر أن يشعرها ويتفاعل معها، أفلا يكون من الأولى أن يكون ذلك مع الأبناء أن نظهر عواطفنا نحوهم بكل الصور، ومن أبرز ذلك الكلام، ثم تعزز هذه الكلمات بالسلوك الذي يترجم هذا الحب؟!
الأبناء عندما يشعرون أن وراء التوجيه - أمرا أو نهيا - دافعا هو الحب ستسهل عليهم الاستجابة.. ما لا يدركه بعض الآباء أن هناك الكثير من الأبناء يتشككون في مشاعر والديهم نحوهم، والمطلع على أبواب الاستشارات يجد الكثير من كلمات مثل: أبي يكرهني، أمي لا تحبني؛ من شدة الافتقار إلى الحب، والحدة في التعاملات، فليكن هذا الحب الفطري هو الروح التي تجري في كل السلوكيات والمعاملات مع الأبناء وليس مجرد شعور في القلب لا يعلم عنه الأبناء شيئا.

### الرحمة

الرحمة مسألة فطرية، أما القسوة والغلظة فهما تناقضان الفطرة.. وأولى الناس بهذه الرحمة هم الأبناء فعندما «قبل رسول الله ﷺ الحسن ابن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا! فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم» (رواه البخاري).
هذه القبلات هي إبراز للرحمة في ثوب عملي، وليس من المبالغة القول إن حاجة الأبناء إلى هذه القبلات لا تقل عن حاجتهم إلى الخبز؛ هذه القبلات لا تقتصر على الصغار فقط «كانت الزهراء إذا دخلت عليه ﷺ قام إليها، فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكانت إذا دخل عليها قامت إليه، وأخذت بيده وقبلته وأجلسته في مجلسها» (رواه أبو داود في السنن).
صور الرحمة كثيرة جدا، وهي تعني الاهتمام في أعلى درجاته والرفق وإحسان الظن وعدم التكليف بما يشق.

### التقبل

تقبل الأبناء بضعفهم، ولا يوجد إنسان ليس لديه نقاط ضعف، إنها مسألة فطرية، وهي أحد النواتج

الطبيعية عن الحب والرحمة.. ليس من المبالغة القول إن أحد أكبر التحديات التي يواجهها المربي المعاصر مسألة التقبل من عدمه، فغالبا ما يكون سقف الطموحات والتوقعات التي ينتظرها الآباء من أبنائهم كبيرا للغاية، ويصطدمون بواقع الأبناء المختلف والأقل في أكثر من مستوى، ومن ثم يواجه الآباء هذا بالنقد الحاد واللاذع وإجراء المقارنات، فيعززون السلوك السلبي لدى أبناء قد يكونون طبيعيين تماما، ولكن كرد فعل لما يقوم به الآباء يبدون مقاومة وعدم استجابة.

سلوك السخرية الذي يتبعه بعض الآباء يضاد سلوك التقبل، والسخرية تتناقض مع الفطرة تماما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ (الحجرات:١١)، وكم من ابن فشل في مجال ونجح في آخر بفضل تقبل والديه وعدم السخرية منه ومن فشله.

بعض الآباء تصل بهم المقارنات وعدم التقبل لنقد شكل الطفل أو التحسر أنه ليس فيه من الصفات الشكلية كذا وكذا، وربما يكون الكلام بالتعريض وليس بالتصريح، ولكنه يصل كله لقلب الطفل وشعوره، ونسوا قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (رواه مسلم)، فتقبلك لابنك لأنه ابنك وليس لأنه جميل أو متفوق أو... هذه هي الفطرة.

المعيار الوحيد الذي ينبغي على أساسه تقدير الابن هو تقواه وخلقه ومشاعره الطيبة، الأمر نفسه ينطبق على الأبناء من ذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى، فلابد من تقبلهم واستغلال طاقتهم لأقصى حد ممكن، وإبراز المعيار الوحيد لتقبلهم وهو لا يختلف عن الأبناء الطبيعيين ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (التوبة:٩١).

### قضاء الوقت الكافي

ومن الأمور الفطرية أن يقضي الآباء وقتا كافيا مع أبنائهم، وإلا فمتى وكيف سيتم التوجيه، سواء بشكله المباشر أو غير المباشر، وهو الأخطر والأكثر أهمية؟

لعل آفة العصر الحديث هي انشغال الآباء بالعمل من أجل توفير المال، والذي نافست فيه النساء الرجال.

في هذا السياق، مازلت أذكر ما حكته لي إحدى الأمهات عن طفلتها التي تمسكت بها وهي خارجة للعمل حتى تجلس وتلعب معها، فقالت لها الأم سأخرج حتى اشتري لك لعبة، لكن الصغيرة ظلت متشبثة بها وهي تقول لها أريدك أنت ولا أريد أي لعبة!.. النبي ﷺ، الذي كان يدير الدولة ويقود الجيوش، كان يقوم من على المنبر ويحمل الحسن والحسين.. يجد الوقت ليعلم صبيا آداب تناول الطعام.. يجد الوقت ليتجاوب مع طفل فطيم ويسأله عن طائره الذي يحبه ويلعب معه.. الوقت الكافي الفعال جدير بمد جسور الحوار والتفاعل، ويقلل من المطالبات المادية، لأن الطفل يكتسب قيم التفهم. وليس من المبالغة أن كثيرا من حاجات الأبناء المادية هي رد فعل منهم على انشغال الآباء، بل إن كثيرا من الآباء هم من زرعوا بذور التطلعات المادية في قلوب الأبناء ثم أدخلوا أنفسهم في دوامة المزيد من العمل والمزيد من المال والقليل من الوقت للأبناء.. منح الأبناء الوقت الكافي الفعال يقلل الشجار بينهم، ويزرع الحب بدلا منه.

### اللعب

اللعب مسألة فطرية عند الطفل لابد أن يقدرها المربي ويعطيها حقها، وأن يصبر على الطفل عندما يكلفه بأمر ما فيشغله اللعب عنه، ولنتأمل حديث أنس رضي الله عنه عن تجربته كصبي مع اللعب ومع العناد، وكيف نجح النبي ﷺ في إدارة هذا التحدي، يقول أنس: «كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس ذهبت حيث أمرتك؟» قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله» (رواه أبو داود).

الضحك والدعابة والتلطف وتكرار الأمر مرة أخرى، أمور فطرية بسيطة لكنها بالغة التأثير.

لابد من منح الطفل مساحة للعب، ونظرة لبيوتنا الحديثة المكدسة بالأثاث ستجد أن لا مساحة للعب، ولو تحرك الطفل نصرخ عليه حتى لا يكسر شيئا من هذه التحف التي زينت بها الأرفف والجدران. ماذا يفعل الطفل؟ وكيف يشبع رغبته في اللعب؟ ينزوي ويلجأ إلى الألعاب الإلكترونية الحديثة المشبعة بالعنف والتمرد، والنتيجة سلوكيات رديئة يصعب على المربي مواجهة آثارها السلبية.




ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

# مجلة الإسلام

السنة الأولى

العدد الأول

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

## الإسلام

صحيفة اسلامية اسبوعية جامعة

﴿ لسان حال الجمعيات الاسلامية ﴾

وتنشر قرارات المؤتمر الاسلامي العام

المكاتبات
تكون باسم صاحب الجريدة وطابعها وناشرها
ومحررها المسئول
أمين عبد الرحمن
الإدارة: بشارع محمد علي رقم ١٤١ بمصر
تليفون رقم ٥٣٣١٣
صندوق بوستة رقم ١٥٧٣

الاشتراكات

| | داخل القطر | خارج القطر |
|---|---|---|
| عن سنة كاملة | ٤٠ | ٧٠ |
| عن سنة للطلبة | ٣٠ | ٦٠ |

يتفق مع الإدارة على الإعلانات وترسل المراسلات باسم صاحب الجريدة

﴿ قررت وزارة الحقانية «مجلة الاسلام» لنشر الاعلانات القضائية ﴾

الخميس ١٨ شوال سنة ١٣٥٠ — الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٢



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنار للاسلام طريق الهدى. وأوضح للمسلمين مناهج الخير وأبان لهم مسالك الردى. ليتبعوا الذي هو أحسن وليكونوا خير امة اخرجت للناس. فأنزل لهم كتابا مبينا ليتدبروا آياته. وليتذكر أولو الألباب. ثم قال لهم: (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي. ورضيت لكم الاسلام دينا) نشكره أن هدانا لهذا. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ونصلي ونسلم على سيدنا محمد النبي الامي الصادق الامين. القائل: «إنما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق» وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ﴿ وبعد ﴾ فانا لما رأينا هذه النهضة الاسلامية المباركة، التي نفثها ونفخ فيها من روحه حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك (احمد فؤاد الاول) والتي تجلت باصلاح الازهر الشريف، وإحياء المعاهد الدينية، ورعاية المرافق الاسلامية، وتعضيد الجماعات التي تعمل لخير الاسلام والمسلمين. رأينا أن نكون جنوداً لهذا القائد العظيم، والمصلح الحكيم الذي أقامه الله على هذه الامة في وقت محنتها وأوقات شدتها، فقادها الى سبل الامان وسلك بها مسالك الرشد. ثم ما زال يتقدم بها من فوز الى فوز، وينيلها نصراً [illegible] ويقلدها فضلا بعد فضل، حتى جنبها المخاوف، وهداها إلى سواء السبيل [illegible] الى [illegible] أن جدي وسيري الى حيث تدركين مكانك تحت الشمس، [illegible] بين الامم

**تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.**

وتأتي «مجلة الإسلام» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

### التعريف بالصحيفة

وهي مجلة إسلامية أسبوعية جامعة، لسان حال الجمعيات الإسلامية، وتنشر قرارات المؤتمر الإسلامي العام، لصاحبها وطابعها وناشرها ومحررها المسؤول: أمين عبد الرحمن.

وقد صدر أول عدد منها يوم الخميس (١٧) شوال، سنة: (١٣٥٠هـ)، الموافق لـ (٢٥) فبراير، سنة: (١٩٣٢م).

### سبب التسمية

قال محررها المسؤول السيد أمين عبد الرحمن، في صفحتها الثانية من عددها الأول: «وسميناها (الإسلام)؛ لتكون بصفة خاصة ميدانا تتسابق فيه أقلام الكتاب الذين يهمهم أمر الإسلام والمسلمين في جميع بقاع الأرض، ولتخدم المبادئ الإسلامية الصحيحة وتعمل على نشرها بين طبقات الأمة، ولتكون على وجه أخص لسان حال الجمعيات الإسلامية التي تدعوا إلى الفضيلة، وتحض على مكارم الأخلاق، وتعمل لخير الإنسانية، وسوق عكاظ لرجال العلم والدين، ومدرسة لنشر الثقافة الإسلامية بين أبناء الموحدين».

### محتوى العدد الأول من هذه الصحيفة

لقد تصدر العدد الأول من هذه الصحيفة وقدم لها الأستاذ الكبير: أحمد زكي باشا، حيث كتب بقلمه مقالا يثني فيه على هذه النبتة الفتية، ويشجع على مواصلة مسيرتها الدعوية خدمة للإسلام والمسلمين.

ثم جاء بعده مقال قصير للأستاذ الشيخ: عبد الوهاب النجار، بعنوان: «تحية الإسلام»، حيث أشاد وأثنى على هذه الصحيفة الطيبة، مشبها إياها بالغيث الذي ينزل بعد القنوط.

ثم بعده مقال بعنوان: «النهضة الإسلامية، البواعث الداعية لها، والأسباب الدافعة لها، والجماعات القائمة بها».

ولم تقتصر المجلة على الموضوعات الدينية فقط، وإنما تخللها بعض الموضوعات العلمية، والاجتماعية، والثقافية؛

فمن الموضوعات العلمية؛ مقال بعنوان: «القلب الإنساني».

ومن الموضوعات الاجتماعية؛ مقال بعنوان: «كيف يشرب عشرة ملايين من المصريين؟».

ومن الموضوعات الثقافية؛ مقال بعنوان: «إلى رجال الثقافة في مصر».

وبقيت المجلة في ميدان الدعوة طيلة (٥٠) سنة، أي: من سنة: (١٩٣٢م) إلى سنة: (١٩٨٢م). وخلال هذه الرحلة الطويلة على مدى هذه السنوات؛ تطورت المجلة في أبوابها وموضوعاتها، وعدد صفحاتها، وهذا ما لحظناه في باقي أعدادها.

### نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي على نسخة كاملة من هذا الكنز الثمين، حيث أنها جمعت في (٥٢) مجلدا، وهي في متناول الذين يبحثون عن العلم والمعرفة.

---

### المصادر

مجلة الإسلام.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

**لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.**

# صور القبض المستجدة

**- الخلاصة الحكمية**

- الأصل أنه لا يجوز بيع شيء قبل قبضه، ولكنه إذا بيع قبل القبض كان بيعا فاسدا لا باطلا؛ فيفيد الملك بعد القبض.

- لم يعين الكتاب والسنة حقيقة القبض؛ فكأن الشرع جعل الأصل في ذلك لأعراف الناس، وعاداتهم.

- من صورة القبض الحكمي المعتبرة شرعا وعرفا: القيد المصرفي لمبلغ من المال في حساب العميل، وتسلم الشيك إذا كان له رصيد قابل للسحب.

- يبنى المنع من البيع قبل القبض على علة غرر الانفساخ.

## ■ القرارات والتوصيات والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

**● أولا - قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من يوم الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩هـ - الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩م إلى يوم الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩هـ - الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩م قد نظر في موضوع:**

١- صرف النقود في المصارف، هل يستغنى فيه عن القبض بالشيك الذي يتسلمه مريد التحويل؟

٢- هل يكتفى بالقيد في دفاتر المصرف، عن القبض، لمن يريد استبدال عملة بعملة أخرى مودعة في المصرف؟

وبعد البحث والدراسة قرر المجلس بالإجماع ما يلي:

**أولا - يقوم استلام الشيك مقام القبض، عند توافر شروطه في مسألة صرف النقود بالتحويل في المصارف.**

ثانيا - يعتبر القيد في دفاتر المصرف في حكم القبض لمن يريد استبدال عملة بعملة أخرى، سواء كان الصرف بعملة يعطيها الشخص للمصرف أو بعملة مودعة فيه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. والحمد لله رب العالمين.

انتهى القرار.

**● ثانيا - قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره السادس بجدة في المملكة العربية السعودية من ١٧-٢٣ شعبان ١٤١٠هـ - الموافق ١٤ - ٢٠ آذار (مارس) ١٩٩٠م،** بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «القبض: صوره، وبخاصة المستجدة منها، وأحكامها»، واستماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

**أولا - قبض الأموال كما يكون حسيا في حالة الأخذ باليد، أو الكيل أو الوزن في الطعام، أو النقل والتحويل إلى حوزة القابض، يتحقق اعتبارا وحكما بالتخلية مع التمكين من التصرف ولو لم يوجد القبض حسا.**

وتختلف كيفية قبض الأشياء بحسب حالها، واختلاف الأعراف فيما يكون قبضا لها.

**ثانيا - إن من صورة القبض الحكمي المعتبرة شرعا وعرفا:**

١- القيد المصرفي لمبلغ من المال في حساب العميل في الحالات التالية:

أ- إذا أودع في حساب العميل مبلغ من المال مباشرة، أو بحوالة مصرفية.

ب- إذا عقد العميل عقد صرف ناجز بينه وبين المصرف في حال شراء عملة بعملة أخرى لحساب العميل.

ج- إذا اقتطع المصرف - بأمر العميل- مبلغا من حساب له إلى حساب آخر بعملة أخرى، في المصرف نفسه أو غيره، لمصلحة العميل أو لمستفيد آخر، وعلى المصارف مراعاة قواعد عقد الصرف في الشريعة الإسلامية.

ويغتفر تأخير القيد المصرفي بالصورة التي يتمكن المستفيد بها من التسلم الفعلي، للمدد المتعارف عليها في أسواق التعامل، على أنه لا يجوز للمستفيد أن يتصرف في العملة خلال المدة المغتفرة إلا بعد أن يحصل أثر القيد المصرفي بإمكان التسلم الفعلي.

٢- تسلم الشيك إذا كان له رصيد قابل للسحب بالعملة المكتوب بها عند استيفائه وحجزه المصرف. والله أعلم.

انتهى القرار.

**● ثالثا - انعقدت الندوة التاسعة لمجمع الفقه الإسلامي بالهند في جامعة الهداية بمدينة جيه فور في ولاية راجستهان في الفترة: ٢٧-٣٠ جمادى الأولى ١٤١٧هـ - الموافق: ١١-١٤ أكتوبر ١٩٩٦م، حضرها أكثر من**

**٣٠٠ عالم وفقيه مثلوا مدارس فكرهم ومعاهدهم وجامعاتهم من أربع عشرة ولاية من ولايات الهند، ونوقشت فيها أربعة موضوعات؛ منها: قرار رقم ٣٩ (٩/٣)؛ بشأن البيع قبل القبض:**

راجت في العصر الحاضر عقود مستجدة للمعاملات التجارية، يبدو أن بعض الصور منها داخلة تحت البيع قبل القبض، وقد نهى رسول الله ﷺ عن البيع قبل القبض، وبهذا الصدد اتخذت الندوة، بعد دراسة الموضوع، القرارات التالية:

أولا - الأصل أنه لا يجوز بيع شيء قبل قبضه، ولكنه إذا بيع قبل القبض كان بيعا فاسدا لا باطلا فيفيد الملك بعد القبض.

ثانيا - لم يعين الكتاب والسنة حقيقة القبض، ولا صورة مخصوصة منها، فكأن الشرع جعل الأصل في ذلك لأعراف الناس وعاداتهم، وبناء على ذلك تتعين نوعية القبض حسب اختلاف أنواعها وأعراف العصر الرائجة.

ثالثا - يتبين من تصريحات الفقهاء بهذا الخصوص أن القبض في الأصل هو أن يتم استيلاء المشتري على المبيع بحيث لا يبقى له مانع من التصرف فيه، وهو المعبر عنه بالتخلية في كتب الفقه.

رابعا - يبنى المنع من البيع قبل القبض على علة غرر الانفساخ، ويعني ذلك أن المبيع ما لم يصل إلى يد المشتري الأول يخشى ألا يتم قبضه عليه بعد، ولا يقدر على تسليم المبيع إلى المشتري الثاني.

خامسا - النهي الوارد في البيع قبل القبض يختص بالأموال المنقولة، فيجوز بيع الأموال غير المنقولة قبل القبض.

سادسا - لو اشترى شخص السلعة من بائع (مصنع أو غيره) وباعه المشتري لشخص آخر قبل أن يرسل المصنع السلعة إليه، فهذا البيع الثاني غير جائز لكونه داخلا في البيع قبل القبض.

سابعا - لو اشترى شخص السلعة من مصنع وأمره بإرسال السلعة إليه بطريق خاص (بالباخرة مثلا)، وقام المصنع بإرسالها على الوجه المطلوب، ويتولى المشتري ضمانها إذا هلكت بعد خروجها من يد المصنع، وتكون أجرة الإرسال على المشتري، فالجهة التي يتم عن طريقها إرسال السلع تكون وكيلة عن المشتري، ويكون قبضها قبض المشتري، وبناء على ذلك يجوز للمشتري أن يبيعها لشخص آخر قبل وصول السلعة إليه، لأنه لا يدخل في البيع قبل القبض، وإذا اشتراها شخص آخر من المشتري الأول لا يجوز لهذا المشتري الثاني أن يبيعها للثالث قبل أن يتسلمها، لأنه داخل في البيع قبل القبض.

● **رابعا - عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١/ص٣٤٩/ف٢٥٢)؛ في موضوع «اعتبار تحويل قيمة الذهب في الحسابات الجارية قبضا»؛ ونصه: يريد رجل المتاجرة بالذهب، لكنه سمع أن هناك شبهة، حيث يشترط بالذهب «القبض» وقت الشراء، وحيث إن المعاملات التجارية بين المتعاملين بالذهب بالعملة تتم عن طريق الحسابات الجارية المسجلة بأسمائهم ولا يتم «قبض الذهب عينا»، إلا أن المشتري يستطيع استلام الكمية المشتراة إن أراد ذلك، لكن هناك كثيرا من العوائق «الأمنية» التي تحول دون استلام الذهب، فهل يعتبر تحويل قيمة الذهب في الحسابات قبضا؟ وهل هناك نواح أخرى في المتاجرة بالذهب؟ وما الفرق بينه وبين المتاجرة بالعملات المختلفة؟**

أجابت اللجنة بما يلي: إن القيد في الحسابات الجارية على ما هو معمول به بصورة لا يمكن الرجوع فيها إلا بإرادة صاحب الحساب يعتبر من قبيل القبض، وهو قبض حكما بناء على العرف الجاري في العملات المصرفية؛ لأن القبض ورد بالشرع بالأمر به، ولم يحدد كيفية معينة له.

ولا يختلف الأمر بين الذهب والعملات الورقية من حيث القبض على أن يمتنع من إدخال الأجل في هذه المعاملة قطعا؛ لما فيه من ربا النسيئة الممنوع بنص الحديث، على أن يكون يدا بيد؛ لما رواه البخاري ومسلم ومالك من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبا بناجز».

وما رواه مالك في الموطأ موقوفا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنحو الحديث المذكور وزيادة: «وإن استنظرك إلى أن يلج بيته؛ فلا تنظره إني أخاف عليكم الرماء»؛ والرماء هو الربا. وفي حكم الأجل أي إجراء يترتب عليه تأخير حق تصرف أحد الطرفين في البدل الذي انتقل إليه.

وإذا كانت المتاجرة تتم بين الذهب وذهب آخر؛ فلا بد من التقابض والتماثل في الوزن، ولا عبرة بفرق قيمة الصناعة، أما المتاجرة بالعملات فيجوز التفاضل بينها مع اشتراط القبض لقول الرسول ﷺ: «إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم على أن يكون يدا بيد». والله أعلم.

انتهت الفتوى.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

# دار الحديث السكرية

**لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.**
**ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.**

وكانت أول مدرسة أنشئت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها، وسطع عندما تولى الملك، الصالح، الناصر، صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاث مئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ست مئة مدرس، وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء، والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم،

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها، إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

**ألا عم صباحا أيها الطلل البالي**
**وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟**
**ديار لسلمى عافيات بذي خال**
**ألح عليها كل أسحم هطال**

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، فمنها: (دار الحديث السكرية (١)

## موقعها واسمها

كانت بالقصاعين داخل باب الجابية (٢)، جنوب سوق مدحت باشا، على نفس طريق جامع السنانية، وبها خانقاه (٣)، قبلي دار القرآن الخيضرية، وقد ضاع أثرها وأصبح مكانها بعض البيوت، قال ابن بدران رحمه الله: «ونحن لم نقف لها على أثر. ولقد وقفت حذاء باب الجابية، فرأيت بجانبه من القبلة زقاقا يسمى الآن زقاق البرغل (وهو اليوم شارع البرغل)، ثم مشيت مشرقا نحوا من سبعين خطوة، فرأيت بالجانب القبلي مسجدا سقفه معقود بالحجر، وهو قديم قد بدا لأعلاه أن يسقط، وفي جانبه قبر مكتوب على الشباك المقابل له: هذا قبر سيدي سركس، بخط حديث، وأمام الجامع من الشمال بركة ماء عليها آثار القدم، فلعل هذا الجامع هو الخانقاه، والمدرسة هي الدور التي بجانبه، ويمكن أن تكون المدرسة والخانقاه في جانب تلك البركة، ثم أخنى عليها الزمان، ودخلت في السوق فصارت حوانيت. والحاصل: أنها قد اندرست آثارها، وذهبت رسومها، وأخنى عليها الذي أخنى على لبد» (ا.هـ).

والخيضرية اليوم حي بين سوق القطن وسوق الصوف، والعامة تقول: الخضيرية، والشارع الذي هناك اسمه: شارع الخضيرية.

واسم الدار هو: السكرية، نسبة إلى واقفها الأصل ابن السكري، وقد ذكر بعض من كتب في تاريخ هذه الدار أنه «يجب أن تسمى هذه المدرسة الشمسية؛ لأن واقفها شمس الدين ابن التدمري». ولعل ما دفعهم إلى هذا القول، هو إعادة ابن التدمري بناء تلك الدار وتجديدها وتوسيعها، فعادت بعد عمله ذلك بها أفضل مما كانت عليه من قبل، خصوصا

أنه أصبح ناظرا عليها بعد التجديد. والله أعلم.

وستأتي القصة كاملة بإذن الله.

### واقفها

عمر بن محمد ابن السكري المتوفى سنة ٦٧١هـ.

### تاريخ بنائها

بنيت هذه الدار سنة ٦٧٤هـ.

### قصة تجديدها

جددها محمد بن عبدالكريم ابن التدمري، المتوفى سنة ٧٨٨هـ. وقصة ذلك كما ذكرها عاشق دمشق في منادمته لأطلالها:

«... وهي (أي: الدار)، صغيرة حرجة، وقفها ضعيف جدا، يبلغ في السنة خمسمئة درهم، وهي تحتاج خمسين ألفا، فانتدب لذلك رجل بدمشق يقال له: محمد بن عبدالكريم التدمري، وهو من أعيان التجار، ومن المحبين لشيخ الإسلام، فكتب محضرا، بأن جدران المدرسة تعيبت، وسقوفها تحتاج إلى فك».

فعارضهم زين الدين عبدالرحمن ابن رجب بدعوى أن النظر مفوض إليه من بعض القضاة.

وبعد أمور يطول شرحها، بناها ابن التدمري، وزاد فيها قاعة له كانت بجوارها، وجعل لها ميضأة، وبنى فوق القاعة حجرات، وأتمها سنة خمس وثمانين وسبعمئة، وكان المصرف على بنائها من ماله، وقرره القاضي ناظرا عليها...» (ا.هـ).

### الأوقاف المحبوسة عليها

سوق القشاشين بباب الفرج، طوله عشرون ذراعا شرقا وغربا.

الحمام القديم في مدينة حمص.

وبندر زيدين.

وكانت لها أوقاف أخرى في عدة قرى.

### شيوخها

أول من ولي مشيختها: الشيخ الإمام العالم الفقيه شهاب الدين عبدالحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله بن القاسم بن محمد بن الخضر بن تيمية الحراني.

قال عنه ابن كثير في سنة اثنتين وثمانين وستمئة: والد شيخنا العلامة العالم تقي الدين بن تيمية مفتي الفرق، الفارق بين الفرق، كانت له فضيلة حسنة، ولديه فوائد كثيرة، وكان له كرسي بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظهر قلبه، وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين وبها كان مسكنه، توفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد سلخ ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمئة بدمشق ودفن من الغد بالمقبرة الصوفية.

ثم في سنة ثلاث وثمانين وستمئة: وفي يوم الاثنين ثاني المحرم منها درس ابنه شيخ الإسلام ومفتي الأنام الإمام الحبر البحر الفهامة العلامة ذو التصانيف الكثيرة والعلوم الغزيرة ناصر الملة والدين، الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، بدار الحديث السكرية التي بالقصاعين وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين يوسف بن الزكي الشافعي والشيخ تاج الدين الفزاري شيخ الشافعية والشيخ زين الدين بن المرحل والشيخ زين الدين المنجا الحنبلي، وكان درسا هائلا حافلا في البسملة كما ذكره ابن مفلح في طبقاته وقد ذكره الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه لكثرة فوائده وكثرة ما استحسنه الحاضرون، وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره فإنه كان إذ ذاك عمره عشرين سنة وسنتين، ثم جلس الشيخ تقي الدين أيضا مكان والده بالجامع الأموي كما ذكره ابن كثير يوم الجمعة عاشر صفر بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيئ له لتفسير القرآن العزيز، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ، ودفن بالمقبرة الصوفية.

ثم وليها بعده الإمام الحافظ الكبير العالم بأحوال الرجال، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ.

ثم وليها الإمام صدر الدين سليمان بن عبدالحكيم الباردي المالكي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ.

ثم الإمام الحافظ زين الدين عبدالرحمن ابن أحمد ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ.

### خاتمة

وبعد هذه الإطلالة العابرة على الدار السكرية العريقة في دمشق الشام، والتي لم تكن وحيدة عصرها، بل كانت لها أخوات سبقتها، وأخرى أتت بعدها؛ تعرف ما كان عليه أهل ذلك العصر الفريد من العناية بالعلم، والعلماء، والدور، والمدارس، وما كانوا عليه من الاهتمام بالمدرس والدارس، والذي يرجع فيه الفضل بعد الله تعالى، إلى أناس أيقنوا أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض، ولا أن تتحرر، ولا أن تقود نفسها وغيرها من الأمم، إلا إذا اتخذت من العلم بجميع أنواعه وشتى مجالاته قائدا لها، وإلا إذا أولته كل اهتمامها؛ ففتح قلوب العباد وعقولهم مقدم على فتح البلاد والمهاد، فالاستنارة بنور الشرع هي الأصل والأساس، الذي يتفرع عنه فتح البلاد، وهداية العباد، فكانوا من رواد النهضة العلمية، الذين أعطوا العلم طابعا ومنهجا لم يكونا معروفين ولا مشتهرين من قبل، فرحم الله الجميع، وأعاد إلى تلك الدور، والمدارس، ومدنها، والمحابس، سالف عصرها الزاهر.

---

### الهوامش

١- للتوسع أكثر عن هذه الدار، انظر كتاب الشيخ محمد مطيع الحافظ: (دار الحديث السكرية سكنى شيخ الإسلام ابن تيمية).

٢- باب الجابية: هو أحد أبواب دمشق العشرة الشهيرة، يقع غرب سور دمشق عند نهاية السوق الطويل وسوق مدحت باشا، مواجها باب شرقي في الطرف الثاني البعيد من الشارع. وكان يتألف من ثلاث فتحات، في الوسط بوابة كبيرة وعلى جانبيها بوابتان أصغر حجما، يقال إن تسمية الباب تنسب إلى امرأة سيدة صالحة تدعى السيدة جابية، أما البناء فيعود تاريخه إلى العهد الروماني، وأعاد إنشاءه وترميمه ملك دمشق العادل نور الدين زنكي، ثم جدده ناصر الدين داود بن عيسى، تحيط به اليوم الأسواق المختلفة، والعديد من المباني، والمساجد، والأماكن التاريخية.

٣- كلمة فارسية معربة من: خانكاه، والخانقاه: هو المكان المخصص للانقطاع للعبادة، والذكر.



إعداد : خالد خلاوي

مشكلة وحل

## الشاعر ميسرة صلاح الدين:
## على الشاعر أن يستمر في اكتساب المعارف وخوض التجارب لإثراء ينابيع إلهامه

أكد الشاعر المصري الشاب ميسرة صلاح الدين أنه يحرص في كتاباته على أن تعبر عن ذاته وجيله بلغة عصرية، دون تصنيف أو استهداف إلى قارئ معين، مشيرا في السياق ذاته على ضرورة أن يستمر الشاعر في اكتساب المعارف وخوض التجارب لإثراء ينابيع إلهامه.

وأشار الشاعر الشاب في حواره مع «الوعي الشبابي» إلى أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في نشر الإبداع وتعزيز التواصل المباشر بين الكتاب وقرائهم، لكنه أكد في الوقت ذاته أنه لا يمكن الاعتماد عليها كليا في عملية فرز وتقييم الإبداع.

**- حدثنا عن أبرز أعمالك والرسالة التي تتضمنها؟**

أشعر دائما أني أوشكت على أن أصل إلى نقطة البداية، وأني سأصل يوما ما إلى نقطة حقيقية أرتكز عليها كشاعر وكاتب مسرحي، أهتم كثيرا بالجوانب الإنسانية وبالبحث عن المشترك في الرصيد الإنساني، وأحاول أن أعبر عن نفسي وجيلي بلغة أقرب إلى عصرنا، لكني حتى الآن أرى بأن الطريق ما زال ممتدا وغير واضح المعالم.

**- يمتاز شعرك بالبساطة والمكاشفة والصبغة الإنسانية، فما منابع إلهامك؟**

الشاعر لا يمكنه أن يحدد مصادر إلهامه ولا يمكنه أن يدرك المؤثرات التي تنضج إبداعه وتحفز كتاباته، فالإلهام في وجهة نظري فكرة معقدة جدا تختلط من خلالها الأحداث اليومية بالقراءات، بالمشاعر، بالنقاشات، ونشرات الأخبار، وإعلانات الجرائد، بالندوات الثقافية، ليتكون مخزون ما لا يمكن معرفة مصدره بشكل مباشر، لذلك يجب على الشاعر أن يستمر في اكتساب المعارف وخوض



التجارب أملا في أن يحصل على مخزون حياتي أكبر لعله يكون سببا في إلهامه.

**- ما رأيك في الإبداع المنشور في مواقع التواصل الاجتماعي، وكيف تقيم حضورها في الترويج للمبدع؟**

قامت مواقع التواصل الاجتماعي بدور مهم في عملية نشر الإبداع وخلق حالة من التواصل المباشر بين الكتَّاب وقرائهم، وهي حالة جديدة لم نكن نألفها في السابق، وبدأنا في التعود عليها، تساهم تلك الحالة بشدة في تسهيل عملية الدعاية والترويج للمبدعين والإصدارات الجديدة، لكنها أيضا تعمل على الترويج لأعمال ذات مستويات متباينة أو ذات ذائقة مختلفة، الأمر الذي يكون خادعا في أحيان كثيرة ولا يمكن الاعتماد عليه كليا في عملية فرز وتقييم الإبداع.

**- ما المراحل أو المواصفات التي ينبغي أن يمر بها الموهوب حتى يتحول إلى مبدع حقيقي؟**

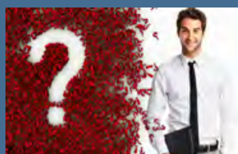
من هو المبدع الحقيقي، وما هو الإبداع، أسئلة ملغزة لا يمكن الرد عليها بسهولة، فالمسألة نسبية جدا، والتفاصيل المحيطة بعملية الإبداع مغرقة في الخصوصية والغموض بشكل مربك، لذلك لا يوجد وصفة للكتابة ولا يوجد طريق ممهد يضمن السير عليه للوصول للإبداع، وعلى الكاتب الذي يظن في نفسه الموهبة أن يجتهد في الاطلاع على تجارب الآخرين، وأن يعمل عينه وعقله في ملاحظة الحياة وتفاصيلها من حوله، وأن ينفتح على الآخر وثقافته بشغف، ومن ثم يحاول أن يبحث لنفسه عن بصمة واضحة تعبر عن كيانه ووجوده، ولا تشبه الآخرين، ولا يكافئ نفسه على جهده إلا بمزيد من الجهد، ولا عن صبره إلا بمزيد من الصبر حتى يحقق مبتغاه.

طور نفسك

## أكثر (٥) أسئلة شيوعا يطرحها أصحاب العمل

**الكويت – الوعي الشبابي**

تأخذ المقابلة الشخصية في التقدم لعمل ما عدة أشكال وربما يتعين عليك الخوض في عدد منها لأن بعض الجهات عادة ما تدعو المرشح المحتمل لحضور مقابلة شخصية ثانية وربما ثالثة على الرغم أن هذا عادة ما يحدث بالنسبة للوظائف الكبيرة، وهذه المقابلة عادة ما تتضمن مجموعة من الأسئلة يمكن أن تؤدي إلى توتر الأعصاب في حال لم تكن ملما بها؛ لذا نقدم لك عبر السطور التالية أكثر (٥) أسئلة



شيوعا يطرحها أصحاب العمل:

**١- ما الذي تعرفه عن جهتنا؟**

يطرح أصحاب العمل هذا السؤال لتحديد مدى اهتمامك بالدور الوظيفي والعمل لدى جهتهم. احرص على إجراء أبحاث حول تلك الجهة واجمع المعلومات المناسبة عنها، وتعرف على تاريخها والخدمات والمنتجات التي تقدمها.

**٢- أين ترى نفسك بعد خمس سنوات؟**






## «ريادة» مشروع للحفاظ على القيم الحميدة للطلبة المبتعثين

**الكويت – الوعي الشبابي**

أعلن رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الدكتور محمد الطبطبائي البدء في المشروع القيمي للطلبة المبتعثين «ريادة»، وذلك بالتعاون مع وزارة التعليم العالي.

وقال الطبطبائي: إن المشروع يهدف إلى الحفاظ على القيم الحميدة للطلبة المبتعثين من خلال ربطهم بالقيم الوطنية والإسلامية المعتدلة قبل الابتعاث بالخارج وخلاله، موضحا أن المشروع يهدف أيضا إلى نشر الوعي الديني القائم على الرحمة والتسامح وحماية الشباب المبتعثين من مخاطر الأفكار الدخيلة المتطرفة والسلوكيات السلبية.



وذكر أن من أهداف المشروع كذلك تحقيق الدعم والتشجيع المعنوي ورفع الهمة في طلب العلم والعطاء للوطن وبيان مكانة العلم النافع وفضل السعي في طلبه وأثر ذلك في خدمة الآخرين، مبينا أن المشروع انطلق عقب اجتماعات مشتركة مع ممثلي وزارة التعليم العالي في مقر اللجنة الاستشارية العليا لوضع تصور المشروع وأهدافه ووسائل تنفيذه.

## (٧) علامات تدل على اكتئاب ابنك المراهق

يعتقد البعض أن الاكتئاب مشكلة تصيب الكبار ومن هم في منتصف العمر فقط، لكن الحقيقة أنه يصيب الشباب والأطفال المراهقين أيضا، بل إن الاكتئاب في مرحلة المراهقة مشكلة شائعة هذه الأيام، وتلعب شبكات التواصل الاجتماعي وزيادة قيمة الشهرة دورا في انتشار الاكتئاب بين فئة الشباب والمراهقين.

تقلب الحالة المزاجية من الشعور بالحزن إلى الفرح الشديد إلى الوحدة إلى النشاط المفرط، علامة على الاكتئاب.

وتعتبر ملاحظة علامات الاكتئاب لدى الشباب والمراهقين خطوة هامة من الأبوين لمنع المشكلة من التطور باتجاه سلوكات خاطئة أو مرفوضة. إليك أهم علامة الاكتئاب لدى الأطفال والمراهقين والشباب:

**- اللامبالاة:** أول علامة على اكتئاب الطفل المراهق أن يفقد اهتمامه بالهوايات التي يفضلها.

**- النوم:** عندما يضطرب نمط نوم الطفل على الأبوين أن يدققا فيما يمر به ابنهما، ولا يختلف الأمر سواء كانت المشكلة زيادة ساعات النوم أو نقصها.

**- التفاعل الاجتماعي:** إذا كان من عادات طفلك التفاعل الاجتماعي مع أصدقائه ومن حوله فلا شك أن تحوله إلى العزلة وعدم التواصل بنفس الدرجة إشارة إلى أن معنوياته ليست على ما يرام.

**- عادات الأكل:** إذا تناول الطفل الكثير من الطعام أو أقل من المعتاد لعدة أيام متتالية على الأبوين أن يدركا أن ذهن وجسم الطفل لا يعملان كما هو مطلوب.

**- التحصيل الدراسي:** إذا تراجعت العلامات الدراسية للطفل، وصاحب ذلك اضطراب مواعيد نومه، أو عاداته الغذائية فيعني ذلك أنه يتعرض لاكتئاب شديد.

**- الحساسية:** المراهقون الذين يتعرضون لاكتئاب يصبحون حساسين جدا، ويمكن رصد ذلك من خلال عبارات يقولونها لأمهاتهم أو آبائهم مثل: «أنت لا تحبني كما كنت في السابق»، وهذه علامات على الأبوين أن يتأكدا من خلفياتها.

**- تقلب المزاج:** تقلب الحالة المزاجية من الشعور بالحزن إلى الفرح الشديد إلى الوحدة إلى النشاط المفرط، كلها علامات على الاكتئاب.

يطرح مدراء التوظيف عادة هذا السؤال للتعرف على أهدافك ومدى تناسبها مع أهداف جهتهم بشكل عام، يحدد هذا السؤال أيضا مدى احتمالية بقائك في عندهم على المدى البعيد ومدى احتمالية استقالتك بعد عدة أشهر.

**٣- لم استقلت من وظيفتك السابقة؟**

يحمل هذا السؤال أمورا خفية، فهو يكشف الكثير عن شخصيتك ومدى إخلاصك وتمتعك بأخلاق مهنية؛ هل استقلت من وظيفتك لأسباب إيجابية أو بسبب شعورك بالإهانة وعدم التقدير؟ أو هل استقلت لأنك توقفت عن تعلم أمور جديدة وتبحث الآن عن مسار مهني مختلف؟ كن حذرا من هذا السؤال، إذ يجب الإجابة عنه بدقة وإلا سيساء فهمك.

**٤- كيف تقنع شخصا بالقيام بأمر لا يود القيام به؟**

يطرح أصحاب العمل هذا السؤال لتقييم مهارات التواصل الخاصة بك وقدرتك على العمل ضمن فريق، فمن المحتمل جدا بأن تمر في مواقف تضطر فيها للتفاوض والتحاور ومناقشة وجهات النظر المختلفة، حيث يجب عليك امتلاك المهارات المطلوبة للقيام بذلك.

**٥- كيف تتعامل مع النقد؟**

يهدف هذا السؤال للتعرف على ردة فعلك تجاه الملاحظات البناءة ومدى تقبلك للنقد، تجنب أخذ الأمور على محمل شخصي عندما ينتقدك الآخرون، بل استغل هذه الفرصة لتحديد نقاط قوتك وضعفك، والسعي للنمو والتطور.

## إمام يترجم لإمام

ابن تيمية، الشيخ الإمام، العلامة الحافظ الناقد، الفقيه المجتهد المفسر البارع، شيخ الإسلام، علم الزهاد، نادرة العصر، تقي الدين، أبو العباس، أحمد بن المفتي شهاب الدين عبدالحليم، ابن الإمام المجتهد شيخ الإسلام مجد الدين عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الحراني، أحد الأعلام، ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمئة. وسمع ابن أبي اليسر، وابن عبدالدائم، وعني بالحديث وخرج، وانتقى وبرع في الرجال، وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك، وكان من بحور العلم ومن الأذكياء المعدودين، والزهاد والأفراد، ألف ثلاثمئة مجلدة، وامتحن وأوذي مرارا، مات في العشرين من ذي القعدة، سنة ثماني وعشرين وسبعمئة.

**(انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، ١/ ٥٢٠)**

## الهجرة هجرتان

قال العز بن عبدالسلام، رحمه الله تعالى: «الهجرة هجرتان: هجرة الأوطان، وهجرة الإثم والعدوان. وأفضلهما هجرة الإثم والعدوان. لما فيها من إرضاء الرحمن، وإرغام النفس والشيطان» (انظر: نضرة النعيم، ٨/٣٥٤٦).

وقال ابن القيم، رحمه الله: «الهجرة هجرتان: هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار في كل نفس إليه. وهجرة إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته. ولا يقبل الله من أحد دينا سواه، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد».

**(انظر: طريق الهجرتين لابن القيم، ١/ ٢٠)**

## فقد البصر

وأما فقد البصر فربما كان معينا على قوة إدراك البصيرة وشدة ذكائها، فإن نور البصر ينعكس إلى البصيرة باطنا فيقوى إدراكها ويعظم، ولهذا تجد كثيرا من العميان أو أكثرهم عندهم من الذكاء الوقاد والفطنة وضياء الحس الباطن ما لا تكاد تجده عند البصير، ولا ريب أن سفر البصر في الجهات والأقطار ومباشرته للمبصرات على اختلافها يوجب تفرق القلب وتشتيته؛ ولهذا كان الليل أجمع للقلب، والخلوة أعون على إصابة الفكرة. قالوا: فليس نقص فاقد السمع كنقص فاقد البصر، ولهذا كثير في العلماء والفضلاء وأئمة الإسلام من هو أعمى.

**(انظر: بدائع الفوائد، ١/ ٧١)**

## منهجية طلب العلم

قال العلامة ابن باز، رحمه الله تعالى: إن من لم يدرس على أهل العلم ولم يأخذ عنهم، ولا عرف الطرق التي سلكوها في طلب العلم؛ فإنه يخطئ كثيرا، ويلتبس عليه الحق بالباطل؛ لعدم معرفته بالأدلة الشرعية، والأحوال المرعية التي درج عليها أهل العلم، وحققوها وعملوا بها.

**(انظر: شرف العلم وآداب أهله، ص٩٦)**

## مصارع العقول

قال الوزير ابن هبيرة رحمه الله: احذروا مصارع العقول عند التهاب الشهوات.

**(انظر: ذيل طبقات الحنابلة، ٢/ ١٨٥)**

## أنفع الأدوية

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: من أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء.

**(انظر: الجواب الكافي، ص:٢٥)**

## المفتي المطلق المستقل

وصف ابن الصلاح، رحمه الله، المفتي المستقل بـ: «أن يكون قيما بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية عن الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وما التحق بها على التفصيل، وقد فصلت في كتب الفقه فتيسرت ولله الحمد. وأن يكون عالما بما يشترط في الأدلة، ووجوه دلالتها، وبكيفية اقتباس الأحكام منها، وهذا يستفاد من أصول الفقه، عارفا من علوم القرآن، والحديث، والناسخ والمنسوخ، والنحو واللغة والتصريف، واختلاف العلماء واتفاقهم بالقدر الذي يتمكن معه من الوفاء بشروط الأدلة والاقتباس منها، ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك، عالما بالفقه، ضابطا لأمهات مسائله وتفاريعه». ثم قال رحمه الله: «فمن جمع هذه الأوصاف فهو المفتي المطلق المستقل».

**(انظر: أدب الفتوى، ص:٣٥)**

## جزاء المعصية

قال ابن خيرة (كان من أصحاب علي رضي الله عنه): «جزاء المعصية:

الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة.

قيل: وما التعسر في اللذة؟

قال: لا يصادف لذة حلالا إلا جاء من ينغصه إياها».

**(انظر: تفسير ابن كثير، ٣/٥٣٣)**

## الناس أربع طبقات

قال أبو منصور: «كان المأمون يقول: الناس أربع طبقات: بين إمارة، وتجارة، وزراعة، وصناعة. فمن لم يكن بينهم كان كلا عليهم».

**(انظر: آداب الملوك، ص:٦٨)**

## رأس التواضع

قال العلامة ابن المبارك، رحمه الله: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

**(الكشكول للياسين، ص:١٧٦)**

## محل الإسلام من أهل الزمان

إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة.

**(انظر: الآداب الشرعية، ١/٢٣٧)**

أيمن عبدالسميع حسن
باحث تربوي مصري

«مجيد التلاوة»

# عبدالباسط محمد عبدالصمد



سأفتقد كل هذا وأرحل، هل يمكنني أن أخبئه بداخلي، وأحتفظ بجميل صوته ووهج حكاياته؟

إن رحيل قارئ القرآن يشكل في أي زمان، وأي مكان خسارة للعالم أجمع، فرحيله يساوي رحيل مساحة من الجمال والسمو، وحين غيابه تغيب عوالم كثيرة، كان ينبغي لها أن تضاف إلى هذا الكون الإنساني المحدود.

إن رحيل هذا المصري، الشيخ الجليل (١٩٢٧م/ ١٩٨٨م) يعد خسارة حقيقية لدينا، فبغيابه انطوت صفحة طويلة عامرة بالمحبة، هي سماء ناصعة البياض يحلق فيها فذّ من أفذاذ علم القراءات وتعليم التجويد والترتيل، فميلاد هذا العبقري، أول يناير عام (١٩٢٧م)، ازدهرت الدنيا، واستنارت، وتألقت وأشرقت بالبهجة والسعادة، فقد تفرد هذا الشيخ المثابر بين أقرانه - وهم كثر آنذاك - بصوته الألمعي، وحنجرته الذهبية، ليتربع على عرش ملوك التلاوة في القرن العشرين، عبر الإذاعة المصرية، أو على القنوات التلفزيونية العربية، لأن صوته الصداح العذب، نقش اسمه في قلوب وآذان كل مسلمي العالم.

## الشيخ الجليل على سبيل البورتريه

لا غرو، فصاحب الوجه مصري قنائي، يمر عليك كطائف من الزمن الجميل، على الأنف شيمة التواضع الجم، السمت غالب على الملامح، ثمار الطيبة تنضج عليه، وحب الحياة يغلب على دربه ومنهجه، فيه من الخصوصية قدر ما فيه من العمومية، فكلما رأيته تكاد تشعر بأنك لم تره من قبل؛ نظرا لفرادته في السحنة والملامح، ولفرط عموميته تكاد توقن أنه أحد أقاربك الفلاحين، ضف إلى ذلك، سحنته الصعيدية التي تحمل ذات الجينات الوراثية المختلطة بسمرة النيل الطامي، التي تلتحف - أيضا - بالوداعة، والسماحة.

إذا طالعك ودنا منك أكثر فأكثر، تجد عنده مساحة شاسعة ترمح فيها الملامح على طلعته كلها، وتمرح كالجياد الصاهلة، فمن مشارق الحلم، يأتيك هذا الشيخ المعمم، يرفل في زيه الأزهري الأنيق، البسيط، لكنه فاخر، يباهي بذوق صاحبه، في قماشه وطرازه، كان الزي كاملا، اجتمع فيه ذوق البائع والمشتري، إنه الشيخ الجليل: عبد الباسط عبد الصمد - عليه سحائب الرحمة والمغفرة .

**عبدالباسط تأثر بمحمد رفعت ومحمد سليم المنشاوي**

## تأملات في مراحل التكوين

ولد الشيخ الجليل: عبد الباسط محمد عبد الصمد - رحمه الله - في جنوب صعيد مصر، بمحافظة قنا، مركز أرمنت، وتحديدا في قرية المراعزة، في أول يناير عام (١٩٢٧م)، لأب يعمل موظفا في وزارة المواصلات، وجد حافظ للقرآن متمكن من تجويده، كان ترتيبه الثالث من بين أشقائه، فألحقه أبوه بكتاب الشيخ الأمير في البلدة مع أخويه الأكبر محمود، والثاني عبد الحميد عام (١٩٤٣م)، فأتم حفظه قبل بلوغ العاشرة، وفي «أصفون المطاعنة» تأثر عبدالصمد بالشيخ محمد رفعت، وقال عنه: «كنت أمشي مسافات

طويلة جدا قد تصل إلى (٥كم)؛ لأستمع إلى القرآن بصوت الشيخ رفعت من خلال جهاز الراديو الوحيد الموجود عند أحد أثرياء البلدة، كما لا يغيب عنا في تلك السيرة الطيبة الاهتمام الملحوظ من شيخه العالم الأزهري الشيخ محمد سليم حمادة المنشاوي رحمه الله، وهو من مدينة المنشاة بمحافظة سوهاج، وكان الشيخ محمد سليم يحفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع، حيث ذهب إليه وراجع عليه القرآن كله، ويحفظ أيضا الشاطبية التي هي المتن الخاص بعلم القراءات السبع، فتعلم على يدي شيخه القراءات، وعلوم القرآن، وزاد اهتمام الأستاذ بتلميذه النجيب، فكان يصطحبه معه ليقرأ في الحفلات المتعددة، حتى أصبح الفتى عبدالباسط شهيرا في نجوع، وقرى، ومدن الوجه القبلي المصرية، كان يجوب المحافظات بدعوات خاصة من كبار الأسر والعائلات، إذ تعقد السرادقات ليُتلى فيها القرآن الكريم، وكان الناس قديما يتنافسون في استقدام القراء؛ لإحياء ليالي وأيام شهر رمضان المعظم.

وهكذا بدأت شهرة الشيخ في أنحاء صعيد مصر تتصاعد مع إحياء ليالي شهر رمضان الكريم، وفي المناسبات المتنوعة، ولم يكن عمره قد تجاوز الخامسة عشرة، حتى أصبح يدعى إلى إحياء الحفلات والسهرات القرآنية بمفرده، وبدون مرافقته لشيخه، فكان مائزًا عن المألوف، ومغايرا للسائد، فمع مرور السنين، أجمع المتخصصون في علم القراءات على أن الشيخ عبدالباسط محمد عبدالصمد لم يتجمد عند مرحلة بعينها، بل ظل يتطور عبر الزمن، حتى صار نجما، مثقفا، شريفا، نبيلا، ولأنه كان مهذبا، وخلوقا، فلم يحاول أن يزاحم أحدا آخر من أقرانه المشايخ، عمدا، أو غير ذلك قيد أنملة؛ لأنه حمل بداخله قضية عظيمة، ألا وهي نشر، وترسيخ القرآن في قلب كل مسلم على وجه الأرض، ولم يتخل عن تلك القضية، أو يساوم عليها حتى فاضت روحه لبارئها، كما كان يزحف بفكره النير في حله وترحاله دون التقيد بزمان أو مكان.

## الضَّبَّاع قدم عبدالباسط عبدالصمد للإذاعة المصرية

### طريق العالمية يبدأ من القاهرة

مع نهاية عام (١٩٥١م) طلب الشيخ الضباع من الشيخ عبدالباسط أن يتقدم إلى الإذاعة كقارئ بها، ولكن الشيخ عبد الباسط أراد أن يؤجل هذا الموضوع نظرا لارتباطه بمسقط رأسه وأهله، ولأن الإذاعة تحتاج إلى ترتيب خاص، لكنه تقدم بالنهاية.

كان الشيخ الضباع قد حصل على تسجيل لتلاوة الشيخ عبد الباسط وقدم هذا التسجيل للجنة الإذاعة فانبهر الجميع بالأداء القوي العالي الرفيع المحكم المتمكن وتم اعتماد الشيخ عبد الباسط بالإذاعة عام (١٩٥١م) ليكون أحد قرائها.

ثم تم تعيينه كقارئ للسورة بمسجد الإمام الشافعي، عام (١٩٥٢م)، فازداد رواد المسجد من كل مكان في المحروسة، لشغفهم في أن يستمعوا إلى الحنجرة الذهبية، ويشاهدوه رأي العين.

### خادم القرآن يجوب المعمورة

كانت أول زيارة للشيخ خارج مصر بعد التحاقه بالإذاعة عام (١٩٥٢م)، إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج ومعه والده، وطُلب منه هناك أن يسجل عدة تسجيلات للمملكة تذاع عبر موجات الإذاعة، وبالفعل سجل عبدالباسط عدة تلاوات أشهرها التي سجلت بالحرم المكي والمسجد النبوي الشريف، والتي لقب بعدها بـ «صوت مكة».

### تكريم وتقدير

يعتبر الشيخ عبد الباسط عبد الصمد القارئ الوحيد الذي نال من التكريم حظا لم يحصل عليه أحد بهذا القدر من الشهرة والمنزلة التي تربع بها على عرش تلاوة القرآن الكريم لما يقرب من نصف قرن من الزمان، نال خلالها قدرا من الحب الذي جعل منه أسطورة لن تتأثر بمرور السنين، بل كلما مر عليها الزمان زاد بريقها، فقد تم تكريمه حيّا، عندما كرّمته سوريا بمنحه وسام الاستحقاق، وحصل على وسام الأرز من لبنان، والوسام الذهبي من ماليزيا، ووسام من السنغال، وآخر من المغرب، وآخر الأوسمة التي حصل عليها كان في الاحتفال بليلة القدر عام (١٩٨٧م).

### وفاته

بعد صراع ليس طويلا مع مرض السكر، رحل الشيخ الجليل عن عالمنا، فاضت روحه عن جسده الذي أضناه - أيضا - مرض الالتهاب الكبدي، فصمت الشيخ في نهاية الرحلة بعد نضال ومقاومة مستميتة، وصبر وجَلَد، حيث صعدت روح الشيخ إلى بارئها في يوم الأربعاء الموافق (٣٠ نوفمبر ١٩٨٨م)، وكانت جنازته وطنية ورسمية على المستويين المحلي والعالمي، فحضر تشييع الجنازة كثير من سفراء دول العالم نيابة عن شعوبهم، وملوك ورؤساء دولهم؛ تقديرا لدوره في مجال الدعوة بكل أشكالها، بعد أن قضى هذا العمر الجميل في خدمة القرآن الكريم.

د. عمرو الكمار
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

# مطالعة الأبراج والنجوم... نظرةٌ شرعيّة

من الأمور التي كانت سائدة في الجاهلية، انتشار الكهنة والعرّافين الذين كانوا يدّعون علم الغيب، والإخبار بما هو كائن مستقبلا، وكانوا يتعاطون ذلك عن طريق تابع من الجن يصدق في كلمة، ويكذب معها مائة كذبة، فلما بُعث رسول الله ﷺ أبطل الله دجلهم، وحُرست السماء بالملائكة، فما يستطيع جنّي أن يستمع من أمر الله شيئا، قال تعالى في سورة (الجن:٨-٩) مخبرا عن قول الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي: أتيناها واختبرناها، ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ تمنع من الوصول إلى أرجائها، والدنو منها، ﴿وَشُهُبًا﴾ يُرمى بها من استرق السمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإنا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء، ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فنتلقف من أخبار السماء ما شاء الله، ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: مرصدا له، معدا لإتلافه وإحراقه.

فأغلق الإسلام هذا الباب تماما، فما يدعي مُدَّعٍ علم الغيب إلا وهو كذاب أشر.

إن علم الغيب وما يستقبل من الزمان مما لم يقع إنما هو خاص بالله عزوجل وحده لا يطّلع عليه غيره، ولا يُستثنى من ذلك إلا من أطلعه الله تعالى من الأنبياء والمرسلين على شيء منه، يقول تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨)، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل:٦٥)، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ (الجن:٢٦-٢٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ (لقمان:٣٤)، فبيّن - سبحانه - جانبا من الأمور التي استأثر- عز وجل - بعلمها فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: عنده وحده علم وقتها، وعلم قيامها، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ أي: وينزل بقدرته المطر، ويعلم وحده وقت نزوله، ومقدار ما ينزل، وما يترتب على نزوله من إحياء للبشر، والحيوان، والنبات، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أي: ويعلم ما في أرحام الإناث من أجنة، وتفاصيل ما يستقبل من أمر ما شاء الله عز وجل أن يولد ويحيا منها، لا مجرد أنه يعلم النوع من ذكر أو أنثى، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير، أو شر مطلقا، وليس الكسب خاص بالرزق والمال فقط، بل يشمل كل عمل وفعل، فما تجنيه النفوس مستقبلا إلى قيام الساعة هو معلوم عند الله تعالى على جهة التفصيل والإحاطة، وهذا ما يُسمى بالقَدَر، وهو من أركان الإيمان؛ ففي حديث عمر رضي الله عنه عند ابن حبّان - وهو ما يُعرف بحديث جبريل - قال: «...ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة، والنار والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره...»، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي: بأي مكان ينتهي أجلها.

هذه الأمور الخمسة من الأمور التي استأثر الله تعالى بها على سبيل العلم اليقيني الشامل لجميع التفاصيل والأحوال.

وقد جاءت السنة النبوية بمثل ما جاء به القرآن الكريم في هذا المعنى، وأكّدت أن علم الغيب خاص بالله تعالى، وليس لأحد أن يدعيه، أو أن يجترأ عليه، ففي حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خمس لا يعلمهن إلا الله عزوجل: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في



الأرحـام، وما تـدري نفس مـاذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير» (رواه أحمد)، وفي حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس» ثم قرأ: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحـام» (رواه أحمد).

أمّـا مـا يـخبر بـه الطـبيب، وعلماء الأرصاد الجوية، أو ما يقال على جهة الفراسة من الأمـور التي لم تتكشف بعد فتقع كما أخبر بها المخبر، فمبناها على الظن الراجح لا على اليقين، وهو كذلك مبني على مقدمات وأدلة، فليس من باب ادعاء علم الغيب المنهي عنه.

ولقد أخذت الكهانة، والتنجيم، وادعاء معرفة الغيب في هـذه الأيـام صورا وأشـكالا متعددة من بـاب التلبيس على الناس، ومـا ينشر في الصحف، والمـجـلات، مـن أحــوال الأبــراج، والطوالع، ومعرفة حظوظ أصحابها؛ ما هو إلا من باب الكهانة والتنجيم، وهو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الوقائع والحوادث التي لم تقع بعد في الأرض، كمجيء المطر، وهبوب الريح، وتغير الأسعار، والسعادة، والشقاوة، وغـيـر ذلـك مما اسـتـأثـر الـلـه بعلمه سبحانه وتعالى، فلا يعلمه أحد غيره.

والعرَّاف، والكاهن، والمنجِّم، كلهم من فصيلة واحـدة، وكلهم يـدعـي معرفة الـغـيـب مـن الـحــوادث فـي مستقبل الـزمـان، ويزعمون أنهم يدركون ذلك بسير الكواكب، واقترانها، أو افتراقها، أو عن طريق الجنّ والسِّحر.

وقـيـل الـعـرَّاف يـفـتـرق عـن الكاهن والمنجّم، فهو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما مما مضى ووقع، فهو غيب نسبي، فهو مع الكهان إن زعم أنه عرفها بجن أو سحر، بخلاف مـن عـرف مثل هـذه الأشياء بالأدلة والقرائن فليس بعرَّاف.

وهذه الأمور مبنية على الوهم والدّجَل، وقد جاءت جملة من الأحاديث عن نبينا ﷺ تحذر من هذا الفعل، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علما من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» (رواه أبو داود).

وقـد نهانا النبي ﷺ عـن إتـيـان هذا الصنف من الناس أصحاب الأساليب المخادعة الزائفة، ففي حديث معاوية ابـن الحـكـم السُّلـمـي قـال: «قـلـت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن مِنَّا رجالا يأتون الكهّان، قـال: فلا تأتهم» (رواه مسلم)، وفـي الحـديـث الآخـر يقول ﷺ: «من أتى عرّافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (رواه مسلم)، وهـذا إن جـاءه ولـم يصدقه، وعدم قبول صلاته معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الـفـرض عـنـه، ولا يـحـتـاج معـها إلى إعـادة، أما إن صَدَّقه فالخطب جلل، والأمـر عظيم، فقد جـاء فـي الخبر: «فقد كفر بما أُنزل على محمد» (رواه الطبراني).

ومما لا شك فيه أن فكرة ربط حظوظ، وأحـوال الـنـاس، ومـا يحدث لهم في مستقبلهم، بالنجوم والأبـراج حسب تـواريـخ مـيـلادهـم؛ هـي فكرة ساذجة لا تستقيم في عقل عاقل، بل تنكرها الـعـقـول السليمة، فـإن مـن المعروف أن لكل إنسان صفات مختلفة تماما عـن الآخـريـن، ولـه تركيبته الخاصة التي تميزه عـن غـيـره، ومـن البديهي أن مواليد البرج الواحد ليسوا نُسَخًا متشابهة مـن بعضهم الـبـعـض، فإنه يولد في الدقيقة الواحدة الألوف من الـنـاس، وهـؤلاء لا يحملون الصفات نفسها، ولا نفس الطباع، فضلا عن مواليد الساعة أو اليوم نفسه، فضلا عن مواليد الشهر الواحد.

ثم إن الـنـجـوم والأبــراج جـمـادات لا تملك لنفسها ضـرا، ولا نفعا، فضلا عن أنها تحدد طبائع، ومصائر غيرها من البشر.

فـلا يـجـوز الاعـتـمـاد عـلـى الـدَّجَـل، والرجم بالغيب، في معرفة الغيب وما لم يقع، أو الوقوف على صفات الناس، وطبائعهم، أو ما ينتظرهم في قدر الله تعالى مستقبلا، فكل ذلـك من الظن الباطل، ووَجَد فيه أهل البطالة سبيلا للكسب، وأكـل أمـوال الـنـاس بالزور والـبـهـتـان، وهـو مـن تضييع الأعمار والأوقات في غير فائدة، ويُخشى على من يتعاطى ذلك أن يقع في الشرك الأكبر - والعياذ بالله -.

والنصيحة لكل من يجد في نفسه حبا لهذا الباب من الدَّجل: أن ينشغل بحفظ كـتـاب الـلـه الـكـريـم، وقـراءة كتب أهل العلم الثقات، وأن يشغل أوقات فراغه بالذِّكر، والقُرب من الله عزوجل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن يكثر من التزود بالخير لدار البقاء - الدار الآخرة - وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وآله، وصحبه.

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

# مشاعر عميقة

حزمت أمتعتي واتجهت صوب محطة الحافلة، «رحلتك ستنطلق بعد صلاة العصر، انتظري في الرواق الخامس».. هكذا أخبرني الموظف. انتظرت الحافلة بفارغ الصبر وكلي شوق إلى رؤية المدينة الجديدة، حيث سأتم دراستي. بعد صلاة العصر انطلقت الحافلة، وجلست أشاهد الطبيعة الخلابة التي تزخر بها بلادنا، خلبني جمال الجبال الأخاذ، وخضرة الحقول وجريان المياه. جمالها حرك في نفسي أحاسيس غريبة وشوقا كبيرا إلى الكتابة، فعهدي بالقلم منذ زمن طويل.

بحثت عن القلم داخل حقيبتي، رمقني بنظرات ثاقبة ولم أعرف كيف أعتذر رغم حاجتي الملحة، وبم سأبرر هجراني، كيف السبيل إلى رضائه فقلبي يمزقه الحنين، كيف السبيل فالكلمات تحتقن في البنان وستنفجر، أدرت وجهي ليس إلا حياء وخجلا؛ فخطئي لا يغتفر، أدرت وجهي المتعب وعيناي تدمعان، وما أقساها تلك الدموع التي تسقط ندما على اعتذار لم يتلفظ به لسانك، هربت بعيني وتحاشيت نظراته، أدرت وجهي لأجد نظرات أقسى من الجهة المقابلة كانت لمذكرتي الغالية، وكم هو صعب عتاب الأحبة، استنجدت باكية وسقطت جاثية، أعتذر من كليهما، من حبيبي اللذين طالما آنسا وحدتي وبددا ظلمتي وأنارا دربي بلمستهما السحرية، عذرا قلمي ما أعظمك، تترجمني وكأن مدادك دم عروقي، وعذرا مذكرتي الغالية أمينة أسراري فمهما بعدت فمستقركما في قلب القلب، ابتسم القلم وفتحت المذكرة طياتها، ثم أطلقت العنان للكلمات تتقاذف يمنة ويسرى، تنساب بشاعرية، أحاسيس عميقة تنبعث من أعماق القلب، ثم يترجمها القلم حروفا أنيقة يخطها ليملأ بياض الورقة ويبدله سوادا أخاذا، ظننت أن مقعدي يتحرك بسرعة يبعدني عن الحافلة أرى الناس حولي يتحركون وشفاههم تتحدث لكن لم أسمع شيئا مما يدور بينهم، عشت لحظات طوالا خارج الحافلة وما كان يعنيني ما يحدث بداخلها، كأنما بدلت الأرض غير الأرض، وكل همي تجديد وصال أحبة شغلني الإعداد للاختبارات عن وصالهم. بعد أن انتهيت وأفرغت ما كان محقونا في بناني من كليمات، رفعت رأسي لأجد الظلام حل والحافلة وسط المدينة! وهنا كانت الصدمة، لقد تجاوزت الحافلة المحطة التي كنت سأنزل بها، سألت امرأة كانت بجانبي وخاطبتني بنبرة حادة: «عن أي محطة تسألين يا ابنتي ومساعد السائق ظل يصرخ قبل حين وينادي على من سينزل في المحطة، هل كنت في حالة سكر أم ماذا؟!». أطرقت رأسي خجلا من صراخها وطلبت من السائق التوقف، نزلت من الحافلة كالحمقاء أبحث عن سيارة أجرة تأخذني إلى المنزل، كان الوقت متأخرا والظلام دامسا، تسارعت دقات قلبي وتملكني خوف رهيب، وبعد لحظات انتظار مرت كالدهر، توقفت سيارة أجرة، أعطيت السائق العنوان وتنفست الصعداء شاكرة الله أن نجاني من هذه الورطة.

دلفت إلى المنزل مسرعة، وارتميت على السرير أفكر في ما حدث: نعم، صدقت المرأة لقد كنت في حالة إغماء.

وما كانت تلك إلا واحدة من مئات الحالات التي أجدني أطوف فيها الغرفة بحثا عن القلم أو المذكرة، وكم من المرات تركت المدرس يشرح المحاضرة ودلفت إلى عالمي الخاص، حتى صرت ملهمة. إلهام إغماء أو جنون سمه ما شئت، فلا مشاحة في الاصطلاح ما دام المسمى واحدا، هي حالة غير عادية ترسل أشعتها إلى العقل الباطن فيدخل في حالة من اللاإدراك لما يحيط به، ويدخل في دوامة من الحوار الثنائي بين الذات والورقة وسيلته قلم وفي مترجم بارع وخطاط ماهر.

فإذا كانت القراءة تفتح لك أبواب العوالم، فبالكتابة تستطيع صنعها والتفنن في حياكتها كيفما شئت.

**• فاطمة الزهراء لحسن أودمجان - المغرب**

## أشكركم على اهتمامكم الدائم بالرد..

وأستفسر عن مصير الأفكار التي كنت قد أرسلتها لحضراتكم في وقت سابق: هل تمت الموافقة على أي منها؟ كي لا أرسل مواد غير مناسبة لكم، مع خالص تحياتي وتقديري الكبير لكل أسرة مجلتكم الغراء.

مع الشكر.

**• محمد خالد**

**المحرر:**

بالفعل أفكار المساهمات التي أرسلتموها لاقت الاستحسان في معظمها وجار دراستها والرد بشأنها تفصيلا.

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com



# اجعل لحياتك معنى

عد بالذاكرة قليلا لتدرك أن ٣٦٥ يوما، هي مجموع أيام العام المنصرم، قد مضت بتلك السرعة الشديدة! بل تأمل قليلا لتكتشف أن ١٤٣٨ سنة قد انقضت منذ أن هاجر نبينا الكريم محمد بن عبدالله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة التي سطع منها نور الدعوة والهداية إلى آفاق العالم.

عندما تتأمل هذا وذاك يبدو لك أن الأيام تمضي بسرعة مذهلة، رغم أن الليل والنهار يتعاقبان بالوتيرة نفسها التي اقتضتها مشيئة الخالق العليم وفقا لدوران الكواكب حول نفسها أو بعضها حول بعض.

لكنك تفيق من تلك الدهشة إذا أدركت أن معنى حياة الإنسان لا يكمن في عدد السنوات التي يعيشها، بل في ما يحققه من إنجاز، وما تركه من أثر، وما أسداه للبشرية من خدمة عظيمة. فهناك أناس عاشوا سنوات عديدة لكنهم غادروا الدنيا بالطريقة نفسها التي جاءوا بها: في هدوء شديد، من دون أن يتركوا شيئا ذا أثر. وعلى النقيض تماما نجد آخرين عاشوا سنوات معدودة، لكن همتهم العالية أبت مغادرة الدنيا إلا بعد ترك بصماتهم عليها؛ فمنهم من تفقه في الدين أو نبغ في الطب أو الفلك أو العلوم أو الصيدلة أو الفيزياء.. وغير ذلك من علوم ومعارف، خدمة لأوطانهم وصنيعا حسنا عاد على البشرية كلها بالنفع والفائدة. وقد أنجبت أمة الإسلام علماء بارزين كالرازي وابن النفيس وابن الهيثم وابن رشد وابن سينا والبيروني والخوارزمي والطوسي والخازني والإدريسي.. وغيرهم من صناع الحضارة وفقهاء الأمة. وتحقق لهم ذلك بالعمل الدؤوب والرغبة الصادقة.

وأنت كذلك تستطيع أن تجعل لحياتك معنى إذا أدركت أن الطريق يمر من خلال الجد والعزم والمثابرة على العمل، فلا تترك وقتك ينفلت منك من دون أن تستثمره بالكيفية المطلوبة التي تعينك على تحقيق أهدافك.

**د. عبدالرحمن النمر**

# السيد رئيس مجلة الوعي الإسلامي الغراء

غير خاف على كريم علم سيادتكم ما للدعاء من أهمية في حياة المسلم، سواء باعتباره عبادة محضة يتقرب به العباد لرب العالمين، أو باعتباره طلبا للعناية واستمدادا للمعونة وقضاء الحاجة.

غير أن كثيرا مما ينشر في الموضوع، سواء على شكل دروس ومواعظ ومحاضرات، أو في صيغة مقالات ومؤلفات، قد يسيء من حيث يظن الإحسان، حين يحشر أصحابها نصوص الدعاء، مجردة عن سياقها، وآدابها، وشروطها، وموانعها، فيلوكها القارئ ثلاثا، ثم يضم يديه منتظرا من الله الجواب! وهكذا، يتحول يقينه إلى ارتياب، ويظن بالله الظنون!

ولئن كان الله تعالى قد أمرنا بالدعاء، ووعدنا بالإجابة، فإن تدبر السياقات القرآنية المتعلقة بالدعاء يفيد بأن الاستجابة لا تكون بمجرد رفع اليدين، وترديد دعاء نوح، أو يونس، أو أيوب أو زكريا.. أو غيرهم من الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين، بل هي مقيدة بتحصيل أسباب، وشروط، مع انتفاء الموانع، أو بتعبير ابن عطاء: إن للدعاء أركانا، وأجنحة، وأسبابا، وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح.

من أجل ذلك، يسرني أن ألتمس من سيادتكم قبول نشر سلسلة مقالات أعددتها في الموضوع بعنوان: «ادعوني أستجب لكم»، إسهاما مني في تصحيح مفاهيم خاطئة وتصورات حادت عن سواء السبيل.

● **د. عبدالعالي ملوك - المغرب**

**المحرر:**

جزاكم الله كل خير، تجري دراسة الموضوع، ومقالاتكم بالفعل تثري المجلة.

مسك الختام

# الهجرة الدائبة في الإسلام

جدير بالمسلم أن يهرع إلى الله تعالى ويعيش في كنفه، ويأنس به جل وعز، حتى يرتقي إلى مقام الإحسان، فيكون من الذين وجلت قلوبهم، وعيونهم من خشية الله تذرف، ولا مندوحة للمسلم عن تزكية نفسه ما دامت بين جوانحه تطرف، ويهاجر إليه هجرة زلفى.

وليس بخاف أن الهجرة في معناها العام لم تنقطع بفتح مكة، فهي ما زالت مستمرة؛ حيث إنها هي الهجرة الباقية التي لا ينضب معينها، ولا يخبو أوارها، وأنى لها أن تطويها الأيام، ونبضها يهتف في قلوب المؤمنين الذين يتطلعون إلى غد باسم، يعيد لهم عزتهم المنشودة، وحضارتهم المجيدة التي لن تقوم شامخة الإباء إلا في رحاب الإسلام، الذي تستنشق فيه عبير إرساء نواتها، على النحو الكامن في النموذج النبوي، ابتداء بالهجرة، ومرورا بالمؤاخاة، وانتهاء بالنصرة لهذا الدين، وهذا النموذج الفذ الفريد هو الذي ينبغي أن تسعى الأجيال المسلمة إلى تنزيله في واقعها المعاصر، حتى تنفض عن كاهلها وطأة أيام الظلم، وأحداث الزمان المتجهم في وجهها.

إن حقيقة المهاجر إلى الله تعالى بعد فتح مكة، هو سلكه طريق الاستقامة، وأساسها الذي تنبني عليه هو «تحقيق ما جاءت به الرسالة المحمدية، من معاملة المسلم لله على رق العبودية، والخروج عن عوجة دعوى الحرية»، ونبراسه الخضوع للأوامر الإلهية، مثل قول الحق سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ (هود:١١٢)، فيهجر العبد مجالس اللهو والآثام، ويتحلى بفضائل الأخلاق، ويهاجر إلى مجالس الأنس بالرحمن، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (رواه البخاري: ٦١١٩)، وهذه أول خطوة إلى الهجرة الباقية على الدوام، إلى أن يلقى العبدُ الملكَ العلام، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر» (رواه أحمد: ٦٧٩٨)، ويقول أيضا ﷺ: «المهاجر من هاجر السوء فاجتنبه» (رواه ابن حبان:٥١٠)...

وهكذا يتبين لنا أن الهجرة في الإسلام لم تكن مجرد حدث تاريخي فحسب، توارى خلف الحجب، ودخل في طي النسيان، بل إنه لا يزال ساريا في الأمة الإسلامية، وما لم نهاجر إلى الله تعالى، فسنبقى في الأطراف، راضين بالنأي، مبتعدين عن حمل الرسالة الربانية.

إن أمتنا أحوج إلى الهجرة اليوم، حتى تعود لها عزتها، التي تستمدها من الصدع بتوجيهات دينها، فتحقق الفتح المنشود، ويومها تبني صرح وحدتها القوية في مجتمع متماسك، يعيش أهله في بلهنية من العيش، مقتدين برسول الله ﷺ، وبهذا نرى ثمرات الهجرة الدائبة، فنكون قد اقتفينا خطوات الصحابة الجلة الكرام الذين نصروا الله ورسوله ﷺ.

د. خالد برادة
باحث في الدراسات الإسلامية

# جديدنا




اعتنت هذه المعلقة من معلقات مجلة الوعي الإسلامي بكتابين نفيسين من كتب مصطلح الحديث، وهما: (علوم الحديث) لابن الصلاح، و(نخبة الفكر) للحافظ ابن حجر، كما أبرزت هذه المعلقة أهم المنظومات للكتابين، والمختصرات لهما، والشروح والنكت عليهما.

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٣٠) صفر ١٤٣٩ هـ - أكتوبر-نوفمبر - ٢٠١٧ م


مجاناً مع العدد: «براعم الإيمان»

## القِرَاءَةُ صَانِعَةُ الأُمَمِ

- الوَعيُ الإسْلاميُّ بطريقة برايل
- مسلمو السُّويد.. تواصُل وعَطاء
- مَكرُ اللغة ودَهاؤها

هدية العدد: مُعلَّقة «أسباب اختلاف الرِّواية عن الإمام أحمد»



مجلة الوعي الإسلامي


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com


موقع مجلة الوعي الإسلامي

# جديدنا




**الجداول الجامعة في علوم العربية النافعة**

من الإصدارات النافعة المفيدة لطلاب العلم، وخصوصًا المهتمين بعلوم العربية، وأصل هذا الإصدار: مجموعة من اللوحات الحائطية أصدرتها مجلة الوعي الإسلامي، ثم أعادت إخراجها على هيئة كُرّاس لطيف، ثم قامت بجمعها في إصدار واحد أسمته: «الجداول الجامعة في علوم العربية النافعة».

## الافتتاحية



رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

# القراءة أساس الحضارة

الحمد لله الأعز الأكرم، ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق:٤-٥)، وأشهد أن لا إله إلا الله، خلق فأبدع وألهم، وحكم فعدل وما ظلم، وأنعم على خلقة وتكرم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي الأمي الملهم، قاد خير الأمم، وأرشدها إلى أعالي الهمم؛ وبلَّغ دين ربه وتمَّم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حملوا الرسالة وتعالوا عن اللمم.

أما بعد؛ فإن القراءة هي السبيل الموصلة إلى اكتساب العلوم، والتزود من المعارف، وقد حازت في الإسلام منازل الشرف العظيمة، ونالت مراتب الفضل الجليلة؛ فكان الأمر بالقراءة هو البداية لرسالة الإسلام، والكلمة الأولى التي نزل بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ (سورة العلق: ١-٣).

لقد دعا نبينا ﷺ أمته إلى القراءة والكتابة، واستشعر عظمة آلته «القلم» بإقسام الله تعالى به في كتابه بقوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم:١). فالإقسام من الله تعالى لا يتبع إلا بلطيف ما أبدع، وكريم ما صنع؛ فالقلم الذي هو آلة الكتابة، وأول مخلوقات الله تعالى، كما صح من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» (رواه أبو داود، رقم: ٤٧٠٠). وهو - أي: القلم - خطيب الناس وفصيحهم، وواعظهم وطبيبهم، فبالأقلام تدار الأقاليم وتساس الممالك، وهو نظام الأفهام الثابت، وبريد اللسان الصامت، والكتابة به وقراءة نتاجه؛ شرف للمرء ورفعة. وبه تخلد العلوم، وتثبت الحقوق، ولولا الكتابة والقراءة لانقطعت أخبار بعض الأمم، وقد قالوا قديما: «عقول الرجال تحت أقلامها». الأمر الذي استحق للقلم أن يوصف بقولهم:

**لا تحسبوه يراعا قُدَّ من قصب ... هذا فم ولسان ناطق ويد**
**ومشعل لسواد الشعب مشتعل ... لا كوكب في سماء الفرد يتقد**
**لا يحفظ الدهر إلا ما تخط يد ... بناءة فجرت من خلفها كبد**

لا ريب أن القراءة لها منافع كثيرة، وفوائد كبيرة؛ فبها يرتقي الإنسان، في كل شأن وميدان، فالقراءة طريق العلم أيا كان نوعه، وسبيل الارتقاء بالإنسان أيا كان نفعه، فإذا قرأ المسلم ما ينفعه؛ حظي بالنفع، وارتقت منزلته، وارتفع مستوى تفكيره، واستقام في سلوكه، وهذا يسري حكمه على القراءة في كل علم ينفع الناس، ويندرج تحت قوله ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس» (رواه الطبراني في الأوسط، رقم: ٥٧٨٧).

وأخيرا؛ فالقراءة غيث، والعلم والأخلاق ثمرته. فحري بنا أن نخصص للقراءة نصيبا من أوقاتنا، وأن نجعل للكتب المفيدة قيمة في بيوتنا، ونوطن أنفسنا على حبها واحترامها ومطالعتها، فبالقراءة يزداد العلم، ويتغذى العقل، ويحيا القلب، وتسعد الجوارح، وتشمخ الأوطان، وتعلو الرايات. ورحم الله من قال:

**قلمان لو تعرفهما ... لعرفت نوع مداد**
**قلم الرزين وعكسه ... قلم السفيه الصادي**
**فاختر لنفسك واحدا ... ينجيك يوم معاد**

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٠ | صفر ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
أكتوبر - نوفمبر ٢٠١٧م

**رئيس التحرير**
د. صالح سالم النهام

**مدير التحرير**
فهد محمد الخزّي

**التحرير**
علاء الدين عبدالفتاح
تركي محمد النصر
هدايت الله نثار أحمد
عبدالسلام العشري

**الإخراج والجرافيك**
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

**الإشراف الفني**
مطابع فور فيلمز



**المراسلات**
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




## في هذا العدد



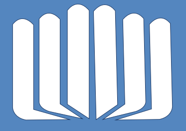
## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





# كلمة العدد

## القراءة النافعة

«اقرأ كثيرا، واكتب أحسن ما قرأت، واحفظ أجمل ما كتبت»

أصبحنا الآن في عصر الكل يقرأ فيه، فلا تكاد تمر على أحد إلا وتجد بين يديه هاتفه عاكفا عليه يقرأ ما يرد عليه من خلال ما تتدفق به وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا النوع من القراءة ليس الذي نعنيه، إنما نقصد القراءة النافعة التي تفتح للقارئ نافذة إلى العلم والمعرفة وبابًا إلى التقدم والرقي.

إن المسلم مأمور بالقراءة، ولكن أي قراءة؟ إنها القراءة النافعة التي تسهم في الارتقاء بشخصية الإنسان وقدراته ومعارفه وتوجهه نحو الأخلاق الفاضلة، والمثل العليا، وترتفع به في شؤون الحياة كافة، وهذه القراءة لابد فيها من تحديد الهدف، فهناك أهداف تعبدية، وأهداف وظيفية، وأهداف ثقافية ومعرفية، وأهداف ترويحية، فيختار القارئ لنفسه هدفا من هذه الأهداف، ومن المهم تحديد كيفية القراءة، فيحدد القارئ لنفسه عددا من الكتب يقرؤها سنويا بمعدل كتابين أو أكثر في الشهر، وتحسن العناية بأركان الثقافة في القراءة؛ الدِّين، واللغة، والتاريخ، والأدب، بالإضافة إلى القراءة في مجال التخصص، وإعداد جدول بمواعيد القراءة ضمن البرنامج اليومي للقارئ، وكتابة أفضل ما يقرأ، وحفظ أجمل ما يكتب، وكما قال الشاعر:

**العلم صيد والكتاب قيده**
**قيد صيودك بالحبال الواثقة**
**فمن الحماقة أن تصيد غزالة**
**وتتركها بين الخلائق طالقة**

**مدير التحرير**
**فهد الخزي**

## الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

**ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

محمود سعيد عيسى
باحث دراسات إسلامية
سورية

# القيم.. دعوة لغرسها من خلال التعليم

القيم هي الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تشكل إطارا مرجعيا يحكم سلوك الأفراد، وتشكل جوهر الهوية الثقافية للمجتمعات التي تسود فيها؛ فتميزها، بل تمايز بعضها عن بعض.

وتترجم القيم إلى سلوك بشري يكتسب صفة الالتزام والاستمرارية والثبات «نسبيا» من خلال آليات المراقبة المجتمعية: كالأسرة والمدرسة والقانون أو الالتزام الشخصي الإرادي.

وتختلف القيم - بالمعنى العام - من شخص إلى آخر من ناحية نسبتها أو كميتها أو درجتها؛ فكل شخص لديه قيم غالبة، نبيلة أو دونية، تحدد نمط حياته وتصرفاته واختياراته في الحياة. وغاية القيم ومبعثها المنفعة أو المصلحة؛ فبعض القيم، كالتضحية بالمال أو الروح مما قد يعد «خسارة» للمضحي، هي في الواقع حاجة إنسانية لتحقيق الذات والتميز من خلال الشعور بالتسامي أو التقدير.

ولا ينكر منصف أخطار القيم في حياة الأفراد والأمم؛ فشيوع قيم معينة في أي مجتمع مؤشر على ازدهاره وحضارته، بل ومستقبله ومآلاته.

ويأتي لفظ الأخلاق مرادفا للفظ القيم، وقد عبر أحمد شوقي عن القيم النبيلة (الأخلاق) في بيت:

**إنما الأمم الأخلاق ما بقيت**

**فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا**

## الإسلام والقيم

ومازال تقويم القيم وتصحيح الأخلاق مدار رسالة الأنبياء والعلماء والمفكرين والمصلحين والفلاسفة والمربين، وهذا المعنى الخلقي التربوي حاضر بقوة في الرسالة الإسلامية، فيقول الرسول الكريم ﷺ في الحديث الشريف: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (أخرجه أحمد في المسند: ٨٧٢٩) وغيره، بل الخلق الكريم دلالة على الدين القويم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» (أحمد: ٧٠٩٥، الترمذي: ١٠٨٢). وكثرة الطاعات لا تغني عن أخلاق مذمومات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها، وصيامها، وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار» (أحمد في المسند: ٩٤٦٣).

«والتربية الإسلامية لجأت إلى الأسس التربوية النافعة في التقويم والتحويل والتنمية والتهذيب والتشذيب، كما لجأت إلى وسائل متعددة لاكتساب الأخلاق، كالتدريب العملي، والرياضة النفسية، والغمس في البيئات الصالحة، والقدوة الحسنة وغير ذلك» (١).

وكان من ثمارها أن خرجت خير أمة، وصيغت أزهى حضارة امتد سلطانها في الزمان والمكان قائمة على الأخلاق/ القيم يصونها حارسان: أحدهما التقوى (شخصي)، والآخر الشريعة والقوانين الإسلامية (اجتماعي). ومدار القيم والأحكام حفظ الكليات الخمس: الدين والنفس والعقل والنسب والمال، وهي المقاصد الكبرى للدين الإسلامي.

## التعليم والقيم

وفي ظل عصر العولمة، حيث الانفتاح الهائل على الثقافات الأخرى بغثها وسمينها، وتزايد قنوات الاتصال ووسائله بشكل لا يمكن حصره، فضلا عن ضبطه، واختراق سهام بعض الأفكار المشوهة، وعقائدها المموهة للمجتمعات التي كانت تعتبر سابقا من المجتمعات المحصنة؛ تبرز هنا أهمية الحفاظ على القيم من خلال مؤسسات الرقابة المجتمعية كالمدرسة والأسرة والإعلام.. إلخ.

«فتنمية الأخلاق/القيم مسؤولية فردية، فعلى الفرد إصلاح نفسه من خلال الاستعداد والإرادة، كما أن على المجتمع مسؤولية عظمى وهذا يشمل الأسرة والمدرسة والجامعة والعمل والمسجد» (٢).

ونتيجة تغير بنية الأسرة وتزايد الأعباء وتغير الأدوار، تظهر المدرسة كمؤسسة رزينة إلى جانب الأسرة لا تقل عنها خطرا وأثرا في بناء القيم وتعزيزها وتهذيبها وتشذيبها من خلال تشكيل شخصية الطفل القاعدية.

وتنبهت المجتمعات المتقدمة في العصر الحديث لأهمية تحصين الفرد والمجتمع من الأفكار والقيم والسلوكيات التي توهنه وتضعفه، لذا تقوم بتدريس وتعليم القيم (الأخلاق) على شكل مادة دراسية ضمن مناهجها التربوية؛ لخلق الأنموذج الإنساني الذي يحقق مصالح تلك المجتمعات.

ويظهر الدور الحاسم للمعلم في تنمية القيم الإيجابية، حيث يشكل القدوة والمثال المجسد للعلم والخلق القويم أمام المتعلمين، وبخاصة الصغار، الذين

يفتحون عقولهم الغضة لتقبل المعلومات والمفاهيم والقيم والاتجاهات.

لكن السؤال الأهم هنا: كيف ينمي المعلم القيم والسلوكيات الإيجابية؟ وما هي القيم التي تحتاج إلى تعزيز أو تشذيب؟ وما هي حدود دوره؟ وكيف نمكن المعلم من القيام بدوره بالصورة المثلى؟

لاشك أن للقضية أبعادا متعددة، منها ما يتعلق بفلسفة التعليم ووظيفته في المجتمع، ومنها ما يتعلق بالمجتمع ومصالحه، ومنها ما يتعلق بالمعلم ودوره. ولتفعيل القيم بالصورة المثلى ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار القضايا الآتية:

أولا – إعادة الاعتبار إلى المدرسة كمؤسسة تعليمية تربوية، وبخاصة في ظل دعوات فصل التربية عن التعليم، وإعادة الاعتبار إلى المعلم، مثلا وقدوة، أمام هجمة الإعلام «الساخر» الشرسة على صورته ودوره، ولا يغيب عنا أن المعلم في عصور الازدهار كان يسمى المؤدب الذي تقع على عاتقه تربية الخلفاء والأمراء والقادة والأئمة الكبار.

ثانيا – الانتقال من تدريس القيم بإطارها النظري المعلوماتي بأسلوب الوعظ والإرشاد والتوجيه إلى غرسها وتمثلها في نفوس الطلبة سلوكا وممارسة من خلال الاقتناع والاقتداء بالمثل الصالح.

فالاقتداء والتقليد والمحاكاة فطرة بشرية، بل نحن مأمورون بالاقتداء والاهتداء بالنماذج البشرية السامية كالأنبياء والصالحين قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (الأنعام:٩٠)، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ (الأحزاب:٢١).

ثالثا – تنويع طرائق وإستراتيجيات التدريس كالتعلم التعاوني (المجموعات)، والتعلم بالأقران، والنقاش، ولعب الأدوار، وأسلوب القصص، والتي تنمي لدى الطالب قيم التعاون ومساعدة الآخرين وتقدير الذات والآخرين، والصبر على العلم، وتقدير الوقت، وأدب الحوار.

رابعا – بناء المعلم الواعي لرسالته ودوره وأثره من النواحي المعرفية والسلوكية والأخلاقية بحيث يغدو مثالا يحتذى ونموذجا يقتدى.

فالتزام المعلم بالقوانين واحترام آراء الآخرين واستماع المعلم إلى آراء الطلاب، هي سلوكيات تقتدى من قبل الطلاب، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال.

خامسا – ضرورة تكاتف مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية مع المعلم في خلق وبناء الجيل، وتأصيل القيم الإيجابية، كوزارة التعليم والمؤسسات الإعلامية.

«يعتبر التعاون والتكافل في التربية من أهم ضرورات التربية لاكتساب الأخلاق الحميدة، وهذا التعاون يؤدي إلى اختصار الوقت والجهد، وهذا يعني أن أسلوب التربية يجب أن يكون موحدا بين البيت والمدرسة والمجتمع فعندئذ تكتسب الأخلاق وتكون حميدة وكريمة» (٣).

سادسا – إيلاء الاهتمام بتفعيل القيم الإيجابية في المنهج الخفي، والذي يلعب دورا مهما ورئيسيا في العملية التربوية والتعليمية قد يفوق بكثير أثر المنهج الرسمي الذي يركز على المحتوى المعرفي.

والمنهج الخفي (أو الصامت أو الضمني) هو المنهج الذي يكون قيم الطلاب من دون تخطيط مسبق، ويظهر من خلال تعامل المعلمين مع الطلاب وتعامل المعلمين بعضهم مع بعض، وتعامل الإدارة مع المعلمين والطلاب، ومن خلال الأنظمة والأنشطة، وطريقة جلوس الطلاب والمرافق الأخرى كالمسجد وصالات الرياضة.. إلخ.

وختاما؛ إن بناء الجيل قيميا وأخلاقيا مهمة صعبة وشائكة ومعركة طويلة الأجل، يجب أن تتضافر فيها الجهود والجنود من مربين وإعلاميين ومسؤولين... وغيرهم؛ لبث قيم التسامح والإخاء والتعاون والمسؤولية والعمل والعقل والبناء لتحقيق السعادة لمجتمعاتنا والبشرية جمعاء.

**الهوامش**

١- الأخلاق الإسلامية، ص١٥، د. محمد خير فاطمة، دار الخير، سوريا، ط١٠، ٢٠٠٥م.

٢- جواهر الأخلاق والآداب الإسلامية، د. عادل بن عبدالله العوضي ود. فايزة بنت عبدالله العوضي، مركز الكتاب للنشر، مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ص٢٢.

٣- جواهر الأخلاق والآداب الإسلامية، د. عادل بن عبدالله العوضي ود. فايزة بنت عبدالله العوضي، مركز الكتاب للنشر، مصر، ط١، ٢٠٠٦م، ٦٤.

د. عبدالفتاح محمد العيسوي
باحث تربوي - مصر

# الإسلام وتربية القيم الأخلاقية

**لاشك أن القيم الأخلاقية morality هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم والشعوب، ولهذا أول ما توجهت إليه عناية الفلاسفة والمفكرين ورواد الإنسانية وحملة مشاعل التنوير والتثقيف والمصلحين العاملين على إنهاض الجماعات البشرية دعوتهم إلى تربية القيم الأخلاقية.**

ولم يبالغ شاتوبريان حين قال: «الأخلاق أساس كل مجتمع». وقال جوستاف لوبون بعد أن اطلع على القرآن الكريم: «إن أصل الأخلاق في القرآن الكريم عال علو ما جاء في كتب الأديان الأخرى جميعا». من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء العمل على غرس القيم الأخلاقية وترسيخها في عقل المجتمع المسلم وشعوره ووجدانه؛ وجاء القرآن الكريم مشددا على الاستمساك بها، لأنها هي التي تحقق الفوز بالنعيم في الدنيا والآخرة. وأولى هذه القيم الاستقامة وإصلاح النفس وتزكيتها، وذلك في أسلوب شائق وجذاب يستهوي الأنفس ويؤثر في أعماق النفس البشرية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ (فصلت:٣٠-٣٢).

جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: أوصني يا رسول الله. فأجابه الرسول بهذه الكلمة الموجزة الوافية: «قل آمنت بالله ثم استقم» (رواه البخاري). ومما يتوافق مع معنى الاستقامة إصلاح النفس؛ لأن التمادي في الشر يجر إلى أوخم العواقب على النفس الإنسانية وعلى المجتمع، ولهذا وعد الله الذين يصلحون أنفسهم بالغفران والرضا، قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ (المائدة:٣٩).

ويخاطب الله تعالى الناس جميعا داعيا إياهم لإصلاح أنفسهم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأعراف:٣٥).

ومما ينسجم مع الاستقامة وما عبر عنه القرآن الكريم أيضا بتزكية النفس ومعناها: الطهر من الأدناس والسمو عن النقائص ووضع النفس حيث يطيب موضعها ويرفع قدرها لتأخذ عند الله حظها من الرضوان وبين الناس نصيبها من الكرامة والعزة.

ولقد حث القرآن على تزكية النفس بالوعد بالفلاح قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ (الأعلى:١٤). وقوله أيضا: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٩-١٠). زد على ذلك الإحسان، الذي يعني القيام بالأفعال الحسنة التي تشمل كل خير وكل معاملة ترقى بالإنسانية وترفع من شأنها، وتهذب نفسية المرء وتقربه من خالقه. وتعاليم القرآن في الإحسان تشهد بأنه كتاب روحي يرقى إلى أعظم مراقي السمو، ويعلو على أي مذهب أخلاقي أو ديني، فقد عالج الإحسان بما يؤثر في الشخصية personality الإنسانية من ناحية دوافع motives العمل، وشرح صفات المحسنين، وعين فئات من الناس هم أحق بالإحسان من غيرهم، ودعا إلى الإحسان الذي يحقق للإنسانية المثل العليا والقيم الأخلاقية قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ (القصص:٧٧). وبين القرآن الكريم أن الإحسان تعود منفعته إلى المحسن قال تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ (الإسراء:٧).

فإن المحسنين يشعرون بطمأنينة لا يشعر بها غيرهم، ويكفي ما يقابلون به من الذين يحسنون إليهم من الود والمحبة والتقدير والاحترام والامتنان، مما يدخل السعادة إلى نفوسهم، بينما الإساءة تجعل صاحبها منبوذا، لا يهنأ له بال، ولا يسكن له قرار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ

﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ (النحل:٩٠). كما أن القرآن رفع منزلة الإحسان وقرنه بالإخلاص لله، ووصفه بأنه أرفع ما يتحلى به الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (النساء:١٢٥). ورغب الله في الإتيان بالحسنات بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام:١٦٠). فمن صفات المحسنين في القرآن قيامهم أكثر الليل للصلاة، وأنهم في أواخر الليل يطلبون المغفرة من ربهم، وأنهم يجعلون في مالهم نصيبا للسائل والمحروم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ (الذاريات:١٥-١٩).

أي خير عميم يغمر الناس إذا سيطرت عليهم صفة الإحسان؟! إنهم أحرى بأن يحققوا المدينة الفاضلة التي تخيلها الفلاسفة، والتي طبقها الإسلام في أول عهده. أما التقوى فمعناها جعل النفس في وقاية عن طريق خوفها من الله، والخوف يستدعي العلم بالمخوف، فالمتقون هم الذين يقون أنفسهم عذاب الله في الدنيا والآخرة، وذلك بالوقوف عن حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والله تعالى لا يأمر إلا بما فيه خير الإنسانية، ولا ينهى إلا عما يضرها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران:١٠٢).

كما وصف الله تعالى المتقين، الذين تحلوا بالفضائل والقيم الأخلاقية، بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، الذي يتضمن الإيثار altruism والتضحية بالمال والبر والوفاء بالعهد والصبر، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (البقرة:١٧٧). ويدعونا الله تعالى بالتزود بالتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (البقرة:١٩٧). ولو أن العالم عرف التقوى وقام بواجبها لانطفأت ثورة البشر وعم السلام في ربوعه.

## الصبر نفحة روحية

الصبر من القيم الخلقية، وهو النفحة الخلقية والروحية التي يعتصم بها المؤمن فتخفف من بأسائه، وتدخل إلى قلبه السكينة والاطمئنان، وتكون بلسما لجراحاته التي يتألم منها. ونستطيع أن نصف الصبر بحق بأنه الفاصل بين الحياة الروحية والمادية، ولهذا عني القرآن الكريم بالصبر، ومدحه، ورفع منزلته، وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه، وذكره حوالي سبعين مرة، ولم تذكر فضيلة أخرى بهذا المقدار؛ لأنه أساس كثير من الفضائل، بل هو أمها؛ لأنه يربي ملكات الخير في النفس؛ فالشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد، والعفاف هو الصبر على الشهوات، والحلم هو الصبر على المثيرات، والكتمان هو الصبر على إذاعة الأسرار، لهذا كله أحب الله الصابرين، وأعلن في القرآن أنهم ينالون مزيدا من الفضل والرحمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (النحل:٩٦).

## العفو يوثق المحبة بين أفراد المجتمع

العفو هو من القيم الأخلاقية الرفيعة؛ لأنه لا يصدر إلا من نفس كبيرة، راجحة العقل، صبرت على اعتداء الغير وإيذائه. إننا كثيرا ما نخطئ فنفتقر إلى العفو والغفران، وإن لم نغفر لمن أساء إلينا، فلن يغفر لنا، وإن أردنا الرد على المعتدي فليكن بالإحسان إليه، لأن مقابلة الإساءة بالإحسان تنزع من صدر المعتدي البغضاء، وتتركه مندهشا فيرتد غالبا عن غيه وتتقلب بغضاؤه إلى مودة، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ (التغابن:١٤). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (فصلت:٣٤).

## الصدق عنوان لرقي الأمم

ليست هناك قيمة أخلاقية تكفل استقرار المجتمع وتضمن الثقة بين أفراده مثل قيمة الصدق؛ لذلك اعتبر أساسا من أسس الفضائل التي تبنى عليها المجتمعات، بل هو عنوان لرقي الأمم، وينبغي أن ينال حظا عظيما من العناية في الأسرة والمدرسة، ذلك لأن به ترد الحقوق لأصحابها، وبه يحصل الناس على الثقة فيما بينهم، لهذا دعا الله تعالى المؤمنين للتخلق

به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ (التوبة:١١٩). ويؤكد الرسول ﷺ هذا المعنى بقوله: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (رواه مسلم).

ومن أنواع الصدق الأمانة، وهي من أقوى الدعائم في بناء المجتمعات، وهي من صفات المؤمن، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٨﴾ (المؤمنون:٨). كما يتضمن الصدق الوفاء بالوعد.

### الإصلاح بين الناس من أرفع القيم الإنسانية

الإصلاح بين الناس من أهداف التربية الإسلامية، ذلك لأن العداوة بين شخصين ستتطور حتما إلى عداوة بين أصدقاء كل منهما، وكثيرا ما تنقسم الأمة إلى جماعات لا هم لها إلا النكاية والإضرار بعضها ببعض، وقد يتطور الأمر إلى المشاجرة وسفك الدماء، فالإصلاح بين الناس من القيم الأخلاقية والإنسانية التي لا تصدر إلا من قلوب نبيلة، أحبت الغير وجعلت الناس وحدة مترابطة، لهذا أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين الذين تجمعهم الأخوة الدينية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات:١٠)، وقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ (النساء:١١٤).

# خفض الصوت من علامات وأمارات الكلام الطيب

### التعاون من أبرز القيم الروحية

لاشك أن التعاون على الخير للنهوض بالحياة الاجتماعية إلى المستوى الرفيع يؤدي إلى رفاهية المجتمع وتضامنه solidarity، ولقد كان لقيمته حظها من العناية في القرآن الكريم، فقد دعا إليها بهذه الآية الكريمة التي اشتملت على أروع القيم والمعاني الروحية، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ (المائدة:٢).

### الإيثار شعار النفوس الكبيرة

الإيثار هو تفضيل الغير على النفس في الخير، فأي إنسان شاء أن يكون رجلا عظيما لا ينبغي له أن يحب ذاته ولا ما هو له، ولا ينبغي أن يحب إلا الخير سواء في نفسه أو في غيره، ذلك لأن الإيثار له أكبر الأثر في توثيق عرى المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، إذ يجعلهم متعاطفين متعاونين. كما يحمل الإيثار سعادة لصاحبه، فمن أهم مكتشفات علم النفس الحديث ما ثبت من أن سعادة الإنسان لا تتحقق بغير تضحية النفس في سبيل الغير، لهذا دعا الله تعالى إلى الإيثار، ومدح قوما تخلقوا به بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ (الحشر:٩). هذه الآية تدل على عمق التربية التي غرسها الإسلام في أتباعه، وفيها قبس للذين ينشدون السمو الروحي لخير المجتمع.

### الكلام الطيب مصدر للنجاح

لاريب أن الكلام الحسن مصدر عظيم للنجاح، وسبب في تكوين مجتمع راق، لذلك عني به المربون والمصلحون، ودعوا إلى حسن مخاطبة الغير واستخدام اللهجة اللينة، لأن ذلك يجعل الإنسان محبوبا في بيئته وسببا للترقي في عمله، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣). ويأمر الله بخفض الصوت فإنه من أمارات الكلام الحسن الطيب، قال تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ (لقمان:١٩). كما يربي الإسلام المسلم على البشاشة عند معاملة الناس ومخاطبتهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

ولذلك استحق الرسول ﷺ الثناء من ربه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وقول الرسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (رواه البخاري).

### المراجع


١- القرآن الكريم.

٢- صحيح مسلم، صحيح البخاري.

٣- عفيف عبدالفتاح طباره، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

٤- عبدالفتاح محمد العيسوي، فلسفة العبادات في الإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط ٣، ٢٠٠٩م.

٥- محمد فؤاد عبدالقادر، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

٦- أحمد أمين، الأخلاق، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٧- محمد أبو بكر إبراهيم، مصطفى خفاجة، آداب الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

التحرير



# «الوعي الإسلامي» بطريقة برايل

في خطوة من خطواتها الرائدة في نشر المعرفة بين فئة من ذوي الاحتياجات الخاصة تصدر مجلة «الوعي الإسلامي» أعدادها بطريقة «برايل» مراعاة لفاقدي البصر، وطريقة «برايل» نظام للكتابة والقراءة خاص بالمكفوفين وضعاف البصر، يقوم على تجسيد الحروف على ورق خاص بنقاط ناتئة أو مقعرة يُمكن تحسسها باللمس، ويُعبر عن كل حرف بتشكيلة من النقاط البارزة تُطبع على الورقة بفضل ريشة خاصة تُعرف بـ «ريشة برايل».

ويُنسب نظام «برايل» إلى مخترعه «لويس برايل» (١٨٠٩م-١٨٥٢م) وكان أستاذًا بالمعهد الملكي للشباب المكفوفين بالعاصمة الفرنسية باريس.

وتعود الأصول البعيدة للكتابة والقراءة الخاصة بالمكفوفين إلى العرب، وذلك في القرن الثامن الهجري، حيث اهتدى زين العامدي - وهو أستاذ كفيف بجامعة المستنصرية في بغداد - إلى طريقة لترتيب كتبه وتصفيفها في مكتبته بوضع حروف بارزة على الغلاف تُمكن من معرفة عنوان الكتاب وثمن بيعه، فقد كان «العامدي» يعتمد على بيع كتبه في تحصيل لقمة العيش.

وتأتي هذه الخطوة من قِبَل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إسهامًا في نشر المعرفة وتنميتها لدى هذه الفئة من خلال الجمعيات التي تهتم بذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع.

التحرير



رحلة عطاء مع كبار الشخصيات ومنهم رئيس مجلس الأمة السابق جاسم الخرافي ورئيس الإصلاح حمود الرومي

# «الوعي الإسلامي» تكرِّم الرومي

كرمت أسرة تحرير «الوعي الإسلامي» سكرتير تحرير المجلة سليمان صالح الرومي وذلك في لمسة وفاء بعد مشوار حافل بالعطاء قدم خلاله قيمًا تربوية إسلامية تنتفع بها الأجيال.

عمل الرومي في «الوعي الإسلامي» مدة تقارب عشر سنوات ترك خلالها بصمات عديدة، فقد حمل على عاتقه مهمة التعاون مع المؤسسات الإعلامية، ووضع لذلك استراتيجية خاصة سماها «استراتيجية مجلة الوعي الإسلامي» ومجلة «براعم الإيمان» في التعاون مع المؤسسات الإعلامية».

وترك «بوصالح» بصمة لا تنسى وإنجازات عديدة خاصة في مجلة «براعم الإيمان» التي تولى الإشراف عليها، ومن هذه الإنجازات:

- سلسلة مقالات «سوالف العم بوصالح» والتي تناول فيها موضوعات تربوية واجتماعية وتعليمية خاصة بالأطفال.
- سلسلة «نصايح بوصالح» تناول فيها مجموعة من النصائح التربوية المهمة لمرحلة الطفولة.
- «أحبائي براعم الإيمان» وهي عبارة عن ثلاثة عشر توجيهًا هي خلاصة فكر وتجربة للعم بوصالح.
- «باص بوصالح» وهو عبارة عن إصدار من مجموعتين تناول فيه سلسلة من الآداب الإسلامية التي تهم فئة براعم الإيمان وتقدم لهم الآداب الإسلامية بطريقة تتوافق مع سنهم.

وهكذا يمضي المرء وتبقى آثاره تحدث عنه، وسنظل نذكر بكل الخير الزميل الفاضل والأخ الكبير سليمان صالح الرومي.



أسرة تحرير الوعي الإسلامي تكرم العم أبو صالح سكرتير التحرير قبل تقاعده



رئيس التحرير د. صالح النهام ومدير التحرير فهد الخزي وعلى يسارهما العم بوصالح سلمان الرومي



د. عبد الله زلطه
أستاذ الإعلام
بجامعة بنها المصرية



# من شيوخ الأزهر

## الخراشي - البرماوي - النشرتي

خلال أكثر من أربعة قرون تولى مشيخة الأزهر أربعة وأربعون من علماء الإسلام، كان أولهم الشيخ محمد الخراشي وآخرهم الشيخ أحمد الطيب الذي تولى منصبه عقب وفاة الشيخ محمد سيد طنطاوي.

وفي السطور التالية نقدم نبذة موجزة عن ثلاثة من الأوائل الذين تولوا منصب شيخ الأزهر قبل أربعة قرون من الزمان.

### الشيخ محمد الخراشي

ولد محمد بن عبدالله بن علي الخراشي في بلدة صغيرة تسمى «أبو خراش» مركز شبرا خيت بمحافظة البحيرة في عام (١٠١٠هـ-١٦١٠م). رحل صبيا صغيرا في سن العاشرة للالتحاق بالجامع الأزهر بعد أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن كاملا، إذ كان والده من العلماء في قريته التي كان معروفا عنها وجود عدد من رجال الدين المشهورين بالصلاح والتقوى والعلم، وبعد أن دخل الأزهر أقبل على العلوم المقررة فيه ودرسها بشغف وحب وتفرغ لها تماما، واختار الصبي المذهب المالكي حبّا للإمام مالك فقيه المدينة المنورة، ولكثرة قراءاته وتخصصه في هذا المذهب، فقد أمكنه التأليف والفتوى وهو في مقتبل الشباب وذاع صيته في مشارق الأرض ومغاربها من ديار الإسلام وأصبح مرجعا مهما لهذا المذهب.

ويعدد بعض الباحثين الذين درسوا تاريخ الشيخ الخراشي بعض الأمور التي ساعدت على نبوغه وامتلاكه ناصية العلم، منها:

الكتب والمراجع الكثيرة التي قرأها وهو طالب في الأزهر، وتلقيه العلم على أيدي شيوخ من أمثال: اللقاني، والأجهوري، والشامي، وقبلهم والده الشيخ عبدالله الخراشي. كما أنه مارس التدريس بالأزهر. ويقال أن دروسه لم تكن قاصرة على طلاب الأزهر فقط، بل كانت تأتيه الوفود للتزود من علمه الغزير، هذا بالإضافة إلى الزيارات التي كانت تأتيه من كل البلاد الإسلامية حيث كان القادمون إلى مصر يتحدثون عن ماضي بلادهم وحاضرها وكتب علمائها مما زاده علما وثقافة. ويروى أنه كان بعد توليه منصب شيخ الأزهر، شديد البأس لا تأخذه في الحق لومة لائم، ينتصر للمظلومين والمستضعفين والمساكين ويقف إلى جوارهم حتى يعيد لهم حقوقهم، وكان يشفع للناس لدى الولاة وأصحاب النفوذ لقضاء حوائجهم، وكان الشيخ الخراشي يتمتع بالهيبة وحسن السمعة، يهابه كل من يراه، ولم ترد له شفاعة، وفتح أبوابه لكل مظلوم من عامة الشعب، ورغم كثرة مشاغله فقد أنجز العديد من المؤلفات والموضوعات، وكانت روايته للحديث متصلة الإسناد إلى النبي ﷺ عن طريق الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره، وجمع بين علوم الدنيا والدين وأصبح قدوة علماء زمانه في البر والتقوى. ومن أشهر مؤلفاته وآثاره العلمية:

١ - فتح الجليل في الفقه المالكي.

٢- الأنوار القدسية في الفرائد الخراشية.

٣- رسالة في البسملة: وهي مؤلفة من أربعين كراسة، في شرح قول الله تعالى: «بسم الله الرحمن الرحيم».

٤- الشرح الكبير في الفقه، في ثمانية مجلدات.

٥ - الشرح الصغير للمختصر الكبير نفسه، في أربعة مجلدات.

٦ - منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة.

وغيرها من المؤلفات.

ولا يعرف على وجه التحديد متى تولى الشيخ الخراشي منصب شيخ الأزهر، لكن العديد من المراجع ذكرت أنه تولى المشيخة حتى وفاته صبيحة يوم الأحد السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (١١٠١هـ-١٦٩٠م) بعد أن تعدى التسعين من عمره، وخرج الشعب المصري لتشييع جثمانه إلى مثواه في جنازة مهيبة لم تر لها مصر مثيلا قبل ذلك التاريخ.

## الشيخ إبراهيم البرماوي

تولى مشيخة الأزهر عام (١١٠١هـ) عقب وفاة الشيخ الخراشي واستمر في منصبه حتى وفاته عام (١١٠٦هـ) وهو الشيخ إبراهيم بن محمد بن شهاب الدين بن خالد البرماوي.

ولد ونشأ صغيرا في قرية «برما» إحدى قرى محافظة الغربية. حفظ القرآن كاملا وهو طفل صغير في كتاب القرية، كما تلقى العلوم التقليدية المعروفة التي أهلته للالتحاق بالأزهر، وكانت قريته موطنا لكثير من العلماء الذين تأثر بهم في تلك السن المبكرة من حياته، وبعد أن رحل إلى الأزهر واشتد عوده اتبع المذهب الشافعي وأصبح خلال سنوات قليلة من العلماء المرموقين بالجامع الأزهر.

ولم يكن شيخ الأزهر في تلك السنين معينا من قبل الحاكم، بل كان يختار من بين علماء المذهب المسيطر، فكان الشيخ الخراشي المالكي المذهب شيخا للأزهر؛ لقوة نفوذ المالكية، ثم أصبح المذهب الشافعي هو الأكثر نفوذا فأصبح الشيخ البرماوي شيخا للأزهر.

وهكذا خرجت المشيخة من المالكية إلى الشافعية.

ولم يطل عمره في منصبه إلا ست سنوات فقد توفي في عام (١١٠٦هـ) بعد أن ترك تلاميذ له في المذهب الشافعي، كما ترك العديد من المؤلفات التي تدل على غزارة علمه في الحديث وفي فقه الشافعية والمواريث وغيرها.

## الشيخ النشرتي

لقب بالنشرتي نسبة إلى بلدة «نشرت» بمحافظة كفر الشيخ وحفظ القرآن الكريم وهو طفل صغير.

ثم التحق بالأزهر واتبع المذهب المالكي حتى تولى المشيخة عام (١١٠٦هـ) خلفا للشيخ البرماوي.

وذكر الجبرتي المؤرخ المعروف أن من بين تلاميذ الشيخ النشرتي، الإمام العالم العلامة صاحب المؤلفات الكثيرة والتقريرات المفيدة «أبو العباس أحمد بن عمر الديربي الشافعي الأزهري» ومنهم الإمام الشيخ الصالح «عبدالحي بن الحسن ابن زين العابدين»، ومنهم الإمام الفقيه الشيخ «أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الشافعي».

وظل الشيخ النشرتي يواصل عمله في التدريس بالأزهر حتى لقي ربه يوم الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (١١٢٠هـ-١٧٠٨م). وسار في جنازته جمع غفير من العلماء والوجهاء في موكب مهيب، لتنتقل راية الأزهر إلى شيخ آخر ويشاء الله أن تظل راية هذا الصرح الإسلامي خفاقة حتى يومنا هذا، وإن شاء الله تعالى إلى يوم الدين.

أ.د. وليد خالد الربيع
الأستاذ بكلية الشريعة
جامعة الكويت

# لم لا نجعل القراءة عملا ممتعا؟

يقرر المفكر الأستاذ الدكتور عبدالكريم بكار حفظه الله في أكثر من موضع حقيقة واقعية وهي أن «القراءة المثمرة عمل غير ممتع»؛ لأنها تعتمد على عمليات عقلية مرهقة من جهة، ومن جهة أخرى لأنها عملية مملة بالمقارنة مع وسائل الترفيه الأخرى كالتلفاز ووسائل التواصل الحديثة، ونتيجة لذلك فإنه يرى أن هجر الكتب والعزوف عن القراءة مأساة أعظم من مأساة الطلاق المنتشرة في المجتمع، وأعظم من مأساة البطالة لأن الشرور النابعة من الأمية الثقافية أعم وأخطر من سواها من الأزمات.

وقد سبق العقاد إلى هذه الحقيقة فقال مقارنا بين المجتمعين المسلم والغربي: «إن القراءة لم تزل عندنا سخرة يساق إليها الأكثرون طلبا لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود» (١).

وقد أعدت عدة دراسات ميدانية حول ظاهرة العزوف عن القراءة في الكويت والخليج، منها:

١- دراسة عن اتجاهات الشباب نحو المطالعة في المجتمع الكويتي المعاصر، أعدها إسحاق يعقوب القطان عام (١٩٨٧م).

٢- دراسة عن الميول القرائية لدى طلاب المرحلة المتوسطة وطالباتها بدولة الكويت، أعدها رفيق حسن الحلمي عام (١٩٨٩م).

٣- حلقة دراسية حول العزوف عن القراءة بين الشباب العربي الخليجي، أعدها المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج العربي عام (١٩٩٥م).

٤- دراسة عن عزوف طلبة المدارس عن القراءة في المرحلة الثانوية، أعدها د. أحمد العلي وآخرون عام (٢٠٠٠م)، تناولت (١٢٠٠) طالب وطالبة من المحافظات الست بالتساوي، وتوصلت إلى بروز ظاهرة العزوف عن القراءة المثمرة والفعالة، والعزوف عن ارتياد المكتبات المدرسية والعامة، ونقص مهارات الطلبة بالاستفادة من مصادر المكتبة المتعددة.

٥- دراسة واقع القراءة الحرة لدى الشباب أعدها د. علي الحاجي عام (٢٠٠٢م)، وهي دراسة كبيرة جاءت في (٥٠٠) صفحة تقريبا، تناولت (٢٣١٩٣٣) شخصا من دول مجلس التعاون، كان نصيب دولة الكويت (١١٦٧٤) شخصا، وقد تناولت الدراسة العوامل المؤثرة في القراءة الحرة، والمعوقات، واتجاهات القراءة لدى الشباب.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى نتيجة خطيرة ومهمة في الوقت ذاته، وهي أن أكبر معوقات القراءة

ليست الأوضاع الصحية، ولا المالية، ولا الأسرية، ولا المدرسية، بل هي أسباب شخصية بحتة، ودوافع ذاتية محضة كالكسل، أو الانشغال بوسائل ترفيه أخرى، فقد ذكر (٥٨ في المئة) من شريحة الدراسة أن هناك وسائل تغنيهم عن القراءة مثل التلفاز والفيديو. وهذا طبعا قبل ظهور الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي الحديثة.

وكثير منهم يقرر أن لا توجد عوائق مادية أو اجتماعية تحول دون القراءة، بل معظمهم من مستويات دراسية جيد إلى جيد جدا، ومن أسرة تحثهم على القراءة وذات دخل جيد، وهم قادرون ماديا على تحصيل الكتب (٢).

وظاهرة العزوف عن القراءة المثمرة ليست قاصرة على العالم العربي والإسلامي، بل إنها قد طالت العالم الغربي الذي تتفاخر الإحصائيات العالمية بكثرة قراءة شعوبه مقارنة بالقراءة في العالم العربي والإسلامي.

فعلى سبيل المثال أشارت دراسة فرنسية في سنة (٢٠٠٣م) إلى أن (٥٠في المئة) من الجمهور الفرنسي بدأ يعزف عن الكتاب ويتجه إلى الإنترنت كمصدر للمعلومات والمتعة، وحينها أعلن وزير الثقافة حالة الطوارئ القصوى؛ لأنه وجد منسوب القراءة في انخفاض، فنزل ومعه كبار الكتاب والمؤلفين إلى الشوارع والحدائق العامة والمراكز الثقافية والمكتبات العامة يقرؤون ويتحدثون مع الناس عن القراءة والكتب في مهرجان أسموه «مهرجان جنون المطالعة» (٣).

وفي الولايات المتحدة قامت الهيئة القومية التي ترعى المواهب الفنية بعمل دراسة عن قراءة الكتاب في أمريكا، معتمدة علي عينة من أكثر من (١٧٠٠٠) من البالغين من أهم المجموعات الديموجرافية.

والدراسة بعنوان «القراءة في خطر» وترسم صورة قاتمة، فهي تكشف عن انخفاض معدل القراءات الأدبية بين كل المجموعات من جميع الأعمار، وأن معدل الانخفاض قد تزايد، خاصة بين الشباب في الأعوام العشرين الماضية.

وتشير الدراسة المذكورة إلى ارتباط انخفاض قراءة الكتب بظهور الإعلام الإلكتروني الذي جذب الأمريكيين بعيدا عن القراءة (٤).

ولا شك أن معوقات القراءة كثيرة، منها معوقات مادية وأخرى معنوية، مثل قلة الصبر والملل، أو عدم معرفة قيمة العلم أو الكتاب، أو طول الكتاب، والخطأ في الابتداء وصعوبة الكتاب من حيث الأسلوب أو المصطلحات، ومنها الشرود وعدم التركيز، وكثرة الملهيات، وكثرة الأشغال، وغيرها من المعوقات (٥).

ولاشك أن الأهم من تشخيص المشكلة هو علاجها، وفي هذا المقام أود أن أؤكد على أمر جوهري دلت عليه السنة المطهرة، وأكدته نتائج الدراسات وتوصياتها، وهو التأكيد على دور الأسرة في ترسيخ عادة القراءة لدى الأطفال، وتنمية حب المطالعة لديهم.

فقد كان النبي ﷺ يعتني بالأطفال، ويحرص على تعليمهم مبادئ الدين وأسس الخلق، ويرسخ في نفوسهم معالي الأمور، كما ظهر ذلك في قوله ﷺ لابن عباس: «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (أخرجه أحمد).

وعن عمر بن أبي سلمة قال: «كنت غلاما في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال النبي ﷺ: يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت طعمتي بعد» (أخرجه البخاري).

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة».

فكان ﷺ يولي كثيرا من الأطفال عناية واهتماما، وقد ظهر بعد ذلك تأثيرهم الواضح في المجتمع الإسلامي الأول، مثل: عبد الله بن الزبير، وعبد الله ابن عمر، ومعاذ بن جبل، ومعاذ بن عفراء، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وسمرة بن جندب، ورافع بن خديج، والحسن والحسين رضي الله عنهم.

وقد أكدت الدراسات المذكورة وغيرها أهمية دور الأسرة في حث أبنائها على القراءة وترسيخ حب المطالعة لديهم، بحيث تصبح القراءة الحرة من الأنشطة اليومية للأسرة (٦).



وقد توصل د. صالح النصار في دراسته عن تعليم الأطفال القراءة ودور الأسرة والمدرسة في ذلك (٧)، إلى نتائج مهمة منها: أن نجاح الطفل في تعلم القراءة يبدأ قبل المدرسة من البيت في سن الثالثة تقريبا، فالوالدان هما المعلم الأول للطفل في عالم اللغة المكتوبة.

ومن النتائج الخطيرة التي توصل إليها هي أن الأطفال الذين يلتحقون بالمدرسة وهم غير مهيئين لتعلم القراءة من الممكن أن تصبح عملية التعلم محبطة لهم وللمعلمين، مما يرتب عليه آثار خطيرة تنعكس على التعليم ومخرجاته كما هو واقع.

وتقدم بمجموعة من التوصيات منها أنه ينبغي على أولياء الأمور أن يقرؤوا لأطفالهم قبل المدرسة، ويعلموهم مبادئ القراءة والكتابة، ويناقشوا القصص التي يقرؤوها معهم لتنمية مهارتي القراءة والاستيعاب لديهم.

وذكر أنه ينبغي على أولياء الأمور أن يدعموا الأطفال في سن المدرسة كي يستمروا في النمو كقراء أكفاء؛ بمراقبة حلهم للواجب المنزلي، وشراء الكتب، وجعل القراءة هوايتهم في أوقات الفراغ.

وخلاصة القول: إن جعل القراءة عادة يومية ممتعة يحتاج إلى أن يحب الوالدان قبل الأولاد العلم، ويستمتعا بالمعرفة، ويتلذذا بالفكر الراقي، ثم ينقلا ذلك الشغف، وتلك المحبة إلى أبنائهما بالقدوة العملية قبل المحاضرات القولية، إذ لا يمكن للطفل أن يحب القراءة وهو يرى هجر والديه للكتب، وإعراضهما عن المعرفة، وترسيخ كراهية العلم في نفسه بالتذمر والتسخط كلما أقبل العام الدراسي مما ينعكس سلبا على الطفل في بغض المدرسة والتعلم.

إن مسؤولية الأسرة عظيمة في تربية أبنائها، ومتابعتهم، وتقويمهم، وعلاج انحرافهم، فالأسرة كالتربة؛ إن صلحت صلح نباتها، وإن فسدت فسد نباتها.

وقد حمل الشرع الوالدين هذه المسؤولية، فعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

وقيام الأسرة بمسؤولياتها يثمر ثمارا طيبة؛ فالمعلم الصالح، والوزير القدير، والشرطي الأمين، والطبيب الخبير، والقاضي العادل، والمعلمة القدوة وغيرهم من فئات مؤثرة في جوانب المجتمع المختلفة، فكل أولئك هم بالدرجة الأولى ثمرة أسرة صالحة، اجتهدت في تعليمهم وتوجيههم.

### الهوامش

١- مجلة الرسالة العدد (٤٢٧) مقالة: السيف والكتب انظر https://ar.wikisource.org/.
٢- واقع القراءة الحرة لدى الشباب د. علي الحاجي (ص:٤٥٨).
٣- القراءة الذكية د. ساجد العبدلي (ص:٤).
٤- مقالة بعنوان ضوء أحمر بقلم: مها النحاس، جريدة الأهرام العدد (٤٣٥٢٤- العدد:٤ فبراير ٢٠٠٦م).
٥- كيف تقرأ كتابا؟ محمد المنجد (ص:٢١).
٦- واقع القراءة لدى الشباب (ص:٤٦٩).
٧- تعليم الأطفال القراءة - دور الأسرة والمدرسة - د. صالح بن عبدالعزيز النصار (ص:٥٥).

د. أبو زيد بيومي
عضو اتحاد كتاب مصر

# القراءة بين السرف والترف

في ظل الصراعات، وغلبة قيم السوق، وانهيار الطبقة المتوسطة ذات الدور الفعال في عملية الحراك الاجتماعي، أصبحنا في مجتمعنا أمام مثلث له ضلعان بلا قاعدة؛ أما الأول: فيتمثل في تلك الطبقة التي استطاعت أن تمتلك رأسا أو بعض رأس من مال يغطي احتياجاتها الضرورية وغير الضرورية، وهذه الفئة تتعامل مع مسألة القراءة على أنها شكل من أشكال الترف، فمن حسن غنى المرء أن يكون في يده كتاب أو جريدة يكمل بها وجاهته الاجتماعية، خاصة إذا كان جالسا على كرسي وثير أمام منزله المشرف على بضعة أفدنة من الأرض، أو على مكتبه في مصنعه أو متجره، مظهرا بعض الاهتمام بما لا يقرأ، داعما إياه بتقطيبة، وشيء من فهم قليل، أو أن يخصص أحدهم ركنا أو حجرة من حجرات بيته لتكون مكتبة يضع فيها ما لذ وطاب من آباء الكتب وأُمَّاتها التي لم ولن يمسسها بشر، خاصة تلك التي تتمتع بغلاف وكعب مزخرف بخطوط ذهبية تعطي للكتاب هيبة، وتجعل له قيمة ربما تفوق قيمة ما فيه، وغالبا ما تقتصر قراءة هذه الفئة للصحف على ما بها من إعلانات، ومتابعات لأسعار السوق، وأعمدة الوفيات، وصفحات الحوادث والرياضة، أما الصفحات العلمية والأدبية ومعها بعض الأعمدة فربما لا يشعر بوجودها أحد.

أما الضلع الآخر فهو الذي يمثله أهل الفقر وخاصته، وعند هذه الفئة يكون شراء الكتب والصحف سرفا، من منطلق أن «ما يحتاجه البيت يحرم على بائع الصحف»، ويكون شراء الصحف مباحا عندهم في حالة واحدة، وهي البحث عن عمل بين الإعلانات.

وربما يتبادل الضلعان مسألة الترف والسرف، فتكون القراءة عند الفقير ترفا لا طاقة له بتوفير تكاليفه، وعند الغني سرفا إذ تكلفه من المال ما يرى أنه لو وضعه في مواضعه التي تجعل «القرش قرشين» لكان أفضل، وبين هذا وذاك تضيع القراءة، وتضيع قيمة الكتاب، وتذهب الكلمة المقروءة هباء.

وإذا كان هذا هو حال القراءة في صورتها العامة، فعن القراءة المتخصصة فحدث ولا حرج، أو «فحدث وحرج»، فالكتاب أنفسهم سيطرت عليهم قيم السوق، فصاروا يبحثون عن الكتابة التي تعود عليهم بالشهرة والمال السريعين، ومن ثم هبطنا بكل شيء، أو هبط كل شيء بنا، فأصبحت الحياة في مجتمعنا سوقا لكل صاحب بضاعة، ولا عزاء للقيم، ناهيك عن المناهج التعليمية وإن شئت فسمها التجهيلية، رغم ما يبذل من جهود مضنية في ما يسمى بـ «التطوير».

أعتقد أن الأمر ليس مصادفة، وهو أن تكون القراء ة الحرة على مستوى الفرد العادي ترفا أو سرفا، وعلى مستوى القراءة الإجبارية في المدارس جهلا وتخلفا، أعتقد أن ذلك كله هو جزء من مخططات لتغييب الوعي ومحو الهوية.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي
مصر

# القراءة ترشد العقل وتنقل الخبرات

في معركة الحضارة، وفي مجالات السباق والتنافس بين الأمم؛ تكون الكلمة الفاصلة للعلم وما يرسيه من قواعد للبناء والنهوض في مختلف جوانب الحياة.

فالأمم لا تحرز مكانتها في السلم الحضاري بمجرد التمني، ولا بالادعاء، ولا بالتفاخر بالعرق والجنس؛ بل كل دعوى في هذا المضمار لا يسندها حظ من العلم والمعرفة، لا وزن لها، وتظل مجرد كلمات يمكن أن تخدع ذوي الأفهام السقيمة فحسب.

العلم إذن هو كلمة السر.

والقراءة - بجانب التفكر، والتجربة، والمقارنة، وغير ذلك - إحدى الأدوات المهمة لتحصيل هذا العلم، والولوج إلى عالم الحضارة والنهوض.

والقراءة تعني فعلا متجددا متصلا دؤوبا لا يكل في البحث عن المعرفة، وفي التقاط كل جديد يبدعه الإنسان، فهي أمر مغاير لعملية تحصيل العلم المعهودة، من خلال الانتظام في مراحل دراسية معينة لإحراز شهادة في مجال ما.

إنها فعل مفتوح مشرع الأبواب على عوالم المعرفة، وفعل لا يرتبط بمرحلة محددة، بل يدور مع نهم العقل لارتياد آفاق معرفية جديدة.

والقراءة - بهذا الفعل المتجدد - تمنع العقل من التكلس والتصلب والجمود؛ فمهما بلغ المرء درجة عليا من المعرفة، فإنه يظل بحاجة لمتابعة كل جديد، ولمعرفة المزيد فوق ما يعرفه.

أما إذا اعتقد المرء بخلاف ذلك، وظن أنه بلغ من العلم منتهاه؛ فهذا يعني أنه بدأ مرحلة الهبوط على دركات الجهل!

وقد أمر النبي ﷺ بأن يطلب الزيادة من العلم، وليس مجرد طلب العلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (طه:١١٤).

جاء في تفسير النسفي: «ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء، إلا في العلم» (١).

لقد كان لافتا أن يكون أول ما يتنزل من القرآن الكريم، أمرا يتصل بالقراءة، وليس أمرا يتصل بالعبادات أو الأوامر والنواهي؛ فالآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي أول ما نزل من القرآن، كما جاء في حديث السيدة عائشة، فيما رواه البخاري ومسلم. وأول هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ (العلق:١).

### في ضرورة القراءة

إذا كانت القراءة بابا متجددا للعلم والمعرفة، فإنها تصبح ضرورة بقدر ما يمثل العلم والمعرفة ضرورة للإنسان.

ومن الملاحظ أن المرء يتشكل وعيه

من خلال أمرين أساسيين؛ الأول: القراءة، خاصة القراءة المستمرة، وليست المرتبطة بمراحل التعليم. والثاني: ما يكتسبه من بيئته الاجتماعية، مضافا إليه ما يمر به من تجارب ومشاهدات ذاتية.

وإذا تصورنا إنسانا لا يقرأ - وهذا الوضع يمثل نسبة كبيرة في مجتمعاتنا، للأسف - فهذا يعني أن وعي الإنسان سيتشكل فحسب من البيئة المحيطة به، بكل ما تحمله من إيجابيات وسلبيات؛ ما يعني في المحصلة أننا سنكون بإزاء وعي غير ناضج بالصورة المطلوبة؛ لأنه - حينئذ - وعي يمثل انعكاسا للبيئة، وليس وعيا خارجا عنها بحيث يمكنه تجاوزها وإصلاحها وتغييرها تجاه الأفضل.

فالقراءة هي ما تمدنا بهذا الوعي الخارج عن البيئة؛ لأنها تمنحنا خلاصات التجربة البشرية في أزمنة ممتدة، وعبر أمكنة متعددة. وبإمكاننا - من خلال القراءة - أن نلتقط العبرة والدرس مما سبقنا من التجارب، بما يمثل لنا مصباحا يضيء ظرفنا الراهن، وبيئتنا بتعقيداتها وإشكالياتها. أما أن نحصر وعينا فيما نكتسبه من البيئة فحسب، فهذا لن يكون كافيا لتجاوز العقبات، وتحقيق ما نصبو إليه من طموح.

ولذا، يظل المرء بحاجة إلى الكتب والتجربة معا، لا تغني إحداهما عن الأخرى. يقول الأستاذ العقاد: «لا تغني الكتب عن تجارب الحياة، ولا تغني التجارب عن الكتب؛ لأننا نحتاج إلى قسط من التجربة، لكي نفهم حق الفهم.

أما أن التجارب لا تغني عن الكتب؛ فذلك لأن الكتب هي تجارب آلاف من السنين في مختلف الأمم والعصور، ولا يمكن أن تبلغ تجربة الفرد الواحد أكثر من عشرات السنين» (٢).

ولعل ما تشير إليه إحصائيات كثيرة، من تدني نسبة القراءة في مجتمعاتنا (٣)، يفسر لنا حالة التدهور الحضاري التي نكتوي بها، وانتشار الظواهر المرضية فكريا بكثرة تنذر بالخطر؛ بدءا من الانحراف في فهم الإسلام ومقاصده وتوجيهاته، وليس انتهاء بغياب الوعي بدورنا ورسالتنا في الحياة، وبكيفية إحراز درجة معقولة في سباق التنافس الحضاري.

إن مجتمعات تنتشر فيها الأمية الثقافية، فضلا عن أمية القراءة والكتابة؛ هي مجتمعات تحكم على نفسها بأن تظل رهينة وضعها المزري، وتقدم لخصمها بيدها ما قد يعجز عن تحقيقه بنفسه، بما يشبه «الانتحار الذاتي».

يجب أن تكون القراءة عادة متأصلة في سلوكنا، وأن نزيل الفجوة بيننا وبين الكتاب، لاسيما عند الشباب؛ الذين يمثلون عدة المستقبل، وعليهم تعلق الآمال.

## في شروطها ومعالمها

وحتى تكون القراءة مثمرة ونافعة، وقادرة على تحقيق الفائدة المرجوة منها؛ لابد أن تتوافر فيها شروط ومعالم معينة، ومن أهمها:

### ١- أن تكون القراءة باسم الله:

المسلم يبتدئ كل أعماله باسم الله؛ أي يتجه بعمله لله تعالى، مخلصا النية له وقاصدا منه المثوبة والتوفيق.

ومعنى أن تكون القراءة باسم الله أي أن تكون على منهج الله؛ فهي قراءة تبتغي مرضاة الله، لا شهرة ولا سمعة؛ وقراءة تدرك أن العلم منحة من الله العليم الذي أحاط بكل شيء علما؛ وقراءة تعي أن النقل الصحيح لا يناقض العقل الصريح، وأن لكل من النقل والعقل مجالاته وضوابطه.

بهذا تنضبط القراءة على منهج الله؛ منطلقا وغاية، مبتدأ ومنتهى، فهي ليست قراءة العقل المنفلت من نور الوحي، العابث بمسلمات الشرع وبديهيات الفكر المستقيم.

إن الضوابط والمحددات التي يضعها الإسلام للعقل، لا تعني أبدا فرض القيود عليه، وكفه عن الإبداع؛ إنما تعني توجيهه الوجهة الصحيحة، والحفاظ على طاقته من الهدر والعبث.

وحين انطلق المسلمون يجوبون البلاد شرقا وغربا، باسم الله وعلى هدي من الله، لم يمنعهم ذلك من تأسيس حضارة غير مسبوقة في التاريخ البشري، ولم يكن الدين مانعا لهم من الإبداع في مختلف المجالات، النظرية والعملية، بل الصحيح أن العرب لم يكن لهم نصيب من التمدن والحضارة قبل أن يهتدوا بنور الوحي، وكانت حياتهم من البساطة والسذاجة ما جعلهم على الهامش بالنسبة لحضارتي الفرس والروم.

### ٢- أن تجمع القراءة بين التخصص والمعرفة العامة:

القراءة التي تشكل وعيا صحيحا هي ما تجمع بين التعمق في مجال التخصص، والإلمام بالمعرفة العامة في المجالات الأخرى؛ ذلك أن البعض يحصر نفسه في إطار تخصصه، فلا يعرف شيئا عما سواه؛ مما يجعل نظرته للأمور ضيقة، وحكمه على الأشياء غير دقيق.

لقد صارت مجالات العلوم والمعرفة أكثر تشابكا وتعقيدا؛ وهذا يجعل من «الاجتهاد الجماعي»، الذي يجمع عقولا في تخصصات شتى،

ضرورة ملحة؛ كما يجعل من اهتمام المـرء بـالمـجـالات الأخـرى خارج تخصصه أمرا مهما.

ولنا في علمائنا السابقين النموذج والأسوة؛ فقد كان ابن رشد فقيها وقاضيا وطبيبا وفيلسوفا وله اهتمام بالفلك. ومن قبل كان الإمام الطبري مفسرا وفقيها ومؤرخا ولغويا وعالما بالقراءات. ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية تشهد على سعة علمه، ومجالات العلوم المتعددة التي ضرب فيها بسهم وافر.

### ٣- القراءة في الكليات والمتفق عليه قبل الفروع والمختلف فيه:

لكل علم من العلوم كلياته الأساسية، ومبادئه العامة، ومسائله المتفق عليها، ولو بشكل كبير دون إجماع. ومن المهم عند القراءة، أن يبدأ المرء بهذه الكليات والمبادئ والمسائل؛ قبل أن تتشعب به الطرق، وتكثر عليه الفروع، وتشتبه في ذهنه المعاني. بذلك يستطيع أن تتكون لديه قراءة منضبطة متماسكة بالمجال الذي يقرأ فيه؛ فمسائل العلم الواحد أكثر من أن تحصى، وإذا انشغل القارئ بها - قبل أن يلم بما يعطيه خريطة عامة، وأصولا واضحة - فإنه لا يحسن رد الجزئيات إلى الكليات، ولا الفروع إلى الأصول؛ وقد يحسن بابًا ويجهل بابًا أكثر منه أهمية.

### ٤- القراءة في الشرعيات قبل العقليات:

القراءة في العقليات - أي: ما يتصل بالفكر والفلسفة والمذاهب والتيارات - تستهوي الشباب؛ لأنهم يجدون في أنفسهم طاقة تدفعهم للتفكر والتساؤل، ويريدون أن يشبعوها ويروا ظمأهم.

وهذا منزلق خطير، أن يهتم الشباب بالعقليات قبل أن يأخذوا قدرا من العلوم الشرعية، ولو بالحد الأدنى؛ بحيث يتثبت الشاب من عقيدته، ومن توجيهات الإسلام في العلم والمعرفة، ويفهم طبيعة عمل العقل وحدوده ومجالاته، ومدى اقتراب ذلك وتداخله مع العلوم الشرعية التي مصدرها الوحي والتلقي.

بل نجد للأسف بعض الشباب يهتم بالقراءة في الأديان والمذاهب الوضعية قبل أن يقرأ في الإسلام؛ فتثور في نفسه الشكوك، وتتمكن منه الشبهات، وقد لا يجد هذا الشاب في بيئته الصغيرة من يجيب على أسئلته، فيدفعه ذلك لازدراء أحكام الإسلام، والاستهانة بها، وربما تطور موقفه لأشد من ذلك.

### ٥- القراءة للمعاصرين قبل الأقدمين:

من المهم خاصة للشباب، أو لغير المتخصصين في علوم الشريعة، أن يقرؤوا أولا للمعاصرين، قبل أن يغوصوا في كتب الأقدمين؛ فكتب المعاصرين أسهل في التناول، وأبعد عن الإلغاز، ولا تتداخل فيها العلوم بما يجعلها صعبة الفهم.

فيكون من المناسب أن تكون القراءة مع كتب المعاصرين أولا؛ لسهولة لغتهم وقربها من الاستخدام الراهن. فإذا تم استيعابها على نحو جيد، كانت مدخلا ميسرا لكتب الأقدمين التي هي بلا شك أكثر امتلاء، وأجزل عبارة، وأحكم صنعة.

### ٦- القراءة للثقات قبل أصحاب الجدل:

هناك شخصيات محل تقدير من الكثيرين، ومشهود لهم بالإسهام الجيد في مجالهم، وبالتوازن والاعتدال في أطروحاتهم، هؤلاء تقدم أعمالهم في القراءة قبل أعمال من عرفت عنهم المشاغبة وإثارة الجدل؛ حتى لا يكون ذلك سببا في بلبلة العقل قبل أن يتمكن من تكوين معيار للفهم والمناقشة.

ولا أقول: إن كل ما يثير جدلا خطأ؛ لكن علينا أن نراعي الترتيب في المعرفة، والتدرج من الكليات والثوابت والواضحات إلى ما يليها.

### ٧- التأمل في القراءة ومناقشة الكاتب:

القراءة الجيدة هي التي لا يسلم صاحبها بكل ما يقرأ؛ بل يقف منه موقف الناقد البصير، والباحث الجيد الذي ينشد الحق، ولا ينجرف لهوى أو يسلم زمام عقله للآخرين.

وهذا يتطلب قطع شوط معين في العلم والمعرفة؛ حتى تتكون لدى القارئ رؤية يستطيع بها أن يناقش ويخالف ويجادل بالحجة والبرهان.

أما أن يضع القارئ نفسه في موضع المتلقي والمستقبل فحسب، دون أن يقيم حوارا مع الكاتب وكتابه، ودون أن يعرض ما يقرؤه على ما استقر عنده من قبل، موافقة أو مخالفة؛

فهذا مما يطمس شخصية القارئ أمام شخصيات الآخرين، ويحرمه من تكوين ذاته الفكرية المستقلة القادرة على الإبداع.

### ٨- القراءة للعمل لا الجدل:

إن العمل هو الثمرة المرجوة من العلم؛ فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر؛ وكما قال ابن القيم: «لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين» (٤).

فالقراءة المثمرة هي ما تدفع للعمل، وتهذب السلوك، وتترك بصماتها على حياة الإنسان؛ عطاء ونفعا للآخرين.

وقد جعل العقاد مقياس الكتاب النافع مرتبطا بما يتركه في نفس قارئه من فهم أفضل، ومن دافعية للعمل؛ فقال: «أما مقياس الكتاب المفيد، فإنك تتبينه من كل ما يزيد معرفتك وقوتك على الإدراك، والعمل، وتذوق الحياة؛ فإذا وجدت ذلك في كتاب ما، كان جديرا بالعناية والتقدير؛ فإننا لا نعرف إلا لنعمل أو لنشعر؛ أما المعرفة التي لا عمل وراءها ولا شعور فيها، فخير منها عدمها. وعلى هذا المقياس تستطيع أن تفرق بين ما يصلح للثقافة والتهذيب وما لا يصلح» (٥).

تلك هي أهم الشروط والمعالم التي تتطلبها القراءة المثمرة، الواعية، الفاحصة، المضيئة.

### نموذجان في حب القراءة

ولهؤلاء الذين لا يجدون من أنفسهم رغبة في القراءة، ويحسون بالجفوة بينهم وبين الكتاب؛ أسوق نموذجين من تراثنا، لعالمين جليلين قد توفر عندهما النهم الشديد للقراءة وطلب العلم؛ حتى تركا لنا مؤلفات في مجالات شتى؛ تشهد بعمق معرفتهما، وموسوعية علمهما، رحمهما الله تعالى رحمة واسعة.

النموذج الأول هو الإمام عبدالرحمن ابن الجوزي؛ الذي يخبرنا عن نفسه، وكيف كان طلبه للعلم، قائلا: «وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أقرأه فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبدالوهاب بن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشاب، وكانت أحمالا وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب» (٦).

وأما النموذج الثاني فهو شيخ الإسلام ابن تيمية؛ الذي كان شغوفا بالعلم والمطالعة، حتى في أشد ساعات مرضه.

نقل عنه تلميذه ابن قيم الجوزية، قوله واصفا حاله، فقال: «وحدثني شيخنا قال: ابتدأني مرض، فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم، يزيد المرض. فقلت له: لا أصبر عن ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك: أليست النفس إذا فرحت وسرت، قويت الطبيعة فدفعت المرض؟ فقال: بلى. فقلت له: فإن نفسي تسر بالعلم، فتقوى به الطبيعة فأجد راحة. فقال: هذا خارج عن علاجنا» (٧).

فبمطالعة هذه النماذج من سير العلماء والدعاة والباحثين، تنشط النفس للقراءة، وتدرك أهميتها في تشكيل الوعي الصحيح واكتساب الخبرات.

«القراءة» فريضة غابت عن حياتنا وسلوكاتنا، وما أشد حاجتنا لها؛ لترشيد العقل، ونقل الخبرات؛ حتى نخرج من أزمتنا الراهنة، ونبدأ بجد عملية النهوض والتنمية المرجوة.

### الهوامش

١- تفسير النسفي، سورة طه، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٢- انظر مقالة: «لماذا أهوى القراءة»، مجلة «الهلال» عدد مارس (١٩٤٨م).

٣- في عام (٢٠٠٣م)، أشار تقرير التنمية البشرية الصادر عن «اليونسكو» إلى أن كل (٨٠) عربيا يقرؤون كتابا واحدا، بينما المواطن الأوروبي يقرأ (٣٥) كتابا في السنة، وفي عام (٢٠١١م)، ذكر تقرير التنمية البشرية الصادر عن «مؤسسة الفكر العربي» أن العربي يقرأ بمعدل (٦) دقائق سنويا، بينما يقرأ الأوروبي بمعدل (٢٠٠) ساعة سنويا.

٤- الفوائد، ابن القيم، (ص:٣١).

٥- انظر مقالة: «لماذا أهوى القراءة»، مصدر سابق.

٦- صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ص:٣٩٤-٣٩٥).

٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم، (ص: ١٠٩).

وسائط ووظائف

# القراءة من المهد إلى اللحد

د. العربي إد ناصر
دكتوراه في الشريعة
المغرب

### طفل يقرأ.. كتاب يمشي

يحرص الآباء على توفير كل مستلزمات التغذية والكسوة والمرح لأطفالهم، ثم يكدون في تقديمهم لأرقى المدارس والمعاهد قصد تعليمهم وتربيتهم، ولكنهم لا يجهدون بنفس الطاقة لتكريس مناخ القراءة والمطالعة الحرة وسط أبنائهم وبناتهم، بدعوى كفاية المقررات التعليمية الرسمية، أو ربما لعدم الإحساس بأهمية القراءة خارج المدرسة، في تحصيل منافع أخرى مختلفة عما يجنيه التلميذ داخل المدرسة.

وقد يكون الآباء بدورهم غير ممارسين لطقس القراءة والكتابة داخل البيت، إما لانشغالهم بأمور أخرى، أو لعدم تمرسهم في المطالعة الحرة، وينشأ عن هذا كله حرمان الأطفال من القراءة الموازية للتعليم النظامي والخصوصي.

وهناك ثقافة أسرية تعتقد بأن الأطفال الصغار الذين لا يحسنون القراءة، ربما ليسوا في حاجة إلى مصاحبة كتاب، ولا إلى الاستماع إلى مقاطع منه، في الوقت الذي يحمل هؤلاء الأطفال ذاكرة قوية على التخزين، بحيث يتحول الاستماع فيما بعد إلى دافع للتفكير والنطق والخيال، فالذي يطيل الاستماع يمتلك في العادة رصيدا من المعلومات والأصوات والمفردات، بإمكانها أن تجد الطريق للتعبير إذا سنحت لها الفرصة، ولعل هذا ما يفسر كون الإنسان له أذنان في مقابل فم واحد.

فبالاستماع يستطيع الطفل قنص مجموعة من المفردات التي ليست من الاستعمال اليومي للعائلة، وطرافتها من غرابتها، فيعمل على حفظها وربما ترديدها لاحقا، فكلمة في اليوم يضيفها إلى معارفه لها ما لها من مستقبل علمي وذوقي على الطفل ولو لم يشعر بذلك الآباء.

ولعل من المفيد التذكر بأن التعليم بالقراءة لا يختص بمرحلة دون أخرى من عمر الإنسان، فهناك دراسات تؤكد على أهمية القراءة على الجنين وهو في بطن أمه، والحركات التي يقوم بها الطفل ماهي إلا ردود أفعال عما يستقبله هذا الطفل من الفضاء الخارجي، فهو يتفاعل معه ويشعر به على طريقته الخاصة.

ومن هنا فعملية التدريب على القراءة وكل ما يفيد في تحبيبها إلى الأطفال، ينبغي أن تبدأ منذ البواكير الأولى لنشأة الطفل، فهي مفيدة له قدر إفادة الحليب الذي ينتفع به بعد الولادة، فإذا كان الحليب يقوي العظام ويساعد على نمو بقية الجسد، فللقراءة مساهمة فعالة في تقوية الإحساس وتنمية المهارات، في النطق والاستماع والحفظ والتخيل.

فإذا كانت الشاشة مزيجا من الألوان والصور والكلمات الجاهزة غير الملموسة، فبإمكان الطفل أن تداعب أنامله محتويات الكتاب حروفا وصورا، عبر تقليب الصفحات والتأمل في الرسومات وقراءة السطور، والتفكر في هندسة الكتاب غلافا وفقرات وعناوين.

مما يزيد من منسوب وعيه وتمييزه وإدراكه، فضلا عما تصقله القراءة المسموعة من قبل الآباء على الأبناء من حسن النطق لمخارج الحروف، وتهذيب للصوت والأذن، وتعلم للإصغاء والصبر على الاستماع، والقدرة على التتبع، واحترام المتكلم.

وهذه المهارات تأتي بالممارسة والمعاودة، وليست تأتي من طريق التوجيه المباشر ووضعها كعناوين في الدرس، بل يتعلمها الطفل بنفسه من خلال المواظبة على الفعل، مما يعزز لديه قيمة الاستقلال الذاتي، وينمي القدرة على الابتكار وعلى التعلم.

ومثل هذه الوظائف لا تحتاج إلى تمويل ولا إلى برامج مكثفة ومدارس خاصة، فهي في متناول الأسر في البيوت، تحتاج فقط إلى خاصية الاعتياد، لجعلها من الأمور التي تدخل ضمن السير العادي ليوميات العائلة.

والأسرة التي تعي جيدا وظائفها، تجعل من القراءة برنامجا أساسيا ضمن سائر الأعمال التي تقوم بها، بحسبانها لا تقل أهمية عن باقي الانشغالات الأخرى، إن لم تكن هي من طلائعها، وقديما يقول المثل: «التعليم في الصغر كالنقش على الحجر»، فرغم صعوبة وضع نقوش على الحجر، فإن الإصرار على فعلها تمرين مهم في التعلم بالنسبة لمارسها وللذي أنجزت في ساحته، لاسيما بالنسبة للإنسان الناطق العاقل، وما ينقش على الحجر في النهاية لا يمحى ولا تذروه الرياح، فيبقى دهرا من الزمن لتجذره في الحجر، وقس عليه تجذر الفكر في الذهن بعد طول تعليم وتوجيه.

### شركاء في تعميم القراءة

لعل المدرسة تشكل البوابة الأولى لحب القراءة والتعلق بالكتاب، فما من مكان يمضي فيه الطفل وقته أكثر من المدرسة التي يتتلمذ فيها، وإذا كانت السياسة التعليمية تكرس

جهودها لتنفيذ المخططات الدراسية، والحرص على تعزيز التحصيل والجودة والتربية، فمما تغفل عنه هذه السياسات تخصيص برامج خاصة ومواعيد للتربية على القراءة الحرة والمطالعة، خارج أوقات الدراسة وخارج نطاق ما يمتحن فيه التلميذ، فضلا عن غياب مواد وفقرات إلزامية تعنى بتنمية القراءة والمطالعة، كمادة رسمية موضوعة من قبل الحكومة والوزارة الوصية على قطاع التعليم.

ويكمل دور المدرسة ما يوفره البيت والعائلة من فرص لتقريب الكتاب إلى النشء، من خلال إعداد مكتبات خاصة تحوي نصوصا ومواد تلائم سنهم، وتحرص العائلة على خلق جو من القراءة عبر عقد لقاءات حول كتاب صدر حديثا أو نال جائزة، أو من خلال تخصيص وقت لمطالعة كتاب من اختيار الطفل أو الأبوين، يراعي مقاصد معينة، إما الدربة على القراءة، أو تجويد الصوت، أو ترسيخ معلومة، أو صقل لغة محلية أو أجنبية، إلخ،

وهناك موعد آخر للقراءة والتسلية بنص أدبي قبل النوم، يحلو للأطفال الاستمتاع بطقسه كل يوم، حيث يفيد في تعزيز مدارك الطفل وتوسيع نطاق خياله، فضلا عن تسهيل حوافز النوم الهادئ وجلب الراحة، بعيدا عن سلطة الأوامر للنوم الإجباري وإطفاء الأضواء.

وبهذا يتحول البيت إلى مدرسة ومكتبة يحتفي بالقراءة ويستضيف الكتب، إذ البيت الذي لا يوجد فيه كتاب مغبون داخله ومغرور صاحبه، فالأواني والأفرشة لا تصنع العقول، إنما الكتب من يغذيها ويجعل مرتاديها أذكياء وفطناء في الطعام واللباس وسائر العادات.

وإلى جانب المدرسة والبيت يوجد شركاء جدد في عملية تنمية القراءة وتعميمها في أوساط التلاميذ، حيث انتقل فعل القراءة من محل إلى آخر ومن حيز إلى آخر، بحيث ظهر الكتاب الرقمي كمنافس للكتاب الورقي، وبرزت تقنيات جديدة في المعرفة والتثقيف، فالألواح الخشبية والكنانيش الورقية، ما عادت وحدها وجوها ترسم عليها الحروف وتظهر عليها الرموز، بل لحقت بها صنوف من الأجهزة الرقمية التي تشكل فتحا علميا وتكنولوجيا، بوصفها أدوات أكثر قدرة على التخزين والبحث وتقديم خدمات أخرى تحت الطلب.

فاللوحات الإلكترونية ومختلف الأجهزة الذكية من هواتف وحواسيب وغيرها، كلها تقنيات متطورة تساعد على عولمة القراءة وتسريع المردودية، رغم أنها لا تقوم مقام الكتاب الورقي، بل هي فقط تقدم خيارات أخرى في ولوج عالم القراءة.

ولكن تبقى المدرسة دائما المركز والمصنع الذي يتم فيه توجيه القراءة واستثمارها، بحيث لا تخلو هذه الأدوات الجديدة من مخاطر وأضرار، وهي أشد ما تكون مضرة بالطفل الذي لا يستبين سبل الاستثمار الجيد، ولا يتورع عن تفادي المخاطر، على مستوى الصحة والأخلاق والوقت.

فهذه الأجهزة الذكية ينبغي أن ترشد في استعمالاتها، في المضامين التي تبثها وكذلك في الأوقات التي يقضيها الأطفال بصحبتها، حتى تكون الاستفادة محققة، ويكون عملها مكملا لبقية الدروس التي يتلقاها التلاميذ في الفصل.

إضافة إلى دور هذه الوسائل التقنية، تحضر المسارح والمنتديات كفضاءات لتفجير الطاقات وتشجيع القراءة، عبر تقديم أنشطة تكرس وتدعو إلى تنمية مهارات القراءة، عبر إعداد نصوص ومواد في الشعر والقصة والرواية والمسرح والغناء، ذات خلفية بيداغوجية وتعليمية إلى جانب الترفيه، تقوم على إيصال أفكار لها صلة بالكتب والمكتبات وعالم القراءة.

وفي الأحياء السكنية، على الحكومات وضع مكتبات وخزانات تضم مختلف الكتب والمراجع في مختلف حقول المعرفة، وتكون ضمن الخدمات المجانية التي لا يترتب على دخولها والانخراط فيها أي مقابل مادي، في الاستعارة الخارجية والمطالعة الداخلية والتصوير والنسخ.

ولما كانت الرياضة فعلا راقيا بالإنسان من الخمول إلى النشاط، فبالإمكان تعدية مفعول الرياضة ليلامس أغراضا أخرى من صميم النشاط الذي تضفيه الرياضة على البدن، عبر ربطها بالوعي والثقافة، فالجسد السليم سلامته ليست متوقفة فقط على سلامة أعضائه من التكلس والتلف، بل كذلك من التخلف والخرف، فالقراءة رياضة ذهنية جبارة تهدف إلى وضع البدن في سكون وتهذيب أخلاقي، مما يدعو إلى دمج الأهداف المتوخاة من الرياضة البدنية مع مثيلاتها في الرياضة الذهنية التي تنميها القراءة.

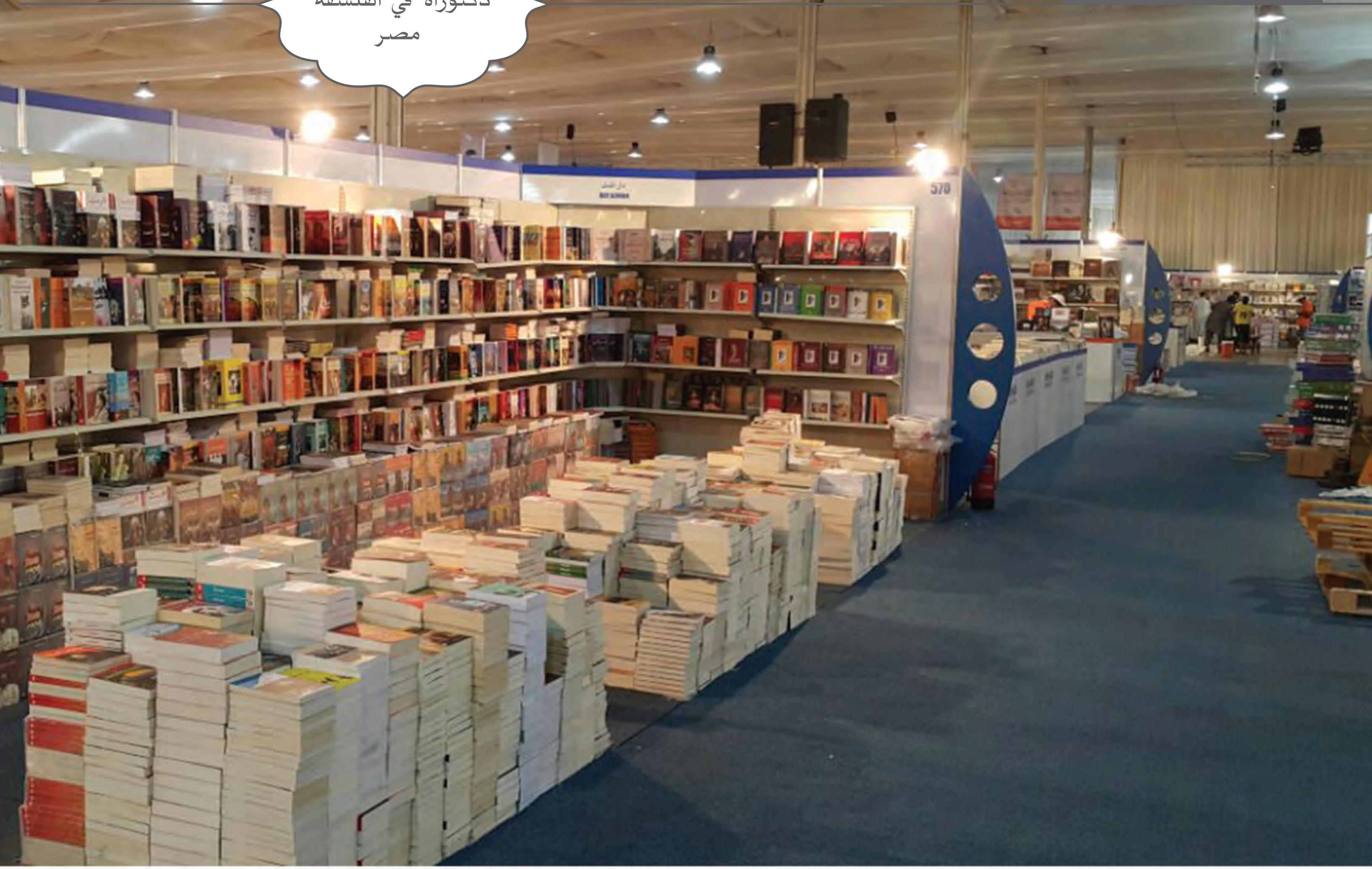
وهكذا يحسن بالمنظمين لفعاليات الرياضة، أن تكون الأهداف التي يرفعونها كشعارات خلال تنظيمهم لمختلف الفنون الرياضية شمولية للبدن والذهن، وأن ينبهوا خصوصا النشء بأهمية القراءة كمساعد على تهيئة الجسم السليم، وتحفيزهم إلى ممارسة نوع آخر من الرياضة الذهنية في البيت وفي أوقات الفراغ وأثناء السفر.

وعلى ذكر السفر، ففي الحديث: «السفر قطعة من العذاب» (رواه البخاري)، أفليس بالإمكان تحويل السفر إلى لحظة من المتعة بصحبة كتاب؟ فسفر خلال سفر مغامرة ماتعة ومحظوظة، فإذا خلاك صديق أو أوحشك رفيق فلا تحرمن نفسك من كتاب أنيس، تصطحبه وتعانقه بنظراتك وتسافر فيه سفرا آخر باحثا عن صيد ثمين وعلم غزير.

ولقد قال الجاحظ يوما:

**أوفى صديق إن خلوت كتابي**
**ألهو به إن خانني أصحابي**
**لا مفشيا سرا إذا أودعته**
**وأفوز منه بحكمة صواب**

د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة
مصر



# معوقات القراءة وسبل النهوض

كل الناس يعلم أن القرآن الكريم ابتدأ نزوله بالأمر بالقراءة، وأقسم بأداة الكتابة، والقلم وما يكتبه، ورفع قدر العلم والعلماء.

وبعد أن ارتفع قدر أمتنا بهذه التوجيهات وعلا شأنها، إذا بها تنزلق أقدامها من فوق هذه القمة الشامخة لتصبح في ذيل القائمة، وتكون لها الصدارة في الأمية، والتراجع العلمي والتكنولوجي.

إن القراءة لا تقل أهمية عن الطعام والشراب والكساء، فالطعام والشراب يستر الجوع والعطش، والكساء يستر العورة، والقراءة تستر الجهل وتزين العقل والفكر.

القراءة هي السبيل الأوحد للعلم والإبداع، والإدراك لحركة الحياة العلمية، والاجتماعية، والتاريخية، وكل ما حولنا.

ومع هذه الأهمية سقط لواء القراءة من أمتنا، وتحولت بؤرة اهتمام الأمة بعيدا عن القراءة والعلم، وانشغلت بأمور أعاقتها، وأعاقت العامة عن القراءة.

### المعوقات

من هذه المعوقات: الاستعمار والهموم السياسية التي واكبته، وكثرة الثورات التي دارت كالرحى تطحن في أمتنا.

**القراءة الإلكترونية لا تغني عن الكتاب الورقي**

عامة الأمة من الفقراء والمساكين انصرفوا لطلب الرزق وتحصيل القوت الضروري، هذه الفئة من الناس حاصرتها بشدة الأزمات الاقتصادية من أزمة السكن وغلاء الأسعار، ويكاد يكون طلب الرزق قد استغرق الوقت والزمن كله، وما بقي من لحظات لا يكفي للراحة، فضلا عن القراءة، وتأتي الفضائيات لتجتاح هذه الأجساد المنهكة المتعبة حتى تسلمها إلى النوم.

وتتعاون معها التلفونات الذكية وشبكة الإنترنت على إبعاد الاهتمام عن القراءة وتوابعها، وحتى لو حولوا



الاهتمام إلى القراءة الإلكترونية فهي لا تغني عن الكتاب إلا قليلا.

وربما يكون من الأسباب: ارتفاع أسعار الكتب، وقلة موارد الدخل مما يجعل الناس يوجهون اهتمامهم وإنفاقهم لأمور هي أولى بسبب ضغوط ضروريات الحياة، ومع ذلك تعودنا من قديم على ارتياد سوق الكتاب المستعمل عند الباعة على أسوار الجامعات، أو أسوار الحدائق.

### كيف ننهض بمهارة القراءة

لابد أن نغرس أهمية القراءة في عقول النشء، وأن تهتم المدارس بغرس هذه المفاهيم مع سائر المفاهيم السلوكية والأخلاقية، وأن تكون لدى وزارة التربية خطة تربوية للنهوض بمهارة القراءة عند النشء، بتخصيص حصة للقراءة الحرة، أو حصة قراءة داخل المكتبة، والعمل على مناقشة الطلاب فيما قرؤوه، وكتابة تلخيص عن القصة المقروءة أو الكتاب، أو ترغيب النشء بالقراءة من خلال مشاهد تمثيلية، وتوجيه النشء إلى نوعية الكتب التي يحرصون على قراءتها، والتي تتوافق مع هواياتهم وتوجهاتهم وميولهم العلمية.

وأن تكون هناك حصة دراسية حول كتابة الأبحاث، فكتابة الأبحاث أكثر ما يدفع طلاب العلم إلى القراءة.

والعمل على تدريب النشء على كتابة وتحضير محاضرة، فإن ذلك يجعلهم يتقلبون بين يدي الكتب والمراجع.

ولابد أن تتصافح يد الإعلام مع يد وزارة التربية، وذلك بالدعوة والتوجيه والإرشاد للقراءة وإعطائها زخما إعلاميا لا يقل عن الزخم الإعلامي المقدم من خلال الإعلام الترفيهي المتمثل في الأفلام والمسرحيات، والتمثيليات، وكرة القدم.

الاهتمام بإقامة المسابقات للقراءة على مستوى المدارس، والجامعات، والدوائر الحكومية والأهلية، ورصد الجوائز التشجيعية للارتقاء بمستوى القراءة والإبداع على مستوى شرائح الأمة المتعددة.

### ماذا نقرأ؟

سؤال قد يغيب عن الذهن ويمكث الإنسان متحيرا فيه، لقد دار هذا الحوار بيني وبين أستاذي الدكتور طه الدسوقي حبيش، وكان يدرس لنا الفلسفة الإسلامية بالدراسات العليا.

سألني قائلا: أنت من الخريجين الجدد؟

قلت: نعم.

قال: عليك بالقراءة لا تهملها.

قلت: ماذا أقرأ؟

قال: اقرأ المقرر عليك أولا، وفي تخصصك، ثم اقرأ بعد ذلك قراءة عامة لأي شيء.

بهذا الحوار البسيط تعلمت أولويات القراءة، فقراءة المقررات الدراسية لطلاب العلم، ثم القراءة في مجال التخصص، لكل إنسان تخصص في علم من العلوم أو في فرع من العلوم ينمي معلوماته من خلال هذه القراءة، ولا يتوقف عنها بعد التخرج، ليجدد معلوماته ويقف على آخر ما وصل إليه البحث العلمي في تخصصه، ثم بعد ذلك القراءة العامة لأي شيء من العلوم والمعارف بحسب ما تشتاق إليه النفس.

وأجد نفسي في حاجة إلى إرسال تحية إعزاز وتقدير لمجلة براعم الإيمان، التي أجدني أحرص على قراءتها بين الحين والحين، لأستمتع بهذا القصص والعرض المعلوماتي الذي يجمع بين المعلومات القيمة وسهولة عرض المنهج الذي يذكرنا بالأيام الماضية.

### الغرب، المدارس الأجنبية، ومنهجية القراءة

إن العالم الغربي يجعل في مقدمة أولوياته القراءة، وإصدار الكتب والتنمية الثقافية.

وبالمقارنة مع عالمنا العربي فإن الإصدارات العربية متدنية وغير متداولة، أما في الغرب فإن الإصدارات تفوق مئات الآلاف مع مراعاة التنوع المعلوماتي في هذه المطبوعات.

أما المقارنة العددية بين العالم العربي والغربي والشرق الأقصى تجعل البون شاسعا لدرجة الدهشة، والشعور بالخزي.

أما أنظمة المدارس الأجنبية التي تنتشر في الأقطار العربية والتي تهتم بتدريس المناهج الغربية بلغاتها فإنها



تحرص على غرس مهارة القراءة، والبحث والاطلاع وتربية النشء على القراءة، والتلخيص لما قرأ، وكتابة بحث، حتى تكون العلاقة مستمرة بين الطالب، والكتاب، والمكتبة، والقلم، والأوراق.

### الكويت والقراءة

لقد حرصت حكومة الكويت منذ عدة عقود على إقامة معرض الكتاب السنوي، كما حرصت بعض الجمعيات الأهلية على إقامة معارض للكتاب، وكان من اهتمام وزارة التربية عقد رحلات للنشء إلى هذه المعارض لتحفيزهم وحثهم على اقتناء الكتب وقراءتها.

ومنذ عدة سنوات انطلق مشروع «الجليس»، للتحفيز على القراءة لدى النشء في دولة الكويت.

المشروع تتبناه جهات حكومية وأهلية وخيرية، قامت بإنشاء أندية للقراءة، بلغ عددها (٧٥) ناديا.

تقوم هذه الأندية على منهجية منظمة واضحة، فيقوم أعضاء كل نادي بقراءة كتاب في لون من ألوان الأدب العربي، ثم عقد حلقة نقاش حوله لتبادل الفكر وتلاقحها، وفتح المجال الفكري لعقول النشء لتحلق في آفاق

## مشروع الجليس مبادرة طيبة للتحفيز على القراءة

الأدب العربي والمعرفة العامة.

إنه مشروع بكر، لم يسبق له مثيل في عالمنا العربي والإسلامي - فيما أعلم - يعمل على إيجاد ورعاية العقول المبدعة المفكرة والاهتمام بها، وإتاحة الفرصة لتكوين خيال خصب لديهم، بوفرة المفردات اللغوية، وتنمية مهارات التذوق الأدبي والفني لمفردات اللغة وعلومها، وتعتبر تلك الأندية هي الاستثمار الأمثل للوقت لدى النشء لا سيما في أشهر الصيف والإجازات.

وقد أسفرت هذه الأندية عن نشأة براعم تتلهف على القراءة، وتزاحم بمواهبها في المسابقات الدولية، فقد فازت إحدى طالبات المرحلة الثانوية ببطولة تحدي القراءة العربي، وإقامة هذه المسابقات تعمل على ترويج ثقافة القراءة والتشجيع عليها، وإزكاء روح التنافس بين النشء.

ولكي ننهض بأمتنا من جديد، وتجري القراءة في عروق أبنائها، لابد من التماس سبل العلاج الناجع للإدبار عن الكتاب، علاج للإعراض عن القراءة، لا بأن ننوه ونشير إلى أهميتها وضروريتها بحسب، بل بأن نجعلها متعة.

إن القراءة نافذة على العالم من حولك، تطل من خلالها وتسافر عبر العقول والأفكار، والعادات والتقاليد والفلسفات، فتؤدي إلى تنمية المعارف والمعلومات.

وهي تعزز المفردات اللغوية، فهي المصدر الأساسي للتوسع اللغوي، وتحسين مهارات الكتابة، وهي تساعد على تطور العقل وتدريبه على مهارات التفكير، وتحفيز الذهن للفكر والبحث وطرح التساؤلات والافتراضات، وتنمية الحس الإبداعي، ومن خلال هذا العمل العقلي تقوى الذاكرة وتنشط في حفظ المعلومات واستدعائها.

إنها متعة رائعة مجانية، وترفيه بناء بلا حدود، كما أنها تحد من التوتر والانفعالات، وتحسن المزاج وتؤدي إلى الهدوء والاتزان والاعتدال.

فلنهتم بالقراءة فهي قوت القلوب، وهي غذاء ودواء جاءت به رسالة الإسلام العظمى عندما ابتدأ نورها على الكون بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١).

د. عبدالله البوعلاوي
باحث في الفكر الإسلامي
المغرب

# شرف تعليم اللغة العربية

هيأ الله تعالى القبائل العربية لتتحد على لغة قريش، حتى تستطيع فهم القرآن الكريم واستنطاق آياته، فكان القرآن الكريم ينزل بلغتهم ومن جنس ألفاظهم، فوقفوا أمامه عاجزين وذعنوا لفصاحته وبيانه، «أنزله جل ذكره بلسانهم، وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه، وجبلوا على النطق به، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه، ويفهمون فنون نظامه، ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه، حاجة المولدين الناشئين فيمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه، ولا يفهم ضروبه وأمثاله، وطرقه وأساليبه، حتى يفهمها» (١)، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥)، أي «هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بينا واضحا ظاهرا، قاطعا للعذر، مقيما للحجة، دليلا إلى المحجة» (٢). ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا لمن أتقن اللغة العربية وقواعدها ووقف على خصائصها.

نصبت العرب كل الجهود ليأتوا بمثل القرآن الكريم أو شبهه، فعجزوا أمام نظمه وقوة تناسق ألفاظه وبراعة معانيه، ومنتهى جمال العبارات، ودقة مواقع الألفاظ من الجمل، فانقلبوا أمامه خاسرين، ورجعوا إلى أنفسهم عاجزين، فاعترفوا بقوة تأليفه، فتباينت أقوالهم، فقال عتبة بن ربيعة إثر محاورته للنبي ﷺ وفيما عرض

**القرآن الكريم جمع أسرار البلاغة والبيان**

عليه، عندما رجع إلى قومه: «ورائي أني والله سمعت قولا ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ» (٣). هذا الموقف وقفه غير واحد من العرب أمام بلاغة القرآن الكريم وفصاحته التي وصلت مبلغا عجزت البشرية عن الإتيان بمثله، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨).

اختار الله تعالى اللغة العربية لتكون لغة القرآن الكريم، لأنها تملك القدرة على الدلالات والمفاهيم، وجمع القرآن الكريم من أسرار البلاغة والبيان ما

يدعو إلى فقه اللغة العربية والتبحر فيها، من حيث إنها تكشف أسرار المعاني، وهي الأداة لفهم مجاري كتاب الله تعالى. وتخصيص اللغة العربية؛ لغة القرآن؛ دون باقي اللغات، لقدرتها على الإيفاء بالغرض والبيان الشافي لفهم دقائق الكلمات. ودفع ارتباط القرآن الكريم باللغة العربية العلماء إلى الاعتناء بها وبقواعدها ونظمها، ورغبوا في تعلمها، واعتبروا تعلمها من الدين، فأصبح لزاما لمن أراد التعامل مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يكون ملما باللسان العربي عالما به وبأحواله، ضابطا لأسراره. قال ابن تيمية: «لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه الأقوال، وفقه الشريعة هو الطريق إلى فقه الأعمال» (٤)، وقال: «إن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدين، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين» (٥). وتعلم الناس اللغة العربية وبرعوا فيها واهتدوا بها إلى العلوم يسبرونها، وعلموها لغيرهم، وكانت لهم الحجة عليهم، خصوصا عندما دخل الناس أفواجا إلى الإسلام من غير العرب ليسلم اللسان العربي من التحريف فتأسست علوم اللغة العربية واعتبروا تعلمها من الدين، فقال السيوطي: «ولاشك أن علم اللغة من الدين؛ لأنه من الفروض الكفايات، وبه تعرف معاني ألفاظ القرآن والسنة» (٦). وعندما أخذ الناس يتعاملون مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بما يتكلمون به وبما أخذوه من لهجاتهم، وعاداتهم في الكلام، ولم يتعلموا قواعد اللغة العربية من حيث معرفة وجوهها وأصول الألفاظ ودلالاتها وأوجه الإعراب والتقديم والتأخير والخاص والعام إلى غير ذلك، لحنوا فيها فاجتنبوا الصواب من الوحي كتابا وسنة وحادوا عنه ووقعوا في الأخطاء، وحرفوا الكلم عن مواضعه. ومن العيب أن يجترئ المرء على كتاب الله تعالى وسنة رسوله وهو جاهل باللغة العربية وفنونها. هذا ما نبه إليه شيخ الإسلام قائلا: «لابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه. فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك» (٧).

و«بين النبي ﷺ للمخاطبين من أصحابه ما عسى الحاجة إليه من معرفة بيان لمجمل الكتاب وعامه، ومتشابهه، وجميع وجوهه التي لا غنى بهم وبالأمة عنه فاستغنوا بذلك عما نحن إليه محتاجون، من معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها، والاجتهاد في تعلم العربية الصحيحة التي بها نزل الكتاب، وورد البيان» (٨).

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥). «وإنما الشرط الذي لابد منه، ولا غنى عنه، هو معرفة لغة القرآن مفرداتها وأساليبها، فهي التي يجب على من دخل في الإسلام ومن نشأ فيه أن يتقنها بقدر استطاعته بمزاولة كلام بلغاء أهلها، ومحاكاتهم في القول والكتابة حتى تصير ملكة وذوقا، لا مجرد النظر في قوانين النحو والبيان التي وضعت لضبطها. وليس تعلم اللغة ولا غيرها من اللغات بالأمر العسير، فقد كان الأعاجم في القرون الأولى يحذقونها في زمن قريب حتى يزاحموا الخلص من أهلها في بلاغتها. وإنما يراه أهل هذه الأعصار عسيرا لأنهم شغلوا عن اللغة نفسها بتلك القوانين وفلسفتها، فمثلهم كمثل من يتعلم علم النبات من غير أن يعرف النبات نفسه بالمشاهدة، فلا يكون حظه منه إلا حفظ القواعد والمسائل فيعرف أن الفصيلة الفلانية تشتمل على كذا وكذا، وإذا رأى ذلك لا يعرفه» (٩).

## لغة العرب أفصح اللغات وأوسعها

يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: «ولغة العرب أفصح اللغات وأوسعها لاحتمال المعاني الدقيقة الشريفة مع الاختصار، فإن ما في أساليب نظم كلام العرب من علامات الإعراب، والتقديم والتأخير، وغير ذلك، والحقيقة والمجاز والكناية، وما في وسع اللغة من الترادف، وأسماء المعاني المقيدة، وما فيها من المحسنات، ما يلج بالمعاني إلى العقول سهلة متمكنة، فقدر الله تعالى هذه اللغة أن تكون هي لغة القرآن الذي خاطب به كافة الناس، فأنزل بادئ ذي بدء بين العرب أهل ذلك اللسان ومقاويل البيان، ثم جعل منهم حملته إلى الأمم تترجم معانيه فصاحتهم وبيانهم، ويتلقى أساليبه الشاذون منهم وولدانهم، حين أصبحوا أمة واحدة يقوم باتحاد الدين واللغة كيانهم» (١٠).



فاللغة العربية تعطي الإنسان استقلالية في فهم لغة القرآن الكريم، وقوة في إدراك معانيه وسبرها، لأن تدبر القرآن الكريم لا يتوصل فيه إلا من طريق لغته التي نزل بها. واللسان العربي أقوى على رد الكلام إلى أصله، وضبط مختلفه ومتشابهه. وهي المدخل للتواصل مع آيات القرآن الكريم. واللغة العربية ليست وسيلة اتصال فحسب، بل هي هوية الأمة. ولما ابتعد المسلم عن اللغة العربية ولم تعد سليقة في اللسان، تعذر عليه فهم ألفاظ القرآن الكريم، يقول الشافعي: «وإنما بدأت بما وضعت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيرهم، لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها» (١١).

وفهم القرآن الكريم يتحصل باللغة التي نزل بها، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:٣). اكتسبت اللغة العربية القدسية باتصالها بالقرآن، وهي جزء من خصائص الهيمنة على اللغات الأخرى التي امتاز بها القرآن الكريم. لذلك أصبحت اللغة العربية تتمتع بطابع خاص، لنزول القرآن الكريم بها، واختارها الله تعالى من بين لغات الأرض بالأسرار التي تنطوي عليها، وما تتصف به من وفرة الدلالات والمعاني في فهم ألفاظ القرآن الكريم، وقدرتها على توليد الأفكار بما يناسب المطلق الإلهي في الزمان والمكان. وبها يستطيع الإنسان أن يصبغ الوحي بفهومات تناسب بيئته. «لقد اعتبرت اللغة العربية المدخل للاتصال مع آيات القرآن الكريم. وإن اللغة العربية هي حياة الأمة ووجودها، فهي بناء الأمة ونهضتها، وتعتبر المدخل الأخطر لبعثرة الأمة، والعبث بتراثها وتاريخها وذاكرتها، وعزلها عن تجاربها وماضيها وقيمها وشخصيتها الحضارية» (١٢).

## الهوامش

١- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ١/٥.

٢- ٦/٦٥، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

٣- الاعتقاد إلى سبيل الرشاد للبيهقي، رقم الحديث ٢٦٢.

٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ١/٤٢٥، تحقيق ناصر عبدالكريم، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٥- مجموع فتاوى ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، ٨/٣٤٣، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، دار مجمع الملك فهد، السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٦- المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، لعبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي، ٢/٣٠٢، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٧- الإيمان لابن تيمية، (ت٧٢٨هـ)، ص:١١، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٨- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد الأزهري، ج١، ص:٥.

٩- تفسير القرآن الحكيم، الإمام الشيخ محمد عبده، تأليف محمد رشيد رضا، ٥/٢٩٦.

١٠- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ص:١٩/١٩٠.

١١- الفنون البلاغية في بيان أبي عثمان، علي حسن العماري، ص:١١، عن الفكر الأصولي لعبدالوهاب أبو سليمان، ص:٢٤، مجلة البحث العلمي والتراث الإعلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٢هـ.

١٢- فقه اللغة العربية، للثعالبي، ص:٢، دار الكتاب العربي، طبعة١٩٩٣م.

د.آندي حجازي
كاتبة تربوية
الأردن

# ما أحوج أمتنا للقراءة



القراءة كنز من كنوز الدنيا، وبضاعة من أراد الرقي، ومفتاح التاريخ والتطور، وعملة الغني والفقير، وسبيلك للتنقل بين الماضي والحاضر، فهي تختصر عليك مئات السنين، وتبحر بك في عالم من الخيال والواقع، وتمكنك من الاستمتاع بالعوالم المختلفة في ظل التصورات التي تجول في خاطرك وأنت تقرأ، فالقراءة تنقلك حينا بين الجبال وحينا بين الوديان والسهول والأنهار، وحينا إلى عالم الحيوان والغابات، وحينا في عالم الطب والفلك والأفلاك والفيزياء وثقافات الشعوب وأخبارها.

وكما قال عباس محمود العقاد: «القراءة تضيف إلى عمر الإنسان أعمارا أخرى». بل وتضيف لك ثقافة إلى ثقافتك، وقد قيل: إن من يعرف ويتقن أكثر من لغة فإنه يتعرف على أكثر من ثقافة ويفكر بأكثر من طريقة، فهو يستكشف ثقافة وحضارة كل اللغات التي يعرفها إن كان يقرأ بها، فالقراءة غذاء للعقل والروح، وأوكسجين الدماغ، وترويح للنفس، وملء للفراغ، وتطوير للشخصية، واستفادة من تجارب الماضين وقصصهم، وهي اكتساب لصنوف اللغة والكلام البليغ، ويكفينا أن أول كلمة نزلت في ديننا العظيم هي: «اقرأ» لتدل على أهمية القراءة.

وفي الحقيقة، فإن القراءة كانت ومنذ القدم سلاح الأمم المتقدمة، فكل أمة أرادت النهوض كانت تشرع من حيث انتهت الأمم التي سبقتها، فكانت تبدأ بحركة الترجمة والنسخ للكتب عمن سبقها والدراسة بها، كما فعل الرومان عن اليونان والهند، وكما فعل العرب والمسلمون في أيام العصور الذهبية حينما نهضوا بأمتنا العربية والإسلامية؛ فإنهم عمدوا إلى ترجمة وتفحص كل ما وقع بين أيديهم من الكتب للحضارات السابقة، فنهلوا من معينها، وبنوا عليها أسس علومهم،

وأضـافـوا علـيهـا مـن حـيث انتهى سابقوهـم، غير آبهين للون شعوبها أو ديانتهم أو اختلاف عرقهم، حيث العلم والمعرفة الإنسانية هي المقصودة آنذاك، وحيث المقصد الحقيقي كان نهضة الأمة الإسلامية ورفعة شأنها بـين الأمم، وإعـمـار الأرض ونفع البشرية، واستغلال الوقت بما يفيد وينفع، واستثمار الطاقات والمواهب التي منحها الله تعالى لبني البشر.

## نظرة بين الماضي القريب والحاضر

كنا فـي الماضـي القـريب وتحديدا فـي القـرن المـاضـي حينما نسافر للـدول الغربية كالـولايات المتحدة؛ فـإن مما يلفت نظرنا كأفراد عرب النهم الشديد والإقبال الرائع للشباب الغـربي صـغـارا وكبارا علـى القراءة والمطالعة، فكنت حين تركب الحافلة أو القطار أو الطائرة تعجب بأبنائهم كيف يجلبون الكتب المتنوعة والقصص والمجلات، كل يمسك في يديه كتابا أو مجلة ويفتحها ويبدأ القراءة من لحظة صعـوده المركبة حتـى لحظة نزوله، فتعـودوا القـراءة منذ الصغر وكانت جزءا من حياتهم ومن تكوينهم الفكري، فسبقونا بالعلم بمراحل كثيرة، بدت واضحة في الاختراعات والاكتشافات والعلوم الحديثة التي توصلوا إليها، ولا عجب فلكل مجتهد نصيب، فقد كان العلم والتعلم يشغل حياتهم، والمطالعة في الكتب هـي دأبهم.

والـقـراءة فـي الحـقـيقـة عملية يبدأ التـدريب عليها منذ الصغـر، ويجب تنميتها بأساليب متنوعة منذ اللحظات الأولـى التـي يبـدأ بهـا الطفـل يتعلم الحـروف والمقاطع، حتـى تتطور لديه ويتعود عليها وتصبح جزءا من حياته لا ينفك عنها ولا يمل منها.

ولكنني أتساءل اليوم: هل مازال أبناء الـغـرب ينكبـون علـى العـلـم والتعلم والـقـراءة فـي الكـتب كـمـا كـانـوا فـي السابق؟ خاصة في ظل انبهار شباب الـيـوم مـن مـختـلـف أجـنـاسـهـم بتلك الأجهزة الحديثة الذكية التي ملأت الدنيا في شتى بقاع الأرض، فتجد كل شخص منهمكا بها يعيش عالمه الخاص مـن خـلالهـا، وبـالأخـص أنهـا لا توفر المقـروء فقط ولكن المرئي والمسموع؛ مما يتوافق مع طبيعة النفس البشرية من ميلها لتوظيف جميع الحواس من أجل التعلم وإدخـال المعلومة للذاكرة طويلة المدى.

**الحــصــول عــلــى المعلومة أصبح سلسا وسـهـلا وبـأقـل جهد**

فالسؤال هنا: هل أبناء الدول الأجنبية في هذا الزمان يصرفون أوقاتهم على تلك الأجهزة النقالة بلا قـراءة وتعلم جديد وبالتالي فإن مصيرهم سيكون التراجع والتخلف كغيرهم من الشعوب، أم أنهم مازالوا شغوفين بالقراءة ولكن باستخدام أجهزة ووسائل حديثة بما يتـنـاسـب مـع مـا يـقـدمـه العـصـر من وسائل تكنولوجية؟

الحـقـائـق تـقـول إن كـبـريات الصحف المشهورة في الولايات المتحدة قد توقفت كصحف ومـجـلات ورقـيـة وأصبحت تعتمد فقط النسخ الإلكترونية؛ لأنها لم تجد إقبالا من الشباب على المنتوج الورقي كما كان جيل الآباء في السابق كصحيفة «يـو اس نـيـوز» وصحيفة «نـيـوزبـوك» الأمـيركية وصحيفة «ذي لندن بيبـر» البريطانية، والكثير من الصحف قلصت حجم إنتاجها الورقي أكـثـر مـن الـنـصـف كـمجلة «التايمز» الأمـريـكـيـة، أو أبـقـت علـى الـربـع من حجم الإصدار للصحف الورقية كخيار من أجل كبار السن الذين اعتادوا على القراءة من الصحف الورقية، ومازالوا يستمتعون بـهـا، ويـرفـضـون التحول التام للنسخ الإلكترونية، والتي تتعب بصرهم ولا تشعرهم بمتعة القراءة التي ينشدون.

وأذكر كم كنا ونحن في المدرسـة أو مرحلة البكالوريوس نعاني من صعوبة الحصول على المعلومات حيث يلزم العودة للمكتبة الجامعية أو المكتبات العامة وقضاء ساعات فيها من أجل الحصول على المعلومات والمصادر التي نـريـد، وكثيرا مـا كـانـت تلك المعلومة تصبح قـديمـة، والـوصـول للمعلومات الحديثة جدا كان ضربا من الخيال في ذلك الوقت، فأحدث معلومة ممكن أن يكون قد مر عليها عامان أو ثلاثة على الأقل حتى وصلت إلينا، فما إن تصلنا الكتب حتى تكون المعلومات الأحدث قد ظهرت في كتب وإصدارات جديدة، وكان من يقتني موسوعة علمية كبيرة كأنه يمتلك كنزا يحسد عليه، وإن كانت قديمة بمرور الوقت.

إن الأجهزة الحديثة الذكية اليوم توفر المعلومة بأسرع مما كان يتخيل الإنسان في أي لحظة من حياته؛ لأن الحصول على المعلومة أصبح سلسا وسهلا وبأقل الجهد والتكاليف، ولكن هل استثمرنا - نحن العرب - ذلك في القراءة والتعلم وزيادة المعرفة لدينا وفي زيادة ساعات القراءة والبحث أم أننا ما زلنا لا نقرأ أكثر من كتاب واحد في العام غير كتب المدرسة أو الجامعة؟ فكم كتابا نقرأ؟ وكم مجلة؟ وكم موسوعة؟

## القراءة النوعية

وأيّـا كانت الـقـراءة مـن الـورق أو من الأجـهـزة الإلكترونية أو النقالة، فإن فكرة القراءة تبقى هي المهمة ونوعية ما نقرأ هي الأهم، فإن حافظنا على قراءة ما هو مفيد لنا ولمجتمعنا فإننا سنرتقي به، فليس الهدف القراءة بحد ذاتها، بل المعلومة الموثوقة والصحيحة والمفيدة التي نبغي امتلاكها والبناء

عليها مستقبلا هي الهدف الحقيقي من وراء القراءة التي تنهض بالأمم.

فنحن لا نعارض القراءة من الأجهزة الحديثة، بل هي توفر السرعة والمعلومة الأحدث، ولكن مشكلتنا اليوم فيما نقرأ، ولماذا نقرأ، وكم نمضي وقتا على تلك الأجهزة؟ وهل نقرأ أصلا أم أننا نقلب الصفحات على «الفيسبوك» مثلا أو التغريدات على «التويتر»؟ أو في الاطلاع على الفيديوهات والنكت والكلام المكرر والكلام السخيف والمحادثات والمجادلات التي لا تسمن ولا تغني من جوع؟ وفي إبداء الإعجابات، ونقل الغث والسمين فيما نشاهد على مواقع التواصل الاجتماعي بتنوعها، ودون التأكد من صدقه وموثوقيته وأخلاقيته؟

فأصبح شبابنا ذكورا وإناثا يضيعون ساعات وساعات من عمرهم الثمين بلا فائدة وبلا إنتاج يذكر وبلا قراءة نوعية منتقاة، وهنا تكمن الكارثة، وهنا لابد أن نقف لنراجع أنفسنا وتربيتنا لأبنائنا وتوجيهنا لهم، ونؤكد دور الوالدين في التوجيه والنصح والتشجيع على استغلال الوقت بما يفيد، إن كنا نحن كآباء نلتزم أصلا بما نقول وقدوة حسنة في هذا الشأن لأبنائنا.

### فاقد الشيء لا يعطيه

القراءة تعد المصدر الأول للمعرفة والمصدر الأهم للرقي بالعلوم والحضارات والمجتمعات، فلا يمكن أن ننهض وتنهض أمتنا العربية والإسلامية بلا علوم وبلا معارف منافسة وتواكب التطور العلمي، وفاقد الشيء لا يعطيه، فمن أين سنبدأ في التطور والنهضة والمشاركة في السباق التكنولوجي والعلمي المحموم في هذا الزمان إن كنا لا نملك المعارف الكافية ولم نطلع على ما توصلت إليه باقي الأمم؟

## القراءة تصنع العلماء وتشكل عقول الناس وثقافتهم

فمثلا «آينشتاين» حينما توصل لأقوى وأشهر نظرية قدمت عبر التاريخ وهي «النظرية النسبية» والتي على أساسها بنيت الكثير من الصناعات والتطورات والاختراعات، فإنه في الحقيقة لم يبدأ من الصفر أو من خياله العلمي فقط، بل تشير سيرة حياته إلى أنه قرأ كل الكتب التي سبقته والتي كانت في زمانه والمتعلقة بالفيزياء والرياضيات، وبعد أن قرأها وفهمها وتعمق في تفاصيلها استطاع أن يبني عليها علومه وأفكاره الإبداعية وأن يضع نظرياته ويحاول برهنتها.

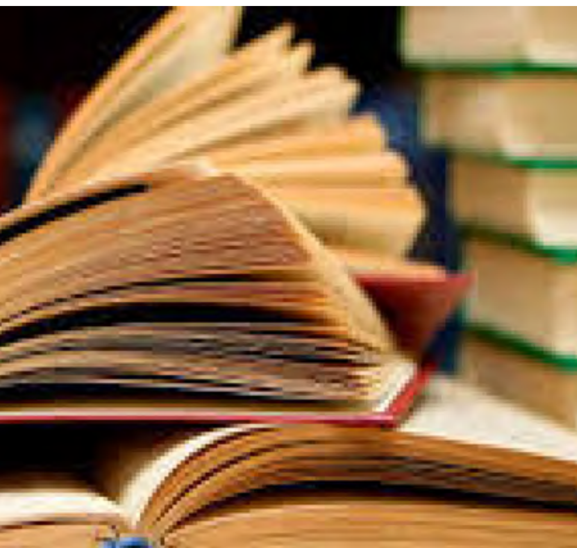
وكذا كان دأب كل العلماء منذ بدء الخليقة، لا يصلون إلى شيء بالصدفة بل هو نتيجة جهد وكد ومطالعة ومقارنة بين ما يملكون من أفكار وبين من سبقهم بأفكارهم فيقتبسون الأفكار ويعدلون عليها ويضيفون لها، وهذا هو الإبداع والابتكار، فالقراءة هي الطريقة الأولى لصناعة العلماء والمفكرين والمبدعين والكتاب والعظماء: كالرازي، وابن سينا، والخوارزمي، وابن رشد، والبيروني، والفارابي، وغيرهم.

### هموم فردية وانشغال دول

إن انشغال أبناء أمتنا العربية والإسلامية اليوم في هموم الحياة وفي القضايا الشخصية والسعي المستمر وراء لقمة العيش في ظل الفقر والبطالة الذي نعيش وتدني الرواتب والدخول في مقابل غلاء المعيشة، جعلهم يبتعدون كل البعد عن التفكير في القراءة اليومية وفي الاطلاع على نتائج العلوم الحديثة والسابقة، وفي تمني الوصول لاختراعات واكتشافات جديدة أو براءات اختراع أو تأليف الكتب وترجمتها، فكل مشغول بهمومه الخاصة وبأفراد أسرته وكيف يؤمن لهم المأكل والمسكن والملبس والتعليم المناسب، فأصبح هم النهوض بالأمة واستغلال الطاقات والمواهب والقدرات التي حباهم الله لها هي آخر ما يفكر به أبناء أمتنا، خاصة مع قلة الدعم والتشجيع الذي يسود مجتمعاتنا، ومع قلة مختبرات البحث العلمي، وضعف الدعم للأبحاث العلمية والفكرية التي تصنع الفرص للمفكرين والباحثين وذوي الأفكار النيرة بتجربة تلك الأفكار أو استغلالها.

ولو فرضنا أن الدولة تشجع أبناءها على القراءة والمطالعة قدر المستطاع وبشتى الطرق وتضع الحوافز لذلك فماذا ستكون النتيجة؟ النتيجة كما حصل مع الإغريق الذين كان شغفهم للمعرفة والقراءة إنتاج العديد الأطباء والعلماء الذين ما زالت أفكارهم تساهم في تشكيل عقول الناس حتى وقتنا الحالي.

ولماذا نذهب للماضي البعيد فلننظر للحاضر، ولننظر للواقع في الولايات المتحدة، واليابان، والصين، وألمانيا،

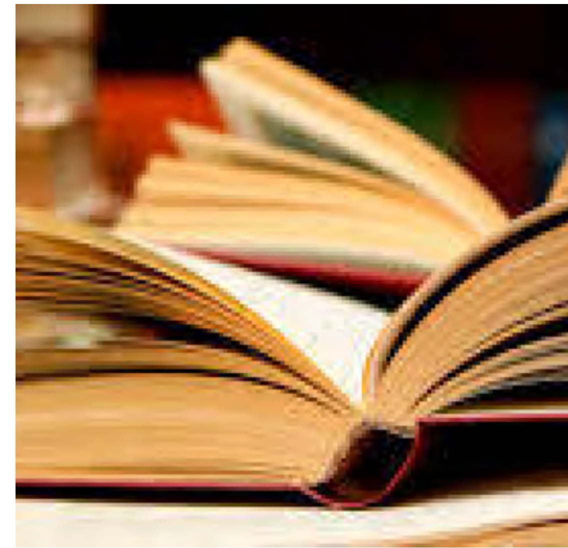


والـتـي بعضها كانت قد هـزمـت في الحرب العالمية الثانية كاليابان، وألمانيا ووصلت إلى الصفر في مدى الدمار والتراجع بشكل لا يمكن تصوره، ولكن مع عقول أبنائها وتعلمهم واطلاعهم على ما وصلت إليه العلوم وبتقديم الفـرص لهـم، فـإنها تقدمت وبفترة بسيطة جدا، بل وسبقت أغلب الدول في العالم وأصبحت اليوم تصنف من ضمن الـدول الثماني العظمى والتي تتحكم بمصير العالم، بل واقتصادها مـن أقـوى الاقـتـصـادات الدولية، وصناعاتها تغرق العـالـم، ومـا زالت مستمرة في هـذا السباق نحو العلم والإنتاج.

### القراءة قوة وسيطرة

إن مـن يملـك العـلم والمـعـرفـة يملك القوى والسيطرة، فـالحـرب اليوم لم تعد تعتمد السـلاح فقـط، بل إن أغلبها حـروب فـكـريـة، وحـروب تعتمد على العقول المفكرة وعلى صناعة العقول والتغيير بها.

إن التغيير في العقول المنتجة لا يكفيه المعرفة السطحية أو مـا يـدرس في المـدارس فقط، بل يحتاج إلـى الجهد الذاتي والاطـلاع المستمر على أحدث ما توصل إليه البشر، كما يفعل على



## من فوائد القراءة: اكتساب المنظومة الأخلاقية والقيمية

سبيل المـثـال الأطـبـاء؛ فـإن الطبيب الـذي لا يـقـرأ ولا يطلع على أحدث العلوم ويحضر المؤتمرات العلمية ذات العلوم الحديثة فإنه يصبح طبيبا ذا علم قديم وأساليب متخلفة عن ركب العلم والتكنولوجيا الحديثة، كالطبيب الذي لازال يجري عملياته بفتح البطن بالمشرط ولمسافة كبيرة وخطـرة من الجـسـد قـد تـعـرض حـيـاة المريض للخطر والتلوث، بينما الأطباء الآخرون أصبحوا يستخدمون المنظار في إجراء الكثير من العلميات الجـراحـيـة دون الاضطرار لتعريض المريض للمخاطر الكثيرة الـتـي كـانـت بـالـسـابـق نتيجة للطرق القديمة.

وكـذا المهندس والمبرمج للكمبيوتر، والمصمم المعماري، وطبيب الأسنان، والمعلم في المدرسة وغيرهم الكثير لابد لهم من الاطلاع على الأساليب والعلوم الحديثة وآخر ما توصل إليه العلم من أجل التحسين والتطوير فيما يقدمونه لمجتمعاتهم، فـالأسـالـيـب والأدوات اليوم باتت كثيرة والتي تختصر الوقت والجهد والتكاليف، وتضيف فنا جماليا للموضوعات، فالقراءة والاطـلاع هـي أداة التغيير اليوم وكل يوم.

### القراءة والمنظومة الأخلاقية

إن من الفوائد الجليلة التي تضيفها الـقـراءة والتي نحن بأمس الحاجة إليها كأمة عربية وإسـلامية اليوم هـي اكتـسـاب المنظومة الأخـلاقية والقيمية لدى أبناء أمتنا والذي بتنا نفتقد الكثير منه، بل واتخاذ نماذج قيمة ورائعة وسامية كقدوات لنا في علو الهمم والأخلاق والفضيلة بدلا من النماذج السخيفة التي يتبعها شبابنا اليوم، فما أعظم سيرة حبيبنا محمد ﷺ، وما أعظم سير الصحابة الكرام والتابعين وعلمائنا المسلمين الأجـلاء الـذين بهم نرفع رؤوسنا، وبـالـعـودة لسيرتهم والاقـتـبـاس من حياتهم كنماذج نقتدي بها؛ فإننا سـنـكـون أعـظـم الأمم وأرقـاهـا أخلاقيا وعلميا وفكريا وبما يرضي الله تعالى.

وطالما ابتعدنا عن القراءة والاطلاع في تاريخ أمتنا المشرق وفي سير عظمائنا يـوم كنا أعـظـم الأمم ونـسـود العالم بالحكمة والعدل والعمل الصالح، فإننا سنبقى خلف الركام نختبئ ووراء الأمم نجري ونلهث فلا نصل.

فلدينا ديـن عظيم منه نستمد القوة والعظمة لو أننا عدنا لنقرأه، ونقرأ بقرآننا العظيم ونتعلم أحكام ديننا القويم وتعاليمه الصحيحة والذي أنزله الله تعالى ليصلح لكل زمـان ومكان، وحينما علم الغرب والصهاينة عظمة ديننا حاولوا قدر الإمكان إبعادنا عن الـقـراءة في كتابنا العظيم الـذي هـو من لدن حكيم عليم، وحاولوا فصلنا عن ماضينا العريق حتى نفقد ثقتنا بأنفسنا، وحتى نصدق كذبة أننا أمة ضعيفة متخلفة لا يصلحها شيء ولم تنتج شيئا للحضارة.

فلو نـعـود ونـقـرأ تاريخنا ونـقـرأ سير عـظـمـائـنـا ومـــا أضـافـوه للحضارة الإنـسـانـيـة كلها فـي شـتـى المجالات الدينية والعلمية والطبية والاقتصادية والـفـكـريـة والاجـتـمـاعـيـة؛ فإننا حتما سننهض من سباتنا ومن الكذبة التي فرضت علينا، وسنرجع أقوياء بماضينا وبالأمل بمستقبلنا وواقعنا، ففرق كبير بين من يعيش كطفل لقيط لا يعرف نسبه وأصله وحسبه، وبين من يعيش مـعـروف الـنـسـب والأصـل والحسب والجاه والإمكانات.

د. هشام بوهاش
دكتوراه في الدراسات الإسلامية - المغرب

# فضل الكتاب ومنافعه

يعد الكتاب من أهم الوسائل لتلقي العلوم، ونيل الفوائد، وفضله في هذا المجال لا يخفى على أحد قديما وحديثا، فالكتاب يتسم بصفات جليلة، وسمات عظيمة، انفرد بها عما سواه من وسائل الاستفادة الأخرى.

وفي هذه المقالة سأحاول عرض بعض أقوال السلف في فضل الكتب ومنافعها لا سيما مع ظهور وسائل جديدة تعد من مصادر المعرفة في العصر الحديث كالشبكة العنكبوتية والقنوات الفضائية، والتي تعطي معلومات غزيرة في ثوان عديدة مما يجعل الكثير من الناس يستغنون عن الكتاب، ويقتصرون على وسائل المعرفة المستمدة من التكنولوجيا الحديثة.

فما هي القيمة المعنوية للكتاب؟ وما هي المنافع الدائمة للكتب؟ وبماذا تمتاز عن غيرها من وسائل الاستفادة الأخرى؟

## فضل الكتب وبيان منافعها

ذكر العلماء للكتاب عدة مميزات انفرد بها عما سواه ومنها:

١- يمتاز الكتاب عن غيره بكونه مأمون الصحبة، مضمون المنفعة، دائم الخير والفائدة، بخلاف الصديق فقد يكون مصدرا للنفع أو الضر، وقد يكون سببا للخير أو الشر، وقد يكون وسيلة للصلاح أو المفسدة. فالكتاب جليس صالح لا يحسدك ولا ينافقك ولا يملك.

وقد قيل قديما في فضل الكتاب: «إنه حاضر نفعه، مأمون ضره، ينشط بنشاطك، فينبسط إليك، ويمل بملالك، فينقبض عنك، إذا أدنيته دنا، وإن أنأيته نأى، لا يبغيك شرا، ولا يفشى عليك سرا، ولا ينم عليك، ولا يسعى بنميمة إليك» (١).

وقال أحدهم مادحا الكتاب: «رفيق لا يملك، يطيعك في الليل طاعته في النهار، ويطيعك في السفر طاعته في الحضر، إن أطلت النظر إليه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك» (٢).

٢- الكتاب سليم من الآفات النفسية والعصبية التي تعتري

الإنسان كالحسد والمباهاة والعجب، فالاستفادة من الكتاب ليست فيه هذه الموانع التي تمنع بعض الناس من تلقي العلم.

قال الجاحظ: «على أن قراءة الكتب أبلغ في إرشادهم من تلاقيهم، إذ كان مع التلاقي يشتد التصنع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتقوى الحمية، وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة وشهوة المباهاة والرياسة، مع الاستحياء من الرجوع، والأنفة من الخضوع، وعن جميع ذلك تحدث الضغائن، وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية، وإصابة الحجة، لأن المتوحد بدرسها، والمنفرد بفهم معانيها، لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله، وقد عدم من له يباهي ومن أجله يغالب» (٣).

وأضاف الخطيب البغدادي: «مع ما في الكتب من المنافع العميمة والمفاخر العظيمة، فهي أكرم مال، وأنفس جمال، والكتاب آمن جليس، وأسر أنيس، وأسلم نديم، وأفصح كليم» (٤).

٣- بالكتاب يحصل استدراك ما فات من العلم أيام الصغر.

فكثير ممن فاتهم التعليم في الصغر استطاعوا بفضل مطالعة الكتب ومدارستها من تحصيل المعارف والعلوم حتى أصبحوا معدودين من زمرة العلماء، وفئة الحكماء.

قال الجاحظ: «وما أكثر من فرط في التعليم أيام خمول ذكره، وأيام حداثة سنه، ولولا جياد الكتب وحسنها، ومبينها ومختصرها، لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم، ونزعت إلى حب الأدب، وأنفت من حال الجهل» (٥).

٤- يستفاد من الكتاب في حالات مختلفة، وظروف متنوعة، فهو متعدد الأدوار والوظائف، متى قصدته وجدته، وكيفما أردت الاستفادة منه حصلت مرادك منه، وأي موضوع رغبت فيه وجدته في الكتاب، فتجد فيه الكاتب البليغ، والعالم الفقيه، والحكيم المتبصر، والقاضي الناظر، والواعظ الزاجر، والناسك الزاهد.

قال الجاحظ: «الكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حشي ظرفا، وإناء شحن مزاحا وجدا، إن شئت كان أبين من سحبان وائل، وإن شئت كان أعيا من باقل، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفه، وإن شئت أشجتك مواعظه» (٦).

ومن لك بجليس يفيد الشيء وخلافه، والجنس وضده، ينطق عن الموتى ويترجم عن الأحياء، وإن غضبت لم يغضب، وإن عربدت لم يصخب، يفيدك علم الأولين ويخبرك عن كثير من أخبار المتأخري (٧).

٥- الأنس بالكتب والاستعانة بها في الغربة.

من ذلك ما ذكره الخطيب البغدادي: «أن رجلا ودع صديقا له فقال له: استعن على وحشة الغربة بقراءة الكتب، فإنها ألسن ناطقة وعيون رامقة» (٨).

وقيل لبعضهم: ألا تنادم فلانا؟ فقال: قد نادمت من لا يتكلف لي، ولا أتكلف له، وقيل ومن هو؟ قال: الكتاب» (٩).

## الكتاب مفخرة لصاحبه وعلامة على رجاحة العقل

٦- الكتاب مفخرة لصاحبه وخلود دنيوي لمؤلفه وعلامة على رجاحة عقله.

إن ألفته خلد على الأيام ذكرك، وإن درسته رفع في الخلق قدرك، وإن نعته نوه عندهم باسمك، يقعد العبيد في مقاعد السادات، ويجلس السوقة في مجالس الملوك فأكرم به من صاحب، وأعزز به من موافق (١٠).

قال عمرو بن العلاء: «ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرأيته ينظر في دفتر، وجليسه فارغ إلا حكمت عليه واعتقدت أنه أفضل منه عقلا» (١١).

فهذه هي مكانة الكتاب عند سلفنا الصالح، وهذه هي المنافع الفريدة، والأوصاف الجميلة التي يمتاز بها مع قلة مؤنته وخفة محمله، والتي سيبقى معها الكتاب مصدرا للمعرفة، وينبوعا للحكمة، وسفيرا بين البلدان، ووسيلة للتعارف، ومرجعا لتناقح الثقافات، وتلاقي الأجيال، وتبادل التجارب.

### الهوامش


١- تقييد العلم للخطيب البغدادي، (ص:١٢١).
٢- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، لأحمد الهاشمي، (ص:٢٧٩).
٣- كتاب الحيوان، للجاحظ، (١/٨٤-٨٥).
٤- تقييد العلم، للخطيب البغدادي، (ص:١٢١).
٥- كتاب الحيوان، (١/٨٧).
٦- المصدر السابق، (١/٣٨-٣٩).
٧- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، لأحمد الهاشمي، (ص:٢٧٨).
٨- تقييد العلم، (ص:١٢٤).
٩- المصدر السابق، (ص:١٢٥).
١٠- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، لأحمد الهاشمي، (ص:٢٧٩).
١١- جامع بيان العلم وفضله، للحافظ ابن عبد البر، (ص:٢٤٩).

مياسة النخلاني
كاتبة - اليمن

# المعرفة منارة لا ينطفئ نورها

في أحد كهوف جبل النور الواقع شمال مكة المكرمة، وبينما كان سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، الصادق الأمين، معتزلا عن عالمه الذي كره فساده وانحلاله، ومفكرا في ملكوت السموات والأرض، غير مقتنع بأن العالم الذي يعيش فيه من صنع أصنام من الحجارة، ظل قلبه الطاهر يتتبع النور المنبعث من بين ضلوعه.

اختار كهفا من كهوف الجبل، يقضي وقته متفكرا فيما حوله، فهو يدرك أن ثمة سر للعالم المتسع من حوله، سهر الليالي منتظرا إجابة على الأسئلة التي تطرحها عليه روحه وعقله.

وحين أتت الإجابة المنتظرة لم تكن ميسرة على لسان بشر، بل شاء الله أن يتنزل عليه سيدنا جبريل عليه السلام من السماء، ليلقي عليه الأمر الإلهي «اقرأ»

اقرأ يا محمد إن أردت أن تخرج من هذه الحيرة التي تربك تفكيرك.

اقرأ إن أردت أن تعرف سر الوجود.

اقرأ إن أردت أن تخرج قومك من الضلالة إلى الهداية والصلاح.

اقرأ إن أردت أن تفهم وتدرك وتتطور.

اقرأ لتعرف كيف تعبد ربك وتنجو في هذه الحياة الفانية.

اقرأ.

وقرأ عليه أفضل الصلاة والسلام في كتاب سماوي أصبح هو المشرع والمنهج لحياتنا ولكل تفاصيلها صغيرة أو كبيرة.

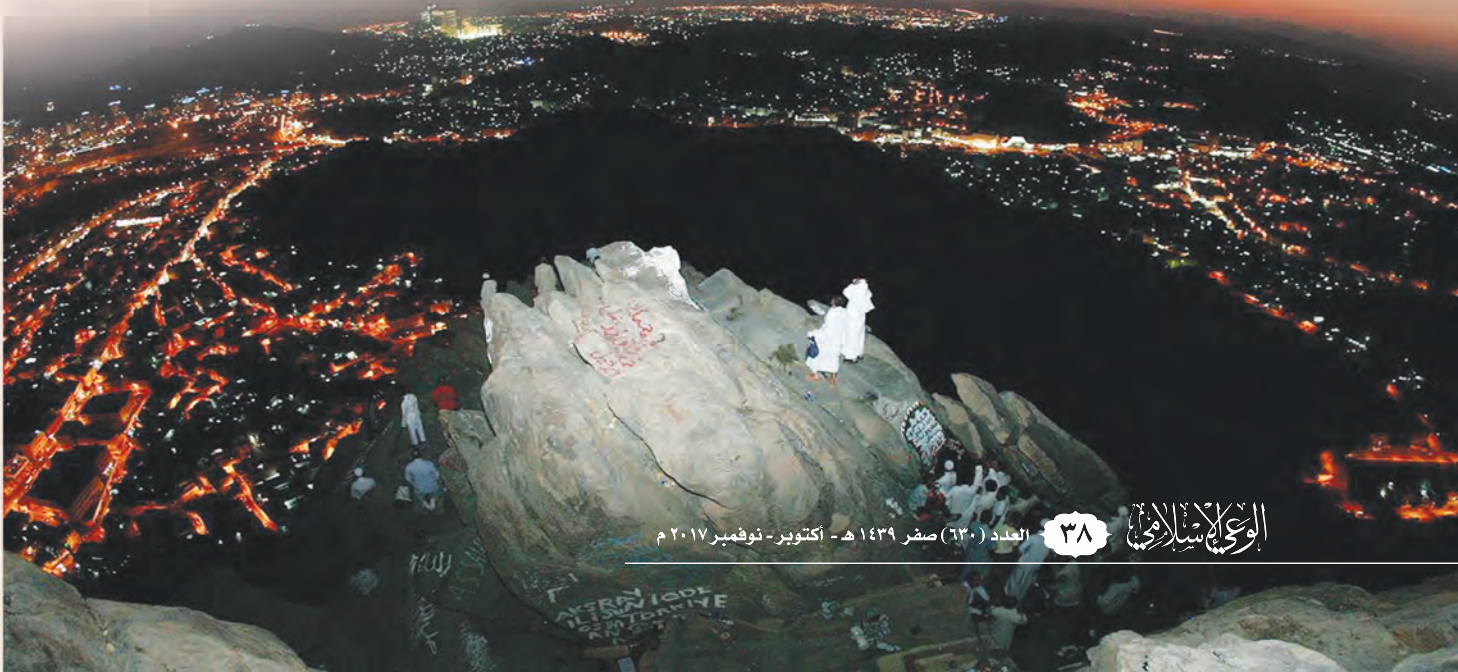
وحين قرأ، وقرأ معه من آمن به ومن تبعه ومن سار على هديه، خرج من متاهة الحيرة، ووضع قدمه على بداية الطريق الذي صنع من أمته وأتباعه أمة تسارع الأمم للاقتداء بها والنهل من معارفها والاستفادة من إمكانياتها العقلية والمعرفية التي نبغت؛ لأنها قرأت وتعلمت وفهمت ثم أعطت ما كفل للناس حياة كريمة تحسدها عليها الأمم.

دارت الأيام ونسينا أو تناسينا هذا الدرس الرباني، ببساطة توقفنا عن القراءة، والبحث واكتساب المعرفة، ابتعدنا عن درب الهداية والنور، وتركنا أبواب المعرفة مغلقة، ودروب العلم مهملة.

فإذا بنا نفقد هويتنا ومكانتنا لنغدو جزءا من العالم الثالث، العالم الذي لا ينافس ولا يعطي، بل يتلقى ما تهبه الأيادي صاغرا منصاعا، يصارع ليبقى على قيد الحياة وليحصل ولو على فرصة واحدة ليستعيد أمجاده الآفلة، ولو ركزنا قليلا في أول كلمة وسورة أنزلت على سيدنا محمد ﷺ لوجدنا أن القراءة هي الحل لكل المشاكل التي تواجهنا وتعاني منها مجتمعاتنا.

فالقراءة هي المصدر الأنقى للحصول على المعارف والخبرات، حيوات أمم كاملة وعصور وعقود مضت، تجارب سطرت وخلدت بين صفحات الكتب ليحفظها التاريخ بدوره لنا لنتعلم ونتطور، من يقرأها ويطلع عليها لابد وأن يضع قدمه على أول الطريق لبلوغ المكانة التي خلدت هذه الأمم وجعلتها منارة يتتبع ضوؤها من أراد أن يسير في الطريق الصحيح ويصل لمكانة متميزة تجعله معلما تسارع الأمم المعاصرة واللاحقة للسير على دربه.

فمن ملك المال قد يفقده في أي لحظة، ومن ملك الجاه قد ينسى مع الوقت،






ومن ملك السلطة يمحى اسمه بمجرد أن يغادرها، لكن من قرأ وملك المعرفة وترجمها إلى أفعال إيجابية وإنجازات، لن يفقدها ولن يفقد المكانة التي صنعها لنفسه ومجتمعه حتى وإن غادر الحياة، سيظل اسمه مخلدا تردده الأجيال وتتعلم منه.

فكم من الأمم غابت ومُحيت عن الوجود بينما ظلت أسماء أساطين العلم والمعرفة خالدة، راسخة على جبال الورق وفي ثنايا العقول، وكما قال عباس محمود العقاد: «القراءة تضيف إلى عمر الإنسان أعمارا أخرى». وقد تكون لا متناهية.

وحين نقرأ فإننا نمد جسرا بين عالمنا الحاضر والعالم الماضي، نرتحل بعقولنا وأرواحنا لنعود محملين بكنوز معرفية تفتح لنا أي باب نريد الولوج منه، سنمتلك ثقة عالية، ووقار وقدرة على الحديث وإدارة أي حوار، هيبة لا تصنعها إلا المعرفة المعمقة.

سنكون ذلك المتحدث البارع الذي لا يستطيع أحد أن يجاريه فكيف بهزيمته وإسكاته، سنثبت أنفسنا وقدراتنا وإمكانياتنا التي تطورت وتحسنت مع كل كتاب قرأناه، لن نستمر طويلا في الدرجة الأولى من السلم الوظيفي أو المكانة الاجتماعية، بل سنجبر الآخرين أن يفسحوا لنا مكانا رحبا لنكون في المقدمة، ومعنا سنأخذ محيطنا ومجتمعنا وعالمنا الذي ننتمي إليه لينافس هو الآخر على المراتب الأولى في أي محفل نمثله، وأي مكان نتواجد فيه.

حينها لن نكون اليد التي تمتد لتأخذ، بل تلك التي تعطي وتهب وتعلم وتربي وتبني وتصنع، فالشعب القارئ المثقف هو شعب قائد، محرك، يقود المركب أينما يريد، ويوجه الدفة للجهة التي يراها مناسبة، لن يجادله أو يعارضه أحد فهو يملك سلاح المعرفة، السلاح الذي تحتاجه كل الإمكانيات الأخرى والتي ستتبخر وتذهب سدى إن غابت المعرفة، فإن أردنا أن نصل إلى هذه المكانة فعلينا أولا أن نبدأ بأفراد المجتمع الذين يشكلون نواة التغيير والتطور.

فالقراءة خير ما ينمي قدرات الفرد على اتخاذ القرارات الصحيحة، والتحكم بتصرفاته وأفكاره، فلا يكون الشخص الذي يبحث عن مستشارين يضعون بين يديه الحلول الجاهزة بل يغدو الموجه والناصح، يصبح عقله أكثر تحفيزا وإنتاجا للأفكار الخلاقة التي تصب في صالحه وصالح محيطه ومجتمعه.

فمن يمتلك القدرة على الخروج سالما من الأزمات التي تواجهه ويحل مشاكله ذاتيا، سيتعدى نفسه ويحل مشاكل المحيط من حوله، والحصيلة أن يمتلك المجتمع عقولا تتكاتف على إخراجه من المأزق والقضايا التي تربك عجلة القيادة فيستعيد توازنه.

فالحقيقة التي لا يمكن نكرانها أن القراءة هي مقياس تقدم أو تأخر الأمم، فانتشار الأمية يعني البقاء في قاعدة الهرم، وكلما قلَّت الأمية ارتقت الأمة إلى مركز أقرب من رأس الهرم، ومن تكون في القمة هي تلك التي قضت تماما على الأمية وغدت القراءة ركنا أساسيا في حياة أفرادها، ولأجل ذلك نجد الدول والحكومات تحاول جاهدة انتزاع الجهل والأمية من عقول أفرادها ليكونوا عونها لمغادرة القاعدة والصعود نحو القمة.

ففي «البرازيل»، على سبيل المثال، أعلنت الحكومة في (٢٠١٤م) عن مبادرة «الخلاص بالقراءة» والتي تشمل السجون البرازيلية، فإيمانا من الحكومة أن المعرفة والعلم أساس وحل كل مشكلة، أعلنت عن إسقاط أربعة أيام من فترة عقوبة كل مسجون مقابل كل كتاب يتم قراءته، على أن يتم تقديم مقال خال من أي أخطاء لضمان إبحار المسجونين عميقا بين دفتي الكتاب، والخروج للمجتمع بعقول نيرة تمثل قوة دافعة لا عقبة وعائق.

وفي «إيطاليا» تم إقرار مبادرة مشابهة في مقاطعة «كالابريا» الإيطالية تقضي بتخفيف (٣) أيام من العقوبة مقابل كل كتاب يقرؤه المسجون على أن يتم مناقشته فيه وتقديم مقال عنه.

مبادرة مشابهة أطلقتها المدونة التونسية «لينا بن مهني» في (٢٠١٦م) من خلال شبكة التواصل الاجتماعي تحت شعار «من حق السجين أن يقرأ» بهدف جمع آلاف الكتب وتوزيعها على السجون ليحصل السجناء على فرصة تنمية مهاراتهم الفكرية، وخلال فترة وجيزة تم تجميع نحو (١٠) آلاف كتاب.

باختصار: كلمة السر موجودة بين دفتي الكتب، وكل ما علينا أن نفعله هو أن نقرأ، حينها نكون قد سلكنا المسار الصحيح ونضمن مكانا لنا ولمجتمعاتنا في المقدمة.

عبدالله شريف - القاهرة -
دار الإعلام العربية

# القراءة صانعة الأمم

إذا ما أرادت أمة ما أن تملك زمام القيادة وتصبح في موضع الريادة، فعليها بالقراءة، فهي ذات دور محوري في صقل شخصية الإنسان ومنحه القدرة على اكتساب كل ما يحتاج إليه من مهارات ومعارف، ومن ثم مواكبة التطور في شتى مناحي الحياة، فضلا عن معرفة دينه وعبادة ربه على الوجه الصحيح، لاسيما وأن أول ما أنزل من القرآن الكريم دعوة صريحة للقراءة في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾ (العلق:١-٥).

فلنتعرف على القراءة وأهميتها.

### حراس الأمة

إلى ذلك، يؤكد الناقد الأدبي حمدي النورج، أن حال القراءة في الوطن العربي ليس سوداويا كما يروج البعض، موضحا أن هناك شبابا يقرؤون بنهم، مضيفا أن الأزمة في كيفية تسويق ما يكتب حتى يقرأ، وكيفية لملمة جراح المبدعين واحتوائهم ونشر أعمالهم.

وأضاف: «القراءة في العالم العربي يحيطها شائعات كثيرة، فترى أحدهم يقول إنها مظهر من مظاهر عصور ما قبل التكنولوجيا وعلينا الإعراض عنها والتركيز مثلا في الأعمال الإلكترونية وغيرها من وسائل التطور، ونجد آخرين يقولون إن القراءة قد تدمر أفكارك وتزرع فيها أفكارا منحرفة، أو لا يوجد وقت، وكلها أعذار وشائعات واهية».

**د. شاكر: نحتاج إلى أفكار جديدة نابعة من تاريخنا العريق لتنمية الناس وتغذية أرواحهم**

وتابع: «علينا مواجهة الحرب على القراءة والشائعات التي تمسها، فالمسلسلات والأفلام لن تغني عن القراءة شيئا، ونستطيع تخصيص (٢٠) دقيقة يوميا لقراءة شيء مفيد، والإنتاج الفكري ليس قليلا لكنه يحتاج إلى بحث، وتحديد أولويات».

وأكد: «أن من مظاهر حرص كثيرين في العصر الحالي على القراءة في العالم العربي ظهور المكتبات الإلكترونية التي تشهد ملايين الزوار، إذ ساعدت التكنولوجيا على زيادة الوعي فأصبح هناك مكتبات في الموبايل والأجهزة اللوحية، فضلا

عن تنوع الثقافات لوجود برامج تساعد على الترجمة، إضافة إلى التخلص من بعض العوائق التي توجد في الكتب القديمة، فالأخطاء يمكن أن تصلح مباشرة أو من خلال بحث يستغرق ثوان تستطيع تصحيح الخطأ، فضلا عن التكلفة القليلة، إلا أن أبرز مضارها ضياع حقوق الملكية الفكرية».

وتابع: «القراءة تحافظ على عقول الأمة والشباب المثقف هم حراسها من الأفكار الهدامة، وهم قادتها وصورتها أمام الأمم الأخرى».

## أفكار جديدة لغذاء الروح

أما د. شاكر عبدالحميد، وزير الثقافة الأسبق، فيقول: «الأديب عباس محمود العقاد وصف القراءة بأنها تضيف إلى عمر الإنسان أعمارا أخرى، مضيفا بأنها تزرع الأمل في الأمم وتضيف لها أعمارا طويلة وزمنا وتاريخا قويا».

وأضاف: «على كُتَّاب الأمة وعلمائها إنتاج الجديد المفيد، وأن يبدعوا في اختيار مواضيع تناسب القارئ العربي وتفيده، فالناس في حاجة إلى القراءة التي تحيي العقول وتنير الدروب، وتضبط المسار لمن تفلتوا».، مشيرا إلى أن: «الإبداع لا بد له من إعداد جيد، ومران مستمر، وجهد متواصل في التدريب واكتساب المهارات اللازمة كي يصير المرء قادرا على بلورة أفكاره وتشكيلها وتحقيقها في مجال معين».

وبين: «أن العالم العربي يحتاج إلى أفكار جديدة مدعومة بتاريخ عريق تندمج مع الواقع وتنمي حياة الناس وتغذي أرواحهم».

وأكد: «أن المسلمين تركوا إرثا هائلا تضمنته مكتبات بغداد، والقاهرة، ودمشق، وطرابلس، والمدينة، والقدس»، متابعا: «أطالب بزيادة المعروض من الكتاب، وإعطاء الفرصة للشباب للتعبير والكتابة، وأنصحهم بالقراءة المتعمقة وتحليل الكتب التي يقرؤوها».

> **حمدي النورج: تنمي عقول الأمة والشباب حراسها من الأفكار الهدامة**

## تحسن نسبي

أما د. نبيل السمالوطي النائب السابق لرئيس جامعة الأزهر وأستاذ علم الاجتماع فيقول: «القراءة عماد الأمة الإسلامية، ومقياس التعليم الحقيقي فيها وليس الشهادات، فالقراءة المبنية على فهم تبني عقول الشباب الذين يبنون الأمة، وشباب الأمة يقرؤون ولكن هناك مؤثرات عدة ساهمت في تقليل النسبة مثل الفقر، وحملات المنع والتشويه، وضعف الإنتاج ومحاربة المبدعين».

وأضاف: «الشباب العربي يقرأ أكثر من (٣٥) ساعة سنويا، وهي نسبة متوسطة، لكنها ترتفع بمرور الوقت وتطور التكنولوجيا، فإذا نظرنا إلى تقرير «اليونسكو» عام (٢٠٠٣م) نجد أن (٨٠) عربيا يقرؤون كتابا واحدا في السنة، بينما المواطن الأوروبي الواحد يقرأ (٣٥) كتابا في السنة، كما أجرت شركة «سينوفات المتعددة الجنسيات لأبحاث السوق»، بحثا في عام (٢٠٠٨م) جاء فيه أن المواطن المصري والمغربي يقضيان (٤٠) دقيقة يوميا في قراءة الصحف والمجلات مقابل (٣٥) دقيقة في تونس و (٣٤) دقيقة في السعودية و (٣١) دقيقة في لبنان، وهذه الإحصاءات تؤكد ارتفاع النسبة بمرور الوقت».

وتابع: «على الحكومات دعم القراءة من خلال توفير الجو المناسب لها، ووضع مناهج جيدة للقراءة في المدارس، وليس اعتبارها مادة هامشية، وأن يهتموا باختيار ما يعين على تغذية العقول والخروج بجيل يقود العالم».

وناشد المعلمين بوضع خطط قراءة للطلاب تتضمن تحديد وقت ثابت للقراءة واستغلال أوقات الفراغ، وضرورة إنشاء مكتبة صغيرة في البيت، وغيرها من الأفكار التي تحفز على استعادة «أمة اقرأ» مكانتها بين الأمم.

## فهم وتدبر

أخيرا، يؤكد د. نصر فريد واصل مفتي مصر الأسبق أن المسلمين في البداية كانوا أميين، لكن مع نزول القرآن الكريم انتشرت القراءة واهتموا بها وبالمعاني التي تبعث الخير في الأمة، فكتبوا عن الدين وتعاليمه ثم أخذوا في التطور حتى حكموا العالم، ومن أعظم الأدلة على اهتمام الإسلام بالقراءة أنه كان يشترط في تحرير الأسرى تعليم (١٠) من المسلمين القراءة والكتابة.

وأضاف: «القراءة منهج في ديننا خاصة في الشريعة وتعاليمها، وتكمن الكارثة في عصرنا الحالي في الجهل بالشريعة وبمختلف فروع المعرفة خاصة الشرعية والتوجه إلى الروايات الماجنة والكتب التافهة».

وتابع: «علينا تدريب التلاميذ في المدارس على حسن القراءة وعلى حفظ القرآن وتلاوته وفهم معانيه من خلال الإلمام بكتب التفاسير قال الله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ (المزمل:٢٠)، وقال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه».

فلابد أن يكون عندهم علم بأمور دينهم وأن يبتعدوا عن الغلو والإفراط والتفريط، كما يجب عليهم أن يقرؤوا في أمور العالم المعاصر، ويحفظوا تاريخ أجدادهم، وأن يكونوا على دراية بالأشياء المشتركة بين العالم العربي، وأن يخرج جيل عليم بالدين وبالحياة قادر مثقف قادر على حمل الرسالة.

السيد محمد المسيري
باحث وكاتب صحفي
مصر

# مسلمو السويد.. تواصل وعطاء

تعد السويد من دول شمال أوروبا التي تعرف بتقدمها، وحيادها التام؛ حيث لم تتدخل في أي حرب من الحروب منذ أكثر من مائة وسبعون عاما مما أدى بها إلى محافظتها على ثرواتها الاقتصادية، وعلى تطوير صناعاتها الوطنية في الوقت الذي كانت فيه الحروب، والدمار، والخراب يلحق بكثير من الدول، وتآكل الأخضر، واليابس، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى حب السويديين أنفسهم للقراءة، والمطالعة؛ مما جعلهم أكثر الشعوب ثقافة، وعلما، واطلاعا، وإلى انتهاج السويديين أيضا روح التعاون بين مختلف الأديان فيها مما أحل بها روح الألفة، والمحبة بينهم وبين أتباع الجاليات الأخرى المقيمين على أرضها مما رسّخ استقرارها، ورقيّها، وتقدمها؛ لذا عرفت هذه الدولة الإسلام منذ وجود الدولة العباسية، واعترفت حكومتها رسميّا به بعد النصرانيّة، أي: الدين الثاني فيها، وبالتالي يُعد المسلمون فيها من أكبر الجاليات الدينية النشطة، إلا أن الدراسات البحثية عنهم وعن إسلامهم قليلة جدا، يكاد لا يسمع عنهم إلا القليل في مختلف آليات إعلامنا العربي، والإسلامي.

في ضوء ذلك، سنبحث هنا جغرافية السويد، وأوضاع المسلمين فيها؛ للتعريف بهم، وللوقوف بجانبهم لتجسيد أواصر وجودهم الإسلامي حتى يحافظوا على هويتهم الدينية، وحتى يتمسكوا بشريعتهم، وعقيدتهم الإسلامية قلبا وروحا حتى يظل تواصلهم رمزًا للتآخي الإنساني، وحتى يظل عطاؤهم الحضاري بها منارا مُشعّا للتعايش السلمي في هذه الدولة الإسكندنافية.

## جغرافية السويد

- الموقع الجغرافي

تقع السويد في أقصى شمال أوروبا، يحدها من الغرب النرويج، ومن الشرق خليج بوتينيا، وفنلندا، ويحدها من الجنوب الدنمارك، وبحر البلطيق.

- المساحة

تعد السويد الدولة الرابعة في أوروبا من حيث المساحة؛ حيث تبلغ مساحتها حوالي: (٤٤٩,٩٦٤كم) تقريبا.

- عدد السكان

يقدر عدد سكان السويد بـ (١٠،٠٠٠٠٠٠) نسمة حسب آخر إحصائية سويدية صدرت في عام (٢٠١٥م)، المتجنسون، والمقيمون فيها حوالي: (٦٦٠،٨٨٠) ألف، طبقا لإحصائية (٢٠١٢م). ويقدر عدد المسلمين فيها في عام (٢٠١٤م) بـ: (٥٠٠،٠٠٠) مسلم، ويتزايد عددهم بفعل الهجرة، والمواليد؛ حيث يتكونون من (٨٠) جنسية، والغالبية العظمى منهم من بنجلاديش، وباكستان، والهند، وأثيوبيا، وأريتريا، ومصر، والسودان، وألبانيا، والبوسنة، وتركيا، وفلسطين، وكردستان، والصومال، وإيران.

- اللغات والأديان

من اللغات السائدة في السويد: لغة (ساميكا) ويتحدث بها قبائل اللاب، واللغة (السويدية)، واللغات (الجرمانية)، فاللغة السويدية هي نوع من اللغات الجرمانية؛ فالأولى: هي اللغة الوطنية التي يتكلم بها الناس إذ تعتمد اللغة الرسمية المستخدمة في التعليم، وفي دوائر الدولة، والمؤسسات الحكومية، واللغة الألمانية، واللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، واللغة العربية، أما الأديان الموجودة بها: فالنصرانيّة، والإسلام، واعترفت الحكومة السويدية بالإسلام رسميا بعد الديانة النصرانية.

- المناخ

للمناخ تأثير فعال على حياة الناس في السويد، وفي أمزجتهم؛ فيكونون أكثر كآبة في الشتاء البارد، وأكثر سعادة عندما تشرق عليهم الشمس، ويسود الدفء أرجاءها، فدرجات الحرارة تتراوح ما بين (٣٠مْ) صيفا، و(٣٠مْ) تحت الصفر، أو دون ذلك شتاء؛ لذا، يتسم مناخ شمال السويد بظهور الشمس في النصف الثاني من شهر يونيو.

- أنهار السويد

من أهم أنهارها: نهر تورناتراسيك، وكاليكس، ولولا، وبيتة، وأومة، وكالتوم، وهذه الأنهار توجد في إقليم لابدلاند الذي يقع في الجنوب من منطقة بورمين ونورلاند.

- المراكز الحضارية

تكمن هذه المراكز في: استكهولم، وهي العاصمة، ومن أهم المراكز التي توجد في شمال أوروبا، وجوتنبرج، وهي مدينة صناعية هامة، ومالمو، وتقع في جنوب السويد.

- نظام الحكم

ملكي دستوري، وطبقا للدستور فإن القوة العامة تستمد من الشعب، والفرع الجوهري البرلمان.

ويتكون من (٣٤٩) عضوا في مجلس واحد.

- العملة

كرونة سويدية.

- الصادرات الرئيسية للسويد

هي القمح، والورق، والآلات الكهربائية، والمكنات، وخام الحديد، والخشب ومنتجاته. والأنواع الجيدة من الصلب السويدي، والمنتجات الهندسية.

- الواردات الرئيسية للسويد

تتكون هذه الواردات من المواد المعدنية، والمواد الغذائية، والآلات، والمعادن الأساسية، وتعتبر ألمانيا الغربية، والمملكة المتحدة، من أكبر الدول المستوردة منها كذلك.

## طرق دخولَ الإسلام إلى السويد

لقد دخل الإسلام إليها بعدة طرق منذ زمن الدولة العباسية عندما كانت بغداد عاصمة الدولة، وهذه الطرق تكمن في دخوله عن طريق الأندلس التي كانت تمثل في تلك الفترة ملتقى الحضارات، وطلاب العلم، والتجار، والبعثات الرسمية، وعن طريق الرحّالة المسلمين، الذين وصلوا من بلاد الشام.

## الإسلام دخل السويد في عهد الدولة العباسية

وهاجر أيضا عدد من السويديين إلى المنطقة العربية الإسلامية، وسكنوا فيها خلال عدة منعطفات تزامنية متباعدة، فكان أولها: خلال فترة الحكم الروماني. والثانية: خلال فترة الحكم الإسلامي؛ حيث سكن فيها عدد من السويديين الذين اعتنقوا الإسلام. وأما الثالثة: فكانت خلال فترة حكم الخلافة العثمانية التركية؛ إذ كانت إسطنبول مركزا عالميا للتجارة.

كما دخل الإسلام إلى السويد أيضا عن طريق المسلمين السويديين الذين استمرت علاقاتهم مع موطنهم الأصلي، وعن طريق سيبيريا، وشمال غينيا، وعن طريق الشعوب التترية، والتركية التي دخلت إليها عبر دول البلطيق، وبولندا، وعن طريق المسلمين الذين عانوا من الظلم، والاضطهاد، والحروب، والتطهير العرقي في دولهم.

## الوجود الإسلامي وأثره على المجتمع السويدي

ظهر أثر هذا الوجود على هذا المجتمع في الأسماء السويدية للأفراد، والعائلات، وفي تصميم العمارات، والمباني السويدية القديمة، كالأقواس، وفي بعض الأطعمة، وظهر أيضا أثر هذا الوجود بشكل خاص بعد الحرب العالمية الثانية في فتح المراكز الإسلامية؛ لأداء الصلاة، وإقامة حفلات الأعياد.

## طابع الحياة الثقافية للمسلمين

يكمن هذا الطابع الثقافي لحياتهم في كون أكثريتهم يقطنون في المدن السويدية الكبرى، وأكبر عدد منهم يقطن في مدينة مالموا، فيمثلون حوالي (١٥في المئة) من عدد السكان في المدينة المذكورة، ويقطن عدد آخر منهم في استكهولم، وفي جوتو بوري، وفي وامبالاه، وهذا سيؤثر بطبيعة الحال على محيط بيئتهم الداخلية والخارجية، وعلى انتشار الإسلام فيهما، وإلى تزايد معتنقيه من

أصحاب الأديان الأخرى نتيجة عدله، وتسامحه مع الجميع.

### الإعفاء الضريبي للمسلمين

يتمتع المسلمون في السويد بالإعفاء الضريبي على دخولهم، فكانت السلطات السويدية تحصل على (١في المئة) من دخل كل مسلم إلا أنها تنازلت عن هذه الضريبة، وخصصتها لصالح مشروعات الدعوة الإسلامية.

### المسلمون والمناصب العليا

يتولى عدد من المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام في السويد على المناصب العليا الرفيعة المستوى في الجامعات، وفي المؤسسات الحكومية السويدية، ويقومون بدور جليل في تعريفهم بالإسلام، وفي ترجمة الكتب، والحديث في مختلف آليات الإعلام السويدي، وفي المشاركة التفعيلية في الحوارات، وفي مختلف المناقشات التي تدور حول الإسلام.

### إشكاليات المسلمين في السويد

بالرغم من تولي المسلمين في هذه الدولة بعض المناصب العليا، وبالرغم من إعفائهم الضريبي على دخولهم، فإنهم يواجهون في واقع الأمر بعض الإشكاليات، والتي تكمن أهمها في:

١- إشكالية الجهل

تعد هذه الإشكالية من الإشكاليات الخطيرة التي يعانون منها حيث يجهل الكثيرون منهم بأمور عقيدتهم، وشريعتهم الإسلامية، وكل همهم هو العمل، والرفاهية دون اهتمامهم بثقافتهم، ودينهم الإسلامي، ويرجع ذلك إلى قلة الدعاة، والعلماء الذين يبصرونهم بإسلامهم.

٢- إشكالية التنصير

تعتبر هذه الإشكالية من أخطر الإشكاليات التي يواجهونها، فالمنصرون في السويد ينتشرون بشكل كبير بين صفوفهم من أجل تنصيرهم خاصة المحتاجين منهم؛ بتقديم كافة أنواع المساعدات، والعون لهم، وهذا أيضا من أجل إذابة هويتهم الإسلامية، وقيمهم الرفيعة؛ مما يؤثر ذلك على سلوكهم.

٣- إشكالية خروج بعض البنات من بيوتهن، وتركهن مقاعد الدراسة، وتمردهن على أسرهن؛ مما يعوق ترابطهم، وعدم استقرارهم.

٤- إشكالية إهمال الشباب للشعائر الدينية

ترجع جذور هذه الإشكالية في جوهرها إلى قلة الكتب الدينية المترجمة إلى اللغة التي يتكلمون بها، وإلى عدم وجود كتب السّيرة، والفقه، والعقيدة، وإلى عدم تبيان المفهوم الصحيح للإسلام.

٥- إشكالية عدم وجود جهة واحدة تمثل المسلمين

يعود الدافع الأساسي لهذه الإشكالية إلى النزعة القومية للبعض منهم، والمصلحة الذاتية للبعض الآخر؛ نتيجة عامل اللغة؛ فالأقلية المسلمة في السويد مكونة من (٤٥) جنسية متباينة لكل منها لغاتها، وعاداتها، وتقاليدها الخاصة، وتستقل كل جالية بخصوصيتها الثقافية، وأمام هذا الخليط اللغوي المتنوع كان لابد من استخدام لغة مشتركة، كلغة التخاطب بين المؤسسات الإسلامية، ومن ثم تكمن هذه الأقلية في تلك اللغة التي لا يتقنها غالبية الأئمة، ومسؤولوا الجمعيات الإسلامية، فالكثير منهم لا يعرف المبادئ الأولية للغة السويدية.

> **السويد تكفل الحرية الدينية للجميع في قانونها**

### مناشط المسلمين في السويد

> **(١٤) مدرسة عربية للتعليم الإسلامي في السويد**

تكمن مناشط هؤلاء المسلمين في هذه الدولة أنهم أقاموا صندوقا للزكاة، وأسسوا أول بنك غير ربوي، وعدة جمعيات خيرية حتى وصل عددها في العاصمة استكهولم (٤٥) جمعية، وفي مدينة مالموا (١٥) جمعية، (٦٠) جمعية للشباب، (١٢) جمعية للنساء، كما أقاموا أيضا في السويد خمسة إتحادات، ومراكز إسلامية، وعدة مساجد، ومدارس عربية، كما أقاموا كذلك عدة مؤسسات إسلامية، ويرجع الفضل في ذلك إلى دعم العديد من المؤسسات الإسلامية، والدعوية في العالم العربي والإسلامي، وبشكل خاص المملكة العربية السعودية، ويمكن إسهاب كل ذلك في الآتي:

- صندوق الزكاة

أقام المسلمون هذا الصندوق في السويد، ويترأسه الشيخ سيد عزام مبعوث رابطة العالم الإسلامي، وهذا من أجل جمع أموال الزكاة، وتوظيف أموالها فيها لتأهيل المسلمين على مختلف الأعمال، ولتحسين أداء جهود الدعاة، ولمساعدة المحتاجين، والأرامل، والأيتام، وهذا من أجل المحافظة على تواصلهم، وعطائهم، وتعاونهم مع بعضهم البعض حتى لا يقعوا فريسة سهلة في أيدي الجماعات التبشيرية لتنصيرهم.

- أول بنك غير ربوي

وافقت حكومة السويد على تحويل الجمعية التعاونية إلى إقامة مثل هذا البنك، ويعتبر أول بنك يؤسس في هذه الدولة على أساس غير ربوي؛ لكون المسلمين يهدفون من إقامته إلى محاربة الربا في المجتمع السويدي، وهذا البنك يقوم على التوفير، والادخار، والاقتراض بدون فائدة مع التوفير، بالتوفير عند سداد القرض المالي حسب نظام خاص يطلق عليه «نظام النقاط»، وكلمة (ياك yak) اختصار لثلاث كلمات هي: الأرض، العمل، ورأس المال، ويبلغ



عدد الأعضاء المشاركين فيه أكثر من عشرين ألف عضو، منهم عدد كبير من أبناء الجالية المسلمة الذين يستفيدون من القروض المتاحة لشراء البيوت، والقيام بعمل تجاري، أو المشاركة في حل أية إشكالية مالية مستعصية، وبالتالي جاء تحويل الجمعية التعاونية (ياك yak) إلى هذا البنك بعد جهد كبير قام به المسلمون استمر لأكثر من (٣٣عاما)، وبدأ البنك أعماله اليومية في (١ مايو ١٩٩٨م). والأعمال التي يقوم بها هي:

- إقراض الفرد دون ضمان، ولا فائدة مبلغًا كحد أعلى (٣٠,٠٠٠) ألف كرون سويدي.
- تتحمل الدولة كفالة المدخرات المالية للفرد إلى حد يصل إلى (٢٥,٠٠٠) ألف كرون سويدي.
- يمكن للفرد الحصول على القرض خلال مدة قصيرة، ودون عقبات كثيرة كانت في السابق تحول بين الفرد، والاقتراض بسهولة.
- يمكن للفرد إقامة مشروع تجاري، أو شراء منزل ضمن ضمانات محددة.
- الأعضاء هم المالكون الوحيدون للبنك، وستبقى فكرته تكافلية، وتعاونية.
- ليس للبنك معاملات ربوية، بل يكتفي بتغطية مصاريفه من خلال الأموال التي تقتطع مباشرة من القروض القديمة، والاشتراكات السنوية للأعضاء، والنسبة تتراوح من (٠,٥ ١في المئة) إلى ٤في المئة) من مجموع القرض.

## خمسة اتحادات إسلامية كبرى:

تتمثل هذه الاتحادات الإسلامية في الآتي:

- اتحاد الجمعيات والمراكز الإسلامية، وأغلب أعضائها من الجالية العربية.
- اتحاد المراكز الإسلامية، وأغلب أعضائها من تركيا.
- الاتحاد الإسلامي السويدي، وأغلب أعضائه من الجالية الصومالية.
- المركز الإسلامي الذى يشرف عليه الألبان.
- اتحاد مسلمي السويد، وأغلب أعضائه من الجالية البوسنية.

## مؤسسات إسلامية

تضم هذه المؤسسات ما يلي:

- منظمة الطلبة المسلمين

أقيمت هذه المنظمة في مدينة لوند في عام (١٩٧٩م) حيث تضم حوالي ثلاثة آلاف مسلم من جنسيات مختلفة، وتقوم هذه المنظمة بعدة أنشطة تكمن في التالي:

- نشر الدعوة الإسلامية، وجمع شمل المسلمين، والدفاع عن مصالحهم.
- محاولة تأسيس مكتبة إسلامية تضم مختلف الكتب والمراجع.
- تدريس اللغة العربية للكبار، والصغار، من كلا الجنسين لكي يستطيع المسلمون أن يتعلموا لغة القرآن، والحديث الشريف.
- القيام بمراسيم الزواج الشرعية الإسلامية.
- الرد على الحملات العدائية ضد الإسلام والمسلمين.
- القيام باجتماع إسلامي شهري للمسلمين، وغير المسلمين لشرح مبادئ، وتعاليم وسماحة، وعقيدة، وشريعة الإسلام.

## الرابطة الإسلامية

أقيمت هذه الرابطة في مدينة استكهولم في عام (١٩٩٤م)، وتقوم هذه الرابطة بالمناشط الآتية:

- تدعوا إلى الحوار مع مختلف الأديان، والمؤسسات الشعبية من أجل الوصول إلى التعايش السلمي بين جميع فئات المجتمع السويدي، وتصدر جريدة الرابطة، وتهتم بالإرشاد الإسلامي، والدعوة الإسلامية.
- تعمل على دعم التربية الإسلامية في السويد، وتخريج الطالب المسلم المؤهل علميا، ودينيا، وخلقيا للتعايش



## المسلمون في السويد أقاموا صندوقًا للزكاة، وأول بنك إسلامي غير ربوي

مع المجتمع السويدي ملتزما بالقيم الإسلامية، محافظا على لغته العربية، ومتقنا للغة السويدية إتقانا جيدا يؤهله للالتحاق بالجامعات والمدارس السويدية.

- تعمل على ترسيخ شمولية المنهج الإسلامي من خلال عقيدة أهل السنة، وتعتبر السويد دار عهد ودعوة، وتحث المسلمين فيها على حق اكتساب المواطنة من أجل توطين الإسلام في السويد.

- تشرف على مشروع المدرسة الإسلامية التي انطلقت في شهر أغسطس (١٩٩٥م) بقبول (٨٥) تلميذا موزعين على خمسة فصول من الصف الأول إلى الصف الخامس، وتم فتح فروع لها في مدينة أوبشالا، وبوتوبوري. ويحتمل أن يصل عدد تلاميذ المدرسة الإعدادية بالعاصمة السويدية إلى حوالي (١٥٠٠) تلميذ، وتمتاز هذه المدرسة عن غيرها من حيث إنها توفر الطعام الحلال للتلاميذ، وفصل الأولاد عن البنات.

- وصل عدد المساجد، والمراكز الإسلامية التي تتبع لها حوالي (٣٦) مسجدا ومركزا، وأهم هذه المساجد مسجد تيرليهتن. فضلا عن مسجد استكهولم الكبير الذى بني على نفقة المغفور له بإذن الله الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة طيب الله تعالى ثراه.

### المجلس الإسلامي السويدي

أنشئ هذا المسجد في عام (١٩٩٠م)، ويقوم بالمناشط التالية:

- تمثيل المسلمين لدى السلطات الرسمية.

- التنسيق مع الرابطة الإسلامية في السويد لخدمة مصالح الجالية المسلمة، وعقد الندوات، مثل الندوة التي عقدها حول التأمين التكافلي للجمعيات الإسلامية لتغطية تكاليف دفن موتى المسلمين الأعضاء.

- مشاركته في الندوات والمؤتمرات التي تقيمها المؤسسات السويدية المختلفة.

### التجمع السياسي الإسلامي

أسس هذا التجمع في نوفمبر عام (١٩٩٨م) بعد اجتماع ممثلين من (١٤) مدينة سويدية. واتفق الحاضرون على انتخاب (٤٤) مندوبا يمثلون التجمع في البلديات المختلفة، وأقروا الدستور، والسياسات العامة، ومن بينها:

- إعادة المرجعية العليا، والكلمة الأخيرة في كل السياسات إلى المجلس الإسلامي.

- تكوين تكتل إسلامي سياسي يعمل على دعم الجالية المسلمة المقيمة في السويد، وخدمة قضاياها بالوسائل السياسية.

- تجميع أصحاب الاهتمامات، وذوي الممارسات السياسية، واستثمار رصيدها العددي فيما يخدم قضاياها.

- الاهتمام بنشاطات المرأة المسلمة، وتناول الأمور الاجتماعية والسياسية التي تهتم بوضع المسلمين في أرجاء السويد.

### التعليم الإسلامي

يعد هذا التعليم من أهم مناشط

المسلمين في السويد إذ أسسوا فيها أربعة عشرة مدرسة عربية خاصة منها: عشرة مدارس إسلامية تعترف بها رسميا الحكومة السويدية، فضلا عن أن هذه الحكومة تنظر في إمكانية موافقتها على أربعة مدارس أخرى حيث يدرس الطالب المسلم في هذه المدارس إلى جانب المنهج السويدي اللغة العربية، ومادة التربية الإسلامية، وتدعمها ماليا الحكومة السويدية، كغيرها من المدارس المعترف بها في السويد، فتوزع المدارس العربية في عدة مدن سويدية، فتوجد ستة مدارس من المدارس الأربعة عشرة في مدينة بالمو، واثنتان في العاصمة استكهولم، واثنتان في إبلا، وواحدة في جوتوبوري، وواحدة في اربيرا، وأخرى في لينشوبنغ، وواحدة في نورشوبنج؛ لذا، فالتعليم في السويد للجميع دون تمييز بين السويدين، وغيرهم من الأجانب من حيث رعاية الدولة، واهتمامها، والمحافظة عليها بالرعاية الصحية، والاجتماعية، ومن حيث التأمين الكامل لكل طالب، ومن حيث حرص الدولة أيضا على تقديم الوجبات المجانية للأطفال والتلاميذ، فالطفل يتعلم لغة موطنه الأصلي قبل أن يبدأ في تعليم اللغة السويدية، وهذا ما تقره خطة التعليم السويدية؛ لكون مجرد إتقان الطفل للغته الأم سيكون من السهل عليه أن يتعلم اللغات الأخرى.

### مطالب المسلمين في السويد

تكمن مطالب المسلمين في هذه الدولة في عدة مطالب هي:

- ضرورة تزويدهم بدعاة يجيدون اللغة السويدية، واللغات الأخرى التي تتحدث بها الجاليات الإسلامية الأخرى، وذلك لتبصيريهم بأمور دينهم الإسلامي، وبأمور حياتهم الدنيوية، وضرورة تصحيح المفاهيم المغلوطة عنهم، وعن إسلامهم، وتفنيد التهم الظالمة، والمزاعم الزائفة التي تبثها مختلف آليات الإعلام الغربي

## السويد تفتقر الى دعاة يجيدون السويدية

عنهم، وعن دينهم الإسلامي.

- ضرورة تبيان التداعيات الضالة، والأراجيف المضللة لمعتقدات الطوائف الهدامة المعادية للإسلام والمسلمين، وذلك بمختلف اللغات الأوروبية، وطبع ذلك في كتيب وتوزيعها على مختلف المؤسسات، والمراكز الإسلامية، والمساجد في السويد، وبث هذا عبر أجهزة الإعلام السويدية إن كان ذلك ممكنا.
- ضرورة التصدي للظاهرة الخطيرة للفتاوى خاصة الذين يفتون في مختلف المجالات دون زاد في العلم والمعرفة يؤهلهم إلى إصدار الفتاوى.
- ضرورة إصدار عدة مجلات، وجرائد باللغة السويدية، وبمختلف اللغات للجاليات الإسلامية المقيمة فيها لتبيان شريعة، وعقيدة، وسماحة، وعدل، ومساواة الإسلام.
- ضرورة تزويد المكتبات الموجودة في المراكز الإسلامية، وفي المساجد بالكتب المترجمة في مختلف العلوم الشرعية المتخصصة، وتزويدها بترجمات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية المشرفة.
- ضرورة وقف دعاة البدع، والخرافات، والمعتقدات الزائفة المنتشرة في أرجاء السويد حتى لا يؤثرون على الآخرين من أجل التشكيك في الإسلام، ومعتنقيه، ويشجع ذلك الدول الأوروبية الغربية بهدف توهين وحدة وقوة المسلمين.
- ضرورة الاهتمام بإشكالية الهوية الإسلامية، وعدم ذوبانها، والمحافظة عليها.

نخلص من الإطار السابق بحثه إلى أن السويد من دول شمال إسكندنافيا، وعضو في مجلس تعاونها، ومن الدول التي تتبنى مبدأ الحياد التام، والتعايش السلمي بين أبنائها المقيمين فيها من أتباع الجاليات الأخرى، وجعلت التعليم فيها للجميع دون أي تمييز بين السويديين والأجانب. كل هذه القيم السامية التي تتصف بها هذه الدول جعلها من الدول المزدهرة علميا، وحضاريا، وثقافيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وفي مختلف المجالات الأخرى، وبالتالي عرفت هذه الدولة الإسلام منذ وقت الدولة العباسية، واعترفت حكومتها به رسميا حتى أصبح الدين الثاني فيها بعد النصرانية؛ ولذلك فالمسلمون في هذه الدولة يتمسكون بدينهم الإسلامي، ويمثلون في نفس الوقت أكبر جالية دينية فيها، ويرجع هذا في جوهره إلى استمرار تواصلهم الإنساني، وعطائهم الحضاري فيها، وبالتالي ينبغي عليهم أن يبتعدوا عن الخلافات العرقية التي تحدث بينهم في مؤسساتهم الإسلامية التي يعملون بها، وأن يعملوا على نشر الدعوة الإسلامية، وأن يرسخوا قيم الإسلام السمحة في نفوس أبنائهم من أجل المحافظة على هويتهم الدينية حتى لا تكون عرضة لذوبانها، ومن ثم نتطلع من الحكومة السويدية، ومن مختلف المؤسسات الإسلامية إمكانية التعاون والتنسيق بينها في حل الإشكاليات التي يعاني منها المسلمون المشار إليها آنفا، كما نتطلع من دول عالمنا العربي والإسلامي، ومن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت، ومن منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة في المملكة العربية السعودية، ومن الأزهر الشريف في القاهرة، ومن شتى المؤسسات التعليمية أن يساهموا مساهمة فعالة في دعم المسلمين وتلبية متطلباتهم المتقدمة الذكر؛ حتى تقوى أواصرهم، وتزداد فعالياتهم، وتواصلهم وعطائهم المستمر فيها من أجل أن يحيوا حياة العزة والكرامة حتى يظل إسلامهم منبرا شامخا في مختلف أرجائها.

أ.د. عبد الله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين -المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها




الحلقة الأولى

يعد مكر اللغة غورا من اللغة بطينا، وسرا يبحث عن سر، وهو دهاء لغوي قد تناهى في الخفاء إلى أقصى الغايات، حتى دخلت الشبهة على الحذاق الذين يتباصرون به، لأن الأقطاب التي ينهض عليها، والأعضاد التي يرجع إليها عديدة يتوزعها النحو والصرف والسياق والبلاغة والخط والثقافة والعرف؛ وهو تصنيف تدعو إليه الضرورة، ويعم الانتفاع به، وتزداد إليه الحاجة اليوم، وبأدلة وشواهد عديدة تنهض دليلا لا يرد ولا يجحد، ولاسيما في أثناء تزاحم الأمم وتدافعها في معترك الحياة، للانتصار للغتها وقيمها وثقافتها، ولذلك فإن إهمال الاشتغال به يفضي إلى تفويت كثير من فرص التحصين اللغوي في ظل الحروب اللغوية التي تدار في الغرف المغلقة لأجل التمييط والإبادة والمحو.

المكر اللغوي إذن دهاء يبدو تارة مغالطة ولبسا وتخليطا وتمويها وخداعا، يري الباطل في صورة الحق، والزائل في هيئة الدائم،

**المكر اللغوي ظاهرة تنمو وتتغير مع نمو اللغة وتطورها**

والضار في شكل النافع، والطالح في صورة الصالح، وتارة أخرى يكون تلطفا «للمعنى الحسن حتى تهجنه، والمعنى الهجين حتى تحسنه» (١). ومداراة لمراعاة للمقام وحسن التخلص بأسلوب حكيم غايته التجاهل المهذب لقول القائل، وتوجيه كلامه على غير ما ذهب إليه؛ وهو ظاهرة دأبت الدول العظمى أن تنشئ له مراكز خاصة رغبة منها في التمكين والاستحواذ على الأمم، التي لم تنتبه بعد إلى دور اللغة في صناعة المعارف، وفي تغيير الميول والاتجاهات لصالح نمط واحد ووحيد لا يؤمن بسوى الهيمنة والمكاسب المادية، على حساب النماذج الأخرى التي تحرص على



المحافظة على التوازن بين مطالب الروح والجسد.
المكر إذن ظاهرة «تنمو وتتغير مع نمو وتغير اللغة، فإذا جعلها مجال من المجالات ضارة، جعلها غيره نافعة» (٢)؛ لأن المكر ليس خيرا في ذاته، كما أنه ليس شرا مستطيرا، وإنما يقاس بالنتيجة التي يؤول إليها حشد العواطف والأنصار لصالح الفكرة التي أريد لها بعد التأسيس أن تتأصل وتستولي على العواطف، فتعمي وتصم وتبكم بفعل مفعولها السحري الأكثر مضاء في توجيه الكتل البشرية نحو الموالاة والانصياع والإذعان أو العكس، ولهذا يحرص منتجو هذا النوع من الخطاب على الصياغة الدقيقة التي تتدخل في تشكيلها الأبعاد اللغوية والبلاغية والثقافية والنفسية والدينية، ناهيك عن الحرص على السلاسة في الخطاب الهلامي الممعن في الإغراق والإخفاء الذي لا يطمع في أوبة المتخير، والتي تسهل انسيابه وتكراره العفوي المغيب للعقل لصالح العاطفة والشعور، لأن الغاية هي الشحن والموالاة الحماسية، وسرعة الانفعال والتصديق الساذج الذي يضخم العواطف.
وغير خاف أن البحث في هذا الموضوع الذي وطأه القدامى يحتاج إلى غواص ماهر يدرك كيف تخبأ الحقائق بين شرايين الأصوات، وأوردة الكلمات التي تجعل المعنى الظاهر الطافي على السطح، غير المغزى الساكن في رحم العبارات الفاتنة التي تغري وتخاتل وتموه وتلبس لتغوي بحذاقة مضللة؛ تقول معنى وتضمر آخر، تغالط وتزيف وتحسن وتفتن بزخرفة وخلابة قادرة على الفيض الدلالي الذي يبطل حقا ويحيي باطلا، إذ كلما زاد بريق العبارة ولمعانها الأسلوبي، خفيت حقيقتها. لذا فإن الأباطيل الثابتة عندما يستعملها أصحاب الغرف المغلقة المهيأة لتليين الكلام والتمثيل الساحر، الذي يلون تلك المفاسد بألوان مبهرة وتوابل تضمن الاستساغة، والتلبيس والاستدراج الذي يجعل منها حقائق متراوحة بين منطوق تم الإلماح إليه، ومقصود تم الحرص على تعميته، تجد لها منافحين يبذلون النكيثة لمناصرتها والدفاع عنها بحماسة عمياء؛ فكم من نقد لاذع يختبئ وسط جملة عادية عارضة، أو في رد مسكت يمتص بهدوء الجدل حول الموضوع المختلف والمتنازع حوله، وكم من مؤامرة تحاك لنا بأسلوب مرقش بزينة البلاغة التي تخفي كيدها، فننطلق مطبلين لها تطبيل الأغرار السذج الذين انطلت عليهم حيلها وأحابيلها الشيطانية الليطانية!
لا شك أن مثل تلك التمويهات التي تضع العبارة في منزلة «الأعراف» بين التجلي والتخفي، هي التي تفرض على الباحث المدقق الذهاب كل مذهب للكشف عن الهواجس المعرفية والوجودية التي تحملها العبارة الماكرة، والتي ترجحها عوامل نصية، وأخرى خارج نصية تستدعي بعض الإشراقات الذهنية للقارئ، فليس هناك معنى للحقيقة الواحدة، وإنما هناك حقائق عديدة تسندها القواعد البلاغية والسياقية والعرفية والمنهجية، التي ترفض التفسيرات الظاهرة المعيارية، والتي تكتفي بالوقوف على سطح الطبقات اللغوية الباهتة، متجاوزة التركيب النحوي المتسم بصبغة لغوية معجمية

صريحة لا تخالف منطوق العبارة؛ بحثا عن علاقات نفسية واجتماعية وثقافية تنفس فيها الخطاب، وأمدته بتشكله وكينونته الطافحة بإنتاج معنى بديل أخفته الطبقات اللغوية التي تدثر بها الخطاب المتعدد المعنى، مما يعني دفع الفهم في بئر عميقة يجب الغوص فيها للإتيان بالمقل، بواسطة الاستنباط المرتكز على الثقافة اللغوية والتاريخية والنفسية والحضارية، التي تجمع الأدلة والحجج القادرة على دفع الخطاب إلى البوح بأسراره بكيفية تقترب من الكمال، الذي يصيب المغزى المراد اعتمادا على تقليب اللفظ في كل المسالك الدلالية المفترضة، بغية تقطير المعارف الثاوية فيه بطريقة أحكم وأسد.

يتضح مما سبق أن المعرفة التي تقدمها الخدمة المعجمية المعزولة عن سياقاتها، لا تمكننا من الولوج إلى تضاريس العبارات الماكرة التي يتزيى ظاهرها بلباس التقوى، وعند تقليبها من عدة أوجهها واكتشاف مساربها والتواءاتها يظهر أن الاكتفاء بالقراءة الخطية الساذجة ليس سوى معرفة يقنع صاحبها من الغنيمة بالسحاء، وإنما الذي يفتح لنا خبايا وزوايا العبارات المغطشة هو الوعي بالطرائق والإجراءات السياقية والدلالية والثقافية والأدوات الفنية التي تكشف المخبوء الذي تستره الطبقات اللغوية، لأن أي نص له سطح يكشف ويفضح، كما له عمق يخفي ويستر، ولهذا يقتضي القبض على ملائكة وشياطين العبارات التي تركب الدهاء والمكر، معاودة الكر والفر بتقنيات قرائية حصيفة محصدة، كما يقتضي التوفر على عتاد دفاعي هجومي موصل إلى القبض على المغزى الأكثر ملاءمة

**الألفاظ المفردة وضعت لمعرفة ما بينها من فوائد**

وقبولا. ولكي لا يغيب القمر الذي ضمن إنارة النصوص العربية سجيس العصور الخوالي، فتبدو الرؤية إلى دلالات الخطاب مسودة، لا تفطن إلى مفعول كثير من العبارات التي تمكر بنا؛ يحسن بالعارفين المحللين للنصوص مراعاة الإحاطة بمذاهب الحياكة وترصيعاتها التي يبهر بها صناع العبارات جماهير القراء، الذي جهلوا بأساليب الفصحى، وفي ذلك يقول ابن جني: «وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة» (٣).

ومن مستلزمات التحاور مع النصوص التي توجب امتلاك القواعد والأدوات المنهجية التي تيسر فتح مغاليق النصوص على هذه الشاكلة:

١- التوفر على عدة معرفية ولغوية تسلط صافي الذهن لإدراك مكنون العبارات الخلابة التي تنبض بطاقة تضمينية زئبقية فضفاضة وإيحائية أكثر من طاقتها التصريحية التعيينية، ولهذا قال الشاعر:

**فاصرف الخاطر عن ظاهرها**
**واطلب الباطن حتى تعلما**

إذ «الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينهما فوائد» (٤).

هي التي توجه الخطاب كما يتضح من تغير دلالات لفظة «الطيب» في العبارات الآتية:

- أرض طيبة: صالحة للإنبات.
- ريح طيبة: لينة غير عاصفة.
- امرأة طيبة: حصان عفيفة.
- كلمة طيبة: حسنة.
- بلدة طيبة: آمنة كثيرة الخير.
- نفس طيبة: راضية مطمئنة.
- سبي طيب: ليس عن غدر ولا عن نقض العهد.
- قمح طيب: متوسط الجودة.

٢- تعرف معنى الألفاظ، وتتبع دلالتها التطورية، وما يحدث لها من تغير في الدلالة بالرقي أو الانحطاط أو التعميم أو التخصيص، وبعبارة أوضح تحديد المعنى الأصلي الذي منه تفرغت المعاني الخاصة، سواء أكانت مجازية أم غير مجازية، وتعقب طرائق استعمالها، التي تسعى لإقناعنا بحقائق خاصة تروم بلوغ أغراض تلبس وتموه وتخاتل، وتظهر الشر بملامح متنكرة ليسهل إقبال الناس عليه أكتعين، وما لفظة «الاستعمار» القرآنية منا ببعيدة، حيث سعى القرآن الكريم إلى استعمالها بمفهوم طلب العمارة والتشييد، لكن الكسل اللغوي الذي ران علينا، جعلنا نقبل أن نصطلح على تسمية الدول الغربية التي احتلتنا ونهبت خيرات بلداننا «استعمارا» من دون أن نفكر في دلالة اللفظة التي تقول لنا في شماتة، إن الدول الغربية المحتلة جاءت لتعمرنا وتمدننا، ومن ثمة ليس من مصلحتنا مقاومتها!

٣- مراعاة القرائن اللفظية والمعنوية والسياقية للعبارة. ولقد بين الناقد الأميركي «بول دومان Paul De Man» أن العلامة اللغوية موقع للالتباس المستمر بين المعنى الحرفي وبين المعنى المجازي، وعند مواجهة النص، لا يعلم القارئ علم اليقين ما إذا كان يجب عليه أن يؤسس تأويله

على بنية الجملة النحوية، أو على بنيتها البلاغية» (٥). أو على بنيتها السياقية التي تولد معاني لا تخطر بالحسبان، إذ إن دارس الخطاب قد «يفهم من النص اللغوي المنطوق أو المكتوب معنيين أو أكثر، بحيث يكون هناك تلاق بين هذين المعنيين أو المعاني المتعددة؛ لأن النص اللغوي يدل على معنى أو أكثر بظاهر ألفاظه المنطوقة أو المكتوبة، إلا أنه في الوقت نفسه يدل على معان أخرى لا تدل عليها الألفاظ بحرفيتها، وإنما هي مستلزمات المعاني الأول ولواحقها التي يدركها ذهن السامع، وينتقل إليها... بشيء من التدبر فيها» (٦).

٤- ضبط أنواع الدلالات، مثل دلالة المطابقة ودلالة التضمن ثم الدلالة الالتزامية. مثال ذلك أن لفظة «البيت» تدل دلالة مطابقة على مكان خاص بالمبيت، وتدل دلالة تضمن على أن هذا البيت له سقف يحميه، أما الحيطان فتمثل دلالة التزام، وهي دلالة يجب أن يتحقق فيها معنيان: معنى يفرضه اللفظ مثل لفظة «الأسد» التي تدل على الشجاعة، ومعنى ثان يتم الانتقال الذهني إليه، وهو الافتراس، وبذلك يتأكد أن محلل الخطاب يجب أن يدرك الملابسات التي تحيط بالكلام.

٥- معرفة المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والديني والسياقي الذي تنفس فيه النص أنسام الحياة، لإدراك مغزاه، لأن المعنى على ثلاث طبقات هي: المعنى الحقيقي الذي يسلم نفسه للقارئ بسهولة ومن دون قناع، والمعنى الاستعمالي الذي تتجاوز فيه الألفاظ القشرة اللغوية المعجمية التعيينية إلى دلالات استلزامية تنهض عليها الصور البلاغية، وأشكال الترصيع التي يحوزها المفن،

## مكر اللغة ودهاؤها به كثير من اللطائف والأسرار

ثم المعنى الوظيفي الذي يقوم السياق والعلاقات التركيبية بتأديته.

٦- الهجوم على تلك العبارات من الأماكن الأكثر بروزا، مع اعتماد عمليات الكر والفر التي تحاصرها وتسائلها لتقطير معارفها الظاهرة والباطنة فتبوح بأسرارها، حيث إن آية ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٥) تشير إلى معنى ظاهر، هو أن الربا حرام والبيع حلال، غير أن معاودة قراءة الآية كاملة، يبرز أن الحلية والتحريم غير مرادين، لأن الآية جاءت لنفي المماثلة بين الربا والبيع، وليس لإظهار حلية البيع وحرمة الربا، لأن الكفار قد زعموا أن البيع يماثل الربى ويشاكله كما تؤكد الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٥) فالكلام قد جاء للتفرقة بين الأمرين، لأن الكفار قد زعموا المماثلة بينهما، ففرق الله سبحانه وتعالى بينهما. وهذا يحذقه من كان عارفا بدور السياق في ضبط المعنى المراد.

٧- التمييز في إدراك المعنى بين المعنى الحقيقي التصوري، وبين المعنى الإضافي العرضي الذي يزيد عن المعنى الحقيقي، عناصر أخرى عرضية مثل قولنا: «هذه المرأة»، فبالإضافة إلى صفتها الأنثوية، هناك معاني عرضية أخرى يتم إضافتها لهذا الكائن البشري مثل: الولادة، والإرضاع، والعاطفة، والدموع، والثرثرة وهلم على ذلك جرا وسحبا.

ناهيك عن المعنى الأسلوبي الذي تسمه الأصباغ الفنية التي يتزيى بها الخطاب، بالإضافة إلى المعنى النفسي الذاتي الذي يخص كل مفن، ولذا قيل: الأسلوب هو الرجل.

ويعد المشجر الآتي تبيانا للمعارف الضرورية التي يجب على القارئ الفطن أن يمتلكها.

لا شك أن حصيلة البحث اليوم في موضوع مكر اللغة ودهائها حقيبة فارغة، وهو الأمر الذي ينهض دليلا على أن الخوض في هذا الاتجاه يفتح مشكاة لإبصار كثير من اللطائف والأسرار التي ظلت محجوبة عنا، كما أحسب أن تناول الموضوع بهذه الحصافة، ليس له مثيل يزاحمه في ما أنتجته قرائح المعاصرين، ولا ريب أن صعوبة تقليب تربته من أكثر أسباب غياب البحث فيه، لأنه موضوع لا ينكش عمقه، كلما اطمأن الباحث إلى إزالة بعض حجبه، تراءت له أسرار لا يرام خباؤها، وانكشفت له أبعاد رحبة كانت الأبصار عنها معصوبة، ولذلك قل أن نجد سهمة للباحثين المحدثين في هذا الموضوع، إلا بعض النتف التي لا تكاد تتجاوز الحصرمة، لأن الطريق إليه غير لاحبة، والجهة التي منها يضبط غير مسلوكة وغير ناهجة لمن لم يتمهر في اللغة.

### الهوامش

١- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. (ص:٤٨٢).

٢- في الغلط والمغالطة أو السفسطة اللغوية. د. فيصل غازي مجهول. (ص:١١١).

٣- الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جني. (ص:٢٤٥).

٤- كتاب دلائل الإعجاز. الإمام أبو بكر عبد القاهر الجرجاني. (ص:٥٣٩).

٥- القراءة. فنسان جوف. ترجمة سعاد التريكي. (ص:١٣٠). المركز الوطني للترجمة. تونس.

٦- البحث الدلالي عند الأصوليين. خالد عبود حمودي وزينة جليل عبد. (ص:٥٣).

محمد المغربي
كاتب صحافي
مصر

# القراءة رحيق اللغة



القراءة عملية معرفية الغرض منها فك طلاسم حروف معينة بغرض تكوين معنى يصل بالقارئ إلى الفهم والإدراك، واللغة بالنسبة للقراءة بمثابة الأم لابنها، وهما مرتبطتان ارتباطا وثيقا بعضهما ببعض فاللغة تتكون من قراءة وكتابة وقواعد تضبطهما، والقراءة هي الجهاز الذي يستقبل المعلومات ثم يتعامل معها ليحولها لمعان ومفاهيم ونظريات وغيرها.

من هنا يتضح أن القراءة هي عملية استباقية للتعلم والتواصل مع الحضارات والبيئات و الثقافات المتعددة، لذا يجب النظر إليها على أنها ضرورة يقتضيها واقعنا الحياتي وليس هواية.

تبدأ القراءة بعملية بسيطة جدا وهي النظر إلى الحروف والتمعن فيها لهجائها كلمات ومن ثم نطقها ثم تدخل في عملية الإدراك المعرفي والتخزين في الذاكرة، ثم استرجاعها عند الحاجة لربط الأحداث ببعض أو الاستنتاج أو تحليل المواقف ومناقشة الأمور.

بالرغم من أن القراءة مهارة من المهارات، إلا أنها تتميز بأنها مهارة متاحة للجميع غير مقصورة على أفراد بعينهم، إلا أن صعوبتها تكمن في مداومة استخدامها لتجميع مخزون معرفي يكون ثقافة الفرد.

ترتبط أيضا القراءة بالكتابة فبينهما علاقة وثيقة فهما وجهان لعملة واحدة، ويقال: إن القراءة هي الكتابة المسموعة، والكتابة هي القراءة الصامتة.

**يرى علماء اللغة أن للقراءة أنواعا:**

**.قراءة من أجل المطالعة:**

وهذا النوع من القراءة يتميز بأنه غير مهني وليس متخصصا، وهدفه تصفح الأخبار والجرائد للاطلاع والمتابعة فقط.

**.قراءة من أجل المتعة والتسلية:**

وهذا النوع هو الأكثر تداولا بين جميع الفئات العمرية، حيث يلجأ إليه الكثير من الصغار والكبار لقراءة المجلات الروايات والكتب، ولهم الحرية في

اختيار المادة المقروءة، ولهذا النوع فائدة كبيرة حيث يعد علاجا نفسيا للتخلص من المشاكل الحياتية اليومية، كما أنها تعد متنفسا للكثيرين من ضغوط الحياة.

**. قراءة من أجل الدراسة والعلم:**

وهي قراءة مقصورة على الطلاب في كل المراحل التعليمية، فيحصل الطالب من خلالها على معلومات تفيده في دراسته، أو في أبحاث خارجية بعيدة عن دراسته.

**. قراءة من أجل النقد المقارن:**

وهي قراءة بحثية يتقمص فيها القارئ دور الناقد، فيتمعن في النصوص الأدبية ويقرأ ما بين السطور، ليخرج بوجهة نظره التي يجب أن تكون موضوعية غير منساقة ولا متعاطفة مع النص، وعلى هذا الناقد أن يفرق بين الحقيقة والرأي ومدى قابلية هذا الرأي للتطبيق، وقد أفردت كلية دار العلوم قسما خاصا للنقد يسمى بقسم البلاغة والنقد والأدب المقارن يهتم بهذا النوع من القراءة الأدبية.

**. قراءة من أجل الاحتراف والإبداع والتقنية:**

وهي قراءة تنمي مدارك العقل للقارئ عندما يقرأ قصصا وأشعارا ومن ثم تجعله يبدع مؤلفات وروايات وأشعارا جديدة.

**. قراءة من أجل تعميق الفهم والمعرفة:**

وهي قراءة تحتاج إلى فهم واع وإلى مجهود ذهني صافي.

**. قراءة في الأدب وفنونه:**

وهي قراءة في فنون الأدب مثل الشعر والرواية والقصة والمسرح وغيرها.

### فوائد القراءة

يرى علماء النفس أن من فوائد القراءة تطوير النفس، وتثقيف الإنسان نتيجة تراكم الخبرات المعرفية، وكما أنها وسيلة للترفيه هي وسيلة لكبح جماح الشهوة والانحراف، وتنمي العقل وتهيئه للتعرف على ثقافات وحضارات جديدة من خلال قراءة مؤلفات تلك الحضارات، والتعرف عليها عن قرب فهي تقرب البعيد، وهي كما يقول الكاتب الكبير «جراهام جرين»: «أحيانا أفكر أن حياة الفرد تشكلت بواسطة الكتب أكثر مما ساهم البشر أنفسهم في تشكيل هذه الحياة».

كذلك من فوائدها أيضا زيادة مفردات اللغة لدى القارئ، فتجعله متحدثا لَبقا سريع البديهة ومناقشا جيدا لديه من الكياسة والفطنة ما يؤهله ليواجه أي مشكلة بسرعة، وبدون خجل، لأنها تنمي الثقة بالنفس لدى القارئ، بل وتعالج من يعاني من الانطوائية والخجل، وتزيد من ثقته في إنجاز ما يوكل إليه.

يقول العقاد: «القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة؛ لأنها تزيد هذه الحياة عمقا، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب».

يقدم لنا موقع «ويكيبيديا الموسوعة الحرة» إحصائية هامة ومحزنة في آن واحد، نصها:

«الوطن العربي يعاني من قلة القراءة ففي إحصائية وجد أن كل مليون عربي يقرؤون (٣٠) كتابا فقط».

إذن هذا يكشف لنا أن وضع القراءة في العالم العربي مزر للغاية، ونحن هنا نتحدث عن القراءة أيا كانت، - كتب الطبخ..إلخ - فما بالك بقراء النقد الأدبي، أو النص الإبداعي.

### بعض أسباب ضعف القراءة في العالم العربي

منها: الوضع الاقتصادي المتدهور الذي لا يسمح بشراء الكتب، إضافة إلى أن عناوين القراءة العربية تشير إلى أن العرب حتى اليوم لا يقرؤون، ولا يتخذون الكتاب صديقا ، ولا يعيرون القراءة اهتماما (٧٠) مليونا منهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، وهذا ما أدى إلى تفاقم الأمية لتبلغ أعلى مستوياتها في دول عربية عديدة، إضافة إلى انتشار الجهل بنسبة واسعة ومن المواطنين من يترك الدراسة بعد انتهاء المرحلة الابتدائية، ويلتحقون بسوق العمل فالناس، أو أغلب الناس، في العالم العربي لا يجدون قوت يومهم لذلك ظلوا يعتبرون لقمة الخبز أهم من الحرف، وصحن طعام أهم من جملة مفيدة، وكيسا من المواد الغذائية أهم بكثير من مقال في جريدة أو قصة قصيرة.

فلولا فضل القراءة لما كانت أول كلمة نزلت على نبينا محمد ﷺ هي «اقرأ».

يقول الأستاذ موسى أبو رياش القاص والناقد الأدبي: «أهمية القراءة لا يجهلها أحد، ولا يجادل في ضرورتها إنسان، ولا يجحد فضلها عاقل، وقد سطرت فيها ألوف الكتب، ودبجت حولها ملايين المقالات والرسائل والأبحاث. فلم تعد أهمية القراءة محل نقاش أو جدال أو شك أو معارضة، لا يختلف على القراءة أحد، ولكن قد يحدث الاختلاف عليها كأولوية وقوة تأثير ونوعية».

ويقول أيضا: «اقرأ فإن قارئ اليوم كاتب الغد».

اقرأ، اقرأ لتعيش، اقرأ لترتق، اقرأ لتسمو، اقرأ لتنتصر، اقرأ لأن في القراءة لذة ومتعة، عزة وشموخا، لو علمها أصحاب الجاه والسلطان، لما تركوها لنا، اقرأ واحمد الله.

. القراءة، قنديل من نور يضيء ظلمات الجهل.

. القراءة، نقطة اتصال بين الثقافات والحضارات المختلفة.

. القراءة، ترياق يعالج سموم الجهل والخرافات والتعصب.

. القراءة، ثراء لمن يعاني من فقر اللغة.

فاللغة العربية رحيق لن تستطيع استنشاقه بدون القراءة.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث




سلسلة الأعلام المتشابهة (١٢)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

**الحمد لله رب العالمين.**
**وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:**
**فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.**

## المتفق والمفترق في اسم «الغزي»:

**١- شهاب الدين الغزي (ت: ٨٢٢هـ):**

هو أبونعيم، شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن بدر العامري الغزي ثم الدمشقي، فقيه شافعي.

ولد بغزة سنة (٧٧٠هـ) ونشأ بها، وتحول إلى دمشق، فولي إفتاء دار العدل والتدريس في أماكن عدة، واشتهر برئاسة الفتوى.

من مصنفاته: «شرح الحاوي الصغير»، و«شرح مختصر المهمات للإسنوي»، و«شرح جمع الجوامع»، وغيرها من المصنفات.

ثم جاور بمكة في آخر عمره، ومات فيها (١).

**٢- رضي الدين الغزي (ت ٨٦٤هـ):**

هو أبوالبركات، رضي الدين محمد بن أحمد بن عبدالله بن بدر، ابن شهاب الدين العامري الغزي، مؤرخ من الشافعية.

ولد بدمشق سنة (٨١١هـ)، ونشأ بها وتعلم وناب في القضاء بدمشق، وأفتى ودرس.

من كتبه: «بهجة الناظرين في تراجم الشافعية»، توفي بدمشق (٢).

**٣- شمس الدين الغزي (ت ٩١٨هـ):**

هو أبوعبدالله، شمس الدين محمد بن قاسم بن محمد الغزي، ويعرف بابن قاسم، وبابن الغرابيلي، فقيه شافعي.

ولد ونشأ بغزة سنة (٨٥٩هـ)، وتعلم بها وبالقاهرة وأقام بهذه وتولى أعمالا في الأزهر وغيره.

من كتبه: «فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب»، و«حاشية على شرح التصريف»، و«حواش على حاشية الخيالي في شرح العقائد النسفية» وغيرها من المصنفات (٣).

**٤- رضي الدين الغزي (ت ٩٣٥هـ):**

هو أبوالفضل، رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد العامري، الغزي، من علماء الشافعية.

ولد بدمشق سنة (٨٦٢هـ)، وولي قضاءها.

وصنف كتبا، منها: «جامع فرائد الملاحة، في جوامع فوائد الفلاحة» في الزراعة، و«الدرر اللوامع، نظم جمع الجوامع» في الأصول، و«ألفية في اللغة»، و«ألفية في علم الهيئة»، و«ألفية في الطب»، و«منظومة في علم الخط»، و«الإفصاح» مختصر في المعاني والبيان، وغيرها من المصنفات.

توفي بدمشق (٤).

**٥- بدرالدين الغزي (ت ٩٨٤هـ):**

هو أبوالبركات، بدرالدين محمد بن رضي الدين محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، فقيه شافعي، عالم بالأصول والتفسير والحديث.

ولد في دمشق سنة (٩٠٤هـ)، وكان كريمًا محسنًا، وهو أبو نجم الدين محمد المؤرخ.

له مئة وبضعة عشر كتابا، منها «الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد»، و«المراح في المزاح»، و«اللمحة في اختصار الملحة»، و«جواهر الذخائر في الكبائر والصغائر» قصيدة رائية في المواعظ، و«أسباب النجاح في آداب النكاح»، وغيرها من المصنفات.

ولزم بدرالدين العزلة في أواسط عمره، فكان لا يزور أحدًا من الأعيان ولا الحكام، بل يقصدونه، إلى أن توفي بدمشق (٥).

**٦- نجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ):**

هو أبوالمكارم، نجم الدين محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري القرشي الدمشقي، مؤرخ، باحث أديب.

ولد بدمشق سنة (٩٧٧هـ).

من كتبه: «الكواكب السائرة في تراجم أعيان المئة العاشرة»، و«لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر»، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه»، و«إتقان ما يحسن من بيان الأخبار الدائرة على الألسن»، وغيرها من المصنفات.

توفي بدمشق (٦).

**٧- أبوالمعالي الغزي (ت ١١٦٧هـ):**

هو أبوالمعالي شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن زين العابدين العامري الغزي، مؤرخ، كان مفتي الشافعية بدمشق.

ولد بدمشق سنة (١٠٩٦هـ).

من مصنفاته: «ديوان الإسلام» وهو تاريخ مختصر للعلماء والملوك وغيرهم، و«تراجم لبعض رجال الحديث»، و«لطائف المنة في فوائد خدمة السنة»، وغيرها من المصنفات.

توفي بدمشق (٧).

**٨- كمال الدين الغزي (ت ١٢١٤هـ):**

هو كمال الدين أبوالفضل محمد بن محمد شريف بن شمس الدين محمد الغزي العامري الحسيني الصديقي، مؤرخ نسابة أديب، مفتي الشافعية في دمشق.

ولد بدمشق سنة (١١٧٣هـ).

من مصنفاته: التذكرة الكمالية، المسماة: «الدر المكنون، والجمان المصون، من فرائد العلوم وفوائد الفنون»، و«المورد الأنسي في ترجمة الشيخ عبدالغني النابلسي»، و«النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل».

توفي بدمشق (٨).

**٩- نورالدين الغزي (ت ١٢٧٧هـ):**

هو أبوحفص، نورالدين عمر بن عبدالغني بن محمد شريف الغزي العامري، مفتي الشافعية بدمشق، وأحد فضلائها.

ولد بدمشق سنة (١٢٠٠هـ).

من مصنفاته: «هداية الأنام إلى خلاصة أحكام الإسلام»، و«التكرير الواقع في القرآن»، و«الكواكب الدرية» في شرح منظومة لجده بدرالدين في النحو.

نفته الحكومة العثمانية سنة (١٢٧٧هـ)، على إثر فتنة بدمشق إلى جزيرة قبرص، فتوفي بها بعد خمسة أشهر (٩).

---

**الهوامش**

١- ينظر الضوء اللامع (٣٥٦/١)، والبدر الطالع (٧٥/١)، والأعلام للزركلي (١٥٩/١).

٢- ينظر الضوء اللامع (٣٢٤/٦)، والأعلام (٣٣٣/٥).

٣- ينظر شذرات الذهب (٢٤٢/٨)، والأعلام للزركلي (٦/٧).

٤- ينظر الكوكب السائرة (٣/٢)، والأعلام للزركلي (٥٦/٧).

٥- ينظر الأعلام للزركلي (٥٩/٧)، ومعجم المؤلفين (١١١/٩).

٦- ينظر خلاصة الأثر (١٨٩/٤)، والأعلام للزركلي (٦٣/٧).

٧- ينظر سلك الدرر (٥٣/٤)، والأعلام (١٩٧/٦).

٨- ينظر الضوء اللامع (٢٥٥/٦)، والأعلام (٧١/٧).

٩- ينظر الضوء اللامع (٢٥٥/٦)، والأعلام (٥١/٥).

د. أحمد راشد إبراهيم
مدرس بكلية دار العلوم
مصر

# لا يلعب اليأس العضال بهمتي

سأكون فوق الجهل والسفهاء كالنجم مبلغه ذرا العلياء
ويطيب لي نشد الفضائل دائما نهما وتلك مطالب السعداء
أسعى لتزكية النفوس وأهلها وأعيد ذكرى النبل للنبلاء
لا يلعب اليأس العضال بهمتي فيصدني عن دعوتي وبلائي
لا يثنني حب المطالب والدنا عن نقل خاطرتي إلى الفضلاء
العلم في قلبي وملء مقالتي سأعيش أنقله عن العلماء
هم الرواسي رغم أنف عداهم فافطن مقالي يا أخا البلغاء

قصة : فتحي أبو المجد
قاص - مصر

# بين دهشة.. وأخرى

رغم أنه رزق بأربع بنات على مدار عمر زواجه الممتد، فإنه لم ينل من السعادة ما كان يتمناه، ظل يصلي.. يعتكف.. يدعو.. يبتهل، ينذر النذور، يتمنى أن يكون وليده القادم ذكرا، يبهج دنياه، يشد أزره، يفاخر به بين أهله، يحمل اسمه، يكنى به، يشد شعرات شاربه الأشيب.

كان قابعا بغرفة مكتبه الضيقة لا يبرحها، ولما يئس من قدرة الهاتف على تبديد ما به من ترقب، خرج مهموما إلى فناء النقطة، حاملا توجسه فوق جسده السمين، ظل منتصبا وسط الحديقة بزيه «الميري» حاول الهرب من أفكاره المتلاطمة كالأمواج العاتية، كرر دون وعي ما ظل يفعله داخل غرفة «السلاحليك»، فواصل الذهاب والإياب داخل مربع الحديقة الخضراء، احتلت مخيلته ذكريات السنوات الماضية، التي تركت بصماتها على شعر رأسه الأشيب، أعواما كثيرة قضاها في العمل متنقلا من بلد إلى آخر، حتى استقر المقام به أخيرا في مسقط رأسه جنوبا، بقرية «الشيخ سالم» بالصعيد.

سحب أنفاسه من أعماقه بشدة.. تساءل: ربما شارفت على الموت كالمرة الأخيرة.. يومها كان منقولا لتوه من مديرية أمن الجيزة، إلى شرطة مطافئ المنيا.. وجد نفسه بعد تلك السنوات الطوال وحيدا غريبا، عاريا إلا من زوجته وبناته الأربع، ساعتها لعن وظيفته الحكومية، التي ظلت تجرجره في البلاد، قرر تقديم التماس بالنقل إلى بلدته، وقد أجيب طلبه بالموافقة، نظرا لما ساقه الرجل في التماسه من ظروف بالغة القسوة، وما كان يتمتع به من سمعة طيبة في عمله، مر الوقت ثقيلا متباطئا، وهو مازال غارقا في ذكرياته، كان خائفا أن يجد نفسه أمام هول اللحظات التي عاشها سابقا بكل جساماتها.

– المولود بنت زي القمر..

ظن أن هذه المرة قد تختلف، فلأول مرة ستضع زوجته مولودهما القادم بين الأهل، اختنق فجأة.. لاح أمامه زميله «شاويش السويتش» صارخا:

مبروك يا حضرة الصول.. رزقت من لحظات بولد.. أنا رديت على تليفون البيت، وجاءني الخبر من بناتك..

كانت المفاجأة كافية بأن تلجم الصول بركات، فلم ينطق بحرف، وبين دهشة وأخرى، انفرجت أساريره، واندفع إلى الشاويش عبدالعاطي يعانقه، ويغرقه بسيل من قبلاته، ثم جرى مسرعا إلى مكتب مأمور النقطة مرددا في ذهول:

ـ عن إذن سعادتك يا فندم.. أوصل البيت أحضن المولود يا فندم، تمام يا فندم.. ولد يا فندم...

وفر مسرعا خارج نقطة الشرطة.



هبة محمد أبو الفتوح
مصر

**شيخ الخطاطين المعاصرين محمود إبراهيم سلامة لـ «الوعي الإسلامي»**

# الخط العربي يملك مميزات فنية وجمالية فريدة



**يمثل فن الخط العربي أحد الفنون، التي برع فيها كثير من الخطاطين على امتداد العالم الإسلامي قديما وحديثا، وهو يعد من أخصب ميادين الإلهام والإبداع في الفنون الإسلامية، حتى صار علمًا له قواعده وأصوله، وصار الخطاط يستخدم الحرف العربي في كافة الأغراض الفنية الزخرفية، وما يتصل بها من فنون.**

**وحول هذا المعنى التقت «الوعي الإسلامي» محمود إبراهيم سلامة الملقب بـ «شيخ الخطاطين المعاصرين» لبيان أهمية فن الخط العربي باعتباره أساس الفنون التشكيلية الحديثة، وبيان عناصر وجماليات الخط العربي والشروط التي يجب أن يلتزم بها الخطاط، فكان معه الحوار التالي:**

**- اشتهرتم بلقب شيخ الخطاطين المعاصرين، لماذا هذا اللقب؟**

- هذا اللقب أطلقه علي رجال الصحافة والإعلام؛ لأنه حسب معلوماتي أنا أكبر الخطاطين سنا، حيث بدأت ممارسة فن الخط وأنا في الرابعة من عمري عندما التحقت بكُتّاب القرية، وأول مرة أمسكت فيها بالقلم في هذه السن بدأت بتنميق الخط وتجويده، حتى قبل أن أعرف ماذا أكتب، وأنا من مواليد عام (١٩١٩م)، أي أنني مارست كتابة الخط العربي منذ عدة عقود.

**- قلتم إنكم مارستم فن الخط العربي منذ عدة عقود، نرجو منكم تسليط الضوء على بداية رحلتكم مع هذا الفن؟**

- التحقت في بداية حياتي بكُتّاب القرية في مدينة «الزقازيق» لكي أتعلم القراءة والكتابة، وأمسكت بالقلم والمحبرة واللوحة، ثم التحقت بالمدرسة التحضيرية، وبعد أن أتممت دراستي بها التحقت بعد ذلك بمدرسة المعلمين الأولية، واستمرت دراستي بها لعدة شهور أو سنة على الأكثر.

والتحقت بكلية التجارة التي تخرجت منها عام (١٩٥٢م)، وبعد التخرج بدأت أبحث عن عمل كخطاط، وتقدمت للصحف والمجلات، وبالفعل بدأت العمل كخطاط، وأكثر ما اشتهرت به كتابة «العناوين العريضة» في عدة صحف مصرية، منها جريدة «الكتلة»، و«الزمان»، ومجلة «التحرير»، وجريدة «الجمهورية» التي بدأت العمل فيها عام (١٩٥٤م)، وبقيت فيها حتى عام (١٩٧٩م)، وهو سن التقاعد أو الإحالة للمعاش، وبعد ذلك سافرت للعمل كخطاط في ليبيا، وشرفت بكتابة أربعة مصاحف هناك، كان أشهرها برواية قالون عام (١٩٨٣م)، ثم عدت إلى مصر، وبدأت بكتابة اللوحات، كما بدأت بكتابة المصحف برواية حفص عن عاصم، ثم بدأت بكتابة المصحف بخط الثلث، وبحجم (١٠٠ في ٧٠سم) لكي أدخل به «موسوعة جينس» العالمية.

**- خلال هذه الرحلة الطويلة مع فن الخط العربي، هل ترى للخط العربي قيما معينة يجب أن يلتزم بها الخطاط؟**

- نعم هناك مفاهيم وقيم تحكم الخطاط في عمله حتى تكون عنده قابلية للعمل كخطاط، أولها: الموهبة، وثانيها: الثقافة اللغوية؛ لأنه يوجد بعض الخطاطين ليس عندهم ثقافة لغوية، وهذا يظهر عند التشكيل، وبالتالي يفقد الخطاط قيمته فلابد أن يكون الخطاط عنده وعي كاف بهذه المسألة.



**- هل هناك فرق بين الخطاط والرسام من وجهة نظرك؟**

- نعم الرسام غير الخطاط، فلو عمل الرسام في عمل الخطاط سيخرج لنا مسخ.

**- ترى ما هي المميزات الجمالية التي يتمتع بها الخط العربي؟**

- يحظى الخط العربي بعدة مميزات فنية وجمالية، لا تتوفر فيما عداه من خطوط اللغات الأخرى؛ لأن الخط العربي يعتمد جماليا على قواعد خاصة، تنطلق من التناسب بين الخط والنقطة والدائرة، وتستخدم في أدائه فنيا العناصر نفسها التي تعتمدها الفنون التشكيلية الأخرى.

**- بم تنصح الجيل الجديد من الخطاطين؟**

- أنصحهم:

أولا: أن ينتقد الواحد نفسه بنفسه، وعندما يرى أنه قد أجاد من أول مرة، فإنه لن يستطيع أن يستمر في تطوير نفسه وتجويد خطه.

ثانيا: أنصح الجيل الجديد من شباب الخطاطين أن يكون عندهم الرغبة الحقيقة في تجويد خطه والإبداع في عمله؛ لأن الموهبة وحدها لا تكفي، ولابد من صقل هذه الموهبة عن طريق التدريب والدراسة في مدارس الخط.

**- من وجهة نظرك، هل فن الخط العربي يلقى الاهتمام اللازم الآن؟**

- للأسف الشديد هذا الفن يواجه الإهمال والتقصير الشديد، أولًا من قبل كليات الفنون الجميلة ووزارات التعليم في وطننا العربي والإسلامي، وأتمنى من القائمين على مناهج التعليم في وطننا العربي والإسلامي أن يهتموا أكثر بهذا الموضوع؛ لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم التي كتب الله لها الخلود وهي لسان أهل الجنة، ويجب أن يدركوا أن فن الخط العربي هو أساس الفن التشكيلي بالدرجة الأولى، وعلى الرغم من هذا وجدنا أن بعض الشباب المتحمسين قاموا بجهود شخصية منهم للحفاظ على أصالة وجمال الخط العربي في مواجهة ما يقوم به البعض من استخدام خطوط الحاسب الآلي التي هي عبارة عن قوالب صامتة مرصوصة لا إبداع فيها، فهي تقضي على الإبداع لدى الموهوبين في كتابة الخط العربي، وهذه كارثة.

**محمود إبراهيم سلامة في سطور:**

● ولد في الأول من شعبان عام (١٣٣٧هـ) الموافق الأول من مايو عام (١٩١٩م) بقرية المسلمية بمدينة الزقازيق التابعة لمحافظة الشرقية.

● تلقى تعليمه الأول في كُتَّاب القرية، والتحق عام (١٩٣٦م) بمدرسة تحسين الخطوط الملكية ليتخرج فيها، ويكون الأول على دفعته عام (١٩٣٩م)، ثم حصل على دبلوم التخصص والتذهيب عام (١٩٤١م).

● عمل مسؤولا عن القسم الفني وكتابة العناوين (المانشتات) في عدة صحف مصرية، بداية من جريدة «الكتلة»، ثم «الزمان»، ثم العمل بمجلة «التحرير»، ثم جريدة «الجمهورية» عام (١٩٥٤م)، التي استمر فيها حتى عام (١٩٧٩م).

● شرف بكتابة المصحف الشريف ست مرات طُبع أولها برواية قالون بليبيا عام (١٩٨٣م)، والثانية برواية ورش عام (١٩٨٥م)، والمصحفان الثالث والرابع برواية قالون عامي (١٩٨٨م، و١٩٩٢م)، والمصحفان الخامس والسادس برواية حفص عن عاصم بخط الثلث.

● تزينت الكثير من أغلفة الكتب العربية بخطه، كما صنع سلسلة ميسرة في تعليم الخط العربي، شملت الخطوط الرئيسية: النسخ، والرقعة، والثلث، والفارسي، والديواني، والكوفي.

● تلمذ له العديد من كبار خطاطي الخط العربي داخل مصر وخارجها، ونال العديد من الجوائز والتكريمات، منها أربع جوائز من الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية «إرسيكا»، وتكريم في الملتقى الأول لكتبة المصحف الشريف بالمدينة المنورة عام (٢٠١١م) بوصفه أكبر خطاط في العالم الإسلامي.

د. عبد الواحد عبد الله الخميسي
الأستاذ بجامعة الإيمان
اليمن

### من وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن والسنة

# التشبيه وأغراضه البلاغية في القرآن والسنة

**التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم: «فلان كالبحر، أو كالليث» إنما يريدون كالبحر سماحة وعلما، وكالليث شجاعة، وليس يريدون ملوحة البحر، ولا شتامة الليث وزهوقته، فوقوع التشبيه إنما هو أبدا على الأعراض لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد، اختلفت أنواعها أو اتفقت».**

ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء لها وللنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، فهي تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه؛ وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقا للعقل وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجردا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر لم يتأكد قبحه في العقول كما يتأكد إذا مثل بالظلمة.

وفي ضرب المثل أيضا تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي؛ ولأمر ما أكثَرها اللهُ في كتابه المبين، وفشتْ في كلام رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (العنكبوت:٤٣).

وفيما يلي طائفة تطبيقية على التشبيه من القرآن الكريم والسنة الشريفة:

**أولا: من القرآن الكريم**

١- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ (العنكبوت:٤١-٤٢).

شبه سبحانه وتعالى ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت، وإذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، فقد تبين أن دينهم أوهن الأديان لو كانوا يعلمون.

ويمكن أن يقال: مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله، كمثل عنكبوت يتخذ بيتا بالإضافة إلى رجل يبني بيتا بآجر وجص أو ينحته من صخر، وكما أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون.

أو يقال: إنه تعالى شبه الكفار في عبادتهم الأصنام وبنائهم جميع أمورهم على ذلك، بالعنكبوت التي تبني وتجتهد وأمرها كله ضعيف متى مسته أدنى هابة أذهبته، فكذلك أمر أولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد.

٢- قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ (الجمعة:٥).

لما أوردوا تلك الشبهة، وهي أنه عليه السلام بعث إلى العرب خاصة، ولم يبعث إليهم بمفهوم الآية، أتبعه الله تعالى بضرب المثل للذين أعرضوا عن العمل بالتوراة، والإيمان بالنبي عليه الصلاة والسلام، والمقصود منه أنهم

لما لم يعملوا بما في التوراة شبهوا بالحمار؛ لأنهم لو عملوا بمقتضاها لانتفعوا بها، ولم يوردوا تلك الشبهة؛ وذلك لأن فيها نعت الرسول عليه السلام، والبشارة بمقدمه، والدخول في دينه.

قال أهل المعاني: هذا المثل مثل من يفهم معاني القرآن ولم يعمل به، وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يؤدوا حقها، ولم يحملوها حق حملها، فشبههم والتوراة في أيديهم وهم لا يعملون بها بحمار يحمل كتبا، وليس له من ذلك إلا ثقل الحمل من غير انتفاع مما يحمله، كذلك اليهود ليس لهم من كتابهم إلا وبال الحجة عليهم.

٣- قوله عز وجل: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف:١٧٥-١٧٦).

شبه العالم الذي يتكب عن علمه وينسلخ عنه ولا ينتفع به بالكلب إن شد عليه وهيج لهث، وإن ترك أيضا لهث؛ لأجل أن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له، فكذلك هذا الحريص الضال إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال؛ لأجل أن ذلك الضلال والخسارة عادة أصلية وطبيعة ذاتية له.

٤- قوله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (آل عمران:١١٧).

شبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر، ولا يبتغون به وجه لله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدا، يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته.

والصر: قيل: هو البرد الشديد.

وقيل: هو النار.

وقيل: الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها.

والأقوال الثلاثة متوافقة ومتلازمة، أي: هو برد شديد محرق، يصحبه صوت شديد، وييبس به الحرث كما تحرقه النار. وتوافق هذه المعاني الثلاثة وائتلافها في معنى واحد، شامل لكل معاني اللفظ: هو سر من الأسرار البلاغية للقرآن الكريم.

٥- قوله جل وعلا: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (البقرة:١٧).

والمعنى المراد بالآية: أنها ضرب مثل للمنافقين؛ وذلك أن ما يظهرونه من الإيمان الذي تثبت لهم به أحكام المسلمين من المناكح والتوارث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم وأموالهم بمثابة من أوقد نارا في ليلة مظلمة فاستضاء بها، ورأى ما ينبغي أن يتقيه وأمن منه، فإذا انطفأت عنه أو ذهبت وصل إليه الأذى وبقي متحيرا، فكذلك المنافقون لما آمنوا اغتروا بكلمة الإسلام، ثم يصيرون بعد الموت إلى العذاب الأليم كما أخبر التنزيل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (النساء:١٤٥)، ويذهب نورهم؛ ولهذا يقولون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ (الحديد:١٣).

وقيل: إن إقبال المنافقين إلى المسلمين وكلامهم معهم كالنار، وانصرافهم عن مودتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها.

٦- قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ (البقرة:١٩-٢٠).

مثل المنافقين بأصحاب مطر غزير، فيه ظلمات ورعد وهدير، أصابهم في ليلة مظلمة، وقفراء مدلهمة فيه برق يلمع، وصاعقة تقمع، إذا ضرب الرعد وعظم صوته جعلوا أصابعهم في آذانهم من الهول والخوف؛ حذرا من موت أنفسهم وقد ماتت أرواحهم وقلوبهم، وإذا ضرب البرق كاد أن يخطف أبصارهم، فإذا لمع أبصروا الطريق ومشوا فيها، وإذا أظلم عليهم قاموا متحيرين حائدين عن عين التحقيق، والله من ورائهم محيط، ولو شاء الله لذهب بسمعهم بصوت ذلك الرعد، وأبصارهم بلمعان ذلك البرق، إن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

٧- قوله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ (الكهف:٤٥).

في هذه الآية الكريمة مثل ربنا تعالى الحياة الدنيا بغيث نزل من السماء فاختلطت به نبات الأرض؛ وحينئذ يربو ذلك النبات ويهتز ويحسن منظره كما قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾(الحج:٥)، ثم إذا انقطع ذلك مدة جف ذلك النبات وصار هشيما والهشيم النبت المتكسر المتفتت، وإذا صار النبات كذلك طيرته الرياح، وذهبت بتلك الأجزاء إلى سائر الجوانب، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ بتكوينه أولا، وتنميته وسطا، وإبطاله آخرا، وأحوال الدنيا أيضا كذلك تظهر أولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن تنتهي إلى الهلاك والفناء، ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يبتهج به.

ويمكن أن يقال: إنما شبه تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على واحد، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعا منبتا، وإذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه» أخرجه مسلم، برقم: (١٠٥٤).

وخلاصة الأمر: أن هذه الآية الكريمة شبهت حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة تبقى زمانا بهجة خضرة ثم يصير نبتها بعد حين إلى اضمحلال، ووجه الشبه: المصير من حال حسن إلى حال سيئ، وهذا تشبيه معقول بمحسوس لأن الحالة المشبهة معقولة إذ لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة، وأيضا شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجدة وزخرف العيش لأهله، ثم تقلص ذلك وزوال نفعه ثم انقراضه أشتاتا بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته ثم أخذه في الانتقاص وانعدام التمتع به ثم تطايره أشتاتا في الهواء، تشبيها لمركب محسوس بمركب محسوس.

٨- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ (النور:٣٩-٤٠).

شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله، وتنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر؛ شبه ذلك بسراب يراه الكافر بالأرض الجدباء وقد غلبه عطش يوم القيامة، فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده، فيأخذونه، فيعتلونه إلى جهنم، فيسقونه الحميم والغساق.

وشبهها ثانيا، أي: الأعمال، في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب.

٩- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ (الرعد:١٤).

ضرب الله عز وجل الماء مثلا ليأسهم من الإجابة لدعائهم؛ لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماء باليد، قال الشاعر:

**فأصبحت فيما كان بيني وبينها**
**من الود مثل القابض الماء باليد**

### وفي معنى هذا المثل ثلاثة أوجه:

**أحدها:** أن الذي يدعو إلها من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه، ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا؛ لأن الماء لا يستجيب، وما الماء ببالغ إليه. قاله مجاهد.

**الثاني:** أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفه فيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه؛ لكذب ظنه وفساد توهمه. قاله ابن عباس.

**الثالث:** أنه كباسط كفه إلى الماء ليقبض عليه، فلا يجمد في كفه شيء منه.

وهكذا نجد في جميع تصرفات التشبيه أنه لا ينفك عن إفادة المبالغة، وإلا لم يكن تشبيها؛ لأن إفادته للمبالغة هو مقصده الأعظم، وبابه الأوسع؛ ولهذا فإنك لا تكاد تجد تشبيها خاليا عن مقصود المبالغة على حال، وكلما كان الإغراق في التشبيه والإبعاد فيه وكونه متعذر الوقوع والحصول، كان أدخل في البلاغة، وأوقع فيها.

## ثانيا: من السنة النبوية

وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تتضمن تشبيهات رائعة، منها:

١- ما رواه ابن عمر رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال فقال: هي النخلة. قال: فذكرت ذلك لعمر رضي الله عنه، فقال: لأن تكون قلت: هي النخلة أحب إلي

من كذا وكذا». (رواه البخاري، برقم: ٦٢، ومسلم، برقم: ٢٨١١).

قال العلماء: شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس، وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعا وحطبا وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا وأواني وغير ذلك، ثم آخر شيئ منها نواها وينتفع به علفا للإبل، ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها، فهي منافع كلها وخير وجمال كما أن المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه ومواظبته على صلاته وصيامه وقراءته وذكره والصدقة والصلة وسائر الطاعات وغير ذلك، فهذا هو الصحيح في وجه التشبيه.

وقيل: وجه الشبه أنه إذا قطع رأسها ماتت بخلاف باقي الشجر.

وقيل: لأنها لا تحمل حتى تلقح والله أعلم.

٢- حديث أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب الأرض، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا، وأصاب طائفة أخرى منها الماء، وهي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». (رواه البخاري، برقم: ٧٩، ومسلم، برقم: ٢٢٨٢).

أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث.

ومعناه: أن الأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس:

فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيى بعد أن كان ميتا وينبت الكلأ، فتنتفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به، ويعلمه غيره، فينتفع وينفع.

والنوع الثاني من الأرض مالا تقبل الانتفاع في نفسها؛ لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة؛ لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهل للنفع والانتفاع، فيأخذه منهم فينتفع به فهؤلاء نفعوا بما بلغهم.

والنوع الثالث من الأرض السباخ التي لا تنبت ونحوها، فهي لا تنتفع بالماء، ولا تمسكه لينتفع به غيرها، وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم، والله أعلم.

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع (١) من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة (٢) صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء» (رواه البخاري، برقم: ٥٦٤٤).

ومعنى هذا الحديث: أن المؤمن من حيث جاءه أمر الله انطاع له ولان له ورضي به، وإن جاء مكروه رجا فيه الخير، وإذا سكن البلاء اعتدل قائما بالشكر لربه على البلاء، بخلاف الكافر فإن الله عز وجل لا يبتليه باختبار، بل يعافيه في دنياه، وييسر عليه أموره؛ ليعسر عليه في معاده، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه قصم الأرزة الصماء؛ ليكون موته أشد عذابا عليه وألما.

٤- قوله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» (رواه البخاري، برقم: ٦٤١٦).

وبيان ذلك أن الغريب قليل الانبساط إلى الناس؛ بل هو مستوحش منهم؛ إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه فيأنس به، ويستكثر بخلطته فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه وخفته من الأثقال غير متشبث بما يمنعه من قطع سفره، معه زاد وراحلة يبلغانه إلى بغيته من قصده، وهذا يدل على إيثار الزهد في الدنيا، وأخذ البلغة منها والكفاف، فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر مما يبلغه إلى غاية سفره، فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل.

## الهوامش

١- الخامة من الزرع: هي الغضة الرطبة، قال الطرماح:

إنما نحن مثل خامة زرع فمتى يأن يأت محتصده.

٢- الأرزة: الثابتة من الشجر، وجمعها: الأرز، وهو شجر معروف بالشام، ويسمى بالعراق الصنوبر.

## المراجع


١- العمدة في محاسن الشعر، لابن رشيق القيرواني.
٢- أنوار الربيع في أنواع البديع، لعلي ميرزا.
٣- تفسير الكشاف، للزمخشري.
٤- تفسير ابن عطية المحر الوجيز.
٥- تفسير مفاتيح الغيب، للرازي.
٦- تفسير ابن القيم.
٧- البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد، لابن عجيبة.
٨- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.
٩- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور.
١٠- شرح النووي على صحيح مسلم.
١١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني.
١٢- شرح صحيح البخاري، لابن بطال.

د.عبدالقادر محجوبي
باحث في الدراسات القرآنية - المغرب

# في «بدل وتبدل واستبدل» .. المتروك هو المقرون بالباء

نشرت المجلة الجامعة «الوعي الإسلامي» في عددها (٦١٦) الصادر في ذي الحجة سنة (١٤٣٧هـ) الموافق لسبتمبر، أكتوبر سنة (٢٠١٦م) في (ص٢٢) و(ص٢٣)، مقالا في زاوية «مناسبات» تحت عنوان: «أعقاب الطاعات أعياد» للكاتب الصحفي السيد حسين وهدان، وجاء في نهاية مقدمة المقال عبارات استوقفتني، وهي: «... ويستبدلوا ذنوبهم بأعمال صالحات»، وبدا لي أن صاحب المقال جزاه الله تعالى خيرا قصد من خلال هذه الكلمات أن العصاة يمكنهم تحويل ذنوبهم إلى حسنات، وذلك بفعل الأعمال الصالحات، حسب ما فهمت من سياق الكلام الذي أراد إيصاله إلى فهم القارئ الكريم.

إلا أنه وبالتدقيق في تلك العبارات وفي قواعد اللغة وطرق الكتابة بها، بدا لي أن المعنى المراد منها غير صحيح وغير منضبط للفهم السليم ولما يراد من الإضافات للبعض من الكلمات إلى بعضها الآخر، ولما يقترن بها من الحروف، بل معناها على النقيض مما هو ثابت في الكتب المتخصصة وفي غيرها ممن تناولت وجوه استعمال الأسماء والأفعال والحروف أثناء الحديث أو الكتابة.

**«استبدل» فعل مزيد يتعدى بنفسه وبالحرف**

فـ «استبدل» فعل مزيد يتعدى بنفسه وبالحرف، وأصله من بدل، دخلت عليه ثلاثة من حروف الزيادات التي هي على التوالي: الألف والسين والتاء، فصار على صيغة «استفعل».

ولبيان ما أدعي وأرى أنه صوابا، يمكن الإدلاء والتوقف مع أدلة معجمية، وأخرى من كتاب الله.

فأما الأدلة المعجمية، فمنها قول ابن منظور: «وتبدل الشيء وتبدل به واستبدل واستبدل به كله: اتخذ منه بدلا. وأبدل الشيء من الشيء

وبدله: تخذه منه بدلا. وأبدلت الشيء بغيره وبدله الله من الخوف أمنا. وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببدل. واستبدل الشيء بغيره وتبدله به إذا أخذه مكانه» (١) بالتخلي عنه لسبب يوجب ذلك، أو لاختيار بدا راجحا يقوي الترك لذلك الشيء الذي لم يعد صالحا أو لم يعد ذا فائدة بالنسبة لمن استبدله.

وقال الأزهري: «يقال: أبدلت الخاتم بالحلقة: إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه. وبدلت الخاتم بالحلقة: إذا أذبته وسويته حلقة. وبدلت الحلقة بالخاتم: إذا أذبتها وجعلتها خاتما... وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى والجوهرة بعينها. والإبدال: تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى... ألا ترى أنه نحى جسما وجعل مكانه جسما غيره؟» (٢) يختلف عنه في الشكل والتكوين، وقد لا يشبه الجسم الذي تمت تنحيته، وقد يحاكيه، ففي المثال الأول الذي تم تركه والتخلي عنه هو الحلقة التي حل محلها خاتم وهذا الترك أو التخلي دل عليه تعدي بدل بحرف الباء، باء البدلية أو العوض أي تعويض هذا بذاك؛ وفي المثال الثاني الذي تم تركه والتخلي عنه هو الخاتم الذي حلت مكانه حلقة؛ فالمثالين معا دالين ويدلان على نوع من الإبدال.

وأما الدليل من كتاب الله تعالى، على ما أدعي وأرى أنه صوابا، فقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة:٦١).

قال الطاهر ابن عاشور: «وقوله: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ هو من كلام موسى وقيل: من كلام الله، وفي الاستبدال للخير بالأدنى النداء بنهاية حماقتهم وسوء اختيارهم.

وقوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ﴾ السين والتاء فيه لتأكيد الحدث وليس للطلب، وفعل استبدل مشتق من البدل بالتحريك مثل شبه، ويقال بكسر الباء وسكون الدال مثل شبه، ويقال بديل مثل شبيه، وقد سمع في مشتقاته: استبدل وأبدل وبدل وتبدل، وكلها أفعال مزيدة، ولم يسمع منه فعل مجرد، وكأنهم استغنوا بهذه المزيدة عن المجرد، وظاهر كلام صاحب الكشاف في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ (النساء: ٢) أن استبدل هو أصلها وأكثرها، وأن تبدل محمول عليه، لقوله: والتفعل بمعنى الاستفعال غزير، ومنه التعجل بمعنى الاستعجال، والتأخر بمعنى الاستئخار.

## أفعال مادة «بدل» تدل على جعل شيء مكان شيء

وجميع أفعال مادة البدل تدل على جعل شيء مكان شيء آخر من الذوات أو الصفات، أو عن تعويض شيء بشيء آخر من الذوات أو الصفات.

ولما كان هذا معنى الحدث المسوغ منه الفعل اقتضت هذه الأفعال تعدية إلى متعلقين: إما على وجه المفعولية فيهما معا، مثل تعلق فعل الجعل، وإما على وجه المفعولية في أحدهما والجر للآخر، مثل متعلقي أفعال التعويض كاشترى، وهذا هو الاستعمال الكثير، فإذا تعدى الفعل إلى مفعولين، نحو ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ٤٨) كان المفعول الأول هو المزال، والثاني هو الذي يخلفه، نحو قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾(الفرقان:٧٠)، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾، وقولهم: أبدلت الحلقة خاتما، وإذ تعدت إلى مفعول واحد وتعدت إلى الآخر بالباء وهو الأكثر، فالمنصوب هو المأخوذ، والمجرور هو المبذول، نحو قوله هنا: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(البقرة:١٠٨)، وقوله في سورة النساء: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾، وقد يجر المعمول الثاني بمن التي هي بمعنى باء البدلية.

وقد يعدل عن تعدية الفعل إلى الشيء المعوض ويعدى إلى آخذ العوض، فيصير من باب أعطى، فينصب مفعولين، وينبه على المتروك بما يدل على ذلك، من نحو من كذا، وبعد كذا، كقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور: ٥٥) التقدير: ليبدلن خوفهم أمنا. هذا تحرير طريق استعمال هذه الأفعال.

ووقع في الكشاف عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ ما يقتضي أن فعل بدل له استعمال غير استعمال فعل استبدل وتبدل، بأنه إذا عدي إلى المعمول الثاني بالباء كان مدخول الباء هو المأخوذ، وكان المنصوب هو المتروك والمعطي، فقرره القطب في شرحه بما ظاهره

أن بدل لا يكون في معنى تعديته إلا مخالفا لتبدل واستبدل، وقرره التفتازاني بأن فيه استعمالين إذا تعدى إلى المعمول الثاني بالباء، أحدهما يوافق استعمال تبدل، والآخر بعكسه.

والأظهر عندي أن لا فرق بين بدل وتبدل واستبدل، وأن كلام الكشاف مشكل، وحسبك أنه لا يوجد في كلام أئمة اللغة، ولا في كلامه نفسه في كتاب «الأساس» (٣).

وبناء على هذا الكلام النفيس للعلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى فإن المأخوذ في كلام صاحب المقال هو المنصوب «ذنوبهم»، والمتروك أو المبذول هو المجرور، وهو «بأعمال صالحات»، وهذا ما لا يقصده وما لا يريده صاحبنا الصحفي، فهو يريد عكسه؛ وهو ما لا يستقيم معناه بالصيغة التي هي عليها العبارات المثبتة في مقدمة كلامه.

ومما له نفس الأثر، كبدل وتبدل واستبدل، فعل شرى بمعنى باع، واشترى بمعنى ابتاع، يتعديان بأنفسهما وبحرف الباء، باء المقابلة أو الثمن عند الفقهاء، قال الفيومي: «وتدخل على العوض، ويكون حاصلا ومتروكا، فالحاصل في جانب البيع وما في معناه، نحو: بعت الثوب بدرهم، وأبدلت الثوب بدرهم، فالدرهم حاصل، وعليه قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (يوسف:٢٠) أي: باعوه، فالثمن حاصل، وأما المتروك ففي جانب الشراء وما في معناه، نحو: اشتريت الثوب بدرهم، واتهبته منه بدرهم، فالدرهم متروك، وعليه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ (البقرة: ٨٦) فالآخرة متروكة...»(٤).

قال الطاهر ابن عاشور عند قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ (البقرة:١٦): «... والاشتراء افتعال من الشري وفعله شرى الذي هو بمعنى باع كما أن اشترى بمعنى ابتاع فاشترى وابتاع كلاهما مطاوع لفعله المجرد أشار أهل اللسان إلى أن فاعل هذه المطاوعة هو الذي قبل الفعل والتزمه فدلوا بذلك على أنه آخذ شيئا لرغبة فيه، ولما كان معنى البيع مقتضيا آخذين وباذلين كان كل منهما بائعا ومبتاعا باختلاف الاعتبار، ففعل باع منظور فيه ابتداء إلى معنى البذل والفعل ابتاع منظور فيه ابتداء إلى معنى الأخذ فإن اعتبره المتكلم آخذا لما صار بيده عبر عنه بمبتاع ومشتر، وإن اعتبره باذلا لما خرج من يده من العوض، عبر عنه ببائع وشار، وبهذا يكون الفعلان جاريين على سنن واحد. وقد ذكر كثير من اللغويين أن شرى يستعمل بمعنى اشترى والذي جرأهم على ذلك سوء التأمل في قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ فتوهموا الضمير عائدا إلى المصريين مع أن معاده واضح قريب، وهو سيارة من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ (يوسف: ١٩) أي باعوه، وحسبك شاهدا على ذلك قوله: وكانوا فيه من الزاهدين؛ أما الذي اشتراه فهو فيه من الراغبين ألا ترى إلى قوله: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ (يوسف: ٢١). وعلى ذينك الاعتبارين في فعلي الشراء والبيع كانت تعديتهما إلى المفعول، فهما يتعديان إلى المقصود الأصلي بأنفسهما وإلى غيره بالباء.

وإطلاق الاشتراء هاهنا مجاز مرسل بعلاقة اللزوم، أطلق الاشتراء على لازمه الثاني وهو الحرص على شيء والزهد في ضده، أي حرصوا على الضلالة، وزهدوا في الهدى، إذ ليس في ما وقع من المنافقين استبدال شيء بشيء، إذ لم يكونوا من قبل مهتدين.

ويجوز أن يكون الاشتراء مستعملا في الاستبدال وهو لازمه الأول، واستعماله في هذا اللازم مشهور (٥).

من خلال ما تقدم من الأدلة والآراء المنسوبة لأصحابها يظهر وبجلاء أن في بدل وتبدل واستبدل، وفي شرى واشترى، يكون المأخوذ أو الحاصل هو المفعول الأول، والمتروك أو المبذول هو الذي تدخل عليه الباء؛ وأن ما ذهب إليه صاحبنا وقرره في مقدمة مقاله لا يستقيم حسب سياق الكلام، فكان لا بد من هذا الإيضاح لتعميم الفائدة، ولتصويب ما أرى أنه خطأ يقع فيه كثير من الباحثين والكتاب، وحسبي فيما أزعم أدلة معجمية وأخرى قرآنية في متناول الجميع.

وما دام أن المراد من تلك الكلمات هو طرح الذنوب بفعل الخيرات، فإن تصويبها –بناء على الأدلة المتقدمة– يكون بعبارات منضبطة لتلك الأدلة، ويبدو هكذا: «ويستبدلوا أعمالا صالحات بذنوبهم»، أو بعبارات قريبة مما أراده أخونا الصحفي، وبالله التوفيق.

---

### الهوامش

١- لسان العرب لابن منظور، مادة (بدل).

٢- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، ولسان العرب، مادة (بدل).

٣- التحرير والتنوير للعلامة الطاهر ابن عاشور، (٥٢٣/١).

٤- المصباح المنير للفيومي، مادة (بوأ).

٥- التحرير والتنوير (٢٩٨/١).

منير محمد خلف
شاعر - سورية

# رسالة المعلم

قولوا لساعي العلم أن يتحملا
ما سوف يأتي من نعيم أو بلا
قولوا لساعد روحه: شكرا ليز
رع في الدروب على نداه فضائلا
قولوا لنهر عطائه: شكرا ليب
قى في الحضارة حاضرا لا راحلا
قولوا لكل أصابع مزجت بدمـ
ـع الورد بالطبشور أن تتكحلا
طوبى لمن جعل الكلام مقدسا
ومضى ليصنع بالعقول مشاعلا
وسما بتسمية العلوم قصائدا
أبياتها زرعت لهن قرنفلا
شكرا لـ (ريختر) عقلِه فهو الذي
سيظل ينتجُ من يديه أوائلا
طوبى لمن لبى الحياة معانقا
أبناءها متكاتفين مناهلا
ولدوا وكان الضوء يسبق نبضهم
واستبشروا بالعامرين منازلا
رسموا الحروف قلائدا من لؤلؤ
فتوسمت بجمالهن سنابلا
جعلوا مداد قلوبهم زيتا لمصـ
ـباح يضيءُ بدربكم متهللا
لو تعلمون بأي ليل ينزفو
ن طيور حكمتهم صباحا عاجلا
ويسطرون الضوء علما ساطعا
لنعيش حبا في المدى متواصلا

د. محمود فرغلي
باحث دراسات إسلامية
مصر

# الطفل العربي والقراءة



عديدة هي المؤشرات التي تؤكد قلة محصولنا - نحن العرب - من القراءة مقارنة بالأمم الأخرى، وكثيرة تلك الدراسات التي درست هذه الظاهرة بالفحص وتقديم الاقتراحات، خاصة أنها مشكلة مترامية الأطراف، ولها أبعادها الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية، ولذلك سنركز على جانب واحد من جوانبها، وهو المناهج الدراسية وأثرها على عملية القراءة.

إن جذور المشكلة فيما أرى تبدأ من المنهج الذي يدرسه الطفل العربي، وسيطرة التعليم البنكي كما أطلق عليه «باولو فريري»، وهو: «التعليم الذي يحرم الإنسان من لذة التساؤل والدهشة، حيث يظل الإنسان عقلا فارغا لتلقي ما يودع فيه، ومن ثم يصبح أكثر سلبية وتأقلما، بناء على مفهوم أن الإنسان الصالح هو الإنسان المتأقلم لملاءمة مجتمع القهر» (١)، وقد لا نبالغ حين نرى أن مناهجنا العربية وطرق تدريسها أحد الأسباب الرئيسة في انصراف الأطفال عن القراءة، وعدم تحولها إلى عادة مستمرة في مراحل حياتهم المختلفة، والدليل على ذلك ما تشير إليه الدراسات الميدانية التي أجرتها لجنة تحديث تعليم اللغة العربية بدولة الإمارات «أن النشاط الأكثر متعة بالنسبة للطلاب هو في الحقيقة نشاط المطالعة خارج إطار المنهج المدرسي» (٢)، ووفقا لهذا التناقض البادي بين إقبال هنا وإدبار هناك؛ ندرك أن المناهج وطرق تدريسها مصدر من مصادر الخلل، وهذا ما نحاول أن نسلط عليه الضوء في دراستنا، من خلال التركيز على النظرة التقليدية للغة وأثرها على انصراف الأطفال عن القراءة.

إن جملة من المفاهيم الخاطئة قد أسهمت في تفاقم المشكلة، وفداحة نتائجها، وكل حل بعيد عن تفكيك هذه المفاهيم وتصويبها هو ضرب من الخيال، وكل منهج لغوي لا يحول القراءة إلى سلوك مستمر، هو منهج قاصر فاقد لمبررات وجوده.

**اللغة.. أداة لتنمية الفكر والإبداع وإصلاح العقل**

### النظرة التقليدية للغة

دائما ما يكون الوعي عرضة للتزييف أو التغييب، وذلك بسبب هشاشة عناصره وتعرضها للتغير المستمر، نظرا لارتباطه الوثيق بواقع يؤطره ويرسم له صورة ذهنية تتمثل في مجموعة المعتقدات والمعارف التي يحتفظ بها الفرد عن البشر، والموضوعات المختلفة وفقا لنظام معين، هذه الصورة من أهم وسائل الوعي في تنظيم الخبرة والتعامل مع الوجود الخارجي ومكوناته، وحاجة الوعي ماسة للصورة الذهنية، تجعله يشكل صورا مبسطة لما يرغب في التعامل معه، وتلك الصور كثيرا ما تكون قاصرة أو زائفة أو مشوهة، مما يحولها في أحيان كثيرة من أداة تعين الوعي إلى حجب تحول بينه وبين رؤية الأشياء على ما هي عليه (٣)، ليتحول الوعي إلى نوع من الوعي الزائف الذي يضر ولا ينفع، ولو تأملنا هذا الوعي نجد أنه يتسم بالثبوتية والتكلس



وعدم القدرة على التجدد، تعصف به الأهواء، ويسيطر عليه الجمود، حتى يصبح هو واللاوعي سواء، وهذا ما نلمسه في طريقة تعامل مناهجنا مع اللغة، وما يقدم للقارئ الصغير، وفي هذا الإطار نطرح السؤال التالي:

هل اللغة مجرد وعاء ناقل على نحو ما تتعامل كثير من مناهج اللغة العربية؟

إن الفكر اللغوي الحديث يجيب عن هذا السؤال بالنفي، فاللغة ليست مجرد وعاء ناقل بل أداة لتنمية الفكر والإبداع وإصلاح العقل، بل إنها تمثل نهجا معرفيا ضروريا لأية نهضة مرتجاة، فهي «بأدواتها وإشكالياتها وفنونها: أدبا وشعرا، هي وسيلتنا لإصلاح عقولنا؛ إنسانية وآلية وجمعية، ولتنمية تفكيرنا؛ نقديا وإبداعيا ولزيادة إسهامنا في إنتاج المعرفة»(٤)، والوظيفة الوعائية - وهي أساسية فيها بحكم جهازها الترميزي والإشاري - تهدر الطاقات الفعالة في اللغة، ويكون ذلك على حساب أدوارها الأخرى الذهنية والتواصلية والوجدانية والإبداعية، فيتراجع الجمالي لصالح الفكري، ويهدر الشكل في أتون المضمون الذي لا يجدي فتيلا في تنمية الذوق وتطوير الفكر، مهما كان هذا المضمون ساميا، ففي ظل التعليم التلقيني يذهب الوعاء بما وعى سدى، أيا كان المحتوى، حيث يتم التركيز على المضمون لا حامله، أي: الوعي بالمحتوى دون الوعي بالوعاء، والخطورة تنبع من أن صعوبة المحتوى أحيانا تنسب إلى اللغة لا الموضوع ذاته.

تلك النظرة تنبع من النظر للكلمات باعتبارها معطى ثابت أو إشارات سابقة التجهيز على أشياء سبق أن أدركناها، كل ما علينا أن نعيد تداولها، «أما التفكير الحديث فيرى أن الكلمة ليست مجرد بطاقة توضع على أصناف سابقة من المرئيات والمدركات، بل تعد الكلمات مواقف، فحين نستعمل كلمة الرجل نكون أو نخلق مفهوما معينا لم يكن تقرر من قبل، الكلمات هي حياتنا والشيء المشار إليه لا ينفصل عن موقف ولغة ومتكلم، ونحن لا نسمي الأشياء على التدقيق بل نفكر فيها، كلمة التسمية موهمة، وكلمة نفكر تعني أننا نضيف ونحذف ونكون ونركب» (٥).

إن أمر اللغة لأكبر من أن يقوم به مجموعة من الموجهين والخبراء، ممن يتقيدون برؤية تقليدية للغة، لذلك يتمثل أخطر ما ينتج عن الوعي الزائف ثبوت تلك الرؤية الجامدة للغة مفهوما ووظائف، وهو الأمر الذي ترتبت عليه أمور جد خطيرة فيما يتعلق بمحتوى مناهجنا التعليمية، ومنها اختياراتنا لما يقرؤه أطفالنا، إذ غلبت الوظيفة الوعائية على اللغة والتعامل معها بوصفها أداة محايدة أو شفافة. علما بأن تحرر اللغة وتطورها رهن بعملية نقل ملحة «من وضعية الرف الحامل للأشياء النافعة إلى كائن نافع أو منتج نافع» (٦).

وليس غريبا أن تجمع اللغة العربية بين الكراهية والإكراه في جذر لغوي واحد، فالتعليم كما يقول باولو فريري: «ممارسة للحرية وليس مجرد نقل أو إرشاد إلى المعرفة».

والحقيقة أن تعليمنا يعاني من نقص

شديد في البحوث التي تتناول اتجاهات الطلاب القرائية، وميولهم الأدبية.

على سبيل المثال نجد أن النصوص الشعرية - على الأقل في المرحلة الثانوية - المبنية على غير اختيار الطالب مصيرها النسيان أو التجاهل، إلا إذا مست وترا عاطفيا حساسا في نفسه التواقة وعاطفته المشبوبة، ولذا ليس عجيبا أن نجد شبه إجماع من الشعراء أنفسهم بعقم كثير مما يقدم من شعر في مناهج اللغة العربية، وعدم تفاعلهم معه، بنفس القدر من التفاعل مع ما اختاروه هم بأنفسهم، ووافق ذائقتهم، فجعلوه أساسا لبناء ملكتهم الشعرية الناشئة، ولا يقتصر الأمر على اختيار نصوص سقيمة متقشفة جماليا وفنيا، تحكمها اختيارات ومسابقات تجعل من الناظم شاعرا ومن الدخيل على الشعر أصيلا، فالملاحظ أن من يقومون بتلك الاختيارات منفصلون تماما عن الحركة الشعرية في العقود الثلاثة الماضية وفورانها، وتحولاتها الجمالية والفنية، بسبب قصور الوعي بخطورة الشعر ودوره في تطور اللغة، وتفعيلها لتنمية القدرات الذهنية والإبداعية لأجيال تواجه من المؤثرات المرئية والصوتية، ما يفوق كمًّا وكيفًا ما تعرض له من سبقهم آلاف المرات.

وبناء على تلك النظرة المتكلسة لظواهر دائمة الفوران من الصعب أن نجد نصوصا من اختيار الطلاب أنفسهم، أو قراءات متعددة للنص المختار سلفا، أو مختارات قرائية لا صفية شائقة ومدهشة، تواكب متغيرات عصر مواقع التواصل بلغتها الجديدة الموجزة المكثفة، ومن هنا ترتكب الجهات المسؤولة عن تلك الاختيارات جرما في حق الوطن وأطفاله وشبابه، من حيث تحسب أنها تنفعهم.

## ما وراء اللغة الوعاء

لا يظنن ظان أننا ضد الوظيفة التقليدية للغة، فهذا أمر ضد منطق اللغة ذاتها، وما نقصده هو خطورة إهدار وظائفها التواصلية والحجاجية والإبداعية، وإمكاناتها وإشكالياتها وفنونها لصالح وظيفة واحدة مهما كانت أهميتها، لما يحف هذه الأحادية من مخاطر وإشكاليات عديدة نكتفي منها بالآتي:

١- النضج الوجداني والذهني لدى الأطفال يرتبط باللغة الأم؛ لذا كان من الضروري أن تجسد الاختيارات مراحل تطور اللغة لديه للوصول إلى مرحلة الإبداع اللغوي، لا ليكون أديبا بالضرورة، ولكن لكي تجلي دور اللغة بوصفها وسيلة لتنمية التفكير الإبداعي لديه، هذا التفكير لا ينمو في ظل سلطة المنهج القائمة على الجبر والقهر في ما يقدم من نصوص، وفي تفسيرها وقراءتها، بحيث يتم تكريس النظرة الأحادية للنص وغلق باب التأويل والنقد والمساءلة، في إطار نمط تعليم بنكي.

٢- تتناقض هيمنة الوظيفة الوعائية مع المفاهيم الحديثة للتعليم والتعلم معا، وأهمية تنمية مهارات التفكير الناقد والعصف الذهني وغير ذلك من مهارات، فالتعليم - وفقا لقول تشومسكي - ليس ملؤك كأسا من الماء، بل مساعدة وردة على أن تنمو بنفسها، والشعر فضاء واسع لتنمية تلك المهارات، بدءا من حرية اختيار النص وحرية قراءته وتأويله ونقده.

٣- غلبة المفاهيم التعليمية التقليدية أو ما يطلق عليه بيداغوجيا تعليم ما قبل الصناعة، القائم بصورة أساسية على انتقاء المادة التعليمية وطرق تقديمها ووسائله، وشاع الحديث عن المناهج والمنهجيات وتأهيل المعلمين، وهذا التعليم السائد في بلادنا يختلف تماما عن مفهوم التعليم في عصر المعلومات ومقوماته ووسائله وغاياته وليس من المنتظر أن يحدث تحولا يذكر في اتجاهات الطفل حيال القراءة.

٤- تكرس النظرة الوعائية لأداتية اللغة، أي: النظر للغة باعتبارها أداة أو مجرد وسيلة، إذ تتجاوز العلاقة بين اللغة ومتحدثها هذا الإطار الضيق للعلاقة إلى مراتب من التماس بصورة تجعل خصائص الأمة من خصائص اللغة التي تتكلمها كما ذهب هردر، إذ لا يمكننا أن ندرك العالم من حولنا إلا من خلال اللغة، وعبر منظارها، «فاللغة إذن، ليست أداة وحسب ولا محتوى وحسب، بل هي بمعنى ما من المعاني القالب الذي تفصل المعرفة على أساسه تماما، كما يفصل الخياط الثوب على أساس القالب» (٧).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن تعليمنا لابد أن يبنى على وعي نقدي يتكامل ويتشابك مع الواقع، بخلاف الوعي الساذج الذي يفرض نفسه على الواقع، فالإسهام المميز للتربية يتجلى «في تعليم نقدي، يعين على تكوين اتجاهات نقدية لمواجهة الوعي الساذج» (٨)، وهو ما يتطلب تغييرا شاملا في محتوى تعليم اللغة العربية كي يكون أكثر جاذبية وتشويقا، يقوم على المشاركة الفاعلة بين المعلم والطالب، لأن اللغة هي المفتاح السحري لحب أطفالنا المعرفة والقراءة في شتى مجالاتها، وبها ومعها يتحول الطفل العربي من قارئ موسمي إلى قارئ مدى الحياة.

### الهوامش

١- باولو فريري، تعليم المقهورين، (ص٥٥).
٢- تقرير لجنة تحديث تعليم اللغة العربية عن موقع: العربية لغة حياة، (ص٧٤).
٣- عبد الكريم بكار، تجديد الوعي، (ص١٢).
٤- نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة، (٢٣٦/٢).
٥- مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، (ص١٣١).
٦- رفيق البوحسيني، الأبعاد الرابطة بين اللغة العربية والتواصل، دراسة في كتاب التواصل نظريات وتطبيقات، (ص٧٧).
٧- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، (ص٧٧).
٨- باولو فريري، التعليم من أجل الوعي الناقد، ترجمة حامد عمار، (ص٧٢).

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

**ملاحظة:**

**- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.**

**- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.**

**- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.**

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

د.إسماعيل عبد الفتاح
عبد الكافي - وكيل وزارة
بوزارة الإعلام مصر

## القراءة أساس الإبداع والابتكار

# كيف نجعل أطفالنا مبتكرين

القراءة هي المفتاح الأساسي للمعرفة، نعم، فلا معرفة بدون قراءة، ولا اكتشاف ولا ابتكار بدون معرفة، والقراءة أمر إلهي أنزله الله على البشر ليكون فرض عين ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾ (العلق:١-٤).

وهو أول أوامر القرآن وأوامر الله عز وجل للأمة الإسلامية، ولذلك فالقراءة هامة جدا للجميع، وأكثر أهمية للطفل على وجه الخصوص، رغم أن القراءة في حقيقتها عملية معقدة؛ لأنها ليست مجرد التعرف على أسماء الحروف وترتيبها وكيفية نطقها، أو مجرد التعرف على شكل الحروف، ولكنها تتضمن: القدرة على فهم معاني الكلمات ومعاني الجمل والربط بين تسلسل الأحداث، مع القدرة على التركيز والتذكر والاستيعاب والنقد والقدرة على إعادة التعبير عما تمت قراءته.

وأهم شئ في القراءة هو التفسير، لأن القراءة الجيدة تساعد الأطفال على الاستفسار وتكوين وجهات النظر وتكوين الأفكار المختلفة، وبالتالي

تهيئ الأطفال للاستفسار وللسؤال، والأسئلة هي الطريق للمقارنة والمفاضلة والوصول للحلول وهي نوع من أنواع الابتكار، فالقراءة من الأنشطة الابتكارية لتشكيل الطفل، ولابد من مساعدة الطفل على القراءة وتنمية عادة القراءة لديه، ولابد أن تتغير سلوكياتنا لعدم معاقبة الطفل على قراءة ما يحب من قصص وألغاز وكتب وروايات غير المناهج الدراسية، حيث إنها تنمي عنده الإبداع والابتكار وبدونها لا يمكن غرس قيمة الإبداع عنده لأن القراءة هي أساس كل ذلك، لأنه ببساطة عندما ينشأ الطفل غير قارئ لا يمكن أن يصبح إلا مناهضا للثقافة في شبابه ورجولته، فالقراءة هامة جدا للأطفال منذ قدرتهم عليها ولكل عمر عند الأطفال قراءة مناسبة له.

والقراءة لابد أن تبدأ مع الطفل منذ طفولته المبكرة، وخصوصا قبل سن المدرسة، لأن القراءة مهارة مكتسبة يجب أن يتم تعويد الأطفال عليها وتصبح عادة ملازمة لهم، وهي مهارة تنبع من عوامل رئيسية تؤثر في استعداد الطفل للقراءة والكتابة وهي:

أ- الاستعداد العقلي.

ب- الاستعداد الجسمي (البصر - السمع، النطق - الصحة العامة). ج- الاستعداد الشخصي والانفعالي.

د- الاستعداد في الخبرات والقدرات والخبرات التي يكتسبها الطفل في طفولته مثل: قاموسه اللغوي والمعاني والمفاهيم ولغة الحديث.

فالقراءة ترتبط بالمعاني والرموز التي تعبر عنها الكلمات، كما ترتبط بالقدرة على حل المشكلات واستنباط الفروض والتحقق من الاستنتاجات، فهي تتضمن كل أنواع التفكير من تقويم وإصدار للأحكام واستفسارات وخيال واستنتاج وحل للمشاكل والعقد والمواقف، وتسمى هذه القراءة «القراءة الابتكارية»

ونتحدث هنا عن تطور مفهوم القراءة الذي يساعد على الابتكار، ثم نتحدث عن الحاجة إلى القراءة الابتكارية والتعريف بمفهوم القراءة الابتكارية وأهميتها، وإذا كنا يقظين حينذاك كان الطفل بعد ذلك قارئا متميزا ومبدعا ومبتكرا بعد ذلك، ومن هذه العلامات:

- تلهف الطفل على النظر إلى الصور، وإلقاء الأسئلة والإلحاح عليها.

- الاهتمام بكتب الكبار ومجلاتهم وأدواتهم المكتبية.

- تقليد الكبار في العد والحساب. - محاولة الكتابة أو الرسم.

- القدرة على استرجاع ما يسمعه.

- حفظ أناشيد الأطفال وترديدها.

- رواية ما رأى وإعادة ما حدث في موقف معين.

- الإنصات إلى الأحاديث والقصص.

- التشوق إلى الاستماع للعجائب والغرائب.

- متابعة الحديث باهتمام وتشوق.

ولذلك يجب تهيئة الطفل ليكون قارئا مبتكرا منذ طفولته المبكرة.

وهناك الحاجة إلى القراءة الابتكارية، وإذا كانت القراءة هي الوسيلة التي لا غنى عنها للإنسان، فهي تثرى خبراته وتوسع أفقه، وتربطه بماضي أمته، وتجعله قادرا على فهم حاضره، والتخطيط لمستقبلة، وإذا كانت القراءة هي الوسيلة لحل المشكلات، والتغلب على ما يواجه الإنسان من صعاب، حيث تزوده بخبرات الآخرين وتجاربهم في مواجهة مشكلاتهم، ومواجهة ما يعترضهم من عقبات في سبيل تحقيق أهدافهم، وإذا كانت القراءة وسيلة الإنسان ليعيش بفاعلية في حياته، وإن من حرم القراءة حرم المشاركة في الأنشطة الحضارية، فإننا في حاجة ماسة إلى ربط القراءة بقدرات التفكير الابتكاري، وبذلك ننتقل بالقراءة إلى مفهوم جديد. ولابد من العمل على أن يتطور مفهوم القراءة مرة أخرى، حتى نتمكن من الانتقال من القراءة الناقدة إلى القراءة الابتكارية، وهو مفهوم يتناغم مع العصر الذي نعيشه ومع تعقد الحياة، وتغيرها السريع المتلاحق.

نحن في حاجة إلى القراءة الابتكارية لا لنجعل القارئ مستوعبا لما يقرأ أو ناقدا له، بل إنها تتعدى ذلك كله إلى التعمق في النص المقروء والتوصل إلى علاقات جديدة، وتوليد فكر جديد، وحلول متنوعة للمشكلات، وتطبيق لهذه الحلول، وكل شيء مقروء يجب أن يكون مصدرا للتفكير، والتغلب على ضغوط الحياة، والقراءة هنا لتركيب المعلومات والوصول إلى استنتاجات حقيقية عن الواقع.

نحن بحاجة في تدريب الأطفال القراء على طرح الأسئلة حول المعلومات التي لم تذكر في النص، وإضافة فكر جديد لمحتوى النص، وكتابة عناوين مختلفة لما يقرأ، وكتابة عدة نهايات لقصة غير مكتملة، وذكر جميع الصفات التي يوصف بها شخص ما، وكتابة حلول متنوعة لإحدى المشكلات، وتوقع ما يمكن أن يحدث لإحدى شخصيات القصة، وذكر الأسباب المحتملة لوقوع حدث من الأحداث، وذكر أكبر عدد ممكن من الاستخدامات للأشياء، والتنبؤ من خلال المعلومات المقدمة إليه، وتوقع الاحتمالات، وإضافة فكرة إلى محتوى النص، والإحساس بالصعوبات والمشكلات، والثغرات في المعلومات، والعناصر المفقودة وصياغة الفروض نحو المعلومات الناقصة واختبارها، وكذلك إنتاج عدد كبير من الأفكار المرتبطة بالمقروء، والانتقال بالتفكير من مجال إلى آخر، وأيضا إنتاج فكر غير تقليدي.

وإذا بحثنا في المعايير التي تحدد وتصف وتبلور كل ما يحدث لشخص ما عندما يقرأ موضوعا معينا قراءة ابتكارية، لوجدناها تتمثل في الآتي:

– يطرح الأسئلة باستمرار فيما يتعلق بالمعلومات التي يتضمنها النص المكتوب، ويبحث عن إجابة لهذه الأسئلة.

– يفسر المعاني التي يطرحها المؤلف أو الكاتب، حيث يقوم بتركيب المعلومات في شكل ذي معنى.

– يحدد أسباب الأحداث المختلفة في النص، ويتخيل التضمينات الممكنة في أحداث المادة المقروءة.

– لابد وأن يمتلك القدرة على الاستجابة، ويستطيع أن يسأل: ما الذي يمكن أن يحدث لو...؟ كيف يمكن أن تتغير الأشياء إذا تغيرت بعض عناصر الموقف؟

وخلال هذه العمليات يكون القارئ الابتكاري قادرا على:

– رؤية ما قرأه بطرق كثيرة ومتنوعة، وهذه هي المرونة.

– إنتاج أفكار متنوعة وفريدة مرتبطة بما قرأ. وهذه هي الأصالة.

– إضافة تفاصيل لهذه الأفكار، وهذا ما يسمى بالجدة.

ولذا، نطرح هنا عدة تساؤلات أهمها:

. كيف يمكن أن نقدم لأطفالنا وفتياننا وشبابنا ما يساعدهم على تنمية قدرات القراءة الابتكارية لديهم؟

. وهل هناك فارق بين القارئ المبتكر المبدع وبين القارئ العادي؟

والحقيقة أن القراءة بما تتضمنه مادتها من قصص وأشعار ومجلات وكتب لها دورها الحيوي والرئيسي في التشجيع على الإبداع وتنمية القدرات الابتكارية والخلاقة لدى القراء، والقارئ، كما يقول د. شحاته: يقرأ خبرات متنوعة شاملة ومتكاملة ويتلقى من هذه الخبرات ما يعده للاستجابة بطريقة موجبة لخبرات حيوية قادمة، ويصحب ذلك لغة يحيطها جو وجداني خاص يغلب عليه الحب والتقبل والتشجيع، فهو يتعلم من خلال هذه الخبرات أنه يمكنه إنجاز الخبرات الجديدة وحل المشكلات، فالقراءة تتيح الفرص أمام القراء لمعرفة الإجابة عن أسئلتهم واستفساراتهم ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال وتقبل الخبرات الجديدة وتحقيق الثقة بالنفس وروح المخاطرة في مواصلة البحث والاستكشاف وحب الاستطلاع والدافع إلى الإنجاز الذي يدفع إلى المخاطرة العلمية المحسوبة من أجل الاكتشاف والتحرر من الأساليب المعتادة للتفكير والميل إلى البحث في الاتجاهات الجديدة والإقدام نحو ما هو غير يقيني وتفحص البيئة بحثا عن خبرات جديدة والمثابرة في البحث والاستكشاف من أجل مزيد من المعرفة لنفسه وبيئته.

فالقراءة توفر سياقا وجدانيا مهما يراعي سمات الإبداع وينميها من خلال عملية التفاعل والتمثيل والامتصاص من حيث استثارة المواهب ومحاولة تنميتها عن طريق لغة يغلب عليها التسامح والحب، فالإبداع يتحقق من خلال قراءة مادة توضع على شكل مشكلات تستثير القارئ وتتحدى عقله وتفتح المجال أمامه كي يفكر تفكيرا علميا منظما وتفسح المجال لخيال القارئ كي يتصور ويحلق في عالم واسع متسع مختلف عن عالم الواقع، كما يتحقق الإبداع من قراءة مواد تتصف بأنها نتيجة تطور لا محدود، يقف العقل أمامها مفكرا ومتأملا من عرض المقدمات والنتائج، ومتجردا من كل قيود التفكير، ومتحررا من كل ما يكبل العقل من قيود معنوية أو اجتماعية، ومفسرا ومعللا ما بين السطور، وكاشفا الحقائق والعلاقات المختلفة، ومفسرا ومعللا كل ما يعن له من نتائج وأحداث، ومرحبا بإبداء الآراء المختلفة حول كل موضوع، ومتناولا سياسة فحص البيئة بحثا عن خبرات جديدة يستفيد منها هو والمجتمع، وموازنا بين الآراء والخبرات والحقائق والنظريات والمفاهيم، وداعيا لاستخدام الخيال الخصب والمخاطرة العلمية من أجل الاكتشاف والابتكار والإبداع.

وهناك استراتيجيات تنمية القراءة الابتكارية، ويقصد بهذه الاستراتيجيات استخدام تقنيات حديثة وأساليب علمية لتنمية القراءة الابتكارية لدى الأطفال. تعتمد على أنشطة متنوعة تتوافر في رياض الأطفال وفي المكتبات، وتتدرب عليها المعلمات والأمينات ويقمن بتقديمها في تسلسل للأطفال في الروضة وفي المكتبات، وهذه الاستراتيجيات هي:

**. استراتيجية العصف الذهني:**

المقصود بالعصف الذهني هو جلوس الأطفال على شكل دائرة مع أمينة المكتبة بهدف إنتاج قائمة من الأفكار التي يمكن أن تقود إلى حل مشكلة قرائية ولضمان تدريب الأطفال على تدفق الفكر أو طرح الحلول يراعى ما يلي:

. تأجيل إصدار الأحكام النهائية إلى نهاية الجلسة.

. إطلاق الحرية أمام الأطفال لطرح الأفكار والترحيب بها.

– خلق جو التنافس للحصول على أفكار متنوعة وكثيرة.

. السماح بالبناء على أفكار الآخرين وتطويرها.

**. استراتيجية طرح الأسئلة:**

الهدف من هذه الاستراتيجية تنمية القدرات الابتكارية، ولهذه الاستراتيجية عدة طرق منها: الأول: يطلب من الأطفال القراء وطرح أسئلة

عن المعلومات الناقصة حين تعرض عليهم مواد قرائية محددة.
الثاني: تقدم المعلمة أو أمينة المكتبة أسئلة مفتوحة ومثيرة للتفكير، لتحصل من كل طفل على عدد كبير من الإجابات المختلفة، لا على إجابة واحدة، وهو ما يساعد الأطفال على جمع المعلومات، وحرية التعبير عن أنفسهم، وفرض الفروض، والتأمل، والسعي لإشباع حب الاستطلاع في الموضوع الذي يقرؤونه.

### - استراتيجية التنبؤ القرائي:

تبنى هذه الاستراتيجية على أساس تنمية الوعي القرائي، حيث يطلب من الطفل من خلال معلومات محددة تقدم له أن يقدم معلومات أخرى ترتبط بالسابقة، كأن يطلب من الأطفال القراء التنبؤ بمحتوى قصة أو كتاب أو موضوع قرائي من خلال عنوانه، ثم يبدأ الأطفال في قراءة المادة القرائية موضوع النقاش لمعرفة من يفوز بصحة التنبؤ القرائي.
ويمكن أن تطبق استراتيجية التنبؤ القرائي بما سيقع من أحداث في أثناء قراءة قصة أو رواية أو مسرحية، حيث يبدأ الطفل في قراءة عمل أدبي مبسط، وتطلب المعلمة أو أمينة المكتبة من القارئ أن يتوقف، ثم تبدأ في سؤال الحضور عما يمكن أن يحدث بعد ذلك، ثم يتم التأكد من صحة التنبؤات وذلك من خلال الاستمرار في القراءة.
وهناك طريقة ثالثة للتنبؤ القرائي، حيث تطلب المعلمة أو أمينة المكتبة من الأطفال قراءة قصة محددة، وبعد انتهائهم من قراءتها تطلب منهم التنبؤ بما يظن أنه سيحدث بعد انتهاء القصة من أحداث بوقت قصير أو بعد وقت طويل.

### - استراتيجية الغلق وتنويع الحل:

تبنى هذه الاستراتيجية على أساس تنمية الابتكار لدى الأطفال القراء، وذلك بوضعهم مكان مؤلفي الأعمال الأدبية، ويمكن أن تطلب المعلمة أو أمينة المكتبة في هذه الاستراتيجية من الأطفال القراء إجراء تغيير في حدث من أحداث القصة، أو تحوير في شخصية من شخصياتها وإعادة كتابة القصة على هذا الأساس.

### - استراتيجية تنمية التخيل:

تقوم هذه الاستراتيجية على أساس تنمية التخيل الابتكاري لدى الأطفال، حيث يطلب من الأطفال القراء استخدام بعض الكلمات والتعبيرات اللغوية الجديدة في تأليف قصة أو مسرحية بسيطة تقوم على الحوار بين بعض الأشخاص.

### - استراتيجية التعمق والانطلاق:

تقوم هذه الاستراتيجية على التعليل بعد الانتهاء من القراءة، وفي هذه الاستراتيجية تطلب المعلمة أو أمينة المكتبة من الطفل كتابة الأسباب التي أدت إلى وقوع الأحداث الواردة في القصة بحسب توقعه.

### - استراتيجية التحويل:

يقوم القارئ في هذه الاستراتيجية بتحويل العمل الأدبي إلى شكل أدبي آخر، حيث تطلب المعلمة أو أمينة المكتبة من الأطفال أن يشتركوا في تحويل القصة التي قرؤوها إلى مسرحية، أو إلى لوحة فنية تتكون من صورة أو عدة صور، أو بالتعبير عنها عن طريق التمثيل الصامت، أو بتحويلها إلى مسرحية يتم عرضها عن طريق مسرح الدمى، أو بتمثيلها عن طريق مسرح خيال الظل، أو على صورة فيلم سينمائي يدار باليد، أو بتمثيلها وتصويرها بكاميرا (٨ملم) ثم عرضها سينمائيا، أو عرضها بعد رسمها من خلال صندوق الدنيا، أو بالتعبير عن القصة بلعب الأدوار، أو التعبير عن مشاهد القصة أو بعض شخصياتها بالصلصال، أو بتحويلها إلى مشاهد يعرض كل مشهد على حدة باعتبارها قصة مسلسلة، أو بالتعبير عن مشاهد القصة في لوحة وبرية، أو عن طريق بناء نماذج متحركة للتعبير عن بعض مشاهد القصة أو بعض شخصياتها، أو عن طريق كتابة تقرير عن القصة ونقدها.

### - استراتيجية التقمص الشعوري:

تقوم هذه الاستراتيجية على أساس أن يطلب من القارئ الصغير التعبير كتابة عن مشاعره كما لو كان أحد أبطال القصة، أو أحد الأشياء المحيطة به في المكتبة أو الطبيعة، ويمكن أن يتم ذلك من خلال شخصية من شخصيات القصة يرسمها ثم يقوم قارئ آخر أو أكثر بتنميتها، وتطوير سماتها، والتعبير عنها مشافهة، أو بتصميم أزياء لشخصية القصة، وارتداء هذه الأزياء والتحدث كما لو كانت الشخصية حية تتحرك.

### - استراتيجية النهايات المتفرعة:

تقوم هذه الاستراتيجية على أساس أن تقرأ المعلمة أو أمينة المكتبة قصة على الأطفال، فإذا وصلت إلى العقدة في القصة تطلب من الأطفال اختيار أحد حلين ممكنين لحل العقدة، فيختار نصف الأطفال حلا، والنصف الثاني الحل الآخر، وتظل القصة تتفرع مع كل عقدة حتى يعمل كل طفل على حدة.
فالقراءة هي الأساس الراسخ المتين لعمليات التفكير وحل المشكلات وبالتالي فهي الأساس الجوهري للتفكير الناقد الثري الذي يؤهل الجميع للإبداع والابتكار فمادام الطفل لغته قوية ومتمكن من القراءة فيمكنه القيام بالعمليات العقلية ويمكن التفكير العميق فيما يواجهه من مشكلات وما يمر أمامه من نصوص مما يمكنه من التعبير الحر عما يحس به ويساعده كل ذلك على الابتكار في شتى المجالات.

علياء ناصف
كاتبة وباحثة تربوية
مصر

# الإحساس بالغير في قلب الصغير

الإحساس بالغير

نعمة ومنة من الخالق المتعال أن يستشعر الإنسان آلام غيره ويكن لها في نفسه الاحترام والمراعاة والتقدير.. أن يكون لك قلب له مثل هذا الإحساس فهذا يستوجب شكر الله مرارا وتكرارا، اشكر الله أنك لست ممن على قلبه حجاب يحجبه عن رؤية حزن غيرك وألمه ووجع قلبه.

وإذا كنت من هذه الفئة فلا تنس أبدا، بل تذكر دوما أن عليك غرسها في قلوب أبنائك منذ نعومة أظفارهم، منذ لحظة إدراكهم، منذ بداية عهدهم بالدنيا والتعاملات الإنسانية على ظهرها، ليكن ذلك نهجا قلبيا لهم مع جميع البشر على اختلاف أعمارهم، ومدى قرابتهم أو بعدهم.

وعندما نجد من الكبار من وصلوا إلى حالة من الاختيال بالنعم التي إن فكروا برهة لعرفوا أن هذه النعم ليست إلا تفضلا من المنعم، ولولا فضله ما كانت النعمة حاضرة.. فاعلم أنهم من أصحاب القلوب الجامدة القاسية وأنهم ثمرة تربية لم يكن على قائمة أولوياتها غرس فضيلة «الإحساس بالغير».

فمن المحزن أن تجد طفلا صغيرا لا يراعي أحاسيس ومشاعر طفل آخر؛ سواء أكان من أقاربه أو من جيرانه أو زملائه، مريض بمرض ما، أو مختلف عن أقرانه اختلافا ما. أو ليس لديه ما لدى غيره من مال أو سعة عيش أو غير ذلك.

على سبيل المثال الأطفال المرضى بأمراض تستوجب نظاما غذائيا له ضوابطه المحددة، والذين لا يتناولون الحلوى مثل بقية الأطفال بنفس الكم والنوع.. بل هم ملتزمون بنظام طبي صارم فيما يتعلق بنوعيات الطعام والشراب.. فمن الملاحظ أن هؤلاء الأطفال وغيرهم مع اختلاف ظروفهم المرضية لا يجدون أحيانا من يحترم ويقدر مثل هذه الظروف، فتجد من الأطفال من لا غضاضة عندهم أن يكونوا بصحبة هؤلاء الأطفال، وتجدهم وهم يتذوقون أمامهم الأطعمة والحلوى بلا أي مراعاة أو إحساس بأن هناك من يشتهيها ولا يستطيع أن يمد يده إليها.

إن ما سبق مثل بسيط من أمثلة كثيرة متعددة، تستدعي الأهمية القصوى لأن نسارع بغرس فضيلة «الإحساس بالغير» في قلوب الصغار، حتى يشبوا عن الطوق وهم ببنية نفسية سليمة وبقلوب طيبة عامرة بالرحمة، بالخير والإخاء.

وما يسهل غرس هذه الفضيلة في قلوب الصغار أن نعلمهم من آيات الذكر الحكيم ومن أحاديث رسول الله ﷺ ما يتناسب مع أعمارهم ونفهمهم إياها بسلاسة ويسر ولننتقل من النظرية إلى التطبيق والعملية، فإن فيها ما يجلي الصدأ عن القلوب والغبار عن العقول.

ومن هذه الأحاديث الشريفة التي

تنطوي على هذا المفهوم ما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» من حديث رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به».

أليس هذا الحديث الشريف دعوة صريحة واضحة للإحساس بالغير؟! أليست نداء للقلوب أن تحرص على سلامتها مما قد يشوبها من أمراض وأسقام تنحرف بها عن جوهر الدين والإيمان؟!

ويعد هجر هذه الفضيلة بقصد أو بدون قصد مما يؤذي بل وأحيانا يدمي قلوب الغير، وقد ذكر الإمام أبوحامد الغزالي فيما يتعلق بحقوق المسلم: ومنها ألا يؤذي أحدا من المسلمين بقول أو فعل، قال ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (متفق عليه) (١).

وفي معرض الحديث عن فضيلة «الإحساس بالغير»، نرى كثيرا من الناس قد تربى على سلوك «الاختيال بالنعم» بدون عمد وقصد جرح أحاسيس الغير، وبدون إدراك لخطورة هذا السلوك على كسر خواطر الناس صغارا وكبارا.

حيث إن أناسا ليسوا بالقليل يفهمون الآية الكريمة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ (الضحى:١١) فهما في غير محله، ولذلك كان من الضروري أن نستعرض ما جاء من تفسير الآية من أقوال كبار العلماء، أمثال العالم والفقيه التونسي محمد الطاهر بن عاشور، وقد جاء في تفسيره الآتي:

وقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ مقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ (الضحى:٨) فإن الإغناء نعمة فأمره الله أن يظهر نعمة الله عليه بالحديث عنها وإعلان شكرها.

وليس المراد بنعمة ربك نعمة خاصة وإنما أريد الجنس فيفيد عموما في المقام الخطابي، أي حدث ما أنعم الله به عليك من النعم، فحصل في ذلك الأمر شكر نعمة الإغناء، وحصل الأمر بشكر جميع النعم لتكون الجملة تذييلا جامعا...

وأما مساواة الأمة له في الأمر بالتحدث بنعمة الله فإن نعم الله على نبيه ﷺ شتى منها ما لا مطمع لغيره من الأمة فيه مثل نعمة الرسالة ونعمة القرآن ونحو ذلك من مقتضيات الاصطفاء الأكبر، ونعمة الرب في الآية مجملة.

فنعم الله التي أنعم بها على نبيه ﷺ كثيرة منها ما يجب تحديثه به وهو تبليغه الناس أنه رسول من الله وأن الله أوحى إليه وذلك داخل في تبليغ الرسالة وقد كان يعلم الناس الإسلام فيقول لمن يخاطبه أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

ومنها تعريفه الناس ما يجب له من البر والطاعة كقوله لمن قال له: اعدل يا رسول الله فقال: «أيأمنني الله على وحيه ولا تأمنوني» ومنها ما يدخل التحديث به في واجب الشكر على النعمة فهذا وجوبه على النبي ﷺ خالص من عروض المعارض لأن النبي ﷺ معصوم من عروض الرياء ولا يظن الناس به ذلك فوجوبه عليه ثابت. وأما الأمة فقد يكون التحديث بالنعمة منهم محفوفا برياء أو تفاخر. وقد ينكسر له خاطر من هو غير واجد مثل النعمة المتحدث بها. وهذا مجال للنظر في المعارضة بين المقتضى والمانع، وطريقة الجمع بينهما إن أمكن أو الترجيح لأحدهما. وفي «تفسير الفخر»: سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن الصحابة فأثنى عليهم، فقالوا له: فحدثنا عن نفسك فقال: مهلا فقد نهى الله عن التزكية، فقيل له: أليس الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ فقال: فإني أحدث: كنت إذا سئلت أعطيت، وإذا سكت ابتديت، وبين الجوانح علم جم فاسألوني. فمن العلماء من خص النعمة في قوله: «بنعمة ربك» بنعمة القرآن ونعمة النبوة وقاله مجاهد. ومن العلماء من رأى وجوب التحدث بالنعمة. رواه الطبري عن أبي نضرة.

وقال القرطبي: الخطاب للنبي ﷺ والحكم عام له ولغيره. قال عياض في «الشفاء»: «وهذا خاص له عام لأمته».

وعن عمرو بن ميمون: إذا لقي الرجل من إخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا، وعن عبدالله بن غالب: أنه كان إذا أصبح يقول: لقد رزقني الله البارحة كذا، قرأت كذا، صليت كذا، ذكرت الله كذا، فقلنا له: يا أبا فراس إن مثلك لا يقول هذا، قال: يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ وتقولون أنتم: لا تحدث بنعمة الله. وذكر ابن العربي عن أيوب قال: دخلت على أبي رجاء العطاردي فقال: لقد رزق الله البارحة: صليت كذا، وسبحت كذا، قال أيوب: فاحتملت ذلك لأبي رجاء. وعن بعض السلف أن التحدث بالنعمة تكون للثقة من الإخوان ممن يثق به. قال ابن العربي: إن التحدث بالعمل يكون بإخلاص من النية عند أهل الثقة فإنه ربما خرج إلى الرياء وإساءة الظن بصاحبه. وذكر الفخر والقرطبي عن الحسن بن علي: إذا أصبت خيرا أو عملت خيرا فحدث به الثقة من إخوانك. قال الفخر: إلا أن هذا إنما يحسن إذا لم يتضمن رياء وظن أن غيره يقتدي (٢).

مما سبق عرضه يتضح لنا أن ما يتذرع به البعض من الخيلاء والمباهاة بالنعمة هو قول مردود عليه، ولذلك فإن شكر الله على النعمة والتعامل معها بالحمد للمنعم والتسبيح له بالشكر لا بالاختيال وجرح أحاسيس الغير هو الأولى والأحرى بنا وبقلوبنا إن أردنا لها أن تسلك درب القلوب السليمة المنيبة.

### الهوامش

١- إحياء علوم الدين ٢/٢١١.
٢- التحرير والتنوير ٤٠٢-٤٠٥.

د. سعد عبد الله الجدعان
باحث أكاديمي
الكويت



### سلسلة الذوق والآداب (٤)

# اللباقة في التعامل مع الزوجة

لقد كرم الله سبحانه وتعالى المرأة سواء كانت أما أو بنتا أو أختا أو زوجة وجعل لها مكانة في الإسلام، والزوجة تلك المرأة الضعيفة قد ضمن الله سبحانه وتعالى لها تلك المكانة وأكد على حقها رسول الله ﷺ وفي موضوعنا هذا سنتطرق له من خلال النقاط التالية:

أساس الحياة الزوجية المودة والرحمة، فمتى ما وجدت المودة والرحمة بين الزوجين وجدت الحياة الزوجية السعيدة المستقرة.

الزوجة الصالحة هي أساس وعماد الأسرة المسلمة فمتى استقامت وصلحت كانت الأسرة على قدر كبير من الصلاح والسعادة والاستقامة، فالزوجة الصالحة هي التي تؤدي حقوق زوجها، وهي الأم والمربية، والناصحة، والموجهة، وهي التي تقود سفينة الحياة الأسرية إلى بر الأمان.

الحياة الزوجية حياة مصيرية، بمعنى أنك إذا رزقت من هذه الزوجة بأولاد فإن الفراق يعني تشرد الأولاد ولهذا كان النبي ﷺ حريصا حرصا لا حدود له على أن يكون الوفاق بين الزوجين ويكون هذا الوفاق والتفاهم أساسه المودة والرحمة بينهما.

تكفل الله سبحانه وتعالى للزوجة بحقوق عديدة على زوجها وهي تنقسم إلى حقوق مالية، وحقوق غير مالية.

### الحقوق المالية

١- المهر: فالمهر حق للزوجة على زوجها تقبضه حين العقد أو حسب ما اتفق عليه بينهما قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾ (النساء:٤)

وخير النساء وأبركهن على زوجها من كانت يسيرة المهر كما جاء في الحديث، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا» (١).

٢- النفقة: وهذا بإجماع العلماء، فالمرأة قد حبست نفسها في بيت زوجها له من غير اكتساب فكان لزاما أن ينفق عليها وأن يرعى حقها في هذا الجانب.

والمقصود توفير ما تحتاجه المرأة من طعام وشراب ومسكن، وغيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ

﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٣)

٣- السكنى: قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء:٣٤)

أوجب الله عز وجل توفير السكنى للزوجة حتى تعيش حياة كريمة ويتحقق السكن بين الزوجين.

## الحقوق غير المالية

١- حسن المعاشرة: أول ما يجب على الزوج أن يؤديه من حقوق معنوية لزوجته أن يكرمها، ويحسن معاشرتها، وأن يعاملها بالمعروف، فذلك يؤدي إلى التأليف بين قلبيهما، كما يجب عليه أن يتحمل ما يصدر منها والصبر عليها، يقول الله سبحانه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ (الطلاق:٦)

ومن مظاهر صدق الإيمان أن يكون المرء رقيقا سمحا مع أهله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا» (٢).

وإكرام المرأة دليل الشخصية المتكاملة، وإهانتها علامة على الخسة واللؤم، وذلك لما ورد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص، حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر ووعظ، ثم قال: «استوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن، فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن لكم من نسائكم حقا، ولنسائكم عليكم حقا، فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» (٣).

٢- إعفاف الزوجة بالجماع: وذلك لمراعاة حقها ومصلحتها في النكاح، وحفظا لها من الفتنة، وذلك لقوله سبحانه: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٢٢٣).

وعن أبي ذر: أن ناسا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: «يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؛ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».

٣- أن يعاملها وفق ما أمره الشارع الحكيم أثناء العلاقة الزوجية بينهما، فلا يأمرها بمحرم، ولا يأتي منها ما حرم عليه فعله؛ كأن يأتيها من الدبر، أو أن يجامعها في الحيض، أو ما شابه ذلك.

٤- أن يرعاها ويرعى شؤونها، ولا يجعلها تحتاج غيره من الناس، ويقوم بكل ما ينبغي عليه القيام به لضمان الأمن والاستقرار والحياة الهنية لها، فتستقر نفسها وتطمئن.

٥- أن يسعى لإصلاحها إن رأى منها ما يستدعي ذلك، وأن يعينها على الطاعة ويأمرها بها ويشجعها عليها.

٦- أن يعدل بينها وبين ضرتها إن كان لها ضرة فإن من الحقوق الواجبة للزوجة على زوجها أن يعدل بينها وبين بقية زوجاته؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ (النساء:٣)

وإن لم يستطع العدل، أو خاف ألا يعدل، فيقتصر على واحدة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء:١٢٩)

لكن يجب عليه العدل في المبيت، والنفقة، وغير ذلك من الأمور المستطاعة.

٧- أن يغض الطرف عن بعض أخطائها ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله وهذا لا يكون إلا من خلال الموازنة بين حسناتها وسيئاتها، فإن رأى منها ما يكره، فإنه يرى منها ما يعجبه ويحبه. وإلى هذا يشير النبي ﷺ بقوله ويرشد الرجال في ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا، رضي منها خلقا آخر» (٤).

٨- أن يجلس مع زوجته يحدثها ويستمع إلى حديثها، فهذا النبي ﷺ كان يجلس مستمعا إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما كانت تقص عليه حديث النسوة اللاتي جلسن وتعاقدن على ألا يكتمن من خبر أزواجهن شيئا وهو حديث أم زرع المعروف، عن هشام بن عروة عن أخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة أنها قالت: «جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل. قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره إني أخاف أن لا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره. قالت الثالثة: زوجي العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق. قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة. قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد. قالت السادسة: زوجي إن أكل لف وإن شرب اشتف وإن اضطجع التف ولا يولج الكف ليعلم البث. قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء كل داء له داء شجك أو فلك أو جمع كلا لك. قالت الثامنة: زوجي الريح ريح زرنب والمس مس أرنب. قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من الناد. قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك مالك خير من ذلك له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك. قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع فما أبو زرع أناس من حلي أذني وملأ من شحم عضدي وبجحني فبجحت إلي نفسي وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح. أم أبي زرع فما أم أبي زرع عكومها رداح وبيتها فساح. ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع مضجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة. بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها. جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثا ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ولا تملأ بيتنا تعشيشا. قالت خرج أبو زرع والأوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلا سريا ركب شريا وأخذ خطيا وأراح علي نعما ثريا وأعطاني من كل رائحة زوجا. قال: كلي أم زرع وميري أهلك. فلو جمعت كل شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة قال لي رسول الله ﷺ: كنت لك كأبي زرع لأم زرع» (٥).

٩- أن يتزين الرجل لزوجته كما تتزين له

قال ابن عباس: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي، لأن الله قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨)

أي: لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف على أزواجهن، مثل الذي عليهن لهم من الطاعة.

١٠- أن يحسن الظن بها

فيجب على الإنسان بشكل عام أن يحسن الظن بالآخرين، وهذا من واجبات الدين، وأن يبتعد عن سوء الظن، لما يؤدي إلى فساد وظلم للآخرين، وينشر الضغينة بينهم، لهذا حرص الإسلام على غرس هذا الخلق في المجتمع. وإذا كان هذا فيما بين الناس، فمن باب أولى ألا يسيء الإنسان بشريكة حياته، والتي يسكن هو وهي تحت سقف واحد، من أجل أن تستمر الحياة الزوجية على أكمل وجه، وإن الحياة الزوجية إن قامت على الشك والريبة فيما بين الزوجين، فإن هذا لا يؤدي إلى حياة مستقرة وهنيئة، وهذا تطبيقا لقوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (النور:١٢)

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٢)

**الهوامش**

١- حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم. (١٩٤/٨)، رقم: (٢٧٣٢)، كتاب النكاح.

٢- قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح، الحديث أخرجه الترمذي في السنن، (٢٦٦/٣)، رقم: (١١٦٢)، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وأخرجه أبوداود في السنن، (٣٥٤/٤)، رقم: (٤٦٨٤)، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، (٢٥٠/٢)، رقم: (٧٣٩٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عمرو فمن رجال أصحاب السنن.

٣- الحديث أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، (٥٧/٣)، رقم: (١٨٥١).

٤- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء، (١٧٨/٤)، رقم: (٣٧٢١).

٥- أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع، (١٣٩/٧)، رقم: (٦٤٥٨).

خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي
مصر

# وقت فراغ الطفل في العصر الرقمي



من النواحي التي نرى فيها قصورا واضحا من جانب الآباء والأمهات، وقت الفراغ الذي يعيشه الطفل، خصوصا بعد انتهاء العام الدراسي، فنرى كثيرا من الآباء والأمهات يهملون هذا الجانب، إما جهلا بجدواه، وإما نتيجة لانشغالهم بواجبات اجتماعية أخرى.

ونتيجة لهذا الانشغال، نجد أن أسرا كثيرة الآن جعلت من أجهزة الآيباد والحواسيب اللوحية والهواتف الذكية، البديل الوحيد أمام أطفالهم، الذي يشغلون معه وقت فراغهم. فعلى سبيل المثال، نجد أطفالا في عمر الزهور يجولون بأصابعهم على شاشات اللمس، منغمسين في هذا العالم الافتراضي الجذاب، فيضيع وقتهم في أمور لا طائل منها. ومما يزيد الأمر سوءا، أن وجد فيها الآباء والأمهات ملاذا لهم، في صرف أنظار أطفالهم عنهم أثناء قيامهم ببعض الأعمال المنزلية، حتى إن بعض الآباء يرون أن هذه الأجهزة تساعد في تهدئة الطفل مما يدفعهم إلى إعطائها إليه قبل النوم، إلا أن كثيرا من الأبحاث التربوية جاءت لتحذر من أن انشغال الأطفال بهذه الأجهزة يبعدهم عن ألعابهم، الأمر الذي يحد من قدراتهم على التفكير وتطوير مهاراتهم المختلفة، فضلا عن أن هذه الأجهزة تؤثر في نظر الأطفال وقدرتهم على النوم. هذه الأسباب وغيرها تدفعنا إلى البحث عن بدائل حقيقية يقضي عبرها أطفالنا وقت فراغهم بطريقة صحيحة ومفيدة،

## زيارة المعالم التاريخية تسهم في بناء شخصية الطفل

ولا يتأتى ذلك إلا بخروج الوالدين من دائرة الروتين اليومي بتخصيص جزء، ولو يسيرا، من وقتهما للأبناء، وذلك بمساعدتهم في وضع جدول زمني محدد يوجهون خلاله أنظارهم إلى ممارسة أنشطة مفيدة يكتسبون من خلالها مهارات جديدة تعود على صحتهم وعقولهم بالنفع والفائدة.

وإليكم بعضا من هذه الأنشطة التي يمكن أن تخلق جوا أسريا حميما بين الأبناء والوالدين من ناحية، ومن ناحية أخرى ينفس عبرها الأطفال ما بداخلهم من طاقات ومكبوتات بأسلوب صحيح.

### حفظ القرآن الكريم وتعلمه

علينا كآباء وأمهات أن نوجه أنظار أطفالنا إلى استثمار جزء من وقت فراغهم في حفظ القرآن الكريم وتعلمه، سواء كان ذلك في البيت أو المسجد أو مراكز تحفيظ القرآن الكريم المنتشرة، وهي والحمد لله كثيرة في بلداننا العربية والإسلامية، لأن ربط الطفل منذ الصغر بالقرآن الكريم، حفظا وتلاوة وسلوكا، له أثر طيب وفوائد عظيمة على الطفل، فهو يقوّم لسانه، ويعوّده طريقة النطق السليم، وينمي ذوقه، فهو قمة الإعجاز ونحو اللغة العربية الأسمى، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، إن القرآن الكريم يربط الطفل منذ نعومة أظفاره بدينه الإسلامي، لأنه دستور الإسلام وأصله الأول، فعندما يفتح الطفل عقله وقلبه لحفظ آيات القرآن الكريم، فلا يعرف في حياته بعد ذلك أي موجة من موجات الانحراف، ولا مبدأ يعتقده سوى مبادئ القرآن الكريم، ولا يعرف تشريعا يستقي منه سوى تشريع القرآن، ولا يعرف بلسما لروحه وشفاء لنفسه سوى الخشوع بآيات القرآن الكريم، وبذلك تصل الأسرة إلى الغاية المرجوة في تكوين أطفالها روحيا وإعدادهم إيمانيا وأخلاقيا عن طريق استثمار جزء من وقت فراغهم وتوجيهه إلى حفظ القرآن الكريم وتعلمه.



### إشراكهم في بعض الأعمال البسيطة

كما يمكن أن نشغل وقت فراغ الطفل بإشراكه في بعض الأعمال المنزلية البسيطة، كترتيب أشيائه ومتعلقاته الخاصة من كتب ولعب وملابس، وأي شيء آخر يشعر بأنه ملكه، أو تكليفه بمتابعة بعض النباتات وزراعتها وتعهدها بالرعاية والاهتمام، أو تشجيعه على المشاركة مع بعض أصدقائه بالمساهمة في تجميل الحي الذي يقطن فيه، إلى آخر ذلك من هذه الصور والأشياء البسيطة التي نشغل بها وقت فراغ الطفل، وفي الوقت نفسه تنمي في نفسه روح التعاون وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس.

### ممارسة الرياضة

تعد ممارسة الرياضة البدنية من أهم الوسائل التي يمكن أن يشغل من خلالها الطفل وقت فراغه، فهي من الأنشطة الحيوية التي تساعد على بناء شخصية إنسانية متوازنة تقوم على أساس صحة الجسد وصحة العقل. ولو أننا ألقينا نظرة على تعاليم ديننا الإسلامي في هذا الشأن، فسنجد أن تربية الطفل والاعتناء بصحته، الجسدية والعقلية،

شغلا جانبا مهما من جوانب منهج التربية الإسلامية في إعداد النشء المسلم إعدادا سليما للحياة، ذلك لأن العقيدة الإسلامية تحرص على بناء إنسان متكامل، قوى الجسم صحيح العقل، لذلك يلفت نظرنا رسول الله ﷺ إلى أهمية الرياضة البدنية والصحة الجسدية للإنسان، فيقول: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين (الرمي)، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة» (رواه الطبراني بإسناد جيد). فإذا كان الاعتناء والإعداد الجسمي السليم من الأمور اللازمة للمسلم، فإن لزومها للولد وهو صغير من باب أولى؛ حتى يشب قوى الإرادة متمتعا بالحيوية والنشاط، فقد كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثيرا من بني العباس، فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم (أخرجه أحمد بإسناد حسن). كما لا نغفل أيضا عما توصلت إليه الدراسات التربوية المعاصرة، التي أثبتت أن للنشاط البدني والرياضي دورا كبيرا في زيادة معدلات الذكاء لدى الطفل، وأن الميل للعب وممارسة الأنشطة البدنية والرياضية لا يعوق التحصيل الدراسي، بل يساعد عليه بصورة أفضل.

### ممارسة الطفل للهوايات المفيدة

من الوسائل التي يمكن للطفل أن يقضي من خلالها وقت فراغه ممارسة هواية مفيدة، كالقراءة أو الرسم أو غيرهما من أنواع الهوايات الأخرى، التي تدخل السرور على نفس الطفل، وفي الوقت نفسه تعده وتؤهله لاحتراف إحدى هذه الهوايات في مستقبله. ولكن علينا كآباء أن نضع في اعتبارنا ما يوجد من فروق

## إشراك الطفل في أعمال البيت من باب سد الفراغ

فردية واسعة بين الأطفال في ما يفضلون من هوايات، وما يوجد بينهم من تباين في ما يتعلق بالقدرات العقلية والسمات المختلفة، وأن نترك للطفل اختيار الهواية المناسبة التي تستحوذ على حبه واهتمامه، وتشجيعه على ممارستها بتوفير الأدوات اللازمة لها، فإذا كانت ميول الطفل أدبية أحضرنا له الكتب والقصص والمجلات التي تتلاءم مع سنه، وشجعناه على قراءتها وناقشناه في ما يقرأ، ووفرنا له الجو الملائم لعملية القراءة، وتركنا له حرية اختيار لون الأدب الذي يفضله. وإذا كانت ميوله للرسم ألحقناه ببعض المراكز المتخصصة لتعليم الرسم ووفرنا له المعلومات اللازمة حوله ومنحناه من الوقت ما يمكنه من ممارسة هوايته، فالرسم ينمي في الطفل الإحساس ويساعده على الاستمتاع بوقت فراغه واستغلاله في أمر محبب إلى نفسه. وإذا كانت هوايته علمية قدمنا له الألعاب التي تنمي المهارات الإبداعية لديه، والتي يستطيع عن طريقها صنع أشياء وابتكار أشكال جديدة تنمي قدراته الذهنية، وتظهر مواهبه في التفكير وحل المشكلات، وهكذا مع سائر الهوايات الأخرى، التي تشغل اهتمام الطفل، ولا مانع من أن يكون للطفل أكثر من هواية، ولكن علينا كآباء أن نساعده على الاستغلال الأمثل للوقت واستثماره في ما يفيده وينفعه ولا يضره، خصوصا خلال فترات الإجازات. وليعلم الآباء أن العديد من الدراسات والأبحاث التي أجريت على الأطفال في هذا الصدد أثبتت، جميعها، أن الأطفال الذين يمارسون هواية محببة إلى أنفسهم إلى جانب دراستهم قد حصلوا على درجات أعلى من الذين لا يمارسون أي هواية بجانب الدراسة، وفي ذلك ما يجعل الآباء يطمئنون إلى أن ممارسة الهواية بشكل منتظم من دون تفريط، تخدم العملية التعليمية وليس العكس.

### القيام برحلات للمتاحف والأماكن التاريخية

ومن الوسائل المهمة التي تسهم في قضاء وقت فراغ الطفل بصورة نافعة ومفيدة، القيام ببعض الرحلات والزيارات لأهم المعالم التاريخية والمتاحف الأثرية ومعارض الكتب وغيرها من الأماكن العامة، مع تشجيع الطفل على الكتابة أو الرسم عما شاهده أو قرأ عنه، وتقديم جائزة، ولو رمزية، لتشجيعه على القيام بمثل هذه الزيارات مع الأسرة، فإن مثل هذه الرحلات والزيارات إن كانت في المقام الأول تحمل بعدا ترفيهيا يقضي من خلالها الطفل بعضا من وقت فراغه، فإن بعدها المعرفي والتثقيفي أكبر وأعظم فائدة، لأنها تساعدنا كآباء وأمهات في تعريف الطفل بصورة مباشرة ومن خلال المشاهدة الحية بتاريخه وحضارته في شكل شائق، مما يرسخ المعلومة في عقله ويعطيه صورة قريبة عن تاريخه وحضارته.

### أخيرا

وفي النهاية، نقول علينا أن نعلم أبناءنا، كيف يستثمرون أوقات فراغهم بأسلوب صحيح في الأشياء التي تنمي مواهبهم وتشبع رغباتهم وطموحاتهم، بحيث يخرجون من الإجازات المدرسية، وهم أكثر نشاطا وحيوية، وقد أضافوا إلى معلوماتهم ومعارفهم كل ما هو نافع ومفيد، مما يعود على مستقبلهم بالخير والتقدم.




ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

## سلسلة الذخائر

# مجلة الرسالة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع الساحة رقم ٣٩ بالقاهرة
التليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون
تصدر كل اسبوعين مؤقتاً



بدل الاشتراك
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الاول (القاهرة في يوم الأحد ١٨ رمضان سنة ١٣٥١ — ١٥ يناير سنة ١٩٣٣) السنة الاولى

## الرسالة

... وأخيراً تغلب العزم المصمم على التردد الخوار فصدرت الرسالة. وما سلط على نفوسنا هذا التردد إلا نُذُر شاع وأمثال تروى.. وكلها تصور الصحافة الأدبية في مصر سبيلا ضلت صواها وكثرت صرعاها فلم يوف أحد منها على الغاية، والعلة أن السياسة طغت على الفن الرفيع، والأزمة مكنت للأدب الرخيص، والأمة من خداع الباطل في لَبْس من الأمر لا تميز ما تأخذ مما تدع! فلما تناصرت على هذه الوساوس حجج العقل، ونوازع الواجب، وعدات الأمل، أصبحت الأسباب التي كانت تدعو إلى النكول بواعث على الاقدام وحوافز للعمل، لأن غاية (الرسالة) أن تقاوم طغيان السياسة بصقل الطبع، وبَهْرج الأدب بتثقيف الذوق، وحيرة الأمة بتوضيح الطريق. أجل هذه غاية الرسالة! وما يَصْدِفنا عن سبيلها ما نتوقع من صعاب وأذى، فان أكثر الناهضين بها قد طووا مراحل الشباب على منصة التعليم، والعملان في الطبيعة والتبعة سواء. ومن قضى ربيع الحياة في مجادب ذلك، لا يشق عليه أن يقضي خريفها في مجاهل هذا!

أما مبدأ الرسالة فربط القديم بالحديث، ووصل الشرق بالغرب. فبربطها القديم بالحديث تضع الأساس لمن هار بناؤه على الرمل، وتقيم الدَّرج لمن استحال رقيه بالطفور! وبوصلها الشرق بالغرب تساعد على وجدان الحلقة التي ينشدها صديقنا الأستاذ احمد أمين في مقاله القيم بهذا العدد

والرسالة تستغفر الله مما يخامرها من زهو الواثق حينما تَعِد وتتعهد. فان اعتمادها على الأدباء البارعين والكتاب النابهين في مصر والشرق العربي، واعتصامها بخلصائها الأدنين من أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، وهم صفوة من خرّجت مصر الحديثة في مناحي الثقافة، إذا اجتمعا في نفسها مع ما انطوت عليه من صدق العزم وقوة الايمان قد أحدثنا هذه الثقة التي تشيع في الحديث عن غير قصد.

يشترك في تحرير المجلة:
الدكتور طه حسين
واعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر

على أن للرسالة من روح الشباب سنداً له خطره وأثره، فانهم أحرص الناس على أن يكون لثقافتهم الصحيحة مظهر صحيح. وما دامت وجهة الرسالة الاحياء والتجديد، وطبيعة الشباب الحيوية والتجدد، فلا بد أن يتوافيا على مشرع واحد!

فالى أبناء النيل وبردى والرافدين تقدم بهذه الرسالة، راجين أن تضطلع بحظها من الجهد المشترك في تقوية النهضة الفكرية، وتوثيق الروابط الأدبية، وتوحيد الثقافة العربية. وهي على خير ما يكون المخلص من شدة الثقة بالمستقبل وقوة الرجاء في الله؟

احمد حسن الزيات

**تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.**

وتأتي «مجلة الرسالة» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

### التعريف بالمجلة

هي مجلة أسبوعية تعنى بالآداب والعلوم والفنون، لصاحبها ومديرها ورئيس تحريرها: أحمد حسن الزيات.

وقد صدر أول عدد منها في القاهرة يوم الأحد ١٨ رمضان، سنة (١٣٥١هـ)، الموافق لـ ١٥ يناير، سنة (١٩٣٣م)، واستمرت بالصدور ما يقارب ٢١ سنة.

التعريف بصاحب المجلة

أحمد حسن الزيات باشا: من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، اختير عضوا في المجامع اللغوية في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وحاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٢م في مصر.

### مولده ونشأته

ولد يوم (١٦جمادى الآخرة، سنة ١٣٠٣هـ) الموافق (٢ أبريل، سنة ١٨٨٥م)، في قرية كفر دميرة القديم بمحافظة الدقهلية بمصر، من أسرة متوسطة الحال تعمل في الفلاحة.

بدأ تعليمه في كتاب القرية، فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى قرية مجاورة فيها عالم بالقراءات فأخذ منه القراءات السبع وأجادها في سنة واحدة.

وبعد بلوغه سن الثالثة عشر التحق بالجامع الأزهر، وبقي فيه مدة عشر سنوات، فتلقى في خلالها العلوم الإسلامية واللغة العربية، إلا أن الزيات كان يميل إلى الأدب العربي فتعلق بدروس الشيخ سيد علي المرصفي، وحضر أيضا شرح المعلقات للشيخ محمد محمود الشنقيطي، أحد أعلام اللغة العربية البارزين آنذاك، واتصل بعدة أدباء في عصره أمثال: طه حسين، ومحمود حسن الزناتي.

وبرغم كل هذا لم يكمل الزيات دراسته بالأزهر، وإنما التحق بالجامعة الأهلية، فكان يدرس بها مساء ويعمل صباحا بالتدريس في المدارس الأهلية، ومن خلال عمله التقى بالعديد من رجال الفكر والأدب في عصره، مثل: العقاد، والمازني، وأحمد زكي، ومحمد فريد أبوحديد.

اختير رئيسا للقسم العربي بالجامعة الأمريكية بالقاهرة في عام ١٩٢٢م، وفي أثناء ذلك التحق بكلية الحقوق الفرنسية، فأمضى فيها سنتين في مصر، وقضى السنة الثالثة في فرنسا حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس في سنة ١٩٢٥م.

اختير بعدها أستاذا بدار المعلمين في بغداد، فانتقل إلى هناك، وبعد عودته من بغداد عام ١٩٣٣م ترك التدريس وتفرغ للصحافة والتأليف، فأنشأ هذه المجلة (الرسالة)، والتي صار لها صدى وأثرا في مصر والعالم العربي.

لم ينخرط الزيات في أي حزب سياسي؛ فظل محل تقدير وموضع اهتمام، إلى أن توفاه الله في القاهرة صباح يوم الأربعاء (١٦ ربيع الأول، سنة ١٣٨٨ هـ) الموافق لـ (١٢ مايو، سنة ١٩٦٨م) أي بعد أن بلغ من العمر ٨٣ عاما. وقد نقل جثمانه إلى قرية كفر دميرة ودفن فيها.

### محتوى المجلة

لقد كانت هذه المجلة مدرسة أدبية، فاحتوت صفحاتها على العديد من المواضيع الأدبية والعلمية والفنية.

فقد نشر في عددها الأول موضوع بعنوان: حلقة مفقودة، للأستاذ أحمد أمين، بعدها موضوع بعنوان: الثقافة العربية في العلم والعالم، لصاحب المجلة «أحمد حسن الزيات»، ثم موضع بعنوان: تعدد الأوضاع البلبلة والضياع، لعبدالقادر المغربي، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، وحلقات الأدب في الفسطاط، للأستاذ محمد عبدالله عنان...

### نسخة مجلة «الوعي»

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه الدرة الثمينة، حيث بلغ عدد أعدادها التي صدرت طيلة مسيرتها (١٠٢٥) عددا، جمعت في عدة مجلدات لتسهل العودة إليها، وهي في متناول طلاب العلم والمعرفة.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

**لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.**

# أحكام التداوي والتطبيب

- **الخلاصة الحكمية:**

- الأصل في حكم التداوي أنه مشروع، لما ورد في شأنه في القرآن الكريم والسنة القولية والفعلية، ولما فيه من حفظ النفس، الذي هو أحد المقاصد الكلية من التشريع.

- مما تقتضيه عقيدة المسلم أن المرض والشفاء بيد الله عز وجل، وأن التداوي والعلاج أخذ بالأسباب التي أودعها الله تعالى في الكون وأنه لا يجوز اليأس من روح الله أو القنوط من رحمته، بل ينبغي بقاء الأمل في الشفاء بإذن الله.

- يشترط إذن المريض للعلاج إذا كان تام الأهلية، فإذا كان عديم الأهلية أو ناقصها اعتبر إذن وليه حسب ترتيب الولاية الشرعية، ووفقا لأحكامها التي تحصر تصرف الولي فيما فيه منفعة المولى عليه، ومصلحته، ورفع الأذى عنه.

- الأصل حظر إفشاء السر، ويتأكد في المهن التي يعود الإفشاء فيها على أصل المهنة بالخلل، كالمهن الطبية.

- الأصل السماح بإجراء العملية الجراحية للمريض، فعلاجه خير من أن نترك المرض يفتك به، والأعمار بيد الله.

■ **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

**- أولا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره السابع بجدة في المملكة العربية السعودية من (٧-١٢ذي القعدة١٤١٢هـ/الموافق ٩-١٤أيار «مايو» ١٩٩٢م)، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع: «العلاج الطبي»، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:**

أولا : التداوي:

الأصل في حكم التداوي أنه مشروع؛ لما ورد في شأنه في القرآن الكريم والسنة القولية والفعلية، ولما فيه من حفظ النفس الذي هو أحد المقاصد الكلية من التشريع.

وتختلف أحكام التداوي باختلاف الأحوال والأشخاص:

- فيكون واجبا على الشخص إذا كان تركه يفضي إلى تلف نفسه أو أحد أعضائه أو عجزه، أو كان المرض ينتقل ضرره إلى غيره، كالأمراض المعدية.

- ويكون مندوبا إذا كان تركه يؤدي إلى ضعف البدن، ولا يترتب عليه ما سبق في الحالة الأولى.

- ويكون مباحا إذا لم يندرج في الحالتين السابقتين.

- ويكون مكروها إذا كان بفعل يخاف منه حدوث مضاعفات أشد من العلة المراد إزالتها.

ثانيا : علاج الحالات الميؤوس منها :

أ- مما تقتضيه عقيدة المسلم أن المرض والشفاء بيد الله عز وجل، وأن التداوي والعلاج أخذ بالأسباب التي أودعها الله تعالى في الكون وأنه لا يجوز اليأس من روح الله أو القنوط من رحمته، بل ينبغي بقاء الأمل في الشفاء بإذن الله.

وعلى الأطباء وذوي المرضى تقوية معنويات المريض، والدأب في رعايته وتخفيف آلامه النفسية والبدنية بصرف النظر عن توقع الشفاء أو عدمه.

ب- إن ما يعتبر حالة ميؤوسا من علاجها هو بحسب تقدير الأطباء وإمكانات الطب المتاحة في كل زمان ومكان وتبعا لظروف المرضى.

ثالثا : إذن المريض:

أ- يشترط إذن المريض للعلاج إذا كان تام الأهلية، فإذا كان عديم الأهلية أو ناقصها اعتبر إذن وليه حسب ترتيب الولاية الشرعية ووفقا لأحكامها التي تحصر تصرف الولي فيما فيه منفعة المولى عليه ومصلحته ورفع الأذى عنه.

على أن لا يعتد بتصرف الولي في عدم الإذن إذا كان واضح الضرر بالمولى عليه، وينتقل الحق إلى غيره من الأولياء ثم إلى ولي الأمر.

ب- لولي الأمر الإلزام بالتداوي في بعض الأحوال، كالأمراض المعدية والتحصينات الوقائية.

ج- في حالات الإسعاف التي تتعرض فيها حياة المصاب للخطر لا يتوقف العلاج على الإذن.

د- لابد في إجراء الأبحاث الطبية من موافقة الشخص التام الأهلية بصورة خالية من شائبة الإكراه - كالمساجين - أو الإغراض المادي - كالمساكين -،

ويجب أن لا يترتب على إجراء تلك الأبحاث ضرر.
ولا يجوز إجراء الأبحاث الطبية على عديمي الأهلية أو ناقصيها ولو بموافقة الأولياء.
انتهى القرار.

**- ثانيا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره الثامن ببندر سيري بيجوان، بروناي دار السلام من (١-٧محرم١٤١٤هـ، الموافق٢١-٢٧حزيران «يونيو» ١٩٩٣م)، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع السر في المهن الطبية، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:**

أولا: السر هو ما يفضي به الإنسان إلى آخر مستكتما إياه من قبل أو من بعد، ويشمل ما حفت به قرائن دالة على طلب الكتمان إذا كان العرف يقضي بكتمانه، كما يشمل خصوصيات الإنسان وعيوبه التي يكره أن يطلع عليها الناس.

ثانيا: السر أمانة لدى من استودع حفظه، التزاما بما جاءت به الشريعة الإسلامية وهو ما تقضي به المروءة وآداب التعامل.

ثالثا: الأصل حظر إفشاء السر. وإفشاؤه بدون مقتض معتبر موجب للمؤاخذة شرعا.

رابعا: يتأكد واجب حفظ السر على من يعمل في المهن التي يعود الإفشاء فيها على أصل المهنة بالخلل، كالمهن الطبية، إذ يركن إلى هؤلاء ذوو الحاجة إلى محض النصح وتقديم العون فيفضون إليهم بكل ما يساعد على حسن أداء هذه المهام الحيوية، ومنها أسرار لا يكشفها المرء لغيرهم حتى الأقربين إليه.

خامسا: تستثنى من وجوب كتمان السر حالات يؤدي فيها كتمانه إلى ضرر يفوق ضرر إفشائه بالنسبة لصاحبه، أو يكون في إفشائه مصلحة ترجح على مضرة كتمانه، وهذه الحالات على ضربين:

أ- حالات يجب فيها إفشاء السر بناء على قاعدة ارتكاب أهون الضررين لتفويض أشدهما، وقاعدة تحقيق المصلحة العامة التي تقضي بتحمل الضرر الخاص لدرء الضرر العام إذا تعين ذلك لدرئه.

وهذه الحالات نوعان:
- ما فيه درء مفسدة عن المجتمع.
- وما فيه درء مفسدة عن الفرد.

ب - حالات يجوز فيها إفشاء السر لما فيه:
- جلب مصلحة للمجتمع.
- أو درء مفسدة عامة.

وهذه الحالات يجب الالتزام فيها بمقاصد الشريعة وأولوياتها من حيث حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

سادسا: الاستثناءات بشأن مواطن وجوب الإفشاء أو جوازه ينبغي أن ينص عليها في نظام مزاولة المهن الطبية وغيره من الأنظمة، موضحة ومنصوصا إليها في سبيل الحصر، مع تفصيل كيفية الإفشاء، ولمن يكون، وتقوم الجهات المسؤولة بتوعية الكافة بهذه المواطن.

ويوصي بما يلي:
دعوة نقابات المهن الطبية ووزارات الصحة وكليات العلوم الصحية بإدراج هذا الموضوع ضمن برامج الكليات والاهتمام به وتوعية العاملين في هذا المجال بهذا الموضوع، ووضع المقررات المتعلقة به، مع الاستفادة من الأبحاث المقدمة في هذا الموضوع. والله الموفق.
انتهى القرار.

**- ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج:٢/ص:٣١٨/ف:٦٦٨)، في موضوع «علاج المريض بناء على احتمال شفائه»، ونصه: أنا مسؤول عن امرأة، وهي مصابة بمرض السرطان والسكر، وبعد عرضها على الأطباء قرروا إجراء عملية لها، إلا أن نسبة نجاحها (٣٠٪)، فهل أسمح بإجراء العملية؟ وإذا سمحت لها بذلك ثم - لا قدر الله - توفيت، فهل يلحقني إثم على ذلك؟**

أجابت اللجنة بما يلي:
على السائل أن يسمح بإجراء العملية للمصابة ولو كانت النسبة (١٪)، فعلاجها خير من أن نترك المرض يفتك بها، والأعمار بيد الله. والله أعلم.
انتهت الفتوى.

**- رابعا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج:٢١/ص:٣٩٩/ف:٦٨٧٦)، في موضوع «نزع أجهزة إنعاش عن مريض ميئوس منه»، ونصه: أصيبت شقيقتي بجلطة في القلب وأخرى في الدماغ، ونتج عن ذلك دخولها في غيبوبة، ووضع لها الأطباء في المستشفى أجهزة للتنفس الصناعي وللقلب، وقالوا في تشخيص حالتها: إنه ميئوس منها وميتة دماغيا.**

والسؤال: هل يجوز نزع هذه الأجهزة عنها؟
أجابت الهيئة بما يلي:
إذا تعطلت جميع وظائف الدماغ تعطلا نهائيا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ الدماغ في التحلل، ففي هذه الحال يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص، وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلا لا يزال يعمل آليا بفعل الأجهزة المركبة. والله أعلم.
انتهت الفتوى.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

# جامع الراجحي لخدمة رسالة الإسلام (1-3)

**يعتبر جامع الراجحي في الرياض الواقع على الطريق الدائري الشرقي من المعالم البارزة كونه يصنف من ضمن أكبر الجوامع على المستوى العربي، ولهذا أدرج في قائمة معالم مدينة الرياض التي يزورها ضيوف المملكة المسلمون أثناء زياراتهم للعاصمة.**

يعتبر جامع الراجحي في الرياض الواقع على الطريق الدائري الشرقي من المعالم البارزة كونه يصنف من ضمن أكبر الجوامع على المستوى العربي، ولهذا أدرج في قائمة معالم مدينة الرياض التي يزورها ضيوف المملكة المسلمون أثناء زياراتهم للعاصمة.

أنشأ هذا المسجد على نفقته الخاصة رجل الأعمال السعودي الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي، وافتتحه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود عندما كان أميرا على منطقة الرياض، وكان افتتاحه يوم الأحد (١٢/ شعبان/١٤٢٥هـ-١٦/ ديسمبر/٢٠٠٤م)، فلنتعرف على هذا المَعْلم الكبير:

### معلومات عامة عن الجامع:

- تتبع إدارة جامع الراجحي إلى مؤسسة وقف الراجحي الخيرية، والتي يترأسها: الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي، ومديرها التنفيذي: الشيخ صالح الهبدان.
- تتراوح ميزانية الجامع السنوية ما بين (٦ إلى ١٠) ملايين ريال سعودي.
- للجامع إمامان، ومؤذنان.
- ماء زمزم لا ينقطع من الجامع طوال العام.
- تزيد الدروس الأسبوعية على (٣٠) درسا.
- تغطية كاملة وشاملة لمستلزمات أكثر من (١٥٠٠) معتكِف في رمضان.
- أكثر من (١٠٠٠) هدية يتم توزيعها على الأطفال بعد صلاتي العيدين.
- يختم القرآن في الجامع في صلاة التراويح كل سنة في رمضان.

### أولا: موقعه

يقع جامع الشيخ سليمان الراجحي في حي الجزيرة شرق مدينة الرياض على الطريق الدائري الشرقي مخرج رقم (١٥)، على مساحة جغرافية تقدر بـ (١٣٢٦٠) مترا مربعا، أما المساحة الإجمالية فتبلغ (٤٣٥٦٨) مترا مربعا.

### ثانيا: وصفه الإنشائي والمعماري

إن الناظر إلى جامع الراجحي في الرياض لا يتردد لحظة بتشبيهه ببناء المصلى المرواني الجنوبي للمسجد الأقصى.

فللجامع منارتان ارتفاع كل واحدة منهما (٥٥) مترا، وللمسجد قبة رئيسية بقطر (٢٨,٨) مترا بارتفاع (٣٧) مترا من مستوى سطح الأرض، ويتوسطه بهو داخلي بارتفاع (٢٥) مترا، مغطى بسقف زجاجي يسمح بدخول الإضاءة.

### ثالثا: أقسامه

بالإضافة إلى الخدمات الأساسية كدورات المياه، وأماكن الوضوء، ومواقف السيارات؛ يحتوي جامع الشيخ سليمان الراجحي على:

١- المصلى:

يتكون مصلى الرجال من ثلاثة أدوار، ويتسع لـ (١٨) ألف مصل، ومصلى للنساء مكون من دورين ويتسع لـ (٢٥٠٠) مصلية.

٢- المواقف:

للجامع مواقف مسقوفة متعددة الأدوار تتسع لـ (٤٩٠) سيارة، بالإضافة إلى المواقف الخارجية المكشوفة حول الجامع.

كما أنه يوجد مواقف خاصة للأئمة والمؤذنين، وكبار الشخصيات والزوار،



تدخل بك مباشرة إلى الصف الأول في المصلى.

٣- المكتبة:

تقع المكتبة في الجهة الجنوبية الغربية من الجامع في (البدروم - السرداب - القبو)، وتكمن رسالة المكتبة في نشر العلم الشرعي، وتوفير خدمة المعلومات والبحث لكافة أفراد المجتمع.

تم افتتاح المكتبة في سنة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، وقد كان عدد مجموعات المكتبة حوالي (٣٠٠٠) عنوانا، ثم بلغ العدد الإجمالي لمجموعات مقتنيات المكتبة في عام (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م) نحو (١٨٠٠٠) عنوانا وأكثر من (٥٠٠٠٠) مجلدا، باللغة العربية أغلبها في العلوم الشرعية.

وقد واكبت المكتبة التطورات الحديثة، فقامت بتطوير موقعها على الموقع الرسمي للجامع، والذي يحصل من خلاله المستفيدون على خدمة أفضل.

وتتسع المكتبة لمائة قارئ، كما أن خدمة الإنترنت وخدمة المكفوفين متوفرة بها.

والمكتبة تستقبل الرجال والنساء، ولكن بمواعيد مخصصة، وأيام محددة للنساء؛ لتتم الاستفادة للباحثين على حدٍّ سواء.

وتنقسم المكتبة إلى عدة أقسام هي:

أ- قسم الخدمات الإلكترونية:

يحتوي هذا القسم على (٧) أجهزة حاسب آلي متاحة لاستخدام جميع المستفيدين لأغراض البحث العلمي.

كما يحتوي على جهاز مكتبة المكفوفين.

ويحتوي على قسم المكتبة الإلكترونية وتحتوي على أكثر من (٤٠) ألف كتاب إلكتروني.

ب- قسم الإجراءات الفنية:

يتولى قسم الإجــراءات الفنية طلب وتجهيز وضبط وتنظيم مصادر المعلومات قبل إتاحتها للاستخدام، ويشتمل على الوحدات الآتية:

أ- وحدة التزويد:

تقوم بعمليات اختيار وشراء الكتب بناء على سياسة المكتبة التي تعتمد على تلبية احتياجات الأقسام وحاجات الباحثين، ومن خلال الاتصال بالموردين والناشرين، ثم متابعة الطلبات واستلامها وتجهيزها.

ب- وحدة الفهرسة والتصنيف:

تتولى هذه الوحدة إعداد وتجهيز الكتب بما في ذلك بيانات الوصف المادي والموضوعي للكتاب وإدخال البيانات الببليوجرافية للكتاب مثل: «اسم المؤلف، عنوان الكتاب، بيانات النشر، رمز التصنيف، رأس الموضوع» في نظام الفهرس الآلي «horizon».

ويتم تصنيف الكتب وفقا لنظام تصنيف ديوي العشري العالمي.

ج- قسم الخدمات المرجعية:

يوفر القسم خدمات مرجعية متنوعة، ويستقبل استفسارات المستفيدين على اختلاف فئاتهم، ويتولى الإجابة عليها سواء هاتفيا أو شخصيا أو عن طريق البريد الإلكتروني، كما يقوم باستقبال وفود الطلاب والباحثين ويشرح لهم مصادر وخدمات المكتبة.

د- قسم الإهداء:

يهدف القسم إلى توفير الكتب والمواد التي يصعب الحصول عليها أو شرائها، وبذلك يساهم القسم في تنمية مقتنيات المكتبة وإثرائها، بينما يتم الحصول على المجموعات المهداة من جهات مختلفة وفق ضوابط مقننة تحدد الاستفادة الفعلية منها مثل:

- الجامعات والهيئات ومراكز البحوث داخل المملكة وخارجها.
- الهيئات الحكومية.
- دور النشر والطباعة.
- إهداءات شخصية من المؤلفين.

## علم الشريعة

قال العلامة محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى: «جرت سنة الله أن علم الشريعة إنما ينال بالأخذ عن علمائها، وينحرف بعض العامة عن هذه العبادة، فيشهدون رجلا كيف ينشأ بينهم، ولم يدخل مجلس تعليم، ولم يصاحب أستاذًا يتلقى عنه ما تجب معرفته من أحكام الدين، فيغترون بمزاعمه، ويعتقدون له مقامًا ساميًا في الصلاح، ثم يقتدون بسيرته، ويؤثرون أقواله عما يرويه العلماء من بينات الكتاب والسنة».

**(انظر: موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، ٥/٢٤٩٧)**

## التوكل

قال الفيض بن إسحق: قلت للفضيل رحمه الله: تَحد لي التوكل؟ قال: آه، كيف تتوكل عليه وأنت يختار لك فتسخط قضاءه، أرأيت لو دخلت بيتك، فوجدت امرأتك قد عميت، وابنتك قد أقعدت، وأنت قد أصابك الفالج، كيف كان رضاك بقضائه؟ قلت: كنت أخاف ألا أصبر. قال: فكيف لا، حتى يكون عندك واحدا ترضى بكل ما صنع في العافية والبلاء.

وسُئل الحسن عن التوكل فقال: الرضا عن الله.

وقال بعض الحكماء: التوكل على ثلاث درجات، أولاها: ترك الشكاية، والثانية: الرضى، والثالثة: المحبة. فترك الشكاية درجة الصبر، والرضى سكون القلب بما قسم الله له، وهي أرفع من الأولى، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله به، فالأولى للزاهدين، والثانية للصادقين، والثالثة للمرسلين.

**(انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا ١/١٤٢، ١٥١، ١٦١)**

## الحلم عند العرب

سُئل الأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: تعلمته من قيس بن عاصم المنقري، حضرته يوما وهو مُحتَبٍ يحدثنا، إذ جاءوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا: هذا قتل ابنك هذا! فلم ينقطع عن حديثه، ولا حلَّ حبوته، حتى فرغ من الحديث، فالتفت إليهم وقال: أرعبتم الفتى. ثم أقبل عليه فقال: يا بُني، نقصتَ عددكَ، وأوهنتَ رُكنكَ، وفتت في عضدك، وأشمتَّ عدوك، وأسأت إلى قومك. ثم التفت إلى قومه وقال: أين ابني فلان؟ فوقف بين يديه. فقال له: يا بني، قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القتيل فأعطها مئة ناقة لأنها غريبة؛ لعلها تسلو عنه.

**(الحديقة لمحب الدين الخطيب ٣/١٢٦٦)**

## حنفش

قال العلامة الذهبي رحمه الله تعالى: «محمد بن حمد بن خلف، أبوبكر البندنيجى، حنفش الفقيه، تحنبل، ثم تحنَّف، ثم تشفَّع، فلذا لقب: «حنفش». ولد سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة، وسمع الصيريفيني، وابن النقور، وأبا على بن البناء، وتلا عليه، وعنه السمعاني، وابن عساكر، وابن سكينة... توفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة».

(انظر: ميزان الاعتدال، ٣/٥٢٨)

## البصيرة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «البصيرة نور يجعله الله في عين القلب، يفرِّق به العبد بين الحق والباطل».

**(انظر: مدارج السالكين، ٤/١٢٤)**

## الذنوب

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى: «إن من الذنوب ما يكون سببا لخفاء العلم النافع أو بعضه، بل يكون سببًا لنسيان ما علم».

**(انظر: مجموع الفتاوى، ١٤/١٦٠)**

## انضباط في العمل

قال معاذ بن معاذ لابنه في يوم مطير: أي بني، امض بنا نجلس للناس. فقال ابنه: يا أبت هذا يوم مطير لا يجيء فيه الناس. فقال: يا بني، امض بنا، فبم نستحل أن نأخذ كل يوم كذا وكذا درهما؟ وخرج وجلس.

**(أخبار القضاة لوكيع بن خلف بن حيان ١٣٨/٢)**

## فضول المخالطة داء

«إن فضول المخالطة هي الداء العضال، الجالب لكلِّ شرٍّ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات، وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة».

**(بدائع الفوائد ٢٧٣/٢)**

## كثير النظم قليل النوم

قال الزركلي في ترجمة الأديب الشاعر سليم بن روفائيل عنحوري (ت ١٩٣٣م): «كان كثير النظم، قليل النوم، أخبرني بدمشق سنة (١٩١٢م) أنه منذ ثلاثين عاما لم ينم أكثر من ثلاث ساعات في اليوم، تتناوب بناته السهر معه، يخدمنه ويكتبن ما يملي من نظم وغيره».

**(انظر: الأعلام، ١١٨/٣)**

## أقوال وحِكَم

- ارض من أخيك إذا ولي ولاية بعُشْر ودِّه قبلها.
- لا يوجد تبذير قط إلا وإلى جانبه حق مضيع.
- أكرموا سفهاءكم، فإنهم يكفونكم العار والنار.

**(زهر الآداب وثمر الألباب: ٥٩/١-٦١)**

## أربع فيهن صلاح دينك

قال صالح بن كيسان: خرج علينا الزهري من عند هشام بن عبدالملك فقال: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلامًا أحلى منه! قال له: يا أمير المؤمنين اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك، قال: ما هي؟ قال: «لا تَعِدنَّ أحدًا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنَّك مرتقق سهلا إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن للأعمال آخرًا فاحذر العواقب، وأن الدهر تارات فكن على حذر».

**(التماس السعد في الوفاء بالوعد لأبي الخير السخاوي: ٤٥/١)**

## القول والعمل

قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى: «إنَّ المؤمن يقول قليلًا ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يقول كثيرًا ويعمل قليلًا».

وعن الحسن قال: «ما عقل دينه مَن لم يحفظ لسانه».

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: «إنَّ مَن كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه، أو تأمر بمعروف أو تنهى عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها... أما يخشى أحدكم أنه لو نشرت عليه صحيفته التي أملى صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه».

**(انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا ٧٧/٧)**

## فضل العقل

قال الإمام ابن حبان في «روضة العقلاء» بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لما أهبط آدم من الجنة أتاه جبريل فقال: إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة فاختر واحدة ودع اثنتين، فقال آدم: وما الثلاث؟ فقال: الحياء، والدين، والعقل. فقال آدم: فإني اخترت العقل، قال: فقال جبريل للحياء والدين: انصرفا، ودعاه فقالا: إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، ثم عرج جبريل وقال: شأنكم».

**(كشكول ابن عقيل ص/٣٦)**

د. عمرو الكمار
كاتب وباحث إعلامي
مصر

# الدجل والشعوذة

من الأمور المعلومة أنه يجب على المسلم أن يأخذ بالأسباب فيما نزل به من ملمات وما حزبه من أمر، فيذهب إلى الطبيب عند نزول الداء ليشخص له مرضه ويعالجه بما يناسبه من الأدوية غير المحرمة شرعا حسب ما يعلمه في علم الطب، وقد أنزل الله تعالى الداء وأنزل الدواء، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله. فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، إلا داء واحدا، قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: الهرم» (جامع الترمذي)، فهذا من الأخذ بالسبب المباح الذي أمرنا به لعمارة الأرض، أما أن يُغيب المسلم عقله ويسير خلف المشعوذين فليس هذا من الأخذ بالأسباب، إنما هو سفه قد ابتلينا به في هذه الأيام التي كثر فيها الغث وقل فيها السمين.

فقد فشت في مجتمعاتنا الإسلامية ظاهرة الدجل والشعوذة بشكل غير مسبوق من ادعاء القدرة على فعل الخوارق من رد المطلقة أو جلب الحبيب أو تزويج العانس وغير ذلك من أفعال الدجل، وما يترتب عليها من تغييب للعقل وإغراقه في الخرافة والأساطير مما ينعكس سلبا على مسيرة المسلم نحو التقدم في حياته الشخصية بوجه خاص ونهضة الوطن بشكل عام، ولعل أبرز الأسباب في شيوع هذه الآفة الجهلُ بأحكام الشرع، وشيوع الأمية الدينية بين طوائف وشرائح واسعة في المجتمع، حيث يلجأ بعض المسلمين إلى المشعوذين والسحرة ظنا منهم أن الدين لا يتعارض مع السحر والشعوذة، مع أن قولهم قائم على الكذب والافتراء الباطل، وقد وعدهم الله بالخسران وعدم الفلاح في الدنيا والآخرة، وأن ما يجنونه من كسب أموال السذج من الناس إنما هو متاع زائل والعاقبة عذاب الله وسخطه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (يونس:٦٩-٧٠).

ومن أسباب انتشار هذه الظاهرة كذلك ضعف الجانب الإيماني عند بعض الناس، وقلة يقينهم بأن الله وحده هو القادر وهو الرزاق وهو المعطي وهو المانع جلا وعلا وأن كل شيء عنده بقدر، فقد خوت القلوب من أساس التوحيد الذي جعله الله سبحانه وتعالى قياما للناس، ومن الأمور المجمع عليها بين أهل العلم أنه لا يجوز الذهاب إلى الكهنة والدجالين والعرافين الذين يزعمون معرفة الغيب؛ ليقضي منهم حاجته.. ولا يجوز له أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجما بالغيب، وهؤلاء شأنهم الكذب، والاستعانة بهم شرك، قال ﷺ: «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (صحيح مسلم).

وما يطلبه الناس من معرفة المحبة والعداوة والوفاق والفراق فذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله يقول سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل:٦٥).

ويقول ربنا جل وعلا ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ (الرعد:٩)، ويقول سبحانه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن:٢٦-٢٧).

إن الدجل والشعوذة يبنيان أفعالهما على ما يخالف صريح العقل، ولو أن المسلم والمسلمة حكما العقل لرفضا قول الدجال المشعوذ، ولكن البعض رضى بأن يكون تابعا للجهلة وفريسة للنصابين الذين يسعون بكل حيلة لجمع أموال الناس، فالمؤمن كيِّس فطن، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لست بخب، والخب لا يخدعني» والخب هو: المخادع، والمعنى: لست بالماكر المخادع ولا يمكن أن يخدعني الماكر المراوغ؛ فليس المؤمن مخادعا غادرا، كما لا يسمح لغيره أن يغدر به.

ومن عظم بلاء هذه المحنة أنها انتشرت في العديد من القنوات الفضائية مما أعطاها قدرة على الدخول في كل البيوت، وشعر بعض الجهلة أنها ذات مصداقية وراجت على العوام الذين كثرت مشاكلهم ووجدوا حلها عند المشعوذ الروحاني الذي يستحل المال الحرام دون وازع من دين أو ضمير، فيجب علينا أن نكون أكثر وعيا وأن نتواصى وأن نتفق على رفض تلك القنوات، وعلى أن لا نستمع إليها ولا نشاهدها، سعيا للقضاء عليها ومنعا لهذا العبث بدين الناس وبعقولهم وبحاضرهم وبمستقبلهم، وكذلك على الجهات الرقابية دور رئيسي في منع بث هذا الكذب والخبل الإعلامي.

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بخوارق العادات التي تسمى بالمعجزات للرسل والكرامات للصالحين، وقد انتهت المعجزات بوفاة خاتم النبيين محمد ﷺ، ولم تبق إلا الكرامات التي تكون لمن وفقه الله لطاعته من أولياء الله الصالحين، وذلك باليقين في الله تعالى لا بالاستعانة بأحد من الخلق، جنا كان أو إنسا وبلا طلب منه ولا إعلان عنها، أما الدجالون ومن يدعون الروحانيات فالفرق بينهم وبين أولياء الله بيِّنٌ ظاهر، فهو الفرق بين المؤمن التقي وبين الفاجر العتي، وكما بين الثرى والثريا، قال الإمام الشافعي: إذا رأيتم أحدا يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تقبلوا منه شيئا، حتى تعرضوا كلامه على الكتاب والسنة. فليعد المسلم إلى دينه الصحيح ولا يتبع كل ناعق، ولينزل حاجته بالله وحده سبحانه، فهو فعال لما يريد.

عزه أحمد محمد حامد
كاتبة تربوية - مصر




# الوقت نعمة لا تعوض

**لقد من الخالق عز وجل على الإنسان بنعم كثيرة، لا تعد ولا تحصى، منها على سبيل المثال لا الحصر: نعمة السمع والبصر والعقل والصحة وغيرها من أنواع النعم الأخرى، التي تغيب عن كثير من الناس، ولا يدرك الإنسان قيمتها إلا بعد أن تسلب منه وتذهب عنه، ولا يستطيع استردادها أو تعويضها بعد ذلك.**

ومن هذه النعم التي يغفل عنها الناس ولا يقدرون قيمتها: نعمة الوقت، قال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ» صدق رسول الله ﷺ.

فنعمة الوقت أنعم الله بها على كل البشر بدون استثناء، فالكل لديه (٢٤) ساعة في اليوم، فماذا يفعل بها؟

وهنا نتوقف قليلا لنتحدث عن أهمية الوقت، وكم هو ثروة يبددها الكثيرون دون اكتراث أو إدراك لقيمتها!، فالوقت لا يمكن ادخاره، لذلك قالوا عنه: «الوقت عمله حياتك، وهي العملة الوحيدة التي تمتلكها أنت وحدك، فلا تدع الآخرين ينفقونها بالنيابة عنك».

ولو نظرنا إلى ديننا الإسلامي نجد أنه يحثنا على أهمية الوقت وقيمته وضرورة اغتنامه قبل فوات الأوان، فلقد أقسم الله عز وجل بأوقات كثير، وهذا القسم يدل على عظمة المقسم به، قال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ (الفجر: ١-٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ (العصر:١-٢)، ليدلنا على أهمية وعظم هذه الأوقات التي يجب أن يغتنمها المسلم ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

فالمسلم إذا استشرف قسم الخالق عز وجل بقيمة وأهمية الوقت أنجز من الأعمال الكثيرة التي كان يظن أنها لن تنجز، وعلى النقيض من ذلك: فإن التكاسل يضيع به الإنسان نفسه، فتتراكم عليه الأعمال، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما ندمت على شيء ندمي يوم غربت فيه شمس نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عمري».

وأيضا من أقوال الإمام الحسن البصري في الحرص على اغتنام الوقت: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا ذهب يومك فقد ذهب بعضك».

ومن الآثار السيئة المترتبة على إضاعة الوقت: (الفقر) أعاذنا الله وإياكم منه، فالفقر ليس وليد الظروف كما يدعي بعض الناس، ولكنه من صنع البشر الذين يعيشون في الكسل، ويضيعون الفرص، ويتكبرون على بعص الأعمال، خاصة في فترة الشباب التي هي فترة العمل والكفاح والمثابرة والنشاط وإثبات الذات.

والجميع منا يقرأ أو يسمع عن قصص مشاهير العالم وأغنيائه الذين كان معظمهم من أصول فقيرة، ولكنهم كافحوا واجتدوا واستثمروا نعمة الوقت، ولم يضيعوا حياتهم في الكسل والتسويف الذي يؤدي إلى الإحباط وتثبيط الهمم والعزائم، بل سارعوا للعمل والكفاح، فحققوا النجاحات العالية، وكانوا محط إعجاب وتقدير العالم كله.

ومن أروع الأمثلة على ذلك: الصحابي الجليل «عبد الرحمن ابن عوف»، فهو مثل حي لسرعة اتخاذ القرار وعدم التكاسل، لم يركن إلى اقتسام دار مع أخ له من الأنصار «سعد بن الربيع»، ولم يقبل أن يتزوج بكل سهولة ويسر، وإنما قال له: «دلني على السوق» فباع واشترى وتاجر واجتهد، حتى أصبح أشهر تاجر في عصره ومن أثرياء المدينة المعدودين.

فليتنا ندرك أهمية وقيمة الوقت في الحياة، ونحدد أهدافنا لنا بوضع الخطة الزمنية التي نعمل على تحقيقها بكل جد واجتهاد، مغتنمين نعمة الوقت التي أرشدنا النبي ﷺ على ضرورة اغتنامه في الشباب، حينما قال ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك».

فهذا الحديث يدلنا إلى اقتناص نعمة الوقت والتي سريعا ما ينقضي، والتي يجب أن نغتنمها في الأعمال المهمة، من بر للوالدين، وصلة الارحام، والسعي لقضاء حوائج الناس، طالما لدينا الوقت الكافي لتحقيق ذلك.

فربما يأتي الغد ولا نجد فيه الصحة ولا الفراغ الذي ننجز فيه مثل هذه الأعمال،

كما أرشدنا إلى ذلك النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا».

كما امتدح الخالق عز وجل آل زكريا عليه السلام لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات.

فما أجمل المسارعة في اغتنام نعمة الوقت قبل فوات الأوان!.

ويا ليت شبابنا يندفع بقوة نحو تحقيق أهدافهم، لأنها قريبة منهم جدا، إنها الخطوة الأولى، وابدأ بها، وسيوفقك الله إلى الخطوات التالية، وبكل قوة قل: لا. ولا تخجل لمن يهدرون أوقاتك.



# بريد القراء

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

## هل انتهى عصر الكتابة بخط اليد؟

عبر تاريخ الكتابة والتدوين تطورت أدوات الكتابة بتطور المستجدات خلال العصور والأزمنة المختلفة.

فمن الكتابة على الصخر والحجر، إلى الكتابة على الألواح الصلصالية والشمعية والخشبية، إلى الخط على الرق والبردي والجلد والورق، وصولا إلى الطباعة باستخدام الآلات الكاتبة والورق، وأخيرا وليس آخرا الكتابة الإلكترونية بواسطة أجهزة الحاسوب والتلفونات.

- بين الكتابة بخط اليد والكتابة الإلكترونية.

أشار تقرير صدر في الولايات المتحدة في العام (٢٠١٥م) إلى أن التلاميذ سوف يتوقفون خلال هذا العام عن تعلم الكتابة بحروف متصلة وتعليمهم عوضا عن ذلك الكتابة على لوحة المفاتيح الإلكترونية للكمبيوتر.

وعلى ذلك أصدر الخبراء هناك أحكاما صارمة، بوجوب التخلص من عملية الكتابة باليد، مؤكدين أن عصرها قد انتهى، وأن استمرار تعليمها للأطفال جنبا إلى جنب مع الكتابة الإلكترونية أمر عبثي.

ومع بداية العام الدراسي (٢٠١٦م) ومع ممارسة صانعي البرمجيات ضغوطا قوية. ألغيت الكتابة العادية باليد في الكثير من المدارس الأمريكية، وبديلا عنها استخدم التلاميذ برمجيات معالجة النصوص من أجل إتقان العمل على لوحة المفاتيح.

إلا أن مؤخرا ظهرت تقارير تتراجع عن التقرير السابق، وتنادي بإلغاء فكرة قصر تعليم الكتابة على تعليم لوحة المفاتيح الإلكترونية، وعلى هذا قامت ولاية «تنيسي» بفرض تعلم الكتابة باليد على التلاميذ. بعد أن أدرك المسؤولون أن فرط استخدام لوحة الأزرار الإلكترونية يجعل الطفل غير قادر على مجرد التوقيع باسمه، وإن الطفل الذي لا يكتب بيده، يجد صعوبة حقيقية في قراءة خط اليد، وتصبح الكلمات أمام عينيه مثل الطلاسم التي يجاهد لحلها.

**سهير أبو بكر الشاذلي- مصر**

## هل هي نهاية عهد الكتاب الورقي لدى النخبة؟

إن الوقوف على هذه القضية المراد إثارتها ليس من باب التخمين أو الظن أو الحدس أو حتى من باب الملاحظة والإشارة العابرة، بل هي من صميم وخلاصات نتائج الدراسات والأبحاث التطبيقية والميدانية العلمية الواقعية التي أفرزتها الأطراف المتعاملة مع هذا المنتج المعرفي المسمى بالكتاب الورقي، ومع الجهة الأخرى المقابلة من المستهلكين له، سواء أكانوا نخبا أو من عامة المثقفين والمتعلمين.

والملاحظ أن النخب وغيرها قد ارتمت منذ عقد من الزمن على الكتاب الإلكتروني، مديرة ظهرها للكتاب الورقي، الذي صار منتجا وبضاعة غير مقصودة لذاتها كما كان من قبل، بحكم تعويض الكتاب الإلكتروني في عهد ما يسمى - تجاوزا - بعصر أو زمن «المعرفة».

غير أن النتائج البحثية الميدانية التي أجريت على النخب (أساتذة، باحثين، مثقفين، طلبة...) وعلى وتيرة المقروئية لديهم، بينت تراجع نسبة ووتيرة ونوعية وكمية ودافعية المقروئية لديهم.. إذ بينت أنها تدنت إلى مستويات مقلقة ومثيرة لتوجيه التحذيرات والتنبيهات لمصير ومستقبل الكيانات والشعوب العربية والإسلامية المعرفي والعلمي والثقافي.

**أ. د. أحمد محمود عيساوي - الجزائر**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:



alwaeiq8@gmail.com



# هذا سعيد.. وذاك شقي

اثنان، كل منهما أوتي الصحة الطيبة والمال الموفور والعيش الكريم وكافة وسائل الراحة، ومع ذلك يحيا أحدهما حياة هادئة هنيئة، بينما يحيا الآخر حياة متقلبة تعيسة، فلماذا التباين؟ تعليل هذا أن كلًا منهما يحيا كما يتراءى له، ووفقا لنظرته إلى ما حوله، ونظرته هذه تحدد قدرا كبيرا من سلوكه، كما أنها تؤثر على اتجاهه الفكري، وهي أيضا التي تقوده لتجعله إما سعيدا راضيا، وإما على النقيض تماما شقيا ساخطا.

هذا سعيد، يرى أن سعادته مردها إلى عبادته الخالصة لوجهه ذي الجلال، وإنه لمن ألزم الأمور أن يحمد المولى عز وجل على ما أنعم به عليه، وحتى تحت وطأة الفجيعة أو الأحداث التي يكون وقعها أليم، فإنه يتحلى بالصبر ويتلقى قضاء الله راضيا.

وذاك شقي، لا يري إلا الحياة المادية والدين - من وجهة نظره هو - شيء منفصل عن هذه الحياة المادية، وإنه - وفقا لما يراه - مجرد طقوس وعبادات للاتصال بالخالق.

ولأنه لا يجد في الحياة سوى المادة، فإنه لا يبالي بشيء سواها، لذا يعكف دائما على السعي إليها والإفراط في الإقبال عليها، ولئن أوتي منها وعاء ضخما مفعما حتى حافته، وتسنى له أن يظفر بما ينيله مبتغاه، فإن الظنون والمخاوف تراوده، خشية أن يفارقه ما أصابه منها ومن هنا ينبع شقاؤه الذي ينغص عيشه.

ولا يقتصر تفكيره على هذا الحد، بل يشرد منه ليتجاوز الحاضر، ويتوق إلى أن يتعجل المستقبل، يستحضره يريده ماثلا أمامه ليستجلب ما فيه من مجهول، متوهما أن في وسعه أن يجعل المصائر في يده.

ورغم أن المستقبل لا يعلمه إلا الله دون سواه ، فإن ذلك الشقي يحمل في عنقه هم هذا المستقبل مرتين: مرة قبل أن يجيء ، ومرة أخرى حين يجيء.

**د. صبري أحمد نصره - مصر**

# هل انتهى زمن الكتاب الورقي؟

هل انتهى زمن الكتاب الورقي؟ هذا السؤال متاهة، لكونه بدأ يتردد باطراد في الأعوام الأخيرة. قلت: متاهة، وأعني ما أقول، في ظل حالة الاحتباس الذي بات يعرفه النشر الورقي، مقابل ارتفاع ملحوظ في وتيرة النشر الإلكتروني، وبين هذا وذاك، تبقى آليات القراءة والتلقي في حالة تجاذب مستمرة.

هناك من يعتبر أن النشر الإلكتروني، قد دق آخر مسمار في نعش النشر الورقي، ومرد ذلك فيما أعتقد، يرجع بالأساس إلى الثورة المعلوماتية، وسرعة تداول المعلومة، واختصار الوقت، وغيرها من الأمور، وهناك من الكتاب، وحتى القراء، من يحتفظ بتلك العلاقة الحميمية التي نسجها الكتاب الورقي، إذ ليست العين وحدها من تقرأ، وإنما كل الحواس، لذلك فالقراءة في كتاب ورقي، له سحر خاص، رغم ما يشاع عن وجود أزمة.

قد تكون الأزمة لها علاقة بالقراءة في حد ذاتها، وغير مرتبطة بوسائط المعرفة سواء أكانت ورقية أو إلكترونية. إن الأهم في هذا كله، يتعدى إشكالية وسائط قرائية، بقدر ما هو إشكالية كبرى، ودال جوهري عن عزوف تام عن القراءة، ربما، أما جدلية الورقي والإلكتروني، فتلك مسألة ذاتية، تتعلق باختيارات كل شخص، شريطة أن تكون هذه القراءة تفاعلية، ولها طقوس معينة، بحسب كل توجه قرائي معين.

وفي الأخير، أدعو كل قراء وكتاب مجلة «الوعي الإسلامي» إلى الانخراط الجدي في مناقشة مثل هذه القضايا.

**رشيد الخديري- المغرب**

# حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ

كم هي عظيمة تلك الدول التي تعرضت لكوارث مؤلمة بمختلف ضروبها وأهوالها، عانت وسائلها وتجرعت آثارها وفعلت بها الأفاعيل، لكنها دول ومجتمعات من نوع خاص، فشلت الكآبة أن تلبسها رداءها، ولم تجرؤ عوالم اليأس أن تلقي بها في مزالق الإحباط والاستسلام،ومن هنا انكسرت حدة اليأس أمام حلمها وأملها في غد تتوق إليه وكأنها تخاطب ذاتها بقول الله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ﴾ (يوسف:٥١)، تلك الدول تخلص أبناؤها مما كان يعلق بنفوسهم من أوبئة مختلفة فصار الطريق ممهدا سيرا وعبورا، ولم تدر تلك الدول أنها سلكت طريق الإصلاح السماوي وما جاء به القرآن العظيم في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١) ذلك اللفظ القرآني العظيم الذي يفرض على المسلم الحق أن يسبح في عوالم الاستغراق تأملا وتدبرا، ويجعله يغوص في كوامن ألفاظه دلالة وإيحاء، عندها يستشعر مقتضى الحال والمشهد الحياتي الذي يعيشه ويتعايشه، عندها يجد أن الآية الكريمة هي الملجأ والملاذ من كل كرب وضيق، وحقيقة التغيير أساسها الصلح مع الله ومع الذات، إصلاحا وتقييما وتقويما، وتنقيتها من شوائب النزوات، وقبح الشهوات ورواسب الآثام.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، تحقيقها هو الطريق الأمثل إلى الصلاح والإصلاح والتحول للأفضل.، هي الحل لكل ما تعانيه النفوس والمجتمعات من الانزلاق إلى أهوال وعواقب الهاوية.

إنها ميثاق البناء المجتمعي للبشر وسر الإعجاز فيما ينبغي أن تكون عليه حياتهم، هي شعار السماء لمن جعله خالقه خليفته في الأرض، هي قوانين الخالق لإسعاد الخلق لما لهم من الميزة والتفرد وما يليق بهم ويرقى بآدميتهم، فيها تتجلى أروع صور الإعجاز المجتمعي بناء وبقاء، غاية وسبيلا، حياة وخلودا.

آن الأوان أن نستشعر عظمة تلك الآية الكريمة بأن نضعها نصب أعيننا لنعبر بها أنفاق الغشاوة، ونجلي بها صدأ القلوب وقتامة النفس إلى راحة القلوب والوجدان وأمان الدنيا وحسن ختام الآخرة.

**عثمان إسماعيل محمد حسين - مصر**





وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني






دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية


سلسلة 1 2

# أعزائي الصغار

للفئة العمرية
من سن ٧ سنوات إلى سن ١٠ سنوات


الإشراف العام
صلاح أبا الخيل


دراما مشوقة تحمل مجموعة من الآداب والتعاليم النبوية ..
تلخص لأطفالنا سنة نبينا في كثير من المواقف الحياتية.






+965 922 54 54 5


RedAwqaf



# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

العدد (٦٣١) ربيع الأول ١٤٣٩ هـ - نوفمبر - ديسمبر - ٢٠١٧ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

## نبيُّ الهُدى والسُّنَّة المطهَّرة

- سِرُّ النَّجاحِ في المنهجِ التَّربوي النَّبَوي
- حماية الموارد الطَّبيعيَّة في السُّنَّة النَّبويَّة
- الابتسامةُ عِندَ النَّبيِّ ﷺ


موقع مجلة الوعي الإسلامي

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعي الإسلامي

# جديدنا

## أَسبابُ اختلافِ الرِّوايةِ عَنِ الإمامِ أحمدَ رحمهُ اللهُ تعالى

### أولاً: الأسباب التي ترجع إلى الإمام أحمد رحمه الله

### ثانياً: الأسباب التي ترجع إلى أصحاب الإمام أحمد رحمه الله

### ثالثاً: الأسباب التي ترجع إلى الغلط على الإمام أحمد -رحمه الله- وعلى مذهبه

معلقة: ((أسباب اختلاف الرِّواية عن الإمام أحمد رحمه الله))

مُعلَّقة علميَّة ضمن سلسلة معلَّقات مجلة الوعي الإسلامي، تسلِّطُ الضوء على أهم أسباب اختلاف الرِّواية عن الإمام المبجّل أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد اختصرها مُعدُّها في ثلاثة أسباب رئيسية ترجع إلى: (الإمام رحمه الله، وإلى أصحابه، وإلى الغلط على مذهبه). ثم ختم كلَّ جزئيَّة بمثال لتوضيح المقال.

## الافتتاحية



رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

# مِشكاةُ النُّبوَّةِ.. اهْتِداءٌ واقْتِداءٌ

الحمد لله الذي أبان الطريق وأوضح المحجة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أرسل رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، كساه الله من حلل النبوة ما زاده مهابة وبهجة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فدوه بكل ما لديهم من نفس ومهجة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما أم البيت زائر واعتمره وحجه.

أما بعد: فحينما يتعاظم ركام الفتن في الأمة، وتخيم على سمائها الصافية غيوم الغمة، فيلتبس الحق بالباطل، وتخفى معالم الحق على كثير من أبناء الملة؛ فإن تقوى الله سبحانه هي التي تنير طريق الهداية، ويبدد نورها ظلمات الجهل والغواية، كيف لا ومنبعها كتاب الله العظيم وسنة نبيه المطهرة.

ولاشك أن السنة المطهرة هي للمسلم خير مرب ومؤدب، وللأمة أفضل معلم ومهذب، إذ هي الرابط بسيد الأولين والآخرين ﷺ الذي هو منّة الله على البشرية، ورحمته على الإنسانية، ونعمته على الأمة الإسلامية.

وإذا كان محمد ﷺ هو النبي الذي تلهج باسمه ملايين الألسنة، وتهتز بذكره القلوب، فالعبرة حينئذ بأن يتحول هذا الحب إلى محض اتباع دقيق، لكل ما جاء به ﷺ، كما قال –سبحانه– مبينا معيار المحبة الصادقة: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران:٣١).

لم تكن حاجة الأمة في عصر ما إلى الاقتباس من مشكاة النبوة اقتباس اهتداء واقتداء؛ أشد إليها من هذا العصر الذي تقاذفت فيه الأمة أمواجُ المحن، وتشابكت فيه حلقات الفتن، وغلبت فيه الأهواء، واستحكمت فيه الزعوم والآراء، وواجهت فيه الأمة ألوانا من التصدي السافر، والتحدي الماكر، والتآمر الجائر من قبل أعداء الإسلام.

وتبقى الشمائل النبوية، والسجايا المحمدية؛ الينبوع الصافي، الذي يرتوي من نميره كل من أراد النجاة من أكدار الجاهلية، لاغرو أن شمائله ﷺ هي المنظومة المتألقة، والمشعل الوضاء الذي يبدد ركام الظلام، قال ﷺ: «بعثت بالحنيفية السمحة» (رواه أحمد). ولئن فاتتنا رؤيته ﷺ بأبصارنا؛ فإن في تأمل شمائله لعزاء وسلوانا، ورحم الله القائل:

**إن فاتكم أن تروه بالعيون فما ... يفوتكم وصفه هذي شمائله**
**مكمل الذات في خلْق وفي خُلق ... وفي صفات فلا تحصى فضائله**

إن تجديد المسار على ضوء السنة المطهرة، وتصحيح المواقف على نهجها؛ يزيد الإيمان ويزكي السريرة، ويعلو بالأخلاق، ويقوِّم المسيرة؛ فنبينا ﷺ قد جمع نواحي العظمة الإنسانية كلها، في ذاته وشمائله وجميع أحواله، ففي مجال الأخلاق نجده مثال الكمال في رقة القلب، وسماحة اليد، وكف الأذى، وبذل الندى، وعفة النفس، واستقامة السيرة؛ فقد كان ﷺ دائم البشر، سهل الطبع، ليِّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، فنال بهذا: عراقة الخلال، وسمو الخصال، وكريم الشمائل، وعظيم الفضائل.. فسبحان من رفع قدره، وشرح صدره، وأعلى في العالمين ذكره.

الأمر الذي يوجب على أمته ﷺ أن يعنوا بأمر دعوته، ويدركوا الطريقة المثلى لإحيائها إحياء عمليا حقيقيا، لا صوريا وشكليا. فلن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

# الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣١ | ربيع الأول ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٧م

**رئيس التحرير**
د. صالح سالم النهام

**مدير التحرير**
فهد محمد الخزّي

**التحرير**
علاء الدين عبدالفتاح
تركي محمد النصر
هداية الله نثار أحمد

**الإخراج والجرافيك**
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

**الإشراف الفني**
مطابع فور فيلمز



**المراسلات**
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net


المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

# في هذا العدد



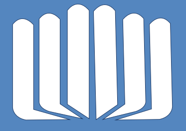

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨-٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





# كلمة العدد

## قراءة القدوة

تتبع خطوات الحبيب من دلائل الحب العملي الذي لا يتخذ من الأقوال فقط منهجا.

فالمحب لمن يحب مطيع، ولأنه ﷺ الأسوة والقدوة، ولأنه خير خلق الله كلهم، فما عليك إلا أن تمشي على طريقه حتى تصل.

فالخير كل الخير والحق كل الحق أن تتبعه.

لكن كيف تتبعه وأنت لا تعرف تفاصيل حياته؛ أقواله وأفعاله، الأمور التي سكت عنها إقرارا لها، والأمور التي أغضبته حتى كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يتمنون سكوته؟! كيف تتبعه وأنت لا تدرك حكمته في معالجة المستجدات التي ظهرت أمامه بعد الهجرة وبعد الفتح؟! أنت لا تعرف رفقه ولينه مع من تغلب عليه، أو صبره ويقينه من نصر الله ولو طال الأمد.. كيف تتبعه وأنت غافل عن سيرته العطرة؛ قراءة وتفكرا، وعن سنته؛ تدبرا وسعيا، لتطبيقها؟!

أخي الحبيب، إنها دعوة مفتوحة لتربط حالك بحال قدوتك.. لتذكره وتصلي عليه وتتبع سنته التي لا تخرج عن الهوى إن هي إلا وحي يوحى.

مدير التحرير

فهد الخزي

## الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

**ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

حاوره عبدالرشيد راشد
تصوير: هدايت الله نثار

### وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مهندس فريد عمادي لـ «الوعي الإسلامي»:

# المسجد مرجعيتنا في نشر الفكر الوسطي



**قال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية م. فريد أسد عمادي، في حوار خاص لمجلة «الوعي الإسلامي»، إن الوزارة قطعت شوطا كبيرا نحو ترشيد الخطاب الديني وتجديده بأساليب عصرية وفقا للقرآن والسنة، وخطت خطوات حثيثة لتعزيز الدور التوجيهي والدعوي للمسجد على اعتبار أنه المرجعية الأساسية في نشر الفكر المعتدل. ونوه بأن جميع قطاعات الوزارة تسابق الخطى لإنجاز المشروع التطويري لتنفيذ الخطة الاستراتيجية للوزارة (٢٠١٦ - ٢٠٢١م)، مشيرا في هذا الصدد إلى أن الخطة تطمح بشكل عام إلى تعزيز الوحدة الوطنية وإبراز دور الكويت الإسلامي والإنساني إقليميا وعالميا.**

**كذلك أشاد وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالجهود التي تبذلها دُور القرآن الكريم المنتشرة في ربوع دولة الكويت، ووصفها بأنها مؤسسة تربوية لتعزيز الثقافة الشرعية وتعميق الشعور بالمسؤولية نحو كتاب الله في المجتمع.**

**واعتبر المهندس عمادي مجلة «الوعي الإسلامي» مصدر فخر واعتزاز لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت بعد أن حملت لواء الوعي الثقافي والشرعي بأسلوب هادئ وحضاري منذ أكثر من خمسين عاما.**

**وإلى تفاصيل الحوار:**

**• بداية ما هو تقييمكم لـ «الخطاب الديني» الذي يوجه للجمهور من منابر المساجد؟ وما هي توجهاتكم لترشيد هذا الخطاب؟**

- «الخطاب الديني» رسالة سامية من رب العالمين للناس جميعا وللأمة الإسلامية خصوصا، ولذلك ترى المسجد في مجتمعاتنا يشكل محور حركة الحياة والتوجيه للمجتمع المسلم كله، ونحن في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية نعمل جاهدين من خلاله على ترشيده ليكون كما أراد ربنا جل وعلا وبما تعلمنا من هدي نبينا ﷺ، بفهم سلف هذه الأمة، ولقد عمدنا للتأكيد على سمو هذا الخطاب بتعزيز الدور التوجيهي والدعوي للمساجد حسب رؤية الوزارة من خلال ميثاق المسجد الذي يعزز بالفعل هذا الدور الرائد للمساجد المنتشرة في ربوع الكويت، وكذلك الاستخدام الأمثل لتوجيه أنشطة المساجد نحو نشر الفكر الوسطي المعتدل من خلال الاستفادة من خطب الجمعة والدروس والخواطر الدينية بالمساجد لتوجيه المجتمع نحو الفكر المتزن، ووضعنا منظومة متكاملة للدروس والخواطر الدينية بالمساجد تعزز مفاهيم الوسطية لتوجيه المجتمع بما يوائم القيم والسلوك المستهدفة في ظل أحكام الشريعة الإسلامية، وكذلك تهيئة وإعداد وتأهيل الخطباء والعلماء والدعاة والمعنيين بالأمور العقائدية التي تتلاءم مع وسطية الإسلام، وبعيدا عن أي غلو أو تشنج مذموم في شريعتنا، فضلا عن مهارات العرض والتقديم والإلقاء والخطابة، وتوفير المتطلبات الثقافية والمكتبية للخطباء والواعظين، بالإضافة إلى تزويدهم بالأساليب الحديثة التي تساعد على نشر قيم الوسطية (الكتب والمراجع العلمية، إلى جانب الوسائل الإلكترونية على سبيل المثال)، وتعزيز الروابط والعلاقة بين المسجد وكافة فئات المجتمع، باعتباره المرجعية المعتدلة لنشر الفكر الوسطي المعتدل، ومن خلال مجلة «الوعي الإسلامي» فإني أطمئن القارئ الكريم أن خطباءنا بفضل الله تعالى منتقون بعناية لأداء رسالة المسجد المنوطة بهم، وأن مساجدنا في الكويت بخير وهم حريصون على الالتزام بميثاق المسجد.

## عمادي: خطة «الأوقاف» للتطوير تهدف إلى إبراز دور الكويت الإنساني إقليميا ودوليا

**• بات الإرهاب ظاهرة وقضية عالمية لا يمكن غض الطرف عنها، وعانينا منها في بلدنا الحبيب الكويت.. فماذا قدمت الوزارة لاجتثاث هذه الظاهرة وتحصين المجتمع منها؟**

- بفضل الله وتوفيقه كانت الكويت سباقة في محاربة هذه الآفة وتمكنت وزارة الأوقاف من طرح مشروعها الاستراتيجي «مشروع الوسطية» الذي تم من خلاله محاصرة هذا النوع من الفكر.. وبالطبع جاءت فكرة تأسيس «مركز الوسطية» تنفيذا لتوجيهات سامية من حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح -حفظه الله ورعاه- بأن تكون الكويت منارة من منارات الوسطية، وذلك من خلال استراتيجية لنشر ثقافة وفكر الوسطية. وتنفيذا لهذا البند في الاستراتيجية، تشكلت اللجنة العليا لتعزيز الوسطية بقرار مجلس الوزراء رقم ٨٣٣ لسنة ٢٠٠٤م، ولله الحمد فقد أنجز المركز العديد من المشاريع الفكرية والثقافية والتوجيهية، ومنها المحاضرات الجماهيرية التوجيهية، ومشروع زيارة دواوين الكويت، ومشروع الدورات العلمية لشرح وثيقة وسطية الإسلام ونبذ العنف، وتنفيذ سلسلة المحاضرات المدرسية لطلبة وطالبات المدارس عن الوسطية الصحيحة، وإقامة سلسلة الندوات العلمية للتحذير من مخاطر العنف والإرهاب، وكذلك إقامة ملتقى فقه الدعوة من منظور وسطي.

ويوضح وكيل وزارة الأوقاف المهندس فريد عمادي أن لجنة الوسطية نفذت كذلك سلسلة الخطب المنبرية لجمهور المصلين عن الوسطية، كما تم تشكيل لجنة من أهل العلم والدعاة الثقات لمقابلة ومناصحة المتأثرين بالفكر المتطرف، ولجنة أخرى لمراجعة مناهج إدارة الدراسات الإسلامية، وقدمنا دورة علمية موجهة لمدرسي التربية الإسلامية بوزارة التربية ومعلمي المواد الشرعية بوزارة الأوقاف، وإلى الأئمة والخطباء والموجهين في القطاعات العسكرية، وبلغ عدد المتدربين أكثر من ٣ آلاف متدرب.

ويضيف أن الوزارة أقامت كذلك ملتقى تطوعيا للمشاركة في مواجهة الفكر المتطرف، وقدمنا العديد من المقاطع التلفزيونية المصورة والإذاعية للتوعية بمخاطر التطرف والعنف، ونفذنا حملة توعوية أخرى بعنوان «خلك وسطي» وغيرها الكثير من المشاريع التي أتت بحمد الله ثمارا طيبة، ونحن الآن بصدد تنفيذ مشروع «تحصين» الموجه للطلاب والطالبات في المدارس الثانوية وفي الجامعات والمعاهد التطبيقية وحتى في الكليات العسكرية والأمنية من خلال إقامة ورش عمل وحلقات نقاشية في قاعات الدراسة، وها نحن نسير نحو الأهداف التي من أجلها أُسست اللجنة، التي تتعدد أنشطتها وتتنوع ما بين إعداد البحوث العلمية من خلال التأصيل الشرعي، وإقامة الندوات والتدريب والتطوير والتأهيل، بجانب النشر والإعلام من خلال العديد من الوسائل كالنشر الورقي، والبرامج الإذاعية، وكذلك الإعلام الإلكتروني، وإن كنا لا نشك أننا لاتزال تواجهنا الكثير من التحديات في ظل التغيرات السريعة للأحداث إقليميا ودوليا، بما يزيد العبء على عمل المركز.

### خبرات الكويت

**• من خلال تجارب الكويت الرائدة وفي ضوء خبرتكم الواسعة، برأيكم كيف يمكن لوزارات الأوقاف العربية أن تكون أداة فاعلة في القضايا المصيرية والمواجهات الفكرية، خصوصا ضد التطرف؟**

- إن مجتمعاتنا متدينة بالفطرة ولله الحمد، والمسجد هو محور حياتها ومركز التوجيه والتأثير فيها؛ ومن ثم فإن تفعيل دور المسجد واستعادة دوره الرائد في التوجيه سيكون له أثر كبير على دور وزارات الأوقاف العربية. ولله الحمد في خطتنا الاستراتيجية

نموذج رائع في كيفية الاستفادة من دور المساجد من خلال نشرها للفكر الوسطي ومحاربة الغلو والتطرف من خلال التأصيل العلمي والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

## شراكات إقليمية ودولية

**• نشطت وزارة الأوقاف في تحقيق الشراكة مع العديد من الدول الإسلامية، فما هو مردود هذه الشراكات الدينية على دولة الكويت؟ وما أبرز المشاريع التي تعملون على تحقيقها في إطار مجلس التعاون الخليجي؟**

- قدّر الله تعالى للكويت في هذه المرحلة من تاريخ الأمة أن تتولى حمل راية التميز والإبداع في العمل الإسلامي على كافة المستويات، ولابد أن يكون للتميز والريادة ثمن، والرؤية التطويرية المستقبلية لوزارة الأوقاف ترتكز على ضرورة تعزيز التعاون والشراكة المؤسسية على المستويين المحلي والعالمي، ولعل أبرز ثمار التعاون الخارجي هو تعزيز الدور الريادي لدولة الكويت في كافة القطاعات الإسلامية ومنها على سبيل المثال تطوير أساليب تأدية فريضة الحج والعمرة في إطار الشراكة داخليا وخارجيا والتنسيق الفعال مع الجهات المعنية بتنظيم الحج والعمرة.

ومن مردودات هذا التعاون على المستوى الخليجي التنسيق المشترك بين وزارات الأوقاف في دول الخليج من خلال الاجتماعات الدورية المنتظمة لبحث أوجه التعاون المشترك، ولعل أبرز الإنجازات المتحققة هو الاتفاق على مجموعة من المبادرات بين وزارات الأوقاف في دول المجلس لتحقيق عدة أهداف منها: الحفاظ على الهوية الخليجية وتعزيز المواطنة الصالحة، ونشر الوسطية والاعتدال الفكري والمنهجي وفق آلية موحدة لمواجهة الفكر المتطرف، وتعزيز دور العلماء الراسخين في العلم في المجتمعات الخليجية، وتأهيل أئمة المساجد وتعزيز الدور المنوط بهم.

واعتبر وكيل وزارة الأوقاف أن تفعيل الشراكة على مستوى دول الخليج نواة للعمل الإسلامي المشترك مما يشكل نقلة نوعية في طبيعته تتطلبها المرحلة الراهنة من تاريخ منطقتنا الإسلامية.

## دور القرآن الكريم

**• لاقت المناهج العلمية والشرعية التي وضعتها وزارة الأوقاف ضمن مراكز دور القرآن الكريم وغيرها إقبالا منقطع النظير من جانب الدارسين، فهل تجدون المناهج في هذه المراكز فعالة في إخراج كوادر شرعية قادرة على تلبية احتياجات الوزارة في الوظائف الدينية؟**

- «دور القرآن» هي مؤسسات تربوية تعنى بتعزيز الجانب الثقافي والشرعي في المجتمع، وتسعى إلى مساعدة الدارسين والدارسات على حفظ القرآن الكريم وإجادة ترتيله وتلاوته وتعلم أحكام التجويد، وتزويدهم بالعلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وعقيدة وسيرة وغيرها، وتعمل على تنمية الوعي الديني بين أفراد المجتمع، وتصحيح الأفكار المغلوطة، وتحصين المجتمع من أخطارها بمواجهة ما يجد على الساحة من ممارسات وتصرفات تسيء إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، أو عادات مجتمعنا وتقاليدنا الأصيلة، كما أن من ضمن الرسالة التي تضطلع هذه الدور بأدائها: المحافظة على كيان الأسرة المسلمة وحمايتها من الأخطار التي تهددها، والعمل على نشر القيم والفضائل والأخلاق، والتعاون مع شتى الجهات لتحقيق الأهداف المنشودة.

وتتميز دور القرآن الكريم بتوفير المناخ الملائم لإعداد حفظة كتاب الله عز وجل، والتخصص في علم التجويد لإعداد جيل من الحفظة الذين يتولون الإمامة والخطابة.

ولعل أبرز أهداف دور القرآن الكريم تجلت في تزويد الدارسين والدارسات بالقدر المناسب من العلوم الشرعية والثقافة الإسلامية، والاهتمام بالقرآن العظيم حفظا وتجويدا وتفسيرا، والالتزام بسنة رسول الله ﷺ حفظا وسلوكا، والسعي إلى نشرها وتعليمها، والسعي إلى تكوين الشخصية الإسلامية المتفاعلة مع قضايا الأمة المعاصرة، وتنمية القيم وتفعيل الاتجاهات الإسلامية لدى جميع شرائح المجتمع لتحصين الأجيال بالمقومات والسلوكيات الإسلامية، ومساعدة المسلم في فهم قضايا الإسلام المعاصرة والدفاع عنها، والإلمام بعلوم اللغة العربية والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، وتعميق الشعور بالمسؤولية نحو تعلم القرآن الكريم وتعليمه. وقد أشرف على وضع المناهج الدراسية ثلة من الخبراء والمختصين في الشريعة والتربية.

وتشمل الدراسة في دور القرآن الكريم


وكيل الأوقاف الكويتية م. فريد عمادي يحاور مندوب «الوعي الإسلامي» عبد الرشيد راشد


فريد عمادي

المقررات التالية: مقررات دراسية متصلة بالقرآن الكريم وعلومه؛ تلاوة وتجويدا وتفسيرا، ومقررات دراسية متصلة بالحديث الشريف ومصطلحاته؛ كالحديث الشريف ومصطلح الحديث، وكذلك مقرر دراسي في الفقه الإسلامي، ومقرر دراسي آخر في اللغة العربية، ومقرر دراسي في السيرة النبوية، ومقرر دراسي في التاريخ الإسلامي. وكل هذه المقررات تتضافر فيما بينها لتكوين الشخصية الإسلامية المتمسكة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، عن فهم ووعي وإدراك.

### مشاريع طموحة

**• ما أبرز المشاريع التي تطمحون إلى تحقيقها ضمن خطتكم المقبلة في الوزارة؟**

- لعل أبرز ما نطمح إليه هو العمل على تعزيز الوحدة الوطنية، وإبراز دور الكويت الإسلامي والإنساني؛ إقليميا وعالميا، وتعزيز الهوية الإسلامية للمجتمع الكويتي ضمن ملامح استراتيجية الوزارة في ثوبها الجديد، وتطوير الخطاب الديني، وتطوير مهارات الأئمة والخطباء، إلى جانب تفعيل دور المسجد دعويا لمواجهة التطرف والغلو وتعزيز الوسطية، وكذلك تعزيز التنسيق والتعاون مع كل مؤسسات الدولة عبر تفعيل الشراكة المجتمعية وإقامة المشاريع المشتركة، ويأتي ذلك في إطار جملة من الفعاليات البحثية والعلمية والإدارية التي أوكلت إلى الجهات المختصة لمراجعة الخطة الاستراتيجية للوزارة؛ بهدف زيادة فعالياتها والوصول بها إلى أسمى درجات التميز والنجاح، وتحقيق كل أهدافها المنشودة. ولفت وكيل وزارة الأوقاف إلى أن الوزارة قطعت شوطا كبيرا في إنجاز المشروع التطويري لتنفيذ الخطة الاستراتيجية (٢٠١٦/٢٠١٧ - ٢٠٢٠/٢٠٢١)، وقد عقدت العديد من اللقاءات وورش العمل بمشاركة الوكلاء المساعدين والمديرين والمراقبين بالإدارات المختلفة للوزارة، وحددنا - بفضل الله تعالى - نقاط القوة والضعف في الاستراتيجية؛ انطلاقا من الخطة الإنمائية لدولة الكويت ومباشرة تنفيذها خلال السنوات المقبلة بمشيئة الله تعالى.

**نسعى إلى تعزيز دور المسجد لتحصين المجتمع من الغلو والتطرف**

وأعرب وكيل وزارة الأوقاف عن أمله في تعزيز الشفافية مع الجهات الرقابية وانطلاقا من الأداء المؤسسي وفق قيم الشفافية والمسؤولية، وإيمانا بأن عمل الأجهزة الرقابية يمثل إحدى الأدوات التكميلية لضمان تنفيذ المهام وفق آليات موثقة تنطلق من أهمية تطبيق القوانين ذات العلاقة بممارسة الأنشطة، مضيفا أن تفعيل هذا الجانب يأتي عبر «ميكنة» جميع أنشطة الوزارة والتحول إلى النظم الإلكترونية المتكاملة، وتعزيز قيمة الشفافية والمسؤولية في الأداء المؤسسي بشكل عام.

### «الوعي الإسلامي»

**• مجلة «الوعي الإسلامي» مجلة عريقة ودورها في تعزيز المنظومة الأخلاقية والوطنية لا يخفى على أحد.. كيف ترون هذا الدور على المستوى المحلي والإقليمي والدولي؟ وما مردوده على الصعيدين العربي والإسلامي؟**

- لاشك أن مجلة «الوعي الإسلامي» صرح إعلامي رائد في العالم العربي والإسلامي، وهي مفخرة للكويت، فقد كانت من أول الأصوات العلمية والشرعية والثقافية والفكرية التي عملت على ترسيخ القيم الإسلامية ونشر الفكر الوسطي منذ عقود عديدة، ويتابعها مئات الآلاف بل الملايين من خارج الكويت، خصوصا في بلاد المغرب العربي والشمال الإفريقي، وحتى في أقاصي الهند لها متابعون يحرصون على اقتنائها أولا بأول. ولمجلة «الوعي الإسلامي» دورها الفكري والثقافي الرائد الذي إن دل فإنما يدل على النجاح والريادة والتميز في الطرح وانتقاء المواضيع الفكرية والثقافية والشرعية المنضبطة التي لها صدى طيب في كل أرجاء المعمورة... فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء وإلى مزيد من التألق والنجاح.

محمد علي الخطيب
باحث دراسات إسلامية

## إدارة الأزمات: حادث الإفك نموذجا!

# قراءة في السيرة النبوية

**الأزمة في اللغة**(١): من أَزَمَ، وتجمع على أَزَمات وأَزْمات وإِزَمٌ. والأزمة تعني: الشدة، والضيق، وتداني الشيء من الشيء بشدة والتفاف، والقحط والسنة المجدبة، يقال: أزم العام: اشتد قحطه، وسنة أزمة: شديدة.

**أما الأزمة اصطلاحا، فهي:** «حالة توتر، ونقطة تحول تتطلب قرارا ينتج عنه مواقف جديدة سلبية كانت أو إيجابية، تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة» (٢). ويعرف قاموس رندام الأزمة بأنها: «ظرف انتقالي يتسم بعدم التوازن، ويمثل نقطة تحول تحدد في ضوئها أحداث المستقبل التي تؤدي إلى تغيير كبير» (٣).

وهناك تعريفات أخرى لكنها جميعها تتفق في أن الأزمة وقت عصيب وفترة حرجة وحاسمة، تهدد الكيان أو الجماعة، وتتطلب اتخاذ قرار خطر ومصيري، لتلافي آثارها المستقبلية.

وعليه يمكننا أن نعرف الأزمة بأنها: «شدة تأخذ بالخناق على حين غرة، وتحدث صدمة واختلال توازن عند الفرد أو الجماعة، وتستغرق فترة من الزمن تكون عصيبة وحاسمة وحرجة جدا، وتشكل تهديدا واضحا ومباشرا للشخص أو للكيان، ويكون لها آثارها وتداعياتها المستقبلية، وقد ينجم عنها عواقب وخيمة إن لم يجر حلها بصورة سريعة».

هلم بنا إلى السيرة النبوية، وهي حافلة بالأزمات المكتملة العناصر، من حيث المفاجأة، والشدة، والتهديد لكيان الجماعة، وخذ مثلا: حصار الشِّعب، عام الحزن في العهد المكي، ومصيبة أحد، ووقعة الأحزاب وحصار المدينة، وموت النبي ﷺ وحركة الردة، وعام الرمادة.. إلى آخره. وقد وقع اختياري على «حادث الإفك» نموذجا للدراسة، وهو من أشد الأزمات التي عصفت بالجماعة المسلمة، وشكلت خطورة وتهديدا مباشرا للبيت النبوي ولكيان الجماعة والدولة الناشئة وقيادتها!

والقصة رواها البخاري وغيره، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق بعدما أنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، دنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل...، وهنا أختصر القصة لطولها، فقد شغل أم المؤمنين عائشة عقد لها ضاع منها لدى ذهابها لقضاء حاجتها، فرحل الجيش هودجها على بعيرها، وهم يحسبون أنها فيه؛ لخفتها يومذاك، وكانت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدها ورجعت لتفاجأ بالجيش وقد رحل، فجلست تنتظر، وكان صفوان ابن المعطل السلمي من وراء الجيش، فحملها على راحلته، وانطلق يقود بها الراحلة ماشيا حتى أقبلا على الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول، فقال عبدالله بن أبي ابن سلول - لعنه الله: ما كانت وكان إلا كذا وكذا، واتهمها - حاشا لها - بالفاحشة، وشاعت تلك المقالة وهي لا تعلم، وخاض فيها عصبة أهل الإفك، ومنهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش.

> **الأزمات فرصة لكشف الأعداء وآليات تدبيرهم**

قالت عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرا، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي! ثم عرفت - رضي الله عنها - بالأمر من أم مسطح، فازدادت مرضا على مرضها، ثم إنها استأذنت، فأتت أمها، فسألتها لتستيقن من الخبر، فقالت: أي بنية، هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها. فقالت رضي الله عنها: سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي.

قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبدالله بن أبي، وهو على المنبر، فقال: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمت على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما يدخل على أهلي إلا معي». فقام سعد بن معاذ، فقال: أنا يا رسول الله أعذرك، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد:

كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت - لعمر الله - لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: فثار الحيان، الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم، حتى سكتوا وسكت. قالت عائشة: فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوما، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي، ومعي امرأة من الأنصار تبكي معي، دخل رسول الله ﷺ علينا فسلم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء. قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «أما بعد، يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب، تاب الله عليه». فقلت: إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة، لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ (يوسف:١٨)، ثم تحولت واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى، فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: «يا عائشة، أما والله فقد برأك». فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلا الله عز وجل، وأنزل الله تعالى في براءتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ (النور:١١)، والحديث في الصحيحين.

**الأزمة هنا:** إشاعة بثها رأس المنافقين، وفي الناس سماعون له يأخذون بالإشاعة من دون تثبت، وهي كفيلة بتحطيم الصف المسلم كله. وتتجلى خطورتها في أنها تستهدف النيل من بيت النبوة والقيادة، وهي سلاح خبيث فتاك وحرب نفسية تدمر ما عجزت عنه الحرب العسكرية في الغزوات والمعارك التي خاضها المشركون ضد رسول الله ﷺ. ولو ظلت الفرية منحصرة في صفوف المنافقين لكان الخطب أيسر، لكن عندما تنتقل إلى داخل الصف المسلم فتسري فيه سريان النار في الهشيم عندئذ تكون الأزمة قد بلغت الذروة! لا جرم أنها أزمة مكتملة العناصر والأركان.

## ملامح الأزمات (٤):

١- أنها نقطة تحول وتوتر تشتد فيها الحاجة إلى مواجهة الظروف الراهنة.

٢- تتميز بدرجة عالية من الشك في القرارات المطروحة.

٣- يصعب فيها التحكم في الأحداث، وتسود فيها ظروف عدم التأكد ونقص المعلومات.

٤- ضغط الوقت والحاجة إلى اتخاذ قرارات صائبة وسريعة.

٥- التهديد الشديد للمصالح والأهداف.

٦- التفاعل والتشعب في الأسباب والعناصر والقوى واتساع جبهة المواجهة.

٧- سيادة حالة من الخوف والهلع قد تصل حد الرعب وشلل التفكير.

وهذه الملامح أغلبها تتوافر في «حادث الإفك» من حيث التهديد والخطورة، والتوتر والاضطراب، ونقص المعلومات، وسنرى ذلك لدى عرض الأحداث والإجراءات التي اتخذها رسول الله ﷺ.

لا شك أن حادث الإفك شكل صدمة عنيفة جدا للجماعة المسلمة، اضطربت لها اضطرابا شديدا إلى حد الزلزال وارتجت لها المدينة، وكادت أن تقع فتنة بين الأوس والخزرج، وفي المسجد النبوي، وبين يدي رسول الله ﷺ وهو قائم يخطب فيهم، إذ الطعن جاء في بيت النبوة وفي القدوة، وفي عفة هذا البيت وطهارته واستقامته، فأي قيادة ستستقيم وأي قدوة ستبقى وأي هيبة؟!

تعال، لنرى كيف تعامل الرسول ﷺ مع الأزمة والإجراءات والقرارات التي اتخذها لمواجهة تحدياتها وتطوراتها، وكيف تعامل المسلمون مع الحدث، أي ما يسمى اليوم بـ «إدارة الأزمة» (٥)؟!

نرى هنا صلابة الرسول القائد ﷺ وقوته النفسية في تعامله مع الأزمة، بصبر وضبط للنفس وسيطرة وقدرة على التواصل وجرأة وحكمة وعدل وخبرة. والجدير بالذكر أن علم الإدارة ينبه إلى أهمية القيادة في الأزمات وضرورة توافر قائد يتمتع بصفات تؤهله لإدارة الأزمات وحل

**علم الإدارة ينبه إلى أهمية القيادة في الملمات**

المشكلات. وأريد منك هنا أن تتخيل نفسك مكان رسول الله ﷺ - فداه أبي وأمي وعرضي - وقد طعن في عرضك وأهلك، فماذا أنت فاعل؟

١- الرسول ﷺ، وهو الحاكم والقائد وبيده السلطة، لم يلجأ إلى سلطاته في معالجة الأزمة، وكان يملك - لو أراد - أن يهدد أو يعاقب أو يقتل من بث تلك الفرية وخاض فيها، ويؤكد براءة زوجه وهو أعرف بها وبطهارتها، لكن الرسول ﷺ لم يلجأ إلى ذلك كما فعل العزيز مثلا، عندما أودع يوسف الصديق في السجن بضع سنين حتى تهدأ العاصفة.

٢- حين تأخر الوحي على رسول الله ﷺ لجأ إلى استشارة بعض أصحابه، والاستشارة ضرورية للقائد في الأزمات خاصة، فهي غالبا ما تعصم من القرار الخطأ، فضلا عن أنها هنا من دلائل النبوة، فلو كان محمد ﷺ يفتري هذا القرآن، لاختلق من الكلام ما يبرئ زوجه، وأنهى هذه الأزمة من فورها لكنه رسول الله حقا وصدقا، لبث شهرا كاملا لا يوحى إليه بشيء، وهو يكابد آلام هذه المحنة الشديدة.

٣- دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة، فقال: أهلك، ولا نعلم إلا خيرا. وأما علي، فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك! ونلمح هنا أن الأزمة تقاد من فريق ومستشارين ولا تقتصر على شخص القائد، وهذا ضروري جدا في إدارة الأزمات.

٤- التحقق من صحة الإشاعة والتأكد من المعلومات، من خلال استدعاء رسول الله ﷺ الجارية بريرة وسؤالها عن عائشة، فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟». قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

كذلك سأل رسول الله ﷺ زينب بنت جحش (زوج النبي ﷺ) عن عائشة (وهي ضرتها): «ما علمت؟ أو ما رأيت؟». فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما علمت إلا خيرا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها، فهلكت فيمن هلك. وأن تستطيع ضرة أن تكتم هواها وتضبط عاطفتها في فرصة سانحة لتشفي غليلها من ضرتها التي تساميها المنزلة عند زوجها، فهذا يدل على الأفق العالي الذي ارتقت فيه زينب رضي الله عنها.

٤- ثم لم يملك رسول الله ﷺ أن يقضي في هذا الأمر شيئا إلا أن يخطب في الناس، ويستعذر في ابن سلول! وهنا اشتعلت الحمية الجاهلية، ووقعت مشادة كلامية بين الأوس والخزرج، سبق سرد تفاصيلها، وكادت أن تكون فتنة وشرا لكن الله سلم. وهذا يؤكد ما ذكرته من قبل من توافر عنصر التهديد والخطورة في الأزمة التي عصفت بالمسلمين.

مما يلفت النظر في هذه الحادثة أن رسول الله ﷺ لم يكن ليملك إلا أن يكون حكما بين الفريقين ويصلح ذات بينهم، ولم يتحيز للفريق الذي يدافع عن عرضه، لأنه لا يملك البينة بعد، وهذا العدل لا يمكن أن يبلغه إلا نبي.

٥- ومن تطورات الأزمة التي استطاع الرسول القائد أن يحتويها بحكمته وحنكته وسياسته الراشدة، وهو ما يسمى في علم إدارة الأزمات بـ«احتواء الأضرار»، ما جاء في السيرة، من أن صفوان بن المعطل همّ بقتل حسان، إذ اعترضه بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، فوثب ثابت بن قيس على صفوان، فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم انطلق به، فلقيه عبدالله ابن رواحة، فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسيف! والله ما أراه إلا قد قتله، قال له عبدالله بن رواحة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله. قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل. فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، فدعا حسان وصفوان بن المعطل، فقال ابن المعطل: يا رسول الله، آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب، فضربته. فقال رسول الله ﷺ لحسان: «أحسن يا حسان في الذي أصابك». قال: هي لك يا رسول الله. (سيرة ابن هشام، ت: السقا، ٢/٣٠٤). ثم إن رسول الله ﷺ أعطاه عوضا عن إصابته أرضا، وأهداه سيرين (أمة قبطية)، ولمن هذا العطاء الجزيل؟ لمن خاض في عرضه واتهم أهله ومضى في الإشاعة دون توقف، واعجباه! فأي عدل هذا وأي اتزان في أزمة مزلزلة!

٦- وهذا يقودنا إلى الكلام في كيفية تعامل المجتمع المسلم مع الأزمة، وسنرى نضج الجماعة في التوقف وعدم الأخذ بالإشاعة إلا المنافقون ومعهم نفر من المؤمنين، سمت الروايات ثلاثة منهم، وهم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش.

### صور ونماذج

ودونك بعض الصور والنماذج من أفراد المجتمع المسلم، التي تدلك على مدى وعيه ونضجه ومتانة نسيجه وتضامنه، وهو شرط ضروري أو عنصر رئيسي في تجاوز أي مجتمع أو مؤسسة للأزمة؛ وقد رأيت مقالة زينب بنت جحش في ضرتها آنفا، واستمع إلى هذا الحديث الذي جرى بين أبي أيوب الأنصاري وزوجه أم أيوب، رضي الله عنهما، إذ قالت

لزوجها: «أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: نعم، وذلك الكذب. أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. فقال: فعائشة، والله خير منك»، فأي إشاعة ستنجح، عندما تكون الثقة بين الناس وحسن الظن بأنفسهم، وهو ما أمر الله به المؤمنين: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ (النور:١٦).

٧- ولنلق الضوء على موقف آل أبي بكر رضي الله عنه من حادث الإفك، وقد نزل بهم من البلاء ما لا طاقة لهم به، إذ تعرض عرضهم للثلم والإهانة، فواجهوا المحنة بالصبر وانتظار الفرج، وقد سمعت في القصة ما قالته أم عائشة، وهي أم رومان، تهون على ابنتها المكلومة مصيبتها. وقال أبوبكر رضي الله عنه وهو يتجرع مرارة الإهانة وما أصعبها: «ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر. والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا نعبد الله، فيقال لنا في الإسلام!». وكان أبوبكر ينفق على مسطح، لقرابته منه وفقره، فحلف: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا؛ لأنه طعن في عرضه، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (النور:٢٢)، قال أبوبكر الصديق: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

أما صاحبة الشأن عائشة، رضي الله عنها، التي نيل من عرضها وهي الحصان الرزان الطاهرة، فإنها لم يغمض لها جفن ولم يرقأ لها دمع حتى ظنت أن البكاء سيصدع كبدها! وما زادت أن قالت: «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون». وقد مر معنا حوارها مع زوجها رسول الله ﷺ.

أما الزوج، وهو رسول الله ﷺ، فإن الإشاعة (الأزمة) لم تحمله على هجر زوجه أو تطليقها أو إلحاق أي أذى بها، خلا أن زوجته افتقدت منه اللطف الذي كانت تجده منه حين مرضها، وهو ما رابها. وإنك لتسمع عن أمثالها فتجد الزوج يقتل زوجه أو يضربها ضربا مبرحا أو يطلقها، ولو أن أحدنا أصيب بمصيبته - نسأل الله العافية - فما أدري ماذا سيصنع؟

٨- انتهت الأزمة بأن أنزل الله تعالى براءة عائشة في سورة النور، وانكشفت أشد محنة عن رسول الله ﷺ وآل بيته وصاحبه، بعد نحو شهر من العذاب النفسي الذي لا يوصف. واعجباه! أطهر أهل الأرض قاطبة يوصمون بشرفهم وعرضهم!

والموقف الأخير الذي نستخلصه من حديث الإفك هو عقوبة المفترين من مثيري الفتنة ومدبري الأزمة، فلا يكفي أن تثبت براءة المتهم، ولا يكفي أن تدفع القيادة عنها قالة السوء وانتهى الأمر، بل لابد من العقوبة الرادعة مع من يثير الإشاعة، ويسعى في زعزعة الصف المسلم. وإن لم يزجر أولئكم المفسدون بالعقوبة الصارمة فإنه لا تنتهي الجماعة المسلمة من فتنة إلا وتقع في أخرى. وقد نفذ رسول الله ﷺ حد القذف ثمانين جلدة في الثلاثة الذين ساروا في الإفك، مسطح بن أثاثة، وحسان ابن ثابت، وحمنة بنت جحش.

وهنا نلمس بوضوح المرحلة الأخيرة من مراحل الأزمة، وهي مرحلة التعلم، وتتمثل في مجموعة الإرشادات والإجراءات والضوابط التي تمنع تكرار الأزمات في المستقبل، ففي صحيح البخاري: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»، واستخلاص الدروس والعبر منها، مثل: البعد عن مظان التهمة، وعدم الأخذ بالإشاعة، والثقة وحسن الظن بالمؤمنين، والحذر من المنافقين والذين في قلوبهم مرض، وهذا ما تضمنته الآيات التي نزلت في حادث الإفك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور:١١ وما بعدها)، وفي قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، إشارة إلى عصبة تكيد للإسلام والمسلمين، وتثير هذه الأزمات، وهي عصبة اليهود والمنافقين في المدينة. وتأمل يا رعاك الله قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ويتمثل الخير في كشف الأعداء وتدبيرهم ومنهج الجماعة المسلمة في مواجهته! ونكون بذلك قد بلغنا آخر مراحل الأزمة، وهي مرحلة إعادة التوازن (٦).

---

**الهوامش**

١- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ، أزم، (١٦/١٢).

٢- إدارة الأزمات، د. فهد أحمد الشعلان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، ص:٢٤.

٣- الأزمات والإعلام والعلاقات العامة، د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠١٢م، ص:١٦.

٤- الأزمات والإعلام والعلاقات العامة، د. إسماعيل عبدالفتاح عبدالكافي، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠١٢م، ص:١٨-١٩.

٥- إدارة الأزمة بين نقطتي الغليان والتحول، د. حسن البزاز، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، المؤسسة الجامعية، بيروت، ص:٢٤.

٦- إدارة الأزمات والكوارث، د. فاروق عمر عبدالله العمر، دار قرطاس، ط١، الكويت، ١٩٩٨م، ص:٢٥.

خلف أبوزيد
باحث دراسات إسلامية
مصر

# الابتسامة عند النبي ﷺ

كان رسول الله ﷺ، بسام المحيا، سمح النفس، طاهر القلب، يلاقي من يلاقيه ببشر وترحاب، فلا عجب أنه كان يتفكه حينا، ويطرب للفكاهة أحيانا، بالإضافة إلى أنه كان أكثر الناس تبسما في وجوه أصحابه، ومن حديث عبدالله بن الحارث رضي الله عنه: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ» (رواه الترمذي)، وعن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ، كان من أفكه الناس، كما كان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به، وتوقيرا له» (١).

## الضحك والابتسام في اللغة

والضحك في اللغة مصدر ضحك، وهو انبساط الوجه، وبدو الأسنان، والفرق بينه وبين التبسم، أن التبسم هو مبدأ الضحك، فأول الضحك يكون تبسما، ويكون غالبا للسرور، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (النمل:١٩).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (عبس:٣٨-٣٩) وغيرهما من الآيات القرآنية الكريمة التي جاء فيها ذكر التبسم والضحك، بهدف السرور والتفكه. والضحك كما يقول ابن حجر العسقلاني أعم من التبسم، فإن كان بصوت بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة، وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم، وتسمى الأسنان في مقدم الفم الضواحك، وهي الثنايا والأنياب، وما يليها، وتسمى أيضا النواجذ وهي التي تظهر عند الضحك، فقد جاء في الحديث عن عامر بن سعد رضي الله عنه قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه» (أخرجه الترمذي في الشمائل)، والنواجذ جمع ناجذة، والناجذ هو آخر الأضراس في الفم، التي لا تظهر إلا إذا كان الضحك فيه شيء من السعة، والمعنى أنه استغرق في الضحك حتى بانت آخر ضروسه.

## ابتسامته في وجوه أهل بيته

لقد جعل ﷺ، من الابتسامة حياة، يبتسم حتى في المواقف الصعبة، فقد كان بساما، ضحوكا فيه هيبة، وهيبته لا تمنعه أن يضحك، ولا تمنعه أن يبتسم، وكان لا يزيد على رفع الصوت، أي لا يقهقه، ولا يرفع صوته في الضحك، ما في قلبه يرتسم على وجهه، كانت الابتسامة يحيا بها النبي ﷺ في مواقفه المختلفة، وأول ابتسامته كانت لأهل بيته، فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها، كيف كان النبي ﷺ، إذا خلا مع نسائه؟، قالت كالرجل من رجالكم، إلا أنه كان من أكرم الناس وألين ضحكا (٢)، وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كسا النبي ﷺ إحدى نسائه ثوبا واسعا، قال: «البسيه واحمدي الله، وجري من ذيلك هذا كذيل العروس» (٣) وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجت مع النبي ﷺ، في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا»، فتقدموا، ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك»، فسابقته، فسبقته، فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم، وبدنت، ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته، فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك» (٤).

## بساما في وجوه أصحابه

لقد كانت البسمة إحدى صفات النبي ﷺ، والتي تحلى بها ولم تعد تفارق محياه، بل صارت عنوانا له وعلامة عليه، وباستقراء كتب السنة، نجد أن أكثر أحواله ﷺ هي الابتسامة، وفي بعض الأحيان كان يزيد عن ذلك، فيضحك باعتدال، دون إكثار فيه، أو علو في الصوت، وهذه هي سنة الأنبياء، كما قال الإمام الزجاج «والتبسم أكثر ضحك الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام»، وقد اتجه ﷺ بهذه الروح المرحة إلى أصحابه، روى الإمام أحمد، أن صهيب بن سنان رضي الله عنه، قدم على النبي ﷺ، وبين يديه تمر وخبز، فقال له: «ادن فكل، فأخذ يأكل التمر، فقال له النبي ﷺ: إن بعينك رمدا، فقال: يا رسول الله، إنما آكل من الناحية الأخرى، فتبسم النبي ﷺ» (رواه أحمد).

وفي الحديث أن رجلا استَحْمَل النبي ﷺ فقال إني حاملك على ولد ناقة، فقال: يا رسول الله! ما أصنعُ بولد الناقة؟ فقال النبي ﷺ: «وهل تلد الإبلُ إلا النوقَ؟» (رواه أبوداود والترمذي)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا ذا الأذنين السميعتين الواعيتين لما سمعت» وهي دعابة وفكاهة من النبي ﷺ، تدل على ذكاء أنس بن

مالك، وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه، «أن رجلا من أهل البادية، كان اسمه زاهرا رضي الله عنه، وكان يهدي النبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه النبي ﷺ، إذا أراد أن يخرج، وكان رسول الله ﷺ يحبه، وكان رجلا دميما، فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي، حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: من يشتري العبد؟ فقال يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسدا، فقال رسول الله ﷺ، ولكن عند الله لست بكاسد» (رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه).

وكما كان النبي ﷺ يداعب ويمازح أصحابه، فقد قبل أيضا مزاح أصحابه معه، فقد كان هناك صحابي، يسمى نعيمان، عرف بشدة حبه للتفكه والمرح والابتسام، ومن مواقفه الطريفة مع النبي ﷺ، «أنه سمع أن أعرابيا، جاء إلى النبي ﷺ، فدخل المسجد، وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي ﷺ، لنعيمان، لو نحرتها فأكلنا، فإنا قد قرمنا (اشتهينا اللحم)، ويغرم رسول الله ﷺ ثمنها، قال فنحرها نعيمان، ثم خرج الأعرابي، فرأى راحلته قد نحرت فصاح: واعقراه يا محمد، فخرج النبي ﷺ فقال: «من فعل هذا؟ قالوا: نعيمان، فأتبعه يسأل عنه فوجده في دار ضباعة بنت الزبير ابن عبدالمطلب، وقد اختفى في خندق، وجعل عليه الجريد والسعف، فأشار إليه رجل، ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله، وأشار بأصبعه حيث هو، فأخرجه رسول الله ﷺ، وقد تغير وجهه بالسعف الذي سقط عليه، فقال له: «ما حملك على ما صنعت؟» قال الذين دلوك علي يا رسول الله، هم الذين أمروني، قال: فجعل النبي ﷺ يمسح على وجهه ويضحك، قال: ثم غرمها رسول الله ﷺ» (٥). فنرى من خلال هذا الموقف كيف تقبل النبي ﷺ مزاح نعيمان، وفكاهاته معه

## البسمة إحدى صفات النبي ﷺ التي تحلى بها

دون تبرم أو ضيق، وهذا كان شأن النبي ﷺ، مع أصحابه الذين كان يبتسم في وجوههم، ويعفو عنهم، ويسامحهم.

### حتى مع الأطفال

وعرف عن النبي ﷺ، أنه كان يلاقي من يلاقيه ببشر وترحاب، لا يعبس في وجه أحد، يستوي في ذلك الصغير والكبير، فقد خرج ﷺ إلى طعام دعي إليه، وفي الطريق وجد الحسين، يلعب ومعه ثلاثة من الصغار، فترك النبي القوم، وذهب نحو الحسين ومد يده نحوه، يلاعبه ويضاحكه، ثم حمله بين يديه، وكان الصحابة ينظرون فعل النبي، وعن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ، دخل على أبي طلحة رضي الله عنه، فرأى ابنا له يكنى أبا عمير حزينا، قال وكان إذا رآه مازحه النبي ﷺ وهو يقول: «ما لي أرى أبا عمير حزينا»؟ قالوا: مات يا رسول الله نغره، الذي كان يلعب به، قال فجعل النبي ﷺ يقول: «يا عمير ما فعل النغير» (أخرجه البخاري في الأدب) «والنغير هو تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار».

### يلاطف العجائز وكبار السن

وامتدت هذه الفكاهة النبوية لتشمل كبار السن، الذين أصابهم قبس من هذه المداعبة النبوية، فعن الحسن رضي الله عنه قال، أتت عجوز النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: «يا فلانة، إن الجنة لا تدخلها عجوز»، فولت تبكي، فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز»، إن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾

(الواقعة:٣٥-٣٦) (أخرجه الترمذي في الشمائل)، وهذه امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية، جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن زوجي يدعوك، فقال: «من هو؟ أهو الذي بعينيه بياض؟» فقالت: ما بعينيه بياض، فقال: «بلى بعينيه بياض»، فذهبت المرأة إلى زوجها فوجدته نائما، فأخذت تفتح عينيه لترى هل بهما بياض أم لا، وأراد ﷺ، البياض المحيط بالحدقة (٦).

### أخيرا

وفي النهاية نقول: إن مواقفه ﷺ، رائعة تملأ الوجوه بالابتسامة، وتحيط القلوب بالبشر والسرور، فقد كان عليه الصلاة والسلام، لا يتحدث بحديث إلا تبسم، أي إذا سمعته يتكلم، فلابد أن تجد الابتسامة في ثنايا كلامه، وإذا مزح غض بصره، وكان فيه دعابة، ويروى عنه ﷺ أنه قال: «وأنا أمزح ولا أقول إلا صدقا» وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم مغزى كلماته هذه، فعرفوا أن الابتسام خير من العبوس، والانشراح خير من الانقباض، فكانوا دائما مبتسمي الوجوه، منشرحي الصدور، عند تعامل بعضهم مع بعض، أسوة بنبيهم عليه الصلاة والسلام، الذي قال: «ولا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»، وقال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مزح ﷺ، فصار المزاح سنة، وكان يمزح فلا يقول إلا حقا».

### الهوامش

١- ذكره الإمام أبوحامد الغزالي في كتاب «إحياء علوم الدين، الجزء الثالث»، ص ٣٢٥، الناشر دار الندوة الجديدة، بيروت.

٢- كذلك في البداية والنهاية، لابن كثير، الجزء السادس، ص ٤٤.

٣- أخرجه ابن عساكر، وضعفه ابن عباس.

٤- كذلك في صفة الصفوة، الجزء الأول، ص ٦٨.

٥- الإصابة الجزء الثالث، ص ٥٧٠، عن حديث الزبير بن بكار، عن ربيعة بن عثمان.

٦- الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي، الجزء الثاني، ص ١٠٩.

نادر أبوالفتوح
صحفي بالأهرام المصرية

# إحياء السنة لحماية الشباب

**كثيرة هي التحديات التي تواجه الشباب المسلم في الوقت الحالي، ولعل أهمها الظواهر السلبية التي تنتشر عبر وسائل التواصل الحديثة، والتي أدت إلى الكثير من السلبيات في المجتمع المسلم، الذي لم يكن يعرف ظاهرة التحرش الجنسي أو الإلحاد، وغير ذلك من الظواهر السلبية، التي أصبحت تهدد القيم، وتؤثر في الشباب والأطفال، وتؤدي إلى مزيد من الانحرافات الأخلاقية والسلوكية، الأمر الذي يؤكد أننا في حاجة إلى إحياء القيم الواردة في السنة النبوية الشريفة.**

علماء الدين من جانبهم أكدوا أن السنة النبوية الشريفة تحمل لنا الكثير من القيم والمعاني، التي من شأنها أن تحمي المجتمعات من الظواهر السلبية، لأن مبادئ الشريعة تقوم على حفظ النفس والدين والمال والعرض والعقل، وهي الكليات الخمس التي حملتها لنا الشريعة الإسلامية، كما شدد العلماء على أهمية دور الأسرة في التوعية، ومراقبة سلوك الأبناء، وتعويدهم على الطاعة والارتباط بالمساجد، والتردد على دروس العلم.

### دور العلماء والدعاة

في البداية، يقول عميد كلية أصول الدين السابق في جامعة الأزهر الدكتور مختار مرزوق عبدالرحيم، إننا في حاجة إلى إحياء القيم الواردة في السنة النبوية الشريفة، لأن التحديات التي تواجه الشباب المسلم في الوقت الحالي أصبحت بلا حدود، نتيجة وسائل التواصل الحديثة، ولذلك لابد أن يقوم الدعاة والعلماء بدورهم، من خلال بيان القيم النبيلة في الشريعة الإسلامية، وأن نوضح للشباب أن مبادئ الشريعة تقوم على: حفظ النفس؛ بمعنى عدم التعدي عليها والحفاظ على النفس البشرية. وحفظ المال؛ بمعنى عدم التعدي على أموال الآخرين بغير حق، وعدم إنفاق المال في الحرام. وحفظ العقل؛ بمعنى عدم تعاطي المخدرات والمسكرات التي تذهب العقل. وحفظ العرض؛ بمعنى البعد عن الفواحش وعدم انتهاك

الأعــراض. فالمؤكد أن كل هذه المعاني عندما يطبقها الشباب، فإنها تعد ضمانة وخط حماية من التأثيرات السلبية، التي تنتشر عبر الفضائيات وعبر وسائل التواصل الحديثة. وهناك مسؤولية كبرى تقع على العلماء والدعاة لتوضيح هذه الأمور للشباب.

### تقوية الوازع الديني

وفي سياق متصل، يشير أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة الدكتور محمد نجيب عوضين، إلى أن مواجهة الظواهر السلبية تكون من خلال تقوية الوازع الديني، وأن نرسخ لدى الشباب والأطفال القيم الواردة في السنة النبوية الشريفة، فعندما يعلم الشاب حديث الرسول الكريم ﷺ مع الشاب الذي جاء وطلب منه أن يأذن له بالزنا، فرد عليه الرسول الكريم ﷺ: «هل ترضاه لأمك؟ هل ترضاه لأختك؟ هل ترضاه لابنتك؟ هل ترضاه لعمتك؟». فعندما يعلم الشاب أن الزنا من الكبائر، ويدرك قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (الإسراء:٣٢)، فإنه سوف يبتعد عن هذا الطريق، لكن الشباب يحتاج إلى من يوضح لهم القيم الواردة في السنة النبوية الشريفة، لأن الكلام المرسل لن يؤثر في الشباب، ولابد أن نوضح ونضرب أمثلة من التاريخ الإسلامي، ونعرض مواقف من حياة الرسول الكريم ﷺ، وهذا الأمر يكون من خلال الدروس الدينية في المساجد، ومن خلال المدارس والجامعات أيضا، فلابد أن تكون هناك ندوات في الجامعات والمدارس، تركز على مثل هذه القضايا، ويستضاف كبار العلماء والدعاة لمحاورة الشباب، وأن يكون ذلك بشكل دوري، لأن الشباب هم عماد الأمة.

### دور الإعلام الديني

من جانبها، تشير رئيسة إذاعة القرآن الكريم السابقة الدكتورة هاجر سعد الدين، إلى أن الإعلام الديني يتحمل مسؤولية كبرى نحو توعية الشباب، ولابد أن يركز الإعلام الديني على قضايا العصر، لأن مراعاة الواقع ضرورة في الخطاب الديني، ومن الأهمية بمكان أن تكون هناك برامج موجهة إلى الشباب والمرأة، وهذه التجربة قامت بها إذاعة القرآن الكريم في إحدى الفترات، لكن مع كثرة القنوات الفضائية والبرامج الدينية، وجدنا أن غالبية هذه البرامج أصبحت مخصصة للفتوى، وهذه قضية خطيرة، لأنه لابد أن تركز هذه البرامج على التوعية والموعظة الحسنة، وقضايا الشباب والمرأة والأطفال، وأن تكون هناك برامج عن السنة وعلوم القرآن والتفسير، لكن أن تخصص كل البرامج الدينية للفتوى، فهذا لن يؤدي إلى توعية الشباب. كذلك من المهم أن تستضيف البرامج الدينية العلماء المتخصصين، لأن هؤلاء هم الأجدر على القيام بهذه المهمة.

### دور الأسرة

ويرى أستاذ علم الاجتماع في جامعة الأزهر الدكتور نبيل السمالوطي، أن الأسرة تتحمل مسؤولية كبرى تجاه الأبناء، ولابد من تعويدهم على الذهاب إلى المساجد، وحضور دروس العلم والمقارئ، وأن يقدم الأب والأم النموذج والقدوة للأبناء، من خلال المحافظة على الطاعات وصلاة الجماعة، والالتزام بالقيم والأخلاق في المعاملات، ومن المهم جدا مراقبة سلوك الأبناء، وتوجيههم للطاعة، وحثهم على الحفاظ على الصلاة، وأن يكون هناك حوار داخل الأسرة، ومن المهم أن يكون الحوار قائما على الاحترام المتبادل، وأن نغرس لدى الشباب قيم الوفاء واحترام الكبير، والالتزام بالعفة والطهارة، وعدم السير في طريق الشهوات. كذلك على الأسرة أن تحذر الأبناء من أصدقاء السوء، وأن توضح لهم أن المجتمع الشرقي له عادات وتقاليد تستمد من تعاليم الإسلام، وأن الالتزام بها ضرورة، لأنه يحمي الفرد والمجتمع من كثير من السلبيات.

أ. د. سفيان ناول
عضو المجلس العلمي
المغرب

# حماية الموارد الطبيعية وصيانتها في السنة النبوية

خلق الله تعالى الإنسان وجعله خليفة في الأرض، وسخر له المخلوقات، لكي يُعمِّر ولا يُدمِّر، ويبني ولا يهدم، ويزرع ولا يقطع، كما قال سبحانه على لسان نبيه صالح، عليه السلام: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١)، أي طلب منا إعمارها والمحافظة على ما فيها من مقدرات وحسن استثمار ما أودعه الله فيها من خيرات. كما أمرنا بحسن التعامل مع الكون والبيئة التي نعيش في محيطها بما فيها من أرض وفضاء، ونبات وهواء، وبحار وأنهار، وزروع وأشجار، وحيوانات وطيور.

## الموارد في السنة

حفلت السنة النبوية بالعديد من النصوص التي تحث على حماية الموارد الطبيعية وصيانتها، في مجالات عدة منها:

### مجال المحافظة على الحياة الفطرية

نجد أن السنة النبوية نهت عن قطع السدر. فعن عبدالله بن حبشي أن رسول الله ﷺ قال: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» (١). ومن المعروف أن السدر ينبت في الصحاري، ويصبر على العطش، ويقاوم الحر، وينتفع الناس بتفيؤ ظلاله والأكل من ثماره إذا اجتازوا الفيافي في سفر أو في رحلة أو في بحثهم عن الكلأ والمرعى. والوعيد بالنار لمن قطع سدرة يدل على تأكيد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعية، لما توفره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر الضرورية لسلامة الحياة والإنسان.

ويتسع نطاق المحافظة على الحياة ليشمل أزمنة الحروب وأراضي الأعداء والخصوم. وإذا عدنا إلى غزوات الرسول ﷺ وسراياه نرى أنه كان حريصا على الرفق بالنساء والأطفال والشيوخ. فعن نافع أن عبدالله أخبره «أن امرأة وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولة، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان» (متفق عليه).

### مجال المحافظة على المصادر المائية من التلوث

نهى النبي ﷺ عن التبول في الماء الراكد حفاظا على سلامة الماء من التلوث؛ حيث إن الماء النجس لا يستفاد منه في طهارة أو شرب أو غير ذلك. ومثل البول تلويث الماء بأي ملوث (من المخلفات الصناعية أو المواد الكيماوية مثلا). فعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه «نهى أن يبال في الماء الراكد» (صحيح مسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه» (متفق عليه). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» (رواه أبوداود وقال:

هذا مرسل). ولا يخفى وجه النهي في ذلك؛ حيث إن مثل هذه التصرفات تحرم الآخرين من الاستفادة من كميات كبيرة من الماء. كما أن ممارسة هذه السلوكات (أي: التبول والتبرز في الموارد) تتسبب في إفساد تلك الموارد، وجعلها بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية.

### مجال المحافظة على سلامة الطرق وأماكن الظل

(بما فيها الحدائق والمتنزهات العامة وما يماثلها)، روى أبوهريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللعانين». قالوا: وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم» (صحيح مسلم).

### مجال ترشيد استعمال الماء

لنا في رسول الله ﷺ خير قدوة يحتذى بها في هذا المجال. فعن ابن جبر قال: سمعت أنسا يقول: «كان النبي ﷺ يغسل -أو كان يغتسل- بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمد» (صحيح البخاري). فهذا الحديث يدل على كراهة الإسراف في الماء للغسل والوضوء، واستحباب الاقتصاد. وقد علم الرسول ﷺ أتباعه هذا اللون من الاقتصاد في استخدام الماء. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناء، فغسل كفيه ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا، ثم غسل ذراعيه ثلاثا، ثم مسح برأسه، فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا، ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص، فقد أساء وظلم»، أو «ظلم وأساء» (رواه أبوداود). ومن خلال الفهم الواعي لمقاصد الأحاديث النبوية التي تتعلق باستخدام الماء أجمع علماء الفقه على ضرورة الاقتصاد في الماء، وعدم الإسراف في استهلاكه، ولو كان المرء على شاطئ النهر.

ومن أجل المحافظة على الثروة الزراعية، حيث اعتبرت السنة النبوية الأرض المهملة أرضا مواتا، واعتبرت مهملها معطلا لوظيفتها، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها، أو فليُحرثها أخاه، وإلا فليدعها» (متفق عليه)، فإذا أحيا الإنسان الأرض بحرثها وزرعها فقد أعاد لها وظيفتها وأسهم في الحفاظ عليها، قال ﷺ: «من أحيا أرضا ميتة فله فيها أجر وما أكلت العافية منها فهو له صدقة» (مسند أحمد).

### استخدام الموارد الطبيعية

كان رسول الله ﷺ هو أول من قضى بين المتخاصمين في حقوق استغلال الماء في دولة الإسلام. فعن عروة بن الزبير أن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما أنه حدثه أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك؟، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر». فقال الزبير: والله إني لأحسب أن هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (النساء:٦٥).

### التوازن البيئي

دعا الإسلام إلى المحافظة على هذا التوازن. ومن المعروف أن الله خلق كل شيء بقدر، وجعل التوازن ينتظم كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (الحجر:١٩). وقال عزوجل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد:٨).

ولتحقيق مقصد المحافظة على التوازن البيئي دعت الشريعة الإسلامية إلى نبذ الإسراف بشتى صوره، بمعنى أن تستغل النظم البيئية استغلالا علميا رشيدا ومستداما، وفقا لمنهج «الوسطية»، فلا إفراط أو تفريط. فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة» (٢).

### مجال المحافظة على التنوع الحيوي

دعت السنة النبوية إلى عدم إفناء أمم الطير والحيوان، نظرا لأهمية ذلك في تحقيق التوازن البيئي، إذ إن التنوع الحيوي يوفر القاعدة الأساسية للحياة على الأرض. وتعد الحياة الفطرية مصدرا رئيسيا لتزويد الإنسان بالغذاء والمواد الخام اللازمة. ولعل ما هو أهم من ذلك أن لكثير من الأنواع الحية دورا أساسيا في استقرار المناخ وحماية موارد المياه والتربة. كما أن كثرة الأنواع الحية توفر مخزونا غنيا للمعلومات عن السمات الوراثية التي ترشدنا إلى اختيار محاصيل جديدة وتساعدنا على تحسين الأنواع الموجودة حاليا. وتفقد بعض هذه المعلومات نهائيا عندما يختفي نوع رئيسي أو فرعي من أنواع الكائنات الفطرية (٣)، حتى لو كان هذا النوع من الكلاب.

### الهوامش

١- رواه أبوداود في سننه، وقد سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيا صوّب الله رأسه في النار.

٢- سنن ابن ماجه، والمخيلة: الكبر. انظر: لسان العرب، ابن منظور، الجزء الحادي عشر، صفحة ٢٢٨.

٣- التنوع الأحيائي، د. عبدالحكيم بدران، سلسلة قضايا بيئية، الكتاب رقم ٤٤، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت، ربيع الآخر ١٤١٦ هـ/سبتمبر ١٩٩٥م، صفحة ١٠: ١١.

د. جمال الدين الفاروقي
باحث دراسات إسلامية
الهند

# المعلم المثالي في شخصية الرسول

«تدرس لتعلم، تدرس لتعمل، تدرس لتكون».. لم يكن في حسبان منظمة «يونسكو» حين أعلنت التعليمات التربوية الهادفة، المتمثلة في هذه المقولة، أنها ترجع بمغزاها إلى ما كان يرشد إليه الرسول ﷺ قبل أربعة عشر قرنا. وقد كان عليه الصلاة والسلام أفضل معلم شهده العالم في القديم والحديث، وإن مهمة البعثة بلحمتها وسداها تجسد مسؤولية التعليم التي يقوم بها المعلم. ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي وهو يقول:

قم للمعلم وفِّه التبجيلا   كاد المعلم أن يكون رسولا

والتعليم في المنظور الإسلامي أوسع وأشمل مما نسمعه اليوم في المجالات الأكاديمية. وهو لم يعد ينحصر في تحويل المعلومات وتكييفها وتبادلها بين المعلم والمتعلم، بل أكثر من ذلك، فيشمل كل ما له شأن في رقي الإنسان ونمائه وتطوره، عقليا وذهنيا وفكريا. وهناك عنصر آخر أهم من هذا كله وهو الجانب الروحي الذي يحرك آليات التعليم ويترك في الطالب آثارا طيبة، وهو الوحيد الذي يجعل الإنسان إنسانا كاملا، وفي حالة غيابه يسود الانحلال الخلقي في المجتمع مما نرى سلبياته في العالم المعاصر. وبعبارة أخرى يمكن القول إن التعليم في المنظور الديني يهدف إلى قيادة المرء من السفاهة إلى الرشد، ومن الإثارة إلى التوجيه، ومن دروب التشاؤم إلى ساحات التفاؤل والآمال، ومن خذلان النفس إلى الثقة بها والاعتماد عليها.

### شخصية الرسول التعليمية

هذه المعاني بكل أبعادها وأهدافها تتمثل في شخصية الرسول ﷺ؛ باعتباره معلما مثاليا. ونجده أمام الصحابة، رضوان الله عليهم، وهم بمنزلة الطلبة، في موقف المربي والوالد الواعي والموجه التربوي. وتنطلق مهمة التعليم أساسا من رسالة البعثة الربانية، كما تشير إليه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ (الجمعة:٢). هذه الآية تمثل الركيزة الأساسية لعملية التعليم. ولابد أن يكون المعلم المثالي يحمل إلى طلابه من العلم والحكمة ما يصلح لهم شؤونهم ويزكيهم فرديا واجتماعيا. وملامح المعلم الناجح أيضا جاءت في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ (التوبة:١٢٨). هذه الصفات الأربع (الشفقة على الآخرين والحرص الدائم والرأفة والرحمة) المشار إليها في الآية الكريمة، تخلق علاقة قلبية بين المعلم والمتعلم، تلك العلاقة الوثيقة التي تدوم وتبقى، ليس في رحاب المدارس والجامعات فقط، بل كل أطوار الحياة تنشطها هذه العلاقة، وليست ثمارها مجرد العلوم التي يتلقاها الطالب من خلال هذه العلاقات، الذي لا يحتاج اليوم إلى العكوف أمام الأستاذ للتحصيل العلمي، فبمجرد الضغط على مفاتيح الكمبيوتر يجلب إليه كل أنواع العلوم في ثوان ودقائق. والأستاذ المثالي هو الذي يوحي إلى طالبه دائما تجاربه ويرشده إلى التعليم الذاتي والتلقائي، وهذا التفاعل يلمس فيه الطالب من العواطف الإنسانية ما لا يجده في بيئته المنزلية.

### موقفه التعليمي

المسلم من مهده إلى لحده يجب أن يكون مشتاقا إلى العلم، وكل المهارات التي أودعها الله تعالى في فطرته

تجعله يقظا نشيطا نحو العلوم، وإيمانه هو المحرك الأساسي لهذه المهارات. وهو يستطيع بباصرته وبصيرته أن يجمع العلوم ويحللها ويوازن بينها ويقيمها ويختار منها الأصح والأفضل. والنبي يوضح كيف تتم هذه العملية وهو يقول: «اغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا، ولا تكن الخامس فتهلك» (١). وبشرية اليوم يتخبطون في تصرفاتهم ويعمهون في طغيانهم، ليس من أجل فقدان العلوم، بل إنهم انحطوا إلى الدرجة الخامسة التي حذر منها الرسول، مما أرداهم ووصل بهم إلى هوة الهلاك والوبال.

وكان مما تتميز به شخصيته ﷺ السلوك التعليمي الهادف، وهو الذي يتمثل فيما يرويه ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو بن العاص وهو يقول: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد، فإذا هو بحلقتين: إحداهما يقرؤون القرآن ويدعون الله تعالى، والأخرى يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ: كل على خير، هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يعلمون ويتعلمون، وإنما بعثت معلما، فجلس معهم» (٢). وهذا الحديث إن دل على شيء فإنما يدل على النزعات التلقائية التي كان يستلهمها الصحابة من إرشادات الرسول ﷺ، والتي أصبحوا بها يقومون بالتعليم الذاتي؛ التعليم الأفضل والأكثر تأثيرا واستيعابا للمعلومات. كما أنه بنى منهجه التعليمي على أساس من الإيمان الذي يصقل العقل وينقي الضمير. وأبرز آثار الإيمان يظهر أولا في عملية التفكير في الإنسان كما يقول به القرآن: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن:١١). وانظروا كيف كان يدرب الرسول ﷺ أصحابه على هذا المنهج التعليمي. يقول جندب بن عبدالله رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ، ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانا» (٣).

## التعليم العصري المادي لا يعطي الإنسان سوى العلوم

والرسول عليه الصلاة والسلام يرى ضرورة غرس القيم والأخلاقيات في ضمير الطالب على أساس من الإيمان الذي هو المحور الأساسي في عملية التعليم، لأنه العاطفة القوية التي تستقر في قلب الإنسان، ويثبته في كل حركاته وسكناته. والتعليم العصري المادي لا يعطي الإنسان سوى العلوم والمعارف التي يحصدها من الممارسات العقلية، والتي تسوقه في معظم الأحيان إلى حضيض الرذائل، فيتراكم الرجس والدنس في قلبه، والله يقول: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾ (الأنعام:١٢٥). ولا تستقيم عملية التعلم والتعليم ولا تستثمر إلا إذا كانت منطلقة من قلب ملؤه إيمان وإخلاص وخشوع وخضوع، وفي حالة فقدانه يبقى التلقين والتلقي.

### التوجيه والتصحيح

وحين يقع الطالب في الأخطاء والزلات، عمد الرسول إلى منهج مؤثر، ولم يكن ذلك لهجة الزجر والطعن ولا أسلوب التوبيخ والتهجي، يدل عليه موقفه مع معاوية بن الحكم، وهو يقول: «بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت، فلما صلى رسول الله دعاني، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني أو ضربني ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (٤).

وهذا الحديث يجسد ملامح علم النفس التربوي الذي يركز عليه علماء التربية، ولا تتم إلا إذا قام المعلم مقام الوالد الحنون أمام تلاميذه. وآنذاك تنشأ العواطف والوجدان في قلوب النشء، وتأخذ بهم إلى المكرمات الخالدة في الحياة. والرسول يصرح بموقفه هذا ويقول: «وإنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم» (٥).

كما أنه عليه السلام حثهم على الجمع بين العلم والعمل، وقد ورد في الحديث عن أبي عبدالرحمن وهو يقول: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا فعلمنا العلم والعمل (٦). والحرص على العمل والاستزادة منه يحافظ على رونق العلم وبهائه ويزيد صاحبه مروءة وفضلا، والإهمال عن الأعمال تصدأ به العلوم كما يصدأ الفولاذ والحديد. وما أحوج شباب هذا العصر إلى النموذج النبوي الرائع.

والرسول المعلم بهذه التربية خلق جيلا تسلحوا بالعلم النافع والعمل الصالح، وصاغوا شخصيتهم على القيم والأخلاق الفاضلة، وحملوا إلى العالم رسالة الثقافة الربانية المتميزة التي تجمع بين أصالة الدين وحداثة الدنيا، واستطاعوا أن يعيشوا في كل عصر ومصر محافظين على هويتهم مواكبين ركب الحضارة. والرسول هو المعلم الوحيد الذي استطاع إنقاذ البشرية من الضلال الفكري والفساد الخلقي، مما جعل منهجه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

### الهوامش

١- رواه البيهقي، شعب الإيمان، ٢/٢٦٥.
٢- سنن ابن ماجه، ١/٨٣.
٣- سنن ابن ماجه، باب الإيمان، ١/٢٣.
٤- رواه مسلم، ٥/٢٠.
٥- رواه أبو داود، رقم:٤٩، ١/٨.
٦- مسند الإمام أحمد، ٥/٤١٠.

أ. د. وليد خالد الربيع
باحث في الفقه المقارن
جامعة الكويت

# السنة المطهرة ضوابط وقواعد

**تقاس محبة المؤمن لله تعالى بدرجة اتباعه لرسول الله ﷺ، فكلما كان تحريه للسنة أكثر كان بالدرجات العلى أحق وأجدر، كما قال ربنا سبحانه: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ (آل عمران:٣١). قال الحسن البصري: «قال قوم على عهد النبي ﷺ: يا محمد، إنا نحب ربنا! فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران:٣١)، فجعل اتباع نبيه محمد ﷺ علما لحبه، وعذاب من خالفه» (١).**

وقال الشيخ ابن سعدي: «علامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى؛ لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها» (٢).

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ (الأحزاب:٢١)، قال ابن كثير: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه».

**كان الصحابة يقللون الرواية والتحديث عن النبي ﷺ خشية الغلط**

وقد كان سلف الأمة يجعلون معيار من يؤخذ عنه العلم مدى تمسكه بالسنة، كما قال إبراهيم النخعي: «كانوا إذا أتوا الرجل يأخذون عنه العلم نظروا إلى صلاته وإلى سنته وإلى هيئته ثم يأخذون عنه» (٣).

وقال أبوالعالية: «كنا نأتي الرجل لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها جلسنا إليه وقلنا: هو لغيرها أحسن، وإن أساءها قمنا عنه وقلنا هو لغيرها أسوأ» (٤).

وكثير من المسلمين يحرص على تطبيق السنة المطهرة ونشرها دون اعتبار لضوابط ذلك وقواعده،

فعلماء الحديث والفقه وضعوا لرواية السنة أصولا ومنهجا، كما أنهم قرروا للعمل بالسنة والدعوة إليها قواعد وسبلا، حماية للسنة المطهرة من الكذب والغلط في الرواية، ومن الغلو والبدعة والانحراف في التطبيق والعمل.

فكثير من أهل الأهواء والبدعة، وكثير من مظاهر التشدد والتنطع التي تقع في مجتمعات المسلمين من بعض المنتسبين إلى سبيل الدعوة والعلم إنما هي بسبب إهمال مثل هذه الضوابط والأصول.

## ضوابط نشر السنة

فمن أهم الضوابط ضرورة تمييز صحيح السنة من ضعيفها قبل الاستدلال والعمل بها، فكثير من الناس يظن أن كل ما ورد عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال مما يسمعه من الخطباء والوعاظ أو يقرأه في الكتب هو ثابت في نفس الأمر، والحق أنه لابد من تمييز صحيح السنة من غيره من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي لا يحل روايتها إلا مع بيان ضعفها ولا يصح العمل بها، قال النووي: «إن من أهم العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات، أعني معرفة متونها، صحيحها وحسنها وضعيفها وبقية أنواعها المعروفات، ودليل ذلك أن شرعنا مبني على الكتاب العزيز والسنن المرويات، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات» (٥).

وقد دل على هذا الضابط قوله ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» (أخرجه مسلم)، وقوله ﷺ: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع» (أخرجه مسلم).

ولهذا كان الصحابة يقللون الرواية والتحديث عن رسول الله ﷺ خشية الغلط، كما قال أنس: «لولا أني أخشى أن أخطئ لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ، وذاك أني سمعته ﷺ يقول: «من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار» (٦)، وقال عبدالرحمن بن أبي ليلى: «أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد ﷺ ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه».

ولا يخفى على متبصر في العلوم الشرعية ما للأحاديث الضعيفة والموضوعة من أثر بالغ في ضلال الناس في قضايا الاعتقاد والعمل.

ينبني على ما تقدم أنه إذا صح الحديث ينبغي الأخذ به في العقيدة والأحكام والآداب دون تفريق بين حديث آحاد أو متواتر، وبين ما كان في باب الاعتقاد أو الأعمال، قال ابن حجر: «اتفق العلماء على وجوب العمل بكل ما صح ولو لم يخرجه الشيخان».

وقال ابن القيم: «الذي ندين لله به ولا يسعنا غيره أن الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولم يصح عنه حديث آخر ينسخه أن الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحديثه وترك ما خالفه ولا نتركه لخلاف أحد من الناس».

**لابد من تقدير المصالح والمفاسد عند نشر السنة**

ومن الضوابط المهمة أنه لابد من تقدير المصالح والمفاسد عند نشر السنة المطهرة والعمل بها والدعوة إليها، فاستعمال الحكمة ومراعاة قواعد المصالح والمفاسد عند تبليغ السنة المطهرة والعمل بها والدعوة إليها أمر ضروري ولازم، فليس كل ما يعلم يقال، ولكل مقام مقال، وقد قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (آل عمران:٧٩)، قال ابن عباس وغيره: «أي: حكماء علماء حلماء».

قال العلامة القاسمي في قواعد التحديث: «ما كل حديث صحيح تحدث به العامة، والدليل على ذلك ما رواه الشيخان عن معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار فقال: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله»؟ الحديث، وجاء في آخر الحديث قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا» فأخبر به معاذُ عند موته تأثما. (متفق عليه).

قال القاسمي: «ولما كان النهي للمصلحة لا للتحريم أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ» (٧).

وروى البخاري في كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا تعليقا عن علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟».

ومثله عن ابن مسعود رضي الله عنه: «ما

أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» (أخرجه مسلم).

ومن الضوابط المهمة أنه لابد من تمييز الجهة التي صدرت عنها السنة المطهرة، فالرسول ﷺ بعث مبينا بقوله وفعله، وقام بوظائف عدة في وقت واحد، فقد كان رئيس الدولة، وقائد الجيوش، والقاضي بين الخصوم، ومفتي السائلين، وإمام المصلين، وكان كذلك رب الأسرة، وكان المبلغ عن رب العالمين.

فعند التأسي به ﷺ لابد من تمييز الجهة التي صدرت عنها السنة حتى يتحقق تمام الاقتداء بالنبي ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد كان ﷺ إمام الأمة وهو الذي يقضي بينهم، وهو الذي يقسم وهو الذي يغزو بهم، وهو الذي يقيم الحدود، وهو الذي يستوفي الحقوق، وهو الذي يصلي بهم، فالاقتداء به في كل مرتبة بحسب تلك المرتبة، فإمام الصلاة والحج يقتدي به في ذلك، وأمير الغزو يقتدي به في ذلك، والذي يقيم الحدود يقتدي به في ذلك، والذي يقضي ويفتي يقتدي به في ذلك» (٨).

فمراعاة هذا الضابط تجعل تطبيق السنة والتأسي بالنبي ﷺ منضبطا صحيحا بعيدا عن الانحراف وتجاوز الصلاحيات والافتيات على أصحاب الحقوق، فليس للفرد من المسلمين القيام بوظائف رئيس الدولة ولا القاضي؛ لأن النبي ﷺ إنما حارب وعاهد وهادن وغنم وقسم الغنائم وزوج وفسخ وألزم ونحو ذلك من التصرفات؛ لأن تلك التصرفات صدرت عنه ﷺ

## الرسول ﷺ بعث مبينا بقوله وفعله

كإمام عام وقاض وقائد للجيوش، وإنما يتأسى به فيها من شغل تلك الوظائف.

يقول القرافي: «إن تصرف النبي ﷺ بالفتيا: هو إخباره عن الله تعالى بما يجده في الأدلة من حكم الله تبارك وتعالى، وتصرفه بالتبليغ هو مقتضى الرسالة، فهو ينقل عن الحق للخلق في مقام الرسالة ما وصل إليه عن الله تعالى، فهو في هذا المقام مبلغ وناقل عن الله تعالى، وأما تصرفه بالحكم فهو مغاير للرسالة والفتيا؛ لأن الفتيا والرسالة تبليغ محض واتباع صرف، والحكم إنشاء وإلزام من قبله بحسب ما يسنح من الأسباب والحجاج، وأما تصرفه ﷺ بالإمامة فهو وصف زائد على النبوة والرسالة والفتيا والقضاء؛ لأن الإمام هو الذي فوضت إليه السياسة العامة في الخلائق وضبط معاقد المصالح ودرء المفاسد وقمع الجناة وقتل الطغاة وتوطين العباد في البلاد إلى غير ذلك من هذا الجنس.

وأما آثار هذه الحقائق في الشريعة فمختلفة، فما فعله عليه السلام بطريق الإمامة كقسمة الغنائم وإقامة الحدود وترتيب الجيوش وقتال البغاة وتوزيع الإقطاعات في القرى والمعادن ونحو ذلك، فلا يجوز لأحد الإقدام عليه إلا بإذن إمام الوقت الحاضر، لأنه ﷺ إنما فعله بطريق الإمامة، وما استبيح إلا بإذنه، فكان ذلك شرعا مقررا لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ (الأعراف:١٥٨).

وما فعله ﷺ بطريق الحكم كالتمليك بالشفعة وفسوخ الأنكحة والعقود والتطليق ونحو ذلك، فلا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم الحاكم في الوقت الحاضر اقتداء به ﷺ لأنه عليه السلام لم يقرر تلك الأمور إلا بالحكم، فتكون أمته بعده كذلك.

وأما تصرفه ﷺ بالفتيا والرسالة والتبليغ، فذلك شرع يتقرر على الخلائق إلى يوم الدين، يلزمنا أن نتبع كل حكم مما بلغه إلينا عن ربه بسببه، من غير اعتبار حكم حاكم ولا إذن إمام، لأنه ﷺ مبلغ لنا ارتباط ذلك الحكم بذلك السبب، وخلى بين الخلائق وبين ربهم» (٩).

فهذه بعض الضوابط التي ذكرها العلماء رحمهم الله تعالى لحسن تلقي السنة وحسن الفهم لها والعمل بها والدعوة إليها، والله اسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى من العلم النافع والعمل الصالح ويرزقنا الاستقامة على السنة المطهرة حتى نلقاه على ذلك.

### الهوامش

١- أخرجه الطبري في تفسيره، ٦/٣٢٢.
٢- تيسير الكريم المنان، ص ٢١٧.
٣- أخرجه الدارمي، رقم ٤٢٠.
٤- أخرجه الدارمي، رقم ٤٢٣.
٥- شرح مسلم المقدمة، ١/٤.
٦- أخرجه الدارمي، رقم ٢٣٧.
٧- قواعد التحديث، ص ١٠٠.
٨- الفتاوى الكبرى، ١/١٥٦.
٩- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، وتصرفات القاضي والإمام، ١٠٥ وما بعدها باختصار.

# ضوابط النشر

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

الوعي الإسلامي

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

**ملاحظة:**

**- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.**

**- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.**

**- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.**

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

عادل الحدان
باحث - المغرب

# كتابة السيرة عند المغاربة

ينسب الفضل عادة إلى المشارقة في تأليف مصنفات السيرة النبوية؛ لعوامل شتى أهمها ما يتصل بالقرب الجغرافي والجودة والإتقان والسبق. بيد أن للمغاربة كذلك الفضل الكبير في إثراء المكتبة العربية في هذا المجال؛ بفضل التراكم الكمي والكيفي الناتج أساسا عن ارتباطهم بحب النبي ﷺ وإخلاصهم لمحبته، بدليل أن البيوت المغربية لا تخلو من أولاد يحملون اسمه الشريف، ولربما سمي الولد والوالد بالاسم نفسه، ذلك ما يفسر اعتناء المغاربة بالسيرة النبوية وما يتصل بها، وبالتالي كثرت تصانيف المغاربة في السيرة النبوية حتى شملت جل سيرته ﷺ. فما طبيعة هذه المصنفات المغربية؟ وما القاسم المشترك بينها؟ وما الذي يميزها عن تصانيف المشارقة في السيرة النبوية؟ كل هذه الأسئلة وسواها سنحاول في كلمتنا هذه أن نجيب عنها من خلال الوقوف على أهم المصنفات المغربية في السيرة النبوية بقدر ما يسمح به المقام.

### أشهر مصنف

إن أشهر مصنف في السيرة النبوية لدى المغاربة على الإطلاق هو: كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت:٥٤٤هـ)، والذي ذاع صيته في الأرجاء حتى قيل عنه: «لولا الشفا لما عُرف المصطفى» وقيل عن صاحبه كذلك: «لولا القاضي عياض لما عرف المغرب». وهو كتاب في الشمائل النبوية والخصائص التي تميز بها ﷺ، لقد بين القاضي عياض سبب تأليفه إياه قائلا: «فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من توقير وإكرام، وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال، وأبينه بتنزيل صور وأمثال» (١).

وعليه، فإن الكتاب قد أحاط بخصائص النبوة المحمدية، حيث تحدث عن التقدير العظيم الذي أولاه العلي القدير له من مكانة عظيمة ودرجة عالية، ثم انتقل إلى بيان ما يحق على الناس تجاهه ﷺ، وبعد ذلك وضح الصفات سواء التي تستحيل في حقه أو التي تجوز من الصفات البشرية، وختم كتابه بالتعرض لأحكام من تعدى حدوده تجاه النبي ﷺ، إضافة إلى جمع أقوال السلف والعلماء في هذا الباب. والجدير بالذكر في هذا الصدد أن كتاب الشفا قد عد شمسا طلعت على غير العادة من المغرب، فتأثر بها المشارقة أيما تأثر وعنوا به شرحا وتعليقا ودراسة، وأشادوا به لكونه يجسد الكمال الإنساني الذي تحلى به النبي ﷺ. إلا أن لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة كما يقال، فبالرغم مما ذكرناه إلا أن بعض العلماء عابوا على القاضي عياض اعتماده على بعض الأحاديث الضعيفة وعدوا ذلك نوعا من الغلو في التأليف، مع أن الاستدلال بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والقصص والترغيب والترهيب أجازه علماء كثر.

> تميز علماء المغرب بالتدقيق في الجزئيات

### أهم الكتب

ومن المؤلفات القيمة في السيرة النبوية عند المغاربة كذلك كتاب: «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية» لأبي القاسم عبدالرحمن

بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت:٥٨١هـ)، وهو من أهم الكتب التي شرحت «سيرة ابن هشام»، وقد اعتبره أهل الاختصاص في مقدمة الشروحات التي أحاطت بسيرة ابن هشام؛ لأنه: «إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله ﷺ التي سبق إلى تأليفها أبو محمد بن إسحاق المطلبي، ولخصها عبدالملك ابن هشام المعافري المصري النسابة النحوي مما بلغني علمه، ويسر لي فهمه من لفظ غريب، أو إعراب غامض، أو كلام مستغلق، أو نسب عويص، أو موضع فاته التنبيه عليه، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته... تحصل في هذا الكتاب من فوائد العلوم والآداب وأسماء الرجال والأنساب ومن الفقه الباطن اللباب، وتعليل النحو، وصنعة الإعراب ما هو مستخرج من نيف على مئة وعشرين ديوانا سوى ما أنتجه صدري» (٢).

ولعل ما يميز هذا الكتاب هو الطريقة الشمولية التي تعتمد مبدأ تكامل العلوم من جهة، والتدقيق في الجزئيات من خلال مناقشة الأحداث والأقوال يشتمل على معارف مختلفة تنهل من مضان شتى من جهة أخرى، وتكمن قيمة الروض الأنف في الاختلاف عن الشروحات السابقة لسيرة ابن هشام، فقد كان شرحه غنيا بالمعارف إلى درجة أن الإمام السهيلي نفسه مدحه بشيء من الحيادية إذ يقول: «وقد عنت لي منه فنون، فجاء الكتاب من أصغر الدواوين حجما، ولكنه كنيفا ملئ علما، ولو ألفه غيري لقلت فيه أكثر من قولي هذا» (٣).

ومما يتصل بالسيرة النبوية كذلك المصنفات في سيرة الصحابة رضوان الله عليهم، باعتبار أن حياتهم كانت مشتركة مع حياته ﷺ، وأنهم حازوا الشرف بالانتساب إلى صحبة خير

**البعد الجغرافي للمغاربة لم يشكل عائقا أمام دقة متابعتهم للسيرة**

الخلق عليه الصلاة والسلام، فمن أهم المصنفات المغربية في هذا المجال نجد المصنف النفيس الموسوم بـ: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (ت:٤٦٣هـ). والذي يعد معجما لصحابة رسول الله ﷺ، حيث رتبهم حسب أسمائهم ترتيبا (ألفبائيا)، فيقف على الصحابي الجليل فيبين نسبه ويذكر حياته التي عاشها في صحبته ﷺ مركزا على الغزوات والأحداث الكبرى، ثم ينتقل إلى ذكر الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ إن وجدت.

ولقد اهتم المغاربة كذلك أشد الاهتمام بمولد النبي ﷺ وما يتعلق به من علامات النبوة التي سبقته، فاختلفت مظاهر الاهتمام، فكانوا ينظمون لذلك الأشعار والمنظومات كالبردة والهمزية للإمام محمد ابن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت:٦٩٦هـ)، كما ألفوا في ذلك المصنفات والكتب، وخير مثال لهذا النوع نذكر كتاب: «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» لأبي العباس العزفي (ت:٦٣٣هـ)، وكتاب: «التنوير في مولد البشير النذير» لأبي الخطاب ابن دحية الكلبي السبتي، ذكره ابن كثير في البداية والنهاية في معرض حديثه عن صاحب إربل: «أبو سعيد كوكبري» قائلا: «وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلدا في المولد النبوي سماه: «التنوير في مولد البشير النذير»، فأجازه على ذلك بألف دينار» (٤).

وقيل إن ابن دحية أول من ألف في هذا الباب.

### الخلاصة

يتضح مما سبق أن طرق المغاربة في تأليف كتب السيرة النبوية قد تعددت واختلفت من حيث المنهج والغاية، فأحدهم اهتم بدراسة مولده ﷺ ودلائل بعثته وما سبقها من أحداث ووقائع مبشرة، وهناك من درس الشمائل المحمدية والخصائص المعجزة التي خص بها الله تعالى نبيه الكريم، وهناك من انصرف إلى شرح كتب السيرة النبوية المشهورة، وحاول إخراجها في حلة أوضح بطابع مغربي خاص، وهناك فئة أخرى من المصنفين أولت اهتمامها إلى دراسة حياة الصحابة رضوان الله عليهم، باعتبار أن حياتهم ارتبطت ارتباطا وثيقا بحياته ﷺ.

والخلاصة، أن طرق المغاربة في التأليف في السيرة النبوية إتسمت بخصيصتين أساسيتين؛ أولاهما: اتباع طرق المشارقة في تأليف المصنفات خصوصا في الموضوعات المتداولة في السيرة النبوية. والأخرى: التفرد في التأليف في الموضوعات المحدثة، وتميزت طريقتهم في التأليف بالتدقيق والتمحيص في الجزئيات، مما يفسر إمعانهم النظر والتعمق في فهم الظواهر؛ مما بوأهم مكانة لا تقل شرفا عن المشارقة في التأليف في السيرة النبوية.

---

### الهوامش

١- القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، (١٦/١).

٢- أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، (١٥/١).

٣- المصدر نفسه: (٣٦/١).

٤- ابن كثير، البداية والنهاية، (١٦٠/١٣).

د. عبدالعلي بلامين
باحث بالرابطة المحمدية للعلماء
المغرب



# الإبـداع في الرسم النبوي التوضيحي

من حكمته جل وعلا أن بعث رسوله الصادق الأمين ﷺ عالما بلسان قومه، خبيرا بأحوالهم ومستوياتهم المعرفية، من أجل درء عوائق التواصل والتبليغ. قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ (إبراهيم:٤)، وقد روي عنه ﷺ أنه قال: «أمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم» (١). وله شاهد في صحيح البخاري عن علي كرم الله وجهه موقوفا: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟» (٢).

وعلى هذا الأساس الرصين، حرص الرسول ﷺ على تقريب الأحكام الشرعية، والقيم الأخلاقية، وتيسير تحصيلها لصحابته رضي الله عنهم أجمعين، معتمدا مسالك تربوية متنوعة تجلي بعدا مهما من أبعاد المنظومة التربوية النبوية، ومن بين هذه المسالك ما يأتي:

- صياغة المعاني العقلية في صور حسية: ضرب الأمثال بقصد الامتثال.
- الحوار الاختباري: الامتحان دون امتهان.

**المعاني تستقر في الذهن بصياغتها في صورة حسية**

- الحوار الحجاجي: إيراد الحجة العقلية بقصد الإفهام والإفحام.

ومن بين المسالك التربوية المعتمدة في المدرسة النبوية الرسم التوضيحي، فقد ثبت عنه ﷺ استعماله غير مرة بغية الإفهام وترسيخ القيم.

وهو المسلك الذي دأبت على سلوكه مختلف الجامعات الأكاديمية العالمية من أجل شرح وتقريب العلوم والمعارف، مع اختلاف في الوسائل المستخدمة في الرسم والعرض.

وقد أسهمت الثورة الرقمية في تطوير مسلك الرسم التوضيحي فظهر ما بات يعرف بعلم «الإنفوجرافيك» «Infographics» (٣) الذي يعنى

بوضع رسوم مرئية موضحة المعلومات المعقدة بهدف تيسير فهمها واستيعابها، على أساس قول بعض الحكماء: «صورة بألف كلمة»(٤) «a picture is worth a thousand word» وأضحى هذا المسلك أكثر انتشارا في صيغته الرقمية بمواقع التواصل الاجتماعي.

### الرسم النبوي التوضيحي: منارة

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط النبي ﷺ خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (صحيح البخاري).

ويمكن تخيل الرسم التوضيحي الذي خطه الرسول ﷺ على الشكل الآتي:

فالمربع يصور الأجل المحيط بالإنسان الذي يشخصه المستقيم داخل المربع. أما المستقيم الخارج منه فيمثل طول أمل الإنسان، وأما الخطط الصغار الموجهة صوب الخط المستقيم داخل المربع (الإنسان) فهي الأعراض؛ وهي: «الآفات العارضة له» (٥)، مصيبة الإنسان لا محالة؛ لذلك عبر عنها ﷺ بقوله: «فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا»، وعبر بالنهش «استعارة من لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك» (٦).

والمراد بالأمل في الحديث، المذموم منه؛ وهو الاسترسال فيه، وعدم الاستعداد لأمر الآخرة؛ لأنه لولا الأمل ما تهنأ أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا (٧).

واللافت للنظر أن النبي ﷺ ابتدأ رسمه التوضيحي برسم المربع الذي هو الأجل؛ وهو من أهم ما يجب على الإنسان أن يستحضره في حياته؛ لئلا يلهيه طول الأمل عن استثمار مفاتيح النجاح في الدنيا والآخرة، ولئلا ينهك نفسه ويعلها فيفضي به ذلك إلى

**بعث الرسول ﷺ عالما بلسان قومه خبيرا بأحوالهم**

الاكتئاب، ومختلف العلل النفسية.

وأضلاع هذا المربع المتساوية المغلقة على الإنسان يمكن أن تصور لنا أسوار الأقدار التي لا تخرقها سوابق همم الإنسان.

وخط طول أمل الإنسان يوجد خارج المربع؛ لأنه لم يقدر له بلوغه فهو خارج أسوار الأقدار؛ فيكون بذلك ما يوجد في محيط المربع الداخلي هو مجال الإنسان في حياته الدنيا، ومنتهى آماله ومقامه الذي أقامه الله فيه.

فبهذا الرسم التوضيحي السهل الممتنع الذي استعملت في صناعته وعرضه وسائل بسيطة، بين النبي ﷺ لصحابته قيما عظيمة؛ كالحث على التوسط والاعتدال في الأمل، واستحضار محدودية العمر، واستحالة الخلود في الدنيا، وهو ما يدفع الإنسان إلى الاجتهاد في أداء الواجبات بإخلاص، والتحلي بالخلق الحسن، واجتناب مسالك الشرور، والصبر على ما يعترضه في حياته من مصائب وابتلاءات.

وتكمن أهمية رسمه ﷺ التواصلية والتربوية في كونه يستدعي حاسة البصر للمشاركة في عملية الإدراك والاستيعاب؛ فيزيد ذلك كلامه ﷺ قوة ودلالة ورسوخا في الذهن؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة المعنى، وهو دافع للمختصين في مجال «الجرافيك» وعلوم التربية من أجل صناعة رسومات توضيحية تربوية باستثمار الوسائل التكنولوجية الحديثة من أجل تذليل عقبات العلوم والمعارف، وتيسر استيعاب مباحثها.

### وصفوة القول

إن تصوير المعاني المعقدة وإدخالها في أذهان السامعين والناظرين من الوسائل التربوية الفعالة في المدرسة النبوية المباركة المؤيدة بالوحي الرباني، التي تخرج منها جمع غفير من صحابة رسول الله ﷺ، سفراء الوحي رضي الله عنهم أجمعين، ولايزال نور هذه المدرسة ساطعا، ونبراسا لورثته ﷺ ينفون به عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

- إن اعتماده ﷺ الرسم التوضيحي في إفهام القيم وترسيخها بما أتيح له من وسائل تقليدية، لدرس عظيم في الحرص على نشر العلم والمعرفة النافعة باستثمار كل ما هو متوافر من وسائل، وإن كانت بسيطة.
- إن خطه ﷺ هذه الأشكال الهندسية بدقة، وشرح معانيها، ليكشف لنا ذوقه ﷺ الجمالي الرفيع المعجز في تصوير معاني القيم حسيا، وفي بيانها بأسلوب بليغ، ولا عجب من ذلك فهو النبي المؤيد بالوحي الرباني.
- إن الحاجة الملحة اليوم لاستثمار الإنفوجرافيك في ترسيخ القيم الدينية والإنسانية والوطنية، وفي تقريب العلوم والمعارف، وفي معالجة الظواهر الخطيرة، وتفكيك الخطابات المتطرفة التي تحث على العنف والكراهية، والإخلال بالثوابت الدينية والوطنية.

---

### الهوامش

١- أخرجه أبوعبدالرحمن السلمي في تفسيره عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا. حقائق التفسير، لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السّلمي (ت:٤١٢هـ). تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١: (١٤٢١هـ-٢٠٠١م). ج ١، ص ٣٧٧.

٢- كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم: ١٢٧.

٣- يسمى كذلك:
«data visualization» ،«information design»، «information architecture»
انظر:
Mark Smiciklas. The Power of Infographics: Using Pictures to Communicate and Connect with Your Audience. (Pearson Education. 2012). P. 3.

٤- انظر المرجع نفسه.

٥- انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، ج ١١، ص ٢٦٧.

٦- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي البكري الصديقي الشافعي. تحقيق: خليل مأمون شيحا. دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ٤: (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م). ج ٥، ص ١٤.

٧- انظر: فتح الباري، لابن حجر، ج ١١، ص ٢٦٦.

د. محمد عبد السلام سالم
دكتوراه في الحديث وعلومه
مصر

# «وأنا خيركم لأهلي»

إن الحياة الزوجية من أكثر ما يؤثر على حياة الناس، فإن استقامت؛ سعد الناس وارتقت الأمة، وإن اعوجت؛ انعكس ذلك سلبا على الأمة كلها، فما أجمل أن يعيش الإنسان في ظلال أسرة سعيدة، وقديما قالوا: من أراد أن تكون زوجته كخديجة؛ فليكن كمحمد ﷺ، ولكن كم من الناس يطبق هذا المبدأ؟

غالب الناس يطلب من زوجته أن تكون له كخديجة دون أن يكون هو لها كمحمد ﷺ، كل واحد من الطرفين يريد من الآخر أن يكون نموذجا متفردا في التعامل دون أن يلزم نفسه أولا أن يكون هو كذلك، ويظن نفسه أنه هو الذي يقدم كل شيء، بل يكاد يجزم، بل ويحلف أنه هو من يتحمل أمر البيت، وهمَّ الأسرة وأن الطرف الآخر لا يكاد يقدم شيئا .

فهل كان رسول الله ﷺ هكذا في بيته؟

### هدي الرسول ﷺ يغلب

إن النبي ﷺ كان يملك من نسائه شغاف قلوبهن حتى كان هواه يغلب هوى أنفسهن، أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم قال حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي حدثنا خالد - يعني: ابن الحارث - حدثنا شعبة عن إبراهيم ابن محمد بن المنتشر قال: سمعت أبي يحدث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كنت أطيِّب رسول الله ﷺ، ثم يطوف على نسائه، ثم يصبح محرما ينضخ طيبا».

فانظر كيف كانت السيدة عائشة تطيّب النبي ﷺ للدخول على بقية نسائه رغم علمها أنه سيدور عليهن - وهن ضرائرها - وعند النساء ما عندهن من الغيرة والمنافسة ورغم ذلك آثرت ما يحبه رسول الله ﷺ على هوى نفسها، بل حينما خيّرهن النبي ﷺ - بأمر الله - بين أن يخترن رسول الله على ما في عيشه من شظف، وبين الدنيا وزينتها؛ كلهن اخترن رسول الله ﷺ، بل لم يتمهلن مجرد تمهل لتفكر وسارعن كلهن فاخترن النبي ﷺ، أخرج البخاري في صحيحه قال: قال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني أبوسلمة بن عبد الرحمن أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾... إلى ﴿أَجۡرًا عَظِيمًا﴾، قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت.

فلم تُؤْثر واحدة منهن الدنيا بزينتها وما فيها على رسول الله ﷺ هكذا كُنَّ لرسول الله وكان رسول الله لهن أعظم ما يكون من زوج.

دعني أبين لك هذا، وبالمثال يتضح المقال، ولكن قبل أن أسترسل أود أن أسأل سؤالا:

هل أنت مستعد لترك ما تحب إرضاء لزوجتك؟ أشك في أنك يمكن أن تترك بعض عاداتك لإرضاء زوجتك، بل من الناس من لا يترك الحرام رغم إلحاح زوجته عليه في تركه، ماذا لو طلبت زوجتك منك أن تكف عن التدخين، وأن تدع هذا الأمر؟ أأنت مستجيب أم تظل تكابر؟، وأحيانا تراعي عينيها فقط بحيث لا تراك، ولكن قد يقول البعض:





أنا والحمد لله لست مدخنا.

أقول لك: فهل أنت تارك بعض ما اعتدت عليه إرضاء لزوجتك؟

مثلا: لو أنك خارج مع رفقتك، وقالت لك زوجتك لا تخرج وامكث معي، أو سيأتي واحد من إخوتي، وأحب أن تكون هنا حتى تجلس معه هل تفعل؟ هل تفعل إرضاء لزوجتك؟ إنني أطرح عليك هذا السؤال؛ لتقف مع نفسك تراجعها. ولكن الآن دعني أنتقل بك إلى رحاب بيت الحبيب ﷺ لترى كيف ترك النبي ﷺ ما يحب إرضاء لزوجاته.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة «أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ﴾ لقوله: بل شربت عسلا».

### مرضاة زوجاته

فانظر كيف أن النبي ﷺ حرّم على نفسه العسل ابتغاء مرضاة زوجاته، وقيل: بل كان التحريم لمارية لما بنى بها في بيت حفصة على ما قاله المفسرون، ولكن العبرة في هذا أن النبي حرّم على نفسه ما أحل الله له ابتغاء مرضاة أزواجه فهل أنت مستعد لأن تترك بعض عاداتك ابتغاء مرضاة زوجتك؟

**إذا استقامت الحياة الزوجية سعد الناس وارتقت الأمة**

كما أنه ﷺ كان يختار أيسر الأمور في معالجة ما يتعلق بنسائه؛ فها هو لما خير السيدة عائشة رضي الله عنها اختارت رسول الله ﷺ.

أخرج مسلم في صحيحه قال: «قال معمر فأخبرني أيوب أن عائشة قالت: لا تخبر نساءك أني اخترتك، فقال لها النبي ﷺ إن الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا». فانظر إلى رفق النبي ﷺ بنسائه، ومحبته الخير لهن بالدلالة على الخير، ومن قبيل رفقه بعائشة لصغرها؛ يقول لها: لا تقطعي بأمر في هذا حتى تستأمري أبويك، فهل أنت من هؤلاء الذين يحبون الخير لنسائهم، أم من الذي يفتشون عن العيوب ويتمنون العنت؟

**العلاقة الأسرية أعظم من أن تكون مناطحة بين الزوجين**

حتى في هجره ﷺ فإنه لطيف مع نسائه، متخير أيسر الأمور بلا تعنت.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أنس رضي الله عنه قال «آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهرا، وقعد في مشربة له، فنزل لتسع وعشرين، فقيل: يا رسول الله إنك آليت على شهر، قال: إن الشهر تسع وعشرون».

فانظر كيف اختار النبي أيسر الأمرين، ونزل إلى نسائه نهاية تسع وعشرين، وقيل إن هذا الشهر كان تسعا وعشرين. وبعد فهل أنت بعد ذلك تارك بعض عاداتك ابتغاء مرضات زوجاتك اقتداء برسول الله ﷺ؟ أم سترجع إلى هذا الموروث الذي ورثناه من عادات بعدت بنا عن دين الله عز وجل بأنّ الرجل لابد أن تكون كلمته نافذة أبدا، حتى ولو كانت خطأ في ذاتها.

### والمودة والمشاركة

إن الحياة الزوجية أعظم من أن تكون مناطحة بين الزوجين، بل أساسها المودة والمشاركة التي يقوم فيها كل واحد بدوره، فيعيش الإنسان السعادة بعينها، ولكن أعظم من هذه السعادة أن يقدم كل من الزوجين هوى الآخر على هواه، وقد رأينا ذلك واضحا في عمل السيدة عائشة وكما أشرنا أن النبي ﷺ ابتغى مرضاة أزواجه، فما أجمل هذه الحياة وأنقاها فيا ليتنا نقتدي.

محمد فريد فرج فراج
باحث شرعي - مصر

# سر النجاح في المنهج التربوي النبوي

لا يخفى على أحد أن نبينا ﷺ لم يكن يمتلك هذا الكم الرهيب من الكتب والمجلات التي تزخر بها مجتمعاتنا اليوم، كذلك لم تكن ظهرت بعصره ﷺ تلك البنايات التعليمية الضخمة والمتنوعة من المدارس بمختلف مراحلها، والجامعات بشتى صنوفها.. ومع كل هذا التناقض المعرفي بين العصرين، فإن العالم كله، وإن اجتمع، لا يستطيع إنكار الرقي الخلقي والسمو الأدبي اللذين قدمهما النبي ﷺ من خلال الجيل الفريد من الصحابة الكرام، رضي الله عنهم أجمعين.

ومن حق كل متعجب أن يتساءل: أنى لهذا النبي الأمي أن يحقق هذه الطفرة الأخلاقية ويرتقي بجيل الصحابة، رضي الله عنهم، من أسفل سافلين بالجاهلية الموغلة في العقائد الضالة والأخلاق الإباحية، إلى تلك المنزلة السامقة، وهذه الرتبة الرفيعة في الأخلاق؟!

كيف تم له ذلك مع هذا الفقر المدقع في الوسائل التعليمية، وتلك البدائية المفرطة في سبل نشرها؟!

ألا تتلخص الإجابة على سؤالي في الحديث عن جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي العلقي رضي الله عنه قال: «كنا فتيانا حزاورة مع نبينا ﷺ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا، وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان» (١).

**لا إصلاح إلا بخلق مناخ إيماني**

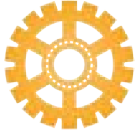
فقد كان النبي ﷺ يربي الصحابة، رضي الله عنهم، على الأعمال الإيمانية بصورة تطبيقية قبل أن يعلمهم آيات القرآن بطريقة نظرية؛ فلما تعلموا آيات القرآن ازدادوا إيمانا على إيمانهم.

وذلك أن النبي ﷺ كان نعم القدوة في العمل بالقرآن؛ إذ كان النبي ﷺ قرآنا مرئيا؛ كما جاء في الحديث عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال: «يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألست

# التضارب بين التوجيهات النظرية والحياة العملية لا ينتج إلا جيلا مشوها

تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» (٢).
فانظر مثلا إلى أثر رؤية الصحابة لتخلق النبي ﷺ بأخلاق الزهد والتواضع كما يحكي عدي بن حاتم قائلا: «رحلت إلى رسول الله ﷺ في المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم.
فقام رسول الله ﷺ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها. قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى بي رسول الله حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا، فقذفها إلي. فقال: اجلس على هذه. قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها. فقال: بل أنت. فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض. قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك! وعرفت أنه نبي مرسل، فأسلمت» (٣).
ووالله لو دبج النبي ﷺ آلاف الخطب عن الزهد، والتواضع، وخفض الجناح ما أثرت تلك الخطب على عظيم بيانها، وجليل بلاغتها في عدي رضي الله عنه تأثير هذا الموقف العملي، الذي يعكس الكمال البشري في الأخلاق الحميدة؛ لاسيما الزهد والتواضع.
كذلك تأمل تأثير بره وكرمه وإحسانه ﷺ على من حوله، ومن ذلك ما يرويه أنس رضي الله عنه، قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه. قال: فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه. فقال: يا قوم! أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة» (٤).

ومن ذلك أيضا أن النبي ﷺ أعطى صفوان بن أمية (وهو يومئذ كافر) مئة من النعم، ثم مئة، ثم مئة!
فقال صفوان: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي، فمازال يعطيني حتى صار، وإنه لأحب الناس إلي» (٥).
فتأمل هذه الطفرة الرهيبة!
في طرفة عين تتحول أمة كاملة من الكفر إلى الإسلام!
في طرفة عين: صفوان بن أمية؛ ألد أعداء الإسلام، وابن ألد أعداء الإسلام.. أمية بن خلف!
قد اشتد على المسلمين هو وأبوه، وقتل أبوه كافرا ببدر، ومزقه المسلمون بسيوفهم!
تاريخ طويل من الحرب الضروس والعداء المستحكم في قلب الرجل، وأبيه!
في طرفة عين تتحول كل مشاعر العداء المستحكم والكراهية المفرطة، إلى حب جياش وود فياض!
ولم يكن ذلك التحول الأسطوري بكثرة الخطب، ولا بيان الشعر، ولا بلاغة القول.
وإنما كان ثمرة طبيعية للتطبيقات العملية لكل الأخلاق القرآنية من الجود، والكرم، والبر، والإحسان!
ووالله لو جمعنا كل ما في الدنيا من الكتب، والخطب، والنثر، والشعر، وكل ما صنف في الجود والبر والكرم، ما أثمر ثمرة واحدة من هذه الثمار الطيبة بهذه الصورة الفورية.
فأين هذا التأثر الفوري من البلادة التي تستقبل بها الآن أعظم الخطب بلاغة، وأروع الشعر بيانا؟!
وهذا باب طويل جدا، لو استقصيناه لكان مجلدات ضخمة، وإنما هذا مقام الإشارة فحسب!
إن الصحابة، رضي الله عنهم، لما كانوا يرون القرآن المرئي في



شخص النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يربيهم على أعمال الإيمان، ثم بعد ذلك يسمعون القرآن المتلو فيتطابق المسموع على المرئي فيحدث انسجام بين القول والعمل، ويقع التطابق بين عقيدة الجنان وأقوال اللسان وأعمال الأركان، وحينئذ تتنزل بركات القرآن من السماء، وتتفجر بركاته من الأرض بإذن الرحمن عز وجل.
وأما عندما تفتقد الكلمات الرقراقة، والأشعار البليغة، والخطب الفصيحة تطبيقا عمليا في الحياة الواقعية، فإنها تكون بمنزلة الورد البلاستيكي جميل المظهر لكنه بلا روح أصلا.
فأنى لهذا أن يؤتي أكله، أو أن يخرج ثماره؟!
والخلاصة من وراء هذا كله؛ أنه لا إصلاح إلا بخلق مناخ إيماني تتفتح فيه عيون النشء على صور تطبيقية للمنهج القرآني السامي بحيث تطابق مع التوجيهات النظرية؛ لأن التربية إلى المناخ العملي أحوج منها إلى التلقينات المباشرة.
وإلا، فإن التضارب بين التوجيهات النظرية والحياة العملية لا ينتج إلا جيلا مشوها مصابا بالانفصام النفسي، والتخلخل الداخلي.
اللهم اجعل أعمالنا خيرا من أقوالنا، وسرائرنا خيرا من علانيتنا، وجوهرنا خيرا من مظهرنا عند الناس.

**الهوامش**

١ - (صحيح، رواه ابن ماجه ٦١؛ والطبراني في الكبير ١٦٧٨)؛ واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ١٣٧٦؛ والبيهقي في السنن ٥٤٩٨، وفي الشعب ٥٠).
٢ - (صحيح، رواه الإمام أحمد ٢٤٢٦٩؛ ومسلم: ٧٤٦).
٣ - (ابن هشام ٥٨١/٢:٥٨٠؛ الروض الأنف ٤٧٩/٧:٤٧٧).
٤ - (صحيح، رواه الإمام أحمد ١٢٠٥١؛ ومسلم ٢٣١٢).
٥ - (صحيح، رواه الإمام أحمد ٢٧٦٣٨؛ ومسلم ٢٣١٣).

عبدالسلام حسن
ماجستير شريعة إسلامية
سورية

# الرسول.. صاحب الخلق العظيم

وأجمل منك لم ترقط عيني
وأحسن منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

كانت ولادة رسول الله ﷺ عام ٥٧١ للميلاد فتحا عظيما للناس كافة، وكانت بعثته ﷺ عندما بلغ الأربعين فجرا مشرقا في الأرض والسماء؛ فقد هدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وأيقظ من سبات، وأحيا من موات.. فتح الله برسالته أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة.

إنه خليل الرحمن، وصفوة الأنام، لا طاعة لله إلا بطاعته: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء:٨٠).

ولا يتم الإيمان إلا بتحقيق محبته. قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

لقد كان ﷺ أعلى الخلق أخلاقا، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثا، وكان ﷺ أجود الناس نفسا، وأسخاهم يدا، وأشدهم صبرا، وأعظمهم عفوا وحكمة وحلما.

شرح الله تعالى صدره، ورفع ذكره، ووضع وزره، وأتم أمره، وأكمل دينه، وأبر الله تعالى يمينه، ما ودعه ربه وما قلاه؛ بل وجده ضالا فهداه، وفقيرا فأغناه، ووجده يتيما فآواه، وخيره الله تعالى بين الخلد في الدنيا وبين أن يختار ما عند الله، فاختار ﷺ لقاء خالقه ومولاه.

إنه رسول الله ﷺ.. فصيح اللسان، واضح البيان، موجز العبارة، موضح الإشارة، آتاه الله جوامع الكلم، وأعطاه بدائع الحكم.

يقول أبوهريرة رضي الله عنه: «ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه».

لك يا رسول الله صدق محبة
لا تنتهي أبدا ولن تتغيرا
صلى عليك الله في ملكوته
ما دارت الأفلاك أو نجم سرى

وأكرم الله تعالى نبيه ﷺ بفضائل جمة، وصفات عدة، فأحسن خلقه، وأتم خلقه، حتى وصفه تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (القلم:٤).

ومنحه الله جل وعلا فضائل عديدة، وخصائص كثيرة، تميز بها ﷺ عن غيره، فضلا عن مكانة النبوة التي هي أشرف المراتب، وأعلى المنازل..

ومن فضائله ﷺ أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب:٦).

وهو ﷺ أمان لأمته؛ حيث جاء في الحديث الصحيح: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» (رواه مسلم).

### الأسوة والقدوة

ومن فضائله ﷺ أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يشفع لأمته، وهو صاحب المقام المحمود، والحوض المورود.

وأخبر الله سبحانه وتعالى، أن الهداية إنما تكون بطاعة نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ (النور:٥٤).

وحذر سبحانه وتعالى، من عصيان أوامر رسوله ﷺ، فقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ (الأحزاب:٣٦).

إنه ﷺ الأسوة والقدوة لنا في أمورنا كلها. يقول الله عز وجل:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب:٢١).

وسيرته ﷺ دواء للقلوب، وصلاح للعقول، وشفاء للنفوس، واطمئنان للصدور، وهي التطبيق العملي، والتفسير التطبيقي، والنموذج الحي للقرآن الكريم، كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن».

سيدي يا رسول الله!

أنت الحبيب وأنت من أروى لنا
حتى أضاء قلوبنا الإسلام
وملأت هذا الكون نورا فاختفت
صور الظلام وقوضت أصنام

وقد صنف العالم الفلكي في هيئة الفضاء الأمريكية «مايكل هارت»، صنف الرسول محمدا ﷺ كأعظم رجل في التاريخ، وذلك في كتابه «الخالدون المئة».

يقول: استطاع «محمد» ولأول مرة في التاريخ أن يوحد بين أبناء قومه، ويملأ قلوبهم بالإيمان، ويهديهم.. إنه الإنسان الوحيد الذي نجح على المستوى الديني والدنيوي سياسيا وعسكريا كأعظم رجل دعا إلى الإسلام، ونشره كأعظم الديانات، ولا يزال أثر «محمد» ﷺ قويا ومتجددا.

## سمات العظمة

وقال كارليل عن الرسول محمد ﷺ: «إنه رجل واحد في مقابل جميع الرجال، استطاع بنصر الله له، وبصدق عزيمته، وبإخلاصه في دعوته، أن يقف أمام الجميع؛ ليدحض الباطل، ويظهر الحق؛ حتى يحق الله الحق بكلماته».

وإنني لأسأل كما فعل لامارتين: فهل بعد ذلك يوجد رجل أعظم منه؟ كلا، لا يوجد رجل أعظم منه؛ فقد عاش حياته كلها في خدمة البشرية جمعاء، وجاء بالدين الخاتم لجميع البشر، فهو بشير ونذير لكل البشر: إنسهم وجنهم.. وقد أخرج، بإذن الله، الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

إنه رجل جمع كل سمات العظمة في شخص واحد، وهو يستحق أن يجعله هارت أول العظماء.

ويقول برناردشو الإنجليزي، في مؤلف له سماه: «محمد»: إن العالم أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد، إنه يجب أن يسمى: «منقذ البشرية».

ويقول تولستوي (الأديب العالمي): يكفي محمدا فخرا أنه خلص أمة ذليلة من مخالب العادات الذميمة، وفتح على وجوههم طريق الرقي والتقدم، وأن شريعة محمد، ستسود العالم؛ لانسجامها مع العقل والحكمة.

ويقول الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل، الحائز جائزة نوبل في كتابه الأبطال: «رأينا محمدا طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم، كريما، برا، رؤوفا، تقيا، فاضلا، حرا، رجلا، شديد الجد، مخلصا، وهو مع ذلك سهل الجانب، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس.

كان عادلا، صادق النية، ذكي اللب، شهم الفؤاد، كأنما بين جنبيه مصابيح كل ليل، ممتلئا نورا، رجلا عظيما بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك».

ويقول جوته الأديب الألماني: «لقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي محمد».

ويقول مهاتما غاندي، في حديث لجريدة «ينج إنديا» وتكلم فيه عن صفات سيدنا محمد ﷺ: «أردت أن أعرف صفات الرجل الذي يملك بلا منازع قلوب ملايين البشر.. كان ذلك من خلال بساطة الرسول ﷺ مع دقته وصدقه في الوعود، وتفانيه وإخلاصه لأصدقائه وأتباعه، وشجاعته، مع ثقته المطلقة في ربه وفي رسالته».

## فخر للإنسانية

ويقول الشاعر الفرنسي الشهير لا مارتين:

إن الرسول، والخطيب، والمشرع، والفاتح، ومصلح العقائد، الذي أسس عبادة غير قائمة على تقديس الصور هو محمد.. لقد هدم هذا الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق.

ويقول العلامة شيريل، عميد كلية الحقوق بفيينا: «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها».

ويقول الباحث الفرنسي كليمان هوارت: «لم يكن محمد نبيا عاديا، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء؛ لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه.. هو نبي ليس عاديا، عندما يقسم: «لو سرقت ابنته فاطمة لقطع يدها»!. ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة؛ لأصبح العالم مسلما.

ويقول الشاعر الروسي الشهير بوشكين: عظمة محمد ﷺ في الخلق جميعا فوق كل عظمة، وفضله فوق كل فضل، وتقديره أكبر من كل تقدير، ولو لم يكن له ﷺ من مؤيدات نبوته وأدلة رسالته إلا سيرته المطهرة وتشريعه الخالد، لكانا كافيين، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وبعد:

ماذا نقول عن الحبيب المصطفى
فمحمد للعالمين إمام
هو سيد الأخلاق دون منافس
هو ملهم.. هو قائد مقدام

د. محمد عزب
باحث في الفلسفة الإسلامية
مصر



# إحياء أخلاقه ﷺ

تشكل الأخلاق عنصرا مهما من عناصر صناعة الإنسان المسلم، وشيوع الأخلاق في الأشخاص والمجتمعات علامة من علامات الاستقامة، يمدح المرء ويرتقي على قدر ما فيه من خلق حسن، ويذم وتنزل منزلته على قدر ما يتسنن بسنن الجاهلين ويأخذ بطريقتهم.

جاءت الآيات القرآنية داعية إلى الخلق الحسن، آمرة به ناهية عن ضده، يقول الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (المؤمنون:٩٦)، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (فصلت:٣٤)، ويقول تعالى في صفات المقربين من العباد: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ (الفرقان:٦٣).

وجاءت أقوال النبي ﷺ وأفعاله داعية للخلق الحسن في التشريع والتعايش، يقول النبي ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» (١)، ويقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٢)، وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» (٣).

ولقد تعايش النبي ﷺ مع الخلق بأحسن الخلق قبل البعثة وبعدها، فقد عرفه قومه قبل بعثته بالصادق الأمين، فكان لا يكذب، ولا يخون، وحين نزل عليه الوحي لأول مرة، وارتجف فؤاده ﷺ هدأت زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من روعه قائلة: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (٤).

فأصحاب الفطر المستقيمة يعرفون أن التوفيق والستر الإلهي يكون ملازما لأهل الوصال والمعروف ومكارم الأخلاق، وهو ما أكدته أم المؤمنين لزوجها النبي الأمين الذي اتسم بأسمى خلق.

## الخلق في حياته ﷺ

حين سار موكب الدعوة، وتكون المجتمع الإسلامي من فئات شتى من البشر، تعايش النبي ﷺ مع الأخلاط بأسمى الأخلاق وأفضلها، وكان نموذجا عمليا للخلق الأتم، تصفه المبرأة أم المؤمنين بقولها: «لم يكن فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح» (٥).

لقد كان النبي ﷺ يمارس الأخلاق

ممارسة، ولا يقتصر منها على التذكير والأمر، فلم يؤثر عنه أنه ﷺ دعا لخلق واستثنى نفسه من الأخذ به، بل لما تعلق أصحابه به وتاقوا لمرافقته، نبههم قائلا : «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» (٦)، وأخبر ﷺ أن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة المجتهد المجد في العبادة، فقال: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (٧).

لم يكن ﷺ يجلس مع أصحابه مجلسا إلا كان مجلسه في غاية السمو والطهارة والرفعة، فيصفه الواصف بقوله: «كان لا يذم أحدا ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة من منطقه ومسألته»، فإذا جلس للناس واجتمع بهم فاجتماع على خير، قال واصفه: «وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تثنى فلتاته، متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذوي الحاجة، ويحفظون الغريب» (٨).

لقد لحظ الدارسون المتجردون، من غير المسلمين، ذاك في سيرته ﷺ، وأثنوا على هذا الجانب في حياته ﷺ، يقول بعضهم: «إن أروع وأحب ناحية في طبيعة محمد ﷺ كانت إنسانيته، فمن بين أنبياء الأديان كافة كان هو أكثرهم إنسانية» (٩)، ويقول غيره في وصف النبي ﷺ: «كان لطيفا مع العظماء، بشوشا في أوجه الضعفاء، عظيما مهيبا أمام المتعاظمين المتكبرين، متسامحا مع أعوانه، يشترك في تشييع كل جنازة تمر به، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان. وكان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم الخاص، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام» (١٠).

إن أعظم ما يضع القبول للمرء بين الناس، ويشرح صدورهم له هو خلقه الطيب، فإنما عبادته لنفسه، وخلقه لمن حوله، وأبعد الناس من رحمة الله تعالى الذين يحل عليهم البغض هم أصحاب الخلق السيئ، ففي الحديث: «إن الله يبغض كل جعظري جواظ، سخاب بالأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة» (١١).

### خصيصة الأخلاق في الإسلام

إن ميزة الأخلاق في الإسلام هي منطلقاتها الإيمانية، فليست هي الأخلاق النفعية التي يفعلها المرء وقت الحاجة، أو يجعلها ضرورة لحياته يستغني عنها وقتما لا يراها كذلك، بل يفعلها احتسابا يؤجر عليها، وإن لم يلق صاحبها من الناس جزاء، فقد جاء إلى النبي ﷺ رجل وقال: «إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال له النبي ﷺ: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك» (١٢)، فلم يوجهه ﷺ إلا لمزيد من الوصال، رغم ما لقي من قطيعة.

كما أن من مميزات الأخلاق أنها ترفع عن الأمم مغبة الإهلاك والاستبدال في الدنيا؛ إذ ذهاب الأخلاق مؤذن بالهلاك والفناء، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (هود:١١٦-١١٧).

إن الإسهام في نشر خلقه ﷺ بتطبيقه وجعله سلوكا حيا يراه الناس هو الجدير بكل محب له، وإن التفاعل بين الناس بسنته في الأخذ والمنع، في الرضا والغضب، في الحب والبغض، في السماحة والعطاء، في الكرم والصلة، في الوفاء وحسن العهد، في الصبر على الجفوة والجفاء، في تقوى الله في الرضا والغضب، في قول الحق وإن كان مرا -لهو الحقيق بكل من يغار على السنة وينحاز إليها، ويتمنى لها الشيوع بين الناس، وهذا هو الحري بكل متبع للهدي، راج للمرافقة الطيبة في الآخرة، طامح لفعل شيء في دنيا الناس من حوله.

### الهوامش

١- أبوداود، برقم ٤٦٨٢، والترمذي برقم ١١٦٢، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

٢- أخرجه أحمد في المسند، برقم ٨٩٣٩، وصححه الأرناؤوط.

٣- الترمذي برقم ٢٠٠٤، وقال صحيح، وحسنه الألباني.

٤- متفق عليه.

٥- الترمذي برقم ٢٠١٦، وصححه الألباني.

٦- الترمذي برقم ٢٠١٨، وحسنه الألباني.

٧- أبوداود، برقم ٤٨٠٠، وصححه الألباني.

٨- أخرجه الترمذي في الشمائل، من حديث هند ابن أبي هالة، وقد ضعف المحدثون سنده، قال الشيخ محمد الطيب النجار بعد إيراد بعض ما سبق: كل ذلك صح من أوجه كثيرة. انظر: القول المبين ص:٤٢٢.

٩- العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام، أنتوني نتنج، ترجمة د. راشد البراوي ص:٤٤.

١٠- قصة الحضارة، ول ديورانت ٤٤٧٣.

١١- ابن حبان في صحيحه برقم ٧٢، وصححه الأرناؤوط.

١٢- أخرجه مسلم برقم ٦٦٨٩.

سفيان الغانمي
باحث إسلامي
المغرب

# عالمية الدين من رسائل وكتب النبي الأمين ﷺ

قبل الحديث عن شأن الرسائل لابد من ذكر لمحة بسيطة حول الدعوة الإسلامية داخل الجزيرة العربية قبل مراسلة الملوك، وذلك حتى يتسنى لنا معرفة دوافع إرسال هؤلاء الرسل إلى أولئك الأمراء والملوك.

عند تتبعنا لمسار الدعوة الإسلامية نلاحظ أن النبي ﷺ عانى مع قومه عناء شديدا، لكنه في آخر المطاف وجد رجالا قبلوا دعوته وناصروه وحملوا معه هم الرسالة التي كلف بتبليغها، وتجلى لنا ذلك فعليا من خلال استطاعته ﷺ تكوين دولة داخل الجزيرة العربية، كان مركزها المدينة المنورة، فبعدما وضع الأسس لدعوته وأرسى لها القواعد، سارع إلى إخضاع بعض القبائل التي كانت مثارا للقلاقل والفتن، خصوصا قبائل بعض اليهود بشمال الحجاز، من مثل خيبر، ووادي القرى، وفدك.

وبعد ذلك، انتقل إلى الطور الثاني من تبليغ الدعوة، وهو تبليغها لباقي الأمم الأخرى، فإنه ﷺ لم يأل جهدا في السعي لنشر الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية، لأن دعوته ﷺ لم تكن خاصة بقومه وعشيرته وأقربائه، وإنما كانت نورا تهتدي به جميع الأمم.

وقد عبر ﷺ عن هذا المنهاج قولا وفعلا، من خلال إرساله عددا من الرسل والمبعوثين إلى بعض أمراء أطراف الجزيرة العربية وبعض الملوك خارجها، وهذه الخطوة تعد

نقطة تحول مهمة في تاريخ العرب والإسلام.

### أبرز ما تناولته رسائل النبي ﷺ

● أن هذا الدين عالمي، ليس لقوم بعينهم ولا لجنس دون آخر؛ ولهذا نرى أنه ما إن أتيحت الفرصة لحاملي هذا النور بعدما أضاء قلوبهم، وتمنعت شوكتهم، ووطدوا الطريق لدعوتهم داخل الجزيرة، بإخضاع بعض القبائل التي كانت تثير القلاقل، وعقد تحالف مع أعتى قوة كانت تهدد دعوتهم، بما سمي بصلح الحديبية، حتى سارع قائدهم إلى مراسلة هؤلاء الملوك والأمراء، الذين كانوا خارج الجزيرة العربية، وكانوا يمثلون أجناسا وديانات مختلفة، وهنا كذلك نلاحظ حكمة الدعوة الإسلامية، فهي، بدايةً، دعوةٌ لا قتال؛ من أجابها سلم، ومن أبى فإنه لا يقاتل إلا إن حاربها وأعلن العداء لها. وخير دليل على عالمية هذا الدين كما سبق أن أشرت، هو قيامه ﷺ بمراسلة هؤلاء الملوك، مع اختلاف أماكنهم وأجناسهم وملتهم، مما يدل على أن هذه الدعوة لا تقتصر على لون ولا عرق ولا طائفة دون أخرى، وكذلك ما ورد في بعض الرسائل كرسالته ﷺ لكسرى، من مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «فإني رسول الله إلى الناس كافة».

● كذلك من أهم ما دلت عليه هذه الرسائل هو منهاج الدعوة الإسلامية، فقيامه ﷺ بهذه المراسلات كان يمثل طورا جديدا في الدعوة الإسلامية، ففي الطور الأول كان ﷺ يقتصر في الدعوة إلى هذا الدين على الأقربين من قومه ثم من حولهم.. وهكذا؛ حتى تمكنت الدعوة في نفوس المخلصين من قومه، وصلح رجال وفقهم الله لحمل همها؛ بعد ذلك انطلق إلى من بعدهم من أجناس أخرى، وهذا يدلنا على الترتيب في أمور الدعوة إلى الإسلام، بحيث نشتغل بالأهم فالأهم.

● كذلك من أبرز الأمور التي تناولتها هذه الرسائل، الدلالة على مدى تكبر كثير من أهل الكتاب عن الحق، مع العلم أنهم أصحاب كتاب يهتدون به إلى معرفة الحق، ورغم تظاهرهم باتباع نبيهم وتمسكهم بالشرائع التي أنزلت عليهم، التي، كما هو معروف، تدعوهم للإيمان بنبي سيبعث في آخر الزمان، لكنهم ما إن وصلتهم الدعوة حتى تعالوا عن الحق، كما يدل على ذلك موقف أتباع هرقل عندما كانوا مجتمعين ووصلتهم الرسالة فتلاها عليهم هرقل، فبدأ لغطهم يتعالى دلالة على امتناعهم عن الدخول في هذا الدين الجديد.

● كذلك من الأمور المهمة في الرسائل أنها رسمت الطريق للمسلمين في المنهاج الدعوي.

● ينبغي لهم أن يهيئوا للدعوة الوسائل والأسباب، ومن أهم الأسباب المعرفة التامة بلغات الأمم والأقوام الذين سيقومون بدعايتهم إلى الإسلام، ومن أهم الدلائل على هذا الأمر أن النبي ﷺ عندما كان يختار رسولا لإرساله إلى بلد ما، فإنه يكون ملما بلسان أولئك القوم، الذين أرسل إليهم حتى يستطيع أن يتواصل معهم، فمن أرسلهم إلى الحبشة أو القبط فإنه كان عندهم نوع دراية باللسان القبطي والحبشي.. وهكذا.

● وكذلك من الأمور التي دلت عليها هذه الرسائل، جواز كتابة البسملة في بداية الرسالة مع كتابة آية من القرآن، ولو كانت مرسلة إلى قوم غير مسلمين، وخير دليل على ذلك أنه ﷺ كان يواظب على كتابتها في بداية كل رسالة.

● كذلك من الأمور المهمة التي أومأت إليها هذه الكتب، هو مشروعية إرسال السفراء المسلمين إلى زعماء الكفار، ليبلغوا لهم أمور الدعوة ويبرموا معهم أمور الصلح وغيرها من الأمور، التي تكون الدولة الإسلامية في أمس الحاجة إليها.

● كما أنها تدل أيضا على مشروعية أخذ الجزية ممن لم يسلم من أهل الكتاب، كما ورد في كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوَى.

● وكذلك مشروعية بعض المسائل الأخرى، من مثل ذكر اسم المرسل والمرسل إليه، وموضوع الرسالة، وكذلك اتخاذ الخاتم أو الطابع بمصطلح هذا الزمان، فإنه ﷺ عندما أراد أن يكتب إليهم، قال له أصحابه، رضوان الله عليهم، إنهم لا يقبلون كتابا إلا إذا كان مختوما، فاتخذ ﷺ خاتما ونقش عليه محمد رسول الله. وهذا يدلنا على مدى مرونة هذا الدين واستجابته لمتطلبات حاجيات الإنسان.

تعتبر هذه الرسائل من أهم الدلائل على عالمية هذا الدين، لنكتشف معنى عالمية الدين.

### عالمية الدين

لا يكون الدين عالميا إلا إذا كان شريعة للإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن العوامل والفوارق العارضة، التي لا تدخل في ماهية الإنسان كإنسان، ومن دون ذلك لا يتحقق معنى عالمية أي دين.

ومن خصائص العالمية في الدين:

- أن يكون الدين وفيا بحاجيات الإنسان جميعا.
- أن تكون تشريعاته تتضمن قيم الإنسانية كلها، في محيط واحد من دون النزوع للعصبية.
- أن يكون متسقا مع الحقائق الكونية وخصائص الوجود
- ألا يعتريه نسخ أو زوال بأن يكون خالدا.

ولذلك نجد أن الرسالة الإسلامية

توجهت للناس كافة من جميع الأجناس والألوان وفي كل عصر، وبالعالمية تميزت الرسالة الإسلامية عن سابقاتها، والدين الإسلامي كما هو معروف، منهجه يتضمن العقيدة والأخلاق والتشريع.

### عناصر عالمية الإسلام

- وحدانية الإله، وإنكار تعدد الآلهة، ووحدانيته سبحانه وتعالى تتجلى في أمرين:

أ - وحدانيته في الربوبية.

ب - وحدانيته في الألوهية.

- الإيمان بكتبه المنزلة على الأنبياء.
- الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده.

**أما دلائل عالمية الإسلام فتنقسم ثلاثة أقسام:**

**● دلائل من الكتاب والسنة**

**فمن الكتاب:**

- يقول تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (القلم:٥٢).
- ويقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف:١٥٨).
- ويقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى:٧).

ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء:١٠٧).

**ومن السنة:**

- يقول الرسول ﷺ: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود» (مسلم).
- ويقول: «إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة» (البخاري).

**● دلائل أساسية خالدة للإسلام**

وذلك أنه قائم على العقل والبرهان، وهناك أصول أولية يتألف منها دستور علمي للإسلام وهي:

- دوام النظر.
- التفكر في الوجود إجمالا.
- التفكر في الكائنات الموجودة فيه خاصة.
- دراسة أحوال الأمم والاعتبار بها.

**● أدلة واقعية**

- كان من السباقين إلى الإسلام، أبوبكر العربي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي.
- أنه نادى كل الناس، فكان يضع النموذج الذي يجب أن تسير عليه البشرية.
- الكتب والرسائل التي كان يرسلها للأمراء والملوك، كانت دليلا عمليا على عالمية الإسلام.

### نهج النبي ﷺ في اختيار حملة رسائله

للواء محمود شيت خطاب كتاب تحت اسم «سفراء النبي ﷺ» حاول فيه استقصاء المزايا التي امتاز بها سفراء النبي ﷺ، فخلص إلى الآتي:

- الإسلام والدعوة إليه.
- الفصاحة (الوضوح وجزالة اللفظ).
- حسن الخلق؛ أهمها الصدق والتواضع.
- الصبر.
- الشجاعة.
- الحكمة.
- سعة الحيلة من مثل إدراكه للمناورات السياسية.
- السمت الحسن، فقد كانوا غاية في نقاء المظهر.

### نتائج مراسلة الملوك والأمراء

هذا المحور هو عبارة عن ذكر بعض النتائج التي تمخضت عنها مراسلة هؤلاء الملوك والأمراء.

فمن خلال هذه المكاتبة أظهر ﷺ دراية فاقت التصور، وأصبحت مثالا يحتذى به لمن بعده، كما أنه أظهر قوة وشجاعة فائقتين فلو كان غيره ﷺ لخشي ذلك.

**وحققت سياسته ﷺ ما يلي:**

- أنها وضعت أسلوبا جديدا في التعامل الدولي لم تكن تعرفه البشرية من قبل.
- أصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها وقوتها، وفرضت وجودها.
- أن هذه المراسلات كشفت للنبي ﷺ نوايا الأمراء والملوك وسياساتهم.
- أنه ﷺ استطاع أن ينهج نهجا سياسيا وعسكريا واضحا ومتميزا من خلال:
- اطلاعه على نوايا الملوك والأمراء الذين راسلهم.
- وكذلك كانت هذه المراسلات تعبيرا عمليا عن عالمية هذا الدين.

### خاتمة

من خلال دراسة هذه الرسائل، نستطيع كشف الستار عن عدة أمور مهمة منها:

- أن النبي ﷺ وضع أفضل منهاج في تبليغ الدعوة، من خلال الاشتغال بالأهم فالأهم، أو الاعتناء بالبذرة حتى نستطيع قطف الثمرة.
- كذلك بين لنا أنه واجب على من يشتغل بالدعوة أن يهيئ لها الظروف والأسباب.
- وكذلك نجده ﷺ أرسى أسمى قانون في التعامل الدولي.
- وأخيرا نجده عبر عن عالمية الدين قولا وفعلا.

نجاح عبدالقادر سرور
شاعر وكاتب إسلامي
مصر

# التربية والتعليم بين الحزم واللين عند رسول الله ﷺ

لقد كان رسول الله ومايزال معلم البشرية جمعاء في كل العصور. كم كان رائعا وهو يطبق قاعدة: «إن لكل مقام مقالا، وإن لكل موقف ما يناسبه». فإذا به يستخدم اللين في الوقت الذي لا ينفع فيه إلا اللين، ويستخدم الحزم في الموقف الذي لا يجدي معه إلا الحزم. وبنيت على أساس ذلك نظرية التربية والتعليم الإسلامية التي لا تأخذ باللين وحده فيكون الانفلات من الإطار التكليفي، ولا تأخذ بالحزم وحده فيكون العنف والغلظة. والمواقف التي استخدم فيها الرفق واللين كثيرة، وكذا المواقف التي استخدم فيها الحزم. وصدق الله العظيم في قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء:١١٣). وقبل أن نتناول بعض المواقف التي تبرهن على هذه النظرية التربوية التعليمية، نشير إلى أن القرآن العظيم عمر بآيات بينات في مواقف أكد فيها على أن هناك موقفا لا ينفع فيه إلا اللين، وآخر لا ينفع فيه إلا الحزم. فمن ذلك على سبيل المثال: استخدام اللين من رب العزة سبحانه مع مريم وقت مخاضها ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ (مريم:٢٤-٢٦) ذاك لأن الموقف موقف معاناة، وولادة آية من آيات الله. فكان لابد أن يطمئنها رب العزة ويهدئ من روعها. وكذا قوله لنبيه محمد ﷺ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (التوبة:٤٣) فقدم العفو على اللوم

والعتاب؛ لأنه يعلم سبحانه أن نبيه ما أراد باجتهاده إلا صالح الدعوة.

ومن المواقف التي استخدم فيها رب العزة والجلال الحزم حين قال نوح عندما غرق ولده في الطوفان: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (هود:٤٥-٤٦). فالقرار هنا حازم؛ لأن الأمر الإلهي كان متمثلا في البقاء للمؤمنين فحسب، أما الكافرون فلا مناقشة بشأنهم. وكذا قوله تعالى لزكريا حين سأل ربه: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ (آل عمران:٤٠)؛ ليعلمنا أنه إذا شاء الله فالقرار نافذ لا محالة.

من هنا علم رسول الله الأمة -وخاصة أهل التربية والتعليم من الآباء والمعلمين والمربين- كيف ومتى نستخدم اللين، وكيف ومتى نستخدم الحزم.

## فمن المواقف التي علمنا فيها الرفق واللين:

• **موقفه مع الرجل الذي بال في المسجد:** عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: مه مه!. فقال رسول الله: «لا تزرموه.. دعوه». فتركوه حتى بال؛ ثم إن رسول الله دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله. قال فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه (١). لقد استخدم الرفق واللين مع هذا الرجل لأن هذا الرجل معذور بجهله وحديث عهد بالإسلام، ولم يسعفه الوقت ليتعلم آداب المسجد؛ فإذا بمعلم البشرية يستخدم معه منتهى الرفق، ثم يعلمه أهمية تقديس المسجد وتنزيهه عن القذر.

• **موقفه مع قريش حين فتح مكة:** وهو موقف مشهور ومعلوم للجميع حين جمعت له الجموع فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته «لا تثريب عليكم اليوم» اذهبوا فأنتم الطلقاء» (٢). لقد عفا عنهم ورفق بهم، بل طمأن رئيسهم أبا سفيان حين فزع من قول سعد بن عبادة: اليوم يوم الملحمة. فطمأنه رسول الله وقال له: «بل اليوم يوم المرحمة». إن الموقف استوجب منه الرفق واللين؛ لأن الهدف قد تحقق وهو الفتح، وهو لا يرغب إلا في فتح قلوب هؤلاء للإسلام.

• **موقفه مع عائشة حين ردت على اليهود لقولهم السام عليك:** عن عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا السام عليك قال: «وعليكم»، فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال رسول الله: «مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف أو الفحش»، قالت أولم تسمع ما قالوا؟! قال: «أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في» (٣). وهو موقف تعليمي رفيع نتعلم فيه الترفع فوق الصغار والصغائر، وعدم مجاراة الجهلاء في جهلهم.

• **موقفه مع كعب بن زهير:** دخل كعب بن زهير -الشاعر الذي كان يهجو رسول الله- المدينة تائبا راغبا في الإسلام، فقام إلى رسول الله حتى جلس إليه فوضع يده في يده وكان رسول الله لا يعرفه. فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله: «نعم». قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير. فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه! فقال رسول الله: «دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا عما كان عليه». فقال قصيدته اللامية التي يصف فيها محبوبته وناقته التي أولها:

**بانت سعاد فقلبي اليوم متبول**
**متيم إثرها لم يفد مكبول (٤)**

فانظر إلى هديه وتعليمه الأمة أن من تاب ونزع عما كان عليه عفي عنه، وقابلناه بالصفح الجميل.

• **موقفه مع الرجل الذي طالبه بدين:** قال زيد بن سعنة -وكان يهوديا-: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد، إلا اثنتين: يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلما؛ فأردت أن أعرف حلمه من جهله، فأتيته فأعطيته مالا إلى مدة. فلما كان قبل محل الأجل، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، فقلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي؟، فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لمطل!. ونظرت إلى عمر، وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع، وتصنع به ما أرى؟! فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر وأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما روعته» (٥). إن رسول الله استخدم الرفق مع الرجل، وكف اندفاع عمر وضبط فورة تحمسه، بل جعله هو نفسه الذي يصحب الرجل إلى بيت المال فيعطيه حقه ويزيده

نظير ترويعه إياه. وكانت النتيجة إسلام زيد بن سعنة.

### ومن المواقف التي علمنا فيها الحزم:

● **موقفه من عمر حين وجد معه جوامع من التوراة:** عن عبدالله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى النبي فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال فتغير وجه رسول الله. قال عبدالله: فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله؟! فقال عمر: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا، قال فسري عن النبي ثم قال: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين» (٦). لقد استخدم هنا الحزم، لأن الأمر يتعلق بالعقيدة، وقد ختم الله برسوله النبوة وجعل كتابه القرآن العظيم هو المهيمن، فلا حاجة لنا إلى غيره.

● **ذروني ما تركتكم:** وهذا موقف آخر استخدم فيه الحزم؛ عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»، ثم قال: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» (٧). إنه يضع أساسا حازما يتمثل في النهى عن كثرة السؤال، وأن يكون شعارنا: «سمعنا وأطعنا».

● **موقفه مع معاذ حين أطال الصلاة:** عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي رجل فقال: يارسول الله إني لأتأخر في صلاة الغداة من أجل فلان لما يطيل بنا فيها. قال: فما رأيت رسول الله قط في موعظة أشد غضبا منه يومئذ، فقال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة» (٨)، وفي رواية أخرى بيان أنه معاذ وأن النبي قال له مغضبا: «يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن – ثلاث مرار– فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة» (٩)، لقد كان حازما مع معاذ حتى لا يستثقل الناس التكاليف الشرعية، وإنما لابد من الرفق بهم، وتحبيب الصلاة إليهم.

● **لا .. ونبيك الذي أرسلت:** عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك؛ رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به»، قال فرددتها على النبي ﷺ، فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت ورسولك قال: لا؛ ونبيك الذي أرسلت (١٠). وهنا أيضا يستخدم الحزم، لأن الأمر يتعلق بنقل الحديث عنه، إنه بحزمه يعلم الأمة وخاصة الدعاة منهم ألا يتساهلوا في نقل حديثه، وإنما يجب أن يذكر الحديث بحرفيته دون زيادة أو نقصان أو تغيير، فحديثه تشريع، فلابد من الاحتياط الكامل ونحن نقول: قال رسول الله.

● **فهل أنتم تاركو لي صاحبي:** عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبوبكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر»، فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك. فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثا. ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبوبكر؟ فقالوا لا. فأتى إلى النبي ﷺ فسلم فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبوبكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين! فقال النبي: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبوبكر صدق وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين» فما أوذي بعدها (١١). إن الحزم في هذا الموقف مع عمر كان لابد منه، ليعرف الجميع فضل أبى بكر وسبقه إلى الإسلام ومكانته كصديق هذه الأمة.

● **من أكل ثوما:** عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا»، أو قال: «فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته» (١٢). هنا أيضا موقف حازم منه، بقوله: «فليعتزلنا»، «فليعتزل مسجدنا»؛ لأنه يحرص على وجود الملائكة في المساجد، ووجودها حتما في مصلحة المصلين؛ لأنها تدعو لهم ما داموا في مصلاهم، فليحرص المسلم على وجود الملائكة معه في المسجد ليزداد خيرا وبركة؛ وذلك بابتعاده عما يؤذي الملائكة وينفرها.

فلنستخدم اللين في المواقف التي تتطلب اللين، ولنستخدم الحزم في المواقف التي تتطلب الحزم، لأن هذا منهج التربية والتعليم النبوى.

هذا والله أعلم، والله من وراء القصد.

---

**الهوامش**

١- مسلم، ١٣٣/٢.
٢- زاد المعاد، ٣٥٦/٣.
٣- البخاري، ١٣/٢٠.
٤- زاد المعاد، ٤٥٥/٣.
٥- المعجم الكبير للطبراني، ١٦٤/٥.
٦- أحمد، ١٨/٣٢.
٧- مسلم، ٤٢/٧.
٨- البخاري، ٢٥٤/٣.
٩- البخاري، ١٢٢/٣.
١٠- البخاري، ٤١٢/١.
١١- البخاري،٤٩٦/١١.
١٢- البخاري، ٣٦٢/٣.

محمد خالد
باحث وكاتب
مصر

# كيف نقتدي بخُلق النبي ﷺ؟

«بلغ العلا بكماله، كشف الدجى بجماله، حسنت جميع خصاله، صلوا عليه وآله». هو الصادق الأمين، الذي كان يصل الرحم، ويصدق الحديث، ويحمل الكلّ، ويكسب المعدوم، ويُقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، كما وصفته السيدة خديجة رضي الله عنها عندما جاءها ليلة البعثة.. هو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة المباركة.. طاعته طاعة لله، والاقتداء به شيم المؤمنين الصالحين.

وهو الذي وصف نفسه قائلا: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فقد كان ﷺ «خُلقه القرآن» كما وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها.. كان جوادا كريما يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وكان شجاعا أمينا عطوفا ودودا، تجمعت فيه مكارم الأخلاق جميعها، فكان الأسوة الحسنة والقدوة المباركة الطيبة للمسلمين، الذين ما أحوجهم إلى العودة إلى ذلك النبع الصافي، إلى أخلاق النبي الكريم.. وفي هذا الإطار، يرصد علماء ومشايخ أزهريون نماذج من خلق النبي وكيفية الاقتداء به ﷺ.

## طاعة الله ورسوله

يقول عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف الدكتور طه أبو كريشة: إن الاقتداء بالنبي ﷺ أمر أصيل في الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ، ذلك بأن الاقتداء هو تنفيذ كل ما جاء في سنة النبي ﷺ فيما نُقل عنه كأقواله وأفعاله وفيما أقرّه، سواء كان ذلك متصلا بحياته الخاصة أو بعلاقاته العامة التي تكون بينه وبين من عاشوا معه في حياته.

ويتابع: قد رأينا في القرآن الكريم ما يبيّن لنا أن طاعة النبي ﷺ من طاعة الله عز وجل، وهنالك من الآيات المؤكدات على ذلك في القرآن والتي تربط بين طاعة الرسول وطاعة الله، من بينها قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ (النساء:٥٩). وما يؤكد كذلك هذا الارتباط قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ (النساء:٨٠).

وأيضا في المقابل فقد جاء في القرآن ما يؤكد على أن معصية الرسول ﷺ هي معصية لله عز وجل، وفي هذا الارتباط جاء بيان هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ (النساء:١٤).

ويختتم أبوكريشة حديثه بالتأكيد على أنه من الواجب على كل مسلم أن يقتدي بالنبي ﷺ في سنته القولية والفعلية

والتقريرية، حتى يكون منفذا للأمر بالطاعة، ومبتعدا عن الوقوع في المعصية. وهذا أمر يمثل أساسا من أسس العقيدة الصحيحة التي تؤكد ارتباط المسلم بدينه الإسلامي، لأن هذا هو الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة، التي بيّنها الحديث النبوي الشريف: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» (متفق عليه).

## الأسوة الحسنة

يقول الأمين العام للجنة العليا للدعوة والإفتاء بالأزهر الشريف فضيلة الشيخ محمد زكي بداري: إن النبي محمدا ﷺ هو الإنسان الكامل الذي تحققت فيه كل معاني الإنسانية، وقد جمع الله عز وجل في شخصه الكريم ﷺ كل شارات النبل والفضل التى توزعت في الأنبياء من قبله، ولله دُر من قال مادحا النبي ﷺ:

**منزه عن شريك في محاسنه**
**فجوهر الحسن فيه غير منقسم**
**فمبلغ العلم فيه أنه بشر**
**وأنه خير خلق الله كلهم**

فكل فضل تفضل به الله على الأنبياء والمرسلين من كمالات تجمعت في شخص النبي ﷺ، فكان على الخلق العظيم بشهادة الله العظيم الذي قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). ولله در من قال:

**إنما مثلوا صفاتك للناس**
**كما مثل النجوم الماء**

ويستطرد بداري قائلا: كان النبي ﷺ أعبد الناس، وكان يقوم الليل حتى تورّمت قدماه، ولما قيل له: يا رسول الله ارفق بنفسك، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا» (البخاري). فلم تكتمل كل شارات الكمال والجلال والسمو في أحد إلا في شخصه ﷺ. ومن هذا المنطلق كان النبي ﷺ قدوة وأسوة حسنة للعالمين، لأنه رسول رب العالمين للعالمين. يقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وهي رحمة عامة وسعت كل شيء: الجماد والنبات والحيوان إلى جانب الإنسان. ألم يخبرنا ﷺ عن رجل فيما مضى لم يعمل في دنياه حسنا قط، غير أنه كان ذا مال وتجارة وكان يقول لغلمانه عند تحصيلهم: خذوا ما تيسر وتجاوزوا عما عسر، فغفر الله تعالى له وأدخله الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن رجلا لم يعمل خيرا قط، كان يداين الناس، فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك، قال الله عز وجل له: هل عملت خيرا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، قال الله عز وجل: قد تجاوزت عنك» (النسائي).

ويتابع الأمين العام للجنة العليا للدعوة والإفتاء بالأزهر الشريف قائلا: كان النبي ﷺ أكرم الناس، وقد كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وقال أبوهريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثل أحد ذهبا ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث ليالٍ، وعندي منه شيء إلا شيئا أرصده لدين» (البخاري).

ويتابع قائلا: كان ﷺ أشجع الناس. يقول سيدنا علي بن أبي طالب: «كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه». فلم يكن له ﷺ سرداب تحت الأرض يختبئ به.

كما أنه ﷺ كان أشد استحياء من العذراء في خدرها. وكل مكارم الأخلاق تجمعت في حضرة النبي، ومن خلالها كان لنا في شخصه الكريم القدوة الحسنة والأسوة المباركة الكريمة لمن كان يرجو مرضاة الله والفوز والنجاة في اليوم الآخر. يقول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١). كما يعبّر رسول الله ﷺ عن مضمون رسالته بأنها تتمة الأخلاق، فيقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». فأعظم المؤمنين درجة وثوابا أعظمهم خلقا، وسيء الخلق والعياذ بالله يهوي إلى أعمق قاع في جهنم حتى وإن كان كثير العمل الصالح، فقد ذكروا للنبي ﷺ امرأة تكثر من الصلاة والصدقة وتعجب الصحابة من حسن عبادتها إلا أنها تؤذي جيرانها، فقال: «هي في النار».

ويشدد الأمين العام للجنة العليا للدعوة والإفتاء بالأزهر الشريف، على أن النبي الكريم ﷺ لم يكن سبابا ولا شتاما ولم يكن بالفاحش البذيء. يقول الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

ويردف: هكذا كانت أخلاقه ﷺ، وحتى تستعيد الأمة ذاكرتها والقيام بمهمتها ورسالتها فتعز بعد ذل، وتقوى بعد ضعف، وتنتصر بعد هزيمة، وتنهض بعد تخلف؛ لابد أن تأتي من خلق النبي ترسيخا للإيمان به وإيمانا بهديه وتشديدا على محبته وموالاته ونصرة دينه. يقول الله عز وجل: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧). ويختتم بداري حديثه قائلا: لن تستقر البشرية ولن يتحقق أمنها ورسالتها وخيرها حتى تعود إلى هذا النبع الصافي، وخلق النبي ﷺ، والاقتداء به سواء بما قال أو فعل أو أقر.

### الخلق القويم

يقول الأستاذ بجامعة الأزهر الدكتور ربيع الغفير: إن النبي ﷺ قد تبوّأ المكانة الأعلى من الخلق القويم، ولخص ذلك الغرض من بعثته الشريفة في هذه الجملة المعبرة «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ووصفه الله عز وجل في القرآن الكريم في معرض المدح والتبجيل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:٤)، ومن المعروف لدى علماء اللغة العربية أن حرف «على» يدل على الفوقية والاستعلاء، وهذا يتطلب أن يكون هنالك جسم يستعلى عليه، وفي هذا من البلاغة ما لا يخفى، حيث إن القرآن الكريم يصور لنا أن الخلق العظيم كأنه صار بساطا يمشي عليه النبي ﷺ بقدمه، مما يدل على تمكنه من الخلق العظيم. ولله در من قال:

**أخلاقه الحسنة لفتت أنظار كل الناس من حوله حتى من الوثنيين**

**يا مصطفى من قبل نشأة آدم**
**والكون لم تفتح له أغلاق**
**أيروم مخلوق ثناءك بعدما**
**أثنى على أخلاقك الخلاق**

ولله در أمير الشعراء أحمد شوقي وهو يقول في همزيته:

**يا من له الأخلاق ما تهوى العلا**
**منها وما يتعشق الكبراء**
**زانتك في الخلق العظيم شمائل**
**يغرى بهن ويولع الكرماء**
**فإذا سخوت بلغت بالجود المدى**
**وفعلت ما لا تفعل الأنواء**
**وإذا رحمت فأنت أم أو أب**
**هذان في الدنيا هما الرحماء**
**وإذا غضبت فإنما هي غضبة**
**في الحق لا ضغن ولا بغضاء**
**وإذا رضيت فذاك في مرضاته**
**ورضا الكثير تحلم ورياء**
**وإذا خطبت فللمنابر هزة**
**تعرو الندي وللقلوب بكاء**
**وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما**
**في بردك الأصحاب والخلطاء**
**وإذا أخذت العهد أو أعطيته**
**فجميع عهدك ذمة ووفاء**

ويردف الغفير قائلا: هذه هي السمة الغالبة على شخص سيدنا رسول الله ﷺ. وذلك يتجلى بوضوح حين رجع إلى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ليلة البعثة مضطربا وَجِلا فهدأت من روعه بقولها: «كلا والله، لا يخزيك الله أبدا. إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق».

وقد كان ﷺ نموذجا للخلق القويم بكل مناحي الحياة، ويتجلى ذلك في أشياء كثيرة منها معاملته لخَدَمه، فيقول أنس ابن مالك: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فوالله ما قال لي أُفٍّ قط، ولم يقل لشيء فعلته لم فعلت كذا، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا» (الترمذي). وتصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ في قولها: «ما خير رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها» (متفق عليه).

ويختتم الأستاذ بجامعة الأزهر حديثه بقوله: كان النبي ﷺ يسع بخلقه العظيم وبنفسه السامية ومعاملته الرقيقة كل الناس، حتى المخطئين وحتى العاصين وحتى الجهلاء والمتطاولين. وصدق مَن وصفه بهذا الوصف ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:٤).

### خُلق النبي

وعن خلق النبي ﷺ، يقول المدرس المساعد بكلية أصول الدين بالقاهرة الدكتور أحمد شبل: كان النبي ﷺ نموذجا في الدعوة إلى الأخلاق وتطبيقها، حتى إنه كان يُضرب به المثل في ذلك قبل البعثة وبعدها؛ فقبل البعثة كان يُدعى بالصادق الأمين، وذلك إشارة إلى أخلاقه الحسنة التي لفتت أنظار كل الناس من حوله حتى من الوثنيين، وبعد بعثته أيضا كان داعيا إلى التزام الأخلاق، ووضح الهدف من بعثته فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وكما أنه كان داعيا إلى الأخلاق بكل وسيلة يستطيعها كان كذلك مطبقا لها كما

ينبغي، حتى وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها بقولها: «كان خلقه القرآن» (الأدب المفرد)، وشهد له بأخلاقه كل من عاشره أو تعامل معه، فهذا أعرابي يشهد على كرمه ﷺ حين أتاه فسأله، فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء لا يخشى الفاقة (رواه أحمد في المسند وابن حبان في صحيحه).

ويضيف شبل: عن رحمته ﷺ حدث ولا حرج، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما قال: فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ وهي تصيح فقال النبي ﷺ: «من فجع هذه بفرخيها؟» قال: فقلنا: نحن. قال: «فردوهما». (أخرجه الحاكم في المستدرك).

وأما تواضعه ﷺ فلو سطرت فيه الكتب ما كفت، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نام رسول الله ﷺ على حصير أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، ألا آذنتنا فنبسط تحتك ألين منه؟ فقال: «ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف، فقال تحت شجرة ثم راح وتركها» (أخرجه أحمد في مسنده). ولقد وصفه ربنا سبحانه وتعالى بالأخلاق الحسنة في كتابه فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وأجمل الله سبحانه وتعالى أخلاق النبي ﷺ فأضاف له كل خلق كريم، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

## كان ﷺ نموذجا للخلق القويم بكل مناحي الحياة

ويختتم شبل حديثه بقوله: ولذلك وجب على المسلمين أن يقتدوا بنبيهم ﷺ في أخلاقه المتنوعة، في كرمه وفي سخائه وفي رحمته وفي تواضعه وفي صدقه وفي أمانته وفي زهده وورعه وفي وفائه بعهده وفي وسطيته وسماحته وفي تعامله مع جيرانه وفي عباداته وفي معاملاته. فهو ﷺ مدرسة متنوعة في كل جوانب الحياة، وقد أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١)، وقال تعالى أيضا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١)، وقد قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة يوم القيامة، إلا من أبى. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (رواه أحمد).

### الصادق الأمين

ويقول الداعية الأزهري وكيل وزارة الأوقاف بمصر فضيلة الشيخ محمد عز الدين عبدالستار: إن النبي ﷺ هو سيد الناس خلقا، مدحه الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وهو القائل ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ورسول الله ﷺ في حياته كلها وحتى قبل الرسالة كان معروفا بحسن الخلق، فهو الصادق الأمين.

ويستطرد عبدالستار قائلا: هذه هي أخلاقه ﷺ قبل بعثته، كما أنه ﷺ قد شهد في الجاهلية حلف الفضول، وقال عنه النبي بعد ذلك: «ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»، ذلك أن الحلف كان قائما على نصرة المظلوم ورد المظالم إلى أهلها.

والنبي ﷺ هو خير الناس خُلقا وخَلقا، فقد كان جوادا كريما متواضعا، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر أبدا. وقد كان يوقر الكبير ويعطف على الصغير ويرحمه، وقال ﷺ: «ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويعرف لعالمنا حقه» (ابن حبان). والحديث يطول عن أخلاق النبي ﷺ، حتى في الأشياء البسيطة كالتبسم في وجه أخيك، فقد قال النبي ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (الترمذي)، وقال أيضا: «الكلمة الطيبة صدقة» (ابن حبان)، وقال: «إماطة الأذى عن الطريق صدقة» (مسلم)، وهي أخلاق النبي التي يجب على كل مسلم ومسلمة الاقتداء بها. يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي
مصر

# حدثوا أبناءكم عن نبي الهدى

**لهداية الناس إلى عبادته وتوحيده وإرشادهم إلى ما يصلح به أمر دنياهم وآخرتهم، أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى الناس، فما من أمة من الأمم السابقة على بعثة النبي ﷺ إلا وأرسل الله إليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ (النحل:٣٦)، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ (فاطر:٢٤)، ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ (النساء:١٦٥). قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: «يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب».**

فمن دلائل كمال الله وعظمته وحكمته سبحانه وتعالى إرسال الرسل إلى عباده، قال الحافظ ابن رجب، رحمه الله، في رسائله: «ولهذا نسب تعالى منكري إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى القدح في كماله وعظمته وحكمته، وإلى الجهل به وبأسمائه وصفاته، وأنهم ما قدروه حق قدره» (١).

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (المائدة:١٩).

### تشريف الأمة ببعثة النبي ﷺ

لما كان من عظيم نعم الله على البشر إرسال الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، فإن أعظمهم قدرا وأبلغهم أثرا وأعمهم رسالة محمد ﷺ، الذي بعثه الله تعالى لهداية الخلق أجمعين، وختم به النبيين والمرسلين.

بعثه الله على حين فترة من الرسل والناس أشد ما يكونون حاجة إلى نور الرسالة، فهدى الله به من الضلالة، وألف به بعد الفرقة، وأغنى به بعد العيلة، فأصبح الناس بنعمة الله إخوانا، وفي دين الله أعوانا، فدانت الأمم لهذا الدين، وكان المتمسكون به غرة بيضاء في جبين التاريخ، فلما كانت الأمة الإسلامية حريصة على تنفيذ شرع الله، متماشية في عباداتها ومعاملاتها وسياستها الداخلية والخارجية على ما كان عليه قائدها وهاديها محمد ﷺ، لمّا كانت الأمة الإسلامية على هذا الوصف كانت هي الأمة الظاهرة الظافرة المنصورة، ولمّا حصل فيها ما حصل من الانحراف عن هذا السبيل تغير الوضع؛ فجعل بأسهم بينهم، وسلط عليهم الأعداء، وكانوا غثاء كغثاء السيل، فتداعت عليهم الأمم وفرقتهم الأهواء، ولن يعود لهذه الأمة مجدها الثابت وعزها المستقر حتى تعود، أفرادا وشعوبا، إلى دينها الذي به عزتها، وتطبق هذا الدين، قولا وعملا وعقيدة وهدفا، على ما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام (٢).

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران:١٦٤).

## ليس المراد معرفة حفظ دون معرفة عمل

### معرفة النبي

معرفة النبي ﷺ أحد الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها، وليس المراد معرفة حفظ دون معرفة عمل؛ لأن الإنسان مهما بلغ من المراتب العليا في الدراسات وغيرها، ولو كان تخصصه في السيرة النبوية، وصار أعرف الناس بها، لكنه لا يتبع ولا يعمل، ما الذي يفيده هذا العلم، إذا سئل في قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه فلن يستطيع الجواب ما لم يكن متابعا للنبي ﷺ ولو تخصص في السيرة؛ لأنه إن لم يكن مؤمنا فلن يجيب؛ لأن المنافق والمرتاب ولو كان في دنياه من أعرف الناس بالسيرة، فإنه لا محالة سوف يقول: هاه هاه لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئا فقلته، فالمعول على المتابعة (٣).

### فضائل النبي ﷺ

● عموم رسالته: أن دعوته ﷺ للناس كافة، بينما كانت دعوة من قبله من الرسل لأقوامهم خاصة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (سبأ:٢٨). وفي حديث جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما، أنه ﷺ قال: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» (متفق عليه).

● قرن الله تعالى طاعته ﷺ بطاعته سبحانه وتعالى وجعلها سببا لقبول الطاعة: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ (النساء:٨٠).

● هداية من أطاعه: قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (النور:٥٤).

● طاعته سبب لمحبة الله للعبد: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (آل عمران:٣١).

● طاعته توجب مرافقته في الآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (النساء:٦٩).

● محبته واجبة على كل مسلم: عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» (متفق عليه).

● القرآن العظيم معجزته الخالدة إلى يوم الدين محفوظ من التبديل والتغيير: قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ

﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ (فصلت:٤١-٤٢).

● وقره في ندائه: فناداه سبحانه وتعالى بأحب الأسماء وأسنى الأوصاف كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ (الأحزاب:١)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ (المائدة:٤١).

● متابعة الأنبياء للنبي ﷺ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (آل عمران:٨١).

قال العلامة السعدي، رحمه الله، في تفسيره: فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا؛ لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمدا ﷺ هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم ﷺ لما قررهم تعالى.

● خاتم الأنبياء والمرسلين: قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ (الأحزاب:٤٠).

## يجهل كثير من أبنائنا منزلة نبيهم ﷺ

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله» (الترمذي، صححه الألباني).

● مبعثه ورسالته رحمة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

● الأمر بالصلاة والسلام عليه ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (الأحزاب:٥٦).

● كفاه الله المستهزئين: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ (الحجر:٩٥).

● نهى ﷺ عن الغلو فيه والإطراء: عن ابن عباس: سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبدالله ورسوله» (البخاري).

● رفع ذكره: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ (الشرح:٤)، قال العلامة السعدي، رحمه الله، في تفسيره: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ.

● أفضل الأنبياء وسيد الخلق: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» (رواه مسلم)، وتدل على ذلك إمامته للأنبياء ليلة المعراج، ولا يقدم إلا الأفضل.

● صاحب المقام المحمود يوم القيامة: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ (الإسراء:٧٩). نقل الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير قوله: قال أكثر أهل التأويل: ذلك المقام الذي يقومه ﷺ للشفاعة يوم القيامة للناس.

● أول من يجوز الصراط بأمته يوم القيامة: ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقول النبي ﷺ: «فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم» (البخاري).

● أعلم الخلق وأتقاهم، وأخشاهم لله عز وجل وهو أشجع الناس، وهو أكرم الناس، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، وغير ذلك من الأخلاق والشمائل التي اجتمعت فيه ﷺ مما شمله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:٤). وفي الحديث عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة، رضي الله عنها، عن خلق النبي ﷺ، فقالت: «كان خلقه القرآن» (البخاري).

وهــذا مــا تيــسر لـنــا ذكــره عن فضائل النبي ﷺ، وفي ذكرنا لهذه الخصائص فنحن مقصرون أيضا، فلم نف النبي ﷺ قدره.

## أبناؤنا ومعرفة حق النبي على الأمة

يغلب على اهتمامات الكثير من أبنائنا وتشغل جل أوقاتهم الرياضة، الفن،... فتجد الكثير منهم يعرفون مشاهير الرياضة والفن في سكناتهم وحركاتهم، يعرفون تفاصيل حياتهم الاجتماعية وتفضيلاتهم الشخصية، يحتفلون معهم بمناسباتهم وأعيادهم، رغم بعد المسافات واختلاف اللغات، يفرحون لفرحهم ويبكون لأحزانهم! يقلدونهم في سمتهم ولباسهم حتى يكاد الواحد منهم يكون نسخة من نجمه المفضل الذي ملك عليه قلبه حتى صار أحب إليه من أقرب أقربائه!

هذا ليس من نسج الخيال، أو من ألوان التحامل، بل مشاهد من واقع الحياة ومن دفتر أحوالي اليومية في تعاملي مع الشباب ومقابلاتي معهم.

وفي المقابل، تجد الجهل المطبق في معرفة كثير من أبنائنا بمنزلة نبيهم ﷺ، فلا يعرف فضائله ولا يعرف صحابته ولا يعرف زوجاته أمهات المؤمنين، ولا غرو إذن في أن يجهل سيرته ويجافي سنته ﷺ، لا غرو في ألا تتحرك مشاعره أو يتمعر وجهه عندما يسب نبيه ﷺ.

فقد شغل عقله وملك عليه قلبه من إذا تم ذكرهم بسوء من نجومه المفضلين، رياضة وفنا، انتفض وأقام الدنيا ولم يقعدها، وربما فقد حياته دفاعا وذودا عنهم!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إن العبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض من غيره، بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع فإنه تعظم محبته له، ومنفعته به، ويتم دينه، ويكمل إسلامه، ولذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه: تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه، ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها: لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والأدب من كلام حكماء فارس والروم: لا تبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع، ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم: لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام، ونظير هذا كثير» (٤).

## السبب

وهذه الحالة التي عليها كثير من أبنائنا ترجع في سببها الأول، وقبل القصور في مناهج التعليم أو وسائل الإعلام، إلى الأسرة؛ وهي النواة والمؤسسة الأولى والأهم التي ينشأ فيها الأبناء ويتخرجون فيها إلى الحياة حاملين معهم كل ما نشأوا عليه من عقيدة وأخلاق وآداب،.. فجهالة الجاهلين بحق النبي ﷺ سببها أن: الأسرة ومن يقوم على تربيتهم وتنشئتهم لم يفرغوا وقتا لتربيتهم على محبة النبي ﷺ وبيان منزلته وحقه على الأمة، بل تركوهم فريسة لوسائل إعلام أغلبها يعظم ويعلي من قدر أهل الفن والرياضة فعظموهم وعلا قدرهم في نفوسهم!

## العلاج

لتخطي هذه الحالة التي عليها كثير من أبنائنا من التيه، والجهالة بحق النبي ﷺ، لابد لنا من العودة إلى الأسرة، فإذا كانت هي السبب فمنها يكون العلاج، فيجب على الآباء والأمهات أن يخصصوا جزءا من وقتهم للجلوس مع أبنائهم للحديث عن النبي ﷺ: سيرته وفضله وشمائله، سنته الشريفة وأثرها في حياة المسلمين وتدريبهم على اتباع السنة وتطبيقها في مواقف حياتهم اليومية، وبيان ما تحمَّله من أذى وتعب حتى تصل رسالته إلينا.

وهناك من يرى علو همته في تعليم أبنائه سيرة النبي في أن يوفر الكتب والقصص التي تدور حول سيرته العطرة، أو يحيلهم إلى مواقع تقدم وتشرح السيرة النبوية، وهذا وإن كان جيدا فإنه يأتي في مرحلة ما بعد اللقاء الأسري ولا يغني عنه بأي حال من الأحوال.

فالحديث المباشر فيه تفاعل وتبادل للمشاعر وإجابات وتوضيح لأسئلة الأبناء، يبين منزلة النبي في نفوس الصحابة، مما يولد في نفوس الأبناء محبة النبي ﷺ، يقول ابن القيم، رحمه الله: «وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعا لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسوله وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويبجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله» (٥).

هذه المحبة التي ينتج عنها تصديق بكل ما جاء به النبي، هذا التصديق ينتج عنه المتابعة والاقتداء فيتحقق فيهم قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب:٢١).

## الهوامش

١- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي: ٢/٥٥٧.
٢- الضياء اللامع من الخطب الجوامع، العلامة محمد بن صالح العثيمين، ص٤٧.
٣- من دروس الشيخ عبدالكريم الخضير، نسخة مفرغة على موقع المكتبة الشاملة.
٤- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ١/٤٨٤.
٥- جلاء الأفهام: ص:٢٠٥.

أ. د. أحمد محمود عيساوي
باحث أكاديمي
الجزائر

# دور مناهج البحث العلمي في تجديد درس السنة النبوية المطهرة




تزخر رفوف المكتبة الإسلامية بالعناوين الكثيرة والمختلفة لكتب السيرة والسنة والمغازي والملاحم والطبقات والسير والأنساب والأخبار والتاريخ الإسلامي، فضلا عن كتب الحديث الصحاح الستة والسنن والمسانيد والمستدركات والشمائل والصفات المحمدية.. فضلا عن القصائد الشعرية الطويلة على تباين فيما حوته، التي تناولت أيضا -في معظمها- التفاصيل الدقيقة والمتنوعة لسيرة رسولنا الكريم محمد ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، التي ألفت في فترات مختلفة ومتنوعة عبر عصور الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة، بدءا بمغازي وسير (عروة بن الزبير ت: ٩٤هـ) التي وصلت إلينا من طريق ابنه (هشام بن عروة ت: ١٤٦هـ) و(سيف بن عمر الضبي الأسدي ت: ١٨٠) و(محمد بن عمر الواقدي ت: ٢٥٦هـ) و(ابن قتيبة الدينوري ت: ٢٧٦هـ) و(محمد ابن جرير الطبري ت: ٣٣٣هـ). وكذلك سيرة (محمد بن مسلم الزهري ت: ١٢٤هـ) وسيرة (محمد بن إسحاق ت: ١٥٠هـ، المبتدأ، المبعث، المغازي) التي وصلت إلينا من طريق سيرة (عبد الملك بن هشام الأنصاري ت: ٧٦١هـ) المشهورة بـ «سيرة ابن هشام».. وظلت المصنفات تترى تأليفا وتجميعا وإضافة في السيرة النبوية المطهرة، فهذا كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ت: ٥٤٤هـ) وهذا كتاب (صفة الصفوة لعبد الرحمن ابن الجوزي ت: ٥٩٧هـ) فـ (زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ت: ٧٥١هـ) الذي اختصره الشيخ (محمد بن عبد الوهاب ت: ١٢٠٦هـ) تحت عنوان «مختصر زاد المعاد» و(السيرة النبوية لإسماعيل بن عمر بن كثير ت: ٧٧٤هـ)، وغيرها المئات من المصنفات المشهورة لشيخ الإسلام (أحمد بن عبد الحليم الحراني المشهور بابن تيمية ت: ٧٢٨هـ)، وغيره كالحافظ المؤرخ (شمس الدين الذهبي ت: ٧٤٨هـ)، و(الكرمي المقدسي ت: ١٠٣٣هـ).. إلى عصر النهضة الأدبية العربية الحديثة مطالع القرن الثالث عشر الهجري.

كما عرفت المكتبة العربية والإسلامية في العصر الحديث أيضا كثرة التآليف والتصانيف في السيرة النبوية المطهرة، فكتب (محمد الخضري بك ت: ١٩٢٧م) كتابه المختصر «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين»، وكتب (عبدالحميد ابن باديس ت: ١٩٤٠م مجالس التذكير في كلام الحكيم الخبير) وكتب الداعية الشهير (عبدالعزيز الثعالبي التونسي ت: ١٩٤٤م السيرة النبوية) كمحاضرات لطلبة قسم الشريعة بجامعة بغداد سنوات ١٩٣٦-١٩٣٩م، وكتب (مصطفى السباعي ت:١٩٦٤م السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي)، كما كتب (محمد حسين هيكل ت: ١٩٥٦م سيرة محمد) وكتب (طه حسين ت: ١٩٧٣م على هامش السيرة) وكتب (عباس محمود العقاد ت: ١٩٦٤م عبقرية محمد) ضمن سلسلة العبقريات العشر. كما كتب مؤخرا كل من: «محمد أبوشهبة السيرة النبوية»، وكتب (عمر سليمان الأشقر ت: ٢٠١٢م السيرة النبوية)، وكتب (محمد سعيد رمضان البوطي ت: ٢٠١٣م فقه السنة)، و(محمد الغزالي ت: ١٩٩٦م فقه السيرة)، وكتب «محمد منير الغضبان السيرة بمنهج حركي» وكتب الإمام «محمد الجكني» كتابه التحقيقي القيم (السيرة النبوية من كتاب فتح الباري لابن حجر العسقلاني ت: ٨٢٥هـ).

ولست هنا في معرض سرد التصانيف العلمية والدعوية التي تناولت سيرة رسول الله ﷺ، لأن هذا ليس هو غرض الدراسة ولا مقامها التفصيلي، بل الغرض الأساس ينطلق من خلال قراءة وتحليل هذه المصنفات، والتي تتصف غالبيتها بالسرد والنقل والانضباط في نقل المعلومة وتوثيقها، وهذا أمر مهم وضروري في تدوين وتوثيق سيرة رسول الله ﷺ، لأن الانضباط بالحقيقة الدينية والتاريخية مهم جدا في مقام الحديث عن رسول الله ﷺ، وهو واجب شرعي وضرورة علمية، لأن الشخصية المتناولة هي شخصية رسول الله ﷺ المصطفاة من عند الله من جهة، وهي أيضا تأريخ لحقائق وحوادث وأحكام الشريعة الإسلامية من جهة أخرى ويجب أن تعرض على حقيقتها التي جرت دون تغيير أو تبديل أو تحريف أو إنقاص أو إضافة..، وهي (السيرة النبوية) حسب رؤيتي المتواضعة وتصوري -بعد طول قراءة وتحليل ونظر- أشمل من علم الحديث، لأن الحديث والدليل سياق ورد في سياق أشمل وأعم وهو سياق السيرة والأحداث النبوية. وعلى الرغم من اهتمام المسلمين بعلم السيرة فإن اهتمامهم بعلم الحديث كان أكثر أهمية من علم السيرة، على اعتبار كونه المورد والينبوع الصافي للتأريخ والتوثيق لكل الوقائع الشرعية، وعليه يمكننا القول في هذا المقام: إن العقل ليكاد يقف ليقول: «إن التأليف في سيرة رسول الله ﷺ قد توقف في جانبه التوثيقي والتسجيلي»، لأن التآليف والمصنفات تنقل كلها المعلومة ذاتها بمختلف رواياتها كما فعل ابن هشام وابن كثير وغيرهما أيضا في العصر الحديث والمعاصر، وصار كل مؤلف للسيرة يختصر ويعيد الصياغة للحقائق فقط دونما إضافة وتوقيع العبر والعظات والدروس من علماء العصر، إلا ما قام به النزر اليسير من العلماء والمتخصصين والدعاة ولاسيما في العصر الحديث، كالشيخ محمد الغزالي وسعيد رمضان البوطي في كتابيهما الشهيرين السابقي الذكر، وغيرهما.. فما السبيل إذن إلى الإضافة والتجديد في علم السيرة النبوية المطهرة؟ وما السبيل لتجديد درسها وخطابها؟

ومن هنا يمكننا معالجة الإشكالية المطروحة، والتي تتمحور في إعادة صياغة وفهم وتحليل وتقديم درس وخطاب السنة النبوية المطهرة وفق المعارف والمناهج والحقائق والعلوم والخبرات العلمية الحديثة، ونكون بذلك قد أضفنا لجيلنا ولعصرنا فهما جديدا للسنة والسيرة من خلال التراكمات المنهجية والمعرفية والعلمية الحديثة.

وانطلاقا من هذه المسلمة المعرفية والمنهجية فإن حقائق السيرة النبوية لن يعتريها شيء، فهي نفسها التي تُعتمد ويرتكز عليها في هذا الطرح، ولكن الجديد هو منهج إعادة فهمها والتعامل والتفاعل معها والاستفادة من عبرها وعظاتها وقواعدها الذهبية، وذلك عبر مناهج البحث العلمي المبلورة حديثا ضمن الدرس الجامعي، والتي هي من صميم وروح ومنهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قبل أن يدعي الآخر أنه اكتشفها، والقرآن الكريم والسنة النبوية زاخرتان بكل مناهج الفهم والبحث والتقصي التي أعاد الآخر تقديمها لنا في العصر الحديث.

وقبل أن نقدم درسا نموذجيا دراسيا وخطابيا في الفهم للسنة والسيرة النبوية المطهرة، نريد أن نؤصل لمفهوم المنهج قرآنيا، وذلك من خلال عرضنا لمشهد عقلي ومنهجي صرف، ولِنتملى فيه جيدا، ولِنستفيد منه في حياتنا، وفي عجالة نَعرض له لنؤصل لمفهوم المنهج القرآني حتى لا يتسرب الشك لأحد من أن مناهج البحث بضاعة أجنبية ومناهج غريبة عنا، ولا تصلح لمعالجة وتحليل القضايا الإسلامية، وأن هذا المنهج التحليلي هو من فعل المستشرقين والمستغربين، بهدف الإجهاز على المنظومة التشريعية والفكرية الإسلامية، وإليكموه كما ورد في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا

رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنعام:٧٥-٧٩).

والمحلل لما قام به سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام -بتوفيق من الله- سيحصي مؤشرات ومكونات وعناصر المنهج التجريبي بحذافيره وبخطواته الخمس الدقيقة، عبر مساحة زمنية كافية لاستخراج القاعدة الكلية، وتمثلت في:

١ - الخطوة الأولى في المشاهدات والرؤى ووضع الملاحظات ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام:٧٥).

٢ - ثم بدأ يفرض الفرضيات ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ (الأنعام:٧٦).

٣ - ثم قام بعملية الإجابات التقريبية على الفروض والملاحظات المطروحة ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الأنعام:٧٧).

٤ - ثم قام بعملية الاستقراء عبر تجميع الملاحظات على ضوابط الجزئيات ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا ﴾، ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً ﴾.

٥ - ثم خرج بالنتيجة النهائية، الممثلة في قاعدة التوحيد الكبرى والمطلقة ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام:٧٩).

فمن أين للغرب الادعاء بأن المنهج العلمي من مبتكراته؟

ومن هنا نقدم أنموذجا لفهمنا لسيرة رسولنا الكريم ﷺ تأسيسا على مناهج البحث العلمي والمنهجي والكمي والحسابي والنفسي والاجتماعي والدعوي والاتصالي والإقناعي التي استفدنا منها.

فكما تذكر كتب السيرة النبوية المطهرة أن رسول الله ﷺ بمجرد ما تلقى الأمر من ربه بتبليغ الرسالة إلى الناس، حتى بادر عليه الصلاة والسلام إلى الاتصال بالناس الأقربين من خاصة أهله وعشيرته، ثم من قبيلته الكبرى وقومه في مكة، وبادر مسرعا إلى تدبر أمر

الله، وعلم أن الأمر موجه إليه، وعليه بالمبادرة والإسراع بالاتصال بعشيرته الأقربين، وهو ما كان يتمناه لهم من الهداية والرشاد، ولكن كيف سيتصل بهم؟ ومتى يعرض عليهم الأمر؟ وكيف يبدأهم به؟ وهم لا عهد لهم بمثل هذا الأمر؟

ولم يكن تساؤل النبي ﷺ ومناجاته لنفسه وتريثه من باب الإعراض عن حمل أمانة الرسالة، وحمل أمانة تبليغها للناس، ولكن تريثه كان من منطلق تريث العاقل الحكيم، الذي يبحث عن الوسيلة الناجعة والمناسبة للدخول الطبيعي والتلقائي على قومه. ولذلك فقد مكث عليه الصلاة والسلام طيلة شهر أو ما يقاربه -كما تذكر كتب السنة ومصادر السيرة النبوية- يفكر مليا في أنجع أسلوب يبدأهم به، لأن مسافة الألف ميل تبدأ بالخطوة الأولى، ومتى تجاوزها يبدأ العد التصاعدي معها، ثم لا يلبث أن يدخل في العد التنازلي، وسرعان ما تنتهي خطوات الألف ميل.

ولذلك فإن الله تعالى حسم في أعماقه ذلك الحسبان والتفكير، بإعادة الأمر والتوجيه إليه في المرة الثانية بصيغة أكثر حزما قائلا له:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الحجر:٩٤-٩٥). ولكن النبي ﷺ كان على علم بطبيعة وجبلة قومه، المجبولة على العناد والصلف والاستكبار والصدود، وكان ﷺ يود النجاح المطلق والباهر في تبليغ دعوة الله لهم. ولذا فقد تردد وحسب وحلل وقاس ونظر المرة تلو المرة، لاختيار الطريقة والوسيلة المثلى، التي تصلح للدخول بدعوة الله إلى قلوب قومه، ولاسيما بعد نجاحه في استمالة قلوب العديد من الأفراد الأقربين من الأهل والأصحاب في طور الدعوة السرية.

ومادام قد نجح في استمالة بعض القلوب في مرحلة دعوته الفردية الأولى كزوجته خديجة، وربيبه زيد بن حارثة وعلي وصاحبه أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، لتصغي إلى نداء ربها العلوي، فلم لا يكون الأسلوب أيضا ناجعا وحاسما في استمالة العشيرة لتصغي إلى نداء ربها، ولم لا تكون القبيلة كلها، وأمة العرب جميعهم.

ولذا فقد حسم رسول الله ﷺ أمره في وجوب الإسراع إليهم والاتصال بهم ودعوتهم إلى تعاليم الإسلام، لتكون دعوتهم بأسلوب يعرفونه ويستأنسونه ولا ينكرونه، وبأسلوب مقبول ومستساغ لديهم، لأن من بين شروط نجاح عمل الداعية الانطلاق مما يعرفه قومه ولا ينكرونه، ويقبلونه ويستسيغونه، كما أن بعض فشله -أو كله- يكون مما لا يقبلونه أو لا يستسيغونه.

ولقد تعددت أساليبه عليه الصلاة والسلام في دعوة وهداية قومه، ومن أهمها أسلوب دعوته الفردية السرية والجهرية، وأسلوب دعوته الجمعية السرية والجهرية، ودعوته الإشهادية، ودعوته الاجتماعية. وطبق النبي ﷺ هذا الأسلوب الدعوي السري الفردي في طور الدعوة الأول، مقتصرا في دعوته على أهل بيته فقط كزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، وابن عمه علي رضي الله عنه وربيبه وحبه زيد بن حارثة رضي الله عنه، وعلى خاصة أصدقائه كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي وسع دائرة الدعوة باتجاه الأصحاب الآخرين، الذين كان منهم: «طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبوعبيدة عامر بن الجراح»، وعلى بعض العبيد كـ «بلال الحبشي وصهيب الرومي»، وعلى بعض الخدم كخباب بن الأرت رضي الله عنهم أجمعين.

وكان الاجتماع السري يتم بهم خفية، وبعيدا عن أنظار رقباء قريش في دار الصحابي الجليل الأرقم بن أبي الأرقم، كما تشير بذلك مصادر السيرة النبوية المطهرة. ولعل تسليطنا الضوء على بعضها، ما يفتح لنا من الآفاق لتبليغ دعوته للناس في زماننا هذا، الذي هو بحاجة ماسة إلى الإسلام وهديه.

## القواعد الذهبية المستفادة

والمتمعن في منهج رسول الله ﷺ الدعوي، يتبين منه الكثير من الحكم والمسالك الدعوية الواجب على الدعاة الاقتداء والعمل بها، ومن أهم هذه الحكم الآتي:

١ - إدراكه ﷺ لحجم وقيمة وأهمية المسؤولية الدعوية التي أنيطت به، حيث الشعور بعظم المسؤولية الملقاة على عاتق الداعية تمثل الركن الرئيس لنجاح مشروعه الدعوي، كما أنها الركن الأساس لنجاح أي عمل، ولو انعدم هذا الشعور الحي من صدر صاحبه لانفرطت العزيمة وخارت القوة، وفشل المشروع.

٢ - إدراكه ﷺ لعظم الأمانة التي كلف بحملها على عاتقه.

٣ - استعطافه ﷺ لقومه وعشيرته الأقربين من أعمامه وعاقلته، التي تحميه من بطش وعدوان القبائل، وذلك بتقربه إليهم وإحسانه لهم.

٤ - تحينه للفرصة المناسبة للكلام معهم، واختيار الظرف النفسي والاجتماعي المناسب والمواتي لهم.

٥ - حسن تخيره عليه الصلاة والسلام للألفاظ والعبارات والمفردات، ودقته ﷺ في معانيه، ودلالاته ومقاصده، وإيجازه الدقيق، وشمولية ألفاظه للمعاني العظيمة والأهداف النبيلة.

٦ - بذله ﷺ جهدا للاهتداء إلى شبكة العلاقات الاجتماعية السائدة في قومه، والتي بدأ يستثمرها في إيصال الدعوة إلى الناس.

وهكذا ينطلق الدعاة بنماذج من السيرة المطهرة، حتى يصلوا إلى إعادة تجديد درسها وخطابها المكتوب والمسموع والمرئي والإلكتروني، والله أعلى وأعلم.

د. محمد أحمد قنديل
باحث إسلامي - مصر

# محبة النبي ﷺ جزء مكين من الدين

إن رسول الله ﷺ أحب إلى نفوسنا من نفوسنا وأقرب إلى قلوبنا من قلوبنا، والمطلوب من المؤمن أن يحب هذا النبي العظيم ﷺ وهذا جزء من العقيدة مكين، وهي محبة مستحقة، والنفوس من طبيعتها تحب الذين اتصفوا بالمحامد وليس على وجه الأرض رجل توافر له من الكمال ومن الخير ومن الشفقة ومن الرحمة ومن التفاني في خدمة الإنسان مثل ما للنبي ﷺ، ولو صفت النفوس لأحبته لهذا العطاء الذي أعطاه ولهذا النور الذي أشاعه والمحبة دائما تهون الصعاب والمشاق.

والشخص الأول في هذه الأرض هو محمد ﷺ، والمحبة الحقيقية لمحمد ﷺ تقتضي اتباعه، ونشر سيرته العطرة، والتي كتبت تحت ضوء الشمس.

واتباع النبي ﷺ بإيجاز هو التأسي به ﷺ في الاعتقادات والأفعال والأقوال والتروك بمثل فعله، لأجل أنه فعله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران:٣١).

إن حب الله ليس دعوى باللسان، ولا هياما بالوجدان، إلا أن يصاحبه الاتباع لرسول الله، والسير على هداه، وتحقيق منهجه في الحياة، وإن الإيمان ليس كلمات تقال، ولا مشاعر تجيش، ولا شعائر تقام، ولكنه طاعة لله والرسول، وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول ﷺ.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره (١) عن الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران:٣١).

«هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية. فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأعماله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (٢).

وقد صرح تعالى في هذه الآية الكريمة: أن اتباع نبيه موجب لمحبته جل وعلا ذلك المتبع، وذلك يدل على أن طاعة رسوله ﷺ هي عين طاعته تعالى، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء:٨٠)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر:٧).

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقة لله ورسوله ﷺ هي اتباعه ﷺ، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر؛ إذ لو كان محبا له لأطاعه، ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة، ومنه قول الشاعر:

**لو كان حبك صادقا لأطعته**
**إن المحب لمن يحب مطيع (٣)**

### أسباب محبة النبي ﷺ

ثم إن النبي ﷺ يحَب لكماله، فهو






أكمل الخلق، والنفس تحب الكمال، ثم هو أعظم الخلق ﷺ فضلا علينا وإحسانا إلينا، والنفس تحب من أحسن إليها، ولا إحسان أعظم من أنه أخرجنا من الظلمات إلى النور، ولذا فهو أولى بنا من أنفسنا، بل وأحب إلينا منها.

هو حبيب الله ومحبوبه.. هو أول المسلمين، وأمير الأنبياء، وأفضل الرسل، وخاتم المرسلين، وهو الذي جاهد وجالد وكافح ونافح حتى مكن للعقيدة السليمة النقية أن تستقر في أرض الإيمان ونشر دين الله تعالى في دنيا الناس، وأخذ ﷺ بيد الخلق إلى الخالق (٤).

هو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وجمله وكمله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وعلمه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء:١١٣)، وبعد أن رباه اجتباه واصطفاه وبعثه للناس رحمة مهداة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وكان مبعثه ﷺ نعمة ومنة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ (آل عمران:١٦٤).

### محبة الصحابة للنبي ﷺ

إن صحابة رسول الله ﷺ قد ضربوا أروع الأمثلة (٥)، وصدروا أبرز المشاهد، وبرهنوا أعظم دليل على صدق محبتهم لرسول الله ﷺ فقدموا من أجله الغالي والنفيس، ولا عجب ولا غرابة فمحبته خالطت بشاشة قلوبهم فسرت في عروقهم، وجرت في شرايينهم، وتشبعت بها أرواحهم، وسيطرت على أفكارهم، فمحمد ﷺ هو أغلى شيء في حياتهم، وليس أدل على هذا إلا قول أبي سفيان عندما قال لقومه: «ما رأيت في الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا» (٦).

**الإيمان ليس كلمات تقال ولا مشاعر تجيش**

وهذه إحدى الصحابيات من الأنصار، تبرهن أحسن برهان في أصعب موقف وأشده على صدق حبها لرسول الله ﷺ، فقد قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع النبي ﷺ، فقالت: ما فعل رسول الله؟ قالوا: خيرا هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرينه حتى أنظر إليه، فلما رأته قالت: «كل مصيبة بعدك جلل» (٧) أي: كل مصيبة تهون وتصغر إلا مصيبتك يا رسول الله، فما أعظمها من نفوس وما أعظمه من حب صادق خالط بشاشة القلوب.

### الهوامش

١- تفسير ابن كثير، ط العلمية، ٢/ ٢٦.
٢- مسند أحمد، باب: مسند عائشة رضي الله عنها.
٣- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، ١/ ١٩٩.
٤- مقال بعنوان حب النبي ﷺ، الشبكة الإسلامية.
٥- مقال بعنوان محبة النبي ﷺ، صيد الفوائد.
٦- السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ١٧٢، ط الحلبي مصر.
٧- المرجع السابق، ٢/ ٩٩.

مصطفى عكرمة
عضو اتحاد الكتاب العرب
سورية

# تبقى الفريد

**إليك يا خير خلق الله قبسات متواضعة من سيرتك العطرة، مع أشد العذر لضعف بياني عن كل ما لم تحط به هذه القبسات، فهي لا تعدو أن تكون قطرات من بحر ما آتاك الله، وحسبي أنني حاولت الاقتراب من قدسيتها المباركة، ولم يصرفني عنها زخرف القول عما لا يليق بجلالها، فما أغنى الوصف يوما عن حقيقة الموصوف...**

تبقى الفريد بما قد خصك القدر     يا من لكل صلاح أنت منتظر
الله عظم أخلاقا خلقت لها     يا من إليك تناهى فخر من فخروا
الكون من قبل أن تأتي لتصلحه     فؤاده كاد ممن ضل ينفطر
أجلاه عن خالص التوحيد من خلطوا     بالدين دنيا فساد الشرك، فاندثروا
وهل وجهك فالآفاق مشرقة     والبشر فوق جبين الدهر مستطر
يتم عليك تتالى كله عبر     يا فوز قوم بما قد كنته اعتبروا!
الصدق والجد والإخلاص كنت لها     في كل ناد جرت عن حسنها سير
كم جئت «غار حراء» في سكينته     والشوق منه إلى لقياك مستعر!
به تعبدت ربا واحدا أحدا     جلاله بالذي سواه منتشر
بصيرة منك عاشت وحي فطرتها     وفطرة الله عن توحيده خبر
وافاك جبريل بـ (اقرأ) فارتعدت لها     فرحت منها لهول الأمر تدثر
خديجة يا لبشراها كم ابتهجت     لما اصطفيت لما قد كان ينتظر!
وعاد جبريل يتلو أمر بارئه     اصدع، وبلغ، ولا تعبأ بمن سخروا
بشراك، بشرى أبي بكر هدايته     فإنه أول ما عدت البشر
جاهدت تدعو إلى التوحيد من بطروا     ويا لعفوك عنهم كلما بطروا!
لباك قوم ضعاف بالهدى كبروا     ومن تحدوا هداهم ذلة صغروا
هل مثل جهر بلال هاتفا: «أحد»     ومثله كم ترى في الضر من شكروا!
وبارك الله سؤلا قد دعوت به     فقد أتاك مقرا بالهدى «عمر»
وصحبك الصحب كم أغلوا عقيدتهم     لله لله كم أوذوا، وكم صبروا!
ما بدلوا قولة، أو أجلوا عملا     إذا أمرت فإن الفوز إن أمروا
وما لهم منك إلا صدق موعدة     بجنة في هواها يرخص العمر!
فاعجب لهم كيف في فردوسها سكنوا     وعن أطايبها لم يلتفت نظر
وكم أتتك من الرحمن معجزة     أبدت هداك، وأعمت من بها كفروا!
على البراق إلى الأقصى سريت، وكي     تؤم بالرسل كان الرسل قد حضروا

وجزت سبع سماوات بمعجزة      هيهات تعرف يوما مثلها العصر!

شاهدت ما لم يشاهد بعضه بصر      ولم يزغ لك من آلائها البصر

وعدت للأرض تروي ما نصدقه      - كما رويت - وأعمى غيرنا البطر

وجاءك الوحي أن هاجر لمن صدقوا      فإنهم خير من آووا، ومن نصروا

صاحبت أصدق صديق ومؤتمن      بطيب صحبته يحلو لك السفر

ودعت مكة محزونا لفرقتها      فإن تلك العسر، إلا أنها الظفر!

فإن معتقدا قد عشت تزرعه      لو لم تهاجر لما أمسى له ثمر

يا سعد «ثور» بأحنى الحب ضمكما      فالصخر من فرح ذراته سرر!

طلعت من غارك المحروس وانكفأوا      كأنهم من أعالي شاهق دحروا

كانت عناية رب العرش تكلؤكم      بمعجزات بها رصادها بهروا

أما تراجع عما كاد يدركه      «سراقة» وهو لولا صد مقتدر!

ما كنت إلا الرسول المجتبى أبدا      يا من بكفك طوعا سبح الحجر

يا فوز طيبة دارا للرسول غدت      فمن فيوض سناها تزهر العصر

فيها تآخت قلوب المؤمنين على      حب كإخلاصه لم تعرف البشر

أنصارها آثروا من هاجروا كرما      فما اشتكوا علة يوما، ولا افتقروا

فما غزوا غزوة إلا وكان بها      عز لدين إلى إظهاره نفروا

أنى إلى الفتح طارت خيلهم ظفروا      ويحسنون لمن عادى إذا ظفروا

وعدت للبيت منصورا تطهره      ومهطعين أتاك القوم، واعتذروا

وساءلوك بما هم يؤمنون به      فأنت أطهر من آباؤه طهروا

قلت اذهبوا أينما شئتم، ولنت لهم      وبالتسامح قد داويت من غدروا

يا رحمة الله لم يصدق لنا خبر      إلا إذا كان عما قلته الخبر

لا خير للناس إلا ما سننت لنا      فهو البيان لما جاءت به السور

ما جدد الناس من علم ومعرفة      إلا وقولك فيما جد منجذر

فنال كل زمان ما سيصلحه      ولم تجد مثله للصالح البشر

تبقى كما كنت عبر الدهر رحمته      يا من لكل صلاح شاءك القدر

إني لأبصر رغم الخلف وحدتنا      على هداك، وعهدا سوف ننتصر

بقلم لطيفة أسير
كاتبة مغربية

# من هدي النبي ﷺ في التربية والتعليم

لكل مدرسة روادها، ولكل شيخ أتباعه، ولكل معلم تلامذته، يسطع نجمهم حينا من الدهر ثم يأفل سيرا على سنن الكون، إلا مدرسة محمد ﷺ، أبى الحق سبحانه إلا أن تبقى مشرعة الأبواب، يلجها كل عاشق للعلم الأصيل، وينهل من فيض عطائها كل باحث عن النفع العميم، فظل معلمها شامخ المقام سامق الذكر، وما انقطع روادها على مر التاريخ الذي أعقب البعثة النبوية الشريفة، فهي مدرسة موصولة ينابيعها بالسماء، وفياض نورها من مشكاة النبوة التي استنارت بنور الله وامتاحت من توجيهاته المسددة الحكيمة.

ولئن كان المداد سال بالحديث عن كل ما دق في السيرة النبوية العطرة، فإنا لا نفتأ نؤوب إليها لنقتبس منها دروسا وعبرا، كل في مجال بحثه وتخصصه، لأن سيرة الرسول ﷺ لم تكن حكاية بطل بزغ نجمه في ضرب من ضروب الحياة فحسب، بل كان جوهر الحياة وكنهها، ضخ فيها دما جديدا، وبث فيها من فنون الخير والصلاح ما جعل أعداء الدين، الذين ينكرون نبوته، يصدعون بتفردها ويقرون بتميزها.

ولأن ما يقض فكر كل حر اليوم هو التعليم العربي وسياساته العشوائية التي تخبط خبط عشواء دون مبالاة بحجم الدمار الإنساني الذي تحدثه في الأجيال المتعاقبة، فقد عنَّ لي تخصيص هذا البحث الموجز للحديث عن أبرز الوسائل التعليمية التي مارسها الرسول ﷺ في تنشئته لذاك الجيل الفريد، انطلاقا مما ورد في بعض كتب السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف.

تعتبر الوسائل التعليمية مكونا أساسا في العملية التعليمية، وبراعة استخدامها رهينة بالمدرس أولا لتحقيق الإفادة العلمية والمهاراتية المنشودة لدى الفئة المستهدفة.

وقد عرف أهل الاختصاص الوسائل التعليمية بأنها: الأدوات والآلات والمعدات التي يستخدمها المعلم، لتوضيح محتوى الدرس للتلاميذ، سواء داخل الفصل أو خارجه، بقصد تحسين ورفع درجة كفاءة العملية التعليمية، وبلوغ الأهداف التعليمية في أقل وقت وجهد ممكن دون الاستناد إلى الألفاظ وحدها.

والمتأمل في الخطاب النبوي يلمس تفنن الرسول ﷺ وبراعته في استخدام هذه الوسائل التعليمية، ومزجه أحيانا بين عدة وسائل في الموقف الواحد كما سيتضح ذلك من خلال هذا البحث:

**١- مراعاة حال المخاطب**

من أبجديات البلاغة مخاطبة المتكلم بما يوافق حالته الفكرية وظروفه الإنسانية، ولهذا يلاحظ في خطاب النبي ﷺ لغيره مراعاته للعوامل المؤثرة في شخصية المخاطب، ويبرز منها لديانته، ومستوى تدينه، وبيئته التي عاش فيها واكتسب طباعها، ومنزلته الاجتماعية أو الوظيفية التي تضفي عليه طابعا معينا، وجنسه - ذكرا أو أنثى- وعمره - كهلا أو شابا أو طفلا- وصفاته السلوكية التي يتصف بها).

فخطابه ﷺ مع أهله وأصحابه، ليس كمثيله مع الأعراب الذين يحتاجون بسبب شدتهم إلى ليونة تخفف حدتهم، وليس كخطابه مع أهل الكتاب ممن يحتاجون لأدلة علمية تدحض شبهاتهم، ويمكن أن نلمس هذا الأدب النبوي في الخطاب في مواطن كثيرة نذكر منها للاستئناس حديث الرسول ﷺ مع الرجل الذي أساء في صلاته كما في الصحيحين، فكان الرسول ﷺ يأمره بأدب قائلا: «ارجع فصل، فإنك

لم تصل»، يقول الإمام النووي تعليقا على هذا الحديث «وفيه الرفق بالمتعلم والجاهل وملاطفته، وإيضاح المسألة، وتلخيص المقاصد، والاقتصار في حقه على المهم دون المكملات التي لا يحتمل حاله حفظها والقيام بها».

وكذا في مداعبته ﷺ للصبيان بما يناسب عمرهم كما جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: أبوعمير؛ فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «أبا عمير! ما فعل النغير» (أخرجه البخاري).

ونسوق مثالا ثالثا في مخاطبته ﷺ لعلية القوم من المشركين ودعوتهم للتوحيد بأسلوب عقلاني، دخل حصين والد عمران بن حصين، فلما رآه النبي ﷺ قال: «أوسعوا للشيخ. وعمران ولده في الصحابة، فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها؟ فقال: يا حصين كم تعبد من إله؟ قال: سبعة في الأرض، وواحد في السماء. قال: فإذا أصابك الضر لمن تدعو؟ قال: الذي في السماء. قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الذي في السماء. قال: فيستجيب لك وحده وتشرك معه، أرضيته في الشرك؟ يا حصين، أسلم تسلم. فأسلم» (السيرة الحلبية: ج١/ ص٤٠٢).

**٢- الحوار**

عن أبي أمامة قال: «إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه! فقال: ادنه. فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أفتحبه لعمتك. قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» (أخرجه أحمد).

وأنت تتأمل هذا الحوار النبوي المتشح بكل مقومات السمو والرفعة، تدرك أهمية الحوار في نقل المعلومة وتبسيطها، بعيدا عن أي تنطع أو قمع أو تعنيف أو تحقير، بل إن هذا التدرج الذي يراعي المستوى الفكري للمخاطب وظروفه وسنه، يفرض على مدرسي اليوم العض على الحوار بالنواجذ باعتبار الظرفية التي يمر بها جيل اليوم الفاقد لكل مقومات التعقل والاتزان.

والحوار النبوي كما ذكر د. أبو العلا الحمزاوي في كتابه «الخصائص البلاغية للبيان النبوي» أسلوب راق من أساليب الدعوة والتعليم، لأن النبي ﷺ كان يستطيع من خلاله أن يكتشف ما عند الصحابة من أفكار ومعلومات، بخصوص ما يريد أن يلقيه إليهم من تعليم وتوجيه، كما كان يستطيع من خلال الحوار أن يصحح ما علق في أذهانهم من أفكار خاطئة عن الموضوع مجال التعليم، كما كان يستطيع من خلال الحوار أن يحل الإشكالات التي تعترض طريق الفهم عند بعض الصحابة، وكان يحثهم من خلال الحوار على إعمال الذهن وكد الفكر للوصول إلى الصواب والحق.

ولأجل هذه الأسباب مجتمعة سلك النبي ﷺ طرقا مختلفة من الحوار، نظرا لما له من جوانب إيجابية في الدعوة إلى الله عز وجل، حيث يتفاعل الصحابة من خلاله مع الوحي فيسألوا ويستفسروا، لأجل معرفة الصواب والعمل به.

**٣- ضرب المثل**

جعل الله أفهام العباد تختلف وتتباين، فمنهم الفطن الذي يلمح بواطن الكلم من ظاهره، ومنهم من يستثقل عليه الفهم، فيحتاج معه المعلم لبسط سبل أخرى لتقريب المعنى لذهنه، وفي ضرب المثل تحقيق لهذا المسعى الذي يعتبر منهجا نبويا جسدته سيرة الرسول ﷺ العطرة، حيث كان يضرب للناس الأمثال بأمور محسوسة ومشاهدة، تجعلهم يرون المعنى رأي العين.

والمتأمل للأمثال النبوية يجد التنويع صفة ظاهرة فيها، فقد نوع ﷺ في الممثل وضارب المثل نفسه، فتارة يسند ضرب المثل إلى نفسه ﷺ كما في حديث البخاري الذي مثل فيه حاله مع الأنبياء قبله، وتارة يسند ضرب المثل لله عز وجل كما في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: «إن الله ضرب مثلا صراطا مستقيما...» الحديث، وتارة يسند ضربه للملائكة كما في حديث البخاري في قصة الملائكة الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وهو نائم، والشاهد فيه أنهم قالوا: «إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا» فضربوا مثلا لحاله مع أمته. ونوع كذلك في موضوع المثل والغرض الذي سيق لأجله، فضرب المثل في موضوعات متعددة، ولأغراض شتى، من أمور العقيدة والعبادة والأخلاق والزهد والعلم والدعوة وفضائل الأعمال والترغيب والترهيب وغير ذلك.

ونوع كذلك في أسلوب العرض وطريقة ضرب المثل، فاتخذ لضربه طرقا متعددة، وأساليب مختلفة، وسلك في ذلك كل ما من شأنه إيضاح المراد وإبرازه ماثلا أمام الأعين.

ومن أمثلة هذا البيان النبوي في ضرب المثل ما ورد في سنن ابن ماجه عن المستورد بن شداد، قال: إني لفي الركب مع رسول الله ﷺ، إذ أتى على سخلة منبوذة، قال: فقال: «أترون هذه هانت على أهلها؟»، قال: قيل يا رسول الله، من هوانها ألقوها أو كما قال، قال: «فو الذي نفسي بيده، للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها».

**٤- القصة**

نظرا لما للقصة من تأثير قوي على

المتلقي، فقد حرص الرسول ﷺ على توظيفها في خطابه الدعوي والتربوي، بيد أن القصص النبوي يختلف عن غيره من ألوان القصة، فهو يمتاح من الواقع بعيدا عن أخيلة القصصيين وتزييفهم للحقائق، كما أن سردها كان تلبية لغايات دينية تربوية، وليس للتسلية وتزجية الوقت.

والقصص النبوي وإن كان يلتقي مع الرواية الحديثة في جانب مهم جدا، وهو التعبير عن القيم، إلا أن القصص النبوي يتميز بالتجرد للهدف الديني، انطلاقا من دعوة النبي ﷺ، فالقصص الذى ساقه النبي ﷺ قصص تربوي ودعوي، الهدف منه أخذ العظة والعبرة، والتوجيه والإصلاح، والتعليم.

ولعل أبرز ما يلاحظ في القصص النبوي استعمال أسلوب الحوار الذي يكسر الرتابة ويبعث على التشويق.

والحوار أسلوب مهم من أساليب بناء الشخصية في القصة، بحيث نستطيع أن نشاهد هذه الشخصية وهي تتحدث في حوار مع الآخرين، معبرة عن نفسها وعن أفكارها.

وأهمية الحوار تأتى من أن القصة في الأساس عملية سردية، تتبع فيها الأحداث بطريقة سردية رتيبة، ولكي لا تبدو هذه الرتابة بصورة مملة، فإن القصة تلجأ إلى الحوار لإعطاء هذا السرد نوعا من الحيوية والإثارة، حتى تستطيع القصة أن تشد المستمع إليها، وتحمله على المتابعة المستمرة.

ومن نماذج تلك القصص قوله ﷺ: «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبا، فسأله، فقال: أله توبة؟ قال: لا فقتله، وجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه: أن تقربي، وإلى هذه: أن تباعدي، فقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب

# القصص النبوي تربوي هدفه العظة والتعليم

بشبر، فغفر له» (أخرجه البخاري).

**٥ - الرسوم التوضيحية**

هي وسيلة من الوسائل الفعالة التي لم يغفل المعلم الأول عن استعمالها في تعامله مع الناس، فما كان الرسول ﷺ يدع مسلكا للتوضيح والبيان إلا سلكه.

وقد عرف الدكتور أحمد كامل الحصري الرسوم التوضيحية بأنها تعبير بالخطوط والأشكال والرموز المبسطة لأفكار أو عمليات أو أحداث أو ظواهر علمية أو قواعد أو قوانين ومبادئ أو علاقات أو تراكيب ومكونات شيء ما في صورة مختصرة، تسهل وتيسر إدراك وفهم هذه الأمور بالنسبة للفرد.

وهي -كما قال الدكتور مندور- تستخدم في نقل المعلومات للتلاميذ بفاعلية وتشويق، وتقوم بعديد من الوظائف، مثل تقريب الواقع ذاته إليهم، تقدم لهم شكل الأشياء المألوفة وغير المألوفة، كما تساعد على فهم الأشياء والمفاهيم المجردة. وتوظيف الرسوم ليس حكرا على مرحلة عمرية دون أخرى، وإن كان استعماله في المراحل الابتدائية أكثر ذيوعا بسبب خصوصيات هذه الفئة المستهدفة.

ومن نماذج الاستعمالات النبوية لهذه الوسيلة ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطا مربعا، وخط في الوسط خطا خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط فقال: «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا» (رواه البخاري).

فبين أمل جاوز المدى، وأجل قد خطت معالمه، يبقى الإنسان يتقلب في دنياه عرضة لأعراض الحياة الدنيا حتى يلتحق بربه، هي رحلة الحياة، اختصرها الرسول ﷺ في هذه الخطوط التوضيحية البسيطة في شكلها العميقة في أبعادها.

**٦- التكرار**

من أساليب العرب في الحديث قديما أسلوب التكرار، قال ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة: «ومن سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر».

وتتعدد مراميه بحسب طبيعة المخاطب، فقد يراد به التوكيد والإفهام كما قال ابن قتيبة والخطابي: «إعادة الكلام ثلاثا إما لأن من الحاضرين من يقصر فهمه عن وعيه فيكرره ليفهم، وإما أن يكون القول فيه بعض الإشكال، فيتظاهر بالبيان».

وقد يقصد به الإبلاغ في التعليم والزجر في الموعظة كما نقل عن أبي الزناد في عمدة القاري، وهو أداة فعالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه، خاصة إذا تعلق الأمر بأمر له أهمية عظمى، تستدعي حضورا ذهنيا ونفسيا.

تقول الدكتورة أميمة بدرالدين في كتابها التكرار في الحديث النبوي الشريف: «لم يكن التكرار في الحديث النبوي ناجما عن فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنما كان مقصودا متعمدا، جاء ليحمل جزءا من المعنى المراد، فكان وسيلة من وسائل الدعوة، وطريقة من طرائقها، يستعمله النبي ﷺ إذا وجد ضرورة لذلك، فهو في موضعه كالإيجاز في موضعه، والحاجة إليه كالحاجة إلى غيره من الأساليب الأخرى».

وقد ختمت الدكتورة أميمة بحثها القيم، بقولها بأن أسلوب التكرار في الخطاب النبوي أسلوب معروف عنده مألوف منه، استعمله لأغراض شتى، ولغايات متنوعة، إلا أنها كلها تصب في مشرب واحد، هو تعليم الأمة ونصحها وإرشادها وإقالة عثرتها، وجعلها خير أمة أخرجت

للناس، وقد تنوع التكرار عنده، فكان تكرارا باللفظ، أو تكرارا بالمعنى، ناهجا في ذلك نهج العرب، سالكا سبيلهم.

فالتكرار ضرورة ملحة أحيانا يتطلبها الموقف، ويقتضيها الموضوع، يستوي في ذلك التكرار المعنوي والتكرار اللفظي، بل إن التكرار المعنوي في الحديث يكاد يكون أغلب وأوضح، خلافا لما ذكره ابن رشيق في عمدته.

وقد حقق التكرار أغراضا بلاغية كثيرة كتأكيد المعنى، أو التحذير من عمل، أو الترغيب فيه، أو التلذذ والاستعذاب للمكرر، أو التنبيه على أهمية المكرر وغير ذلك من المعاني.

وأبرز شاهد على هذا الأسلوب التعليمي ما ورد في صحيح البخاري عن أنس عن النبي ﷺ، أنه كان «إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه، فإذا أتى على قوم فسلم عليهم، سلم ثلاثا». ومن النماذج الفعلية لذلك قول الرسول ﷺ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة» (رواه مسلم).

**٧- الحركات المعبرة**

في عرفنا التواصلي تبقى الحركات المعبرة وجها من أوجه التعبير المحمودة متى أريد بها توضيح ما عسر فهمه، لهذا نلمس حضورا بينا لها في الخطاب النبوي، والمراد بها تعبيره عن بعض المواقف بالإشارة باليد أو تعديل الجلسة أو تغيير في تعبير الوجه يعتريه ﷺ يدل على انشراحه أو غضبه أو رضاه أو سخطه. يقول الدكتور محمد أبوالعلا الحمزاوي في كتابه الخصائص البلاغية للبيان النبوي: «كان ﷺ يعتمد على الإشارة المفهمة الموضحة في بعض المواقف لتأكيد أمر ما، ولتثبيت فهمه في أذهان الصحابة، وهذه الإشارة لها مدخل كبير في التعبير، لأنها تستلفت النظر، وتنبه الغافل، وتعين على التذكر والحفظ».

ومثال ذلك بيانه ﷺ الجزاء العظيم الذي أعده الله تعالى لكافل اليتيم بقوله:

## رفع معنويات المتعلم نهج نبوي أصيل

«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئا» (أخرجه البخاري).

**٨- التطبيق العملي**

بعض الأمور الحياتية تحتاج من المعلم دروسا تطبيقية موازاة مع الخطاب التنظيري، ولهذا كان الرسول ﷺ يحرص على إعطاء دروس عملية من خلال ممارساته الفعلية لما يدعو الناس إليه، إذ السيرة النبوية بأكملها ما هي إلا تطبيق عملي للنهج الإسلامي الذي ارتضاه الله تعالى لعباده.

ومن نماذج هذا التمثيل بيانه ﷺ لكيفية أداء بعض العبادات كالصلاة، حيث قال في الحديث الذي أخرجه البخاري: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولكيفية أداء مناسك الحج قال: «خذوا عني مناسككم» (أخرجه مسلم).

ولعل من أبرز فوائد هذه الوسيلة ترسيخ المعلومة بشكل أفضل، وتقنين طريقة الأداء بعيدا عن أي تصورات أو تأويلات.

**٩- الرفع من معنويات المتعلم**

فقد كان الرسول ﷺ يثمن ما صلح من أعمال الصحابة ويبشرهم بالجنة، ويجبر خاطر من انكسر خاطره، كما حدث مع عبدالله بن مسعود الذي كان قصيرا جدا، طوله نحو ذراع خفيف اللحم، ولما ضحكت الصحابة رضي الله عنهم من دقة رجليه قال رسول الله ﷺ: «لرجل عبدالله في الميزان أثقل من أحد» (رواه أحمد والطبراني).

**١٠- الصبر والمثابرة في أداء مهنة التعليم**

لأن إدراك الغاية من الرسالة ليس بالأمر الهين، وجب على كل حامل دعوة أن يتسلح بالصبر على جفاء المدعوين وغلظتهم وسوء أدبهم حتى يبلغ مراده، لهذا فالرسول ﷺ مهما بلغت شدة معاناته في التبليغ لم يتسرب اليأس لقلبه، وظل متسلحا بالصبر، حتى أدى الأمانة التي كلفه الله بها، ولازال ﷺ يعرض نفسه على القبائل في كل موسم، ويقول: «لا أكره أحدا على شيء، من رضي الذي أدعو إليه فذلك، ومن كره لم أكرهه» السيرة الحلبية (ج٢/ ص٧).

**١١- اختيار النقباء**

من المبادرات التي يمكن للمدرس القيام بها اختيار مسؤولين عن القسم، يكونون بمثابة حلقة وصل بينه وبين المتعلمين، ويكون انتقاؤهم بشكل تشاوري بين التلاميذ، وفي هذا تدريب لهم على تحمل المسؤولية، وإقرار لمبدأ التشاور، وهذا تأسيا بما فعله الرسول ﷺ في بيعة العقبة الثانية حين طلب من الأنصار اختيار نقباء منهم، ثم قال رسول الله ﷺ لوفد الأنصار بالعقبة: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم»، فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ثم قال لهم: «أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي، يعني المهاجرين» السيرة الحلبية (ج٢/ ص٢٣).

**١٢- نشر المودة والمؤاخاة بين المتعلمين**

على المدرس العمل على غرس بذور المحبة في صفوف المتعلمين، وخلق جو حميمي داخل الفصل، بعيدا عن البغضاء والحقد الذي يشحن العلاقات بشحنات سلبية، تؤثر على الجو العام للقسم، ولهذا حرص الرسول ﷺ عند هجرته إلى المدينة المنورة على بسط بساط الإخوة أولا بين المهاجرين والأنصار، قال ابن حجر: «فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، وليستعين الأعلى بالأدنى» السيرة الحلبية (ج٢/ص٢٨).

وبهذا يمكن للتلاميذ النجباء أن يحدبوا على من هم دونهم مستوى ومساعدتهم على الرقي بهم معرفيا، وتجاوز مختلف العراقيل التي تجابههم في الدرس.

علياء ناصف
كاتبة - مصر



# الأبناء والتأسي بخاتم الأنبياء

إنه لأمر مثير للحزن والقلق في الوقت ذاته أن نجد عددا غير قليل من أبناء المسلمين وقد غاب عن حياتهم بكل ما فيها التأسي والاقتداء بخاتم الأنبياء رسول الإسلام سيدنا محمد عليه وعلى صحبه أفضل الصلاة والسلام.

والحقيقة التي هي غاية في الأسف أن هذا العدد ذاته لا يعرف عن رسول الإسلام إلا اسمه الشريف، والقول الراجح في يوم ميلاده عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والذي يوافق الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

ولا عجب عندئذ أن نجد فيهم من التخبط والانحراف عن منهج الدين الحنيف، ما يستوجب العمل على أن تكون صورة الرسول المصطفى حاضرة في أذهان الأطفال منذ نعومة أظافرهم من حيث كونها هي القدوة والنموذج الذي يجب أن يحتذى ويتأسى به في أقواله وأفعاله وأحواله.

قال المولى عز وجل: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ (الأحزاب:٢١).

ومما جاء في تفسير القرطبي للآية الكريمة:

**فيه مسألتان: الأولى:** قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ

﴿حَسَنَةٌ﴾ وهـذا عتـاب للمتخلفين عن القتال؛ أي كان لكم قدوة في النبي ﷺ؛ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق.

**الثانية:** قولـه تعـالـى: «أسـوة» الأسوة القدوة. والأسوة ما يتأسى به؛ أي يتعزى به. فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله (١).

إن ما نراه من خلال نظرة سريعة عابرة على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بأبناء وبنات في عمر المراهقة والشباب تعد مقياسا لا يستهان به للحكم على الحالة الأخلاقية ومدى التمسك بالقيم الإسلامية لديهم.

وحسـن الخلـق ينـدرج تحتـه كل فضائل ومحاسـن الأخـلاق من الصدق والأمانة والحياء والحلم والعدل والتواضع والرفق والصبر وسلامة الصدر، وكل ما هو جميل من الأخلاق والصفات المحمودة.

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، برا وصولا وقورا صبورا شكورا، رضيا حكيما رفيقا عفيفا شفيقا، لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا، بشاشا هشاشا، يحب في الله، ويرضى في الله، ويبغض في الله، فهذا هو حسن الخلق (٢).

ولكن كم من صفحات وصفحات للعديد من أبناء هذا الجيل افتقدت وافتقرت إلى حسن الخلق ومكارم الأخلاق، فما بها من قدر السباب والفحش ما يستحي القلم عن ذكر أقل القليل منه، وكم من صفحات لفتيان وفتيات غاب معنى التدين الحقيقي في نفوسهم، لنجدهم يسارعون في تكفير هذا وهتك عرض ذاك، لا لشيء إلا لاختلافه معهم في وجهات النظر والرؤى حول بعض الأمور.

أما عن عدد تعليقات الشباب والمراهقين من الذكور على صور وفيديوهات الفتيات والنساء اللواتي لم يجدن أي نوعا من أنواع الحرج في عرض الصور ومقاطع الفيديو التي لا تتفق أبدا وتعاليم الشريعة الإسلامية على صفحاتهن عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فحدث ولا حرج عن كلمات وجمل وعبارات تفتقد إلى أبسط معاني الحياء جملة وتفصيلا.

ومـن زاويـة أخـرى وفـي نفس الإطـار وجدنا الصفحات التي تبنت أفكارا متطرفة تحض على العنف والكراهية والقتل والتدمير، والتجرؤ على الفتيا بمشروعية ذلك من غير سند ولا دليل.

والتساؤل الذي يفرض نفسه في هذا الإطار: أين هؤلاء وأولئك من قول الرسول المصطفى ﷺ: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقا»؟ (رواه الطبراني).

عن أنس رضي الله عنه قال: «لقي النبي ﷺ أبا ذر فقال: يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما، قال: بلى يا رسول الله. قال عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهم». (رواه الطبراني).

ومن قوله ﷺ أيضا: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا، أن رسول الله ﷺ قال: «من تعد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار» (رواه مسلم).

إن افتقاد صفحات التواصل الاجتماعي لكثير ممن هم في جيل الأبناء لكثير من مكارم الأخلاق، والتحلي بخلق الرسول الصادق الأمين، وكثرة الأباطيل، ونشر الأخبار غير الموثوق منها، واللهاث وراء مالا يجدي نفعا من أخبار وصور ومقاطع فيديو؛ لهو مؤشر خطر وعلامة إنذار عن مدى البعد عن خلق ومنهج الرسول الكريم.

ومن يريد أن يعرف في إيجاز حول كيف كان خلق الرسول المصطفى الأمين، فقد كان خلقه القرآن، من حديث قتادة عن زرارة ابن أبي أوفى، عن سعد بن هشام قال: «سألت عائشة فقلت أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» (رواه مسلم).

ومما جاء في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (باب بيان جملة من أخلاقه ﷺ): «وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد» (٣).

فليتنا نستثمر ذكرى مولده الشريف في العمل بجد على تذكرة جيل الشباب والأبناء والأطفال بخلقه ومنهجه، وحثهم على التمسك بسنته والتثبت من صحتها وسندها، وتحري الدقة فيما ينقل عن ومن سيرته العطرة.

فكم حث الرسول ﷺ في أقواله على حسن الخلق والتحلي بجميل الصفات، وكانت تعاملاته خير شاهد ودليل على صدق أقواله، ويكفيه ما قاله عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (القلم:٤).


**المراجع**

١- تفسير القرطبي، ١٥٥/١٤.
٢- إحياء علوم الدين، ٧٥/٣.
٣- المرجع السابق، ٣٩٠/٢.

محمد حسن بدرالدين
باحث في الفكر الإسلامي
تونس

# العفو النبوي وتأصيل النظرية الأخلاقية

تعايش الأديان أمر ضروري، وقد لازم البشرية منذ أقدم عصورها. فلم يخل مجتمع من معتقدات مختلفة، ولم يبلغ إلى علمنا أن الله تعالى شرع في أحد كتبه تطهير أرض ممن خالف دينه. وعندنا في الفقه الإسلامي مبحث خاص وثري بأهل الذمة. وقد اجتهد الفقهاء اعتمادا على القرآن والسنة في رسم ملامح الحقوق والواجبات المتعلقة بالسلطة المسلمة وأصحاب المعتقدات الأخرى والأفراد من الطوائف المختلفة، وأول ما اهتم به الإسلام في هذا المجال هو المعتقد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ (الأنعام:١٠٨).

نهى الله تعالى المسلمين، نهيا مطلقا أن يسبوا ما يعبد غيرهم، حتى لا يكونوا سببا في سب الله تعالى من قبل الآخرين ظلما وجهلا. وإذا نهانا الله سبحانه وتعالى عن سب صنم أو حيوان أو وثن اتخذها أقوام آلهة، فإن ذلك يسري على كل ما يتصل بتلك الآلهة من أماكن عبادة وطقوس وشرائع وأخلاق. وحتى إذا بادر غيرنا بالاعتداء على مسجد أو مقبرة أو بعض الممتلكات للمسلمين فليس لنا أن نأخذ بالثأر، أفرادا ولا جماعات، وليس لنا أن نتغاضى ونسكت ونتذلل باسم التجاوز والتسامح، إذ لدينا القصاص يطبقه الحاكم المسلم. يحتوي القصاص بعدا معتبرا في المجتمع يتعلق بمبدأ العفو، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ (البقرة:١٠٩).

والواقع أن الاعتداء على المعبود وعلى المقدسات وعلى أماكن العبادة من معابد وبِيَع وكنائس ومساجد لا يحدث إلا عند الظالمين والغلاة. وإذا تجاوزنا الأحكام الخاصة بأهل الذمة كالجزية والملكية ومجالات المسؤولية السياسية والتشغيل، فإن الإسلام تميز عن اليهودية والنصرانية بنظرته إلى الإنسان، فهو يعتبره قبل أن يكون مسلما أو مسيحيا أو يهوديا أو مشركا إنسانا وعبدا لله، ولذلك

**تستحب في كل أمر سهولة دون تساهل وشدة دون تشدد**

أمر الإسلام معتنقيه أن يعاملوا من خالفهم في الدين كما يتعاملون فيما بينهم في كل مجالات الحقوق الشخصية والعلاقات البشرية، فكل ما أمر به الله عزوجل المسلمين، من آداب التعايش الاجتماعي وفضائل الأخلاق، وما نهى عنه من سوء الخلق، يسري على غير المسلمين، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (الحجرات:١١).

وقوله سبحانه: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ

﴿ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ (الممتحنة:٧-٨).

فالمبدأ التشريعي الإلهي العام هو أن يتعامل المسلمون مع غير المسلمين كتعاملهم فيما بينهم في المعاملات والعلاقات البشرية، فبرهم والإقساط إليهم أمر مرغوب ومطلوب، وذلك أصل رفيع من أصول النظرية الأخلاقية الإسلامية. وإذا تدبرنا التاريخ، منذ ظهور الإسلام وتركيز الدولة الإسلامية، فإننا نلاحظ أن اليهود والنصارى استجاروا بالمسلمين من حكامهم وأحبارهم ورهبانهم، وتمتعوا بذلك المبدأ الأخلاقي.

## صور تطبيقية للعفو الإسلامي

نبدأ بأسوة المؤمنين والمسلمين محمد ﷺ، فقد وجدنا في العفو النبوي، ومجالاته في المصادر السنية، أكثر من مئة حديث؛ دلالة على اتساع العفو النبوي إرشادا أخلاقيا وفعلا حضاريا.

لقد أخبرنا الله تعالى عبر القرآن الكريم أن العلاقة بين أنبيائه الكرام وأقوامهم، سادها الكثير من مظاهر الرفض والعناد، لأن الحق عدو الباطل، ولكن نهاية الدعوة بين المرسلين والناس تختلف. فمن الأنبياء من دعا على قومه فحق عليهم العذاب: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ (نوح:٢٦-٢٧).

ومنهم من لعن قومه فحق عليهم الخزي في الدنيا والآخرة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨﴾ (المائدة:٧٨).

كل ذلك بإرادة الله تعالى ومشيئته وحكمته. ولكن الرسل عليهم السلام أجمعين، هم أصحاب إرادة ومسؤولية. وهذا يولد إمكانية الاختيار. وإن ما لاقاه نبينا الكريم صلوات الله عليه من قومه، وهو أكثر مما عاناه كثير من إخوانه الأنبياء، من محاصرة وتجويع ومحاولة اغتيال، يؤكد افتراض إمكانية الاختيار عند الرسل بالدعاء على أقوامهم أو لعنهم أو العفو والصفح عنهم. وكان بإمكانه ﷺ أن يدعو على قومه. ولكنه فضل أن يدعو لهم فقال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا» (١).

وروي أنه ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا، وقالوا: لو دعوت عليهم: فقال: «إني لم أبعث لعانا، ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» (٢).

اختار رسول الله ﷺ العفو على قومه منذ أوائل مراحل الدعوة، وثبت على ذلك الخلق الكريم طول حياته. وقد عفا عن كثيرين آذوه أشد الإيذاء، وصفح عن بعض من أهدر دماءهم. عن أنس بن مالك رضي الله عنه: هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ، فأخذوا، فأعتقهم رسول الله ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤﴾ (الفتح:٢٤) (٣).

**الاعتداء على أماكن العبادة لا يحدث إلا عند الظالمين والغلاة**

وفي فتح مكة قال: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء (٤).

## الرسول الحاكم والإنسان

كتب الله على نفسه الرحمة ووسعت رحمته كل شيء. ورسول الله من أعظم وجوه الرحمة للبشرية: أتي ﷺ بسارق فقيل: يا رسول الله، إن هذا سرق، فكأنما أُسِفَّ وجه رسول الله ﷺ رمادا، فقال بعضهم: يا رسول الله، أي: مالك؟ قال: وما يمنعني وأنتم أعوان الشيطان على صاحبكم، والله عز وجل عفو يحب العفو، ولا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه، ثم قرأ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ (النور:٢٢) (٥).

رأى بعض الصحابة أن من واجبهم أن يبلغوا الرسول الكريم عن سارق، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا ويحرصون على تطبيق حدود الله، وحالما قاموا بواجبهم تغير وجه الرسول إلى لون الرماد! لقد ذكر ﷺ وهو رحمة الله إلى البشرية المبلغين وكل المسلمين من ورائهم بصفة من صفات الله، وأحد أسمائه الحسنى: «العفو»، وبقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾.

وغضب ﷺ لأنه وجد نفسه مضطرا لإقامة الحد، وذلك لا يتناقض -لا محالة- مع قوله ﷺ: «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (٦).

وهذا مثال آخر يوضح ذلك الحرص النبوي على العدل والقصاص: «عن أنس أن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش وطلبوا العفو فأبوا. فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها. فقال: يا أنس، كتاب الله القصاص. فرضي القوم وعفوا» (٧).

هي قضية سن، حكم فيها رسول الله بمبدأ السن بالسن. المعتدية هي الربيع وهي أخت أنس بن النضر. وأنس بن النضر هو عم أنس بن مالك رضي الله عنهما وقد استشهد يوم أحد. المعتدى عليها جارية أي فتاة صغيرة أهمل الرواة اسمها ونسبها. أهل هذه الجارية يطلبون الأرش (الدية). وأهل الربيع يطلبون العفو. ونظرا لاختلاف المواقف، عرضوا قضيتهم على رسول الله ﷺ. فكان أول ما حكم به هو القصاص. وهذا تأكيد أنه لا يجوز الحديث عن العفو قبل أن يتبين حق القصاص وفرضيته. غضب أنس بن النضر أخو الربيع لأن أخته ستؤذى وقد يشوه جمالها. وربما لأنه كان يعتقد أن عائلته في حصانة من حدود الله، فذكره الرسول بحلمه المعهود: يا أنس كتاب الله القصاص. رضي أنس بن النضر. فلا حصانة في الإسلام لأي كان إلا أن يعفو صاحب الحق وأن يتجاوز الحاكم عن حقه الشرعي في مسائل محددة.

تأكد أهل الجارية من أنهم سينالون حقهم، عندها أصبحوا متفوقين في القضاء على أنس بن النضر وأخته ومن والاهم، عندها كان أمامهم الاختيار عن وعي وقناعة وإرادة: لم يتدخل الرسول ﷺ في

## كان الرسول يختار أيسر الأمرين عن إرادة ووعي وقناعة

هذه القضية، بأي وجه من الوجوه لحمل المظلومين على العفو أو الدية أو القصاص؛ لا بالتذكير ولا بالإيحاء ولا بالطلب ولا بالأمر. واختار أصحاب الحق، من بين الحلول الثلاثة، الحل الثاني أي العوض المادي. ذلك هو المنهج النبوي في القضاء وأولى بالمسلمين وقضاتهم بالخصوص أن يتدبروه. كل ذلك يؤكد قول الله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (البقرة:١٧٩).

ونختم حديثنا عن صور العفو النبوي الذي لا تنضب بئره، بشهادة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها» (صحيح البخاري).

لو تمعنا في هذا الحديث لرأيناه يوضح مفهوم العفو والتسامح. ففي كل أمر توجد سهولة، لا تساهل، وشدة، لا تشدد. وقد يؤدي كل منهما إلى الخير أو الشر. وفي كل أمر كان الرسول يختار - عن إرادة ووعي وقناعة - أسهل الحلين ما لم يكن ذلك الحل إثما أو ينتج عنه إثم. لأن الخط الأحمر المانع لدائرة العفو هو انتهاك حرمات الله سبحانه وتعالى وتجاوز حدوده.

### عمر الفاروق وضعفاء النصارى

يكفي أن ننهي صور العفو الإسلامي بذكر مثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عند فتح بيت المقدس، فقد طلب منه بطريق القدس صفرونيوس (٥٦٠-٦٣٨م) أن يصلي في كنيسة القيامة، وقد حان وقت الصلاة.. ولكنه رفض واعتذر وهو يقول: إنه إن فعل ذلك فإن أتباعه قد يدّعون فيما بعد أنه محل عبادة للمسلمين. ومما يتفق مع هذه الروح الأخلاقية الإسلامية التي تنطوي على حسن معاملة أصحاب الديانات، ما أثر عن الفاروق عمر أيضا، أنه أمر أن يعطى ضعفاء النصارى نصيبا من أموال بيت المال، وأن تجرى عليهم حصص من العطاء الدائم لقُوتهم ومعيشتهم (٨).

### الهوامش

١- ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج ١، ص ٤٩.

٢- القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، الطبعة الثانية، عمان، ١٤٠٧هـ. ج ١، ص ٢٢١.

٣- المرجع السابق، ج ١، ص ١١٠.

٤- ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) زاد المعاد في هدي خير العباد، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج ٣، ص ٤٠٨.

٥- أسف وجهه أي تغير كأنه ذر عليه شيء غيره. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ج ٤، ص ١٠٥.

٦- السنن الكبرى للنسائي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م. بيروت، ج ٥، ص ٣٥٦.

٧- الأرش بوزن العرش: دية الجراحات. صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج ٣، ص ١٨٦.

٨- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٧٥.

د. عبدالمنعم عبدالله حسن
أستاذ بكلية اللغة العربية
مصر

# يا من بعثت معلما

الجـــهـــل قـبـلـك خـيـمـا ... فـوق الـعـقـول وأظـلـمـا
والـــنـــاس فـيـه تـخـبـطـوا ... يـغـشـى قـلـوبـهـم الـعـمـى
فـأتـيـت فـجـرا سـاطـعـا ... قـهـر الـظـلام وحـطـمـا
وفـيـوض هـديـك فـجـرت ... نـبـعـا يـجـيـر مـن الـظـمـا
«اقـرأ» هـي المـفـتـاح يا ... مـن قـد بـعـثـت مـعـلـمـا
يـا رحـمـة لـلـعـالمـين ... وإن سـنـتـك الحـمـى
الـلـه جـل جـلالـه ... صـلـى عـلـيـك وسـلـمـا



نعيم نعيم السلاموني
باحث وكاتب
مصر



**وسط ضغوط الحياة ومتاعبها باتت الابتسامة مفتقدة في الأسرة، فقد أصبحت الوجوه كئيبة واجمة، والحياة مقطبة، والأسرة تقف عاجزة أمام الأعباء المتزايدة وتدور في دائرة لا تنتهي من الألم والتفكير والخوف من المستقبل، وأصبحت الابتسامة في الأسرة شيئا نادرا، فلم تعد البساطة هي سمة الحياة كما كانت في الماضي، ولكن الحياة الآن أصبحت معقدة صعبة ومرهقة. وتتساءل: لماذا الكثير مصابون بالاكتئاب؟ لماذا أصبح الهم والحزن مسيطرين على الكثير وانعدمت الابتسامة وحل محلها العبوس الذي يعبر عن الضغوط الكثيرة التي يعانون منها؟**

# سنة غابت عن الأسرة

أما الغريب في اختفاء الابتسامة فهو إيمان بعض الأزواج بأهمية عبوس الوجه؛ اعتقادا منهم أن الشخصية ترتبط بذلك!

### الابتسامة تخفف المتاعب الصحية

تؤكد الأبحاث الحديثة على أن:

١- الابتسامة هي الدواء الشافي لكل ما نعاني منه من متاعب نفسية وضغوط حياتيه كل يوم.

٢- الابتسامة علاج طبيعي لعضلات الوجه مما يجعله يشعر بالراحة.

٣- أساتذة الطب النفسي أوضحوا أن الابتسامة تعمل على سيادة مفهوم العفو والتسامح، مما تنخفض معه معدلات الإجرام والمشاكسات بين أفراد المجتمع.

٤- الابتسامة الدائمة مطلوبة طبيا ونفسيا، لأنها تقوم بتنظيم الهرمونات ووظائف الغدد الصماء التي تتحكم في انتظام أجهزة الجسم الحيوية، مثل القلب والجهاز التنفسي والجهاز العصبي.

٥- القلق والحزن يعطيان إشارات للمخ بالاضطراب والاكتئاب، وتنعكس تلك الإشارات على كفاءة جهاز المناعة فيصاب الإنسان بأمراض القلب والسكر والقولون العصبي.. كل ذلك بسبب ضعف خط الدفاع الأول، وهو جهاز المناعة، وتعمل على الحد من أمراض الشيخوخة.

٦- تقول الدراسات إن دقيقة واحدة من السعادة والابتسام تعادل ٤٥ دقيقة من الاسترخاء.

٧- يقول علماء النفس: «دائما الضاحكون هم الأكثر قدرة على مواجهة الأزمات لكونهم أقل تضخيما للأمور».

### الإسلام يدعو إلى البشاشة

١- العابس المتجهم ليس عنوان الإسلام، يقول تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ (القيامة:٢٢)، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ (عبس:٣٨-٣٩)، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ (القيامة:٢٤-٢٥)، أي إن العبوس علامة سيئة.

٢- إن الحزن لم يأت في القرآن إلا منهيا عنه ومرفوضا:

- يقول تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (التوبة:٤٠).
- ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ (النحل:١٢٧).
- يقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ (آل عمران:١٣٩).

- يقول أهل الجنة بعد فوزهم بها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ (فاطر:٣٤).

٣- وإذا كان الإسلام يرفض العبوس للأعمى الذي لا يرى صورة العبوس فما بالنا بالعبوس في وجه مبصر، يقول تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ (عبس:١-٣).

٤- عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق» (رواه مسلم والترمذي).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (رواه مسلم).

٥- ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فكان يمزح ولا يقول إلا حقا، وإنه لم ير إلا مبتسما.

وعن صور المزح والابتسامة، نجد أن الرسول ﷺ كان يحدث عجوزا فقال لها أما تعلمين يا امرأة أن الجنة لا يدخلها عجوز. فإذا المرأة تفزع، ولكن الرسول ﷺ طمأنها وأبان لها هذا المعنى الذي ساقه بقصد المزاح: ألم تقرئي قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ (الواقعة:٣٥-٣٧)، والمعنى أنها حين تدخل الجنة ستعود أكثر شبابا وجمالا.

٦- وكان ﷺ يمزح مع أصحابه ويداعب أحفاده ويلاعب نساءه وكان يقول: «إني لأمزح ولا أقول إلا حقا» (صححه الألباني من حديث الطبراني).

وسئلت السيدة عائشة، رضي الله عنها، كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته، فقالت: «كان ألين الناس، وكأنه رجل من رجالكم إلا أنه كان ضحاكا بساما» (أخرجه ابن سعد وابن عساكر).

وسأل الرسول ﷺ امرأة: «هل زوجك الذي في عينه بياض؟». فقالت: يا ويلي. فقال لها ﷺ: «وهل من عين إلا وفيها بياض». وداعب الرسول ﷺ امرأة سألته أن يعطيها بعيرا تركبه فقال لها: «أحملك على ولد الناقة». فتعجبت: ما أصنع بولد الناقة؟! فقال لها ﷺ: «وهل تلك إلا النوق».

- ومن حديث عبدالله بن الحارث: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ كان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه».

## خلاصة القول

يجب على المرأة مراعاة أنها الجانب الأكثر تحملا، وأن تتمسك بالثبات والهدوء عند الأزمات، واحتواء الخلافات، وتكون مصدرا للسعادة ولا تفتعل المشكلات، ويجب أن تتقبل مع الزوج ظروف الحياة والقدرة على التكيف معها، وأن تعلم أن سر علاج الاكتئاب هو ابتسامتها الدائمة لزوجها.

أما بالنسبة إلى الرجل فعليه عدم استخدام العنف والألفاظ الخارجة لتجنب المشكلات، ويكون ملتزما بالصبر، وقادرا على التسامح؛ فهو العقل المدبر، ويجب أن يكون قادرا على توفير ما تحتاج إليه الزوجة من عاطفة وكلمة طيبة، ويتواصل بالمناقشة الهادئة؛ فالعلاقات تتأثر بأبسط الأشياء، وتهدأ بأبسطها أيضا.

إن البسمة هي عنوان التفاؤل، وهي ترجمة حقيقية للراحة النفسية التي يستشعرها المبتسم، والمبتسم شخص إيجابي هادئ وديع يتعامل مع الحياة بطمأنينة ورضا.

والابتسامة هي مفتاح التعامل مع الآخرين، وهي العصا السحرية التي تبدد الحزن وتزيل الألم، ويجب أن تكون الأم في الأسرة هادئة وبشوشة وحريصة على أن تبتسم، وأن تحرص على ألا تكون فريسة للقلق والتوتر، فراحة الأم النفسية من أهم العوامل التي تساعد الأبناء على التركيز والتفوق الدراسي.

إن النظرة المتفائلة والابتسامة الصادقة من الطبيب للمريض، حتى لو كان مصابا بأخطر الأمراض الميئوس من علاجها، تساعدان على الشفاء. وعلى سبيل المثال، فإن مريض التوحد إذا عبست في وجهه تسوء حالته، لذا ينصح الأطباء الآباء والأمهات لأطفال مصابين بالتوحد بضرورة بث الابتسامة في نفوس أطفالهم.

وبالابتسامة يستطيع المرء أن يصفي النفس من بواعث الكراهية والحقد والحسد والبغض. ما أحوجنا إلى أن نبتسم في وجه الابن والزوجة والأخ والجار، لاسيما في هذا الزمان الذي طغت فيه المادة وقلت فيه الألفة وزادت فيه الصراعات والضغوط الاجتماعية.

إن الإسلام لم يدع أبدا إلى الوجه العبوس، ولا إلى الكبرياء، وصدق الله القائل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ (الأحزاب:٢١).

فقد كان رسول الله ﷺ حسن اللقاء، باشًا في وجوه الناس، لا يلقى الناس إلا بالوجه الطلق، ويبتسم في وجوههم ليشيع فيهم روح الألفة والسلام والمودة والمحبة.

إن الابتسامة صدقة وصلة بين الناس، وصدق المولى عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية



# نبي الرحمة... الصادق الأمين

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (رواه البخاري) بهذه الكلمات القليلة وضع عليه أفضل الصلاة والسلام أسس وقواعد حياة متكاملة؛ لأنه أينما وجدت الأخلاق عم الاستقرار والأمان، وسادت الحياة المتزنة والكريمة، حيث يمكن للفرد أن يعيش آمنا مطمئنا، لا يخاف على نفسه أو ماله أو بيته.

وحين يغدو المجتمع الذي نعيش فيه آمنا، سينشغل الأفراد كليا بالعمل الجاد والبناء والتطوير، فنرتقي بأنفسنا وبمن حولنا، ونعمر الأرض التي استخلفنا الله عليها، وهذا بالضبط (المجتمع) الذي سعى الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام لتأسيسه في المدينة المنورة أولا ثم في المجتمع الإسلامي ككل، مجتمع متين الأسس والقواعد، يستقي قوانينه من النبع الصافي المتمثل في القران الكريم، والسنة

المطهرة، ويرتكز على الأخلاق الكريمة والمبادئ والقيم السامية التي علمنا إياها قدوتنا وحبيبنا محمد بن عبدالله الصادق الأمين.
فقبل البعثة وفي الوقت الذي وصل فيه أهل مكة أقصى درجات التردي الأخلاقي، كان سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يسير وحيدا في الاتجاه المعاكس، محافظا على عظيم الأخلاق ومحاسن الصفات التي زينه الله بها، حتى صار مضربا للمثل بالصدق والأمانة، مدعاة للفخر والاعتزاز، صاحب المكانة العالية بأخلاقه ورجاحة عقله.
فحتى عندما جهر عليه أفضل الصلاة والسلام بالدعوة بين قومه، ورغم أن كفار قريش حاربوه بكل ما توافر لهم من وسيلة، لم يتجرأ أحد وينعته بالكاذب، ربما اتهموه بالجنون، والسحر والشعوذة، والتي كانت مجرد اتهامات ارتجالية، ادعوها فقط لترضي غرورهم الزائف، وتنفر الناس منه، لكن لم يتمكنوا من المساس بأخلاقه ﷺ، فالله تعالى قد نزهه من كل خطأ منذ كان طفلا رضيعا، تحل البركة أينما حل وترتحل معه أينما ارتحل.
كان عليه أفضل الصلاة والسلام مباركا، محبوبا من جميع من حوله، هي محبة زرعها الله تعالى في قلوبهم تقديرا لمن سيحمل على عاتقه تبليغ رسالة الله للعالم أجمع.
ورغم المكانة التي تميز بها عليه أفضل الصلاة والسلام بين قومه منذ نعومة أظفاره، لم يحاول أن يستغلها ليحصل على مركز اجتماعي بين قومه يعفيه من عناء العمل والسعي للرزق، بل شمر عن ساعديه واشتغل برعي الأغنام ثم التجارة، فكما قال ﷺ: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، كنت

**صاحب المكانة العالية تميز بأخلاقه ورجاحة عقله**

أرعاها على قراريط لأهل مكة» (رواه البخاري).

## عصمته قبل الوحي

وساعدته هذه المهنة أن يتجنب مفاسد أهل مكة حينها، وأعطته الوقت الكافي ليبحر في ملكوت الله، يتفكر طويلا فيمن يكون قد خلق هذا الكون الممتد حوله، فعقله الطاهر من كل رجس كان يأبى أن يقتنع أن صنما صنع من الحجارة أبدع هذا الكون.
حتى عندما أراد أن يستكشف حياة اللهو التي يعيشها أهل مكة، عصمه الله تعالى من أن يتدنس برجس وهو خاتم الأنبياء والمرسلين.
يقول عليه أفضل الصلاة والسلام: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين، ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته: قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال: أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا، فقلت: ما هذا؟ فقالوا عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، دخلت مكة فأصابني مثال أول ليلة... ثم ما هممت بسوء» (رواه البخاري).

**الرسول ﷺ لم يستأثر بدعوته المستجابة لنفسه بل خبأها لأمته**

## دعوته لأمته

كل الأنبياء بلغوا رسالتهم على أكمل وجه، كذلك الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام بلغ الرسالة وأدى الأمانة، بل حمل هم هذه الأمة حتى بعد مماته، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ (إبراهيم:٣٦)، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (المائدة:١١٨) فرفع يديه وقال: «اللهم أمتي أمتي» وبكى. فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك. فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله بما قال، وهو أعلم، فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك». (رواه مسلم).
وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا» (رواه مسلم).
لقد جاد عليه أفضل الصلاة والسلام بنفسه في سبيل تبليغ رسالة الله، ترك مكة متخفيا، كفر به قومه وحاربوه، كسرت رباعيته وشج وجهه وسال الدم منه صلوات الله وسلامه عليه، لكنه لم يستأثر بدعوته المستجابة لنفسه بل خبأها لأمته، ولم تنزل دموعه إلا خوفا عليها، فعليه أفضل الصلاة والتسليم.

د. أبو المعاطي خيري
أستاذ الأدب كلية الآداب
جامعة الملك سعود

# من شمائل النبي ﷺ

كان النبي ﷺ مثالا للتواضع، يجيب دعوة العبد، ويستمع للأمة، ويركب الحمار بلا إكاف، ويحمل أغراضه، ويطوف في الأسواق، ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة، و يخيط نعله وثوبه بيده الشريفة، ويزور المهاجرين والأنصار في بيوتهم، ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم، وكان يجلس مع أصحابه كواحد منهم، فلم يكن له مجلس يميزه عمن حوله، حتى أن الغريب الذي لا يعرفه، إذا دخل مجلسا هو فيه، لم يستطع أن يفرق بينه وبين أصحابه، فكان يسأل: أيكم محمد؟

تعددت مظاهر تواضعه ﷺ وفي تعددها دعوة لأصحابه وأحبابه أن يتواضعوا؛ فالتكبر مهلكة، وباب من أبواب الشرور؛ فهو يفتح أبواب الحقد على مصراعيها، وينمي في القلوب مخالب الكراهية، ويبرز قبائح النفوس، عكس التواضع الذي تستمال به القلوب، وتعم به السكينة، وتنتشر بفضله الطمأنينة.

وسنكتفي هنا بنتف من تواضعه ﷺ عسى أن تكون نورا يبدد ظلام النفوس المتعجرفة، ودربا واضحا للراغبين في الاقتداء بالحبيب ﷺ.

## رفضه التبجيل

من مظاهر تواضع النبي ﷺ رفضه أشكال التجليل والإكبار والتعظيم كلها؛ فقد كان ﷺ ينهي أصحابه عن مدحه ورفعه إلى مكانة غير المكانة التي وضعه الله فيها. فعندما سمع أحد أصحابه يناديه قائلا: يا محمد، يا سيدنا، وابن سيدنا، وخيرنا، وابن خيرنا، نهاه عن هذا القول، وعلمه ماذا يقول، وقال: «أنا محمد بن عبدالله، عبدالله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» (أخرجه أحمد والنسائي). وعن

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبدالله ورسوله» (أخرجه البخاري). ورفضه أن يكون نبيا ملكا، وإصراره على أن يكون نبيا، عبدا كما وصفه المولى -تبارك وتعالى- في سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن:١٩). قال ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «يا عائشة، لو شئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت نبيا عبدا، وإن شئت نبيا ملكا، قال: فنظرت إلى جبريل، قال: فأشار إلي أن ضع نفسك، قال: فقلت: نبيا عبدا، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئا، يقول: آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» (أخرجه الطبراني).

ولم يرض من أصحابه أن يفضلوه على الرسل، عليهم السلام. فقد ثبت أن رجلا من المسلمين ورجلا من اليهود سب كل واحد منهما الآخر، فقال المسلم لليهودي: والذي اصطفى محمدا على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك وضرب اليهودي على وجهه، فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره بما حدث، فدعا النبي ﷺ المسلم، فسأله عن ذلك، فأخبره بالذي جرى، فطلب النبي ﷺ من صحابته ألا يفضلوه على أحد من

## من مظاهر تواضع النبي ﷺ رفضه المدح والتعظيم

الأنبياء، وأخبرهم عن منزلة موسى عليه السلام، وأنه يوم القيامة يكون مع النبي، ومن أول الذين تنشق عنهم الأرض يوم القيامة. (أخرجه البخاري ومسلم)، وقال ﷺ: «لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى ممسكا بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثناه الله تعالى» (أخرجه أحمد)، كما رفض ﷺ أن يتميز عن سائر البشر وقال للذي قال له: يا خير البرية: «ذاك إبراهيم» (أخرجه مسلم).

### تواضعه مع أصحابه

كان ﷺ يعمل مع أصحابه، فعن البراء رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى البياض بياض بطنه» (أخرجه البخاري)، ويسير مع الضعيف والفقير والأمة والعبد والأرملة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن كانت الوليدة من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت» (أخرجه أحمد)، وعنه رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة. قال: «يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك. فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها» (أخرجه مسلم)، وكان ﷺ يزور خدمه، فعن أنس قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فعاده النبي ﷺ وقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» فنظر الغلام إلى أبيه، وهو عند رأسه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم ثم مات، فخرج رسول الله ﷺ من عنده وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار (أخرجه أحمد)، وكان ﷺ يرفض أن يقوم له أصحابه تعظيما، ولم يرد هداياهم مهما قل شأنها، ومهما كانت قيمتها، جبرا لخواطرهم، ولم يرفض دعواتهم إلى الطعام مهما كان بسيطا، فكان يجيب الداعي ولو على خبز الشعير، ولو على طعام يأنفه. يقول ﷺ: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي الي ذراع أو كراع لقبلت» (أخرجه البخاري)

### تواضعه ﷺ في بيته

كان ﷺ يعمل في بيته، فعن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، وقالت: كان بشرا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته ويخدم نفسه. (أخرجه أحمد).

لم يعرف التكبر طريقا لنفس النبي ﷺ فعاش ما عاش كواحد من أصحابه، رضوان الله عليهم.

شيخ أسد الله شاهي
كاتب وباحث إسلامي
الهند

# أحسن الخَلق خَلقا وخُلقا

جمال الإنسان يجذب كل إنسان إليه، ويحس الناس علاقة خاصة مع رجل حسن الوجه والصورة. وإذا كان أحد مالكا للحسن والجمال مع حسن الخلق فلا حاجة إلى بيان فضيلته وشرفه، فله الشرف والكرم وله حفلات تكريمية وإحسانات إنسانية في بلده ومقاطعته ويتردد صيته في أرجاء المعمورة. هذا شأن رجل عام في الدنيا، فما يكون شأن حبيبنا ونبينا وقرة أعيننا ﷺ؟ فهو سيد الأولين والآخرين وخاتم المرسلين، وإنه بلغ مبلغا لا يمكن مخلوق أن يبلغه، كان دائما لينا هينا رفيقا متحملا. كان سيدنا محمد ﷺ ربعة من القوم، لا بائنا من طول ولا قصيرا، أبيض اللون مشربا بالحمرة، أدعج العينين، مفلج الثنايا، دقيق المسربة، أزهر الجبين، واضح الخد، أقنى الأنف، كأن عنقه إبريق من فضة، ظاهر الوضاءة، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر، شثن الكفين، مسيح القدمين، واسع الصدر، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، أشعر الذراعين والمنكبين، لم يبلغ شيبه في رأسه ولحيته عشرين شعرة، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، إذا مشى كأنه ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعا، بين كتفيه خاتم النبوة كأنه زر خجلة، أو بيض حمامة لونه كلون جسده، أبلج الوجه حسن الخلق، في جبينه زجج وفي عينه دعج وفي عنقه سطع وفي لحيته كثافة، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأكملهم من قريب، كأنما منطقه خرزات نظم يتحدرن.

## أحسن من القمر

مدحه أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: «مارأيت من ذي لمة سوداء في حلة حمراء أحسن من النبي ﷺ». وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر». وروي عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين إذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه». بل ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» أن حسانا رضي الله عنه أول ما رأى النبي ﷺ ورجع إلى قومه، سألوه أن يهجوه لهم فقال:

لما نظرت إلى أنواره سطعت
وضعت من خيفتي كفي على بصري
خوفا على بصري من حسن صورته
فلست أنظره إلا على قدري
أنوار من نوره في نوره غرقت
والوجه منه طلوع الشمس والقمر
روح من النور في جسم من القمر
كحلة نسجت بالأنجم الزهر

ولكن لما وفقه الله تعالى للإسلام فصار شاعر النبوة ومدح النبي ﷺ بكلمات رائعة فقال:

وأحسن منك لم ترقط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

## الرفق واللطف

أما خُلقه ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب:٢١). فإنه كان يتعامل مع الناس بقدرات أخلاقية ملك بها قلوبهم. كان يقابلهم بالوجه الحسن المبتسم، ويكلمهم بأسلوب هادئ رزين، ويشاركهم في

أفراحهم وأتراحهم، وكان يعامل الصحابة جميعا معاملة واحدة حتى يظن أحدهم أن الرسول ﷺ لا يعامل أحدا بمثل ما يعامله من الرفق واللطف. كان أحسن الناس خَلقا وخُلقا، يعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه. قال عبدالله بن عمرو: لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا (متفق عليه). وقال أنس رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف، ولا لما صنعت، ولا ألا صنعت (متفق عليه). كان دائما لينا هينا رفيقا متحملا عطوفا، وهو الذي قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». فهو رحمة على جميع الخلق، ولذا وصفه الله تعالى بالرحمة فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء:١٠٧).

وعندما قيل له ادع على المشركين فقال ﷺ: «إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة» (رواه مسلم). وكان من دعائه «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا، فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا، فرفق بهم، فارفق به». وقال أنس رضي الله عنه: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، فقال رسول الله ﷺ: «لا تزرموه، دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن». قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه» (صحيح مسلم). وإن اليهود مروا ببيت النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقال: وعليكم. فلم تصبر عائشة رضي الله عنها لما سمعتهم لأنها كانت تحب رسول الله ﷺ، فقالت: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم. فقال رسول الله ﷺ: «مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش..إلخ» (صحيح البخاري). وأما كرمه، فقال جابر رضي الله عنه: «ما سئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال: لا» (متفق عليه).

وأظهر الله سبحانه تعالى خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ (القلم:٤).

وكان إظهار هذا الخلق واضحا في بيته مع زوجاته وبناته؛ حيث كان يحدثهم بأطيب الكلمات وأرق التعابير، وكان يلاعبهم ويلاطفهم، ويدخل السرور إلى قلوبهم، ويعدل بينهم، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه. وتقول عنه أيضا: «كان بشرا من البشر: يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه. يفعل هذا وهو نبي الأمة وقائدها يريد أن يعلم أمته من بعده أن الإنسان مهما علا شأنه واسمه يجب عليه ألا يتكبر أو يتجبر، بل يحافظ على تواضعه وحلمه. ومن أجل ذلك جعل الله تعالى محمدا ﷺ خير قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين ليكون منارة لها إلى يوم القيامة.

**إن صمت ﷺ فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء**

## تواضعه ﷺ

وأما تواضعه ﷺ فكان يجيب دعوة الحر والعبد والغني والفقير ويعود المرضى ويدعو لهم، وكان أبعد الناس عن الكبر فكان يقول: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»، وكان أيضا يكرر: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله» (رواه البخاري). وهو الذي قال قولا دل على تواضعه دلالة بينة: «إذا كفى أحدكم خادمه طعامه حره ودخانه فليأخذ بيده فليقعده معه فإن أبى فليأخذ لقمة فليطعمها إياه» (سنن الترمذي). ولما سأل عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عطاء رضي الله عنه عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: «أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا» (رواه البخاري).

**كان دائما لينا هينا رفيقا متحملا**

د. أحمد إسماعيل
باحث في التراث الإسلامي

# منهج الرسول ﷺ عند التعامل مع الآخر:

نقصد بالآخر هنا في هذا السياق، هو المختلف في الانتماء الديني والعقيدة، ولما كان الإسلام رسالة عالمية كان على رسول الله ﷺ أن يقوم بتبليغه للناس كافة، على اختلاف أجناسهم، وتوجهاتهم، العدو قبل الصديق؛ ولذا كان التعامل مع الآخر في منهج رسول الله ﷺ يأخذ أبعادا شتى، فالآخر قد يكون من الأقربين، وتربطه به علاقة الدم والنسب، وقد يكون من الأباعد، ومع هذا التنوع في هذه العلاقات مع الالتباس الشديد بين الطبائع والقدرة على الفهم والاستيعاب، نجد الرسول ﷺ لم يخب ظنه في التعامل مع هذا الكم من التباين الشديد مع الآخر، فقد تعامل مع كل هذه الطبائع بما يروق لها من المناهج، ففي مستهل الدعوة يتوجه ﷺ إلى آله وأقاربه استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤) وقد اتبع ﷺ معهم منهجا قويما يحاول من خلاله استدعاء أواصر القربى واستعطافهم واتباعه على أنهم ينتمون لقبيلة واحدة، وأن دعوته سترفع من شأنهم لا محالة فاستهل حديثه بقوله: «يا بني فهر، يا بني عدي... لبطون قريش» (١)، وحين يأتون وعلى رأسهم أبو لهب، يخاطبهم الرسول ﷺ موقظا في ذاكرتهم وقلوبهم صفاته التي عرف بها بينهم، وهي الصدق والأمانة فيقول: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟». قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد!». فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم! ألهذا جمعتنا؟! فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد:١) (٢). ولم ييأس الرسول ﷺ من صدهم عنه، فبدأ بأقرب الأقربين، مؤكدا على حبه لهم، وأن في اتباع هذه الرسالة الخير الكثير، وأن هؤلاء الأقربين هم أولى بهذا الخير، ولو لم يكن في هذه الدعوة خير ما اتجه بها إلى آله وأسرته، وقد استخدم في هذا الخطاب لغة الترهيب، وكأنه يحيلهم إلى ما نزل في شأن أبي لهب، فقال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا، يا فاطمة بنت رسول



الله ﷺ سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا» (٣).

## لغة الخطاب وثقافة الآخر

مضى رسول الله ﷺ في نشر الدعوة بكل الوسائل المتاحة، والدعوة إلى الإسلام لم تكن مقصورة على قريش أو حتى الجزيرة العربية، ولكنها للناس كافة، بل العالمين، إنسهم وجنهم، وهنا تقع على كاهل الرسول ﷺ مهمة التبليغ، ومن هنا يقتضي الأمر إرسال البعوث، ومكاتبة الرؤساء والأمراء، ودعوتهم إلى الله، ولا شك أن هذه الفئة من الناس تحتاج إلى منهج، بل مناهج، وما قد يجدي مع هذا قد لا يصلح مع ذاك، وقد كان في هذه الفترة دولتان عظميان، هما الفرس والروم، وكان الفارق شاسعا بين الدولتين من حيث الديانة، ولا بد أن تختلف لغة الخطاب بين الدولتين، وقد كان الرسول ﷺ فطنا لذلك مستوعبا له أشد الاستيعاب، ويبدو ذلك واضحا في اختيار مبعوثيه ومحتوى الرسالة، وحين يخاطب الرؤساء والأمراء كان ﷺ يحفظ عليهم ما يرغبون في بقائه من الفخامة والأبهة وحب العظمة، فكانت جل الكتب المرسلة إليهم تحوي هذه الألفاظ صراحة، «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأكارين (٤). ولم تغفل هذه الكتب ما يدور في خلد هؤلاء الملوك من حيث تساؤلهم ما مصير الملك والمنصب؟ فيأتي الكتاب مطمئنا لهم بأن الدين الإسلامي لن يقف حائلا في وجوههم نحو بقاء سلطانهم، ويبدو ذلك واضحا في كتابه ﷺ إلى أمير دمشق: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك» (٥).

## القيادة وفن اختيار المناسب

لم يفت الرسول ﷺ أن يتخير من الصحابة الرجل المناسب، ليقوم سفيرا عنه ﷺ، ويحسن التصرف مع المواقف الطارئة التي قد تحدث، ومن أروع الأمثلة على ذلك، رد حاطب بن أبي بلتعة على المقوقس، حين سلمه كتاب رسول الله ﷺ فقال له متسائلا: ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال حاطب: ما منع عيسى - وقد أخذه قومه ليقتلوه - أن يدعو الله عليهم فيهلكهم؟ فقال المقوقس: أحسنت. أنت حكيم جاء من عند حكيم (٦). ولنتأمل كيف رد حاطب على المقوقس بثقافته نفسها التي يعرفها، فهو قبطي يعتنق المسيحية، ويعلم ما ذاقه المسيح عليه السلام من ويلات في سبيل دعوة الناس إلى عبادة الله.

## الداعية لا يتجاهل أحد

من المجتمع طرف ظل على ملة آبائه فلم يستجب للدعوة الإسلامية، ولم يتجاهل الرسول ﷺ هذه الفئة، بل تعامل معها، وسن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصب والتغالي... وعقد مع اليهود المعاهدات التي تبيح التعاون الخالص بين الطرفين، لنشر السكينة، والضرب على أيدي العادين ومدبري الفتن أيا كان دينهم، وكان الرسول ﷺ يحرص في معاهداته مع الآخر على الإشارة إلى أن حرية الدين مكفولة، وأنه لا إكراه في الدين (٧).

## الحكمة والإقناع بالحجة

وعلى الطرف الآخر نجد المنكرين لبعض التشريعات، أو الخارجين على القيم النبيلة، التي يغار عليها رب العباد، وقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في علاج المواقف الحرجة بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد روي أن جاءه شاب يستأذنه في إباحة الزنا، وقد أقبل عليه الصحابة فزجروه، لكن الرسول ﷺ استطاع أن يكبح جماح شهواته، ويقتل فيه طيش نزواته، من خلال وضعه في هذا الموقف، وقال له: «أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه وحصن فرجه، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» (٨).

**الهوامش**

١- فقه السيرة، محمد الغزالي، ص:١٠٣.
٢- السابق، ص:١٠٣.
٣- السابق ١٠٤.
٤- أي الفلاحين.
٥- فقه السيرة، محمد الغزالي، ص:٣٦٩.
٦- فقه السيرة، ص:٣٧٠.
٧- ينظر: فقه السيرة، ص:١٩٤-١٩٦.
٨- المسند للإمام أحمد ٥/٢٥٦-٢٥٧، والنور الخالد، ١٤٥-١٤٦.

**ثبت المصادر والمراجع**

- فقه السيرة، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، ط١/١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- المسند، للإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ترقيم محمد عبدالسلام الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ.

السنوسي محمد السنوسي
باحث دراسات إسلامية

# السنة المطهرة.. ترسم معالم النجاة



**الإنسان في رحلته في الحياة عابر سبيل، ومرتحل غير مقيم، وضيف يعرف أن له حقوقا ووقتا من حقه أن يتمتع بهما ولا يتجاوزهما.. ولذا، فهو - في الفهم الصحيح، والسلوك القويم- ينبغي أن يتعامل في حياته الخاصة والعامة على هذا الأساس.. فلا يظن نفسه مخلدا، ولا يعتقد أن من حقه أن يتخطى ما منح له من مواهب وقدرات، فيشرع لنفسه، ويحدد لخطواته المنهج والطريق.**

وفي هذه الرحلة العابرة، مهما طالت في نظر البعض، يحتاج الإنسان إلى المنهج الذي يدله على ما ينبغي فعله وما لا ينبغي، ويحتاج إلى قدوة عملية يضعها نصب عينيه، بحيث تمثل له بسلوكها وحياتها التطبيق العملي للقيم، والمبادئ التي ينبغي عليه أن يلتزم بها.

ومن هنا، كانت أهمية «الرسالات الإلهية» التي أنزلها الله تعالى لخلقه على فترات متتابعة ثم ختمت برسالة النبي محمد ﷺ.. وكانت أهمية «الرسل»، عليهم جميعا الصلاة والسلام، الذين يرسمون بحياتهم معالم النجاة، ويقدمون النموذج العملي للقيم.. هذا النموذج الذي ينبغي أن نحتذيه ونتمثله ونقتدي به.

لم يخلق الله تعالى الناس عبثا، ولن يتركهم سدى، بل خلقهم لغاية هي عبادته، وحدد لهم أجلا لا ريب فيه هو يوم القيامة؛ ليجازي المحسنين بإحسانهم، ويعاقب المسيئين بإساءتهم.

وحتى يقوم الناس بهذه الغاية، ويستعدوا لذلك اليوم، أنزل الله تعالى إليهم رسالاته التي جعلها «هدى ونورا»، فهي «هدى يهدي للحق، ونور يبين ما استبهم من الأحكام» (١).

وقد جاءت هذه الرسالات لتقوم بدورين في حياة البشر، كما يوضح الشيخ محمد الصادق عرجون. فالدور الأول للرسالات الإلهية دور قيادة وتعليم، ومجالها في هذا الدور هو الحقائق الكلية والمعارف العليا، فهي التي تنبئ عن الغيب، وتتحدث عن الخالق ونعوت كماله، وعن فيض الحياة من خزائن رحمته، وعن الوحي

**العقل والعلم البشري لا يغنيان عن هداية الرسل**

والنبوة، وعن الحياة الأخرى وما فيها من ثواب وعقاب. فالعقل الإنساني في هذا الدور يجب أن يكون خاضعا للرسالات الإلهية، آخذا عنها، وهي التي تمده وترشده وتهديه، فإذا استجاب لها أمن العثار والزلل، وإذا تأبى عليها وقع في أغلال الغرائز.

وأما الدور الثاني للرسالات الإلهية، كما يقول الشيخ عرجون، فهو دور مؤاخاة العقل ومظاهرته، حتى يتغلب على جموح الغرائز، ويكفكف من حدتها، ويطامن من غرورها، ويقلل من اندفاعها، ويوجهها وجهة صالحة دون كبت يميتها أو انطلاق يفسدها.

ومجال هذا الدور هو الحياة الواقعية التي يحياها الأفراد والمجتمعات، وتنظيم علاقاتهم على أسس من العدل والثقة والمحبة. والعقل الإنساني، في هذا الدور، يجب أن يكون هو المسيطر على الغرائز، يقودها بحكمته ويوجهها بسياسته، والرسالات الإلهية هي

المرشد العليم، والمستشار الأمين، والناصح الحكيم، وعلى ضوء إرشادها ونصحها ومشورتها يسير العقل في طريقه، مؤديا واجبه على أكمل وجه في الحياة (٢).

ولذا، يؤكد الشيخ محمد رشيد رضا أن «العقل والعلم البشري لا يغنيان عن هداية الرسل»؛ لأن «بين هداية الأنبياء وحكمة الحكماء وعلومهم فروقا في مصدر كل منهما، وفي الثقة بصحته، وفي الإذعان لحقيقته، وفي تأثيره في أنفس جميع طبقات المخاطبين».

ويوضح رشيد رضا أن «حكمة الحكماء وعلومهم آراء بشرية ناقصة وظنون، لا تبلغ من عالم الغيب إلا أنه موجود مجهول، وهي عرضة للتخطئة والخلاف، ولا يفهمها إلا فئة مخصوصة من الناس، وما كل من يفهمها يقبلها، ولا كل من يقبلها ويعتقد صحتها يرجحها على هواه وشهواته؛ إذ لا سلطان لها على وجدان العالم بها، فلا يكون لها تأثير الإيمان وإسلام الإذعان والتعبد؛ لأن النوع البشري يأبى طبعه وغريزته أن يدين ويخضع خضوع التعبد لمن هو مثله في بشريته، وإن فاقه في علمه وحكمته، وإنما يدين لمن يعتقد أن له سلطانا غيبيا عليه بما يملكه من القدرة على النفع والضر بذاته، دون الأسباب الطبيعية المبذولة لجميع الناس بحسب سنن الكون ونظامه» (٣).

فالرسالات الإلهية جعلت هدى ونورا، ورسمت للعقل الإنساني طريق رشده ورشاده، ودلته على سبل التعامل مع غرائزه، دون كبت أو انحراف؛ حتى تتحقق له السعادة في الدنيا، والنجاة يوم القيامة.

### رسل الله.. مبلغون وقدوة

وإذا كان هذا شأن الرسالات التي شرعها الله لعباده، فإن هذه الرسالات تحتاج إلى من يبلغها للمخاطبين بها، وتحتاج أيضا إلى من يكون تطبيقا عمليا لها في حياته الشخصية، وفيما يقيمه من نموذج دعوي بين قومه.. على أن يكون مبلغو هذه الرسالات من جنس المخاطبين بها؛ حتى يمكن الاقتداء بهم، ولا يتحجج أحد بأنه لا طاقة له على الاقتداء بمن ليس من جنسه.

فوظيفة الرسل الدعوة والبلاغ، وسلوك كل الطرق والوسائل التي توصل نور الوحي للناس، وتجعله مبذولا لهم بوضوح وبيان.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ (إبراهيم:٤)، وقال أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ (المائدة:٦٧).

ولو كان الرسل من جنس غير البشر، كالملائكة، ثم طلب من الناس أن يقتدوا بهم في صبرهم وجهادهم، وفي عبادتهم وحسن خلقهم، وفي غير ذلك من مشاق التكاليف، لقال أحدهم: كيف لنا أن نقتدي بمن ليسوا من جنسنا، ويقدرون على إتيان ما لا نقدر عليه؟

ومع هذه الحقيقة الناصعة شنع الكفار على بشرية الرسول ﷺ، وجعلوها سببا في النفور من طاعته، والاستجابة لما يدعوهم إليه، فقال بعضهم لبعض: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ ﴾ (المؤمنون:٣٣-٣٤).

**الرسول ينبغي أن يكون من نوع المرسل إليهم**

وقالوا أيضا: ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧ ﴾ (الفرقان:٧).

فرد عليهم الله تعالى بأنه لو أنزل إليهم ملكا، أو لو أنزل ملكا مع النبي محمد ﷺ لجعله في صورة رجل، ولوقع المكذبون -حينئذ- فيما فروا منه، وهو اتباع رسول من البشر، فقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ٩ ﴾ (الأنعام:٩).

جاء في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية: «أي: لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا، لكان على هيئة الرجل؛ لتمكنهم مخاطبته، والانتفاع بالأخذ عنه؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من شدة النور، ولو كان كذلك لالتبس عليهم الأمر كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة الرسول البشري. وهذه الآية الكريمة تدل على أن الرسول ينبغي أن يكون من نوع المرسل إليهم، كما أشار تعالى إلى ذلك أيضا بقوله: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ٩٥ ﴾ (الإسراء:٩٥) (٤)».

### السنة النبوية.. أسوة وحكمة

الآن، وقد عرفنا ضرورة إرسال الرسالات للبشر، وأن العقل لا يستغني عن نور الوحي، وعرفنا أهمية وجود رسل يحملون هذه الرسالات، ويكونون من جنس المدعوين، حتى يقدموا لهم

نموذجا عمليا للمبادئ والقيم التي عليهم الامتثال لها والالتزام بها.. فإننا بالتالي ندرك أهمية السنة النبوية ومكانتها من رسالة الإسلام.

فالسنة النبوية، وهي أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية، وأخباره قبل البعثة وبعدها (٥)، ترسم للمسلم معالم النجاة، دنيا وآخرة، فردا ومجتمعا، وتقدم له صورة مفصلة عن النموذج الذي يريده الإسلام ويدعو إليه، فالنبي ﷺ أكمل الناس خلقا، وأزكاهم نفسا، وأقربهم إلى الله تعالى، وأعلمهم بمراده.. فمن أراد أن يعرف الإسلام حق المعرفة، وأن يراه نموذجا متجسدا في دنيا الناس فليقرأ سنة النبي ﷺ المطهرة، وليطالع سيرته العطرة، وليعرف تفاصيل حياته الشريفة.

وحين سأل سعد بن هشام بن عامر، السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ، أجابته: «ألست تقرأ القرآن؟ فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» (٦). قال النووي: «قولها (فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن) معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته». أي إن النبي ﷺ هو المثال والنموذج والقدوة، أو بتعبير القرآن نفسه: «الأسوة الحسنة»: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب:٢١).

وإن مما يدل أيضا على مكانة السنة النبوية وأهميتها، أن الله تعالى سماها «الحكمة»، وذكرها مقرونة بالكتاب، أي القرآن، وذلك في معرض الامتنان والتفضل على نبيه ﷺ، وبالتالي علينا نحن المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء:١١٣).

وقال في موضع آخر، موجها الحديث لنساء النبي ﷺ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ (الأحزاب:٣٤).

قال الشافعي رحمه الله: «فذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وهذا يشبه ما قال، والله أعلم؛ لأن القرآن ذكر، وأتبعته الحكمة. وذكر الله منه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز -والله أعلم- أن يقال: الحكمة هاهنا إلا سنة رسول الله، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله افترض طاعة رسوله، وحتم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يقال لقول: فرض، إلا لكتاب الله، ثم سنة رسوله؛ لما وصفنا من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرونا بالإيمان به، فسنة رسول الله ﷺ مبينة عن الله معنى ما أراد: دليلا على خاصه وعامه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله» (٧).

وقال ابن القيم: «أنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله وحيين، وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتاب والحكمة، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (النساء:١١٣)، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ (الجمعة:٢). والكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة باتفاق السلف. وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه، والإيمان به، كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام، لا ينكره إلا من ليس منهم، وقد قال النبي ﷺ: «إني أوتيت الكتاب ومثله معه» (٨).

**تمتاز سنة نبي الإسلام بما لم تمتز به سنة نبي آخر**

## ميزتان مهمتان للسنة

لقد امتازت سنة النبي ﷺ، عن سنن غيره من الأنبياء والمرسلين، بميزات كثيرة.. وهذه الميزات جاءت مناسبة لطبيعة رسالة الإسلام ذاته، من حيث كونها الرسالة الخاتمة، وكلمة الله الأخيرة للبشر إلى قيام الساعة، فناسب ذلك أن تمتاز سنة نبي الإسلام ﷺ بما لم تمتز به سنة نبي آخر.

وإذا شئنا الإشارة الموجزة إلى أهم هذه الميزات، فيمكن أن نختار ميزتي الحفظ والشمول.

### أ - سنة محفوظة

بخلاف الأنبياء السابقين الذين لم تحفظ كتبهم ورسالاتهم، ولم تدون أقوالهم وأفعالهم، إلا بعد وفاتهم بقرون عديدة، وبما لم يتصل معها السند (٩)، مما فتح الباب واسعا لتحريف الكلم عن مواضعه، ولتبديل الأحكام عن أصولها، كما هو واضح من خلال مقارنة الكتب الخاصة بالرسالة الواحدة منها.. بخلاف هذا الحال مع الأنبياء السابقين، فإن سنة النبي ﷺ قد توافرت لها عوامل الحفظ والرعاية والصيانة، شفاهة وتدوينا، وتمحيصا من حيث السند والمتن، واتصالا لسلسلة

الرواة، وتحققا من أمانتهم وضبطهم وحفظهم، ما جعلها سنة محفوظة، تتناسب مع رسالة الإسلام الخاتمة.
فقد كان العرب يتمتعون بذاكرة هي أقوى من الكتابة، وكان الصحابة يعلمون أبناءهم السير والمغازي كما يعلمونهم السورة من القرآن، وبدأ تدوين السنة في حياة النبي ﷺ، وكان لبعض الصحابة صحف معروفة بأسمائهم، مثل صحيفة أبي بكر في فرائض الصدقة، بل كان النبي ﷺ يأمر بالكتابة لشخص بعينه، كما في الحديث الصحيح: «اكتبوا لأبي شاه»، وهو رجل من أهل اليمن، قدم بعد فتح مكة. ثم نشطت حركة التدوين، حتى لم يكد ينتهي القرن الثالث الهجري، وهو عصر السنة الذهبي، حتى توافر للسنة الكتب الستة من الصحاح والسنن، ولم تتوقف الجهود في خدمة السنة النبوية، سندا ومتنا.. وقد فصل العلماء في ذلك، وردوا شبهات المشككين والمتقولين بغير برهان.
ولنا في هذا الصدد أن نتوقف أمام شهادة ليوبولد فايس، الصحفي اليهودي الذي أسلم وتسمى محمد أسد، إذ يقر بـ«الأسلوب الدقيق الذي كان المحدثون الأوائل يستعملونه للتثبت من صحة كل حديث»، موضحا أنه «نشأ من ذلك علم تام الفروع، غايته الوحيدة البحث في معاني أحاديث الرسول ﷺ، وشكلها، وطريقة روايتها».
ويؤكد أسد أن هذا العلم قد استطاع «في الناحية التاريخية أن يوجد سلسلة متماسكة لتراجم مفصلة لجميع الأشخاص الذين ذكروا على أنهم رواة أو محدثون. إن تراجم هؤلاء الرجال والنساء قد خضعت لبحث دقيق من كل ناحية، ولم يعد منهم في الثقات إلا أولئك الذين كانت حياتهم وطريقة روايتهم للحديث تتفق تماما مع القواعد التي وضعها المحدثون، تلك القواعد التي تعتبر على أشد ما يمكن أن يكون من الدقة» (١٠).

## ب - سنة شاملة

الميزة الثانية التي تستوقفنا في هذه الإطلالة الموجزة على السنة النبوية، هي شمولها لحياة النبي ﷺ، بحيث نتمكن من خلالها أن نرسم صورة واضحة المعالم لحياته ﷺ؛ في سلوكه مع الله، ومع الناس، في علاقاته مع أزواجه وأبنائه وجيرانه وأعدائه، في عبادته وجهاده، في سلمه وحربه، في نومه ويقظته، في خلوته وجلوته، في رضاه وغضبه، في حزنه وفرحه، في غناه وفقره، في حله وترحاله.. في كل حال من أحوال البشر، وفي كل شأن من شؤون الحياة.
فعن أبي ذر، قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكر لنا منه علما. قال: فقال ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار، إلا وقد بين لكم» (١١).
وهذا الشمول يحقق للمسلم أن يجد دون عناء نموذجا يحتذيه في كل ما يعرض له، وسبيلا موطأ يصله بمرضاة الله سبحانه، ويكفل له محبته ومغفرته.. ولذا، فقد دلنا القرآن الكريم على أن اتباع رسول الله ﷺ إنما هو طريق لمحبة الله سبحانه، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ (آل عمران:٣١).
ويمكن أن نوجز ما سبق بالقول: إذا كان الله تعالى قد حدد لنا وظيفة النبي ﷺ بأنه أرسله: ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ (الأحزاب:٤٥،٤٦)، فإن سنة النبي ﷺ تقوم في الأمة بعد وفاته مقامه في حياته.. فسنته ﷺ شاهدة، ومبشرة، ونذيرة، وتدعونا إلى الله، وسراج منير.. إنها -حقا- سنة مطهرة، ترسم لنا معالم النجاة.

**الهوامش**

١- تفسير النسفي، سورة المائدة، «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب». وهذا الوصف، وإن كان جاء في القرآن الكريم بحق التوراة والإنجيل -غير المحرفين- فإنه يصدق أيضا على القرآن نفسه، فقد قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء:٩). وقال أيضا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (الشورى:٥٢).
٢- انظر: «محمد رسول الله.. منهج ورسالة، بحث وتحقيق»، محمد الصادق عرجون، ٣٢/١-٣٣، دار القلم، ط٢، ١٩٩٥م. بتصرف واختصار يسير.
٣- «الوحي المحمدي»، رشيد رضا، ص:١٤-١٥، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٨م.
٤- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، الشنقيطي، سورة الأنعام، «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».
٥- يوجد اختلاف في تعريف السنة عند المحدثين والفقهاء والأصوليين، يراجع في مظانه، لكننا نهتم بالسنة هنا باعتبارها سجل حياة النبي ﷺ؛ أي بمعناها عند المحدثين، فهو أوسع الاصطلاحات لتعريف السنة وأشملها.
٦- «صحيح مسلم»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض.
٧- «الرسالة»، الشافعي، ص:٧٨-٧٩، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، ط١، ١٩٣٨م.
٨- «الروح»، ابن القيم، ص:١٠٥، تحقيق: محمد اسكندر يلدا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٢م.
٩- يقول د. موريس بوكاي: إن العهد القديم (التوراة) مجموعة مؤلفات غير متساوية الطول، ومختلفة النوع، كتبت خلال أكثر من تسعة قرون، في لغات عدة، أخذا بالسماع. وكثير من هذه المؤلفات صححت ثم أكلمت، تبعا للأحداث أو الضرورات الخاصة، على مدى أجيال، متباعدة أحيانا بعضها عن بعض». انظر له «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»، ص:٢٨، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٩٠م.
١٠- «الإسلام على مفترق الطرق»، محمد أسد، ص:٩٤، ترجمة د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت.
١١- أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»، من طريق سفيان بن عيينة، عن فطر، عن أبي الطفيل، عن أبي ذر. حديث رقم (١٦٤٧).

متابعة
علاء عبد الفتاح

# مسابقة الفرقان القرآنية ببرلين حفظ وترتيل.. واندماج أيضا


الشيخ طلال هادي مع أحد المتسابقين

انطلقت مسابقة الفرقان القرآنية في نسختها الثانية بالعاصمة الألمانية برلين؛ لتمثل لبنة مباركة في حائط العمل الإسلامي الدعوي، الذي يحمي الأجيال المسلمة، في أوروبا وغيرها، من الذوبان في ثقافة غير مناسبة للقيم الدينية الأصيلة.. مئات من المشاركين والمشاركات وفدوا إلى مقر المسابقة؛ ليتنافسوا يومي ٢٢ و٢٣ أكتوبر الماضي، على حفظ وترتيل كتاب الله، وسط أجواء إيمانية، صهرت جليد الغربة، وشتاء البعد بين الأخلاء.

مدير جمعية الفرقان، غمدان الزعيتري، أكد أن (جائزة الفرقان - المسابقة الكبرى للقرآن الكريم) تسعى إلى أن تكون محطة سنوية، يتنافس فيها المتنافسون على كتاب الله، من ترتيل وحفظ أجزائه، وتعنى الجائزة بجميع الأعمار، وتهدف المسابقة إلى تحفيز الأجيال الجديدة، والتي تعيش في أوروبا، على تعلم وحفظ كتاب الله تبارك وتعالى.

ولفت الزعيتري إلى أنه يشارك في تنظيم هذه المسابقة منظمات إسلامية عديدة، على رأسها جمعية الفرقان لتعليم وتحفيظ القرآن، والاتحاد الإسلامي في برلين، ومسجد دار النور، وقد شارك فيها ٧٢٣ متسابقا في فئات الحفظ المختلفة، وهي المصحف الكامل، أو نصفه، أو عشرة أجزاء، أو خمسة أجزاء، أو جزء واحد، أو فئة الترتيل، مضيفا أنه قد توافد علينا ضيوف كثر من الدول العربية والإسلامية، منها: المملكة العربية السعودية، والكويت، والجزائر، ولبنان، والمغرب، والبحرين، إضافة إلى مشاركات من ١٤ دولة أوروبية، من بينها: ألمانيا، وفرنسا، والنرويج، وبلجيكيا، ودول أوروبية أخرى.

### عرس ميمون

أما نائب رئيس لجنة الفتوى بألمانيا، ورئيس اللجنة الإشرافية لجائزة الفرقان القرآنية، الشيخ طلال هادي، فقد صرح لـ «الوعي الإسلامي» بأن الجائزة في موسمها الثاني انطلقت من قلب العاصمة الألمانية برلين، في قلب

## اتفاقية تعاون مشترك مع «المنابر القرآنية» الكويتية

محمد طه مسؤول دار السلام وحضور مكثف



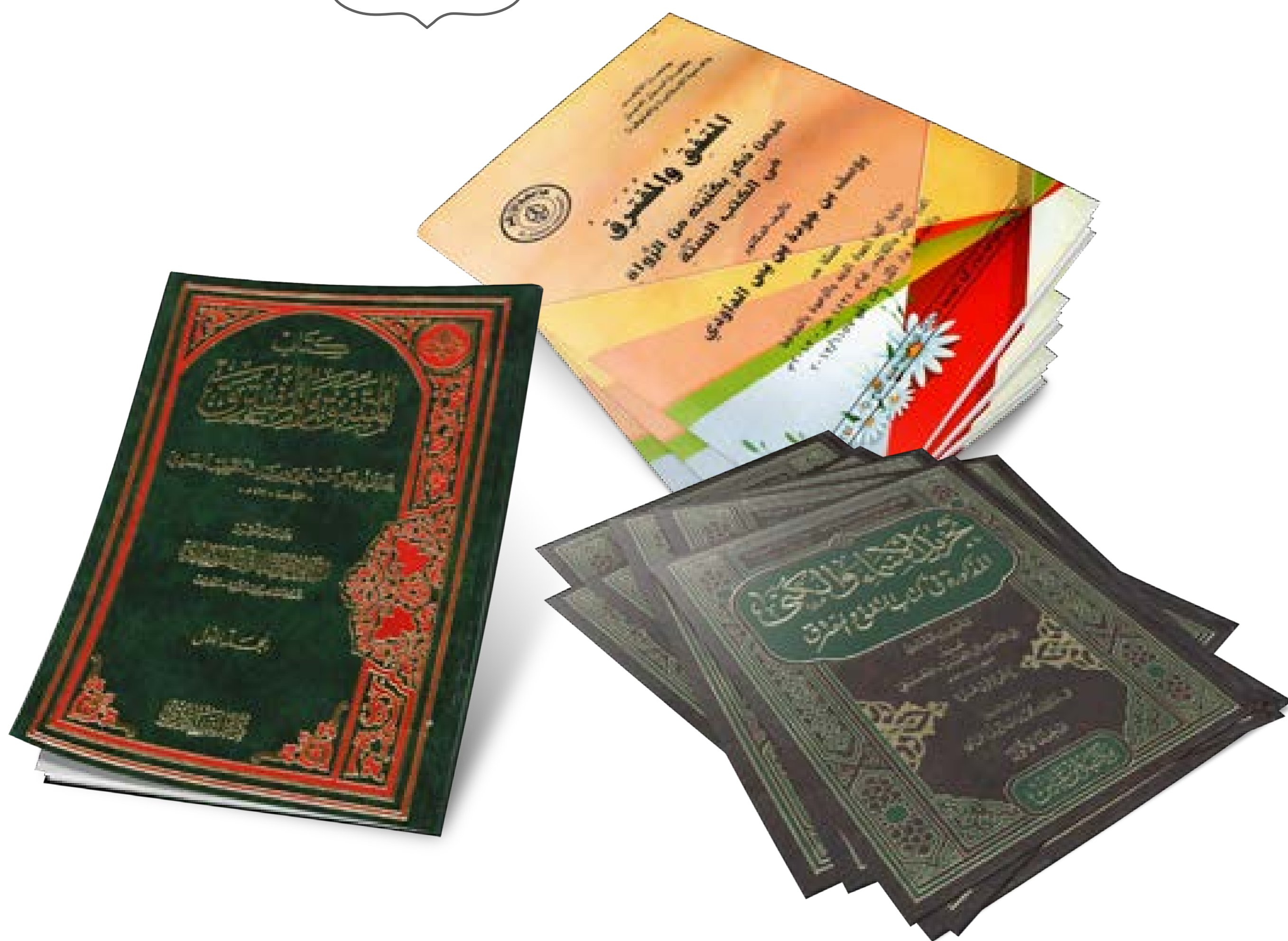

أوروبا، كعرس ميمون تشهده ألمانيا تحت اسم «جائزة الفرقان المسابقة القرانية الكبرى»، معرفا إياها بأنها مسابقة نوعية فريدة، حظيت باهتمام كبير في أوساط المجتمع الألماني، فنحن نهدف، من خلالها، إلى أن تحقق أهدافنا الدعوية في الحفاظ على الهوية الإسلامية لأبناء الجيل الثاني، والشباب المقيمين، مع الاندماج في المجتمع الألماني دون ذوبان.

وأوضح هادي، وهو «دينامو» النشاط في المسابقة، قائلا: دوما نسعى، من خلال هذه الأنشطة القرآنية، إلى توريث القرآن الكريم، في أوساط هذه البلدان الأوروبية، لأبنائنا وغيرهم من المسلمين الجدد، ولم نجد وسيلة تعنى بهذ الشيء إلا كتاب الله عزوجل.

وعندما سألنا الشيخ، طلال هادي، عن خطط الجمعية المستقبلية قال: أهدافنا المستقبلية، التي نسعى لتحقيقها من خلال جمعية الفرقان، ودار السلام ببرلين، كثيرة وعلى سبيل المثال نطمع في المستقبل، أن تكون لنا دورات تربوية تعليمية للقرآن الكريم، باستضافة مشايخ وقراء لهم ثقلهم، وقيمتهم المشهودة، كما تم في هذه المسابقة، ونطمح إلى مزيد من الاتفاقيات الثنائية المثمرة، كما حدث مع جمعية المنابر القرآنية الكويتية؛ حيث أبرمت اتفاقية التعامل المشترك بين الكويت وألمانيا، للعمل المشترك من خلال الطرفين، ولفت هادي إلى أن إيجاد مبنى مستقل للجمعية ووقف خيري يغطي أنشطتها هدف مهم يتمنى تحقيقه.

وختم هادي قائلا: أجدد شكري واحترامي وتقديري لمجلة «الوعي الإسلامي»، كما نشكر دولة ألمانيا، وندعو الجميع هنا في هذه البلاد إلى أن يتعايشوا وفقا لما جاء به الهدي القرآني العظيم.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١٣)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.





## المتفق والمفترق في اسم (الأجهوري)

١- زين الدين الأجهوري (ت: ٩٦١هـ)

هو أبو الفيض زين الدين عبدالرحمن ابن يوسف بن علي الأجهوري المالكي، فقيه مصري، درس وأفتى.

من كتبه: (فتح اللطيف المجيب بما يتعلق بكتاب إقناع الخطيب)، و(القول المصان عن البهتان في غرق فرعون وما كان عليه من الطغيان)، و(شرح مختصر خليل).

توفي بالقاهرة (١).

٢- نور الدين الأجهوري (ت:١٠٦٦هـ)

هو أبو الإرشاد، نور الدين علي بن محمد بن عبدالرحمن الأجهوري المصري، فقيه مالكي، وعالم أديب، من العلماء بالحديث.

ولد بمصر سنة: (٩٦٧هـ).

من كتبه: (شرح الدرر السنية في نظم السيرة النبوية)، و(النور الوهاج في الكلام على الإسراء والمعراج)، و(الأجوبة المحررة لأسئلة البررة) فقه، و(المغارسة وأحكامها)، و(شرح رسالة أبي زيد) فقه، و(مواهب الجليل في شرح مختصر خليل) فقه، و(غاية البيان في إباحة الدخان)، وغير ذلك.

توفي بمصر رحمه الله تعالى (٢).

٣- عبدالبر الأجهوري (ت: ١٠٧٠هـ)

هو عبدالبر بن عبدالله بن محمد الأجهوري المصري، فقيه شافعي ومتكلم.

من مصنفاته: (منحة الأحباب حاشية على شرح تنقيح اللباب لزكريا الأنصاري، و(حاشية على شرح الغاية لابن قاسم)، و(فتح القريب المجيد بشرح جوهرة التوحيد).

توفي بالقاهرة (٣).

٤- أبو المعالي الأجهوري (ت١١٩٠هـ):

هو عطية الله بن عطية البرهاني الشافعي، فقيه، فاضل، ضرير.

من كتبه: (إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه من القرآن)، و(الكوكبين النيِّرين في حل ألفاظ الجلالين) حاشية على تفسير الجلالين، و(شرح مختصر السنوسي) في المنطق، و(حاشية على شرح الزرقاني للبيقونية) في مصطلح الحديث، وغير ذلك.

توفي بالقاهرة (٤).

٥- رضي الدين الأجهوري (ت:١١٩٨هـ)

هو عبدالرحمن بن حسن بن عمر الأجهوري الأزهري، فقيه مالكي، من أهل مصر.

دخل الشام، وزار حلب، وعاد إلى مصر، فدرس في الأزهر إلى أن توفي، من مصنفاته: (مشارق الأنوار في آل البيت الأخيار)، و(شرح تشنيف السمع للعيدروس)، و(الملتاذ في الأربعة الشواذ)، وغير ذلك (٥).

٦- بدر الدين الأجهوري (ت:١٢١٠هـ)

هو عبدالرحمن النحراوي الأجهوري، مقرئ مصري، من مصنفاته: (النكات الحسان على شرح شيخ الإسلام لمقدمة تجويد القرآن)، وهو حاشية على شرح زكريا لمقدمة الجزرية (٦).

٧- نجم الدين الأجهوري (ت:١٢٩٣هـ)

هو أحمد بن أحمد الأجهوري الضرير الأزهري، متكلم، من أجهور (بمصر).

ولد سنة: (١٢٣٧هـ)، وجاور بالأزهر، وصنف وألف.

من مصنفاته: (كتابة على السمرقندية)، و(كتابة على السنوسية)، و(كتابة على جوهرة التوحيد).

توفي بالقاهرة (٧).

---

### الهوامش

١- ينظر شذرات الذهب (٣٢٩/٨)، والأعلام للزركلي (٣٤٣/٣).

٢- ينظر الضوء اللامع (٣٢٤/٦)، والأعلام (١٣/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٠٧/٧).

٣- ينظر شذرات الذهب (٢٤٢/٨)، والأعلام للزركلي (٢٧٣/٣)، ومعجم المؤلفين (٧٧/٥).

٤- ينظر سلك الدرر (٢٦٥/٣)، والأعلام (٢٣٨/٤)، ومعجم المؤلفين (٢٨٧/٦).

٥- ينظر اليواقيت الثمينة (١٩٨/١)، والأعلام للزركلي (٣٠٤/٣)، ومعجم المؤلفين (١٣٥/٥).

٦- ينظر الأعلام للزركلي (٣٤٠/٣)، ومعجم المؤلفين (١١١/٩).

٧- ينظر هدية العارفين (١٨٩/١)، والأعلام للزركلي (٩٤/١)، ومعجم المؤلفين (١٤٤/١).

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

# جامع الراجحي لخدمة رسالة الإسلام (٢-٣)

**يعتبر جامع الراجحي في الرياض - الواقع على الطريق الدائري الشرقي - من المعالم البارزة؛ كونه يصنف من ضمن أكبر الجوامع على المستوى العربي، ولهذا أدرج في قائمة معالم مدينة الرياض التي يزورها ضيوف المملكة المسلمون أثناء زياراتهم للعاصمة.**

فلنكمل تعرفنا على هذا المَعْلم الكبير:

### القاعات والغرف

في الجامع قاعة كبيرة متعددة الأغراض مخصصة للندوات والمحاضرات، وتتسع لـ (١٥٠) شخصا، وقد تمت معالجة جدرانها لتكون عازلة للصوت.

كما يوجد قاعة خاصة لاستقبال كبار الضيوف، والشخصيات.

وألحق بالجامع (٤٩) غرفة استضافة مفروشة ومجهزة بالكامل، وشاملة لدورات المياه والمطبخ.

وللعاملين في المسجد (٢٠) وحدة سكنية بخدماتها الكاملة.

### مغسلة الموتى

تحتوي مرافق جامع سليمان الراجحي على مغسلة للموتى «للرجال، وللنساء»، وتتسع هذه المغسلة لتجهيز (١١) جنازة (٦) للرجال، و(٥) للنساء، مع مراعاة الخصوصية لكل جنازة، وهي مجهزة بما تحتاجه الجنازة من كفن، وسدر، وعطور، وبخور، وقطن، وغيرها، بالإضافة إلى ثلاجة لحفظ الموتى إلى أن يحين وقت تشييعهم، ويقوم على هذه المغسلة فريق كامل من الرجال والنساء الذين يتم اختيارهم حسب شروط مسبقة وإجراءات معينة تخدم هذا العمل الذي يحتاج إلى علم، وأمانة، وسرِّية، كما توفر المغسلة سيارات خاصة لنقل الجنائز من الجامع إلى المقبرة، بالإضافة لتوفير حافلات لنقل المشيعين من الجامع إلى المقبرة وبالعكس.

وفي الجامع مكتب لتسجيل الجنائز، ومكان خاص لاستقبال وضيافة أهل الميت، وإطعامهم، والقيام على شؤونهم.

### التجهيزات والتقنيات

أ- الصوتيات: صمم وفق أحدث المعايير والبرامج الهندسية، حيث يمكن توزيع البث الصوتي إلى حلقات منفصلة.

ب - نظام الترجمة: تم تجهيز الجامع بنظام ترجمة فورية لأربع لغات مختلفة، بالإضافة إلى لغة الإشارة للصم.

ج - نظام تحكم خاص بنظام الإنارة والتكييف آليا حسب أوقات الصلوات وأعداد المصلين.

د - جهزت دورات المياه وأماكن الوضوء بأحدث الخلاطات التي تعمل آليا بالأشعة الحمراء، كما أنشئت محطة معالجة مياه الوضوء وإعادة استخدامها في صناديق الطرد.

هـ - نظام مراقبة لكافة مناطق الجامع بواسطة نظام تصوير مركزي.

و - أحدث أنظمة الإنذار والإطفاء.

ز - تجهيز التمديدات اللازمة للبث التلفزيوني المباشر من مختلف مواقع الجامع، وإمكانية التسجيل من غرفة التحكم للخطب والمحاضرات والصلوات، على الشريط والقرص المرن «CD».



**الشؤون العلمية**

- أهدافها التفصيلية:

١- إقامة برامج علمية عامة في العلوم الشرعية.

٢- إقامة الدورات والدروس المنهجية.

٣- تنمية القيم الأخلاقية وتزكية النفوس.

٤- إعداد الإصدارات العلمية لأنشطة الجامع.

- وحدة البرامج العلمية:

أ- الدروس العامة: يقام في المسجد حاليا عشرة دروس علمية عامة، ودرسان للنساء طوال العام.

ب - الدروس العلمية المنهجية: وهي دروس علمية منهجية في فنون مختلفة كالتفسير، والعقيدة، والنحو، والفقه، والأصول، والحديث...، يشرحها نخبة من العلماء، والأكاديميين المتخصصين.

ج - الدورات العلمية المكثفة والمتخصصة: حيث يقام فيه ما بين (٢-٣) دورات سنويا.

- وحدة البرامج العامة:

١- محاضرة عامة شهريا.

٢- محاضرة للنساء أسبوعيا.

٣- دورات تربوية في مجال قضايا الأسرة وتنمية ومعالجة ظواهر سلوكية معينة في المجتمع.

٤- الكلمات التوجيهية: أربع كلمات أسبوعية بين الأذان والإقامة بمواضيع متنوعة.

٥- برامج الجاليات: بالتنسيق مع مكاتب الدعوة والتوعية الدينية تقام:

أ- أربعة دروس علمية بأربع لغات «أوردو - بنغالي - تاميلي - إندونيسي» طوال السنة.

ب - ثلاثة دروس خاصة للنساء «الجاليات» بلغات متعددة طوال السنة.

ج - ترجمة خطبة الجمعة بثلاث لغات «أوردو - بنغالي - إندونيسي» مباشرة وقت إلقاء الخطبة.

د - ثلاث حلقات لتعليم القرآن الكريم، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٦- برامج الصم:

أ- يتم ترجمة خطبة الجمعة بالتنسيق مع نادي الصم، بحيث يتوافر مترجم لكل خطبة.

ب - إقامة دورة شرعية سنوية بالتنسيق مع نادي الصم، بعدة فنون، وهي: «التفسير - العقيدة - الفقه - الحديث».

## إضافة العلم إلى قائله

قال ابن عبدالبر رحمه الله: «يقال إن من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله» (الجامع، ٩٢٢/٢).
وقال العلامة ابن المبارك رحمه الله: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء» (المجروحين، ٢٢٢/١).
وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إننا في عصر كثر فيه المتكلمون بغير علم، ولهذا يجب على الإنسان ألا يعتمد على أي فتيا إلا من شخص معروف موثوق».

**(لقاء الباب المفتوح، ٣٢/١٦)**

## الخوف

الخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان، وهو علم الوجود والإيقان، وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر، وليس شيء يحرق شهوات النفوس فيزيل آثار آفاتها إلا مقام الخوف. وثمرة الخوف: العلم بالله عز وجل، والحياء من الله عز وجل. وجملته: أن يحفظ رأسه وما حواه من السمع والبصر واللسان، وأن يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل. وأعلى الخوف: أن يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة، لا يسكن إلى علم ولا عمل، ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت، ولا لسبب من أعماله وإن جلت؛ لعدم تحقيق الخواتيم، فقد قيل: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها.

**(الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص:١٥٢)**

## التلخيص

التلخيص أو التحويل المكثف للنص قد ينطوي على التضحية بكثير مما يوجد في النص الأصلي من أمثلة ومناقشات، وأوجه للخلاف في الرأي، كما يقوم على التضحية بالظلال الموضحة للمعنى من أساليب البلاغة وجماليات التعبير في النص الأصلي، وقد توجد في النص المطول درجات متعددة من الحكم على الأشياء، وعند التلخيص قد يختزل ذلك في درجات صارخة من الرفض والقبول، أو الاستهجان والاستحسان، حيث يبدو تكثيف المعاني في التلخيص شبيها بتكثيف الألوان.

**(عبقرية التأليف، ص:٢٠٣)**

## اللغة الكريمة

قال أبوالفتح عثمان بن جني رحمه الله: «وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها وحاد عن الطريقة المثلى إليها، فإنما استهواه واستخف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة، التي خوطب الكافة بها، وعرضت عليها الجنة والنار من حواشيها وأحنائها».

**(الخصائص، ٢٤٨/٣)**

## الدعاء

قال الشيخ العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «الدعاء سلاح الأقوياء والضعفاء، وملاذ الأنبياء والأصفياء، وبه يستدفعون كل بلاء».

**(مجموع مؤلفاته، ٧٣٦/٢٣)**

## طلب العلم

قال الإمام الذهبي رحمه الله: «من طلب العلم للعمل؛ كسره العلم، وبكى على نفسه. ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء؛ تحامق واختال، وازدرى بالناس وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس».

**(حياة السلف بين القول والعمل، ٩٥/١)**

## تعظيم القرآن

عن إبراهيم قال: كان السلف يكرهون أن يذكروا الآية عند الشيء يعرض من أمر الدنيا.
قال أبوعبيد: وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يهم بالحاجة فتأتيه من غير طلب؛ فيقول: «جئت على قدر يا موسى» وهذا من الاستخفاف بالقرآن.
(**جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي**، ١/١٨٨)

## السعادة التامة

قال ابن حزم رحمه الله: «إذا نام المرء خرج من الدنيا، ونسي كل سرور وكل حزن، فلو رتب نفسه في يقظته على ذلك أيضا لسعد السعادة التامة».
وقال رحمه الله: «من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم، ومن كافأ من أساء إليه منهم فهو مثلهم، ومن لم يكافئهم بإساءتهم، فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم».
(**مداواة النفوس لابن حزم**، ص/٢٥)

## أجمعوا واتفقوا واختلفوا

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «أجمعت» الأمة على كراهة صلاة لا سبب لها في الأوقات المنهي عنها، و«اتفقوا» على جواز الفرائض المؤديات فيها، و«اختلفوا» في النوافل التي لها سبب.
(**شرح النووي على مسلم**، ٦/١١٠)

## الرضا

اشتكى ابن أخي الأحنف بن قيس إلى الأحنف بن قيس، رحمه الله، وجع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد!
(**صفة الصفوة**، ٣/١٤٠)

## العمل بين الكثرة والحسن

قال وهيب بن الورد رحمه الله: «لا يكن هم أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه».
وقال المروذي رحمه الله: «قال لي أحمد بن حنبل رحمه الله: ما كتبت حديثا إلا وقد عملت به حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا، فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت».
(**صفة الصفوة**، ٢/٥٣٥؛ **وتهذيب السير**، ٢/٩٢٩)

## ترس المؤمن

نظر رجل إلى سفيان الثوري فقال: يا أبا عبدالله، تمسك هذه الدنانير؟!
قال: اسكت، فلولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك.
وقال سفيان أيضا:
- من كان في يده من هذه شيء فليصلحه، فإنه زمان إن احتاج كان أول ما يبذله دينه.
- كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم فهو ترس المؤمن.
- لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها؛ أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس.
(**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ١/١٦٨)



حوارات

## د. صلاح توقة: الشباب عماد أي مشروع حضاري

أكد الباحث الأكاديمي د. صلاح فضل توقة أن الشباب هم الشريحة الأهم بين مختلف شرائح المجتمع، نظرا لما يتمتعون به من خصائص تجعلهم محط آمال الأمم والشعوب، وقادة المستقبل ورجالاته، وحلقة الوصل بين حاضرهم ومستقبلهم القريب، مشيرا في دراسة له بعنوان «الشباب هموم وطموح» نشرتها «الوعي الشبابي»، إلى أن الشباب هم مرآة المجتمع وانعكاس لحالته، فحركة تطور المجتمعات وتقدمها صعودا على مدارج الحضارة رهن بهم، وفيما يلي أهم ما جاء في الدراسة:



### الإسلام حاضنة الشباب

أشار الباحث في بداية الدراسة إلى أن الإسلام نظرته للشباب تختلف عن نظرة العلوم الإنسانية، فالإسلام بتشريعاته وتعاليمه أوجد البيئة الربانية الحاضنة والمربية لشباب المسلمين، من خلال إحاطتهم بمجموعة من القواعد الهادية والمرشدة لكيفية إعداد وتربية الشباب وتوظيف طاقاتهم وقدراتهم لخدمة الإسلام والمسلمين، ونهضة أمتهم وتقدمها وأهم هذه القواعد:

### أولا - المسؤولية

المسؤولية عن الشباب في المقام الأول تقع على عاتق من يلي أمرهم من الآباء، والمربين، وأولياء الأمور من الحكام والمسؤولين.

ولأهمية المسؤولية عن الأبناء فإنها قائمة وممتدة مع الآباء حتى في لحظات النزع الأخير وقبل أن تبلغ الروح الحلقوم، قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩). وقد ذكر ابن كثير، رحمه الله، في تفسيره قول ابن عباس، رضي الله عنهما، هذا في الرجل يحضره الموت، فيسمعه الرجل يوصي بوصية تضر بورثته، فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله، فيوفقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة.

### ثانيا - التهيئة

تهيئة البيئة الصالحة لتنشئة الشباب تنشئة صالحة تساعد على توفير الظروف والأسباب اللازمة لتربية وتنشئة الشباب تنشئة إسلامية سليمة، والبيئة الصالحة يتطلب وجودها عددا من الشروط، منها:

أ - اختيار الأم الصالحة، ذات الدين، فالأم الصالحة مدرسة تربوية تساعد في تخريج أجيال صالحين نافعين لأنفسهم ولدينهم ولأمتهم.

ب - تحصين الذرية من الشيطان وذلك بالاستعاذة عند الجماع.

جـ - اختيار الاسم الحسن؛ فهو الذي ينادى به في الدنيا وفي الآخرة، وقد حض الإسلام على ذلك ففي الحديث: عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب أسمائكم إلى الله، عبدالله وعبدالرحمن» (مسلم).

د - تعليمهم أمور الدين، وأولها العقيدة السليمة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣). وتعليمهم القرآن الكريم، وعلوم السنة.

هـ - تعهدهم بالنصح والإرشاد بلين ورفق يحببهم في الاستماع إلى النصيحة وتقبلها وتنفيذها، أمرا أو نهيا.

### ثالثا - تعظيم أمر الشباب

إذا كانت هناك مسؤولية تقع على عاتق الأفراد والجماعات تجاه الشباب، فإن الشباب أيضا مسؤولون عن أنفسهم أمام الله، ومسؤولية الشباب عن شبابهم يجب أن تدفعهم إلى الإيجابية في استثمارها بكل ما فيه النفع والصلاح في الدين والدنيا، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (الحاكم).

### رابعا - احتواء الشباب وتفهم مشكلاتهم

تتميز مرحلة الشباب بمجموعة من الخصائص التي تطبع سلوكياتهم بطابع خاص قد يغلب عليه الحدة أو الاندفاع، مما يجعل التعامل معهم ومع مشكلاتهم يتطلب معاملة خاصة، تساعد على احتوائهم وتقبلهم وغمرهم بمشاعر الحب والرحمة، وتفهم ما يمرون به من تغيرات.

ومن أمثلة هذه المشكلات:

أ- الغلو والتشدد.

ب- الانحرافات الجنسية.

جـ - البطالة.

وعلى أي حال، فإن ما نرجوه من خير وصلاح لشبابنا، وما نؤمله منهم مستقبلا، لن يكون إلا بمواجهة ما يعانيه الشباب من مشكلات في الحاضر، وليس من قبيل المبالغة القول إن الشباب في وقتنا الراهن يمثلون هما وحملا ثقيلا على الأمة، لاسيما في ظل ثورة التقدم التكنولوجي التي أسقطت الحواجز وتخطت عاملي المكان والزمان؛ هما في تربيتهم، هما في تعليمهم، هما في توجيههم.. وهذا يتطلب العمل الجاد لوضع خطط وبرامج فعلية لإعداد أجيال من شبابنا معتزة بدينها ومتخلقة بأخلاقه، فالشباب هو الدرع الواقية للأمة.. في قوتهم قوة لها وفي ضعفهم ضعف لها، وهم أمانة في أعناقنا يجب أن نؤديها بحقها، لأن الله سائلنا عنهم.





طور نفسك

# ٤ خطوات تغير عادات جلوسك المدمرة

**القاهرة - الوعي الشبابي**

تشير كل البحوث تقريبا إلى أن الجلوس لفترات طويلة من اليوم يؤدي إلى مشاكل صحية بالغة ومدمرة، فمن الإصابة بالسمنة ومشاكل التمثيل الغذائي، مرورا بأمراض العصر المزمنة كالضغط والسكر وارتفاع نسب الدهون والكوليسترول الضار، وصولا إلى أمراض الأوعية الدموية والجلطات القلبية.. كل هذا ولا عجب من تسمية الجلوس ووصفه بأنه «التدخين الجديد»، في إشارة إلى تدميره لأجسادنا.



وفي تقرير جديد نشرته جريدة «التليغراف» البريطانية، تحت عنوان «هل تجلس طوال اليوم» أشارت خلاله إلى المشاكل الفادحة التي تسببها الوظائف الإدارية والمكتبية التي تدفع أصحابها للجلوس فترات طويلة.

وقدم تقرير الجريدة ٤ نصائح مهمة جدا للتغلب على تلك العادة اليومية، وهي كالتالي:

١- اضبط منبه هاتفك المحمول كل ساعة للمشي ٥ دقائق وتوقف بعدها.

٢- استبدال الوقوف في القطار أو المواصلات بعادة الجلوس وذلك لتنشيط العضلات الخاملة يوميا لفترات طويلة.

٣- لا تعتد الخيار الأسهل بواسطة التكنولوجيا، اصعد لشقتك مستخدما قدميك بدلا من المصعد الكهربائي.

٤- ننصحك بممارسة بعض تمريناتك البدنية وأنت في طريقك للعمل، وكذلك التوقف والمشي ثم التوقف والعدو وأنت في طريقك للمنزل، وباتباع تلك الخطوات الأربع ستكون في غير حاجة إلى الذهاب يوميا إلى صالات الألعاب الرياضية.

أخيرا يجب عليك أن تدرك أهمية ممارسة بعض التمارين بصفة يومية لتحريك وتنشيط عضلات ومفاصل جسمك، والتي لن تشعر بخطورة إهمالها إلا بعد سنوات وسنوات من قلة أو انعدام الحركة بسبب عادة الجلوس.

ناجحون

# «جابر الأحمد الثقافي» يفوز بجائزة «التصميم الداخلي»

**الكويت - الوعي الشبابي**

حقق مركز الشيخ جابر الأحمد الثقافي، التابع للديوان الأميري في دولة الكويت، إنجازا جديدا بفوزه بجائزة أفضل تصميم داخلي لهذا العام في مباني القطاع العام في مهرجان التصميم الداخلي التجاري بدبي. وتعد جائزة التصميم الداخلي التجاري منبرا للإشادة بالمشاريع وشركات التصميم الداخلي والمصممين الذين ساهموا في ترك بصمة في صناعة التصاميم الداخلية على مستوى المنطقة، وما يقومون به من أعمال رائدة تظهر أفكارا أصيلة وإبداعات واسعة وإرادة في الابتعاد عن الأعمال والنماذج المكررة.

ونال تصميم مركز الشيخ جابر الثقافي، الذي أشرف على إنجازه الديوان الأميري إعجاب حكام المهرجان لتميزه بحداثة غير تقليدية في العمارة العربية وألوانها الغرافيتية، واستخدام الأنماط الرمزية والشعرية بطريقة معاصرة وفنية، إلى جانب حصوله على إشادة خاصة في استخدامه المتميز للضوء والظل.

ويضم مركز الشيخ جابر الثقافي مرافق رئيسية تتكون من مركز مسارح ومركز موسيقي ومركز مؤتمرات ومكتبة وطنية للوثائق التاريخية.

ويجسد الهيكل الخارجي للمباني الأربعة، التي يتكون منها المركز، أشكالا هندسية معقدة مستوحاة من العمارة الإسلامية تبدو كما لو كانت جواهر في متنزه وطني كبير.

ويمتد هذا الإبداع أيضا إلى التصاميم الداخلية لكل مبنى من هذه المباني الأربعة، إذ يكتشف الزوار أثناء تفقدهم هذه التحفة المعمارية جواهر التصميم الداخلي الموجودة ضمن جواهر التصميم الخارجي.

ويتميز التصميم الداخلي أيضا باستخدام فن الخط العربي جزءا من الديكور الداخلي، الذي يمتد على مساحة ٨٠٠٠ متر مربع عبر ردهات المباني الأربعة التي تم تصميمها لتكون جزءا من كسوة المسارح وقاعات الحفلات الموسيقية والمكتبات.

وقام الديوان الأميري باقتباس ٧ مقتطفات من أقوال سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح - طيب الله ثراه - يحث فيها أبناء الشعب الكويتي على التطور الثقافي والتنموي لتكون مواضيع كتابة هذا الفن العربي.

يذكر أن فوز مبنى مركز الشيخ جابر الثقافي في فئة مباني القطاع العام بمسابقة هذا العام يأتي بعد فوزه بجائزة أفضل عمارة هندسية وأفضل تصميم داخلي لمبنى قطاع عام في مسابقة العقارات الإفريقية والعربية، وكذلك حصوله على جائزة الجدارة «ميريت» في مسابقة «إي.أن.آر» لأفضل المشاريع العالمية.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي




## سلسلة الذخائر

# المجلة الزيتونية


المجلة الزيتونية
مجلة علمية ادبية اخلاقية
تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

| الجزء الاول | تونس في رجب عام ١٣٥٥ وفي سبتمبر عام ١٩٣٦ | المجلد الاول |
|---|---|---|

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :
المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

رئيس تحريرها :
محمد المختار بن محمود
المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

أمين المال :
المدرس بجامع الزيتونة

مديرها :
الطاهر القصار
المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :
ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :
نهج الباشا رقم ٣٣ تونس

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٣٣ بتونس

ثمن الجزء

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «المجلة الزيتونية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

### التعريف بالمجلة

المجلة الزيتونية: مجلة علمية أدبية وأخلاقية، تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة، وقد صدر أول عدد منها في رجب عام ١٣٥٥هـ، الموافق لسبتمبر عام ١٩٣٦م. وقد أنشأها المدرس في جامع الزيتونة الأستاذ محمد الشاذلي بن القاضي، وتولى إدارتها الأستاذ الطاهر القصار.

### التعريف بصاحب المجلة (محمد الشاذلي بن القاضي)

ولد الشيخ، يرحمه الله، بمدينة تونس يوم ٧ أبريل، سنة ١٩٠١م، من بيت علم ومجد وشرف، فبعد أن حفظ أجزاء من القرآن الكريم، وتعلم بعض مبادئ اللغة العربية، التحق بالمدرسة القرآنية العصرية بنهج سيدي بن عروس، التي تأسست سنة ١٩٠٦م، ثم التحق بجامع الزيتونة سنة ١٩١٥م، فواصل فيها دراسته الثانوية، وتفرغ لطلب العلم.

تتلمذ على يد نخبة من العلماء الأجلاء، منهم: الشيخ محمد بن يوسف، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد العزيز جعيط، والمفتي المالكي الشيخ بلحسن النجار، وقاضي الجماعة الشيخ محمد البشير النيفر.

وبعد أن أنهى دراسته بجامع الزيتونة باشر الشيخ، يرحمه الله، التدريس في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين طوال ٥٥ سنة، ليواصل مسيرة مشايخه رحمهم الله، ناشرا العلوم الشرعية والعربية؛ فتخرج على يديه جموع غفيرة من أهل العلم والمعرفة، هذا بالإضافة إلى أنه تولى الإمامة والخطابة بجامع حمودة باشا المرادي الكائن بنهج سيدي بن عروس بالحاضرة منذ سنة ١٩١٨م.

أسس الشيخ مع نخبة من شيوخ جامع الزيتونة هذه المجلة (المجلة الزيتونية)، وتولى إدارتها بنفسه منذ ظهور عددها الأول في سبتمبر سنة ١٩٣٦م، إلى أن توقفت عن الإصدار سنة ١٩٥٥م، وكان من أهدافها إصلاح التعليم الزيتوني حتى يصبح متماشيا مع روح العصر والتقدم العلمي مع التمسك بالهوية الإسلامية.

### من مؤلفاته

ترك الشيخ، يرحمه الله، آثارا مخطوطة، من أهمها: تأليف في التفسير، وتأليف آخر في التشريع الإسلامي، ومنتخبات من الحديث النبوي الشريف، بالإضافة إلى خطبه الجمعية ومساهماته المنشورة في المجلات الإسلامية، لاسيما المجلة الزيتونية.

توفي الشيخ، يرحمه الله، يوم ٦ مارس سنة ١٩٧٨م، ودفن بمقبرة الزلاج.

### محتوى المجلة

لقد شاركت المجلة في فروع كثيرة من فروع الثقافة والإصلاح، وقد عرضت برنامجها في باكورة إصداراتها، وها نحن نذكره باختصار:

تحتوي المجلة على باب بعنوان: «القرآن الكريم»، يشتمل على مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من مختلف النواحي، ونشر دروس التفسير التي ألقاها بجامع الزيتونة العالم الجليل الأستاذ الأكبر سيدي محمد الطاهر بن عاشور، شيخ الإسلام المالكي في تونس رحمه الله.

وكذلك في المجلة باب بعنوان: «الحديث الشريف»، يبحث فيه عن مسائل علم المصطلح، وتشرح فيه أحاديث تدعو الحاجة إلى شرحها.

وفيه الأختام النفيسة التي يلقيها المشايخ في شهر رمضان من كل عام؛ طبق العادة المتعارف عليها بتونس.

وفي المجلة باب بعنوان: «التشريع الإسلامي»، يبحث فيه عن مقاصد الشريعة وأسرارها، وعن حكمة الشارع - سبحانه وتعالى - فيما فرضه على عباده من التكاليف، وما سنه لهم من التراتيب والنظم.

وقد التزم بالتحرير في هذا الباب العالم المحقق النظار، الذي لا يشق له غبار، الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط، المفتي المالكي.

وفي المجلة أيضًا باب بعنوان: «الفتاوى والأحكام»، فيه جواب الأسئلة التي ترد إلى المجلة من مختلف الأشخاص، وبعض الفتاوى التي صدرت من المشايخ القضاة بتونس، أو من المجلس الشرعي الأعلى بالحاضرة، من قسميه الحنفي والمالكي. وهذا الباب محرر بقلم جميع مشايخ المجلس الشرعي بتونس.

وفي المجلة باب بعنوان: «الوعظ والإرشاد»، وهو من أعظم أبواب المجلة؛ حيث إنه كان مجالا فسيحا لإرشاد الناس وتنبيههم إلى مواقع الخطأ فيما هم سائرون عليه.

وكذلك باب بعنوان: «التاريخ»، فيه أهم المباحث التاريخية، وبالأخص ما كان منها متعلقا أو مرتبطا بتونس من ناحية المعالم أو الوقائع أو الأشخاص.

وباب بعنوان: «الأدب»، فيه مختارات من الشعر التونسي في القديم والحديث ومن غيره... ومباحث تحليلية نقدية في الأدب.

وأيضًا في المجلة باب بعنوان: «الأخلاق»، فيه فصولا عن بيان مكارم الأخلاق وبيان فضائلها وما يتعلق بها.

وقد خصصت صفحة بعنوان: «صفحة الشباب»، إضافة إلى الأبواب التي تدعو الحاجة إليها، كباب الجرائد والمجلات، وباب الحركة العلمية والأدبية في تونس وفي الشرق، وباب تقريظ الكتب، وباب الصحة، وباب المخترعات الحديثة.

وقد اهتمت المجلة بكل هذه الأبواب منذ بداية ظهورها حتى الاحتجاب.

### نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه الدرة الثمينة، وهي في متناول طلاب العلم والمعرفة.

### المصادر


المجلة الزيتونية.
موقع الموسوعة التونسية.
موقع الزيتونة١.
موقع شبكة الألوكة.



في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

# مركزية المسجد في المنهاج النبوي

كان للمسجد دور كبير في بناء الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ، ولهذا كان منطقيا أن أول شيء قام به النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة هو بناء مسجد، وفي هذا دلالة على بداية لتنظيم عمل مؤسس، بحيث شكل المسجد فيما بعد مركز حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية، ومكانا استراتيجيا لبناء صف الدعوة، ومنطلقا لكل الحركات الجهادية، ومنارة لتخريج العلماء والقضاة، والفقهاء، ومجلسا للشورى وللتعاون والأخوة والولاية بين المؤمنين والانتماء إليهم.

هذه صورة عامة عن وظائف المسجد، ومركزيته في عهد النبوة، أما اليوم فلا نكاد نجد له نفس الوظائف، بل أصبح المسجد مثل الإدارة يفتح في أوقات الصلاة فقط، ثم يغلق وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فقدان المسجد روحه وريادته في قيادة الدعوة المحمدية.

ونسأل الله تعالى أن يطهر مساجده حتى تعود للمسجد أهميته كما كان في عهد النبوة.

**● مصطفى بوهبوه**

# اجعل لحياتك معنى

عد بالذاكرة قليلا لتدرك أن ٣٦٥ يوما، هي مجموع أيام العام المنصرم قد مضت، وتأمل قليلا لتكتشف أن ١٤٣٠ سنة قد انقضت منذ أن هاجر نبينا الكريم ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة التي سطع منها نور الدعوة والهداية إلى آفاق العالم.

عندما تتأمل هذا وذاك يبدو لك أن الأيام تمضي بسرعة مذهلة، رغم أن الليل والنهار يتعاقبان بالوتيرة نفسها التي اقتضتها مشيئة الخالق العليم وفقا لدوران الكواكب حول نفسها أو حول بعضها البعض.

لكنك تفيق من تلك الدهشة إذا أدركت أن معنى حياة الإنسان لا يكمن في عدد السنوات التي يعيشها، بل فيما يحققه من إنجاز، وما تركه من أثر، وما أسداه للبشرية من خدمة.

فهناك أناس عاشوا سنوات عديدة لكنهم غادروا الدنيا بالطريقة نفسها التي جاءوا بها في هدوء شديد، دون أن يتركوا شيئا ذا أثر. وعلى النقيض تماما نجد آخرين عاشوا سنوات معدودة، لكن همتهم العالية أبت عليهم مغادرة الدنيا إلا بعد ترك بصماتهم عليها؛ فمنهم من تفقه في الدين أو نبغ في الطب أو الفلك أو العلوم أو الصيدلة أو الفيزياء وغير ذلك من علوم ومعارف؛ خدمة لأوطانهم وصنيعا حسنا عاد على البشرية كلها بالنفع والفائدة. وقد أنجبت أمة الإسلام علماء بارزين؛ كالرازي وابن النفيس وابن الهيثم وابن رشد وابن سينا والبيروني والخوارزمي والطوسي والخازني والإدريسي وغيرهم من صناع الحضارة وفقهاء الأمة. وتحقق لهم ذلك بالعمل الدؤوب والرغبة الصادقة.

وأنت كذلك تستطيع أن تجعل لحياتك معنى إذا أدركت أن الطريق يمر بمحطات الجد والعزم والمثابرة على العمل، فلا تترك وقتك ينفلت منك دون أن تستثمره بالكيفية المطلوبة التي تعينك على تحقيق أهدافك.



**● عبدالرحمن عبداللطيف**



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com



## سؤال الرسول ﷺ عن أصحابه

كان الرسول ﷺ يسأل عن أصحابه (رضوان الله عليهم) عند افتقادهم وغيابهم، فلكل من حضر حظه من الحفاوة والترحاب والرعاية، ولمن غاب حظه من الاهتمام والتفقد، وما أكثر المواقف الدالة على ذلك منها سؤاله ﷺ عن المرأة السوداء التي كانت تُقم المسجد: عن أبي هريرة أن رجلا أسود، أو امرأة سوداء، كان يقم المسجد فمات، فسأل النبي ﷺ عنه فقالوا: مات، قال: أفلا كنتم آذنتموني به؟ دلوني على قبره، أو قال: قبرها، فأتى قبرها فصلى عليها. (رواه البخاري، ومسلم).

ولما فقد ثابت بن قيس رضي الله عنه سأل النبي ﷺ عنه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات:٢)، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت، أشتكى؟»، قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة» (رواه البخاري ومسلم واللفظ له).

إن في سؤال الرسول ﷺ عن أصحابه تقوية للحمة المجتمع، وتعميق للانتماء إلى المسلمين.

● **محمد عباس عرابي**

## الرحمة رابطة الأسرة والمجتمع

خلق الله تعالى الإنسان وبين جنبيه قلب ينبض بالحياة والإيمان، وأوجب الرحمة والمودة والسكينة بين الناس؛ ذلك لأن الرحمة رابطة الأسرة والمجتمع، بها تسير الحياة وتتواصل وتنسجم صحيحة معافة من أي تمزق أو تفكك أو تصدع. كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١).

وقد ذم الله تعالى قساوة القلوب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة:٧٤)، كما نبه الرسول ﷺ كل من نزعت الرحمة من قلبه حين قال للأقرع بن حابس الذي لم يُقبِّل واحدا من أبنائه طيلة حياته: «من لا يرحم لا يرحم» (رواه البخاري).

ومن المعلوم أن من الصفات الشائعة للجماد أنه مجرد من المشاعر والأحاسيس وليس فيه قلب ينبض بالرحمة، حيث يضرب المثل في حالة القسوة بالحجارة كما يضرب المثل للرحمة بالإنسانية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

● **أ. د/ عبد الفتاح محمد العيسوى**

مسك الختام

# الاهتمام بالبراعم سنة واجبة

ما أروع الحديث عن الطفولة، وما أجمل الاهتمام بأولئك البراعم الذين تسر لرؤيتهم القلوب الرحيمة، وتهفو لمداعبتهم النفوس السوية، وكثيرا ما يشعر الإنسان بروعة الطفولة ويحلم، رغم تخطيه هذه المرحلة، بأنه يعيش الطفولة بحلاوتها وعذوبتها وصفائها ونقائها وبراءتها وطهارتها. وعلى ذلك يجب أن نبحث عن صور إسلامية مثلى نقدمها لأطفالنا كي تكون لهم قدوة وأسوة حسنة، فلقد اهتم الإسلام بالطفولة والأطفال، فهم بذرة الحياة ونواة المجتمع، فبقدر العناية بهم وتوجيههم يشرق المستقبل وتتفتح أبواب التقدم والتطور والازدهار، وبمقدار مساعدتهم على استغلال قدراتهم ومواهبهم وطاقاتهم الكامنة، على أساس من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف وقيمه ومبادئه السمحة، وعلى هدى من رسولنا الكريم ﷺ، يرتد عائد ذلك في شكل سواعد مؤمنة قوية قادرة على التشييد والبناء وتعمير الأرض وإقامة حضارة باهرة، قال تعالى:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾ (الأعراف:٥٨).

وإننا لنلحظ كيف أن أهل الباطل يستغلون براءة الطفولة لبث سمومهم وأفكارهم المريضة من خلال المتعة الزائلة وتلبية هوى النفوس الضعيفة، قال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ﴾ (المائدة:٧٧).

وقوله أيضا ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (ص:٢٦).

فيتحول هؤلاء الأطفال إلى قتلة أو مجرمين ومخربين أو تجار مخدرات بدلا من أن تنشأ الأجيال على طاعة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بمضاعفة الجهود والعناية بالطفولة ورعايتها وصيانتها. فنروي لهم قصص العظماء من الصحابة ونشغلهم بهذا، لئلا تحيد عنهم الصورة المثلى والقدوة الحسنة، ولنتبع في تربيتهم ومعاملتهم السلوك الأقوم، مقتدين في ذلك بما فعله الرسول ﷺ. فهاهو في صورة من أجمل وأروع صور الحب واللطف الأبوي في معاملة الأطفال الذين خرجوا مع أهالي المدينة المنورة يوم الهجرة الشريفة، ليستقبلوا الرسول ﷺ بالأناشيد والأهازيج المشهورة ابتهاجا وغبطة بقدوم الصادق الأمين.. وقد ترجم ذلك حديث فتيات الأنصار:

**نحن بنات من بني النجار    يا حبذا محمد من جار**

فيخصهن الرسول ﷺ الوالد الرحيم الحاني قائلا: «إن قلبي يحبكن» (رواه البيهقي)، وكم من مرة رآه المسلمون يقبل الحسن والحسين ويلاعبهما على ظهره قائلا: «نعم الجمل جملكم، ونعم الحملان أنتما» (رواه الطبراني)، كما روي أن رجلا من الأعراب اعترض تقبيل النبي ﷺ للحسن والحسين وقال: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت واحدا منهم. فقال نبي الرحمة ﷺ: «هذا رجل نزعت من قلبه الرحمة» (رواه مسلم) والمواقف النبوية في هذا الشأن كثيرة، وكذلك من حياة صحابته الكرام الذين تخرجوا في مدرسته ومن تبعهم من عظماء المسلمين الذين حملوا لواء الإسلام ومشاعل الحضارة، ولم ينسوا الأطفال، فعلينا ونحن ورثة هؤلاء الأفذاذ الذين نعتز ونفخر بهم أن نعيد هذه العظمة وتلك الحضارة ونوجه عنايتنا وجل اهتماماتنا لرعاية الأطفال وتقويم سلوكهم، وتهذيب أخلاقهم مستنيرين بهدى الإسلام؛ كي يشعروا بأن ماضيهم مجيد، وليكونوا بحق رجال المستقبل حتى تعود أمتنا كما كانت خير أمة أخرجت للناس.

**أ.د. عبدالفتاح محمد العيسوي**
**باحث تربوي - مصر**

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw




## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

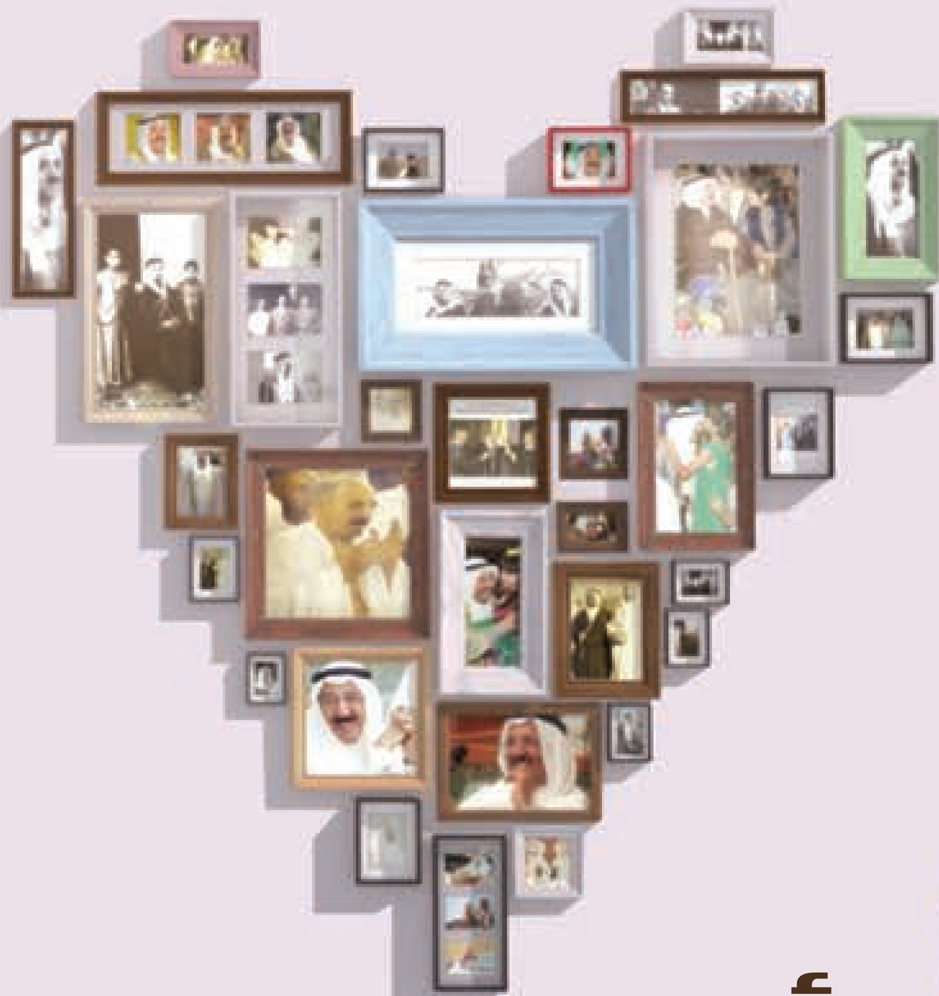
 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني




# أهلا
## فلاشات تلفزيونية

الفكرة والإشراف العام صلاح أبا الخيل

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وروعة العظماء ...
ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء...
أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...



+965 922 54 54 5

RedAwqaf






أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٣٢) ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ - ديسمبر - ٢٠١٧ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

# تَنْمِيَةُ الإِنْسَان

- الأَمْنُ في الإِسْلام
- التَّنْمِيَةُ البَشَرِيَّةُ في زَمَنِ العَوْلَمَة
- مَفَاتِيحُ النَّجَاح

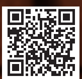
هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (١٦)



مجلة الوعي الإسلامي


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


# جديدنا




**العاشرية في النكاح**

للإمام العلامة مصطفى أفندي القسطموني

ذخيرة علمية ضمن سلسلة ذخائر مجلة الوعي الإسلامي، يسلط مؤلفها الضوء على أهمية الزواج في الإسلام، مع ذكر فضائله وفوائده وآدابه، مبينًا حقوق كل من الزوجين على الآخر، مدعمًا ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن السلف الصالح.

# الافتتاحية



رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

# التزكية أساس التنمية

الحمد لله المتفرد بالخلق والتدبير، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو اللطيف الخبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، السراج المنير، والهادي النذير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن على نهجهم يسير.

أما بعد: فيعد مفهوم التنمية من المفاهيم الحديثة التي شاعت في العقود الأخيرة من خلال الدراسات العلمية، والتقارير التخصصية، التي تعنى بحياة الإنسان، وتسعى إلى إيجاد بيئة أفضل للعيش، إلا أن فكرة التنمية البشرية ليست حادثة على الإنسان، بل هي قديمة بقدم وجوده، فالسعي للتنمية والتطور والنماء ملازم لمسيرة الإنسان في حياته، وقد شهدت الحياة البشرية تطورا في مفهوم التنمية البشرية حتى استقر إلى ما صار يعرف بأنه: «عملية واسعة وشاملة ومستمرة، ومتعددة الجوانب، لتغيير حياة الإنسان، وتطويرها إلى الأفضل».

وإذا كان الإنسان هو مرتكز التنمية البشرية في الدراسات الحديثة؛ فإن الإسلام قد سبق كل الرؤى لذلك؛ إذ إن اختيار الإنسان لحمل الرسالة الإسلامية جعله المحور الذي تقوم عليه عملية البناء والتنمية والتطوير في المجتمعات الإسلامية، فهو الحامل للأمانة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب:٧٢)، وهذا الحمل للأمانة يقتضي استعدادا لدى الإنسان المسلم لذلك، وهو ما تتجه إليه الرؤية الإسلامية لمفهوم التنمية البشرية.

لقد حملت النصوص والمصادر الإسلامية العديد من المصطلحات التي تعنى بموضوع التنمية وتحث عليه، ومن ذلك قوله سبحانه عن النفس البشرية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٩-١٠). وقال العلامة السعدي، رحمه الله، عن تزكية النفس: «أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع، والعمل الصالح» (تفسير السعدي:٩٢٦/١).

فالتزكية هنا بمعنى النماء والزيادة، والصلاح والطهر، وهي المعاني التي تتضمنها التنمية بمفهومها الإسلامي؛ إذ ليس المقصود هو الزيادة فقط، بل المقصود أن تكون هذه الزيادة صالحة ونافعة. وقد كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم، وعذاب القبر» (رواه مسلم:١٨٧١).

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى الإعمار، الذي هو أصل التنمية، في قوله سبحانه: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١). قال العلامة ابن كثير: «استعمركم فيها، أي: جعلكم عمارا، تعمرونها وتستغلونها» (تفسير ابن كثير:٣٣١/٤).

وقد شرح العلامة القرطبي معنى الإعمار بقوله: «أي جعلكم عمارها وسكانها، والاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب» (تفسير القرطبي:٥٦/٩).

ولا شك أن عمارة الأرض تتطلب عنصرا فاعلا ومؤثرا وهو الإنسان، إذ لا يمكن أن تتم عملية الإعمار إلا بإنسان قادر ومهيأ بالإيمان، والعلم والفكر، والمهارة التي تمكنه من القيام بعملية الإعمار، وهذا لب التنمية البشرية، التي ترتكز على تطوير الإنسان بجميع مكوناته؛ النفسية والعملية.

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٢ | ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
ديسمبر ٢٠١٧م




**المراسلات**


رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




## في هذا العدد





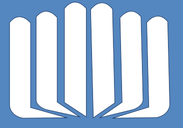

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهم • تونس: دينار واحد تونسي.



## المحتويات





## كلمة العدد

# تنمية واجبة

وظيفة الإنسان، كما حددها الإسلام بوضوح، هي عبادة الله وتعمير الأرض بالعلم النافع، فقد علّم سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلها قبل أن يعلن هذا الإعلان السماوي للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠).

ولكي يقوم الإنسان بهذه المهمة عليه - فيما عليه من مهام - أن ينمي ذاته بالعلم والخبرات المكتسبة.. ولما كان التطور هو سنة الحياة، ولما كان الواقف في مكانه هو العاجز أمام رياح الحركة التنموية، فقد أصبح لزاما على كل فرد النظر في أحواله ومراجعتها ثم الاستزادة من كل مقومات العمل الصالح الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض.

وها نحن نسمع ونرى دورات عديدة في التنمية البشرية والإدارة والقيادة تنظمها مؤسسات وجمعيات أهلية ومراكز ثقافية، تهدف جلها إلى تقديم هذه الخدمة المهمة، لكن يبقى السؤال المحير: لماذا لا نخصص بعض وقتنا ونكثف من جهدنا لمثل هذه الدورات التي لاشك تطور من الذات وتوسع الأفق وتلحقنا بركب الأمم التي سبقتنا؟!

إنه لواجب على كل فرد فينا تنمية معارفه وقدراته فضلا عن اكتشاف مواضع القوة في ذاته حتى تقوى أمتنا ونعود خير أمة أخرجت للناس؛ قولا وفعلا.

مدير التحرير
فهد الخزي


## الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. أحمد تمام سليمان
باحث دراسات إسلامية



# العالم الحق

**ليس من دور المعلم أن يشعر المتعلم بمكامن الضآلة فيه، فإن ذلك يحبطه، ويدفعه إلى اليأس، وإنما دور المعلم أن يشعر المتعلم بمكامن الملكة لديه، فإن ذلك يسعده، ويدفعه إلى الأمل، فإن الأمل الذي يحدو المتعلم لجدير بجعل العلم حلما جميلا وليس حملا ثقيلا، حتى يصير المتعلم عالما متخصصا في فن، أو عالما موسوعيا في فنون، وعلى أية حال فإن حياة العالم لا تخلو من المتعة، وإن كان ظاهرها المشقة، فالعلم للعلماء كالعافية للأبدان.**

والبدن إن افتقر إلى العافية فلا يصلحه الطموح في مال أو جاه أو سلطة، فكما أن العافية منتهى الأماني للأبدان، فإن العلم منتهى الأماني للعلماء، لذا فالعالم الحق يغنيه العلم فلا يطلب المال، ويزينه العلم فلا يطلب الجاه، ويحميه العلم فلا يطلب السلطة. والعالم الحق يستفتح للعلم كل باب، ويسير للعلم في كل طريق، وتكفيه لقمة تقيم أوده، وخرقة تستر عورته، فما زاد عليه من متاع الدنيا، فهو انتقاص من العلم الذي يحصله.. فمتاع الدنيا انشغال في اكتسابه، وانشغال في إنفاقه، والعالم الحق يزهد عن كل شيء إلا العلم، فالعلم أثمن ما يقتنى وأثمر ما يجتنى.

ولأن التعليم في الصغر كالنقش على

الحجر، فقد امتدح القرآن الكريم أن يشب النشء على العلم، يقول الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ (مريم:١٢)، ويستوحيها رفاعة الطهطاوي فيما جعله شعارا لمجلة «روضة المدارس» قائلا:

**تعلم العلم واقرأ**
**تحز فخار النبوة**
**فالله قال ليحيى**
**خذ الكتاب بقوة**

ولرحلة العلم زاد يجب أن يتبلغ به المتعلم، يجمله الإمام محمد بن إدريس الشافعي، قائلا:

**أخي لن تنال العلم إلا بستة**
**سأنبيك عن تفصيلها ببيان**
**ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة**
**وإرشاد أستاذ وطول زمان**

## تبقى الصحبة

فالعالم الحق يحب الخلوة، ففيها يقرأ المظان وتصير له مع الكتب صحبة، حيث يأنس بصحبة مؤلفيها، فإن كان يقرأ بعيني رأسه، فكأن سمعه يصغي إلى أصحاب هذه الأحرف، وقد حببت إلى العالم مجالسة الصالحين، فإما أن يجلس عند عالم يلتقط ما يتساقط من طيب ثمار علمه، وإما أن يحوطه تلامذته إحاطة الكواكب بالنجم.

## تنزيه مجالس العلم

كذلك فإن العالم ينزه مجلسه عن الشبهة، يقول الشاعر أبوالعلاء المعري (من قصيدته أما عرف المقيم بأرض مصر):

**فإن لهذه الدنيا طريقا**
**عليه يمر من قبلي وبعدي**
**ولا تجلس إلى أهل الدنايا**
**فإن خلائق السفهاء تعدي**

ويكفي العالم فخرا أنه يمضي سواد ليله في تسويد دفاتره، إذ إنه ينضِّر قادم حياته بتبييض صحائفه، ففي الأولى عين الله تكلؤه، وفي الأخرى ميزان الله ينصفه، وإن كان كل ذي نعمة محسودا، فالمحسود الحق هو العالم الحق! ولاشك أن للعلم أخلاقا بها ساد الدين في الآفاق وأظهره الله في العالمين..

وطلب العلم قد يتطلب السفر والاغتراب عن الوطن، وكثيرا ما طالعنا صفحات من مجاهدات العلماء فيه تندرج تحت أدب الرحلات، يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعي في فوائد السفر:

**تغرب عن الأوطان في طلب العلا**
**وسافر ففي الأسفار خمس فوائد**
**تفرج هم، واكتساب معيشة**
**وعلم، وآداب، وصحبة ماجد**

ولا ينال العلم من الله إلا بتقواه، يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (البقرة:٢٨٢)، ويشكو الإمام الشافعي سوء الحفظ لأستاذه وكيع بن الجراح، فيرشده إلى طاعة الله، حتى يكون العلم ثمرة هذه الطاعة، قائلا:

**شكوت إلى وكيع سوء حفظي**
**فأرشدني إلى ترك المعاصي**
**وأخبرني بأن العلم نور**
**ونور الله لا يهدى لعاصي**

ولأن العلم مسؤولية فإن العالم يجب أن يتحرى ما يقدحه زناد فكره وما يخطه يمينه، حتى لا تزيغ به الأهواء أو يزل بسببه خلق كثيرون، وقال القاضي عبدالرحيم بن علي البيساني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه، إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، هذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

يقول الإمام الشافعي -ونسبت القصيدة أيضا إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

**وما من كاتب إلا سيفنى**
**ويبقي الدهر ما كتبت يداه**
**فلا تكتب بكفك غير شيء**
**يسرك في القيامة أن تراه**

وقد وعد الحق سبحانه أهل الإيمان والعلم بالرفعة، يقول تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ (المجادلة:١١)، كما قرب نبيه ﷺ حتى بلغ سدرة المنتهى، بعدما اصطفاه لتبليغ شرعه.

والفخر الحقيقي إنما يكون لأهل العلم، وكل فخر عداه هو محض ادعاء؛ لأنه فخر بعرض زائل وكرامة مدعاة، يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذا المعنى:

**ما الفخر إلا لأهل العلم إنهمُ**
**على الهدى لمن استهدى أدلاء**
**وقدر كل امرئ ما كان يحسنه**
**والجاهلون لأهل العلم أعداء**
**ففز بعلم تعش حيا به أبدا**
**الناس موتى وأهل العلم أحياء**

د. خالد الشرقاوي السموني
أستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط



# الأمن في الإسلام

للأمن أهمية عظمى في حياة الفرد والمجتمع، ولهذا أولى الاسلام أهمية كبرى للأمن، فذكره الله تعالى في كتابه الحكيم إلى جانب الغذاء، فقال ممتنا على أهل مكة:

﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾ (قريش:٤). كما ذكر الله تعالى الأمن في سورة النحل قبل الغذاء، فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ (النحل:١١٢).

وبالرجوع أيضا إلى السيرة النبوية، نجد النبي ﷺ قد أشار إلى أهمية الأمن بأن المسلم متى حاز الأمن، فقد حاز الدنيا كلها، فقال ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» (سنن الترمذي).

فقد جعل الأمن المتمثل في حماية الأرواح والأموال ركيزة من ركائز الإيمان، الذي إذا تمكن في القلب، وامتلأ القلب به أوجب لصاحبه الورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم، فالمؤمن من لا يخافه الناس على أرواحهم وأموالهم وممتلكاتهم.

ويعد الأمن مقصدا من مقاصد الشريعة، فقد استقرأ العلماء المقاصد الضرورية فوجدوها منحصرة في حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقد جاء في كتاب «أدب الدنيا والدين» وشرحه «منهاج اليقين» ص ٢٤٧: أن ما تصلح به الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتئمة، ستة أشياء، ومنها الأمن العام، ونصه: «وأما القاعدة الرابعة فهي أمن عام، تطمئن إليه النفوس، وتنتشر فيه الهمم، فتكثر المواد والتجارات، ويؤدي إلى الخصب والمواساة، والتواصل بالمال، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، حتى يستعمل فكره في المهمات، ودراهمه في المعاملات».

فالإسلام جعل الأمن ركيزة أساسية للحياة الإنسانية ولشعوب العالم، لكن كثيرا من الشعوب لا تلتزم بهذه التعليمات السامية التي تكرس معاني

الأمن والسلام التي لابد منها للمجتمع البشري. فالحروب التي نتابعها يوميا والاعتداء الخارجي على أمن الدول ما هي إلا دليل على عدم الامتثال لتعاليم الدين الإسلامي أولا قبل القوانين الدولية.

وجدير بالذكر في هذا الصدد، أن النبي ﷺ كان يوصي أتباعه، في ميدان القتال، ألا يتعرضوا للضعفاء من الشيوخ والمسنين والأطفال والنساء بسوء؛ وألا يتعدوا الحدود التي رسمها الإسلام، فلم يمثلوا بالجثث؛ ولم يسيئوا إلى القتلى، وإن جنح الفريق المقاتل للسلم جنحوا لها، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ (الأنفال:٦١).

ونشير أيضا إلى أن الإسلام قد نهى عن التعرض بالقتال لمن يعرض عنه ولم ينوه، بل تقدم إليهم بالصلح. وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء:٩٠).

وقد كان رسول الله ﷺ رؤوفا رحيما، وقد سماه ربه «رحمة للعالمين» في كتابه الحكيم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧). وحياته كلها تدل على هذه الصفة الجليلة العظيمة ﷺ؛ بل كانت حياته ترجمة عملية لهذه الصفة؛ حيث كان يختار جميع الطرق التي تؤدي إلى حقن الدماء والحفاظ على الحياة الإنسانية والأمن العام.

ومن أهم ما نشير إليه أيضا في فضل الإسلام بخصوص الأمن والسلم، أن المعاهدة المشهورة بـ «صلح الحديبية» (١)، ذلك الصلح الذي وقعه رسول الله ﷺ مع قريش في العام السادس من الهجرة، لدليل قاطع على حرصه الشديد على تجنب الحرب والاقتتال، وأنه كان دائما يجنح للسلم إن هيئت له أسباب إقامة السلام في أي زمان وفي أي مكان.

فالرسول ﷺ وصحابته الأخيار، خلال دعوتهم إلى الإسلام، كانوا يفضلون الأمن والسلم على الحرب، ولا يصلون لقرار الحرب إلا مكرهين؛ متى تعسرت غيره من السبل، فكانوا يدعون إلى الله وإلى دينه الحق بالحسنى، وينشرون الإسلام في ظل الأمن والسلام، فكانوا مقيدين بتعاليم الإسلام السمحة، الرامية إلى حماية الأمن والأرواح والممتلكات.

ولا يفوتنا أن نشير في هذا الصدد إلى أن الإسلام حرم على المسلمين أفعال العنف وأعمال الإرهاب والاعتداء على أمن الناس وأموالهم، وحض على الأخوة والعفو والتسامح والإحسان وعمل الخير والمعروف، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ (آل عمران:١٠٢-١٠٤).

كما أكد الإسلام حرمة الدم البشري، فحرم سفكه إلا بالحق، لا فرق بين إنسان وإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ (الإسراء:٣٣). وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢).

وعلى ذلك، فإن الإرهاب محرم في الإسلام، ويعد جريمة كبرى، نظرا لما ينتج عنه من تهديد لأمن الأفراد والمجتمعات وفقدان الاستقرار، وما يترتب عنه من أضرار مادية ومعنوية تتجلى في الخسائر الفادحة في الأرواح والأموال.

فالإسلام هو دين الرحمة والتسامح، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السبل الكفيلة بتحقيق ذلك بما يساعد على العيش بسلام وأمن وطمأنينة، كما أمر الإسلام بالحوار والدعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب السلمية في الدعوة إلى الله.

ولذلك، ينبغي على المسلمين إعطاء الصورة الحقيقية لهذه المبادئ الحضارية السامية التي يقرها الإسلام، من خلال العمل الصحيح والقدوة الحسنة في علاقتهم مع أمثالهم من المسلمين ومع غيرهم من الشعوب، لإظهار سماحة الإسلام كدين يدعو إلى الأمن والسلام والتعايش والمحبة.

**هامش**

١ - صلح الحديبية، د. محمد أحمد با شميل، ص ١٤٦، دار الفكر ط ٣، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

حاوره محسن عبد الفتاح
مصر

حـــوار مع فضيلة د. محمود عاشور وكيل مشيخة الأزهر الأسبق

# الحج قديما .. تراث إسلامي غائب



**الحج يمحو الخطايا ويكفر السيئات والذنوب كما جاء في حديث أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري)، ومن يطلع على صفحات التاريخ يجد غنى واسعا لمادة طرق الحج قديما وآثاره التاريخية والحضارية وسيجد الكثير مما كتب عن قوافل الحجيج والرحلات الحجازية، خاصة في كتب المسالك والممالك والجغرافيا والتاريخ وكتب المدن الإسلامية القديمة. يذكر أن أقدم ما ألف حول مسالك طرق الحج كتاب «المناسك وأماكن وطرق الحج ومعالم الجزيرة العربية» لإبراهيم بن إسحاق الحزبي، وفيه سرد جغرافي يشير إلى الطرق المؤدية إلى مناسك الحج من الأماكن المجاورة لها.**

**عن فريضة الحج ومنافعها قديما وحديثا حاورنا فضيلة الدكتور محمود عاشور أحد أبرز مشايخ الأزهر الشريف ووكيله الأسبق فطاف بنا حول معاني الحج وغاياته وجال بنا في طرقه القديمة وفاض علينا بومضات روحانية جليلة.**

**كان لقوافل الحج البرية في القديم دور مهم في نقل المعارف وتفاعل الثقافات رغم اختلاف قدرات أفرادها العلمية، فهل لنا أن نتعرف على الدور الحضاري الذي كانت تؤديه هذه القوافل البشرية وهي في طريقها لأداء فريضة الحج؟**

كانت قوافل الحج قديما بمنزلة مجمع ومؤسسة حضارية متنقلة تختلف مشارب أفرادها وتتنوع ثقافاتهم وتتمايز مستوياتهم العلمية، كذلك الحال مع من يلتقون بهم من أهل البادية أو الحضر المقيمين بمحطات الراحة والتوقف للاستراحة، فكانت المنافع الجمة والمنوعة التي أدت إلى تطور المجتمعات الإسلامية على مر تاريخ هذه الحقبة الغنية، والتي كشفت عن مكنونها وثائق التراث وصفحاته المطمورة فأكدت بادئ بدء الدور الحضاري لرحلات الحج قديما في التواصل الإنساني وتعايش الحضارات، وإبراز دور الإسلام الحضاري في إعلاء القيم والمثل النبيلة.

وكما أخذ السلف الصالح من علماء المسلمين الأوائل عن الحضارات الإنسانية السابقة عليهم من إغريق، ورومان، وفرس، فقد واصل علماء الحضارة الإسلامية المسيرة فأقاموا حضارة إسلامية مزدهرة بالأندلس عاشت ثمانية قرون وهي الأطول عمرا في تاريخ الحضارات الإنسانية تشع بأنوار علومها وضياء ثقافتها على أركان العالم الأربعة، خاصة الغرب الذي أخذ عنها وأضاف إليها ما تنعم به الآن الإنسانية من تقدم وتطور لم يسبق لهما مثيل.

علينا تقليب صفحات التاريخ الإسلامي المضيئة والوقوف على عوامل نهضة الحضارة الإسلامية قديما لاستعادة المكانة التي فقدناها، فليس السلف بأفضل من الخلف أبناء اليوم إلا بالعمل الصالح وتقديس العلم وتقدير

العلماء.
لقد كان لرحلات الحج قديما الأثر الكبير في تشكيل وجدان الشخصية الإسلامية وترسيخ القيم الدينية باعتبار أن فريضة الحج ركن أساسي من أركان الإسلام.

**تـؤدى فـريضـة الحـج كـل عـام في وقت معلوم ومكان محدد، وملابس موحدة وشعائر واحدة رغم اختلاف الجنسيات وتنوع الأعـــــراق، وتـعـــدد الألـسـنــة واللهجات، فما الحكمة الإلهية من ذلك؟**

لقد تنوعت طرق الحج قديما بين البر والبحر، وكان للطرق البرية النصيب الأوفر لحجاج البيت العتيق القادمين من كل فج عميق رغم مشقة طرق البر وطول ما تستغرقه من زمن وما يتعرض فيه أصحابها من أخطار جمة نظرا لانعدام الأمن والأمان في تلك الأيام الخوالي، ومع ذلك كان شوق الإنسان المسلم لأداء الفريضة يجعله يقدم على ركوب المخاطر وتحمل الصعاب والظفر بلذات الفوز وتحقيق حلم العمر، وكما اعتدنا من رحمة ربنا فقد جعل أداء مناسك الفريضة تبعا للشهور القمرية وليست طبقا للتوقيت الشمسي وهو الأمر الذي يؤدي إلى تنوع مواسم الحج سنة بعد أخرى فتارة تأتي صيفا وتارة تأتي ربيعا، وقد تأتي شتاء أو خريفا، وبالتالي تتنوع الأجواء وتختلف المتاعب والمشاق.
إن شعيرة الحج ومنذ فرضت، وجميع المسلمين يتوقون شوقا لأدائها، وبالتالي فهي فريضة موحدة لكل المسلمين في زمان ومكان معلوم، وبزي واحد وطقوس واحدة، فلا التباين الاجتماعي أو الاختلاف المذهبي، أو تعدد اللغات واللهجات بحائل عن أدائها فهي ملتقى المسلمين الأكبر الذي يميزهم عن غيرهم من البشر أصحاب الديانات السماوية الأخرى.
من هنا ينبغي إعادة دراسة طرق الحج القديمة وتسليط الضوء عليها لإبراز الجوانب الثقافية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية باعتبارها إرثا حضاريا يجب الاستفادة منه على المستوى الإنساني عامة وليس الإسلامي فقط.

**حفلت قوافل الحج قديما بدور ثقافي مهم أفاد الحضارة الإسلامية التي سادت في دولة الأندلس - منارة الإسلام في أوروبا - التي امتدت لثمانية قرون زاهرة، هكذا تحدثنا صفحات التاريخ وكتب التراث، كيف ترون ذلك؟**

تحوي وثائق التاريخ الإسلامي الكثير عن ثقافة الحج قديما وآثاره التاريخية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية على المجتمعات الإسلامية كافة، نلمس ذلك بجلاء في كتب التراث والطبقات، وكتب الفقه، كذلك نجده في كتب المسالك والممالك والجغرافيا والتاريخ الخاص بالمدن والمعالم الإسلامية من مساجد ومدارس دينية وزوايا كان لها حضور قوي في طرق الحج ودروبه قديما.
لقد نقل الحجاج في طريقهم – ذهابا وإيابا – العلم والثقافة وأقاموا منارات حضارية تمثلت في مساجد وزوايا دينية عمروها بحلقات الدرس وأخذوا عن شيوخها والمقيمين بها من علوم الدين الكثير وأمدوهم بما يحملون من فكر وثقافة نشأوا عليهما في بيئتهم الأم فكان التلاقح والتبادل ومن ثم الانصهار، بل وأيضا التصاهر والتزاوج مع من التقوا بهم وأقاموا بينهم وتعاملوا معهم، فضلا عن شهودهم أحداثا ومعايشتهم وقائع هامة أثناء رحلاتهم الطويلة فسجلوها في الكتب ودونوها في الرقاع، ونقلوها على رواحلهم زاد مسافر وتحفة قادم من أقدس رحلة، ونتج عن ذلك تراث غني ثمين جدير بالاهتمام والتقدير من أهل العلم والاختصاص مسلمين وغير مسلمين.

**قوافل الحج البرية مؤسسات حضارية وقوافل ثقافية متنقلة**

**وماذا عن طرق الحج للمصريين قديما عبر سيناء إلى الأراضي الحجازية؟**

مع بداية الفتح الإسلامي لمصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه ودخول الإسلام لم يكن هناك طريق موحد وممهد يستطيع أن يستخدمه الحجاج المصريون إلى الأراضي الحجازية، ومع بداية القرن (١٦م) قام السلطان «قنصوه الغوري» بإنشاء أول طريق للحج ممهد ومختصر من مصر إلى الأراضي الحجازية عبر سيناء؛ حيث قام بقطع جبل «عراقيب النجلة» وكذلك قطع «جبل عقبة» ثم قام بتمهيده بطريقة مستقيمة ليصبح بذلك اتجاه درب الحج في خط مستقيم من القاهرة إلى الأراضي الحجازية عبر سيناء مختصرا بذلك الوقت والمشقة أمام الحجاج، كما قام بإنشاء نقاط حراسة على طول هذا الطريق لتأمين رحلة الحجيج ووضع لوحة إرشادية شهيرة بـ «قلعة نخل» توضح الطريق السليم للوصول إلى الأراضي الحجازية والتي مازالت موجودة بوسط سيناء حتى الآن موضحا عليها كيف تم قطع الجبال وتمهيد الطريق بهذه المنطقة ومختومة بخاتم السلطان «قنصوه الغوري».

أ. د. أحمد الحجي الكردي
أكاديمي بكلية الدراسات الإسلامية
جامعة الكويت

**الكذب في اللغة: مصدر قولهم: كذب يكذب، وهو مأخوذ من مادة (ك ذ ب) التي تدل على خلاف الصدق، قال ابن فارس: وتلخيص هذا: «أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق». والكذب في الاصطلاح الشرعي: عدم مطابقة الخبر للواقع، وقيل هو إخبار لا على ما عليه المخبر عنه. وقال ابن حجر: الكذب: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه؛ سواء كان عمدا أم خطأ.**

# موقف الدين الإسلامي من ظاهرة الكذب

والكذب من أشد المحرمات شرعا، وهو أشد من الزنا والسرقة في الحرمة، لأنه يدل على سوء الأصل، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قيل له: «أيزني المؤمن؟ قال: نعم، قيل له: أيسرق المؤمن؟ قال: نعم. قيل له: أيكذب المؤمن؟ قال: لا».

والكذب قد يكون بالأفعال:

يقول الشيخ الميداني: كما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال. فقد يفعل الإنسان فعلا يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل، مثلما تكون المخادعة بالقول، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطرا وأقوى تأثيرا من الكذب في الأقوال. ومن أمثلة ذلك ما حكاه الله لنا من أقوال وأفعال إخوة يوسف عليه السلام؛ إذ جاءوا أباهم عشاء يبكون بكاء كذبا، وقالوا - كذبا -: ﴿يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ (يوسف:١٧)، وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب. فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل.

## الرخصة في الكذب

وقد يرخص في الكذب - على سوئه - لدفع أسوأ منه به، قال رسول الله ﷺ: «لا يصلح الكذب إلا في ثلاثة: الرجل يكذب في الحرب، والحرب خدعة، والرجل يكذب بين الرجلين، ليصلح بينهما، والرجل يكذب امرأة، يرضيها» (إتحاف الخيرة المهرة).

وقال النووي: اعلم أن الكذب يجوز - وإن كان أصله محرما - في بعض الأحوال، بشروط، مختصرها: أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يكن تحصيله إلا بالكذب، فإن كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا، وإن كان واجبا كان الكذب واجبا. كما لو اختفى مسلم من ظالم يريد قتله، أو أخذ ماله، وأخفى ماله، وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه. وكذا الوديعة... إلى أن قال: والأحوط في هذا كله أن يوري. ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا

ليس هو كاذبا بالنسبة إليه، وإن كان كاذبا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب، ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا المجال.

وقال الجاحظ: ما لم يكن لدفع مضرة لا يمكن أن تدفع إلا به، أو اجترار نفع لا غنى عنه، ولا يتوصل إليه إلا به فإن الكذب عند ذلك ليس بمستقبح، وإنما يستقبح الكذب إذا كان عبثا، أو لنفع يسير لا خطر له.

وقال الراغب الأصفهاني: الكذب يكون قبيحا بثلاثة شرائط:

الأول: أن يكون الخبر بخلاف المخبر عنه.

الثاني: أن يكون المخبر قد اختلقه قبل الإخبار به.

الثالث: أن يقصد إيراد ما في نفسه.

ولا يلزم على هذا أن يقال: جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوي، فإن المنفعة الدنيوية ولو كانت ملك الدنيا بحذافيرها - لا تعادل الضرر الحاصل من أدنى كذب، وإنما يتصور ما قلناه في نفع أخروي يكون الإنسان فيه - عاجلا وآجلا - معذورا، كمن سألك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله. فيقول: هل فلان في دارك؟ فتقول: لا. فهذا يجوز؛ لأن نفع هذا الكذب متوقف على ضرره وهو فيه معذور.

وقال الماوردي: وردت السنة بإرخاص الكذب في الحرب وإصلاح ذات البين على درجة التورية دون التصريح به، فإن السنة لا ترد بإباحة الكذب، لما فيه من التنفير، وإنما ذلك على طريق التورية والتعريض، كما سئل ﷺ: ممن أنت؟ قال «من ماء»؛ فورّى عن الإخبار بنسبه بأمر محتمل، وكما في إجابة أبي بكر رضي الله عنه عندما سئل عن الرسول الكريم ﷺ فقال: هاد يهديني السبيل، فظنوا أنه يعني هداية الطريق، وهو إنما يريد هداية سبيل الخير.

### دواعي الكذب وأماراته

للكذب دواع تدعو إليه، وأمارات تدل عليه، ولاشك أن معرفة هذه الدواعي وتلك الأمارات مما يساعد في محاولة العلاج، لأن الخطوة الأولى في علاج أي مرض، تنحصر في معرفة أسبابه وتحديد أعراضه للقضاء عليها والتخلص منها، وقد ذكر الماوردي من هذه الدواعي أو الأسباب أمورا أهمها:

١- اجتلاب النفع واستدفاع الضر، فيرى الكذاب أن الكذب أسلم وأغنم، فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخداع، واستشفافا للطمع.

٢- أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبا، وكلامه مستظرفا، فلا يجد صدقا يعذب ولا حديثا يستظرف، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائزه معوزة، ولا طرائفه معجزة.

٣- أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.

٤- أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى ألفها، فصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة.

٥- حب الترأس، وذلك أن الكاذب يرى له فضلا على المخبر بما أعلمه، فهو يتشبه بالعالم الفاضل في ذلك.

### أما أمارات الكذب فمنها

١- أنك إذا لقنته الحديث تلقنه، ولم يكن بين ما لقنته (إياه) وبين ما أورده للغير فرق عنده، أي أنه يخلط بين ما سمعه منك وما اخترعه من عنده.

٢- أنك إذا شككته في الحديث تشكك حتى يكاد يرجع فيه.

٣- أنك إذا رددت عليه قوله حصر وارتبك، ولم يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين.

٤- ما يظهر عليه من ريبة الكذابين، ولذلك قال بعض الحكماء «الوجوه مرايا، تريك أسرار البرايا» وإذا اتسم بالكذب، نسبت إليه شوارد الكذب المجهولة (أي الشائعات وما في حكمها) وأضيفت إلى أكاذيبه زيادات مفتعلة، حتى يصير هذا الكاذب مكذوبا عليه، فيجمع بين معرة الكذب منه، ومضرة الكذب عليه.

## أنواع الكذب والأسماء الدالة عليه

قال الراغب: الكذب إما أن يكون اختراعا لقصة لا أصل لها، أو زيادة في القصة، أو نقصانا، يغيران المعنى، أو تحريفا بتغيير عبارة.

فما كان اختراعا يقال له الافتراء والاختلاق.

وما كان من زيادة أو نقصان يقال له: مين.

وكل من أورد كذبا في غيره، فهو إما أن يقوله في حضرة المقول فيه أو في غيبته، فإن كان اختراعا في حضرة المقول فيه فهو بهتان. وإن كان في غيبته فهو كذب.

### الحكم الشرعي للكذب

ذكر الإمامان ابن حجر والذهبي أن الكذب (الذي لا رخصة فيه) من الكبائر، وأفحش الكذب ما كان كذبا على الله عزوجل، أو رسوله ﷺ، وقد صرح العلماء أن هذين النوعين (الكذب على الله تعالى والكذب على الرسول ﷺ) من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أن الكذب على الرسول ﷺ في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك.

وقد ذكر الذهبي أن الكذب في الحالتين السابقتين كبيرة، وأن الكذب في غير ذلك أيضا من الكبائر

في غالب أحواله.

### من معاني كلمة «الكذب» في القرآن الكريم

جاء مصطلح الكذب في القرآن الكريم بمعان عدة، منها:

١- بمعنى النفاق: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة:١٠) أي ينافقون.

٢- بمعنى الإنكار: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم:١١) أي ما أنكر.

٣- بمعنى خلف الوعد: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة:٢) أي رد وخلف.

٤- بمعنى الكذب اللغوي:

(ا) ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ (ق:٥)،

(ب) ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ (القمر:٩)،

(ج) ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (سبأ:٤٥)،

(د) ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ (آل عمران:١٨٤)،

(هـ) ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾ (الأنعام:٣٤).

### الآيات الكريمة الواردة في تحريم الكذب

١- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة:٣٩).

٢- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ (البقرة:٤٠).

٣- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (البقرة:٨٧).

### الأحاديث الشريفة الواردة في ذم الكذب

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» (متفق عليه).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان». قال علي: وقال غيره: صفوانٍ يَنْفُذُهُمْ ذلك. فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترق السمع - ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر.. ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى؛ نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهابُ المستمعَ قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض - وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض - فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مئة كذبة، فيصدق، فيقولون: «ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا فوجدناه حقا؟ للكلمة التي سمعت من السماء» (البخاري ومسلم واللفظ للبخاري).

٣- عن عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (البخاري ومسلم واللفظ للبخاري).

### من الآثار وأقوال العلماء الواردة في ذم الكذب

١- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «لأن يضعني الصدق - وقلما يضع - أحب إلي من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل».

٢- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنْ أخِرَّ من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة».

٣- عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أن أروى خاصمته في بعض داره فقال: دعوها وإياها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أخذ شبرا من الأرض بغير حقه طوقه في سبع أرضين يوم القيامة». اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واجعل قبرها في دارها. قال: فرأيتها عمياء تتلمس الجدر. تقول: «أصابتني دعوة سعيد ابن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار فوقعت فيها، فكانت قبرها».

### من مضار الكذب

١- الكذب وسيلة لدمار صاحبه أمما وأفرادا.
٢- الكذب قد يؤدي بصاحبه إلى النار.
٣- الكذب سراب يقرِّب البعيد ويبعِّد القريب.
٤- الكذب يذهب المروءة والجمال والبهاء.
٥- الكاذب لص يسرق العقل كما يسرق اللص المال.
٦- الكاذب مهان ذليل.
٧- الأمم التي كذبت الرسل لاقت مصيرها من الدمار والهلاك.
٨- يورث فساد الدين والدنيا.
٩- دليل على خسة النفس ودناءتها.
١٠- احتقار الناس له وبعدهم عنه.
١١- يمقّت نفسه بنفسه ويحتقرها.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقـام تـشتمـل علـى اسم الكـاتب واسـم المـؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

أ.د. محمد بلاسي
أكاديمي وخبير دولي
مصر

# نعمة الأمن في الدنيا والآخرة

**نعمة وأي نعمة، منة وأي منة، عرفها الملوك فتنازلوا عن عروشهم من أجلها! وفهمها الأحرار فدفعوا أنفسهم ثمنا لها، وأدرك الأغنياء كنهها فبذلوا من أجلها الغالي والنفيس، وعلم أعداء الإسلام مكانتها فأخذوا يحاربون المسلمين بإلقاء الشبهات بينهم؛ حتى ينتشر القلق والخلاف في بلادهم!**

تلكم هي نعمة الأمن، التي أشاد بها النبي المصطفى ﷺ حين قال: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» (رواه الترمذي).

المدلول اللغوي للأمن: الأمن نقيض الخوف، يقال: أمن فلان يأمن أمنا وأمنة وأمانا فهو آمن. والأمنة: الأمن أيضا.

وقد يعني هذا اللفظ (أمنة) شعور الإنسان بالراحة النفسية والطمأنينة بعد الشعور بالقلق والخوف، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ (آل عمران:١٥٤)، ويقول تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ (الأنفال:١١). وهذه حقيقة قرآنية ساطعة؛ فالنوم بعد القلق والاضطراب النفسي يكسب النفس طمأنينة وهدوءا، وقوله عزوجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ (البقرة:١٢٥)، قال أبوإسحاق: أراد ذا أمن، فهو آمن وأمن وأمين. ورجل أمن وأمين بمعنى واحد، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ (التين:٣)،

أي الآمن الذي يستتب الأمن في ربوعه ويكون من بداخله آمنا، ويعني به مكة المكرمة.
والإيمان مشتق كذلك من الأمن؛ فإن كان الأمن يفيد الاطمئنان الظاهري فإن «الإيمان» هو الاطمئنان القلبي والتصديق الفعلي، والمؤمن هو المطمئن إلى ما آمن به وصدق، والإيمان في بدايته تصديق، ثم اطمئنان وسكينة.
وقد ورد لفظ «الإيمان» بمعنى التصديق كثيرا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (البقرة:٢٨٥)، أي صدق الرسول ﷺ واطمأن وكذلك المؤمنون.
وقال عزوجل: ﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ﴾ (آل عمران:١١٠)، أي لو صدقوا.
وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ (التوبة:١٨)، أي من صدق بالله واعتقد بوجوده ووحدانيته. فمادة الأمن إذن تدور حول سكون القلب وراحة النفس والشعور بالغبطة والرضا والاستقرار (١).

### الأمن قوام الحياة

لقد حوى القرآن الكريم المئات من الآيات التي وردت فيها إحدى مشتقات مادة «أمن»؛ لتثبت أن قوام الحياة كلها هو الأمن، الذي هو سبب ازدهار الحياة وجمالها وبشاشتها وحضارتها وتقدمها. من غير الأمن تفقد الحياة نفسها أعظم أسباب وجودها؛ فلا العقيدة الدينية بمستطيعة أن تتنفس في جو مفقود به الأمن، ولا الحرية بشتى صنوفها ولا الآداب والعلوم والفنون.
ولهذا كان الأمن قاعدة كل قواعد المجتمع الإنساني؛ فإذا فقد الأمن فقد المجتمع إنسانيته، فمجتمعات الإرهاب والعبودية والبطش لا نجد فيها بشاشة الحياة، البشاشة الصادقة؛ لأن النفوس الخائفة التي لا يفارقها الخوف تتحول إلى مجتمع حيواني.
ولا أمن ولا أمان إلا في الإسلام؛ فرسالة الإسلام ورسوله الكريم باعثا الأمن المتجدد في نفوس البشر الذين وسعتهم رحمة الله الذي أودعها في دينه القيم وفي رسوله الذي جعله هدى ورحمة للعالمين حتى يكون الأمن في داخل النفس وفي خارجها.
ومجتمع القرآن خير مجتمعات بني الإنسان، وإن هذه «الخيرية» ثابتة ببراهين واقعة. وقد نجد مجتمعات تبدو في بعض مزاياها متقدمة على المجتمعات الإسلامية في كثير من علوم الحياة والحضارة والثراء، ومع ذلك نجد تلك المجتمعات المتقدمة في الحضارة المادية فاقدة الأمن؛ فلا يأمن فيها كبير ولا صغير، ولا قوي ولا ضعيف، بل كل من فيها مهدد على الدوام لا يدري متى تحل به الكارثة تصيب نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه أو أي شيء يخصه! وإن تمتع بعض الناس به في عالمنا اليوم فما له من سبب إلا التمسك بالقرآن، عقيدة وشريعة وآدابا وسلوكا. والأمن في القرآن مبني على أسس الفضيلة والخير والعمل الصالح وتطبيق شرع الله؛ ولهذا كان أمنا أثمر الراحة والاستقرار والتمتع الحلال بنعم الله التي لا تحصى (٢).
وما كانت الحدود التي حدها الإسلام من عقوبات، إلا لتدعيم الأمن والأمان، وسير الحياة مطمئنة ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ (البقرة:١٧٩).
إن القصاص من مقترفي الجريمة الشاذين عن أوامر الإسلام فيه تطهير المجتمع، وردع لمن تحدثه نفسه بالسير على طريقتهم، وأمن المجتمع وطمأنينته، وفي ظل الأمن يباشر كل عمله في الحضر والسفر، فتسير عجلة الحياة، وينتفع الناس، ويعم الرخاء (٣).

### الأمن في الدنيا

إن الأمن والأمان والاستخلاف في الأرض، وعد الله سبحانه وتعالى بها المؤمنين الصادقين في إيمانهم، والعاملين لما أمر الله به من عبادات وجهاد وأخلاق.

**القرآن تضمن مئات الآيات الدالة على أن الأمن قوام الحياة**

**رسالة الإسلام تبعث الأمن في نفوس البشر**

لقد وعدهم الله بأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، ويظهره على الدين كله، إنه الدين الذي ارتضاه الله لهم، حنيفية سمحة، عقيدة مخلصة صافية، وسلوكا حميدا، وعلما ثابتا، وعبادة للخالق وحده، فمن تحلى به ظفر بالأمن في الدنيا والآخرة (٤)، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

يقول المفسرون: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يصبحون إلا في لأمتهم؛ أي سلاحهم، فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عزوجل؟! فنزلت الآية، وهذا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وفي الحديث بشارة كذلك فقد قال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها» (رواه مسلم) (٥).

### صور من الأمن قصها القرآن

أ- دعوة خليل الرحمن: ولقد كان إبراهيم، عليه السلام، حينما دعا ربه بالأمن لبيته الحرام، في دعائه ملهما: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

**الحدود دعائم لأمن المجتمع وطمأنينته**

رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ (إبراهيم:٣٥)، أي اجعل مكة بلد أمن يأمن أهله وساكنوه (٦)، واستجاب الله له دعاءه.

ب- دعوة يوسف: ولمكانة الأمن كانت دعوة يوسف، عليه السلام، لأعز الناس إليه أبويه وإخوته، أن يكونوا آمنين، فعندما قدم يعقوب، عليه السلام، من بلاد كنعان، ومعه إخوة يوسف، قاصدين مصر، ودخل على ولده يوسف بعد زمن طويل، وحزن مرير، وشكاة إلى الله، وبعد أن كف بصره، وبعد أن أبصر عندما جاءه البشير بقميص يوسف، عليه السلام، بعد ذلك كله، دخلوا على يوسف في لقاء يهز العواطف، ويملأ القلب فرحا وسرورا، لقد كان استقبال الولد البار لأبيه، ودعوته له ولإخوته، أن يدخلوا مصر إن شاء الله آمنين، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف:٩٩)، أي اسكنوا مصر آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط، وحقق الله

**من صور الأمن في القرآن دعوة النبي إبراهيم ربه بالأمن لبيته الحرام**

دعوة نبيه؛ فعاشوا في أمن وحياة طيبة، آمنين مطمئنين (٧).

جـ- الأمن في غزوة بدر: وفي غزوة بدر حينما لجأ المسلمون إلى الله، واستغاثوا به، مدهم بألف من الملائكة، وطمأن قلوبهم، وملأها أمنا، وغشاهم النعاس أمنة منه، وطهرهم بماء السماء، وربط على قلوبهم، وثبتهم في القتال، وأوحى إلى الملائكة بأنه معهم فثبتوا الذين آمنوا، وألقى الرعب والخوف في قلوب الكفار (٨). وهكذا عندما يلجأ المسلمون إلى الله، يكون الأمن والنصر، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾ (الأنفال:٩-١٣).

د- غزوة أحد: وفي غزوة أحد، بعدما أصاب المسلمين من الغم ما أصابهم؛ لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ، تتدارك رحمة الله الفريق المؤمن بنعمة الأمن، ويكون ذلك الأمن بالنعاس يغشى طائفة منهم أخلصوا لله ولرسوله، ولم يغش هذا الأمن طائفة المنافقين التي أهمتهم أنفسهم، فلم يهتموا بالقتال ولا برسول الإسلام (٩): ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (آل عمران:١٥٤).

وروى البخاري عن أنس أن أبا طلحة قال: «غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه».

أمن الآخرة: والأمن كما هو نعمة من أجل النعم في الدنيا، فهو من نعم الله في الآخرة، جعله جزاء لعباده المتقين. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (الدخان:٥١)، أي

## أمن الآخرة من أجلّ النعم جعلها الله لعباده المتقين

الذين اتقوا الله في الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم اليوم في موضع إقامة يأمنون فيه من الآفات والمنغصات والمكاره، وهو الجنة؛ ولهذا قال بعده ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الدخان:٥٢)، أي في حدائق وبساتين ناضرة، وعيون جارية ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (الدخان:٥٣)، أي يلبسون ثياب الحرير، الرقيق منه وهو السندس، والسميك منه وهو الإستبرق، ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ (الدخان:٥٣)، أي متقابلين في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض، ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان:٥٤)، أي كذلك أكرمناهم بأنواع الإكرام، وزوجناهم أيضا بالحور الحسان في الجنان، وإنما وصف تعالى نعيمهم بذلك؛ لأن الجنات والأنهار من أقوى أسباب نزهة الخاطر وانفراجه عن الغم، ثم ذكر الحور الحسان لأن اكتمال سعادة الإنسان كما قيل:

ثلاثة تنفي عن القلب الحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن (١٠).

ثم زاد سبحانه في بيان النعيم فقال: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ (الدخان:٥٥). مهما طلبوا من الثمار أحضر لهم، وهم آمنون مطمئنون، غير خائفين، بل متمتعون بالأمن والعطايا، على ثقة من أن هذه المعطيات مستمرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، في حياة دائمة خالدة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (الدخان:٥٦)، أي لا يذوقون في الجنة الموت، لأنهم قد ذاقوا الموتة الأولى في الدنيا فلم يعد ثمة موت، بل خلود أبد الآبدين ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ (الدخان:٥٦)، أي خلصهم ونجاهم من عذاب جهنم الشديد الأليم (١١) ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (الدخان:٥٧).

فاللهم نسألك الأمن في الدنيا والآخرة، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمدلله رب العالمين.

---

### الهوامش

١- لسان العرب، لابن منظور، مادة «أمن». راجع: مجلة «المنهل»: العدد ٣٤٦، شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ.
٢- مجلة «المنهل»، العدد ٣٤٦، ص ٦-٩، بتصرف.
٣- الدين القيم:، د. الحسيني هاشم، ١٢٢/٢، ١٢٣، ط. مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٤٠١هـ.
٤- المرجع السابق، ١٣١/٢.
٥- صفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني، ٣٤٧/١٠، ٣٤٨، ط. دار الرشيد بسورية.
٦- الدين القيم، ١٣٠/٢.
٧- الدين القيم، ١٢٣/٢، ١٢٤.
٨- المرجع السابق، ١٣٣/٢، ١٣٤.
٩- الدين القيم، ١٣٢/٢، وراجع: الكشاف: للزمخشري، ٤٧١/١، ٤٧٢، ط. الحلبي، سنة ١٣٩٢هـ.
١٠- صفوة التفاسير، ١٧٨/١٥، ١٧٧.
١١- الدين القيم، ١٢٨/٢، ١٢٩. وقارن بصفوة التفاسير، ١٧٨/١٥.

محمد المغربي
كاتب صحفي

# ومضات سحرية لتفريج الكروب

**لعل الناظر للواقع الحياتي الإسلامي، يجد أن ثقافة تفريج الهموم، والحزن، واليأس، والقلق، قد أصابها العطب، بل الجمود أحيانا، لاسيما مع توالي نزول المصائب على المرء نتيجة ابتلاء من الله تعالى، وهو من السنن الجارية، التي يقدرها الله تعالى على عباده، والتي ينبغي للمرء التعامل معها تعاملا شرعيا صحيحا، بالرضا أولا بما قدره الله لنا، ثم الشكر عليها ثانيا، والعمل على سرعة التداوي بالأعمال الصالحة وبالاستغفار وعدم اقتراف المعاصي.. وغيرها.**

في البداية، نعرض أنواع الكربات التي تصيب القلوب، فيقول العلماء إنها تنقسم إلى قسمين: كربات نفسية وكربات حسية.

### أولا - كربات نفسية

#### أ - الهم

يقول علماء النفس إنه زيادة في التفكير المستمر في الأشياء، وكذلك التفكير المستمر في كيفية حمل أثقال المستقبل ومسؤولياته. وهو داء نفسي يدخل إلى النفس من خلال وساوس الشيطان للإنسان بعظم الأمور التي تحدث حوله وإن كانت صغيرة. ويعد الهم من الكروب التي يقع تحت وطأتها الإنسان في فترات من حياته، لاسيما إذا انشغل عن دين الله وابتعد عن سنة نبيه ﷺ، وأصبح عبدا لوساوس الشيطان.

لذلك فإن الحل المناسب لتفريج كربة الهم هو أن يقدم الإنسان لله عزوجل عملا صالحا خالصا، أو يعزف الإنسان عن المعاصي التي ورط نفسه في ارتكابها، ويتوب عنها، ويرجع إلى الله يستميل رحمته بقراءة القرآن وكثرة الاستغفار، لعل الله يغدق عليه من رحمته ويمن عليه بإزالة هذا الهم ويسترد عافيته وسويته.

وقد علمنا رسول الله ﷺ كيفية الخروج من الكرب الذي يحل بقلوبنا،

فقال عليه الصلاة والسلام: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب».

وعلمنا أيضا الذي لا ينطق عن الهوى دعاء يقال في لحظات الهم والحزن فقال: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي إلا أذهب الله عزوجل همه وأبدله مكان حزنه فرحا».

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من الهم كثيرا ويحث على هذا الدعاء الذي نردده يوميا في أذكار الصباح والمساء: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال».

## ب - الحزن

يقول علماء علم النفس هو ما يسمى الكآبة، ويكون في الغالب نتيجة حدث معين في الحياة أو مجموعة أحداث مثل: فقدان شخص عزيز لدينا، أو تعرضنا لخسارة مالية، أو مرض. وهو فطرة في النفس كامنة فيها إذا وجدت أسبابها، لا يستطيع أحد التخلص منه إلا بالعلاج القرآني والنبوي، وقد قال رسول الله ﷺ عند موت ابنه إبراهيم: «إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»، وقبل ذلك اشتكى يعقوب، عليه السلام، حزنه إلى الله تعالى عندما فقد يوسف عليه السلام، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ (يوسف:٨٦)، ويجب على الإنسان تجاوز هذه الكربة والتخلص منها سريعا بالرضا بما قدره الله تعالى عليه والانصياع لحكمه.

## ج - القلق

عرّفه بعض علماء النفس بأنه الشعور بالتخوف من احتمال وقوع شيء غامض مكروه. وهو كربة نفسية، والمصاب بها لا يشعر بالأمان والاستقرار في نفسه ولا من حوله، بل يلازمه الاضطراب والتوتر معظم أوقاته، وهذه الكربة عادة ما تنشأ من الوساوس القهرية التي يمليها الشيطان في النفس، نتيجة رؤية مشهد غير مألوف أو حادث مرعب أو الاختلاط مع أناس تمردوا على الأخلاقيات والسلوكيات المعتادة كرفاق السوء من المقامرين والمدمنين للخمور والمخدرات وغيرها، أو تخوف من مستقبل مجهول، فينشأ لدى الإنسان نوع من التناقض الداخلي، وقد توعد إبليس بهذا: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (ص:٨٢-٨٣). فإذا علم الإنسان وقوع الكربة في نفسه وسببها، تمكن من علاج نفسه بنفسه، والتخلص منها. وقد بين الله تعالى طريقة العلاج ووصفه لنا لكي نتجنب كربة القلق، وكان هذا العلاج طاعته سبحانه وتعالى والقيام بالأعمال التي ترضيه عزوجل، والاستكثار من ذكره سبحانه وتعالى في السر والعلن، لقوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)، وفي التفكر العميق في مخلوقات الله وخلق السموات والأرض، والليل والنهار وفي كل آيات الله تعالى الموجودة في هذا الكون الواسع، فهذا التفكر من أسباب إزاحة هم كربة القلق.

## د - الخوف

صنفه العلماء صنفين: إيجابي، وسلبي.

فأما الإيجابي فهو الخوف من الله تعالى وعقابه وعذابه، وهو ضروري للإنسان ومطلوب منه لأنه يحقق العبودية لله تعالى، ويستقيم سلوك الإنسان به ويستقر المجتمع والأفراد، قال جل ذكره: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ (الأنفال:٢).

وأما السلبي فهو الخوف من غير الله، أو الخوف المانع من فعل الطاعات، أو الخوف الجالب لفعل المعاصي، كالخوف من السحرة والدجالين.

وهناك نوع ثالث وهو الخوف الجبلي أو الطبعي الذي لا يترتب عليه فعل معصية أو ترك طاعة، كالخوف من الظلام لمن لم يعتد عليه، وهذا الخوف يكون إيجابيا إذا منع من معصية أو حث على فعل طاعة، ويكون سلبيا إذا كان على العكس من ذلك. ويعد الخوف في صورته السلبية كربة نفسية وبلاء من الله تعالى لقوله عزوجل: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٦). ولهذا النوع من الخوف صور متعددة، كالخوف من الموت أو الخوف من الناس، أو الخوف من المرض، أو الخوف من الفقر، أو الخوف من المستقبل.

وللخروج من كربة الخوف وظلامه، يجب التوجه الصادق إلى الله، واليقين الكامل بأن الله تعالى فوق كل قوة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت:٣٠)، وخير ما يقال في مواضع الخوف وعند نزوله هو: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣)، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار. وقد عالج الإسلام بعض صور هذه الكربة حتى لا يقع فيها الإنسان من خلال الشيطان، وفسر أسباب حالات الخوف، فالخوف من الموت مثلا قد بين الله تعالى حقيقة الموت التي لا مفر منها، يقول عزوجل: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡ﴾ (الجمعة:٨)، وأما الخوف من الناس فإن رب العزة قد أشار إلى أن الخوف الحقيقي يجب أن يكون من الله لا من غيره، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ (المائدة:٤٤)، وكذا أنكر الإسلام الخوف من الفقر؛ لأن الخالق والرازق هو الله، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:٢٢).

### هـ - اليأس

وصفه العلماء بأنه تصور في النفس بفقدان الأمل في التخلص مما تعانيه من ظروف وأحوال، ويعد مرضا وكربة تؤثر في النفس بشكل سلبي دائما فيجعلها تتراجع إلى الوراء، وتسير خلف الركب، وهذا هو مبتغى الشيطان وقمة فرحه، والسبيل الوحيد الذي يخرج المصاب بداء اليأس أن يلجأ إلى الله تعالى بخالص الدعوات، وأحسن الأعمال، ليفرج عنه ما يعانيه، فإن الأمل في رحمة الله وفضله واجب مهما بلغ الإنسان من الذنوب والخطايا، ولا سبيل للنجاة من ذلك إلا هذا السبيل، يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

وجاء في الحديث القدسي الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

ولخطورة كربة اليأس وأثره السيئ على النفس والمجتمع، جاء الدين الإسلامي بالتخلص منه ونبذه ومحاربته، وعد الذين يقطعون الأمل بالله تعالى ويقنطون من رحمته كفارا خارجين عن الملة، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (العنكبوت:٢٣).

## ثانيا - الكربات الحسية

وهي كثيرة، ومنها:

### ١- السجن

السجن مكان مخصص للمخالفين والخارجين على القانون، ولكن أحيانا يسكنه بعض المظلومين، وأيا كان سبب هذا السجن فإنه كربة تصيب الإنسان في جسده ونفسه وأهله وذويه، وليس أمام الإنسان الذي يبتلى بهذه الكربة إلا اللجوء إلى الله في الليل والنهار، وألا يقطع أمله بربه وخالقه، وأن يقدم لله سبحانه وتعالى أعمالا صالحة، ودعوات خالصة يثبت بها عبوديته لله، وأنه لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه.

وخير مثال لهذه الكربة قصة نبي الله يونس عليه السلام في بطن الحوت، لم يأته الفرج إلا عندما ذكر ربه بما يليق بجلاله سبحانه، واعترف بذنبه وضعفه لله تعالى، فلولا قيامه بهذا للبث في بطن الحوت إلى يوم القيامة، وقد ذكر الله تعالى قصة يونس في أكثر من سورة من القرآن لأخذ العبرة منها في الشدائد، وليثبت لنا الله عزوجل أن القلب الخاشع واللسان الذاكر له والجوارح القائمة في طاعة الله كفيلة بإخراج

صاحبها من الكربات، قال جل ذكره: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الصافات:١٤٣-١٤٤)، ويقول ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له». والشواهد على أن العمل الصالح والدعاء الخالص لله تعالى تفرج عن الإنسان كربة السجن كثيرة. إن المسلم يمكن أن يحول هذه الكربة إلى أمر إيجابي كما حولها أنبياء الله ورسله والمصلحون من بعدهم.

## ٢- الديون

وهي كربة يصاب بها الكثير من الناس في حياتهم لظروف معينة يمرون بها، وتشتد هذه الكربة ويزداد تأثيرها عندما يعجز المدين عن سداد دينه. وإن تراكم الأموال على الإنسان وكثرة المطالبة بها من قبل الدائنين يحرجان المدين ويدخلانه في مستنقع القلق والاضطراب، وقد تؤدي هذه الحال به إلى أن يترك بلده وأهله ليفر من إلحاح الناس. والدين من الأعباء والكربات التي لا تنفك عن الإنسان حتى بعد الموت، فهو مطالب بسداد دينه حيا وميتا، فكربة الدين تلازمه في حياته وبعد مماته، فإن لم يقم بسداد دينه في حياته، فإن كربة الدين ستلازمه في الآخرة؛ لأنه حق العباد، لذا كان الرسول ﷺ لا يصلي على من عليه الدين إلا أن يقضى دينه أو يعفو عنه الدائن ويسامحه؛ لعظم شأنه وحقه، يقول عليه الصلاة والسلام: «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين». ومن أجل ذلك كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ بالله منه في دعائه ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال». وطريق الخلاص من هذا الكرب في الدنيا والنجاة منه يوم القيامة أن يخلص الإنسان في طاعته وعبادته لله تعالى، ويبادر إلى الأعمال الصالحة والاستغفار، ويتقي الله تعالى في أموره كلها، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣)، وقال ﷺ: «قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك». ولا يعني هذا ترك الأسباب، بل يجب العمل بها، فتركها عجز وتخاذل.

## ٣- الظلم

الظلم ظلمات يوم القيامة، كما جاء في الحديث، وهو كربة وبلاء، ظهر منذ أن خلق الله الإنسان، كانت بدايته ظلم بقتله له. والظلم يأتي نتيجة لعيوب تسكن النفوس، وتوسوس لرغباتها وأهوائها، من الحسد والغرور والكبرياء، وكذلك الطمع والجشع وحب الذات وكراهية الغير.. وغيرها من الأسباب. والمؤمن إذا أصابه شيء من كربة الظلم، يجب أن يسارع إلى الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، فعندها يقبل الله تعالى دعوته ولا يرده خائبا، بل سيعجل له بالفرج القريب، وفي قوله ﷺ عندما بعث معاذا إلى اليمن فقال: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب». وإن طال الفرج أو تأخر قليلا فلحكمة من عند الله تعالى لا يعلمها إلا هو، ربما يكون فيه خير للإنسان وذخر له يوم القيامة، وربما يجعل الله تعالى سعادة هذا الإنسان المبتلى بالظلم في تلك اللحظات التي يظلم فيها ويضطهد، لأنه سبحانه وتعالى يلقي عليه رداء السكينة والراحة النفسية، ويزيد من إيمانه.

## ٤- الزلازل والأعاصير والكوارث

وهي إما عقوبة وعذاب للعباد على تماديهم في العصيان وانتهاك حرمات الله من الظلم والسفور والخمور والزنا، أو ابتلاء. والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى أنها كانت للأمم السابقة نتيجة كفرهم وشركهم وظلمهم، وحربهم لأنبياء الله وقتلهم لهم، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (هود:١٠٢). وإن صلاح الأعمال وإخلاص النيات لله تعالى من أهم ما يدفع عن الناس كربات العقوبات الإلهية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود:١١٧). هذا إضافة إلى الاستكثار من الذكر والاستغفار والتوبة في كل وقت، ليكون الإنسان في مأمن من هذا الذي أصاب تلك الأمم؛ بسبب غفلتهم وحيادهم عن منهج الله تعالى، يقول البارئ عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣).

السنوسي محمد السنوسي - باحث إسلامي
مصر

# التنمية البشرية.. المفهوم والمحاذير

**على مدار السنوات القليلة الماضية أثير جدل كبير حول «التنمية البشرية»؛ فبينما رآها البعض أمرا قريبا من الشعوذة والكلمات الجوفاء التي سرعان ما تتبخر في الهواء بمجرد الخروج من قاعات التدريب؛ رآها آخرون علما محفزا يستخرج الطاقات الكامنة في الإنسان، ويرشده إلى مواطن قوته ونقاط ضعفه.**

ومما زاد من الجدل حول «التنمية البشرية» أن بعض من يعرضونها يبالغون في النتيجة المرجوة من مهاراتها وآلياتها؛ وكأن من يخضع لدوراتها يكتسب طاقة جبارة تحقق المستحيل!

ونحاول، في هذا المقال، الوقوف بتأن على مفهوم «التنمية البشرية»، ومساراته، ونرصد بعضا من المحاذير المتصلة به، إدراكا منا بأهمية أن يطور الإنسان ذاته باستمرار، وبأن لدى كل منا طاقات كبرى قد لا يحسن الإفادة منها ويحتاج لمن يساعده في استكشافها وتنظيمها، وبأن إساءة ممارسة علم من العلوم، أو فن من الفنون، لا تعني عدم صحة الأصل النظري لهذا العلم أو ذاك الفن.

للتنمية البشرية مفهومان، يتصل أولهما بقياس حالة المجتمعات والدول، ويتصل الآخر بالإنسان على مستوى ذاته كفرد.

● فيما يخص المجتمعات والدول، استقرت تقارير التنمية البشرية العالمية، لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، على مفهوم «التنمية الإنسانية»؛ باعتباره الأكثر شمولا واتساعا من نظائره.

ويمكن تعريف «التنمية الإنسانية» بأنها عملية توسيع الخيارات، ففي كل يوم يمارس الإنسان خيارات متعددة؛ بعضها اقتصادي، وبعضها اجتماعي، وبعضها سياسي، وبعضها ثقافي؛ وحيث إن الإنسان هو محور تركيز جهود التنمية، فينبغي توجيه هذه الجهود لتوسيع نطاق خيارات كل إنسان في جميع الميادين.

و«التنمية الإنسانية» عملية ومحصلة في الوقت ذاته؛ فهي تهتم بالعملية التي يجري من خلالها توسيع الخيارات، وتركز على النتائج التي جرى تعزيزها (١).

• أما المفهوم الآخر لـ «التنمية البشرية» فيتصل بالإنسان على مستوى ذاته؛ من حيث كفاءته في استثمار مواهبه، وتفعيل مهاراته، وتنظيم وقته، والارتقاء بطرق تفكيره، وتحسين تواصله مع الآخرين، إضافة إلى كيفية استحداث فرص عمل تناسبه، والتغلب على صعوبات الحياة.

وإذا كان المقال يركز على «التنمية البشرية» باعتبار المفهوم الثاني، فمن المهم أن نشير إلى أن المفهومين بينهما ترابط وثيق، وعلاقة طردية، ولا يمكن النظر إليهما من زاوية الانفصال، كما أن حدوث خلل في أحدهما يؤثر سلبيا على الآخر.

وفي «التنمية البشرية» المتصلة بالإنسان، هناك ثلاثة مسارات أساسية؛ وهي مسار نحو الذات،



ومسار نحو الحياة، إلى جانب مسار نحو الآخرين.

### مسار نحو الذات

ذات الإنسان هي الأساس في أي عملية تطوير وتنمية؛ وإذا فقد الإنسان الإحساس بقيمة هذه الذات ولم يعمل على صقلها وتوسيع مداركها، فليس لنا أن ننتظر منه إسهاما فعالا في الحياة، ولا تواصلا جيدا مع الآخرين. ولذا أكد القرآن الكريم أن تغيير ما بالنفس هو الأساس الذي تنطلق منه عملية التغيير في شتى المجالات؛ وهو ما أكده المولى عزوجل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (الرعد:١١).

ولـلأسف، فإن كثيرين يجهلون قيمة ذاتهم، وما منحهم الله من طاقات، أو لا يكتشفون هذه الطاقات إلا متأخرا نتيجة حالة التراجع الحضاري العام في مجتمعاتنا؛ والتي لا تساعد على نمو صحي بحيث يتعرف الإنسان على مواهبه وإمكاناته في سن مبكرة (٢).

تدلنا «التنمية البشرية» على أن ثمة مهارات أو محددات من شأنها أن تساعد الإنسان على اكتشاف ذاته، وتفعيل إمكاناته، ومنها (٣):

**التراجع الحضاري لمجتمعاتنا لا يساعد الإنسان ليكتشف مواهبه مبكرا**

- وفرة الطاقة العصبية اللازمة لأداء المهام؛ فصحة الجسم أساس كل نشاط، وكلما كان المرء معافى استطاع أن يبذل من نفسه الجهود التي تلزمه في تحقيق أغراضه، كذلك فإن تجنب الثرثرة، والابتعاد عن كل ما يثير الغضب ويسخط، وقلة الاهتمام بالشهرة والظهور؛ جلها من الأمور التي تزيد في الطاقة العصبية ويختزنها جسم الإنسان، ويجعلها في متناول المرء عندما يحتاج إليها.
- التفكير اليومي في الأعمال اليومية؛ لا غنى لمن يطمح إلى تبديل مصيره عن ربع ساعة يخصصها كل يوم للتفكير في شؤونه الخاصة.
- مقاومة القوى المشتتة؛ مثل الجهل، الشهوات، الحرص، حب المضاهاة، البغض، عدم الاكتراث للمستقبل. وتقاوم هذه القوى بالانتباه المتصل، والتنظيم الدقيق لمناحي النشاط النفسي والبدني.
- توزيع الجهد على الزمن؛ فينظم الإنسان وقته ويحسن استعماله، ولا يرهق نفسه أو يتراخى؛ وإنما يوزع الجهد على الأيام توزيعا يكفل له الإنتاج الطيب والراحة والصفاء.
- الهدوء في مواجهة الصعوبات؛ حاول دائما أن تكون هادئا، ولا تجعل لأحد أو لحادثة ما سبيلا إلى زعزعة أعصابك واضطراب تفكيرك.
- الاعتماد على النفس؛ فبعد التوكل على الله تعالى، يجب أن تعتمد على نفسك ولا تنتظر من الآخرين أن يفعلوا لك الكثير؛ حتى تنمي قواك الذاتية، ولا تصاب بخيبة أمل حين لا يكون أحدهم عند حسن ظنك به.
- عدم الاهتمام بالماضي أو بسلوك الآخرين تجاهك؛ واهتمامك به ينبغي أن يكون لأخذ العبرة، وليس لإثقال النفس بالحزن وتذكيرها بالإخفاقات والمثبطات: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ (الحديد:٢٣).

- الاستقلال بالرأي؛ وهو غير العناد والادعاء، وغير الابتذال والسخف.

### مسار نحو الحياة

الحياة هي المجال الزمني الذي يتحرك فيه الإنسان، ولكل منا مجاله الذي سينتهي لا محالة، ليحاسب المرء بعده على ما قدم فيه من خير أو شر: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ (النجم:٣٩-٤٢).

والحياة شيء له قيمة كبيرة وأهمية قصوى؛ لأنها مزرعة الآخرة، ودار السعي والكسب. من هنا، كان على الإنسان أن يحسن فهمها، ويعرف كيف ينظر إليها وكيف يتعامل معها.

وبعض الناس لا يقدرون أهمية الحياة، ظنا منهم أنه ليس بعدها دار للحساب -في حالة غير المؤمنين بالله- أو يتجاهلها ويعتزلها انطلاقا من فهم خاطئ للدين بأنها حصاد للآخرة فقط.

أمام هذه الأصناف التي تسيء فهم الحياة ولا تتعامل معها كما ينبغي، تدلنا «التنمية البشرية» على عدة مهارات من شأنها أن تجعلنا نتعاطى بإيجابية مع هذا المجال الزمني؛ الذي منحنا الله إياه، وجعله دار اختبار وابتلاء وأهمها:

### الأمل والتفاؤل

لا تخلو الحياة من منغصات؛ لأنها دار امتحان وابتلاء، ودار ممر لا مستقر؛ والأمر هكذا فمن الطبيعي أن يتقلب الإنسان بين محنة وأخرى، وابتلاء وآخر، مرة بالنعمة وأخرى بالنقمة، أو بالمرض تارة وبالعافية تارة أخرى.. وهكذا.

وعلى المرء إذا أحاطت به الشدائد أن يتذكر شدة مضت في حياته ثم أزاحها الله عنه وأبدله فرحا وسرورا؛ ليعلم أن ما هو فيه أمر عارض سيزول بفضل الله، وهذا ما ألمحت إليه سورة الضحى في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨﴾ (الضحى:٦-٨). فمن أسبغ عليك نعمه فيما مضى، قادر على أن يفرج عنك ما وقع بك، وأن يصلح أحوالك مهما بدت متأزمة فليكن الأمل والتفاؤل شعارك.

## «التنمية الإنسانية» تشمل الحريات وحقوق الإنسان والمعرفة

### الأهداف والأولويات

بعد أن يقبل الإنسان على الحياة متوكلا على الله تعالى، متفائلا بالخير، مفعما بالأمل؛ عليه أن يحدد أهدافه وأولوياته، ويرتبها طبقا للأهم وللعاجل منها؛ حتى لا يقدم ما يجوز تأخيره، أو يؤخر ما يجب تقديمه.

وتبدو مسألة تحديد الأهداف ذات أهمية شديدة؛ لأن الهدف هو ما يحدد مسار الإنسان، ويشحنه بالحيوية والنشاط. يقول الكاتب السويسري تشارلز جينز: «بدون أهداف، ستعيش حياتك متنقلا من مشكلة لأخرى؛ بدلا من التنقل من فرصة إلى أخرى» (٤).

وعلى المرء أن يقسم أهدافه إلى أهداف قصيرة المدى، وأخرى متوسطة، وثالثة طويلة الأمد، وأن يدرك أن النجاح ليس ماديا فحسب، ولا نحصل عليه بعدد الشهادات فقط، ولا على المستوى الفردي وحده... بل النجاح الحقيقي يراعي خمسة أهداف:

الأول: الروحي؛ أي العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، فمن فاته رضا الله لن يكون قد ربح أي شيء، ولو حاز الدنيا كلها. الثاني: الشخصي؛ وهو يشمل العائلة، والعلاقات الشخصية، والتعليم، والترفيه. الثالث: المهني؛ وهو يشمل المستقبل المهني والقدرة على التعلم من أجل تحسين الوضع الوظيفي. الرابع: المادي؛ أي ما يحقق الاستقرار المالي، حتى لا يؤثر عدم الاستقرار سلبيا على حياة الإنسان وأسرته. الخامس: الصحة؛ بما تشمله من الصحة البدنية، والوزن، والنظام الغذائي. فمن المهم أن يسعى الإنسان لتحقيق هذه الأمور الخمسة بتوازن (٥).

### لا تفكر كثيرا في المستقبل

لا ترهق نفسك بالتفكير في المستقبل بما يعكر يومك، ويضغط عليك نفسيا؛ بل «عش في حدود يومك» كما ينصح الشيخ الغزالي، والذي يوضح أن «من أخطاء الإنسان أن ينوء في حاضره بأعباء مستقبله الطويل. والمرء حين يؤمل ينطلق تفكيره في خط لا نهاية له، وما أسرع الوساوس والأوهام إلى اعتراض هذا التفكير المرسل، ثم إلى تحويله هموما جاثمة، وهواجس مقبضة. لماذا تخامرك الريبة ويخالجك القلق؟! عش في حدود يومك؛ فذاك أجدر بك، وأصلح لك» (٦). لكن هذه النصيحة لا تمنع من التخطيط للمستقبل، والتفكير فيه بجدية.

### مسار نحو الآخرين

لا يعيش الإنسان بمفرده، بل يحيا وسط آخرين؛ فهناك أسرته الصغيرة، المكونة من أب وأم وإخوة وزوجة وأولاد وأقارب؛ وأسرته الكبيرة من أفراد المجتمع وزملاء العمل.

وإذا كانت حياة الإنسان وسط هاتين الأسرتين أمرا ضروريا، فإن عليه أن يسعى لتجويد هذا المسار من مسارات «التنمية البشرية»؛ ويكون ذلك من خلال عدة مهارات.. منها:

- استوعب محدثك؛ أي أن تكتشف طبيعته؛ هل هو عصبي، حاد، هادئ،

متزن.. وتحدد طريقة تعاملك معه بناء على ذلك؛ فإذا كان حادا فانتق كلماتك معه بشكل حذر، ولو كان بشوشا اجتماعيا فتواصل معه وقم ببناء علاقة معه.

- استمع أكثر مما تتكلم؛ فالاستماع رسالة صامتة تحمل دلالات في غاية العمق والفاعلية، تنبئ عن الحب والتقدير واحترام الآخر.

- الابتسامة؛ قادرة على تذليل الصعاب، وكسر الحواجز، وإذابة الجليد بينك وبين الآخرين.

- انظر إلى العين؛ فالنظر إلى العين بدفء يشعر بالاهتمام؛ وكان النبي ﷺ يقبل على من يحدثه، حتى يظن أنه أحب الناس إليه؛ كما أخبر عمرو بن العاص عن حال النبي ﷺ معه (رواه الترمذي في الشمائل).

- فرق بين الخطأ والمخطئ؛ بحيث لا تخسر المخطئ، ولا تعمق الخلاف معه؛ بل يمكن أن تكسبه لصفك إن أخبرته بأنك تحترمه كشخص، وتختلف معه فيما أخطأ فيه.

- تحدث دائما بإيجابية؛ فإذا تحدث الآخرون عن العقبات تحدث أنت عن الإيجابيات، وكن متفائلا.

- كن مرنا؛ تقبل وجهات النظر، وتحدث بمرونة دون تعصب أو تصلب في الرأي، وليكن البحث عن الحق ديدنك (٧).

- احرص على آداب الحوار والاختلاف؛ وتخلص من الرغبة في إنفاذ رأيك، مادام الأمر فيه سعة ويقبل تعدد وجهات النظر، ولا يدور بين الصواب والخطأ.

## محاذير

لاشك أن «التنمية البشرية» كعلم من العلوم، أو معرفة من المعارف، فيها محاذير وعليها ملاحظات؛ خاصة أنها تبلورت في البيئة الغربية، التي هي مغايرة في أصولها الفكرية للمفاهيم الإسلامية.. لكن هذه المغايرة لا تعني

**للحياة أهمية قصوى لأنها مزرعة الآخرة ودار السعي والكسب**

بالضرورة أن كل ما ينتج عن هذه البيئة خطأ ولا يمكن الإفادة منه؛ بل يبقى فيها ما هو صالح يمكن الانتفاع به، وما هو طالح نتجنبه ونحذر منه؛ طبقا لقانون «التفاعل الحضاري» الذي يفرز ما لدى الآخرين على أرضية مفاهيمنا وثوابتنا.. ومن هذه المحاذير:

### الفردية

تركز التنمية البشرية على السلوك الفردي بصورة أساسية، بل بصورة كلية تقريبا، وتتجاهل البيئة المحيطة بالفرد؛ والتي لا يمكنه الفكاك منها تماما، بل قد تعرقله وتمنعه من المضي قدما في تحقيق أهدافه وغاياته، مع أنه لم يقصر في القيام بما يجب عليه.

### الحتمية

يقدم أصحاب «التنمية البشرية» مفاهيمها باعتبارها حتميات لازمة، وليست مبادئ غالبة التحقق!، وكما أشرنا فإن حركة الفرد تخضع لعوامل كثيرة، وإن كان الفرد هو الأساس فيما يصيبه من نجاح أو إخفاق. وهذه العوامل الكثيرة المتداخلة -سواء بالنسبة لحركة الفرد أو المجتمع- تجعل من القول بالحتمية مجازفة، ولا دقة فيها. فليس معنى أن المرء فعل كذا وكذا أنه سيصل حتما لمراده.

### المبالغة

أي مجاوزة الحد، سواء في إثبات الشيء أو إنكاره. فلأن من يقومون بالتنمية البشرية يحرصون على رفع الروح المعنوية للأفراد، فإن كثيرين منهم يبالغون في نتائج ما يقترحونه من آليات ومهارات.. ولو تواضعوا وقالوا: الغالب أن يحصل كذا وكذا، لكان الأمر معقولا وصائبا.

هذا بجانب أن معظم كتابات «التنمية البشرية» الغربية لا تأخذ في حسبانها وجود الله تعالى، وأهمية الإيمان به.. وبديلا عن ذلك، تنطلق من فلسفات مادية، أو روحية منحرفة، ويعظمون ما يسمونه الطاقات الروحية في الإنسان أو في الطبيعة؛ وكأن الإنسان خلق نفسه، أو أوجدته الطبيعة!.. رغم أنهم -كما أشرنا- يقدمون آليات وبرامج عملية مفيدة جدا في اكتشاف المهارات وتفعيلها، وفي حفز الإرادة وتحديد الأهداف ورسم الخطط.

إذن، «التنمية البشرية» لها دور كبير في شحذ الهمم، وفي توعية الإنسان بكيفية تحقيق أهدافه وطموحاته.. من خلال التفاته الجاد لذاته وإمكاناته، وإحسان تطويرها وتنميتها.. ومن خلال تصحيح نظرته للحياة والتحلي بروح الأمل والتفاؤل، وتحديد الأولويات، وعدم الوقوع تحت وطأة الانشغال بالمستقبل.. إضافة إلى التواصل الجيد مع الآخرين، وإدارة الحوار البناء معهم، بل وإدارة الاختلاف معهم بما يثري وجهات النظر ويضيف للعقول والأفكار..

### الهوامش

١- أفدت في تجلية مفهوم «التنمية البشرية» على مستوى الدول والمجتمعات من «تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢م»، باختصار وتصرف. وهو متاح على الرابط: http://www.un.org/ar/esa/ahdr/ahdr٢.shtml.

٢- قرأت هذه الملاحظة للدكتور عبدالوهاب المسيري في سيرته الذاتية، وهي أن المجتمعات غير المتحضرة يكتشف فيها المرء مواهبه في سن متأخرة.

٣- انظر: «الموسوعة النفسية: سلطان الإرادة»، عرض وتلخيص عبداللطيف شرارة، ص ٤٣- ٤٦، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٧٥م. بتصرف واختصار وإضافة.

٤- نقلا عن «سيطر على حياتك»، د. إبراهيم الفقي، ص ١٨، دار اليقين، ط ١، ٢٠٠٨م.

٥- «سيطر على حياتك»، د. الفقي، ص ٢٨- ٣٣. باختصار وتصرف.

٦- «جدد حياتك»، الغزالي، ص ١٩، نهضة مصر، ط ٩، ٢٠٠٥م.

٧- «سحر القيادة»، د. الفقي، ص ٧٦-٧٨، دار اليقين، ط ١، ٢٠٠٨م. باختصار وإضافة.

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

# التنمية في زمن العولمة



في زمن العلم والعولمة، الذي نعيش فيه، تفرض علينا تغيرات، وقضايا اجتماعية وإنسانية واقتصادية صعبة، ومحبطة أحيانا، ومع التطور التكنولوجي والعلمي، الذي بات سريعا، غدا واضحا أننا بحاجة مستمرة لتعلم مهارات وعلوم جديدة ترفع من تقدير الإنسان لذاته وتغير من طرق تفكيره. وقد انتشرت في العالم، قبل سنوات قليلة، الكثير من المفاهيم والمصطلحات الحديثة، التي تعمل رديفا للعلم، وانطلقت من التجارب الشخصية ونتائج الأبحاث والدراسات وأصبحت علما بذاتها يدرس وينقل للأفراد، وتدخل في أدمغتهم لتشكل جزءا من كينونتهم الفكرية، ومن هنا ذاع صيت مفاهيم التنمية البشرية بكافة أصنافها؛

**التنمية البشرية تعالج نقاط الضعف لدى العاملين في المؤسسات**

حتى أصبحت مجالا للعلم والعمل، وللتدريب والتعليم، ونقل الخبرات.

وقد كثرت، في أيامنا هذه، الدورات المتخصصة في مجال التنمية البشرية، بهدف نقل الخبرات، والتنمية، والتطوير لمهارات الإنسان، وطرق تفكيره، واستغلال قدراته وطاقاته في الإنتاج والابتكار، وتحسين أسلوب حياته، وأساليب تعامله مع المواقف والأشخاص وضغوط الحياة. وتسعى هذه الدورات أيضا لتعليم كيفية إدارة الوقت، وإدارة الأفراد والجماعات، وتحسين الأداء الوظيفي، وزيادة

التسويق وإيجاد فرص للعمل، وتحسين العلاقات الأسرية، وتقوية نقاط الضعف أو القوة لدى الفرد.

ومن أمثلة تلك الدورات في التنمية البشرية والتي نسرد بعضا منها، استنادا إلى أهدافها: «دورات في مهارات التواصل مع الآخرين، ودورة إدارة الوقت، ودورة تعليم التفكير، ودورات في حل المشكلات واتخاذ القرارات، ودورات في إدارة الانفعالات وتقليل الضغوط النفسية أو التوتر، ودورات في تحسين مهاراتك القيادية، ودورات في تنمية قدراتك الإبداعية، ودورات في العمل كفريق، ودورات في التخطيط والتنظيم واتخاذ القرار، ودورات في أسرار السعادة».

## أهمية التنمية البشرية

تعمل غالبية دورات التنمية على تحسين صورة الفرد عن ذاته، ورفع مستوى تقديره لها، ودعم معنوياته، ونقله من حالة اليأس والإحباط والفتور، التي قد يعاني منها نتيجة حالات الفشل أو الإخفاق في تحقيق الأهداف في وقتها المحدد، أو نتيجة عدم إدراك الذات، وكيفية استغلال الطاقات، أو الإحباطات التي يواجهها الفرد ممن حوله كمدير أو زملاء أو أقرباء.. أو نتيجة عدم إدراك نقاط القوة والتميز لدى الفرد.. فيأتي دور التدريب من أجل رفع الهمم وتقوية نقاط الضعف واستغلال نقاط القوة لدى الشخص أو لدى العاملين في المؤسسات.

ويعاني بعض الموظفين من نقص القدرات، أو اكتشاف الذات، أو كيفية تفعيل مهاراتهم وقدراتهم ومواهبهم، وتوظيفها في عملهم، ما ينعكس سلبيا على أدائهم، وقد يكون سبب نقص القدرات هذا في الأساس ضعف التعليم، أو التدريب على المهارات الوظيفية، ككتابة التقارير المحترفة التي تخص العمل، أو تنظيم الاجتماعات، أو تحليل المشاكل، واتخاذ القرارات، لذلك تتشكل الحاجة الكبيرة للتدريب والتنمية البشرية.

وكثيرا ما نرى المديرين يستهزئون بقدرات بعض موظفيهم، ويحبطونهم، ولا يعملون على حل تلك المشكلة بتنمية مهارتهم، وتوجيههم لدورات تنمية بشرية مكثفة، بل يكتفون بالتحدث عن ضعف مستواهم، مما يولد لدى العاملين حالات من الإحباط والضعف والتوتر، وهذا أسلوب غير بناء ومحبط. ولو حاول المديرون تدريب هؤلاء الموظفين على ما يفتقرون إليه من قدرات عبر التنمية البشرية؛ فإنه قد يكتشف أن لديهم قدرات عظيمة وسيفيدون العمل كثيرا، ويتحسن ولاؤهم للمؤسسة التي منحتهم فرصة التدريب، ويزداد تقديرهم لذاتهم، ولمديريهم الذين عملوا على تنمية مهاراتهم، وبالتالي سيتحسن الأداء المؤسسي والمجتمعي، الذي نحن بأمس الحاجة إليه في عالمنا العربي، من أجل مستقبل مشرق.

إذن، فالتدريب هو وسيلة لزيادة انتماء الموظفين، وتحفيزهم على العمل، ومساعدتهم في تنمية أنفسهم، داخل وخارج العمل، ومن أمثلة ذلك: تنمية مهارات التواصل، أو تحسين علاقات الموظفين الاجتماعية، أو تطوير مهارات ضبط ذاتهم وانفعالاتهم، أو تطوير اللغات الأجنبية لديهم، أو تأهيلهم لمرحلة التقاعد عند قربها بتعريفهم بالأشياء التي تمكنهم من الاستمتاع بتلك الفترة. وبالطبع فإن نتائج هذه الدورات لن تنعكس على العمل فقط، بل سيكون لها أثر على واقع حياة الفرد اليومية؛ لأنها حتما ستغير طريقة تفكيره وأنماطه.

وفي واقع الأمر، فإن كثيرين بيننا يحتاجون لتنمية مهاراتهم وتطوير ذاتهم في كافة المجالات الإدارية والفنية والتقنية، واكتساب المعارف والموضوعات المرتبطة بمهارات العمل وواقع الحياة.

**دورات التنمية تعتمد على البرمجة العصبية لتطوير السلوك الإنساني**

## آلية دورات التنمية

تقوم دورات التنمية البشرية الشاحذة للهمم على (البرمجة اللغوية العصبية NLP)، وهي مجموعة طرق وأساليب تعتمد على مبادئ لغوية وإدراكية تهدف إلى تطوير السلوك الإنساني نحو التميز والإبداع، ومساعدة الأشخاص على تحقيق نجاحات وإنجازات أفضل في حياتهم، وتعرف بالإنجليزية بـ (Neuro-Linguistic Programming).

وتعتمد فكرة «البرمجة اللغوية العصبية» على الربط بين استخدام اللغة وبين استجابات الدماغ وردود الفعل العقلية بشكل إيجابي، فالعبارات الإيجابية المستخدمة تعمل على إرسال إشارات إيجابية للدماغ لتحفيزه للعمل بشكل إيجابي ونشط للتخلص من الأفكار السلبية والقلق والإحباط، فلا تقل لنفسك ومن حولك إلا كلمات وعبارات محفزة

إيجابية، وابتعد عن السلبية المحبطة، كأن تقول: «أنا قادر، أنا أستطيع إنجاز المهمة، أنا أستطيع التفوق والوصول إلى الأهداف، أنا مبدع، أنا مفكر، أنت عبقري، أنت مميزة، لدي أحلام سأسعى إلى تحقيقها، مواهبي عظيمة، قدراتك مميزة، لدي مشروع كبير سأحققه ..إلخ»، فهذه العبارات ستحفز الدماغ للعمل والتفكير والإبداع. ولا يجوز قول الكلمات المحبطة للنفس أو للأبناء مثلا؛ لأنها إشارات سلبية للدماغ كقولنا: «مهمة صعبة، لا أستطيع إنجازها، ليس لدي الوقت الكافي لإتمام المهمة، مهمة تفوق قدراتي وإمكاناتي، لا أحد متعاون معي، لا أحد يحبني، أنا بطيء الفهم، أنا محبط، أنا يائس، لست محظوظا ..إلخ» فترديد التعبيرات المحبطة للنفس أو الآخرين ترديهم في مهاوي الردى، وترجع بالعقل خطوات للوراء، بل وتبطئ حركة مسيرة الشخص، وتوقفها أحيانا.

لذلك؛ تأتي دورات التنمية البشرية؛ لتصلح التفكير، وتغذيه بالتفكير الإيجابي، والتفاؤل والأمل. وغالبا ما تسمى الدورات بأسماء تجذب النفوس للتعلم مثل: «المهارات القيادية في عصر العولمة»، «كيف تكسب ود الآخرين؟»، «كيف تدير جلسة؟»، «دورة صناعة القادة»، «صناعة التفوق وبرمجة العقول»، «تطوير العلاقات الأسرية»، «كيف تصبح سعيدا؟».

وتعمل دورات التنمية البشرية، كذلك، على تعديل التفكير، وتطويره وتغذيته، وصولا به إلى الحدود القصوى في الإنتاج والإبداع والتفكير، وفي هذا الشأن انتشرت عالميا عدة برامج منها على سبيل المثال لا الحصر: «كورت لتعليم التفكير»، و«القبعات الست»، «حل المشكلات الإبداعي»، «الذكاءات المتعددة»، «الذكاء الانفعالي أو العاطفي»، وغيرها الكثير.

## العبارات الإيجابية تحفز الإنسان على العمل وتخلصه من القلق والإحباط

### أقسام علم التنمية البشرية

ينقسم علم التربية البشرية إلى قسمين:

الأول: معرفة سلبيات الإنسان، وما يعوقه عن الإنتاج (بمعنى تحديد نقاط الضعف لديه)، ومحاولة إصلاحها، وذلك بالتخلص من المشاعر السلبية: كالخوف، والقلق، والغضب، وعدم الثقة بالنفس، والأفكار والتعبيرات السلبية، وعدم وضوح الرسالة والرؤية.

الثاني: معرفة إيجابيات الإنسان، وما يساعده على زيادة إنتاجه (معرفة نقاط القوة أو القدرات)، ومحاولة تقويتها وتعزيزها، وذلك بالتخطيط الجيد، وإدارة الوقت، والتحكم في الذات، والتفكير الإيجابي، والتعبير الإيجابي، والتفاؤل، وزيادة الثقة بالنفس.

### عوامل نجاح

لكي تنجح أي دورة، في التنمية البشرية، ننصح بمراعاة نقاط أساسية، منها:

- الإعداد الجيد للدورة بحيث تناسب الأهداف المرجوة.
- أن تلائم الدورة التدريبية احتياجات المتدربين، وتخصصهم، أو ميولهم، فكثير من الدورات تعقد دون الاهتمام باختيار موضوعات الدورات المناسبة، أو دراسة الاحتياجات: كأن يجبر المدير الموظفين على حضور هذه الدورات، دون رغبة منهم، أو إدراك مدى أهميتها، أو فقط ليقال إنه يتم عقد دورات في تلك المؤسسة!
- أن يكون المدرب فعالا، ونشطا، ومنفتحا، ويتمتع بأسلوب جذاب، وعلى دراية بكيفية إدارة الحوار والجلسة، ويتمتع بقدرة على الإقناع، وجذب الآخرين، والتأثير فيهم، وإيصال الأفكار بطريقة إبداعية لتنمية المهارات، فلا تكفي الخلفية النظرية للموضوع، فلابد من الخبرة العملية في التدريب؛ ليشعر المتدربون بالفائدة.
- أن تعرض مادة الدورة التدريبية بطريقة مشوقة، وفعالة، وتركز على تفاعل المتدربين، وإشراكهم في العمل، كأن تكون في شكل ورش عمل، وإنجاز مهمات، ومناقشات، لا في صورة محاضرات، أو عرض شرائح تعليمية، وقراءتها فقط، فالتدريب، بهذا الشكل، لا يعد تدريبا، ولن يؤتي أكله؛ لأن المتدرب يرغب في تدريب عملي، ينمي مهاراته، ويترسخ في ذهنه من خلال تفاعله مع المدرب، لا أن يخرج من التدريب كما دخل.
- استخدام الوسائل السمعية، والبصرية، والتقنية الحديثة، والمواد اللازمة للتدريب، وتجهيز أوراق العمل، بما يثري موضوع التدريب، ويفيد المتدرب.
- أن تكون مادة التدريب قابلة للتطبيق وللاستفادة منها، وتعمل بالفعل على إحداث تغيير في الشخصية، وبناء الذات، والقدرات لدى المتدرب، فتغير من أفكار الشخص، وآرائه، أو مهاراته على نحو إيجابي.

فيصل سليمان حسن
إعلامي وباحث أكاديمي

# دروس التنمية البشرية في سورة الكهف

إذا كان علم التنمية البشرية Human Development في حقيقة مبادئه وأصوله وتوجهاته وغاياته، مشروعا عمليا يستهدف النهوض بقدرات المرء وإمكاناته وظروفه واستغلالها أمثل استغلال، في سبيل التمتع بمستوى معيشي لائق؛ صحيا وتعليميا واجتماعيا واقتصاديا وحقوقيا ومعرفيا، بما يمكنه من أن يكون نموذجا إيجابيا منتجا نافعا له ولغيره، فإنه بهذا المعنى والفهم، يمكن أن يعد من أهم العلوم التي دعا الإسلام الحنيف إلى تبنيها والأخذ بها في سبيل تنمية المسلم روحيا ومعرفيا وحياتيا وأداء رسالته على النحو الأكمل.

والحقيقة أن الأدلة الموثوق بها التي تدعم ما ذهبنا إليه كثيرة جدا، ويكفي هنا أن نذكر عميد الأدلة المتمثل في الأمر الإلهي الشهير «اقرأ» في سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق:١-٥)، التي تعتبر عند جمهور العلماء أول ما نزل من القرآن الكريم على الرسول الأكرم ﷺ. فلو تأملنا بالتحليل العميق ما ينطوي عليه هذا الأمر الإلهي بظروفه وحيثياته من دلالات وإشارات وتوجهات وأهداف لقلنا: إنه لا تخفى الأهمية الكبرى المصيرية الحاسمة لإطلاق الأمر الإلهي «اقرأ» إيذانا ببدء اختيار الرسول الأكرم ﷺ لتبليغ الرسالة السمحة، ونشر الإسلام بمنظومته التشريعية والمعرفية والقيمية السامية، فنجاح هذه المهمة الكبرى لا يكون إلا بمعرفة وتدبير وتنمية القدرات والإمكانات واستغلالها بالصورة المثلى، وهذا لا يتحصل إلا بالقراءة والقلم؛ باعتبارهما الأداتين اللازمتين لتحصيل المعارف والعلوم والطرائق والأساليب.. وهذا كله يشكل مقولات جوهرية في التنمية البشرية.

ولعل اللافت للنظر هنا أن يقترن الأمر الإلهي (القراءة وتحصيل المعارف والعلوم) باسم الرب الخالق، سبحانه وتعالى، مبدأ ومصدرا وتوجها، لأنه جل جلاله مصدر العلم، يستمد منه الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة، ومن أسرار النفس البشرية، وينبغي أن يتوجه المرء إليه، لأن كل ما في هذا الوجود من حركات وسكنات وأحداث وأشياء وأحياء وجماد وغير ذلك إنما باسم الله يسير وإليه يتجه ويصير، وهو وحده العليم بما في ذلك كله، وأتاح بعضا من هذا العلم للإنسان الذي لم يكن له شيء منه.

نستطيع القول إن القرآن الكريم يكتنز شيئا كثيرا من مفاهيم التنمية البشرية ومبادئها ودروسها واتجاهاتها، ويحسن بنا أن نقدم سورة «الكهف» نموذجا تمثيليا، نظرا لما تكتنزه من دروس تنموية ترتقي بالنفس البشرية وإمكاناتها وقدراتها، وتمكنها من بناء

حياة أرقى لها ولغيرها وأداء رسالة حضارية سامية.

إن نظرة متأنية نسلطها على سورة «الكهف» من منظور مفاهيم التنمية البشرية ومبادئها ودروسها واتجاهاتها، تمكننا من اقتناص الكثير من الدروس القيمة نختار أربعة منها، وهي الأكثر أهمية وإلحاحا فيما نعتقد:

### التنمية البشرية والشباب

لحكمة كان اختيار الله سبحانه وتعالى الإخبار أن أهل الكهف هم فئة شبابية اختاروا الإيمان والتوحيد وهربوا به من دار قومهم إلى كهف الجبل فزادهم الله إيمانا به وبصيرة بدينهم، قال تعالى ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف:١٣). فمما لاشك فيه أن الباري سبحانه يقدم نموذجا يحتذى عن كيفية الاستثمار بالشباب ووجوب دعمهم باعتبارهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله ﷺ شبابا، كما يرى ابن كثير (١).

والحقيقة أن هذا الدرس ينطوي على أهمية بالغة عند منظري وفلاسفة التنمية البشرية ويفسر إصرارهم على وجوب الانطلاق من الشباب في أي مشروع تنموي نهضوي، ذلك لأن النهوض بقدرات الشباب ومهاراتهم وتنميتها نظريا وعمليا واستغلالها على النحو الأمثل وتزويدهم بالدعم بصوره المتعددة من شأنه أن يحول الشباب إلى طاقة خلاقة ويفجر مواهبهم وإمكاناتهم في مشروعات تنموية ابتكارية تساهم بصورة عملية في تطوير بلدانهم وتأمين احتياجات التنمية الشاملة، فضلا عن أهمية ذلك في تأكيد ذوات الشباب كمبدعين مفيدين لأنفسهم ولأوطانهم، ما

**الشباب أكثر فئة استجابة لدعوة الرسول ﷺ**

ينأى بهم عن البطالة بسلبياتها المادية والنفسية والسلوكية، ويجنبهم الانسياق وراء تيارات وحركات مدمرة.

### الصبر والمثابرة

حيث يدعو الباري رسوله الأكرم ﷺ إلى مجالسة الفئة المؤمنة الصادقة من أصحاب الذكر والتسبيح والتهليل ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ (الكهف:٢٨). بغض النظر عن أحوالهم الاجتماعية (فقراء، أغنياء، ضعفاء...)، لأنهم يريدون وجه الله سبحانه وتعالى بصورة خالصة، ولأن العبرة في الإيمان والصدق والعقيدة والخبرة وليست في المكانة والوجاهة كما يراها «أشراف قريش» الذين يُروى أن الآية نزلت فيهم حين طلبوا من النبي الأكرم ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك (٣).

وهذا معناه في التنمية البشرية أن المشروع التنموي الناجح يتطلب أن يختار صاحبه أنصارا ومستشارين وفريق عمل ذوي كفاءة وخبرة (بغض النظر عن واقعهم الاجتماعي: فقراء، أغنياء...) مؤمنين بالأهداف المنشودة وأساليب العمل وطرق التنفيذ الناجح، صادقين في نواياهم وأعمالهم ونصائحم، ومرادُهم النجاح والخير والحق ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، وليسوا من ذوي الوجاهة والرياء والأشكال والأفكار المزيفة.

**تنمية الدول تبدأ باستثمار طاقات شبابها**

### التنمية العقدية

من أطيب المحاور وأبلغها وعظا وإرشادا قصة صاحب الجنتين اللتين جعلهما الله سبحانه حافلتين بأبهى صنوف الحياة الدنيوية (الأعناب والنخل والثمار، النهر...)، ما جعله يشعر بالغرور والتكبر أثناء محاورته صاحبه، قائلا له: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ (الكهف:٣٤-٣٦). فالنظرة هنا سطحية مادية زائفة.

ويرى ابن كثير أن هذا الرجل «لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة» (٣).

وهنا يأتي الرد من صاحبه المؤمن ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ (الكهف:٣٧-٣٨). وهذا معناه في التنمية البشرية أن التنمية العقائدية السليمة خير وأوفى من أي نوع

تنموي آخر؛ لأنها تشكل المخزون الصحيح الذي تنطلق منه كل الأفكار والاتجاهات والميول والمواقف والتصرفات على الطريق الصواب الناجح الموصل إلى النجاح والفلاح المنشود ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الكهف:٤٤).

### الصبر لاكتساب المهارات

ولعلنا نجد ذلك واضحا جليا في قصة سيدنا موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح والذي تذهب أغلب الروايات المعتبرة والتفاسير القيمة إلى أنه الخضر عليه السلام، فقد آتاه الله من رحمته وعلمه من لدنه ما لم يكن لدى النبي موسى (عليه السلام) الذي عرض عليه أن يتبعه شريطة أن يعلمه الرشاد مما علمه له الله سبحانه وتعالى، فما كان من العبد الصالح إلا أن اشترط عليه الصبر لتنفيذ هذه المهمة، ذلك لأنه يعلم أن ما سيأتي من مواقف وأحداث تنطوي على بعض الغرابة لم يحط بعلم خلفياتها موسى (عليه السلام)، ما يجعل صبره عليها مستبعدا: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾[1]﴾ (الكهف:٦٦-٧٠).

وتأتي الأحداث التي قام بها المعلم: الخضر، عليه السلام، أمام مرأى ومتابعة من المتعلم المتتلمذ: النبي موسى عليه السلام، (خرق السفينة،

## اختيار ذوي الكفاءات أساس نجاح مشاريع التنمية

قتل الغلام، إقامة الجدار) فلم يصبر واتخذ منها موقف الرفض والتعبير عن الغرابة والاندهاش، لأنه لم يحط علما بحقائقها وخلفياتها وآثارها، ما عرضه للإخلال بالشرط (الصبر في طلب العلم) لكن لازمة واحدة التزمها المعلم: الخضر، عليه السلام، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، كانت كفيلة بإعادة المتعلم المتتلمذ: النبي موسى عليه السلام، إلى الصبر باعتباره مفتاح التتلمذ لاكتساب المعارف والمهارات والخبرات.. وحقا تمكن بالتزام الصبر من الوقوف على خلفيات الأحداث (خرق السفينة، قتل الغلام، إقامة الجدار)، وبيان مشروعيتها وبلاغة الحكمة فيها.

ونستطيع أن نستنتج من ذلك درسا بليغا في فن التتلمذ ولزوم وجود الصبر أساسا من أهم أسسه، وهذا ما يفسر إصرار خبراء التنمية البشرية المعاصرين على ضرورة أن يتحلى الإنسان والطالب والساعي بالقيم الأخلاقية السامية ولاسيما الصبر إن أراد السير في سبيل العلم واكتساب المهارات والمعارف والخبرات التي تعد الطريق الوحيد لتحقيق الذات والمجد المنشود، وقديما قال الشاعر يقرِّع خاملا متكاسلا يدعي

## الصبر مفتاح التنمية ودليله قصة موسى والخضر

السعي إلى المجد (٤):

**دببت للمجد والساعون قد بلغوا**
**جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا**
**وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم**
**وعانق المجد من أوفى ومن صبرا**
**لا تحسب المجد تمرا أنت آكله**
**لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا**

ومدار الأبيات التقريع والتوبيخ للخامل المتكاسل الذي يطلب المجد؛ فهو يدب دبيب العجائز، والدبيب السير فيه بطء وتكاسل، فيما الساعون إليه ألقوا الأزر (جمع إزار) في كناية عن الاجتهاد في طلب العلم بجد وهمة عالية، فهم، لا أنت، الذين سينالون المجد ويعانقونه بما تحملوا من مشاقه وصبروا على شدائده دون ملل، و«الصبِر» بـ (كسر الباء)، في البيت الأخير عصارة شجر مر، ومعنى الأبيات: لا تزعم أيها البليد المتكاسل الخامل أن المجد طريقه سهل يسلكه أمثالك، إنما صعب شاق يناله أهل النجدة وأصحاب الهمم العالية الذين يصبرون على تجرع المرارات ويتابعون للوصول إليه.

### الهوامش

١- تفسير ابن كثير، سورة الكهف/ الآية ١٣ وما يليها.

٢- تفسير ابن كثير، سورة الكهف/ الآية ٢٨ وما يليها.

٣- تفسير ابن كثير، سورة الكهف/ الآية ٣٦ وما يليها.

٤- اختلف الرواة وكذلك المصادر في تحديد قائل هذه الأبيات التي يعتبر البيت الأخير فيها مثلا سائرا شهيرا، وتم تداولها في مصادر ومراجع كثيرة، غير أن الأكثر صحة وتناسبا أنه الشاعر «حوط بن رئاب الأسدي» وفق ما ورد في «ديوان الحماسة للتبريزي» و«شرح الحماسة للمرزوقي» و«سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» للبكري، تحقيق: عبدالعزيز الميمني الراجكوتي.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

# مفاتيح النجاح لمستقبل مشرق



جميعنا يسعى لتحقيق ذاته، وأن يكون إنسانا ناجحا ومؤثرا في حياته الأسرية والعملية، ويصنع لنفسه مستقبلا مشرقا، وبطبيعة الحال فإن الطريق لبلوغ هذا المستقبل ليس أمرا سهلا، لكنه أيضا ليس مستحيلا، هو أمر يحتاج فقط لـ«العزيمة».

بإمكان كل منا تحقيق الهدف الذي يصبو إليه، والغاية التي يعيش لأجلها، شرط أن يؤمن بهدفه وقدراته، ويواجه التحديات التي ستعترض طريقه بكل عزيمة وصبر، وقبل هذا وذاك يجب ألا يفقد الإيمان بالله وبتوفيقه.

وقد وضع خبراء التنمية البشرية ومنهم الدكتور إبراهيم الفقي -رحمه الله- مفاتيح من شأنها أن تمهد لنا الطريق لتحقيق أهدافنا، وتضمن لنا السير بخطى ثابتة نحو مستقبل واعد.. بطبيعة الحال هي ليست خلطة سرية ولا علاجا سريع المفعول، إنما هي نصائح وإرشادات توجيهية تساعدنا على تلمس طريقنا نحو مستقبل عامر بالإنجاز والعمل والإبداع.

ومن بين مفاتيح النجاح التي من شأنها أن تمهد لنا الطريق لصنع مستقبل مشرق ما يلي:

### الدوافع

الدوافع هي ما يحركنا للعمل والإنجاز، وبدونها وخاصة الدوافع الداخلية النابعة من أعماقنا؛ فلن تكون لدينا رغبة حقيقية للإنجاز، وسنسقط عند أول تحد.. فقوة رغبتنا في الاستمرار والوصول لغايتنا هي ما يتحكم في دوافعنا، ودوافعنا بالتالي تتحكم في تصرفاتنا. والرغبة الجادة هي أول قواعد النجاح، فالرغبة تمثل غرس بذرة في أرض النجاح، وسر النجاح والتألق هو الرغبة في العمل والإنجاز والعطاء.

والدوافع قد تكون خارجية أحيانا ويكون مصدرها المحيط الخارجي (أب، مدير، صديق... إلخ)، لكن الدوافع الداخلية التي تنبع من أعماقنا هي الأقوى؛ لأننا حين نقرر القيام بأمر ما فلن يعترض طريقنا أي عائق.

### الطاقة

الدوافع والرغبة في النجاح تولد الطاقة، فكلما زادت رغبتنا زادت طاقتنا، وبالتالي يتضاعف إنجازنا، فطاقتنا العقلية والجسمانية والنفسية هي عناصر أساسية لتحقيق إنجاز ما، فإن انشغل العقل بالقلق والتوتر، أو الجسم بالمرض والانهماك، أو الروح بالمشاكل العاطفية والصدمات، حينها سنكون خائري القوى، منهكين، لا همة ولا حماسة ولا قدرة للإنجاز والعمل، حتى وإن كان لدينا دافع ورغبة فلن يجدي ذلك نفعا ما لم نملك الطاقة الإيجابية الكافية التي تساعدنا على الوصول لغايتنا بهمة عالية. لذلك ينبغي علينا الحفاظ على طاقتنا وصحتنا الجسدية والنفسية إذا أردنا أن نصنع مستقبلا مشرقا لنا ولمن حولنا.

### المهارة

تكتسب المهارة من التعلم والاطلاع

المستمر (قراءة الكتب، مشاهدة الفيديوهات والصوتيات المفيدة، حضور المحاضرات،... إلخ)، ويتعين على الإنسان الراغب في النجاح ألا يتوقف عن التعلم، فاستمراره في التعلم سيكسبه الخبرات وستتكون لديه المهارات، كما أنه سيصبح أكثر إتقانا لعمله، وسيكون الدرب مفتوحا أمامه لتحقيق النجاح الذي يطمح به.
وتطوير المهارة يكون باستغلال كل الوسائل التعليمية المتاحة، واستثمار أوقات الفراغ التي تذهب سدى، فإن لم يكن لدينا وقت لنقرأ يمكن أن نعوضه بالاستماع لملفات صوتية هي خلاصة خبرات وتجارب من سبقونا إلى درب النجاح، حينها حتما سنصل لأعلى درجات المعرفة والمهارة.

## التصور

يقول جورج برناردشو: «يرى الناس الأشياء كما هي ويتساءلون لماذا؟ أما أنا فأتخيل الأشياء التي لم تحدث وأقول لم لا».
فإنجازات اليوم ما هي إلا تخيلات وأحلام الأمس، والأحلام هي نقطة البداية لأي نجاح، فكيف سنسعى لتحقيق شيء لم نتخيله!. كل شيء يحدث في العقل أولا ثم يترجم على أرض الواقع، لذا عندما نرى أنفسنا ناجحين وأقوياء، قادرين على تحقيق أهدافنا، حينها سيخلق لنا حلمنا قوة ذاتية وسيساعدنا عقلنا الباطن بقدراته التي لا حدود لها على تحقيق تلك الأحلام.
يقول ديلي جولي: «إذا استطعت تكوين حلم في ذهنك وزرعه في قلبك ولم تدع فرصة للشكوك أن تخمده؛ فمن الممكن أن يصبح حلمك حقيقة تغير حياتك».

## العمل

الطموح والأحلام ضرورية للنجاح، لكن لابد وأن تكون مقرونة بالعمل ليكون النجاح حتميا، والنجاح لن يأتي من المحاولة الأولى، فلابد أن نخطئ لكي نتعلم وتتراكم خبراتنا التي تجعلنا أكثر مهارة وحنكة، وكما يقول المثل الياباني: «إذا وقعت سبع مرات فقف عند الثامنة».
يقول الأديب الألماني يوهان جوته: «المعرفة وحدها لا تكفي ولابد أن يصاحبها تطبيق عملي، والاستعداد وحده لا يكفي ولابد من العمل».. إذن فالمعرفة بدون تنفيذ يمكنها أن تؤدي إلى الفشل والإحباط، فنحن نتذكر ١٠٪ مما نسمعه و ٢٥٪ مما نراه.

## التوقع

يقول الكاتب البريطاني جيمس آلان: «نحن الآن حيث أحضرتنا أفكارنا وسنكون غدا حيث تأخذنا أفكارنا».. فمن الممكن أن يكون الشخص شديد الحماسة ويتمتع بالعديد؛ من المهارات ويسخر كل إمكاناته لتحقيق هدفه، لكن قد يصاحبه ذلك شك في قلبه إزاء قدرته على النجاح؛ لذلك فإنه قد يفشل في الوصول إلى هدفه. وعندما نفكر بطريقة إيجابية تنجذب إلينا المواقف الإيجابية والعكس صحيح، فعندما نفكر بطريقة سلبية حتما ستنجذب لنا المواقف السلبية. لذلك يتعين علينا أن نوطن عقولنا على التوقعات الإيجابية، حينها سيكون بإمكاننا استخدام وتسخير قدراتنا الحقيقة لتحقيق إنجازات حقيقة ومؤثرة.

## الالتزام

قد يفشل الناس أحيانا ليس بسبب ضعف قدراتهم، ولكن بسبب غياب الالتزام، فالالتزام يحتاج إلى همة عالية لا تفتر من أول فشل، بل تقاوم وتنهض من التعثر والسقوط لتقف مرة أخرى وتواصل الطريق.
ونسوق هنا قصة لشاب أرسل ألفي طلب عمل إلى هيئة البريد في بلاده، ورُفضت جميعها، لكنه لم ييأس وأرسل ألفي طلب مرة أخرى، ورفضت مجددا، وأخيرا أتاه عرض عمل من البريد وقيل له حينها إن طريقته في الالتزام والمثابرة على إرسال طلبات العمل كانت السبب في حصوله على وظيفة بالبريد.

## المرونة

إن لم يكن عندنا مرونة واستعداد لتغيير خططنا في كل مرة نواجه فيها تحديا فمن الممكن أن نفشل، فما ناسب البارحة قد لا يناسب اليوم، وتكرار المحاولات بالأدوات والأساليب نفسها التي كانت سببا في الفشل سابقا لن توصلنا للنجاح أبدا؛ لذلك يتعين علينا أن نكون أكثر مرونة، ونواجه التحديات بما يناسبها من أدوات. فالمرونة وتغيير الخطط وفقا للظروف الآنية هي واحدة من المفاتيح الأساسية للنجاح.

## الصبر

«كثير من حالات الفشل، كانت لأشخاص لم يدركوا كم كانوا قريبين من النجاح عندما أقدموا على الاستسلام» توماس أديسون. أجل؛ إن غياب الصبر هو أحد الأسباب التي تؤدي للفشل، لأننا قبل أن نصل إلى النجاح غالبا ما نقابل عقبات وموانع وتحديات عارضة، وإن لم نتحلى بالصبر بما يكفي فلن نتخطاها وسنتنازل عن هدفنا بسهولة، فالإنسان الذي يتحلى بالصبر، يمكنه إتقان أي شيء.

## الانضباط

تحقيق الأهداف والإنجازات يحتاج إلى قدر من الانضباط. والانضباط يعني القدرة على التحكم في النفس والاستمرار في العمل وحسن التصرف. وعندما يتوافر لدينا هدفا ونركز كل طاقاتنا من أجل تحقيقه، ونضع كل إمكانياتنا موضع التنفيذ، ونكون منضبطين، فدون أدنى شك سننجح ونحقق هذا الهدف بإذن الله.
وإذا كان هناك عامل ضروري لتحقيق الإنجازات والنجاح، فهذا العامل هو الانضباط الذاتي الذي يتحكم بمفاتيح أحلامنا، وهو الجسر الذي يربط بين أفكارنا وإنجازاتنا كما أنه أساس كل نجاح وغيابه يقود للفشل.

د. صلاح فضل توقة
باحث دراسات إسلامية



# التنمية البشرية من منظور إسلامي

حقيقة يقر بها علماء الاجتماع وهي أن الإنسان هو محور التنمية، منه تبدأ وإليه تعود ثمارها، فالدولة الغنية غنية بما يمتلكه مواطنوها من مواهب وقدرات وإن كانت فقيرة في ثرواتها الطبيعية، ويقابلها الدولة الفقيرة بفقر وضعف مواهب وقدرات مواطنيها، وإن كانت غنية في ثرواتها الطبيعية، فالبشر هم العنصر الإيجابي من بين كل العناصر اللازمة لتقدم ونهوض الأمم؛ ولذلك كان للدعوة إلى تنمية ورفع قدرات البشر ومساعدتهم على توظيفها بصورة إيجابية أثر في حياة صاحبها وحياة مجتمعه، وهو ما تدور حوله موضوعات التنمية البشرية.

لقد مرت دول العالم بحروب إقليمية وعالمية، أتت على الأخضر واليابس، وتعرضت لأزمات وانهيارات اقتصادية أصابتها بالركود والفشل الاقتصادي، مما كان له أكبر الأثر في تعطيل وتوقف مشروعات التنمية، والذي أدى بدوره إلى تعثر إنجاز مشروعات التنمية الاجتماعية، مثل التعليم والصحة وبرامج الحماية الاجتماعية، والتي كانت تهدف إلى رفع قدرات الإنسان وتزويده بالعلوم والمهارات اللازمة لإطلاق هذه القدرات وتوظيفها، وهذه الخسائر على فداحتها تعتبر قليلة إذا ما قورنت بما طال الإنسان ذاته من خسائر.

فقد خرج الإنسان الغربي من الحربين العالميتين محطما اجتماعيا، مشوشا فكريا، مضطربا نفسيا، تسيطر عليه مشاعر القلق واليأس والإحباط، لعدم شعوره بالأمن والاستقرار، وأي إنسان هذه حالته وتلكم سماته؛ لن يستطيع قطعا أن يعمل أو ينجز، وقد

صاحب هذه الأجواء ظهور فلسفات ومذاهب فكرية تدعو إلى اللامبالاة والعزلة عن الحياة والناس.

وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في سبتمبر ١٩٤٥م، حتى اتضح حجم الدمار البشري والاقتصادي الهائل وخاصة للدول الخاسرة، ومن هنا بدأ الحديث عن التنمية الاقتصادية، من منظور يختلف تماما عن الذي كانت عليه قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، ومن ثم ركزت الاتجاهات التنموية الحديثة على أهمية التنمية البشرية، وضرورة مشاركة البشر في تطوير مجتمعاتهم؛ لسرعة إنجاز التنمية ولتحقيق الخروج من النفق المظلم وإصلاح الدمار الشامل الذي لحق بالبلاد بسبب الحروب، فالتنمية البشرية ركيزة أساسية في إنجاز خطط ومشروعات التنمية.

ومع زيادة الاهتمام بالتنمية البشرية، تبنت الأمم المتحدة فكر التنمية البشرية ووفرت له كافة أشكال الدعم لضمان نجاحه واعتماده كمنهج من مناهج التنمية على مستوى العالم.

## التنمية في الغرب

بتحليل ظاهرة التنمية البشرية وفقا للمفهوم الغربي؛ نجد أنها وسيلة غايتها إشباع الحاجات المادية للإنسان عبر توفير البيئة الملائمة لنجاح عملية الإشباع وما تحتاج إليه من وسائل وأنشطة ومشروعات وبرامج لتحقيق هذه الغاية. ويأتي هذا الفهم الغربي للتنمية البشرية كانعكاس للمعتقد الديني والإيديولوجي.

وعلى هذا فإن القيم والسلوكيات والقدرات التي تعمل على تنميتها في الإنسان هي محصلة لهذا التوجه

## مفهوم التنمية البشرية تطور ليشمل علاقة الإنسان بالبيئة

العقدي والإيديولوجي الذي يقدس الدنيا ويعلي من قيمة الماديات والشهوات، التي تعتبر مدار حياة الإنسان الغربي وغايته. وقد بين لنا القرآن الكريم في آياته تلك الحالة في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الجاثية:٢٣-٢٤).

وعلى تعدد جوانب التنمية البشرية الغربية والتي تتراوح ما بين خمسة إلى ثمانية جوانب؛ فإنها لا تخرج عن كونها جوانب مادية تتعلق بالعلو والتفوق الدنيوي وتحصيل وامتلاك الثروة، وجوانب غير مادية تتعلق بإشباع شهوات الجسم بصورة مطلقة.

وقد فشلت في جلب السعادة والأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي للإنسان الغربي، فمعدلات الانتحار في تزايد والأمراض النفسية منتشرة والتفكك الاجتماعي يضرب بقوة المجتمعات الغربية بصورة مخفية، فالأسرة التقليدية تكاد تنقرض، مع ارتفاع معدلات الطلاق والعنوسة وحوادث القتل والسرقات... إلخ.

## قواعد عامة

في اجتهاد منا نحاول أن نضع أيدينا على بعض من قواعد الإسلام في تغيير وتنمية القدرات البشرية وتطويرها، وذلك من الكتاب والسنة المطهرة، وهي على النحو التالي:

### ١- تصنيف الناس

معرفة معتقدات واتجاهات الناس تساعد على التعامل معهم وفقا لاتجاهاتهم وتوقعاتهم تجاه مختلف القضايا، وقد وردت آيات عدة في القرآن الكريم تتحدث عن هذا التصنيف، فقد جاءت الإشارة إلى هذا التصنيف من حيث المعتقد في سورة البقرة على النحو التالي:

**أولا:** المؤمنون: وردت صفاتهم في صدر سورة البقرة في الآيات ٣-٥.

**ثانيا:** الكافرون: وردت صفاتهم في الآيات ٦-٧.

**ثالثا:** المنافقون: وردت صفاتهم في الآيات ٨-٢٠.

والأصناف الثلاثة لا يخلوا منها أي مجتمع من المجتمعات، وهي تشكل منظومة الحياة اليومية في مواقفها وتعاملاتها.

### ٢- تفاوت قدرات البشر

البشر متفاوتون من حيث القدرة على الفهم والاستيعاب، ونقل الخبرات والتجارب إلى الآخرين، وهذا ما نفهمه من الحديث، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت الكلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به

فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (البخاري).
وكذلك من حيث القدرة على القيادة، فمن الناس من حباه الله صفات القائد وهو لها أينما كان، ومن الناس من لا يمتلك قدرات القيادة ولا يصلح لها، فجاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: «يا رسول الله ألا تستعملني -يعني ألا تجعلني واليا أو أميرا أو رئيسا لك على إحدى المدن-؟» قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» (مسلم).

### ٣- الإشادة بالجهود المميزة

بقدر جهد المرء وبذله وعطائه يكون تميزه، وهذا يكون مدعاة لتقديره وتكريمه والإشادة به وتحفيزه على مواصلة جهده المميز، وليكون في هذا دافع للآخرين لتطوير أنفسهم وتمييز جهودهم؛ ليكونوا من المؤثرين النافعين لمجتمعاتهم فينالوا المكانة نفسها، وعندها يستحقون الإشادة والتقدير، وهذا من سمات المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد:١٠)، وقال عزوجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:٩)، وقال أيضا: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١).
وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير» (مسلم).

### ٤- إفساح المجال للمواهب

دعا الإسلام إلى أن يوظف كل فرد من أفراد الأمة ما وهبه الله من مواهب وقدرات لخدمة دينه وأمته، وأن يكون إيجابيا في توظيفها على هذا النحو، فمن المسلم به في علوم الحضارات أن لقدرات ومواهب الأفراد دور كبير في بناء حضارات أممهم، وقد حث الإسلام على إعمال هذه المواهب وإطلاق العنان لها بالتفكير والتدبر الذي يؤدي إلى اكتشاف العلوم وقوانينها، بعد إدراك عظمة الخالق وقدرته وعظمة خلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١).

### ٥- القيادة ترتبط بالكفاءة

يحدث الخلل وتتدهور الأمور وتهدر موارد البلاد، عندما تسند الأمور إلى غير أهلها بفعل المحاباة أو الرشوة، أو غيرهما من السلوكيات المنحرفة والطرق الملتوية، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين» (الحاكم).

### عوامل نجاح التنمية

لضمان نجاح التنمية البشرية كعملية حقيقية للتغيير والتطوير وتنمية القدرات البشرية، لا بد من توافر عدة عوامل لها، ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين من العوامل؛ أولهما: العوامل الذاتية، وثانيهما: العوامل الخارجية.

### أولا: العوامل الذاتية

هي العوامل المتعلقة بالفرد، وتتعلق بمجموعة من السمات الشخصية والسلوكيات والأخلاقيات والفضائل الشرعية، التي حث الإسلام على التمسك بها في القرآن والسنة المطهرة، وهي كثيرة يضيق المقام عن ذكرها كاملة، ولكن نعمد في ذكرها إلى الاختصار والتبسيط على النحو التالي:
**عقديا:** يأتي في مقدمة العوامل الذاتية أن يلتزم بالعقيدة السليمة القائمة على توحيد الله وإفراده بالعبادة وحده دون ند أو شريك، ثم الاقتداء والتأسي بما كان عليه النبي ﷺ وصحابته والسلف الصالح رضوان الله عليهم، وفي ذلك عصمة للإنسان من الزيغ والضلال.
**أسريا:** يمثل البر بالوالدين والإحسان إليهما خير وبركة وعبادة يتقرب بها لله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤). وحسن معاشرة الزوجة والأبناء، ففي الحديث عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي وإذا مات صاحبكم فدعوه» (الترمذي وابن ماجه)، فالاستقرار الأسري من ضمانات نجاح التنمية والتطوير الذاتي.

**المستوى العام:** يلتزم الصدق في تعامله مع إخوانه من المسلمين ومع أفراد المجتمع الآخرين، فلا يكذب، ويكون أمينا لا يخون، ولا يغدر، يحافظ على أعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم، وعامة يلتزم بكل أدب حض عليه الإسلام من أخلاق وآداب، وينتهي عما نهى عنه الإسلام من أخلاقيات وسلوكيات سيئة، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» (النسائي وصححه الألباني).

**الجوانب الفردية:** في سلوكياته الاستهلاكية يلتزم الاعتدال والتوسط بعيدا عن الترف والإسراف أو البخل والتقتير، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧).

**الإسلام المنهج الوحيد القادر على تغيير البشر تغييرا حقيقيا**

### ثانيا: العوامل الخارجية

هي العوامل والأمور المتعلقة بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، والتي تؤثر إيجابيا أو سلبيا على إقبال الفرد على المشاركة والتفاعل مع قضايا أمته ومجتمعه، وبالتالي موقفه من تطوير وتنمية قدراته الذاتية. وهذه العوامل هي:

العدل بين الناس والمساواة بينهم في إتاحة الفرص.

جودة التعليم وتطويره والاستثمار فيه.

إتاحة الفرصة للمشاركة في بناء المجتمع ونهضته، كلٌ حسب قدراته وبقدر الحاجة إليه.

استثمار ثروات البلاد وتوظيفها بما يدعم البناء الاقتصادي بمجالاته الرئيسية الثلاث «زراعيا وصناعيا وتجاريا».

تشجيع الابتكار والإبداع بما يضمن تحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة وخاصة في مجالات الصناعة والتكنولوجيا.

تطوير المنظومة القانونية والإدارية الحاكمة للتعاملات الرسمية وغير الرسمية.

والتنمية البشرية في منظورها التكاملي الإسلامي تعيد صياغة الإنسان صياغة متوازنة من خلال الإشباع المتوازن لكافة احتياجاته وفقا لشريعة الإسلام، بما يشعره بالأمن والاستقرار الداخلي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢)؛ الأمر الذي يساعد الإنسان على إطلاق وتطوير قدراته واستثمارها بما يحقق له خيري الدنيا والآخرة.

### الحاجة للتنمية

المتتبع لتاريخ الأمة وواقعها المعاصر يدرك أنها في محاولاتها للخروج من أزماتها الراهنة واجتياز واقعها الذي لا يعبر حقيقة عن قيمتها ودورها المنوط بها في قيادة العالم، يدرك أن الأمة في حاجة لكل جهود أبنائها لتوظفها في إعادة بنائها الحضاري واجتياز مرحلة التبعية والتخلف إلى مرحلة القيادة والصدارة.

ولكي يتم الاستفادة من هذه الجهود والقدرات لا بد من التخطيط ووضع البرامج التي تظهر هذه القدرات وتنميها وتحدث تنمية بشرية حقيقة وبما يعبر عن معتقدات وطموحات الأمة الإسلامية؛ واستراتيجيات التنمية البشرية المستوردة من العرب لن تحقق هذه الأهداف.

ولذلك علينا أن نعيد دراسة المبادئ والتعاليم التي أتى بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في ضوء الواقع المعاصر، إذ يمكننا من خلال هذه الدراسة إدراك قدرة العقائد والشرائع والقيم الإسلامية وملاءمتها ومرونتها في إحداث التنمية في كل زمان ومكان، طالما أن من أهم أهداف الإسلام وقواعده تحقيق مصالح العباد، حتى إن الفقهاء صاغوا القاعدة الفقهية المشهورة «حيثما كانت مصلحة المسلمين فثمة شرع الله» (٢).

### الهوامش

١- الفتاوى: ٧/٦٣٥.

٢- محسن عبدالحميد، الإسلام والتنمية الاجتماعية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ١٤٠٩، ص ١٦.

نادر أبو الفتوح - صحفي
بجريدة الأهرام المصرية

# إعلاء قيمة الإنسان

**أولت الشريعة الإسلامية التنمية البشرية اهتماما كبيرا، وأمر الله عزوجل الإنسان بالسعي وعمارة الأرض، ويتطلب هذا التفكير والعمل الجاد، والاستفادة من المقومات التي وهبها الله عزوجل للإنسان، والإسلام يريد السعادة للفرد والمجتمع، والرسول الكريم ﷺ يقول في الحديث الشريف: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، ويدل هذا الحديث على أن التنمية البشرية تؤدي للقوة وعمارة الأرض، وأن منهج الإسلام في ذلك يتمثل في الاهتمام بالإنسان، وتقدير العلم والعلماء، واحترام أصحاب القدرات والمتميزين.**

وأكد علماء الدين من جانبهم أن الإسلام سبق كل النظم الحديثة، في الدعوة للتنمية البشرية واعتبارها ضرورة لنهضة المجتمع، وذلك من خلال التوجيهات التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فدعوة الإسلام لمحاربة الفساد والرشوة والمحسوبية، هي في الأساس من دعائم التنمية البشرية، التي تعطي الحق والفرص للمتميزين، كما أن نظام الوقف الإسلامي الذي بدأ منذ قرون طويلة، يعد من أجلّ صور التنمية البشرية؛ لأن أموال الوقف كانت تخصص لرعاية طلاب العلم وحفظة القرآن الكريم، وكانت هناك أوقاف لبناء المدارس والكتاتيب وغيرها.

## الشريعة والتنمية

ويوضح الدكتور مختار مرزوق عبدالرحيم، عميد كلية أصول الدين السابق جامعة الأزهر؛ أن التنمية البشرية من المصطلحات التي ظهرت في العقود الأخيرة، لكن هذا المصطلح بكل مدلولاته جاءت به الشريعة الإسلامية قبل قرون، فالإسلام هو دين العقل والعلم والمعرفة، ويحث المسلم على الأخذ بالأسباب والتفكير الجيد، والنبي الكريم ﷺ قال في الحديث الشريف: «اعقلها وتوكل»، وهذا دليل على أهمية التخطيط في حياة الفرد والمجتمع، وأن الشريعة الإسلامية تحترم العمل، ولا تعارض بين العلم النافع والدين، ولذلك حث الإسلام على الأخذ بوسائل العصر، والاهتمام بالإنسان وتطوير قدراته واكتساب مهارات جديدة؛ لأن كل ذلك يعود بالنفع على المجتمع.

وأشار إلى أن عناية الإسلام بالتنمية البشرية نبعت من الحث على التخطيط والأخذ بالأسباب، والنبي الكريم ﷺ قد ضرب لنا هذا المثل في الهجرة النبوية، عندما رتب ﷺ للهجرة، واختار الدليل الذي له خبرة بالطرق، واختيار

## التنمية البشرية وسيلة لتقدم الأمم

طريق غير معهود، فكل ذلك يعد دليلا على حرص الإسلام على التخطيط الجيد؛ لأن الأمم والمجتمعات تتقدم بالتخطيط والعلم والمعرفة. كذلك نجد دعوة الإسلام للعمل والإنتاج، قائمة في الأساس على تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع، فبالعلم والعمل تتحقق التنمية البشرية، وينهض المجتمع عندما يقوم على العمل أشخاص لديهم القدرة والكفاءة؛ ومن هنا نجد أن الإسلام حث على ضرورة اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، وأن يتم تقديم أصحاب الكفاءة، ومنحهم الفرصة؛ لأن هذا يؤدي لصالح المجتمع ككل.

### تقديم الكفاءات

ويقول الدكتور نبيل السمالوطي، عميد كلية الدراسات الإنسانية السابق جامعة الأزهر بالقاهرة: إن الإسلام اهتم بالتنمية البشرية، عبر الدعوة لحماية النفس البشرية؛ لأن الإنسان مستخلف لعمارة الأرض، وحتى يتحقق العمران والتقدم، لابد من القوة الجسدية التي حث عليها الإسلام، وكذلك من خلال القوة العقلية، فنرى أن الإسلام حرم الخمر والإدمان، ونصوص القرآن الكريم واضحة في هذا الأمر، وكل ذلك من أجل الحفاظ على العقل، بهدف أن ينتج الإنسان ويبدع في الحياة، من أجل خدمة المجتمع، والتيسير على الناس وقضاء مصالحهم، من خلال الاستفادة بوسائل العصر الحديث.

وأوضح أن التنمية البشرية في الإسلام، تتحقق من خلال دعوة الإسلام للعلم والتعليم؛ لأن الأمم والمجتمعات تتقدم بهما، كما حث الإسلام على الاهتمام بالمتميزين في المجالات المختلفة ومنحهم الفرصة للمساهمة في بناء هذه الأمة للوصول بها إلى مصاف الدول المتقدمة واستعادة مكانتها لتسود العالم بأخلاقها وعملها كما كانت، فالإسلام يحترم المتميزين، ويحث تقديم أهل الكفاءة والخبرة، ويتضح ذلك في هجرة الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة، عندما اختار دليلا غير مسلم، لكنه يمتلك الخبرة والكفاءة وعلى علم بطرق ودروب ومسالك الصحراء.

ولفت إلى أنه إذا كانت النظم الحديثة ترى أن الفساد يتمثل في التخلي عن التنمية البشرية؛ فإن الإسلام قد سبق كل هذه النظم في هذا المجال، فالشريعة الإسلامية تحرم التعدي على الممتلكات العامة والخاصة، والإسلام جعل حرمة المال العام أشد من حرمة المال الخاص، كما جرمت الشريعة الإسلامية الرشوة والمحسوبية، فكل صور الفساد المالي والإداري محرم في الإسلام، والحق سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥)، كما وضح الله عزوجل عاقبة الذين يفسدون في الأرض في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ (سبأ:١٥-١٧).

### أبرز الصور

ومن جانبه يقول الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر: إن الإسلام عرف مفهوم التنمية البشرية منذ قرون طويلة، وقد تجسد ذلك في نظام الوقف الإسلامي؛ لأننا نجد أن الأثرياء في الماضي أوقفوا بعض أملاكهم لتنمية أو تمويل مجالات التنمية البشرية، فنجد أن هناك أوقافا وممتلكات أوقفها أصحابها لرعاية طلاب العلم، وهناك الكثير من الأراضي التي تعتبر أوقافا للمدارس والمستشفيات، وكذلك أوقافا للكتاتيب، ولرعاية حفظة القرآن الكريم، بالإضافة للممتلكات التي خصصت لرعاية المرضى والعناية بهم، وغيرها من الأوقاف التي خصصت للفقراء والمحتاجين وأصحاب الحاجات، ويدل ذلك على أن التاريخ الإسلامي حافل بمبادرات تجسد معاني التنمية البشرية، لأن كل المجالات التي يشملها الوقف يستفيد منها المجتمع ككل، وبالتالي تتحقق التنمية البشرية.

د. مجدي محمد حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية

# الإنسان في منظور الفكر الديني

راعت رسالة الإسلام مصالح الإنسان في أدق تفاصيلها ومعانيها، المتمثلة في بنائه ذاتيا وتنمية قدراته الخاصة؛ لأن الإنسان في منظومة الفكر الديني هو خليفة الله في الأرض، المتحمل لأمانة التكاليف، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)، وقال أيضا: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب:٧٢). ومن أجل هدف الاستخلاف في الأرض مكّن الله تعالى لحياة الإنسان عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف:١٠)، وسخر الله للإنسان كل ما يعينه على القيام بهذه التكاليف التي تستفرغ جهده وسعيه وكدحه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الجاثية:١٣).

ولقد حرم الإسلام عدة مفاهيم وسلوكيات تؤدي بسقوط الإنسان وانهياره نفسيا وبدنيا وتؤدي إلى تداعي أركانه، وقعوده عن العمل والبناء وعمارة الأرض. ومن هذه المفاهيم والسلوكيات: اليأس والقنوط، وهو حالة تجعل الدنيا ورحابتها وسعتها ضيقا واختناقا، وآفاقها ودروبها سدودا وأنفاقا مظلمة.

ولخطورة اليأس حذر منه الإسلام وجعله من المحرمات، واليأس ليس من سمات وصفات المؤمنين؛ لأن آمالهم في الله واسعة، ورجاءهم في الله لا ينقطع مهما اشتدت الخطوب



وتقلبت الأحوال وتبدلت الظروف، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، وقال عز وجل: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر:٥٦). ونبي الله يونس عليه السلام لم يستسلم لليأس والقنوط فأنقذه الله من ظلمات الليل والبحر وجوف الحوت ببركة ذكره وتسبيحه، وعاد إلى السعة والضياء والدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧).

والهم والحزن والعجز والكسل تؤدي كذلك إلى الهلاك والبوار والثبور والسقوط الذريع في مهاوي الفشل وموت الهمم، لذلك نهى القرآن الكريم عنها، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ (آل عمران:١٣٩).

وكان من هدي النبي ﷺ، الاستعاذة من هذه الأمور؛ لأنها تأخذ بيد الإنسان إلى الهلاك، والتداعي والانهيار، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنت أخدم النبي ﷺ كلما نزل، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» (١)، وقال ﷺ أيضا: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (٢).

## الكويت والتنمية البشرية

وتعتبر دولة الكويت من الدول الرائدة في مجال التنمية البشرية، وذلك لاهتمامها بتنمية قدرات أبنائها والعمل بجد على التطوير الإنمائي للموظفين في القطاعين الحكومي والخاص، لاسيما فئة الشباب، مما كان له بالغ الأثر في رفع سقف الإنتاجية والاحترافية للبلاد وجعلها تتبوأ المركز الخامس خليجيا وعربيا، والحادي والخمسون عالميا ضمن مؤشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (٣).

ويولي المجتمع الكويتي اهتماما بالغا بموضوع التنمية البشرية من أجل زيادة الوعي لدى فئات المجتمع

**حرم الإسلام مفاهيم اليأس والقنوط وحث على العمل والتفاؤل**

خاصة الشباب في سائر المجالات الوظيفية، والتدريب على اكتشاف القدرات الذاتية وتطويرها، وتحديد الأوليات، وكيفية التخطيط ورسم الأهداف، والارتقاء بأساليب الحياة وإيجابياتها دون سلبياتها (٤).

ولم يقتصر اهتمام الكويت بالتنمية البشرية على الأصحاء فقط، بل امتد ليشمل تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث سنت لهم من القوانين ما يضمن لهم توفير فرص عمل، وجرى إنشاء الورش والمشاغل التي تدرب على المهن والحرف المختلفة، علاوة على تنظيم معارض لبيع المنتجات التي يبدعها هؤلاء. وبفضل هذا النهج الراقي في التنمية البشرية لذوي الاحتياجات الخاصة تبوأ بعضهم مناصب قيادية في بعض الوظائف في القطاعين الحكومي والأهلي، وحصلوا على ميداليات في بعض المسابقات الرياضية الدولية.

إن دعوة الرسول ﷺ الإنسانية لترك الوثنية والإيمان بالله الواحد الأحد هي قمة التنمية البشرية، لقد ورّث الرسول ﷺ البشرية منهج الله لتعيش على هداه، وتستقيم أحوالها في دينها ودنياها، وبهذا المنهج القيم يعتبر النبي ﷺ هو المعلم الأول على الإطلاق للتنمية البشرية التي تهدف إلى الارتقاء بالإنسانية وتفجر طاقاتها وتوسع مداركها للتعامل مع الكون بما فيه من كائنات.

### الهوامش

١- البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال، ٦٣٦٣.
٢- رواه مسلم.
٣- القبس الإلكتروني ٢٣/٣/٢٠١٧م.
٤- موقع الاتحاد العام لعمال الكويت ٣/١/٢٠١٧م.

إيمان الجيزاوي
كاتبة مصرية



**عمارة الأرض في الإسلام تعني التنمية الشاملة للإنسان الذي يؤدي وظيفته كخليفة لله على الأرض، وقد سخر له الكون من أجل هذه المهمة. وعمارة الأرض أمر واجب على كل مسلم؛ فهي جانب من جوانب العبادة.**

# عمارة الأرض والتنمية

لقد سبق الإسلام كل فكر متقدم في معالجة قضايا التنمية، وينتشر هذا المصطلح بألفاظ متعددة مترادفة، مثل «التعمير»، و«العمارة»، و«الحياة الطيبة»، في نصوص القرآن والسنة النبوية، وكتابات العلماء، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١).

ويشير أحمد المخزنجي، في كتاب «الزكاة وتنمية المجتمع» إلى أن الإسلام لا يؤيد «التنمية الرأسمالية التي تضمن حرية الرأي، ولا تضمن قوت اليوم»، ولا «التنمية الاشتراكية، التي تضمن قوت اليوم، ولا تضمن حرية الرأي». كذلك فإن الإسلام لا يؤيد «التنمية العلمانية التي تتحلل من القيم المسبقة من أجل التعامل البراجماتي مع الحاجات البشرية».

وتسعى التنمية في الإسلام إلى القضاء على مسببات المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، وأيضا تنمية المجتمع للسلوكيات والمعاني الأخلاقية والإنسانية غير المادية التي تسمو بالإنسان، بما يحقق مستقبلا نموا ماديا، يقوم على أسس قوية تضمن استمرار واستقرار هذا المجتمع، وتصونه من أي صدمات تؤدي لانهياره، أو تفتته.

وتقوم عمارة الأرض في الإسلام على أسس تدور حول الإنسان، باعتباره الهدف الرئيسي لعمليات التنمية البشرية، وبرامجها المختلفة، وتقوم هذه البرامج على عدد من الأسس من أبرزها:

**التنمية في الإسلام تسعى لإعلاء الروابط الإنسانية**

### المعرفة

حتى يقوم الإنسان برسالته، التي كلفه الله، سبحانه وتعالى بها، لابد له من العلم والمعرفة؛ إذ إن الجهل يحول دون ذلك، والمعرفة تقتضي الإحاطة بما كلف الإنسان به، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:٩).

وقال أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس:٣٥).

ولقد اعتنى الإسلام بالعلم، ودعا إليه، وأمر أتباعه بتعلم كل العلوم النافعة؛ حتى يستطيع المسلم أن يؤدي دوره نحو ربه بإخلاص العبودية، وتأدية الواجبات المفروضة، وكذلك بإعمار الحياة، ونفع الناس، وجعل الإسلام العلم مدخلا لمعرفة الله سبحانه وتعالى، حيث قال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (محمد:١٩).

وإذا أراد المسلم أن يقوم برسالته في الحياة فلابد له من علم ومعرفة مستمرة ودائمة، يتابع خلالها ما استجد من العلوم والمعارف والحاجات، وذلك لا يأتي إلا من خلال تنمية مهاراته وقدراته، وغياب العلم والمعرفة يفسح المجال لأن يتقدم الجهل والجهلاء.

### المسؤولية

تشكل المسؤولية أحد الأسس التي تقوم عليها عملية تنمية الموارد البشرية، ومسؤولية الفرد تتطلب منه أن يطور مهاراته، ويجدد علمه، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم:٣٩).

### العمل

العمل هو المحور الذي تقوم عليه عملية تنمية الموارد البشرية؛ فالإنسان الذي يؤدي العمل يحتاج إلى كفاءة مهنية، وعقلية تربوية، تؤهله للقيام بدوره في المهام والوظائف العملية؛ لذلك اهتم الإسلام بالعمل، ورفع من شأنه، وحث عليه، سواء كان عملا تعبديا أو مهنيا، يقول الله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف:٣٠). وحث النبي ﷺ، على العمل فقال: «ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة» (صحيح ابن ماجه).

## الأمانة أساس ضبط أي سلوك إنساني

### الأمانة

أصل وأساس ضبط أي سلوك إنساني هو الأمانة، وليست الأمانة حفظ الحقوق والأموال فقط، بل الأمانة تكون في كل شيء، ومن أبرز الأمثلة في هذا الأمر، أمانة الدين، ثم أمانة العمل. وما تعانيه العديد من المؤسسات العالمية والمحلية من فساد وخلل وانهيار، إنما يعود في كثير منه إلى فقدان الأمانة، أو ما يطلق عليه: غياب أخلاقيات المهنة؛ إذ بفقدانها تنهار قيم العمل وضوابطه. وقد أولى الإسلام أهمية كبرى للأمانة، فقال سبحانه وتعالى، ممتدحا المؤمنين، موضحا أن الأمانة من صفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ (المؤمنون:٨).

### الإصلاح

إن مهمة تنمية الموارد البشرية تقوم على إصلاح الفرد؛ بحيث يكون عنصرا فاعلا، عاملا لخدمة دينه، ومجتمعه، والبشرية جمعاء، وقد انتشر مفهوم تنمية الموارد البشرية في كل بلدان العالم، وتوحدت رؤية الجميع حول غاية هذه التنمية، وهي إصلاح الإنسان، إلا أن مفهوم الإصلاح يختلف من مجتمع إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى. وإذا كان المقصود لدى الجميع إصلاح مهارات الإنسان، ومعارفه، وإمكاناته، فإن الإسلام نظر إلى عملية الإصلاح نظرة شاملة؛ إذ يمتد الإصلاح إلى إيمانه، وأخلاقه، وسلوكه، ومعاملاته؛ ولذلك كانت رسالات الأنبياء جميعا تقوم على الإصلاح، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:٨٨).

شيماء بدير
كاتبة مصرية



# التنمية في أصل الإسلام

**ظهر مصطلح التنمية بعد الحرب العالمية الثانية واقتصر على الكمية التي يحصل عليها الفرد من سلع وخدمات، وكان الاهتمام الأكبر منصبا على النظرة الاقتصادية وتحسين ميزان المدفوعات واعتباره الميزان الحقيقي للتنمية. وظلت التنمية هكذا لفترة طويلة حتى عام ١٩٩٠م حين تبنت الأمم المتحدة مفهوما جديدا للتنمية، وهو تنمية البشر لاسيما وأن الإنسان هو صانع التنمية وهدفها والثروة الحقيقية للأمم.. والتنمية تعمل على توسيع خيرات البشر، وقدرات أي أمة تكمن فيما تمتلكه من طاقات بشرية مؤهلة ومدربة وقادرة على التكيف والتعامل مع أي جديد، بكفاءة وفاعلية.**

في عام ٢٠٠٢م تبنى برنامج الأمم المتحدة للإنماء مفهوما للتنمية الإنسانية بديلا عن التنمية البشرية في أول تقرير صدر له عن التنمية الإنسانية في الدول العربية، على أساس أن التنمية تتجاوز في جوهرها الأبعاد المادية إلى الأبعاد المعنوية التي تمتد لتشمل الحكم الجيد، ووضع المرأة في المجتمع ومدى تمتعها بحقوقها.

وقد عرَّف التقرير «التنمية الإنسانية» بأنها عملية توسيع الخيارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وتشمل تنمية قدرات الناس عن طريق تنمية الموارد البشرية.

ولعل من المهم أن ندرك أولا طبيعة النظرة الإسلامية إلى النفس

الإنسانية بصفة عامة، فالنفس الإنسانية بصفة عامة مكرمة ومعظمة، وهذا الأمر يؤخذ على إطلاقه، وليس فيه استثناء بسبب لون أو جنس أو دين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الاسراء:٧٠).

### المصادر الإسلامية

على الرغم من أن مصطلح التنمية لم يرد صريحا في المصادر الإسلامية، فإن المفهوم حملته مصادر أخرى، وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن ذلك أن الإسلام:

### دين تزكية النفس

يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠)، قال الطبري: «قد أفلح من زكاها» قد أفلح من زكى نفسه فكثر تطهيرها من الكفر والمعاصي وأصلحها بالصالحات من الأعمال، وقيل: أي طهر نفسه من الذنوب ونقاها من العيوب ورقاها بطاعة الله وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح. والتزكية هنا بمعنى النماء والزيادة والصلاح والطهر، وهي المعاني التي تتضمنها التنمية بمفهومها الإسلامي، فليس المقصود هو الزيادة فقط، بل المقصود أن تكون الزيادة صالحة ونافعة.

وقد كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها» (صحيح مسلم)، وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا يستجاب لها» (صحيح مسلم).

### دين يسر

إن يسر الإسلام وتيسيره سمة من سماته، فالحرج ليس من مقاصد الشرع، وإنما اليسر من مقاصده، يقرر هذا القرآن والسنة، قال الله تعالى في سياق الامتنان على هذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج:٧٨). وقال سبحانه في سياق بيان فريضة الصيام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥). ويقول سبحانه في سياق فريضة أخرى وهي الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة:٦). وعلى وفق اليسر والتيسير جرت السنة العملية للرسول ﷺ، فما خير النبي بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثما، وكان ﷺ داعيا إلى الرفق.

### دين السماحة

إن الإسلام كما هو دين اليسر فهو دين السماحة واللين، ومن أبلغ مظاهر سماحة الإسلام، ما يتجلى في نطاق الدعوة ونشر الدين، وفي معاملة العصاة والمخالفين، ويتضح ذلك في أمور كثيرة منها:

**اللين في الدعوة**

إن أساس الدعوة هو القول اللين، حتى لو كان المدعو من أعتى الخلق، وهذا يتبين من قول الله تعالى لموسى وهارون، عليهما السلام، لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه:٤٤). يقول ابن كثير بعد عرض أقوال المفسرين: والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق سهل رفيق، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع.

يقول الله عزوجل مرشدا نبيه ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥). ويتجلى هذا المنهج السليم في الدعوة إلى الله بالحكمة أولا والموعظة الحسنة ثانيا، والجدال بالتي هي أحسن ثالثا. وما وصف الموعظة والجدل بالإحسان إلا من باب تأكيد معنى السماحة في الدعوة وعدم اتخاذ العنف وسيلة لها.

**السماحة مع العصاة**

لقد كان في سنة النبي ﷺ تقرير لسماحة الإسلام، حيث بيَّن أن الوقوع في الذنب من طبائع البشر. كذلك بينت سنته المطهرة أن المعاصي درجات، وإنما يعامل كل عاص بحسب جرمه. إذ لو عومل الجميع بالضرب والهجر، لكان سببا في نفورهم من الدين، وانفضاض الجموع عن سيد المرسلين ﷺ، وعن دعاة الإسلام من بعده، ولكن رحمة الله سابقة، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ (آل عمران:١٥٩). فالشأن مع العاصي المخطئ هو دعوته إلى التوبة وتصحيح المسار وبيان وجه الخطأ الذي وقع فيه.

**الأمم المتحدة غيرت مفهوم التنمية من البشرية إلى الإنسانية**

أحمد صالح البسطويسي
باحث في أصول الفقه والشريعة



# صلاح الكون من صلاح الأمة

تعيش الأمة مرحلة حرجة من تاريخها، وهي على مفترق طرق، فإما أن تكون أو لا تكون، ومن هنا طفق المخلصون من أبنائها يبحثون عن الطريق الموصل إلى عودة الأمة إلى السيادة والريادة، وإنقاذها من مرحلة الذل والعبودية والهوان. وكثر الحديث، وتعددت الاجتهادات، والحوار يدور حول أفضل السبل، وأنجع الطرق، وأسلم المسالك التي إن أخذت بها الأمة نجت وتحقق لها ما تصبو إليه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة:٢٤)، وإن تخلت عنها وأخذت بغيرها جرت عليها سنة الله في الأمم ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف:٥٩)، وعندما يتأمل المسلم شرع الله حق التأمل يجد أمورا تستلفت النظر، فأول ذلك: تحكيم شرع الله؛ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما من أعظم وسائل الإصلاح، إذ إن أحكام الكتاب والسنة هي الأحكام العادلة على الإطلاق، لماذا؟ لأنها أحكام صادرة من ربنا جل وعلا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤)، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء:٥٨). فأحكام شرع الله هي الأحكام العادلة، وسواها أحكام ظالمة جائرة، مهما أراد أرباب القوانين الوضعية ومهما بذلوا قصارى جهدهم أن يوجدوا للخليقة أحكاما تعدل بينهم فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا؛ لأنها أحكام متناقضة، ونظم متباينة، فليس هناك أعدل من حكم الله الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ.

ومن أسباب صلاح الأمة أن يكون الإعلام الإسلامي إعلاما واقعيا وإعلاما متجردا وإعلاما يحمل على عاتقه هموم الأمة ومشاكلها؛ ليعالج قضاياها ويعالج مشاكلها ويخاطب فتياتها وشبابها بخطاب يمكن من خلاله تأصيل القيم والفضائل ومكافحة الشرور ومحاربة الدعايات المضللة والقنوات الخليعة والمنحرفة عن الهدى. إن إعلام الأمة متى قوي بثه وقويت برامجه وأخذ على عاتقه هموم الأمة يعالج مشاكلها ويدافع عن قضاياها ويزيل عنها كل غشاوة وشبهات ضالة تعلق بها المنحرفون، فذاك هو واجبه ليكون إعلاما نافعا ومنبر توجيه وإصلاح.

عندما تحمل القلم لتخط به كلمات تنشرها فقف مع نفسك هنيهة؛ هذه الكلمات التي تريد أن تكتبها هل هي تخدم هذا الدين؟ هل هي تخدم قضايا الأمة؟ هل هي تزيد الأمة قوة وثباتا، أم هي تفتح ثغرة على الأمة ونزاعا

واختلافا؟

### لنا ثوابت ومسلمات

إن الصراع الفكري يجب أن يقف عند حده، ولا يجاوزه. إن لنا ثوابت ومسلمات يجب أن تكون بعيدة عن نقاش صحفي أو إعلامي، يجب أن تكون النقاشات الإعلامية في قضايا الأمة وفي طرح أي مصلحة للأمة تخدم دينها وأخلاقها، أما الثوابت الأمة ومسلماتها فيجب أن تكون بعيدة عن أي نقاش.

إن الأمة اليوم بحاجة إلى وحدة الصف، وبحاجة إلى الالتحام في هذا الزمن الذي تضاعفت فيه التكتلات السياسية والاقتصادية، وأريد بالأمة ما أريد بها، ولكن يأبى الله ذلك، وله الفضل والمنة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف:٨).

إن مسلمات الأمة وثوابتها يجب أن تبقى بعيدة عن كل نقاش، ويجب أن تكون الأطروحات في سبيل كل خير تصل الأمة إليه، ويراد به الصعود بها إلى الكمال.

إن البلاد الإسلامية إذا أرادت لنفسها القوة والثبات فلابد أن تعود إلى شرع الله لتجد فيه الأمن والاستقرار والطمأنينة.

حب المسلم لوطن الإسلام أمر مطلوب، لكن كيف يكون المسلم محبا لوطنه؟ وكيف يكون مدافعا عن وطنه؟ وكيف يكون مصلحا لوطنه؟

إن حب الوطن حق يتمثل في حب الخير للأمة والسعي فيما يصلحها، وإبعاد شبح أي خلاف ونزاع يراد به تفريق كلمتها. إن الأمة بأمس حاجة إلى التحام واجتماع وتآلف وقوة وانتظام حتى لا يجد العدو ثغرا يلج من خلاله.

إن الصراع الفكري يجب أن يكون له حد، وألا يمتد إلى ما لا خير فيه (١).

إن كثيرا ممن يقول أو يكتب قد يكتب ما لا يدري عن أبعاد ما يكتب، ولا عن نتائج ما يكتب، فليتق المسلمون ربهم في أمورهم كلها، وليكونوا يدا واحدة على الخير والتقوى. إن الجهود يجب أن تتضافر من كتابنا، وخطبائنا من أئمة مساجدنا، ومن كل فرد في هذه الأمة فيما يصلح الأمة ويثبت دعائم أمنها ويخلصها من كل الأفكار الدخيلة عليها، ومن كل الآراء الشاطة التي لا تخدم هدفا ولا تحقق غرضا، وإنما يجب أن تكون أطروحاتنا في سبيل ما نمد به هذه الأمة في قوة وثبات واستقامة.

إن مزية الإسلام العظمى في مجال إعمار الأرض أنه -وهو يعمل على رفع الإنسان إلى أعلى؛ لموازنة ثقل الشهوات- لا يدفعه إلى منطقة ينعدم فيها جذب الأرض، فلا تؤدي به إلى إهمال عمارة الأرض وحفظها من الفساد بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلها تكاليف ربانية أمر بها الله، لأنه يعلم أن فيها صلاح الحياة والإنسان، وهو الذي خلقه ويعلم ما يصلحه وما يصلح له: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤)، ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١)، ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ (الصف:١٠-١١).

وكذلك فإنه - وهو يوجه الإنسان إلى عمارة الأرض، والاستمتاع بالطيبات فيها - لا يتركه يغرق في حمأة الشهوات، لأنه عندئذ يترهل ويفسد، ويستثقل التكاليف التي يتطلبها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، لأنها تبدو في حسه موانع تعوق الإنسان عن المتاع ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ (التوبة: ٤٢)، ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (التوبة:٨٦-٨٧).

### الإنسان المتوازن

وإنما يعمل الإسلام على أن يقوم الإنسان متوازنا بين عنصريه المكونين له: قبضة الطين ونفخة الروح، عاملا في الدنيا وعاملا للآخرة في ذات الوقت ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:١٥).

وقد جمع النبي ﷺ ذلك في قوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (٢).

فالمؤمن القوي في إيمانه ونشاطه، وفي عمارته للأرض بالعلم والعمل والدعوة والنفع، خير من المؤمن الضعيف، وفي كليهما خير.

وقال ﷺ في أمر الدنيا وعمارتها: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل».

### الهوامش

١- حب الوطن من الإيمان، أنس فرج محمد فرج، ص١٢.

٢- بين القوة والشدة من منشورات موقع «منارة الإسلام».

د. محسن دهشان يونس
خبير تربوي
مصر



# التنمية المستدامة للتعليم في العالم العربي

ماذا لو كان التعليم في العالم العربي يتعلق بالمعرفة والعمل والحوار مع الآخرين وتغيير العالم في ظل الثقافة الإسلامية؟

ماذا لو كان التعليم ممتعا وذا صلة بالحياة، ويعالج مشاكل عالمنا؟

ماذا لو استفاد كل مسلم من تعليم يعزز حياته الدينية والبيئية، وينصفه اجتماعيا ويراعيه ثقافيا واقتصاديا؟

ماذا لو استفاد كل مسلم من فرص حقيقية للتعلم مدى الحياة في عمله، وفي محيط مجتمعه المحلي الذي يعيش فيه؟

ماذا لو أعدت الدول العربية في ظل ثقافتها الإسلامية الداعية للسلام والألفة والمودة والإيثار والتعاون على البر والتطلع للمستقبل والإعمار والحفاظ على البيئة أنظمتها التعليمية بطريقة تضمن انضمام أبنائها إلى صفوف القوى العاملة، فيواجهوا الأزمات، ويتحلوا بالمرونة، ويصبحوا مواطنين مسؤولين متكيفين مع الواقع المتغير، ويتعرفوا على المشاكل المحلية وذات الجذور العربية ويصلوا إلى حلول لها، ويتعاملوا مع الثقافات الأخرى باحترام، ويوجدوا مجتمعا يتسم بالسلام والاستدامة؟ لو أمكننا ذلك، لامتلكنا مجتمعا إسلاميا متطورا وشعوبا واعية ومستقبلا ناميا وتنمية أكثر استدامة.

فلقد شاع مصطلح التنمية المستدامة في وقتنا الحاضر، ولكي نسايرها، وجب علينا أن نلقي نظرة على هدفها، الذي يكمن في تلبية احتياجات الحاضر دون إهمال احتياجات الأجيال القادمة.

والتنمية المستدامة رؤية للتنمية تنطوي على احترام كل أشكال الحياة. هذا ما دعانا إليه ديننا الحنيف، يقول الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان:٢٠).

أما إذا نظرنا إليها من منظور التعليم فنجد أن الرؤية الاستراتيجية للتعليم حتى عام (٢٠٣٠م) في معظم الدول العربية تدور حول إتاحة التعليم والتدريب للجميع بجودة عالية دون التمييز، وفي إطار نظام مؤسسي، وكفء وعادل، ومستدام، ومرن، وأن يكون مرتكزا على المتعلم والمتدرب القادر على التفكير والمتمكن فنيا وتقنيا وتكنولوجيا، وأن يساهم أيضا في بناء الشخصية المتكاملة وإطلاق إمكانياتها إلى أقصى مدى لمواطن معتز بذاته، ومستنير، ومبدع، ومسؤول، وقابل للتعددية، يحترم الاختلاف، وفخور بتاريخ بلاده، وشغوف ببناء مستقبلها وقادر على التعامل تنافسيا مع الكيانات الإقليمية والعالمية، لذا نجد أن رؤية عدد من الدول العربية في مجال التنمية المستدامة للتعليم قد تضمنت عدة محاور في مقدمتها:

- تحسين القدرة التنافسية لمنظومة التعليم بالدول العربية.
- إتاحة التعليم الأساسي لجميع أبناء الوطن العربي.
- العمل على محو الأمية الهجائية والرقمية.
- كما تضمنت إتاحة رياض الأطفال وتمكين الأطفال في المراحل العمرية من مهارات التعليم المبكر عن طريق رفع نسبة القيد العام في مرحلة رياض الأطفال.
- رفع نسبة الورش المحدثة والمطورة بالمدارس الفنية لتتواكب مع المناهج الجديدة.
- إقرار منظومة جديدة تسمح بالتحاق طلاب التعليم الفني بالتعليم العالي في نفس التخصصات حتى درجات البكالوريوس والماجستير.
- تمكين المتعلمين لتحويل أنفسهم والمجتمع الذي يعيشون به من خلال تنمية المعلومات، والمهارات، والمواقف، والكفاءات، والقيم المطلوبة لمعالجة تحديات الحاضر والمستقبل، إلى مواطنين يتسمون بالتفكير النقدي والمنهجي، والقدرة على تحليل وحل المشكلات، والإبداع، والعمل الجماعي، واتخاذ القرارات في مواجهة ألسنة التطرف، وفهم التحديات العالمية والمسؤوليات النابعة من هذه التوعية.

على الجانب الآخر لابد وأن نعي أنه لا يمكن تحقيق التنمية المستدامة من خلال الحلول التكنولوجية، أو الأنظمة السياسية، أو الصكوك المالية وحدها، فنحن بحاجة إلى أن نغير طريقة تفكيرنا وعملنا، حيث تعاني منظومة التعليم في الدول العربية بمستوياته المختلفة من عدد من التحديات يمكن تلخيصها في تحديات تتعلق بإتاحة الخدمات التعليمية، والتي ترتبط بشكل كبير بتوفير التمويل اللازم من خلال الموازنات العامة للدول أو من خلال المشاركات المجتمعية، مع وخفض نسبة كثافة الطلاب بالفصول، بالإضافة إلى استيعاب الزيادة في عدد الطلاب المترتبة على معدلات النمو السكاني الحالية، ومن التحديات أيضا السعي نحو رفع مستوى جودة التعليم والذي يتطلب تخصيص موارد إضافية، وتدريب العنصر البشرى القائم على العملية التعليمية.

ولكن في ظل هذه التحديات لابد ألا نغفل الجهود التي سعت ومازالت تسعى إليها الدول العربية لتطوير أنظمتها التعليمية، لتتواكب مع التطور العالمي دون إهمال للثقافة الإسلامية والعادات والتقاليد العربية، ومن هذه الجهود:

- إعداد مناهج متكاملة تدعم الوعي السياسي والمشاركة الثقافية والسياسية بجميع المراحل التعليمية.
- التركيز على تطوير البنية التحتية للتعليم من خلال بناء وتجديد المدارس والهيكل الداخلي للنظام التعليمي.
- بناء قدرات المعلمين وتدريبهم بأحدث الطرق.
- إعداد برنامج دعم جودة التعليم الذي يهدف إلى دعم القدرة المؤسسية للمدارس وتحسين الفاعلية التعليمية.

وفي النهاية يجب أن ندرك تماما أن منظومة التعليم يقع عليها عبء كبير في تحقيق أهداف التنمية المستدامة التي تسعى الدول لتحقيقها في قطاعات مختلفة، حيث إن تطوير أي قطاع من القطاعات الاقتصادية أو الخدمية يرتبط بشكل وثيق بالعنصر البشري وقدرته على مواكبة كل حديث ومتطور وإضافة إبداعات جديدة وابتكارات حديثة؛ فدول العالم المتقدمة أصبحت تركز على «التعلم» وليس «التعليم» وتستخدم أدوات التكنولوجيا الحديثة والمتطورة في الارتقاء بالأدوات التعليمية المختلفة.

عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

# مجتمعاتنا وتنمية البشر.. إلى أين؟

عنيت شريعة الإسلام بتنمية الفرد والارتقاء به باعتباره الأساس في النهوض بأي مجتمع؛ ليكون في مصاف الأمم المتحضرة المتقدمة. وتضمن القرآن الكريم العديد من التوجيهات التي ترتقي بالإنسان، ومنها أن الله تعالى حثه على تنقية قلبه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ (البقرة:١٩٧)، وكذلك الارتقاء بسلوكه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١)، وتعزيز الإخلاص والمراقبة الذاتية: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)، وبناء القيم الاقتصادية: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الإسراء:٢٩).

ولذلك تعد التنمية البشرية، والاهتمام باحتياجات الإنسان من الضروريات التي لا غنى عنها، خصوصا في عصرنا الحالي المليء بالصراعات والضغوط، والمنافسة بين الأفراد والدول على مضمار التقدم والتنمية وتحقيق الذات. وخلال السنوات القليلة الماضية انتشرت التنمية البشرية على نطاق واسع، وتعددت مؤسساتها وتنوعت مشاربها، وبصورة خاصة في المنطقة العربية. ورغم ما يروج من إيجابيات للتنمية البشرية، تدور في أذهان كثيرين عدة تساؤلات حول هذا الاتجاه الجديد، لاسيما ما يتعلق بأصل التنمية البشرية، وجدواها، ودورها في النهوض بالمؤسسات والهيئات، وهل حققت المؤسسات، التي نظمت لموظفيها دورات في التنمية البشرية، تقدما ملحوظا مقارنة بمنافسيها أم أنها أخفقت في ذلك؟ وهل تفيد تدريبات التنمية البشرية الخريجين الجدد، وتحسن من فرصهم لنيل وظيفة، أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد أوهام تباع للتربح من الشباب الباحث عن العمل؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال آراء بعض الخبراء في التنمية البشرية.

## اتجاهات

يقول د. أحمد سمير، خبير التنمية البشرية: إن «خدمات التنمية تزايدت وتنوعت في المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة بشكل كبير، وبعضها يستند إلى معايير علمية تفيد المجتمع، والبعض الآخر يعد وسيلة للكسب فقط ولا يفيد المتدرب»، موضحا أن الوطن العربي يعج بالآلاف من خبراء التنمية البشرية علاوة على مئات الجمعيات التي تتبنى الأفكار ذاتها. ولفت إلى ضرورة أن تعمل هذه الجمعيات معا ضمن كيان دولي ينسق أعمالها ويضبط آلياتها.

وأشار إلى أنه يجب التفريق بين مدربي التنمية البشرية وخبراء الطب النفسي؛ فالتنمية البشرية تقوي قدرات الإنسان العاقل الذي يحتاج إلى خطط أو رؤية أو منهجية للحفاظ على الصحة والوقت وتطوير الذات، وهذه الأمور لا تدخل ضمن اختصاص الطب النفسي، مضيفا أن خبراء التنمية البشرية يركزون في عملهم على خمسة اتجاهات: «الروحاني، الاجتماعي، المهارات الشخصية، الصحة، والمادة».

وتابع قائلا: إن «بعض الدورات التدريبية تستهدف روحانيات الإنسان، وعلاقته بربه، وكيفية تقوية النفس، وتنزيهها عن الوقوع في المخالفات والزلل، بينما تستهدف أخرى علاقة الإنسان بمجتمعه، وكيف يتفاعل في سياق الجماعة، ويحترم الآخر، ويبتعد عن عنصرية الفكر».

وأوضح أن التنمية الشخصية، وهي تمثل غالبية دورات التنمية البشرية، تتضمن عدة مهارات، منها على سبيل المثال: صقل القدرة على المذاكرة، والحفظ، وعدم النسيان، والعمل، والسفر، مضيفا أن «هناك دورات للتنمية الصحية يتعلم فيها الإنسان كيف يحافظ على صحته، ووزنه، وطعامه وشرابه الصحيين، ونشاطه البدني، كذلك فإن هناك دورات مرتبطة بعالم المال والأعمال والمهارات الاقتصادية، كأهم وسائل الحصول على المال أو تحقيق الثروة، علاوة على مهارات الإنفاق، وتأسيس المشروعات، وغيرها من الأمور المرتبطة بالجانب

المادي في حياة الإنسان، وكل ذلك يفيد الإنسان على المستوى الشخصي، والأسري، والمجتمعي ككل».

وحول المعايير التي تحكم عمل خبراء التنمية البشرية قال د. سمير: إن شروط حصول العاملين بالتنمية البشرية على ترخيص بمزاولة هذا العمل صعبة للغاية، وتتفاوت من دولة إلى أخرى، الأمر الذي أدى إلى ظهور الكثير من المحتالين أصحاب الشهادات الوهمية في هذا المجال، والذين تقتصر مهاراتهم العلمية على بعض الاقتباسات من كتب خبراء التنمية البشرية المشهورين.

وأشار إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي باتت ساحة لتحقيق الشهرة واستقطاب المهتمين بمجال التنمية البشرية.

## تنمية المسلم

أما د. طه أبوكريشة، النائب السابق لرئيس جامعة الأزهر وعضو هيئة كبار العلماء، فأوضح أن رسول الله ﷺ علم البشرية الطريق الحقيقي للتنمية، ففي شريعتنا السمحة ما يمكننا من حفظ الجوانب التي تهتم بهذا العلم المستحدث وهي الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل.

وأضاف أن دراسة سيرة رسول الله ﷺ والتمسك بها، وبأقواله وأفعاله بمثابة المرجع الحقيقي ليكون الإنسان قويا ثابتا رحيما بالضعفاء، شديدا على الأشقياء، ينمي نفسه، ويقود الأمم، يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

وأشار إلى أن «الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعله قادرا على العطاء وإعمار الأرض، والقرب من الله يعظم هذه القدرات وينميها والبعد عنه يصيب الإنسان بالتخبط والجهل».

وشدد د.أبوكريشة على أن الشريعة السمحة اهتمت بالإنسان وحياته، والعناية بصحته البدنية والعقلية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة:٩٠)، كذلك اهتمت شريعتنا الغراء بالتعليم؛ حيث دعانا القرآن الكريم إلى طلب العلم والقراءة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١)، والحفاظ على المال وحسن إدارته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧).

وأكد أن شهادات التنمية البشرية حاليا أغلبها تبيع الوهم، وبعضها حقيقي يدعم الشباب، ويقوي توجههم نحو فهم نظريات العالم الحديث، والأمور التكنولوجية، مضيفا أن تزييف هذه الشهادات هو فساد، وسيحاسب صاحبه على الأموال الحرام التي استحلها كذبا وزورا وبهتانا.

## المؤهلون قلة

بدورها، قالت د. بسمة سليم، إخصائية علم نفس: إنه على الرغم من أن علم التنمية البشرية هو جزء من علم النفس، إلا أن أهميته أصبحت بالغة هذه الأيام؛ نظرا لتزايد العقبات الحياتية التي يواجهها الإنسان. وأوضحت أن القليل من العاملين في هذا المجال حصلوا على شهادات معتمدة، ويتمتعون بخبرة حقيقية، لافتة إلى أن عددا كبيرا ممن انضموا إلى هذا المجال خلال السنوات القليلة الماضية غير مؤهلين لممارسة هذا العمل.

وأوضحت أن غياب الرقابة جعل من المهنة وسيلة «كسب وتربح»، مؤكدة ضرورة إخضاع كافة مراكز التنمية البشرية للأجهزة الرقابية المختصة نظرا لغياب المهنية في هذا المجال.

وشددت على أهمية نشر الوعي بشأن التنمية البشرية للتمييز بين الدورات التدريبية الحقيقية، وتلك التي تسعى للتربح فقط.

وقالت: إن ارتباك الوضع المجتمعي في عدد من البلدان أدى إلى استغلال المحتالين لعقول الشباب للانضمام لدورات غير مجدية من خلال أسلوب «البرمجة اللغوية العصبية»، التي لا تحتاج إلى شهادة بقدر امتلاك وسائل الإقناع والمهارة من المدرب، وأغلب هؤلاء المدربين يلقون محاضرات لا تمت للجانب الأكاديمي بأي صلة، مؤكدة أن ٧٥٪ من العاملين في مجال التنمية البشرية حاليا غير مؤهلين لهذا المجال، بينما النسبة المتبقية من المدربين المؤهلين، وأصحاب هذه المهنة الجادين، يفكرون حاليا في تركها؛ حتى لا تلاحقهم «وصمة العار» التي طالت كل من يعمل في هذا المجال.

## اهتمام

ويوضح د. محمد سعيد منصور، استشاري التنمية البشرية، أن الاعتقاد السائد عن العمل في التنمية البشرية بأنها نوع من «المتاجرة» بهدف جني الأموال، يعزى لدخول عدد كبير من غير المتخصصين إلى مجال التنمية البشرية.

وأكد أن: قطاع التنمية البشرية يفتقر إلى ضوابط صارمة تحكم هذا المجال؛

حتى لا يتفاقم الأمر، فكما أنه لا يمكن لغير الطبيب أن يقوم بفحص المريض، وتشخيص حالته الجسدية والنفسية، لا يمكن كذلك الاطمئنان إلى أي تقييم يصدر من أشخاص غير مؤهلين أكاديميا في مجال التنمية البشرية.

وتابع قائلا: نلاحظ إقبالا متناميا من جانب قطاع الشباب، خصوصا الخريجين الجدد، على دورات التنمية البشرية، بغض النظر عن المؤسسة التي تنظم التدريب ومدى أهليتها لذلك، أملا في الحصول على شهادة تفيد باجتيازهم لهذه الدورات، التي ربما تطلبها بعض الجهات كشرط للتأهل لوظيفة ما، وفي نهاية المطاف لا يجني المتدرب أي استفادة حقيقية من هذه الدورات سوى ضياع ماله ووقته هباء؛ الأمر الذي يفقد الثقة في مجال التنمية البشرية والعاملين فيه.

وطالب د.سعيد، بتوعية الشباب بأهمية دور التنمية البشرية في صقل مهاراتهم وتأهيلهم، إضافة إلى تحمل وسائل الإعلام مسؤوليتها في التوعية، وتسليط الضوء على الفرق بين مؤسسات التنمية البشرية التي تقدم خدمات جادة تفيد المتدربين، وبين مؤسسات هدفها «التربح» فقط.

وأشار إلى أن دول الخليج العربي تبدي اهتماما كبيرا بمجال التنمية البشرية، لاسيما الكويت والإمارات؛ لأنهما تدركان أهمية ذلك في بناء مؤسسات الدولة، ومردوده على انضباط السلوكيات العامة في المجتمع.

## بدايات

من جانبه، يقول د. طارق عبدالعزيز، خبير التنمية البشرية: إن ظهور علم التنمية البشرية كمهنة جاء بعد الحرب العالمية الثانية؛ إذ قررت الدول التي انضمت لتأسيس الأمم المتحدة العمل على محو آثار الدمار الهائل الذي نتج عن الحرب، بعد إحصاء قتلى أبرياء بالملايين، فضلا عن الأضرار النفسية، والانقسامات والنزاعات المجتمعية التي لحقت بأفراد الدول المشاركة بهذه الحرب.

وأشار إلى أن من أبرز رواد التنمية البشرية، في العصر الحديث، بريان تريسي، وأنتوني روبنز، وجاك كانفيلد، وستيفن كوفي، وإبراهيم الفقي، وإيهاب ماجد.

وأضاف أن مهنة التنمية هدفها الاستفادة القصوى من مهارات الفرد، والنهوض بمستوى معيشته، وحالته المادية، وتحسين ظروفه الصحية، فضلا عن تطوير العمل المكتبي، وإدارة الوقت، وتطوير أساليب الإدارة، والخطط والاستراتيجيات في المؤسسات الحكومية والخاصة.

## تكاسل

أما د. عادل عامر، رئيس مركز المصريين للدراسات القانونية والسياسية، فيؤكد أن مؤسسات الرقابة الحكومية، في بعض الدول العربية، تتكاسل عن متابعة كل ما ينشر من إعلانات تخص التنمية البشرية أو غيرها، فضلا عن أن الأدوات التي تستعملها في المراقبة تقليدية، وباتت من دروب الأزمان الغابرة، مقارنة بالتطور التكنولوجي السريع والهائل حاليا.

وأضاف أن هذه الأسباب توفر لمؤسسات التنمية البشرية غير الشرعية بيئة خصبة «لاختراق» المجتمع بشهادات مزورة، ومواد علمية ضعيفة، على الرغم من ارتفاع أسعار دوراتها التدريبية.

وطالب بتفعيل قوانين لحماية المستهلك، والرقابة على الإعلانات والمصنفات الخاصة بالتنمية البشرية، فضلا عن تدريب المسؤولين عن الرقابة، على كيفية تقييم مؤسسات التنمية البشرية من حيث مصداقيتها وأهليتها للتدريب.

ولفت إلى أن لمجال التنمية البشرية بعض الجوانب المضيئة أيضا؛ حيث تمكن رواد وعلماء في هذا المجال من استقطاب مجموعات كبيرة من الشباب لأعمال الخير، وأبعدوهم عن الانجرار إلى العنف، مضيفا أن هناك مؤسسات، في البلدان العربية، ساهمت في إنقاذ الكثير من الشباب من السقوط في براثن التطرف، وجعلتهم قادة للرأي والإدارة.

## تأكد أولا ثم التحق

ويوضح اللواء عاطف يعقوب، رئيس جهاز حماية المستهلك في مصر، أن الجهاز يصدر دوريات عبر موقعه الإلكتروني بالمخالفين، والهيئات غير المعتمدة عن مؤسسات التنمية البشرية، وضوابط العمل فيها، والشهادات التي تصدرها، ويتعين على الشباب الرجوع إلى هذه الدوريات قبل الاشتراك في دورات التنمية البشرية، أو تسديد أي رسوم.

وتابع قائلا: نستقبل الشكاوى عبر أرقامنا المعروفة، أو بالبريد الإلكتروني، ثم نبدأ في اتخاذ الإجراءات اللازمة، مشيرا إلى أن وجود بعض الأدعياء في هذا المجال، أو وقوع عمليات الاحتيال، لا يعني أن جميع القائمين على التنمية البشرية، في المجتمعات العربية، يبيعون الوهم، أو يمارسون الدجل.

د. صبري أحمد نصرة
كاتب - مصر

# زائر بلا موعد

كان يحملق بشدة في النافذة متأملا قطرات المطر المتساقط فوق زجاجها حين رن - على غير موعد مضروب - جرس الباب، عجب من يكون الزائر في تلك الساعة، الجو في الخارج ممطر وعاصف، من يضرب في الطريق الموحل، يتخبط في خطاه، يتعثر في الحفرات والمزالق، تلفح الرياح وجهه، تسري في أوصاله.

أحس بأنه لا يريد أن يرى أحدا. اتجه نحو الباب بفتور، فتحه بيد متثاقلة.

كان الطارق زميلا له في العمل، ولم تكن علاقتهما تسمح بالزيارات المتبادلة ولا الأحاديث المألوفة، تتوقف عند إلقاء التحية المعهودة فقط.

هم أربعة تجمعهم في العمل غرفة واحدة، الزائر أحدهم: رجل في حاله، طيب القلب، يعمل في مثابرة وصمت، لا يعرف العتب، لا ينبس إلا في الندرة، لا تبرح الكلمة فمه إلا عن ضرورة، فوق كل ذلك يتحمل الإرهاق عن الآخرين إذا ما لاحظ أوراقا متراكمة فوق مكاتبهم.

دعاه للدخول إلى أفضل مقعد، وقد خجل من مسكنه الصغير وأثاثه المتواضع، ثم جلس قبالته. الجو في الخارج لا يزال مطيرا، الريح تهز زجاج النافذة هزا عنيفا، يقينا كان على الزائر أن يمضي متعثرا بالوحل كيما يقرع بابه، فالطريق الممهد المرصوف ينتهي إلى ما قبل الدار بمسافة كبيرة.

راح يرحب بالضيف ويسأله عن أموره، ثم ران على المكان هدوء ثقيل يشيع فيه قلق وانتظار.

أرسل صاحب الدار في طلب القهوة، ثم عاود الترحاب بالضيف، بيد أنه لم يستطع أن يغالب سؤالا ظل يتردد في ذهنه: ما الذي أتى به الآن؟

قطرات المطر تتسرب من سقف المسكن، تنقر أرض الغرفة قطرة قطرة، السؤال لا يزال يلح على ذهنه.

أحس الزائر وهو يحتسي القهوة بما يجول في نفس صاحب الدار من ظن فما لبث أن قال:

أيها الأخ الكريم، ما كنت أريد أن أقلق راحتك في مثل هذه الساعة، أرجو أن ترى فيَّ صديقا ودودا يمد إليك يد العون.

وفيما كان الضيف يتحدث، شعر المضيف أن الصوت الذي يسمعه يبلغ القلب قبل الأذن، وينزل في نفسه سكينة كبرى.

واصل الزائر حديثه:

لقد تبين لي يا أخي أنك بحاجة إلى المال، لقد لمحتك تهمس في أذن زميلينا في العمل والحاجة بادية عليك، واستبان لي أنهما رداك، كان الله في عونهما وعوننا جميعا، كنت أنتظر أن تأتي إلي فلم تفعل، فعقدت العزم على أن آتي إليك أملا ألا تردني خائبا.

كان الضيف يتحدث بعفوية وبساطة، ولم يكن جواب المضيف سوى دمعتين انهمرتا بصمت من عينيه، وقد استعرض في ذهنه صور الأشخاص الذين سألهم فردوه في استياء، الأبواب التي طرقها وردته بالخيبة، الاعتذارات المصطنعة والأسباب الواهية.

تنقضي لحظات، يهم الضيف واقفا، يخرج من جيبه ظرفا، يقدمه إلى المضيف ويده التي تعطي تخجل من اليد الأخرى التي تأخذ، ثم قال:

الآن أستودعك الله، فإني أريد أن أسرع الخطى كيما ألحق بصلاة العشاء في المسجد.

لم يكن يدري ماذا يفعل، بيد أنه وجد نفسه يقول: انتظر لحظة، سوف أرافقك إلى المسجد.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١٤)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

## المتفق والمفترق في اسم «السخاوي»:

**١- شرف الدين السخاوي (ت: ٦٣٢هـ):**

هو شرف الدين أبوالحسن علي ابن إسماعيل بن إبراهيم بن جبارة الكندي التجيبي السخاوي المولد، المحلي الدار، الأديب المالكي.

ولد سنة: (٥٥٤هـ)، حدث عن السلفي وغيره، وأقرأ النحو، وعمي في آخر عمره.

من تصانيفه: «ديوان شعر»، و«نظم الدر في نقد الشعر»، قصره على مؤاخذات سناء الملك. توفي بالقاهرة في شهر ذي الحجة (١).

**٢- أبوالفتح السخاوي (ت: ٦٣٣هـ):**

هو أبوالفتح نصر الله بن عبدالرحمن ابن مكارم الأنصاري السخاوي الحنفي، الحافظ، نزيل دمشق.

من مصنفاته: «الإيضاح والتجريد في الفروع»، و«المعيد والمزيد في شرح التجريد». توفي بدمشق رحمه الله (٢).

**٣- علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ):**

هو علم الدين أبوالحسن علي بن محمد بن عبدالصمد السخاوي المصري الشافعي النحوي المقرئ.

ولد سنة: (٥٥٨هـ)، أخذ عن الشاطبي والتاج الكندي، وتصدر للإقراء بجامع دمشق. من مصنفاته: «تنوير الظلم في الجود والكرم»، و«جمال القراء وكمال الإقراء»، و«ذات الدرر في معجزات سيد البشر»، و«شرح مصابيح السنة للبغوي»، و«شكوى الاشتياق إلى النبي الطاهر الأخلاق»، و«هدية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب» منظومة في القراءات، وغيرها من المصنفات.

توفي بدمشق رحمه الله تعالى، ودفن بقاسيون (٣).

**٤- زين الدين السخاوي (ت: ٧٥٧هـ):**

أبوبكر بن عبدالنصير بن عبدالخالق السخاوي زين الدين المالكي، أحد المعدلين بدمشق، وكان طيب الأخلاق حسن العشرة. قال الصلاح الكتبي: وهو أخو قاضي المالكية نور الدين السخاوي.

مات يوم عيد النحر (٤).

**٥- بدر الدين السخاوي (ت: ٨٦٩هـ):**

هو أبوالبقاء بدر الدين محمد بن محمد بن محمد الأنصاري السخاوي المليجي المصري الشافعي.

ولد في القاهرة سنة: (٨١٠هـ)، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وانتفع بشرف الدين السبكي في الفقه، وسمع على الحافظ ابن حجر.

من مصنفاته: «شرح تنقيح اللباب»، و«شرح الرحبية» وغيرهما، توفي في شهر رجب (٥).

**٦- نور الدين السخاوي (ت: بعد ٨٨٩هـ):**

هو أبوالحسن نور الدين علي بن أحمد بن عمر السخاوي الحنفي.

من مصنفاته: «تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات»، فرغ منه جمعًا وتأليفًا في المحرم سنة: (٨٨٩هـ) (٦).

**٧- زين الدين السخاوي (ت: ٨٩٣هـ):**

هو زين الدين أبوبكر بن عبدالرحمن ابن محمد السخاوي المصري الشافعي، أخو شمس الدين السخاوي.

ولد سنة: (٨٤٥هـ)، ونشأ في كنف أبويه، فحفظ القرآن وجمع الجوامع وألفية الحديث للحافظ العراقي وألفية ابن مالك في النحو وغيرها، وأخذ العربية عن نور الدين الرواق، وتصدى للتدريس في الفقه والعربية وغيرهما.

من مصنفاته: «شرح الإعراب عن قواعد الإعراب» (٧).

**٨- شمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ):**

هو شمس الدين أبوالخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب.

ولد في القاهرة سنة: (٨٣١هـ)، ساح في البلدان سياحة طويلة، وصنف زهاء مئتي كتاب، أشهرها: «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، و«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ» و«المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»، و«فتح المغيث في شرح ألفية الحديث»، و«الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر» وغيرها من المصنفات.

توفي بالمدينة المنورة (٨).

### الهوامش

١- ينظر بغية الوعاة (١٤٩/٢) والأعلام للزركلي (١٩٤/٦) ومعجم المؤلفين (٣٤/٧).
٢- ينظر هدية العارفين (٤٩٣/٢) والأعلام للزركلي (١٩٤/٦) ومعجم المؤلفين (٩٦/١٣).
٣- ينظر بغية الوعاة للسيوطي (١٩٢/٢) والأعلام للزركلي (٢٥٨/٤).
٤- ينظر الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر (٥٣٤/١).
٥- ينظر الضوء اللامع (٢٩٠/٩) ومعجم المؤلفين (٢٨٩/١١).
٦- ينظر الأعلام للزركلي (٢٥٨/٤).
٧- ينظر الضوء اللامع (٤٤/١١) هدية العارفين (٢٣٧/١).
٨- ينظر الكواكب السائرة (٥٣/١) والأعلام للزركلي (١٩٤/٦).

علا محمود سامي
كاتبة مصرية

رحلة الخط العربي في ظلال المصحف الشريف

# حروفه من ذهب وكلماته من السماء

**للخط العربي سحره وبريقه الذي يستوقف الناظر إليه، مما يثير دهشته وإعجابه، وهو الخط الذي مر عبر تاريخه بالعديد من التطورات، حافظ خلالها على جمال روعته، وعبق فنونه البصرية.**

وفي كتابه المعنون «رحلة الخط العربي في ظلال المصحف الشريف»، يرصد الكاتب القطري إبراهيم بن يوسف الفخرو، تطور الخط العربي من خلال عرضه لجماليات الحرف العربي، عبر نماذج للمصحف الشريف، تمثل مقتنياته الشخصية.

هذا الكتاب يأخذ القارئ إلى حقبة زمنية عمرها أربعة عشر قرنا، برصده لخمس مراحل أساسية؛ تبدأ بمرحلة ولادة الخط العربي، ثم مرحلة الارتقاء والتطوير، مرورا بالعثمانيين ودورهم في جمالية الخط العربي، وصولا إلى تأثير التقنيات الحديثة على الحرف العربي ومدى استفادته منها.

ولم يغفل الكاتب رصده لأوائل المصاحف المترجمة على مستوى العالم، ليختم رحلته بإطلاع القارئ على أجمل المصاحف المخطوطة والأخرى المطبوعة في العصر الحديث، من دون تجاهل للتذهيب والزخرفة ودورهما في تدعيم جماليات الحرف العربي، خصوصا في المصحف الشريف.

الكتاب يقع في ٣٥٥ صفحة من القطع الكبير، يصفه الخطاط والمؤرخ العراقي يوسف ذنون بأنه «تراتيل عاشق متعبد في محراب خطوطنا العربية، وفنوننا الإسلامية، صاغها عقدا جميلا في كالح ليالينا الذابلة وغابر أيامنا المبهرة، مما يجعله كتابا يستحق الاهتمام».

الخطاط والفنان صلاح الأربيلي كانت له وقفة أخرى حول الكتاب، حينما يذهب إلى وصفه بأنه «يستعرض بأسلوب شيق نخبة من الروائع الخطية، ويأخذنا في رحلة تاريخية مثيرة، حيث يضع القارئ أمام نماذج أخاذة من المقتنيات الشخصية للمؤلف».

الخطاط التركي عبده البنكي يرى أن الكتاب «يعكس جهدا عظيما، وإنجازا كبيرا، واختيارا موفقا بالنماذج الخطية والنادرة من مختلف العصور، مما يجعله يستحق كل إعجاب وتقدير، خصوصا مع افتقار المكتبة العربية إلى كتب متخصصة بتطور الحرف العربي، مما يجعل هذا الكتاب مرجعا مهما للدارسين والمختصين بالدراسات القرآنية».

من هنا يأخذ الكتاب القارئ ليرصد تاريخ طباعة المصحف الشريف وتأثيرها على الخط العربي، وطباعة أول مصحف في العالم، وما شهدته طباعة المصحف عامة من تطور في مجالات عدة إلى أن وصل إلى شكله الحالي، وما شهدته المراحل الأولى للطباعة من مخاوف، حرصا على حماية المصحف الشريف من التشويه والتحريف والتغيير، إلى أن تمت إجازة طباعة المصحف.

ويتعرض الكتاب إلى السنة التي تمت فيها طباعة المصحف الشريف في العالم العربي (١٨٩٠م)، بقيام المطبعة



# القطري إبراهيم الفخرو يرصد جماليات الحرف العربي عبر العصور المختلفة في كتاب حديث

البهية في القاهرة بطباعة المصحف من قبل المخللاتي، مما يجعل مصر شاهدة على ميلاد أول مصحف مطبوع، إلى أن شهدت طباعة المصحف بعد ذلك تطورا لافتا.

## ضبط الكتابة العربية

الكتاب يحتوي على ثلاثة عشر فصلا، ذيلها المؤلف بمصادر ومراجع عربية وأجنبية، مقدما خلالها لمحة تاريخية عن نشأة الكتابة في العالم، وجذور الحرف العربي، منطلقا منهما إلى الحديث عن ولادة الخط العربي، ودور الإسلام في تطوره. وعرج المؤلف على خطوط المصاحف المكرمة في مرحلة ولادة الخط العربي، ورحلة الارتقاء بالحرف العربي، وجهود الخطاطين في كتابة المصحف الشريف.

امتلك العرب هبة ربانية وفصاحة حباهم الله بها لفهم وقراءة ما يكتب قراءة صحيحة فصيحة من دون الحاجة إلى تشكيل الحرف برفعه أو ضمه ومن دون تنقيط، ومن دون وجود فواصل أو ما شابه. إلا أنه بعد قيام الدولة الأموية انتشر الإسلام، وتوسعت الفتوحات فوصلت الآفاق، ودخلت خلالها أمم كثيرة أعجمية لا تتكلم العربية في الإسلام، فتفشت العجمة بين الناس، وكثر اللحن، والتبس على العامة القراءة من دون تمييز للحروف.

ولما كان المصحف الشريف غير مشكل ولا منقوط، خشى ولاة أمر المسلمين عليه أن يتطرق له اللحن والتغيير، لذا وجدوا أنه من الضروري وضع ضوابط ثابتة لضمان ثبات النطق. وكانت هناك ثلاث مراحل مرت بضبط الحرف العربي، وهي: التشكيل، والإعجام (تنقيط الحروف)، والترقيم.

## ولادة الخط العربي

بعد التشكيل والإعجام تمت النقلة الأخيرة في رسم الحروف، وتم الاعتناء بعدهما بشكل الحرف؛ لإكسابه جمالا ووضوحا، فأصبح لكل حرف وزن وقياس.

تنتسب النقلة الأولى في هذا الارتقاء إلى قضبة المحرر الذي برز في نهاية العصر الأموي، قيل عنه «كان أكتب الناس على الأرض بالعربية»، وهو الذي بدأ في وضع أسس لتنويع الخطوط، وهو الذي وضع قياس قلم «الطومار» و«القلم الجليل»، وهو ما تتم تسميته الآن بالخط «الجلي»، أي الكبير الواضح.

ويتكون خط «الطومار» من أربع وعشرين شعرة من شعر البرذون



(البغل). أما «الثلثين» فهو من ست عشرة شعرة، و«الثلث» ثماني شعرات، والنصف من اثنتي عشرة شعرة.

في العصر العباسي طور كل من الضحاك بن عجلان ثم إسحاق بن حماد ما بدأه قطبة، حتى بلغ الخط في عهدهما أحد عشر نوعا، بعدهما جاء إبراهيم الكاتب الذي طور قلمي «الثلث» و«الثلثين»، وأخوه يوسف الذي استخرج خطا جديدا سماه الخط المدور الكبير، وكذلك خطا عرف بقلم «التوقيع» عممه الفضل بن سهل على جميع الكتب السلطانية الصادرة عن دار الخلافة، وسماه القلم الرياسي، وهو يتفرع إلى بضعة أقلام، مثل: نصف الرياسي والمحقق والمنثور والوشي والرقاع والمكاتبات والنرجس والبياض.

في القرن الرابع الهجري، ظهر الخطاط العبقري الوزير أبوعلي محمد بن مقلة (٣٢٨هـ)، وأخوه أبوعبدالله الحسن بن مقلة، وهو أول من أجاد الخط العربي، فأصبح ذا أسلوب خاص، كما عمل على إنهاء اضطراب وضع الأقلام والحد مما ساد ساحة الخط العربي من فوضى. وعمل ابن مقلة على تطوير الخط العربي، والوصول به إلى مرحلة متقدمة، وقام بتهذيب خط المحقق.

ومن بين الخطاطين في هذه الفترة أيضا أبوالحسن علي بن هلال بن البواب (ت: ٤١٣هـ)، والموصوف بأنه عبقري الخط العربي، صاحب مدرسة ابن البواب، درس خطوط ابن مقلة دراسة معمقة استطاع بعدها أن يطور أسلوبه والقواعد التي وضعها للخط المنسوب متنقلا به إلى مرحلة أكثر رقيا وجمالا، وأنشأ مدرسة للخط، واخترع الخط الريحاني، وينسب إليه ستة عشر قلما.

كما ظهر أيضا الخطاط العبقري ياقوت المستعصمي، جمال الدين ياقوت بن عبدالله المستعصمي (ت: ٦٩٨هـ). درس ياقوت خطوط ابن البواب، فوجد أن القواعد التي أوصلت الخط المنسوب إليها متينة ومتماسكة من حيث مقاييسها وأبعادها ومعاييرها الجمالية، ولكنها بحاجة إلى أسلوب أرقى في الأداء، فقام بإعادة تنظيم خطوط ابن البواب على أساس القياسين «الهندسة والنقطة» بدقة أكبر.

ركز المستعصمي على الأقلام الستة، وسعى إلى تحسينها وتجميلها حتى كادت الحروف الأخرى تندثر، وهذه الخطوط هي: الثلث، النسخ، المحقق، الريحان، التوقيع، الرقاع.

في الأندلس كان الخط العربي هو أيقونة الجمال التي ينشدها كل من أراد إظهار فنه، سواء في المصاحف أو المخطوطات أو محاريب المساجد، ولفترة ثمانية قرون، هي عمر الدولة الإسلامية، ظل الخط الأندلسي الجميل عاكسا للحضارة الإسلامية هناك.

وفي القارة الهندية وما جاورها خرج خط البهاري، نسبة إلى منطقة بيهار بشرق الهند. وهذا الخط متفرع أصلا من خط النسخ. ظهر خط البهاري في

القرن الرابع عشر الميلادي.
أما في الصين وآسيا القصوى، فقد طور المسلمون الصينيون الخط العربي الصيني لكتابة المصاحف، بتأثر فرشاة من شعر الحصان، بدلا من القلم المستخدم في الخطوط العربية الأخرى.

### جماليات الحرف العربي

ينتقل المؤلف إلى محور آخر يتعلق بدور العثمانيين في إضفاء الجمال على الحرف العربي، على نحو ما يبدو في حرصهم على تطوير المصحف الشريف، وتأسيسهم لأسلوب فريد خاص بهم. ويعد الخطاط حمد الله الأماسي المؤسس الأول لهذه الطريقة، ومن أبرزها الاعتناء بجماليات الخط ووضوحه بما يساعد على سهولة قراءة القرآن الكريم، واعتماد خط النسخ خطا أساسيا ورئيسيا لكتابة المصحف الشريف، وترتيب المصحف وتوزيع الكلمات فيها.
ومن أعلام هذه الطريقة، حمد الله الأماسي (٨٣٣-٩٢٦هـ)، وهو من أشهر الخطاطين الذين خطوا بريشتهم المصحف الشريف، واشتهر باسم «ابن الشيخ»، وتعلم إلى جانب العلوم الأخرى، الأقلام الستة.
كما أفرزت هذه المرحلة أحمد القره حصاري (٨٦٣-٩٦٣هـ)، وجمع بين قواعد شيوخه الذين أخذ عنهم وبين مدرسته هو، عندما استنبط لنفسه طريقة في الخط العربي، وكانت مغايرة عن طريقة حمد الله الأماسي، ووصف بأنه من أقطاب الخط في تركيا، كما عرف بلقب «ياقوت الروم»، وترك بصمات رائعة على تاريخ الخط العربي، فهو الذي قام بكتابة وزخرفة المسجد الأزرق.
ومن بين الذين تبنوا الطريقة السابقة أيضا: حامد الأمدي (١٣٠٩-١٤٠٣هـ)، وهو آخر الخطاطين العظام في القرن العشرين، وهو أشهر من كتب عنه الكاتب، فخطوطه ولوحاته تحكي قصته الفنية المبدعة في إظهار جماليات هذا الخط، الذي هو ملك لكل من يجيد الحرف العربي. كما يعد أحد عباقرة فن الخط العربي، وشيخ أقطاب أهل هذه الصناعة، فقد وصف بأنه امتداد للعظماء الثلاثة الذين كتبوا في تاريخ الكتابة خطا، وهم: ابن مقلة، وياقوت المستعصمي، وابن البواب.

**الخط العربي أسهم في إثراء فن الزخرفة والتذهيب بالحضارة الإسلامية**

### الزخرفة والتذهيب

ارتبط فن الزخرفة والتذهيب في الحضارة الإسلامية بوجه عام بالخط العربي، فلا يكاد يخلو مصحف في الفترة المملوكية أو العثمانية، إلا وهناك حضور لاستخدام فن التذهيب وتلوين بداياته، وأحيانا نهايات المصحف الشريف.
وفي الوقت الذي كان فيه تذهيب الحرف العربي في القرن الثالث للهجرة بدائيا بشكل عام، فإنه نادرا ما كان يتم تذهيب المصحف الشريف، ومع مرور الزمن ارتبط التذهيب بفنون الكتابة، ومن ثم ازدهر في أقطار العالم الإسلامي، وبلغ أوجه في الرقي والدقة، ووصل إلى حد الإتقان في القرنين التاسع والعاشر الهجريين.
وعلى الرغم من أن ذلك كان في كثير من الكتب الدينية، فإن المصاحف المشرفة كان لها النصيب الأكبر وبمراحل، إذ كانت تذهب وتزين بأدق النقوش وأبدعها، وكان تعظيم القرآن الكريم وتوقيره هما الدافع الرئيسي لذلك، مما يعكس أن فن تذهيب المصاحف والكتب كان شاهدا على رقي الحضارة الإسلامية وشدة عنايتها بعالم الكتاب وفنون إخراجه.

### طباعة المصاحف

ويوثق الكتاب لمرحلة طباعة المصاحف المكرمة، إذ تعتبر الطباعة من أعظم المنجزات البشرية، التي أدت إلى نشر المعرفة وتبادل الثقافات بين الأمم، مما أدى إلى زيادة عدد الكتب، وجعلها في متناول الجميع بأسعار زهيدة وبدقة عالية.
وعلى الرغم من المخاوف التي كانت تنتاب البعض بأن تؤثر الطباعة على الخطاطين، فإنهم بعد فترة ليست بالقصيرة علموا بأنها يمكن أن تفيدهم، خصوصا بعد طباعة المخطوطات أنفسها، مما أسهم أيضا في ازدياد عدد المخطوطات المطبوعة، ومنها المصحف الشريف.
ومن ثم فقد حافظ الحرف العربي على جماله ودقته وإبداعه، وأصبح فنا عالميا، بعدما ساهمت في رفعته جهود آلاف الخطاطين على مدى مئات السنين من التضحية والبذل والعطاء.
ولذلك، نجد انتقال الخط العربي من مرحلة الضعف إلى القوة، ومن مرحلة الرداءة إلى الجمال والإبداع. وفي السنوات الأخيرة تبارت الدول قبل الأفراد في إصدار أجمل وأثمن الكتب والمؤلفات عموما، واختارت النوابغ من الخطاطين، لكي تخط أناملهم كتبا حروفها من الذهب، وكلماتها من السماء، على نحو ما جرى من كتابة المصحف الشريف بالحرف العربي.

أ.د. عبد الله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين -المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها




الحق الأبلج أن خناذيذ العرب الأوائل، ومعهم طائفة من الفارسيين الذين أحكموا المعرفة بأسرار العربية، قد أفلحوا في إشباع موضوع المكر اللغوي بحثا ونظرا عميقا حتى أتوا فيه بالمتخير اللباب، الذي أدرك كل الصيد في جوف الفرا. غير أن تومة استنباطاتهم بقيت مكنونة في بطون أمات الكتب والمصادر تنتظر من يزيل عنها الأصداف، التي تمنع المفنين الأحداث وعموم القراء من إدراك أسرار التلعب بالألفاظ والعبارات التي تتمظهر بمظاهر مخامل الحرير، وتركب المواربة والإيجاز لتخلب لب السامع، وتضعف حاسته النقدية. وفي هذا العصر الذي تداعت علينا فيه الأمم نحن العرب من كل جانب، يعد إهمال الاهتمام بهذا الموضوع نتيجة من نتائج الغفلة في التعامل مع ألفاظ وتعابير اللغة كخادم يكتفي بالقشرة اللغوية الباردة الباهتة المباشرة التي تقول المعنى الحرفي الظاهر، أما التعامل مع تلك الألفاظ والتعابير باعتبارها أخلاء وأخدان دهاة ماكرين، بقدر ما يبدون مكنوناتهم، يصرون على إخفاء ما

**اللغة تلبس وتموه وتخلب لتحقيق مقصديات الاتصال والتواصل**

لا يصح إظهاره تأدبا وتلطفا تارة، وإمعانا في الإضمار والإخفاء لأغراض خبيئة تارة أخرى، فإنه ظل شأوا مغربا وعنقاء مجنحة، لا يقدر عليهما إلا الحذاقيون اللوذعيون، الذين عجموا عود النصوص وسبروا غور خبيئها الذي يصر مبدعوها على التعتيم واللبس والغموض؛ اعتمادا على طرائق تعبيرية أساسها الحذف، والتقديم والتأخير، والإيجاز، والتعابير المجازية التي تتطلب فطنة وحذاقة؛ ملمة بأسرار اللمحة الدالة والومضة البارقة، التي تتخفى وراء غلالتها العبارات الساحرة التي تخلب الألباب، وتشفع السم بالعسل، وتتنكر في أزياء غايتها ركوب السخبر،



لتجميل الأقوال والأفعال، وإلباسها لباس الحق لكي لا تظهر حقيقتها كاملة. لغة تصر على ستر الحقائق التي تحمل أكثر من دلالة ووجه، وتسكن في رحم العبارات المموهة التي تخلب العواطف وتغري الآذان؛ لغاية التضليل الذي يشتت الفكر، ويظهر تفسيرات تخفي النيات، وتصرف عن الظهور بالمظهر الحق، من دون أن يشعر المتلقي بكيفية تحريفها للحقائق واحتيالها، رغبة في أن يتلقاها سهوا رهوا وشرابا نميرا يجعل باب التلقي بدهيا، يلغي فاعلية العقل على التدبر والتمييز. ولقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة قائلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام:١١٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٠)، إذ الكلام المكنون في الفؤاد وحده هو الذي ينطوي على الحقيقة كاملة، أما الذي نقوله بألسنتنا ونطرسه بأقلامنا، فليس سوى أبعاض الحقائق وأنصافها، نسعى على الدوام أن نخلق حجبا وحواجز صفاق، لكي لا يدرك كنهه إلا سدنة اللغة، الذين يعرفون أدواء الكلام ودواءه، المطبوعون بأصناف التمويه والخلابة التي تجلب الاقتدار والتحكم والسيادة. لذلك فإن كلمات اللغة عندما تصر على إخفاء حقيقتها، تقول معنى وتضمر آخر، تشبه النبال المخبأة في الكنانة، ومن ثمة لا ينبغي تسويتها بالكلمات السيوف المسلولة من أغمادها التي تقول حقيقتها كاملة. وتقدم لنا هذه الحادثة التي وقعت لسقراط، أن الحقيقة ليست سوى التفسير الذي يعطيه المفسر لما يريد. وتقول الحكاية إن سقراط كان منشغلا بجدال فلسفي مع بعض الشداة، وعندما طلبته زوجه، رمقته كما العادة منهمكا في جداله الذي لا ينتهي، فما كان منها إلا أن باغتته بأن صبت عليه من أعلى الدار ماء بلله بالكامل، الأمر الذي جعل الشداة المتحلقين حول معلمهم يستنكرون مخرقة هذه الزوجة؛ لكن دهشتهم كانت كبيرة عندما أشار معلمهم قائلا في هدوء: انظروا إلى حنان وعطف زوجي التي غمرتني بالماء البارد في هذا الطقس الجاف لأحس البرودة وأزيد من نشاطي. هكذا يجب على الزوجة أن تهتم بشؤون زوجها، ولو كان ذلك يزعجه! وبما أن تفسير سقراط لهذا الحدث لم يقنع كثيرا من شداته، فإنهم طلبوا من الفيلسوف بروتاغوراس أن يفسر لهم هذا السلوك الشائن الذي صدر عن زوج سقراط فقال لهم بروتاغوراس: إن سلوك هذه الزوجة الذي تجدونه فظا هو سلوك يحتمل تفسيرات عديدة، وليس تفسيركم سوى تفسير من بين التفاسير المحتملة، التي يعد تفسير سقراط واحدا منها، بله تفسير الزوجة الذي له ما يسنده، إذ الحقيقة التي لا ريب فيها، ليس لها وجود إلا في ذهن صاحبها الذي يشرعنها بما يمنحها من تعليل.

لا ريب أن اللغة تلبس وتموه وتخلب لتحقيق مقصديات الاتصال والتواصل الذي تفيض فيه الدلالة عن اللازم، رغبة من الباث في

التخفي وراء الكلمات المعبأة بطاقة توليدية لأكثر من دلالة، تجعل المتلقي يقف على صراط الرضا والإعجاب، الذي يفرض عليه الإذعان لما يسمع وما يقرأ التذاذا واستحسانا للعبارات اللغوية التي يصر مرسلها على إخفاء حقيقة ما تقول، فتزين لكل مستمع التفسير والتأويل الذي يمنحه لها اعتقادا منه أنه هو الحقيقة التي ليس فيها رسيس من الريب، فينصرف راضيا مرضيا بالفهم الذي منحه للرسالة التي استمع إليها أو قرأها، لكن عند تقليب كلماتها ظهرا لبطن تتكشف ألوان أخر من الحقائق التي لم تخطر بالحسبان، ولهذا حذر البزلاء العارفون بالخدع اللغوية من خلابة الألفاظ والأساليب على هذه الشاكلة: «أنذركم حسن الألفاظ، وحلاوة مخارج الكلام؛ فإن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا، وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلم دلا متعشقا؛ صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملا. والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها، بقدر ما زينت، وحسب ما زخرفت. فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض، وصارت المعاني في معنى الجواري. والقلب ضعيف، وسلطان الهوى قوي، ومدخل خدع الشيطان خفي. فاذكر هذا الباب ولا تنسه، وتأمله ولا تفرط فيه؛ فإن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لم يقل للأحنف، بعد أن احتبسه حولا مجرما، ليستكثر منه، وليبالغ في تصفح حاله والتنقير عن شأنه إن رسول الله ﷺ قد كان خوفنا كل منافق عليم. وقد خفت أن تكون منهم إلا لما كان راعه من حسن منطقه.. وقال رسول الله ﷺ: لا خلابة» (١).

## وضــــوح الــظــاهــر يخفي حقائق تحتاج إلــى إعــمــال الفكر

وكثير من العبارات من هذا النجر الذي لا يسهل ادعاء القبض عليها ولا تنقاد، بل إنه غور بطين بعيد يحتاج إلى الدهاء وإعمال البحث والتنقير على شاكلة قول ابن جني: «هذا غور من اللغة بطين، يحتاج مجتابه إلى فقاهة في النفس، ونصاعة من الفكر، ومساءلة خاصية، ليست بمبتذلة ولا ذات هجنة» (٢). ولقد أدرك الخليفة الراشدي أبو بكر الصديق أن عواقب جنايات اللسان غير مأمونة، فأخذ بطرف لسانه قائلا: هذا الذي أوردني الموارد! وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي لأحد العوام الذي لم يدرك مغزى كلامه:

**لو كنت تعلم ما أقول عذرتني**
**أو كنت أجهل ما تقول عذلتكا**
**لكن جهلت مقالتي فسببتني**
**وعلمت أنك جاهل فعذرتكا**

وقال رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله عزوجل مداراة الناس» (٣)، لأن اللغة لا تعكس الواقع كما هو بكل تفاصيله وجزئياته، بقدر ما تسعى إلى التعبير عن رؤية الإنسان لذلك الواقع؛ بل إن غاية اللغة تتجلى في كيفية القول، أكثر مما تنحصر في مجرد الكلام، وهذا دليل على أننا نتوفر على أكثر من طريقة للتعبير عن المعنى الواحد. وكما يقال: الحقيقة واحدة، لكن سبل الوصول إليها عديدة. هذا هو السر في مراعاة العربية للجانب النفسي في انتقار أحسن الأسماء، وأكثرها تفاؤلا، بالنسبة إلى الأشياء التي تقوم بالفعل وضده، مثل: «المفتاح» الذي يعد آلة الفتح والإغلاق معا، لكن العربية تغافلت عن صفة الإغلاق المشعرة بالصد والحرمان، مبقية على صفة الفتح الدالة على التفاؤل؛ قائلة «مفتاح» منكرة تسمية «مغلاق».

وإذ أعلن أني لست سوى فرع من أيكة أبيناء الكلام العربي المبين الذين شقوا كم دهاء اللغة ومكرها، وأتوا فيه بما يعجز الطوق، من خلال الاهتداء إلى مدافن البراعة، ومعرفة ما لم يقل صراحة بما قيل إيحاء، فإنني أضع بين أيدي القراء نصوصا وعبارات تعتورها الألسنة صباحا ومساء، من دون أن ندرك أنها بمكرها ودهائها، تفعل في المجتمع ما يفعله السوس في الخشب. فلماذا نطوي كشحنا عن مثل هذه العبارات التي تشفع السم بالعسل، ولماذا بقيت هذه الناحية من البحث غير مستقصاة، ولماذا لون الغرب اتجاهاته في هذا الموضوع ألوانا شتى وطرائق قددا؟ بينما نحن لا يمضي علينا وقت من دون أن يقيم الشاهد على غفلتنا، كما يتجلى ذلك في غير قليل من التعابير التي تجري رسلات على ألسنتنا، من دون أن ندرك غورها الذي يستر ما يبيته لقيمنا الأصيلة من المحو والإبادة على شاكلة قول الشاعر العربي:

**بدا منك غش طالما قد كتمته**
**كما كتمت داء ابنها أم مدوي (٤)**

لأن وضوح الظاهر يخفي حقائق نحتاج إلى إعمال الفكر للعثور على خبيئها على شاكلة قول الشاعر كثير عزة في الخليفة عبدالملك بن مروان:

**فكنت المعلى إذ أجيلت قداحهم**
**وجال المنيح وسطها يتقلقل**

فقال الشاعر الطرماح: «أما إنه ما أراد به أنه أعلاهم كعبا، ولكنه موه عليه في الظاهر، وعنى في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثير لا يقول بإمامتهم، لأنه أخرج

عليا منهم. فإذا أخرجه كان عبدالملك السابع، وكذلك المعلى السابع من القداح، فلذلك قال ما قاله. وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال:

**وكان الخلائق بعد الرسول**
**لله كلهم تابعا**
**رشيدان من بعد صديقهم**
**وكان ابن حرب لهم رابعا**
**وكان ابنه بعده خامسا**
**مطيعا لمن قبله سامعا**
**ومروان سادس من قد مضى**
**وكان ابنه بعده سابعا**

فعجبوا من تنبه الطرماح لمعنى قول كثير، وقد ذهب على عبدالملك، فظنه مدحا» (٥). كما ذهب عنه البصر بمقالة عبيدالله بن ظبيان عندما دخل عليه، وأراد أن يقعد معه على سريره، «فقال له عبدالملك ما بال العرب تزعم أنك لا تشبه أباك. قال: والله لأنا أشبه بأبي من الليل بالليل والغراب بالغراب، ولكن إن شئت خبرتك عمن لا يشبه أباه. قال: من ذاك؟ قال: من لم تنضجه الأرحام، ولم يولد لتمام، ولم يشبه الأخوال والأعمام. قال ومن ذاك؟ قال: سويد بن منجوف. قال عبدالملك: أكذاك أنت يا سويد؟ قال: نعم. فلما خرجا قال عبيدالله لسويد: وريت بك زنادي، والله ما يسرني بحلمك عني حمر النعم. قال سويد: وأنا والله ما يسرني أنك نقصته حرفا، وأن لي سود النعم.. وإنما كان عرض بعبدالملك، وكان ولد لسبعة أشهر» (٦).

ويروى في كتاب «الأذكياء» لابن الجوزي أن امرأة دخلت على هارون الرشيد، وكان في اجتماع مع ملئه، فقالت له بعد التحية: «أقر الله عينك، وأتم سعدك، وفرحك بما أتاك، لقد حكمت فقسطت. فقال لها: من أنت يا امرأة؟ فقالت: أنا من بني برمك، الذين قتلت رجالهم، وأيمت نساءهم، وأيتمت أطفالهم، وأخذت أموالهم. فقال لها: أما الرجال فقد نفذ فيهم حكم الله، وأما المال فمردود عليك، اذهبي بسلام. والتفت إلى من حوله وقال: ما عساها قالت هذه المرأة؟ فقالوا: خيرا. فقال: لا. اسمعوا: أما قولها: أقر الله عينك، فإن العين إذا قرت جمدت، وإذا جمدت ماتت. وأما قولها: وأتم سعدك، فقد أخذته من قول الشاعر:

**إذا تم شيء بدا نقصه**
**توقع زوالا إذا قيل تم**

وأما قولها: وفرحك بما أتاك، فقد أخذته من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ (الأنعام:٤٤). وأما قولها: لقد حكمت فقسطت، فقد أخذته أيضا من قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجن:١٥) والقاسطون: الظالمون. فتعجبوا من ذكاء المرأة وجرأتها، وإدراك الرشيد قولها وحلمه» (٧). وبذلك يتضح أن المكر اللغوي يقتضي النظر الثاقب والتمحيص الدقيق الذي يتحسس النص بتوظيف كل الحواس والمعارف والإجراءات والأدوات لاختراق الظاهر، ببصيرة حادة وحذاقة لافتة تسمع لنبضات العبارات ونبراتها، بغية القبض على الجوهر المكنون البعيد الغور في النصوص التي تستر حقائقها.

ولقد أنهضني إلى الخوض في هذا الموضوع، كثير من معارض العبارات التي عميت علينا أنباؤها ودسائسها، ومن ثمة نتناولها محلولا منعشا، ونشربها شرابا نميرا، من دون الانتباه إلى صميم حقيقتها التي تدعونا أن نسلك طريق الآخرين حذو النعل بالنعل، الأمر الذي أفسد رجولة ذكورنا، وأنوثة بناتنا. وقد وأَيْتُ وغزوت من بسط هذه القضية، أن أثير شهية المتأدبين للخوض في هذا الموضوع الذي يهدي إلى السبيل الناهجة المهيع، وأن أكون أنا النذير العريان لهذه الطرائق القدد التي تتشعب بنا إلى مزالق الرأي، ومضلات التدابير، التي ترسل الآمال المكذوبة، وتصنع مصيرا مدبرا، لتحقيق غايات دنيئة سافلة في معارك تغيير القيم والاتجاهات، مشرئبة برؤوسها الشيطانية في كل ناحية من نواحي الحياة، لصالح عولمة الغرب النرجسية؛ التي تضب لثاتها للاستحواذ المتنكر لمبادئ الفضيلة والفطرة السليمة التي فطر الناس عليها، دون أن ندرك مقصدياتها التشكيكية، التي تأسر عقولنا بألفاظها الناعمة التي تزين لنا سوء أفعالها، فننخدع بكل ما نسمع من خوالب عباراتها التي تدس السم في الدسم، ثم نقبلها بطيب الخاطر كما الضب إذا حرشه المضبب.

الهوامش

١- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، تحقيق وشرح: حسن السندوبي، الجزء الأول، ص٢٧٢و٢٧٣، ط ٤، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٢- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، الجزء٣، ص٣١٩.
٣- نقد النثر المنسوب خطأ لقدامة بن جعفر، ص٤٩، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤- البيت الشعري عبارة عن مثل ضربته العرب «بأم مدوي» التي سترت عيب ابنها عن المرأة التي جاءت لتستطلع حال ابن أم مدوي الذي أراد خطبة ابنتها.
٥- أغاني الأغاني، مختصر أغاني الأصفهاني، تخيرها وتنخلها وجمعها الخوري يوسف عون، صحح شرح الحواشي: الشيخ عبدالله العلايلي، ص٣٥٧، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
٦- كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، ص٢٥.
٧- أغاني الأغاني، مختصر أغاني الأصفهاني، حاشية رقم ٤، ص٥٣٠.

محمد عباس عرابي
باحث دراسات إسلامية

حثت أول آيات القرآن الكريم نزولا، وشجعت الكبار والصغار على حد سواء على القراءة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾ (القلم:١-٣)، وفي خمسينيات القرن الماضي حدثت ثورة هائلة في تشجيع الأطفال على القراءة بعد أن أطلق الروس قمرهم الصناعي الأول «سبوتنيك»، وبدأ الأميريكان هذه الثورة، وخصصت سبعينيات القرن الماضي لما سمي آنذاك «حق الطفل في أن يكون قادرا على القراءة».

# تشجيع الأطفال على القراءة

وفي الوقت الراهن لا بد من تشجيع الأطفال على القراءة؛ لأن المستوى القرائي الحالي لأطفالنا يتسم بالضعف الذي يعكسه عزوف أطفالنا عن القراءة لعدة عوامل منها:

١- غياب القدوة داخل المنزل فكثير من الآباء وأولياء الأمور لا يعطون الكتاب الاهتمام الكافي، ولم يسبق لكثير من الأبناء أن شاهد أحد والديه ممسكا بكتاب، وقليلا ما يحاول أحد الآباء أن يوفر كتبا مناسبة لأبنائه وخاصة في سن مبكرة.

٢- غياب المكتبة المنزلية عند كثير من الأسر، مما قد يكون عائقا أمام الأبناء للوصول إلى الكتاب.

٣- عدم وجود الحافز المادي والمعنوي وخاصة لصغار السن لتشجيعهم على القراءة.

٤- وجود وسائل الترفيه المتعددة والقنوات الفضائية التي أصبحت في كثير من المنازل.

وإن حجم التحديات التي سيشهدها العقد القادم يجعل الواقع الحالي بحاجة إلى تغيرات جوهرية تتطلب تعزيزا أكبر لأدوات بناء الشخصية والتفكير الجاد في تنشئة الطفل القارئ وتشجيعه على القراءة، وهذا التشجيع لا يقتصر على مرحلة عمرية محددة، إذ يمكن أن يبدأ هذا التشجيع مع الأطفال قبل أن يتعلموا مهارات القراءة، وهناك من قال :إنه يمكن أن يقرأ للطفل بعد ولادته مباشرة لغرس حب الكتب والقراءة في نفسه، وإشعاره بالمتعة، ويعد الشعور بالمتعة في أثناء القراءة واحدا من أكبر مسببات نجاح الأطفال في القراءة في سن المدرسة، وإذا لم يتعلم الأطفال الاستمتاع بالقراءة في سن مبكرة، فإنه من المرجح أن يعوق ذلك قدرتهم بالنجاح في سلك هذا الطريق، فالواقع يقول من لا يستطيع أن يقرأ لا يستطيع أن يتعلم، ومن لم يتعلم فلن يستطيع التقدم والتطور، ومواكبة تحديات الزمن الذي يعيش فيه.

والطفل الذي يتعود على القراءة وحب الكتاب، لا بد أنه سيغدو ناجحا في المستقبل؛ لأن القراءة مفتاح العلوم، ووعاء المعارف، وخلاصة التجارب



الإنسانية، ولا شك أن مقياس تقدم الأمم بقدر قراءة أبنائها.

والقراءة وسيلة تربوية لتقويم السلوك والأخلاق الحميدة، وغرس القيم الإيجابية، وإثراء الطفل بالمعلومات المفيدة إلا إنه وفي ظل التطورات التقنية السريعة وعالم الإنترنت وألعاب الفيديو أصبح من الصعب أن يفضل أطفالنا القراءة على غيرها من المثيرات الإلكترونية؛ لذا كان لابد من تشجيع الأطفال على القراءة.

ولا يقصد بتشجيع الأطفال على القراءة أن يقوم الطفل بنفسه بالقراءة، فهذا لن يتأتى إلا بعدما يتمكن الطفل من مهارات القراءة، ولكن يقصد أن يقوم الآخرون آباء، وأمهات، ومعلمون ومعلمات، بالقراءة للأطفال «اقرأ لطفلك» كما يقصد أيضا أن يقوم الطفل الصغير بقراءة الكتب والقصص المصورة، والتي في كثير من الأحيان لا توجد بها كلمات، وفي ذلك تدريب للطفل الصغير على مهارات قراءة الصور، ومعايشتها وفهمها وتحليلها، والتحدث عنها وأيضا نقدها.

وللأسرة والمدرسة دور كبير في تشجيع الأطفال على القراءة من خلال قيامهم بالأدوار التالية:

١- فتح الأبواب الممكنة للأطفال حتى يتحقق لهم النمو القرائي، وعليهم حسن اختيار القصص والمجلات والكتب التي تتلاءم مع المرحلة العمرية للأطفال وميولهم وتوجهاتهم وتفكيرهم.

٢- تنمية القراءة في مجالات ترتبط بمجالات الدراسة لديهم أو بالميول الخاصة بكل طفل، أو تكون متعلقة بالعلاقات الإنسانية، أو ذات صلة بتنميته الشخصية.

٣- على المربين في الأسرة والمدرسة تشجيع الأطفال على القراءة والقراءة لهم ومعهم وتخصيص أوقات محببة للأطفال في ذلك، وعلى الطلاب الكبار الذين يعيشون مع إخوة أصغر منهم أن يقرأوا لهم، وخاصة القصص الشيقة المثيرة، وأن يشاركوهم في فهم المقروء، والتمعن في الصور والرسومات ومناقشتهم بها.

٤- تشجيع الأطفال على تبادل نتائج قراءتهم التي وصلوا إليها، وتشجيعهم على ذلك، وتشجيع كل طفل على أن يتخذ لنفسه سجلا خاصا بالكتب التي يقرأها أولا فأول.

٥- طرح الأسئلة على الأطفال حول ما يستمعون إليه أو ما يقرأ لهم، أو ما يقرأون، وذلك لتشجيعهم على التفاعل مع الكتاب، وتطوير قدرتهم على الفهم.

والمربي الناجح هو الذي يجعل من عملية توجيه وتشجيع أطفاله على القراءة عملية تثقيف وتنمية وازدياد من المعرفة، فيبذل كل جهد خالص، وتوجيه صادق، ويشجعهم على القراءة، ويسلك معهم طريقة مثلى فلا يكلفهم ما ليس في قدرتهم، ولا يقدم لهم للقراءة إلا ما يلائمهم.

وخلاصة القول:

لابد من أن يحب الأطفال القراءة، ويتمنوا أن يتعلموا ويقرأوا، وأن يعيشوا هذا العالم الجميل، عالم الكتب والقراءة، وأسرارها الجميلة، وحكاياتها المسلية والمثيرة.

أشرف سعد
كاتب - مصر

# دور الأسرة في حياة الطفل

**الأسرة هي المؤسسة التعليمية الأولى في المجتمع التي يتعلم فيها الأبناء القيم والمبادئ الأخلاقية والعادات والتقاليد، وتتشكل فيها شخصية الإنسان، إيجابا وسلبا. ولما كان الأبناء هم أغلى ثروة يمتلكها المجتمع، فمن حقهم علينا ألا ندخر جهدا في الاهتمام بهم وننميهم إلى أقصى ما تمكنهم قدراتهم واستعداداتهم ومواهبهم. وعلى الرغم من أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في حياة الأبناء، فإننا نجد بعض النماذج المرضية في الأسرة التي تؤدي في أغلب الأحيان إلى اضطرابات نفسية لدى الأطفال، لذا يجب التنويه عليها وعلاجها وهي:**

١- الأسرة المتسلطة: هذه الأسرة تلغي تماما إرادة الطفل واختياره بكل وسائل القهر، وهي تعتقد خطأً أن هذه أفضل طريقة للتربية، حيث تحاول تشكيل الطفل طبقا لنموذج جاهز في ذهنها. وهذه الأسرة لا تحتمل أي خروج، ولو بسيطا، من جانب الطفل على الإطار المرسوم مسبقا. وقد تنجح هذه الأسرة في الأمد القصير في السيطرة على إرادة الطفل، إلا أن هذا لا يستمر كثيرا، حيث يأتي الوقت الذي يثور فيه الطفل أو المراهق ويتغلب على هذه السيطرة.

٢- الأسرة المتساهلة: يفقد الطفل في هذه الأسرة الضوابط والحدود، وتكون حدود المسموح والممنوع غير واضحة، ويضعف فيها الثواب والعقاب، ومن هنا تكون شخصية الطفل عاجزة عن الالتزام بأي نظام قيمي أو أخلاقي أو اجتماعي، ويبدو الطفل مدللا باحثا عن اللذة دون الوضع في الاعتبار أي ضوابط، وعندما يكبر هذا الطفل تجابهه كثير من المشاكل التي لا يقدر على حلها.

٣- الأب المستبد القاسي والأم الضعيفة: في هذه الحالة يسود البيت جو من الفزع في حالة وجود الأب،



ويصمت الجميع بمن فيهم الأم، ولكن ما أن يغيب الأب (لعمل أو لسفر) حتى يفعل كل فرد في الأسرة ما يحلو له، لذلك على الأب أن يوفر جوا من المودة والحب والاحترام داخل الأسرة؛ حتى يشب الأطفال أسوياء نفسيا.

٤- والدان مستبدان قاسيان: وهذا الوضع غير شائع كثيرا، وإذا وجد فإن الأطفال يكونون بين المطرقة والسندان، فإما أن يستسلموا تماما لإرادة الوالدين ويتخلوا عن إرادتهم وعن حريتهم وعن رأيهم، وإما أن يتوحدوا مع الوالدين القاسيين ويصبحوا أشد منهم قسوة.

٥- غياب الأب: يؤدي الأب دورا مهما في الأسرة؛ فهو رمز القيم والضوابط لبقية الأفراد، وغياب الأب عن المنزل بسبب السفر لفترات طويلة أو العمل لساعات طويلة، فإن نموذجه يغيب عن الأسرة، فيفقد الأبناء قيمة مهمة في حياتهم يتعلمون منها، وهذا يدفع الأبناء للانحراف السلوكي كالسرقة والإدمان.

٦- انفصال الأب عن الأم: قد ينفصل الوالدان بالطلاق، ويعيش كل منهما حياته بأسلوب يختلف كلية عن الآخر، وهنا يجد الأطفال صعوبة في الانتماء إليهما معا؛ فيحدث استقطاب، فكل منهما يحاول اكتساب ثقة الطفل على حساب الآخر، وهنا يهتز نموذج أحدهما، وتتكون لدى الطفل شحنة هائلة من الغضب نحو الوالدين اللذين وضعا الطفل في هذا الصراع. ويمكن أن تتسع دائرة الغضب إلى المجتمع الذي لم يستطع حل هذا الصراع القائم بين الوالدين، لذا يوجه الطفل سلوكيات معادية للمجتمع كالعنف.

٧- اضطراب الصحة النفسية لدى أحد الوالدين: في هذه الحالة يتأثر الطفل من طريقين: الطريق الأول هو الصبغات الوراثية التي تنتقل إليه من أحد الوالدين أو كليهما فتهيئه للمرض النفسي، والطريق الثاني هو نمط الحياة المضطرب في المنزل نتيجة اضطراب سلوك أحد الوالدين، مما يجعل الجو الأسري غير آمن وغير مستقر، مما يؤدي بدوره إلى أن يجعل الطفل في إحساس دائم بعدم الأمان، بالإضافة إلى ما يتعلمه من طرق سلوكية غير صحيحة من الأب المريض أو الأم المريضة.

وعلينا أن نعلم أن البيئة المنزلية للطفل بمنزلة الأرض للبذرة، فالأرض الطيبة تنمو فيها البذرة نموا طبيعيا سليما، والأرض الصعبة تسيء إلى البذرة؛ كذلك البيت المضطرب لا يصلح بأي حال لتنشئة الطفل الصغير، فالطفل الذي ينحرف بسلوكه عن الطريق الذي يتلاءم مع مقتضيات السواء، هو في معظم الأحيان ضحية البيئة العائلية المضطربة. ويمكننا التأكيد أن جميع الانحرافات النفسية تقع تبعيتها على البيئة العائلية والاجتماعية، فالأسرة هي البيئة الأولى للإنسان، والبيئة هي التي تمده بالحوافز في كفاحه الدؤوب نحو التكيف أو تقيم المعوقات دون ذلك الكفاح، لذلك من البديهي أن تحقق النضج الانفعالي لأبنائها؛ لأنه لا يستطيع أحد غير الوالدين تزويد الطفل بذلك الغذاء الوجداني الذي لا غنى عنه لصحة النفس. لذلك على الأسرة أن تحيط أبناءها بالحب والطمأنينة اللذين من دونهما سيشبون على سقم واعتلال، فالطفل إذا لم يحصل إلا على القليل من الحب في سنيه الأولى سيظل متعطشا إلى المزيد طوال حياته.

حمزة بلقروية
باحث إسلامي - تونس

**شباب الأمة هم مستقبلها وعمادها، فإذا صلح الشباب فمن دون أدنى شك سيكون مستقبل الأمة أفضل، وإذا انشغل الشباب بما ينفعه في دنياه وآخرته فإنه حتما سيساهم في رقي مجتمعه وتطويره نحو الأفضل، أما إذا انشغل شباب الأمة بالشهوات وبما يفسده فسيشهد مستقبل الأمة ضياعا وفسادا أكبر، وإذا استمر شباب اليوم في إضاعة أوقاتهم وقوتهم فيما يضرهم وما لا ينفعهم فإنهم لن يزيدوا مجتمعاتهم إلا تأخرا وتراجعا على جميع المستويات. فعلى شبابنا اليوم مسؤولية كبيرة في إصلاح مجتمعاتهم وأمتهم بالعودة بها إلى صراط الله المستقيم، وذلك لا يكون إلا بالتمسك بديننا وتطبيقه على أرض الواقع وبذل أقصى الجهد من أجل التغيير والرقي بمجتمعاتنا الإسلامية والخروج بها من ضيق الجمود والتقليد الأعمى الذي نعيشه اليوم.**

# الشباب مستقبل الأمة

إن تاريخنا الإسلامي زاخر بالبطولات والشخصيات التي تركت بصمتها وأثرها بين المسلمين إلى يومنا هذا، ولابد لنا من دراسة تاريخنا حتى يرشدنا إلى بناء مستقبلنا. وعند البحث عن دور الشباب في التغيير والإصلاح في التاريخ الإسلامي وقفت مندهشا أمام شخصيتين كسرتا قيود الذل والضعف من أجل إنقاذ الإسلام والمسلمين من الزوال في ذلك الزمان، ولابد لكل شاب مسلم أن يسير على هذا المنهج حتى يكون عنصرا فعالا في مجتمعه ويترك بصمته في الحياة.

## سيف الدين قطز

أما الشخصية الأولى فقد مرت بصعوبات كبيرة منذ نشأتها، فمنذ الصغر استُرِقّ من قبل التتار، الذين قتلوا عائلته ثم باعوه فاشتراه أحد الأيوبيين ثم نقلوه إلى مصر، حيث بيع مرات عدة مثله مثل العبيد حتى وصل إلى الملك عز الدين أيبك ليصبح قائدا ذا مكانة. وهذه الشخصية هي سيف الدين قطز، بعد ذلك توالت الأيام حتى أصبح ملك مصر في يد طفل صغير لم يكن مهتما بالحكم ولا بمصالح الرعية، واستغل الأمراء ذلك كله لخدمة مصالحهم الشخصية، وفي الوقت نفسه كان التتار يجتاحون الأراضي الإسلامية وأسقطوا الخلافة الإسلامية في بغداد والشام حتى اشتهر بين الناس أن التتار جيش لا يهزم، وكان جيش التتار متجها نحو مصر ليدمرها. أما سيف الدين قطز، ذلك الشاب الذي نشأ على الإسلام ومبادئه قبل أن يُستَرق، فكانت له نظرة أخرى، فهو لم يستسلم للضعف والفساد المنتشر بين المسلمين في ذلك الزمان، ولم يستسلم ويترك دينه ومبادئه بعد الظروف القاسية التي عاشها في العبودية، بل كان له هدف آخر وغاية راقية، ألا وهي الانتصار لدين الله والدفاع عن مصر من خطر التتار وتوحيد صفوف المسلمين.

استشار قطز العلماء في عزل الحاكم الطفل، ثم نصب نفسه حاكما لمصر، ولم تكن غايته من ذلك السلطة بل قرر تحمل المسؤولية ومواجهة الخطر القائم، ثم جمع العلماء، ومن بينهم العالم الكبير عز الدين بن عبدالسلام، وطلب منهم أن يأمروا الناس بالوحدة والجهاد في سبيل الله لدفع العدوان، مع العلم أن الناس في زمانه تركوا فريضة الجهاد وركنوا إلى الدنيا وزينتها، ثم بدأ بتجهيز الجيش بفرض ضريبة على الناس، فأفتى عز الدين بن عبدالسلام بأن الرعية لا يدفعون المال حتى يدفع الأمراء أموالهم، فوافق قطز على ذلك وبدأ بنفسه، فاقتدى به سائر أفراد المجتمع، ثم قام التتار بإرسال رسالة لقطز يطلبون منه الاستسلام وتسليم مصر لهم، وأشار عليه بعض الأمراء

بقبول ذلك والفرار من ويلات الحرب، فكان رد سيف الدين قطز كالآتي: «أنا ألقى التتار بنفسي. يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون من بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، وإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين عن القتال»، ثم قال للأمراء وهو يبكي: «يا أمراء المسلمين، من للإسلام إن لم نكن نحن» (١).

هذه كلمات لابد أن يضعها كل شاب في حياته نصب عينيه ويخاطب بها نفسه. فيا أيها الشاب، من للإسلام إن لم تكن أنت؟ يا أيها الشاب، من سيصلح المجتمع ويعيد بناء حضارته إن لم تكن أنت؟ يا أيها الشاب، من سيرتقي بمجتمعه ويحقق التقدم لمجتمعه ولأمته إن لم تكن أنت؟ يا أيها الشاب، من سيوحد صفوف الأمة الإسلامية ويزيل الخلافات بينها إن لم تكن أنت؟

وقد خرج قطز لملاقاة التتار في حرب ضروس كاد التتار يفتكون بالمسلمين وبدأ البعض يفر من أرض المعركة، فأخذ سيف الدين قطز ينادي: «واإسلاماه، واإسلاماه، واإسلاماه. يا الله انصر عبدك قطز على التتار» (٢)، فاستجاب الله لدعائه الصادق، فإذا بالموازين تنقلب، وإذا بجيش التتار ينهزم.

لقد كان قطز شديد الحرص على نصرة الإسلام، وكان هدفه في الحياة أن يحمي الإسلام وأهله، وقد كان، رحمه الله، شديد التوكل على الله، متجها إليه بصدق، فكانت النتيجة النصر للمسلمين. فيا أيها الشاب المسلم، ما هو هدفك في الحياة؟ هل هو خدمة دين الله ونشر مبادئه وحمايته، أم أنت لاه في شهواتك مفرط في وقتك في أشياء لا معنى لها؟ اعلم أيها الشاب بأنك قادر على التغيير والنهوض بمجتمعك إذا بذلت جهدك واشتغلت بما ينفعك وإذا جعلت ذلك مشروع حياتك، فمع الصدق والتوكل على الله يمكنك صناعة مستقبل أفضل مملوء بالإنجازات، فماذا تنتظر أيها الشاب؟

فبعد هذا الانتصار تمكن قطز من تحطيم جيش التتار، واستعاد المسلمون بغداد والشام، وقد أنجز، رحمه الله، كل ذلك وهو دون الأربعين سنة.

## صقر قريش

أما الشخصية الثانية فهي عبدالرحمن الداخل، الذي اشتهر بلقب «صقر قريش»، وقد خرج فرارا من بطش بني العباس، الذين قاموا بقتل كل من له القدرة على الإمارة من بني أمية، فأفلت منهم عبدالرحمن الداخل، وعند فراره قتل أخوه أمام عينيه، ثم وصل إلى القيروان (في تونس) فوجد أن الخوارج قد أحدثوا ثورة فيها وعندما علموا بوجوده حاولوا قتله لكرههم بني أمية، وفي هذه الفترة كان عمره تسع عشرة سنة فهرب إلى ليبيا وبقي مختبئا فيها وهو يفكر في أمر نفسه.. فقد كان الجميع يريدون قتله، ولكن على الرغم من كل تلك المخاطر التي واجهها، وعلى الرغم من أن حياته كانت مهددة، فإنه لم يستسلم ولم ينكمش على نفسه.

وفي هذه الأثناء كانت الأندلس تشهد فوضى عارمة، وكان الإسلام فيها قريبا من الزوال، فرأى «صقر قريش» أنه قادر على إعادة المجد إلى الأندلس وإنقاذ الإسلام فيها، فوحد الصفوف، وأنشأ دولة إسلامية قوية في الأندلس شهدت ازدهارا كبيرا في مجال العلم والعمران بعد الجهد والتضحيات الكبيرة التي قام بها وكان عمره خمسا وعشرين سنة.

**دراسة التاريخ الإسلامي ترشدنا لطريق بناء المستقبل**

ولعل من أبرز صفاته ما ذكره ابن حيان الأندلسي حيث قال: «كان عبدالرحمن الداخل راجح العقل، راسخ الحلم، واسع العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم، نافذ العزم، بريئا من العجز، سريع النهضة، متصل الحركة، لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، بعيد الغور، شديد الحدة، قليل الطمأنينة، بليغا مفوها، شاعرا محسنا، سمحا سخيا، طلق اللسان. وكان قد أعطي هيبة من وليه وعدوه، وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها، ويصلي بالناس الجمع والأعياد إذا كان حاضرا، ويخطب على المنبر، ويعود المرضى» (٣).

وتشكل هذه الشخصية مثالا لشبابنا لمواجهة التحديات وخوض معترك الحياة بكل جدية وشجاعة وألا يعرف اليأس طريقا لقلوبهم، ولابد لشبابنا اليوم أن يكون لهم أثر في الحياة ودور فعال، ويجب عليهم مقاطعة الكسل والعجز والجبن والجهل من أجل السير في طريق الإصلاح والتغيير. وليعلم الشباب أنهم قادرون على تحقيق النهضة في مجتمعاتهم وتوحيد صفوف الأمة، ولا يكون ذلك إلا بالعمل الجاد واستغلال الوقت في ما ينفع وبذل أقصى الجهد لنصرة دين الله ونشر مبادئه مع إخلاص النية لله عزوجل والتوكل عليه.

### الهوامش

١- حياة سيف الدين قطز د. راغب السرجاني.
٢- المصدر نفسه.
٣- عبدالرحمن الداخل (صقر قريش)، د. راغب السرجاني.

خلف أحمد محمود أبوزيد
باحث تربوي
مصر

# ساعدي طفلك على التحلي بالأخلاق الفاضلة

الأبناء غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرة الأعين، وبناة الغد ورجاله، ولقد حرص ديننا الإسلامي على تربيتهم على الخلق الفاضل، والسلوك القويم، الذي يثمر في النهاية المواطن الصالح، الذي يعيش بعقيدته الصحيحة وعقله الواعي وخلقه القوي. وإذا كانت تربية الولد على الخلق الفاضل والمثل العليا والعادات الكريمة، واجبا مشتركا بين الوالدين والدولة، ممثلة في مؤسساتها التعليمية والتربوية، فإن الواجب الأول والعبء الأكبر في تأسيس هذه التربية الخلقية، يقع على كاهل الوالدين، بل لا يجانبنا الصواب، إذا قلنا بل على عاتق الأم، خصوصا في السنوات الأولى من عمر الطفل، فهي أول من يقع عليه نظره قبل أي شيء آخر في هذه الحياة، هذا إلى جانب أنها ألصق بالأبناء أكثر من الأب، وأكثر ملازمة لهم ورعاية وتوجيها، منذ أن يبدأ الطفل يتعلم كيف يحبو، ثم كيف يقف على قدميه ويمشي، فيشب وينشأ على ما تغرسه في نفسه وقلبه من خلق فاضل ومثل عليا، فهي تمثل أمام أطفالها نموذجا حيا في أنماط السلوك والتصورات والأفكار، ومدى نجاح الأم في طريقة التعامل مع أطفالها في السنوات الأولى من أعمارهم

أساسية بل وضرورية، ويدل على مدى وعيها وعلمها وثقافتها، ومدى استيعابها لدورها الرئيسي في التربية، لذا أهمس في أذنيك عزيزتي الأم بهذه النصائح والتوجيهات، علها تساعدك في غرس العديد من القيم والأخلاقيات الحميدة في نفوس أطفالك، وذلك على النحو الآتي:

### آداب وسلوكيات

أولا - عودي طفلك منذ نعومة أظفاره على كلمات: من فضلك، أنا آسف، أستأذنك، لو تسمح، شكرا.. وغيرها من الألفاظ الجميلة، والرد على تساؤلات الآخرين بأسلوب لطيف مهذب، فما أجمل الولد حين يربى على التلفظ بالألفاظ الجميلة، وما أحسنه حين يؤدب على المنطق الرصين والتعبير الحسن، الذي يعتبره أساتذة التربية مفاتيح الحياة الجميلة والسعيدة للطفل، التي تجعل منه إنسانا فاضلا كريما مستقيما له في القلوب محبة والنفوس إجلال واحترام.

ثانيا - علمي طفلك إلقاء السلام عند الدخول على الآخرين، هذا الأدب الاجتماعي الرفيع الذي يقوي الصلات، ويوثق الروابط الاجتماعية، ويزرع المودة في القلوب والمحبة في النفوس، والبشاشة في الوجوه، وعليك تعريفه كيفية السلام، وأن هذه التحية حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وأن السلام يكون قبل الكلام، وعند اللقاء وعند الفراق، لحديث النبي ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة» (رواه الترمذي).

## تربية النشء واجب مشترك بين الوالدين والدولة

ثالثا - اغرسي فيه بعض السلوكيات والآداب الضرورية، التي يجب عليه اتباعها داخل المنزل أو خارجه، وفي مقدمة هذه الآداب أدب الاستئذان، قبل دخول غرفة نوم الوالدين أو الأشقاء، خصوصا في أوقات ثلاثة هي مظان الراحة، وعدم التقيد بلياقة في لبس أو جلوس، ومظان أن ترفع الكلفة فيها بين الرجل وأهله، حتى لا يطلع الطفل على ما ينبغي ألا يطلع عليه، وهذه الأوقات هي: قبل صلاة الفجر، وعند الراحة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء، كما أرشدنا إلى ذلك المولى عزوجل في محكم كتابه الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٩﴾ (النور:٥٨-٥٩).

## أدب إلقاء السلام يقوي الصلات ويوثق الروابط الاجتماعية

### لا تشهري بخطأ الطفل

رابعا - إذا ما أخطأ طفلك التصرف أو أساء الأدب، فلا تشهري بخطئه أمام الآخرين، فإن ذلك يشعره بالإحباط ويضعف ثقته بنفسه، لأن الولد حساس بطبعه رقيق الشعور كالعجينة اللينة، تؤثر فيه الكلمة، وتدخل إلى قلبه، إن خيرا أو شرا، هذا بالإضافة إلى أن التشهير به أمام الآخرين، لاسيما من يكونون في مثل سنه أو مقربين منه، يولد في نفس الطفل حالة من الحقد والعدوانية وتحبيذ الخطأ ومخالفة الكبار ومشاكستهم، ولكن عليك إصلاح هذا الخطأ بالحوار الهادئ بينك وبينه بتعريفه أن مثل هذه الكلمات والأفعال لا تليق، ويجب تجنبها، وذلك بطريق الشرح والإفهام وسعة الصدر وترك المجاهرة بالتقريع والتوبيخ، فالتربية الصحيحة الحقة في إصلاح الخطأ، لا تقابل الانفعال بالغضب، ولا الصدود بالإعراض، بل تتطلب منك أن تخلقي جوا من الثقة بينك وبين أطفالك، وأن يكون طريقك إلى ذلك التروي والإقناع، الذي لا يوقعك في عقدة القنوط بالتقريع واللوم، إذا ما أخطأ الولد أو أسرف على نفسه في أمر من الأمور، أو بدت منه تصرفات لا تليق. وعليك اتباع منهج القرآن الكريم في الترغيب والترهيب، فافتحي أمام ابنك المخطئ باب

الأمل والتوبة والاستغفار، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (الأنعام:٥٤). وهكذا فإن التربية الرفيعة اللطيفة في إصلاح الخطأ كثيرا ما تصلح في تربية الأبناء على الاستقامة.

### آداب الطعام

خامسا - لا تنسي أن تعلميه آداب الجلوس إلى الطعام، وكيفية تناوله بطريقة لا تجعل الآخرين ينفرون منه عند تناول الطعام معه، وليكن قدوتك في ذلك النبي ﷺ، فعن عمر بن سلمة أنه كان غلاما صغيرا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يده تطيش في الصحفة إذا أكل، أي تتحرك في الطبق دون انتظام، فقال رسول الله ﷺ: «يا غلام، سم الله وكل بيمنك وكل مما يليك» (رواه البخاري).

### حذار من الكذب

سادسا - احذري من الكذب على طفلك، حتى في أبسط الأمور، واحرصي دائما على قول الصدق وفعل الصدق أمامه حتى يشب عليه، فإنه إن رأى منك الكذب فلن يعرف للصدق قيمة ولا للحق مكانة بعد ذلك، وقد أرشدنا إلى ذلك النبي ﷺ بضرورة أن تكون الأم صادقة في كل ما تقوله لطفلها، وحذر من الكذب عليه، فعن عبدالله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يوما، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطك. فقال لها رسول الله ﷺ:«وما أردت أن تعطيه؟». قالت: أعطيه تمرا. فقال: «أما إنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة» (أخرجه أحمد في مسنده)، وهكذا يجب أن يربى الطفل على خلق الصدق.

**التشهير بخطأ الطفل يشعره بالإحباط ويضعف ثقته بنفسه**

### الأفعال الحسنة تنمي الإنسانية

سابعا - شجعي طفلك على التصرفات والأفعال الحسنة، خصوصا تجاه الآخرين. فعلى سبيل المثال، إذا ما كان هناك صديق أو زميل له مريض، فعليك تحفيزه لزيارته، وإذا لم تكن ظروف الزيارة متاحة أو ميسرة، فاجعليه يحدثه تلفونيا أو يرسل إليه رسالة صغيرة للاطمئنان عليه، فإن مثل هذه التصرفات تجعل من طفلك بعد ذلك إنسانا ودودا لديه مشاعر وأحاسيس طيبة تجاه الآخرين.

ثامنا - عليك الإشادة بتصرفات طفلك الحسنة أمامه، فإذا ما بدر منه فعل حسن فبيني له أن هذا الفعل حسن وطيب، وهذه الإشادة تتم باتباع أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة حينا، وبالمدح والثناء وبمنح الهدايا أحيانا أخرى، فإن كلمات التشجيع هذه عندما تصدر منك، تكون بمنزلة الحافز القوي الذي يدفع طفلك إلى بذل الجهد من أجل المحافظة على هذه الصورة الطيبة، التي دائما ما يحرص على الظهور بها أمام الآخرين.

**حذر النبي ﷺ من الكذب وأرشد إلى ضرورة صدق الأم مع أطفالها**

### القدوة وأثرها في النشء

وفي النهاية نقول: إن نجاحك عزيزتي الأم في غرس مثل هذه الأخلاقيات الحسنة والسلوكيات الطيبة في نفوس أطفالك منذ الصغر له دور كبير في معالجة جوانب القصور في التربية، التي أصبحنا نلاحظها في سلوكيات أطفالنا في هذه الأيام، نتيجة عدم قيام الأم بدور المهذب والمعلم الأول لأطفالها، وتنشئتهم تنشئة صحيحة على قيم وتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف. وأختم حديثي إليك بهذه الكلمات للعلامة ابن القيم، والتي يبرز فيها أثر القدوة في تكوين الخلق الفاضل عند الطفل فيقول: «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره، من حرد وغضب ولحاح وعجلة وخفة مع هواه، وطيش وحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرر منها غاية التحرر فضحته لابد يوما ما، لهذا نجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها».

د. عمرو الكمار
أستاذ الحديث جامعة القاهرة
مصر

# تجسس الخطيب على خطيبته

التجسس لغة: تتبع الأخبار. ومنه الجاسوس؛ لأنه يتتبع الأخبار. والتجسس على المسلمين بأن تتبع أخبارهم للبحث عن عيوبهم أو للاطلاع على أخبارهم وأحوالهم من الأمور ظاهرة الحرمة، فهو سوء ظن بالمسلمين وتتبع لعوراتهم، وهي كلها أمور محرمة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ (الحجرات:١٢). قال ابن حجر الهيتمي: ففي الآية النهي الأكيد عن البحث عن أمور الناس المستورة وتتبع عوراتهم. وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تنافسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا» (٢).

ومن زعم أنه يتجسس لمنع العاصي وصاحب المنكر من خطيئته، فلا يجوز له التجسس عليه بمجرد الشك، لأن الأصل أن يحمل المسلمون على البراءة من الذنوب والمخالفات حتى يتبين خلاف ذلك، وحتى لو ظهرت له قرائن أو أمارات على المعصية، فلا يجوز له التجسس إلا إن خشي وقوع حرمة أو ضياع حق. قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: إن كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستمرار فيه بإخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل، جاز التجسس عليه والإقدام على الكشف والبحث، حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم، وإن كان دون ذلك في الريبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه (انتهى).

ومن العجب ممن يسوغ التجسس على المسلمين وتتبع عوراتهم بدعوى الإقدام على الزواج، وأن مراقبة المخطوبة والتجسس عليها يجوزان لهذا الغرض، فهذا من تلبيس الشيطان، وهو غلط بيّن؛ ففي شرعنا أن الغاية لا تبرر الوسيلة. ولقد شرع لنا نبينا ﷺ من الوسائل المشروعة ما نعرف به صلاح المخطوبة من فسادها دون تجسس، فأرشدنا إلى الصلاح الظاهري دون البواطن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك» (٣).

فوجه رسول الله إلى ذات الدين، وهي من عرفت بالتدين الظاهري وإلا فلا سبيل لمعرفة البواطن، وجملة «ذات الدين» كذلك تشير من بعيد إلى صلاح أسرتها، فكأن المعنى امرأة صالحة من أسرة صالحة. وسن رسول الله ﷺ للخاطب أن ينظر إلى المخطوبة ليستبين من وجهها ما يدعوه إلى نكاحها، ففي مسند البزار عن أنس، أن المغيرة أراد أن يتزوج امرأة فقال له النبي ﷺ: «انظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما» (٤).

وعليه فلا تجوز استباحة المحرم بمجرد الشك أو الرغبة في التأكد، كما يزعم القائل بالجواز، فلقد قبل رسول الله الظاهر فيما هو أشد من ذلك، قبله في الإيمان ولم يأمر بالتفتيش عن الخلوات وما خفي عن أعين الناس من أحوال، قال ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم» (٥) أي: إني أمرت بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، كما قال ﷺ: «فإذا قالوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». وفي حديث أسامة بن زيد في سرية جهينة قال ﷺ: «هلا شققت عن قلبه» (٦).

أما إذا كان التجسس على المجرمين واللصوص وقطاع الطرق وما أشبههم، فإنه يجوز للمصلحة العامة ويكون هذا من جهة أولي الأمر وحدهم، ولأن المجرمين باعتيادهم الإجرام أزالوا عن أنفسهم حرمة الغيبة وحرمة تتبع أقوالهم وأفعالهم. قال ابن الماجشون: «اللصوص وقطاع الطريق أرى أن يطلبوا في مظانهم، ويعان عليهم حتى يقتلوا أو ينفوا من الأرض بالهرب. وطلبهم لا يكون إلا بالتجسس عليهم وتتبع أخبارهم». وكذلك يباح التجسس في الحرب من المسلمين على عدوهم من الكفار المحاربين، وبعث الجواسيس لتعرف أخبار الكفار وجيوشهم، وعددهم وعتادهم وما إلى ذلك. وقد أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى معسكر المشركين ليلا في غزوة الأحزاب ليستبين حالهم وما هموا به من أمر.

**الهوامش**

١- رواه أبو داود ،برقم: (٤٨٨٠).
٢- رواه البخاري، برقم: (٥١٤٣).
٣- رواه البخاري، برقم: (٥٠٩٠).
٤- رواه ابن حبان، برقم: (٤٠٤٣).
٥- رواه مسلم، برقم: (١٠٦٤).
٦- رواه مسلم، برقم: (٩٦).

د. سعد عبد الله الجدعان
باحث أكاديمي
الكويت



## سلسلة الذوق والآداب (٥)

# اللباقة في التعامل مع الأبناء

الأسرة هي النواة الأولى في المجتمعات بشكل عام، وفي المجتمع الإسلامي بشكل خاص؛ لذلك فقد عني الإسلام بالفرد والأسرة عناية خاصة، وجعلها الركيزة الأولى التي تقوم عليها الأمم والممالك، وبها أيضا تفسد وتخرب، وقد أجاد الشاعر حافظ إبراهيم حين قال:

**من لي بتربية النساء فإنها**
**في الشرق علة ذلك الإخفاق**
**الأم مدرسة إذا أعددتها**
**أعددت شعبا طيب الأعراق**

بالأم الصالحة تعمر الأسر، ويظهر العلم، وتنمو المجتمعات، وينشأ الجيل الصالح، الفاعل في وطنه، وفي مجتمعه، وتزدهر البلاد، وتعظم الجيوش، وبالأم الفاسدة يخرب العمران، وتفسد المجتمعات، وتغفو الأوطان، وتكون عرضة للفتن والآفات، ومرتعا للشهوات، وإن تربية الأبناء حمل ثقيل، لا يقوم بحقه إلا من أدرك عظم حجم المسؤولية، وتنبه له، وأخذ على عاتقه ترك الراحة، ومكابدة السهر، حتى تنشأ الأجيال بأفضل ما يمكن أن تنشأ عليه.

إذا أراد الوالدان لأطفالهما تنشئة صحيحة قويمة فإن عليهما أن يسعيا إلى تربيتهم في جميع مراحل حياتهم، تربية حميدة، يكون أساسها تقوى الله سبحانه وتعالى، وطاعته في كل حين، وعلى كل حال، والناظر في آداب الإسلام في التعامل مع الأبناء من قِبل الآباء، يجد أنه وضع قواعد أساسية لتربية الأبناء من أولى مراحلها، وحتى قبل أن يولد ذلك الطفل، وقبل أن يتزوج والداه، ومن هذه القواعد:

١- اختيار الزوجة الصالحة، التي ستقوم بتربية الأبناء بعد ولادتهم، وهو أول لبنة توضع في أساس تربية الأبناء تربية سليمة، عن أبي بكر بن حفص، عن محمد بن سعد عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة، فمن السعادة: المرأة تراها

تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. ومن الشقاوة: المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفا؛ فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركبها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة، قليلة المرافق» (١).

٢- تسمية الأبناء والبنات تسمية حسنة.

٣- تعليم الأبناء القيم والأخلاق الحسنة، في بداية نشأتهم، وابتداء عمر الإدراك عندهم.

٤- تعليمهم الصلاة عند بلوغهم سن السابعة من العمر، واستمرار تعليمهم أحكام الدين، وآدابه، وشعائره، حتى يصلوا فيه إلى مرحلة العلم بالحلال والحرام، وما هو واجب، وما هو محظور.

٥- تحفيظهم القرآن الكريم، وتعليمهم أحكام تجويده وتلاوته، وربطهم به لينشأوا على حب كتاب الله تعالى، والارتباط به في حياتهم.

٦- تدريسهم سنة النبي ﷺ وسيرته العطرة، وسيرة الصحابة، والعلماء؛ والقادة حتى يقتدوا بهم في حياتهم.

٧- اختيار الرفقة الصالحة لهم، والتأكد من أن جميع رفقائهم من الذين لا يخشى عليهم من رفقتهم.

٨- إشغالهم في وقت المراهقة بالنافع؛ لأن الفراغ في هذه المرحلة، أساس تدمير الأخلاق.

٩- إشعارهم إذا بلغوا مرحلة المراهقة بأنهم قد صاروا رجالا يعتمد عليهم؛ لأنهم يشعرون ذلك بأنفسهم، من خلال التغيرات الفسيولوجية، التي يمرون بها، فإذا لم يجدوا في البيت من يعزز لديهم هذا الإحساس، بمنحهم الثقة بالنفس، بحثوا عنه خارج المنزل.

١٠- استغلال البرامج الثقافية المتطورة، والتقنيات الحديثة في التربية، بشرط أن يكون الآباء رقباء على تصرفات الأبناء؛ خشية أن تستخدم بطريقة تؤدي إلى نتائج عكسية.

١١- تعويد وحث الأبناء على طاعة والديهم، واحترام الأشخاص الأكبر سنا.

**التعلم عن طريق اللعب من أهم وسائل التعليم**

## توجيهات

١- إن شخصية البنين والبنات تبدأ بالظهور في السنة الثانية لمولدهم؛ لذا لابد أن يبدأ الآباء معهم بترسيخ العقيدة الإسلامية، وحب الله سبحانه وتعالى، والتعامل بالآداب الإسلامية كالصدق، والبذل والكرم، والعطاء، ومساعدة الآخرين، بشرط أن يكون ذلك بأسلوب لين رقيق، فإذا ما استخدم الآباء أسلوب العنف والعقاب فسيؤدي ذلك غالبا إلى نتائج عكسية، كما أن التدليل الزائد، أيضا، يؤدي إلى نتائج سلبية، وأفضل شيء في ذلك التوسط.

٢- غرس المحبة، والعطف، وحب الخير للجميع في قلوب الأبناء، من خلال حب الجميع لهم؛ فالطفل يتغذى عاطفيا على ما يجني من محبة أمه وأبيه وذويه بشكل خاص، كما يتغذى جسديا بالطعام الذي ينمي جسده، ويبعث فيه دفء الحياة. وقد وجه النبي ﷺ الآباء إلى ذلك عمليا، فعن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: «قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يرحم» (٢).

**الزوجة الصالحة أول لبنة في أساس تربية الأبناء**

٣- يجب ألا يغفل الآباء حاجة أبنائهم إلى اللعب والمغامرة والمخاطرة، وذلك من خلال الأنشطة التي يقومون بها؛ لتجريب قدراتهم، ولاكتساب مزيد من القدرات والخبرات الحياتية، والتغلب على الصعاب التي ربما تواجههم في حياتهم، لاسيما أن بعض الآباء والأمهات يبالغون في خوفهم على أبنائهم، فيمنعوهم من اللعب؛ خشية حدوث مكروه لهم، ويؤثر هذا التصرف على إدراكهم وتعلمهم، إذ يعد التعلم عن طريق اللعب من أهم وسائل التعليم، وباللعب تنمو قدرات ومعارف الأبناء، وبه تتفتح مداركهم.

٤- ملاحظة المواهب والقدرات عند الأبناء، والاهتمام بجوانب الإبداع لديهم، ورعايتها وتنميتها بما يناسبها، وتوفير ما يلزم لذلك قدر المستطاع.

٥- أن يدرك الآباء حاجة الأبناء إلى توفير الأمن معنويا، حيث يدرك الأطفال أنهم بحاجة دائمة لمن يقف خلفهم يساندهم، فهم يشعرون بحاجة دائمة إلى من يحميهم، ويرعاهم، ويكون عونا لهم وقت الضيق.

### الهوامش

١- أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد من خالد بن عبدالله الواسطي، إلى رسول الله ﷺ، تفرد به محمد بن بكير، عن خالد إن كان حفظه فإنه صحيح على شرط الشيخين. تعليق الذهبي في التلخيص: محمد قال أبو حاتم: صدوق يغلط، وقال يعقوب ابن شيبة: ثقة. ج٢ ص١٧٥ رقم ٢٦٨٤، كتاب النكاح. ط/ دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، مع الكتاب: تعليقات الذهبي في التلخيص.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب. باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ج٨ ص٩ رقم ٥٩٩٧. الناشر: دار الشعب، القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

مصطفى بوهبوة
باحث في الدراسات الإسلامية
ومقارنة الأديان

# الأسس التربوية الخلقية لتحقيق التكافل الاجتماعي

**إن أسسا كثيرة يجب أن توقظ وتنظم في ضمير الفرد وفي سلوكه، ليقوم التكافل الاجتماعي على أساسها، بل لينبعث التكافل منها. والمنظومة التربوية التي اعتمدها الإسلام هي المنوطة بتحقيق هذا كله في الحقيقة.**

وتتألف المنظومة التربوية التي اعتمدها الإسلام قصد تحقيق العمل الاجتماعي من الأسس التربوية التالية:

### ترسيخ الإيمان الصحيح

إن ارتباط الضمير الإنساني بالله، هو الركيزة الأساسية في أي تربية خلقية ناجحة وعميقة الجذور. وهذا يقتضي أن نتخذ العقيدة الدينية الصحيحة قاعدة أساسية للتربية الفردية أو الجماعية في سبيل تحقيق مجتمع متكافل على الطريقة الإسلامية.

فبناء الإيمان الصحيح هو الخطوة الأولى إذا أردنا أن يكون مجتمعنا مجتمعا متكافلا على الطريقة الإسلامية. «فلا يمكن تركيب الإحسان بمفهومه الإسلامي في مجتمع مادي إيمانه بالله مهزوز ولا يخاف الله، ولا يترقب يوم البعث ولا يقيم الصلاة» (١).

وغرس الإيمان الصحيح أول ما ركز عليه الأنبياء عليهم السلام ونصحوا به أتباعهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل:٣٦). وهذا هو الفارق الجوهري بين نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ونظيره في الأنظمة الوضعية؛ فالتكافل في الإسلام إيماني رباني، والمسؤولية فيه مزدوجة؛ دنيوية وأخروية. بينما التكافل في النظام الوضعي مادي من دون روح، اللهم إلا ما فيه من شعور إنساني يحضر ويغيب، ولا يترتب عليه شيء (٢).

### تربية نفس الإنسان

من الأسس التربوية الإسلامية تحقيقه خدمة التكافل الاجتماعي كتربية نفس الإنسان على الحب، والرحمة، والشفقة والحنان والأخوة في الله، حتى إذا تمكنت هذه المشاعر اللطيفة من نفس الإنسان كانت أقرب إلى التعاون، وأدنى إلى التكافل.

وقد تولى القرآن الكريم خدمة هذه المقاصد النفيسة في آيات كثيرة: منها حرصه على تذكير الناس بالتقوى، التي هي رأس الأمر كله، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١).

وفي ظل الحب والرحمة وتمكن التقوى من القلوب، حرص القرآن الكريم على ترسيخ خلق الإيثار والتضحية بما هو عزيز على النفوس في سبيل إسعاد الآخرين، فلابد للتكافل من قوم يؤثرون على أنفسهم، ويضحون بالغالي والعزيز عليهم، فالمجتمع فيه الواجدون والمحرومون، وإذا لم يؤثر الواجدون على أنفسهم، وإذا لم يضحوا بما يملكون لم يقم التكافل، ولم يقم التعاون (٣).

ولقد رسم القرآن الكريم صورة مشرقة للإيثار في نفوس الأنصار من أهل المدينة، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

﴿ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩).

كما حرص القرآن الكريم على تطهير النفس الإنسانية من الرياء، حتى يكون العمل الخيري التطوعي خالصا لوجه الله لا سمعة فيه ولا رياء، فقال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٨)، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٦٢).

ثم إن الإسلام جاء بمفهوم واسع للإحسان لا يقتصر على الأغنياء وحدهم، بل حتى الفقراء أمامهم مجال واسع للإسهام في التكافل، وطلب الآخرة والثواب.

وهكذا صرح الرسول ﷺ بأن: «كل معروف صدقة» (٤)، وروي عنه أنه، قال: «كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس. قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة. قال: والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» (٥).

### غرس الشعور بالأخوة بين المؤمنين

ومن الأسس التربوية الخادمة للتكافل الاجتماعي غرس الشعور بالأخوة بين المؤمنين، فالأخوة في الله رابطة توجد بين شخصين أو أكثر بمجرد اشتراكهما في الانتماء إلى المنهج الرباني، فقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ (التوبة:١١).

كما جعل من الأخوة العلاقة الوحيدة بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ (الحجرات:١٠).

وقال رسول الله ﷺ: «أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة» (٦).

كما وصف النبي ﷺ أن من آثار هذه الأخوة والمحبة أن تخفي مشاعر الأنانية والأثرة، فقال ﷺ: «والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٧). وشبه الرسول ﷺ مجتمع المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وقد جسد الرسول ﷺ هذه الأخوة بين المؤمنين من خلال مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ليعلم الناس أن الأخوة ليست مجرد شعار، ولا عواطف ومجاملات وإنما هي أخوة حقيقية تصل في وقت الشدة والحاجة إلى اقتسام الثروة والقوة.

### تربية الفرد على التوسط في النفقات

إن من الأسس التربوية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية تربية الأمة على التوسط والاقتصاد في النفقات، وعدم الإسراف والتبذير حتى يتم توافر ما تسد به الحاجات. قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ (البقرة:١٤٣). وروي أن الخليفة عمر بن الخطاب سأل رجلا كيف نفقتك في أهلك؟ قال حسنة بين سيئتين كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ (الفرقان:٦٧).

فالتبذير سيئة والإقتار سيئة والقوام بينهما حسنة. قال ﷺ: «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزء من النبوة» (٨).

فالمجتمع الإسلامي مبني على البساطة والتوسط والاقتصاد في النفقات الشيء الذي يقضي على الطبقية، ويجعل التكافل ضعيف الكلفة، خفيف العبء على الناس (٩).

### تحريم الظلم بين العباد

ومن الأسس التربوية الخادمة للتكافل الاجتماعي تحريم الظلم بين العباد، وذلك أن الظلم مناقض للتكافل، قال الله تعالى: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفس وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» (١٠). وأكد الشرع العزيز في آية جامعة، كما ذكر عبدالله بن عباس، على الأمر بالعدل والنهي عن البغي والظلم، وربط العدل بالإحسان تنبيها لتلازمهما.

### الهوامش

١- عبدالكبير المدغري: التكافل الاجتماعي في الإسلام؛ الدرس الديني الذي ألقاه يوم الجمعة ٦ رمضان عام ١٩٩٨م برحاب القصر الملكي العامر بالرباط.

٢- عبدالكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص٢٤.

٣- سيد قطب: دراسات إسلامية، ص٥٣/٥٤.

٤- رواه البخاري، كتاب الآداب، باب: كل معروف صدقة، رقم الحديث ٦٠٢١.

٥- رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم الحديث ١٠٠٩.

٦- سنن أبي داود: رقم ١٥٠٨.

٧- رواه مسلم، سبق تخريجه.

٨- البخاري، الأدب المفرد، باب الهدي والسمت الحسن، (٧٩١)، ص ٢٣٢.

٩- عبدالكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص٣١.

١٠- رواه مسلم، كتاب البر، والصلة، والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم الحديث (٤٦٨٠).

أ.د. أحمد محمود عيساوي
باحث وأكاديمي
الجزائر

# أصدقائي الثلاثة

الكثير منا يؤمن بأن القدر الإلهي هو الذي يتدخل في اختيار الأصدقاء والتعرف عليهم والارتباط بهم في هذه الحياة، حتى يصبحوا جزءا رئيسيا وأساسيا من حياة الإنسان، فلا يكاد يمر يوم لا يرى فيه الأصدقاء بعضهم بعضا، إلا ويشعرون بكثير من الضيق والارتباك والنقص واللاتوازن، كما يشعر كل صديق أن الكثير من حاجاته النفسية والوجدانية لم تشبع بعد، وهذه هي سنة الاجتماع التي فطر الله الناس عليها.

وقد قدرت التصاريف الإلهية لي أن أختار بعض الأصدقاء الطيبين وفق منطق فكري وأخلاقي ووجداني وسلوكي سامق ومتميز لم يعد له وجود ولا أثر في هذا الزمان الفيسبوكي العاثر، الذي مرجت فيه عهود وأخلاق وطبائع وسلوك الغالبية من الخلق والناس، إذ جمعتني بهم أقدار الله في عوالم الطهر والنقاء والقداسة في محاضن وروحانيات القراءة وإشراقات الكتاب والمكتبات والمعرفة الورقية في مكتبة الشيخ «العربي التبسي الزيتوني الأزهري» (ت:١٩٥٧م)، ببلدتي تبسة.

هذه المكتبة التي جمعت فيها ما تبقى من كتب الشيخ العربي التبسي بعيد الاستقلال بقليل (١٩٦٣م)، والتي كانت تقدر يومها بالآلاف من أمهات الكتب والمصادر والمراجع والمجلات التي جلبها معه الشيخ من رحلته العلمية والتربوية الطويلة بجامعة الزيتونة (١٩١٤-١٩١٩م) والأزهر (١٩١٩-١٩٢٧م) في سني الأخذ والطلب، وحملتها شاحنة (آل عبدالعزيز الخالدي مقدم كتب مالك بن نبي) التبسية العريقة مجانا وإكراما للشيخ، والشاحنة الآن مركونة خارج بلدة الحمامات بلدة المرحوم سي إبراهيم مزهودي (ت:٢٠١٠م) مفتش مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنوات (١٩٤٦-١٩٥٦م) والأمين العام للحكومة الجزائرية المؤقتة، وجعلت المكتبة في بيت الكاهن اليهودي الذي صار مخزنا لها، وحول المعبد اليهودي إلى مكتبة للمطالعة العامة، ولكن للأسف أخذت قاعة الكنيس اليهودي منذ عشرين سنة (٢٠٠٧م) وحولت إلى مركز للكشافة الإسلامية بسبب قلة المقبلين على قاعة المطالعة في زمان التواصل الفيسبوكي.

وأصدقائي الثلاثة هؤلاء الذين تعرفت عليهم في رحاب مكتبة الشيخ العربي التبسي على مدار سنوات (١٩٧٥-١٩٩٩م/١٣٩٦-١٤١٩هـ) في أهم مرحلة مصيرية من حياتي العلمية والفكرية

والثقافية والأدبية والتكوينية، من مرحلة التحضير لشهادة الثانوية العامة إلى مرحلة وضع اللمسات الأخيرة على شهادة الدكتوراه، إذ كنت أتردد على المكتبة باستمرار، ولم أكن لأرتبط بأحدهم لولا المكتبة والكتاب والمطالعة والتواجد بها شبه اليومي والأسبوعي، وكنت أسأل وأسائل نفسي مرارا عن هويتهم والشهادات التي يريدون تحصيلها والتحضير لها، حتى صارحني كلٌّ بحاله ووظيفته ومساره، فعظموا في عيني بعظم دوافعهم، وكنت أبدو في نفسي ضئيلا صغيرا بالنسبة لتواضع دوافعي ومقاصدي مقارنة بعظم دوافعهم، والغريب في الأمر أنهم لا علاقة لهم بالشهادات ولا بالتحضيرات العلمية ولا الجامعية البتة، وإنما قادهم للمكتبة حب الاطلاع والمعرفة.

وكانت تنشأ وتدور بيني وبينهم المناقشات والمحاورات الطويلة والعميقة والنافعة، التي كانت تعود علي بالفائدة والنفع، حيث أجد طريق تسويقها للطلاب حينما كنت أستاذا في المرحلة الثانوية (١٩٨٢-١٩٩٢م)، ثم في المرحلة الجامعية (١٩٩٢م)، في الوقت الذي فشلت في تكوين صداقة دائمة مع أساتذة الجامعة والنخبة المثقفة؛ لأن عامل القراءة والمكتبة مفقود، إذ ما يجمعني بهم إلاها، والمكتبة خلت منهم، فأين وفيم نلتقي إذن؟ وعلى ماذا نلتقي إذن؟ وإليك الآن التعريف بهؤلاء الأصدقاء:

**فالأول**: يعمل مدلكا ومغسلا في حمام عمومي للرجال بمدينة تبسة، لم يوفق في متابعة دراسته، فأنت تراه يقضي معظم سواد ليله في العمل في الحمام وينام فيه، ويمضي بياض نهاره في المكتبة قارئا طيلة النهار، حتى صار أمين المكتبة يتركه وقت منتصف النهار فيها لوحده، من شدة شغفه بالقراءة وأمانته وحرصه وحبه للمكتبة، وهو من هواة قراءة كتب الفكر والفلسفة والتاريخ والأخبار والسير والمغازي والطبقات وأدب الرحلات.

**والثاني**: مهندس معماري عاطل عن العمل، ضيعته المنظومة البيروقراطية رغم عبقريته الفذة في مجال الهندسة، وصار يعمل معاونا في إحدى صيدليات الخواص بمدينة تبسة، يقضي نصف عمله في الصيدلية في الليل، حتى إذا أسفر الصبح يتجه مباشرة للمكتبة لإشباع نهمه المنقطع النظير من القراءة، وهو مولع بالفكر الإسلامي وأصول الدين والفلسفة وتاريخ الإسلام والحركات الإسلامية وأعلام الأمة ودعاتها ومصلحيها، ونقد العمل الإسلامي والتجارب الإصلاحية والفكرية، حتى إذا فقد ضالته من الكتب في مكتبة «الشيخ العربي التبسي» توجه إلى مكتبتي ليأخذ ويلتقط منها ما يشاء، لاسيما الجديد منها كالمجلات والدوريات والسلاسل العلمية ونحوها.

**والثالث**: لم يوفق في متابعة دراسته ونيل شهادة الثانوية العامة، فاتجه للعمل حارسا ليليا في شركة النفط الجزائرية بمدينة تبسة، وهو يقضي حتى وقت عمله في قمرة الحراسة يقرأ ويطالع ويبحث ويفكر وأحيانا ويكتب المقالات، ثم يتجه إلى المكتبة صباحا ليقرأ، وهو مولع بالفكر والفلسفة والمذاهب والتيارات الفكرية والروايات الأدبية الفلسفية والرمزية، وهو خبير في الحداثة وما بعدها، وله عقل فلسفي ونقدي متميز خير من الفئام الضخم والجمع الغفير من الكثير من أساتذة الجامعات، وله مساهمات فكرية وأدبية في الكثير من المجلات العربية والخليجية خصوصا، لاسيما الحداثية منها، حتى صرت أنعته بـ «العقاد الجديد».

هؤلاء هم أصدقائي المكتبيون، عرفتهم في المكتبة، وبين رفوف الكتب وطلبة العلم، وتراهم في المكتبة يعينون ويرشدون الطلاب والباحثين إلى مواقع تواجد الكتب، وما أعظمهم في هذا الزمان في عيني للعوامل التالية:

١- ولعهم الشديد بالقراءة والكتب والمكتبة، والجديد فيها، وطول مكثهم في المكتبة.

٢- عدم شعورهم بالإحباط واليأس لعدم استكمالهم لمسارهم الدراسي، بل نفسياتهم من أرزن وأحلم ما رأيت.

٣- تعويضهم ذلك الفشل الاجتماعي والتعليمي بالنشاط الفكري والثقافي والعلمي، مع استقامة في السلوك والطبع، لأن العلم يهذب ويثقف ويصقل الحوشي من الأخلاق.

٤- عدم انشغالهم بخردوات ومنجزات الموجة الإلكترونية الحديثة، وفضاءاتها «تويتر، يوتيوب، فيسبوك» القاتلة.

٥- عظم دوافعهم، إذ أن الإنسان يعظم بعظم دوافعه، إذ كان يدفعني للقراءة والبحث الرغبة في الحصول على الشهادات العلمية والتألق والتفوق والتميز والبحث عن الجديد والأفضل، أما هم فلم تكن أمامهم رغبة الحصول على الشهادات، بل كانت المعرفة، ولا شيء سوى المعرفة.

فهل وفقت في اختيار هؤلاء الأصدقاء الحقيقيين في أوان ذهاب العلم؟ أم وفق غيري بأصدقائه الوهميين الفيسبوكيين؟ جواب ذلك عند الصفوة المختارة التي استنارت بنور العلم والمعرفة.

مصطفى طه عبدالغني
باحث في الدراسات الإسلامية والتنمية البشرية

# فن صناعة الأمل

**ما أحوجنا ونحن في هذا الزمان إلى أن نتعلم ونتعاون معا من أجل صناعة جو من الأمل والتفاؤل؛ فقليل من الناس من يصنع الأمل فيضيء في الظلام شمعة، ويبث روح التفاؤل لدى الآخرين. حقا إن للأمل صناعا، وله فنا، وصورا متنوعة ذات ألوان بديعة، تسر العيون، وتخلب العقول، وتجذب القلوب، وتبهر الأبصار، فلا تيأس إذا تعثرت أقدامك وسقطت في حفرة واسعة، فكن على يقين بأنك سوف تخرج منها وأنت أكثر تماسكا وقوة.**

ولا تحاول البحث عن حلم خذلك أو تجربة لم تنجح بها أن تؤثر عليك بالسلب، وحاول أن تجعل حالة الانكسار لديك بداية حلم جديد، فلا تسافر إلى الصحراء بحثا عن الأشجار الجميلة فلن تجد في الصحراء غير الوحشة، وانظر إلى مئات الأشجار التي تراها حولك وكم هي جميلة وكيف تحتويك بظلها وتسعدك بثمارها.

ويمكننا أن نعدد بعض رسائل الأمل التي تعلمناها عبر تاريخنا العظيم:

● فإذا تأملنا كيف كانت الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، وكيف صنع فيها الأمل، فسنأخذ دروسا وعبرا، فلم تأت النصرة والحماية والتمكين من تلك القبائل العظيمة ذات المال والسلاح، وإنما جاءت من ستة نفر، جاؤوا على ضعف وقلة حينما دعاهم رسولنا الكريم ﷺ لدين الإسلام فبايعوه.. إنها الأقدار تأتي بالفرج من عند الله، وتأتي منحة النصر من قلب المحنة، ويشرق النور من كبد الظلماء، فما علينا إلا أن نأخذ بالأسباب، والله تعالى هو المؤيد والناصر.

● البشر عاجزون أمام وعد الله، فنحن نترقب ولادة النور من رحم الظلمة، وخروج الخير من قلب الشر، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات، فليس بعد اشتداد ألم المخاض إلا الولادة، وما بعد ظلمة الليل إلا انبثاق الفجر، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ (الشرح:٥-٦). ولن يغلب عسر يسرين، فاستبشروا خيرا، وأملوا في الله، وعودوا إليه واستغفروه...

● وها هو رسول الله ﷺ يصنع الأمل مرة أخرى حين عزمت قريش على قتله، والقوم يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم، ومع ذلك صنع النبي ﷺ الأمل، وأوكل أمره إلى ربه، وخرج يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس:٩)، فنصره الله، ومكنه.

● ويسير الصاحبان؛ رسولنا الكريم ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في طريق طويل موحش غير مأهول، ولا سلاح عندهما يقيهما من أعدائهما، ولكنهما يمتلكان يقينا ونصرا وتمكينا من رب العالمين، فإذا بالفارس على وشك أن يقبض عليهما؛ ليقودهما أسيرين إلى قريش، تذيقهما النكال والعذاب الأليم، فلم يلتفت رسول الله ﷺ إلى سراقة، ولم يبال به، وكأن شيئا لم يكن، حينها قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، هذا الرجل قد لحق بنا. فدعا

عليه رسول الله ﷺ، فساخت قدما فرسه (أي غاصت قوائمها في الأرض)، فكان جوابه ﷺ بنوع من اليقين في الله والطمأنينة لصاحبه في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴿٤٠﴾﴾ (التوبة:٤٠).

● ومن قلب الخندق، وفي ظل زلزلة القلوب وتربص الأعداء وسطوة البرد والجوع والخوف، كان النبي ﷺ يبشر المسلمين بالفتح المبين.

## نصائح ونظرة تأملية وتفاؤلية

- المتفائل يقول: إن كأسي مملوءة إلى نصفها، بينما المتشائم يقول: إن كأسي نصفها فارغ.

- قد يتحول كل شيء ضدك، ويبقى الله معك، فكن مع الله، يكن كل شيء معك.

- إن لم تجد من يسعدك، فحاول أن تسعد نفسك.

-وإن لم تجد من يضيء لك قنديلا، فلا تبحث عن آخر أطفأه.

- وإن لم تجد من يغرس في قلبك الأمل والحب ويسعده، فلا تجعل نفسك رهينة بمن طعن قلبك بسهم ومضى.

- لا تدع الحزن يستحوذ عليك، حتى لا تعتاد عليه؛ لأن في هذه الحياة ما هو جميل وفيه سعادة وفرح لقلبك وعقلك.

- يرى المتشائم صعوبة في كل شيء، بينما المتفائل يرى الأمل في كل صعوبة.

● فهل يدرك هذا المعنى المتعلقون بأذيال المادية الصارخة والنافضون أيديهم من قدرة الله وعظمته؟ وهل يدرك هذا المعنى الغارقون في تشاؤمهم اليائسون من فرج وفتح قريب يأتي بفضل من الله عاجل غير آجل؟ إن الله ليضع نصره حيث شاء وبيد من شاء، وعلينا أن نعمل ونأخذ بالأسباب، وألا نحتقر أحدا ولا نستكبر على أحد، وعلينا أن نواصل سيرنا مهما أظلم الليل واشتدت الأحزان، فمن يدري لعل الله يصنع لنا في حلكات ليلنا الداجي خيوط فجر واعد، ومن يدري لعل آلامنا هذه مخاض العزة والتمكين.

● فيا أيها الغيورون على أمة الإسلام، يا من احترقت قلوبهم لآلامها، ما أعظم هذا الألم! وما أصدقه على إيمانكم وحبكم لدينكم، ولكن لا يبلغن بكم اليأس مبلغه، فإن الذي أهلك فرعون وعادا وثمود وأصحاب الأيكة لقادر على أن يغير أحوال المسلمين من عسر إلى يسر ولكن شريطة أن نبدأ نحن بتغيير أنفسنا، فجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١). فعلينا أن نجتهد، ونعمل ونتعلم، فبالعلم والعمل ترتقي الأمم وتنهض وتتقدم.

- فيا من ابتلاك الله في رزقك أو صحتك أو ولدك، ويا من أجهدك الدين والحاجة، وأنهكتك العلل، وأخذ الموت أحبابك وعدت في أعين الناس كالدرهم الزائف لا يقبله أحد، ويا من سدت في وجهك منافذ الرزق وأبواب الحلال، ويا من نسيت رحمة الله وفضله.. عليكم جميعا أن تكونوا على يقين بأن الدنيا متقلبة بين حزن وسرور، وأن العاقبة لمن اتقى، وأن الجنة هي المأوى، وأن تتذكروا قوله سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (الضحى:٥)، وأن الدنيا دار البلاء، فمن سخط فعليه سخطه، ومن رضي فله الرضا، فمع الألم يصنع الأمل، وإذا حل الأجل انقطع العمل، فاليأس سيقتلنا مرات ومرات والواقع كما هو.

وهناك عدة طرق لبناء الأمل:

١- قم بتغيير أفكارك؛ فبتغيير أفكارك السلبية إلى الأفكار الإيجابية تحصل على حياة إيجابية وصحية.

٢- اعرف مواطن قوتك وضعفك وافعل دائما ما يفيدك ودع ما يوصلك إلى الهم والغم والتفكير فيما يضرك نفسيا.

٣- قم بتطوير نفسك؛ فالتغيير صفة ربانية، فرب العباد قال عن نفسه في كتابه العزيز: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن:٢٩).

٤- استمتع بكل جزء من حياتك، فالماضي لا يعود، والتفكير في المستقبل يجلب الوهن والضعف لقلب المسلم.

٥- حول بواقعية علامات الأمل التي تراها وتحس بها في حياتك إلى واقع.

٦- عليك أن تدرك أن الأمل والصحة مرتبطان بعضهما ببعض.

## السؤال هنا: أين نجد الأمل؟!

في الرسائل القرآنية، في دراسة السنن النبوية، في الثقة بالنفس، في العمل، في التعليم، في التغيير، في العطاء، في الحب، في مساعدة الآخرين.

فلنجرب أن نعيش على أمل يروي حياتنا، يهيئ الأنفس للعمل، فلنترك أنوفنا تشتم رائحة الغد الأفضل، على طريقة يعقوب عليه السلام، إذ وجد في القميص ريح يوسف، فلم ينقطع منه أمل اللقاء فقال حينها: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ (يوسف:٨٣).

ومن المقولات التي أعجبتني: «من لديه صحة لديه الأمل، ومن لديه الأمل لديه كل شيء».

فكونك إنسانا متفائلا ولديك أمل وقدرة يجعل منك إنسانا قويا، وسيعرف الأمل طريقه إليك، وسيعيد تعريف حياتك من جديد، وسيساعدك على تخطي الأزمات، بل وعلى تغيير العالم من حولك.




ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

## سلسلة الذخائر

# مجلة الرواية



الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠، ٥٣٤٥٥



العدد الأول — ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ — أول فبراير سنة ١٩٣٧ — السنة الأولى

فهرس العدد



## الرواية

إلى الذين ملكهم الجمال ولم يملكوا الأبانة عن آثاره ؛
إلى الذين تيمهم الحب ولم يحسنوا العزف على قيثاره ؛
إلى الذين شاقهم الأدب ولم يستطيعوا النفوذ إلى أسراره ؛
إلى الذين اعتقلهم الهم ولم يجدوا الفكاك من إساره ؛
إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذه المجلة . وما هي إلا نفحة من الشعور الانساني الرهيف ، ولمعة من البيان الروحي المشرق ، ستتلاقى عندها الأذواق السليمة ، وتتعارف عليها المشاعر الكريمة ، وتتآلف بها عبقرية الشرق وعبقرية الغرب

والله وحده هو العليم بما نكابد في سبيلها وفي سبيل أختها من العناء والأيثار والجهد . وفي سبيل الأدب كل أذى يحتمل ؛ وفي حب العربية كل بذل يعوّض ؛ وفي خدمة الوطن كل صعب يهون

أحمد حسن الزيات

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الرواية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

## التعريف بالمجلة

مجلة الرواية؛ مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ، تعنى بنشر الروايات والقصص التاريخية العالمية، أنشأها أحمد حسن الزيات في القاهرة، وقد صدر أول عدد منها يوم ١٩ ذي القعدة، سنة ١٣٥٥هـ، الموافق ١فبراير، سنة ١٩٣٧م.

## التعريف بصاحب المجلة

أحمد حسن الزيات باشا: من كبار رجال النهضة الثقافية في مصر والعالم العربي، اختير عضوا في المجامع اللغوية في القاهرة، ودمشق، وبغداد، وحاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٢م في مصر.

## مولده ونشأته

ولد يوم ١٦جمادى الآخرة، سنة ١٣٠٣هـ، الموافق ٢ أبريل، سنة ١٨٨٥م، في قرية كفر دميرة القديم بمحافظة الدقهلية بمصر، من أسرة متوسطة الحال تعمل في الفلاحة.

بدأ تعليمه في كتاب القرية، فتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى قرية مجاورة فيها عالم بالقراءات فأخذ منه القراءات السبع وأجادها في سنة واحدة.

وبعد بلوغه سن الثالثة عشر التحق بالجامع الأزهر، وبقي فيه مدة عشر سنوات، فتلقى خلالها العلوم الإسلامية واللغة العربية، إلا أن الزيات كان يميل إلى الأدب العربي فتعلق بدروس الشيخ سيد علي المرصفي، وحضر أيضا شرح المعلقات للشيخ محمد محمود الشنقيطي، أحد أعلام اللغة العربية البارزين آنذاك، واتصل بعدة أدباء في عصره أمثال طه حسين، ومحمود حسن الزناتي.

وبرغم كل هذا لم يكمل الزيات دراسته بالأزهر، وإنما التحق بالجامعة الأهلية، فكان يدرس بها مساء ويعمل صباحا بالتدريس في المدارس الأهلية، ومن خلال عمله التقى بالعديد من رجال الفكر والأدب في عصره، مثل العقاد، والمازني، وأحمد زكي، ومحمد فريد أبو حديد.

اختير رئيسا للقسم العربي بالجامعة الأميريكية بالقاهرة في عام ١٩٢٢م، وفي أثناء ذلك التحق بكلية الحقوق الفرنسية، فأمضى فيها سنتين في مصر، وقضى السنة الثالثة في فرنسا، حيث حصل على ليسانس الحقوق من جامعة باريس في سنة ١٩٢٥م.

اختير بعدها أستاذا بدار المعلمين في بغداد، فانتقل إلى هناك، وبعد عودته من بغداد عام ١٩٣٣م ترك التدريس وتفرغ للصحافة والتأليف، فأنشأ مجلة الرسالة، وبعده بسنوات قليلة أنشأ مجلة الرواية.

لم ينخرط الزيات في أي حزب سياسي؛ فظل محل تقدير وموضع اهتمام، إلى أن توفاه الله في القاهرة صباح يوم الأربعاء ١٦ربيع الأول، سنة ١٣٨٨هـ، الموافق ١٢مايو، سنة ١٩٦٨م، أي بعد أن بلغ من العمر ٨٣ عاما. وقد نقل جثمانه إلى قرية كفر دميرة ودفن فيها.

## من مؤلفاته

- تاريخ الأدب العربي.
- في أصول الأدب.
- دفاع عن البلاغة.
- وحي الرسالة، وجمع فيه مقالاته وأبحاثه في مجلة الرسالة.
- ومن أعماله المترجمة من الفرنسية:
- آلام فرتر لغوته.
- رواية روفائيل للأديب الفرنسي لامارتين.
- بالإضافة لذلك له مجموعة قصصية بعنوان (من الأدب الفرنسي).

## محتوى المجلة

كما هو مبين في اسم المجلة، فقد احتوت على قصص وروايات تاريخية عالمية مترجمة إلى اللغة العربية، كتبت بأقلام كبار الروائيين في العالم، فمما جاء في عددها الأول:

رواية: (ضوء القمر)، للكاتب الفرنسي (جي دومبسان)، بقلم صاحب المجلة.

رواية: (الذي يضحك أخيرا يضحك كثيرا)، بقلم الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني.

رواية: (لونان من الحب)، للكاتب الإسباني (بلاسكرإبانيز)، بقلم الأستاذ عبدالرحمن صدقي.

رواية: (خصام)، بقلم الأستاذ محمود تيمور.

رواية: (ألينورا)، للكاتب الأميريكي (إدجار إلن بر)، بقلم الأستاذ محمود الخفيف.

قصة قصيرة: (مقتل رضوان كتخدا)، بقلم الأستاذ محمد فريد أبوحديد.

رواية: (مجهود ضائع)، للكاتبة الإنجليزية (مرجريت كزى)، بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي.

وهكذا استمرت هذه المجلة في الصدور، ولم تخرج في محتواها عما هو مصرح في عنوانها، حتى توقفت سنة ١٩٥٣م.

## نسخة مجلة الوعي

تحتوي مكتبة الوعي على نسخة كاملة من هذه المجلة الأدبية الشيقة، حيث جمعت أعدادها في سبعة مجلدات، وهي في متناول يد القراء.

## المصادر


مجلة الرواية.

الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

موقع أرشفة المجلات العربية.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

# أحكام الشركات التجارية

## الخلاصة الحكمية

- الأصل في الشركات الجواز إذا خلت من المحرمات والموانع الشرعية في نشاطاتها.

- يحرم على الشركة أن تصدر أسهم تمتع أو أسهم امتياز أو سندات قرض.

- في حالة وقوع خسارة لرأس المال؛ فإنه يجب أن يتحمل كل شريك حصته من الخسارة بنسبة مساهمته في رأس المال.

■ القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

**● أولا: مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الرابعة عشرة بالدوحة (دولة قطر) ٨- ١٣ ذو القعدة ١٤٢٣هـ، الموافق ١١- ١٦ يناير ٢٠٠٣م.**

بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الشركات الحديثة: الشركات القابضة وغيرها وأحكامها الشرعية، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله.

قرر ما يلي:

أولا: التعريف بالشركات الحديثة:

١- شركات الأموال: هي الشركات التي تعتمد في تكوينها وتشكيلها على رؤوس أموال الشركاء، بغض النظر عن الشخصية المستقلة لكل مساهم، وتكون أسهمها قابلة للتداول. وتنقسم إلى:

أ- شركة المساهمة: هي الشركة التي يكون رأسمالها مقسما إلى أسهم متساوية قابلة للتداول، ويكون كل شريك فيها مسؤولا بمقدار حصته في رأس المال.

ب- شركة التوصية بالأسهم: هي الشركة التي يتكون رأس مالها من أسهم قابلة للتداول، ويكون الشركاء فيها قسمين: شركاء متضامنين ومسؤولين مسؤولية تضامنية كاملة عن ديون الشركة، وشركاء موصين مسؤوليتهم محدودة بمقدار حصصهم.

ج- الشركة ذات المسؤولية المحدودة: هي الشركة التي يكون رأسمالها مملوكا لعدد محدود من الشركاء لا يزيد على عدد معين (يختلف ذلك باختلاف القوانين)، وتتحدد مسؤولية الشركاء فيها بمقدار حصة كل واحد منهم في رأس المال، ولا تكون أسهمها قابلة للتداول.

٢- شركات الأشخاص: هي الشركات التي يقوم كيانها على أشخاص الشركاء فيها، حيث يكون لأشخاصهم اعتبار، ويعرف بعضهم بعضا، ويثق كل واحد منهم في الآخر. وتنقسم إلى:

أ- شركة التضامن: هي الشركة التي تعقد بين شخصين أو أكثر بقصد الاتجار، على أن يقتسموا رأس المال بينهم، ويكونوا مسؤولين مسؤولية شخصية وتضامنية في جميع أموالهم الخاصة أمام الدائنين. وهي تقوم بصفة أساسية على المعرفة الشخصية بين الشركاء.

ب- شركة التوصية البسيطة: هي الشركة التي تعقد بين شريك أو أكثر، يكونون مسؤولين ومتضامنين، وبين شريك واحد أو أكثر، يكونون أصحاب حصص خارجين عن الإدارة ويسمون شركاء موصين، ومسؤوليتهم محدودة بمقدار حصصهم في رأس المال.

ج- شركة المحاصة: شركة مستترة ليس لها شخصية قانونية، وتنعقد بين شخصين أو أكثر يكون لكل منهم حصة معلومة في رأس المال، ويتفقون على اقتسام الأرباح والخسائر الناشئة عن عمل تجاري واحد أو أكثر يقوم به الشركاء أو أحدهم باسمه الخاص، وتكون المسؤولية محدودة في حق مباشر العمل فيها.

٣- الشركة القابضة: هي الشركة التي تملك أسهما أو حصصا في رأسمال شركة أو شركات أخرى مستقلة عنها، بنسبة تمكنها قانونا من السيطرة على إدارتها، ورسم خططها العامة.

٤- الشركة المتعددة الجنسيات: هي شركة تتكون من مجموعة من الشركات الفرعية، لها مركز أصلي يقع في إحدى الدول، بينما تقع الشركات التابعة له في دول أخرى مختلفة، وتكتسب في الغالب جنسيتها. ويرتبط المركز مع الشركات الفرعية من خلال استراتيجية اقتصادية متكاملة تهدف إلى تحقيق أهداف استثمارية معينة.

ثانيا: الأصل في الشركات الجواز إذا خلت من المحرمات والموانع الشرعية في نشاطاتها، فإن كان أصل نشاطها حراما كالبنوك الربوية أو الشركات التي تتعامل بالمحرمات، كالمتاجرة في

المخدرات، والأعراض، والخنازير في كل أو بعض معاملاتها، فهي شركات محرمة لا يجوز تملك أسهمها ولا المتاجرة بها. كما يتعين أن تخلو من الغرر والجهالة المفضية للنزاع، وأي من الأسباب الأخرى التي تؤدي إلى بطلان الشركة أو فسادها في الشريعة.

ثالثا: يحرم على الشركة أن تصدر أسهم تمتع أو أسهم امتياز أو سندات قرض.

رابعا: في حالة وقوع خسارة لرأس المال فإنه يجب أن يتحمل كل شريك حصته من الخسارة بنسبة مساهمته في رأس المال.

خامسا: إن المساهم في الشركة يملك حصة شائعة من موجوداتها بمقدار ما يملكه من أسهم. وتبقى ملكية الرقبة له إلى أن تنتقل إلى غيره لأي سبب من الأسباب، من تخارج أو غيره.

انتهى القرار.

● **ثانيا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٦/ص٢٠١/ف٥٠١٩)؛ في موضوع (الاتجار بالأسهم)، في الاستفتاء الآتي:**

١) ما هي نوعية الشركات الممكن شراء وبيع - تداول - أسهمها؟

٢) هل من الجائز شراء أسهم الشركات التي قامت بالاقتراض من البنوك الربوية؟

● أجابت اللجنة بما يلي:

الشركات المساهمة باعتبار ما تتعامل فيه نوعان:

النوع الأول: الشركات التي يكون مجال عملها محرما؛ كالشركات التي تصنع أو تتاجر فيما حرم الله تعالى صنعه أو المتاجرة أو التعامل فيه- كتصنيع الخمور والمخدرات- أو تتعامل بالربا، هذا النوع من الشركات يحرم شرعا تداول أسهمها بيعا أو شراء أو غيرهما.

النوع الثاني: الشركات التي يكون مجال عملها حلالا شرعا، ويشمل هذا النوع الشركات التالية:

أ- الشركات التي يكون رأس مالها كله أصولا ثابتة -مصانع أو عقارات أو آلات أو مزارع أو غير ذلك مما أحل الله الانتفاع به- ولا تتعامل بالربا.

وهذا النوع من الشركات يجوز شرعا تداول أسهمها شراء وبيعا أو غيرهما.

ب- الشركات التي يكون رأس مالها كله نقودا، ولا تتعامل بالربا، هذه الشركات يجري على تداول أسهمها بيعا وشراء ما يجري على بيع النقود بالنقود -عقد الصرف- فلا بد لصحة عقد بيع أسهمها أو شرائها ما يأتي:

(١) تقابض البدلين في مجلس العقد، سواء أكان البدلان من جنس واحد (كالدنانير بالدنانير)، أم من جنسين مختلفين (كالدنانير بالدولارات).

(٢) التماثل بين البدلين إذا كانا من جنس واحد من النقود، فلا يصح بيع دينار بدينارين، كما لا يصح تأخير قبض أحد البدلين عن قبض الآخر بعد انتهاء مجلس العقد كما بينا آنفا، أما إذا اختلف جنس البدلين، كالدنانير بالدولارات، فإنه يجوز التفاضل مع وجوب التقابض في المجلس؛ فيصح بيع دينار بأربعة دولارات إذا تم التقابض في مجلس العقد.

فقد ثبت عن الرسول ﷺ قوله: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة... مثلا بمثل، يدا بيد، والفضل ربا، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد» (رواه مسلم).

فإذا تحققت هذه الضوابط عند البيع والشراء جاز شراء أسهم هذه الشركات وبيعها، وإذا لم تتحقق كان العقد عليها باطلا وغير مشروع، ومن ثم فلا يصح تداول أسهمها بيعا أو شراء.

ج- الشركات التي يكون رأس مالها أصولا ثابتة ونقودا، ولا تتعامل هذه الشركات بالربا.

اختلف الفقهاء في بيع وشراء أسهم هذا النوع من الشركات:

فيرى جمهور الفقهاء تحريمه؛ لما روي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنه قال: أتي النبي ﷺ بقلادة فيها خرز وذهب تباع بتسعة دنانير، فأمر النبي ﷺ بالذهب الذي في القلادة فنزع وحده، ثم قال: «الذهب بالذهب وزنا بوزن»، وفي رواية: «لا تباع حتى تفصل» (أخرجه مسلم).

ويرى الحنفية: أنه يجوز هذا البيع إذا كان الربوي المفرد أكثر من الذي معه غيره، بأن كان مع كل واحد منهما من غير جنسه؛ لأن العقد إذا أمكن حمله على الصحة لم يحمل على الفساد، فيجعل الربوي في مقابلة قدره من الربوي الآخر، ويجعل الزائد في مقابلة ما زاد عن القدر المماثل.

والأخذ برأي الحنفية أيسر (ابن عابدين، ج٢/٢٣٧-٢٣٨).

د- الشركات التي تتعامل فيما أحل الله تعالى التعامل فيه، غير أنها اقترضت بالربا، أو أودعت بعض أموالها في البنوك الربوية، وتقاضت عليها فوائد ربوية.

هذه الشركات يجوز شراء أسهمها وبيعها، إذا دفعها إلى الاقتراض أو الإيداع ضرورة (بأن كانت الشركة إن لم تفعل ذلك انهارت أو قاربت)، أو حاجة تنزل منزلة الضرورة (بأن كانت إن لم تقدم على ذلك وقعت في شدة وعسر يقوض نشاطها...)، والضرورة وما ينزل منزلتها تقدر بقدرها، أما إذا لم تكن ضرورة أو حاجة منزلة منزلة الضرورة شرعا، فلا يجوز تداول أسهمها بيعا وشراء.

انتهت الفتوى مختصرة.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة
الأوقاف - الكويتية

# جامع الراجحي لخدمة رسالة الإسلام (٣-٣)

**يعتبر جامع الراجحي في الرياض الواقع على الطريق الدائري الشرقي من المعالم البارزة كونه يصنف من ضمن أكبر الجوامع على المستوى العربي، ولهذا أدرج في قائمة معالم مدينة الرياض التي يقصدها ضيوف المملكة المسلمون أثناء زياراتهم للعاصمة.**

ولنكمل تعرفنا على هذا المَعْلم الكبير:

## العلاقات العامة والإعلام

١- وحدة العلاقات العامة: يتمثل عملها في تعزيز وبناء ودعم العلاقات الإيجابية مع كافة أبناء المجتمع.

٢- وحدة الضيافة: تقوم بتقديم الخدمات حسب أرقى المواصفات على النحو التالي:

- وجبات ابن السبيل لأكثر من ٣٥٠ شخصا يوميا، تتم ضيافتهم بعد صلاة الظهر.
- إفطار الصائمين ليومي الاثنين والخميس والأيام البيض.
- ضيافة أهل الميت، وهي وجبة «غداء، أو عشاء» يختارها أهل الميت تقدم لهم لمرة واحدة في أحد أيام العزاء الثلاثة.
- إفطار الصائمين في شهر رمضان المبارك لأكثر من ٩٠٠ شخص يوميا.
- ضيافة المعتكفين في العشر الأواخر من شهر رمضان لأكثر من ١٥٠٠ شخص يوميا.
- ضيافة كبار الزوار.
- ضيافة الدورات التدريبية.
- ضيافة برنامج الجاليات وطلاب المنح.
- ضيافة طلاب الدورات العلمية.

٣- وحدة الإعلام.

٤- وحدة تقنية المعلومات: تتمثل مهمتها في تقديم الدعم الفني والتقني لجميع أقسام الجامع، وتطوير الأنظمة المعلوماتية بشكل مستمر، وللجامع موقع إلكتروني على الشبكة العنكبوتية فيه كل ما يحتاجه الزائر من معلومات.

٥- وحدات البث التقني: تعمل على بث مناشط الجامع مباشرة، والتواصل مع زوار الموقع لتقديم الخدمات والمساعدة.

## الخدمات المساندة

للجامع وحدة متكاملة من الخدمات المساندة وهي:

١- وحدة الموارد البشرية.

٢- وحدة التشغيل والصيانة.

٣- وحدة المشتريات والمستودعات.

٤- وحدة الأمن والسلامة.

٥- وحدة النظافة.

## حلقات تحفيظ القرآن الكريم

من أكثر الأمور التي يوليها هذا الجامع عنايته؛ الاهتمام بكتاب الله تعالى: تدريسا، وتحفيظا، وكذا الاهتمام بالعلوم الخادمة له: كعلوم القرآن، واللغة العربية، والتفسير، والقراءات، وغيرها.

وقد حددت إدارة الجامع لحلقات القرآن التي تقام فيه أهدافا تسعى وراء تحقيقها، وهي على النحو التالي:

أولا: الهدف الاستراتيجي:

العناية بكتاب الله تعالى حفظا، وتدبرا، وتطبيقا، مع تطوير برامج تحفيظه.

ثانيا: الأهداف التفصيلية:

- إعداد نظام نموذجي لتطوير الحلقات، ومعايير تقييمها.
- تقديم برامج تدريبية متخصصة لرفع كفاءة مشرفي الحلقات ومدرسيها.
- إنشاء حلقة نموذجية لكل فئة عمرية، أو مرحلة دراسية.
- تخريج حفظة متقنين للقرآن الكريم بقراءاته.



- تربية طلاب الحلقات على التحلي بأخلاق القرآن الكريم.

ثالثا: البرامج العلمية الخاصة بحلقات القرآن:

بدأ العمل الرسمي بها في السبت الموافق (٧ شعبان ١٤٢٦هـ-١٠ سبتمبر ٢٠٠٥م).

وتقام حلقات الطلاب في فترتي العصر والمغرب.

كما تقام حلقات الإقراء، والكبار عصرا ومغربا وعشاء.

ويتم التسجيل في الحلقات عن طريق الترشيح؛ لأن الحلقات فيها تميُّز.

بالإضافة إلى ما تقيمه الحلقات من دورات سنوية لتخريج حفاظ متقنين يحملون إجازات مسندة في حفظ القرآن الكريم، ويطلق عليها اسم: «دورة الحفاظ».

ويتجاوز عدد طلاب الحلقات أكثر من ٥٠٠ طالب.

وقد تم وضع منهج مفصل للحفظ والمراجعة لفترتي العصر والمغرب.

وتشارك حلقات التحفيظ في جامع الراجحي باختبارات الجمعية الخيرية السنوية بالرياض.

## حلقات حفظ السنة

تأسست هذه الوحدة في (١٠ شوال ١٤٢٨هـ-٢١ أكتوبر ٢٠٠٧م). وهي عبارة عن برنامج علمي يهتم بحفظ ومراجعة أصول الأحاديث النبوية عبر منهجية محددة، ويقام على مدار السنة.

ولهذا البرنامج أيضا أهدافه التي أنشئ من أجلها وهي على النحو التالي:

١- حفظ السنة والعمل بها.

٢- التربية على الجدية وحفظ الوقت.

٣- بناء المخزون العلمي والشرعي الاستدلالي لدى الحافظ.

٤- إيجاد البيئة المناسبة للحفظ.

٥- المساهمة في حفظ الفرد المسلم في زمن المتغيرات.

٦- المساهمة في تقريب السنة بين يدي طلبة العلم.

ومن مميزات هذا البرنامج: أن حلقاته مستمرة في جميع الأوقات «فجر - عصر - مغرب - عشاء»، وأنه برنامج مجاني بدون رسوم مالية.

ويقوم على التسميع في الحلقات ثلة من طلبة العلم الأكفاء.

كما تقام العديد من البرامج العلمية واللقاءات التأصيلية، ويتم تقديم العديد من الدورات العلمية واللقاءات المتخصصة، وتنظم إدارة الجامع برامج رحلات قصيرة وطويلة، وتوفر النقل من وإلى الجامع، ولكن هذا النقل خاص بالمجموعات، لا الأفراد.

وتحفيزا وتشجيعا من القائمين بالعمل، فإنه يتم توزيع جوائز مجزية ومتميزة للمتفوقين في البرنامج.



في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

# التسبيح علاج للمشكلات

هل تتوقع أن التسبيح يكون فيه علاج للكثير من المشاكل؟

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (الحجر٩٧-٩٨). وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (طه:١٣٠). وقال جل وعلا: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (ق: ٣٩).

الاستغفار حل لمشاكل كثيرة صعبة كنقص المطر، وقلة الرزق المادي، وعدم إنجاب الأطفال. فمع المداومة على الاستغفار تزداد الامطار والخيرات والأموال والأبناء، يقول سبحانه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح:١٠-١٢).

ولقوة الجسم وصحة البدن والسلامة من الآفات، ولزيادة القوة الجسدية والاستمتاع بالحياة والسعادة؛ فعليك بالاستغفار، يقول سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ (هود:٥٢). وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ (هود:٣).

ولدفع الكوارث والسلامة من الحوادث والأمن من الفتن والمحن وغضب الله، فالاستغفار هو المطلوب، يقول الخالق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣).

وللصبر وتحمل صعوبات الحياة وانتظار الفرج؛ فالتسبيح والاستغفار هما الأساس، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ (غافر:٥٥). ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (الاسراء: ١٠٨). وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (الطور:٤٨).

والتسبيح والاستغفار علاج للهم والغم والاكتئاب وصولا للفرج، قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧-٨٨). وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ (الصافات:١٤٣-١٤٤). وقال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم:٢٨).

والتسبيح مساعد في التوكل على الله والرضا بقضائه وقضاء الحاجات، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٨). فسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفرك اللهم وأتوب إليك.

د. آندي حجازي



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com



# التنصل من المسؤولية عبر شماعة الإخفاق

في أدبيات علم النفس وعلم السلوك نجد التنصل من المسؤولية والتحيز للذات أمر شائع، وهي حالة ذهنية اعتاد عليها الفرد، وقبلها المجتمع، فأصبحت سلوكا اجتماعيا، لتبرير النتائج التي نحققها في حياتنا وغالبا ما نلجأ إلى العوامل الخارجية لتبرير نتائج الإخفاق والتقصير؛ لننفي المسؤولية عنا وتحميلها لجهة خارجية.

هذا السلوك متأصل في فكر مجتمعاتنا كرسته التربية؛ فعندما يخطئ الطفل يبدأ الوالدان بخلق الأعذار الوهمية لتبرير ذلك الخطأ، علما بأن الطفل يدرك في داخله زيف هذا التبرير. وهو يعلم أن الوالدين يفعلان هذا وهما يدركان الصحيح من الخطأ. بعدها يتعلم الطفل ويتعود ممارسة هذا التبرير، وينقل إدراكه لحقيقة الأمر من العقل الواعي إلى العقل الباطن، فلا يعود إلى التفكير في شرعية هذه الأمور كما فعل وهو طفل؛ لأن كفاءته أصبحت عالية في تبرير الفشل والقصور الذي يمر به، ومع الزمن تصبح ثقافة وسلوكا متجذر في المجتمع.

ومثل هذا السلوك يحرم المرء نعمة التعلم وتصحيح الأخطاء، نتيجة رفض الاعتراف بالخطأ وتحمل المسؤولية. وبالتالي نتساءل جميعا كباحثين ومسؤولين وصناع القرار إلى متى سيستمر هذا السلوك؟ وكيف لنا أن نكنس هذه النفايات الفكرية العالقة في الأذهان والمعيقة للتقدم؟

**جميلة مرابط**

# خلق الإيثار سبيل البناء المجتمعي

من روائع السيرة النبوية وأعلاها فخرا وأرقاها منزلة ما جسدته الشخصية الإسلامية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ (الحشر:٩) حيث تجلى خلق الإيثار واضحا ليفصح عن مكنونات قلبية جانبها الحسد والغل والبغضاء، وحل محلها الرضا والسماح ولين الجانب. ففي تلك البقعة المباركة استقبل أهل المدينة المهاجرين استقبال الأهل والأحباب الذين طال سفرهم واشتاق إليهم أهلهم، وأضحى الطريق الى البيت الجديد مأوى للجميع، وانبثقت الأنوار من شرفاتها بريح العنبر والمسك والأمل والتفاؤل. فقد تحمل الفريقان أعباء الدين ليسعد الناس، وفي هذا نقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩).

فقد وصل الأمر إلى اقتسام البيت وترك الأزواج ومناصفة المال. وقد جسد سعد بن الربيع ذلك بصحبة عبدالرحمن ابن عوف وغيرهما. فقد قدموا المهاجرين على أنفسهم وهم لا يجدون غضاضة، ورغم الحاجة إلا أن الإنسانية تعلو بالإيثار؛ ولذا كان الثناء من رب العالمين بأنهم هم المفلحون، بل تعدى الأمر إلى بناء أمة تتلو نهجهم وتسير على سبلهم، قد نزعوا كل لباس الأنانية، مترحمين على سلفهم داعين لهم بالخير، وذلك كله من كمال الإيمان.

فانظر إلى تلك النفوس العالية التي اتقت شُح أنفسها فكانوا من المفلحين.

**شروق محمد**

قدري شوقت الراعي
كاتب ومفكر

# سينما هوليوود.. وأكذوبة إسلاموفوبيا

**إذا أردت أن تعرف من هم أرباب القوة في هذا العالم المجنون، سل نفسك من يمتلك وسائل الإعلام وقنواته المؤثرة في هذا الكون الكبير؟! من يملك ميديا الإعلام التي تصل إلى الجماهير الغفيرة في كل مكان في العالم، وتنشر في عقولهم الأفكار والقيم والآراء ذات المقاصد المحددة؟! من يملك في يده مفاتيح اللعبة؟ من؟!**

إنهم الصهاينة.. لا ينبغي أن تصدمك الإجابة، تلك هي الحقيقة، فمن يملك وسائل الإعلام المؤثرة يملك زمام القوة في عالمنا.. ذلك أمر بات من البديهيات التي لا تستدعي جدالا! والصهيونية -بوصفها حركة سياسية يهودية تروج لفكرة أن فلسطين هي أرض الآباء والأجداد، وتدعو يهود العالم للهجرة إليها والاستيطان فيها- منذ أن ظهرت بقوة في أواخر القرن التاسع عشر؛ قد فطنت إلى الأهمية البالغة لدور الإعلام في تشكيل العقول، وقولبة الشعوب، والتأثير على الرأي العام وصياغة رأي عام جمعي إلى الحد الذي يدفع الأفراد والجماعات إلى إصدار حكم جاهز وتلقائي بالعمومية والنمطية حيال فكرة ما، أو قضية محددة،

أو جماعة بشرية معينة، استنادا لأفكار وآراء تم التسويق لها إعلاميا بشكل مدروس ومكثف ومقصود، فشرع آلهة المال وأرباب الثراء من المنتسبين لتلك الحركة والمؤمنين بأفكارها وأهدافها في وضع أموالهم ونفوذهم وأدواتهم في خدمة أفكار تلك الحركة وأهدافها.

ومن أجل أن تنتصر أفكار الصهيونية الخبيثة وتسود أهدافها في أرجاء العالم كله، وفي سبيل أن يمسي الرأي العام العالمي مؤمنا بفكرة قيام دولة اليهود في فلسطين، بل ومتعاطفا ومؤيدا للاحتلال الصهيوني لهذه البقعة الغالية من أرض العروبة والإسلام؛ كان لزاما على زعمائها أن يسيروا في دربين وعِريْن في آن واحد، هما: تهيئة الرأي العام العالمي لتثبيت فكرة معاداة السامية واضطهاد اليهود من ناحية، وإبراز صورة العربي المسلم في الأذهان مشوهة ومنحطة من ناحية أخرى..!

وهكذا لم يمض زمن قليل حتى نجح الصهاينة في شراء واحتكار وإصدار الصحف العالمية ذات الانتشار الواسع، ووضعت الأموال الجبارة في خدمة هوليوود، أسطورة السينما العالمية، واستؤجرت قرائح المؤلفين والمخرجين والفنانين في سبيل الدفع بهم إلى صناعة أفلام ومواد ومحتوى سينمائي يخدم الطمع اليهودي النازع إلى استلاب فلسطين، ويحط من شأن العرب المسلمين، ويشوه في أذهان العالم كله صورة العربي المسلم.

واستفادت الحركة الصهيونية من ذلك -في ظل حضور باهت للإعلام العربي، وفي ظل انعدام كامل للوبي (جماعة ضغط) عربي قادر على التحدي- على نحو مذهل في توظيف الدعاية السياسية والإعلانية في سبيل خدمة تلك المقاصد الخبيثة.! وفي إيهام العقل الغربي عموما واليهودي على وجه الخصوص بعقدة الخوف من العربي المسلم الذي صورته عبر وسائل إعلامها المضلل في هيأة الهمجي التافه، والثري النزق الذي لا تنضبط انفعالاته وغرائزه أمام سطوة الشهوة والإثارة، والنرجسي الذي يمارس لعبة الابتزاز بثرواته ونفطه على الغرب المتحضر، والكائن العدواني المتعطش للدماء، الذي ينساق خلف حقده الأسود حاملا في عقله المغرور إرادة تدمير العالم وتصفيته.!

ولم تزل الصهيونية عبر صحفها المملوكة لها أو المأجورة، ومن خلال عملائها من الكتاب والفنانين والمخرجين وصناع السينما في هوليوود؛ تسعى جاهدة في إذكاء عقدة الخوف من العربي المسلم، حتى تحولت تلك العقدة إلى أسطورة، وإلى فزاعة اسمها «إسلاموفوبيا»، وتنامت في العقول الساذجة من اليهود بوجه خاص والغرب بوجه عام مشاعر الحقد والكراهية نحو الإسلام والمسلمين، وذلك بفضل أسلوب التضليل الإعلامي الذي اعتمدته في تشويه العرب المسلمين صورة وكلمة.

ولاشك أن ذلك نوع من الأساليب التي انتهجتها بعض وسائل الإعلام الغربية أيضا، وعلى مدار عقود عدة؛ لتزييف الحقائق، واغتيال الحق، وشحن قلب العالم وعقله بمشاعر العداء والكراهية ضد العرب المسلمين. حدث ذلك -وما زال يحدث- في مواقف غير قليلة حيال قضايا دول العالم الثالث، لاسيما الدول العربية المسلمة.

لقد أضحت صورة العرب المسلمين في مخيلة بعض فئات المجتمعات الغربية كجراثيم فتاكة، يجب التصدي لها، ومحاصرتها، والتخلص منها قبل أن يستفحل شرها، وفي بعض أفلام هؤلاء وبرامجهم التلفزيونية بات العربي المسلم يحمل صورة نمطية ثابتة، وغير قابلة للتعديل، سرعان ما يستحضرها في ذهنه المواطن الغربي المخدوع -بوسائل التخدير الإعلامي- كلما أثيرت أمامه قضايا المواطن العربي المسلم.

وهذه الصورة النمطية المغلوطة والمنافية للواقع تصور العربي المسلم كائنا همجيا فوضويا، جبانا متبلد الشعور، عدوانيا يحصد أرواح الناس بالرصاص والقنابل والسيارات المفخخة، شريرا، بل ساديا يضمر الشر الأسود للعالم، أبله مغرورا، منحته الأقدار ثروات ونفطا ولكنه يستخدم ذلك في ابتزاز دول العالم المتحضر، وكلها -لاشك- صفات منفرة ومثيرة للاشمئزاز، ولكنها مقصودة، والغرض المهم من ورائها خداع الضمير العالمي، وغسل أدمغة الشعوب، وتخدير العقول، وصناعة فزاعة أسطورية اسمها «العرب الأشرار» تمهيدا لكسب الرضا والقبول العالميين لأكبر عمليات نصب وإرهاب في التاريخ يقترفها الصهاينة -أئمة المكر البشري- حتى تتحول عمليات اغتصاب الأرض، وقتل الأبرياء العزل، وإراقة دماء الضحايا بدون وجه حق مشاهد عادية لا تستحق أدنى شعور بالحزن أو التعاطف.

ونحن نرى ذلك التضليل الإعلامي





واضحا جليا في البدايات الأولى لهوليوود، صناعة الأكذوبة وقصة تشويه أمة في مخططاتهم الأولى، الطموح النازع إلى الإساءة والعنصرية وتشويه السمعة والتعتيم على الحقائق وتثبيت المغالطات والأكاذيب من هناك، في محيط هوليوود أسطورة السينما العالمية، التي تتدفق عليها الأموال لخدمة أجندات سياسية تسعى إلى تجميل أمم سيئة السمعة وتشويه أمم جليلة القدر.

في فيلم «The Arab» إنتاج هوليوود ١٩١٥م تبدو صورة العربي في هيئة شاب مستهتر مغامر قاطع طريق ولص، وفي فيلمي «The Sheik» إنتاج ١٩٢١م، و«The son of the Sheik» إنتاج ١٩٢٦م يظهر العربي في صورة الشيخ الثري الشهواني الذي يركض خلف لذاته الجنسية، ويبعثر أمواله في مطاردة الأوروبيات، وفي فيلم «الظل الكبير» تتجلى سيطرة اليهود على هوليوود، وتحكمها في إنتاجها السينمائي؛ فالفيلم يعرض حياة واحد من الضباط الأميريكان الذي تطوع ليشارك الجيش الإسرائيلي في نضاله المسلح ضد الفلسطينيين الإرهابيين في الفترة بين ١٩٤٧م، و١٩٤٨م، والأدهى من ذلك هو تصوير العرب في الفيلم كجماعة تؤمن بحق اليهود في فلسطين، وتقدم المساعدة لهم في الحرب!

وفي فيلم «True Lies» إنتاج ١٩٩٤م، والذي قوبل بموجة من الانتقادات الحادة من قبل منظمات حقوقية عربية داخل المجتمع الأميريكي نفسه، واعتبره العرب إهانة بشعة موجهة إليهم، صور صناع الفيلم المقاومة الفلسطينية كجماعة من الإرهابيين المتطرفين الذين حازوا قنبلة نووية، فطفقوا يتوعدون أميريكا بقتل أطفالها ونسائها وتدمير الحياة فيها!

وفي كتابه (الصورة النمطية السيئة للعرب، وكيف تحط هوليوود من قدر الشعوب) يكشف لنا «جاك شاهين» - الناقد السينمائي الأميريكي من أصل لبناني - ملامح التشويه الهوليوودي المتعمد للعرب المسلمين، ويسلط الضوء على تفاصيل قصة التضليل والغواية التي تحيك أحداثها الصهيونية، لتجعل من العرب المسلمين عموما ومن الفلسطينيين على وجه الخصوص مسوخا مشوهة مثيرة للبغض والكراهية.

لقد قال شاهين: «إنه في كتابي الأخير (الصورة النمطية السيئة للعرب وكيف تحط هوليوود من قدر الشعوب)، قد شاهدت أكثر من ألف فيلم، أفلام من أيام هوليوود الأولى، وحتى أهم الأفلام الحديثة، وكلها تظهر صورا نمطية متتابعة وخطيرة عن العرب المثيرين للبغض، وتظهر العرب كأشرار. وإن أكثر من ٣٠٠ فيلم ونحو ٢٥ في المئة من أفلام هوليوود تحقر العرب بطريقة ما، وتتضمن قدحا مجانيا أو يصورون العرب على أنهم مصدر فكاهة

رخيصة جدا!».
يتجلى ذلك بوضوح في أفلام هوليوود: «Raiders of the Lost Ark» إنتاج ١٩٨١م، «Cannonball Run ٢» إنتاج ١٩٨٤م، «Gewel of the Nile» إنتاج ١٩٨٥م، «Protocol» إنتاج ١٩٨٤م، ثم تتطور تلك الصورة النمطية للعربي الثري الموصوم بالحمق والشهوانية والفسق وملاحقة الأوروبيات إلى صورة الشيخ الثري المالك للأموال الطائلة، ولكنه يملك نزعة عدوانية ورغبة دموية في تدمير الغرب، وقد تجلت تلك الصورة في فيلم «Ernest in the Army» إنتاج ١٩٩٨م.

ولم تسلم المرأة العربية المسلمة من أذى هوليوود، ولم تزل -رغم تألق شخصيتها وما حققته من إنجازات في عصرها الحالي- محصورة في سجن أفلام هوليوود في هيئة المرأة الراقصة مصدر الشهوة، المثيرة للغرائز، أو في هيئة المرأة المتشحة بالسواد، المستكينة الخاضعة لجبروت الرجل ونزواته!، أو قد يحدث أن تمسها يد التطوير، فتبدو امرأة متحررة نوعا ما، ولكنها إرهابية تشارك الرجل أعمال العنف والقتل وتدمير العالم، تتجلى هذه الصورة بوضح في فيلم «Black Sunday» إنتاج ١٩٧٦م، حيث تظهر المرأة الفلسطينية كإرهابية.

أما عن عرض هوليوود لقصة الصراع العربي الإسرائيلي؛ فنحن أمام تلفيق شيطاني كبير للحقيقة والواقع؛ فالفلسطينيون المقهورون المشردون المقتولون كل يوم بأيدي العدوان الإسرائيلي يظهرون في أفلام هوليوود كإرهابيين قتلة، مجردين من الإنسانية، لا فرق بينهم وبين النازيين! فيما يبدو الشعب الإسرائيلي كمواطنين شرفاء ومضطهدين. وهذه الصورة المغلوطة تظهر في أفلام: «Exodus» إنتاج ١٩٦٠م، «Cast a Giant Shadow» إنتاج ١٩٦٦م، «Death Before Dishonor» إنتاج ١٩٧٨م، «The Delta force» إنتاج ١٩٨٦م.

إنه التدليس على مستوى عال، التدليس الذي يقلب ثوابت الواقع وحقائق الأمور فيحول المجني عليه إلى جان، والمدافع عن عرضه وأرضه إرهابيا يريق الدماء، وينشر الفساد. ومن أكثر المغالطات الهوليوودية شيوعا تلك الصورة الهزلية التي تقدم العرب المسلمين للعالم في هيئة جماعة مثيرة للضحك والاشمئزاز أيضا.

إنه التدليس الذي يصدر للعالم ليل نهار صورة العرب المسلمين في هيئة الساديين الإرهابيين، المجردين من المشاعر الإنسانية، الموصومين بالحماقة وكراهية الآخر، وينسب عمليات القتل والتفجير والترويع التي تقع في أي مكان من أرجاء الأرض إلى الإسلام والمسلمين، ويؤسس في أذهان العالم فوبيا الإسلام، وهي فوبيا مفبركة وكاذبة ومطبوخة سلفا في مطابخهم واجتماعاتهم المغلقة.

والمسؤول الأول عن صناعة ذلك التدليس وتصديره للعالم هم اليهود. إننا لا يمكن أن ننزع الحقيقة من أصحابها، هم وهوليوود وجهان لعملة واحدة، لن يجدي أمام ذلك إنكار أو مراوغة، لقد حاولوا إخفاء ذلك، يرتدون الأقنعة والشعارات ويستترون وراءها، ولكن الحقيقة بادية في وضوح كامل، هم يملكون أوراق اللعبة كلها؛ الأموال الطائلة، كبرى شركات البث التليفزيوني في العالم، شركات الإنتاج السينمائي، المؤسسات الصحفية الكبرى، هوليوود مؤلفين ومخرجين وممثلين. هم يسيطرون على هوليوود سيطرة كاملة، بينهم وبينها علاقة حميمة، ورحم هوليوود الولود وتاريخها القديم والجديد يشهد على تلك العلاقة الحميمة.. ويوم صرح الممثل الأميريكي الشهير «مارلون براندو» بقوله: «اليهود يحكمون هوليوود، بل إنهم يملكونها فعلا»، انزعج يهود العالم واتهموه بالعنصرية ومعاداة السامية وأقاموا ضده عاصفة من الهجوم الشرس.

وهم لاشك يروجون بضاعة خبيثة في برامجهم ومسلسلاتهم وأفلامهم السينمائية وحتى الكرتونية؛ الهدف منها شحن العقول والقلوب بمشاعر الكراهية والعداء للعرب والمسلمين، وإضعاف الكيان العربي المسلم، وفرض سياج من العزلة حول الدول العربية والإسلامية، وصرف أنظار العالم عن خطر الصهيونية وإشغاله بلون آخر من الخطر المصنوع المختلق اسمه «الإسلام المتطرف»، وضمان الوصول إلى صمت عالمي، وربما تأييد ودفاع عما يحاك من مخططات وحروب وقتل وإبادة للعرب المسلمين تحت ذرائع مكافحة الإرهاب وتقويض النظم الديكتاتورية واستئصال الحكومات الداعمة للإرهاب.

وبهذا المعنى لا يكون للجرائم اللاإنسانية التي يرتكبها الكيان الصهيوني المغتصب في حق الفلسطينيين العزل أمام مرأى ومسمع العالم كله صباح مساء أي تأثير في المجتمع الدولي.

إعداد/ تركي محمد النصر

## الأخلاق الكاملة

قال شيخنا العلامة الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله: «الأخلاق الكاملة صورة صحيحة عن الدين، فكل من لا خلاق له لا دين له، وكل من يدعي خلقا من دون دين فهو ماكر مخادع وصياد للمنافع؛ فأخلاقه ناقصة، وعرضة للهزات والتبدل وفق المصلحة. وبرهان ذلك واقع اغلب الناس الآن؛ فهم يعتبرون الخداع مهارة، والكذب وسيلة، والمواربة شطارة، والنفاق كياسة ولباقة، والمكر سياسة ناجحة، والغدر والخيانة مصلحة مطلوبة، والغش والاحتيال مقدرة، فأصبح العدل ظلما، والفضيلة رذيلة، والصراحة وقاحة، والإخلاص زيفا، والصدق كذبا، والعفة والأمانة سذاجة وتزمتا ورجعية، والتدين هزءا وسخرية.. إلخ. وقد صدق رسول الله ﷺ إذ كان يدعو ويتعوذ قائلا: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء» (الترمذي)».

**(مقالات العلامة الزحيلي: ص٣٠١)**

## واعلم يا أخي

قال حذيفة المرعشي: كتب إلي يوسف بن أسباط الشيباني (الزاهد): «أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله، والعمل بما علمك الله عزوجل، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلا الله عزوجل، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة، ولا تنفع الندامة عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمر للسباق غدا فإن الدنيا ميدان المتسابقين، ولا تغتر بمن أظهر النسك، وتشاغل بالوصف، وترك العمل بالموصوف، واعلم يا أخي أنه لابد لي ولك من المقام بين يدي الله عز وجل، يسألنا فيه عن الدقيق الخفي وعن الجليل الجافي، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وساوس الصدور، ولحظات العيون، وإصغاء الأسماع، وما عسى أن يعجز مثلي عن صفته. واعلم يا أخي أنه لا يجزي من العمل القول، ولا من البذل العدة، ولا من التقوى ولا من التوقي التلاوم، وقد صرنا في زمان هذه صفة أهله، فمن كان كذلك فقد تعرض للمقت وصد عن سواء السبيل. وفقنا الله عزوجل وإياك لما يحب ويرضى».

**(صفة الصفوة: ٤٠٩/٢)**

## الحيل

قال ابن القيم: «الحيلة هي نوع مخصوص من التصرف والعمل، الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه، بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة؛ فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة، وسواء كان المقصود أمرا جائزا أو محرما، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعا، أو عقلا، أو عادة، فهذا هو الغالب عليها في عرف الناس؛ فإنهم يقولون: فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل، وفلان يعلم الناس الحيل، وهذا من استعمال المطلق في بعض أنواعه كالدابة والحيوان وغيرهما».

**(إعلام الموقعين: ١٨٨/٥)**

## الخلوة

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم؛ فعليه بالخلوة، وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذين ليس معهم إنصاف ولا أدب».

**(بستان العارفين للنووي: ٥٣/١)**

## الخير الذي لا شر فيه

قال الحسن البصري رحمه الله: «الخير الذي لا شر فيه هو: الشكر مع العافية، والصبر عند المحنة، فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم من مبتلى بمحنة وهو غير صابر».

**(الفرج بعد الشدة للتنوخي: ١٧١/١)**

## بئس التلميذ

قال العلامة الصنعاني رحمه الله: «لئيم الطلبة، وخبيث الحضار عند العالم، متتبع العثرات، وكاشف العورات، ودافن الحسنات، وما أكثر هذا النوع – لا كثرهم الله – فإنهم الذين أفسدوا معالم العلم وملأوا المواقف على العلماء أحاديث كاذبة... وبئس الجزاء أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم، فإنه لابد لكل جواد من كبوة، ولكل صارم من نبوة... ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها، وكفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه، فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء وأذاعه، ودافع عنهم إن سمع قادحا فيهم».

**(التنوير شرح الجامع الصغير: ٥٨٢/٩)**

## تعظيم الفتيا

استفتي الحسن بن زياد اللؤلؤي في مسألة فأخطأ، فلم يعرف الذي أفتاه، فاكترى مناديا فنادى: أن الحسن بن زياد استفتي يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه بشيء فليرجع إليه، فمكث أياما لا يفتي حتى وجد صاحب الفتوى، فأعلمه أنه قد أخطأ، وأن الصواب كذا وكذا.

**(تعظيم الفتيا: ص٩١)**

## من دار العقل إلى دائرة الجنون

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «واعلم أن الهوى يسري بصاحبه في فنون ويخرجه من دار العقل إلى دائـرة الجنـون، وقد يكون الـهوى فـي العلم فيخرج بصاحبه إلـى ضد ما يأمر به العلم، وقد يكون في الزهد فيخرج إلى الرياء».

**(ذم الهوى: ص١٦)**

## إمام يترجم لإمام

قال العلامة عبدالوهاب ابن السبكي (ت:٧٢٧) مترجما لشيخه جمال الدين أبي الحجاج المزي (ت:٧٤٢) رحمه الله: «شيخنا وأستاذنا وقدوتنا الشيخ جمال الدين أبوالحجاج المزي، حافظ زماننا، حامل راية السنة والجماعة، والقائم بأعباء هذه الصناعة، والمتدرع جلباب الطاعة، إمام الحفاظ، كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها، ورتبة لو نشر أكابر الأعداء لكانوا يودونها، واحد عصره بالإجماع، وشيخ زمانه الذي تصغي لما يقول الأسماع والذي ما جاء بعد ابن عساكر مثله وإن تكاثرت جيوش هذا العلم فملأت البقاع، جد طول حياته فاستوعب أعوامها واستغرق بالطلب لياليها وأيامها وسهر الدياجي في العلم إذا سهرها غيره في الشهوات أو نامها، ذكره شيخنا الذهبي في تذكرة الحافظ وأطنب في مدحه وقال نظر في اللغة ومهر فيها وفي التصريف، وقرأ العربية، وأما معرفة الرجال فهو حامل لوائها والقائم بأعبائها لم تر العيون مثله».

**(طبقات الشافعية لابن السبكي: ٢٥١/٦)**

# النية وروح الإقدام على العمل

تعد النية أحد الجوانب التي اهتم الفقهاء والمحدثون والسالكون بها اهتماما بالغا. والنية تختلف في كلام العلماء بحسب من يستعملها، فقد تأتي بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض، وهي المرادة في كلام الفقهاء دائما، لا يتجاوزن هذا فيها، وهي عندهم كما يقول القرافي: «فيما هو فرض عين، كالصلوات الخمس، وفيما هو فرض كفاية، كصلاة الجنائز من القربات، وفيما هو فرض كفاية من غير القربات، كاشتراط النية في ذكاة الحيوان».

لقد بدأ البخاري كتابه، الذي عده المسلمون في أعلى درجات الصحة والضبط، بقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»، قال ابن حزم: «قصد أن يجعل لكتابه صدرا يستفتح به، على ما ذهب إليه كثير من الناس من استفتاح كتبهم بالخطب المتضمنة لمعاني ما ذهبوا إليه من التأليف، فكأنه ابتدأ كتابه بنية رد علمها إلى الله».

تعترض نية الطائعين العاملين نزغات الشيطان ومداخله، التي يحاول اللعين بها إما صرف العمل عن وجهه، أو إغراء صاحبه بالمبالغة في تصحيحها ورعايتها حتى يثنيه عن العمل بالكلية، فالاستسرار بالعمل والحرص على بقائه مخفيا قد حدوا بأقوام إلى أن تركوا العمل بالكلية طلبا وحرصا على سريته وإخفائه عن أعين الناظرين، وكلما هم السالك بالعمل ذكّره الشيطان بالرياء تخويفا، وبفضل إخفاء المعروف، فكف وانتظر وربما طال انتظاره. ومما ورد عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قوله: «لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره عنده، وستره، فإنه إذا عجله هنأه، وإذا صغره عظمه، وإذا ستره تممه» ، فجعل الستر درجة من ثلاث يتم بها المعروف، ولم يجعل قيام المعروف عليه وحده.

والفعل المعتبر عند الله تعالى هو الذي يراعي فيه صاحبه وجه الله، وقع سرا كان أو علانية، فليس على العامل أن يتخذ السرية مقصدا في عمله، يحجم عن العمل إن فاته الإسرار به، ويقدم عليه بشرطه، فقد لا يتيسر الإسرار على السالك والساعي في طريق الله دهرا طويلا، فإذا تغيا الإسرار فاته من الخير ما لا يحصى، وضاع عليه من الأجر ما لا يمكن تعويضه. وإفساد النية أو المغالاة في مراعاتها من نزغات الشيطان الصادة عن العمل، قال الغزالي رحمه الله: «الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل، فإذا لم تجب واشتغلت، فيدعوك إلى الرياء، فإذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك: هذا العمل ليس بخالص، وأنت مراء، وتعبك ضائع، فأي فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه، حتى يحملك بذلك على ترك العمل، فإذا تركته فقد حصلت غرضه» .

إن أعمال الإسلام وشعب الإيمان منها ما يمكن الإسرار به، ومنها ما لا يمكن فيه ذلك، والرياء يدخل السر والجهر من العمل، قال إبراهيم التيمي: إذا أعجبك الكلام فاسكت، وإذا أعجبك السكوت فتكلم، فالرياء كما يلحق المتكلم، قد يلحق الساكت أيضا، وإنما الخروج هو بإخلاص النية، وترغيم الشيطان في الحالتين.

وإذا جعل المرء السر غايته، فاته من أعمال البر ما لا يمكنه فعله سرا كالجماعات والجمعات والاعتكاف بالمساجد، كما لا يمكنه إماطة الأذى عن الطريق والأمر بالمعروف وغير ذلك من أعمال البر، كذلك يفوته حسن الخلق، لأن مداره على الإظهار، وإنما يؤجر عليه إذا صاحبته النية، فحيث صحت وخلصت وقع من صاحبه صحيحا مقبولا يترتب عليه الأجر والمثوبة سرا كان أو علانية.

د. محمد أحمد عزب
باحث دراسات إسلامية

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني




# أهلا
## فلاشات تلفزيونية

الفكرة والإشراف العام **صلاح أبا الخيل**

**يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وروعة العظماء ...**
**ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء...**
**أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...**





+965 922 54 54 5

RedAwqaf


العدد ٦٣٢ -السنة ٥٥ - ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ - ديسمبر - ٢٠١٧ م

أسست عام 1385 هـ - 1965 م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٣٣) جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ - يناير - ٢٠١٨ م

مع العدد: براعم الإيمان

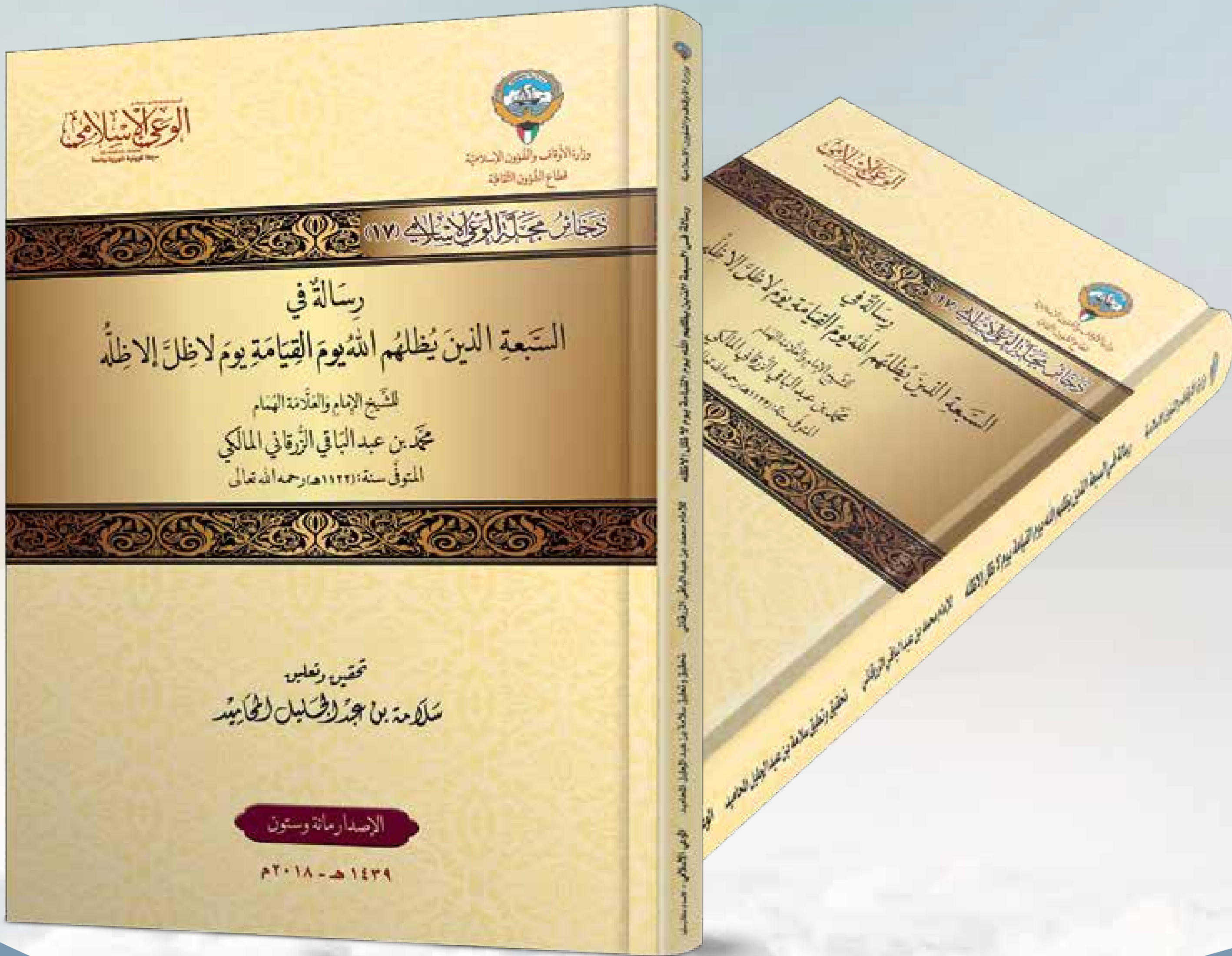
هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (١٧)

# القُدسُ في القلب

- طَالوت والدِّفاعُ عَن الأراضِي المُبارَكة
- أبا الخيل: إعلامُنا قِيميٌّ عصريٌّ
- خِدمَةُ الإسلام في العَصر الرَّقميّ
- كيفَ نحمِي أبناءَنا مِن خَطر الانترنت


موقع مجلة الوعي الإسلامي 
alwaeiq8@gmail.com 
www.alwaei.gov.kw 
مجلة الوعي الإسلامي

# جديدنا




**رسالة في السبعة الذين يظلهم اللّٰه يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله**

**للإمام العلامة الزرقاني المالكي**

ذخيرة علمية ضمن سلسلة ذخائر مجلة «الوعي الإسلامي» يُعدِّد مؤلفها الخصال التي توجب للعبد أن يكون في ظل اللّٰه يوم القيامة، وأوصل تلك الخصال إلى: (٩٤) خصلة، مدعِّمًا ذلك بالأدلة من مصادرها المعتمدة.

# الافتتاحية

رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام



# إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ

الحمدُ لله الذي شرَّف هذه الأمَّة بالحرمين الشَّريفين والمسجد الأقصى، وجعل القُدس شَامة الدُّنيا من غربها إلى شرقها الأقصى، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، لهُ الحمدُ وله الشكر علَى نِعمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله دعا للقُدس وأهلها وبهما أوصى، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اصطفاهم من خلقه صفوةً خُلَّصًا، وزَادهُم من لَدُنهُ فضلًا لَا يُجحَدُ ولا يُقصَى، وسلَّم تَسليمًا كثيرًا إلى يوم فيه الطَّائعُ بطَاعته يُجزَى، ويُؤخَذُ فيه العاصي بمَا عَصَى.

أمَّا بعدُ؛ فقد مَضَت سُنَنُ اللهِ الكَونيَّةُ التي لا تتغيَّرُ: أَنَّ الصِّراعَ دائمٌ بين الحقِّ والباطل، ومن ذلك: مَا قدَّرهُ اللهُ - سبحانه - على هذه الأمَّة من وقُوع الابتلاءات والمصَائب والمحن، وتسلُّط عدوِّها برهة من الزَّمن، ولعلَّ وَاقِع المُسلمينَ المرير، وحالهم الحزين لا يكاد يخفى على ذي لبٍّ، لما فيه من مشاهد العدوان من قِبَل أعداء الأمة؛ ليصدُق فينَا ما أخبر عنه نبيُّنا ﷺ بقوله: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا». قَالَ ثوبان: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». الحديث (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ).

إنَّ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قد فضَّلَ بلادَ الشَّام عامَّةً والقُدسَ خاصَّةً؛ فقَالَ مُخبرًا عن مُوسى عليه السلام: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ (المائدة:٢١). وإنَّ ما نراه في هذه الأرض المقدَّسة هو مِثال حيٌّ على ما ذكرناه من تسلُّط الأعداء على أمَّتنا، إلا أنَّه مع وقع هذا الألم والحزن فإنَّ الله تعالى وعَد بالنَّصر والرِّفعة على المشركين، وجَعَلَ الظَّفر للمسلمين متى ما أخذوا بأسبَاب النَّصر وتمسكوا بوسائل التَّمكين التي بينها الله في كتابه، ومنها:

تحقيق العبودية لله تعالى والتمسك بالشريعة الغرَّاء قولًا وعملًا وسلوكًا، واجتماع كلمة المسلمين، والائتلاف ونبذ التَّفرُّق والاختلاف؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ الآية (الأنفال:٤٦). كما أنَّ إعداد العُدَّة المادية والحسيَّة مع العدَّة المعنوية والإيمانية سببٌ من أسباب النَّصر والتَّمكين؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال:٦٠).

وإنَّه ينبغي على كلِّ مسلم أن يسأل نفسه عن نصرة المسجد الأقصى المُبارك، وكيف يُحقق هذا الأمر، لِيَتَأتَّى الجواب بكل وضوح في الرجوع إلى ثوابت الدِّين، والعودة إلى الأصلَيْن، وأن يحيا دينُ الله في نفوسنا وتصدِّقه أقوالنا وأفعالنا، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧).

وختامًا: فإنَّ الأمَّة الإسلامية تعيش على يقين قاطع بنصر الله وتمكينه لها، وذلك بعد الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية المعينة على ذلك، ورحم اللّه مَن قال:

إنَّــا لَمِــنْ أُمَّـةٍ الله يَكــلــؤُهــا ... نَبيُّهـا أَحْمَــدٌ فَارُوقُـهـا عُـمَرُ
أَقْسَـمْتُ باللهِ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَـهُ ... يَا أُمَّةَ الْحَقِّ إِنَّ الْحَقَّ مُنْتَصِرُ

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٣ | جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
يناير ٢٠١٨م



**المراسلات**
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net



# في هذا العدد



















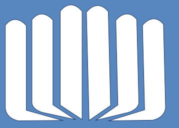
## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





# كلمة العدد

## الفجر وعاصمة القلب

القدس في قلب كل مسلم، لا يمكن لقوة ما أن تنتزعها من هذا القلب المفعم بالإيمان.. فكل مسلم غيور على دينه تهفو نفسه إلى المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، وبينما يقول التاريخ كلمته -في دورات متلاحقة- سواء أشهدت تحرير بيت المقدس أم انتهاك حرمته، نحتاج أن نصدق مع أنفسنا ونحن ننتفض غيرة على أولى القبلتين وثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها.. نحتاج إلى أن نحرر أنفسنا من بعض الادعاءات التي لا تتسق مع واقع حالنا!

نحتاج إلى استيعاب كل كلمة قال بها سمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه وسدد خطاه على طريق الحق وهو يتحدث عن القدس.

ومن هذه الادعاءات أن نطالب بأن تظل القدس إسلامية عربية ويكون البيت الأقصى معمورا بيننا نحن لا نعمر مسجد الحي القريب منا؛ خاصة في صلاة الفجر التي تستدعي جهدا محدودا مع النفس الراكنة للنوم ودفء الفراش!

هذا التناقض بين الرغبة في الوصول إلى نتيجة وعدم العمل الحقيقي من أجلها يجعل صوت سالب الحقوق -دائما- أعلى من الراغب في استعادتها. ندعو الله ألّا نكون ممن يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم.

مدير التحرير

فهد الخزي


**الاشتراكات**

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التحرير




# سمو أمير دولة الكويت دعا لنصرة القدس

**دعا سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح جميع الدول إلى نصرة القدس، والتصدي لقرار أميركا الجائر أحادي الجانب الخاص بالاعتراف بالقدس المحتلة عاصمة للكيان الصهيوني ونقل سفارة واشنطن إليها.**

وشدد على وجوب التحرك، بالتعاون مع التكتلات الآسيوية والاتحاد الأفريقي والاتحاد الأوروبي واتحاد دول أميركا اللاتينية والكاريبي والتكتلات الإقليمية الأخرى، للضغط على الولايات المتحدة الأميركية للتراجع عن هذا القرار الذي يمس كل الأديان السماوية ويضر بعملية السلام.

وأشاد، في كلمته أمام الدورة الطارئة لمؤتمر القمة لمنظمة التعاون الإسلامي، التي انطلقت في مدينة إسطنبول التركية ديسمبر الماضي، برفض المجتمع الدولي للقرار الأميركي، الذي تجسد في جلسة مجلس الأمن الأخيرة ومجلس جامعة الدول العربية، وأيضا من خلال التظاهرات الشعبية في عدة دول.

وقال سمو أمير البلاد إن القرار الأميركي الأخير بشأن القدس يعد تراجعا وتعطيلا لجهود السلام وتغذية لبؤر التوتر في المنطقة العربية وتحفيزا للإرهاب.

وحث الولايات المتحدة الأميركية على العمل مع المجتمع الدولي وإلزام الكيان الصهيوني بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية وإنهاء احتلال جميع الأراضي الفلسطينية والعربية عبر حل سلمي يحقق قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشريف.

وفيما يلي نص كلمة حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

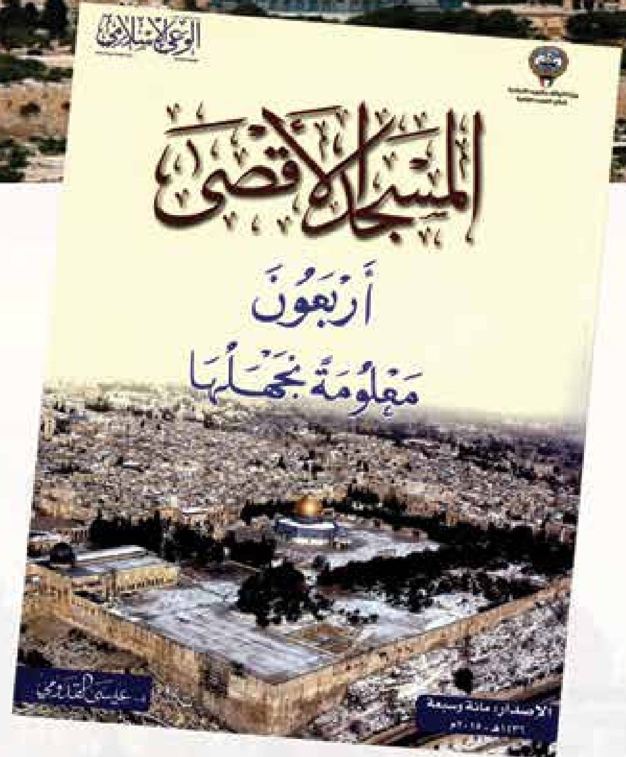
فخامة الأخ الرئيس رجب طيب أردوغان رئيس جمهورية تركيا الصديقة - رئيس الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر القمة لمنظمة التعاون الإسلامي..

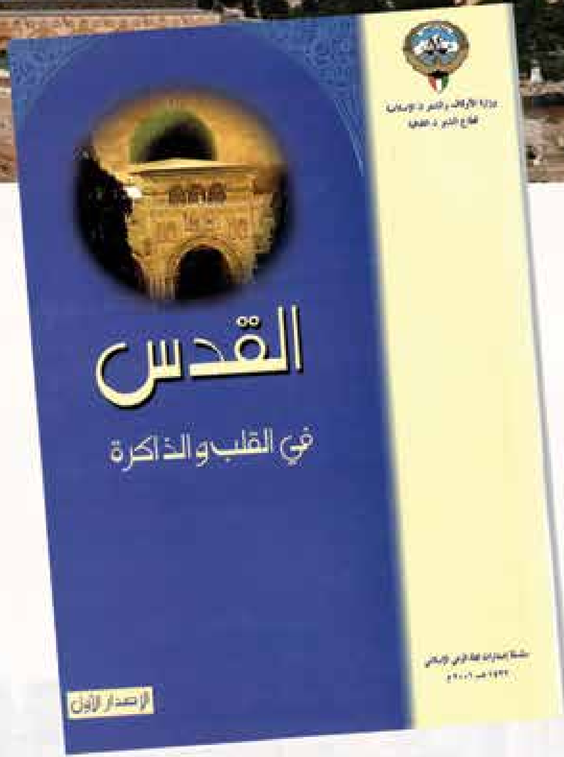
أصحاب الجلالة والفخامة والسمو..

معالي الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي الدكتور يوسف بن أحمد العثيمين..

أصحاب المعالي والسعادة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..




يسرني بداية أن أتقدم بجزيل الشكر لأخي فخامة الرئيس رجب طيب أردوغان وإلى حكومة وشعب تركيا الصديقة على الدعوة الكريمة لهذا الاجتماع الطارئ لمنظمة التعاون الإسلامي. تلك الدعوة التي تعكس بحق إدراكا واستشعارا لخطورة الخطوة التي اتخذتها الولايات المتحدة الأميركية حيال الوضع القانوني والسياسي لمدينة القدس الشريف.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو..

إذا كان الحريق الذي اندلع في المسجد الأقصى منذ ما يقارب الخمسة عقود قد تنادت على أثره دولنا الإسلامية إلى إنشاء منظمة التعاون الإسلامي، فإننا مطالبون اليوم بأن نهبَّ لنصرة القدس الشريف والحفاظ على الهوية الإنسانية والتاريخية والقانونية ومواجهة هذا القرار الجائر باعتراف الولايات المتحدة الأميركية بالقدس عاصمة لدولة الاحتلال الإسرائيلي ونقل سفارتها إليها؛ باعتباره قرارا أحاديا يشكل انتهاكا صارخا لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

إننا نعيش في منطقة يتعرض فيها الأمن والاستقرار إلى تهديد مباشر ومتواصل، كما أن التنظيمات الإرهابية تعبث بأمننا، ونرى اليوم أن القرار الأميركي الأخير بشأن القدس يعد تراجعا وتعطيلا لجهودنا جميعا وتغذية لبؤر التوتر في منطقتنا وتحفيزا للإرهاب.

لابد لنا من الإشارة بالتقدير إلى الموقف الدولي الرافض للقرار الأميركي، والذي تم التعبير عنه في جلسة مجلس الأمن الأخيرة واجتماع مجلس جامعة الدول العربية، ولم يقتصر ذلك الموقف على المستوى الرسمي بل تعداه إلى مواقف العديد من شعوب الأرض التي نددت بذلك القرار، وهنا لابد لنا من الإشارة إلى أنه إذا كان الموقف الدولي بكافة هيئاته الرسمية والشعبية قد اتخذ هذا الموقف.. فأين الصواب في الموقف الأميركي الأحادي؟

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو..

إن علينا التحرك وبالتعاون مع التكتلات الآسيوية والاتحاد الأفريقي والاتحاد الأوروبي واتحاد دول أميركا اللاتينية والكاريبي والتكتلات الإقليمية الأخرى، للضغط على الولايات المتحدة الأميركية للتراجع عن هذا القرار الأحادي الذي يمس كافة الأديان السماوية ويشكل إضرارا بعملية السلام وإخلالا بعملية التفاوض المتوازنة، وتأتي مطالبنا هذه للولايات المتحدة الأميركية انطلاقا من ثقتنا بحرصها على عملية السلام وتمسكها بها؛ باعتبارها راعيا أساسيا لهذه العملية، كما إننا ندعو الولايات المتحدة الأميركية، بالعمل مع المجتمع الدولي، إلى إلزام إسرائيل بتنفيذ قرارات الشرعية الدولية وإنهاء احتلالها لجميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة منذ الرابع من يونيو ١٩٦٧م من خلال حل سلمي يحقق قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف.

إن دولة الكويت وهي تستعد لشغل مقعدها غير الدائم في مجلس الأمن خلال الأيام المقبلة لتؤكد بأنها ستعمل جاهدة على التنسيق والتعاون مع الدول الإسلامية الأعضاء في مجلس الأمن لضمان تنفيذ ما يتم التوصل إليه من قرارات خلال هذه القمة.

وفي الختام أكرر الشكر لكم جميعا متمنيا لأعمال اجتماعاتنا كل التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

## بناها الكنعانيون العرب عام ٣٠٠٠ ق.م

# القدس عاصمة فلسطين الأبدية



**القدس الشريف.. الأرض المقدسة التي تعشقها كل القلوب، وترنو إليها الأبصار والنفوس، وتتعلق بها الأرواح والعقول، إنها مدينة السلام وبيت المقدس، إنها الأرض المباركة التي وطئها وقدسها معظم الأنبياء، مرورا بأبيهم إبراهيم عليه السلام، والذي مازال قبره في مدينة الخليل شاهدا على تاريخها، وصولا إلى سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي صلى بها إماما للأنبياء في رحلة الإسراء والمعراج.**

ولقدسيتها ومكانتها عند الله تعالى وضع بها ثاني بيت بني على الأرض وهو المسجد الأقصى، وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: ثم المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. ثم قال: حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض لك مسجد» (رواه البخاري ٣٣٦٦، ومسلم ٥٢٠).

والأرجح أن أول من بنى المسجد الأقصى هو آدم عليه السلام، اختط حدوده بعد أربعين سنة من إرسائه قواعد البيت الحرام بأمر من الله تعالى، دون أن يكون قبلهما كنيس ولا كنيسة ولا هيكل ولا معبد كما يدعي الصهاينة! ويذكر بعض الفقهاء أن الملائكة هم أول من بنوا المسجد الأقصى زمن آدم عليه السلام. فالقدس إسلامية بإرادة الله تعالى الخالق منذ أن خلق الله البشرية على وجه الأرض.

### عربية أم عبرية؟

والقدس مكان مقدس وأصيل عبر الزمن فهي مدينة موغلة في القدم بناها الكنعانيون العرب قبل آلاف السنين ويعترف الكثير من المؤرخين (بناء على المكتشفات الأثرية) بأن من أسسها هم الكنعانيون (وهم عرب) الذين سكنوا فلسطين في الألف الثالث قبل الميلاد (أو في الألف الرابع قبل الميلاد في العصر النحاسي وفق بعض المكتشفات الحجرية)، وخلال هذه الفترة، أي قبل ثلاثة آلاف عام، قدم إليها العرب في هجرتين كبيرتين: الأولى كانت في بداية الألف الثالث قبل

الميلاد، والثانية في بداية الألف الثاني قبل الميلاد، فهي عربية أصيلة، وهي إحدى أقدم المدن المأهولة في العالم وفق منظمة اليونسكو.
ثم في الألف الأول قبل الميلاد سكنها بنو إسرائيل مع العرب، حيث سكنها نبي الله داود عليه السلام تقريبا في عام ١٠٠٠ق.م، بعد أن أخذها من اليبوسيين، وجعلها عاصمة لمملكته، وتنص المخطوطات العبرانية على أن النبي داود دام حكمه لمملكة يهودا (٤٠) عاما فقط، حتى سنة ٩٧٠ق.م، وبعد وفاته خلفه ولده نبي الله سليمان الذي حكمها (٣٣) عاما، وسميت ببيت المقدس في عام ٩٧٥ق.م، واستمرت مملكة يهودا حتى عام ٥٨٧ق.م، حيث احتل الملك البابلي «نبوخذ نصر الثاني» مدينة القدس بعد أن هزم آخر ملوك اليهود «صدقيا بن يوشيا»، ونقل من بقي فيها من اليهود أسرى إلى بابل بمن فيهم الملك صدقيا نفسه، وعاث نصر في المدينة دمارا وخرابا ودمر هيكل سليمان المزعوم تدميرا كاملا كما ذكرت مخطوطاتهم العبرية.
وبعد ٥٠ سنة من السبي إلى بابل، سمح الملك الفارسي «قورش الكبير» عام ٥٣٨ ق.م لمن أراد من أسرى اليهود في بابل بالعودة إلى القدس، فعاد عدد منهم إلى القدس تحت الحكم الفارسي، واستمرت كذلك حتى فقدت الإمبراطورية الفارسية فلسطين بما فيها القدس لصالح الإمبراطور المقدوني «الإسكندر الأكبر» سنة ٣٣٣ق.م، وبعد وفاته استمر خلفاؤه المقدونيون البطالمة في حكم القدس، وحاول الإغريق أن يطبعوها بطابعهم الخاص ويجعلوها مدينة إغريقية تقليدية، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل حيث وقعت تحت الحكم الروماني بقيادة «بومبيوس الكبير» سنة ١٦٨ق.م، وضمت القدس إلى الإمبراطورية الرومانية البيزنطية وجرى طرد اليهود منها لدناسة أخلاقهم.

## عقوبة المسلمين على بعدهم عن دينهم سلب القدس منهم

وبعد ميلاد عيسى عليه السلام، أصبح معظم أهل إيلياء (القدس) من الرومان والعرب يدينون بالديانة النصرانية، إلى أن جاء الفتح الإسلامي للقدس (١٦هـ - ٦٣٧م)، بعد الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية؛ حيث قام جيش المسلمين بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح بمحاصرة القدس في شوال سنة ١٥هـ (الموافق نوفمبر ٦٣٦م)، وبعد ستة أشهر من الحصار؛ وافق البطريرك «صفرونيوس» على الاستسلام للمسلمين بشرط أن يأتي الخليفة الراشدي لتسلم مفاتيحها، وبالفعل سافر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القدس لتسلم مفاتيح المدينة في مشهد روعة من الزهد والكبرياء، وقد كانت أوصاف هذا الخليفة بهذه الهيئة مكتوبة عندهم في الإنجيل والتوراة فكان كما كتب.
وبعد الفتح الإسلامي للقدس وإعطاء العهدة العمرية لأهل إيلياء (القدس) اشترط على أهلها النصارى ألا يجاورهم فيها يهود ولا يسمحون لهم بالعيش فيها، لكنه سمح لهم بزيارتها وممارسة شعائرهم الدينية، وذلك بعد ما يقرب من ٥٠٠ سنة من طردهم من الأراضي المقدسة من قبل الرومان، فانظر إلى سماحة الإسلام وعدله، وانظر ماذا يفعلون هم بأهلها اليوم؟!

### مكانة القدس

وبهذا الفتح الإسلامي العظيم للقدس وتسلم سيدنا عمر بن الخطاب مفاتيحها من بطريركها آنذاك أصبحت مدينة إسلامية وهي إلى اليوم كذلك وستبقى إلى يوم الدين بإذن الله، فهي لها مكانة عظيمة في نفوس المسلمين وعقولهم خصوصا بعد رحلة الإسراء والمعراج التي أسري بها برسولنا الحبيب ﷺ من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، وأنزل الله له الأنبياء من السموات السبع وصلى بهم سيدنا محمد إماما فهو حبيب الله وخاتم الأنبياء وديانته جاءت الخاتمة والشاملة والباقية إلى يوم الدين، ثم بعد الصلاة بالأنبياء فتحت لرسولنا الكريم أبواب السماء فعرج من على الصخرة إلى السماء وزار السماوات السبع والتقى بالأنبياء وسلم عليهم، ودخل الحضرة الإلهية وفرضت الصلاة في تلك الليلة العظيمة، ما يعطي أهمية بالغة للصلاة.
وهذه الرحلة العظيمة وإن كانت تبدو للبعض أنها خيالية إلا أنها حقيقة واقعة، فمعروف في قوانين الفيزياء وقوانين النسبية لآينشتاين أن السرعة عندما تصبح هائلة ولا نهائية فإن الزمن يتوقف ولا تعود له قيمة أي يصبح صفرا، وهذا ما حدث فعلا حينما أسري برسولنا الكريم ﷺ من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في ليلة واحدة، في رحلة كانت آنذاك تستغرق شهرا، لكنها اليوم تستغرق ساعتين بالطائرة، فما بالك إن كنت على جناح البراق (الذي هو أسرع من كل صواريخ الأرض) ومع سيدنا جبريل الذي له ستمئة جناح، وأجنحته تملأ ما بين السماء والأرض؟! وبقدرة الله العظيمة فإن سيد البشرية المصطفى الكريم حتما سيصل للسماوات العلا وبأقل من ليلة، لأن خالق الكون العظيم لا يعجزه شيء ونحن كمسلمين نؤمن بذلك ويعد هذا الأمر جزءا من عقيدتنا؛ لأنها من معجزات نبينا الكريم ﷺ.
وقد وثق الله تعالى رحلة الإسراء والمعراج، التي تمت في شهر رجب، في سورة «الإسراء» حيث ابتدأ

بها السورة قائلا: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١) ما أعطى أهمية بالغة للمسجد الأقصى الشريف لدى كل المسلمين وأصبح من مقدساتهم التي يجب الدفاع عنها بأغلى ما يملكون.

ولتأكيد أهمية القدس والمسجد الأقصى؛ ذكره الرسول الكريم ﷺ في العديد من الأحاديث ومنها؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (رواه البخاري ومسلم)، فهو ثالث الحرمين وأولى القبلتين، فأي شرف هذا للقدس؟!

## عاصمة الصهاينة، كيف؟!

ما عرضناه من تاريخ طويل للقدس يؤكد أن الأحقية فيها للعرب والمسلمين، فالكنعانيون العرب هم من بنوها، والعرب هم أول من سكنها لآلاف السنين، والقدس إسلامية منذ عهد آدم عليه السلام الذي بنى المسجد الأقصى أو بنته الملائكة في زمانه، وعاد إليها الإسلام في زمن الفتح في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، والتاريخ يثبت أن اليهود لا أحقية لهم بها فهم ممن مروا بها وعاشوا فيها أزمنة قليلة، وكم طردوا منها لنجاستهم! فهم مثل اليبوسيين الذين كانوا قبل اليهود، والفارسيين الذين قضوا على دولة يهودا، ثم اليونان البيزنطيين ثم الرومان، فمن أين أتى هؤلاء اليهود بأحقيتهم بالقدس؟! والتاريخ يثبت أنهم ليسوا من بنوها وليسوا الوحيدين الذين سكنوها، وأنها ليست يهودية ولا عبرية بل عربية إسلامية.

ومن أين يتبجح الغرب ابتداء بوعد بلفور البريطاني المشؤوم عام (١٩١٧م) الذي أعطى فلسطين لليهود وكأنها أرض آبائه ليتخلص من دنس اليهود في بريطانيا وأوروبا، وانتهاء بالتوقيع، أخيرا، على صك نقل ملكية القدس لليهود في خطوة استفزازية لمشاعر المسلمين عبر العالم أجمع.

لكن منذ متى للكيان الصهيوني دولة؟! وفلسطين ليس لها دولة؟! انظر كيف يتلاعب الإعلام الصهيوني بنا وبأفكارنا وعقولنا ويمسحها ويغير ثوابتها! تخيل كيف قلبت الحقائق ومحي اسم فلسطين التاريخي الموجود عبر الزمن ليسجلوا بدلا منه دولة الكيان الصهيوني المستحدثة! فأي زمان هذا؟!

> **بالعودة الصادقة لله وإصلاح النفس ستعود القدس للمسلمين**

## لماذا القدس؟

تعرضت القدس للتدمير التام مرتين؛ مرة أيام نبوخذ نصر وهي ما أشار إليها القرآن الكريم في قصة عزير الذي أماته الله مئة عام ثم أحياه (في سورة البقرة) ومرة أيام الغزو التتاري الهمجي، كذلك حوصرت القدس ٢٣ مرة، وهوجمت ٥٢ مرة، وتم غزوها وفقدانها مجددا ٤٤ مرة!

ومن أمثلة الحصار والغزو نذكر أن الصليبيين احتلوها في حملتهم الأولى ضد المسلمين حيث وصلوها في سنة (١٠٩٩م) وضربوا عليها الحصار حتى سقطت بعد شهر من الحصار، ويسجل التاريخ أن الصليبيين قتلوا فور دخولهم القدس قرابة ٧٠ ألفا من المسلمين ومن سكانها وانتهكوا مقدساتها وحرماتها، وأقاموا فيها مملكة لاتينية فرضوا بها شعائر النصرانية الكاثوليكية.

وأود أن أشير هنا إلى عبرة بالغة الأهمية؛ وهي أن مراقبي التاريخ الإسلامي ومحلليه يرون أن في كل وقت كان المسلمون يتراجعون عن التمسك بدينهم وبتعاليمه وتطبيق أحكامه وشرائعه، مع التمادي في الذنوب والمعاصي؛ كانوا يفقدون القدس الشريف لصالح أعداء الدين الإسلامي. ويلفت هؤلاء المؤرخون إلى أن القدس لم تكن لترجع للمسلمين إلا بعد عودتهم الحقيقية لدينهم ولكتابهم العظيم وللتمسك بالسنة النبوية، وهذه سنة الله في كونه أن جعل على مر العصور الإسلامية عقوبة المسلمين على بعدهم عن دينهم أن تسلب القدس منهم، وألا تعود لأحضانهم إلا بعد عودتهم الحقة لدينهم الحنيف وعقيدتهم الراسخة، وهذه هي العبرة التي علينا أن نتعلمها في زماننا إن كنا نرغب ونحلم بعودة القدس الشريف إلى حكم المسلمين. لذلك لابد من عودة صادقة لديننا العظيم ولإيماننا الحق بالله تعالى وتربية أبنائنا على ذلك، فالنصر يأتي مع الإيمان الذي يرضى الله تعالى به عنا.

## مثال وحقيقة

ما يؤكد حقيقة العبرة السابقة؛ أن في زمن الحروب الصليبية كان المسلمون في أشد حالات البعد عن التمسك بتعاليم الدين ويمارسون الكثير من المعاصي، لكن في تلك الفترة وحين أقسم صلاح الدين الأيوبي ألا يبتسم إلا بعد تحرير المسجد الأقصى؛ فإنه لم يجهز جيشا في أيام وخرج مسرعا لغزو الصليبيين، لا بل هيأ نفوس من سينضمون للجيش بإعادتهم إلى العقيدة الحقة والإيمان الخالص وكثرة العبادة لله تعالى، فربى جيشه على حب الله تعالى وعلى الإيمان به وعلى طاعة الله تعالى ونبيه العظيم وعلى التمسك بسنته الشريفة،



وذكرهم بأيام الصحابة وبفتوحاتهم العظيمة فهم خير قدوة، وحثهم على العبادات كالمحافظة على الصلوات الخمس وصلاة الليل وتلاوة وحفظ القرآن الكريم والصيام والتسبيح... حتى تأكد من أن النفوس التي ستحارب معه أصبحت قوية بإيمانها بالله تعالى وبعقيدتها الإسلامية وبتوكلها على الله تعالى، لا على العدة والعتاد وإن كانت تملكه؛ وعندها قاد جيش المسلمين بعدما يقارب ٩٠ عاما من الاحتلال الصليبي ودخل بيت المقدس على رأس جيش المسلمين المؤمنين العابدين الذي أعده لتلك المعركة، واستطاع مع جيشه العظيم استرداد القدس من الصليبيين عام (١١٨٧م) بعد معركة حطين الشهيرة، ثم عامل أهلها معاملة طيبة، وأزال الصليب عن المسجد الأقصى بعد أن حوله الصليبيون إلى إسطبل لخيولهم، ودعا المسلمين للعودة إلى القدس وإعادة إعمارها.

ولكن إن تعودوا نعد، وبسبب انهماك أولاد صلاح الدين في النزاع فيما بينهم بعد وفاته على السلطة، وعدم تركيزهم على محاربة الصليبيين ومواصلة ما بدأه والدهم؛ نجح الصليبيون في السيطرة على المدينة بعد وفاته، رحمه الله، في عهد الإمبراطور الروماني «فريدريش الأول بربروسا»، حيث بقيت القدس بأيدي الصليبيين ١١ عاما إلى أن استردها منهم نهائيا الملك الصالح نجم الدين أيوب حينما اتبع سياسة صلاح الدين الأيوبي في إصلاح العباد قبل استرداد البلاد فهنا كان النصر حليفه.

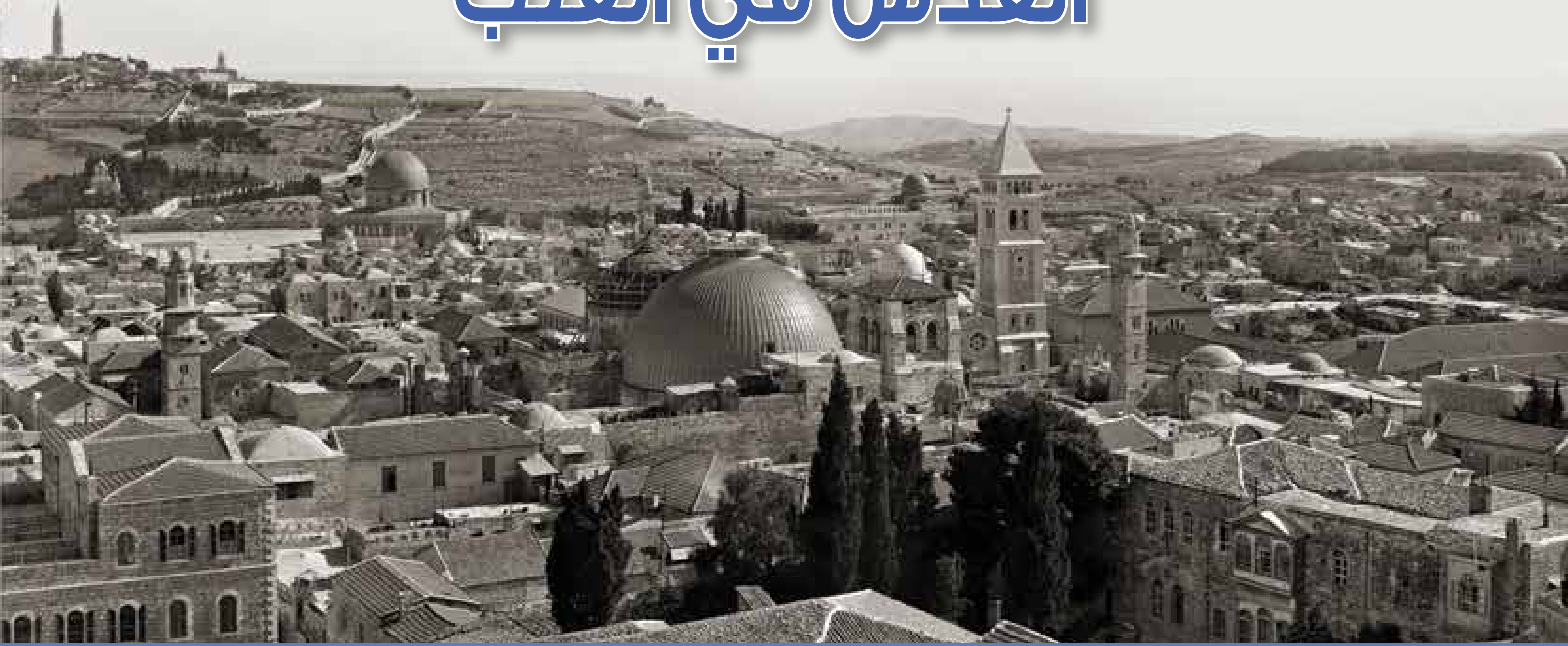
وكذا الكرة حينما ابتعد المسلمون عن دينهم مرة تالية عاقبهم الله مرة أخرى بالغزو التتاري عام ١٢٤٤م، الذي قضى على الأخضر واليابس في القدس، وقتل من المسلمين ما قتل وقضى على القسم الأعظم من سكانها المسيحيين وطرد اليهود منها. لكن رغم عنف التتار وهمجيتهم إلا أن المسلمين حينما عادوا إلى التمسك بدينهم بقيادة السلطان المملوكي سيف الدين قطز والقائد العظيم الظاهر بيبرس وجيشهم المؤمن المتوكل على الله حق التوكل؛ نصرهم الله تعالى في معركة عين جالوت عام (١٢٥٩م) وهزم التتار شر هزيمة، وضمت فلسطين بما فيها القدس إلى الحكم المملوكي الذي حكم مصر والشام بعد الدولة الأيوبية واستمر ذلك حتى عام (١٥١٧م) أيام الحكم العثماني.

وهذه فقط أمثلة شهيرة مما تعرضت له مدينة القدس بعد الإسلام من فترات احتلال وخروج من سيطرة المسلمين، وكان لابد من الحل وهو الاعتصام بالله تعالى والتمسك بالوحدة الإسلامية، وأن نكون على قلب رجل واحد، نؤمن بالله تعالى حق الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٠٣-١٠٥).

فانظر كيف ربط الله تعالى بين الاعتصام بدين الله تعالى وبين التوحد وبين الرجوع للدين الصحيح وتطبيقه عبر دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين يصححون العقيدة والأخطاء ويبعدون الناس عن المعاصي ويذكرونهم بالآخرة، وإلا فلا نصر ولا حلم بالنصر، وهذا هو مفتاح النصر أن نبدأ من أنفسنا ولا ننتظر من أحد أن يعيد لنا قدسنا، فقدسنا سترجع بإذن الله حين نفهم ديننا ونطبقه ونكون مع الله تعالى مؤمنين بقوته ولا نخشى غيره.

سهير الشاذلي
كاتبة مصرية

# القدس في القلب



**لو قدمنا عرضا تاريخيا لمدينة القدس لوجدنا أن سكانها طوال قرون مضت كانوا عربا لسانا وحضارة قلبا ومشاعر، ولم يكن اليهود أكثرية فيها أبدا، وأما الإحصاء عن عدد السكان من واقع الوثائق الرسمية فيخبرنا أن عدد العرب في القدس القديمة سنة ١٩٤٧م، هو ٣٣٦٠٠ نسمة، بينما كان عدد اليهود ٢٤٠٠ نسمة فقط (١).**

والقدس كنعانية عربية أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها بأكثر من ألفي سنة، ومن اسمها الكنعاني العربي اشتق اسمها العبري، واسمها الغربي، وما يحتج به بنو إسرائيل من قدسية وتاريخ وذكريات يحتج بمثله العرب، ويزيدون بما لا يملك الصهاينة، إذ إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) وموسى عليهم السلام لم يملكوها، ولو كان وعد الله لهم حقا. حتى إن إبراهيم عليه السلام لم يجز لنفسه أن يملك مقدار قبر يدفن فيه زوجه سارة، فالتجأ إلى بني حث أصحاب الأرض، وقال لهم: «أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي. فقبل بنو حث طلبه، لأنه رئيس من الله بينهم، ولكن إبراهيم عرض ثمنا لمغارة كان يملكها عفرون ابن صوحر ليتخذها مقبرة، فرفض عفرون الثمن، وعرض المغارة هبة ولكن إبراهيم أصر على الشراء ودفع الثمن نقدا» (٢).

## أصول عربية

هناك الكثير من الشواهد والثوابت التاريخية التي تدل على أن القدس عربية منذ القدم، منها أن أهل فلسطين ينتمون إلى أصل عربي فهم من نسل كنعان، وهو فرع من فروع العرب، ولهذا فإن أهل فلسطين وقت الفتح العربي ومن قبله بعصور مديدة كانوا عربا ولم يكونوا يهودا، وكانوا يتكلمون اللغة العربية، ما جعلهم يشعرون بأن هؤلاء الوافدين عليهم من الجزيرة العربية ليسوا غرباء عنهم مثلما كانوا يشعرون تجاه حكامهم الرومان الغزاة. وفي هذا يقول المؤرخ فليب حتى (ت:١٩٧٨م) في كتابه تاريخ العرب: «كان السوريون والمصريون يعتبرون العرب الفاتحين قوما من بني جنسهم يربطهم بهم ما لايربطهم بأولئك الحكام السابقين الذين كانوا من الأجانب الغاصبين».

فقد ذاق أهل فلسطين على يد الرومان كل صنوف الاضطهاد والتعذيب عندما كان الرومان وثنيين، بينما اعتنق أهل فلسطين الديانة المسيحية فلما اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية وتحول الرومان إلى المسيحية لم يخف عن الفلسطينيين المسيحيين بطش الرومان وقسوتهم وجبروتهم، فلم يكونوا يسمحون للفلسطينيين ولا للمصريين المسيحيين بأن يبنوا كنيسة يصلون فيها. والتاريخ المصري يثبت أن أول كنيسة قبطية لم تبن في عهد الرومان المسيحيين، وإنما بنيت في عهد الحكم الإسلامي، فأول كنيسة قبطية مصرية هي كنيسة أبي سرجة وقد بنيت بعد



الفتح الإسلامي بثلاث وأربعين سنة، أي بعد أن استقر المسلمون في حكم مصر، وكذلك كان الأمر في فلسطين، فإن الرومان لم يسمحوا للفلسطينيين المسيحيين بأن يقيموا كنيسة لأنفسهم. ولا كانوا يسمحون لهم بممارسة الشعائر المسيحية علنا، فضلا عن هذا، كانوا ينزلون بهم كل ضروب الاضطهاد والإذلال، لذا وقف أهل فلسطين موقف الشاهد المتفرج على ما وقع بين الحكام الرومان والمسلمين الفاتحين من حروب دون أن تحركهم حماسة للروم.

### لا معبد ولا هيكل

ومن الشواهد أيضا على عروبة القدس، أنه لو كان فيها معبد أو هيكل يهودي عندما دخلها المسلمون في السنة الخامسة عشرة من الهجرة؛ لأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بالإبقاء عليه، بل وبصيانته ورعايته، وبالمحافظة على نقوشه ومحتوياته مثلما أمر بالمحافظة على أماكن عبادة المسيحيين ومزاراتهم بما فيها من صور وصلبان وتماثيل.

وأيضا فإن المسجد الأقصى كمكان لعبادة الله تعالى وحده، قد أسسه وبناه أبونا آدم عليه السلام على أرجح أقوال العلماء، وجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده، ومنهم سليمان عليه السلام، قد احترموا المسجد الأقصى. ولعلهم قد أضافوا إليه ما يزيده هيبة وجلالا، لأن الأنبياء عليهم السلام يصلحون ولا يفسدون.

ومن غير المعقول دينيا وعقليا أن يكون الهيكل المزعوم لسليمان عليه السلام تحت المسجد الأقصى كما يدعي اليهود لعدة أسباب: منها أن الهيكل لا يعني بالضرورة أنه مكان للعبادة، ولكنه يطلق على الشيء الضخم أيا كانت صفته. ولقد ثبت بالدليل القاطع بعد التنقيب الذي قام به الصهاينة تحت المسجد الأقصى عقب احتلالهم للقدس الشرقية عام ١٩٦٧م، أنه لا وجود لهيكل سليمان عليه السلام تحت المسجد لأن الأقصى تأسس قبل مجيء نبي الله سليمان عليه بعدة قرون، ومن المستحيل أن يوجد تحته بناء.

### مفاتيح القدس

للقدس مكانة غالية في القلب والتاريخ، ومفاتيح المدينة هي الأغلى ذلك أن من يملكها يملك المدينة، وقد تكون واقعة تسليم مفاتيح مدينة القدس للخليفة عمر بن الخطاب ﵁ هي الأشهر في التاريخ، كونها أرست ما يعتبر أول ميثاق تفاهم دولي من نوعه تحت ما عرف بـ«العهدة العمرية»، ليحكم شروط العلاقة بين الأمم والأديان.

وعند فتح القدس، اشترط بطريرك القدس صفرونيوس أن يسلم مفاتيح بيت المقدس إلى الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه، فأتى عمر ﵁ إلى القدس مسافرا يرافقه خادمه ومعهما ناقة واحدة، يركبها كل من الخليفة والخادم بالتناوب. وحين بلغ عمر مشارف المدينة، صعد صفرونيوس وبطاركته إلى أسوار القدس وأبصروا الرجلين القادمين، دون أن يميزوا أيهما الخليفة وأيهما خادمه، إذ كان عمر ﵁ يمسك بزمام الناقة ويخوض في الماء والوحل، فأدرك البطاركة حينئذ أن مدينتهم ستكون آمنة، ففتحوا أبواب القدس وسلموا مفاتيحها للخليفة الذي أبرم معهم العهدة العمرية التي منح بموجبها الأمان لأهل القدس على أنفسهم وأموالهم ومعتقداتهم وما تمثله لهم.

ويتناوب العرب المسلمون على حراسة أبواب كنيسة القيامة، وحمل مفاتيحها عائلتان إسلاميتان هما آل جودة وآل نسيبة، فيحتفظ آل جودة بمفاتيح أبواب الكنيسة، بينما يتولى آل نسيبة فتح الأبواب في مواعيدها المقررة بعد تسلم المفاتيح من آل جودة ثم إعادتها إليهم.

وكانت هذه وظيفة آل نسيبة منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، فأول من تسلم المفاتيح هو جدهم عبدالله، وكان ابن امرأة من الخزرج تدعى نسيبة، فعندما تم للمسلمين فتح القدس ودخلها عمر بن الخطاب سلمه البطريرك صفرونيوس مفاتيح كنيسة القيامة، فناولها عمر ﵁ إلى عبدالله بن نسيبة مؤتمنا إياه عليها لزهده وتقواه. وتوارث آل نسيبة هذه المهمة منذ ذلك الحين. وفي العهد الصليبي اضطر آل نسيبة للرحيل عن القدس مع من رحلوا عنها من المسلمين والمسيحيين الشرقيين بعد مطاردة الصليبيين لهم، ونزلوا قرب بورين في نابلس وسكنوا فيها، وبعد تحرير القدس على يد صلاح الدين أمر بتسليم المفاتيح إلى آل عضيه وهم أجداد آل جودة، ولما عاد آل نسيبة إلى القدس طالبوا بحقهم في المفاتيح، وحلا لهذه المشكلة قرر قاضي القدس أن تبقى المفاتيح بحوزة آل عضيه على أن يتولى آل نسيبة فتح الأبواب، ورضي بحكمه الطرفان، واستمر العمل بهذا الاتفاق حتى اليوم.

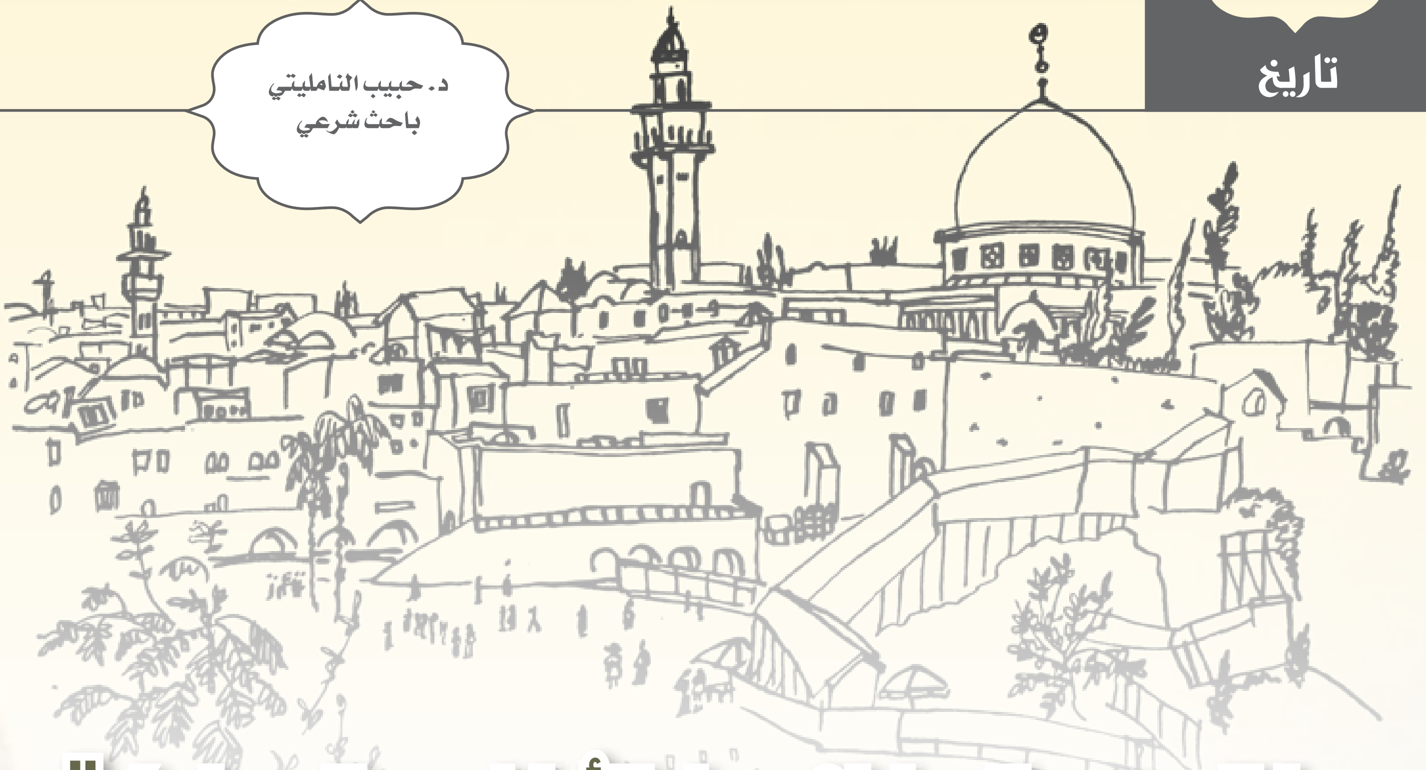
---

**الهوامش**

١- المفصل في تاريخ القدس ص٤٣٠ نقلا عن تقرير جون مارتن.

٢- سفر التكوين (٣/٢٣-١٦).

د. حبيب الناملیتي
باحث شرعي



# طالوت والدفاع عن الأراضي المباركة

**للمسجد الأقصى مكانة سامية في قلوب المسلمين، ومنزلة رفيعة؛ فهو مسرى نبيهم، منه عرج إلى السماء، وهو ثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها، وثاني مسجد وضع في الأرض، وأولى القبلتين، وما من مسلم إلا ويحن إلى تلك البقاع الطيبة، والصلاة في ذلك المسجد المبارك. ولقد حفل القرآن الكريم بالعديد من القصص التي تشير إلى منهجية التعامل مع قضية المسجد الأقصى على وجه الخصوص.**

ومن هذه الأحداث حدث عظيم ذكره الله تعالى في سورة البقرة وقع بعد وفاة النبي موسى، عليه السلام، هو قصة طالوت. ومن العجيب أن هذه القصة القرآنية كأنها تحكي واقع المسلمين اليوم، وكأنها تجيب عن بعض التساؤلات التي نسمعها: كيف نحرر المسجد الأقصى؟! ومتى؟! وما الدروس العملية التي يمكننا أن نقف معها؟!

بدأت هذه القصة بأسلوب السؤال الذي فيه جذب للانتباه، واستجلاب الأسماع؛ وذلك بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ (البقرة:٢٤٦)، أي ألم تر بقلبك فتعلم أمر أولئك النفر الجماعة من الأشراف والوجوه والسادات والرؤساء أصحاب الكلمة النافذة، وما كان من خبرهم. ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٤٦)، فقد كان بنو إسرائيل كلما مات فيهم نبي بعث الله فيهم آخر، وكان فيهم الملك الذي يقود الجموع، والنبي الذي يأمرهم بما يجب عليهم، وكانوا على قتال دائم وانتصارات متكررة، حين كان معهم التابوت (الصندوق) الذي فيه آثار النبي موسى، عليه السلام، يتوارثونه كابرا عن كابر.

بيد أنهم لما نسوا عهد الله، وانحرفوا، ونصبوا الأوثان، وعظمت فيهم الخطايا، ضعفت شوكتهم، وضاع التابوت منهم، وأصيب أبناؤهم ونساؤهم من قبل عدوهم من العمالقة؛ لذلك طلبوا من نبيهم، الذي لم يذكر اسمه في القرآن الكريم أن يرشح لهم ملكا يقاتلون من ورائه ويجتمعون حوله، ويسوسهم في أمر الجهاد لينقطع النزاع بتعيينه وتحصل له الطاعة التامة، فما أجمل الاجتماع بعد الفرقة! وقد خشي نبيهم أن يكون هذا الطلب ما هو إلا حماس مؤقت سريع الزوال.

فقال لهم: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (البقرة:٢٤٦)، فقالوا وهم يبدون العزم الجازم: وأي شيء يمنعنا من القتال وأخذ حقنا من عدونا، وقد أخرج

**الجهاد حفظ لمقاصد الشريعة والدين**

بعضنا من ديارنا وأبنائنا: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٤٦)، فكان هذا الفعل منهم مقدمة لتقاعسهم عن أداء الواجب، لذلك ختم الله هذه الآية بأنه عليم بالظالمين، وبأحوالهم.

### طالوت

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ (البقرة:٢٤٧)، ثم أخبرهم نبيهم بالملك الذي اختاره الله ولم يختره هو لكي يقودهم ويرأسهم، وهو طالوت، فلم يرتضوه، واستنكروا اختياره بأشد الأساليب، ولعل بعضهم كان يرغب في تولي هذه المكانة، وقد دعموا استغرابهم بل واعتراضهم بالحجج التي تدل على عدم صلاحيته للقيام بذلك، وهذه الحجج من وجهة نظرهم هي:

١- ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾، أي كيف يكون له ذلك وهو من سبط بنيامين بن يعقوب، وسبط بنيامين لا ملك فيهم ولا نبوة.

٢- ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ﴾ (البقرة:٢٤٧)، بل هو فقير. قيل كان يعمل دباغا، وقيل غير ذلك.

لكن نبيهم أوضح لهم وهن هذه الحجج وسبب اختيار الله له؛ وهو ما جاء في قوله عزوجل: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ (البقرة:٢٤٧)، وهذا

## المال والنسب ليسا معيارين للولاية

الاختيار له ما يبرره فهو على علم، بل سعة في العلم، وقوة في الجسد؛ والحرب تعتمد على هذين الأمرين، وذكرهم نبيهم بقاعدة عامة ألا وهي أن الملك بيد الله ﴿وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ (البقرة:٢٤٧)، فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، وهو واسع الكرم عليم بمن يستحق الملك، ثم طلبوا منه دليلا يثبت فيه أنه الملك الذي اختاره الله، فقال: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (البقرة:٢٤٨)؛ فجعلت لهم هذه القرينة الظاهرة والعلامة البارزة، وهي التابوت الذي فيه من آثار موسى لتسكن إليه نفوسهم وتطمئن، فلما ظهرت اطمأنت النفس إليه، وسكنت له.

### اختبار

ثم لما انقاد بنو إسرائيل له وتحركوا معه بأعداد كبيرة، أراد أن يختبر قوة عزائمهم، وصبرهم، ومدى التزامهم بأوامر القائد، فنصرة الحروب لا تكون إلا بذلك، إذ لابد من التمييز بين الصابر وغيره، فمروا على نهر ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾ (البقرة:٢٤٩)، فقسم الناس إلى: طائع بعدم الشرب إلا اليسير من الماء، وإلى من عصى الأمر وشرب، وكان عدم صبرهم على ترك شرب الماء ساعة دليلا على عدم صبرهم على القتال.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ (البقرة:٢٤٩)، وهؤلاء ممن اجتازوا الامتحان لكنهم ترددوا أيضا وهابهم العدو، غير أنه كان فيهم من أهل الحكمة والبصيرة أهل الإيمان الثابت، واليقين الراسخ، الذين قالوا: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (البقرة:٢٤٩)، ولما قابلوا العدو رفعوا أكفهم بالدعاء والالتجاء إلى الله ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٥٠).

وفي ميدان القتال تواجه الطرفان، وحان وقت المبارزة، فتقدم جالوت للمبارزة، وشاء الله أن يخرج داود ليبارزه ثم ليقتله ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ

## العواطف الوقتية لا تحل أي قضية والعبرة بسلامة الاعتقاد

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ (البقرة:٢٥١)، وتحقق لهم النصر بعد ذلك، وبدأ عهد جديد، وملك جديد، وجمع الله لداود الملك والنبوة وفصل الخطاب.

ثم بين الله الفائدة من الجهاد، وأن به حفظ لمقاصد الشريعة، وكليات الدين: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ (البقرة:٢٥١-٢٥٢).

### دروس وعبر

في هذا الحدث آيات ودروس وعبر لأفراد هذه الأمة وجماعتها، في المشرق والمغرب، تظهر عند التأمل في هذه الآيات، وفي تفسير أهل العلم لها، ومنها:

١- أن أهل الحق والإيمان، قد يمكنون في أوقات وأزمان، وقد يعيشون في ضعف في أخرى، ولا يدل ذلك على بطلان أصل ما هم عليه من الحق، وإنما على وقوع شيء من النقص في اتخاذ الأسباب الشرعية والكونية، كحاجتهم للرجوع إلى دينهم واتحاد كلمتهم.

٢- العبرة برسوخ الإيمان واستقراره، لا الحماس الجماعي، ولا العواطف الوقتية، فهي لا تحل أي قضية، والعبرة ليست بالأعداد والعتاد، وإنما بحسن الإعداد وسلامة الاعتقاد.

٣- الحوار من أفضل الوسائل للتواصل مع الناس وتبادل الآراء، وهكذا بين أفراد المجتمعات، سواء الشعوب بعضها مع بعض، أو مع من ولاهم الله أمرهم، من دون اختلاق فتن أو قلاقل بإثارة الناس بعضهم ضد بعض.

**الأمة الإسلامية لن تعود لعزها إلا برجوعها لدينها**

٤- اجتماع أهل الرأي النافذ، وبحثهم لوسائل وطرق حل الحوادث النازلة من أفضل الطرق والمسالك التي بها تستقيم الأحوال، وسبب ارتقاء الجماعة وحصول مقاصدها، كما وقع من هؤلاء الملأ الذين اقترحوا بأن يُعيَّن عليهم ملك يسوسهم.

٥- خير من يطلب الترشح للولايات هم أهل الدين والعلم.

٦- إصلاح النيات من أشرف الغايات.

٧- المربي والداعية والنبي قد يذكر لبعض أتباعه وتلاميذه ما قد يخاف وقوعهم فيه بقصد الزيادة في الحذر، حتى لا يقعوا في محظور.

٨- المال والنسب ليسا معيارين للولاية، بل الكفاءة التي تجمع بين القوة والعلم، والأمانة، وتوفر الأسباب لتمكينه.

٩- العلم والرأي مع القوة المنفذة للحق يتحقق بها كمال الولايات، وبفقدها كلها أو أحدها، تنقص ويلحق بها الضرر.

١٠- لا يتكل أهل الإيمان الكامل على أنفسهم، بل يبذلون الأسباب ويتوكلون على رب الأسباب، فالقلة المؤمنة الصابرة لما استعانت بالله أجرى الله النصر على يديها، وأيدها.

**الحوار من أفضل الوسائل للتواصل مع الناس وتبادل الآراء**

١١- في هذه القصة صفات ينبغي أن تجتمع في القائد، الذي لابد أن يمتاز بالأمانة والصدق، والقوة، والعلم، كما تدل عليه النصوص في هذا السياق وغيره.

١٢- اختبر من معك قبل وقوع الحوادث الكبرى للانتقاء، وتمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والصابر من الجازع، والشجاع من الجبان، والقوي من الضعيف، وما كان الله ليذر العباد حتى يميز الخبيث من الطيب.

١٣- الدنيا كالنهر الجاري، إن توسعت بالنهل منها قد يمنعك ذلك من الاستمرار في الوصول إلى هدفك، وإن شربت قدر حاجتك تحقق لك ما تريد.

١٤- الدعاء سلاح المؤمن عند وقوع المصائب.

١٥- أهل الحقيقة يدركون أن الغلبة ليست بالمادة والعدد، وإنما بالإيمان واليقين ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:٢٤٩).

١٦- من رحمة الله الجارية وسنته السارية دفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين، ولولا ذلك لفسدت الأرض.

١٧- الناس تبع للأشراف والسادة وأهل الرأي، فإذا صلحوا صلحت أحوالهم.

١٨- تخلي الجماعات المتعاقبة عن الطريق وتنكبها لا ينقصان من الحق ولا يعيقانه عن الوصول إلى مقصده وهدفه.

ويمكن القول إنه بالنظر لواقعنا اليوم يظهر لنا أن أبرز أسباب تراجع الأمة الإسلامية؛ هو تخليها عن دينها، وتفرقها، وتحركها من واقع ردود الأفعال، ولن ترجع هذه الأمة إلى عزها إلا برجوعها لدينها، واتحاد كلمتها، وتعلقها بربها، وصبرها وثباتها على الحق.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

أ. د. مجاهد مصطفى بهجت
مختبر القرآن الكريم - الجامعة الإسلامية الماليزية UIM

# الإعجاز في معاني فواتح سور القرآن الكريم

تعددت صور إعجاز القرآن الكريم وتنوعت في مجالاتها وأصنافها المختلفة، من الفصاحة والبلاغة والعلوم والحضارة إلى عالم الاجتماع والإدارة والاقتصاد والتربية والفكر والثقافة، وتدق بعض مظاهر الإعجاز إلى حروف الجر أو العطف، وإلى ما سمي بالإعجاز العددي، وتأتي هذه المقالة لاستجلاء مظهر جديد في الإعجاز يتصل بفواتح السور ومطالعها، وللموضوع علاقة بموضوع خواتيم السور، والفاصلة في القرآن الكريم، وله علاقة بعلم المناسبة الذي يبرز العلاقة بين أول السورة ووسطها وآخرها، وبين أواخر السور وأوائلها في القرآن الكريم.

ورد الاستفتاح في القرآن الكريم بمعان متنوعة ومضامين مختلفة، وعالج القدماء الموضوع في مصادر علوم القرآن خاصة والدراسات القرآنية عامة (١)، ولكن تصنيفهم لم يأت على المضمون والمعاني للفواتح، بل جاء من زاوية طبيعة المطلع في صيغة الجملة، لغة ونحوا وبلاغة (٢). ومن الدراسات الحديثة رسالة علمية صنفت الفواتح إلى صنفين: الجملة الخبرية، والجملة الإنشائية، وهو تقسيم بلاغي يواطئ التقسيم السابق ويختلف عنه قليلا (٣)، لذلك يخرج تصنيف هذا البحث عن التصانيف السابقة في مصادر علوم القرآن، ويمكن تقسيم الفواتح إلى عدة أصناف مما يمكن استخلاصه من معاني هذه المطالع للسور، وهي:

### أولا: العقيدة في التوحيد وتقوى الله، والحمد والتسبيح:

### التوحيد وتقوى الله:

تضمنت مطالع بعض من السور معاني العقيدة لإثبات وجود الله تعالى والتقوى، والحمد والتسبيح، وذلك في ١٩ سورة، ففي العقيدة ما ورد في معنى التوحيد في مطالع ٥ سور، مطلع سورة الصافات: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾، حيث أقسم الله تعالى بالملائكة تصف في عبادتها صفوفا متراصة، إن معبودكم لواحد لا شريك له، وسورتا الكافرون: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، والإخلاص: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تثبتان العبودية لله والوحدانية. وهناك سورتان بدأتا بمخاطبة الناس ودعوتهم إلى التقوى لله الخالق مما يقتضي التميز في الخلق، والإعداد لقيام الساعة، وذلك في قوله تعالى في مطلع سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ (النساء:١)، وفي مطلع سورة الحج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ (الحج:١).

### الحمد والتسبيح:

استفتحت ١٤ سورة بالحمد والتسبيح ثناء على الله عزوجل، نصف هذه السور افتتح بإثبات صفات الكمال، ونصفها الآخر افتتح بسلب صفات النقص وتنزيه الله عزوجل.

افتتحت ٧ سور بإثبات صفات المدح، خمس منها بدأت بالحمد وهي في سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وفي سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وفي سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وسورة سبأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وسورة فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فالله تعالى حقيق بالحمد والثناء مستوجب لهما، لخلقه السماوات والأرض وله ما فيهما، وهو رب العالمين المنزل للكتاب. وافتتحت سورتان بـ(تبارك) في قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾، وفي سورة الملك: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعالى الله وتعاظم عما سواه، وهو المنزل للقرآن وبيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما.

وافتتحت ٧ سور بالتسبيح (٤) وهو نفي النقص وتنزيه الله، وذلك في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، والمعنى يمجد الله نفسه ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، وفي سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وسورة الحشر وسورة الصف: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ والمعنى مجد الله تعالى، ونزهه عن كل ما لا يليق به كل ما في السموات والأرض، وفي سورة الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وسورة التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وسورة الأعلى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾. فهذه ١٤ سورة استفتحت بالثناء على الله لثبوت صفات الكمال ونصفها لسلب النقائص.

## ثانيا: ذكر كتاب الله والقرآن

ورد ذكر كتاب الله تعالى تصريحا والقرآن والوحي في فواتح ٢٨ سورة، كلها بدأت بالحروف المقطعة إلا في سورتين وهما الزمر والرحمن، وذلك لإثبات المصدرية من الله تعالى وعدم الشك فيه، وإثبات الهداية كما في مطلع سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾(٥) الكتاب العظيم الذي لا شك أنه من عند الله فلا ترتابوا فيه، وجاء التعبير عن الكتاب متنوعا حيث اقترن باسم الإشارة «ذلك» للتعظيم في سورة البقرة، وباسم الإشارة «تلك» في سورة يونس في قوله: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ هذه آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده، وجاءت كلمة الكتاب مباشرة في سورة الأعراف وهود وإبراهيم والزخرف والدخان، فهو إنذار وتذكير في مطلع سورة الأعراف: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾، وهو محكم الآيات ومفصل في سورة هود: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، وهو منزل لإخراج الناس إلى النور في إبراهيم: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، وهو الواضح المبين في الزخرف والدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

ويلاحظ أن الحروف المقطعة تذكر مع الآيات مقرونة باسم الإشارة تلك كما سبق في مطلع سورة يونس، وفي سورة يوسف والرعد والحجر والشعراء والقصص ولقمان، فمطلع سورة يوسف: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾، وأول سورة الرعد: ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه آيات القرآن العظيم الرفيعة القدر، وفاتحة الحجر: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾، والشعراء: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾،

والقصص: ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢﴾، ولقمان: ﴿الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾.

وهي مع القرآن في سورة طه و«يس» و«ص»، و«ق»، والرحمن، ففي سورة طه: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾، وفي سورة يس: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾، وفي سورة ص: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾، وفي سورة ق: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾(٦)، ذو الكرامة والمجد والشرف والشان العظيم، المشتمل على الحكمة والعلم النافع، وكذلك تعليم القرآن في مطلع سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢﴾.

ويلاحظ أنها مع تنزيل الكتاب في السجدة والزمر وغافر والجاثية والأحقاف، ففي السجدة: ﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ لا شك أنه منزل من عند الله رب الخلائق أجمعين، وفي أول الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، وفي فاتحة غافر: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢﴾، والجاثية والأحقاف: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢﴾، وتنزيل الكتاب من الله في آل عمران: ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ...﴾، ومع التنزيل في فاتحة فصلت: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾، وبآيات القرآن مع الكتاب في سورة النمل: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾ هذه آيات القرآن بينة المعنى واضحة الدلالة، وبغير ذلك مما له صلة بالكتاب في السور الأخرى، وهو الوحي في فاتحة الشورى: ﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾، وأداة الكتابة في سورة ن: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾.

## ثالثا: توجيه الرسول وبيان مهمته في التبليغ

تضمنت مطالع ١٣ سورة في القرآن الكريم معنى خطاب الرسول، ومعنى بيان المهمة التي كلف بها، تضمنت مطالع ٥ سور توجيه الخطاب إلى الرسول بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾، وتتضمن الآيات بيان مهمة الرسول في التبليغ في مرحلة مبكرة من الدعوة بالإنذار، وقبلها باتخاذ العدة الروحية قياما في الليل، ثم بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين... ثم في تشريع الطلاق، والتوجيه الأسري في عدم التحريم لما أحل الله إرضاء لأزواجه، وهذه هي المطالع الخمسة في: الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾، والطلاق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾، والتحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾، والمزمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢﴾، والمدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾.

وتضمنت مطالع ٩ سور بيان معاني مهمة الرسول في تلقي الوحي والتبليغ دون خطابه، في أول سورة الفتح قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾، إنا فتحنا لك فتحا عظيما مبينا بانتصار الحق على الباطل، والنجم: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسم الله تعالى على أن محمدا ﷺ منزه عن شائبة الضلال والغواية، والمنافقون: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾، فخذ حذرك منهم، أخزاهم الله وطردهم من رحمته، كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم فيه من النفاق والضلال؟ والجن: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾، أمر تعالى رسوله ﷺ في هذه السورة الكريمة أن يبلغ الناس ما أوحى إليه من استماع نفر من الجن إلى قراءته، واستجابتهم لدعوته، وعبس: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ إن هذه

السورة موعظة لك ولكل من شاء الاتعاظ، واقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، وهي أول آية أنزلت، وفيها: اقرأ يا محمد ما يوحى إليك مفتتحا باسم ربك الذي له وحده القدرة على الخلق، والضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ ما تركك ربك وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك، والشرح: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ ألم نوسع صدرك بما أودعنا فيه من الهدى والمعرفة،... وسورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ مما نتلو عليك في هذا القرآن يا نبينا فيكون دليلا على نبوتك.

### رابعا: في الإيمان باليوم الآخر

تضمنت مطالع كثير من السور معاني العقيدة في إثبات حقيقة اليوم الآخر، وخاصة في السور المكية لتأكيد قرب قيام الساعة، والمحاسبة على ما قدمنا من الأعمال، وهي تتكرر في ١٩ مطلعا من سور القرآن الكريم، وأول مطلع هو سورة النحل في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ قرب قيام الساعة وقضاء الله بعذابكم، فلا تستعجلوا العذاب استهزاء بوعيد الرسول لكم، وأول سورة الأنبياء: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾، والطور: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ أقسم الله... دلالة على عظيم قدرته تعالى وبديع صنعته؛ لتأكيد وقوع العذاب بالكافرين يوم البعث والجزاء، ومثل ذلك القسم في سورة المرسلات: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾، والنازعات: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾، ويذكر من مظاهر قيام الساعة في مطلع الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾، والتكوير: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾، والانفطار: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، والانشقاق: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾، والزلزلة: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾، والنبأ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، والغاشية: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾، والقمر: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾، والحاقة: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢﴾، والمعارج: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾، ونوح: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾، والقيامة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، والقارعة: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢﴾، والتكاثر: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

### خامسا: الوعيد والوعد

تضمنت مطالع كثير من السور معاني الوعيد والإنذار وذلك في مطلع ١٣ سورة من سور القرآن الكريم، في سورة التوبة: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾، ومحمد: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، والذاريات: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾، أقسم الله إن الذي توعدون به من البعث والحساب لكائن حق يقين، والفجر: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢﴾ أقسم الله ليعذبن الذين كفروا بالله وأنكروا البعث، والمطففين: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ بدأت هذه السورة بوعيد شديد لمن يأخذ لنفسه وافيا، ويعطي غيره ناقصا،... وهددت هذا النوع بوقوع البعث والحساب، والشمس: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، والليل: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾، والتين: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ وفي مضمون السور الثلاث الأخيرة معنى الوعد مع الوعيد، والعاديات: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾ ذكر بعد القسم بالبعث ونبه إلى الحساب والجزاء، والطارق: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ بين الله بعد القسم أنه لقادر على رجع الإنسان إلى الحياة بعد الموت، والمسد: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾، والماعون: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾، والهمزة: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾، ويل: عذاب ومهلكة، أو واد في جهنم، لكل همزة لمزة أي مكثر من الهمز واللمز، وهو الذي دأبه أن يعيب الناس، ويثلم أعراضهم، ويطعن فيهم.

### سادسا: الوصية والعبادة والدعاء

تضمنت مطالع ١١ سورة معنى الوصية والعبادة والدعاء، فمن

الوصية ما ورد في مطالع بعض السور مستهلا بخطاب المؤمنين، ففي سورة المائدة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾، وفي مطلع الممتحنة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾. وفي مطلع الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. وهذه المطالع تتضمن توجيه المؤمنين إلى الوفاء بالعقود، وعدم اتخاذ العدو وليا، والأدب في خطاب الرسول. ومن الوصايا ما جاء ضمنا في مطلع سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، وهي تتضمن الوصية بالتقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله، وفي سورة النور التي تتضمن الأحكام: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾، وفي سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ التي كان الصحابة يتواصون بها تأكيدا لمعنى الحق والصبر فضلا عن الإيمان والعمل الصالح.

وفي العبادة: مطلع سورة المؤمنون: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ حيث تذكر الصلاة والزكاة فضلا عن حفظ الفرج والأمانة والعهد، وفي العنكبوت: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ أظن الناس أنهم يتركون وشأنهم لنطقهم بالشهادتين دون أن يختبروا بما يبين به حقيقة إيمانهم من المحن والتكاليف؟ لا بل لا بد من امتحانهم بذلك، وفي الإنسان: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ وتضمن مطلع هذه السورة الكلام على خلق الإنسان وابتلائه، واستعداده لشكر الله أو كفره... وفي الدعاء ما ورد في مطلع سورتي المعوذتين: في سورة الفلق ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ وفي سورة الناس: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

## سابعا: أخبار وحقائق تاريخ

تضمنت مطالع ١٠ سور من القرآن الكريم حقائق من التاريخ، كما في سورة الروم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾. تقرير صحة الإسلام وأنه الدين الحق بصدق ما يخبر به كتابه من الغيوب، وفي سورة المجادلة: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، والبروج: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾، والفيل: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾، والنصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، وقريش: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾، والبلد: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، والقدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، والبينة: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾، والكوثر: ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾.

وأخيرا أين يكمن إعجاز القرآن في معاني فواتح القرآن الكريم؟ إنه في ورود الفواتح والمطالع في لباب الأمور وجواهرها، فأكثر من ثلثي القرآن وهو ٤٧ سورة في العقيدة توحيدا وتقوى، وحمدا وتسبيحا، وفي ذكر كتاب الله والقرآن الكريم، مصدر العقيدة والشريعة، ومثل هذا العدد تقريبا ٤٦ لمعاني العقيدة أيضا في توجيه الرسول وبيان مهمته في التبليغ، والإيمان باليوم الآخر، والوعيد والوعد، وأخيرا الصنف الثالث وهو الأقل ٢١ سورة في الوصية والعبادة والدعاء، وأخبار وحقائق تاريخ، وكتاب الله الذي يستهل بمثل هذه المعاني لاشك معجز من عند الله العزيز الحكيم، وسنجد مثل هذا الإعجاز في معاني خواتيم سور القرآن أيضا حيث تتكرر معاني التحميد والتسبيح والوعد والوعيد في ٦٣ سورة، أكثر من نصف عدد سور القرآن مما سنجده في المقالة التالية إن شاء الله تعالى.

هذا ما اهتدينا له في تصنيف معاني فواتح سور القرآن الكريم ومطالعها، وهو تصنيف لم أجد في مصادر علوم القرآن، والمراجع الحديثة من

حدده وذكره غير الصنف الأول وهو الحمد والتسبيح، ويحتمل أن تكون فاتحة السورة في أكثر من صنف، أو ضمن صنف آخر غير الذي جعلته فيه، لأن التبويب لسور القرآن غير قطعي، علما بأن المطلع قد لا يكون آية واحدة، خاصة في قصار السور، وهو أخيرا اجتهاد يقوم على الاستنباط والنظر والاجتهاد، مع الابتعاد عن التكلف، والإفادة من المصادر والمراجع (٧)، وهذا الاجتهاد يقبل الصواب والخطأ، وعسى أن لا يفوتنا أجر واحد من أجري المجتهد، والله أعلم.

## الهوامش

١- أكثر الدراسات الحديثة عالجت الموضوع في افتتاح السور بحروف الهجاء المقطعة (٢٩ سورة)، وبعضها عالج موضوع مناسبة خاتمة السورة بفاتحة السورة التالية مثل الإعجاز القرآني في فواتح السور وخواتمها: أحمد محمد المعيني ط دار الإيمان، إسكندرية ٢٠٠٤م، وفواتح السور وخواتيمها: آلاء الحبر يوسف نور، (ماجستير) آداب جامعة الخرطوم ٢٠٠٦م، والتناسب بين السور في المفتتح والخواتيم: فاضل السامرائي.

٢- أكثر المصادر والمراجع تذكر تصنيف فواتح سور القرآن العشرة: لا يخرج شيء من السور عنها وهي: ١- الحمد والتسبيح، ٢- حروف الهجاء، ٣- النداء، ٤- الجمل الخبرية، ٥- القسم، ٦- الشرط، ٧- الأمر ٨- الاستفهام، ٩- الدعاء ١٠- التعليل. راجع البرهان في علوم القرآن ١/١٦٤، الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٨٢-٢٨٥. الزيادة والإحسان في علوم القرآن ٦/١٧٦-٢٨٢. ولا يدخل في هذا التصنيف مضمون الآيات ومعانيها.

٣- التقسيم إلى صنفين: يدخل في الجملة الخبرية: ١- الثناء على الله، ٢- حروف الهجاء، ٣- النفي، ٤. التعليل، ٥- الخبر. وفي الجملة الإنشائية: ١- النداء، ٢- القسم، ٣- الشرط، ٤- الأمر، ٥- الاستفهام، ٦- الدعاء. راجع فواتح السور وخواتيمها: عبد العزيز الخضيري، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض ١٩٩٧م. ويلاحظ على هذا التقسيم زيادة صنف واحد على ما سبق وهو النفي، فصار المجموع ١١ صنفا.

٤- قال الكرماني صاحب العجائب: التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل لأنه الأصل، ثم الماضي ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ...﴾ في الحديد، والحشر، والصف، لأنه أسبق الزمانين، ثم بالمضارع ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها، وهي أربع، المصدر والماضي والمستقبل والأمر المخاطب فهذه أعجوبة وبرهان (راجع البرهان ١/ ١٦٥).

٥- الاستفتاح بحروف الهجاء: ٢٩ سورة. (٦) سور بدأت بالحروف الم: ومنها ٥ سور بدأت بالحروف الر: ومنها ٧ سور بدأت بـ حم: ومنها سورة واحدة بدأت بـ المر، المص، طه، كهيعص، طس، وسورتين بـ طسم، وسورة واحدة بـ يس، وسورة واحدة بـ ص، ق، ن، وفيه أسرار بديعة، منها: أنك إذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور وجدتها نصف حروف المعجم، حيث جاءت أربعة عشر حرفا: نصفها من الحروف الشمسية ونصفها الآخر من الحروف القمرية، وهذه الأحرف مشتملة على أصناف أجناس الحروف من الهمس والجهر والشدة والإطباق والاستعلاء والانخفاض والقلقلة. ثم إذا استقرأت الكلام تجد أن هذه الحروف هي أكثر الحروف دورانا على الألسنة من غيرها، ودليل ذلك أن الألف واللام لما كانت أكثر تداولا واستعمالا جاءت في معظم الفواتح.

٦- تأمل السور التي بدأت بالحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف. فمن ذلك سورة ق: «ق والقرآن المجيد»، فإن السورة مبنية على الكلمات القافية: من ذكر القرآن والخلق، وتكرار القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقى الملكين والرقيب والقرين.. إلى غير ذلك من الكلمات التي اشتملت على حرف القاف وهي كثيرة في هذه السورة. وسر آخر، وهو أن كل معاني السورة جاء مناسبا لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح، وعلى هذا النحو أيضا جاءت سورة (ص) وما فيها من الخصومات، واختصام الخصمين، وتخاصم أهل النار، واختصام الملأ الأعلى، وغير ذلك من حرف الصاد.

٧- هذه عناوين بعض الدراسات في موضوع فواتح السور: إمعان النظر في فواتح السور: عيادة الكبيسي، والإعجاز العلمي لدلالات الحروف المقطعة: دكتور محمود محمد شعبان، والتفسير العصري لأوائل حروف السور: عثمان عبد السلام، والتفسير العلمي لحروف أوائل السور: د. تحية عبد العزيز إسماعيل، ودراسة حول فواتح السور: السيد محمد باقر حجني، والدرر في إعراب أوائل السور: أحمد السجاعي، والحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية: د محمد أحمد أبو فراخ، والحروف المقطعة في سور القرآن الكريم المعنى والمغزى: د. حسن عوض، وشرح ما يسمى بالحروف المقطعة: سعد العدل، والظواهر الإعجازية في فواتح السور القرآنية عند المفسرين والنحاة: محمد أحمد المليجي، ط المكتبة الأزهرية للتراث عام ٢٠٠٠م، وفواتح سور القرآن الكريم أنواعها ودلالاتها: السيد إسماعيل علي سليمان، وفواتح السور في القرآن الكريم: فاروق حسين محمد أمين (رسالة ماجستير)، الجامعة الإسلامية، وفواتح سور القرآن: حسين محمد نصار، ط مكتبة الخانجي بالقاهرة ٢٠٠٢م، والفواتح الهجائية وإعجاز القرآن: د. السيد عبد المقصود جعفر، وحول فواتح بعض سور القرآن الكريم: رمضان عبد التواب، آداب جامعة عين شمس، القاهرة ومختصر البيان في فواتح سور القرآن: د. حسن يونس عبيدو، ط مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م. ومن إشراقات الحروف المقطعة: عنتر الروبني.

حاوره: عبدالرشيد راشد
تصوير: هدايت الله أحمد

مدير الإعلام الديني صلاح أبا الخيل لـ«الوعي الإسلامي»:



# إعلامنا قيمي عصري يؤثر بفاعلية

تعد إدارة الإعلام الديني في وزارة الأوقاف الكويتية من الإدارات التي تشغل مكانة بارزة داخل الوزارة وخارجها، نظرا لما تميزت به من نضج سواء على المستوى المهني أو في طريقة تناولها لأبرز القضايا الدينية والوطنية والتربوية والأسرية خليجيا وعربيا ودوليا، الأمر الذي جعل منها قبلة يتردد عليها الراغبون في تقديم إعلام قيمي، عصري، يحمل من القوة والصلابة والإبداع ما يجعله قادرا على التأثير والفاعلية، لاسيما ونحن نعيش أزهى عصور التقنيات الرقمية. ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن إصدارات الإعلام الديني لم تتوقف عند المستوى المحلي وإنما امتدت لتصل إلى قلب أوروبا، وكان لها عظيم الأثر في تعزيز المنظومة القيمية والأخلاقية وتصحيح الكثير من المفاهيم المغلوطة عن الإسلام في الغرب.

«الوعي الإسلامي» التقت مدير إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف والمشرف العام على المشروع القيمي لتعزيز العبادات «نفائس» صلاح أبا الخيل، وتحدثت معه عن قضايا كثيرة، فكان لقاء مثمرا زاخرا بكثير من المعلومات التي منحتنا صورة تعريفية عن إدارة الإعلام الديني ونشاطها، فإلى تفاصيل اللقاء...

**● بداية، نود تعريف القارئ بإدارة الإعلام الديني في إيجاز سريع، فما طبيعة هذه الإدارة ومهامها؟**

- إن إدارة الإعلام الديني هي مؤسسة حكومية غير ربحية تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت. وتبنت منذ نشأتها تقديم إعلام هادف يخاطب كافة الأنماط والشرائح في المجتمع، ويعالج بطريقة عصرية معظم القضايا الحياتية التي تتعرض لها المجتمعات العربية والإسلامية، لاسيما بعد تكدس الفضاء بوسائل إعلام غير هادفة.

## صورة الإسلام

**● حدثنا عن دور الإعلام الديني في تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب؟**

- إن إدارة الإعلام الديني لا تتوانى في مكافحة الفكر المتطرف بكافة صوره وأشكاله، وتعمل على تصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام، وتتعاون مع كافة الجهات والمؤسسات داخليا وخارجيا في هذا الشأن، وكان هذا الموضوع محور لقاء مع سفير السلام بالأمم المتحدة ورئيس الجمعية الدعوية الكندية شزاد محمد والملقب بـ «أبي هريرة». وتناول هذا اللقاء بحث سبل التعاون وكيفية تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام في الغرب، خصوصا بعد أن أصبح الدين الإسلامي متهما بأنه دين الإرهاب، رغم ما يحمله من سماحة وسلام. ولفت إلى أن المقابلة مع الداعية الكندي هي إحدى المحطات المهمة لإدارة الإعلام الديني، فعلاقاته العميقة بمشاهير العالم في مختلف المجالات، ومع الحكومة الكندية، وأعضاء البرلمانات في العالم الغربي، تصب في صالح

**«الإعلام الديني» أدركت مبكرا تراجع دور الصحافة الورقية**

تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب. وأشار إلى أن نشاط هذا الداعية لا يتوقف عند الدعوة فقط، وإنما يمتد لتنظيم رحلات عمرة للمسلمين الجدد بهدف زيادة الوعي، وإعانتهم على أداء شعيرة من أهم الشعائر في ديننا الحنيف؛ ليتمكنوا من مواجهة التحديات المحيطة بهم. ونأمل أن يثمر تعاوننا معه في تعزيز المنظومة الأخلاقية والإعلامية والدعوية، وإبراز صورة الإسلام الصحيحة ووسطيته التي شوهت نتيجة الضعف الإعلامي وغياب الرؤية الشاملة.

## إنجازات

**● لإدارة الإعلام الديني أعمال بارزة في تصحيح الصورة المغلوطة عن الإسلام، ما أهم هذه الإنجازات التي كان لها صدى محلي ودولي واسع؟**

- قدمت الإدارة أعمالا كثيرة حظيت بإشادة محلية ودولية، وكان من أبرزها فيلم «محمد تراث نبي» وفيلم «الجهاد ضد الإرهاب»، لافتا إلى أن فيلم «محمد تراث نبي»، وهو باللغة الإنجليزية، عرض سيرة الرسول ﷺ بصورة حقيقية، بعيدة عن التشويه أو التحريف، أما فيلم «الجهاد ضد الإرهاب» فهو وثائقي من إنتاج مؤسسة «جسور للتعريف بالإسلام وتدريب الدعاة»، والتي يرأسها الداعية الدكتور فاضل سليمان، ويندرج ضمن سلسلة أفلام «الضباب ينقشع»، ويقدم الإسلام بصورته السمحة والوسطية، البعيدة عن التطرف والإرهاب. ويرد هذا العمل على أسئلة غير المسلمين، والشبهات

التي تثار من وقت لآخر عن الإسلام بشكل عام. ووزع من الفيلم ٣٠٠ ألف نسخة حول العالم، وصور في سبع دول أوروبية.

## تواصل

**● أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي الوسيلة الأهم للتواصل مع الجماهير، كيف تتعاملون مع هذه الوسائل؟**

- تتبنى إدارة الإعلام الديني، في تعاملها مع وسائل التواصل الاجتماعي، نهجا مدروسا، بأسلوب تسويقي، جعلها تشغل مكانة بارزة بين هذه الوسائل على شبكة الإنترنت، فهذه الوسائل باتت تمثل المجال الأوسع والأكثر رحابة لمجتمع الشباب وغيره من فئات المجتمع العربي والإسلامي، والمتابع لحسابات الإدارة، سواء عبر حسابات «فيسبوك» أو «تويتر» أو «انستجرام»، أو غيرها من الوسائل، يدرك أنها من الحسابات النشطة، وتحظى بإقبال جماهيري كبير، نظرا لتنوع الموضوعات والقضايا التي تطرحها، وللجودة التي تتسم بها برامجها، ودليل ذلك عدد المتابعين لبعض إصداراتها والذي وصل لنحو ١٧ مليون مشاهد لفيديو «يحلو الوصال»، ويؤكد هذا العدد من المتابعين أن الإدارة تسير في الاتجاه الصحيح على مسار التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي.

كذلك نجري مسابقات ثقافية بشكل دائم عبر حساباتنا في مختلف وسائل التواصل الاجتماعي بهدف جذب الشباب واستثمار قدراتهم وطاقاتهم في مجال يعود عليهم بالنفع والفائدة، ودائما ما نركز في مسابقاتنا على الجانبين «الديني والوطني» باعتبارهما «طوق نجاة» المجتمع من أي اضطرابات قد تعوق مسيرة البناء والتقدم لاسيما أن



## «الجهاد ضد الإرهاب» صوّر بسبع دول أوروبية

المناخ العربي والدولي يفتقد الكثير من الاستقرار حاليا. وناشد أبا الخيل القائمين على جميع المؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية بما فيها المنظومة الإلكترونية، أن يعملوا على إنتاج برامج قيمية هادفة للشباب على وجه الخصوص حتى لا يكونوا عرضة للمغريات الكثيرة التي تدور حولهم سواء في الواقع، أو في العالم الافتراضي على شبكة الإنترنت؛ لأن الشباب هم الثروة الحقيقية لأي مجتمع، وبسواعدهم تنهض الأمم.

وواصل أبا الخيل حديثه قائلا: «إن إدارة الإعلام الديني أدركت، مبكرا، حقيقة المتغيرات التي طرأت على المنظومة الإعلامية، وتراجع الدور الذي تلعبه الصحافة الورقية بشكل أو بآخر، فركزت جهودها على مجال التواصل الاجتماعي؛ إيمانا منها بأنها الطريق نحو المستقبل، علاوة على أنها الفضاء الأكثر سعة لتوجيه كافة الرسائل الإعلامية الهادفة محليا وعالميا».

### تعاون

**● حقق الإعلام الديني نجاحات متعددة داخل البلاد وخارجها، برأيكم ما سر هذا النجاح؟**

- لقد أثبتت التجارب أن روح الفريق أساس النجاح في أي عمل، وإدارة الإعلام الديني سباقة في تقديم كافة ألوان الدعم والمساندة لأي إدارة في أي قطاع من قطاعات الوزارة تطبيقا لمبدأ الشراكة الذي تبنته الوزارة، من ناحية، ولإيمانها بأن التعاون وتضافر الجهود هما السبيل لتحقيق كافة الأهداف والغايات. من ناحية أخرى، تحرص الإدارة على التعاون مع مختلف إدارات وقطاعات الوزارة وأي مؤسسة حكومية أو خاصة خارج الوزارة، شريطة أن تتلاقى معها في الرؤى والأهداف والمضامين، ويكون التعاون مبنيا على رؤية مشتركة تعود بالنفع على المجتمع الكويتي، وتصب في تعزيز المنظومة الأخلاقية والوطنية.

### تلاحم مجتمعي

**● أين إدارة الإعلام من المشاركة المجتمعية؟**

- إن إدارة الإعلام الديني بوزارة الأوقاف على تواصل دائم مع الجماهير سواء من خلال البرامج التلفزيونية التي تقدمها عبر الفضائيات العربية منذ سنوات، مثل «برنامج الحج المبرور»، وغيره من البرامج، أو من خلال المعارض والمؤتمرات التي تقام على أرض الكويت، والمسابقات التي تجريها بشكل دائم، وترصد لها جوائز قيمة، وأيضا عبر تواجدها بدور السينما، ومن خلال شاشات العرض بالمجمعات، والمراكز التجارية، والجمعيات التعاونية، والمستشفيات. وباختصار: لم نترك وسيلة إعلامية أو إعلانية إلا واستثمرناها بهدف الوصول للجماهير، والتواجد بينهم بشكل دائم، ولعل ذلك ما ميز الإعلام الديني، وجعله منارة للإعلام القيمي، ليس على مستوى الكويت فحسب، وإنما على المستويين الخليجي والعربي.

### الشباب

**● يمثل الشباب ثروة الأمة وقوتها، ماذا قدمت إدارة الإعلام لهذه الفئة؟**

- تولي إدارة الإعلام الديني بوزارة



## «صلاتك ميزانك» يحث الشباب على الانتظام في الصلاة

الأوقاف، الشباب اهتماما خاصا في مختلف برامجها وتحرص على التواجد معهم في الجامعات والمدارس وعبر وسائل التواصل الاجتماعي. ولعل من أهم الأعمال التي قدمتها الإدارة لهذه الشريحة المهمة «حملات الصلاة»، للفئة العمرية بين ١٤ و١٨ سنة، والتي تندرج ضمن المشروع القيمي لتعزيز العبادات «نفائس». وركزت الإدارة في هذا المشروع على الصلاة باعتبارها أهم الفرائض بعد الشهادتين، وهي الحصن المنيع لمواجهة الكثير من المخاطر، واللبنة الأساسية في التقرب إلى الله، والوسيلة الأكثر فاعلية في التغلب على الشهوات، وتفادي الكثير من المغريات. وأضاف أن حملات إدارة الإعلام الديني زادت في هذا المشروع الرائد على ١٠ حملات، كان آخرها حملة «طول بالك.. صلاتك ميزانك». وتكمن أهمية هذه الحملات في أن رسالتها موجهة للشباب بصورة مباشرة عبر تنظيم زيارات لهم في مدارسهم، وإعداد فعاليات جذابة تندرج ضمن اهتماماتهم، مصحوبة بتوزيع هدايا وجوائز قيمة، تساهم بشكل أو بآخر في تحقيق الأهداف المرجوة من الحملة.

### الأعياد الوطنية

**● مع قرب حلول الأعياد الوطنية، ما أهم إنتاج للإدارة بهذا الشأن؟**

- في الحقيقة لدينا مكتبة متنوعة من الإصدارات الوطنية، نالت استحسان وإشادة كل من شاهدها، سواء عبر الفضائيات العربية، أو من خلال عرضها في الندوات والمؤتمرات، أو بثها في دور السينما، أو من خلال شاشات المجمعات الكبرى، مثل «الأفنيوز» أو الجمعيات الخيرية والمستشفيات. وغني عن القول إن الفلاشات الوطنية، وفي مقدمتها «أمير المكارم.. صباح العز» و«أهلا»، تعدان من أهم الأعمال الوطنية الكويتية التي بثها تلفزيون الكويت خلال العيد الوطني؛ نظرا لما تضمنته من قضايا غاية في الأهمية. ونذكر على سبيل المثال أن فلاشات «أمير المكارم.. صباح العز» تعتبر توثيقا لتاريخ الكويت وحكامها منذ نشأتها، حيث تتناول مآثر حكام الكويت ابتداء من سمو الشيخ صباح الأول، رحمه الله، وانتهاء بصاحب السمو الأمير الحالي الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، مضيفا أن «الإعلام الديني» تركز في أعمالها الوطنية على القضايا المهمة، كقضية الوحدة الداخلية، خصوصا في تلك الظروف التي تمر بها أمتنا العربية والإسلامية، والتي تستلزم رأب الصدع، وتنحية الخلافات جانبا، ولملمة القوى، واستعادة روح الأسرة الواحدة؛ للتغلب على التحديات المحدقة بنا على المستويين الإقليمي والدولي. ولعل أبرز إصداراتنا في هذا الشأن، فلاشات «خليجنا دائما معا»؛ حيث بينا من خلالها أهمية التلاحم والوحدة بين دول مجلس التعاون الخليجي، ودور هذه الوحدة في التغلب على كافة التحديات.

سعيد عبيدي
باحث في حوار الحضارات
ومقارنة الأديان - المغرب



# خطر الآلات الذكية على الإنسان

لقد بات ملحوظا أن الثورة التكنولوجية لاتزال نشطة وفاعلة إلى أبعد الحدود، كما صار ملحوظا أيضا أن الأدوات والآلات التكنولوجية أو الذكية أصبحت ميسورة اليوم أكثر من أي وقت مضى، كل هذا لكي تتمكن المجتمعات البشرية بفضلها من معالجة مشكلات الفقر، ونقص إنتاج الغذاء، والقضاء على المظالم الاجتماعية، وتسريع وتيرة النمو.. وما شابه، لذلك أصبحت هذه الآلات الذكية ركنا أساسيا لا غنى عنه في إقامة المجتمعات، بينما تفرض في الوقت ذاته أشد الأخطار على الوجود البشري ذاته، حيث يبدو أن الإنسان الحديث باعتماده على الآلات الذكية من ناحية، ومعايشته من ناحية أخرى لمجموعة من الأخطار التي تتهدده؛ بسبب استعمال أو إساءة استعمال هذه الآلات، بات محصورا بين شقي الرحى، واشتد عليه الحصار إزاء قرني المعضلة التكنولوجية.

ونظرا لأن هذه الآلات أصبحت منظومات شديدة التعقيد، فقد أصبحت السيطرة عليها أكثر صعوبة، كما أصبح إمكان إساءة استعمالها أشد خطرا مما كانت

عليه الحال بالنسبة إلى الآلات الأبسط، وإن ظلت الطبيعة الجوهرية للعلاقة واحدة، ففي نهاية الأمر «يمكن وصف عصر الآلات الذكية بعصر الانتقال والانفصال؛ الانتقال من عصر المنتديات العلمية إلى سوق التجارة الإلكترونية، ومن تبادل البحوث التي تهدف إلى المعرفة كغاية في ذاتها إلى توظيف المعرفة وتسليع الثقافة، الانتقال من الباحث البشري إلى الوكيل الآلي، الانتقال من عصر القلق الفكري إلى عصر القلق الوجودي. وهو أيضا عصر الانفصال؛ الانفصال بين الفكر والسلوك، بين النظرية والتطبيق، بين التعليم والتربية، بين التنمية والمحافظة على البيئة، وبين التقدم الاقتصادي والرفاهية والسعادة الحقة، الانفصال بين غايات وأهداف التكنولوجيا الأصلية والحقة وتوظيفاتها واستخداماتها، والخوف أن يؤدي تيار الانفصال هذا إلى انفصال الإنسان عن واقعه وعن بيئته، والذي يفضي في النهاية إلى انفصال الإنسان عن الإنسان ويغرقه في فرديته المفرطة، فينهي نفسه، أو ينتهي وحيدا، وهذا ما تخوف منه أحد مؤسسي واحدة من كبرى شركات التكنولوجيا المتطورة، من أن يدفع هذا التطور العلمي البشرية إلى كابوس يبدأ بهيمنة الآلات الفائقة الذكاء وينتهي باندثار الإنسان» (١).

ولم تغب مسألة الخطر الذي قد تمثله الآلات الذكية على مستقبل الوجود الإنساني أكفاء الخبراء المعنيين بالذكاء الخارق للكمبيوترات في الوقت الراهن، كبيل غيتس وستيفن هوكنغ وإيلون مسك، الذين يحذرون من أن تطوير ذكاء صناعي

## تطوير ذكاء صناعي كامل بداية لنهاية البشر

كامل قد يشكل بداية نهاية الجنس البشري.

وبخصوص السيناريوهات المحتملة لسيطرة الآلات الذكية على الحياة اليومية، يرى بعض الباحثين أنه مع ازدياد ذكاء هذه الآلات يمكن أن تعمد يوما ما إلى التمرد على البشر من خلال تطوير نفسها وتعزيز نفوذها، كذلك يعتقد بعض الباحثين أن خطر الآلات الذكية يكمن في إنشاء هذه الآلات شبكة من شأنها تطوير عقل خاص بها، ومن ثم تشرع في استخدام هذا العقل بإلحاق الضرر بالبشر والسيطرة عليهم. كذلك أشار الباحثون إلى أن هذه المخاطر لا يمكن أن تأتي من الآلات وحدها، إذ يمكن أن يسيطر تنظيم إجرامي على شبكة من الآلات الذكية والروبوتات ويعيد برمجتها ليستخدمها في تحقيق مصالحه، أو ليحرف الدور الذي أنشئت لأجله. وأوضح الخبراء أن أهم عنصر مساعد في تفوق الآلات على البشر، هو أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش من دون هواء أو ماء أو طعام، ولكن هذه الحقائق والاحتياجات البيولوجية لا تنطبق على الآلات، التي لا تخشى تدمير البيئة واستنزاف مواردها كافة، وفيما تبدو هذه سيناريوهات خيالية أو بعيدة الحدوث ومع ذلك هناك من يأخذها على محمل الجد، ويعمل منذ الآن على منع حدوثها (٢).

إن القلق الذي ينتاب الكثير من المفكرين من الآلات الذكية بصفة خاصة، ومن التقدم التكنولوجي الهائل في الوقت الراهن بصفة عامة، له ما يبرره، لأن الإنسان في طريقه - وفق ما يظهر- نحو بناء «كيانات تكنولوجية تتفوق عليه في الذكاء، وبذلك سيدخل العالم إلى نظام جديد، سيلفظ في غمضة عين كل القواعد السابقة على وجوده، ويصبح مختلفا بصورة جذرية عن النظام القائم الآن، حيث ستزداد وتيرة الإنجازات التقنية بصورة تقضي على أي أمل في السيطرة عليها، وسيمكن عند ذلك تحقيق إنجازات، كان يستغرق تحقيقها عدة قرون، في ساعات معدودة، ولكن في نفس الوقت سيصبح الإنسان نفسه بلا حول ولا قوة أمام تلك الكيانات التكنولوجية التي تقدمه أحيانا، وربما تقرر الحكومات حينئذ أنه لم يعد هناك حاجة للمواطنين، فالكيانات التكنولوجية تفعل كل شيء» (٢).

وفي هذا الإطار لابد أن نشير إلى أن البروفيسور البريطاني ستيفن هوكينغ كان هو أول من تحدث عن الأخطار المباشرة للآلات الذكية وإمكانية هزيمتها للإنسان والانتصار عليه، مما جعل تصريحاته تلقى ردود أفعال قوية من طرف العلماء والمختصين والمتابعين لهذا الأمر. وفي ظل التنافس على ابتكار وحيازة أذكى الأجهزة المسخرة لخدمة الإنسان، أطلق هوكينغ أخيرا تحذيرا جادا من خطورة تطوير الآلات الذكية، لأنها قد تتفوق مستقبلا على ذكاء الجنس البشري وتؤدي إلى فنائه في المستقبل القريب. وينبع الاهتمام البالغ بهذه التصريحات

لكون ستيفن هوكينغ ليس مجرد عالم مغمور جاء بنبوءات مستقبلية، بل لأنه عالم له ثقله في الوسط العلمي منذ سنوات طويلة، على الرغم من إعاقته الحركية الكاملة التي يعتمد للتغلب عليها على التكنولوجيا التي يخشاها. واتفق مع نظرة هوكينغ معظم الخبراء والمختصين الذين شاركوا في القمة العالمية التي عقدها «معهد الذكاء الاصطناعي» في ولاية كاليفورنيا الأميركية، تحت عنوان «التفرد: الذكاء الاصطناعي ومستقبل البشرية»، وخرجوا بتوصيات تحذر من التطور السريع في أبحاث الذكاء الاصطناعي «الشرير» الذي يهدد الإنسانية ما لم يتقيد بضوابط أخلاقية وإجراءات فاعلة.

ووردت نظرته التشاؤمية هذه في إطار رده على سؤال وجه إليه خلال مقابلة مع موقع «بي بي سي» حول تحديث التقنية التي يستخدمها في اتصاله الخاص مع الآخرين، والتي تحتوي على شكل بدائي من الذكاء الاصطناعي، حيث قال: «إن الأشكال البدائية الذكية المطورة إلى الآن أثبتت فائدتها، لكنها قد تعيد تصميم نفسها بوتيرة متسارعة، أما البشر المحكومون بعملية تطور بيولوجية بطيئة فلن يتمكنوا من منافستها، وبذلك ستتفوق على ذكائهم» (٤).

## برمجة الآلات على القيم النبيلة ضرورة لتجنب خطرها

ومن الباحثين الذين انصبت جهودهم كذلك حول تأثيرات الآلات الذكية على البشرية، هناك الفيلسوف السويدي نيك بوسترروم العامل في جامعة أوكسفورد، حيث ذهب إلى أن الآلات الذكية أو الذكاء الاصطناعي بصفة عامة قد يؤدي في المستقبل المنظور إلى فناء البشرية، كما أشار إلى أن كل الدلائل تدل على تطور الاختراعات التي تعمل بواسطة الذكاء الاصطناعي بشكل كبير، حيث من الممكن مع حلول عام ٢٠٧٥م أن تصل تلك الاختراعات إلى درجة من التطور تستخدم فيها قدراتها للقضاء على الجنس البشري. وأشار هذا الفيلسوف السويدي إلى أن مثل تلك الأفكار الخطيرة نراها اليوم مجرد تخيلات اعتدناها في أفلام الخيال العلمي، ولكن بعض العلماء كستيفن هوكينغ يؤكدون أن التطور السريع للتكنولوجيا يجعل تلك الأفكار تبدو أكثر واقعية. كما أكد العديد من العلماء أن قدرات الذكاء الاصطناعي بحلول عام ٢٠٢٢م، ستعادل ١٠ في المئة من قدرات الإنسان العقلية، وبحلول عام ٢٠٤٠م، ستعادل ٥٠ في المئة، أما في العام ٢٠٧٥م، فستصل إلى ٩٠ في المئة منها، وهذا ما يفسر قلق نيك بوسترروم من أن تستخدم تلك «الآلات» قدراتها ضد مخترعيها، أي أن ينقلب السحر على الساحر (٥).

هكذا إذن يتبين لنا أن الآلات



ستكون أذكى منا على ما يبدو قبل نهاية القرن الحالي في كل شيء تقريبا، من الرياضيات والهندسة وحتى العلوم والطب، قد تبقى بعض الوظائف للفنانين، الكتاب، وأنواع إبداعية أخرى، ولكن ستكون الآلات عندها قادرة على برمجة نفسها بنفسها واستيعاب كميات ضخمة من المعلومات الجديدة، والتفكير بطريقة سنكون نحن، صناع هذه الآلات، قادرين بالكاد على تخيلها، ستكون قادرة على فعل ذلك في كل ثانية من كل يوم، ستكون أسرع منا وأكثر اجتهادا، وهذه الأمور كلها تثير اليوم مخاوف الباحثين، الذين انقسموا إلى طرفين بخصوص هذه الآلات الذكية واستعمالاتها؛ فمنهم من يرى أن مستقبلنا سيكون رائعا في ظل هذه الآلات، ومنهم من يرى أن هذه الآلات ستقضي على التواجد الإنساني وتسيطر على العالم، ففي توصيات المؤتمر الدولي الثالث لتقنيات المعلومات والاتصالات في التعليم والتدريب المنعقد في الخرطوم شهر مارس الماضي، أكد المؤتمرون على أن العلماء «تجاه التطور في مجال الذكاء الاصطناعي انقسموا إلى قسمين؛ قسم يرى أن هذه الآلات الذكية ستصل في النهاية إلى تحطيم حياة الإنسان والسيطرة على العالم، وتصل إلى مرحلة من التطور يصعب معها على الإنسان التحكم فيها، وقسم آخر لا يرى في الأمر خطورة، بل بالعكس يتطلع إلى مستقبل فيه من الرفاهية الشيء الكثير لما ستوفره الآلات الذكية من يسر في أغلب مجالات الحياة» (٦)، فقط علينا أن نبرمجها لخدمة الإنسانية وأن نزودها بالقيم النبيلة. يبقى السؤال الحقيقي هو: كيف نزرع هذه القيم في الآلات؟، وكيف سنتفاوض معها في حال بدأت قيمها بالاختلاف كثيرا عن قيمنا؟، فلا يمكن أن نفترض بسهولة أن أي نظام ذكاء خارق سيشترك بالضرورة مع قيمنا البشرية (حب العلم، التمتع بالحياة، التواضع، الغيرة.. إلخ)، قد يكون من الممكن بعد بذل جهد كبير ومدروس أن نبني نظام ذكاء صناعي خارق يقدر تلك الأشياء أو أي غاية معقدة أخرى يريد مصمم النظام هذا أن يخدمها، ولكن علينا أن نعلم أن هذا الأمر صعب جدا لغاية هذا الوقت (٧).

وفي ختام هذا المقال لابد أن نشير إلى أن «البشرية حققت هيمنتها على الطبيعة من خلال التكنولوجيا والآلات الذكية، إذن ما الهدف الذي نريد أن نحققه باستخدامنا لها؟ أكيد سيكون الجواب هو تحاشي تدمير الذات، واستقرار الوضع السكاني، والمساواة في الثروة بين الأمم، وفي السعي من أجل المعرفة، وإن بذل جهد محدد لإنجاز هذه الأهداف سوف يمضي بنا على الطريق المؤدي إلى حسم مشكلة الآلات الذكية، ويتعين أن يكون لهدف تحاشي تدمير أنفسنا الأولوية القصوى على قائمة الأهداف الأخرى، إذ من دونه ستصبح الأهداف الأخرى غير ذات موضوع» (٨).

---

**الهوامش**

١- حبيب معلوف، إلى الوراء في نقد اتجاهات التقدم، دار الفارابي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص:٣٢٥ (بتصرف).

٢- انظر: شادي عواد، ماذا لو تمردت الآلة الذكية على البشر؟، جريدة الجمهورية، عدد: ١٣٠٥، بتاريخ: ١٦ سبتمبر ٢٠١٥م.

٣- جبريل العريشي، عصر ما بعد الإنسان، صحيفة عكاظ، العدد ٤٧٤٩، بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠١٤م.

٤- انظر: فاتنة خطيب، تصريحات هوكينغ حول خطر الذكاء الاصطناعي لاتزال تتفاعل، جريدة الحياة، دبي، ٩ ديسمبر ٢٠١٤م، الرابط: http://www.alhayat.com/Articles/6160469/%D8%AA%D8%B1%D8%B5

٥- نيك بوستروم، الذكاء الاصطناعي قد يقضي على الجنس البشري بحلول سنة ٢٠٧٥م، نسائم نيوز، ٢٦ ديسمبر ٢٠١٦م، الرابط: http://www.nsaem.net/2786/%d8%a7%d9%84%d8%b0%d9%83%d8%a7%d8%a7%d8%83

6- Jamil Itmazi; Third International Conference on Information and Communication Technologies; Philips Publishing; 2016; United States; P:446.

7- voir :Gary Marcus; Why We Should Think About the Threat of Artificial Intelligence; The New Yorker; October 2013 ,24; lien:http://www.newyorker.com/tech/elements/why-we-should-think-about-the-threat-of-artificial-intelligence

٨- آر. إيه. بوكانان، الآلة قوة وسلطة: التكنولوجيا والإنسان منذ القرن ١٧ حتى الوقت الحاضر، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد:٢٥٩، يوليو ٢٠٠٠م، ص:٢٥٩.

خالد العبادي
باحث في التاريخ- المغرب



# حرية التعبير في زمن الفيسبوك

لايزال هذا الموضوع بكرا وبحاجة إلى التناول من كل التخصصات، نظرا لقيمة الأمرين معا؛ حرية التعبير والفيس بوك، فحرية التعبير من المواضيع التي سال من أجلها مداد الأقلام بل وسالت دماء، أما بالنسبة لفضاء الفيس بوك، فهو كذلك بحر فيه الكثير مما يقال، خصوصا الدور الكبير في العديد من الأحداث.

قبل ثورة التكنولوجيا كان الحصول على المعلومة مكلفا، بل كانت الأخبار والمعلومات بمثابة سلع. يقول الخبير المعلوماتي تيرهي رانتانن: «كانت الأخبار المنقولة إلكترونيا في القرن التاسع عشر مقارنة بالأخبار في العصور السابقة سلعة ثقافية جديدة في زمانها، غير أنها اختلفت عن السلع الأخرى؛ لأنها غدت سريعا سلعة حصرية لا يمكن للجميع الاستفادة منها». هذا الأمر يبدو منطقيا نظرا لتكلفة التصوير ونقل الأخبار، لكن اليوم مع الزمن الرقمي يبدو الأمر متجاوزا جدا بسبب التغير الذي جرى، إذ أصبح بإمكان من يمتلك هاتفا ذكيا أن يوفر المعلومة وينقل الخبر لفئات عريضة.

هذا الأمر، أي قدرة المواطن على نقل الأخبار والمعلومات كيفما كانت، يدفعنا إلى القول بأننا في زمن حرية التعبير التي تعد من أبرز استحقاقات الثورة الرقمية بالإضافة إلى استحقاقات أخرى.

وهنا نطرح السؤال التالي: لم تعتبر حرية التعبير من استحقاقات الزمن الرقمي؟ ألم تكن هناك حرية قبل ذلك؟

## بين الأمس واليوم

يمكننا القول إنه بالمقارنة بين البارحة واليوم نجد حق حرية التعبير قد عانى من التضييق، ولنا في واقعنا الذي نعيشه دليلا كافيا، فمع ظهور صفحات التواصل الاجتماعي صرخت البشرية صرخة مدوية، وكان فضاء الفيس بوك الحاضن لها المتجسد على أرض الواقع.

اليوم؛ مع الفضاء الأزرق انتهى زمن تحكم الحكومات في الإعلام، مثال ذلك: عند استضافة ضيوف في برنامج تلفزيوني أو إذاعي، فإنه يتم الاتفاق مسبقا على نقاط بعينها، ورسم خطوط حمراء يمنع تجاوزها. لكن الأمور تجاوزت مع الزمن

الرقمي وبالتالي فالحكومات اليوم وجدت نفسها أمام أمر الواقع. يقول الباحث نايجل ووربيرتن: «ظهور مفهوم صحافة المواطن في الوقت الحاضر أوضح أن أي شخص على اتصال بشبكة الإنترنت ولديه معرفة أساسية باستخدام الكمبيوتر يستطيع الوصول لجمهور عريض، دون تحكم وسطاء فيما يقوله».

إذن؛ يمكن القول بأن زمن التضليل الإعلامي قد انتهى، فاليوم لا تقدر الدول والحكومات أن تمارس التضليل الإعلامي، ولن تستطيع التضييق على حرية التعبير، إذ بإمكان المواطن اليوم أن يدون على صفحته في الفيس بوك ما يريد؛ ينتقد ويسخط على وضع ما، يوجه رسائل، يعطي موقفا، وبهذا تجد الحكومات نفسها أمام سلطة الشارع وعليها التجاوب مع حدث فرض نفسه. وغير مرة اضطرت جهات رسمية إلى الخروج ببيانات توضيحية أو إصدار أوامر للتحقيق في قضية ما.

وحرية التعبير هذه لا يمكن أن تكون بلا قيود، فأخلاقيا لا يقبل تجريح الأشخاص، أو الاستهزاء بالأديان، أو الدعوة إلى العنصرية، فمثل هذه الأمور مرفوضة، وإن كان من الصعب السيطرة ومراقبة مثل هذه الحالات، وعليه؛ فالأمر يقتضي وجود قوانين تساير عصر الزمن الرقمي، حتى وإن كانت غير فعالية، فعلى الأقل يجري التخفيض من آثار التجاوزات غير المتماشية مع روح الاحترام والأخلاق.

## سمات الوسيلة الجديدة

وقد حدد الخبير «ريتشارد بوسنر» أربع سمات لهذه الوسيلة الجديدة لنشر المعلومات، يعتقد أنها ربما تزيد من مخاطر الكلام غير المسؤول؛ ومن ثم ينبغي أن تؤثر في طريقة تفكيرنا في حرية التعبير: أولها: الجهل بالهوية؛ فالإنترنت يتيح لمستخدمي الرسائل ومنشئيها التستر خلف هوية مجهولة، وهذا يسهل كثيرا من إنتاج واستهلاك مواد زائفة وغير قانونية وخطيرة، مثل المواد الإباحية وخطاب الكراهية. ثانيا: غياب مراقبة الجودة، فبإمكان أي شخص تقريبا نشر أي شيء على الإنترنت، ويختلف هذا كثيرا عن النشر التقليدي، حيث تغربل منظومة النشر الكثير من المعلومات غير الدقيقة والمضللة، أو تحذفها قبل طباعة كتاب أو مجلة أو جريدة، أما على الإنترنت فتنتشر الادعاءات الواهية بنفس الدرجة من السهولة التي تنشر بها المقالات التي نالت حظا وافرا من البحث. في الواقع تطور نوع جديد من المواقع يطلق عليه «الشكوى» هدفها الوحيد هو التعبير عن الشحناء -عادة بصورة تشهيرية- وتنتشر الشائعات التي تكون عادة غير أكيدة أو زائفة عن المشاهير عبر المدونات، ولو ظهرت مثل هذه الآراء في صحف منشورة، لتعرض كثير منها للحظر بسبب الضغط القانوني. ثالثا: الجمهور المحتمل الضخم؛ فالإنترنت يوفر سبل الوصول إلى ملايين القراء

**يجب على منظومة النشر حذف المعلومة المضللة**

والمشاهدين المحتملين في جميع أنحاء العالم، ويمكن لهذا الأمر أن يزيد من حجم أي ضرر ناجم عن الكلام. رابعا: عثور المعادين للمجتمع على أصدقاء لهم؛ فبوسع ذوي الآراء الغريبة وغير المعتادة والهدامة والخطيرة أن يعثر بعضهم على بعض بسهولة أكبر عبر الإنترنت، ففي حين كان يتعرض صاحب الآراء الغريبة في الماضي إلى العزلة الاجتماعية، أصبح في الوقت الحالي -وبفضل الاتصال عبر غرف المحادثة والمواقع الإلكترونية- لدى هؤلاء الأشخاص الشجاعة ليس للتعبير فحسب عن آرائهم، بل للتصرف على أساسها، فتعززت ثقتهم بأنفسهم من خلال عضويتهم في مجتمع يؤمن بأفكار معينة.

## قرية صغيرة

هذه إذن بعض من مخاطر حرية التعبير في زمن الإنترنت بصفة عامة، فلاشك أن هناك سلبيات أخرى، ومايزال موضوع الكتابة في هذا المجال بحاجة إلى أقلام المتخصصين في مختلف الحقول المعرفية.

إن زمن الثورة التكنولوجية قد ساهم بدور فعال في جعل العالم قرية صغيرة متحدة الأركان. زمن حطم الحدود الجغرافية، ففتح بذلك الباب للتواصل والتعارف بين مختلف سكان المعمورة، وحقق للبشرية حرية في التعبير عن الآراء والمواقف وقد كان ذلك من الأمور التي تعرف تضييقا فلا يسمح إلا وفق شروط وضوابط ترسمها الجهات المعنية، ويبقى زمن الإنترنت زمن الاستحقاقات الإيجابية في الأغلب.

د. إدريس صالح
أستاذ جامعي

## البداية كانت من هارفارد:

# الشبكات الاجتماعية.. المتابعة والتوجيه

أصبحت الشبكات الاجتماعية واقعا نعيشه في حياتنا اليومية، انتشرت وتزايدت معدلات مستخدميها وسط جميع الأعمار، الأطفال منهم والكبار، وقد يكون هذا انعكاسا لتطور أجهزة الاتصالات، وتنوع تطبيقاتها التي سهلت على المستخدمين استخدام تلك الشبكات عبر الهواتف، بعد أن كانت قاصرة على أجهزة الحاسب الآلي الثابتة والحاسبات الشخصية.

ورغم المساوئ التي قد يطرحها البعض تجاه شبكات التواصل الاجتماعي المتنوعة، مثل شبكة الفيسبوك، وتويتر، والواتساب، وغيرها، والاستخدام غير المقنن لها، فإنه أصبح من الضروري التفكير في طرق وآليات تحقق توظيفا فعالا واستفادة حقيقية من تلك الشبكات في أنشطة تربوية وتعليمية مفيدة، سواء في المنزل أو المدرسة.

وقد تطورت شبكة المعلومات الدولية الإنترنت من مجرد وسيلة لنشر المعلومات إلى وسيلة للاتصال والتواصل؛ لأنها ساعدت على نقل الفرد من متلق غير متفاعل إلى متعلم فعال، ومشارك في الخدمات والتطبيقات، ومن التركيز على المحتويات المعدة مسبقا إلى وسائط تفاعلية يتم إنتاجها عن طريق المتعلم، ويتشارك فيها مع الآخرين (١). لذلك تغيرت النظرة إلى شبكة الإنترنت وما توفره من تطبيقات، وخدمات اتصال، وتواصل الكتروني، كما تغيرت العلاقة بين الأفراد وتلك الشبكة، فتحولوا من مجرد زائرين لمواقعها الإلكترونية، يتصفحون ما تنشره من معلومات، إلى مساهمين في نشر ما لديهم من معلومات، وعرضها للآخرين حول العالم والتواصل معهم بكل سهولة (٢).

تعد شبكات التواصل الاجتماعي من أهم تطبيقات الجيل الثاني للويب، وتعرّف بأنها مصطلح يشير إلى تلك المواقع على شبكة الإنترنت، والتي ظهرت مع ما يعرف بالجيل الثاني للويب، حيث تتيح التواصل بين مستخدميها في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم وفقا لاهتماماتهم أو انتماءاتهم، بحيث يتم ذلك عن طريق خدمات التواصل المباشر، كإرسال الرسائل، أو المشاركة في الملفات الشخصية للآخرين، وتعرف أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض. وتتنوع أشكال وأهداف تلك الشبكات الاجتماعية؛ فبعضها عام يهدف إلى التواصل العام، وتكوين الصداقات حول العالم، وبعضها الآخر يتمحور حول تكوين شبكات اجتماعية في نطاق محدود، ومنحصر في مجال معين مثل: شبكات المحترفين، وشبكات المصورين، وشبكات الإعلاميين (٣).

وتتسم شبكات التواصل الاجتماعي بسمات أساسية جعلتها تختلف عن مواقع شبكة المعلومات الدولية الأخرى في جملة خصائص أهمها أن محتوى الموقع يقوم ببنائه المستخدمون، حيث تتوافر للجميع الأدوات المبتكرة، والخدمات الفاعلة، ويقوم كل مستخدم ببناء محتوى صفحته، وبالتالي تتكون شبكة متفرعة لا نهاية لها من المحتوى الخاص بكل مستخدم.

التواصل المستمر بين المستخدمين، فالتواصل الفاعل ليس فقط الاتصال المباشر بين الأفراد، وإنما هو أن تصل نشاطات وأخبار مستخدم إلى مستخدم آخر بشكل آلي دون تدخل يدوي، ويمكن أيضا التعليق عليها، وإبداء الرأي والمناقشة.

التحكم في المحتوى المعروض، حيث تم إتاحة روابط للخدمات، والأدوات

التي يمكن استخدامها في إضافة الأصدقاء، وتحديد من يرغب في مشاهدة أنشطته وأخباره، وروابط المواقع والصفحات التي ترغب في عرض محتواها لديه، وعلى أساس اختياراته يتم تحديد محتوى صفحته، فالشخص هو الذي يحدد المحتوى الذي سيعرض على صفحته (٤).

### أهم الشبكات

وتعتبر شبكة الفيسبوك واحدة من أهم شبكات التواصل الاجتماعي؛ لأنها لا تمثل منتدى اجتماعيا فقط، بل أصبحت قاعدة تكنولوجية بإمكان أي شخص أن يفعل بواسطتها ما يشاء (٥). وقد أنشئت هذه الشبكة في أوائل عام ٢٠٠٤م، على يد مارك زوكربيرج، عندما كان يدرس في جامعة هارفارد، وكانت قاصرة في البداية على طلاب كليات جامعة هارفارد، من خلال البريد الإلكتروني الجامعي، وسرعان ما انتشرت عندما تمت إتاحتها لكل الطلاب، حيث تغير الوضع في عام ٢٠٠٥م، إذ أصبحت الشبكة عالية لديها مجتمع متنوع من ملايين المستخدمين في جميع مستويات التعليم ومجالات المجتمع، بما في ذلك الشركات والجامعات (٦). وتتيح شبكة الفيسبوك للمستخدم إنشاء ملف تعريف، وتقديم المعلومات، مثل: الاهتمامات الشخصية، والمدارس التي درس بها، وتحميل الصور، وتدوين الملاحظات، كما يمكنه الانضمام إلى مجموعات على أساس الأحداث والاهتمامات المشتركة، وتبادل الرسائل مع المستخدمين الآخرين (٧).

## التفكير في آليات واضحة وآمنة لاستخدام التواصل الاجتماعي

### مخاطر

تحمل شبكات التواصل الاجتماعي بين ثناياها مخاطر كثيرة، تؤثر على مستخدميها، وخاصة عندما يتم استخدامها بطريقة غير مقننة لدى الأطفال، مع غياب المتابعة والرقابة الأسرية لاستخدامات الأطفال لتلك الشبكات.

فقد أكدت الدراسات التي تناولت تأثير تلك الشبكات على كثير من السلبيات والمخاطر، ومنها إهدار الخصوصية من خلال مشاركة الفرد لبياناته ونشاطاته وذكرياته على صفحاته الشخصية، وإهدار الوقت من خلال استخدام الفرد لتلك الشبكات لفترات طويلة، قد تشغله عن أمور حياتية وعملية مهمة، وأضرار سلوكية ناتجة عن العلاقات الاجتماعية الافتراضية مع مجهولين، مما يجعله عرضة لأفكار غريبة وغير مقبولة، وأضرار صحية ناتجة عن الإشعاعات الصادرة عن الأجهزة الإلكترونية والشبكات السلكية واللاسلكية (٨).

### الشبكات والتعليم

فتحت شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة، ومنها شبكة الفيسبوك، آفاقا جديدة قادرة على تلبية احتياجات العملية التعليمية، وخاصة التعليم الإلكتروني، الذي واجه نقدا كبيرا في الآونة الأخيرة، لتجاهله دور العنصر البشري في العملية التعليمية، وانعزالية المتعلم في أسلوب التعليم الإلكتروني، والبعد عن التفاعل الاجتماعي، حيث غيرت هذه الشبكات مفاهيم كثيرة للتعليم الإلكتروني، وأضافت له مفاهيم أخرى، أعادت الثقة إليه، وشجعت على التعامل معه؛ لأنها أتاحت إمكانية إضافة الجانب الاجتماعي للعملية التعليمية، والمشاركة بين جميع الأطراف، وهي الإدارة المدرسية، والمعلمون، والطلاب، وأولياء الأمور، وأي أطراف أخرى ذات علاقة، وذلك بدلا من الاكتفاء بتقديم المقرر إلى الطالب (٩). ولذلك اتجه الباحثون إلى دراسة دور شبكات التواصل الاجتماعي المتعددة، ومنها شبكة الفيسبوك في التربية والتعليم، وما يمكن أن تقدمه من إسهامات تثري العملية التعليمية، وتحقق أهدافها، وذلك من خلال قياسهم لتصورات واتجاهات الطلاب والمعلمين نحو توظيفها في عمليات التعليم والتعلم، والتي تأكد منها وجود تصورات إيجابية لدى الطلاب نحو هذه الشبكات، وهناك اعتقاد لدى كثير منهم بإمكانية توظيفها في دعم العملية التربوية والتعليمية، لما لها من إسهامات مهمة في التفاعلات الاجتماعية بين الطلاب، فضلا عن الاتصالات بين المعلمين والطلاب (١٠).

واستجابة للتوصيات والمقترحات، الصادرة عن الدراسات التربوية، بشأن ضرورة الاستفادة من إمكانات شبكات التواصل الاجتماعي، واستخدامها في العملية التعليمية؛

لما تمثله من إضافة جديدة لعمليات التعليم والتعلم، قام كثير من الباحثين بإجراء دراسات تناولت فاعلية استخدام هذه الشبكات في التعليم والتعلم، وتوصلت نتائجها إلى فاعلية استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، ومنها شبكة الفيسبوك في تنمية الجوانب المعرفية، والمهارية، والوجدانية، لدى الطلاب في بعض دول الوطن العربي. ولذلك يجب علينا التفكير الجاد في تحديد آليات واضحة وآمنة لاستخدام الأطفال لشبكات التواصل الاجتماعي، بما يوفر لهم خبرات تربوية تحقق عائدا إيجابيا، والسعي لتطوير النظم التعليمية، والممارسات التدريسية، بما يستوعب هذا التطور التكنولوجي، وتنامي استخدامه؛ لجذب الطلاب نحو توظيفها بفاعلية في العملية التعليمية، لإكسابهم معارف، وتنمية مهارات، وقيم إيجابية، ناتجة عن استخدامهم للتكنولوجيا.

## توظيف هادف

في ظل المخاطر التي تحملها شبكات التواصل الاجتماعي، والإيجابيات التي تتضمنها، وخاصة المتعلقة بالنواحي التربوية والتعليمية، فإن ذلك يستلزم ضرورة العمل على تجنب مخاطرها، والاستفادة من إيجابياتها، من خلال بعض المقترحات، منها التوعية الأسرية للأطفال حول الاستخدامات السليمة للشبكات الاجتماعية، سواء من حيث تقنين الوقت، أو الأصدقاء، أو المجموعات، أو الصفحات التي يشارك فيها الأطفال. استخدام البرامج والأدوات الإلكترونية اللازمة لحجب الصفحات المجهولة، أو التي تعرض محتويات غير مناسبة للأطفال. متابعة قبول الأطفال أو إرسالهم لصداقات؛ لتجنب الصفحات، أو المجموعات المجهولة، التي يمكن أن تبث معلومات، أو أفكارا ضارة. تقنين نشر الأطفال لكل معلوماتهم وخصوصياتهم، وخاصة ما يتصل بالأسرة، وأسرارها، وخصوصياتها. مشاركة الأسرة للشبكات الاجتماعية التي يشترك بها الأبناء؛ لمتابعة منشوراتهم، ومنشورات أصدقائهم. مناقشة الأبناء في الأفكار والمعلومات التي تبث، والعمل على تعديل وتصحيح المفاهيم والأفكار الخاطئة التي يتعرضون لها. استخدام الشبكات الاجتماعية لربط الأسرة بالمدرسة، مع متابعة واجبات التلاميذ، وتعليمات المدرسة والمعلمين الخاصة بالدراسة. تفعيل وتطوير الصفحات الخاصة بالمدرسة؛ فهذا يجذب الأطفال إليها، وينمي اتجاهات إيجابية نحو دورها التربوي والتعليمي. الاستخدام الفعال من جانب المعلمين للشبكات الاجتماعية؛ من أجل التواصل الفعال مع الأطفال، ومتابعتهم، والاستجابة لتساؤلاتهم. توفير أنشطة تربوية وتعليمية؛ فذلك مما ينمي شخصية الطفل عبر الشبكات الاجتماعية، مثل المناقشة، والتعبير، واحترام آراء الآخرين، وطرح الحلول والاقتراحات.

### الهوامش


1-Downes, S. (2005). E-learning 2.0, ACM eLearn Magazine. retrieved at 12 Feb 2014, from; http://elearnmag.acm.org/featured.cfm?aid=1104968.

2- Watson, K., & Harper, C. (2008). Supporting Knowledge Creation: Using Wikis for Group Collaboration, (Research Bulletin. Issue 3). Boulder, CO: EDUCAUSE Center for Analysis and Research, available from http://www.educause.edu/ecar.

٣- كاتب، سعود صالح، ٢٠١١م، الإعلام الجديد وقضايا المجتمع. المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٣-١٥ ديسمبر، ١-٤٢.

٤- سليمان، أمل نصر الدين، ٢٠١٣م، تصور مقترح لتوظيف شبكات التواصل الاجتماعي في التعلم القائم على المشروعات، وأثره في زيادة دافعية الإنجاز، والاتجاه نحو التعلم عبر الويب. المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، الرياض، ٤-٧ فبراير.

٥- صادق، عباس مصطفى، ٢٠٠٨م، الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع.

6- Boyd, D., & Ellison, N. (2008). Social network sites: Definition, history, and scholarship. Journal of Computer-Mediated Communication, 13, 210-230

7- Kwong, V. (2007). Reach out to your students using MySpace and Facebook. Indiana Libraries, 26 (3), 53–57.

٨- رنا محفوظ حمدي، ٢٠١٠م، مخاطر الشبكات الاجتماعية. مجلة التعليم الإلكتروني، جامعة المنصورة، العدد (٦).

٩- كاتب، سعود صالح، ٢٠١١م، الإعلام الجديد وقضايا المجتمع، مرجع سابق.

10- Tiryakioglu, F., & Erzurum, F. (2012). Use of Social Networks as an Education Tool. Contemporary Educational Technology, 2(2), 135-150.

محمد رمضان
كاتب مصري

# مواقع تواصل أم فواصل؟!

ربما منحنا موقع «فيسبوك» السرعة في التواصل، لكني أرى عكس ذلك تماما، فهو يعطينا الوقت الكافي للتفاعل عبره كبشر في مواقف مختلفة، فعندما تتحدث إلى صديق عبر مواقع التواصل لا تكتب كلمة واحدة إلا وقد فكرت قبلها مرارا، وقد يأخذ الأمر منك ساعات وأنت لا ترد، الأمر الذي لا يمكن أن يحدث بأي شكل من الأشكال في الحياة الواقعية؛ فلا يمكن مثلا وأنت تتحدث مع شخص ويحتد بينكما النقاش أن تقول له: انتظر قليلا حتى أجد جوابا مناسبا.

كذلك، يمكن أن يكون «فيسبوك» قد منحنا خاصية أن نقيم علاقات وصداقات جديدة بسهولة، ولكنه أيضا قد قوض كل صداقة قديمة لم تتكون بسهولة. لقد أصبح من الأسهل على الجميع أن يتحدثوا مع أصدقائهم وهم على فراشهم من دون تحديد موعد ومكان ليتقابلوا. هل حقا قرب «فيسبوك» العلاقات بيننا؟! في الحقيقة لقد أبعد المسافات لم تعد تربط بيننا سوى بضع كلمات على الشاشة! كيف يمكن لبضعة حروف أن تحمل بين ثناياها تعابير وجهك وأنت تتحدث مع صديق؟!

كيف سأقرأ حزنك من خلال الحروف التي تكتبها لي من خلف الشاشة؟! ملامحك محيت من ذاكرتي.. إنني لا أكلم سوى الحروف. الجميع يضع صورته الشخصية كعلامة له لتساعد من لا يعرفونه في التعرف عليه، لكنها في الحقيقة لا تساعد إلا من يعرفونه فقط حتى لا ينسوا أنهم مازالوا يكلمون كائنا بشريا وليس حفنة من «الأكواد» والمعلومات المشفرة، ولا يظنون أنهم يكلمون الحروف.

كان من المفترض أن تخدم التكنولوجيا و«فيسبوك» الإنسان بشكل أساسي، كان من المفترض أن يستخدمها ليوفر وقته ويحفظ ثروته الثمينة.. الوقت. أي إنه بدل أن يستخدمها استخدمته، وبدل أن يحفظ بها وقته أنفقه عليها!

لا يخفى على أحد موقف المجتمعات العربية من القراءة، ولكن لا تزال هناك بوارق أمل وشموع تضيء الطريق إلى الكتب، ولهذا الغرض كانت تقام حملات توعوية ضخمة وأساليب ترغيبية متعددة لتقتطع جزءا من وقت كل فرد ليقرأ فقط.

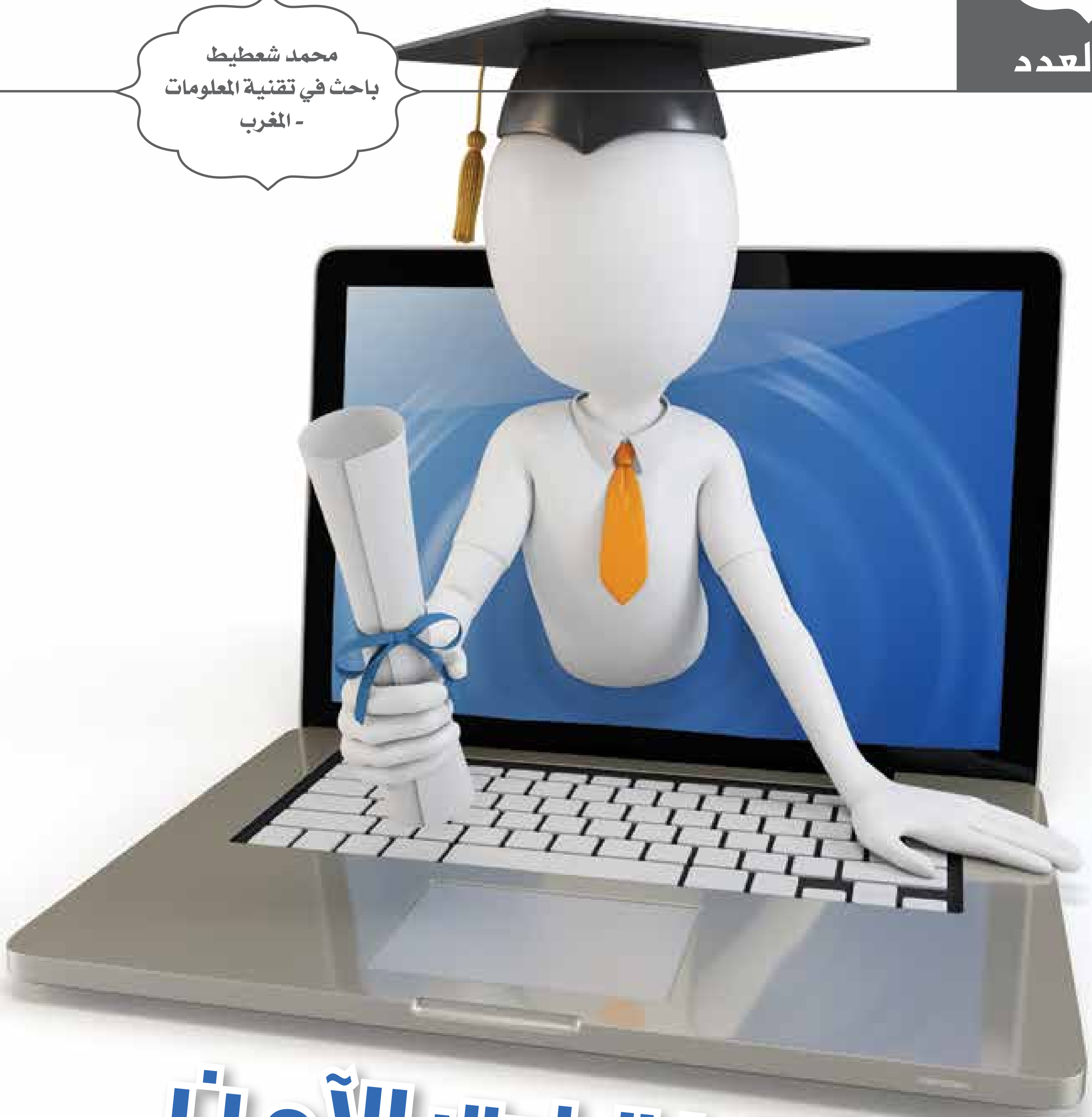
أما الآن فقد أتت التكنولوجيا ومواقع التواصل لتأخذ جل وقت الإنسان بسهولة، حتى كادت تزول بوارق الأمل وتنطفئ شموع الهدى.

## رثاء

هل أصبح الواقع الافتراضي بديلا عن الواقع الحقيقي؟! ربما لايزال الوقت مبكرا، لكننا نقترب من ذلك بطريقة مرعبة. في السابق، عندما كنا نعيش في الواقع الحقيقي، وعندما كان الواقع الافتراضي في مهده، كنا نتحدث عن تجاربنا فيه مع أصدقائنا. أما اليوم، فإننا ننقل بدقة ونصور بحرفية كل موقف وكل كلمة وكل فعل إلى الواقع الافتراضي، وكأننا نسارع إلى توثيق الأحداث.. يبدو أننا نسارع بتحويل الماء إلى بخار!

أخاف أن يأتي اليوم الذي يختفي فيه الواقع الحقيقي ويصبح البشر كائنات افتراضية.. أخاف اليوم الذي سيكون فيه من النادر أن يلتقي صديقان.. أخاف اليوم الذي سيكون فيه من النادر أن تلمس أيدينا غلافا لكتاب!

محمد شعطيط
باحث في تقنية المعلومات - المغرب



# الإنترنت الآمن

**احتفل العالم للمرة الرابعة عشرة في فبراير الماضي باليوم العالمي للإنترنت الآمن. بدأ الاحتفال بهذا اليوم مختصا بدول معدودة في الاتحاد الأوربي سنة ٢٠٠٤م، وقد بلغت في العام الحالي حوالي ١٠٠ دولة. بعد أن بدأت أكثر دول العالم تستشعر أهمية إشعار الأطفال خصوصا والشباب عموما بأهمية الاستخدام الآمن والسليم للإنترنت، وتشجيعهم على السلوك المسؤول أثناء تعاملهم مع الشبكة العنكبوتية وسائر ارتباطاتها وتفرعاتها من مواقع التواصل الاجتماعي ومواقع الفيديوهات وغيرها.**

وإذا كان الغرب عموما هو من بدأ هذه المبادرة وتبعته مختلف دول العالم فإن العالم العربي والإسلامي مدعو إلى بذل مزيد من الجهود للمساهمة في تطوير هذا المجال بإنتاج ودعم وتوفير محتوى إيجابي وآمن. فمازال المحتوى العربي على النت ضعيفا ولا يلبي متطلبات الفئات العمرية الصغرى. كما أن التوعية بمخاطر الإنترنت وسلبياتها تكاد تنعدم في البرامج التعليمية والمناهج التربوية، فبمجرد دخول الطفل إلى مركز تجاري مليء بالألعاب تجده قد فقد صوابه، فتراه يسبح يمينا وشمالا، يأخذ هذه ويضع أخرى، ثم ما يلبث أن يغير رأيه عندما

يرى الأجود والأفضل في نظره. فلا يدري أيها يشتري وأيها يدع نظرا لفيض الاختيارات وتنوع المعروض. هذا بالنسبة لفضاء محدود في رقعة صغيرة. فماذا يقال عند دخول الطفل إلى عالم الإنترنت. عالم لا نهاية له من السلع والمعروضات والألعاب والأفلام والموارد الرقمية التي لا نهاية لها. النافعة منها والضارة، المهمة وغير المهمة، العاجلة والآجلة. والتي توضع للطفل في سلة واحدة وفي مستوى واحد. فلا يستطيع التمييز بين ما يصلح له وما لا يصلح. لأنها وراء فضاء براق داخل «صندوق للعجائب». فكل ما كان يشغل الأطفال والمراهقين في العهد القريب في المنزل من قصص ورسوم متحركة وألعاب تقليدية حية أو عبر الأجهزة الإلكترونية البدائية فقد مصداقيته لصالح الإنترنت.

### الدواعي والأسباب

أهم الأسباب التي دعت المنظمات الدولية والحكومية والشعبية إلى تكثيف حديثها عن الإنترنت الآمن أو الأمن السيبيري أو المعلوماتي هو ما أصبح يشكل تحديا حقيقيا من انتشار الجريمة الإلكترونية بشتى تجلياتها الفكرية والقيمية والمادية تحت مسميات عدة، مما استدعى دق ناقوس الخطر وتحريك الشعور الفطري في ولي الأمر خوفا على فلذات الأكباد. فهو يحب أن يراهم دائما في أرفع منزلة وأعلى مقام. والحديث عن الأمن المعلوماتي وحماية الأبناء لم يصدر عن تعاليم دينية أو وعظ مسجدي أو برنامج ديني فقط، بل هو همٌ عالمي أصبحت تقتسمه كل شعوب الأرض. والمتتبع للإحصاءات والبرامج والمواقع ومؤتمرات الأمن المعلوماتي عبر العالم يدرك هذه الحقيقة، وإن كان استشعار أهمية هذا الأمر في العالم العربي مازال في بداياته ولم يرق بعد إلى المستوى المطلوب.

ففي فرنسا مثلا يعترف ٦٠ في المئة من الآباء بقراءة رسائل أبنائهم والبحث في تاريخ المتصفح للاطلاع على المواقع التي يدخلها فلذات أكبادهم، وعلى مستوى الدول الغربية تظهر المعطيات أن ٣٣ في المئة من الغربيين يطلعون على رسائل أبنائهم في مواقع التواصل الاجتماعي.

## الواجب يقتضي الدفاع عن فلذات الأكباد بالحكمة والسبل الحسنة

من هنا جاء التفكير في مجموعة من الخطوات للمساهمة في تأمين أطفالنا وتحصينهم قدر الإمكان وتوعية أوليائهم ببعض المقترحات الفعالة لتقليص خطر الشبكة ومواقع التواصل. فهناك أمور بسيطة وهامة يمكن أن يقوم بها الأطفال والآباء دون أي عناء. وفيها غناء عن كثير من الضجيج والصراخ والصراع. وهي أمور رغم سهولتها يجهلها الكثير من أولياء الأمور. ولا ننكر أن الغربيين قد قطعوا أشواطا في هذا المجال، لكن من سار على الدرب وصل، وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة..

### فمن هذه الخطوات:

- تعليم الطفل احترام خصوصيات الآخرين بعدم نشر أي معطيات أو بيانات أو معلومات شخصية على الإنترنت تؤذي الآخرين أو تشهر بهم أو تمجد أعمالا إرهابية أو إجرامية، خصوصا بعد سن مجموعة من الدول العربية والغربية لقوانين تجرم الدعاية للأعمال الإرهابية أو تمجدها.

- تعريف الطفل وتنبيهه بمسألة التحرش عبر الإنترنت ومدى خطورته، وإقناعه بعدم التواصل مع الغرباء تحت أي ذريعة كانت، وإفهامه أن هؤلاء الغرباء يتصلون بأسماء مستعارة وأن بعضهم أو أكثرهم إنما هم ذئاب في جلود حملان.

- تعزيز التواصل مع الأبناء بشكل مستمر ويومي مع اختيار الأوقات المناسبة لمفاتحتهم في مسألة الإنترنت الآمن، كتوقيت مرافقتهم إلى المدرسة أو أثناء إعداد إحدى الوجبات أو الواجبات أو حين مشاهدة التلفاز أو في جلسة عائلية مع الحاسوب.

- توعية الأطفال أن ما يخدش القيم المجتمعية في الحياة الواقعية هو نفسه في العالم الافتراضي، وأن الأخلاق الحسنة والقيم النبيلة تبقى حسنة والسيئة كذلك، رغم تغير المكان والزمان والحال، وأن عالم النت لا يزيد الحسن إلا حسنا بإشهاره وانتشاره ولا يزيد السيئ إلا قبحا وسوءا لأنه حينها تصير له أجنحة يطير بها ليبلغ الآفاق.

- الإفادة من اجتهاد الغربيين في توعية أبنائهم بالاستعمال الآمن للإنترنت عن طريق استعمال ملصقات إشهارية ومقاطع فيديو ورسوم متحركة وبرامج متلفزة تنفر من المحتوى السيئ للإنترنت وتدعو إلى حسن استعمالها في التربية والتعليم والمعرفة والتواصل بشكل فعال وبناء يسهم في نهضة الأمة ورفعتها بدل إدخال الأطفال والمراهقين في دوامة من الإدمان والانعزالية والتخدير الممنهج.

وقد قامت مجموعة من الجمعيات المهتمة بحماية الطفولة بدعم بعض الصور والفيديوهات التربوية التوعوية لتنشر في الكثير من المنتديات والمواقع التواصلية باعتبارها الأكثر ولوجا من الأطفال والشباب، كما أن بعض المواقع تطوعت مجانا بعرض هذه اللافتات والمواد مساهمة منها في القضاء على هذه الظاهرة.. ونحن هنا نستغل الفرصة لدعوة نظيراتها العربية لاقتفاء أثرها والنسج على منوالها.

- استخدام برامج الرقابة العائلية ذات الفعالية العالية لإيقاف الدخول إلى المواقع المشبوهة سواء كانت مواقع العنف أو الإرهاب أو الجنس.. وذلك بتنزيلها على حاسوب الطفل أو الشاب أو تنزيلها في الحساب الخاص



بالطفل على الحاسوب المشترك الذي يقبل أكثر من حساب (sessions) حتى يكون الأطفال والشباب في منأى عن المواقع السلبية والحساسة. وهذه البرامج أصبحت في بعض الدول الغربية إلزامية بل ومجانية من طرف مزودي الخدمة لتعليم الطفل والمراهق الكيفية السليمة للإبحار في النت، باقتراح مجموعة من المواقع المهمة والمتنوعة والمفيدة، ضمن الاقتراحات وعلى الشاشة الرئيسية للمتصفح. وقديما قيل إن لم تشغل النفس بالحق شغلتك بالباطل. هذا للراشد فكيف بالطفل. وهذا التعليم يجعل الطفل ممتنا لوالديه لأنه بفضلهما عرف الدخول إلى عالم المعلومات والتقنية الحديثة، فيظل دائما محترما لآرائهما وتوجيهاتهما لأنه يدرك أنهما يتحدثان عن خبرة ودراية.

- مصاحبة الأطفال دون سن السابعة أثناء مجالستهم للحاسوب، أما في السن من ٧-١٢ فينصح خبراء حماية الأطفال بتحديد وقت الإبحار في الشبكة.

- دعوة الطفل إلى اعتبار الإنترنت مساحة مشتركة للمواطنة الفاعلة والبناءة مثلها مثل الشارع والمؤسسات والفضاءات العمومية، استغلال الجلسات العائلية الهادئة لمناقشة قضايا الساعة ومشاهدة بعض الفيديوهات بشكل جماعي بطريقة هادئة ومعبرة بتؤدة وحكمة وصبر، وتوجيه الأطفال والمراهقين توجيها ذكيا دون وعظ مباشر، بل استدراج الطفل عن طريق أسئلة موحية إلى استخلاص النتائج المراد الوصول إليها.. ليصل إليها بنفسه دون إكراه ولا فرض لوجهة نظر أحادية يحس معها الطفل أنه مقموع أو أن حرية تعبيره عن رأيه مصادرة.

تطوير التفكير النقدي لدى الطفل أثناء حياته العادية أو أثناء استخدامه لشبكة الإنترنت، وتعليمه أنه ليس كل ما ينشر في الشبكة أو عبر مواقع التواصل هو شيء مقدس، بل يتعلم الطفل انتقاد واعتراض مضامين وسائل الإعلام المستحدثة، وتمييز المواقع ذات المصداقية من غيرها، والمواقع الرسمية للمؤسسات والهيئات والأشخاص من المنتديات التي يكتب فيها الناس ويعيدون نشر أخبار وأفكار غيرهم دون تمحيص ولا تنخيل.

- دعم السلوك المسؤول لدى المستخدمين الأطفال وتحسيسهم بالمسؤولية الملقاة عليهم وأنهم يجب أن يكونوا واعين بتصرفاتهم وعواقبها حتى وهم في سن مبكرة.

## محركات بحث للأطفال

تعتبر محركات البحث أهم أبواب دخول عالم النت، ولربح الوقت يلجأ المبحرون إلى طرح أسئلتهم المباشرة للوصول إلى أجوبة مباشرة، وأثناء الحصول على الرد يغرق السائل في بحر من الأجوبة التي يختلط فيها الصالح بالطالح، والتربوي بغيره. وكعلاج لمشاكل محركات البحث الكثيرة وأجوبتها اللامتناهية عن سؤال واحد استطاع خبراء المعلومات وضع محركات بحث خاصة بالأطفال، بحيث تسهل عليهم الحصول على المعلومات المطلوبة بطريقة سريعة وآمنة. فهذه المحركات توفر الجهد والوقت بحيث تعطي أجوبة مناسبة ومختصرة، كما أنها تمنع المضامين السيئة وغير المناسبة لسن ومستوى الأطفال، فهي تتوفر على «فلترات» تحجب المحتويات السلبية كما أنها مقسمة حسب الأعمار، فبعضها لـ ٧-٨ سنوات، وبعضها لـ ١٠ سنوات فما فوق. أما المراهقون فقد أدى اللجوء إلى خدمة الفلترة safe search الموجودة في المتصفحات ومحركات البحث في الإعدادات لمنع المشاهد الجنسية ومشاهد العنف وغيرها. وهذه الفلترة تتوفر أيضا حتى على مستوى الفيديوهات بحيث هناك مواقع فيديوهات خاصة بالأطفال تتوفر فيها نفس المواصفات التي تحدثنا عنها سابقا من حيث الأمان واحترام السن والاقتصار على المضمون المطلوب دون التيهان يمينا أو شمالا، وأغلب هذه المحركات هي محركات بلغات أجنبية وهي دعوة لخبراء التقنية العرب لابتكار محركات تدعم

المضمون العربي للناشئة في الشبكة العنكبوتية مع الأمن المطلوب. ولمن أراد تثبيت هذه المحركات على جهاز الطفل يكفي أن يكتب: محرك بحث للأطفال ليحصل على مجموعة من الاختيارات. وبالإضافة إلى محركات البحث ومواقع الفيديوهات الخاصة بالأطفال والمراهقين هناك ويكيبيديا خاصة بالأطفال بحيث يصل الطفل إلى هدفه بأقصر طريق ودون التعرض لمحتويات ضارة.

أما ما يتعلق بمواقع التواصل فقد استطاع خبراء التقنية العمل على مجموعة من الحلول التي قلصت مخاطر مواقع التواصل الاجتماعي باختراع تقنيات حماية جد متقدمة، كما أن بعض الخطوات البسيطة كفيلة بتقليص أضرار هذه المواقع لمستوى أدنى نذكر منها:

- وضع برامج محادثة للأطفال ما دون سن ١٣ فيها متعة وإبداع يشرف عليها تربويون.

- إضافة إلى برامج حماية للمحادثات يتم تثبيتها من طرف الوالدين لأبنائهما الصغار على أجهزتهم بحيث تمنع هذه البرامج إضافة صديق جديد إلا بعد موافقة الوالدين. إذ كلما حاول الطفل إضافة صديق جديد يتلقى الوالدان رسالة على هواتفهما من موقع التواصل يطلب إذنهما للترخيص لهذا الوافد الجديد.

- توعية الطفل بضرر كشف أسراره الشخصية وبياناته للغرباء على المواقع الاجتماعية من أسماء وعناوين أو اسم مدرسته أو مؤسسته.. والتأكيد على عدم تحديد أي موعد للقاء أي شخص تعرف عليه في العالم الافتراضي.

- تحديد زمن دردشة الطفل في المواقع التواصلية بالاستعانة ببرامج الحماية التي أصبحت جد متقدمة بحيث يمكن تحديد أوقات الإبحار والأزمنة المناسبة، بل تحديد حتى الأيام التي لا يود فيها الآباء أن ينشغل فيها أبناؤهم بالنت عن دراستهم وواجباتهم المدرسية خصوصا فترات الامتحانات إلا لداعي الإعداد والمذاكرة.

## مازال المحتوى العربي على النت ضعيفا ولا يلبي المتطلبات

### دور المؤسسات الرسمية

عملت المؤسسات الرسمية على تركيز جهودها على حماية الطفولة من أخطار عالم التقنية والمعلومات ومازالت تعمل، خصوصا في الدول الغربية.

وفي الدول العربية تبذل جهود مشكورة في هذا المجال إلا أنها تحتاج إلى مزيد من التنسيق والتكامل حتى تؤتي أكلها. فإذا كانت الدول الغربية قد استطاعت تحقيق مجموعة من الأهداف المرسومة بسبب وعي الآباء وانتشار الوعي المعلوماتي بين الفئات الناضجة فإن انتشار الأمية بنسب مختلفة بين الدول العربية ساهم في فشل مجموعة من المبادرات الرسمية لخلق وتوفير ولوج إنترنت آمن ومسؤول. وهذه المخرجات المتواضعة يجب ألا تثني العزم عن مواصلة الجهود وتنويع العرض لتحقيق الأهداف. فمما يمكن للمؤسسات الرسمية والدول والأنظمة أن تفعله لتحصين عقول الأطفال والشباب من المحتوى الرقمي المسيء بشتى أصنافه، كتكوين لجنة من الخبراء من أعلى المستويات وفي شتى التخصصات التي لها ارتباط بعالم الطفولة لإنتاج وتصميم أفلام وتوفير موارد رقمية ووثائق وفيديوهات ورسوم متحركة هادفة وبناءة، وبرامج توعية تبث في الإذاعات والتلفزات الرسمية وفي أوقات الذروة لتوعية الشباب بمخاطر المحتوى السيئ للإنترنت وطرق تجنبه وكيفية التفاعل مع الإنترنت الآمن وإيجابيات ذلك، مع تنظيم ورشات تثقيف وفقرات توعوية في المدارس والمناهج الدراسية، ودعم مسرحيات وإنتاجات فنية تحاكي المشاكل التي تواجه الأطفال أثناء استخدامهم للإنترنت من قبيل المحتويات التي تمجد العنف والإرهاب أو التي تحسن التعاطي للمخدرات أو التحرش الجنسي أو الأفكار السيئة والسلبية.

والتجربة الفرنسية رائدة في هذا المجال، من خلال الإجابة عن جميع تساؤلات الأطفال عبر فيديوهات قصيرة ممتعة تغلب عليها روح الدعابة والإثارة.

وقد قطعت الدول الغربية شوطا بعيدا في هذا المجال، حتى أصبحت شخصيات هذه الأفلام الكرتونية التعليمية الهادفة رموزا معروفة ومشهورة.. الاهتمام بالأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ومراعاة شعورهم ورغبتهم في اكتشاف هذا المجال بتسهيل استعمالهم للشبكة المعلوماتية بتوفير حسابات خاصة بهم، إضافة إلى نشر الحواسيب الموجهة لهذه الفئات مع إشراكهم في دورات تدريبية لبعض ما ذكرناه من حلول لمسألة الأمن المعلوماتي والإنترنت الآمن.

مع هذا الكم الهائل من الموارد الرقمية التي تغرق الفضاء والزمان والمكان لم يعد للوالدين من مبرر للبقاء مكتوفي الأيدي وهم يرون أبناءهم يختطفون من بين أيديهم وهم لا يحركون ساكنا. بل الواجب يقتضي الدفاع عن فلذات الأكباد بالحكمة والسبل الحسنة دون صراع أو مواجهة أو حرمان شامل من هذه المستحدثات المستجدة، وأفضل وسيلة لحماية الأبناء هي مصاحبتهم والتقرب منهم وكسب ثقتهم، وتجنب كل سبل العنف والصراخ والصياح والكسر والتحطيم، لأن التجربة والممارسة أثبتت أن هذه السبل لا تأتي إلا بنتائج عكسية والحكيم من اتعظ بغيره.

أ.د. أحمد عيساوي
أستاذ الدعوة - الجزائر



# إلى أين يسير بنا الإدمان الفيسبوكي؟

كعادتي مطلع كل عام دراسي، ألتقي طلبتي الجدد في مدرج الجامعة، متيمنا ومستبشرا بحلول عام وجيل جديد، عله يكون أفضل من سابقيه، وبعد أدبيات الاستفتاح من البسملة والحمدلة، والشكر والثناء والدعاء، والترحيب بالطلبة -وأنا أتفرس فيهم وأتعرف على جديدهم، والقادم منهم من جامعة أخرى- أقدم لهم أوراق الامتحان دون أن أكثر الكلام معهم؛ لأن تجربتي التعليمية التي قاربت أربعة عقود علمتني أن العام الدراسي يبدأ بامتحان وينتهي بامتحان، وأعطيهم سؤالا مركزيا، أكتشف من خلاله مدى صلتهم بعالم القراءة والاطلاع والمعرفة، كما أزن وأعرف من خلال إجاباتهم مستواهم النفسي والعلمي، ولكن في هذه السنة الجامعية غيرت نمط أسئلتي البتة، ولاسيما سؤالي الاستراتيجي عن كتابة قائمة بأسماء الكتب التي قرأها كل طالب خلال مساره العلمي والتعليمي، غير المقررات المدرسية أو الجامعية، وطرحت عليهم السؤال الآتي: وضعتك الأقدار يوما في فضاء ثقافي، وضمن مجموعة متنوعة من الناس، وطلب من كل واحد منكم أن يعرف بنبيه، فماذا أنت كاتب عن نبيك محمد ﷺ؟ مع ملاحظة ملء ورقة الامتحان المكونة من أربع صفحات، والكتابة بخط واضح وبين ومقروء؛ لأن الجيل «الفيسبوكي» ساء خطه وتعبيره ولغته وتفكيره وفؤاده.

وخلال إقبالهم على الإجابة أفتح كتابا لأقرأ فيه، وأرفع رأسي بين الفينة والفينة لمراقبة المشهد بناظري، عل أحدا من الطلبة قد انتهى من الكتابة، أو يريد استفسارا في مسألة، وما هي إلا ربع الساعة أو عشرون دقيقة حتى تبدأ الأقلام بالتوقف عن الصرير والخط، وتنطلق عملية تبادل النظرات بيني وبين الطلبة الذين أنهوا الكتابة، حتى لا يكاد يمضي نصف ساعة إلا وتسكن حركة الكتابة، خلا بعض الطلبة والطالبات، الذين سرعان ما يلتحقون بالركب، وتبدأ مرحلة الانتظار الحرجة عما سيسفر عنه تصريح الأستاذ الأولي، فأطلب من الطلبة أن يتشجعوا، ويتقدموا لقراءة ما كتبوه أمام زملائهم في مكتبي، وأمام مكبر الصوت، فيخاف الجميع، ويرهبون من رفع الأيدي، ويحجمون عن الإقبال، فأنطلق لإنزال سقف المطالب والإحراجات النفسية، فأقول: من الذي يستطيع أن يقرأ ما كتب عن نبيه من مكانه، فتحجم أيضا الغالبية، فأنزل خطوة أخرى في سلم الإحراجات والإرباكات النفسية، فأقول لهم: إذن أنا الآن مضطر إلى اختيار وتعيين من يقرأ. وأختار حيلة تربوية، كأن أختار أي طالب يحمل اسم محمد أو أحمد أو يسمّى أبا القاسم،

باعتبار أن الجزائريين مولعين بالاسم الأخير ويختصرونه (بلقاسم)- للتقرب النفسي والوجداني منهم، وليشعروا بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم، ويتكرر الأمر مع الفتيات ممن تتسمى بخديجة أو عائشة أو حفصة أو صفية، وأبدأ بتعيين من يقرأ، وهناك تبدأ عملية اكتشاف أثر الفضاء الأزرق (الفيسبوك) و(جوجل) في أبنائنا وبناتنا، والتعرف على جهل طلبتنا وطالباتنا الذين واللائي يدرسون في كلية العلوم الإسلامية، وما يعرفونه عن نبيهم محمد ﷺ وعن سيرته العطرة، التي لا تتعدى بقايا مشاهد فيلم (الرسالة) للمخرج مصطفى العقاد، يرحمه الله.

ومن هنا تتم، أيضا، عملية التعرف عن كثب على العقول والقلوب الخاوية لأبنائنا وبناتنا، وبتجاوز لحظات الإحراج النفسية الأولى، وتكسير حاجز الخوف والصمت، أبدأ بطرح جملة من الأسئلة الإضافية المتعلقة بأهمية الزمان كقيمة مركزية في حياة الفرد المسلم، وأين تتم عمليات تبديده وإهداره خلال السنين العجاف من أعمارهم الضائعة، وتتمحور الأسئلة حول الاتجاهات الآتية:

١ – كم مرة دخلت المكتبة واقتنيت كتابا؟

٢ – كم مرة دخلت مكتبة أو مركزا ثقافيا لحضور عرض كتاب؟

٣- هل حضرت فعاليات معرض الكتاب الدولي أو الوطني؟

٤ – كم ساعة تشاهد جهاز التلفاز في اليوم؟

٥ – كم ساعة تقضيها مع الشبكة المعلوماتية؟

٦ – كم من مرة وساعة تستعمل هاتفك الجوال، وكم هي تكاليفه الشهرية؟

٧ – هل قرأت الكتب التي أهديت إليك، أو وجدتها في مكتبة منزلكم؟

ولكم أيها القراء الأعزاء، وأعتقد أنكم تكابدون مع أنفسكم وأبنائكم ما أكابده، أن تتصوروا عظم الكارثة في أجيال أنهكها السهر، وهدها السهاد، واعتلت صحتها وقواها الحية في مواقع التواصل الاجتماعي طيلة الليل، فضاعت عليها زهرة الأوقات التعبدية، كما ضاعت عليها لذة الغدو والرواح، ومتعة الحركة والانتقال إلى رحاب أرض الله الواسعة جيئة وذهابا، نحو بيوت الله، وفي السعي طلبا للرزق، واكتساب رضوان الله تعالى، ورضا الوالدين، وبناء المستقبل بالعلم والمعرفة، واكتساب المهارات والخبرات..

**بعض أبناء الجيل الحالي ساء خطه وتعبيره ولغته وتفكيره**

## الخطر الداهم

وجاءت الإجابات الفورية عن تلك الأسئلة بما ينذر بالخطر الداهم، الذي يتهدد ماضينا وحاضرنا ومصيرنا ومستقبلنا بين الأمم والشعوب الناهضة.. فثمة من لم يدخل المكتبة طيلة حياته، إلا لشراء اللوازم المدرسية كل بداية عام دراسي، وثمة من لا تعرف ماذا تقول لو دخلت مكتبة، وثمة من أخبرني بأن مكتبتهم قد تم وضعها في قبو البيت لعدم حاجتهم إليها، وثمة من تخلص من مكتبة أبيه وجده، بإهدائها إلى إحدى المكتبات العمومية. وثمة من لا يعرف ولم يذهب لحضور فعاليات معرض الكتاب السنوي. وثمة، وثمة..



وأمام كل هذه التداعيات والعثرات والسقطات، والمكبات التكوينية، والاقتدارية، والموهبية التمكينية في عالم المعرفة والفكر والعلم، يقابلها -للأسف- حضور يومي فاعل، وشهود عبثي شبه يومي وليلي ودائم، مع عالم الحواسيب، والهاتف الجوال، والشبكات العنكبوتية، ومواقع التواصل الاجتماعي. فالكل أدمن عليها، من الطفل الصبي الصغير، إلى الفتى الغض الغرير، إلى الشاب والفتاة، وإلى الكهل والشيخ الكبير. وقد مس -للأسف الشديد- حتى صنف العجائز الطاعنات في السن، فلم يعد أحد يعبأ بأحد، ولم يعد أحد يهتم بحياته، وواجباته، ولا بماضيه، ولا بحاضره، ولا بمستقبله ومستقبل أبنائه، ولا بوطنه..

فهل فكرنا لحظة إلى أين يذهب ويسير بنا هذا الإدمان «الفيسبوكي»؟!

نادر أبو الفتوح
القاهرة

# الإنترنت مخاطره ودوره التنويري

كثيرة هي التحديات التي تواجه الشباب المسلم في الوقت الحالي، ولعل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، من أخطر الوسائل التي يمكن أن تؤثر بالسلب على الشباب، رغم أن هناك جوانب إيجابية يمكن الاستفادة منها، فيما يخص التوعية وتصحيح المفاهيم، وأن تقوم المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية والفكرية، بتطوير مواقعها وصفحاتها الرسمية على الإنترنت لتعظيم الفائدة، وتشجيع الشباب على الدخول على هذه المواقع، والمؤكد أن ذلك سيكون إحدى وسائل حماية الشباب وتحصينهم ضد الفكر المتشدد.

كما أن مواجهة التطرف لابد أن تمتد لنشر الوسطية عبر الفضاء الإليكتروني، لأن الجماعات الإرهابية تسعى للسيطرة على الشباب وتجنيدهم، عبر الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة، وهناك صفحات مجهولة على شبكات التواصل الاجتماعي، أصبحت تشكل خطرا على الأجيال الجديدة، ولذلك لابد من استغلال الإنترنت ووسائل الاتصال في التوعية وتصحيح المفاهيم.

في البداية يقول د. علوي أمين أستاذ الفقه بكلية الشريعة جامعة الأزهر بالقاهرة: إن الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة لها مكانة كبيرة لدى الشباب والأجيال الجديدة، وأكثر الذين يستخدمون هذه الوسائل من جيل الشباب، ولذلك من المهم ألا نترك الشباب فريسة للجماعات المتطرفة، التي تسعى للسيطرة على الفضاء الإليكتروني، من خلال بث الأكاذيب والافتراءات وتحاول أن تجند الشباب ضد أوطانهم، فهذه الجماعات هدفها الأساسي السيطرة على عقول الشباب، وتجنيدهم عبر الإنترنت.

## تدريب الأئمة والدعاة

وفي سياق متصل يقول الشيخ أحمد ترك مدير عام التدريب بوزارة الأوقاف المصرية: إن هناك ضرورة لتدريب شباب الأئمة والدعاة على استخدام الإنترنت ووسائل التواصل الحديثة، وذلك حتى يكون لدينا جيل من الدعاة يدرك وسائل العصر، ويمتلك القدرة على الدعوة عبر الفضاء الإليكتروني، وذلك حتى تستطيع هذه الجهود مواجهة فكر الجماعات المتطرفة، والمؤكد أن الدورات التدريبية للأئمة والدعاة ينبغي ألا تقتصر فقط على العلوم الشرعية، بل لابد أن تمتد لمختلف التخصصات وأن تكون هناك دورات

في اللغات الأجنبية، واستخدام الإنترنت ووسائل التواصل الحديثة، لأن الإمام العصري لابد أن يتقن وسائل العصر ويراعي الواقع.

## الاستفادة من جوانبها الإيجابية في التوعية وتصحيح المفاهيم ضرورة



### دور الأسرة في التوعية

ومن جانبه يشير د. نجيب عوضين أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة، أن الأسرة لها دور كبير في توعية الأبناء بمخاطر وسائل التواصل الحديثة، ولابد أن يكون هناك مراقبة لسلوك الأبناء في هذا الأمر، لأن المتابعة والتقويم والتوجيه قضية هامة جدا، لأن مخاطر هذه الوسائل من الممكن أن تدمر الشباب، وهناك سلوكات خاطئة يقوم بها بعض الشباب عبر هذه الوسائل، مثل الدخول على الصفحات والمواقع الإباحية التي تنشر الرذيلة، وتحمل الكثير من الأمور التي تدمر السلوكات، وتؤدي لجرائم التحرش الجنسي والزنا وغير ذلك، وهنا لابد أن تقوم الأسرة بدورها في التوجيه والتوعية.

### مسؤولية وسائل الإعلام

ويضيف د. عوضين، أن وسائل الإعلام المختلفة تلعب دورا كبيرا في التوعية بمخاطر الإنترنت ووسائل الاتصال الحديثة، وطالب الإعلام الديني بأن يقوم بدوره في توعية الشباب، وبيان الجوانب الإيجابية في الإنترنت، وكيف يمكن الاستفادة منها في العمل والدراسة وغير ذلك من المجالات، بدلا من أن نترك الشباب دون توجيه أو تقويم، والبرامج الدينية عليها أن تقوم بدورها، من خلال استضافة العلماء والخبراء المتخصصين، الذين يحذرون الشباب من مخاطر الإنترنت، وأن بعض ما ينشر من

## تطوير مواقع المؤسسات الدينية والفكرية يساعد على ترسيخ القيم وحماية الشباب

فتاوى وآراء ربما يتعارض مع الشريعة، ومن المهم ألا نسير وراء هذه الآراء، بل الأفضل أن نأخذ الفتوى والرأي من العلماء المشهود لهم بالوسطية والاعتدال.

### فوضى الفتاوى

ويوجه الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، رسالة للشباب بأن الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي تحتوي على الكثير من الفكر المتشدد، ولذلك فإن اللجوء لهذه الوسائل في الأمور الشرعية أو الفتاوى، أمر مرفوض، لأن هذه الآراء ربما تخالف تعاليم الشريعة الإسلامية، ومن الأفضل أن يتوجه الشباب للمواقع الإليكترونية والصفحات الخاصة بالمؤسسات الدينية الرسمية، لأن هذه المواقع وتلك الصفحات تتضمن الفكر المعتدل والفتوى المنضبطة.

وطالب المؤسسات الدينية والفكرية بضرورة تنشيط وتطوير مواقعها الإليكترونية، لجذب الشباب وتشجيعهم على الدخول على هذه المواقع، وأن تكون هذه المواقع باللغات الأجنبية المختلفة، وتتضمن الرد على الأكاذيب والافتراءات التي تنشرها الجماعات الإرهابية، وأن تكون هناك مراصد لهذه المؤسسات، ترصد كل ما ينشر على وسائل التواصل الاجتماعي باللغات الأجنبية المختلفة، ويتم الرد على هذه الأكاذيب والضلالات باللغات الأجنبية أيضا، وذلك حتى نصحح المفاهيم ونتواصل مع المسلمين في الغرب، وتكون هناك قنوات تواصل مع الشباب المسلم في الغرب، عبر الصفحات الرسمية للمؤسسات الدينية الرسمية.

فوزي تاج الدين
كاتب مصري



# الدعوة إلكترونيا ضرورة دينية

طرأت على حياة البشر تغييرات جذرية خلال العقود الأخيرة، كان من أبرزها ظهور شبكة الإنترنت، التي تجاوز عدد مستخدميها ٣,٧ مليارات شخص في فبراير ٢٠١٧م، أي ما يعادل نصف سكان كوكب الأرض تقريبا البالغ عددهم ٧,٤٨٦ مليارات نسمة، وفق إحصائية لمنظمة الأمم المتحدة ووكالة تعداد السكان الأميركية. أما شبكات التواصل الاجتماعي فبلغ عدد مستخدميها نحو ٢,٨ مليار شخص، أي حوالي ٣٨ في المئة من سكان الأرض منهم ٢,٥ مليار شخص يدخلون هذه الشبكات عبر الهواتف النقالة. كذلك بلغ عدد مستخدمي الهواتف النقالة ٤,٩٤٣ مليارات شخص، أي ما نسبته ٦٦ في المئة من سكان كوكب الأرض. ومن المتوقع خلال السنوات القليلة المقبلة أن يستخدم شبكة الإنترنت غالبية سكان الأرض، بمن فيهم الأميون بل والمكفوفون، وسوف تصبح وسيطا مشتركا للتواصل بين جميع الشعوب.

ومما لا شك فيه أن شبكة الإنترنت تمثل جانبا خصبا للدعوة الإسلامية؛ وذلك بسبب تعدد أنماط البيان فيها وسهولة استخدامها. وتزداد حاجة المؤسسات الإسلامية إلى هذه الشبكة، خصوصا أنها تواجه إشكاليات عديدة، مثل صعوبة التنسيق فيما بينها، وانعدام فرص الاستفادة من الموارد العلمية. من هنا، فإن السعي إلى تسخير تلك الشبكة لخدمة المؤسسات الإسلامية يعد ضرورة دينية في المقام الأول.

وغير خاف على أحد ما تتمتع به هذه الشبكة من مميزات تفوق الوسائط الإعلامية الأخرى، ومن هذه المميزات سهولة الاتصال الفوري المتزامن عن طريق تطبيقات التواصل الاجتماعي وغير المتزامن عن طريق البريد الإلكتروني ومنتديات الحوار، علاوة على سهولة نقل المعلومات والبيانات وتخزينها، كما لا يمكن إغفال ما تحدثه شبكة الإنترنت من تفاعلية بين المشاهد وبين مصدر المعلومات من خلال قنوات الحوار واستطلاعات الرأي في مختلف القضايا.

## الدعوة والإنترنت

وحول أثر الإنترنت في الدعوة الإسلامية، يقول رئيس الجامعة الأميركية المفتوحة أ. د. جعفر شيخ إدريس: «تجمع الشبكة العالمية للمعلومات بين الكتابة والصوت والصورة والإرسال السريع والحفظ، وقد استفاد الدعاة منها أيما فائدة، ولاتزال المادة الإسلامية المعروضة في المواقع الإسلامية في ازدياد مطرد، وقد سمعت عن أناس ورأيت أناسا هداهم الله تعالى عن طريق هذه الوسيلة. لقد كان المسلمون في البلاد الغربية يشكون من أن الصحف والمجلات لا تفتح لهم مجالا للنشر فيها حتى عندما يكون المقال ردا على افتراء البعض على الإسلام، فإذا هم اليوم يكتبون ما يشاءون على صفحات هذه الشبكة».

أما الأستاذ بكلية الحاسب والمعلومات في جامعة الملك سعود د. عبدالقادر ابن عبدالله الفنتوخ، فيرى أن شبكة الإنترنت: «عرّفت عشرات الملايين من غير المسلمين بحقائق الدين الإسلامي، علاوة على توفير وسيط إعلامي وإعلاني بين المسلمين على نطاق عالمي متخطية كل الحدود والحواجز. والدعوة على الإنترنت غير مقيدة بزمان أو مكان، وذات تكلفة منخفضة جدا إذا ما قورنت بوسائل الدعوة الأخرى. وسهولة الاستخدام والتعلم للوسائل الحديثة والنشر الإلكتروني تجعل الكل يستطيع التعامل معها».

ويلفت د. الفنتوخ إلى بعض المواقع والتطبيقات التي يمكن للمؤسسات الإسلامية الاستفادة منها، خصوصا أن معظم المواقع العربية الإسلامية الحالية تتسم بالسطحية وعدم وجود أهداف أو استراتيجية لها، ومبنية على أفكار غير ناضجة ولا ترتبط بأرض الواقع، كما يندر وجود مواقع عربية ذات عمق أو تخصصية وإبداعية. ومن بين المقترحات والتطبيقات التي يمكن للمؤسسات الإسلامية الاستفادة منها، ما يلي:

- مركز المعلومات الإلكتروني: وهو مدعوم من البنك الإسلامي للتنمية، ويضم قوائم بأسماء وعناوين أفراد الأقليات والجاليات الإسلامية، وخلاصة المشاريع والأفكار الدعوية، والمراجع الشرعية والعلمية، وتوصيات المؤتمرات، والفتاوى.
- المكتبة الإلكترونية: وتضم موسوعات في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكتبا تراثية ومعاصرة.
- الخدمات التفاعلية: وتعني التواصل بين الزائر والشبكة بإنشاء قوائم بريد إلكترونية للموارد، وبحث المشكلات المستجدة للأقليات والجاليات، ومشاركة أهل الخبرة والرأي للمساهمة في إيجاد حلول لتلك المشكلات لنصرة قضايا المسلمين، علاوة على إقامة المسابقات واستطلاعات الرأي.
- التدريب عبر الإنترنت: ومن شأنه توفير كل وسائل التفاعل مع المدرب، مما يوفر تكاليف انتقال المحاضر أو المدرب إلى مكان تدريب المشاركين في الدورات التعليمية.
- الاستثمار الإسلامي: ضرورة وجود قسم اقتصادي بشبكة المؤسسات الإسلامية يعرض أبحاث الاقتصاد الإسلامي، من أجل الاستفادة من تقنيات التجارة الإلكترونية، ودعم المشاريع الخيرية.



د. خالد محمد راتب
دكتوراه في الشريعة
مصر



# الإسراف في استخدام التكنولوجيا

الوسطية منهج إسلامي يضبط الحياة كلها، وهي البوصلة التي تحقق التوازن للبشرية، فإذا غابت الوسطية عن واقعنا رأينا خللا كبيرا في حياتنا في تعاملاتنا وعلاقتنا الإنسانية، بل ويتسرب هذا الخلل إلى العقائد والعبادات ومناحي الحياة كلها، فالوسطية إذن هي منهج يحكم كافة الأمور، وسمة بارزة للأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣).

ولقد أمرنا الإسلام أن نتعامل في أمورنا كلها بالمنهج الوسطي؛ لأن الخروج عن الوسطية شقاء وحسرة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء:٢٩).

وفي العصر الحديث الذي نعيشه -عصر التقدم التقني- يجب تطبيق هذا المنهج الوسطي على المعارف والعلوم والمعلومات بصورة منظمة، بهدف تحقيق أغراض سامية تسهل على الإنسان حياته، وهذه المعارف والعلوم والمعلومات التي تحقق لنا أهدافنا السامية ونتحصل عليها بسهولة يطلق عليها مصطلح التكنولوجيا، تلك التكنولوجيا التي لها وجهان، وجه إيجابي معرفي نتواصل من خلاله، ولنا فيه مآرب أخرى، ووجه سلبي يظهر بسبب سوء الاستخدام أو المبالغة، وهو ما أطلق عليه الإسراف في استخدام التكنولوجيا؛ هذا الإسراف الذي يخالف الوسطية ويضادها ويحدث آثارا سلبية على الفرد والمجتمع، بل والعالم كله.

من هذه الآثار السلبية حدوث مشاكل صحية وبيئية، حيث تؤثر هذه التكنولوجيا، وخاصة استخدام الهواتف المحمولة وأجهزة الكومبيوتر على جسم الإنسان، فتؤثر على المخ، والعظام، والعين وسائر أعضاء الجسد وينتج عنها تلوث بيئي بسبب الإشعاعات.

الإدمان وتعطيل القدرة العقلية والإبداع فالعاكفون على استخدام التكنولوجيا والمسرفون في استخدامها أصبحوا في حالة إدمان تقرب من إدمان المخدرات ومغيبات العقول الحسية؛ وذلك لأن وسائل التكنولوجيا حلت محل العقل؛ وأصبح الإنسان في عصر التكنولوجيا يجعل هذه الوسائل الحديثة قبلته العلمية والمعرفية الوحيدة، ومصدر معلوماته وأبحاثه حتى لو كان المصدر الذي ينقل وينهل منه مشكوكا فيه أو خطأ، وهذا الاعتماد الكلي على تلك الوسائل يقتل الإبداع ويعطل القدرة العقلية.

العزلة الأسرية والاجتماعية فالإسراف في هذه الوسائل الحديثة يؤثر على أفراد الأسرة والعائلة والعلاقات الاجتماعية، حيث تصبح بديلا عن

الصلة والتواصل المباشر، فلا زيارات ولا صلة أرحام ولا ثواب عيادة المريض وتفريج الكربات... وغير ذلك من الأمور؛ لأن التكنولوجيا الحديثة ومواقع الاتصال كانت البديل، فتصبح العلاقات الاجتماعية مقتصرة على المكالمات الهاتفية والرسائل النصية.

## الخمول والكسل

فالإفراط والاعتماد على التكنولوجيا جعلنا نصاب بخمول وكسل جسدي، فكل ما يخطر على بالك تحصل عليه وأنت في مكانك، وانتشر بيننا «اتصل نصل».

التقصير في بعض الحقوق والواجبات، مما لاشك فيه أن كلا منا له حقوق وعليه واجبات، والاعتدال والوسطية هما الطريق الأمثل للوصول إلى حقوقنا وأداء واجباتنا، ومن أوجب الحقوق التي فرضها الله على عباده حق العبادة، فهي أساس الحق، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)، وهذا الحق –حق العبادة– تهاون فيه كثير من الناس متحججين بعدم تفرغهم وانشغالهم، مع أنهم يمكثون الساعات الطوال أمام مواقع التواصل الاجتماعي، ويسرفون في استخدام وسائل التكنولوجيا، فكثير منا يسمع نداء الله ولا يلبيه بسبب انشغاله بهاتفه أو بسبب متابعة برنامج أو بسبب الانهماك على الإنترنت.. وهذا المفرط في جنب الله تراه مفرطا في كل الواجبات؛ سواء على المستوى الشخصي، أو الأسري والعائلي، أو الاجتماعي، وكل ذلك بسبب الإسراف المبالغ في استخدام التكنولوجيا الحديثة، وبعد كل ذلك يسأل عن حقوقه مع أنه ضيع نفسه ومن حوله!.

الإسراف في التكنولوجيا إهدار للوقت، فكثير من الناس يقضي معظم وقته أمام وسائل التكنولوجيا الحديثة، ولا ضير أن يكون ذلك فيما ينفع ولا يضر، ولكن المؤسف أن هذا الجلوس، في الأغلب، ليس وراءه منفعة بل يتنقل أحدنا من موقع إلى آخر، ومن صفحات التواصل إلى البرامج، ومن البرامج إلى البحث العشوائي عبر الإنترنت.. مع أن الإنسان مطالب وجوبا شرعيا وعرفيا أن يحافظ على وقته؛ لأنه رأس ماله الحقيقي في هذه الحياة، وكل شيء يعوض إلا الوقت، لذا يقول الإنسان المضيع لعمره ووقته، كما حكى القرآن الكريم: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ (الفجر:٢٤).

انفلات الأخلاق واعوجاج السلوك، فإدمان التكنولوجيا يتيح لمستخدمه الاطلاع على الإيجابي والسلبي، وفي الأغلب يطلع كثير من الناس على مدمرات الأخلاق والقيم، من المواقع الفاضحة، والبرامج السيئة فكريا وأخلاقيا.

## اختراق الخصوصيات

فهناك قلق كبير مما نسمعه من اختراق الأسرار والخصوصيات عند استعمال شبكات الإنترنت وتصفح المواقع والهواتف المحمولة.. فمن الممكن تتبع موقعك والأماكن التي تذهب إليها عن طريق تتبع إشارة الهاتف المحمول، وتتبع الواي فاي والبلوتوث وغير ذلك.

## انتشار الشائعات

حيث تعد الشائعات من أقدم وسائل الحرب الباردة، كما تعد من أقدم الوسائل الإعلامية التي تؤجج الحرب بين الناس قديما وحديثا، مما دفع الكثير من الدول الكبرى إلى إسقاط الخيار العسكري كوسيلة للدفاع عن مصالحها الخاصة، أو لنهب ثروات البلدان الفقيرة واحتلالها على الرغم من امتلاكها للأسلحة الفتاكة والمدمرة، وذلك لأنها أيقنت أن هذه الوسائل والأساليب التقليدية باتت أكثر تكلفة مادية وخسائر بشرية، مقارنة بالحروب النفسية الموجهة عن طريق بث الشائعات، من أجل ذلك أخذ التعامل على المستوى النفسي يحتل الحيز الأكبر بين الأسلحة المستخدمة في النظام الدولي الجديد للتأثير على وعي المستهدفين، وأخذت فيه الحرب النفسية إطارا أكثر شمولية.

## الأكثر فعالية

والإعلام والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي هي الوسائل الأكثر فعالية في نقل وتداول الشائعات، وتليها وسائل الإعلام الخاصة والحزبية، ثم وسائل الإعلام العالمية والعربية.

فيجب الحذر من نشر الشائعات والأخبار الكاذبة حتى لا ندمر أنفسنا بأيدينا.

## هيمنة الثقافات الغربية

عن طريق انتشار أفكار الدولة المهيمنة سواء أكانت الهيمنة سياسية، أم اقتصادية، أم ثقافية واجتماعية، مما يؤثر على تشكيل الوعي وإحداث سيطرة تامة وشاملة على الدول النامية.

إن هذا الإسراف التكنولوجي يحتم علينا أن نراجع أنفسنا، وأن نتعامل بقصد واعتدال معها، فإذا كان الإنسان مطالبا في عبادته مع ربه ومع العباد بالوسطية كما في قصة سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، حيث زار سلمان أبا الدرداء فقال له: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدَق سَلمانُ» (رواه البخاري)، فكذلك هو مطالب بالوسطية مع الوسائل الحديثة.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب
وزارة الأوقاف الكويتية




# صديقي الافتراضي

**ملأت الأجهزة الحديثة حياة الناس وشغلت أوقاتهم حتى عن الضروري من الأقوال والأعمال والواجبات، فأصبح يومهم يبدأ بالنظر في شاشاتها، وقبل أن يخلدوا إلى النوم ينهون يومهم بمتابعة ما جد من أحداث وأخبار وتعليقات، وما ورد إليهم من رسائل، وما بين بداية اليوم ونهايته تجد أحدهم منكبا على جواله انكباب من ينتظر رسالة تقلب موازين حياته وتبدل فقرها غنى وشقاءها سعادة فتجده يقود سيارته وعينه على شاشة جهازه ويفاجأ بأنه ضل طريقه وقد يحاول تدارك ما فاته بحركة مفاجئة فيصطدم بأحد الأرصفة أو بأحد المارة أو بسيارة مجاورة فتقع الواقعة ويحدث ما لا تحمد عقباه.**

لقد كشفت هذه الأجهزة الحديثة عن رغبة الإنسان في التواصل مع غيره من بني آدم وإن بعدت بينهم المسافات، فتجد قائمة الأصدقاء تطول وتطول من الشرق والغرب، فهل سألنا أنفسنا ما هي المعايير التي نعتمد عليها في اختيار أصدقائنا؟ هل نشترط أن يكون الواحد منهم دواء للجروح ومعينا على الخير، ودالا على طاعة الله بلسانه وعمله، وزادا ليوم المعاد؟ وإن كان ذلك واجبا في كل وقت وحين، فإن هذه المعايير صارت الآن أوجب، لاسيما بعد اتساع دائرة الصداقات الافتراضية التي تسبب بعضها بمخاز أخلاقية ومحاولات لا تفتر للتغرير بالشباب والفتيات، وأخرى لاستدراجهم للوقوع في الهاوية ومن ثم ابتزاز الشخص وربما أسرته.

الصديق الافتراضي، لماذا يتحول

من شخص تقضي معه بعض الوقت عبر الشاشة إلى شخص لا غنى عنه؟ ربما لأنه يستمع إليك أكثر مما يستمع الآخرون، ويشعر بك أكثر مما يشعر الآخرون، ويعطيك من عقله وقلبه أكثر مما يعطي الآخرون. ولعل البعض يفضل هذه الصداقات لما تختص به من حرية غير محدودة؛ فيناقش مع أصدقائه ما يستحي أو يخشى مناقشته مع الأسرة والأصدقاء الحقيقيين.

### أنواع الأصدقاء

عندما ينظر الإنسان حوله يجد أن الأصدقاء أنواع؛ فمنهم من يسعى لنيل رضا أصدقائه لكنه لا يخالف تعاليم دينه، وهناك شخص يسعى لكي يكون مقبولا عند جميع الناس لا لغرض من الأغراض وهو من يسمونه بـ «المساير»، وهذا الشخص لا يحب أن يغضب منه أحد، وعنده ولع بإرضاء الناس، يحب أن يعيش في سلام دائما ويهرب من المشاكل. ومن أنواع الأصدقاء أيضا من يحافظ على علاقاته بالناس، ويتملقهم لأنه يحصل منهم على منافع أو يريد تحصيل منفعة منهم. وفي المقابل هناك شخص لا يهتم بقبول الناس له؛ فمهما كان فيه من عيوب فهو لا يكترث لقبول أو رفض من حوله.

### من نصاحب؟

فتحت شبكات التواصل آفاق التعارف بين الناس على مصراعيها وفي الناس ألوان، والعاقل من يختار أحسنهم ويضع مواصفات لمن يختارهم، من أهمها:

### العقل

وهذه الصفة من أول ما ينبغي النظر إليه، فكم من رسائل ومقاطع تنقل



**حسن الخلق أحد المعايير المهمة للصحبة الصالحة**

دون أن يزنها صاحبها بالمقاييس العقلية، فتجدها فارغة من المضمون والهدف أو مكذوبة ملفقة ينكشف زيفها عند أول نظرة، وهذه الرسائل كما تشغل حيزا من ذاكرة الهاتف فإنها تسرق جزءا من وقت من يشاهدها.

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

**فلا تصحب أخا الجهل**
**وإيـــاك وإيـــاه**
**فكم من جاهل أردى**
**حليما حين آخاه (١)**

### حسن الخلق

وهو أحد الضروريات للصحبة، فكم من عاقل استخدم عقله في أذى صاحبه وساومه على أسراره التي كان يفضي إليه بها وقت الصفاء.. وساحات القضاء تزخر بقضايا إساءة استخدام الهاتف.

قال رسول الله ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» (٢).

ومن الوصايا الجامعة في شأن الصحبة قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك، إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشي الله، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى» (٣).

### الهوامش

١- آداب الصحبة لأبي عبدالرحمن السلمي ص ٤٣ تحقيق: مجدي فتحي السيد، ط، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢- سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة ٤/٢٣٢.
٣- إحياء علوم الدين، ٥/٩٤٩.

السنوسي محمد
باحث وصحفي



# التواصل بين المناعة والفاعلية

**مرت رحلة الإنسان في هذه الحياة، ولاتزال، بتطورات كبيرة ومتسارعة، ونقلات نوعية أثرت على حياته الخاصة والعامة بشكل كبير؛ بحيث لم يكن أمامه مهرب من التعامل معها، والخضوع لتأثيراتها، حتى التأثيرات السلبية منها!**
**هذه النقلات النوعية الجذرية في حياة الإنسان هي ما يعبر عنه بالثورات الصناعية الكبرى؛ وهي ثورات وإن انطلقت من الصناعة ومن مجالات العلوم والتطبيقات، إلا أن ما أحدثته من انعكاسات على النواحي الاجتماعية والثقافية وسائر أنشطة الإنسان، كانت أمرا ملموسا لا سبيل لإنكاره.**

بدأت النقلة النوعية الأولى، في أواخر القرن الثامن عشر، سنة ١٧٨٤م، باختراع الآلة البخارية، وانتقال العمل والإنتاج من المرحلة اليدوية إلى الآلية؛ حيث تسارع معدل العمل، وزاد الإنتاج، وبدأت تنتفي الحاجة للأيدي العاملة بشكل نسبي.
ثم جاءت النقلة الثانية، بعد ذلك بمئة عام تقريبا، مع اختراع الكهرباء، وما أحدثته من زلزال في مختلف مجالات الحياة، خاصة في صناعة الحديد والصلب، والتي تعد عماد النهضة والعمران.
في الثلث الأخير من القرن العشرين، وتحديدا في عام ١٩٦٩م، سندخل في الثورة الثالثة، باختراع «الكمبيوتر»، ونقل أول رسالة عن طريق الإنترنت، ودخول الحواسيب في مختلف الأعمال؛ الإدارية والاقتصادية والتعليمية والطبية وغيرها.
وأما الثورة الرابعة، فهي التي بدأت في التشكل من سنوات، ومازالت تفاعلاتها تحدث بشكل متسارع؛ حيث ظهرت تقنيات Artificial Intelligence و Big Data؛ مثل الروبوتات، والتحكم في الجينات، وتقنية النانو، وتطبيق

الطباعة ثلاثية الأبعاد في الصناعة والإنتاج، والتقنية الحيوية (١).

ويمكن التعبير باختصار عن الثورتين الأخيرتين بـ «عصر الإنترنت»؛ حيث الفضاء الإلكتروني المفتوح، وأجهزة الذكاء الاصطناعي، والتقنيات غير المحدودة، وتدفق المعلومات والأخبار وشبكات التواصل والاتصال لدرجة تسبب الازدحام والإرهاق.

و«الإنترنت» أو الشبكة العنكبوتية هي شبكة اتصالات عالمية تسمح بتبادل المعلومات بين شبكات أصغر تتصل من خلالها الحواسيب حول العالم. وتشير كلمة «إنترنت» إلى جملة المعلومات المتداولة عبر الشبكة، وأيضا إلى البنية التحتية التي تنقل تلك المعلومات عبر القارات. وهذه الشبكة العالمية تسمح لمستخدميها بالاتصال والتواصل بعضهم مع بعض، واكتساب ونقل المعلومات من الشبكة الممتدة في جميع أرجاء العالم؛ بوسائل بصرية وصوتية ونصية مكتوبة، وبصورة تتجاوز حدود الزمان والمكان والكلفة (٢).

ولاشك أن الإنسان مثلما لم ينج من تأثيرات الثورتين الصناعيتين السابقتين، إيجابا وسلبا؛ فليس بمقدوره الآن أن ينجو من تأثير هاتين الثورتين الأخيرتين.. ويبقى السؤال المهم: كيف يتفاعل معهما؟ وكيف يقلل من الآثار الجانبية؟ بل وكيف يوظفهما في خدمته هو، بحيث يكون فاعلا لهما لا منفعلا بهما؟

ومن المهم أن نلفت النظر في البداية إلى أننا، للأسف، «مازلنا معتادين النظر إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على أنها أدوات للتواصل والتفاعل مع العالم ومع بعضنا البعض. والواقع أنها صارت قوى بيئية وأنثروبولوجية واجتماعية وتفسيرية؛ تشكل واقعنا الفكري والمادي، وتغير فهمنا لذواتنا، وتحور الكيفية التي تربطنا بعضنا ببعض، كما تربطنا بذواتنا، وتحسن من كيفية تفسيرنا للعالم من حولنا. وكل هذا يجري بصورة واسعة الانتشار، وبعمق وبلا هوادة» (٣).

**تقوقع أفراد الأسرة كل مع هاتفه يظهر تغول الإنترنت**

## التواصل

كما أشرنا، لم يعد بإمكان الإنسان أن يقبع في زاوية نائية من العالم، ويتجنب «عصر الإنترنت» بإيجابياته وسلبياته؛ فقد بات جزءا أساسيا من حياتنا، لا بوصفه مصدرا للمعلومات والخدمات والترفيه فحسب، وإنما باعتباره إحدى الأدوات الأساسية التي أصبحت تشكل حياتنا على نحو ما، وربما من حيث لا ندري!

ولعل المظهر الأكثر بروزا لتغول الإنترنت في حياتنا، هو ما نلمسه من تقوقع أفراد الأسرة الواحدة، كل فرد مع تليفونه المتصل بالإنترنت والمفتوح على العالم الافتراضي غير المحدود من شبكات الاتصال وفضاءات المعلومات.. يحدث هذا حتى في أثناء زيارات الأسر بعضها لبعض، وفي المناسبات العائلية المفترض أنها وسيلة للتواصل الشخصي لا الفضائي!

والملاحظ أنه مع كل تغير جذري في حياتنا، يطرح البعض تساؤلا حول إمكانية مخاصمة هذا الوافد الجديد، والاستغناء عما يقدمه من مميزات في سبيل تجنب آثاره الضارة.

ورغم بريق هذا التساؤل، وما قد يمثله من حل مثالي لتجنب سلبيات هذه النقلات النوعية؛ فإنه لا يبدو حلا واقعيا؛ وإلا لأمكن للمسلمين الأوائل أن يتجنبوا ترجمة التراث اليوناني، رغم ما حمله من مفاهيم وأفكار خاطئة، كان لها تأثير سلبي في انحراف بعض التيارات الإسلامية التي تأثرت به.

وفي العصر الحديث، ومع ظهور الطباعة والكهرباء، صدرت بعض الأصوات التي تحرم طباعة القرآن الكريم والكتب الدينية، وتمنع قراءة القرآن أو رفع الأذان عبر موجات الأثير والمكبرات الصوتية.. وفي الجانب المسيحي، في العصور الوسطى المظلمة في الغرب، نادى بعض القساوسة بتحريم التطعيم ضد مرض الجدري، لأن ذلك يمثل اعتراضا على قدر الله!

هكذا نرى أن الوافد الجديد تتنازعه الآراء، وأن الحل الأسهل لدى البعض هو مخاصمته ومقاطعته بدلا من التفكير في كيفية الإفادة منه، وتقليل آثاره الجانبية.

إذن، لا مفر من التواصل والاتصال، وعلينا أن نفكر في تحويل مجرى السيل للإفادة من النقلات النوعية في حياتنا، أو على الأقل لتخفيف تأثيرها السلبي فينا.

## فوائد جمة

دعونا نبدأ بالإشارة لبعض أهم الفوائد والإيجابيات التي يتيحها «عصر الإنترنت»، حتى نرى الصورة من جميع زواياها.

وأول هذه الفوائد:

سهولة التواصل وسرعة تدفق المعلومات والأخبار؛ فالأحداث التي تجري في طرف من الكرة الأرضية يمكن متابعتها في الطرف الآخر في اللحظة نفسها، ودون الحاجة لوسائل ومعدات كبيرة باهظة التكلفة، بل من خلال جهاز محمول بحجم الكف. والمعلومات التي كان الوصول إليها يستغرق زمنا كبيرا وتكلفة عالية وتفرغا وسفرا، أصبحت بين يديك، ويمكنك زيارة أرشيفات كبرى المكتبات والجامعات والصحف والمجلات، وإجراء عمليات التسوق والشراء، وأنت قابع خلف مكتبك دون عناء.

الفائدة الثانية: ترسيخ مكانة «الخبر» والمعلومة في مقابل «الرأي» والتحليل.. فتدفق عشرات الأخبار في اللحظة الواحدة جعل المرء يشعر بقيمة «الخبر»، وبأن «الرأي» والتحليل يقترب من الموثوقية كلما كان مبنيا على خبر صحيح.

الفائدة الثالثة: تخطي الحواجز، والتقريب بين الثقافات.. فمع تقدم الحضارة وتطور أدواتها في المعرفة والاتصال يصبح حاجز الجغرافيا

والزمان أقل جدوى، ويمكن للإنسان أن يتخطى هذين الحاجزين بيسر وسهولة، حتى من دون تبديل المكان أو تجاوز الزمان!

وهذا التلاشي لحاجزي المكان والزمان عمل بدوره على التقريب بين الثقافات، وعلى أن تطلع الشعوب على ثقافات بعضها البعض. ومن ثم، تزيد مساحة المشتركات بينها، بل وتتوحد تطلعاتها في المجمل. فمفاهيم مثل الحق في التعليم، وفي الحياة الكريمة الآمنة، وفي حرية الرأي والتعبير، وضرورة التصدي للفساد والغش التجاري، وأهمية المشاركة في النهوض بالمجتمع وتفعيل العمل المدني.. أصبحت مفاهيم ذات اهتمام مشترك للشعوب، على اختلاف ثقافاتها، بفضل عوامل كثيرة أهمها «عصر الإنترنت»؛ الذي أبرز قيمة هذه المفاهيم، وجعل الشعوب تطلع بيسر على التجارب الناجحة لدى الآخرين فيها، وعلى ما يمكن تحقيقه من مكاسب إذا تم تفعيلها في أرض الواقع.

## تحديات بلا حصر

أما في التحديات والسلبيات التي تترافق مع «عصر الإنترنت»، فيمكن القول: كما أن فوائد «عصر الإنترنت» بلا حصر، فتحدياته أيضا بلا حصر! بل يمكن ملاحظة أن تلك الفوائد والإيجابيات تحمل هي ذاتها، تحديات وسلبيات!

• فإذا كان من فوائد «عصر الإنترنت» سهولة التواصل وسرعة تدفق المعلومات والأخبار؛ فإن من تحدياته أن هذه السهولة والسرعة يصعب ملاحقتها ومواكبتها، فضلا عن الاستعداد لها. كما أن كثرة المعلومات والأخبار قد تشغل الذهن عن التأمل فيها، وسبر أغوارها، فيصاب المرء بحالة من اللهاث وراءها، ومن السطحية في التفكير.. ولذا نجد البعض عنده وفرة في المعلومات والأرقام، لكن ليست لديه القدرة على قراءة ما وراءها، وتحليل ما تشير إليها.

• وإذا كان من الفوائد ترسيخ مكانة «الخبر» والمعلومة في مقابل «الرأي» والتحليل؛ فإن كثيرا من هذه الأخبار والمعلومات يصعب التدقيق فيها، وقد تؤدي إلى حالة من البلبلة الفكرية واهتزاز النسيج الاجتماعي. لقد أصبح الجميع منتجين للأخبار، خاصة في مواقع التواصل الاجتماعي (Social Media)! وقد يصعب التأكد من صحة ما يطرح إلا بعد مرور وقت تكون فيه الأخبار غير الدقيقة قد فعلت فعلها، وقامت بالغرض منها! وقد لا يلتفت البعض لمحاولات التصحيح نتيجة لتدفق الأخبار!

**مواقع التواصل الاجتماعي جعلت الجميع منتجين للأخبار**

• وإذا كان من فوائد «عصر الإنترنت» التقريب بين الثقافات وتخطي الحواجز المكانية والزمانية، فإن هذا التقريب يستصحب معه بالضرورة أفكارا مغايرة لقيمنا وثقافتنا؛ والتي يزداد تأثيرها السلبي عند الشباب؛ بسبب عدم التحصين الفكري لديهم بدرجة كافية، ولأن هذه الأفكار تخاطب الغرائز والشهوات.

ولذا، رأينا في الآونة الأخيرة انتشار موجات من الإلحاد، ومن التشكك في الثوابت والقيم؛ إضافة إلى بروز تيارات منحرفة وجدت لها جمهورا عريضا، لسهولة وصولها إليه دون عائق ودون عناء؛ بخلاف ما كان يحدث سابقا، قبل «عصر الإنترنت».

لقد انفتح وعي الشباب مبكرا، بسبب سهولة التواصل، على أفكار ومنزلقات هو غير مستعد لها؛ سواء فيما يخص الشبهات الفكرية أو موجات الانحلال.. وما لم نسارع إلى تحصين شبابنا وإنقاذه من براثن هذه التيارات، فإن مستقبلنا مهدد بالخطر، وأثمن ما نملك، وهو الشباب، مهدد بالضياع!

• إن «عصر الإنترنت»، بشبكات تواصله العملاقة وبشركاته العابرة للقارات، هو نتاج الرأسمالية وقيمها، ويصب بدرجة أساسية في مصلحة منتجيه.

ولذلك، يلاحظ الأكاديمي الفرنسي فريدريك باربيه أن «استخدام التكنولوجيا الجديدة يعمل على تفكيك الشبكات التقليدية»، ويضيف: «كمثال في عالم النشر ووسائل الإعلام، استحوذت المجموعات الكبرى بثقلها الاقتصادي والمالي، كالناشرين عبر الإنترنت (أبل أو أمازون)، على السوق العالمية؛ وهي تقوم ببناء مكتباتها أو كتالوجاتها عبر الإنترنت من خلال التفاوض مع الناشرين التقليديين، والاستفادة من نسبة كبيرة من عائدات المبيعات». ويرى باربيه أن تركيز هذا النفوذ بأيدي قلة من الشركات متعددة الجنسيات يثير مسألة الخيارات التحريرية: ما هو الأفضل للنشر ولأي جمهور؟

تجدر الإشارة أيضا إلى أن هذه الجماعات الرأسمالية، بثقافتها القائمة على الابتكار التكنولوجي، هي غربية بالأساس: وهناك ما يدعو إلى الخوف من أن تعمل الثورة الرقمية على منح امتيازات للبلدان المتقدمة، وتفاقم من اتساع الهوة الثقافية العالمية (٤).

## أسئلة ومقترحات

إذا كان هذا هو الحال بالنسبة لما يوفره «عصر الإنترنت» من فوائد وفرص، وما يستتبعه من تحديات وسلبيات؛ فإن السؤال الكبير هو: كيف نحول هذه التحديات إلى فرص؟ وكيف نتجنب الآثار السلبية، أو نخفف منها؟

وفي هذا الصدد، نشير إلى نقطة مهمة، وهي أن تراجع موقفنا الحضاري، هو ما يضاعف من سلبيات «عصر الإنترنت»؛ لأننا نتعاطى معه من موقع المستهلك والمستهدف، لا المنتج والفاعل.. ولو أن هذا العصر جاء ونحن في حالة حضارية جيدة، من الاعتزاز بمبادئنا ومن الإسهام



الفعال في الحضارة المعاصرة، وكنا نملك زمام المبادرة ولسنا في مقعد المتفرج والمستهلك؛ لكان لنا أن ندخل «عصر الإنترنت» دون خشية، ولكانت سلبياته بالنسبة إلينا قليلة جدا.

ومن هنا، فالحل الأمثل هو أن نصحح أوضاعنا في المجالات كافة، وأن نعمل على أن يكون لنا موقع متقدم في درجات السلم الحضاري، كما كنا في أوج نهضتنا.. وأن ننتقل من مقاعد المتفرجين إلى المشاركين والفاعلين والمنتجين.

وإذا أردنا خطوات محددة يمكن بها أن نتفادى الآثار الجانبية لعصر الإنترنت، أو نقلل منها؛ فمن المهم إنجاز عدة نقاط أساسية، منها:

- الاهتمام بمناهج التربية والتعليم والتثقيف؛ بما يواكب هذه التحديات، ويحصن الشباب تربويا وفكريا.
- تقديم إعلام ناجح؛ يكون قادرا على المنافسة، ويتمتع بالمصداقية، ويعمل على ترسيخ قيمنا الإسلامية.
- إنتاج خطاب إسلامي واع؛ يمكنه مخاطبة الشباب، والتعامل مع همومهم وقضاياهم، ويجيد التواصل معهم بلغتهم وأفكارهم.
- تفعيل دور المساجد في التوعية والتثقيف؛ بحيث تكون محاضن تربوية، خاصة للشباب، وليتكامل دورها مع أدوار الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام.
- إطلاق برامج للتوعية الفكرية والدينية تناسب الشباب، خاصة في وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، تويتر، إنستجرام، سناب شات...إلخ)، وتكون ذات محتوى جيد وقصير، وبلغة سهلة واضحة مقنعة.
- تقوية النسيج الاجتماعي، والتماسك الأسري؛ بما يحفظ الشباب من الانزواء والعزلة.
- تفعيل دور المجتمع المدني والجمعيات الأهلية، بما يستوعب طاقات الشباب في العمل الخيري، ويعزز انتماءهم لمجتمعهم.
- تشجيع الصناعات المحلية ودعمها، وإزالة الحواجز البيروقراطية التي تعوقها؛ حتى تكون قادرة على المنافسة ولو بشكل نسبي.
- التقليل قدر الإمكان من المنتجات الحديثة، وعدم الانجرار وراء كل تحديث منها، خاصة للأطفال.. وهنا نشير إلى ما ذكره «بيل جيتس»، مؤسس شركة «مايكروسوفت» العملاقة في مجالات التكنولوجيا، في حوار مع صحيفة «ديلي ميرور» البريطانية، من أنه يمنع أبناءه من استخدام الهواتف الذكية والتابلت قبل سن الـ ١٤عاما؛ موضحا أن اتباع نسق متزن في التعامل مع تلك الأجهزة يساعد الأطفال على النمو بصورة طبيعية (٥).

نعم، «عصر الإنترنت» هو عصر الكثير من الاتصال والتواصل والتقنيات، وعصر المزيد من عوامل الجذب والإبهار، وتدفق الأخبار والمعلومات، وتسهيل المعاملات والمبادلات.. لكن ما لم ننشغل بأسئلة المناعة والفاعلية، وبشروط الإنتاج والإسهام؛ فإننا سنكون عرضة للتأثيرات السلبية لهذا العصر، ولن نحصد منه إلا ما يضعف هويتنا، ويكبل خطواتنا في طريق النهوض الحضاري المأمول.

### الهوامش

١- راجع المزيد في مادة «الثورة الصناعية»، على موقع «ويكيبيديا».

٢- المصدر السابق، مادة «الإنترنت»، باختصار.

٣- «الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني؟»، لوتشيانو فلوريدي، ص ١٠، ترجمة لؤي عبدالمجيد السيد، سلسلة «عالم المعرفة»، ٤٥٢، سبتمبر ٢٠١٧م.

٤- من حوار مع فريدريك باربيه، ترجمة مروى بن مسعود، مجلة «الدوحة»، العدد ١٢٠، ص ١٩، أكتوبر ٢٠١٧م.

٥- نقلا عن موقع صحيفة «المواطن»، السعودية، بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠١٧م.

شيماء بدير
كاتبة مصرية

# اللغة العربية في تحد جديد

اللغة العربية هي الأداة التي من خلالها تحفظ هوية الأمة، ومن دونها تنسلخ عن تاريخها. وللغة الضاد قيمة كبيرة في حياة الأمة العربية، فهي الأداة التي من خلالها تنتقل الأفكار والمفاهيم، ويحدث تواصل الأمة وتحفظ هويتها وكيانها ووجودها، وتحميها من الضياع والذوبان في الحضارات الأخرى.

واللغة العربية هي من أكبر اللغات وأكثرها دقة، واللسان المعبر عما بداخل الأمة العربية.

وللأسف انتشرت في السنوات الأخيرة لغة ابتكرها الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات والمدونات و«الشات»، حتى أصبحت سمة سائدة للتواصل فيما بينهم. لكن أكثر ما صار مزعجا في الآونة الأخيرة، خضوع مواقع الترجمة العالمية لهذه اللغة؛ بمعنى إنك عندما تستدعي معنى كلمة من موقع «غوغل للترجمة» على سبيل المثال، سوف تصدمك الكلمة العربية وهي مكتوبة بالأحرف اللاتينية.

لقد أطلق الشباب على هذه اللغة «الفرانكوأراب» أو «العربيزي»؛ وهي كتابة اللغة العربية بحروف إنجليزية، بالإضافة إلى استبدال أرقام ببعض الحروف العربية التي لا يوجد لها نظير في اللغة الإنجليزية، فرقم ٣ يدل على حرف «ع» وهكذا. وهي أبجدية مستحدثة غير رسمية، ظهرت منذ بضع سنوات، وأصبحت تستخدم على نطاق واسع بين الشباب في الكتابة عبر برامج الدردشة على الإنترنت في المنطقة العربية. وتُنطق هذه اللغة مثل العربية تماما، إلا أن الأحرف المستخدمة في الكتابة هي الأحرف والأرقام اللاتينية بطريقة تشبه الشيفرة، ومن هذه الرموز: (٢=أ)، (٣=ع)، (٥=خ)، (٦=ط)، (٧=ح)، (٨=غ).

## خطورة الظاهرة

طريقة الكتابة سهلة بهذه الطريقة، وتجذب شبابنا، وتتركهم لقمة سائغة للغزو الثقافي والفكري والبعد عن لغتهم الأم. وهذه اللغة تتعارض مع لغتنا وتحاول تشويهها من خلال استبدال كلمات لا تمت إلى اللغة العربية بصلة بها، ويتم استخدامها في مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما ينذر بحدوث كارثة ثقافية بإنشاء جيل من الشباب المسلم لا يستطيع قراءة اللغة العربية بحروفها، فلا يستطيع قراءة كتاب الله ولا إقامة شعائره الدينية على ما ينبغي، فتزداد الهوة بين نصوص الوحي وبين المسلم أكثر وأكثر.

والشبكة العنكبوتية، بفضائها المفتوح في كل الاتجاهات، عزلت اللغة العربية بتأثير العامل الخارجي بشكل أكثر حدة من ذي قبل، وذلك باستيراد مصطلحات جديدة شاع تصديرها إلى بيئتنا العربية، وتوسع استخدامها بشكل لافت للنظر في الأوساط المدرسية والجامعية، بل وتعداها إلى صلب البيئة الاجتماعية العامة، وفي أوساط الشباب بشكل خاص، الذين بدأوا يعبثون باللغة العربية في كل مجالات الاستخدام لمصلحة ترسيخ استخدام اللغات الأجنبية العالمية، والإنكليزية منها بالذات، ليس كلغة عالمية في تدريس العلوم في المعاهد والجامعات فقط، بل كلغة فنية في البرمجيات، وشبكة الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي العنكبوتية، والقنوات الفضائية.. وغيرها من وسائل الاتصال المعلوماتي المعاصرة.

ولا شك أن التنكر للغتنا بما أفرزه من تحديات ذاتية، وبالتآزر مع تأثير العامل الخارجي، هو ما أدى إلى حدوث هذا التطور المخيف، وهو ظهور لغة «الفرانكوأراب» بين الشباب العربي، وهو استبدال أحرف لاتينية بالأحرف العربية.

## وجهات نظر

محمد سمير (صاحب مدونات) كتب رأيا مهما وهو: «الحروف على لوحة المفاتيح سيئة التخطيط واستخدامها مؤلم! هذا بالنسبة إلى الحروف اللاتينية أما حال لوحة المفاتيح العربية فهو أسوأ كثيرا. وتخطيط الحروف على لوحة المفاتيح العربية تم من دون مراعاة تواتر الحروف العربية وتشابه بعضها مع بعض».

أحمد نصر: «اقترح تغيير أماكن

الحروف العربية على لوحة المفاتيح بحيث نضع الحروف العربية على نفس الأزرار اللاتينية الموجودة على لوحة المفاتيح لتسهل الكتابة بالعربي والإنجليزي في نفس الوقت، وذلك حتى لا تندثر حروف اللغة العربية». وبالتالي لابد من الانتباه إلى المخاطر والنتائج المترتبة على تنحي اللغة العربية عن الاستخدام في كثير من المجالات، وما يعكسه ذلك من خطر فادح على مستقبل الشباب العربي بفقدان الهوية العربية والتحول إلى مجرد مسخ لا يحمل أي لغة تميزه عن غيره من الأمم.

صفاء الدين صالح الفلكي: «اللغة العربية تمثل أهم عناصر هويتنا العربية، لكن رغم كونها لغة التعليم والتخاطب الرسمي، فإن اللهجة العامية تبقى هي السائدة في كل أقطار عالمنا العربي». والأكثر من ذلك أن كثيرا من العرب لا يجيدون لغتهم. إذن لابد من تغيير وتطوير قواعد اللغة العربية التي تدرس الآن، وهي بالأساس وضعت من قبل الأعاجم. وعليه لابد من تطور اللغة العربية لتبقى حية وتواكب العصر ونهضته في كل جوانب الحياة، مثلما تشهده كل اللغات الحية. وبعكسه ومع الأسف ستكون الغلبة للغات الأجنبية، لاسيما في التعليم العلمي كما هو سائد حاليا في معظم جامعاتنا العلمية. وعليه، من المهم أن تقدم الحلول العملية وتطبق على أرض الواقع بدلا من مواصلة ترديد الخطاب العاطفي.

## خطة عاجلة

ولذلك لابد من وضع خطة عاجلة ومدروسة ضمن مشروع قومي للنهوض باللغة العربية.

■ التركيز على التدريس باللغة العربية في جميع المجالات داخل المدارس والجامعات والمعاهد العربية، لاسيما أن إمكانات التعريب تبدو اليوم أفضل من ذي قبل بكثير، بسبب توافر الكفاءات العلمية العربية التدريسية والمترجمة، وتراكم خبرتها في هذا المجال.

■ توعية الشباب بمخاطر اعتماد لغة الدردشة في التخاطب بدلا من العربية الفصحى، وتعميق مبدأ الاعتزاز باللغة العربية باعتبارها من أهم دلائل الهوية العربية والإسلامية، ومن أبرز مقومات الوجود العربي والإسلامي. ولعل من المفيد في هذا المجال الإشارة إلى أن الإسلام قد رسخ خصوصية اللغة العربية، باعتبارها وعاء التنزيل، ولغة الوحي ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف:٢) فامتلكت بهذا التشريف الإلهي نوعا من الرمزية العالية، تحصنها من المسخ، وتحميها من التشويه، طالما وجدت من أبنائها حرصا صادقا على رعايتها والاعتزاز بها والحفاظ عليها.

■ تخصيص جوائز توزع على العائلات التي تحرص على تشجيع أبنائها على استخدام حروف اللغة العربية في أساليب التواصل الحديثة.

■ إقامة المسابقات لإبراز مهارات السرعة في استخدام حروف اللغة العربية في أساليب التواصل الحديثة بلغة سليمة معبرة في موضوعات يتم اقتراحها، وذلك لجميع المستويات العمرية والمراحل الدراسية، لاسيما الجامعية منها، ويمكن أن تخصص منحة دراسية للطلبة المتفوقين لمواصلة دراستهم.

■ إقامة مشاريع جماعية للطلبة لمناقشة استخدام حروف اللغة العربية في أساليب التواصل الحديثة بلغة سليمة معبرة.

■ إقامة ورش عمل جماعية للمتخصصين لتبادل الآراء حول المشكلات التي تحول دون استخدام حروف اللغة العربية في أساليب التواصل الحديثة بلغة سليمة معبرة؛ لوضع الحلول المناسبة التي تساعد على نشر اللغة العربية، وتزيل كل ما يواجهها من أخطار.

■ تشجيع المتخصصين في اللغة العربية والتقنيات على إبداع طريقة سهلة للتواصل باللغة العربية من خلال وسائل التواصل الحديثة، بعيدة عن التعقيد، كما هي الحال في استخدام الحروف اللاتينية.

■ عقد المؤتمرات المحلية والدولية التي تهدف إلى بناء جسور الثقة بين المتخصصين في اللغة العربية والتقنيات؛ لتبادل الآراء، والحوار والمناقشة؛ لوضع الحلول المناسبة من خلال التعاون البناء الذي يهدف إلى إزالة الأخطار التي قد تنتج عن استخدام اللغة العربية بحروف لاتينية في وسائل التواصل الحديثة.

وفي الختام لن نستطيع استعادة هويتنا إلا بالحفاظ على لغتنا من أي محاولة لتشويهها أو العبث بمكوناتها.. لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، وهذا يدفعنا إلى إجادة استخدامها والاعتزاز بكوننا نتكلم بها؛ لأنها نعمة من نعم الله.

عبد المجيد قاسم
كاتب سوري



# الثقافة.. ومدارات الفضاء الافتراضي

اعتمد نشر الثقافة ونقلها على الوسائط المكتوبة لأزمنة طويلة، وبشكل أساسي؛ المخطوطات والكتب والمجلات، ثم الوسائط المجسدة كالمسرح، وغيرها من الوسائط التقليدية بدرجة أقل، كان ذلك قبل ظهور الأشكال الحديثة والمتطورة التي تعرف بالوسائط المرئية المسموعة، كالأفلام المسجلة والبرامج التربوية والتعليمية الإلكترونية، وغيرها من وسائط التكنولوجيا الرقمية.. ليصبح لهذا النوع من الوسائط دورا حيويا في إيصال النتاج الثقافي بأشكاله، عبر استغلال التطورات الهائلة على مستوى التقدم التكنولوجي وإفرازاته الحديثة.

ونحن إذ نناقش هذه النقلة الجبارة لا نعني بذلك المحطات التلفزيونية الفضائية أو الإذاعية فحسب، وإنما مختلف أشكال الإعلام المرئي والمسموع، بما فيها شبكة الإنترنت التي باتت من أغزر منابع العلوم والمعرفة، وأهم روافد الحياة الثقافية عموما، وأساسا متينا للتوجهات المستقبلية في مجتمع المعلومات والاتصالات.

وأوجدت «شبكات التواصل الاجتماعي»، كأهم مرتكزات هذه النقلة، مفاهيم جديدة في العملية التثقيفية برمتها، وجعلت المجال مفتوحا للرأي والرأي الآخر، بل إنها تخطت ذلك كله. كما أسهمت هذه الشبكات في تخطي المعوقات الموجودة لدى المؤسسات الثقافية التقليدية، ونقل الثقافة وأساليبها إلى آفاق رحبة، حيث باتت الصورة الإلكترونية البسيطة تصل إلى المتلقي بسهولة.

وقد أسهمت المنتديات الإلكترونية العامة المتخصصة (الثقافية والاجتماعية) بدور فعال في



الحراك الثقافي ونشر أساليب الحوار، وأصبحت المنتديات الثقافية خصوصا ملتقى لبث الأفكار، ومركزا لتبادل الآراء ونشرها، ذلك بالنظر إلى سهولة النشر، والحرية النسبية في التعبير، وكذلك لما أتاحته وتوفره هذه المنتديات من فرص معرفية واستكشافية أكثر للثقافات المختلفة.

وأظهرت، هذه المساحات الإلكترونية، المواهب الإبداعية الجديدة، ومنحتها فرصة التعريف بنفسها وإبداعاتها، وأصبحت تواكب الهم الثقافي، وتضعه على مرأى ومسمع الجميع، ناهيك عن دورها في تكوين علاقات قائمة على التقارب الفكري وتعزيز الانفتاح الثقافي، والتأثير في التكوين الثقافي العام للمجتمع.

وللمنتديات الإلكترونية إيجابيات، يمكن حصر بعضها في النقاط التالية:

- إسهامها في إبراز دور الأدباء والفنانين والمبدعين في المجالات كافة، ونشر إنتاجهم بشكل لم يكن ليتحقق عبر الصحافة الورقية.

- المقاربة بين أصحاب الميول المشتركة من الكتاب والمثقفين، وخلق مساحات حرة لتداول الأفكار بينهم.

- التخلص من هواجس الرقابة ومقص الرقيب الذي أقصى -مرارا- الكثير من الأفكار والطروحات الجادة.

وكما أن للمنتديات إيجابيات، فإن لها أيضا سلبيات، ونذكر منها ما يلي:

- تعميق التناقض بين المجتمعين الرقمي والواقعي، والغياب -لدرجة ما- في الوعي الأخلاقي والإطار القانوني والمهني الذي ينظم عمل المنتديات ويحفظ الحقوق الفكرية.

- تباين مستوى المواضيع والمواد الثقافية والأدبية من حيث رصانتها، والتخلي عن الشروط الإبداعية للمادة في معظم المواد المنشورة، ونشر بعض المواد الأدبية السطحية، أو مناقشة قضايا لا ترتقي بالمشهد الثقافي العام.

- تكرار نشر المادة الثقافية بعد ساعات في منتديات ثقافية أخرى، وبعضها بدون أسماء كتابها.

وفي حقيقة الأمر؛ لا يمكن تقييم جميع المنتديات الثقافية بالمقدار نفسه، فهناك مواقع ومنتديات ثقافية جادة ومتقدمة، وبعضها أقل في المستوى.. ولعل الأخيرة تكون أكثر حاجة للارتقاء بعملها عبر البحث عن الأشكال والأساليب الأجود لأدائها، وعدم بقائها كمستهلكة للمعرفة، إنما العمل على إنتاج المعرفة وإعادة تعريفها. يضاف إلى ذلك ضرورة الالتزام بالمعايير القيمية والفكرية الشفافة، واختيار المشرفين الأكفاء، والمعرفة الأخلاقية خلال عملية التعاطي مع فضاء الثقافات الإلكترونية. والأهم من ذلك هو اجتهاد القائمين على هذه المنتديات لتحقيق دور أكثر فاعلية في نقل الثقافة إلكترونيا، وبث الآراء والأفكار القادرة على تسجيل إضافات جديدة ومتميزة في الحياة الثقافية.. وهذا الأمر مرهون بالقدرة على توظيف هذه المعرفة، وتطوير آفاق صناعة الإعلام الثقافي في نطاق الفضاء الإلكتروني عموما.

أحمد البسطويسي
باحث في أصول الفقه
والشريعة



# ثورة العصر

لا شك أن شبكة الإنترنت تمثل ميدانا خصبا للدراسة وذلك بسبب تعدد أنماط البيان فيها وسهولة استخدامها؛ وتزداد الحاجة إلى هذه الشبكة يوما بعد يوم، ومن هنا فالسعي إلى تسخير تلك الشبكة لخدمة الإنسانية يعد ضرورة حتمية، وليس خافيا على أحد ما تتمتع به هذه الشبكة من مميزات تفوق الوسائط الإعلامية الأخرى، ولا يمكن إغفال ما يحدثه الإنترنت من تفاعلية بين المشاهد وبين مصدر المعلومات من خلال قنوات الحوار والاستطلاعات وإبداء الرأي في مختلف القضايا.

لقد باتت شبكة الإنترنت وما تحويه في طياتها من مواقع غير ملائمة لمجتمع مسلم محافظ، تشكل خطرا كبيرا على جميع فئاته لاسيما فئة الشباب التي تمثل الشريحة العريضة في لبناته، وبالتالي لا نستطيع تجاوزها أو التغافل عنها، وسوف نقوم بعرض أبرز إيجابيات وسلبيات هذه الشبكة العنكبوتية التي باتت في كل بيت من بيوتنا.

## إيجابيات الإنترنت

الحصول على المعلومات بسرعة وسهولة، مع توافر المراجع ذات القيمة المعلوماتية الكبيرة.

التواصل الاجتماعي بين الناس من خلال الشبكات المتخصصة التي مكنت الناس من التواصل مع بعضهم البعض مهما بعدت المسافات.

تلقي العلم وما توصل إليه العالم من إنجازات ثقافية، وعلمية، وتكنولوجية جديدة، كما يمكن حل مشكلة مستعصية عن طريقه، وذلك بمراسلة أحد المثقفين أو الأطباء واستشارتهم في الموضوع.

نقل الرسائل والملفات بسهولة وسرعة من شخص إلى شخص ومن شركة إلى أخرى.

التعلم عن بعد، وذلك للأشخاص غير القادرين على الخروج من المنزل.

التعرف على أصدقاء جدد لتبادل الآراء بسهولة، والتعرف على الثقافات الإيجابية لكل بلد.

اعتبار الإنترنت حقيبة معلومات شخصية متنقلة مع المستخدم؛ لأن كل شخص قادر على بناء موقع يتضمن المعلومات التي يريدها وقادر على الوصول إلى هذا الموقع من كل مكان في العالم في أي وقت يحتاج هذه المعلومات فيه.

إلى ذلك الكتب العديدة والقيمة التي يمكن قراءتها وطباعتها عبر الشبكة أو نسخها بأكملها إلى الحاسب الشخصي إضافة إلى ذلك هناك الجرائد، والمجلات والمقالات في العديد من المجالات التي يمكن الاستفادة منها، لذا بإمكان كل

شخص استخدام الشبكة كمكتبة شخصية له، يستطيع من خلالها الاطلاع على الموضوعات التي يرغب فيها.

### مضار الشبكة العنكبوتية

إن إدمان الإنترنت والجلوس لساعات متواصلة أمام شاشات الكمبيوتر له أضرار حقيقية تتنوع بين الأضرار الجسدية والدينية والاجتماعية، وفيما يلي التفصيل:

### الأضرار الجسدية

آلام العين وجفافها، ما يؤدي إلى ضعف البصر تدريجيا ومن ثم فقدانه في حالات كثيرة.

السمنة وزيادة الوزن، فالبعض يجلس أمام الكمبيوتر حتى وقت تناول الوجبات فتراه يأكل بيد بينما اليد الأخرى على الجهاز، كذلك سيمنع الإنترنت الشخص من القيام بالرياضة، أو على الأقل التحرك الطبيعي، بالتالي ستتراكم الدهون في الجسم وهو لا يشعر.

تعب وآلام في الجسد بشكل عام وأكثرها شيوعا آلام الظهر والرقبة والساقين والرأس.

فقدان التحكم في الأعصاب تدريجيا بسبب الإشعاعات الضارة الصادرة من الجهاز.

### الأضرار الاجتماعية

الكسل والخمول، ما يؤثر على إنتاجية الفرد سواء كان طالبا أم موظفا أو غير ذلك.

العزلة: حيث يقضي الفرد ساعات طويلة تعزله عن المجتمع القريب والبعيد عنه فالإبحار في الشبكة العنكبوتية يكون مصحوبا بعزلة معينة عن المجتمع المجاور (العائلة والأصدقاء)، ما يؤدي في حالات كثيرة إلى مشاكل منها اجتماعية وأخرى نفسية.

نشر الشائعات المخربة، وخسارة العديد من الأشخاص لسمعتهم وعلاقاتهم؛ بسبب هذه الشائعات والتي تكثر في غرف الدردشة، مما يعرض المستهدفين فيها للخطر.

## الإنترنت أصبح المصدر الرئيسي لتحصيل المعلومات

### الأضرار الدينية

إهمال الصلاة، والابتعاد عن قراءة القرآن، وذلك لطول فترة الجلوس أمام جهاز الكمبيوتر والانشغال به عن أي شيء يحدث.

عقوق الوالدين وعدم مصاحبتهما والاهتمام بهما وطاعتهما.

نشر الرذائل، وتدمير الأخلاق الحميدة عبر مشاهدة المواقع غير الأخلاقية، التي تهدف إلى فساد الأخلاق، خصوصا لدى فئتي الأطفال والمراهقين.

الاعتقاد أن المعلومات على الشبكة دائما صحيحة، ويلاحظ ذلك بشكل كبير، ويعتقد هؤلاء صحة المعلومات التي يحصلون عليها دون التأكد من صحتها ومن صحة مصدرها.

الاختلاط بين الجنسين في أغلب المنتديات ومواقع الدردشات مما له أكبر الأثر في عدم اتزان كل جنس تجاه الآخر.

التعرف على أصدقاء السوء، وانتشار العادات السيئة.

### كيف نحمي أبناءنا؟

إن حماية «أطفالنا وشبابنا» باعتبارها مسؤولية أسرية ومجتمعية، هي عملية وقائية، وتحصين نفسي ومعنوي وأخلاقي وإنساني في المقام الأول، ويمكننا أن نذكر عددا من الإجراءات الواجب اتخاذها حيال أبنائنا لوقايتهم من مخاطر الإنترنت وهي:

علينا التقرب من أبنائنا والحرص على إرشادهم وإعطائهم بعض النصائح حول استخدام شبكة الإنترنت.

يجب تعليم أبنائنا الحذر عند التعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت، وحثهم على عدم الاستجابة لأي طلب صداقة من أشخاص دون معرفة مسبقة بينهم وبين هؤلاء الأشخاص.

متابعة سجلات الجهاز ومتصفح الإنترنت المستخدم للتعرف على المواقع التي تصفحها الطفل أو تعامل معها، ومتابعة البريد الإلكتروني للطفل، والرسائل المتبادلة.

### رسائل

وفي الختام نوجه عدة رسائل فيما يخص التعامل مع شبكة الإنترنت:

**الرسالة الأولى**

أولى هذه الرسائل للشباب لدعوتهم لتقديم خبراتهم ومعلوماتهم وإغناء المحتوى الإسلامي عامة والعربي خاصة على الشبكة العنكبوتية، وهذا سهل ويسير وممكن عن طريق الأدوات المنتشرة حاليا بإنشاء مدونة تقدم فيها المعلومات المفيدة التي ستساهم بالتأكيد في رفع القدرات العلمية والثقافية للأمة.

**الرسالة الثانية**

ثاني هذه الرسائل للحكومات؛ لدعم مشاريع إثراء المحتوى الإسلامي والعربي، وتبني مواقع لعرض تاريخ وحاضر وخطط المستقبل للبلاد.

**الرسالة الثالثة**

ثالث هذه الرسائل لمنظمة التعاون الإسلامي؛ لتقديم مشاريعها الهادفة إلى إثراء الشبكة العنكبوتية بالمواد الإسلامية باللغة العربية واللغات الحية الأخرى، والتي سوف تسهم في توسيع دائرة المعرفة.

**الرسالة الرابعة**

رابع هذه الرسائل للجامعة العربية؛ لتبني مهمة تصفية وتدقيق المحتوى العربي؛ وهذا عن طريق إنشاء لجنة مختصة بهذا الموضوع، وعرض هذه النتائج بموقع عربي واحد يتسم بالثقة والقدرة على المنافسة، عبر تقديم المحتوى الصحيح بشكل بسيط، وفي صورة أرشيف على غرار الموسوعات العالمية، وتوسيع مهام هذه اللجنة مستقبلا لترخيص المواقع العربية الراغبة، ومراقبة محتواها دوريا؛ لضمان جودة المحتوى العربي.

إسلام لطفي
دار الإعلام العربية



# الإنترنت وإشكالية الاستخدام الخاطئ

كما السكين.. يمكنك أن تستخدمه إيجابيا في الطهي وما ينفع، أو تستخدمه سلبا في كل ما يسبب الأذى... هكذا الإنترنت سلاح العصر؛ مختصر المسافات والأوقات، وجامع العلوم والمعارف والأفكار... طفرة علمية أفادت البشرية قاطبة، وعلى الرغم من مزاياه العديدة، إلا أن بعض استخداماته قد تحول النعمة إلى نقمة كما قال عديد من الخبراء والمختصين الذين تحدثت إليهم «الوعي الإسلامي»، فإلى التفاصيل...

نبدأ مع د. عبدالحميد مدكور، أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية، الذي أكد أن الإيجابيات العديدة للإنترنت تكاد تتوارى حاليا خلف جدار من السلبيات الناجمة عن سوء الاستخدام، بسبب التوجهات غير الناضجة لدى الكثير من مستخدمي هذه التقنية، وأهونها أن تستخدم في الثرثرة والحديث عن وقائع شخصية قد يكون بعضها هينا جدا لا يستحق أن يعلمه أحد وليس في ذكره فائدة، وهناك من يكتب كل شيء يحدث في حياته مثل أنه «سينام الآن أو سيتناول الطعام أو يعلن عن موعد سفره أو غيرها من الأمور التي لا تحقق فائدة لأحد».

## سلبيات

وأوضح د. مدكور أن: «من المؤسف أننا نستخدم هذه الوسائل التقنية التي قد تكشف عن فوائد هائلة، استخداما سيئا وهي عادة ملازمة لنا، فعندما ظهر الفيديو قديما منذ عشرات السنين، كان الناس في جميع أنحاء العالم يستخدمونه في تسجيل العمليات الجراحية النادرة، أو بث المؤتمرات العلمية التي لا يطلع عليها إلا القليل من الناس، لنشر المعلومات والخبرة والاستفادة منها، بينما كان شبابنا يستخدمونه في عرض الأفلام الماجنة واللقاءات غير ذات الأهمية».

وأشار إلى أن الأمر له محوران أساسيان؛ أولهما: يتعلق بالجانب الأخلاقي؛ حيث تستخدم تقنية الإنترنت في أشياء تتصادم أحيانا مع الجوانب الأخلاقية لنشر صور أو بحث عن صور أو نشر كلمات وأسرار وفضائح، والجانب الثاني: يتعلق باللغة؛ حيث تستخدم أرقام بدلا من الحروف، وتستخدم كلمات هجينة ليست عربية أو أجنبية تسمى «الفرانكو» تضيع فيها اللغة العربية ضياعا مطلقا، وهذا يعطي انطباعا سيئا عن ثقافة هؤلاء، ويحط من مكانة اللغة العربية، ولا يمنح الناس فرصة قراءة شيء له قيمة، مشيرا إلى أن الجوانب الأخلاقية مهدرة في معظم الأحيان، واللغة كذلك.

## د. مدكور: سلوكياتنا حولته إلى هشيم يخلو من العلم وكل مفيد

وتابع أن: «من السلبيات الكبرى أن مواقع التواصل الاجتماعي تستهلك جزءا كبيرا جدا من الوقت، وكثيرا ما يجلس الشباب ويكتبون ويتلقون الرسائل، والأمر كله في النهاية كأنه حصاد الهشيم، ليس فيه جوانب إيجابية، إلا إذا كان هناك سؤال عن علم أو مشكلة فكرية أو شيء مفيد، وهذا نادرا ما يحدث، والعائد هنا يتوقف على طبيعة السائل ومتلقي السؤال».

## الإنسان لا التقنية

وقال د. أسامة مصطفى، خبير تكنولوجيا المعلومات: إن الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، لهما فوائد عدة، منها سرعة نشر المعلومات، إلا أن لهذه السرعة جانبا سلبيا إذا كانت المعلومة مغلوطة أو مجرد شائعة، علاوة على سرعة اتصال عدد كبير جدا من البشر في وقت قليل، وكذا من فوائده المساهمة في نشر معلومات تثقيفية ودينية؛ ما جعل العالم أسرة واحدة، لكن التخوف من أن ترتكب عن طريقه الجرائم.

## د. أسامة مصطفى: معيار النفع والأذى هو الإنسان وليس التقنية

وأضاف: «نحد من المساوئ، عن طريق توعية الناس بألا يشاركوا في نقل معلومة دون التأكد من صحتها، والرجوع إلى مصدرها، خاصة في ظل عدم وجود من يرد على المعلومات المغلوطة، لتوضيح حقيقة الأمر».

كما أوضح أن فكرة إصدار إنترنت عربي تستلزم ضرورة أن يكون به ميزة حتى يتجمع حوله الناس، ما يستوجب وجود شيء جذاب ولافت ومختلف.

وأشار إلى أن الرقابة الإلكترونية موجودة في جميع دول العالم، حتى تتم مراقبة كل ما يدور على مواقع التواصل الاجتماعي، موضحا أنه أحيانا تخضع الرسائل الخاصة للمراقبة، في حالة وجود أشياء خطرة أو وجود شبهات أو إرهاب أو عنف أو جريمة.

وتابع أنه لا يمكن القول بأن الإنترنت أضر بالبشرية، بل هي السلوكيات التي تتحكم في كل شيء، فبها يمكن أن يستخدم الإنترنت في كل ما يفيد وينفع، أو أن يستخدم في كل ما يضر ويؤذي.. فالمعيار هو الإنسان وليس التقنية.

## عزلة أسرية

بدوره، أكد وائل الكميلي، خبير التنمية البشرية أن بين كل شيء ونقيضه شعرة، والسلبيات والإيجابيات لا تعود إلى طبيعة الشيء نفسه ولكن إلى

كيفية استخدامه، فمواقع التواصل الاجتماعي عموما والفيسبوك خصوصا فتحت آفاق التواصل مع العالم أجمع، فأصبح لنا أصدقاء على مستوى العالم بسببها، وهي تتيح التواصل للجميع، ويأتي ذلك إلى جانب الجزء المعرفي أو الثقافي الذي يسمح بالنشر والاطلاع على آراء الغير أو موضوعاتهم أو فيديوهات مهمة.

وأضاف: «هناك سلبيات بلا شك أهمها: ظهور عالم افتراضي ووجود شخصيات وهمية؛ لأن أي شخص يستطيع أن يصدر حسابا، علاوة على أنها تضيع الوقت بشكل غير عادي، فهناك من يقضي ٦ ساعات يوميا، وربما أكثر، مستخدما تلك المواقع في غير تحصيل العلم أو تحقيق منفعة جوهرية».

كما أشار إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي، تؤدي بنا إلى ثقافات قد لا تكون ملائمة لثقافة مجتمعنا المسلم، عن طريق التعامل مع أشخاص من بلدان كثيرة، ما أحدث حالة من العولمة الثقافية أو الانفتاح المنفلت، الذي نجم عنه تغيير ثقافات الآخرين؛ فأخرجت أسلوب حياة مختلف عن كل المجتمعات فضاعت الهوية، لافتا إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي أحدثت حالة عزلة للأفراد، خاصة داخل الأسرة، حيث نجد كل فرد فيها في واد بعيدا عن الأب والأم. كذلك قد يكون الطالب في محاضرة فيكون نصف تركيزه فقط معها والجزء الآخر مع «السوشيال ميديا» فيقلل من عملية التركيز والاستيعاب.

وشدد على ضرورة معرفة ما هو مفيد وغير مفيد، خاصة أن الأمر وصل إلى درجة الإدمان. وقال: «هناك شيء في علم التنمية البشرية وعلم النفس يسمى البرمجة اللغوية

## الكميلي: أهدر الوقت والعلاقات الأسرية بسبب غياب ثقافة التعامل الناضج

العصبية، وهي تتمثل في أن الشخص عندما يعتاد على شيء يدمنه ويصبح جزءا من شخصيته، فبالتالي عندما يعتاد الشخص على «السوشيال ميديا» لا يستطيع الانفصال عنها بسهولة، ما يؤثر على درجة تفاعله مع المجتمع، علاوة على أن تلك المواقع تعد فخا يقع فيه من لا يستطيعون التعامل في المجتمع بشكل مباشر».

وأكد ضرورة الحرص على تحديد أوقات محددة ومعينة لاستخدام السوشيال ميديا منها التواصل مع الناس والجزء الترفيهي والتثقيفي، ويجب معرفة ماذا نستفيد من ذلك الاستخدام، حتى نعلم ما يؤدي إلى تعظيم الهدف والاستفادة منه، علاوة على تحديد الأوقات التي نستخدم فيها الإنترنت.

### الاستخدام

وقال د. أسامة عشم، أستاذ الموارد البشرية والخبير العالمي في التدريب، إن شبكة الإنترنت سهلت التواصل

## د. عشم: سهل التواصل والعلم والمعرفة.. والإشكالية في الاستخدام الخاطئ

والعلم والمعرفة بين الناس، إلا أن الإشكالية تتمثل في الاستخدام الخاطئ وبالتالي فإن برنامج تواصل مثل «فيسبوك» من الأشياء الجيدة لكن في حال استخدامه بشكل خاطئ يعطي نتائج عكسية، ويجب ضمان من نتعامل معهم، فكثير من الشباب يستخدمونه بطريقة خاطئة، ويجب تحديد الوقت الذي نستخدمه فيه لأنه قلل التواصل داخل العائلة نفسها.

وأوضح أن وجود شخص متلقيا فقط على تلك المواقع يخلق شخصية لا تستطيع التعامل مع الناس والدخول في حوارات متبادلة؛ لأنه اعتاد التواصل من طرف واحد فقط، ما يدخله في مشاكل شخصية، مشيرا إلى أنه يجب توعية النشء بكيفية الاستخدام، واختيار الوقت الأنسب لاستخدام الإنترنت، وتحذيرهم من إدمانه؛ إذ إنه كلما قل الحوار داخل العائلة قلت المودة والمحبة واختفت، علاوة على ذلك تزداد المشاكل؛ لأنها تتراكم ولا تحل؛ لعدم وجود وقت لذلك.

وأشار إلى أن تلك المواقع زادت من معرفة المعلومة من مصادر خاطئة، وجعلت العالم قرية صغيرة، وتزايدت الشائعات، علاوة على وضع صور يتم سرقتها والتلاعب بها على برنامج «فوتو شوب» ومن ثم نقلها بسرعة بين الجميع، ما زاد من الابتزاز عن طريق القراصنة الإلكترونيين، وخلق عالم جديد لم يكن موجودا... وخلاصة الأمر أن أسلوب استخدام الانترنت بيدك أنت تجعله فيما يفيد وينفع، أو تذهب به في طريق آخر لا تحمد عقباه.

### تقنين ورقابة

أما د. محمد مبارك، أستاذ علم

الاجتماع بجامعة الأزهر، فيرى أن الإنترنت اختصر المسافات، وساهم في تبادل وتطور المعارف والمعلومات، بالإضافة إلى تطور تكنولوجيا الصناعات في مختلف الميادين والمجالات؛ الأمر الذي ساعد في تقدم الشعوب والمجتمعات.

وأضاف: «لكن في المقابل سلبياته كثيرة أيضا، منها تفسخ الكثير من العلاقات الاجتماعية خاصة العائلية، واستنزاف وقت الشباب في الإنترنت وأدوات التواصل الاجتماعي، واستخدام أرباب السوابق والانحرافات هذه الوسائل في أعمالهم الإجرامية كالنصب والاحتيال، والتشهير بالشرفاء والغافلين من البنات والبنين، كذلك لجوء البعض لاستخدامه في الوقيعة والتجسس».

وشدد على أنه يجب تفعيل مراقبة هذه الوسائل وحجب المواقع التي من شأنها تخريب عقول الشباب، وإلهائهم عن واجباتهم، وتدعيم نشر ثقافتنا الإسلامية العربية بقيمها الأصيلة.

## نشر الدعوة

من جانبه أكد د. محمد مأمون ليله، المدرس بجامعة الأزهر، أن الإنترنت بات من الوسائل التي ساهمت في تطوير البشرية، وتقارب الناس والثقافات من بعضها البعض وكأنهم في قرية صغيرة، بل وفي بيت واحد، وهذا التطور السريع الكبير له إيجابيات وسلبيات بلا ريب، مشيرا إلى أن من أهم الإيجابيات أنه ربط العالم كله بمحرك واحد؛ فتقاربت الثقافات والأفكار، وتيسر الحصول على غالب المعلومات في غالب المجالات، ما أدى إلى انفتاح وتوسع ثقافي وعلمي واجتماعي، علاوة على سهولة الحصول على كثير من الكتب والأبحاث بشكل مجاني، خاصة بعد تضاعف أسعارها في الأسواق، ونشر المواد المرئية، والصوتية بكل يسر، وهذا أدى إلى انتشار الدعوة، وتوسع الخطاب الموجه إلى الناس، كما أوجد فرصة عظيمة للعلم والتعلم، وللتبادل الثقافي، وإتقان اللغات الأجنبية، علاوة على الرد على الشبهات المثارة حول الدين الإسلامي، وإقامة الحجة على أهل البدع، وأصحاب الأفكار الهدامة ونشر الدعوات الطيبة، والأخلاق الحسنة، والأفكار الراقية، إضافة إلى الاتصال بالعلماء لأخذ الفتوى عنهم، وسؤالهم في أمور الدين والدنيا، والإعلان عن دروس المساجد والمحاضرات العلمية.

**د. محمد مبارك: يجب تقنين ومراقبة استخدامه وتدعيم ثقافتنا الإسلامية**

وأضاف أنه أدى أيضا إلى الاستفادة التجارية من خلال عرض الشركات أعمالها عليه، وكذلك دخوله في كل المجالات والأعمال والمؤسسات كالبنوك، والجامعات، والمصالح الحكومية.

لكنه أوضح أن من أهم عيوبه؛ أنه وسع الفجوة بين أفراد الأسرة، فاكتفى معظمهم بتبادل الرسائل على الفيسبوك أو الفايبر أو غيرهما دون الزيارة الشخصية، وساهم في نشر بعض الثقافات الخاطئة في المجتمع من خلال الاستخدام غير الصحيح له، كما يظهر في بعض الأغاني والأفلام والبوستات التي تكتب وتنشر على بعض وسائله، كذلك تستخدمه بعض الجماعات المتطرفة في بث سمومها، وتجنيد الشباب من خلال وسائله وساهم في نشر بعض المعلومات الخاطئة عن طريق الأفكار المسمومة التي يحاول البعض نشرها في الأمة، بقصد أو بغير قصد.

**د. ليله: قارب الثقافات وأسهم في نشر الدعوة والرد على الشبهات**

وأضاف أن من الأضرار أيضا؛ سهولة الاطلاع على المواد الإباحية، التي تدمر المجتمع من أساسه، وتعبث بأفكار الناس وقد يؤدي إلى الإدمان، وانعزال بعض الناس عن العالم الحقيقي المحيط بهم، وخلق جو واسع من الوهم والخيال، وهذا يؤدي إلى أمراض نفسية وعضوية في كل الحالات، مثل الاكتئاب، والقلق، والخوف من المجتمع، إضافة إلى الأضرار التي تلحق بالعين والعمود الفقري والمفاصل والأعصاب وزيادة الوزن وغيرها من المخاطر الصحية.

وتابع أن: «الحل يكمن في رقابة الأسرة على أولادها؛ للحفاظ عليهم من الانحراف أو السقوط في هاوية الجنس أو التطرف، ويتطلب ذلك تدخلا من الدولة بغلق المواقع الإباحية قدر الإمكان، والتربية والتثقيف المستمر في المدارس والمساجد ونوادي الشباب، وتنبيههم لهذه الأمور الخطيرة، إلى جانب الوعظ من الدعاة والمصلحين؛ للارتقاء بالشباب روحا وفكرا، وغرس المبادئ الطيبة والأخلاق الراقية، وتعويدهم على مراقبة الله تعالى في السر قبل العلن، كما يلزم سن قوانين تحد من الاحتيال والسرقة والقرصنة، وتحارب الأفكار الهدامة والمذاهب المتطرفة».

د. أحمد راشد إبراهيم
مدرس النقد والأدب المقارن

# خدمة الإسلام في العصر الرقمي

شغلت شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت» الناس شغلا عظيما لاسيما المسلمين، ودار الكلام عنها بينهم فانقسموا أقساما ثلاثة؛ فمنهم من يمدحها مطلقا، ومنهم من يذمها مطلقا، ومنهم من ينظر إليها نظرة معتدلة؛ فيرى أن الإنترنت وسيلة قد تكون نافعة وقد تكون ضارة، وهذا يتوقف على استخدامنا لها، فإن استخدمت للنفع عم نفعها الجميع؛ مسلمين وغير مسلمين، وإن قصد من استخدامها الضرر لحق ضررها الجميع كذلك، وهذا القسم أقربهم إلى الإنصاف والحيادية.

وإذا كان الله تعالى قد ميز هذه الأمة وكرمها بأن جعلها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١١٠) ففي هذا ما يدل دلالة قاطعة على أن هذه الأمة التي صفتها الخيرية حري بها أن تنتفع بالوسائل التي تخدم الناس بأقصى درجة ممكنة، فتقدم للمسلمين وغيرهم ما ينفعهم ويرشدهم إلى ما يجلب سعادة الدارين.

## شروط

ومما سبق بيانه عن الإنترنت يتضح لنا أنه أداة يمكن استخدامها في الترويج للخير، كما يمكن بها الترويج للشر، لكن العبرة موقوفة على مستخدمه، ولما كان الأمر هكذا، وكان من يسر الشريعة السمحة استخدام ما ينفع الناس وييسر لهم أمور دينهم ودنياهم، وكانت الشبكة العنكبوتية وسيلة من الوسائل التي يمكن استخدامها لدعوة الناس إلى الخير، والحق لم يكن ثمة مانع من استخدامها لا سيما عند توافر الشروط في هذه الوسيلة، وبيان هذه الشروط على النحو التالي (١):

**أولا:** عدم مخالفتها للشرع الحكيم؛ فيشترط في الوسيلة أن تكون غير محرمة شرعا.

**ثانيا:** أن يكون المقصد الذي تفضي إليه غير محرم.

**ثالثا:** النظر في درجة إفضاء هذه الوسيلة إلى ذلك المقصد، فإن كانت لا تفضي إليه أو كان إفضاؤها إليه نادرا سقط اعتبارها حينئذ.

**رابعا:** ألا يترتب على التوسل بهذه الوسيلة إلى مقصدها مفسدة تزيد على مصلحة هذا المقصد أو تماثلها.

فإذا ما توافرت هذه الشروط، و«كانت الوسيلة غير محرمة في ذاتها، كالحاسوب مثلا، والمقصد واجبا، كالدعوة إلى الله تعالى، وكانت درجة إفضاء هذه الوسيلة وهو التأثير على المدعوين غالبا أو مقطوعا به، ولا يترتب على استخدام هذه الوسيلة مفسدة أعظم من المصلحة المترتبة عليها؛ فلا شك حينئذ من وجوب استخدام هذه الوسيلة، فما لا يتم

## من مزايا الإنترنت إظهار سماحة الإسلام

الواجب إلا به فهو واجب» (٢).

وعلى ما سبق بيانه من الشروط والضوابط الواجب توافرها في الوسيلة فإنه من الممكن الاستفادة القصوى من أجهزة الحاسوب التي من خلالها يمكن التعامل مع الشبكة العنكبوتية التي من خلالها يخدم الإسلام بالدعوة إلى الله تعالى، لكن يتوجب على من يقوم بهذا الأمر أن يكون عالما بما يدعو إليه وعلى بصيرة منه، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والمتتبع للفوائد العظيمة والثمار الطيبة المجنية من خلال الاستخدام النافع لأجهزة الحاسوب والشبكة العنكبوتية يلحظ سهولة الحصول على المعلومة من خلال المكتبات الشاملة أو الوقفية، وكذلك سهولة الحصول على التسجيلات المرئية والمسموعة لكبار الأئمة والعلماء في شتى دول العالم، وكثير منا قد تعامل مع هذه الأشياء، لاسيما طلاب العلوم الشرعية والتجريبية.

### مزايا دعوية

وإتماما للفائدة يحسن بنا أن نشير إلى المزايا التي تختص بها الشبكة العنكبوتية، والتي تجعلها وسيلة نافعة وخادمة للإسلام من خلال إظهار محاسنه المتمثلة في عقيدته ومعاملاته التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، فنذكر من هذه المزايا ما يلي بيانه:

**أولا:** تسهيل الوصول إلى الآخرين في مدة زمنية وجيزة جدا، حيث إن انتقال البيانات عبر الشبكة لا يستغرق إلا ثوان معدودة، وهذا يساعد على الحضور الفاعل للمتلقي، ونلحظ هذا مثلا عندما يجيز أحد معلمي القرآن غيره، أو يجيز أحد العلماء طالبا من طلابه.

**ثانيا:** توفير الجهد المبذول للحصول على المعلومة الموثقة، فبدلا من انتقال الشخص من مكان لآخر تأتيه المعلومة حيث موضع إقامته، بمجرد إعطاء بعض الأوامر للحاسوب.

**ثالثا:** توفير المال المبذول للحصول على المعلومات، لا سيما إذا كان المرء غير قادر على الإنفاق لنيل ما يريده من العلم.

**رابعا:** تكون الشبكة مصدرا من مصادر التثقيف الديني في حالة عدم وجود من يقوم بالدور الدعوي. لكن يجب على الطالب في هذه الحالة أن يستقصي الأمر في الوصول إلى من يتكلمون بالدين السمح، ويبتعد عن من يدعون إلى الإفراط أو إلى التفريط فكلاهما مقصر.

**خامسا:** الشبكة العنكبوتية صارت مسرحا لكل الشبهات، فعلى من يتقدم للدعوة إلى الإسلام أو الدفاع عنه أن يكون على بينة وبصيرة.

**سادسا:** يستطيع الإنسان من خلال الإنترنت بث النافع والمفيد دون أن يمنعه أحد؛ وعليه فالإنسان الذي أوتي علما يبلغه غيره بصورة حسنة تظهر هذا الدين بمظهر السماحة.

سابعا: تصحيح المفاهيم المفتراة على الإسلام، والتي يروج لها أعداؤه كل حين.

**ثامنا:** بواسطة الشبكة أيضا يمكننا بيان الآراء المنحرفة التي يتكلم بها من ينتسبون إلى الإسلام، ويطعنون في ثوابته.

**تاسعا:** تفنيد آراء الفرق الإسلامية التي حادت عن منهج الوسطية في أمور الاعتقاد.

**عاشرا:** تقديم صورة مثالية عن الإسلام وسماحته ودعوته إلى نشر السلام بين البشر.

**الشبكة العنكبوتية أحد مصادر التثقيف الديني حاليا**

### الهوامش

١- كيف نخدم الإسلام من خلال الإنترنت، م/ تركي بن أحمد العصيمي، دار المعارج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢١هـ، ص١٩،٢٠.

٢- الإفادة من شبكة الإنترنت في الدعوة إلى الله، د/ مساعد بن إبراهيم الحديثي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، نقلا عن المرجع السابق، ص٢٠.

محمد عبدالعليم حسن
باحث تاريخ وحضارة



# الإنترنت نعمة أم نقمة؟

إن الناظر المتفحص في الدين الإسلامي يجده دينا داعيا إلى العلم والتعلم، فكان أول ما نزل من الوحي «اقرأ»، وأيضا نجده مواكبا للتقدم العلمي، حاثا عليه، داعما له، وإن من أهم ما توصل إليه العلم الحديث من إبداعات واختراعات هو التكنولوجيا التي باتت تدخل في صناعة كل شيء تقريبا، ومن أهم ما أفرزته لنا التكنولوجيا هو هذه الشبكة المعروفة باسم شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»، وقد نظر الإسلام إلى الإنترنت نظرة خاصة مغايرة عما ينظر إليه الآخرون؛ إذ هنالك استخدامات أحلتها الشريعة وأخرى حرمتها أو كرهتها، فالمستخدم له بإمكانه أن يوجهه، ويستخدمه في النافع والمباح، أو أن يستخدمه فيما هو ضار ومخالف للشريعة فالإنترنت سلاح ذو حدين، كالسكين تماما من الممكن أن تقطع بها تفاحة، أو أن تقتل بها إنسانا، فالإنترنت باب مفتوح للجميع وعلى المسلم الاستفادة منه في نشر الدين والعلم بين الناس، وأن يتفادى الوقوع في محظوراته.

وفي مجتمع أصبحت فيه وسائل التقنية تسيطر على قطاع واسع من الأعمال وتتوسع لتشمل مجالات أخرى كان لابد من أن نقوم بواجبنا تجاه أطفالنا لضمان حمايتهم، وإبعادهم عن أخطار ربما يتعرضون لها دونما وعي أو قصد منهم، وخاصة أننا لا نضمن دوافع وأغراض الآخرين الذين نعرفهم، فما بالنا بمن لا نعرف، بل يتم التواصل معهم عبر الإنترنت دون حواجز، أو مراعاة لقيم وموروثات المجتمعات. ومن وسائل وقاية الأطفال من مخاطر الإنترنت: تقييد صلاحيات الأطفال في التعامل على الكمبيوتر عبر منحهم اسم مستخدم بصلاحيات مقيدة، وعدم السماح للأطفال باستخدام بريد إلكتروني منفصل، والأفضل أن يبادلوا رسائلهم عبر بريد الأب أو الأم، وتنمية المراقبة الذاتية، وذلك بالتنبيه دائما على أن الله تعالى مطلع على أعمال كل البشر، كما أن الحياء والخوف من الله

يجب أن يكون مقدما على الحياء والخوف من البشر (١).

### المسلمون والإنترنت

ولا شك أن المسلمين حتى الآن لم ينجحوا في استغلال شبكة المعلومات الدولية الإنترنت دعويا بالشكل المطلوب، إلا أن هنالك بعض البوادر الإيجابية لاستغلال الإنترنت الاستغلال الأمثل، ففي الآونة الأخيرة ظهر عدد من المواقع المتميزة التي يقوم عليها متخصصون في مجالات مختلفة تدعمهم هيئات وشركات ومنظمات ووزارات إسلامية في بلدان مختلفة من العالم الإسلامي، وهذه المواقع تتميز بحسن التخطيط لها بحيث أخرجت في تصميمات جيدة ومادة أفضل مما سبق، وإن كان يشووبها بعض القصور الذي يجب تلافيه، ولا تزال الساحة بحاجة إلى مزيد من المواقع الإسلامية التي تستفيد من هذه التجارب لتقدم الجديد دائما، وخصوصا مع وجود هذا الإقبال الإسلامي المتزايد على الإنترنت (٢).

ويمكن الاستفادة من شبكة الإنترنت في الدعوة إلى الله تعالى من خلال عدة وسائل، بشرط أن تكون ملتزمة بمنهج الإسلام، الذي يحث دائما على اتباع أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، تحقيقا لقول الحق عزوجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥)، وأن تكون الدعوة إلى الله تعالى مسايرة

**الإنترنت سلاح ذو حدين وعلى المسلم الاستفادة منه في نشر الدين والعلم**

للعصر في خطابها الدعوي، الذي يجب أن يكون خطابا خاصا بهذه الوسيلة الدعوية الحديثة، وأن يكون مراعيا لخصوصيتها، ومفيدا من إمكاناتها المختلفة في هذا المجال عن طريق تجديد الوسائل والأدوات المستخدمة لهذا الشأن، وأن تكون الجهود المبذولة في الدعوة إلى الله تعالى بعيدة عن كل ما من شأنه حصول الفرقة والاختلاف بين المسلمين، وأن يحرص القائمون بهذه المهمة الجليلة على البعد عن النزاعات والخلافات المذهبية والعقائدية التي لا ينتج عنها إلا النتائج السيئة (٣).

ومن وسائل الدعوة عبر شبكة الإنترنت:

١- عقد اللقاءات الدعوية والندوات حول مواضيع واهتمامات الدعوة عبر شبكة الإنترنت، وتبادل وجهات النظر حول العمل الدعوي، وهو متاح الآن بالصوت والصورة عن طريق ساحات الحوار الإلكترونية على الشبكة.

٢- الإكثار من إنشاء المواقع التي تعرض الإسلام عرضا صحيحا،

**تنمية المراقبة الذاتية لدى الأطفال واجب أسري**

عقيدة وفقها ومنهجا، ودعوة لتضييق المجال على المواقع المنحرفة، خاصة باللغة الإنجليزية التي هي لغة ٨٠ في المئة من مستخدمي الإنترنت.

٣- إنشاء مواقع خاصة بمتابعة الجديد من الأفكار والمعلومات الأجنبية، وترجمتها إلى العربية، خاصة الأفكار والوسائل التي تخدم الدعوة إلى الله عزوجل.

٤- الوقوف في وجه المواقع غير الإسلامية، وأعني بها كل موقع على الإنترنت يبث ما يخالف الإسلام عقيدة أو منهجا أو سلوكا، والإنكار على مثل هذه المواقع.

٥- دعم المواقع الإسلامية ومساندتها، وذلك عن طريق: الاشتراك فيها، ودعمها ماليا إذا احتاجت لذلك، ومعنويا بتعريف الناس بها، وتكرار زيارتها والتردد عليها، وإبداء الملاحظات وتقديم المقترحات لتطويرها، والإعلان عنها عن طريق المواقع التجارية بمقابل مبلغ زهيد من المال وإضافتها إلى محركات البحث الشهيرة، عربية كانت أو أجنبية، والكتابة عنها في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة، والتعريف بها في المنتديات وساحات النقاش (٤).

### الهوامش

١- الطرق التقنية لحماية الأطفال من مخاطر الإنترنت، مدونة العلم والمعرفة بتصرف يسير.

٢- الإنترنت وأثره في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام، د. عبدالرحيم الشريف ص (١١٥)، طبعة دار الشرق.

٣- استخدام الإنترنت في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، د. سلطان العمري ص (٥٦،٥٧) بتصرف.

٤- طرق لخدمة الإسلام عبر الإنترنت، شوقي عباد، موقع (صيد الفوائد).

مياسة النخلاني
قاصة يمنية



# لأجلك يا قدس

«ما الأمر؟!»

«كيف صحتك الآن؟»

«بخير، لم تجبني لماذا أنت شارد هكذا؟»

«سأعود فيما بعد وأشرح لك؟»

«أين ستذهب؟ سآتي معك»

«هل تمزح؟ أجريت عملية جراحية البارحة فقط، سأعود قريبا لا تقلق»

بمجرد أن خرج أخوه من الغرفة، لبس ثيابه، كتب ملاحظة لأمه التي ستأتي لزيارته بعد ساعة، وتسلل من المستشفى، يعرف جيدا نظرة القلق التي تظهر في عيني أخيه قبل الخروج لأي مواجهات مع الصهاينة، يبدو الأمر جديا هذه المرة ولن يفوت مثل هذا الحدث.

كان الألم في خاصرته مبرحا، لكنه تحامل على نفسه وخرج للشارع بحثا



عن سيارة تأخذه لوجهته، لن ينسى إصابته الأولى التي تلقاها في أول مواجهة بينه هو ورفاقه مع الصهاينة، كان صغيرا حينئذ، خرج من المدرسة الابتدائية وانخرط في المواجهات القريبة من القدس، ابتلعه الحشد سريعا، وعبثا حاول أن يجاريهم في هتافاتهم التي أشعلت الدم في عروقه، حمل حجرا، ولوَّح به تجاه الجنود المختبئين خلف المدرعات، شعر حينها أنهم إنما يختبئون خلف «كراتين» هشة بينما هو يملك سلاحا خارقا، كان يتدرب خفية على إصابة الأهداف بالحجارة، وعزم أن يصيب جنديا في أول مواجهة له؛ لم يصب يومها أي جندي، وعوضا عن ذلك عاد للبيت بيد تنزف، كان خائفا من ردة فعل والدته تجاه إصابته، ما إن رأته يدخل عليها بيد جريحة حتى هبت إليه مسرعة:

«هل وقعت؟ هل تعاركت مع أحد؟»

احتاج وقتا ليلملم صوته الخائف

«جرحت في مواجهات اليوم»

«حقا!»

أغمض عينيه منتظرا توبيخها له، لكن عوضا عن ذلك احتضنته وانهالت عليه بقبلاتها الحانية، أخذته لتضمد جرحه وهي تقول: «والله وكبر ابني وصار رجلا».

بعدها أصبح يعود لها بجروحه وحكاياته عن ضحاياه الوهميين، وكلما كبر أصبح أكثر صدقا معها حول إصاباته للجنود الصهاينة.

«هل سنحرر القدس بالحجارة؟» قال لها يوما والغصة لا تبارح حلقه بعد أن شارك بحمل صديقه الشهيد.

«ليست الحجارة ما ترهبهم يا بني، بل عزيمتنا وثباتنا، وطالما هم خائفون منا فسننتصر عليهم»

«سنموت حتما قبل أن نحررها»

«حتى وإن متنا فحلمنا باستعادة حقنا يجب ألا يموت، وستتوارثه الأجيال حتى يتحقق، هل فهمت؟!»

هز رأسه وهو يضغط على خاصرته، أوقف سيارة أجرة:

«إلى القدس» قال بصوت منهك وهو يجلس بجانب السائق.

«تبدو مريضا يا بني، هل ستذهب حقا؟!»

«وهل أستطيع ألا أذهب!»

هز السائق رأسه وقاد السيارة بصمت، أنزله على بعد أمتار من المواجهات، ودعا له أن يعود سالما، حين أصبح قريبا بما فيه الكفاية ليشاهد القدس بوضوح، تأملها طويلا، شعر أنه لن يراها مجددا فحاول أن يختزن صورتها في ذاكرته! اقترب أكثر حتى انخرط بين الشباب، تناسى ألمه ومارس هوايته المفضلة، متمنيا أن يصيب قدر ما يستطيع من الجنود الصهاينة، ويتمكن من تجاوز البوابة الحديدية ليصلي داخل القدس كيفما يشاء، وقبل أن يرمي حجره الثالث استقرت رصاصة في صدره؛ ففقد الإحساس بكل شيء سوى بالسائل اللزج الذي اندفع من صدره وأنفاسه المتحشرجة، شعر بأنه ينزلق في هاوية لا قرار لها، وقبل أن يسقط على الأرض، حملته الأيدي وأبعدته عن الخطوط الأمامية،

«أنس!؟» أجبره ذاك الصوت أن يفتح عينيه، «لماذا أتيت يا مجنون؟» صاح أخوه وهو يغالب دموعه..

أجابه قائلا: «القدس لا تكف عن مناداتي».. أراد أن يكمل حديثه ويوصيه بأمه؛ لكن صوته تسرب منه بالكامل، بالكاد تمتم بالشهادتين قبل أن يغمض عينيه ويخمد جسده تماما.

في المساء عاد أخوه إلى البيت، توجه ناحية والدته التي انزوت في ركن بالبيت تحتضن ورقة صغيرة، وما إن شعرت به حتى رفعت نحوه عينين تتزاحم فيهما الأسئلة؛ عوضا عن إجابتها وضع بين يديها قميص أنس المضرج بالدماء، فبعد أن حمل هو ورفاقه جثمانه، تسللوا بين الأزقة، ليدفنوه في الخفاء قبل أن يحتجز الصهاينة جثمانه الطاهر، احتفظ بقميصه لوالدته التي لم يتسن لها أن تودعه.

حدقت مليا بالقميص الموضوع أمامها، قبل أن تضع فوقه رسالة ابنها الأخيرة وتحتضنهما معا وهي تجاهد لحبس دموعها، فقد وعدته مرارا بأنها لن تبكي حين يزفون إليها خبر استشهاده.

أ.د. عبد الله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها

## الحلقة الثالثة

**قال أبو تمام:**

**وإذا الرِّجالُ تساجَلُوا في مَشهَدٍ**
**فَمُرِيحُ رأيٍ مِنْهُمو أو مُعْزِبُ**

**ثالثا: تحديد مفهوم المكر:**

جاء في الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري: «المكر: الاحتيال والخديعة» (١) وفي لسان العرب لابن منظور: «مكر: الليث. المكر احتيال في خفية... ابن سيده: المكر الخديعة والاحتيال... والمكر: المَغْرَة... ويقال للأسد: كأنه مُكِرَ بالمكر أي طليَ بالمَغْرة. والمكر سقي الأرض؛ يقال: امكروا الأرض فإنها صُلبة ثم احرثوها، يريد اسقوها... والمكر ضرب من النبات... ابن سيده: والمكر حُسن خدالة الساقين... ابن الأعرابي: المكرة الرُّطبة الفاسدة. والمكرة: التدبير والحيلة في الحرب. ابن سيده، والمكرة الرطبة التي قد أرطبت كلها وهي مع ذلك صلبة لم تنهضم» (٢). قال أبو قيس بن الأَسْلَتِ، من شعراء الجاهلية، وقد أسندت له الأوس قيادتها فأحسن التدبير (٣):

**وأحْـرَزْنا المغانمَ واسْتبحْنا**
**حمى الأعداء والله المعينُ**
**بغير خَلابة وبغير مكْرٍ**
**مُجاهرةً ولم يُخْبأ كَمينُ**

وقال مُصْعب الموسوسُ (٤):

**وذي نَخْوةٍ قدْ براني هَواهُ**
**يزداد في الحُبِّ إنْ هبْت عِزًا**
**فما زِلْتُ بالمكر حتى اطمأنَّ**
**وقد كان مِنْ قبل ذاك اشْمأزًا**

ولكي أنتهي إلى الرأي القارح، وإلى ثلج اليقين الذي يحرص على التغلغل في الأسرار؛ مثل الذي يتتبع الماء المستنبط حتى يعرف منبعه وأصله، أُورِدُ الرأي المحصد الذي جاء في حاشية مقدمة محقق كتاب «الترجمان عن غريب القرآن» الذي «يرجع معنى المكر إلى أنه تدبير أمر في خفاء، ومعلوم بداهة أن ما يدبر في الخفاء لا يلزم أن يكون شرا، بل قد يكون خيرا، ثم اكتسب المكر في تصورات العامة صورة مستهجنة، تخصيصا منهم للمكر في تدبير ما هو شر...» (٥) المكر إذن هو التدبير الخفي والحيلة، فإذا كان التدبير والحيلة لأمر حسن فهو حَسَنٌ بَسَنٌ، وإذا كان لأمر سيئٍ، فهو قبيح شَقِيحٌ



وخَزْيانٌ سَوْآنٌ؛ وهو توجيه غير مُفَنَّد قامت عليه أدلة كثيرة لا تقبل الردَّ، لأن الأدلة القرآنية المخرسة تجري بهذا الفهم والتوجيه بكيفية أوضح وأفصح، وبلا تصنُّع ولا تنطُّع. إننا بإزاء ما يسميه علماء اللغة تخصيص الدلالة، حيث إن دلالة المكر في البدء كانت عامة تدل على تدبير أمر في الخفاء، قد يكون للخير وقد يقصد منه الشر، ثم حالت أحوال قصرت استعمال اللفظة على الخداع والاحتيال، شأنها شأن كثير من الألفاظ التي يقص الاستعمال اللغوي بعض أطرافها، مبقيا على معنى خاص نتيجة للتغيرات الذوقية والسياسية والفنية والاجتماعية والدينية، مثل الألفاظ الآتية التي كانت دلالتها عامة ثم خصصت بشيء محدد: الصلاة والنفاق والفنان والسَّبت والمأتم والعذراء والتلاميذ والأستاذ والصفقة والكعبة وهلم على ذلك جرا وسحبا.

## رابعا: دلالة لفظة المكر في القرآن الكريم

أورد القرآن الكريم هذه اللفظة (مكر، يمكر، مكرا، الماكرين، مكرهم، مَكْرهُنَّ، يمكرون، مَكَرْتُمُوهُ، مكرنا، مكروا، تمكرون...) زهاء سبعين مرة (٧٠) والملاحظ من استقراء استعمالات القرآن لهذا الجذر اللغوي، أن الله جلَّ في علاه تارة يبقي اللفظ من دون صفة، وتارة أخرى يلحق به صفة السوء والسيئ والكُبَّار.

قال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ (فاطر:٤٣) وقال: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ (نوح:٢٢ ) وهو منتهى المبالغة في المكر، كما تدل على ذلك صيغة ( فُعَّال). وقال أيضا: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ (النحل:٤٥). وقال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران:٥٣) وقال أيضا: ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ (الرعد:٤٣). وقال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل:٥٢). إن الذي يقرو دلالة (المكر) ويكتلئ الاستعمالات التي وردت فيها، لا يساوره شعاع من الريب في أن القرآن الكريم أبقى على دلالة (المكر) عامة يراد بها تدبير أمر في خفاء؛ قد يكون للخير، وقد يكون للشر. «والله تبارك وتعالى يمكر وهو خير الماكرين، ولذلك ذم الله المكر السيئ ولم يذم، مطلق المكر» (٦). وهذا يحذقه من كان دريا بلغة القرآن الكريم الذي احتفظ على الدلالة الأصلية لمجموعة من الكلمات التي سعى المجتمع اللغوي المعاصر إلى إحداث تغييرات عليها، إما بتخصيص الدلالة مثل: لفظة «الاستعمار» التي كانت تدل على طلب العمارة والتشييد، لكن المجتمع اللغوي حوَّل هذه الدلالة ليخصصها بمفهوم الاحتلال الأجنبي، وكذلك لفظة «الملأ» التي استعملها القرآن الكريم راقية الدلالة، خاصة بِعِلْيَة القوم الذين يملأون الأعين؛ لكن المجتمع اللغوي جعل هذه اللفظة مُنْحطَّة الدلالة، فاستعملها مرادفة للرعاع والجمهور وعامة الناس،

مُنْزِلا اللفظة من بُرجها العاجي الذي كانت تقتعده في لغة القرآن الكريم، ناهيك عن لفظة «اليتيم» التي استعملها القرآن الكريم خاصة للصبي الذي فقد أباه، أما الذي فقد أمه فهو «العَجِيُّ» كما يستفاد ذلك من حديث للرسول ﷺ عندما صرح أنه يتيم، ولم يكن عَجِيًا؛ لكن المجتمع اللغوي المائل إلى الكسل اللغوي قد جعل كلمة «اليتيم» دالة على الذي فقد أحد أبويه أو كلاهما، وقد هُجرت لفظة «اللطيم» الدالة على الذي فَقَدَ أبويه، ولم يبق لها حضور إلا في الشعر العربي القديم. أنشد الأصمعي (٧):

**لا تَكْرَهَنَّ لطيمًا ما حييتَ ولا**
**تَجفُهُ إنَّ لَطيمَ القوم مَرْحُوم**

**خامسا: دهاء اللغة وخلابتها**

وهو مذهب يغزو البصر بمجموعة من الحيل الفنية التي يتزيى بها الأسلوب المُرَغِّي داخل التركيب اللغوي المحكم الصنعة، سواء بالنسبة إلى الكلمات المفردة أو العبارات أو التراكيب، التي تجعل الوصول إلى المعنى المراد لا يتم بالطرق المعتادة في ضم الكلام بعضه ببعض، ولكن اعتمادا على مهارة القارئ الفطن القادر على كشف أستار المعنى المغلَّف بطبقات من التَّعمية، لأن الحقيقة مُرَّة، يجب الاستعانة عليها بامتطاء خفة البيان. ولنا في حادثة بائع العسل وبائع الخل أبلغ الأدلة على الاستعانة بقضاء الحاجات بالمداراة والدهاء، حيث سأل بائع العسل بائع الخل: لماذا يقبل عليك الناس ويطوون الكشح عني؟ فأجاب بائع الخل: إنني ببساطة أبيع الخل بلسان عسلي، وأنت تبيع العسل بلسان مرٍّ! ولهذا يقال: الحاجة تفتح أبواب الحيل والتلطيف تارة، والدهاء تارة أخرى، لأجل حجب المعايب، وتغليف القول المراد بطبقات أسلوبية معمَّاة؛ تفضي بالمتلقي إلى التقبل والرضا، وبالمُرسِل إلى الفلج والظفر بالمراد، كما فعل المغيرة بن شعبة الذي خطب امرأة هو وأحد الشبان «فأرسلت إليهما أن يحضرا عندها فحضرا، وجلست بحيث تراهما، وتسمع كلامهما، فلما رأى المغيرة ذلك الشاب، وعاين جماله، علم أنها ستؤثره عليه، فأقبل على الفتى وقال: لقد أوتيت جمالا، فهل عندك غير هذا؟ قال: نعم، فعدد محاسنه ثم سكت، فقال المغيرة: كيف حسابك مع أهلك؟ قال: ما يخفى علي منه شيء، وإني لأستدرك منه أدق من الخردل. فقال المغيرة: لكني أضع البدرة في بيتي فينفقها أهلي على ما يريدون، فلا أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها. فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني، أحب إلي من هذا الذي يحصي علي مثقال الذرة، فتزوجت المغيرة» (٨). وهذا خليفة أراد حماية صديق له مُدْمِن على شرب الخمر فقال للوالي: «إذا أحضر أحدهم هذا السكير، فأجلد الذي أحضره مائة جلدة، ثم أجلد السكير ثمانين جلدة ! فلمَّا تسامع الناس بأمر الخليفة لم يجرؤ أحد على الشكوى من السكران!» (٩). وشبيه بذلك حادثة المنجِّمَيْن اللذَيْن عبرا رؤية أفزعت أحد الملوك، وملخصها أن الملك رأى في منامه أنه فَقَدَ جميع أسنانه دفعة واحدة؛ فقال الأول للملك بأنه سيفقد أهله أكتعين في حادث مؤلم، وهي حقيقة أقلقت الملك الذي أمر بطرد المنجم والإساءة إليه. ولما تسامع الآخر بخبر الأول قال للملك في حيلة ودهاء، بعد أن تأكد هو الآخر أن الملك سيفقد جميع أفراد أسرته في حادث مؤلم: أبْشِرْ يا مولاي ستكون أطول عُمْرا من جميع أفراد أسرتك. فسُرَّ الملك لمقالته وأكرمه، رغم أن المقالتين تتفقان في أن الملك سيتخرم الموت أفراد أسرته، وسيفجع بهم، لكن الثاني تلطف واحتال، ولم يقل كما قال الأول، الذي لم يحترس بعقله من قوله. أما الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لما أراد قتل أمير الجيش الفارسي (الهُرمُزان) في وقعة القادسية «فاستسقى، فأتي بماء في قدح خشب، فأمسكه بيده واضطرب. فقال له عمر: لا بأس عليك، إني غير قاتلك حتى تشربه، فألقى القدح من يده، فأمر عمر بقتله. قال: أولم تؤمِّني؟ قال: كيف أمَّنتك؟ قال: قلت لا بأس عليك حتى تشرب، فقولك: لا بأس عليك، أمان، ولم أشربه، فقال الزبير وأنس بن مالك وأبو سعيد الخدري رضوان الله عليهم: صدق. فقال عمر رضي الله عنه: قاتله الله، أخذ أمانا ولم نشعر به» (١٠). ولهذا قيل: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه. ويحكى «أن رجلا كان جارا لابن عبيد الله، فأصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل أكثر الناس عنه؛ فعزم جار ابن عبيدالله على الخروج من البلاد في طلب المعيشة، وكانت له زوجة لا تقدر على السفر، فلما رأت زوجها تهيأ للسفر قالت له: إذا سافرت من ينفق علينا؟ قال: إن لي على ابن عبيد الله دينارا، ومعي به إشهاد عليه شرعي، فخذي الإشهاد وقدِّميه إليه، فإذا قرأه أنفق عليك مما عنده حتى أحضر، ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الأبيات يقول:

**قالت وقد رأت الأحمال محدجة**
**والبين قد جمع المشكوّ الشاكي**
**مَن لي إذا غبْت في ذا المحل قلت لها**
**الله وابن عبيد الله مولاك**

فمضت إليه المرأة، وحكت له ما قال زوجها، وأخبرته بسفره، وناولته

الرقعة فقرأها وقال: صدق زوجك. وما زال ينفق عليها، ويواصلها بالبرِّ والإحسان إلى أن قدم زوجها، فشكره على فضله وإحسانه» (١١). وهو كما يبدو أسلوب حكيم ينطوي على الفطنة والدهاء، ويحمل الكلام على غير مقصود السامع، تنبيها له بما هو أولى على شاكلة هذه الأجوبة المسكتة المستظرفة حيث قيل: «إن رجلا سأل العباس رضي الله عنه، أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر وأنا ولدت قبله. وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي، أأنت سعيد؟ قال: أمير المؤمنين السعيد، وأنا ابن مرة... وقال الحجاج للمهلب، وهو يماشيه، أأنا أطول، أم أنت؟ قال: الأمير أطول، وأنا أبسط قامة، أراد الطِّوَل، وهو الفضل» (١٢). وغير هذا كثير بثير يثبت أن للكلام طيا ونشرا، وأنه لا يتوصل إلى ما في طيه إلا بنشره وتفسيره كما يتضح من هذه الحكاية التي تقول بأن «أحد ظرفاء الكتاب عبر يوما تحت جوسق ببستان، فرأى جارية ذات وجه زاهر، وكمال باهر... فلما نظر إليها ذهل عقله، وطار لبه، فعاد إلى منزله وأرسل إليها هدية نفيسة مع عجوز كانت تخدمه، وكانت الجارية عزباء، وكتب إليها رقعة يعرض إليها بالزيارة في جوسقها، فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية، ثم أرسلت إليه مع العجوز عنبرا، وجعلت فيه زر ذهب، وربطت ذلك على منديل، وقالت للعجوز: هذا جواب رقعته، فلما رأى... ذلك لم يفهم معناه وتحير في أمره، وكانت له ابنة صغيرة السن، فلما رأت أباها متحيرا في ذلك، قالت له: يا أبت أنا علمت معناه، قال: ما هو لله دَرُّك، قالت:

**أهدت لنا العنبر في جوفه**
**زرّ من التِّبر خفي اللحام**

**فالزِّر والعنبر معناهما**
**زُرْ هكذا مختفيا**
**في الظلام** (١٣)

هذه العبارة زليقة الصراط، ملتوية الدعوة، يحتاج كيدها أن تبصر بأنوار العقول، وليس بمجرد أحداق الأعين؛ لأنها لا توقع ألفاظها مواقع الحقيقة، على شاكلة ما فعلته هند بنت النعمان مع الحَجَّاج عندما طلبها عبدالملك بن مروان زوجا، بعد طلاقها من الحجاج الذي كانت تكرهه، فاشترطت أن يأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده «فرمت بدينار على الأرض، ونادت: يا جمَّال إنه قد سقط منا درهم فارفعه إلينا، فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا دينارا، فقال: إنما هو دينار، فقالت: بل هو درهم، قال: بل دينار، فقالت: الحمد لله سقط منا درهم، فعوضنا الله دينارا، فخجل الحجاج وسكت» (١٤).

هذا منزع بعيد المصعد، وربوة لم يبلغها ماء المحدثين، عباراته موجزة، ومعانيه محرزة، تحتاج إلى جهود هيئات من الحذاق الذين أوتوا الحكمة وفصل الخطاب، لإثارة دفائنه، وكشف أشعة أنواره التي غطاها الكسل اللغوي، وألقى عليها سحابة، تركته قطعة من الليل مظلما، يلفُّه الهجر والنسيان. وقد نبَّهتُه من أماكنه التي تمطى بصلبه عليها، ليكون أرجع علينا اليوم بالعائدة بما يحقق الانتباه لما نقرأ ونُطرِّس بأسلوب أصفى وأوفى، وبأفكار أشفى وأكفى عندما نغزو إظهار الحقيقة كاملة، وعندما تكون غاية الخطاب لحاجات دفينة تفتل للعدو حبلا من مسد، نركب قطار البلاغة والبيان الشافي الذي يوصلنا إلى الغاية التي ليس وراءها غاية تُهْتَضم، وبكلام يزينه التحبير والترقيش والتشقيق للوجوه المحتملة والكنايات المولدة من أصلاب البيان الذي دُسَّتْ جذوته تحت الحطب الجزل.

**هوامش**

١- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية - تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - الجزء الثاني، باب الراء فصل الميم ص: ٨١٩ الطبعة ٤-كانون الثاني / يناير ١٩٩٠م - دار العلم للملايين بيروت - لبنان.

٢- لسان العرب - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. المجلد الخامس، باب الراء فصل الميم. ص: ١٨٣ و١٨٤ الطبعة ٣ - ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م - دار صادر. بيروت - لبنان.

٣- البيان والتبيين، ج٣، ص: ٢٠.

٤- طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ص: ٣٨٦، ط٢. ذخائر العرب٢٠، دار المعارف بمصر.

٥- الترجمان عن غريب القرآن، تاج الدين أبو المحاسن عبدالباقي بن عبدالمجيد بن عبدالله اليماني، دراسة وتحقيق: موسى بن سليمان آل إبراهيم. ص: ٤٦- الطبعة ١ - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. مكتبة البيان - الطائف.

٦- نفسه.

٧- القول المأثور في إحياء الصواب المهجور، عبد الله ايت الاعشير. ص: ٤٧و٤٨. الإصدار١١٠، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م. الوعي الإسلامي. الكويت.

٨- المستطرف في كل فن مستظرف. شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، المجلد الثاني، ص: ٩٩. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٩- أوراق منير العجلاني. كتاب المجلة العربية. العدد ٤٠٠، ص: ٩٨ - جمادى الأولى ١٤٣١هـ /مايو ٢٠١٠م. الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٠- كتاب لطف التدبير. محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي. تحقيق وتعليق. أحمد عبد الباقي. ص: ١٨٠، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. وانظر كذلك: المستطرف في كل فن مستظرف، المجلد٢، ص: ٩٨.

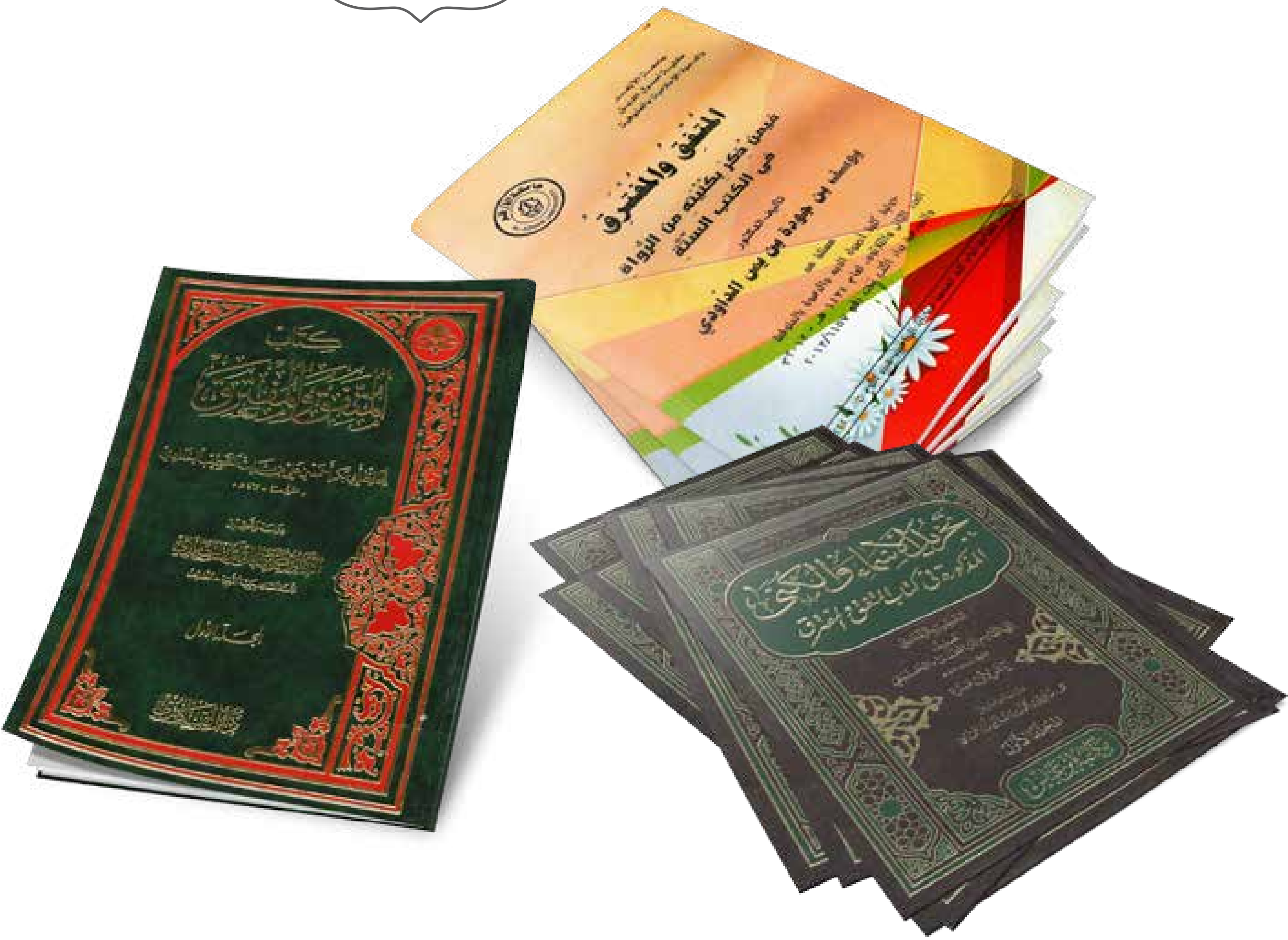
١١- المستطرف في كل فن مستظرف، المجلد ٢، ص: ٤١.

١٢- نفسه. المجلد الأول، ص: ٩٣.

١٣- نفسه. المجلد١، ص: ٨٥.

١٤- نفسه. المجلد ١، ص: ٨٥.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١٥)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

## المتفق والمفترق في اسم «ابن قدامة»

### ١- أبو المعالي ابن قدامة (ت:٤٨٦هـ)

هو أبو المعالي أحمد بن علي بن قدامة البغدادي، قاضي الأنبار، من العلماء بالعربية.

من مصنفاته: كتاب في النحو، وآخر في علم القوافي (١).

### ٢- أبو عمر ابن قدامة (ت:٦٠٧هـ)

هو أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي الدمشقي، فقيه حنبلي.

ولد سنة ٥٢٨هـ، وخرج له الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي «أربعين حديثا» من رواياته.

توفي بدمشق (٢).

### ٣- موفق الدين ابن قدامة (ت:٦٢٠هـ)

هو موفق الدين أبو محمد عبدالله ابن محمد بن أحمد ابن قدامة الجماعيلي المقدسي الدمشقي، من أكابر الحنابلة.

ولد بجماعيل (من قرى نابلس بفلسطين) سنة ٥٤١هـ، وتعلم في دمشق، ورحل إلى بغداد، فأقام نحو أربع سنين، وعاد إلى دمشق.

من تصانيفه: «المغني» في الفقه الحنبلي، و«روضة الناظر» في أصول الفقه، و«لمعة الاعتقاد»، و«الكافي» في الفقه الحنبلي، وغير ذلك.

توفي بدمشق (٣).

### ٤- سيف الدين ابن قدامة (ت:٦٤٣هـ)

هو سيف الدين أبو العباس أحمد ابن عيسى بن عبدالله ابن قدامة المقدسي الصالحي الحنبلي، من حفاظ الحديث.

ولد بدمشق سنة ٦٠٥هـ، وارتحل إلى بغداد، وجمع وصنف وخرج.

من مصنفاته: «الرد على محمد ابن طاهر القيسراني في إباحته السماع»، و«تراجم بعض المقادسة»، توفي بدمشق (٤).

### ٥- شمس الدين ابن قدامة (ت:٦٨٢هـ)

هو شمس الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن محمد بن أحمد ابن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، فقيه حنبلي.

ولد بدمشق سنة ٥٩٧هـ، وولي قضاء الحنابلة بها، واستمر فيه نحو ١٢ عاما ولم يتناول عليه معلوما، ثم عزل نفسه.

من تصانيفه: «الشافي شرح المقنع» في فقه الحنابلة، و«تسهيل المطلب في تحصيل المذهب» في فقه الحنابلة (٥).

### ٦- تقي الدين ابن قدامة (ت:٧١٥هـ)

هو تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد ابن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، فقيه، مسند الشام في وقته، وله مشاركة في العربية والفرائض والحساب.

ولد بدمشق في شهر رجب سنة ٦٢٨هـ، ولي القضاء عشرين سنة، ونعته الذهبي بقاضي القضاة.

من مصنفاته: «الموافقات» في الحديث، و«معجم» في مجلدين، وتوفي في شهر ذي القعدة بدمشق (٦).

### ٧- شمس الدين ابن قدامة (ت:٧٤٤هـ)

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد ابن أحمد بن عبدالهادي ابن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي، حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة، يقال له: «ابن عبدالهادي» نسبة إلى جده الأعلى.

ولد سنة ٧٠٥هـ، وأخذ عن ابن تيمية والذهبي وغيرهما، صنف ما يزيد على سبعين كتابا، منها: «العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية»، و«المحرر» في الحديث، و«الصارم المنكي في الرد على ابن السبكي»، و«تراجم الحفاظ» وغير ذلك.

توفي بظاهر دمشق قبل بلوغ الأربعين (٧).

### ٨- شرف الدين ابن قدامة (ت:٧٧١هـ)

هو أبو العباس شرف الدين أحمد ابن الحسن بن عبدالله ابن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، المشهور بابن قاضي الجبل، قاضي القضاة، عالم بالحديث والفقه، والنحو، واللغة، والمنطق.

ولد في شعبان سنة ٦٩٣هـ.

من مؤلفاته: «المناقلة في الأوقاف وما في ذلك من النزاع والخلاف»، و«الفائق في فروع الحنبلية»، و«القصد المفيد في حكم التوكيد»، و«قطر الغمام في شرح أحاديث الأحكام»، وله نظم ونثر.

توفي بدمشق في شهر رجب (٨).

### الهوامش

١- ينظر إرشاد الأريب (٢٦٠/١)، وهدية العارفين (٨٠/١)، والأعلام للزركلي (١٧٣/١).

٢- ينظر الأعلام للزركلي (٣١٩/٥)، ومعجم المؤلفين (٩٦/١٣).

٣- ينظر شذرات الذهب (٨٨/٥) (٢٦٠/١)، وهدية العارفين (٤٥٩/١)، والأعلام للزركلي (٦٧/٤).

٤- ينظر شذرات الذهب (٢١٧/٥)، وهدية العارفين (٩٤/١)، والأعلام للزركلي (١٩١/١).

٥- ينظر فوات الوفيات (٢٦٢/١)، وهدية العارفين (٥٢٥/١)، والأعلام للزركلي (٣٢٩/٣).

٦- ينظر الدرر الكامنة (١٤٦/٢)، وهدية العارفين (٤٠٠/١)، ومعجم المؤلفين (٢٥٩/٤).

٧- ينظر الدرر الكامنة (٣٣١/٣)، وهدية العارفين (١٥١/٢)، والأعلام للزركلي (٣٢٦/٥).

٨- ينظر الدرر الكامنة (١٢٠/١)، وهدية العارفين (١١٣/١)، ومعجم المؤلفين (١٩٤/١).

د. خالد حنفي
مدرس أصول التربية



صار استخدام التكنولوجيا العامل المشترك في كل مناحي الحياة وأنشطتها، وبات استخدام شبكة الإنترنت أمرا مفروضا بحكم طبيعة الحياة وروح العصر، خصوصا شبكات التواصل الاجتماعي، ومن أشهرها تطبيق «فيسبوك» الذي تجاوز عدد مستخدميه مليارَي شخص بنهاية سبتمبر ٢٠١٧م.

لقد صار أطفالنا اليوم يجيدون التعامل مع الحاسوب والأدوات الإلكترونية أكثر من الآباء والأمهات والكبار عموما؛ وأصبح الحاسوب إحدى أدوات التعليم في المدارس بكل مراحلها، وبات الإنترنت يمثل وسيلة تواصل للأطفال. ورغم أنه يزخر بالعديد من المواقع التي تحتوي على معلومات ومواد مفيدة، فإنه لا يخلو أيضا من المواقع الضارة أخلاقيا ونفسيا.

# كيف نحمي أبناءنا من مخاطر الإنترنت؟

وأظهرت إحصائيات حديثة أن الأطفال يقضون ما بين ٧ و١٠ ساعات يوميا أمام وسائل الإعلام والتكنولوجيا الحديثة، سواء شبكة الإنترنت أو الفضائيات، ويتعرضون إلى خطر مشاهدة الصور الإباحية والاستغلال الجنسي. وفي هذا الشأن نبهت دراسة لشركة سيمانتك للأمن المعلوماتي، المنتجة لبرنامج مكافحة الفيروسات الشهير «نورتون»، إلى أن المواضيع الإباحية والجنس تأتي في المرتبة الرابعة ضمن مواضيع شبكة الإنترنت التي تحظى باهتمام الأطفال دون سن السابعة.

ويوضح مدير معهد الدوحة الدولي للدراسات الأسرية والتنمية ريتشارد ويلكنز، أن دراسات غربية كشفت أن ٤٤ في المئة من الأطفال على شبكة الإنترنت يشاهدون عن عمد المواقع التي تحمل مواد إباحية، بينما ٦٦ في المئة منهم تفرض عليهم مشاهدة هذه المواد؛ بمعنى أنهم كانوا يتصفحون مواقع أخرى لكنها تتضمن مواد إباحية.

**إدمان**

وأوضحت دراسة لمجموعة «سوبيريور» للاستشارات أن ٥٩ في المئة من الأطفال في منطقة الشرق الأوسط مصابون بحالة تعرف بـ«النوموفوبيا» Nomophobia، وهي الشعور بالخوف من فقدان الهاتف الجوال أو السير من دونه.

وأشارت الدراسة إلى أن الأطفال يصبحون عرضة لمخاطر إدمان الإنترنت عندما تزيد ساعات مكثهم أمام شاشات الحاسوب، مما يزيد من احتمال وقوعهم في براثن دائرة إدمان الإنترنت، الذي يؤدي بالأطفال والشباب خصوصا إلى التوقف عن أداء أي نشاطات أخرى مثل الدراسة أو ممارسة الرياضة أو لقاء الأصدقاء.

وتضيف الدراسة أن الأطفال قد يتعرضون أيضا إلى عمليات احتيال عبر الإنترنت، نظرا لصغر سنهم وعدم خبرتهم بشأن نوعية المعلومات التي قد يشكل تداولها خطرا عليهم أو على الآخرين، حيث يمكن أن يؤدي تسريب معلومات حول الأسرة أو الطفل إلى التعرض للسرقة أو الاختطاف أو التهديد أو الابتزاز.

كذلك أوضحت دراسة لمنظمة «كومون سينس» الأميركية للدراسات الأسرية



سنة ٢٠١٦م، والتي أجريت على ما يقرب من ١٣٠٠ من الآباء والأمهات والأطفال، أن ٥٩ في المئة من الآباء يعتقدون أن أبناءهم من المدمنين على استخدام التكنولوجيا الحديثة، بينما يعتقد ٥٠ في المئة من الأبناء عكس ذلك تماما.

## حماية وتشريعات

إن «حماية الطفل»؛ باعتبارها مسؤولية أسرية ومجتمعية، لم تعد قاصرة على مجرد توفير المأكل والملبس والمسكن، أو تقديم خدمات صحية ومادية له، أو مجرد منع الضرر والإيذاء الجسدي؛ بل هي عملية وقائية، وتحصين نفسي ومعنوي وأخلاقي وإنساني في المقام الأول، لاسيما بعد أن أصبحت شكوى عالمية تؤرق المجتمع الإنساني بأسره، وأضحت من أخطر القضايا الشائكة التي تحتاج إلى إستراتيجية وثقافة مجتمعية لإنجاحها رغم تأكيد دراسات عديدة في كثير من البلدان، حتى المتقدمة منها، أن الآباء والأمهات أنفسهم مازالوا غير مدركين تماما للمخاطر التي يتعرض لها أطفالهم من عالم «الإنترنت».

وتنص المادة الثالثة من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل التي صادقت عليها كل دول العالم، فيما عدا الولايات المتحدة الأميركية والصومال، بالتزام الدول الأطراف باتخاذ التدابير التشريعية والإدارية الملائمة لضمان حماية الطفل. وتنص المادة التاسعة عشرة من الاتفاقية أيضا على التزام الدول بحماية الطفل من كل أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية وإساءة الاستغلال بما في ذلك الإساءة الجنسية.

لكن معظم الدول العربية لا يوجد لديها تشريعات أو نصوص قانونية تجرم استغلال الأطفال عبر شبكة الإنترنت (ضمن أعمال إباحية أو جرائم إلكترونية)، حيث تتسم النصوص الحالية بأنها نصوص عامة لتجريم المواد الإباحية وغير الأخلاقية فقط. كما أن الدول العربية بوجه عام تكاد تخلو من أي تنظيم لمحتوى البث الإعلامي فيما عدا مدونات أخلاقيات المهنة التي تلتزم بها كل مؤسسة إعلامية داخليا وفي نطاقها المحلي؛ وبالطبع تعد تلك المدونات غير ملزمة على الصعيدين الإقليمي والدولي.

## وقاية

تتعدد برامج ووسائل حماية ووقاية الأطفال من مخاطر شبكة الإنترنت وتصفح المواقع غير المرغوبة، ونذكر بعضا منها على النحو التالي:

١- ضرورة تواجد الآباء والأمهات والمعلمات مع الطفل أثناء تصفح الإنترنت، خصوصا إذا كان دون سن العاشرة، ومناقشته فيما يشاهده أو يتعامل معه من مواقع وبرامج وتطبيقات حاسوبية أو أشخاص.

٢- تربية الأبناء على المصارحة والصدق والاستماع إليهم بخصوص خبراتهم عن الشبكة العنكبوتية وتشجيع السلوكيات الحسنة، كما يجب توجيه النصح والإرشاد الدائم لهم بخصوص أي رسائل أو نشرات قد تصل إليهم عبر شبكة الإنترنت.

٣- توعية الأطفال بعدم وضع أي صور شخصية أو تداول بيانات خاصة بهم وبأفراد الأسرة مع أشخاص مجهولين (الأسماء - العناوين - المهن - أرقام الهواتف - صور شخصية أو للأسرة)، وتحذيرهم من فتح أي ملفات أو رسائل غير معروف صاحبها أو مصدرها.

٤- متابعة سجلات الجهاز ومتصفح الإنترنت المستخدم للتعرف على المواقع التي تصفحها الطفل أو تعامل معها، ومتابعة البريد الإلكتروني للطفل، والرسائل المتبادلة.

٥- وضع جهاز الحاسوب في مكان عام في المنزل على مرأى ومسمع من الوالدين وجميع أفراد الأسرة.

٦- استخدام برامج الفلترة التي يمكن من خلالها حظر الدخول إلى مواقع تبدأ بكلمات معينة مثل الجنس أو المخدرات أو الإرهاب وغيرها من الكلمات المفتاحية، ومن هذه البرامج:

- برنامج سايبر باترول Cyber Patrol : أحد أفضل برامج الحماية من الوصول إلى المواقع غير المرغوب فيها ويمكن اقتناء نسخ منه حسب أعمار الأبناء.
الموقع: http://www.microsys.com.

- برنامج سايبر سيتر CYBERsitter: ويقوم بحماية الأطفال من الوصول إلى المواقع غير المرغوب فيها، ومنع عرضها.
الموقع: http://www.solidoak.com/.

- برنامج سيرفواتش Surfwatch: وهو برنامج حماية يساعد الآباء على متابعة المواقع التي تمت زيارتها، ومنع وصول الأطفال إلى المواقع غير المرغوبة.
الموقع: http://www1.surfwatch.co/.
We-Blocker 2.0

- متصفح شيبرو ChiBrow 6.01: متصفح إنترنت خصص للصغار، يمكنهم من تصفح آمن للإنترنت من دون الخوف من التوغل في محتويات إباحية أو محظورة.
الموقع: http://www.shareware.com/

- متصفح يا هادي: وهو متصفح آمن للأطفال ويحتوي على مميزات كبيرة للأسر. ويمكن تحميله من موقع: http://
www.yahadi4.com/arabic/index.html

٧- مراجعة تحديثات برامج التشغيل وبرامج الحماية مع تشغيل برامج الحماية وفحص الفيروسات على فترات متقاربة وبصورة دورية.

خلف أبوزيد
باحث تربوي



# وقت فراغ الطفل في العصر الرقمي

من النواحي التي نرى فيها قصورا واضحا من جانب الآباء والأمهات، وقت الفراغ الذي يعيشه الطفل، خصوصا بعد انتهاء العام الدراسي، فنرى كثيرا من الآباء والأمهات يهملون هذا الجانب، إما جهلا بجدواه، وإما نتيجة لانشغالهم بواجبات اجتماعية أخرى. ونتيجة لهذا الانشغال، نجد أن أسرا كثيرة الآن جعلت من أجهزة الآيباد والحواسيب اللوحية والهواتف الذكية، البديل الوحيد أمام أطفالهم، الذي يشغلون معه وقت فراغهم. فعلى سبيل المثال، نجد أطفالا في عمر الزهور يجولون بأصابعهم على شاشات اللمس، منغمسين في هذا العالم الافتراضي الجذاب، فيضيع وقتهم في أمور لا طائل منها. ومما يزيد الأمر سوءا، أن وجد فيها الآباء والأمهات ملاذا لهم، في صرف أنظار أطفالهم عنهم أثناء قيامهم ببعض الأعمال المنزلية، حتى إن بعض الآباء يرون أن هذه الأجهزة تساعد في تهدئة الطفل مما يدفعهم إلى إعطائها إليه قبل النوم، إلا أن كثيرا من الأبحاث التربوية جاءت لتحذر من أن انشغال الأطفال بهذه الأجهزة يبعدهم عن ألعابهم، الأمر الذي يحد من قدراتهم على التفكير وتطوير مهاراتهم المختلفة، فضلا عن أن هذه الأجهزة تؤثر في نظر الأطفال وقدرتهم على النوم. هذه الأسباب وغيرها تدفعنا إلى البحث عن بدائل حقيقية يقضي عبرها أطفالنا وقت فراغهم بطريقة صحيحة ومفيدة، ولا يتأتى ذلك إلا بخروج الوالدين من دائرة الروتين اليومي بتخصيص جزء، ولو يسير، من وقتهما للأبناء، وذلك بمساعدتهم في وضع جدول زمني محدد يوجهون خلاله أنظارهم إلى ممارسة أنشطة مفيدة يكتسبون من خلالها مهارات جديدة تعود على صحتهم وعقولهم بالنفع والفائدة.

وإليكم بعضا من هذه الأنشطة التي يمكن أن تخلق جوا أسريا حميما بين الأبناء والوالدين من ناحية، ومن ناحية أخرى ينفث عبرها الأطفال ما بداخلهم من طاقات ومكبوتات بأسلوب صحيح.

### حفظ القرآن الكريم وتعلمه

علينا كآباء وأمهات أن نوجه أنظار أطفالنا إلى استثمار جزء من وقت فراغهم في

حفظ القرآن الكريم وتعلمه، سواء كان ذلك في البيت أو المسجد أو مراكز تحفيظ القرآن الكريم، لأن ربط الطفل منذ الصغر بالقرآن الكريم، حفظا وتلاوة وسلوكا، له أثر طيب وفوائد عظيمة على الطفل، فهو يقوّم لسانه، ويعوّده طريقة النطق السليم، وينمي ذوقه، فهو قمة الإعجاز ونحو اللغة العربية الأسمى، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، أن القرآن الكريم يربط الطفل منذ نعومة أظفاره بدينه الإسلامي، لأنه دستور الإسلام وأصله الأول، فعندما يفتح الطفل عقله وقلبه لحفظ آيات القرآن الكريم، فلا يعرف في حياته بعد ذلك أي موجة من موجات الانحراف، ولا مبدأ يعتقده سوى مبادئ القرآن الكريم، ولا يعرف تشريعا يستقي منه سوى تشريع القرآن، ولا يعرف بلسما لروحه وشفاء لنفسه سوى الخشوع بآيات القرآن الكريم، وبذلك تصل الأسرة إلى الغاية المرجوة في تكوين أطفالها روحيا وإعدادهم إيمانيا وأخلاقيا.

## مشاركة الأعمال البسيطة

كما يمكن أن نشغل وقت فراغ الطفل بإشراكه في بعض الأعمال المنزلية البسيطة، كترتيب أشيائه ومتعلقاته الخاصة من كتب ولعب وملابس، وأي شيء آخر يشعر بأنه ملكه، أو تكليفه بمتابعة بعض النباتات وزراعتها وتعهدها بالرعاية والاهتمام، أو تشجيعه على المشاركة مع بعض أصدقائه بالمساهمة في تجميل الحي الذي يقطن فيه، إلى آخر ذلك من هذه الصور والأشياء البسيطة التي نشغل بها وقت فراغ الطفل، وفي الوقت نفسه تنمي في نفسه روح التعاون وتحمل المسؤولية والاعتماد على النفس.

## ممارسة الرياضة

تعد ممارسة الرياضة البدنية من أهم الوسائل التي يمكن أن يشغل من خلالها الطفل وقت فراغه، فهي من الأنشطة الحيوية التي تساعد على بناء شخصية إنسانية متوازنة تقوم على أساس صحة الجسد وصحة العقل. ولو أننا ألقينا نظرة على تعاليم ديننا الإسلامي في هذا الشأن، فسنجد أن تربية الطفل والاعتناء بصحته، الجسدية والعقلية، شغلا جانبا مهما من جوانب منهج التربية الإسلامية في إعداد النشء المسلم إعدادا سليما للحياة، ذلك لأن العقيدة الإسلامية تحرص على بناء إنسان متكامل، قوي الجسم صحيح العقل، لذلك يلفت نظرنا رسول الله ﷺ إلى أهمية الرياضة البدنية والصحة الجسدية للإنسان، فيقول: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين (الرمي)، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة» (رواه الطبراني بإسناد جيد). فإذا كان الاعتناء والإعداد الجسمي السليم من الأمور اللازمة للمسلم، فإن لزومها للولد وهو صغير من باب أولى؛ حتى يشب قوي الإرادة متمتعا بالحيوية والنشاط.

## هوايات مفيدة

من الوسائل التي يمكن للطفل أن يقضي من خلالها وقت فراغه ممارسة هواية مفيدة، كالقراءة أو الرسم أو غيرهما من أنواع الهوايات الأخرى، التي تدخل السرور على نفس الطفل، وفي الوقت نفسه تعده وتؤهله لاحتراف إحدى هذه الهوايات في مستقبله. ولكن علينا كآباء أن نضع في اعتبارنا ما يوجد من فروق فردية واسعة بين الأطفال فيما يفضلون من هوايات، وما يوجد بينهم من تباين فيما يتعلق بالقدرات العقلية والسمات المختلفة، وأن نترك للطفل اختيار الهواية المناسبة التي تستحوذ على حبه واهتمامه، وتشجيعه على ممارستها بتوفير الأدوات اللازمة لها، فإذا كانت ميول الطفل أدبية أحضرنا له الكتب والقصص والمجلات التي تتلاءم مع سنه، وشجعناه على قراءتها وناقشناه فيما يقرأ، ووفرنا له الجو الملائم لعملية القراءة، وتركنا له حرية اختيار لون الأدب الذي يفضله. وإذا كانت ميوله للرسم ألحقناه ببعض المراكز المتخصصة لتعليم الرسم ووفرنا له المعلومات اللازمة حوله ومنحناه من الوقت ما يمكنه من ممارسة هوايته، فالرسم ينمي في الطفل الإحساس ويساعده على الاستمتاع بوقت فراغه واستغلاله في أمر محبب إلى نفسه. وإذا كانت هوايته علمية قدمنا له الألعاب التي تنمي المهارات الإبداعية لديه، والتي يستطيع عن طريقها صنع أشياء وابتكار أشكال جديدة تنمي قدراته الذهنية، وتظهر مواهبه في التفكير وحل المشكلات، وهكذا مع سائر الهوايات الأخرى، التي تشغل اهتمام الطفل، ولا مانع من أن يكون للطفل أكثر من هواية، ولكن علينا كآباء أن نساعده على الاستغلال الأمثل للوقت واستثماره فيما يفيده وينفعه.

## رحلات وزيارات

ومن الوسائل المهمة التي تسهم في قضاء وقت فراغ الطفل بصورة نافعة ومفيدة، القيام ببعض الرحلات والزيارات لأهم المعالم التاريخية والمتاحف الأثرية ومعارض الكتب وغيرها من الأماكن العامة، مع تشجيع الطفل على الكتابة أو الرسم عما شاهده أو قرأ عنه، وتقديم جائزة، ولو رمزية، لتشجيعه على القيام بمثل هذه الزيارات مع الأسرة، فإن مثل هذه الرحلات والزيارات إن كانت في المقام الأول تحمل بعدا ترفيهيا يقضي من خلالها الطفل بعضا من وقت فراغه، فإن بعدها المعرفي والتثقيفي أكبر وأعظم فائدة، لأنها تساعدنا كآباء وأمهات في تعريف الطفل بصورة مباشرة ومن خلال المشاهدة الحية بتاريخه وحضارته في شكل شائق، مما يرسخ المعلومة في عقله ويعطيه صورة قريبة عن تاريخه وحضارته.

وفي النهاية، نقول علينا أن نعلم أبناءنا، كيف يستثمرون أوقات فراغهم بأسلوب صحيح في الأشياء التي تنمي مواهبهم وتشبع رغباتهم وطموحاتهم، بحيث يخرجون من الإجازات المدرسية، وهم أكثر نشاطا وحيوية، وقد أضافوا إلى معلوماتهم ومعارفهم كل ما هو نافع ومفيد، مما يعود على مستقبلهم بالخير والتقدم.

وفيق صفوت مختار
باحث تربوي

# القلق عند الأطفال

يصاب الأطفال بالقلق، شأنهم شأن الكبار، لكنهم لا يستطيعون البوح بما يعانون منه، بيد أننا نستطيع استنتاج ما يشعرون به من خلال ما يبدر عنهم من تصرفات، أو ما يظهر عليهم من أعراض مختلفة.

وينشأ القلق عند الأطفال، عادة، نتيجة لمواقف يتعرضون لها في نطاق الأسرة في سنوات العمر الأولى. ويكون للأب أو الأم دور كبير في إصابة الأطفال بالقلق، وذلك حين يدفعونهم إلى الشعور بعدم الأمن والأمان، أو فيما يرتكبونه من أخطاء أثناء التنشئة الأسرية، فالأم التي تبدي الحماية الزائدة لطفلها وتجعله يشعر طوال الوقت أنه معرض لخطر متوقع، أو الأب الذي يبالغ في إبداء خوفه وقلقه في كل مناسبة يمكن أن يتسبب في انتقال عدوى الخوف والقلق إلى بقية أفراد الأسرة، خصوصا الأطفال الصغار.

وقد تبدو على الأطفال مظاهر الإصابة بالقلق النفسي في شكل حركات لاإرادية نتيجة انقباض بعض العضلات، أو التبول اللاإرادي بعد أن يكون الطفل قد تحكم في عملية التبول، وأيضا قضم الأظافر، أو مص الأصابع، أو الكوابيس التي تؤرق مضاجعهم، أو المشي أثناء النوم.

عندما يكمل الطفل عامه الأول ويبدأ في الحركة والكلام فإن الأم قد يبدأ لديها شعور بالرغبة في التحرر من الارتباط بالطفل، وبالتالي في رفض ارتباطه بها، ويكون رفضها هذا عنيفا على شكل تأنيب، أو إرساله إلى دور الحضانة. وواقع الأمر فإن الانفصال الفجائي العنيف يصيب الطفل بصدمة نفسية قد يعاني منها طوال حياته، وبالتالي تعاني الأم من صعوبة التعامل معه في السنوات التالية من عمره.

كذلك فإن من عوامل إصابة الطفل بالقلق، تمسك الأم بطفلها لسبب أو لآخر حيث تكون قلقة عليه بشدة وترفض انفصال طفلها عنها حتى عندما يكبر، فطفلها رغم بلوغ عامه الثاني، على سبيل المثال، وتمكنه من المشي وحده، تصر على حمله بين

ذراعيها. ونتيجة لذلك يقع الطفل نفسه في صراع من نوع غريب، فهو يتمسك بها، وسعيد بارتباطه بأمه، لكنه في الوقت نفسه يرفض هذه القيود على حريته في الحركة، وفي اكتشاف العالم من حوله. والأمر يسير، فعندما يبدأ الطفل في اكتشاف ذاته والعالم المحيط به، يتعين على الأم أن تترك له هذه الفرصة دون مغالاة في الحرية، وأيضا دون تحفظ ولتكن وسطا في علاقتها به.

## الأدب والخجل

قد يصاب الطفل أيضا بنوع من القلق من الغرباء، ويسمى ذلك «اضطراب التجنب» Avoidance Disorder وهذا القلق يجعل الطفل يخشى إقامة علاقة بأي إنسان غريب عنه، بينما ينجح في علاقاته مع أفراد أسرته والأصدقاء الذين يعرفهم جيدا. ومن مظاهر هذا النوع من القلق أنه عندما يجلس الطفل أو يتقابل مع أغراب عنه يكون خجولا ومرتبكا، لا يستطيع الحديث معهم، وأحيانا يسهم الوالدان في تثبيت هذا السلوك وتشجيعه لدى طفلهما ظنا منهما أنه نوع من الأدب والخجل المطلوب!! لكن ينبغي على الوالدين في هذه الحالة أن يقنعا الطفل بأن اختلاطه بالآخرين لن يضره، بل سيحقق له السعادة كلما قوّى علاقاته الاجتماعية.

ومن مسببات القلق أيضا، رفض الطفل ونبذه ومعاملته معاملة مهينة، واحتقاره أو توبيخه، وعدم تشجيعه، والتقليل من قدره وشأنه.

**المناهج الدراسية غير المرنة تصيب الأطفال بضغوط نفسية**

كذلك فإن الكثير من الأطفال يتعرضون لضغوط نفسية في حياتهم المدرسية، تؤدي حتما لإصابتهم بالقلق النفسي، منها على سبيل المثال: المناهج الدراسية غير المرنة التي يتم تدريسها لجميع الأطفال بنفس الطريقة، دون مراعاة الفروق الفردية بينهم، وبالتالي يصبح المنهج وطريقته عبئا على غالبية هؤلاء الأطفال، أو أن طموحات الوالدين المتعلقة بمستقبل الأبناء تتخطى حدود قدراتهم وإمكاناتهم، ومن ثم يعيش الوالدان قلقا شديدا يتعلق بمستقبل أطفالهم، وهذا القلق ينتقل بكل تأكيد إلى هؤلاء الأطفال؛ لأنهم يعيشون صراعا بين رغبتهم في تحقيق طموحات والدِيهم، وبين عدم قدرتهم على تحقيق هذه الطموحات.

## العلاج

من وسائل العلاج الحديثة لقلق الأطفال، العلاج السلوكي متعدد المحاور، ويقوم هذا النوع من العلاج على المحاور التالية:

١- المواقف أو الحوادث السابقة التي تثير الطفل وتسهم في تشكيله وما تنطوي عليه من خبرات سيئة كالقلق أو الإحباط.

٢- السلوك الظاهر، أي الأفعال السلوكية التي يترجم الشخص من خلالها هذا الاضطراب، كالتهتهة، أو التبول اللاإرادي، أو احمرار الوجه، أو تجنب الطفل لبعض المواقف.

٣- المكونات الانفعالية، أو التغيرات العضوية الداخلية التي يحدثها هذا الاضطراب، مثل: زيادة ضربات القلب، أو ازدياد سرعة التنفس... إلخ.

٤- الجوانب الفكرية، أو المعتقدات الخاطئة التي يتبناها الطفل عن نفسه، أو عن المواقف التي يمر بها، وهذا الجانب ينطوي على ما ينتجه التفكير من مبالغات، أو ما يقوله الطفل لنفسه من أفكار سلبية أو انهزامية.

٥- ضعف المهارة في التفاعل الاجتماعي، أو قصور المهارات الاجتماعية.

ولأن المحاور السابقة تتداخل وتتفق فيما بينها في إبراز السلوك المرضي، فإن المواجهة العلاجية يجب أن تعكس هذه الرؤية متعددة المحاور، وتوجيه الجهد لمعالجة هذه الجوانب.

ولنأخذ هذا المثال لطفل يعاني من القلق الاجتماعي الشديد، بصورة تحرمه من التفاعل الجيد مع زملائه أو معلميه أو أي شخص آخر، إن قلقه يترجم نفسه في أشكال متعددة تحدث جميعها في وقت واحد، فهو يشعر بالخفقان، ويزداد تنفسه، ويجف لعابه كدلالة على الانفعال، ونرى ذلك كسلوك ظاهري في صعوبات الحديث (التهتهة أو الحبسة الصوتية)، أو شحوب الوجه والشفتين. كما لا يجد موضوعات مناسبة للحديث مع الآخرين لتساعده على استمرار

حواره كدلالة على ضعف المهارة الاجتماعية لديه. وإذا سألناه عما كان يفكر فيه خلال هذا الموقف المربك فسنجد أنه كان يتكلم مع نفسه بصوت غير مسموع (أنا طفل عاجز وفاشل)؛ وبالتالي سيفشل تماما في تحويل الموقف لصالحه.
ويتطلب العلاج الناجح لهذا الطفل أن نوجه نشاطنا العلاجي لتعديل كل هذه المحاور من الاضطراب، فمن الممكن أن نعلمه أساليب جديدة لضبط انفعالاته (من خلال تدريبه على الاسترخاء العضلي مثلا)، كما يمكن أن ندربه على أساليب جديدة من السلوك، أو نساعده على التخفيف من الأساليب السلوكية المرضية من خلال تدريبه على الطلاقة اللفظية، والتخلص من التهتهة. ويمكن إضافة إلى ذلك، مساعدته على تعديل طريقة تفكيره نحو نفسه، التي تتسم عادة بالانتقاص وتوقع الفشل، أو يمكن أن نعلمه أيضا طرقا جديدة في تبادل الأحاديث، وخلق موضوعات للحوار، وتوجيه الأسئلة، كهدف من أهداف تعديل طرق التعامل الاجتماعي ومواجهة جوانب القصور في المهارات الاجتماعية.
وهناك أيضا العلاج عن طريق اللعب Play therapy، وهو النوع الذي يفلح مع الأطفال الذين لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم، وعما يجول بخاطرهم، وفي هذا النوع من اللعب يترك الطفل في حجرة الألعاب ليختار لعبة من اللعب الموجودة، وليبدي نحوها أيضا ما يشاء من مشاعر وتصرفات، ويفضل المعالجون النفسيون هذا النوع من العلاج بالنسبة للأطفال؛ لأنه يساعدهم على التعرف على المشكلات التي يعاني منها الأطفال، وحقيقة حالتهم بطريقة عملية أكثر وضوحا، ولأنه في الوقت نفسه يتيح للأطفال فرصة أكبر للتنفيس عن مشاعرهم المكبوتة، فعندما يختار الطفل دمية مثلا، ويأخذها بين ذراعيه ويربت عليها، ويعاملها بلطف وحنان، فهو يعبر عن حاجة حقيقية عنده للعناية والرعاية والعطف، وهو السلوك ذاته الذي مارسه بالنسبة للدمية، وفي الوقت ذاته يفصح هذا السلوك عن حقيقة أن هذه الحاجة هي التي تنقصه ويحتاج إليها.
وعندما يأخذ الطفل الدمية ويلقي بها على الأرض، أو يركلها، فإنه بذلك إنما يفرغ مشاعره التي تسبب له الضيق، وتوضح للمعالج حقيقة ما يعاني منه، من كراهية للآخرين، أو من رغبة في الانتقام، أو نحو ذلك من المشاعر المكبوتة.
كما أن ممارسة الطفل المصاب بالقلق النفسي للرسم أو التمثيل أو الموسيقى أو سائر الفنون الأخرى، فإنما تساعد كأساليب علاجية للتنفيس عن المشاعر والأحاسيس المؤلمة التي يعاني منها الطفل، وذلك عندما يعبر عنها تعبيرا حرا، ويصورها بطريقة تنشط خياله، وتساعده على الإفصاح عن مكنوناته النفسية الداخلية بأسلوب أشد وضوحا، فتفصح بذلك عن حالته حتى يتم علاجها بنجاح، وتساعد في الوقت نفسه على تفريغ الشحنات الانفعالية المكبوتة.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي

# أخطاء تربية الأطفال

للأسرة دور كبير في تربية الأطفال وبناء شخصياتهم بحيث تكون شخصية سوية متوافقة، فالأسرة لكونها مؤسسة التربية الأولى تمثل أهمية كبرى في غرس الأسس السليمة لدى الأطفال. وعلى الرغم من ذلك، فإن بعض الأسر تقع في بعض الأخطاء التي تؤثر في تربية الأطفال، ويحاول هذا المقال الوقوف على بعض هذه الأخطاء وأسبابها وطريقة علاجها.

من الأخطاء في تربية الأطفال عدم وجود الخبرة الكافية، فافتقار الوالدين للخبرة اللازمة لتربية الأطفال من شأنه أن يؤثر في طبيعة السلوك المكتسب. ومن الأخطاء أيضا:

- مشاجرات الوالدين: كثيرا ما يكون الأطفال ضحية العلاقات غير السوية داخل الأسرة، فقد تكون العلاقة بين الوالدين غير منسجمة، حيث التنافر وعدم الاتفاق بين الوالدين، مما يؤدي إلى خلق جو لا يساعد الطفل على تطوير شخصية متوازنة.

- عدم تحديد نظام للتعامل مع الأطفال: فغياب النظام المحدد للتعامل مع الأطفال، وعدم استقرار الأسرة على رأي واحد في أي مشكلة طارئة أو عارضة أو في نظام الحياة اليومي للأطفال؛ يسبب بلبلة وفقدان ثقة الأطفال في أنفسهم. وتغيير الرأي والاختلاف بين الأبوين أمام الأطفال يجعلانهم لا يعيشون بطريقة مستقرة.

- تعويض الوالدين للحنان المفقود: يعتقد كثير من الآباء الذين مروا بظروف أسرية صعبة فقدوا خلالها عطف وحنان الوالدين، بأنه ينبغي أن يغمروا أبناءهم بالعطف والحنان الزائد، وقد يؤدي ذلك إلى التساهل في التعامل وإغفال قضية محاسبة الطفل على أخطائه، فيتمادى الطفل لعلمه أنه لا عقاب أو محاسبة له من قبل الوالدين على أخطائه.

- تركيز الاهتمام على أحد الأبناء: نلاحظ أن بعض الأسر تركز اهتمامها على أحد أبنائها، وتتساهل معه، وتكيل له المديح والثناء دون إخوانه الآخرين في الأسرة، فهذا الاتجاه من الوالدين يخلق الغيرة والعداء بين الإخوة. ومن الأمثلة على ذلك اهتمام الوالدين بالطفل الأول أو الطفل الأخير، أو الطفل المريض، أو الطفل الوحيد، ذكرا كان أم أنثى.

- التعامل مع الطفل عند وقوع الخطأ فقط: ينتظر الوالدان الطفل حتى يخطئَ كي يعاقباه، على الرغم من أن الكثير من السلوكيات الجيدة تمر دون اهتمام من قبل الوالدين، ولا تحظى بالدعم والتقدير.

### أخطاء الأسرة

يمكن علاج أخطاء الأسرة في تربية الأطفال من خلال ما يلي:

- لعلاج عدم وجود الخبرة الكافية لتربية الأطفال يتعين حث الوالدين على الاستعانة بذوي الخبرة، والحصول على الكتب والمطبوعات اللازمة من نشرات ومطويات توضح الأساليب السليمة في التربية، وأيضا متابعة وسائل الإعلام التي تساهم في تثقيف الأسرة بشأن هذه المسألة.

- على الآباء اللجوء إلى أسلوب التفاهم، وبحث خلافاتهم بعيدا عن أعين الأطفال وآذانهم.

- على الأسرة معاملة الطفل بطريقة واحدة ومستقرة، وعدم الاختلاف أمامه.

- على الوالدين عدم المبالغة في العطف والحنان وتدليل الطفل، فهي وإن كانت ضرورية، فإن المبالغة فيها أمر خطير يحتاج إلى علاج.

- ينبغي على الأسرة عدم التركيز والاهتمام بأحد الأبناء دون الآخرين، ولتكن المعاملة لجميع الأبناء بعدل ومساواة.

د. سعد عبد الله الجدعان
باحث أكاديمي
الكويت

## سلسلة الذوق والآداب (٥)

# اللباقة في التعامل مع الجيران

الجار حقه عظيم ولو كان كافرا فكيف إذا كان مسلما، وكيف إذا كان مسلما قريبا له رحم؟! قال العلماء إن الجيران ثلاثة، أي من حيث وجوب الصلة والبر بهم والإحسان إليهم: الأول هو الجار الكافر، وله حق واحد هو حق الجوار، وكل الأحاديث والآيات التي وردت في حق هذا الجار الكافر ووجوب الإحسان إليه واحتمال الأذى منه وكف الأذى عنه يدخل فيها أيضا الجار المسلم والجار القريب والبعيد، ومن تعرف ومن لا تعرف. قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء:٣٦).

في هذه الآية الكريمة أمرنا الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، ونهى عن الشرك به، ثم بعدما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب، فأمرنا بالإحسان إلى الوالدين، أيا كانت ديانتهما ولم يقصره على المسلمين فقط. وكذلك الحال بالنسبة إلى ذوي القربى، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أم بعدوا، وأيضا باليتامى والمساكين الذين أسكنتهم الحاجة والفقر. وشملت الآية أيضا تأكيد الله تعالى على حق «الجار ذي القربى» الذي له حقان: حق الجوار وحق القرابة، و«الجار الجنب» الذي ليس له قرابة، مسلما كان أو كافرا، قريبا كان أم بعيدا، وكلما كان الجار أقرب بابا كان آكد حقا.

والثاني هو الجار المسلم، وله حقان، هما حق الجوار وحق الإسلام. أما الجار الثالث، فهو الجار المسلم ذو الرحم، وهذا الجار له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم. عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» أي سيجعله كأهله وعياله، يدخل في هذا المعنى المسلم والكافر فالحديث عام.

### حقوق الجار

الحق الأول: وهو من أوجب الواجبات، أن تكف أذاك وشرك عنه، فعن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»، أي لا يؤذي الجيران إلا رجل ضعيف الإيمان أو فاقد الإيمان والعياذ بالله.

الحق الثاني: احتمال الأذى من الجار، إذ يتعين على المسلم الصبر على أذى الجار ما وسعه ذلك واحتساب الأجر عند الله، ولا يمنع ذلك أن تناصحه وتذكره بالله وتخوفه من عاقبة أذى الجار وتبين له أنك متألم متأذ من أفعاله. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٥٨).

والآيات والأحاديث كثيرة في عاقبة الظلم والأذى، ومنها: عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».

الحق الثالث: لا يقتصر على أن تكف الأذى عنه فقط وتحتمل الأذى منه، بل تحسن إليه وإن آذاك وأساء إليك وقطعك. عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها».

وكان لأبي حنيفة النعمان، الإمام المعروف، جار إسكافي يعمل في تصليح الأحذية طوال النهار، فإذا حل الليل جاء إلى البيت وشرب الخمر، وكان أبوحنيفة يسمع هذا الجار يردد شعرا كل ليلة وهو سكران يقول فيه:

**أضاعوني وأي فتى أضاعوا**
**ليوم كريهة وسداد ثغرِ**

أي إنه يردد شعرا للأولين. ومرت الأيام وفي ليلة من الليالي افتقد أبوحنيفة صوت جاره؛ ما سمع له صوتا ولا حركة، وفي الصباح سأل عنه قال: أين فلان؟ قالوا: قبض عليه العسس، أي الشرطة، في الليل

وأودعوه السجن. فركب أبو حنيفة بغلته وذهب إلى الأمير واستأذن ودخل عنده، فرحب به الأمير وقال له: سلني ما شئت. قال: أشفع لجاري. قال: وأي جار؟! قال: فلان بن فلان. فقال الأمير: هو لك، وعفونا عنه، وخذه معك. فأخذه أبوحنيفة ومشى معه إلى بيته. فقال له أبوحنيفة: هل أضعناك أيها الرجل؟ قال: لا والله. فتاب الرجل من يومه وانقطع عن شرب الخمر وكان من الصالحين.

عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء»

الحق الرابع: ستره وصيانة عرضه، وهذا الحق من آكد الحقوق، فبحكم الجوار قد يطلع الجار على بعض أمور جاره، فينبغي أن يوطن نفسه على ستر جاره مستحضرا أنه إن فعل ذلك ستره الله في الدنيا والآخرة، أما إن هتك ستره فقد عرض نفسه لجزاء من جنس عمله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت:٤٦).

وقد كان العرب يفخرون بصيانتهم أعراض الجيران حتى في الجاهلية، يقول عنترة:

**وأغض طرفي إن بدت لي جارتي**
**حتى يواري جارتي مأواها**

وأما في الإسلام فيقول أحدهم:

**ما ضر جاري إذ أجاوره**
**ألا يكون لبيته ستر**
**أعمى إذا ما جارتي خرجت**
**حتى يواري جارتي الخدر**

الحق الخامس: رد السلام وإجابة الدعوة، وهذه وإن كانت من الحقوق

## لا يؤذي جاره إلا ضعيف الإيمان أو فاقده

العامة للمسلمين، إلا أنها تتأكد في حق الجيران لما لها من آثار طيبة في إشاعة روح الألفة والمودة. ولهذا جاء في الأثر قول القائل: «الجار قبل الدار». فإن الجوار أحيانا يكون أعظم من البيت نفسه. ومن حق الجار على جاره أيضا أن يكون له في الشدائد عونا وفي الرخاء أخا. وأن يفرح إذا رأى من أخيه ما يفرحه ويسره، ويأسى إذا رأى من جاره ما يحزنه ويؤذيه، ويشد بيده إذا أظلمت في وجهه الحياة، وينصحه ويذكره ويرشده إذا أخطأ أو ضل الطريق، وينصره إذا كان مظلوما، ويردعه عن الظلم إذا كان ظالما، ويقويه إذا كان عاجزا، ويغنيه إن كان فقيرا، ويجمع شمله إن شتته الزمان، ويلم شمله إذا آتته صروف الدهر.

### ثواب حسن الجوار

حسن الجوار يرفع العبد إلى أعلى الدرجات، ويجعلك تتبوأ أعلى المنازل لا بصيام ولا بقيام وإنما بحسن الجوار. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»، فينبغي على المسلم أن يعلم أن من صنائع المعروف إكرام الجار. فكن أخي الحبيب من أهل المعروف مع أقرب الناس إليك وهم جيرانك. ومن سعادة المرء أن يعيش مع جيران أفاضل، ومن متع الحياة الدنيا أن تطمئن إلى أن الذي إلى جانبك، والذي فوقك، والذي تحتك، يحبك وتحبه، يحفظ حرمتك، وتحفظ حرمته، يتفقد أهلك، وتتفقد أهله في غيبته، نحن نتذوق القيم الإسلامية نظريا، ولكن والله لو عشناها لشعرنا بسعادة لا توصف.. على الوصف نسعد بسماعها، فكيف إذا عشناها؟ كيف إذا عشنا هذه القيم؟ وكيف إذا كنا كما أراد النبي ﷺ، كيف إذا كنا كما وجهنا النبي عليه الصلاة والسلام؟.

### تحذير نبوي

وقد جاءت في السنة تحذيرات شديدة من الإساءة إلى الجار وعاقبتها. فقد يكون المسلم معروفا باستغراقه في عبادة الله، ويمنعه من دخول الجنة ويدفعه إلى النار إيذاؤه لجاره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال ﷺ: «هي في النار». قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة».

وقد يكون المسلم لا يؤدي من العبادة سوى الفرائض، لكنه لا يؤذي جيرانه، أي لا يقسو على جيرانه بل يرحمهم، فيدخل الجنة، وهكذا يكون إيذاء الجار سببا في دخول النار، والإحسان إلى الجار سببا في دخول الجنة. وفي الموقف فضيلة من فضائل الإحسان إلى الجار، وهي أن الجار إن عصى الله فيك، فينبغي أن تطيع الله فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤).

أ. د. عبدالفتاح العيسوي
باحث تربوي



# توهم المرض.. أسبابه وعلاجه

يعرف عصاب توهم المرض (Hypochondria) بأنه اضطراب نفسي المنشأ، عبارة عن اعتقاد راسخ بوجود مرض ما رغم عدم وجود دليل طبي أو عضوي، مما يؤدي إلى حصر تفكير المريض في نفسه واهتمامه المرضي الدائم بصحته وجسمه بحيث يطغى على كل الاهتمامات الأخرى، ويعوق اتصاله السوي بالآخرين، ويشعره بالنقص والشك في نفسه. وهو نوع من الوسواس المتمركز حول الصحة الجسمية، لذلك نرى المريض شديد الالتفات إلى المظاهر الفسيولوجية، فهو ينشغل بمراقبة حركاته الداخلية، ويتأمل كل شهيق وزفير وكل نبضة بشكل مبالغ، وقد يحمل معه مرآة ليرى لون جلده أو وجهه ليسارع إلى أقرب عيادة طبية لتشخيص ما يراه، وعندما يطمئنه الطبيب على حسن صحته، يترك هذا الطبيب ويذهب إلى آخر. ويتميز هؤلاء المرضى بالاستماع والمتابعة الدقيقة للأحاديث الطبية، ويتابعون المؤتمرات الطبية حتى يصبحوا على دراية بأخطر الأمراض وأحدث الأدوية.

### أسباب توهم المرض

من أهم أسبابه الحساسية النفسية الزائدة عند بعض الناس، حيث نجدهم يتوهمون أنهم مرضى بمرض قد سمعوا عنه من الأطباء أو قرأوا عنه قراءة غير واعية من دون أساس علمي، زد على ذلك وجود قلق وضعف عصبي، ووجود عدوان مكبوت وفشل في الحياة، لاسيما في الحياة الزوجية، وشعور الفرد بعدم قيمته وكفايته، وقد يكون توهم المرض بمنزلة تعبير رمزي عن هذا الشعور، أو محاولة الهروب من مسؤوليات الحياة أو السيطرة على المحيطين والمخالطين، أو بسبب العدوى من والديه إذا كانا مصابين، أو أن المريض لاحظ اهتمامهما أكثر من اللازم بصحة الأولاد، أو بسبب المعاناة الشديدة من مرض سابق، أو وجود تهديد شخصي لا شعوري مثل دنو الآجل كما في حالة الشيخوخة، أو الخوف من فقدان الحب. وعلى كل حال هناك عوامل قد تزيد من احتمال الإصابة، منها وجود تاريخ مرضي شديد في مرحلة الطفولة، أو الإصابة بأحد اضطرابات الخوف.

وقد تكون الأسباب وراثية أو نتيجة لعجز الفرد عن مواجهة الواقع فيلجأ إلى توهم المرض كوسيلة للتخلص من القلق، وقد تؤدي العادات السيئة إلى تفاقم الحالة، من ذلك إدمان الخمور والمخدرات

والسهر لساعات طويلة والإفراط في النشاط الجنسي.

## الأعراض

من أهم أعراضه تسلط فكرة على الشخص، والشعور العام بعدم الراحة، وتضخيم الإحساس بالتعب والألم، والانشغال الدائم بالجسم والصحة والعناية الزائدة بها، والتردد على أطباء كثيرين، والمبالغة في الأعراض التافهة وتضخيمها، والاعتقاد أنها مرض خطير، فمثلا المغص يعتبره قرحة في المعدة.. وهكذا، ومحاولة المريض دائما تشخيص مرضه بنفسه، والشكوى من اضطرابات جسمية خاصة في المعدة والأمعاء أو أي جزء آخر من أجزاء الجسم. وفي بعض الأحيان يكون اختيار العضو أو الوظيفة له علاقة رمزية بالمشكلة التي تكمن وراء توهم المرض والشعور بالنقص، مما يعوق عملية الاتصال الاجتماعي، ويؤدي إلى العزلة أو الانطواء أو الانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى الخوف والقلق المفرط بشأن الإصابة بمرض معين، والتفتيش المتكرر في الجسد بحثا عن التقرحات أو الأورام، والفحص المتكرر أيضا للعلامات الحيوية كضغط الدم ودرجة الحرارة، والشعور بالضيق النفسي. كما يشكو المريض من الأرق والأوجاع المختلفة وضعف الذاكرة وقلة التركيز ووجع الرأس والصداع والإرهاق والكسل والتراخي والفتور والإعياء وعدم احترام الذات، كما أن المريض بتوهم المرض لا يطيق التندر أو السخرية من حالته ويأخذها على محمل الجد حتى وإن قيلت على سبيل الدعابة، كما يكون لقمة سائغة للمؤسسات الصحية وشركات الأدوية، وهو أميل إلى الاستبشار بمفعول الدواء إن وجد الدعاية التي تروج له والتي تقدم وصفا تفصيليا عنه، ثم إذا وقع متوهم المرض على أتفه الإشارات إلى احتمال تلوث الطعام أو وجود علاقة طفيفة بين المرض وهذا النوع من الطعام كان كافيا لامتناعه عن تناوله، وأصحاب توهم المرض يبدون ارتياحا في انشغالهم بأجسادهم.

ومن المضاعفات وجود مشاكل في العمل والعلاقات الاجتماعية، بالإضافة إلى المشاكل المادية بسبب اللجوء إلى الأطباء وعمل الفحوصات غير المبررة والشعور بالإحباط والغضب والقلق والاكتئاب والخوف والهلع من شبح الموت.

## العلاج

يتلخص العلاج في عدة طرق، منها العلاج النفسي، الذي يعتبر العلاج الرئيسي لهذا المرض والأكثر فاعلية، وعلى ذلك ينبغي إعطاء المصاب الفرصة الكافية للتنفيس عن مخاوفه بشأن الإصابة بمرض جسدي، وعلى الطبيب أن يساعد المصاب على فهم وإدراك ما لديه من اعتقادات خاطئة وسبب مخاوفه، وتشجيعه وتعليمه كيفية إيقاف سلوكه المرتبط بهذا المرض، وعلى المريض أن يستشير أحد الأطباء النفسيين المتخصصين عندما يشعر بأنه مصاب، فالعلاج المبكر لاشك يعطي نتائج أفضل. كما يجب على المريض الالتزام بالخطة العلاجية مع ممارسة التمارين الرياضية التي تتفق وتتماشى مع عمر المريض وحالته الصحية وقدراته واستعداداته وميوله ورغباته، حيث إنها تساعده في السيطرة على العديد من الأعراض من بينها الاكتئاب والقلق والضغط النفسي، وينصح بأن يقيم الطبيب علاقات طيبة مع المريض قوامها الصدق والتعاون، كما يتوجب على الطبيب الأخذ بعين الاعتبار أن هؤلاء المصابين كغيرهم من الأشخاص عرضة للإصابة بالأمراض البدنية.

كما أن العلاج النفسي يركز على بث روح الاطمئنان النفسي والإيحاء لمساعدة المريض على كشف صراعاته الداخلية والتخلص منها، وشرح العوامل التي أدت إلى الإصابة بالمرض وبيان العلاقة بين المرض والأعراض ومعرفة سبب الاهتمام بالذات، ثم تغير الاهتمام المنصب على الذات إلى مجالات أخرى، كالأعمال والأنشطة الرياضية والترفيهية وبرامج الرحلات، والعمل على تفريغ القلق وتقديم النصح والإرشاد والتوجيه إلى الأسرة، خصوصا مرافقي المريض كالزوجة، وعدم المبالغة في العطف والرعاية، وفي نفس الوقت عدم المعاملة بقسوة أو غلظة.. إلخ. كما يفيد التفاعل الاجتماعي الأكثر عمقا، والعلاج بالعمل والترفيه والترويح عن المريض من أجل إخراجه من دائرة التركيز على ذاته، وتحسين البيئة الأسرية ومحيط العمل، وفي ذات الوقت مراقبة المريض خشية إقدامه على الانتحار إذا كان توهم المرض متزامنا مع الاكتئاب الشديد، كما يفيد العلاج الديني الذي يؤثر في تغير المعتقدات والأفكار السلبية وتقوية الجانب الإيماني بأداء العبادات والمحافظة على الذكر والدعاء قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠). أما العلاج الدوائي فيستخدم مضادات الاكتئاب، حيث إنها تساعد على التخلص أو التخفيف من الأعراض، وهذه الأدوية هي: فلوكستين (fluoxetine) أو باروكسيتين (paroxetine) أو سيرترالين (sertraline) أو سيتالوبرام (citalopram)، حيث تعمل هذه الأدوية على منع امتصاص النورابينفرين أو الدوبامين. كما أن استخدام اسيتالوبرام (escitalopram) يمنع امتصاص السيرتونين، ويتميز عن غيره من مضادات الاكتئاب بأن تأثيره يظهر من أسبوع إلى أسبوعين من بدء العلاج. أو تناول البرازولام (alprazolam) الذي يعمل على تقليل القلق، حيث يؤثر على مراكز (GABA) وبذلك يقلل من أعراض المرض.




ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

## سلسلة الذخائر

# مجلة الثقافة




تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الثقافة» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

## التعريف بالمجلة

هي مجلة أسبوعية اجتماعية أدبية علمية وفنية، أنشأها أحمد أمين، صدر أول عدد منها يوم الثلاثاء ١٢ من ذي القعدة سنة ١٣٥٧هـ، الموافق ٣ يناير سنة ١٩٣٩م. وقد خطت هذه المجلة بأقلام أشهر الأدباء والمفكرين في ذلك الوقت، أمثال: طه حسين، توفيق الحكيم، إبراهيم عبدالقادر المازني، محمد فريد أبو حديد، أحمد زكي، وشفيق جبر... وغيرهم.

## التعريف بصاحب المجلة (أحمد أمين)

أحمد أمين إبراهيم الطباخ، عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب، اشتهر باسمه أحمد أمين وضاعت نسبته إلى الطباخ، ولد بالقاهرة يوم ١ أكتوبر سنة ١٨٨٦م.

بدأ تعليمه في الكتاب، ثم انتقل بعده إلى مدرسة «والدة عباس باشا الأول الابتدائية»، ثم إلى الأزهر، ثم إلى مدرسة القضاء الشرعي، حيث تخرج فيها بشهادة القضاء سنة ١٩١١م. فدرّس في مدرسته التي تخرج فيها «مدرسة القضاء الشرعي» سنتين، ثم انتقل بعدها إلى القضاء فعمل قاضيا مدة قصيرة لم تتجاوز ٣ أشهر، ليعود بعدها مدرسا بمدرسة القضاء. ثم عين مدرسا بكلية الآداب في جامعة القاهرة سنة ١٩٢٦م، فتدرج فيها من أستاذ إلى أن أصبح عميدا لها سنة ١٩٣٩م.

وفي سنة ١٩١٤م، أنشأ مع بعض رفاقه لجنة التأليف والترجمة، وكان رئيسا لها إلى أن توفي.

وفي سنة ١٩٣٦م، شارك في إنشاء مجلة الرسالة، بعدها وفي سنة ١٩٣٩م، أنشأ مجلة الثقافة التي هي موضوع بحثنا هذا. وفي سنة ١٩٤٦م، أنشأ الجامعة الشعبية، وبعدها وفي السنة نفسها أنشأ «معهد المخطوطات العربية» التابع لجامعة الدول العربية، ثم عين مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧م، واستمر إلى أن توفي. كما أنه كان من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجمع العلمي العراقي في بغداد. وقد منحته جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨م، لقب «دكتور فخري».

## مؤلفاته

فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، يوم الإسلام، حي بن يقظان، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، من زعماء الإصلاح، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، كتاب الأخلاق، حياتي، فيض الخاطر، الشرق والغرب، والنقد الأدبي... وغيرها كثير، وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفا وتأليفا.

ولم ينقطع عن التأليف والبحث حتى توفاه الله يوم ٢٧ رمضان سنة ١٣٧٣هـ، الموافق ٣٠ مايو سنة ١٩٥٤م.

## محتوى المجلة

اشتملت المجلة على مواضيع في علوم شتى في اللغة والأدب، والتاريخ والسياسة، والفن والقصص.. بأقلام أشهر الأدباء والمفكرين في ذلك العصر.

وسنذكر بعض ما نشر من هذه المقالات.

فمن المواضيع الأدبية نذكر مقالا بعنوان: مع أدبائنا المعاصرين، بقلم الدكتور طه حسين، وكانت أول مقالة له في مجلة الثقافة وفي عددها الأول.

وفي السياسة نشرت مقالا بعنوان: الصراع بين الديكتاتورية والديموقراطية، وكان هذا المقال بقلم المحرر السياسي في المجلة.

ومن المقالات المتسلسلة نشرت سلسلة لتوفيق الحكيم، بعنوان: تحت مصباحي الأخضر.

وفي الأدب القصصي نشرت مقالا للأستاذ: إبراهيم عبدالقادر المازني، بعنوان: العبرة بالخواتيم.

ومن المواضيع التاريخية مقال للأستاذ محمد فريد أبو حديد، بعنوان: الغمرات ينجليا.

وكتب الأستاذ شفيق جبري مقالا بعنوان: بخلاء الجاحظ وبخيل موليير.

وفي التربية وعلم النفس، كتب الأستاذ عبدالسلام الكرداني مقالا بعنوان: عهد ومنهاج.

وفي ميدان الفن كتب الدكتور زكي محمد حسن مقالا بعنوان: تين وفلسفة الفن.

وكثير من المواضيع التي يطول ذكرها.. وبهذا يتبين أن المجلة كانت اسما على مسمى، فقد جمعت مختلف المواضيع في علوم شتى سعيا إلى نشر الثقافة بين الشعوب، وظلت تصدر حتى عام ١٩٥٢م.

## نسخة مجلة الوعي

تزينت أرفف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذه المجلة الثقافية العريقة، حيث جمعت أعدادها في ستة وخمسين مجلدا، وهي متوافرة للباحثين عن المعرفة والثقافة.

## المصادر

الأعلام للزركلي.
مجلة الثقافة.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف - الكويتية

# المدرسة العالمة

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم، والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار في فرنسا شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق، ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي، وكانت أول مدرسة أنشئت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها، وسطع عندما تولى الملك الصالح الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية؛ ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاثمئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ستمئة مدرس، وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء، والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم.

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها، إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

**ألا عم صباحا أيها الطلل البالي**
**وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟**
**ديار لسلمى عافيات بذي خال**
**ألح عليها كل أسحم هطال**

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، ومنها:

## المدرسة (الناصحية/ دار الحديث) العالمة

**اسمها**

ذكر ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة، وابن طولون في القلائد الجوهرية، والنعيمي في الدارس، والشيخ ابن بدران في منادمة الأطلال، أن اسم هذه المدرسة هو: (المدرسة العالمة)، وذكر غيرهم أن اسمها: (المدرسة الناصحية العالمية)، وقال آخرون: اسمها (دار الحديث العالمية).

وقد كان بهذه المدرسة دار للحديث.

**مكانها**

كانت تقع هذه المدرسة شرقي الرباط الناصري، غربي سفح جبل قاسيون، تحت مسجد كان هناك اسمه: جامع الأفرم، في الجهة القبلية منه. (قاله النعيمي، وابن بدران).

**واقفتها**

هي الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الشيخ الناصح عبدالرحمن بن النجم الحنبلي الشيرازي الدمشقي، كانت فاضلة لها تصانيف عديدة، ومواقف سديدة، منها: أنها هي التي أشارت على السيدة ربيعة بنت أيوب أخت صلاح الدين ببناء مدرسة الصاحبة ووقفها على الحنابلة.

ثم حبست لأجل ذلك مدة، ثم أفرج عنها وتزوجها الأشرف صاحب حمص

وتوفيت سنة (٦٥٣هـ).
أما الشيخة العالمة فقد توفيت قبلها في سنة (٦٣٤هـ).

**أوقافها المحبوسة عليها**

١- البستان الذي بجسر البط أو (البطة)، وهو جسر قديم بطريق الصالحية.
٢- الغيضة أو (الغيطة) الثانية.
٣- حكر ابن صبح الذي عند الشامية البرانية.

وقد حكى القاضي برهان الدين بن مفلح كما نقل عنه النعيمي: أنها كانت محصورة في عشرين فقط من أعيان الطلبة. فالله تعالى أعلم.

**شيوخها ومن ولي التدريس فيها**

ولي مشيخة هذه المدرسة والدار عدد من أعيان العصر وعلمائه والمبرزين من أهل الاختصاصات منهم:

١- الإمام الحافظ محمد بن عبدالمنعم ابن عمار بن هامل الحراني، كانت له عناية تامة بالحديث.
توفي سنة (٦٧١هـ) رحمه الله تعالى.

٢- يوسف بن يحيى بن الناصح عبدالرحمن الشيرازي الأصل الدمشقي الصالحي الحنبلي، وهو من بيت مشهور بالعلماء والفضلاء، وولي نظر مدرستي: العالمة، والصاحبة، وتوفي في شهر شعبان من سنة (٧٥١هـ)، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

٣- الفقيه المحدث موسى بن إبراهيم ابن يحيى الشقراوي الصالحي، كان معتنيا جدا بالحديث والفقه وتوفي سنة (٧٠٢هـ) ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى.

٤- الفقيه المحدث قاضي القضاة العالم الخير الناصح عبدالله بن حسن ابن عبدالله بن عبدالغني المقدسي الصالحي، تفقه وأفتى وولي القضاء، وولي التدريس بالأشرفية البرانية الحنبلية، وبالصدرية، إضافة إلى العالمة، وتوفي سنة (٧٣٢هـ) ودفن بالسفح رحمه الله تعالى.

٥- العلامة الصالح تقي الدين أبو بكر ابن إبراهيم بن قندس البعلي الحنبلي، كان يدرس بالمدرسة الجامعة الشيخة الحنبلية مدرسة آل قدامة العمرية بالصالحية الغراء، وتوفي فيها في شهر المحرم سنة (٧٧٥هـ) رحمه الله تعالى.

**من أسمع فيها؟ وبعض المسموعات**

أسمع الحديث في هذه المدرسة عدد من العلماء والمحدثين والمشايخ الكبار، منهم:

١- محمد بن عبدالمنعم بن عمار بن هامل بن موهوب الحراني الحنبلي. وقد تقدمت ترجمته.

٢- الإمام العالم الصالح العفيف يوسف بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن محمود المرداوي الحنبلي، توفي في ربيع الأول سنة (٧٦٩هـ) رحمه الله تعالى.

**ومن مسموعاتها:**

- المجالس الخمسة السلماسية، على الشيخ محمد بن عبدالمنعم الحراني سنة (٦٦٦هـ).
- كتاب الزهد لأسد بن موسى على الشيخ ابن عمار الحنبلي سنة (٦٦٦هـ).
- كتاب الأقران، على الشيخ ابن عبدالمنعم سنة (٦٦٦هـ).
- كتاب البعث لابن أبي داود، على الشيخ ابن هامل الحراني سنة (٦٦٧هـ).
- الأربعون للحسن بن سفيان الفسوي، على الشيخ محمد الحنبلي سنة (٦٦٧هـ).

**حالها اليوم وما آلت إليه**

قال ابن بدران رحمه الله تعالى:
أما جامع الأفرم فهو حديث مضى وانقضى فإنه لم يبق له أثر، والمدرسة تبعته فصارت بستانا. اهـ

وقال الشيخ ابن كنان في المروج السندسية:
هي الآن حاكورة ولم يبق منها سوى الباب وهو حجر مردوم وعليه صورة الوقف وهي:
(هذه مدرسة دار الحديث لابن الناصح ابن الحنبلي). اهـ

وقال الشيخ دهمان:
دثرت هذه المدرسة ولم يبق لها أثر.اهـ

قال الدومي الحنبلي:
... وبالجملة فقد ضاعت العالمة وغيرها. اهـ

**خاتمة**

وبعد هذه الإطلالة العابرة على المدرسة ودار الحديث العالمة العريقة في دمشق الشام، والتي لم تكن وحيدة عصرها، بل كانت لها أخوات سبقتها، وأخرى أتت بعدها؛ تعرف ما كان عليه أهل ذلك العصر الفريد من العناية بالعلم، والعلماء، والدور، والمدارس، وما كانوا عليه من الاهتمام بالمدرس والدارس، والذي يرجع فيه الفضل بعد الله تعالى، إلى أناس أيقنوا أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض، ولا أن تتحرر، ولا أن تقود نفسها وغيرها من الأمم، إلا إذا اتخذت من العلم بجميع أنواعه وشتى مجالاته قائدا لها، وإلا إذا أولته كل اهتمامها، ففتح قلوب، وعقول العباد مقدم على فتح البلاد، والمهاد، فالاستنارة بنور الشرع هي الأصل والأساس، الذي يتفرع عنه فتح البلاد، وهداية العباد، فكانوا من رواد النهضة العلمية، الذين أعطوا العلم طابعا، ومنهجا لم يكن معروفا ولا مشتهرا من قبل، فرحم الله الجميع، وأعاد إلى تلك الدور، والمدارس، ومدنها، والمحابس، سالف عصرها الزاهر.

## الإحاطة بالأصول والفروع

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: «كل من كان أغوص نظرا وأدق فكرا وأكثر إحاطة بالأصول والفروع، وأتم وقوفا على شرائط الأدلة؛ كانت الإشكالات عنده أكثر. أما المصر على الوجه الواحد طول عمره في المباحث الظنية بحيث لا يتردد فيه، فذاك لا يكون إلا من جمود الطبع وقلة الفطنة وكلال القريحة وعدم الوقوف على شرائط الأدلة والاعتراضات».

**(المحصول، ٥/٣٩٤)**

## بين الحق والباطل

قيل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل أيام المحنة: يا أبا عبدالله، أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟! قال: «كلا، إن ظهور الباطل على الحق؛ أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق».

**(أعلام النبلاء، ٢/١٢١)**

## الإخلاص عزيز

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى: «أعز شيء في الدنيا: الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر».

**(جامع العلوم والحكم، ١/٨٤)**

## البدعة

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: «المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة، ولا يخاف الاقتداء به؛ فأمره أهون؛ فالأولى: ألا يقابح بالتغليظ والإهانة، بل يتلطف به في النصح؛ فإن قلوب العوام سريعة التقلب؛ فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الإعراض، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه؛ لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه؛ فالإعراض أولى؛ لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها؛ شاعت بين الخلق وعم فسادها».

**(إحياء علوم الدين، ٢/١٦٩)**

## الرفق بعباد الله

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «من رفق بعباد الله؛ رفق الله به، ومن رحمهم؛ رحمه، ومن أحسن إليهم؛ أحسن الله إليه، ومن جاد عليهم؛ جاد الله عليه، ومن نفعهم؛ نفعه، ومن سترهم؛ ستره، ومن منعهم خيره؛ منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفة؛ عامله الله بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة. فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه».

**(الوابل الصيب، ١/٦١)**

## الإخلاص

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والإخلاص: أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده، فحينئذ تتفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

**(النبوات، ص:١٤٧)**

## الرسوخ في العلم

قال المعلمي رحمه الله تعالى: «الرسوخ في العلم أمر خفي، ليس بكثرة العلم، فكم من رجل كثير العلم ليس براسخ».

**(آثار المعلمي، ٦/٥٦)**

## الفوائد المتناثرة

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «ولا يحتقرن فائدة يراها أو يسمعها في أي فن كانت، بل يبادر إلى كتابتها، ثم يواظب على مطالعة ما كتبه».

**(المجموع، ١/٣٩)**

## من أبواب الرياء

قال العلامة ابن رجب رحمه الله تعالى: «إن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس يريد بذلك أن يرى أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح؛ قال مطرف بن عبدالله بن الشخير: كفى بالنفس إطراء أن تذمها على الملأ، كأنك تريد بذمها زينتها، وذلك عند الله سفه».

**(رسائل ابن رجب، ١/٨٨)**

## أئمة الهدى

قال عثمان بن عاصم رحمه الله: رأيت شيخا بين الصفا والمروة على ناقة، وشيخا يقوده، واجتمع أصحاب الحديث عليه، فجعل الشيخ الذي يقود الشيخ يقول: يا معشر الشباب، كفوا. حتى نزل الشيخ. فقلت: من هذا الراكب؟ قالوا: هذا الإمام الأوزاعي. قلت: فمن هذا الذي يقوده؟ قالوا: سفيان الثوري.

**(الجرح والتعديل، ١/٢٠٧)**

## إمام يترجم لإمام

ترجم ابن الصلاح الصفدي لشيخه ابن تيمية، رحمه الله تعالى، فقال: «وكان ذا قلم يسابق البرق إذا لمع، والودق إذا همع، يذهل عن نفسه ويغيب في لذة العلم عن حسه».

**(النبوات، ص:١٤٧)**

## العلم والعالم

قال العلامة عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى: «لايزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم؛ فقد جهل».

**(المجالسة وجواهر العلم، ٢/١٨٦)**





# بريد القراء

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

## فتنة التصوير

من الظواهر التي انتشرت وعمت وطمت، الانشغال بالتصوير الفوتوغرافي في أماكن ينبغي للقلب ألا يغفل فيها، ملايين من الحجاج والمعتمرين يضيعون ساعاتهم في تصوير أنفسهم وعائلاتهم، بقصد تخليد ذكراهم، ثم يبثونها ثابتة أو متحركة على منصات التواصل الاجتماعي، وقد قيل: «لا يزاحم الإخلاص اليوم شيء؛ يتكلف الإنسان إظهار عمله الصالح للعالمين، وقد كان الواحد من السلف يتكلف إخفاءه عن أهل بيته».

فالإخلاص طريق الخلاص، وما يجري هو مدخل للرياء، ألا يكفيك أيها الحاج والمعتمر قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ١٩٧)، كان الإمام أحمد بن حنبل يقول: «يا ليتني ما عرفت الشهرة، يا ليتني في شعب من شعاب مكة ما عرفني الناس» (الحلية لأبي نعيم، ٩/١٨١)، وقال محمد بن واسع رحمه الله: «لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة وقد بل ما تحت خده من دموعه، لا تشعر به امرأته»، وقال: «إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، وكان يقول في دعائه: «استغفرك من كل مقام سوء، ومقعد سوء، ومدخل سوء، ومخرج سوء، وعمل سوء، وقول سوء، ونية سوء، أستغفرك منه فاغفر لي، وأتوب إليك منه، فتب علي، وألقي إليك بالسلام قبل أن يكون لزاما» (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، ٢/٣٤٧)، وما أروع دعاء الفاروق عمر ﵁: «اللهم اجعل عملنا كله صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لغيرك فيه شيئًا».

**● عادل محمد إبراهيم أبوالهيثم**

## معانقة السعادة وجودة الحياة

عندما نبحث في قضية إنماء الإنسان بأبعاده الذاتية والموضوعية، نكون بصدد الحديث عن مفهوم جودة الحياة أو نوعيتها. مفهوم عرف بشموليته لكل جوانب الحياة ويتحقق من خلال إدراكات الفرد لمكانته في الحياة في سياق الثقافة ومنظومة القيم التي يعيش فيها، في علاقتها بأهدافه وتوقعاته ومستواه واهتماماته. إذ يعد بناء متعدد الأبعاد يتضمن عددًا من المؤشرات تنعكس في صورة إحساس عام بالرفاهية والسعادة.

إلا أن الإسهام النسبي لهذه المؤشرات يتوقف على مستوى إدراك الفرد لأهمية كل مؤشر في حياته على ضوء منظومة القيم في بيئته، ومدى رضاه عن الملاءمة بين الواقع والطموحات.. وبما أن الأمر يتعلق بالدرجة الأولى بسعة إدراك الحاجات، وتعرف الفرد على مشاعره وعلى الطرق التي يتبناها ليمارس الحياة والاستجابة لها؛ فلماذا لا نعزز مؤشر الإقبال على الحياة ومعانقة السعادة حتى يؤخذ منحى إيجابي يتصدر هذه المؤشرات؟. لماذا لا نجعل حياتنا كالفراش، إذا أحسسنا أنه غير مريح فخير ما نفعله هو أن ننهض ونعيد ترتيبه من جديد؟.

فعلا لقد صدق عليه أفضل الصلاة والسلام حين قال: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير...»، إذن المسألة متعلقة بإدراك الجوانب المضيئة في الحياة ثم الوعي بـ «إن الدنيا حلوة خضرة والله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعلمون».

**● جميلة مرابط**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com





# شكرا للقائمين على الحرمين

باسم ملايين المسلمين من رواد الحرمين الشريفين، نقول: شكرًا للقائمين على الحرمين الشريفين للجهود المشكورة التي تبذل من أجل الحجاج والزوار والمعتمرين، والعمل على راحتهم وتأديتهم للمناسك بيسر وسهولة؛ حيث مهارة التخطيط والتنظيم في المداخل والمخارج، والبراعة في قيادة وتوجيه الحشود بمهارة واقتدار وخاصة في أيام الحج، وشهر رمضان المبارك، والقيام بالتوعية والتثقيف على خير وجه وأتمه، وحسن الخلق، والأدب الجم في المعاملة، وطيب التوجيه والارشاد، والتنظيف والتطهير المستمر للساحات وجنبات الحرمين نظافة مستمرة لا تنقطع ليل نهار يقوم بها عمال لا يكلون، ولا يملون، وتحقيق اليسر والطمأنينة والراحة لجميع قاصدي الحرمين الشريفين، فجزى الله القائمين على الحرمين الشريفين خير الجزاء، ووفقهم لكل ما فيه راحة قاصدي الحرمين الشريفين، وتقبل منهم، وندعوه سبحانه أن يشرفهم في الدنيا والآخرة لعظيم شعارهم (خدمة الحاج والزائر وسام شرف لنا) آمين.

● **إعداد: محمد عباس محمد عرابي**

# من يصنع الصورة الذهنية للطفل عن نفسه

هل توافقني الرأي أن الطفل يكون صورته الذهنية عن نفسه من خلال ما يتعرض له من البيئة حوله وبالذات تأثير الوالدين، فالأب الذي يزرع الثقة بنفس ابنه أو ابنته من خلال التعامل الإيجابي مع الطفل، كمناداته بألقاب إيجابية وسمات حسنة، مثل: يا بطل، عبقري، ذكي، مبدع، شكلك جميل، وجهك لطيف، أفكارك رائعة، أنت مفكر رائع، أنا أراك طبيب المستقبل، رائع يا دكتورنا يا حكيم.. فإنه سيساهم في تطوير صورة ذاتية إيجابية لشخصية الطفل تساعده في نموه الطبيعي في الحياة وفي مواجهة مشاكلها ومعوقاتها مستقبلًا.

والعكس بالعكس أنت كأب أو كأم إن دعوت ابنك بألفاظ نابية مشينة، كأسماء الحيوانات مثلا، فإن ابنك ستنمو في نفسه تلك السمة مع الأسف، وبمرور الوقت سيقتنع بتلك الصفات أنه كحمار مثلا في بلادته ومستوى تفكيره! ومن هنا غير رسول الله ﷺ أسماء بعض الصحابة من أسماء حيوانات أو عبد فلان أو عبد آلهة إلى أسماء ذات قيمة أو عبدالله؛ ما يدل على تأثير ما يسمعه الإنسان دومًا في تكوين صورته الذهنية عن نفسه، وعن قدراته وشخصيته.

وهل هناك أكثر من الوالدين يسمع منهما الطفل ويقتنع منهما بما يجد؟ ولذا أحسب أن الأطفال أمانة في أيدي الوالدين، وسيحاسبون عليها من الله الواهب، ولا أرى أن نجعل ضغوط الحياة تنعكس على أبنائنا كأن نعاملهم بقسوة وجفاء، لأن تلك القسوة أو الإهانة أو الإهمال للطفل كلها ستبقى في ذاكرته وفي عقله الباطني يعيش بها وتنمو معه، وترسخ في أعماق تفكيره، ولابد وأن تضعف شخصيته بدلا من تقويتها، فالأب الذي يزرع في ابنه أنه شجاع ومقدام، فإنه ينمي لديه روح الجرأة والإقدام، والأم التي تعتز بأن ابنها متعاون ومساعد فإن ابنها سينشأ على حب مساعدة الآخرين.. ومن يشبه ابنه بأحد الصحابة الكرام في سلوكياته، فإنه ينمي لديه روح الفضيلة والقدوة الصالحة، فهل بالفعل نحن الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات من نصنع في عقول أبنائنا وطلابنا الانطباع الذهني لصورة الطفل عن ذاته التي سيكون عليها مستقبلا؟!

● **د. آندي حجازي / علم النفس التربوي**

مسك الختام

# الوعظ الصامت

جرى العرف الغالب أن الواعظ يصعد المنابر أو يلقي الدروس بكلمات مسموعة مشفوعة بالنصوص ومؤكدة بالأدلة، ويسمى هذا اللون الوعظ الناطق، وهو مطلوب لمعرفة الأحكام، وأسأل الله أن يوفق الواعظين ويرزقهم الإخلاص في تقديمه والاجتهاد في مواصلته.

وهناك نوع من الوعظ يسمى الوعظ الصامت أو وعظ السلوك، ومعناه أن يتصرف الإنسان تصرفا إيجابيا ويسلك سلوكا قويما دون أن ينطق أو يحتاج إلى أدلة، بمعنى أن يكون أمينا في تعامله فيراه الناس فيقتدي به غيره، فالتاجر الذي لا يغش واعظ، والموظف الذي يؤدي واجبه من دون رشوة واعظ، والجار المحسن إلى جيرانه واعظ، والمسؤول الكبير الذي يتابع من معه من العاملين بما يرضي المولى واعظ.

فنحن في حاجة إلى وعاظ في كل مجالات حياتنا من هذا النوع الإيجابي المفيد. سعيد بن المسيب زوج تلميذه بابنته من دون إرهاق بمهر؛ فكان قدوة طيبة في محاربة غلاء المهور. وأعاد سائق حقيبة وجدها بعد نزول الراكب هذا واعظ وهو مشكور ومأجور وأمين.

وقد يسأل سائل: وهل الوعظ الناطق غير مفيد؟ أقول: إنه واجب ومفيد، ويا حبذا لو تحلى الواعظون باللونين فكان لسانه ناطقا بالوعظ ولسان حاله منفذا ومؤيدا لقوله، أما إذا شرب الدخان وصعد المنبر ودعا الناس إلى ترك التدخين وهم يرونه مدخنا فتأثيره ضعيف فيمن يسمعه وقد يكون ممتنعا.

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

وقديما قالوا: فعل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل.

ذهب جماعة من العبيد إلى الحسن البصري وقالوا له اخطب الجمعة وادع الناس إلى تحرير العبيد، وانتظروه أسبوعا وأسبوعين وشهرا وشهرين، ثم خطب بعد فترة ودعا الناس ورغبهم في تحرير العبيد، فلما نزل من على المنبر سألوه: لماذا تأخرت؟ فقال لهم: حتى استطيع شراء عبد ثم اعتقه وقد فعلت.

نريد واعظا صامتا أو وعاظا صامتين في كل مجال وفي كل عمل وفي كل مكان حتى يعم البر ويتحقق الخير ويعيش الناس في سلام وأمن. ووعظ السلوك يسير ولا يحتاج منا إلى مجهود في استخلاص الأدلة ومقارنة النصوص وترجيح الأحكام، لأن الخير فطرة والإنسان مجبول على فعل الخير، والشر هو العارض، هدانا الله جميعا إلى ما يحب ويرضى.

الزناتي خليفة الفرنواني

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw




## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

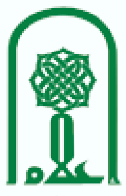

alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي

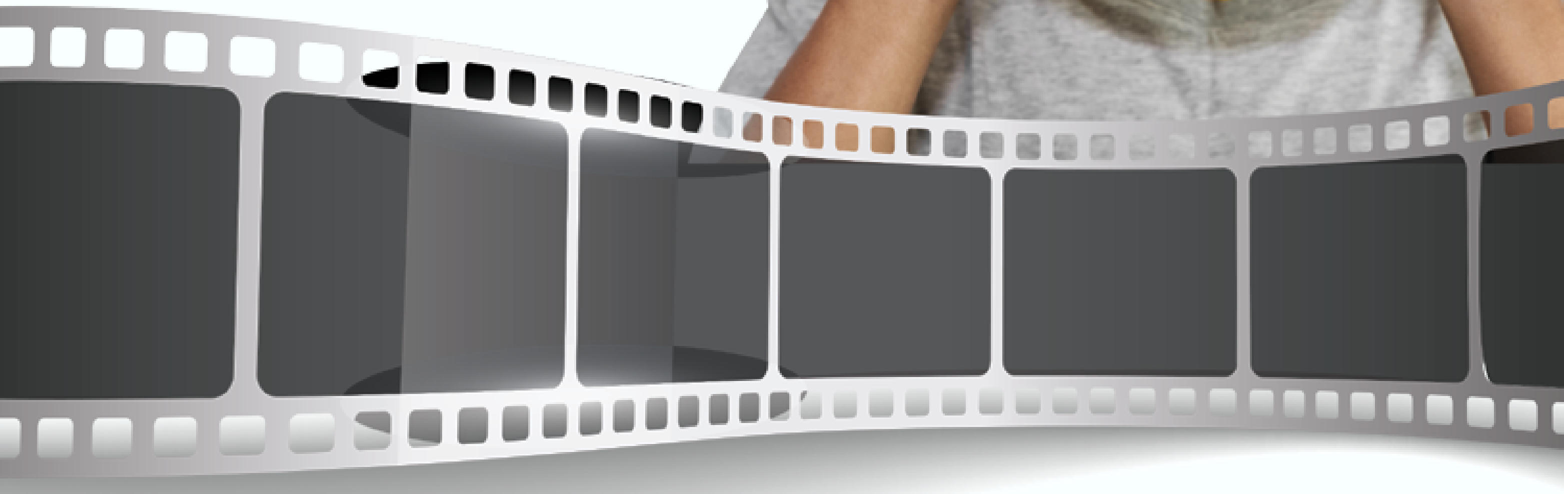

موقع مجلة الوعي الإسلامي






فلاشات تلفزيونية

# بنك السعادة

سلسلة من أجمل الفلاشات التلفزيونية القيمة تناقش وتعالج أخطر المشاكل الأسرية، بطريقة سلسة وشيقة وإبداعية...

الإشراف العام صلاح أبا الخيل




شاهدونا على قناة اليوتيوب



RedAwqaf


+965 922 54 54 5



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٣٤) جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ - فبراير - ٢٠١٨ م

مجانًا مع العدد: براعم الإيمان

# المُوقِّعُونَ عَنْ رَبِّ العَالمِين

- الزَّخْرفةُ الإسلاميّة والتّلوينُ في المُصحَفِ الماليزيّ
- مَركز الكويتِ للاقتصادِ الإسلاميّ.. انْطلاقةٌ نحوَ المسْتقبَل
- وَقْفُ أنوارِ القرآنِ يَسطعُ في سَماءِ إسْطنبول

هدية العدد: معلَّقةُ «المذهبُ الشافعيُّ أشهرُ أعلامِهِ ومصنَّفاتِه»


موقع مجلة الوعي الإسلامي

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعي الإسلامي

# جديدنا




## جهود العلامة وهبة الزحيلي في مجلة الوعي الإسلامي

هذا السِّفر النَّفيس؛ مجموعةُ مَقالات متنوعة (علميَّة وثقافية واجتماعية وتخصُصيَّة) قيِّمة، خَصَّ بها الشَّيخُ العَلامةُ وهبة الزُّحَيليُّ رحمه الله مجلَّةَ الوعي الإسلامي في الفترة من: (١٣٨٥- ١٤٢٤هـ)، وقد أَفرَدَتْها المجلةُ بكتابٍ مُستقلٍّ وفاءً منها لهذه الجهود العلميَّة المُباركة الممتدَّة قُرابة: (٤٠) عامًا من التَّواصل المُثمر مع الشَّيخ الزُّحَيليِّ رحمه الله تعالى.



رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

# المُوقِّعُونَ عَنْ رَبِّ العَالَمِين

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ وجعلَه سميعًا بصيرًا، فآتاه الحكمة؛ ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة:٢٦٩)، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمَّد الهادي الأمين، الذي أرسله ربُّه بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا، وعلى آله وأصحابه الطَّيبين الطَّاهرين، الذين أطاعوه في شرائع الدِّين كلِّه فلم يتركوا منه قطميرًا ولا نقيرًا.

أمَّا بعدُ؛ فإنَّ الفتوى من المهامِّ الشَّرعيَّة الجسيمة؛ يقومُ فيها المفتي بالتَّبليغ عن ربِّ العالمين، ويُؤتَمَنُ على شرعه ودينه؛ وهذا يقتضي حفظَ الأمانة، والصِّدقَ في التَّبليغ؛ لذا وُصِفَ أهلُ العلم والإفتاء بأنَّهم: ورثةُ الأنبياء والمرسلين، المُوَقِّعون عن ربِّ العالمين؛ قال ابن المنكدر رحمه الله: «فالعالِمُ بين الله تعالى وخلقه، فلينظرْ كيف يدخلُ بينهم» (انظر: المدخل إلى سنن البيهقي، رقم:٨٢١).

وقال العلامةُ ابن القيِّم؛ مبيِّنًا مكانةَ المفتي ومسؤوليَّتَهُ: «وإذا كان مَنصبُ التَّوقيع عن الملوك بالمحَلِّ الذي لا يُنكر فضلُه، ولا يُجهل قَدْرُهُ؛ وهو من أعلى المراتب السَّنيَّات، فكيف بمنصب التَّوقيع عن ربِّ الأرض والسَّموات؟! فحقيقٌ بمَنْ أُقيم في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عُدَّتَهُ، وأن يتأهَّب له أُهْبَتَهُ، وأن يعلم قَدْرَ المقام الذي أُقيمَ فيه، ولا يكونَ في صدره حَرَجٌ من قول الحقِّ والصَّدْعِ به؛ فإنَّ الله ناصرُهُ وهاديه، وكيف وهو المنصبُ الذي تولَّاه بنفسه ربُّ الأرباب؛ فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ (النساء:١٢٧)، وكفى بما تولَّاه الله تعالى بنفسه شرفًا وجلالة؛ إذ يقول سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ (النساء:١٧٦)، ولْيَعْلَمِ المفتي عمَّن يَنُوبُ في فتواه، ولْيُوقِن أنَّه مسؤولٌ غدًا وموقوفٌ بين يدَي الله» (انظر: إعلام الموقعين: ١/١٠-١١).

وكان من عادةِ السَّلَف ومنهجهم الحذرُ من الفتوى والفَرَقُ منها؛ وكان الإمام مالك، رحمه الله، يقولُ: «مَن أجَابَ في مسألةٍ، فينبغي من قبل أن يُجيبَ فيها أن يعرضَ نفسَهُ على الجنَّةِ والنَّارِ، وكيف يكونُ خَلاصُه في الآخرةِ، ثمَّ يجيبُ فيها» (انظر: أدب المفتي والمستفتي، ص:٩٧).

وقد حذَّر العلماء من الحرص على الفتوى والتَّسابق إليها، وكانوا، رحمهم الله، يرون أنَّ مَن حَرَصَ على الفتوى وسابَقَ إليها وثابَرَ عليها؛ قلَّ توفيقُهُ، واضطرب في أمره. وأمَّا إن كان كارهًا لذلك غيرَ مُؤْثِرٍ له، وأحال الأمرَ فيه على غيره؛ كانت المعونةُ له من الله أكثرَ، والصَّلاحُ في جوابه أغلبَ، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: «لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا» (رواه البخاري، رقم:٦٦٢٢).

وختامًا: فإنَّه ينبغي للمفتي أن يكون مُرَبِّيًا قبل أن يكون مفتيًا، يَعلم ما ينبني على الفتوى من مصالحَ ومفاسدَ، ويجهد نفسَهُ في هداية النَّاس؛ فبالفتوى المُنضبطة تُحمَى المِلَّة من التَّحريف والتَّغيير، ويُصان مَعينُها عن الانتحال والتَّكثير، بها تبرُز رحمات الإسلام الرَّبانيَّة، ومآلاته المقاصديَّة السَّنيَّة، في تلاؤم كُفءٍ أخَّاذ مع نوازل العصر والزَّمان، انطلاقًا من شمول هذه الشَّريعة وكمالها، وصلاحيتها لكلِّ زمان ومكان. ورحم الله مَنْ قَال:

إذا ما قَتَلْتَ الأَمْـرَ عِلْمًا فقُلْ بـه ... وإيَّاكَ والأَمْرَ الذي أنتَ جاهلُه

ولا تَأنَفَنْ مِنْ قولِ: «لا أدري» فمَنْ ... نَسِي «لا أدري» أُصيبَتْ مَقَاتِلُه

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٤ | جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
فبراير ٢٠١٨م

**رئيس التحرير**

د. صالح سالم النهام

**مدير التحرير**

فهد محمد الخزّي

**التحرير**

علاء الدين عبدالفتاح
تركي محمد النصر
هدايت الله نثار أحمد

**الإخراج والجرافيك**

أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

**الإشراف الفني**

مطابع فور فيلمز

**المراسلات**

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




## في هذا العدد





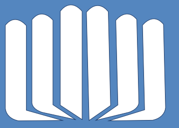

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





# كلمة العدد

## الحب الكبير

يخطئ من يظن أن العمل على نهضة الأمة الإسلامية يتنافى مع العمل على نهضة وطنه والمكان الذي ولد ونشأ فيه.. يخطئ من يظن أن هناك تعارضا قائما بين الانتماء إلى أرض وجماعة وشعب وحضارة وبين الانتماء الواسع للأخوة في الإسلام.. كلنا مسلمون موحدون لا فرق بين أبيضنا وأسودنا وعربينا وأعجمينا إلا بالتقوى، وكلنا نسعى أولا وأخيرا إلى مرضاة الله للفوز بجنته المبتغاة، لكن بعضنا يتوقف عند واسع ويضيقه، ويحاول منع الفرحة بيوم وطني فرح فيه الشعب باستعادة أراضيه من نظام غاصب احتلها لأشهر بعد مداهمة غير متوقعة من جار تكبر وتجبر واغتر بقوته حينا.

اليوم الوطني لأي مجتمع أو وطن قد يكون بسبب أحداث محددة مميزة لهذا المجتمع وهذا الوطن، تجدد الشعور بالانتماء والإقدام على حفظ العهد للعيش بكرامة وعزة تناسب كل مسلم؛ لذلك فهي جزء الانتماء الأعظم للدين القويم، وفي هذه الأيام عندما يعبر الكويتيون عن فرحتهم بذكرى استقلال وتحرير وطنهم لا أرى في ذلك إلا حبا كبيرا لبلد طيب أدام الله عزه بالإسلام.

مدير التحرير

فهد الخزي

## الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

**ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

د.سعيد محمد حافظ
باحث إسلامي - مصر

# موقف المسلم من الفكر المعاصر

**هنـاك حقيقـة مهمـة يحـاول الفكـر الغربـي أن ينكرهـا، أو يتجاهلهـا، أو يقلـل مـن قدرهـا؛ لأنهـا ذات تأثيـر نفسـي بالـغ، فضـلا عـن أثرهـا التاريخـي البـارز، وهـي أن المسـلمين هـم الذيـن وضعـوا المنهج العلمي التجريبـي الـذي تقـوم عليـه الحضـارة الحديثـة، وأنهـم لـم يقبلـوا المنهج النظـري اليونـاني علـى صورتـه الأصليـة، وإنمـا تنـاولـوه بالنقـد والتحليـل والمراجعـة، لأنـه كان منهـج حضـارة عبوديـة يختلـف عـن مفاهيمهـم وقيمهـم، ولـذلك فقـد تحـرك المسلمون، من خـلال القـرآن الكريـم والسـنة المطهـرة، لتأسيس منهـج جديـد هـو المنهج التجريبـي، وقـد شـهد بـذلك كبـار أعـلام الفكـر الغربـي.**

ولقد سبق المسلمون في معطيات كثيرة مفكري الغرب، سواء في مجال الاجتماع، أو الاقتصاد، أو السياسة. وظل الغرب ينكر أثر المسلمين في حضارته أكثر من ثلاث مئة سنة حتى جاء من كشف عن أثر العرب في كل العلوم التجريبية والكيميائية والطبيعية، فضلا عن الطب والفلك، ولم يجد الغربيون أمامهم بدا من الاعتراف بذلك، بعد أن قال علماؤهم إن ابن الهيثم من أعظم علماء البشرية على الإطلاق، واعترفوا بأن ابن خلدون أول من وضع أسس علم الاجتماع وفلسفة التاريخ.

إن نصاعة تاريخ الكاتب الصادق في انتمائه إلى أمته وفكرها؛ هي مفتاح الثقة به، ويكون في دعوته وهدفه وكتاباته مطابقا لتوجيه القرآن الكريم



في قوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ ﴾ (آل عمران:١٨٧). كذلك فإن هذا الكاتب لا يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولا يكون أبدا أداة لتزيف الحق أو إعلاء شأن الأهواء، أو خداع القارئ بالعناوين البراقة والكلمات اللامعة: كالفكر الحر، والانطلاق، ونسبية الأخلاق، وحتمية التطور.

إن من علامات تمييز هذا الكاتب الصادق الإخلاص والإيمان. والكتاب المقدورون لدينا، لنأخذ منهم ونتلقى عنهم، هم الذين عرفوا بنصاعة الصفحة، وسلامة الفطرة، والولاء للخير، خير هذه الأمة وفكرها وقيمها الأساسية.

من أكبر الأخطاء قول القائل: «قلب عربي وعقل أوروبي»؛ وذلك لأننا نؤمن بقلب عربي إسلامي وعقل عربي إسلامي أيضا، لا تفرقة بين العقل والقلب، ولا سبيل لأن يسير أحدهما في نهج مخالف للآخر، ولابد أن ينسجما معا في طريق واحد هو طريق التوحيد والإيمان والأخلاق على النحو الذي رسمه القرآن وقام عليه الإسلام.

## الغرب يتجاهل حقيقة وضع المسلمين لمنهج الحضارة الحديثة

فإن كان المقصود بالعقل الأوروبي علوم الغرب الحديثة؛ فإننا حين نأخذها إنما نأخذها بالعقل العربي الإسلامي ومن خلال دائرة فكرنا الأصيل ذي الجذور العميقة لئلا تخرج به عن مقوماته.

أما القلب العربي فلن يكون قلبا حقيقة إلا إذا كان إسلاميا وعربيا معا، فيه المروءة تتحرك في ضوء العربية، وفي ضوء الخلق الإسلامي ودوافعه ومراميه.

وهناك تحديات ثلاثة خطيرة واجهت المسلمين في العصر الحديث، هي:

أولا: التحدي المنبعث من واقع المسلمين الفكري.

## علماء الغرب اعترفوا بأن ابن الهيثم من أعظم علماء البشرية

ثانيا: التحدي المنبعث من داخل المجتمع الإسلامي نتيجة الاحتلال، ويتمثل في الشعوبية ونفوذ التنصير ومدارس الإرساليات، ومناهج التربية والتعليم التي أخرجت الإسلام من العقل والقلب المسلم، وفتحت أمامه طريقا واسعا لتقبل كل الأوهام والأهواء.

ثالثا: التحدي الخارجي، ويتمثل في التغريب ومناهجه ودعوته، ومن ورائه الاستشراق، ليملأ الفراغ الذي تركته مخططات الاستعمار في تفريغ التربية والتعليم في العالم الإسلامي، وقد تظاهرت الحركتان الاستشراقية والتصيرية على هذا العمل.

إن طابع التشاؤم الذي يسود الأدب الحديث هو طابع غربي محض، وهو دخيل على الأدب العربي والفكر الإسلامي. وفي ظل هذا الاتجاه السوداوي المتشائم تنتشر على أوسع نطاق في عالم الغرب أفكار عن «لامعقولية الحياة» و«عبث الوجود» حتى أصبح المفكرون المتشائمون يشنون هجمات حادة على كل فكر معارض. ويرى الباحثون اليوم أن الوجودية هي أعلى أطوار فلسفة التشاؤم.

د. ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب - الكويت

# الرسول القدوة ذو الخلق العظيم

**الحمد لله الذي اصطفى من ينابيع جوده نبع بدائعه محمدا أكمل الخلق روحا وعقلا، وأعلاهم قدرا وذكرا، وأرفعهم فضلا ونبلا، وأشرفهم مجدا وعزا وأحسنهم خلقا، وأصدقهم قولا وفعلا، وأهداهم طريقا وهديا ﷺ.**

يقول في وصفه الإمام الماوردي رحمه الله، إن كمال أخلاقه ﷺ تتمثل في ست خصال؛ الأولى رجاحة عقله وصدق فراسته، والثانية ثباته في الشدائد، والثالثة زهده في الدنيا، والرابعة تواضعه للناس، والخامسة حلمه ووقاره، والسادسة حفظه للعهد. فهذه ست خصال تكاملت في خلقه، فضّله الله تعالى بها على جميع خلقه.

أما أولى خصاله وهي رجاحة عقله وصدق فراسته، فيدل على وفورها فيه خمسة أدلة؛ هي صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه للناس، وأنه ما استغفل في مكيدة ولا استعجز في شديدة. يقول وهب بن منبه رحمه الله: قرأت في واحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن الله تبارك وتعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا بمقدار حبة رمل، وسنورد لكم بالأمثلة ما يظهر من رجاحة عقله وصدق فراسته ﷺ.

المثال الأول يتعلق بشأن الأمة «صلح الحديبية»، والمثال الثاني يتعلق بشأن الأفراد «عسى أن يكون نزعه عرق»، والمثال الثالث يتعلق بتعامله مع أهله «كلوا، غارت أمكم» في المثال الأول، أي ما يتعلق بشأن الأمة بصلح الحديبية، فإن ما قبله الرسول ﷺ أثناء التفاوض يوم الحديبية من تنازلات هامشية في سبيل تحقيق مصالح ذات أثر أكبر؛ يدل على ذكائه وبصيرته واهتمامه بالجوهر والمعنى دون الشكليات والظواهر.

فقد جاء في صحيح مسلم أن قريشًا صالحت النبي ﷺ وفوضت سهيل ابن عمرو في شأن هذا الصلح. فقال النبي ﷺ لعلي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو يدون بنود المصالحة: اكتب بسم الله الرحمن الله الرحيم، فقال سهيل عن هذا الاستهلال: أما باسم الله، فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم. ثم قال رسول الله: اكتب من محمد رسول الله ﷺ. فقال سهيل: لو علمنا أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك محمد بن عبدالله، ثم اشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منهم للنبي يرده إليهم، ومن جاءهم من عند النبي لا يردوه إليه، فقال الصحابة: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: نعم إنه من ذهب منا إليهم، فأبعده الله، ومن جاءنا منهم، سيجعل الله له فرجا ومخرجا.

### فوائد صلح الحديبية

كان للصلح فوائد عدة؛ فترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتابة باسمك اللهم، لا تضر؛ لأن المعنى واحد. كما أن ترك كتابة محمد رسول الله، وكتابة محمد بن عبدالله، لا تنفي عنه وصفه بالرسالة، حتى إنه عليه الصلاة والسلام قال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني. وهذه رواية البخاري، إن ما قام به الرسول ﷺ من قبول تغيير بعض الكلمات؛ يضع معيارا قياس الأهداف والموازنة بينها، ومن ضمن هذه المعايير أن المصلحة مقدمة على الشكل، وأن المصلحة ذات الامتداد الزماني والمكاني مقدمة على المصلحة الآنية.

ثاني هذه الفوائد؛ والمرتبطة بشرط من جاء منهم، وعدم رد من ذهب إليهم، فقد بيّن رسول الله ﷺ ذلك والحكمة منه، فقال: من ذهب منا إليهم فقد أبعده الله، ومن جاءنا منهم، سيجعل الله له فرجا ومخرجا. وثالث الفوائد؛ هو عزل قريش عن نجدة حلفائها من أعداء المسلمين، ومن هنا سارع رسول الله ﷺ إلى خيبر بعد صلح الحديبية، وأنهى آخر معقل من معاقل اليهود في



الجزيرة العربية كان يهدد الدولة في المدينة. رابعها؛ اعتراف قريش في هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة، وأما الخامسة؛ فإنها قد أدخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين حتى تيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام، فدخل في الإسلام صناديد قريش كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص. والسادسة؛ أنها أعطت الفرصة لنشر الإسلام، يقول في ذلك ابن هشام، «إن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف»، وهذا يدل على أن الدعوة تنتشر في السلم والأمان. سابعا؛ مكّن عقد صلح الحديبية النبي ﷺ من تجهيز الصحابة لغزوة مؤتة، وهذه خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية. ثامنا؛ ساعد عقد صلح الحديبية النبي ﷺ، على بعث رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام. تاسعا؛ كان صلح الحديبية سببًا ومقدمة لفتح مكة؛ ولهذا فتحت مكة دون حرب أو قتال. عاشرا؛ في صلح الحديبية بيان واضح أن حرية الرأي مكفولة في المجتمع المسلم، حيث إن بعض الصحابة، رضي الله عنهم، راجع النبي ﷺ في هذه الشروط، منهم عمر ابن الخطاب وسيد الأوس أسيد بن حضير وسيد الخزرج سعد بن عبادة، وقد استمع رسول الله ﷺ لهم دون تهديد أو تخويف أو تعذيب أو إلغاء، حتى يبين لهم أن الإسلام يحترم الرأي المخالف وإن حاد عن جادة الصواب.

## تعامله مع الأفراد

في المثال الثاني نعرض لطريقة تعامله ﷺ مع الأفراد؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ، فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود -وهو يريد الانتفاء منه- فقال ﷺ له: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حُمْر، فقال له: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: فأنى كان ذلك؟، قال: أراه عرقٌ نزعه، قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق، ولم يرخص له في الانتفاء منه» متفق عليه فهذا رجل ولدت زوجته غلام أسود فخشي أن يكون هذا الولد ليس منه، فأسرع إلى رسول الله ﷺ فحاوره وأقنعه، فاقتنع الرجل ورجع إلى أهله راضيًا مرضيًا. ويدل الحديث على شدة حرص النبي ﷺ على الأنساب واحتياطه لها ودفعه عنها كل شبهة، وأن الزوج لا يباح له الانتفاء من ولده لمجرد شبهة عرضت، كما أن في الحديث دليلا على صحة القياس والاعتبار بالنظير، مستلهم من فراسة النبي الكريم ﷺ ومبلغ حكمته في مداواة الأمور.

## تعامله مع أهله

في المثال الثالث نتعرض لبعد آخر يتعلق بأحد أفراد الأمة، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ، عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعة فيها طعام مع خادم، فضربت التي هو في بيتها يد الخادم فسقطت القصعة فانكسرت، فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى وجمع فيها الطعام، وجعل يقول: «غارت أمكم، كلوا. فأكلوا. فأمسك الخادم حتى جاءت التي هو في بيتها بقصعتها، فدفع القصعة الصحيحة إلى الخادم وترك المكسورة في بيت التي كسرتها» (١).

وفي رواية الترمذي، قال ﷺ عن ذلك: طعام بطعام وإناء بإناء. وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله ما كفارته؟ قال: «إناء كإناء، وطعام كطعام» (٢).

ونستنبط من الحديث أن النبي ﷺ لم يعاقبها ولم يعنفها بكلمة جارحة، بل جعل يعتذر لها، ويبين أن الذي حملها على ما قامت به هو غيرتها، فقال: غارت أمكم. كذلك فإن النبي ﷺ بحث عن الدوافع والأسباب؛ لأن الدافع له أثر كبير في تفسير الفعل. والدافع هنا لكلا المتخاصمين هو حب رسول الله ﷺ، وينبغي ألا يكون الحب سببًا للإساءة إلى المحبوب، ولا يجزى الإحسان بالسيئة. فاعتذر ﷺ لعائشة بقوله: «غارت أمكم» لئلا يحمل صنيعها على ما يذم، بل بما يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركبة في النفس بحيث لا نقدر على دفعها. أيضا الحديث فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر عنها؛ لأنها في هذه الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة. نقطة أخرى؛ أن أسلوبه ﷺ في معالجة هذا الخلاف المتمثل بالهدوء، والتفهم لطبيعة المشكلة بل وتبرير موقفها هو الذي دفع عائشة رضي الله عنها للتراجع والندم على ما بدر منها بعد شعورها بالذنب. خامسا؛ هذا التعامل الراقي منه ﷺ لم يمنعه من إعطاء كل ذي حق حقه، ولهذا قضى بالضمان لأم سلمة عندما انكسر إناؤها.

وكما هو معلوم فقد أجمع شراح الحديث أن التي كان في بيتها أم المؤمنين عائشة، وأن أم المؤمنين أم سلمة هي من أرسلت الطعام.

---

## الهوامش

١- فتح الباري، ج ٦، ص٦٠ ٤.

٢- فتح الباري، ج ١١، ص ٦٧٨.

السنوسي محمد السنوسي
باحث إسلامي

# الفتوى.. ملامح في ضبط المسار

ضمن عملية «تجديد الخطاب الديني»، التي باتت ملحة أكثر من أي وقت مضى، وكثرة الأصوات والكتابات الداعية إليها والكاشفة عن ضرورتها، خاصة مع التحديات التي تفرضها ثورة المعلومات والفضاءات الإعلامية المفتوحة والمتعددة.. ضمن هذه الأجواء والملابسات، أصبح من العاجل أن نعمل على ضبط مسار الفتوى؛ باعتبار الإفتاء أداة مهمة من أدوات الخطاب الديني، المطلوب تجديده والارتقاء به، بمختلف تجلياته وأدواته.

فإذا كان الخطاب الديني يقوم على الوعظ والتوجيه والإرشاد من جهة، وعلى الإفتاء والبيان من جهة أخرى؛ فإن ضبط الفتوى هو ضبط لجزء كبير من مخرجات هذا الخطاب وأدواته. وهنا أجدني متفقا مع من يرى أن «تجديد الخطاب الديني لن يتم في ظل تلك الفوضى المتعمدة، من خلال استخدام غير المتخصصين في مجالي الفتوى والدعوة؛ فضبط الفتوى والأداء الدعوي البداية الحقيقية لتجديد الخطاب الديني» (١).

والفتوى في اللغة: اسم يوضع موضع الإفتاء. يقال أفتاه في الأمر: أبانه له. وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء. وأفتيت فلانا رؤيا رآها إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألته إذا أجبته عنها. والفتيا تبيين المشكل من الأحكام. والفتوى –بفتح الفاء وضمها– والفتيا: ما أفتى به الفقيه» (٢).

أما الفتوى في الاصطلاح فهي: «نص جواب المفتي، أو حكم الشرع الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه» (٣)، أو هي: «تبيين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه؛ وهذا يشمل السؤال في الوقائع وغيرها» (٤).

والفتوى لها منزلة عظيمة؛ فقد أفتى الله تعالى عباده، فقال: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ (النساء:١٢٧).

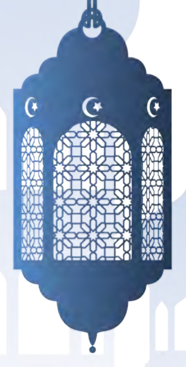
وكان النبي ﷺ بمقتضى رسالته يتولى هذا المنصب، فقد كلفه الله تعالى بذلك في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤).

فالمفتي خليفة النبي ﷺ في أداء وظيفة البيان. ولذا شبه القرافي المفتي بالترجمان عن مراد الله تعالى. وجعله ابن القيم بمنزلة الوزير الموقع عن الملك، فالمفتي يوقع عن رب العالمين. وقال ابن المنكدر: العالم بين الله وخلقه؛ فلينظر كيف يدخل بينهم (٥).

ولأهمية الفتوى ولخطورتها؛ لأنها بيان عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ؛ «كان السلف الصالح يتهيبون من الإفتاء مع صلاحيتهم له، ويود كل واحد منهم أن يقوم غيره به، بل وكان كل واحد منهم أو أكثرهم يحيل الإفتاء إلى غيره ليكفيه مؤنته ويجنبه خطره. قال عبدالرحمن ابن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب النبي ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا؛ حتى ترجع إلى الأول. وفي رواية أخرى: ما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا. وقال الإمام أبوحنيفة رحمه الله تعالى: لولا الخوف من الله تعالى أن يضيع العلم ما أفتيت، يكون لهم المهنأ وعلي الوزر» (٦).

أما في زماننا، فقد صار الحال إلى خلاف ذلك، ورأينا حالة من

**الخطيب لا يصلح بالضرورة للإفتاء**





# ضبط الفتوى البداية الحقيقية لتجديد الخطاب الديني

التسابق إلى الفتوى وإلى تصدر مجالسها، مع قلة معرفة بالنصوص والأحكام وعدم دراية بالواقع والأحداث؛ ما أوجد بلبلة فكرية واجتماعية، وأساء لهذه المهمة الجليلة القدر!

### بين الدعوة والإفتاء

من المهم أن نفرق بين وظيفتي الدعوة والإفتاء؛ فالأولى تقوم على الموعظة ومخاطبة القلوب لحمل الإنسان على الفعل أو الترك؛ وفي سبيل ذلك قد يلجأ الواعظ لشيء من المبالغة يتحقق به ميل المدعو إلى الفعل والقيام به، أو زجره عنه وتركه إياه. أما الإفتاء فإنه يقوم على توضيح الحكم توضيحا دقيقا؛ من حيث الوجوب أو الندب أو الإباحة أو الكراهة أو الحرمة، ولا يلجأ القائم به للتهويل أو التهوين.

ومن هنا، فليس كل من يصلح للدعوة والوعظ؛ أو ليس كل من يقوم خطيبا في الناس وداعيا إياهم إلى مكارم الأخلاق، والالتزام بما أمر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه.. يصلح للقيام بمهمة الإفتاء، التي هي مهمة جليلة القدر عظيمة الخطر؛ لأنها بيان عن الله تعالى فيما اختص به نفسه من حيث التحليل والتحريم. ولذا، توعد الله القائلين عليه بغير علم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ (النحل:١١٦-١١٧).

فالدعوة لها علومها المؤهلة للقيام بها، ولها أساليبها المعينة على أدائها؛ من معرفة أحوال النفس وكيفية مخاطبتها وحملها على الفعل أو الترك، والإلمام بفضائل الأعمال وعواقبها.. ما يختلف اختلافا كبيرا عما يلزم الفتوى من علوم ومن أساليب؛ من معرفة الأحكام وأدلتها بدقة وانضباط، دون تفخيم أو ترقيق؛ ومن الإلمام باختلاف الفقهاء وطرائق نظرهم واجتهادهم.. ومن ثم، لا يجوز الخلط بين مقام الدعوة ومقام الإفتاء.

لكن للأسف، كثيرا ما نرى عدم التفريق بين مقام الدعوة ومقام الإفتاء؛ ما يوقع المتصدرين في عدم الدقة العلمية، ويوقع المستفتين في المشقة والحرج.

### تغير الفتوى والمستجدات

إن إحدى العلامات البارزة الدالة على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان؛ لأنه كلمة الله الأخيرة للبشرية ورسالته الخاتمة لهم.. هي قدرة الإسلام على استيعاب المستجدات، والتعامل مع حياة الناس بما فيها من تطور وحركة دائبة.

وقدرة الإسلام هذه على استيعاب المستجدات، راجعة إلى أن الإسلام لم تأت أحكامه كلها على نحو ثابت لا يتغير، بحيث تقصر عن مراعاة ما يستجد في الحياة وما يطرأ عليها من تغيير.. بل جاءت أحكامه على نوعين؛ نوع ثابت لا يتغير، وهو ما يتصل بأحكامه الاعتقادية وعباداته وأصول المعاملات؛ ونوع متغير، وهو ما انبنى على العرف والواقع.

وقد نقل ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ما قرره العلماء من أن: «الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة؛ كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحو ذلك؛ فهذا لا يتطرق إليه تغيير، ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه. والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا؛ كمقادير التعزيرات، وأجناسها، وصفاتها؛ فإن الشرع ينوع فيها بحسب المصلحة؛ فشرع التعزير بالقتل لمدمن الخمر في المرة الرابعة؛ وعزم على التعزير بتحريق البيوت على المتخلف عن حضور الجماعة، لولا ما منعه من تعدي العقوبة إلى غير من يستحقها من النساء والذرية» (٧).

وعن النوع الأول، الذي لا يتغير، يقول الشاطبي: «فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخا، ولا تخصيصا لعمومها، ولا تقييدا لإطلاقها، ولا رفعا لحكم من أحكامها؛ لا بحسب عموم المكلفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال، بل ما أثبت سببا فهو سبب أبدا لا يرتفع، وما كان شرطا فهو أبدا شرط، وما كان واجبا فهو واجب أبدا، أو مندوبا فمندوب، وهكذا جميع الأحكام؛ فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك» (٨).

وقد صاغ الفقهاء قاعدة فقهية مهمة عبروا بها عن النوع الثاني من الأحكام، أي الذي يتغير، وهي: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان». جاء في «درر الحكام شرح مجلة

الأحكام»: «إن الأحكام التي تتغير بتغير الأزمان هي الأحكام المستندة على العرف والعادة؛ لأنه بتغير الأزمان تتغير احتياجات الناس، وبناء على هذا التغير يتبدل أيضا العرف والعادة، وبتغير العرف والعادة تتغير الأحكام، بخلاف الأحكام المستندة على الأدلة الشرعية التي لم تبن على العرف والعادة؛ فإنها لا تتغير. مثال ذلك: جزاء القاتل العامد: القتل، فهذا الحكم الشرعي الذي لم يستند على العرف والعادة لا يتغير بتغير الأزمان. أما الذي يتغير بتغير الأزمان من الأحكام، فإنما هي المبنية على العرف والعادة، مثل: كان عند الفقهاء المتقدمين: أنه إذا اشترى أحد دارا اكتفى برؤية بعض بيوتها، وعند المتأخرين: لابد من رؤية كل بيت منها على حدته، وهذا الاختلاف ليس مستندا إلى دليل، بل هو ناشئ عن اختلاف العرف والعادة في أمر الإنشاء والبناء؛ وذلك أن العادة قديما في إنشاء الدور وبنائها: أن تكون جميع بيوتها متساوية وعلى طراز واحد، فكانت على هذا رؤية بعض البيوت تغني عن رؤية سائرها، وأما في هذا العصر: فإذا جرت العادة بأن الدار الواحدة تكون بيوتها مختلفة في الشكل والحجم، لزم عند البيع رؤية كل منها على الانفراد» (٩).

وكذلك قال المتقدمون: إن الدائن ليس له استيفاء دينه من مال المديون حال غيبته إلا إذا كان من جنس حقه. ثم لما انتقلت عادة الناس إلى العقوق، قال الفقهاء: للدائن استيفاء دينه ولو من غير جنس حقه (١٠).

وهنا، لابد من لفت الانتباه إلى أن القول بتغير الفتوى في الأحكام التي تقبل التغير، وبضرورة استيعاب المستجدات ومراعاة واقع الناس؛ إنما يأتي للمحافظة على الشريعة ذاتها وليس لتعطيلها والتملص منها، كما يحاول البعض.. فالاجتهاد -وهو العنوان الكبير الذي يندرج تحته: تغير الفتوى- هو دليل على سعة الشريعة ومرونتها، وهو من أبرز محاسنها ومزاياها، ولا يمكن أن يتخذ سبيلا لهدمها؛ بل هو لتفعيلها في الواقع المعيش.

**الإسلام يستوعب المستجدات لتنوع أحكامه بين الثابت والمتغير**

## ضوابط تغير الفتوى

وإذا سلمنا بأن الفتوى تتغير، فيما يتصل بالأحكام التي تتغير بتغير الزمان، أي المبنية على العرف والعادة؛ فإن هذا التغير للفتوى لا يكون تبعا للهوى، بل له معايير وضوابط؛ لأن «انتقال المفتي من حكم إلى حكم لا يأتي ارتجالا، وإنما هو ثمرة معرفة دقيقة بالواقع، واستخدام محكم للقواعد التي تضبط حركة المسلم في ضوء خطاب النص» (١١).

ويمكن إيجاز ضوابط تغير الفتوى، في أربعة ضوابط بصفة عامة، وهي:

**الأول:** التمسك بالنص، وعدم مخالفته، وعدم التحول عنه إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦).

**الثاني:** مراعاة المقاصد العامة للتشريع، فالشريعة موضوعة لمصالح العباد، وهذه المصالح تتحقق من خلال المقاصد العامة للتشريع؛ والتي تنقسم إلى: ضروريات، وحاجيات، وتحسينات- والضروريات هي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال- فيجب عند تغير الفتوى أن تراعي هذه المقاصد، وأن يحصل التغير في الفتوى داخل إطارها، لا خارجا عنها.

**الثالث:** مراعاة مراتب الأدلة الشرعية ومراتب التعليل في الأحكام، وترتيب الأدلة على حسب قوتها؛ فإذا وجد النص فلا مسوغ للاجتهاد، وكذلك لا اعتبار للمصلحة مع وجود النص.

**الرابع:** أن يكون هذا التغير من خلال المجتهدين، ولاسيما الاجتهاد الجماعي، وأن يتمتع المجتهد بالجمع بين فقه الشرع وفهم الواقع، وبالجمع بين إدراك المسألة الجزئية والإحاطة بالأصول العامة والقواعد الكلية، مع توافر آلات الاجتهاد وأدوات الفتيا، وإمعان النظر، واختبار كل تغير في الأحوال والأحداث (١٢).

إذن، من خلال هذه الضوابط يمكن لنا استيعاب المستجدات وتجنب التضييق على الناس في حياتهم ومعاشهم، مع الالتزام بالأحكام وتحقيق المقاصد العامة للشريعة، دون خروج على حكم مقرر أو تجاهل مقصد ثابت؛ ودون أن يكون تغير الفتوى مطية للأهواء، وذريعة لتعطيل الأحكام، كما يحاول

العابثون باسم التجديد والتطوير!

## الفتاوى الشاذة

بين الحين والآخر يطالعنا أحدهم بفتوى تملأ الدنيا ضجيجا وتشغل الناس، وتصيبهم بالحيرة؛ فيما يعرف بـ «الفتاوى الشاذة». وقد عرّف أحد الباحثين «الفتاوى الشاذة» بأنها: «ما خالفت نصا قطعي الدلالة، أو قياسا جليا، أو أصلا من أصول الاستنباط مجمعا عليه» (١٣).

وللأسف، فلم تعد هذه «الفتاوى الشاذة» مقصورة على صغار طلبة العلم، أو على غير المؤهلين بالعلم الشرعي، بل وقع فيها بعض المختصين؛ ما أوجد حالة خطيرة من البلبلة الفكرية والاجتماعية، وأفقد البعض الثقة في المتصدرين للإفتاء!

ولاشك أن «الفتاوى الشاذة» تدل على عدم وعي قائلها بالموضوع الذي يتصدر له من الناحية الشرعية، وعلى جهله بما يحاول أن يعالجه من قضايا واقعه ومحيطه الاجتماعي.. بينما القائم بحقوق مقام الإفتاء لابد أن يتوافر لديه -كما أشرنا- فقه النص من جهة، وفقه الواقع من جهة أخرى، وفقه تنزيل النص على الواقع تنزيلا صحيحا من جهة ثالثة؛ حتى تكون الفتوى منضبطة ومحققة مصالح الناس في المعاد والمعاش.

## اقتراح

في مؤتمر دار الإفتاء المصرية، الذي انعقد في شهر أكتوبر من العام المنصرم، تحت عنوان «دور الفتوى في استقرار المجتمعات»، شكا د. أحمد الطيب، شيخ الأزهر، «مما تعج به الساحة الآن من اكتساح العملة الزائفة للعملة الحرة الأصيلة في مجال الفتاوى وتبليغ شريعة الله للناس، ومن تصدر بعض أدعياء العلم حلقات تشويه الإسلام والجرأة على القرآن والحديث وتراث المسلمين، وجلوسهم على مقاعد العلماء، في حملة موزعة الأدوار، وفي جرأة ممقوتة».

> **عدم التفريق بين الدعوة والإفتاء يوقع المستفتين في المشقة**

وفي خطوة مهمة لتأصيل عملية الإفتاء وضبطها، اقترح شيخ الأزهر «إنشاء أقسام علمية متخصصة في كليات الشريعة أو كليات العلوم الإسلامية باسم «قسم الفتوى وعلومها»؛ يبدأ من السنة الأولى، وتصمم له مناهج ذات طبيعة موسوعية لا تقتصر على علوم الفقه فقط، بل تمتد لتشمل تأسيسات علمية دقيقة في علوم الآلة، والعلوم النقلية والعقلية، مع الاعتناء بعلم المنطق وعلم الجدل مطبقا على مسائل الفقه، والعناية -عناية قصوى- بدراسة مقاصد الشريعة وبخاصة في أبعادها المعاصرة» (١٤).

وأعتقد أن هذا الاقتراح لو قدر له أن يرى النور، وفي أكثر من بلد عربي وإسلامي؛ فإننا سنكون قطعنا شوطا كبيرا نحو ضبط مسار عملية الإفتاء؛ وبالتالي سدَدْنا الطريق على من يعبثون بهذا المقام الجليل القدر.. مقام التوقيع عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ.

## هوامش

١. د. عباس شومان في كلمته أمام مؤتمر: «تجديد الخطاب الديني بين دقة الفهم وتصحيح المفاهيم»، نقلا عن «بوابة الأزهر»، ١٥ مارس ٢٠١٧م.
٢. مادة «فتا»، «لسان العرب»، ابن منظور، المكتبة الإسلامية، موقع «إسلام ويب». بتصرف يسير.
٣. «أصول الدعوة»، د. عبدالكريم زيدان، ص ١٦٦، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٩٨٨م.
٤. مادة «فتوى»، الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٣٢، ص ٢٠، مطابع دار الصفوة، ط ١، ١٩٩٥م.
٥. الموسوعة الفقهية، ج ٣٢، ص ٢٣. باختصار يسير.
٦. «أصول الدعوة»، زيدان، ص ١٦٤.
٧. «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»، ابن القيم، ١/٥٧٠، ٥٧١، تحقيق محمد عزيز شمس، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي.
٨. «الموافقات في أصول الشريعة»، أبوإسحاق الشاطبي، ١/٥٩، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٦م.
٩. «درر الحكام شرح مجلة الأحكام»، علي حيدر، ١/٤٧، ٤٨، دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م.
١٠. «شرح القواعد الفقهية»، أحمد محمد الزرقا، ٢٢٧، دار القلم، ط ٢، ١٩٨٩م.
١١. «قواعد تغيير الفتوى بين الحدث الكائن والزمن: قراءة أصولية»، د. محمد كمال الدين إمام، مجلة «المسلم المعاصر»، العدد ١٤٣، أكتوبر ٢٠١٢م.
١٢. «الفتوى: أهميتها، ضوابطها، آثارها»، د. محمد يسري إبراهيم، ص ٣٦٩، ٣٧٠، ط ١، ٢٠٠٧م، باختصار وتصرف يسير.
١٣. «شواذ الفتوى في مطلع القرن الحادي والعشرين: تحليل وتقويم»، د. عمار بن عبدالله ناصح علوان، وهو بحث مقدم لمؤتمر تحديات الفقه المعاصرة، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ديسمبر ٢٠١٢م. الرابط: http://islamsyria.com/site/show__library ٤٠٧
١٤. نص كلمة شيخ الأزهر منشورة بمجلة «الأزهر»، عدد ربيع الأول ١٤٣٩هـ، ص ٣٩٦-٤٠٠. وعلى «بوابة الأزهر» الإلكترونية.

د. أحمد راشد إبراهيم
أستاذ النقد والأدب المقارن

# الفتاوى الشاذة في ميزان الشريعة

إن المتابع لوسائل الإعلام المسموعة والمقروءة ليرى في هذا الزمان فتاوى أعجب ما تكون، تحيِّر الأفهام وتلبس على المسلمين أمور دينهم، وقد يترتب عليها إفساد لأحوال البلاد والعباد.. حقا إن الأمر عظيم، يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:٣٣)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف:١٠٨)، فالآية الأولى فيها تحريم أمور ظاهرة وباطنة، وقد ختمها الله رب العالمين ببيان أمر عظيم ألا وهو القول على الله بغير علم؛ لأن القائل على الله بغير علم ينسب ما يقوله إلى الله تعالى، وقد يكون الشيء الذي أحله الله حرمه القائل، كما قد يقع العكس، وهذا من أعظم الذنب والإثم.

والآية الثانية فيها أن من يقوم بأمر الدعوة إلى الله عزوجل بأي صورة من الصور يجب عليه أن يدعو على علم وبصيرة بما أحله الله أو حرمه.

ولما كان الأمر عظيما كان الكلام هنا خاصا بالفتاوى الشاذة وبيان معيارها وأسبابها والآثار المترتبة عليها، وبيان القول في هذه المسألة على النحو التالي:

## الفتوى الشاذة

الفتوى الشاذة هي «التي تصدر مخالفة لما رضيته الأكثرية من العلماء ونصوا على رجحانه، باعتبار أن المفتين اليوم لا يكاد يوجد فيهم مجتهد، وإنما هم يعتمدون ما قرره الفقهاء السابقون ويطبقون ما يجدونه مبسوطا في كتب الفقه على وقائع الحياة المتجددة» (١). «ومعيارها مخالفة الجماعة لا النظر في الدليل» (٢).

## أسبابها

تبين لنا فيما مضى المقصود بالفتوى الشاذة، وهنا نبين الأسباب الداعية إلى ظهور الفتاوى الشاذة، وبيان هذه الأسباب على النحو التالي:

السبب الأول: حب الظهور بمظهر العالم التقدمي المتفتح الذي يطوع الإسلام لجميع التحولات الحضارية، والتقلبات في القيم، ويعلن فتاوى مهجورة ويقدمها كأنها هي الرأي المعتمد في دين الله؛ مثال ذلك ما روجه بعضهم من الإفتاء بأن المرأة يجوز لها أن تكون إماما في الصلاة، مجاراة للإغراق في تسوية المرأة بالرجل في كل حكم من الأحكام.

السبب الثاني: التأويل المضل لما ورد في الكتاب والسنة من أن دين الله يسر، فتَصور عدد غير قليل

من المفتين في الماضي والحاضر أن المفتي كمن تقدم له مائدة مختلفة الأنواع والأشكال، وأن له أن يتناول من أي لون مما قدم له باعتبار أن الكل سليم في تركيبه مغذ لآكله. وهذا وهم منه، فكما أن الآكل لا يتناول من الأطعمة إلا ما لا يضر بدنه ويتلاءم مع وضعه الصحي، فكذلك الفقيه لا يعتمد من الأقوال إلا ما كان بناؤه النظري سليما لم يظهر سقطه.. وكشف الفقهاء المتضلعون في إدراك أسرار الشريعة ومبانيها ومقاصدها عن قوته والتعويل عليه في الفتوى.

السبب الثالث: عدم التريث والتمهل عند النظر في المسائل الشرعية لإصدار الحكم المتبع للأدلة فيها.

السبب الرابع: الجهل، وهو من أعظم الأسباب المؤدية إلى الهلكة والشذوذ في الفتوى، والأصل في الفتوى ألا يتصدى لها إلا عالم بأحكام الشرع في المسائل المختلفة.

السبب الخامس: عدم التورع ومراقبة الله تعالى في الفتوى، فعلى من يتصدى للفتوى أن يعلم أن الكلام الذي ينطق به قد يكون سببا في إهلاك الحرث والنسل إن كان مخالفا لما أمر الله تعالى به أو أمرنا به النبي ﷺ، وهذا واضح في زماننا لمن كان لديه مثقال ذرة من بصيرة.

السبب السادس: اتباع الهوى، والأصل أن يتجرد المفتي من هواه وميوله الشخصية؛ حتى تكون فتواه في حدود ما أمر به الشارع الحكيم أو ما نهى عنه، ولا تكون مجاوزة لهذين.

السبب السابع: تقديم العقل على النقل، وهذا من الأمور التي عمت بها البلوى، والأصل في هذا أنه

## حب الظهور بمظهر العالم المتحرر أدى لانتشار الفتاوى الشاذة

لا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح، فلو مال المفتي بعقله فوقوع الشذوذ في الفتوى محتمل وقتئذ.

السبب الثامن: محاولة الظهور بمظهر السماحة والاعتدال وعدم التشدد والتنطع في الدين، ولو تريث من يفعل هذا قليلا لعلم تمام العلم أن الخير كله في اتباع الأوامر، واجتناب النواهي.

السبب التاسع: الانتصار والتعصب للأحزاب والجماعات والفرق، وهذا كله أيضا مما نهانا الله ورسوله عنه.

### آثار وتداعيات

وإذا كنا قد بينا فيما سبق أسباب الفتاوى الشاذة، فإننا هنا نعرض الآثار المترتبة عليها على النحو التالي:

الأثر الأول: تمزيق وحدة المسلمين؛ لأن المسلمين في كل عصر ومصر عندهم ضوابط للفتوى، وشروط للمفتي لا خلاف عليها، وعليه فهم يأخذون فتاواهم من علماء متخصصين، ولكن إذا وقعت الفتوى الشاذة واتبعها أصحاب الأهواء والنفوس المريضة أدى ذلك إلى وقوع التفرق والتشتت بين أبناء

## من تداعياتها إثارة الفتن والقلاقل بين صفوف الأمة الواحدة

البلد الواحد، وبانتشار أمر الفتوى الشاذة يزداد التفرق ويقوى.

الأثر الثاني: فساد أحوال البلاد والعباد، لأن الفتوى الشاذة الصادرة عن غير المتخصصين قد يترتب عليها تحليل محرم أو تحريم محلل، مما يوقع في ارتكاب محرمات كانتهاك الأعراض وإراقة الدماء.

الأثر الثالث: زوال وضياع هيبة الدين من قلوب الناس لاسيما أصحاب النفوس الضعيفة والقلوب التي فيها مرض.

الأثر الرابع: ذهاب هيبة العلماء من صدور الناس، خصوصا أصحاب النفوس الضعيفة؛ لأنهم سيرون اختلافا وبونا شاسعا بين أصحاب الفتاوى المعتمدة وأصحاب الفتاوى الشاذة، وعليه فميل ضعاف النفوس إلى الفتاوى الشاذة سيقلل هيبة العلماء الربانيين.

الأثر الخامس: إثارة الفتن والقلاقل بين صفوف الأمة الواحدة.

الأثر السادس: تشويه صورة الدين الحنيف أمام أهله ممن بضاعتهم قليلة في العلوم الشرعية، وكذلك تشويه صورة الدين أمام أعدائه المتربصين.

الأثر السابع: مساعدة الأعداء على الطعن في الدين الحنيف.

وبعد ما ذكرناه من بيان معنى الفتاوى الشاذة ومعيارها وأسبابها وآثارها بقي هنا أن ننبه على أن من يتصدى للفتوى يجب عليه أن يتقي الله في دينه ووطنه وأهله.

### الهوامش

١- الفتاوى الشاذة وخطرها على المجتمع، محمد المختار السلامي، ضمن بحوث مؤتمر الفتوى وضوابطها التي ينظمها المجمع الفقهي الإسلامي، ص ٣.

٢ـ السابق، ص ١٢.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

# أثر العرف في تغير الفتوى

يختلف الناس في مقدار علمهم بأمور الدين وشؤون الحياة وتبقى حاجة الإنسان إلى العلم والسؤال عما لا يعلم ما بقي فيه نفس يتردد. وتكشف حالة الاستفتاء عن رغبة حقيقية في اتباع هدي الله تبارك وتعالى في نفس المستفتي، وفي علاقة المسلم بربه، وعلاقته بغيره من بني آدم (كانوا على دينه أم لا)، وبغيره من الكائنات.

وقد يجد المسلم نفسه أمام فتاوى مختلفة، وأحيانا متضاربة لمفت واحد، أو لعدد من المفتين، وساعتها يقع بين حالتين: إما أن يسر في نفسه ما لا يستطيع أن يبديه للناس من وجود تناقض في كلام المفتين، وقد يرتفع السقف حتى يرى أن التضارب في الشريعة والعياذ بالله، أو يسأل أهل الذكر فيبينون له ما خفي عنه، ويضعون الأمور في نصابها.

ومن بين أسباب وجود فتاوى متناقضة في ظاهرها اختلاف العرف. والمتأمل لقاعدة تغيير الفتوى بتغير العرف يجد فيها أحد أبرز الأدلة على مرونة الشريعة، وصلاحيتها وإصلاحها لكل زمان ومكان.

ويعد العرف خلاصة العادات والتقاليد، والشرائع السماوية والوضعية، والثقافة الأصيلة أو الوافدة التي تحكم تصرفات الناس في منطقة معينة من الأرض، ويتسم بالتغيير كلما طال الزمان؛ فلكل زمان أعرافه وخصائصه والاحترام خاصة من قبل الكبار، أما بعض الشباب فمن طبيعتهم التمرد على كل قديم، حسنا كان أو سيئا.

## الإسلام والعرف

جاء الإسلام، وللناس أعراف، منها الطيب ومنها الخبيث، فأقر بعض الطيب على ما هو عليه، وأكمل الناقص من البعض الآخر، وأنكر الخبيث؛ وكان مما أبطله قول أهل الجاهلية للمتزوجين «بالرفاء والبنين»، وهذا عرف فاسد؛ لأنه مبني على احتقار البنات فأبدلت به الشريعة ما ورد في سنن الإمام الترمذي وغيره عن أبي هريرة ﵁ «أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج، قال: بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في الخير» (١).

## الثابت والمتغير

والأحكام الفقهية المقررة في كتب أهل العلم إما أن تكون ثابتة بنص صريح من الكتاب والسنة، أو تعتمد على اجتهاد مبني على العرف. ولا ريب أن النصوص الشرعية ثابتة لا تتغير، وإنما يتغير اجتهاد المجتهد؛ لأن أعراف الناس تتبدل من وقت لآخر ومن مكان لآخر. يقول الإمام ابن عابدين مبينا اختلاف الأحكام بسبب اختلاف الزمان، وكون ذلك رحمة بالإنسانية، وموافقة لليسر الذي جاءت به الشريعة: «كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله، أو لحدوث ضرورة، أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولا للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد، لبقاء العالم على أتم نظام وأحسن أحكام؛ ولهذا ترى مشايخ المذهب الحنفي خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه لعلمهم بأنه لو كان في زمانهم لقال بما قالوا به أخذا من قواعد مذهبه» (٢)؛ فكل حكم فقهي مبني على العرف يتغير متى تغير العرف، وكل حكم شرعي مبني على النص يبقى ثابتا لثبات النص.

## نصيحة للمفتين

يقول الإمام القرافي، ناصحا أهل الفتوى بضرورة مراعاة العرف: «إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك. واسأله عن عرف بلده وأجره عليه، وأفته به دون عرف بلدك، والمقرر في كتبك؛ فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبدا؛ ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين، وعلى هذه القاعدة تتخرج أيمان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنايات» (٣).

## أقسام العرف

ينقسم العرف إلى قولي وعملي وكل منهما إلى خاص وعام؛ والعرف المعتبر هو عرف الزمان والبلد الذي وجد فيه التصرف فتجرى الألفاظ والعقود في كل بلد على عادة أهلها (٤). ولذلك عندما تصدر الأحكام الشرعية من المفتي تراعي الألفاظ التي يستخدمها الناس في عقودهم، وتراعي طريقتهم في الحياة إذا كانت في منطقة العفو، التي لم يرد فيها نص من الشريعة

بحل ولا حرمة.

وللعرف ثلاثة أقسام: قسم نهى عنه الشارع، كعادات الجاهلية من الربا ونحوه، وقسم أقره الشارع كعدم التعرض بأذى لرسول جاء من جانب المحاربين، وقسم لم يلغه الشارع كما ألغى القسم الأول ولم يعتبره بدليل خاص كما اعتبر القسم الثاني.

وهذا القسم الأخير الذي بحث فيه الأئمة المجتهدون هل يعتد به في أحكام الشريعة أم لا؟ ذهب أكثر الأئمة من الحنفية والمالكية والحنابلة إلى الاعتداد به وبناء الأحكام الشرعية عليه.

أما الإمام الشافعي فلا يعتبر من العرف إلا ما أرشد الشارع إلى اعتباره؛ كالإنفاق على المرأة بما يقتضيه العرف، وهو ما ورد في قول النبي ﷺ لهند زوج أبي سفيان: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» (٥).

### القواعد الفقهية والعرف

ومن القواعد الفقهية التي تلزم الفقيه والمفتي باعتبار العرف في تقرير الأحكام الشرعية أن: المعروف عرفا كالمشروط شرطا، والتعيين بالعرف كالتعيين بالنص، والمعروف بين التجار كالمشروط بينهم (٦). فما تعارف عليه الناس في معاملاتهم وإن لم يذكر صريحا، هو قائم مقام الشرط في الالتزامات ويعتبر بمنزلة الاشتراط الصريح.

وعليه فإن توابع العقود التي لا ذكر لها في العقود، تحمل على عادة كل بلد؛ أما قاعدة: «التعيين بالعرف كالتعيين بالنص» أو «الثابت بالعرف كالثابت بالنص» فمعناها أن العرف دليل يثبت به الحكم كالنص الشرعي إذا لم يوجد نص في المسألة، فالثابت بالعرف كأنه منصوص في العقد، فمثلا الانتفاع بالأعيان المؤجرة والمستعارة إذا لم يبين في العقد؛ يتعين بالعرف كيفية الانتفاع بها، ويكون بحسب العرف والعادة الجارية بين الناس، ما لم يوجد شرط يخالف ذلك (٧).

### العرف وإثبات الأحكام

وضع الفقهاء شروطا لأجل اعتبار العرف، وللعمل به، من أهمها:

١- ألا يكون العرف مخالفا للشرع.

٢- أن يكون العرف مطردا أو غالبا.

ولابد للحاكم من فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس؛ يميز به بين الصادق والكاذب، والمحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وذاك، فيعطي الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفا للواقع (٨).

وكذلك، فإن المفتي الذي يفتي بالعرف لابد له من معرفة الزمان، وأحواله، وأحوال أهله، ومعرفة أن هذا العرف خاص أو عام، وأنه مخالف للنص أم لا، ولابد له من معرفة عادات الناس.

### مراعاة العرف

والمعلوم من الأصول أن قاعدة مراعاة العرف لا تؤخذ من آية واحدة أو حديث واحد؛ فهي كسائر القواعد، يتحراها المجتهد في موارد متعددة من الشريعة، والأئمة الذين يقولون بمراعاة العرف، وإن لم يدل عليه دليل خاص، يقولون إنهم تتبعوا الشريعة فوجدوها تعتبر العرف إذا لم تكن به مفسدة، وتتبعوا فتاوى الصحابة فوجدوهم يراعون العرف كذلك؛ فأخذوا من هذا دليلا عاما على اعتبار العرف إذا لم يشتمل على مفسدة (٩).

**يؤخذ بالعرف ما لم يشتمل على مفسدة**

وقد التزمت مجامع الفقه في العالم الإسلامي بمراعاة العرف؛ فمما درجت عليه القرارات المجمعية أنها لا تعارض ما اعتاد الناس، مما له وجه ومستند من قول مذهب فقهي، وإن كان مخالفا لقول مذهب فقهي آخر؛ ولكن إذا كان العرف مصادما لأصل الشرع فهي لا تقره (١٠).

وكان من بين توصيات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، في مؤتمره المنعقد عام ١٩٩٨م بمملكة البحرين؛ مراعاة فقه الواقع والأعراف ومتغيرات البيئات والظروف الزمانية التي لا تصادم أصلا شرعيا (١١).

إن استيعاب المفتي لعلوم الشريعة لا يغنيه عن إدراك واقعه فالحكم الشرعي الصحيح هو ما استوفى الفهم الدقيق للنصوص والوعي العميق بالواقع والأعراف.

### الهوامش

١- سنن الترمذي وقال حديث أبي هريرة رضي الله عنه حديث حسن صحيح (٢/٣٩١).

٢- رسائل بن عابدين (١/١٢٥).

٣- الفروق للإمام القرافي (١/١٧٧).

٤- رسالة عقود رسم المفتي من رسائل ابن عابدين (١/٤٨).

٥- الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين ٢/٧٥٨ والحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب النفقات باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف.

٦- مجلة الأحكام العدلية المواد ٤٣، ٤٤، ٤٥.

٧- المقاصد الشرعية في القواعد الفقهية د/ عبد العزيز عزام ط/دار البيان ٢٠٠١م.

٨- رسائل بن عابدين (١/١٢٩).

٩- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (٢/٧٥٧).

١٠- الاجتهاد والافتاء في مجمع الفقه الدولي بحث ضمن بحوث مؤتمر الافتاء في عالم مفتوح د.عبدالقاهر محمد قمر (٢/٦٠).

١١- السابق (٢/٨١).

أحمد صالح البسطويسي
باحث في أصول الفقه والشريعة

# عظم قدر الفتوى في الإسلام

**لطالما كانت قضية الفتوى والإفتاء من أجل وأعظم الأمور على نفس الفقيه المجتهد المتمكن، وإننا نجد في مظان التراث الفقهي والإسلامي عموما، مقولات كثيرة منسوبة إلى بعض فقهاء الصحابة وأئمة الفقه والتمكن من رؤوس المذاهب الفقهية الأربعة وغيرهم، تحذر من الإقدام على الفتوى بغير تحصيل وضبط وعلم لازم، بل وبعضها يحذر من الفتوى عموما، وإنه مما نقل عن الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) - رحمه الله - أنه كان «إذا جلس نكس رأسه، ويحرك شفتيه بذكر الله ولم يلتفت يمينا ولا شمالا، فإذا سئل عن مسألة، تغير لونه، وكان أحمر بصفرة؛ فيصفر، وينكس رأسه ويحرك شفتيه ثم يقول: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله. فربما يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب منها في واحدة.**

وإن المستفتي ليسأل عن الفتوى ليبرئ ساحته من جهة، وليعلم ما خفي عليه من جهة أخرى؛ ليستدل عليه، روى أبو يعلى في مسنده عن وابصة الأسدي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد ألا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه، فأتيته وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم إليه، فقالوا: إليك يا وابصة، فقلت لهم: دعوني أدنو منه، فإنه أحب الناس إلي أن أدنو منه، فقال: «دعوا وابصة، ادن يا وابصة، ادن يا وابصة»، فدنوت فجلست بين يديه، فقال لي: «يا وابصة أتسألني أو أخبرك؟»، قلت: بل أخبرني يا رسول الله! قال: «جئت تسألني عن البر والإثم؟»، قلت: نعم فجمع أنامله ثم

جعل ينكت بهن في صدري، ويقول: «يا وابصة استفت قلبك، واستفت نفسك، استفت قلبك، واستفت نفسك، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك. (ثلاث مرات)» (١).

## خطورة الفتوى

لقد كانت خشية كبار علماء المسلمين الأوائل من إفتاء الناس خوفا من أن يضلوا فيخطئوا، وإن الله تعالى قد حذر في كتابه العزيز من الإقدام على ما ليس للإنسان به علم؛ فقال محذرا في وصايا سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦).

وقد ذكر زين الدين المناوي (ت١٠٣١هـ) كلاما مهما في تعليقه على حديث: «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار»، فقال: «الفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتي، (أجرؤكم على النار) أقدمكم على دخولها؛ لأن المفتي مبين عن الله حكمه، فإذا أفتى على جهل، أو بغير ما علمه أو تهاون في تحريره أو استنباطه؛ فقد تسبب في إدخال نفسه النار؛ لجرأته على المجازفة في أحكام الجبار» (٢).

كما ساق الزمخشري (ت٥٣٨هـ) كلاما نفيسا في تعليقه على قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس:٥٩)، فقال: «كفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الأحكام، وباعثة على وجوب الاحتياط فيه، وألا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله» (٣).

**يصعب أحيانا تفهم المفتي مراد السائل ما قد يغير فحوى فتواه**

## ربانية المفتي

إذا كان الإفتاء له ثلاثة أركان؛ المفتي والمستفتي والفتوى، فلا ينبغي أن نتغافل عن البعد الرابع وهو الحس الدعوي في الفتوى فالله تعالى يقول: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران:٧٩)؛ فربط الله عزوجل بين التعليم والتدريس وبين أن يكونوا بذلك ربانيين؛ أي بالإضافة للإخلاص أن يكونوا حكماء بين الناس؛ يقول ابن سعدي رحمه الله في تفسير قوله عزوجل (ربانيين): «أي علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم». فمن السهل جدا على العالم أن ينقل اختياره الفقهي للمستفتي بينما من الصعب أحيانا أن يتفهم المفتي مراد السائل الخفي من سؤاله والذي قد يغير فحوى فتواه.

فمن القصص الشهيرة في هذا الباب أن ثمة رجلا كان يحب امرأة حبا شديدا؛ فرفضت الزواج منه ورضيت بآخر، فقام فقتلها، فأدركه الندم وجاء لابن عباس رضي الله عنهما يسأله هل له من توبة؟ فقال ابن عباس: هل لك أم؟ فقال: لا. فسأل أحد الحضور ابن عباس لم سأل عن الأم؟ فقال: لا أعلم شيئا يكفر السيئات مثل بر الأم. فهنا ابن عباس رضي الله عنهما انتبه بأن هذا الرجل ارتكب جريمة اجتماعية فوجهه بموجب الشرع لسد ثغرة اجتماعية أخرى.

**الفتاوى الشاذة أحدثت فرقة في المجتمع واستنزفت طاقاته**

بينما في حادثة أخرى جاءه سائل يسأله هل للقاتل توبة؟ وكان يبدو عليه الغضب الشديد، مما يدل على أن الرجل يبحث عن ثغرة شرعية لارتكاب جريمة قتل. لذلك أغلق ابن عباس الباب وقال: لا ليس له توبة، ولم يقل نعم إن كان له أم يبرها، كذاك الذي أفتاه لما ارتكب جريمة.

وهنا يتجلى ذلك البعد الدعوي في الفتوى في فهم حال المستفتي، مع أنه كان يبرئ ذمة ابن عباس رضي الله عنهما أن ينقل الحكم الشرعي فحسب ولا يدخل في تلك التفاصيل التي أملاها عليه حسه الدعوي (٤).

## آداب

ينبغي للمستفتي أن يختار أوثق المفتين علما وورعا، وقيل: يجب ذلك، ويلزمه أيضا أربعة أمور لابد منها:

**الأول:** أن يريد باستفتائه الحق والعمل به لا تتبع الرخص وإفحام المفتي، وغير ذلك من المقاصد السيئة.

**الثاني:** ألا يستفتي إلا من يعلم، أو يغلب على ظنه أنه أهل للفتوى.

**الثالث:** أن يصف حالته وصفا صادقا دقيقا.

**الرابع:** أن ينتبه لما يقوله المفتي بحيث لا ينصرف منه إلا وقد فهم الجواب تماما.

### أثر العرف

إذا تأملنا في مسألة تغير الفتوى، فإننا نجد أن الذي يتغير في الحقيقة هو الفتوى وليس الحكم، ومثال ذلك: حكم النفقة والسكن للزوجة، فإنه يختلف باختلاف العرف، وقدرة الزوج، ويسره وعسره، وعلى هذا فإن الحكم نفسه لم يتغير، ولكنه جاء منوطا بالعرف، وتكون مهمة القاضي عند النزاع تحقيق هذا المناط بحسب العرف الموجود (٥).

### الفتاوى الشاذة

من عجائب هذا الزمان أننا أصبحنا نسمع من غرائب الفتاوى ما يشيب له الولدان، التي تنسب لدين الله من غير تحرير ولا تدقيق، حتى لبست على العامة دينهم، وفتحت الباب أمام المختص وغير المختص أن يدلي بدلوه ويقول ما يشاء، وأن يجتهد في إثبات أو نفي من غير علم.

ونأسف على بعض ممن أوتوا نصيبا من الكتاب يسارعون في الفتوى غير مراعين للضوابط الشرعية، والمسالك العلمية في الإفتاء، فيكون لفتواهم تبعات سلبية أكثر بكثير من المصلحة التي كانت في ظنهم.

وأسباب ظهور مثل هذه الفتاوى عديدة، نذكر منها:

● تعدد وسائل الإعلام وسهولة التعامل معها: فمن السهل جدا أن أنشئ موقعا خاصا على الإنترنت، ثم أنقل تلك الفتاوى الشاذة لجذب الجمهور، ثم لا يهمنا أن يكون هذا النقل بحسن نية أو بخلافه.

● التعالم: وهو مما ابتليت به الأمة في هذا العصر، وليس هذا ادعاء مجردا من الدليل، بل هذا واقع ملموس مع الأسف، ونشاهد بين الفينة والأخرى من يتكلم في مسائل يتورع عنها كبار العلماء، ولقد شاهدنا الكثير من تلك النماذج على صفحات الإنترنت، وعلى بعض القنوات الفضائية.

**الحكم الشرعي ثابت لا يتغير وإنما الفتوى تتغير لتأثرها بالعرف**

● عدم الالتزام بالمذاهب الإسلامية المشهورة، والأقوال المعتبرة المبنية على الأدلة الصحيحة، ومراعاة الأصول والقواعد الفقهية، واتباع الشاذ من الأقوال، والمهجور من الآراء.

● إنزال الفتوى الخاصة منزلة العموم: وهذه من الأخطاء الفادحة التي يقع فيها بعض المفتين، فتجده يسأل على الهواء في إحدى القنوات عن مسألة خاصة لا تتعدى المستفتي، ثم يجيب إجابة عامة، وهذه في الحقيقة من الكوارث والطامات العظام!!! فلا هو خص المستفتي بفتواه، ولا عامة الجمهور مستوعبون خصوصية الفتوى، وهنا يقع اللبس، وربما يكابر المفتي فيصر على صواب فتواه، ويرفض التوضيح والبيان، وأنه قد أخطأ في عرضه للفتوى بصيغة العموم.

إن وجود هذه الفتاوى الشاذة من تلك المصادر غير المؤهلة قد أثمر فرقة في المجتمع وتفسخا، واستنزف طاقات وقدرات المجتمع، وبدل قوته ضعفا، ووحدته تشرذما وتشظيا، وبهذا تخالف مقصد وحدة الأمة التي نادى بها القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (المؤمنون:٥٢) فوحدة الأمة مقصد شرعي ضروري ينبغي المحافظة عليه.

وقد حذرنا الله تعالى من الفرقة والتنازع بقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال:٤٦) فالفرقة طريق الضعف، ونلحظ أن الله تعالى لم يقل: «ولا تختلفوا» أي: الاختلاف المذموم، بل قال: «ولا تنازعوا»؛ وذلك لأن الاختلاف سنة كونية، ولا يمكننا أن نتخلص منه، فعلمنا الله كيف نتعامل معه. أما التنازع والافتراق والاقتتال فهو المرفوض (٦).

### الهوامش

١- أخرجه الدارمي، وضعفه الألباني. وهو حديث معضل، والأصح أنه قول كان مشهورا بين الصحابة، فقد ذكره ابن بطة العكبري منسوبا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: سنن الدارمي ٢٥٨/١، تحقيق حسين سليم الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع - السعودية، ٢٠٠٠م. وابن بطة العكبري: إبطال الحيل ص٦٢. تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية - بيروت، ١٤٠٣هـ. والألباني: السلسلة الضعيفة ٢٩٤/٤ ح (١٨١٤). دار المعارف، الطبعة الأولى - الرياض، ١٩٩٢م.

٢- المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ١٥٨/١، ١٥٩. المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى - مصر، ١٣٥٦هـ.

٣- الزمخشري: الكشاف ٣٥٤/٢. دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة - بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤- ربانية المفتي، تركي عيسى المطيري ٤٤، ٤٥ بتصرف يسير، دار لطائف للطبع والنشر، ١٤٣٢هـ.

٥- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، عياض بن نامي السلمي، ص٣١٨، دار التدمرية، سنة النشر:١٤٢٦هـ.

٦- خطر الفتوى الشاذة على المجتمع، د. حسان أبو عرقوب (مفتي المملكة الأردنية الهاشمية)، ٢٠١٦م.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

د. محمد حسن بدرالدين
باحث في الفكر الإسلامي
تونس

# مركزية القرآن الكريم في المنهاج النبوي

من فضل الله على عباده أن جعل القرآن الكريم هاديا لعقولهم، ومنيرا لدروبهم، بما اشتمل عليه من بيان يتعلق بالله سبحانه وصفاته وآياته، ومعرفته حق المعرفة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (الحج:٦٢)، ثم بما اشتمل عليه من آداب وقصص وتاريخ وأخلاق وتزكية، هي السبيل إلى النور والخير ذلك لأنه: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف:٣٠).

وقد عمل الرسول ﷺ، على تطبيق ما جاء في القرآن الكريم، من تلك الأنوار والبصائر، ونقلها إلى نفوس الصحابة، عبر منهاج دقيق ومتدرج، عبّر عنه أحد الصحابة الكرام بقوله:

لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام:٨٢) شق ذلك على الناس، وقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟! قال ﷺ: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣)؛ إنما هو الشرك» (١).

فمن خلال هذا المثال، نفهم أن الرسول الكريم ﷺ كان يعتمد القرآن دليلا ومرشدا ومجيبا عن أسئلة الناس ومشاغلهم، حتى في بعض مواقع اللبس في فهم بعض مفردات القرآن نفسه، أو فهم المراد من آية منزلة أو مسألة شائكة. وقد عبر الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن مركزية القرآن في حياة الصحابة، فقال: «إن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، خرب كخراب البيت الذي لا ساكن له» (مسند الدارمي).

وهو يقصد لا محالة حفظ القرآن وتذوق معانيه وتدبر آياته، وتطبيق أحكامه في السر والعلن، لأن المعرفة المتمكنة التي مكانها القلب، إنما هي منزل القرآن، ومنبع الإلهام والحكمة، وموطن النور والحق.

ومن المؤكد أن ابن مسعود رضي الله عنه، قد استعار ذلك اللفظ وتلك المعاني من إرشاد النبي الكريم ﷺ وتوجيهاته، فقد روى ابن عباس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» (مسند الدارمي).

وفي هذا المقال تدقيق وتعريف بذلك المنهج النبوي، من خلال بعض الأمثلة والملامح.

### المعرفة بالله عزوجل

أول عمل قام به الرسول الكريم ﷺ، أنه غرس التوحيد والإيمان بالله في قلوب الصحابة ونفوسهم وعقولهم. وقد كان إيمانهم في البداية غير متكامل في الفهم والتمثل لعظمة الله وبدائع قدرته، مثل كل العرب في ذلك الوقت. وقد وردت في كتاب الله إشارات إلى طبيعة ذلك الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (العنكبوت:٦١).

لكن التأسيس النبوي كان مبنيا أيضا على التعمق في آيات أخرى، ومستوى أرقى من مجرد التصديق والإقرار، مثل الالتفات إلى مستوى الخلق المباشر، والآيات الدالة عليه من خلال الآثار المشاهدة، والتي عبر عنها قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام:٥٩).

عمد الرسول الكريم ﷺ إلى تعليم الصحابة استحضار عظمة الله وتحقيق مقامات الخشية والخشوع والمحبة، ومعرفته سبحانه معرفة صحيحة ومتكاملة العناصر، والاتعاظ بالتجارب من حولهم.

والتدبر في معاني القرآن. وعلمهم كيف التفت القرآن إلى جانب ذلك الإيمان الفطري البسيط، وانتقل به إلى مستوى أرقى، وأرشدهم إلى ما احتوته «سورة لقمان»، مثلا، من جمع بين السؤال والجواب، وربط بين الحاصل المعرفي الابتدائي وبين المتحصل الجديد، من خلال التربية على التأمل والتدبر في آيات الله الدالة على العظمة والكمال والجلال:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ (لقمان:٢٥-٢٨).

لقد عمل الرسول الكريم ﷺ على غرس هذه المعاني في نفوس أتباعه، وحول نظرتهم الأولى حول الخالق عزوجل وقدرته وحقيقة الخلق والوجود، إلى التأمل في ملكوت السموات والأرض، والتدبر في صور عظمته انطلاقا من النظر إلى الأنفس والآفاق. وقد وصلت بهم التربية النبوية إلى مستويات وعي إسلامي راقية، بلغت درجة عالية من اليقين والثبات، وعميق الإيمان: النظري ثم العملي، بعد أن أكمل الرسول ﷺ تعريفهم بالله سبحانه.. وقد تحول الإيمان بعد ذلك إلى مستويات

**الرسول ﷺ اعتمد القرآن دليلا ومجيبا عن أسئلة الناس**

الجهاد بالأموال والأنفس: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ (الحجرات:١٥).

### نظرة متكاملة

كانت نظرة العرب إلى الكون والطبيعة والآخرة، نظرة ناقصة ومبنية على معرفة ضئيلة ومحدودة لا تنفذ إلى جوهر الحقائق. وقد سماهم الإمام الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) معطلة العرب، لأنهم لم يهتدوا إلى الإقرار بالخالق والدار الآخرة، رغم أن صنفا منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة، إلا أنهم أنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر (٢).

فجاء القرآن الكريم بثقافة بديلة، تقوم على تصحيح المفاهيم، والهداية

**الدين تعددي لا فردي ويشمل الجوانب الشخصية والاجتماعية**

إلى الحق، تكفّل النبي الكريم ﷺ في سنته بتفسير معالم تلك الهداية وتطبيقها في الواقع، على أربعة أنماط من العمل على الأقل:

الأول: التهذيب الأخلاقي، ويحتوي على الحكم والآداب والنصائح، مثل: مدح الصدق والعدل والإحسان، وذم الكذب والظلم والفسوق والعصيان، فعن عبدالله بن عمرو: «قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد» (ابن ماجه).

والثاني: التصحيح العقائدي، وهو يشتمل على تقرير أصول العقائد المذكورة في القرآن الكريم، مثل: التوحيد والصفات الإلهية، والرسالة والبعث والجزاء.

والثالث: بيان الأحكام وتقرير التشريعات التي بني عليها نظام الإسلام، باعتباره منهجا شاملا ومتكاملا، فالدين في نظر الإسلام ليس مسألة شخصية، ولا مسألة فردية، وإنما هو مسألة متعددة الأبعاد، تمس الجانب الشخصي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي (٣).

والرابع: الربط بين الهدف والسلوك، حيث يتم المزج بين الأعمال والنيات، وبين المبادئ والممارسات. وقد تفنن الصحابة الكرام في تطبيقها عملا بقوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ

﴿بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٦٨﴾ (النساء:٦٦-٦٨).

وفي رواية أبي عبدالرحمن السلمي، صورة ناصعة لهذا المبدأ، حيث قال: «حدثنا الذين، كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا» (٤).

ومن أجمل صور هذا الإحكام بين الإيمان والعمل، أو بين الظاهر والباطن، ما ورد في الآية التاسعة من سورة الزمر، في قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (الزمر:٩).

فالآية تتحدث عن قيام الليل، وتعرض صورة من صور التواصل مع الله تبارك وتعالى، عبر حركتين منسجمتين ومتحدتين، هما: الحركة الظاهرة المشتملة على السجود والقيام ﴿سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا﴾ والحركة الباطنية والروحية التي قوامها الخوف والرجاء ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾.

### موعظة وتذكير وعبرة

ورد مصطلح الفرقان في سبعة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ (الأنفال:٢٩)؛ وهو من الألفاظ المفاتيح في فهم الفرق بين الشيء ونقيضه، والتمييز بين الحق والباطل. وقد بعث الله الرسول ﷺ ليعلم الناس معاني التقوى والتزكية، بتنفيذ أوامره وترك نواهيه، لأن من أهم الحوافز الموقظة للمدارك والقدرات الكامنة في النفس الإنسانية: التقوى وخشية الله تعالى.

**القرآن الكريم جاء بثقافة تقوم على تصحيح المفاهيم والهداية**

ويكاد الفرقان يكون مرادفا لما سماه القرآن بصيرة، فهو نور يهدي إلى الحق، ويؤهل المؤمن كي يرى الأشياء كما هي، من غير انخداع بالمظاهر المزيفة والقشور الظاهرية. ولمثل هذه الأسباب جمع القرآن الكريم بين مقصدي التشريع والموعظة، وبين القصص والاعتبار، فهدفه الأساسي هو التذكير والموعظة وليس عرض المعلومات والمعارف.

فالتذكير يوقظ المشاعر، ويحرك الوجدان ويدفع إلى المبادرة والعمل الصالح وطاعة الله. فالتذكير بالمرض والموت ويوم الحساب على سبيل المثال، دوافع إلى الاعتبار والتوبة ومراجعة النفس.

ولذلك كان رسول الله ﷺ يطبق دائما هذا المنهج التذكيري، فيقول في موقع: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» (متفق عليه)، وفي موقع آخر يقول: «موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحة، خير من الدنيا وما فيها» (صحيح البخاري).

ومن المؤكد أن هدف هذا الوعظ، وهو من ملامح المنهاج النبوي في التربية والهداية، موجه إلى من يعقل ويتذكر ويفكر في طبيعة هذه الحياة، وما يعتريها من مصائب ومنغصات، حتى يفيء المرء إلى ربه، قبل فوات الأوان، وحتى تستيقظ لديه عواطف الخشوع والخضوع، فتزكو نفسه ويبتعد عن الفحشاء والمنكر. وبذلك يستفيد الفرد والمجتمع معا، وتسود مظاهر الصلاح والبر والإحسان، التي أمر الله بها في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠).

وبهذا يكون الفرقان كتابا صالحا لكل زمان، وأسوة عملية كاملة في كل مكان.

---

### الهوامش

١- ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م. ج ٣، ص ٢٩٤.

٢- عبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م، ج ٣، ص ٧٩.

٣- أحمد أمين، يوم الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢. ص ١٧.

٤- الطبري (ت: ٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. ج ١، ص ٨٠.

عادل محمد أبو الهيثم
باحث دراسات إسلامية

# بيت المقدس وعاقبة المتقين

محن تلو المحن، وخطوب تتبعها خطوب، لكن سنن الله تعالى في الكون أن العاقبة للمتقين، طال الزمان أو قصر، وذلك ظاهر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:٣٣)، ويبقى بيت المقدس شامخا كالطود، لا يستكين لعدو، ولا يلين لحاقد، وما ضاع المسجد الأقصى من قبضة المسلمين إلا بتفريطهم في طاعة الله،

قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ (محمد:٣٨)، وما تسلط أعداء الله على المسلمين إلا لوهن دب في قلوبهم، قال جبير بن نفير: «ولما فتحت قبرص وأخذ منها السبي نظرت إلى أبي الدرداء يبكي، فقلت: ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، وأذل الكفر وأهله، قال: فضرب منكبي بيده، وقال: ثكلتك أمك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينما هي أمة ظاهرة قاهرة للناس لهم الملك، إذ تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى، فسلط الله عليهم السباء، وإذا سلط الله السباء على قوم فليس له فيهم حاجة» (١) ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار!

وتوشك أن تشبه الليلة البارحة؛ إنهم أسلافنا وأجدادنا في بلاد الأندلس، دخلوها بالإسلام فاتحين، وبالعقيدة مستمسكين، ومن عالي الأخلاق متمكنين، لأوامر ربهم متبعين، وعن نواهيه وسخطه متباعدين.. كيف دخلوا؟ يقول أحد النصارى في رسالة بعث بها إلى ملكه يصف فيها جيش المسلمين الذي عبر إلى بر الأندلس بقيادة طارق بن زياد: «لقد نزل بأرضنا قوم لا ندري أهبطوا من السماء، أم نبعوا من الأرض؟».

إن العرب والمسلمين حين ينبذون الإسلام وراءهم؛ فإنهم ينتحرون انتحارا، ويطرحون سعدهم ومجدهم وطاقتهم وقوتهم، إذ كيف تنتصر أمة هجرت سنة نبيها، وخاصمت شرع ربها؟! لابد للأمة أن تراجع صفحاتها مع خالقها، وأن تقف وقفة معاتبة ومحاسبة ومعاقبة مع نفسها.

لكن مع هذا الضباب المنتشر، إلا أن الأمل في الله معقود، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة والتاريخ المحفوظ، يحدثوننا وينبئوننا بأن أمة الإسلام أمة تجدد وعودة، كالغيث لا يدرى الخير في أوله أو في آخره، إنها أمة غير منقطعة بل متصلة مستمرة بإذن الله، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى» (٢)، فلا تضعف الأمة في جانب إلا وتقوى في جانب، ولا تنهزم في ناحية إلا وتنتصر في أخرى، واستقراء التاريخ يؤيد ذلك؛ من الخلافة الراشدة، إلى الدولتين الأموية والعباسية، ومن بعدهما.

فكلما تعرضت ديار الإسلام لهجوم، يقيض الله من يرده على أعقابه من مثل ما تعرضت له الأمة من هجمات التتار والصليبيين. وعندما استعصت القسطنطينية على الأمويين، فتحت للعثمانيين بعد أكثر من سبعة قرون، فتحققت بشارة نبينا محمد ﷺ، وحينما خرج المسلمون من الأندلس كان الإسلام قد توغل في أقطار إفريقيا، وشرق أوروبا، وفي جنوب شرق آسيا، وفي جزر إندونيسيا، هذا هو التاريخ، وهذه دروسه، وتلك هي سنن الله في الأرض، فأبشروا أيها المسلمون، وبدينكم استمسكوا ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف:٢١).

**القرآن الكريم والسنة يؤكدان بأن أمة الإسلام أمة تجدد وعودة**

### الهوامش

١- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، (٢٢٩/١٠).

٢- رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون، وهم أهل العلم (١٠١/٩)، حديث رقم (٧٣١١).

أ.د. أمان محمد قحيف
مفكر إسلامي

# القدس في وجداننا

لا شك أن كثيرا من أهل الأمم الأخرى لا يتسع خيالهم إلى تصور المكانة التي تشغلها مدينة القدس في نفس وضمير ووجدان كل مسلم يعيش على ظهر البسيطة؛ ذلك لأن موقع القدس في نفوس المسلمين يتجاوز بكثير كونها مدينة من المدن المحببة للنفوس بين المدن العربية والإسلامية، فهي تتجاوز ذلك إلى كونها تشكل ثالث المدن الثلاث الأحب والأقرب إلى أفئدة المسلمين، لما لها من خصوصية راقية وتاريخ سامق شأنها في ذلك شأن مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ بالتالي فالتعلق بها متغلغل تاريخيا داخل الوجدان الإسلامي ومستقر إيمانيا في قلوب الموحدين جميعا أيا ما كان تعدد مشاربهم أو تنوع مذاهبهم.

ولقد استمدت القدس هذه المكانة المرموقة في العالم الإسلامي لأسباب عديدة؛ منها أنه كان إليها منتهى رحلة الإسراء المباركة؛ حيث أسرى الخالق الأعظم بعبده ونبيه محمدﷺ، من البيت الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس الشريف.. ولقد سجل القرآن الكريم هذا الحدث المتفرد وتلك المعجزة الخالدة في قول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

## معجزة النبي والقدس

وإذا كنا لا نذكر الطواف والسعي والبيت الحرام إلا ونذكر معهما مكة المكرمة فإنه لا تذكر معجزة الإسراء والمعراج إلا وتذكر معها مدينة القدس باعتبارها تمثل نقطة مهمة في سير النبي محمد ﷺ، مع جبريل، عليه السلام، نحو إتمام معجزة الإسراء والمعراج، ثم ارتقى منها، عليه الصلاة والسلام، الارتقاء المبارك إلى السماوات العلى حيث سدرة المنتهى التي لم يصل إليها نبي مرسل ولا ملك مكرم.. ثم تلقى أمر الله تعالى إلى المؤمنين بإقامة الصلوات الخمس.

والشاهد هنا أن الارتباط وثيق بين معجزة الإسراء والمعراج ومدينة القدس كالارتباط الوثيق بين شعيرتي الطواف والسعي ومكة المكرمة.. ولما كانت معجزة الإسراء والمعراج متغلغلة في وجدان المسلمين أينما كانوا وحيثما كانوا باعتبار أنها تعد المعجزة الكبرى التي حدثت للنبي، صلى الله عليه وسلم، فإن كل الأماكن التي ارتبطت بها متغلغلة هي الأخرى في وجدان كل مسلم على مدى تاريخ الإسلام الحنيف؛ فالبيت الحرام، والبقعة المباركة في سيناء المصرية التي صلى فيها النبي ﷺ، ركعتين ليلة الإسراء، ومدينة القدس، ومسجد قبة الصخرة التي عرج الرسول ﷺ، من عندها إلى السماوات العلى، كل هذه الأماكن لها مكانتها في نفوس المسلمين ولها تجلياتها الإيمانية داخل قلوبهم أيضا.

> معجزة الإسراء والمعراج منحت القدس مكانة خاصة بقلوب المسلمين

## الأقصى

يعد المسجد الأقصى أهم مساجد الإسلام في بلاد الشام، وهو المسجد الذي شهد بطولات خارقة للعرب والمسلمين في مواجهة الحملات الصليبية الاستعمارية بامتياز. كل هذه الأمور تجعل المسجد الأقصى يرتبط ارتباطا وثيقا بالقضية الإيمانية عند المسلمين منذ زمن الوحي إلى أن يشاء الله؛ بالتالي فإن الوجدان الديني والبعد الروحي لدى أهل القبلة مفعم بالحب للقدس، مع الوعي بمكانتها في تاريخ الأمة وحضارتها وتحولات الأحداث فيها وهذه المسائل لا يعيها ولا يدرك جوهرها كثير من أولئك الذين لم



يعيشوا في منطقتنا ولم يطلعوا على أحوالنا من أبناء الأمم الأخرى.

ولنا أن ننوه في هذا السياق إلى أن الروح الدينية عند المسلمين تعي تماما أهمية القدس بالنسبة لأتباع الديانات الأخرى خاصة النصارى منهم، الأمر الذي أكده سلوك المسلمين الأوائل عندما دخلوها فاتحين لأول مرة؛ إذ حرصوا على صيانة هويتها وتعزيز مكانتها منذ الفتح؛ لذا عاشت معززة مكرمة على مدى تاريخها الإسلامي الطويل.

## العهدة العمرية

ومن المعلوم أن الفتوحات الإسلامية قد توسعت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توسعا كبيرا، ولم يكن من طبيعته، رضي الله عنه، الحرص على زيارة أو دخول المدن أو المناطق التي يفتحها الفاتحون لكن التاريخ سجل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام، على غير عادته، بالذهاب إلى القدس عندما طلب أهلها منه الحضور بنفسه ليسلموها له، فانتقل إليها من المدينة المنورة ليتسلمها بنفسه ويعلي كلمة الله تعالى فيها؛ ولم يثنه عن الانتقال إليها بعد الشقة ولا صعوبة السفر، فدخلها، رضي الله عنه، واجتمع بأهلها، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وذراريهم بل ودينهم، وأعطاهم ما عرف تاريخيا بالعهدة العمرية، حيث ضمن لهم الاستقرار في المعيشة، والحرية في العبادة، وعدم فتنتهم عن دينهم، والتآخي الإنساني بينهم وبين المسلمين، والدفاع عنهم ضد الغزاة والطامعين.

ولقد صلى، رضي الله تعالى عنه، في مدينة القدس خارج كنيستها الأشهر (كنيسة القيامة) بالرغم من موافقة النصارى على صلاته بداخلها لكنه رفض وأدرك بحسه الديني والسياسي والعقدي أن من الممكن أن يأتي المسلمون من بعده ويصمموا على إقامة مسجد مكانها قائلين: «هنا صلى عمر».

ولقد أسس هذا السلوك العمري المنبثق من الروح الإسلامية الحنيفية الوسطية التي تقبل الآخر وتحترم حقه في اختيار دينه وإقامة عباداته، أسس هذا السلوك العمري الطيب لروح التسامح التي ظلت قائمة ومتحققة بين المقدسيين على مدى تاريخ مدينتهم الطويل والمبارك، فخلى سجلها الديني من ظهور التطرف والتشدد والتعصب.

## لهجة المقدسيين وأخلاقهم

لا شك أن اللغة العربية هي أم اللهجات التي تتحدث بها الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج، وتتفاوت اللهجات المتعددة في القرب أو الابتعاد عن اللغة العربية الفصحى، ومعلوم أن العربية هي لغة القرآن الكريم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ (يوسف:٢)، بالتالي فاللهجة الأقرب إلى الفصحى هي اللهجة الأقرب إلى القرآن الكريم. ومعلوم لدى دارسي اللغة العربية أن اللهجة المستخدمة في الحديث عند المقدسيين تعد من أقرب اللهجات إلى الفصحى، بالتالي فهي الأقرب إلى اللفظ القرآني بدلالاته ومعانيه؛ الأمر الذي يجعلها محببة إلى الإنسان العربي والمسلم في كل وقت وحين.

ويتسم العربي المقدسي بالعديد من الخصائص والصفات الأخلاقية التي تجعله من أقرب الناس خلقا وسلوكا ومنهجا حياتيا إلى أخلاقيات العرب الأصلاء، فسلوك المقدسي يتسم بالشهامة، والكرم، ونجدة المظلوم، وإكرام الضيف، والاستعداد للتضحية من أجل الحق.. وتلك شيم وأخلاقيات عربية أصيلة زكاها الإسلام وحض عليها ورفع من شأن المتخلقين بها؛ من هنا فإن تمسك العرب والمسلمين المقدسيين بهذه الأخلاقيات يجعلهم من أقرب الناس خلقا إلى الروح الإسلامية النقية التي لم تلوثها زخارف الحياة المعاصرة، ولم تضللها أكاذيب الأفكار المستوردة.

د. شندي عبدالله
باحث في الشؤون العالمية

# التجربة الماليزية في مجال علاقات العمل







التجربة الماليزية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية تعد من التجارب التي تمتاز بخصوصيتها وأهميتها بالنسبة لدول العالم الثالث والتي يمكن السير على خطاها اقتصاديا وعماليا للنهوض من التخلف، فقد استطاعت التوفيق بين اتجاهين، وهما الاندماج في اقتصاديات العولمة من جهة، مع الاحتفاظ بنهج الاقتصاد الوطني من جهة أخرى (١).

تعد ماليزيا دولة إسلامية ذات مقومات كبيرة حققت خلال العقود الماضية قفزات هائلة في التنمية البشرية والاقتصادية، حيث أصبحت الدولة الصناعية الأولى في العالم الإسلامي، وذلك في مجال الصادرات والواردات في جنوب شرقي آسيا، وتمكنت من تأسيس بنية تحتية متطورة ومن تنويع مصادر دخلها القومي من الصناعة والزراعة والمعادن والنفط والسياحة، وحققت تقدما ملحوظا في ميادين معالجة الفقر والبطالة والفساد وتخفيض نسب المديونية.

إن تجربة ماليزيا تجربة ثرية وناجحة ومثل يحتذى به، ذلك أنه لدى العديد من دول العالم العربي والإسلامي الكثير من الإمكانات والموارد البشرية والطبيعية والبنية التحتية واللوجستية.. التي لم تكن متاحة لماليزيا وقت انطلاقها نحو التقدم، لكن يظل لديها فقر الفكر وظلاميته وعصبيته، وضيق الأفق وانعدام الفهم للشرع والشريعة ومقاصدهما، كما يظل لدينا الافتقار إلى رواد وقادة وملهمين مثل مهاتير محمد الذي صار أعظم القادة السياسيين والاقتصاديين في آسيا.

### العلاقات الصناعية في ماليزيا

الدور الرئيس للعلاقات الصناعية هو قانون نقابات العمال لسنة ١٩٥٩م (الذي يعترف بالحرية النقابية والتمثيل لجميع الموظفين) وقانون العلاقات الصناعية (الذي ينظم العلاقات بين أرباب العمل والعمال ونقاباتهم) (٢).

### دور النقابات

المهمة الرئيسية لنقابات العمال

فـي ماليزيا للتفاوض على شـروط الاتفاقات الجماعية. سلوك وشؤون النـقـابـات تتسم بـدرجـة عـاليـة من التنظيم، والنقابات العمالية يجب أن تكون مسجلة بشكل صحيح من أجـل التمتع بالحقوق والحصانات والامتيازات الممنوحة بموجب قانون نقابات العمال ١٩٥٩م.

### الاتفاقات الجماعية

فـي مـالـيـزيـا، المـفـاوضـة الجماعية هـي عـمـل تـطـوعـي، وتـنـطـبـق فقط عـلـى الـقـطـاع الـخـاص. يـجـب أن يودع كل اتفاق جماعي مشترك من قبل الـطـرفـين مـع مسجل المحكمة الصناعية في غضون شهر واحد من التاريخ الذي تم إدخاله. يلزم الاتفاق الجماعي الأطـراف بمجرد التوقيع عليه طالما تم إيداعـه فـي المحكمة الصناعية.

ماليزيا دولة إسلامية تقع في الجزء الجـنـوبـي الـشـرقـي مـن قـارة آسيا وتطل على بحر «الـصـين الجنوبي» مـن جهـة الـشـمـال، تبلغ مساحتها (٣٢٩٧٥٨كـم٢) ويحدها من الجنوب «إندونيسيا» بينما تحدها «تايلاند» وبحر «الصين الجنوبي» من الشمال. ويتألف اتحاد ماليزيا (٣) من:

١- ماليزيا الغربية؛ وتتألف من دولة «الملايو» التي تشغل أراضيها معظم شبه جزيرة الملايو التي تسمى باسم مـشـهـور هـو شـبـه جـزيـرة «كـسـرا»، وتشتمل «المـلايـو» على (١١) ولاية اتـحـاديـة، مـن بينها ولايـة العاصمة «كوالالمبور».

٢- ماليزيا الشرقية؛ وتضم ولايتي «صباح» و«سـرواك»، وتضم ماليزيا أيـضـا أراضـــي تجـــاور جـمـهـوريـة «إندونـيـسـيـا» ويفصل بينهما خط حـدود بـري يصل طـولـه إلـى نحو (١٣٠٠كم٢).

٣ - مجموعة من الجزر الصغيرة التي تقع بالقرب من شبه جزيرة «الملايو» ومـن جزيرة «بورنيو» وتبلغ مساحة هذه الجزر حوالي (٣٣٠٠كم٢).

وقـد نعمت ماليزيا منذ استقلالها وخـلال الـعـقـود الخـمـسـة المـاضـيـة بالمظاهر الاتية (٤).

- الاستقرار السياسي، حيث انتظمت الانتخابات الديمقراطية الحـرة في مواعيدها ولم تحدث أي انقلابات.

- حـالة التوافق والتعايش العرقي والديني بين أبناء المجتمع الماليزي المتنوع.

- التطور الاقتصادي الذي انعكست نتائجه على جميع شـرائح المجتمع الماليزي.

كذلك فـإن هناك عوامل أساسية استطاعت دفع عملية التنمية في ماليزيا يمكن إجمالها بالنقاط الآتية (٥):

١- القيادة السياسية؛ تهيأ لماليزيا عدد من القيادات السياسية المتميزة منذ الاستقلال حتى الآن، وقد تميزت هذه القيادات بأنها مثقفة ومتعلمة وقـادرة على العمل لتحقيق المصالح العليا لـلـدولـة فـي ضـوء استيعاب عميق لتعقيدات الـوضـع الداخلي وحساسياته ومجموعة الحسابات الإقليمية والدولية، وخـلال خمسين عاما من عـام ١٩٥٧ - ٢٠٠٧م قاد ماليزيا خمسة وزراء فقط، وهو ما يشير إلـى حاله الاستقرار النسبي الذي عاشته ماليزيا.

ونشير هنا إلـى التأكيد على دور الإسـلام في دفع عملية التنمية في ماليزيا منذ تأسيس الـدولـة، حيث ركزت على المفهوم الحقيقي للإسلام الـذي يقوم على المـرونـة والاعـتـدال والوسطية، وبناء نظام سياسي يتفق مـع الإسـلام ويتأسس على التنمية والديمقراطية والشورى.

وتقدم ماليزيا أنموذجا شديد الوضوح فيما يتعلق بالعمل على مراعاة الواقع الماليزي مع الانفتاح على كافة الأفكار في مجال التنمية مع رفض التحديث بمعناه العلماني الغربي لتعارضه مع القيم الثقافية الإسلامية (٦).

وتعد دراسة التجربة الماليزية في التنمية الاقتصادية المستندة على الجـوانـب الاجتماعية العمالية ذات أهمية بالغة لأسباب عديدة أهمها (٧):

- ماليزيا هـي دولـة إسلامية، لذلك فـإن تجربتها هـي الـرد على نظرية صراع الحضارات التي ترى في الدين الإسـلامـي مـصـدرا للتخلف وعائقا أمام التقدم.

- حققت ماليزيا في مجتمعها تقدما ملحوظا وتنمية اقتصادية هائلة، حيث تحولت من دولـة زراعـيـة ذات مـوارد طبيعية مـحـدودة إلـى دولـة عـصـريـة متقدمة تشكل الصناعة ركيزة اقتصادها.

- الإجــراءات الحكومية للتنمية الـبـشـريـة والاقـتـصـاديـة وتـعـزيـز الابتكار والإبـداع وحقوق العمال، وقد قامت الحكومة الماليزية بعدة إجراءات مثل (٨):

أ- حماية ودعـم مـشـاريـع الأعـمـال والإنتاج.

ب- التشديد على مسؤولية الحكومة في الحماية والتسويق ودعم الإنتاج والبحوث العلمية.

ت- اعـتـمـاد سـيـاسـات انـفـتـاح على الاستثمارات الخارجية.

ث- اعتماد سياسات تدريبية منفتحة وجاذبة للاستثمارات.

ج- حرية تداول العملات.

ح- حماية الملكية الفردية.

٢- بناء قوة عالية التأهيل من حيث:

أ- تـطـويـر الأنـظـمـة التعليمية في




المراحل المختلفة من الحضانة وحتى الجامعة.

ب- إنشاء مؤسسات تدريب وتأهيل مهني مستمر.

ج- تخريج قوة عاملة شابة ومثقفة وكفؤة وعالية الإنتاج ومتعددة اللغات مع إلزامية إتقان اللغة الإنجليزية.

د- إقامة علاقات صناعية وروابط متجانسة بين مؤسسات الإنتاج الصناعية.

فالعمالة الماليزية تتميز بأنها مثقفة، متعددة اللغات، ومن ضمنها الإنجليزية، عاملة موهوبة، وشابة، ومتعلمة، ومنتجة، ويوجد نظام شامل للتدريب المهني والصناعي، علاقات صناعية متناغمة مع الحد الأدنى من المنازعات التجارية (٩)

٣- تطوير البنية التحتية للدولة من حيث:

أ- إنشاء شبكات طرق سريعة وشبكات قطارات عالية التطور.

ب- تزويد المطارات ومحطات القطارات بتجهيزات عالية التطور.

ت- توفير شبكات معلومات واتصالات متقدمة جدا وخدمات معلوماتية عالية الجودة، إنشاء معاهد بحثية ومراكز بحوث علمية وافتراضية.

- تبنت الدولة الماليزية شعار بناء اقتصاد المعرفة وتمكنت فعلا من بناء اقتصاد قوي وناشط يعتمد على المعرفة في تكوينه وهي الدولة الثانية بعد الولايات المتحدة التي تمكنت من تصميم وإنتاج شرائح إلكترونية خاصة بها وسبقت الهند والصين وروسيا والنمسا في ذلك.

- ماليزيا خالية من البطالة، أفادت بيانات صادرة عن دائرة الإحصاءات العامة الماليزية بانخفاض نسبة البطالة خلال الثلث الأول من العام ٢٠١٢م إلى نحو ٢,٩٪، وهو ما يشير إلى خلو البلاد من البطالة بحسب المعايير الدولية التي تعتبر أي دولة تقل نسبة العاطلين فيها إلى ما دون ٤٪ خالية من البطالة.

- ماليزيا دولة بلا ديون خارجية، في تأكيد على تحقيقها إنجازا اقتصاديا، أكدت الحكومة الماليزية أنها أنهت العام ٢٠١٢م سداد كل ديونها التي اقترضتها من البنك الدولي في الفترة بين عامي ١٩٦٥م و١٩٩٩م، وأنها لجأت إلى هذه القروض لتمويل مشاريع تهدف إلى رفع المستوى المعيشي للمواطنين. وقد أوضح وزير المالية أحمد حسني حنظلة أن كوالالمبور استدانت مبلغ ٢,٦٤٦ مليار دولار من البنك الدولي في الفترة المذكورة، وتمكنت من تسديد آخر الأقساط المستحقة العام الماضي. وذكر حنظلة أن الحكومة سددت أيضا القروض التي أخذتها من البنك الآسيوي للتنمية البالغة نحو ١,٢٨٥ مليار دولار، وفق الجدول المتفق عليه، ولم يتبق منها سوى القسط الأخير البالغ نحو ١٢٤ مليون دولار. كما أكد الوزير أن القروض المحصلة كانت لتمويل مشاريع اجتماعية متنوعة مثل القضاء على الفقر، وتوسيع شبكة الطرق وتنمية

المناطق القروية، ومشاريع أخرى لرفع المستوى المعيشي للمواطنين. وشدد على أن ماليزيا لم يسبق لها أن اقترضت أية مبالغ من صندوق النقد الدولي (١٠).

- مكافحة الفساد؛ اتفق العديد من الباحثين على أن ظاهرة الفساد في ماليزيا ظاهرة روتينية شأنها شأن أي دولة نامية، لكن آليات مكافحة الفساد وأنظمة الرقابة التي اعتمدتها الحكومات الماليزية المتعاقبة عبر إطلاق اليد لهيئة مكافحة الفساد وإمدادها بالدعم اللازم والتقارير والبيانات، خفف كثيرا من مستويات الفساد والرشوة في البلاد. منظومة الفساد في ماليزيا منظومة مسؤولة، فالمسؤولون الفاسدون في الإدارات الماليزية فسدوا حقيقة، لكن ليس على حساب الإنجاز والعطاء للمواطن والتنمية العامة للبنية التحتية ورأس المال البشري.

- استثمار الموارد؛ وتبرز قواعد التوجه شرقا التي وضعها محاضر محمد واضحة في استثمار الموارد البشرية والمادية المتوفرة إلى أقصى حد دون إهمال، كواحدة من أبرز العوامل التي ساعدت ماليزيا على التخلص من ديونها الخارجية (١١). وعلى صعيد الموارد البشرية بإمكان أي مواطن ماليزي يمضي على تخرجه الجامعي ستة شهور أن يتقدم بشكوى لمكاتب وزارة العمل ضد المؤسسات والشركات التي رفضت تعيينه، وهذا يفسر عدم وجود نسب بطالة عالية في ماليزيا.

الدروس المستفادة من التجربة الماليزية

يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من الدروس يمكن لبلدان العالم الإسلامي الاستفادة منها وهي:

- الاهتمام بجوهر الإسلام وتفعيل منظومة القيم التي حض عليها الإسلام في المجال الاقتصادي وغيره، ولا داعي لرفع لافتات إسلامية دون وجود مضمون حقيقي لقيم الإسلام.

- إعمال مبادئ الشورى التي حض عليها الإسلام من خلال نظم ديموقراطية تحترم حقوق الأفراد.

- في حال وجود عرقيات مختلفة يمكن التوصل إلى اتفاقات تتقاطع فيها دوائر المصالح المختلفة وبذلك يكون التنوع مصدر إنماء لا هدم.

- الاستفادة من الظروف العالمية السياسية لبناء الاقتصادات الوطنية.

- الاعتماد على الذات في بناء التجارب التنموية من خلال استقرار سياسي واجتماعي.

- الاستفادة من التكتلات الإقليمية وقوة واستقلال هذه الكيانات في المحيط الدولي.

- التنمية البشرية ورفع كفاءة رأس المال البشري، فالإنسان هو عماد التنمية تقوم به ويجني ثمارها.

- أهمية تفعيل الأدوات الاقتصادية والمالية الإسلامية في مجال التنمية، مثل الزكاة والوقف من خلال وجود مؤسسات تنظم عملها والرقابة على أدائها.

- أن تتوزع التنمية على جميع مكونات القطر، حتى لا يؤدي إلى الهجرة إلى المناطق المعنية بالتنمية وتكريس الشعور بالطبقية وسوء توزيع الدخل.

- اعتبار البعد الزمني من حيث استيعاب التقدم التكنولوجي، وأن المعرفة تراكمية، وأن المشكلات مع الوقت سوف تزول بوجود أداء منضبط بالخطط المرسومة.

- بخصوص التطبيق لمبادئ وأسس الاقتصاد الإسلامي قد تكون هناك فترات انتقالية لتهيئة المجتمع للتطبيق الكامل ولكن لا يعني ذلك التوقف عن البدء في التطبيق، فما لا يدرك كله لا يترك جله. ويفضل البدء بما تتوافر له الشروط والظروف الملائمة.

---

**هوامش**

1 - Rajasekaran, G., «Impact of Globalization on Workers and Trade Unions», MTUC/ LO Norway National Workshop on Globalization and its Impact on Workers in Malaysia, Petaling Jaya, 17-16 September, (2002).

2 - Jomo, K.S. & Todd, P., Trade Unions and the State in Peninsular Malaysia, Oxford University Press, Kuala Lumpur,2003.

٣ - ماجد حمود وكمال حمود، الأطلس الجغرافي، للعالم الإسلامي، دار الرضوان، حلب، ٢٠٠٦م، ص ٨١، وينظر أيضا: شفيقة العريس، الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، دار اليوسف، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٧٢٥٣٢، وكذلك د. جودة حسنين جودة، جغرافية أوراسيا الإقليمية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٥.

٤ - محسن محمد صالح، النهوض الماليزي: قراءة في الخلفيات ومعالم التطور الاقتصادي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، ٢٠٠٨م، ص ١٣.

٥ - محسن محمد صالح، النهوض الماليزي، المرجع السابق، ص ١٧.

٦ - هدى ميتكيس، القيم الآسيوية والثقافة الماليزية في مجموعة مؤلفين في كتاب القيم الآسيوية، مركز الدراسات الآسيوية، ١٦٠، وينظر أيضا، د. ماجدة علي صالح، الثقافة السياسية لماليزيا ودول جنوب شرق آسيا، في جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٥٩، مجموعة باحثين في كتاب ماليزيا وجنوب شرق آسيا، برنامج الدراسات الماليزية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٦٢.

٧ - عبدالحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة: قراءة في تجارب الدول العربية وإسرائيل والصين وماليزيا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٣٥٩.

٨ - محسن محمد صالح، النهوض الماليزي، المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

٩ - القوة الاقتصادية: ماليزيا بلد يتجه نحو الأمام، إحصائيات التجارة الخارجية industrial development authority، ٢٠٠٩، p.١٠. http://www.malaysian

١٠ - الجزيرة www.aljazeera.net/home/.../٤٨b٤٢٨٦٤-ff٧٥-a٩٩٠-٤١ff-٩٨٧cac٣faf٩١

١١ - الجزيرة www.aljazeera.net/home/.../٤٨b٤٢٨٦٤-ff٧٥-a٩٩٠-٤١ff-٩٨٧cac٣faf٩١

إعداد: خالدة علي الضاعن
فريق مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي



## يعزز مكانة البلاد كمركز مالي عالمي

# مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي.. انطلاقة نحو المستقبل

حضور في إحدى الفعاليات الاقتصادية حول إصدار وتداول الصكوك الحكومية والخاصة في دولة الكويت

منذ بدايات القرن الماضي، ظهرت مطالبات جادة بتأسيس بنوك إسلامية وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، بعيدا عن دائرة الربا المحرم التي قامت عليها معظم البنوك، خصوصا وأن المال في الفكر الإسلامي ليس وسيلة للتربح بمرور الزمن (الربا) ولا أداة للسيطرة أو تكوين التكتلات الاقتصادية الاحتكارية (التي تتم بين عدد من المنشآت)؛ وإنما هو عصب الحياة ووسيلة للتكسب وإصلاح الفرد والمجتمع وأداة للتكافل والتآزر بين أفراده، بما يكفل في نهاية المطاف تحقيق نماء حقيقي من خلال اقتصاد ريعي تنموي للمجتمعات.

وبانطلاق تجربة البنوك الإسلامية في سبعينيات القرن الماضي وإثبات نجاح هذا القطاع الاقتصادي التنموي الجديد القائم على أحكام الشريعة الإسلامية؛ اتسعت رقعة تأسيس البنوك الإسلامية والأدوات المالية المتفقة مع أحكام الشريعة ونما هذا القطاع حتى أصبح عدد المؤسسات التي تقدم الخدمات المالية الإسلامية في العالم قرابة ١١١٣ مؤسسة بنهاية عام ٢٠١٤م، تعمل في ٧٥ دولة، وبلغت أصول هذه المصارف حوالي ١٣٤٦ مليار دولار عام ٢٠١٤م، بحسب وكالة «رويترز» للأنباء.

وزاد من الاعتزاز بالتجربة الإسلامية ما أظهرته الأزمة المالية العالمية الأخيرة، في نهاية العشرية الأولى للقرن الحالي، من مدى الاستقرار المالي الذي تحظى به البنوك الإسلامية مقارنة بالخواء في المبادئ والممارسات الأخلاقية التي يفتقر إليها الاقتصاد العالمي عند معالجة أية أزمات اقتصادية.

ومع تنامي أهمية الاقتصاد الإسلامي وأدواته وانطلاقا من مسؤولية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية حيال المجتمع الكويتي واستشعارا لدورها التوجيهي والتوعوي جاءت مبادرة الوزارة ممثلة في قطاع التخطيط والتطوير الإداري لإنشاء مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي كمركز متخصص للأبحاث والدراسات المالية والاقتصادية الإسلامية في إطار دعم رؤية دولة الكويت الإستراتيجية الرامية إلى تحويل الكويت إلى مركز مالي عالمي يكون الاقتصاد الإسلامي ومعاملاته أحد مكوناته الأساسية التي يبنى عليها هذا التحول.

### دواعي الحاجة

بدأ الاقتصاد الاسلامي من خلال رعاية مؤسساته وأفراده له في الغالب، ومع تنامي أهمية الاقتصاد الإسلامي وتوسع مؤسساته وتعدد تطبيقاته ونمو المؤسسات المساندة والمراكز الاكاديمية والبحثية والخدمية في هذا المجال، إلا ان هذا النوع من المراكز التي ينشأ فيها الفكر والإبداع والتأصيل والاستشراف مع الدعم الحكومي والرعاية والترشيد يندر وجودها على صعيد العالم العربي والإسلامي إلا من خلال عدد محدود من المراكز، وهو غير موجود على الصعيد المحلي مع أهمية دوره وخدماته.

وهنا تتأكد الحاجة بصورة ملحة لإنشاء مركز للاقتصاد الإسلامي نظرا لأهمية البحث العلمي

والتأصيل في التغلب على بعض العقبات العملية القائمة في مجال تطبيقات الاقتصاد الإسلامي وخلق آفاق ومجالات جديدة. وتقديم الدعم الفني والمساندة، فضلا عن الأهمية المتوقعة للمركز في اقتراح خطط ومشاريع تنمية حقيقية.

إن إرادة الكويت أن تكون مركزا ماليا مرموقا على مستوى الدول العربية والإسلامية، يجعلنا ننتهز الفرصة المواتية الآن لتكون الكويت مركزا دوليا رائدا في مجال الاقتصاد الإسلامي، ومكنزا معرفيا في علومه وأبحاثه، من خلال إنشاء مركز الاقتصاد الإسلامي في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

● موقع المركز: تم تداول عدة أفكار حول نشأة المركز وتبعيته، لكن الرأي الأوفق الذي تبلور هو أن ينشأ المركز كإدارة في قطاع التخطيط والتطوير بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، للإفادة من نقاط القوة سابقة الذكر باعتبار أن الوزارة هي المحضن الطبيعي لرعاية كل ما يتعلق بالشؤون الإسلامية في دولة الكويت، هذه الرعاية التي يمكن اعتبارها رعاية نشأة واحتواء، فمتى ما استهل في تنفيذ خططه وبرامجه، وأثبت تميزاً كان ذلك مدعاة لأن يرتقي المركز في السلم الإداري أو يستقل.

وحيث إن الآمال والأعمال المرجوة من نشأة المركز طموحة وعالية، فستكون صياغة الأهداف والرؤى والأفكار بصورة متزنة تجمع بين علو منزلة الطموح والآمال وبين منزلة القدرة على تطبيق الأعمال؛ متوسمين أن تراعي الخطط السنوية للإدارة تخير الأليق بالتنفيذ والأدعى لحاجة السوق في التنفيذ، مع تنامي أعمال المركز بصورة مطردة إن شاء الله.

● التسمية: «مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي»:

تم اعتماد الاسم المقترح لأسباب: أنه الاسم العلم في الموضوع، والذي يجسد عمل المركز بأبسط الكلمات، كما أنه لم يسجل مركز بهذا الاسم في الكويت أو الخليج.

ركزت الكويت في السنوات السابقة على موضوعات - توزيع الثروة - كالزكاة والوقف وأخرجت مؤسسات مستقلة تعنى بها، وحان الوقت للتركيز على الإنتاج وترشيد الاستهلاك والادخار التي تعتبر مبادئ الاقتصاد الإسلامي.

● رؤيتنا: مركز ذو دور ريادي يسعى لأن يكون مرجعا وملهما في قضايا الاقتصاد الإسلامي، ويقدم حلولا عملية للأفراد والمؤسسات والدول.

مركز للاقتصاد الإسلامي ينطلق من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، للقيام بالبرامج والأنشطة والفعالية الاقتصادية التي تعزز رعاية العلوم ونشر الثقافة، والسعي لتقديم الحلول والمعالجات الاقتصادية التطبيقية واقتراح أدوات مالية، والتعاون مع المؤسسات والمراكز المحلية والإقليمية والدولية، والتنسيق مع هيئات الافتاء لتعزيز الريادة في الفتوى والتكامل بين هيئات الإفتاء.

● الأهداف التفصيلية وفق مجالات العمل: تتعاضد الرؤية والرسالة في تكوين أهداف وأغراض المركز في المجالات التي يسعى لتحقيقها بصورة طموحة وملهمة؛ كما تتنوع مجالات العمل وآفاقه لتلبي الاحتياجات المتوقعة للأفراد والمؤسسات - حكومية كانت أو خاصة - وعليه فالمركز سيسعى دون تراخ للعمل على تحقيق الأهداف في المجالات التالية:

المجال الأول: الأبحاث والدراسات:

١ - القيام بالبحوث والدراسات الفكرية والعملية، والتي تسهم في إثراء فكر الاقتصاد الإسلامي.

٢ - القيام بالبحوث التي تدعم مجال التطبيق العملي وتسهم في تقديم حلول وابتكار وتطوير أدوات مالية وفتح آفاق في مجال التخصص.

٣ - إجراء الأبحاث الميدانية، والدراسات المسحية، وجمع البيانات التي تسهم في تكوين قاعدة بيانات علمية عملية في مجال الاقتصاد الإسلامي.

٤- البحث في المسائل والقضايا التي تسهم في استيضاح الأحكام الفقهية للمسائل والنوازل المستجدة.

٥- إصدار مجلة علمية دورية محكمة متخصصة في قضايا الاقتصاد الإسلامي.

المجال الثاني: تثقيف وتعليم الجمهور:

١- للتوعية والإرشاد في مجال الاقتصاد الإسلامي للجمهور.

٢- تحفيز الجمهور على الالتزام الصالح في التعامل المالي وتحري الحلال كصلاح للفرد.

٣- بث أخلاقيات وقيم ومبادئ شريعتنا التي تقترن بالتعاملات المالية.

المجال الثالث: التدريب المتخصص:

من الضروري أن يقوم المركز بدور متميز في إكساب العلوم والمعارف، وتنمية مهارات التدريب العملية، فضلاً عن ملكات التدريب التي تقتضي معرفة أنماط السلوك وأنواع شخصيات ونفسيات الأفراد وطرق التعامل معها، في سبيل إعداد كوادر بشرية متميزة تتوشح بالقيم والمواهب، وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

١- زيادة أعداد المدربين في علوم الاقتصاد الإسلامي وتطبيقاته، وتنمية القادرين على ممارسة مهام الرقابة والتدقيق الشرعي بكفاءة ومهنية عالية.

٢- تقريب وتبسيط العلوم الشرعية للاقتصاديين.

٣- تطعيم دورات العلوم الشرعية بالوزارة بمواد الاقتصاد الإسلامي.

المجال الرابع: العلم الشرعي والفتوى:
١- تعزيز مرجعية الوزارة في مجال إصدار الفتوى.
٢- التنسيق والتكامل بين هيئات الرقابة الشرعية.
٣- القيام بالأبحاث الفقهية للمسائل المستجدة.
٤- جمع الفتاوى الفقهية في القضايا المعاصرة وتيسير الوصول إليها.
المجال الخامس: مكتبة ومركز للمعلومات:
يسعى المركز لإنشاء مكتبة ومركز معلومات من خلال تجميع الإصدارات السمعية والبصرية للكتب أو الأبحاث أو أوراق البحث في المؤتمرات أو تسجيلات مرئية ومسموعة، وإتاحتها للباحثين والمهتمين على شبكة المعلومات وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:
١- جمع أكبر قاعدة بيانات ممكنة من الكتب والأبحاث والتسجيلات.
٢- تقديم الخدمات التي تفيد الباحثين والدراسات في مجال الاقتصاد الإسلامي.
٣- تيسير وصول الجمهور لإصدارات الاقتصاد الإسلامي.
٤- إتاحة قواعد بيانات المكتبة ومصادرها ومراجعها من خلال الشبكة المعلوماتية.
المجال السادس: التعاون والتنسيق المحلي والدولي:
إن التطلعات التي تواكب إنشاء المركز يجب أن تكون غير محددة بمكان الانتفاع، بل إن الآمال تتحفز لاعتبار المركز رياديا وعالميا ودوليا، وهذا لابد أن يبدأ بالإفادة من تجارب الغير والبدء من حيث انتهوا، ثم التنسيق حول قيام المركز بالأعمال المشتركة مع المراكز والمؤسسات المحلية والإقليمية والعالمية؛ مما يعطي المركز الثراء والتكامل. ويأتي ذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:
١- التواصل وتبادل المعلومات مع المراكز المشابهة والقريبة من عمل المركز.
٢- التنيسق والتكامل في تنفيذ مشاريع المركز مع مختلف المنظمات والمؤسسات.
٣- تبادل الخبرات والمعلومات وتوثيق العلاقة وعقد الندوات والمؤتمرات والاجتماعات المشتركة.
المجال السابع: وحدة الرقابة الشرعية لمؤسسات الدولة:
مثلما يضطلع البنك المركزي بكونه بنك الدولة، فإن المعول أن يقوم المركز عند الطلب منه وبناء على رغبة الجهات الحكومية والاستثمارية الحكومية، بتقديم الدعم الفني والفقهي في مجال الاقتصاد الإسلامي والسعي لتذليل العقبات التي تعترض هذه الجهات، فضلا عن القيام بمهام الرقابة الشرعية لصالح الأجهزة الحكومية. ويتم ذلك من خلال:
١- القيام بدور الرقابة الشرعية والإفتاء والتدقيق الشرعي للمؤسسات الحكومية سواء المحاسبية أو الاستثمارية.
٢- القيام بالدراسات والأبحاث التي من شأنها تذليل العقبات وتقديم الحلول الناجعة.
٣- التعليم والتأهيل والتدريب المتخصص لموظفي وحدات العمل الحكومية التي تمارس التعامل وفق الاقتصاد الإسلامي بأدوات الاستثمار أو تقوم بالرقابة والتدقيق المحاسبي عليها.
● سياسات المركز في تحقيق أهدافه:
١- إن تحقيق أهداف المركز في مجالاته المتنوعة لابد أن يأتي من خلال سياسات مرشدة تحدد نطاقات القرارات والتطبيقات، لتحقيق أعلى قيمة مرجوة لأعمال وبرامج وأنشطة المركز، وفي هذا السياق نؤكد على سياسات مهمة هي:
٢- «الشراكة لا المنافسة» فالمركز ليس بديلا عن الشركات التجارية التي تقدم خدمات دعم فني أو خدمات مساندة للبنوك أو شركات الاستثمار في شتى المجالات وبالأخص تقديم خدمات الرقابة الشرعية أو التدريب، بل إن المركز من مصلحته تعزيز أداء ودور هذه الشركات.
٣- «تغطية آفاق جديدة» فالمركز لن يُكرر أعمال جهات ومراكز تقوم على خدمة ورعاية اختصاص معين في الاقتصادد الإسلامي، بل سيسعى المركز لتغطية المساحة التي لا تقوم البنوك والشركات بتغطيتها في الغالب، أو تقديم الدعم والتعاون فيما يقدمونه.
٤- «لا تنمية للمصالح الخاصة» فحيث إن المركز لا يقوم على أساس تجاري، فهو لن يقدم خدمات تسهم بصورة مباشرة في تنمية أي مصالح خاصة. بل إن المركز يقدم خدماته للكل في المجتمع وإن استفاد من ذلك القطاع الخاص بصورة غير مباشرة.
٥- «تعزيز قطاع الفتوى» فالمركز يهدف إلى تعزيز الفتوى والمرجعية الشرعية للمركز، ولن يُصدر فتوى إلا بعد الحصول عليها وتنسيق استخراجها من خلال التنسيق مع قطاع الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
٦- «في الخلاف سعة» فالمركز لا يسعى للعمل على توحيد الفتوى، ففي الخلاف سعة، وإن تقرر أن هناك مصلحة راجحة للناس تقتضي توحيد العمل بفتوى فيمكن أن يتم التنسيق مع جهات التقنين على إعداد مشروع قانون، وإحالته إلى جهات الاختصاص.
٧- «رصانة علمية وتكامل بين العلوم»

يقوم المركز بالمزج بين علم الاقتصاد وعلم الاقتصاد الإسلامي والأحكام الفقهية للدين الحنيف بصورة تكاملية، كما أنه من المتوقع ألا يميل تخير الأنشطة والبرامج إلى جانب واحد مما سبق فتصبغ به أعمال المركز؛ فيجب ألا يغلب على أعمال المركز الطبيعة الاقتصادية فقط أو التبحر في الاقتصاد الإسلامي بصورة منبتة عن الاقتصاد، أو ميل المركز لإصدار الفتاوى والأحكام في القضايا الفقهية فقط أو التدريب فقط أو الوعظ ونصح الجمهور فقط.

٨- «جسد واحد» فإنشاء المركز في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يجعله ملزما بالقرارات والتوجهات العامة للوزارة أو رأيها تجاه بعض الأحداث.

● آلية ووسائل التنفيذ: للجهاز الذي يقوم على إدارة المركز تخير آلية العمل وطبيعة التنفيذ والوسائل والأدوات التي يراها أوفق للتنفيذ وأدعى لتحقيق رؤية المركز ورسالته وأغراضه، وله في سبيل ذلك وأثناء وضع الخطط السنوية أن يتخير البرامج والأنشطة والفعاليات المناسبة لطبيعة عمل الإدارة. وذلك مع مراعاة آليات التنسيق والعمل التي سيخضع لها المركز باعتباره من جسد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

● التنسيق مع قطاع الإفتاء: تعتمد السياسات العامة لتصور إنشاء إدارة الاقتصاد الإسلامي على التنسيق المتكامل بين الإدارة وقطاع الإفتاء في الوزارة حول تعزيز دور القطاع في مجال الفتوى والقيام من خلاله باستصدار الفتاوى والأحكام الفقهية المراد معرفة الحكم الشرعي فيها، وبغية تفعيل هذا الجانب فمن المتوقع تنفيذ التالي:

١- تمت مراعاة عدم قيام الإدارة بالفتوى ضمن أعمال المركز، حيث سيكون دور المركز تعزيز الريادة بالفتوى من خلال تنسيق المركز مع قطاع الإفتاء لا باستقلال إدارة المركز بالفتوى.

٢- من المتوقع أن يتم توقيع بروتوكول تنسيق وتعاون بين الإدارة وقطاع الإفتاء يتم فيه تعريف آليات التنسيق والإجراءات.

٣- في سبيل استطلاع رأي قطاع الإفتاء حول هذا الجانب تم الالتقاء برئيس القطاع وأفاد بأن القطاع لا مانع لديه من حيث المبدأ من تدعيم دور الإدارة ومساندتها في جانب الفتوى، كما أفاد بأنه سيخصص مراقبة في قطاع الإفتاء لديه للقيام بمهمة التنسيق واستقبال الطلبات وتجهيز الأوراق والأبحاث التي يتطلبها استصدار فتوى حول الموضوع. ومما سيتضح لاحقًا من خلال الهيكل المقترح لإدارة الاقتصاد الإسلامي فلم يتم وضع أي مسمى للفتوى وإنما للتنسيق في الفتاوى.

٤- ويتأكد ذلك بالنص في اختصاصات الإدارة على أن تعزيز المرجعية العلمية والفقهية في مسائل وأحكام الاقتصاد الإسلامي إنما يأتي بالتنسيق مع قطاع الإفتاء بالوزارة.

● نشأة المركز: مع اختيار بدء العمل بالمركز كإدارة في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، فإن موقع هذه الإدارة في هيكل الوزارة العام سيكون كإدارة ضمن قطاع التخطيط والتطوير، ومن المتوقع أن يتم إنشاء الإدارة باتباع الخطوات التالية:

١- إعداد التصور الإداري لإنشاء الإدارة مع بيان مقتضيات الإنشاء الإدارية والمالية.

٢- عقد جلسة خبرة من مختصين وذوي علاقة بالقضايا الإدارية والقانونية والفنية لاستطلاع الرأي حول هذه الدراسة.

٣- العرض على مجلس الوكلاء ولجنة التخطيط للموافقة على إنشاء المركز.

٤- مخاطبة ديوان الخدمة المدنية للحصول على الموافقة بإنشاء إدارة مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي، وفق أغراض التأسيس ووفق الهيكل الإداري المقترح.

٥- استصدار قرار وزاري بإنشاء إدارة مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي ضمن قطاع التخطيط والتطوير.

٦- بدء العمل وتسكين الموظفين على الكادر والهيكل الإداري.

● الأغراض الرئيسية لإدارة مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي

يكون للمركز الأغراض الرئيسية التالية:

١- رعاية فقه وعلوم الاقتصاد الإسلامي وتنميتها، وزيادة المعرفة بها لدى الجمهور والمختصين تعليما وتدريبا ووعظا، وإقامة الفعاليات والأنشطة التي تحقق الأغراض.

٢- تعزيز المرجعية الفقهية والإفتاء في مجال الاقتصاد الإسلامي، والبت في المنازعات الفقهية المرفوعة له.

٣- القيام بالدراسات والأبحاث وتقديم الأفكار والمقترحات العملية والأدوات والبدائل الاقتصادية التي تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية وتعزيز ريادة الكويت في هذا المجال.

٤- تأسيس مكتبة ومركز للمعلومات ومجلة علمية، وطباعة البحوث والكتب والإصدارات في اختصاص الاقتصاد الإسلامي.

٥- بناء جسور التواصل والتنسيق مع مؤسسات الاقتصاد الإسلامي أو مؤسسات البحث الاقتصادية على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.

أ. د. مجاهد مصطفى بهجت
الجامعة الإسلامية الماليزية

# الزخرفة والتلوين في المصحف الماليزي

يزخر التراث الإسلامي بفنون كتابية كثيرة، منها الخط والرسم والنقش والزخرفة، وفي هذه الفنون البصرية الجميلة إبداعات ثرية وتقاليد غنية تظهر مدى اتساع تراث الإسلام وعمقه، وهي تؤثر في بناء شخصية المسلم، لأنها تحمل أبعاد الثقافة الإسلامية ومعانيها.

ودائما ما يكون الشكل الجمالي، الذي تقدمه هذه الفنون، هو الأقوى، ويتجاوز حدود الزمان والمكان وقيود اللغة والثقافة؛ ذلك لأن الفنون الإسلامية ليست للمتعة والتأمل فقط، وإنما تحفز المطلع والمشاهد لهذه الفنون على التفاعل معها وتعلمها، وتترك أثرا عميقا في النفس والعقل والروح.

ويدخل فن كتابة المصحف الشريف ضمن علوم كثيرة كعلم الآثار والتراث والفنون الجميلة (الخط والزخرفة) ودراسات علوم القرآن (رسم المصحف).

لكننا في هذه المقالة سنركز على الناحية الفنية بعرض الزخرفة والرسم والنقش في المصحف الشريف، والتي ازدهرت بشكل واضح في النسخ المخطوطة للمصحف في أرخبيل الملايو أكثر من أي منطقة إسلامية أخرى.

## المخطوطات

لقد تنبه الغرب إلى أهمية مخطوطات المسلمين، لأنها من المصادر الرئيسية للمعارف والعلوم والثقافة والحضارة، فحرصوا على جمعها واقتنائها، وعكفوا على حفظها وصيانتها، وفهرستها ودراستها.



وتساعد دراسة الكتب الخطية وفهمها وتحليلها في الكشف عن التيارات والاتجاهات الفكرية، والتطور العلمي والثقافي للمجتمعات الإسلامية على اختلاف لغاتها وأعراقها وبلدانها؛ وفي أرخبيل الملايو (يضم دولا مثل إندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة، ويصل عدد الجزر به نحو ٢٠ ألف جزيرة) توجد آلاف المخطوطات الملايوية الإسلامية كتبت باللغة العربية وتمثل التراث الأصيل لهذه الشعوب، ومن خلالها تشكلت عقائدهم وأخلاقهم، وثقافاتهم وعاداتهم.

## زخرفة المصحف

بدأ الاهتمام بجودة الخط وجماله

في المصحف الشريف منذ وقت مبكر للدولة الإسلامية، ووصلنا الكثير من روائع الفن الإسلامي الأصيل في هذا المجال مثل الزخرفة والتلوين والتذهيب للأوراق والجلود.

لقد جمع هؤلاء المبدعون من الخطاطين والنساخ بين التوثيق والتحقيق والدقة والضبط في الكتابة والنسخ، وبين الجمال والجلال والتفنن والإبداع، والزخرفة والتزيين.

ويلفت د. نجم خلف، المتخصص في المخطوطات، إلى أن من أقدم الزخارف القرآنية تلك النقاط السوداء الثلاث التي كانت توضع للفصل بين آيات القرآن، ثم اختلفت أشكالها فيما بعد، لتتخذ أشكالا هندسية، أو نقاطا أكثر عددا، مكونة بذلك شكلا مثلثا، أو شكل ورود صغيرة تزين كثيرا من صفحات المصحف الشريف (١)، مضيفا أن هذا التطور التاريخي بدأ مبكرا بـ«زخرفة فواصل السور؛ إذ كانت في أول الأمر على شكل خطوط مستقيمة، أو منكسرة، أو بصورة حلقات مكررة غير منتظمة، ومن المرجح أنها ترقى للقرن الأول الهجري» (٢).

## مصادر الزخرفة

تمثل النباتات من أشجار بفروعها وأغصانها وسيقانها وأوراقها، وبزهورها وثمارها، أول المصادر الزخرفية التي عرفت ضمن فن الزخرفة الإسلامي. وقد ظهرت كأشكال زخرفية في وقت مبكر من القرن الثاني الهجري، لكنها صارت أكثر جمالا وإبداعا وتأنقا وتألقا في القرون التالية، خصوصا لدى المسلمين في أرخبيل الملايو وبلاد فارس.

أما المصدر الثاني للزخرفة فتمثل في العناصر الهندسية: المربع، والدائرة، والمستطيل، والمثلث. وتم توليد أشكال جديدة منها، كالمخمس، والمسدس، والمثمن وغيرها. وقد استعيرت هذه الأشكال الهندسية في زخرفة المخطوطات القرآنية، والمباني الإسلامية، كالقباب والمآذن في المساجد، فضلا عن القصور والقلاع.



ويتضح من هذا الفن اعتماد الخطاطين والمزخرفين على مصدري النباتات والهندسة وتجنب رسم ذوات الأرواح، وصور الحيوانات والطيور لما ورد من النهي الصريح عنها في الإسلام. وهو منهج عقدي متميز عن فنون وزخارف الأمم السابقة في العصور الغابرة مما كان في حضارتي اليونان والرومان (الإغريق) اللتين كانتا تؤمنان بتعدد الآلهة وتصورها، فضلا عن تصوير الحيوانات وتجسيمها في المنحوتات.

وتبرز العناية بالمصحف؛ تلوينا ونقشا وزخرفة، على غلاف المصحف، ومقدمة المصحف والصفحات الأولى وآخره والصفحات الأخيرة، والأطر والحواشي لكل سورة من السور، وقد جاء بعضها على شكل مستطيل أو مربع أو مثلث، أو بيضاوي أو دائري أو نصف دائري، أو أشكال متداخلة وغيرها.

## نماذج

يقدم النموذج المعروض في الصورة الأولى صورة جمالية بارعة لأول صفحتين من القرآن الكريم: فاتحة الكتاب وبداية سورة البقرة. وتكشف ألوان هذه الصورة عن التزيين البارع والتنسيق الدقيق والتجانس بين الألوان في الصفحة التي اجتمعت فيها ألوان كثيرة من الأحمر والأصفر والأزرق إلى الأخضر والأبيض والأسود، كما أن الإطار الخارجي الأحمر يضفي جمالا فائقا للصفحة.

وتأتي الحدود الداخلية بالأسود متناسبة مع الخلفية البنية الفاتحة، كذلك يتميز اللون الأصفر بالوضوح للأطر المقيدة لعنواني السورتين في أول الصفحة وآخرها، وعلى جوانب الأطر يأتي اللون الأزرق المضيء مع النقط الحمراء مساعدا على بروز المكتوب في الأطر باللون الأحمر، ويمنح اللون الأخضر على جانبي الصفحتين وأعلاهما وأسفلهما، أثرا خاصا في النفس يبعث على الاطمئنان والارتياح، وهكذا تجتمع هذه الألوان لتشرح الصدور وتبسط النفوس وتدفعها إلى الإقبال على كتاب الله، والعزيمة على تدبر آياته، والتعبد بالنظر في صفحاته.

أما النموذج الآخر في الصورة الثانية فهو عبارة عن نسخة من مخطوطات ولاية ترنجانو (في ماليزيا)، وهو لصفحتي سورة الفاتحة وأول سورة البقرة، ويلاحظ أن وجه الورقتين مرصع بالذهب والجواهر اللامعة.

## الهوامش

١. مخطوطات المصحف الشريف في أرخبيل الملايو بين فن الجمال والتزويق وفن التدقيق والتوثيق: نجم عبدالرحمن خلف ساجدة حلمي سمارة ص١٠، بحث قدم لندوة مخطوطات علوم القرآن وتفسيره: فهرسة وتعريفا ووصفا ودراسة، وذلك في يومي ٢٩-٣٠/٨/ ٢٠١٢م، مركز بحوث القرآن بجامعة ملايا ٢٠١٣م.

٢. المصدر السابق، ص١١.

ميامسة النخلاني
كاتبة يمنية




# مواقع التواصل الاجتماعي.. اندفاع و تفاعل

**يبدو أن مواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها فيسبوك وتويتر وانستغرام صارت شرا لابد منه كما يقال، فلم يعد بيت يخلو من أعضاء يتفاعلون مع هذه المواقع، والتي تحمل قدرا من الفوائد إذا تم التفاعل معها بحذر، لكنها في المقابل تنطوي على سيل من العواقب الوخيمة في حال الإدمان عليها والاندفاع نحوها بطيش واستخفاف.**

وفي لقاءات سريعة مع بعض قاطني ومستخدمي هذا العالم الافتراضي الذي فرض نفسه بقوة على عالم الواقع حاولنا معرفة مدى تأثرهم وتأثيرهم بهذه المواقع، فإليهم:

«لم يكن تعلقي بموقع الفيسبوك كبيرا، بل كان حضوره ثانويا في حياتي».. بهذه الكلمات بدأ الشاب «ياسر» سرد تجربته مع الفيس، مستطردا: كان هذا قبل (٥ سنوات)، أما الآن وبعد أن توطدت علاقتي بالأصدقاء المضافين في قائمتي، ومنهم من أعرفهم على أرض الواقع لكن فرقت بيننا المسافات، ومنهم أصدقاء عرفتهم فقط في العالم الافتراضي، وهؤلاء أضحت علاقتي بهم أقوى بكثير من علاقتي بمن حولي في العمل والحي.

وأضاف قائلا: صرت لا أتحرك إلا والهاتف في يدي، وأتواصل مع أصدقائي باستمرار، وأرتاح إليهم أكثر ممن هم حولي على أرض الواقع، ربما لأننا نتفق أكثر مما نختلف، أو أن الجميع يحاول أن يجعل من هذا العالم ملاذا آمنا يريحه ويهرب فيه من المشاكل التي تحيط به،

قد نختلف أحيانا لكن لا يخسر بعضنا بعضا، ولا نتجاوز حدود اللياقة حتى في الخصام، وإن حدث وتغيبت لأيام تتوالى الاتصالات على هاتفي أو على الخاص يطمئنون علي.. حقا إنه عالم جميل ولا أتخيل حياتي بدونه.

## شعور بالوحدة

بينما كان لـ «تيسير» رأي مختلف، حيث تقول: ليس لدي صداقات واسعة في الفيس أو مواقع التواصل عامة، فبرغم أنني أنشأت صفحتي منذ أكثر من ثلاث سنوات، فإن قائمتي صغيرة جدا، ونادرا ما أتحدث مع أصدقاء الفيس، أدخل من وقت إلى آخر لمجرد التصفح هنا وهناك، وتضييع وقت الفراغ لا أكثر.

وأضافت: أحيانا أتصفح جديد الأخبار والمعلومات ولا أجدها ذات فائدة كبيرة، لذا أفكر في كثير من الأحيان في ترك هذا العالم الافتراضي، لكن ما إن أجتمع مع أخواتي في غرفة واحدة، إلا وأجد كل واحدة منهن منكبة على هاتفها تتصفح أو تحدث صديقة ما، كل ما أراه هي شاشات مضيئة ووجوها مبتسمة حينا ومتجهمة حينا آخر، وقليلا ما نتجاذب أطراف الحديث، وإن حدث فكل واحدة تحاول إنهاء الحوار سريعا والعودة إلى هاتفها، حتى إن خرجت عند واحدة من الصديقات فقلما أجد واحدة لا تتشاغل عمن حولها بهاتفها.. أضيق ذرعا من الشعور بالوحدة والعزلة فأفتح هاتفي أنا أيضا وأتشاغل بقراءة شيء ما.

## يوم كامل بدون فيسبوك!

أما «نهى» فتقول ضاحكة: خرجت مع عائلتي يوما لرحلة للشاطئ، كان الجميع يعاجلنا للخروج، فلم أنتبه أني نسيت هاتفي إلا بعد أن ابتعدنا عن البيت.. لم أتضايق كثيرا وقلت فلتكن فرصة لأجرب العيش يوما كاملا بدون موبايل ولا إنترنت أو فيس، حاولت أن أستمتع بكل ثانية، بين الضحكات والحديث العابر حينا والعميق حينا آخر، كان يوما جميلا ومميزا بشكل لا يصدق، واحتفظت في ذاكرتي بكل المشاهد دون الانشغال بهاتف أو كاميرا.. لكن ولأكن صادقة، كنت كلما لمحت مشهدا مميزا للشاطئ أو من خلال السيارة، تمنيت لو أن هاتفي موجود لألتقط بعض الصور لأضعها لاحقا على الفيس أو حتى عرضها على الصديقات، أحزنني هذا الشعور، لأننا ومنذ أن دخلت الأجهزة الذكية حياتنا توقفنا عن عيش اللحظات السعيدة مع من حولنا وصار كل همنا أن نشاركها أولئك القابعين في العالم الافتراضي، بتنا وكأننا لا نقوم بالأشياء إلا لعرضها على الآخرين، ولا نسعد إلا لنقول لهم بأننا كنا سعداء لا لعيش لحظات مميزة، حقا إنه واقع مؤسف.

## غياب الخصوصية

بدورها، تؤكد «ريم»: لا أجد أي خطب في مواقع التواصل الاجتماعي بحد ذاتها، لكن من وجهة نظري أرى أن المشكلة هي بطريقة استخدام البعض لها، أصبحت تشعر بأنك تعيش مع البعض في بيوتهم وحتى غرف نومهم، يسردون تفاصيل لا ضرورة لها ولا ينبغي لها أن تقال أمام الجميع، فالموقع بخصائصه الحالية لا يضمن الخصوصية، تتحدث الفتاة مع صديقاتها بأمور شخصية وبأسلوب خاص بالفتيات لتجاربها صديقاتها وكأنهن في جلسة خاصة في غرفة إحداهن، بينما يقرأ المضافون في قوائمهن كل ما يقال ذكورا وإناثا، وليس الجميع على خلق ودين.

وتتابع: لاحظت أن أختي الجامعية تفعل كذلك مع صديقاتها فنبهتها بأن كلامهن يقرأه الزملاء والغرباء، وقد يكوِّنون نظرة سلبية عنهن، أو يوظف البعض الآخر بعض ما عرفوه للإيقاع بهن، أرى أن على الجميع خاصة الفتيات أن يحذرن عند استخدام هذه المواقع، على عكس الغرب، نحن مجتمع محافظ فعلينا ألا نضيع التزامنا وملامح البيئة الإسلامية الجميلة باستخدام موقع ما، وكما قال جل في علاه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور:١٥).

## بيئة خصبة للتعلم والاكتساب

في الجانب الإيجابي لهذه المواقع، يقول «فهد» مدرب تنمية بشرية: كثر الحديث عن سلبيات وإيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي، وأعتقد أن علينا التوقف عن الدوران حول هذه الدائرة المفرغة، وتفنيد أمر لا مفر منه، فحتى أولئك الذين لا يملون من سرد سلبيات هذه المواقع لديهم حسابات فيها، ولا يكاد يمر عليهم يوم واحد دون الدخول عليها، فلماذا لا يتوقفون عن تضييع الوقت بمقالات لا جدوى منها، بحيث يحاولون استثمار الوقت الذي يقضونه في هذه المواقع بما فيه صالحهم وصالح من صاروا مرتبطين بها ارتباطا وثيقا.

ويضيف: صارت هذه المواقع أمرا واقعا، وبغض النظر عن السلبيات نجد لها إيجابيات عديدة.. الكثير منا التقوا بأصدقاء طفولة أو دراسة أو عمل بعد سنوات طويلة من الابتعاد.. أصبح رب الأسرة المغترب عن أولاده على تواصل دائم معهم منذ الصباح وحتى الليل، ولم يعد بحاجة لاقتطاع مبلغ كبير من مصروفه لإجراء اتصال دولي، نلتقي بكتاب وعلماء نتحدث معهم ونحدثهم بعد أن كنا لا نعرفهم إلا من خلال السير الذاتية على كتبهم، كما قربت الكثير من المسافات..

كما أن كثيرا من الباحثين والدارسين يلجأون إلى هذه المواقع للحصول على ما يفيدهم، وبالفعل يجدون ضالتهم فيها، لذا علينا فقط أن نوازن بين عالمنا الواقعي وهذا العالم، ونمزجهما بتناغم كي لا تتوسع الفجوة بينهما وكل شيء سيكون بخير.

أخيرا إذا كانت هذه المواقع قد قربت المسافات بين العوالم والمجتمعات، كما يقول عديد ممن التقيناهم، إلا أنها في الوقت ذاته باعدت المسافات بين سكان البيئة الواحدة، بل والبيت الواحد، وتبقى الحقيقة التي اتفق عليها الغالبية بأن هذه المواقع صارت جزءا لا يتجزأ من عالمنا وحياتنا، فما علينا إلا أن نقبل بوجودها ونتعايش معها بحذر، ونحسن طريقة استخدامها كي لا تسرقنا من عالمنا الحقيقي أو تقذف بنا في سراديب من العلاقات الوهمية التي يكلفنا الخروج منها الكثير.

استطلاع:
علاء عبدالفتاح


مجلس إدارة الوقف

«الوعي الإسلامي» زارت مقره وتفقدت أنشطته ميدانيا

# وقف «أنوار القرآن» يسطع في سماء إسطنبول

**نشاط وقفي قرآني جديد يسطع في سماء المدينة الأشهر بالجمهورية التركية إسطنبول.. نشاط يهتم بمواصلة الطريق المبارك لحفظ ومراجعة المنسي من القرآن الكريم، بالإضافة إلى تحقيق قدر من التوأمة العربية - التركية من خلال تعليم اللغة العربية للأتراك والتركية للعرب المقيمين بتركيا. إنه نشاط ينمو داخل المساجد والمدارس مستهدفا إزالة الفجوة اللغوية بين المجتمعين للمساعدة على تدبر آيات الله والعمل بها.**

نشاط هذا الوقف المسمى بـ«وقف أنوار القرآن» رغم حداثته؛ بدأ يؤثر في الحياة الثقافية بتركيا؛ حيث المسابقات داخل المدارس والمساجد والفعاليات والطموح الكبير في إنشاء جامعة تختص بعلوم القرآن الكريم، وتنظيم مسابقة قرآنية كبرى تحمل اسم كأس العالم لحفظ القرآن الكريم.

«الوعي الإسلامي» لبت دعوة «وقف أنوار القرآن» بإسطنبول وانتقلت لتسجل بعدستها النشاط الوقفي داخل مقر الوقف وخارجه كمطبوعة إسلامية رائدة في مجالها لا تتأخر عن إبراز دور الأنشطة القرآنية، وتشجيعها في أي بقعة من بقاع الأرض.

وتزامن مع وصول محرر «الوعي الإسلامي» افتتاح الوقف رسميا بحضور شخصيات عامة لعل من أبرزهم مفتي مدينة إسطنبول البروفيسور حسن كامل يلماز، والشيخ أحمد عيسى المعصراوي، شيخ عموم المقارئ المصرية السابق، وعددا كبيرا من الشخصيات العامة ورجال الأعمال العرب والأتراك.

وخلال الافتتاح، كشف رئيس مجلس

إدارة «وقف أنوار القرآن» أحمد علي عن رؤية الوقف وتطلعه لأن يكون إحدى المؤسسات الرائدة عالميا في نشر القرآن الكريم وعلومه حتى تعم أنوار القرآن الكريم أرجاء العالم، مؤكدا أن رسالة الوقف تتمثل في دعم الحُفاظ والمهتمين بنشر القرآن الكريم وعلومه وقيمه في تركيا، والعديد من دول العالم؛ لبناء جيل رباني يذود عن الأمة الإسلامية، ويرفع من مكانتها بين الأمم.

وبعد أن انتقلنا إلى مقر الوقف بمنطقة الفاتح وجدنا شبابا من الأتراك يرددون ما حفظوا من القرآن الكريم، ومعهم أحد أعضاء مجلس الإدارة يصحح لهم التلاوة، فضلا عن النطق، وكان المشهد مؤثرا؛ حيث يحاول المتعلم أن يحفظ القرآن بالنطق السليم؛ بينما لا يُقدّر بعض الناطقين بالعربية النعمة التي أنعم الله بها عليهم، وهي لسانهم العربي، فيهملون القراءة والتلاوة والحفظ.

## من أسرار القرآن

في البداية يحدثنا نائب رئيس مجلس إدارة الوقف مصطفى غنيم عن التيسير الذي يجعله الله في طريق من يريد العمل من أجل دين الله فيقول: «احتاج مشروع التوأمة (العربية - التركية) إلى ميزانية قدرناها بنحو مئة ألف ليرة، ولم نكن نعلم من أين نأتي بالمال، فقررنا أن نضع كل ما نستطيع - وهو قليل - في هذا المشروع، وكنا على يقين بأن التجارة مع الله هي المربح الأهم، وقد وافقت البلدية على أن تتكفل بوجبات الفعالية حتى نهاية الملتقى، وبذلك تم توفير مبلغ آخر وهكذا تيسرت الأمور وتم المشروع على خير».

وسألناه السؤال الذي يفرض نفسه دوما كلما رأينا مشروعا ناجحا وراءه رجال مميزون: أين الجيل الجديد منكم؟ أي أين الكوادر التي ستقوم بالعمل من بعدكم؟


مصطفى غنيم

فقال: نحن لا نحفظ القرآن الكريم فقط بل نفهم ما استطعنا من تعاليمه للناس، ونربي الجيل الجديد على التفاني وإنكار الذات، وعلى العمل لا على التفاخر أو التباهي أو حتى من أجل كسب العيش فقط، وإن الشخصية يجب أن تكون عاملة ومتطورة، لا حافظة فقط بل حاملة له وتعمل به.

## مشاريع مقبلة

وماذا عن المشاريع المقبلة؟

- أجاب الشيخ مصطفى غنيم بأن الوقف يُعد لمسابقة قرآنية جامعة في شهر رمضان المقبل بإذن الله، سيُكرم فيها حفظة كتاب الله تعالى. لكن مسابقة كهذه تحتاج إلى جوائز تشجيعية (على الأقل ألف ليرة لكل حافظ)؛ وأنا على يقين أن الحافظ يحتاج إلى مثل هذا المبلغ التشجيعي في حياته إكراما له وليس صدقة.

## جولة ميدانية

وفي جولة ميدانية لـ«الوعي الإسلامي» صحبنا خلالها السكرتير الإداري صلاح أبو العز، توجهنا إلى حلقة قرآنية في مسجد السلطان أحمد، حيث يتردد السياح من بلدان عدة، وجدنا رجلا يوقف تدفقهم إلى المسجد؛ لأن الصلاة قد حان وقتها، وكان بجواره لافتة كبيرة عليها رسوم توضيحية ترشد السياح إلى ارتداء الزي المناسب قبل الدخول لرؤية المعمار الفني الذي يتميز به الجامع، وفي الداخل كانت هناك حلقة قرآنية اصطحبنا إليها السكرتير الإداري صلاح أبو العز الذي شرح لـ«الوعي الإسلامي» كيف ينظم القائمون على الوقف النشاط خارج المقر كي تتم التوأمة بين الحافظين لكتاب الله من العرب والأتراك في جو إيماني مشبع بالراحة والطمأنينة.

زيارة أخرى قمنا بها لمقر الوقف حيث التقينا أمينه العام الدكتور مختار العشري وأمين الصندوق المهندس سعيد عمار؛ وسألنا د. العشري أولا: كيف بدأتم؟ وكيف أصبح لكم مقر ونشاط وفعاليات تنفقون عليها من الوقف؟

فقال: الوقف هو وقف للدين وللقرآن الكريم، والفكرة هي أن ندعو إلى الله سبحانه وتعالى من خلال تحفيظ القرآن الكريم وإعطاء الإجازات، والهدف الأساسي هو دخول الجنة، والحمد لله ليس لدينا أي مصالح شخصية، مضيفا أن أموال الوقف جُمعت من القائمين عليه ومن التبرعات وأهل الخير.

وأشار إلى أن عدد أعضاء مجلس الإدارة تسعة أشخاص لهم باع طويل في العمل التطوعي، موضحا أن التبرعات ليست مادية فقط، لكنها كانت عينية أيضا، والبلدية في إسطنبول ساعدت وتساعد الوقف بأشكال كثيرة، منها على سبيل المثال منح مقر الاحتفالية مجانا والأغذية مجانا ووسائل النقل للرحلات مجانا؛ فالجمهورية التركية مثل الحبيبة الكويت تدعم الأعمال الخيرية بأقصى ما يمكن تصوره.



جانب من افتتاح الوقف ويظهر فيه الشيخ المعصراوي

● ما الذي ينقصكم لإنجاز المزيد من المشاريع والفعاليات؟

- أي عمل في الكون عبارة عن فكرة، إذا توافر الدعم المادي لها، كانت إمكانية تحقيق أهدافها أسرع على أرض الواقع.

## ضمانات للمتبرع

● وما هي الضمانات التي توفرونها لأهل الخير؟ وكيف يتأكد المتبرعون أن أموالهم تذهب إلى المشروع الصحيح؟

- الضمانة الأولى هي الشفافية المطلقة، فالوقف يقدم كشف حساب يومي وأسبوعي وشهري للمتبرعين وأهل الخير بمنتهى الشفافية والدقة، كما أن أوجه الإنفاق معروفة، والقانون في تركيا واضح ودقيق، والوقف يسير تبعا لأعراف الدولة وبتقارير محاسبية معتمدة.

أما بالنسبة للمشاريع فلدينا مشاريع تتعلق بالقرآن الكريم وخدمة كتاب الله؛ سواء كان في تركيا أو في أي مكان آخر، وهناك العديد من الأهداف التي نأمل أن نحققها، ومنها: توثيق العلاقة مع أكثر من مئة مؤسسة لخدمة حفظة كتاب الله، وخدمة المجتمع التركي داخل تركيا أولًا، ثم إلى باقي دول العالم، وتعليم اللغة العربية لألف فرد تركي غير ناطق باللغة العربية لفهم القرآن وإدراك معانيه، ليكونوا من الأئمة والخطباء، وكذلك تعليم عدد من المعلمين العرب اللغة التركية ليعلموا القرآن الكريم لغير العرب، وإنشاء خمسة عشر مركزا تعليميا لـ «تحفيظ القرآن الكريم - والشريعة - وعلوم القرآن»، وفي المستقبل إنشاء كلية للقرآن الكريم.

توجهنا للمهندس سعيد عمار كرجل أعمال واقتصادي لنتعرف على رؤيته بشأن إنشاء جامعة تختص بعلوم القرآن الكريم فقط، والانتقال من مرحلة الفكرة إلى الأمر الواقع الملموس..

فقال: منذ سنوات ونحن نتكلم عن مشروع التوأمة ولكن بدأ المشروع وتأسس ثم أنشأنا الوقف بعد معرفة شروطه، وانتقلنا بعد ذلك إلى تحفيظ وتعليم ١٠٠ طالب، وبعد ذلك أصبحوا أكثر من ٣٠٠ طالب، وقمنا بفتح حلقات تعليم وتحفيظ ثابتة في أكثر من مسجد، ونحمد الله أن الأعضاء أُفقهم واسع وطموحاتهم كبيرة، ويعرفون أن التدرج في النجاح أمر حتمي وواجب.. وبالتالي فإن فكرة إنشاء الكلية ثم الجامعة هي أمر واقعي سهل التحقق، ولكنها تحتاج للمزيد من الخطوات المدروسة التي تشجع الأجهزة الحكومية على مساعدتك، فلو أن لديك دراسة جدوى دقيقة فإن الدولة ستساعدك بالأرض، مع العلم أن الأوقاف التركية من أقوى الهيئات، وهناك الكثير من المدارس والجامعات التركية الوقفية.

## صدق الفكرة وأمانة الأداء

● دعنا نتوقف قليلا عند مشروع المساعدة في تحفيظ الطلبة الأتراك للقرآن الكريم داخل المدارس.. حدثنا كيف يجري هذا الأمر؟

- المساعدة على تحفيظ القرآن الكريم داخل المدارس فكرة رائدة، فالمدارس الخاصة تعلم الأولاد والشباب التعليم التقليدي، ونصيبهم من تحفيظ القرآن الكريم في الحصص الدراسية يكون قليلا بحكم عدم نطق المعلم التركي اللغة العربية كما ينطقها



محرر الوعي الإسلامي يتوسط أبو العزود. العشري وم. عمار

العربي؛ لذلك عرضنا على القائمين على أمر هذه المدارس من أهل الخير أن يكون للوقف نشاط داخلها يومي السبت والأحد من كل أسبوع فوافقوا، كما رحب الأهالي بذلك ترحيبا كبيرا جدا، فبدأنا بأربع مدارس، وسرعان ما تطورت الفكرة فبدأت المناقشات مع وزارة التربية في تركيا لتعممها بإسطنبول ثم بباقي المحافظات في مدارس «الإمام والخطيب» وإذا أثبتنا نجاحنا فسيزيد عدد الحصص ليشمل أياما أخرى في أثناء الدراسة العادية، كذلك بدأنا مشروع تعليم اللغة العربية للمعلمين في تركيا داخل المساجد، مثلما بدأنا من قبل في مسجد الفاتح حلقة لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره ولاقت إقبالا كبيرا. لقد بات واضحا لدينا أن المسلمين الأتراك يحبون القرآن الكريم حبا جما، وحب الإسلام لديهم غريزة؛ بدليل أن المساجد تمتلئ بالمصلين قبل الأذان تعظيما للشعائر الدينية.

لقد كانت البداية بحلقة موسمية في مسجد، ثم أصبح هناك موعد ثابت لها، واستمرت إلى وقتنا هذا تعقد كل يوم أحد بعد صلاة العصر؛ ثم انتقلت الفكرة لتطبق في مسجد ثان وثالث إلى أن انتشرت في العديد من المساجد. وأود هنا أن أشير إلى أن هذه الحلقات لم تكن موجودة من قبل؛ لذلك رحب بها القائمون على المساجد وأصبحوا يدعون إلى إقامة غيرها، وأصبح هناك انتشار واسع، ونأمل أن تزداد هذه الحلقات لتعم مساجد تركيا كلها.

أما المسؤول الإعلامي في الوقف وعضو مجلس الإدارة الدكتور محمد السيد، فصحبنا لمشاهدة مقطع دعائي جرى تصويره عن افتتاح الوقف، ومنه تعرفنا على طبيعة الوسائل الدعائية التي ساهمت في اكتمال النجاح.

وشرح د. محمد السيد طبيعة عمل المركز الإعلامي للوقف قائلا: «إن عملنا يتمثل في كل ما يتعلق بالإعلام والمطبوعات الخاصة بالوقف، والدعاية على مواقع التواصل الاجتماعي وموقعنا الخاص. كما نتابع حلقات القرآن في المدارس وفي المساجد، وننظم عمل بروتوكولات مع المدارس الخاصة، وننسق مع حفظة القرآن الكريم من الوقف لإدارة الحلقات القرآنية في المدارس والمساجد».

وأشار إلى أن المركز الإعلامي يعمل على «توثيق الحفلات الخاصة بالوقف وإظهاره لرسمية هذا الوقف ورمزية من حضروا من أشخاص ذوي مكانة، مثل مفتي تركيا ومستشار رئيس الجمهورية ووالي إسطنبول ومسؤول البلدية وبعض الشخصيات والرموز العامة، ويتم توثيق كل ذلك إعلاميا، من بداية الفعالية إلى نهايتها، وتسجل على قرص مدمج، ثم يقدم هدية لمن حضر الحفل أو زار الوقف».

وفي ختام جولتنا، التقينا مدير العلاقات العامة بوقف أنوار القرآن محمد جولنار، الذي أوضح لنا مسؤوليات عمله ودوره في استخدام علاقاته وخبرته في هذا المجال لمدة عشر سنوات للتنسيق والتعاون مع الأوقاف والهيئات والمؤسسات والجمعيات الموجودة في إسطنبول، وكيف لعب دورا بارزا في الآونة الأخيرة لتوضيح فكرة ونشأة ورؤية وقف «أنوار القرآن» لكل الجمعيات والهيئات الخيرية المنتشرة في إسطنبول باعتبار أن «أنوار القرآن» هو وقف جامع.

د. آندي حجازي
كاتبة صحفية أردنية

# ترويج الإسلاموفوبيا

الإسلام دين الله تعالى الذي اختاره خاتما للأديان بعد فترة من الرسل، فكان بين المسيحية والإسلام أكثر من ستمئة عام، حل بها فتور من حيث إرسال الرسل لحكمة أرادها الله تعالى، ثم أكرم الله تعالى البشر ببعث رسول الله محمد ﷺ برسالة سامية عظيمة جاءت لكل البشر ولكل الأجناس والأزمان اللاحقة، وعالجت كل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والفكرية والروحية، فشجعت حب الخير للبشر وإعمار الأرض ورقي الإنسان من جميع الجوانب.

لكن العداء للأديان لم يكن وليد الساعة، بل على مر الأزمان، فانظر إلى بني إسرائيل؛ كانوا أكثر الناس قتلا للأنبياء كما أثبتت الكتب السماوية والشواهد التاريخية، ذلك أنهم لا يريدون إيصال الحق والخير لبني البشر بطبعهم السيئ العدائي. ومنذ مجيء الرسالة المحمدية ورسول الله وصحابته يعانون الأمرين من قريش واليهود والقبائل العربية الأخرى من أجل إحباط تلك الرسالة السماوية، ولكن الله تعالى كتب لها الخلود والبقاء، لأنها إرادته ودعوته الحقة التي تدعو لتوحيد الله تعالى وعبادته كخالق واحد أحد، وهي خاتمة الشرائع والديانات السماوية إلى أن تقوم الساعة.

وما ظهر في هذا القرن ونهايات القرن الماضي من خوف من الإسلام، وما أطلق عليه الإسلاموفوبيا Islamophobia، ما هو إلا شكل من أشكال رفض الديانة السماوية لأسباب كثيرة وحجج واهية.

قد روجت لفكرة الإسلاموفوبيا كل الحركات الصهيونية والماسونية والشيوعية واللادينية الإلحادية التي ظهرت خلال مئة عام، وقامت -بميولها الإغوائية الشيطانية- بمحاربة الإسلام ونشر العداء والكراهية له ولأتباعه، من أجل زيغ الناس عن سبيل الحق واتباع أهوائهم وشهواتهم، حيث جاء الإسلام ليرتقي بالبشر في كل مناحي الحياة، وفي علاقتهم بخالقهم. لكن أعداء الديانات السماوية يحاربون دائما تلك المعتقدات والمبادئ السامية، ويحاولون فرض آرائهم وأفكارهم الشاذة وانحرافاتهم الفكرية والعقائدية على الآخرين لتكون لهم الغلبة والسيطرة، لأنهم لا يؤمنون بالخالق.

> **الماسونية والصهيونية عملتا بدأب لنشر الظاهرة**

## الإسلاموفوبيا والإعلام

وللأسف، إن تلك الحركات الصهيونية والماسونية والشيوعية واللادينية الإلحادية والصليبية استطاعت اليوم، وبشكل كبير، تقويض صورة الإسلام ونشر فكرة الإسلاموفوبيا بما تحمل من كراهية وعدائية للإسلام، ونشر فكرة الخوف منه بصورة منحرفة عن جادة الحق، وبصورة عمت وطغت، من خلال تصوير الإسلام على أنه دين القتل والدمار والعنف وقتل الأبرياء والكراهية لبني البشر! ومنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة ازدادت تلك الصورة، والتي استغلها أتباع الأيديولوجيات الحاقدة على الإسلام من أجل تشويه صورة الإسلام ومحاربته.

وقد روجوا لأفكارهم تلك مستخدمين كل ما توافر بين أيديهم من وسائل الإعلام، فاستخدموا بداية المحطات الفضائية والقنوات الإخبارية والصحف وتأليب الرأي العام، ثم

بظهور الشبكة العنكبوتية وانتشار استخدامها وما تبع ذلك من وسائل تواصل اجتماعي، تم نشر أفكارهم عبر تلك الوسائل الإلكترونية، فانتشرت فكرة الإسلاموفوبيا انتشار النار في الهشيم!

حتى بات أهل الإسلام أنفسهم يصدقون تلك الإشاعات والأحقاد الدفينة عن الإسلام التي طفت بشكل واضح على السطح، فلم تعد تلك المنظمات العالمية تعمل في الخفاء أو في الظلام كما في السابق، بل باتت تروج لأفكارها بشكل معلن ورزين ومدروس ومخطط له، وتستميل الرأي العام في كل العالم، مدعمة أفكارها بالصور والأصوات والحوارات والشعارات والقصص المزيفة وغيرها من الطرائق.

وفي الوقت ذاته، ناسين أو متناسين ما يفعلونه هم بالمسلمين، وكم قتلوا منهم وشردوا في هذا القرن والذي قبله، ملايين من المسلمين أبيدوا! فكم احتلوا من ديارهم، ونهبوا من خيراتهم وأموالهم، وشردوا من أبنائهم، وأسروا من شبابهم، وعذبوا وأحرقوا ودمروا في بلدان إسلامية شتى كفلسطين والعراق وسورية وأفغانستان والصومال والبوسنة والهرسك وغيرها.

ولكن هذا كله لم يصنف على أنه إرهاب للمسلمين أو «فوبيا عالمية ضد الإسلام وأهله»! بل صنفت الأفعال التي تحاول الدفاع عن نفسها أو مقاومة ذلك الاحتلال والاعتداء على أن المسلمين هم الإرهابيون الذين يحاولون تدمير العالم واحتلاله ونشر أفكارهم الضالة (في نظرهم) .

## فكرة على الطريق

ومما يزيد الطين بلة في هذا الصدد؛ أن تأتي بعض الجماعات التي تنتمي إلى الإسلام أو تنسب نفسها إلى الإسلام فتعمل على تأكيد فكرة الإسلاموفوبيا بما تقدمه من أفعال قتل ودمار هنا وهناك بشكل عشوائي! والذي غالبا لا يحل المشكلة بل يزيدها تعقيدا، فهل الاعتداء على دار سينما أو ملعب كرة قدم أو محطة قطارات أو متحف أو دار عرض.. يحقق أهدافا معينة تفيد الإسلام والمسلمين؟! لا أعتقد ذلك!

## بعض أهل الإسلام باتوا يصدقون مروجي الإسلاموفوبيا

هذا طبعا إن افترضنا جدلا أن من يقوم بتلك الأفعال هم بالفعل من المسلمين، فأحيانا كثيرة يساورني الشك في أن من يقوم بتلك الأفعال ليسوا مسلمين ولا يمتون إلى الإسلام بصلة، فلم لا يكون من يقوم بها هم من أتباع الماسونية والصهيونية واللادينية المنتشرة في العالم اليوم، ثم ينسبون تلك الأفعال إلى المسلمين في تسجيلات صوتية لأشخاص قد يكونون مدسوسين على الإسلام أو مرتزقة أو تم تحريف أفكارهم أو تم التلاعب بتلك التسجيلات؟! فكل الاحتمالات واردة في زمن عمت فيه وسائل التكنولوجيا والتزييف الصوري الفوتوغرافي والصوتي والفكري، وأصبح للإعلام دور كبير في نشر أفكار فئات معينة في العالم بكل سهولة ويسر دونما قيد أو شرط، ودونما أن نشعر كمن يدس السم في العسل!

## تساؤلات غاية في الأهمية

لنعد إلى تساؤلات مهمة؛ إن افترضنا أن بعض الجماعات التي تنتمي إلى الإسلام وتنسب نفسها إليه أنها تقوم بتلك العمليات الإرهابية (كما يطلق عليها) والتي تسبب الإسلاموفوبيا، فهل سألت تلك الجماعات نفسها هذه الأسئلة:

- هل تخدم هذه الأفعال الإرهابية وقتل بعض المواطنين المدنيين في هذا البلد أو ذاك قضية الإسلام والمسلمين؟ وإلى أي مدى تخدمها؟
- هل هذه الأفعال سوف تجعل تلك الفئة غير المسلمة ترجع عن ضلالتها بعد هذه الأفعال الإرهابية؟ كأن تترك الزنا أو حضور الأفلام في السينما أو شرب الخمر أو قتل المسلمين أم أنها قد تزيد منها لحقدها على الإسلام؟ فهل ستفكر في التخلي عن تلك الأمور التي تثير غضب المسلمين؟
- هل هذه الأفعال الإرهابية بقتل من لا علاقة له كالمدنيين، تجعل الناس يحبون الدين الإسلامي الذي أصبح في نظرهم دين العنف والقتل والإرهاب؟ أم أنها تنفر منه وتجعلهم ينبذونه وأهله ويحاربونه بكل ما أوتوا من قوة؟
- وهل قتل مسلمين في عملية أو أخرى بحجة تكفيرهم أحيانا أو عيشهم في بلاد أجنبية؛ يبيح لهؤلاء الجماعات قتل المسلمين واستباحة دمائهم؟ وماذا لو كان من بين هؤلاء القتلى من هو مؤمن حقا بالله؟ ألم تحرم الآيات والأحاديث وبشدة قتل المسلمين بأيدي المسلمين؟ فحسابهم كبير عند الله تعالى، ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٩٣)، وفي حرمة

دم المسلم قال ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» (رواه مسلم)، وقال عليه الصلاة والسلام: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» (حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجه)، فأين هم من تلك الآيات والأحاديث النبوية؟!

● وهل تخدم تلك الأفعال المسلمين المقيمين في بلاد الغرب؟ أم أنها تضيق الخناق عليهم وتزيد من العداء لهم ومحاربتهم ونبذهم واضطهادهم والدعوة لطردهم والتقليل من حرياتهم وحقوقهم في تلك البلاد، حتى وإن كانوا من سكانها الأصليين وليسوا من العرب أو الوافدين إليها من المسلمين؟

● ألا تخدم تلك الأفعال من قتل وتخريب خطط وأهداف الجماعات والمنظمات العالمية الحاقدة على الإسلام وأهله كالصهيونية والماسونية والعلمانية والإلحادية والاشتراكية؟ فتقدم لها ما تبغي على طبق من ذهب؟!

● ألم يأمرنا ديننا الإسلامي بألا نقتل النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين الذى لم يشتركوا في الحروب والجيوش؟ أليس ديننا دين العدل والحق والإنسانية والرفق ببني البشر؟

● أليست تلك الأفعال تزيد وتروج لفكرة الإسلاموفوبيا التي انتشرت في هذا الزمن كصورة نمطية عن الإسلام وتم استغلالها بشكل قبيح من قبل أعدائه؟

### ما سبيل الخلاص؟

علينا أن نرجع إلى تعاليم الإسلام الحقة ودراسة العقيدة وأحكام القرآن الكريم وأسباب نزول آياته فلا تفسر بشكل عام، والرجوع إلى السيرة النبوية بكل تفاصيلها لنتعلم من هدي رسول الله ﷺ الرأفة والرحمة والإنسانية والتسامح، وكيف نعامل الأسرى، ومتى ندافع عن أنفسنا وكيف وما الطرق المناسبة. فعلينا العودة إلى ديننا وإلى إيماننا الحق بالله، نتمثل ما أمر، ونقوي أركان إيماننا من أجل أن نرتقي بأنفسنا وبأهلنا وتعود لنا هيبتنا بين الأمم، فكما قال عمر ابن الخطاب: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فطالما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله».

علينا أن نرتدي عباءة الإسلام الحقيقية، سواء أكنا نعيش في بلاد المسلمين أو في بلاد غير إسلامية، نتمثل الحضارة والرقي البشري كما فهمه أسلافنا فعمروا الأرض وحكموها بالعدل وبالعلم والتقدم ونشر العلم والتسامح والرقي الأخلاقي، فكيف وصل الإسلام إلى إندونيسيا التي هي أكبر بلد إسلامي وكذلك ماليزيا والصين؛ فكيف وصلهم الإسلام؟ هل بالقتل؟ تقول كتب التاريخ جميعها إن الإسلام دخل تلك البلاد عن طريق التجار وأخلاق هؤلاء التجار الراقية الذين كانوا يتعاملون مع أهلها بأمانة وصدق وإخلاص ولين وكرم وتسامح وإيثار وتهذيب ولطف ونظافة، بلا غش ولا خداع ولا احتكار ولا ظلم، فدخلت شعوب بأكملها في الإسلام ومازالت إلى اليوم والحمد لله. والعجيب أن كتب التاريخ تؤكد أن لا أحد يعرف من هم هؤلاء التجار الذين أوصلوا الإسلام بأخلاقهم إلى تلك البلاد! فالتاريخ لم يكتب أسماءهم؛ لأنهم لم يكونوا قلة بل كثرة.

«فرحم الله امرأ سمحا إذا باع، وسمحا إذا اشترى» (صحيح ابن حبان)، ورحم الله هؤلاء العظماء الذين مثلوا الإسلام الحقيقي في نفوسهم وسلوكهم فانعكس نورا ورحمة على أرض الواقع.

فحينما نتمسك بتعاليم الإسلام، ونطبق شعائره في حياتنا، ونرجع إليه في نفوسنا ومناحي حياتنا المختلفة، ونجعل القرآن الكريم والسنة النبوية شرعنا ودستورنا ورضا الله غايتنا فعندها ستعود إلى المسلمين هيبتهم وقوتهم ومجدهم؛ وستهابهم الأمم، لا بما امتلكوا من وسائل قتل ودمار، وإنما بما امتلكوا من علم وفهم وتقدم وحضارة وفائدة للبشرية.

فانظر مثلا إلى الدولة العثمانية في عصورها الذهبية لما كانت قوية كانت تهابها الأمم، لم يكن ذلك لمعايير القوة العسكرية فحسب، بل كانت بما امتلكت من أدوات العلم والرقي البشري، وبما جلبته للبشرية من تطور علمي وطبي وتقني وفلكي وحضاري وعمراني واقتصادي وزراعي وصناعي وفكري وأخلاقي وروحي، جعلت الشرق والغرب يخضعان لها. فحينما نفهم الإسلام بحق ونطبقه في نفوسنا قبل تطبيقه على الآخر؛ فإننا سنصبح أقوياء، وسنقود الأمم كما كنا وكما نأمل أن نعود بإذن الله.

محمد رمضان نصار
كاتب مصري

# أبي.. لا أذكر سواك

مر وقت طويل على أول لقاء بيننا...
لا أذكر سوى أول صرخة لي في هذه الدنيا في وجهك، وكأنها إشارة لعقوق مبكر، ولم تقابلها إلا بأعظم حالة فرح كنت عليها.
لا أذكر سوى تأففي وتضجري من منعك لي لمصاحبة شخص معين أو لأكل شيء معين، وكان وراء هذا المنع والحرمان حكمة أثقلتها السنون.
لا أذكر سوى نصائحك المترددة التي مللت السماع لها وسئمت من تطبيقها، ولم أدر أنك الشخص الوحيد الذي لا يريدني أن أسقط في أخطائه السابقة.
لا أذكر سوى الحياة الترفيهية التي كنت أعيشها معك، والتي كنت أعلم جيدا أنها ليست مجانية وأنها ولابد أن تكون على حساب رفاهية وراحة شخص آخر.
لا أذكر سوى معاملتك لي والتي كانت تختلف كل الاختلاف عن معاملة الآخرين؛ فجميعهم لا يريدونني إلا نسخة منهم، أما أنت فكنت الشخص الوحيد في هذا العالم الذي يريدني أن أكون أفضل منه وليس مثله.
في الحقيقة لا أذكر سواك.



أ.د. عبدالله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
بني ملال - المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها

## (الحلقة ٤)

### سادسا: خطاب التلطيف والتغليظ في القرآن الكريم

لغة القرآن الكريم نُقاخُ الفصحى، وحتْفُ الكلمة البليغة التي تسكن الربوة العالية، والتي أرسلت ضياءها الساطع لإنارة ألفاظها المستفرهة المنحدرة من غمام واحد؛ سحابته الرقة والعذوبة والسلاسة في المواقف التي تقتضي التحنُّن والانسياب مثل قسيب الماء الذي يبهر الأسماع والأذهان، وفي المواقف التي تستدعي الحزم؛ تمطر تلك السحابة بواكف مغزار من الجزالة والمتانة التي تبسط سلطانها على تعابيرها المجتثَّة من رياض الفصاحة؛ لم يترك قابة إلا اقتبَّها ولا نُقارة إلا أحسن انتقارها، وهذا يدركه من كان له أُنْسٌ بالفصاحة، وتصرف فيها، وأوغل فيها برفق. فمن أراد الفصاحة وسعى لها سعيها فإن ألفاظ القرآن هي لب البلاغة ومنجم البيان، ومنزل البراعة، ومأوى الخلابة التي تأتي على غاية كل مُفَوَّه مِسْلاق. تأمل هذا الاتساق في العبارة، وهذا الكمال في التقسيم، وذاك الانتقار للفظة المناسبة المنزلة في موطنها منزلة اللؤلؤة من العقد؛ في جودة الانسجام وبراعة السبك، كل لفظة على حَوْك أختها يستدعيها السياق استدعاء كما العبارتين الآتيتين: «فلا تعتدوها، فلا تقربوها»، حيث وظف سبحانه وتعالى عبارة «فلا تعتدوها» في سياق الحلال الجائز كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ (البقرة:٢٢٩). وفي أثناء الحديث عن الحرام وظف سبحانه وتعالى عبارة: «فلا تقربوها» كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ (البقرة:١٨٧). وقد سلك الأسلوب القرآني هذا المسلك البديع المعجز الذي أثر على القاسية قلوبهم الذين يجدون له وقعا خاصا في قلوبهم، وقرعا مرهبا ومحيرا للنفوس، فلا يتمالكون من إبداء في أثناء سماعه حالات الرقة واللين، التي تولد لديهم مشاعر الانصياع والرضا؛ التذاذا بما يسمعون من فيض رباني يهز قلوبهم ويحرك عواطفهم كما تحرك الريح الطيبة الأغصان الأماليد، فيمتثلون لدواعي الفطرة التي فطر الناس عليها، مستبدلين بالنِّفار أُنسا، وبالإباء إذعانا وخضوعا على شاكلة عتبة بن ربيعة الذي قال بعد أن سمع النبي يقرأ سورة «فصلت» حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة «سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط، وما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة». ومن ذلك ما رُوي أن الوليد بن عقبة أتى النبي ﷺ فقال: اقرأ. فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠)، فقال: أعد. فأعاد، فقال: «والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لَـمُعْرِق، وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر» (١). ويُروى كذلك أن نصرانيا سمع قارئا يتلو القرآن ويُحبِّره، فوقف مدة ثم أجهش بالبكاء، فقيل له: مم بكاؤك؟ فقال: الشجى والنظم!

ومعلوم أن سبيل الكلام في التلطف واللين والتحنن في القرآن الكريم أظهر من أن يخفى ولا يفتات عليه، ومن ذلك أدب موسى - عليه السلام - عندما بعثه الله مع أخيه هارون إلى فرعون، حيث قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه:٤٣-٤٤). قال أبو تمام:

**وخذهم بالرقى إن المهاري**
**يهيجها على السير الحداء**

أما في إطار الملاطفة مع النبي ﷺ، فقد وظف الله سبحانه وتعالى في سورة «المجادلة» فعلين مختلفين في درجتي الشدة والتلطيف، فعندما تعلق الأمر بكلام المرأة التي تشتكي زوجها للنبي ﷺ، استعمل فعل «تجادلك»، التي توحي باللجاج والخصام، أما عندما اشترك معها الرسول ﷺ في الكلام، تلطف القرآن أكثر قائلا: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ (المجادلة:١)، لأن التحاور ألطف وألين من الجدال والمجادلة.

# فضل القرآن الكريم على سائر الكتب مثل فضل الشمس على سائر الكواكب

وفي أثناء الحديث عن معركة بدر الكبرى قال تعالى مخاطبا نبيه محمدا ﷺ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ (الأنفال:٤٣)، ملطفا القول معه حين عدل عن ضمير المخاطب «لفشلت» إلى ضمير المخاطبين «لفشلتم». كما تلطف معه الله تعالى في سورة «النصر» قائلا: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ (النصر:١-٣)، حيث لم يفهم منها الصحابة - رضوان الله عليهم - إلا ظاهرها الذي يؤكد دخول الناس في الإسلام زرافات بعد فتح مكة، ومن ثمة الإكثار من التسبيح والحمد والاستغفار؛ أما مغزاها فقد تولى الصحابي ابن عباس توضيحه قائلا: ذلك أجلك يا رسول الله، فوافقه الرسول ﷺ على هذا التأويل. كما تلطف يوسف عليه السلام مع أبيه عندما قال له: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (يوسف:١٠٠)، مشيرا إلى حدث إخراجه من السجن، مع الإعراض عن الحدث الأول الذي اقترفه إخوته عندما رموه في البئر، إذ لم يقل يوسف إذ أخرجني من الجب تأدبا مع أبيه الذي وظف في مخاطبته لفظة التحنن «يا أبتي»، ناهيك أن الموقف يقتضي الترحيب والإيواء.

هذا شعاع من شمس لطائف القرآن الذي يعد مجنى ثمر الخلابة، التي لا يدرك براعتها إلا اللوذعيون المترهيون الذين اتسع علمهم بأسرار القرآن ومذاهب العرب في أساليبها، على شاكلة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (سبأ:٢٤-٢٥)، حيث تلطف الرسول ﷺ مع الذين اتبعوا سبيل إبليس مسندا لفظ «الإجرام» للمؤمنين، ولفظ «العمل» للكفار، بل إنه جمع في ظاهر اللفظ المؤمنين مع الكفار في خصلتي الهدى والضلال، علما أن مغزى الآية يشير إلى أن المؤمنين على هدى على الدوام، والكافرين في ضلال مستمر، مع ملاحظة دقة توظيف حرفي الجر: «على، وفي»، إذ الهدى لا يناسبه إلا العلو، والضلال لا يكون إلا مع السفالة. كما أن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء الدنيا، أتاه جبريل - عليه السلام - بإناءين، أحدهما مملوء لبنا، والآخر مملوء خمرا، فشرب الرسول ﷺ اللبن، فقال له جبريل، عليه السلام: وافقت الفطرة، ولو شربت الخمر لغوت أمتك. ولم يقل: «لغويت» تلطفا مع النبي الكريم ﷺ. على قَوْدِ هذا التحنن الذي لا يَتَفَهُ وَلَا يَتَشَانُّ وظف القرآن الكريم لفظة «الهز» التي تفيد الدفع برفق عندما أمر مريم - عليها السلام - بعد ألم المخاض قائلا: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (مريم:٢٥)، بينما لفظة «الأزّ» مع الشياطين الذين يؤزون الكافرين أزّا شديدا. ومعلوم أن صوت «الهاء» مهموس، بينما صوت «الهمزة» شديد، وهو تناسب بين اللفظة ومدلولها، كما هو الشأن بالنسبة إلى لفظتي: «آثرك» و«فضلك» في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ (يوسف:٩١)، لأن الإيثار يفيد الاختيار بعد الاختيار، فضلا عن اشتمال اللفظة على المد الطويل «آ» والصوت اللثوي الخفيف المهموس «الثاء» بالإضافة إلى «الكاف» المهموسة، بخلاف لفظة «فضلك» التي تفيد الشدة لما اشتملت عليه من الأصوات المجهورة. وهي الملاحظة ذاتها بالنسبة إلى المقارنة بين القول الكريم والقول اللين، فقد جعل القول الكريم الذي يقتضي زيادة الأدب والكياسة، لإراحة قلب الأبوين وتوليد الحبور في أثناء التحدث معهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء:٢٣)، أما عندما أرسل الله نبييه موسى وهارون إلى فرعون فقد أمرهما أن يقولا له قولا «لينا». قال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا

﴿لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ (طه:٤٣-٤٤). كما أن خطاب «يا أيها الذين آمنوا» يندرج ضمن خطاب المدح والتلطيف والتحنن مع المؤمنين، كما يندرج خطاب «يا أيها النبي ويا أيها الرسول» ضمن خطاب الكرامة الذي يليق بالأنبياء والرسل، وخطاب ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ (مريم:٤٥) ضمن خطاب التحبب، كما يندرج خطاب ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ (الزمر:٥٣) ضمن خطاب التحنن والاستعطاف. وقد وظف سبحانه وتعالى الكناية لأسباب منها: «ترك اللفظ إلى ما هو أجمل: نحو ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ (ص:٢٣) فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك؛ لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه. ثانيها: أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره، ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول والسر في قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ (البقرة:٢٣٥)، والغشيان في قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ (الأعراف:١٨٩). أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: المباشرة الجماع، ولكن الله يكني. وأخرج عنه قال: إن الله كريم يَكْنِي ما شاء، وإن الرفث هو الجماع، وكنَّى عن طلبه بالمراودة في قوله: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ (يوسف:٢٣)، وعنه أو عن المعانقة باللباس في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧). وبالحرث في قوله: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ (البقرة:٢٢٣)، وكنى عن البول ونحوه بالغائط في قوله: ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ (المائدة:٦)، وأصله المكان المطمئن من الأرض. وكنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام في قوله في مريم وابنها: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ (المائدة:٧٥) (٢).

إذا كانت العذوبة والرقة والسلاسة نتاج اللطافة واللين، فإن الجزالة والفخامة والمتانة تعكس الوعورة والتغليظ، وقد ضرب ابن الأثير أمثلة من القرآن الكريم للجزل من الكلام، وللرقيق من الألفاظ، داعيا إلى النظر إلى قوارع القرآن الكريم عند ذكر الحساب، والعذاب، والميزان، والصراط، والموت، التي تمثل نماذج وافية للجزالة، وكذلك الرقة المستفادة من مشاهد الرحمة والمغفرة والملاطفة مع الأنبياء والتائبين من عباده قائلا: «فمثال الأول، وهو الجزل من الألفاظ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (الزمر:٦٨). وأما المثال الثاني، وهو الرقيق من الألفاظ، فقوله تعالى... في ترغيب المسألة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦)» (٣). وقد عبَّر القرآن الكريم عن الشدة في الشيء بألفاظ جزلة قوية على هذه الشاكلة: الهلع لشدة الجزع، واللدد لشدة الخصومة، والحَسُّ لشدة القتل، والبَثُّ لشدة الحزن، والنَّصَبُ لشدة التعب، والحسرة لشدة الندامة، والهلع لشدة الخوف، والسُّعار لشدة الجوع، والصدى لشدة العطش، والأوار لشدة الحر، والحاقة والواقعة والطامة والقارعة لشدة هول القيامة. ويمكن الإشارة إلى أن الرجل الذي آمن من قوم موسى، مع إخفاء إيمانه عليهم؛ قد التجأ إلى تغليظ القول مستعملا لفظة «هلك» عن النبي يوسف - عليه السلام - بدل «مات» أو «فارق الحياة» أو «توفي» للتمويه وإخفاء إيمانه، كما يبدو ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗا﴾ (غافر:٣٤). كما أغلظ يوسف القول لإخوته قائلا: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ (يوسف:٨٩). بعد أن دخلوا عليه صاغرين متوددين منبهين إلى الضر الذي مسهم، طالبين أن يتصدق عليهم وأن يوفي لهم الكيل. كما أغلظ سبحانه وتعالى القول للأثيم أبي جهل قائلا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ (الدخان:٤٣-٤٩)، استخفافا به وتوبيخا له وإهانة له، تماما كما قال أهل مدين لنبيهم شعيب:

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ (هود:٨٧)، وهم لا يقصدون الحلم والرشد كما يبدو من ظاهر قولهم، وإنما يقصدون نعته بالسفاهة والجهل حسب زعمهم تغليظا له في القول. ومن الأدلة على هذا اللون في لغة القرآن الكريم إنكاره للفظة «راعنا» التي دعا المؤمنين أن يستبدلوا بها لفظة «انظرنا» في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة:١٠٤). كما لون القرآن الكريم في أساليب التغليظ مستعملا خطاب الذم تارة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ﴾ (التحريم:٧)، وتارة أخرى خطاب الإهانة مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون:١٠٨)، كما وظف خطاب التهكم والسخرية في الآية المشار إليها آنفا من سورة الدخان، ناهيك عن قوله تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (يس:٥٩)، وفي قوله تعالى: ﴿ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (الفرقان:١٤). وهذا جدول توضيحي يبرز بعض الألفاظ والعبارات القرآنية بين المحايدة والتلطيف والتغليظ:

| اللفظ المحايد | اللفظ الملطف | اللفظ المغلظ |
|---|---|---|
| الماء | الغيث | الإمطار |
| القول اللِّين | القول الكريم | القول الغليظ (أُفٍّ) |
| أصابني الضر | مسني الضر | هدَّني وأنهكني |
| تشاور | حوار | جدال |
| القلق | الحزن | الكرب والبث |
| النكاح | الملامسة والإفضاء والسر والرفث... | الزنا والبغاء |
| الذنْب | الخطأ | الخطيئة |
| إسرار القول | الهمس | الجهر بالقول ورفع الصوت والصراخ |
| الإنفاق | القوامة | الإسراف والتبذير |
| الموت | الوفاة | الهلاك |
| المشي | السعي | الركض والاستعجال |

هذه نغبة طائر عن لغة القرآن الكريم الذي دخل رياض البلاغة والبراعة، فاجتنى الأثمار الناضجة المتخيرة بعناية تقصر دونها أقلام المفنين، وحسبي أني نبهت إلى ما استنبطه البصراء بمعاني الخطاب القرآني الذين أوغلوا فيه برفق حتى اشتاروا عسله، فإن وُفِّقْتُ إلى عرض هذه الكنوز والجواهر المكنونة في أبهى حُللها، فتلك بغيتي، وإن وقفَتْ همَّتي دون إدراك هذا الشَّأْو المُغَرَّب، فحسبي أن السهام الطائشة الصائفة التي رميتها قد يكون مع خواطئها سهم صاردٌ نافِذٌ.

## الهوامش

١ـ دلائل الإعجاز، أبوبكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ص ٥٨٤و٥٨٥، ط ٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٢ـ الإتقان في علوم القرآن، أبوالفضل عبدالرحمن الحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق وتوثيق: طه عبدالرؤوف سعد، الجزء الثالث، ص١٠١ و١٠٢، المكتبة التوفيقية.

٣ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تقديم وتعليق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القسم الأول، ص١٨٦و١٨٧، نهضة مصر للطباعة والنشر.

د. عمر إبراهيم المسلمي
مدرس الأدب والنقد في جامعة الأزهر- مصر

# قراءة في ديوان «خطوات على الأعراف»

## للأستاذ الدكتور «سعد مصلوح»






صدر حديثا عن دار «البشير» بالقاهرة ديوان «خطوات على الأعراف»، كأول ديوان شعري للأستاذ الدكتور «سعد مصلوح»، بلغ عدد صفحاته (٢١٩) صفحة من القطع المتوسط، قسمه الشاعر أقساما ثلاثة، الأول: أصل الديوان، ويقع في مئة صفحة، وقد بلغ عدد قصائده ثمان وعشرين قصيدة، والثاني: شعر تربوي تعليمي للأطفال، واشتمل على اثنتي عشرة قصيدة في اثنتين وعشرين صفحة، تممه بشعر المعارضات والمساجلات الشعرية بين أصدقائه ومحبيه، وهو ما يزيد على ثلث الديوان، فيما يقارب المائة صفحة.

### لمحة عن عتبة الديوان

لاشك أن للعنوان أهمية كبرى في عملية قراءة النص واستكشاف مضمونه، فهو الأثر الدال عليه، والمصباح الذي يهدي القارئ إليه؛ لما يحمله من علامات دالة على متنه وما يشمله من قصائد، وما يحتويه من أغراض واتجاهات، كما هو دال في الوقت ذاته على الذات الشاعرة، وهو ما يطلق عليه -ضمن ما يطلق- النص الموازي، أو بحسب تعبير «جيرارجينيت» GerardGenette: «الملحق النصي»، وهو «العلاقة التي تكون أقل وضوحا وأكثر بعدا، ينشئها النص بالعنوان، والعناوين المشتركة، كالمدخل والملحق والتصدير، والتنبيه، والتمهيد، والهوامش، وغيرها من الإشارات الكمالية» (١).

وقد آثر الشاعر «خطوات على الأعراف» كعنوان لديوانه، وهو ما يجعل المتلقي في حيرة من التأويلات والقراءات التي لا تنتهي، من حيث دلالتها اللغوية والدينية والنفسية، آزر هذه الصورة الكلية لوحة الغلاف المرسومة تحت العنوان، وقد ظهر فيه آثار أقدام انتهت به إلى حيث لا أمان ولا مقام ولا قرار؛ في إشارة سيميائية «semiotics»، تدلل على بعض مما يدور في عقل الشاعر ونتاجه الإبداعي، وهو تناص «Intertexulite» ذاتي بين عنوان قصيدة للشاعر وعنوان ديوانه؛ مزيدا في الإلحاح على الفكرة وما تشير إليه، هذه الفكرة التي ربما تشير لحيرة تنتاب الشاعر، وقلق يأخذ بلبه، إما على مستوى الإبداع والتصنيف: فتتنازعه علوم اللغة، فهو محسوب على البلاغة وله فيها تصانيف، وكذلك على النقد والأدب وله فيه دراسات وبحوث، فضلا عن علم اللغة واللسانيات الذي له فيه قدم صدق، وحاز فيه قصب السبق، أو على المستوى النفسي والاجتماعي، أو غيرها من التأويلات التي يتحملها العنوان؛ فالتأويل لا نهاية له غالبا.

### قراءة في الرؤية

تطغى على قصائد أصل الديوان النزعة الوطنية والتأملية،

والعاطفية، فضلا عن الاغتراب الذي سيطر على بعض قصائده، بيد أنها جميعا انضوت في بوتقة واحدة؛ مما ضمن لها -غالبا- نضج التجربة، وعمق الرؤية، وتكاملا في الذات الشاعرة.

جاءت القصيدة «سبعون»، والتي نظمها الشاعر في ذكرى ميلاده السبعين، ليفتتح بها ديوانه، يحكي فيها قصة وحياة، ويسرد فيها أحداثا ويروي ملهاة ومأساة، وينبئ عن ذاته وقيمه ومعارفه، ويودع بعضا من خبراته وتجاربه التي استوت على سوقها، واكتمل عمرها -حينئذ- سبعة عقود، استهلها الشاعر بقوله:

**سبعون مرت وعمر**
**من الـلـهـاث تـقـضـى**
**سبعون مرت جهاما**
**يذرعن أفقك ركضا (٢).**

يستدعي الشاعر الحوادث ويتعجب من سرعة الأيام، ومن تقلب الأزمان ومن نكران الخلان، إلى غيرها من التأملات والحكم التي وشى بها فضاء نصه.

ويتجلى الاتجاه الوطني عند الشاعر في قصيدته «بانت سعاد»، يحن إلى وطنه؛ بيد أن حبها توطن قلبه، وامتزجا فصارا شيئا واحدا؛ ليعبر عن مدى اتحاده بمحبوبته، متخذا من الطاقة الشعورية التي تملكها مثل هذه المفردات؛ للتعبير عن الأشواق الكامنة بين الجوانح، والخوف والشفقة على المصير والمآل، يقول:

**يا مصر حبك في الترحل موردي والعشق زادي**
**الميم مبتدأ الهوى والراء رجعاها معادي**
**والصاد موصول بها صبر البعيد على البعاد**
**مجنون عشقك شاعر صب يهيم بكل وادي (٣).**

ولوطنه الآخر نصيب وافر من الإعجاب والإكبار، فيعدد صفاته، ويذكر خصاله، كما يهدي لأهل الكويت نصائحه، ويسجل فيهم مدائحه، وينير لهم الدروب، ويحذرهم من المفاوز والخطوب، يقول في قصيدة عنوانها «العشق المباح»، يقول:

**أبني الكويت إليكم كَلِمًا هو الحق الصراح**
**قسم الكويت لكم فكان لكم بقسمته الرياح**
**هو موطن الخيرات معدنه المروءة والسماح**
**هذي سحائب جوده للكون تزجيها الرياح (٤).**

ولذلك كان لزاما أن يبادلوه حبا بحب وشوقا بشوق، وكرما بكرم، وهذا من مكارم الأخلاق، وقد أمطرت سحائب جوده المدى والآفاق، وهذا ما لا ملامة فيه ولا عتب، ولهذا قال في آخر قصيدته:

**أعَلى المحِّب إذا تعشق ترب «ديرته» جناح؟**

نعم لا جناح، فحب الأوطان من الإيمان، وهو ما أكد عليه الشاعر في أكثر من موضع، مما لا يتسع المقام لذكره.

وعندما نقلب أوراق الديوان: نجد فيه علامة بارزة تطبع شعره، وتسيطر على فضائه، وهي حالة الاغتراب التي يعانيها الشاعر، اغتراب روحي، أو اجتماعي، أو مكاني،.. يتملك جزءا كبيرا من إحساس الشاعر وتجربته الشعورية، يبكي الشاعر قيما وأخلاقا لا يراها في واقع دنياه، بل يرى الضد والنقيض، وصنفا من البشر يعشق الشقاق، ويكره الود، يقول الشاعر:

**ودع عتاب خليل عن الـــوداده أغضى**
**مرحبته فتأبى وأنغض الرأس نغضا (٥).**

حجبت هذه المدلهمات عن الشاعر ضياء الفجر ونسائمه العطرة، كما أخفت عنه كرم العذق وعبير الأدواح، فذهب يعزف على أوتار شعره المضطرب؛ لينظم إيقاعا يفيض بالأسى والحسرة، فيقول:

**القلب ينضح بالمرارة والأسى**
**ومشاعري تنداح في برحائي**
**قالوا ضياء الفجر يعتنق الربى**
**مالي من الأحزان في ظلماء**
**وطفقت أمضي والنوازل ترتمي**
**مسعورة وغذاؤهن دمائي (٦).**

ويستمر حنق الشاعر على القيم السلبية التي تجتاح المجتمع، فالشاعر -أي شاعر- يستشعر عن بعد هذه الأمراض، متشوفا إلى بيئة صالحة يندر فيها مثل هذه الآفات، فيقول في قصيدته «صرخة»، وهي كاشفة، من حيث دلالتها، على ما يحتويه المتن من أنات وآهات:

يا موت قُد نحو الهلاك شراعي
وأرح بقية هيكل متداعي
حتى متى أبقى وصدري مترع
للهم والأوجال والأوجاع
قضّيت عمري في الشقاء كأنما
بيني وبين الدهر مر صراع

وفي وسط هذا الجو المفعم بالأسى والحسرة، والصدر المكبوت المهموم، يبحث الشاعر عن خل وفي، يواسيه أو يسليه، أو يتوجع لوجعه، لكن هيهات هيهات؛ فدونه خرط القتاد، يقول:

ومضيت أبحث عن رفيق مودة
جم المروءة للصداقة راعي
حتى بلوت ودادهم ووفاءهم
لم ألق غير الغادر الخداع
يلقاك مبتسما وفي أثوابه
ذئب بشاشته مسيح قناع (٧).

يستهل الشاعر قصيدته بنداء إلى الموت، فهو يظن أنه المخلص له من كل هذه الأوجاع والنوائب، التي تتنزل عليه من بين يديه ومن خلفه، يشكو النفاق والشقاق وسوء الأخلاق، مفيدا من الأساليب اللغوية من تجريد واستبطاء وجناس ومبالغة وتكرار، فقد كرر فيه نداءه للموت «يا موت» أربع مرات، لتتحالف مع عناصر القصيدة الأخرى؛ فتقترب الصورة وتتضح معالم الخطاب.

وينطلق الشاعر من هذه النزعة النفسية المرتبطة بالحالة العامة للشخصية حسب الأزمنة والأمكنة والأطوار، فيدعوه داع مقرب إلى نفسه، يطلب منه الأوبة والعودة، فيجيب الشاعر بعد لأي ولأي، يرجو دعمه في نسيان ما كان في غابر الأزمان، وسالف الأيام؛ فقد وَدَعَه قرارة نفسه المثقلة بالهموم، يقول:

أجِدَّك لا تنبُت دفينا وَدَعته
غيابات نفس مقرحات كُبودها
تكابد من عمري سنين خوادعا
جهدن به زرعا ونزر حصودها (٨).

وفي نهاية القصيدة يترك حبل الود ممدودا، وباب الوصل مفتوحا، فمن يدرك عظمة الأوطان، والوفاء للخلان مثل كرام الشعراء وأمراء البيان!، فيقول في بيت يقطر حبا صادقا وعاطفة جياشة، وأملا في غد مشرق تظله سحائب النبل والعطاء والإنسانية:

على أنني راج لقاء يضمنا
بأرض بها النيل العظيم يجودها

## المعجم اللغوي

للشاعر معجم لغوي خاص يكشف عن أسلوبه ومعايشته للمعجم واللغة بشكل عام، وهو ما التزمه في معظم فنون القول المختلفة التي عالجها، يبحث في المفردات التي تناساها أهل اللغة فيحييها؛ خوفا من اندثارها وذهابها في طي النسيان؛ بسبب من قلة الورود والشيوع، فيعمل على إيثارها وإكسابها دلالات جديدة؛ لتأخذ مكانها غير قلقة في السياق، فيقبلها الذوق ولا تأباها الأذن، وهو من الكثرة بمكان، ولا يسعه المقام. كما حرص الشاعر على إثراء قصائده بالتعالق/التداخل/التناص مع مفردات وتراكيب النص الديني الغنية بحمولات دلالية مكثفة، وهو ما ينبئ عن ثقافة الشاعر وروافده وتكوينه المعرفي. منها على سبيل المثال: «الأعراف، الهون، الفرض، النوافل، انبجست، الجنف، الجروح قصاص، العدوة الدنيا، والعدوة القصوى، ذات العماد، السبع الشداد، ألسنة حداد، نزاعة للشوى...»، والتي جاءت، في غالبها، متناغمة مع السياق ومتفقة ومضمون وروح القصيدة.

## السرد الدرامي

تداخل الدراما والسرد في الشعر عتيق، يكسب النص المتسع خصائص فنية وبنيوية إضافية، لا يعطيها، غالبا، الجنس المستقل الواحد؛ فيندمج النظم والسرد في تمازج غير قلق؛

يأخذ بيد المتلقي إلى جماليات النص الإبداعي؛ فالشعر نسيج متلاحم متشابك، يأخذ بعضه بيد بعض في تكامل وانسجام. ويتحفنا ديوان «خطوات على الأعراف» بهذا المزيج في بعض قصائده؛ ليصنع سبيكة شعرية قائمة على السرد، أو بالأحرى عمادها السرد؛ ليؤدي في النهاية إلى وحدة عضوية متماسكة للقصيدة كلها.

من هذه القصائد التي أخذت بعض خصائص السرد الذي يمتلك علاقات ووظائف ووحدات دالة تستهدف تحقيق التواصل: «الصفصافة، أسطورة الحنان، ثلاثة أوجه للحب، صفحة من مذكرات مجنون»، أفاد الشاعر من الطاقة التي يتيحها هذا الدمج بين الذاتية التخيلية الشعرية والواقعية الموضوعية السردية، وقد عالج الدكتور «إيهاب النجدي» (٩) في كتابه «منازل النص الأدبي» (١٠) قصيدة «الصفصافة»، مطبقا عليها النظرية التي قدم لهافي كتابه، وهي: «جدلية الشعر والسرد»؛ فالقصيدة قائمة على السرد من أولها إلى منتهاها.

## بين العمودي والتفعيلة

نـوَّع الشاعر ديوانه بين العمودي/الكلاسيكي/الخليلي، والتفعيلة/الحر، وهو إشارة على تمكنه من أشكال الشعر، وما بين الشعر الغنائي والشعر التعليمي، الذي يؤكد أنه لو تفرغ للشعر منذ أن بدأ الكتابة لسبق سبقا بعيدا، وقد جاءت قصائد أربعة لا تلتزم بالشكل الخليلي: (اعتراف، ثلاثة أوجه للحب، كلمة للشعراء، صفحات من مذكرات مجنون)، عمد الشاعر، كغيره من الشعراء، إلى إيثار هذا النفس الواحد من الشعر في متوالية إيقاعية متدفقة؛ تناسب الحالة الشعورية التي يحياها إبان تخلق القصيدة، فالشكل الشعري التقليدي تنتظمه قواعد صارمة، أما القصيدة الحرة فيزعم أصحابها أنها قادرة، أكثر من غيرها، على استيعاب أغراض الشعر المختلفة والتجارب الشعرية دون القيود والحدود التي يفرضها الشعر العمودي، كما أنها تعمل على مفاجأة المتلقي بما يهز أعماقه، وتطرد عنه الرتابة والإلف (١١).

## شعر الأطفال

خصص الشاعر جزءا من ديوانه للشعر التربوي التعليمي الموجه للأطفال، وقد آثر فيه، غالبا، الأسلوب التقريري المباشر، وهو ما يظهر فيه قدرة الشاعر على المرونة واختلاف المقال باختلاف المقام، وهو ما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الشعري في مثل هذه الحالة، من جمال في التعبير وبلاغة في التصوير؛ يسهم في بناء الشخصية المسلمة في مراحلها العمرية الأولى، ويؤسسها عقديا وعباديا وسلوكيا ووجدانيا، تؤهله، كما يقول الدكتور نجيب الكيلاني: «لأداء رسالته المنوطة به في الأرض»، يظهر ذلك من خلال عناوين القصائد في هذا القسم، وهي: «من الصلوات الخمس، الخائن، من أعان سواه أعانه الله، أول يوم في المدرسة، في المسجد، نحو الألوان، حكايتي مع جدي، أغنية العصفور الطليق، علم واحد، في رمضان، اللعب مع الصحبة أجمل».

## شعر المعارضات والأدب الرقمي

قام هذا الجزء من الديوان على مساجلات شعرية بين الشاعر وأصدقاء له تربطه بهم، في الغالب، سابق علاقة، وهو ما يجعل للأدب الإلكتروني دورا مهما في تحفيز وتوثيق النتاج الشعري، وزيادة التفاعل الإبداعي بين الشعراء.

إلى غيرها من السمات والخصائص التي اتسم بها الديوان، والتي ننتظر من النقاد والباحثين أن يسبروا أغوارها، ويقفوا على جمالياتها، ويحكموا لها أو عليها، بعد أن يضعوها على ميزان النقد العادل.

## الهوامش

١- ينظر: طروس الأدب على الأدب، جيرار جينيت، آفاق التناصية المفهوم والمنظور، ص ١٣٥، ترجمة: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٢- الديوان، ص ٧.

٣- الديوان، ص ٢٤.

٤- الديوان، ص ٥٥.

٥- الديوان، ص ١١.

٦- الديوان، ص ٦٢.

٧- الديوان، ص ٨٧.

٨- الديوان، ص ١٣٩.

٩- أستاذ الدراسات الأدبية بمصر والكويت.

١٠- كتاب مجلة «العربي» (٢٤٨)، عدد (٤٨٧)، شعبان ١٤٣٨هـ، مايو ٢٠١٧م.

١١- يراجع كتاب: التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، ص ٧٨، مكتبة غريب، ط ٤.

د. محمد رشيد العويد
إعلامي وكاتب سوري

# حوار مع فقير صار غنيا

قلت: أراك حزينا يا صاحبي؟!

قال: ألا يحزنني أن أقرأ وأسمع عن رجال ونساء يملكون آلاف الملايين أو مئات الملايين أو عشرات الملايين أو حتى ملايين وأنا لا أملك سوى بضع مئات من الدنانير؟!

قلت: وهل تراهم أغنى منك؟

قال: كيف لا أراهم أغنى مني وهم يملكون ما يملكون؟!

قلت: حين يسعون إلى مضاعفة أموالهم فهم فقراء، وحين ترضى بالمئات التي عندك فأنت غني.

قال: ماذا تقول؟ فقراء وهم يملكون الملايين؟

قلت: نعم؛ لأن الغنى ليس في ما نملك من مال، بل هو غنى القلب عما في الدنيا كلها.

قال: من أين أتيت بهذا؟! أرجو ألا تكون مجرد شعارات وعبارات رنانة.

قلت: بل هو قول النبي ﷺ.

قال: هل قال النبي ﷺ هذا؟

قلت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكن الغنى غنى النفس».

قال: هل هذا الحديث صحيح؟

قلت: نعم، الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

قال: وهل «العرض» هو المال؟

قلت: هو ما يصيبه الإنسان من الدنيا، ويشمل المال وغيره، ولقد ذمَّه الله تعالى في أكثر من آية، وذم من يحرص عليه فقال سبحانه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾. (الأنفال:٦٧)،

وقال عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ﴾ (الأعراف:١٦٩)،

وقوله سبحانه: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ (التوبة:٤٢).

قال: الله أكبر، أقرأ القرآن كثيرا، لكن جمعك الآيات التي ورد فيها ذكر «العرض» وبيان هوانه على الله جعلني أشعر وكأنني أسمعها للمرة الأولى.

قلت: وعليه فإن معنى «العرض» في حديث النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض»؛ بات واضحا، وهو كما قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: «الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة؛ لأن من كان طالبا للزيادة لم يستغن بما معه، فليس له غنى».

قال: ألا يمكن أن نضيف إلى هذا أن إمساكه المال وعدم إنفاقه على نفسه وأهله والمحتاجين يؤكد فقره؛ لأنه لا يستغني عن هذا المال؟

قلت: قريبا مما قلت ذكره ابن حجر العسقلاني رحمه الله في شرحه على صحيح البخاري، فقد قال: «صاحب المال الكثير ليس غنيا لذاته، بل بحسب تصرفه فيه؛ فإن كان في نفسه غنيا لم يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه البر والقربات؛ وإن كان في نفسه فقيرا أمسكه وامتنع عن بذله فيما أمر به خشية من نفاده، فهو في الحقيقة فقير صورة ومعنى وإن كان المال تحت يده لكونه لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الأخرى؛ بل ربما كان وبالا عليه».

قال: صاحب المال إذن فقير ما دام يسعى لزيادته ويبخل به فلا ينفقه.

قلت: أحسنت، وهذا ما ذكره ابن




بطال رحمه الله في شرحه إذ قال: «ليس حقيقة الغنى كثرة المال؛ لأن كثيرا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس وهو من استغنى بما أوتي، وقنع به، ورضي، ولم يحرص على الازدياد، ولا ألح في الطلب، فكأنه غني».

قال: على هذا فإن الثراء لا ينبغي أن يكون شيئا نطمح إليه ونحرص عليه، فقد يكون سببا في طغياننا أو فسادنا؟

قلت: نعم، فكم طغى أثرياء وفسدت أخلاقهم بسبب كثرة أموالهم؛ كما ذكر القرطبي في شرحه للحديث، فقال: «معناه أن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس؛ وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت وحصل لها الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه؛ فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال؛ لدناءة همته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغر قدره عندهم، فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل».

قال: ما أجمل كلام هؤلاء العلماء الكرام وما أحسن ما قالوه في بيان حقيقة الفقر وحقيقة الغنى.

## الغنى النافع الممدوح غنى النفس

قلت: بل ما أجمل كلام النبي ﷺ وما أحسنه، فما كلامهم إلا قبس من نور حديثه ﷺ.

قال: هل تصدق أنني صرت أشفق على الأثرياء بعد أن كنت أحسدهم؟

قلت: بارك الله فيك، فكثرة أموالهم تعني كثرة حسابهم يوم القيامة.

قال: تريد حديثه ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة...».

قلت: أجل، أريد قوله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسده فيم أبلاه».

قال: يا ويلنا، سنُسأل عن مالنا مرتين وليس مرة واحدة، من أين اكتسبناه وفيم أنفقناه؟

قلت: ومع زيادة المال يزيد السؤال.

قال: صرت أخشى كثرة المال.

قلت: ولذا قال ﷺ: «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى».

قال: ما أبلغ كلامه وما أجمل بيانه ﷺ، فقليل المال يكفي لتلبية حاجاتنا، بينما كثيره يشغلنا عن ذكره تعالى حين نهتم بحفظه، ونسعى لزيادته، وننشغل بجمعه وعده.

قلت: ولقد ذم الله العملين الأخيرين اللذين ذكرتهما وهما جمع المال وعده.

قال: تريد قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ في سورة الهُمَزة؟

قلت: أجل، إنه يتلهى بجمع المال في النهار، ويعده في الليل، حتى ينشغل بهذا وذاك عن ذكر الله تعالى وعبادته، وعن إنفاق ماله في مصارف الخير، قال ابن كثير رحمه الله: «ألهاه ماله بالنهار: هذا إلى هذا، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة».

قال: كما قال سبحانه في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾، ألا يعني هذا أنهم انشغلوا بتكثير المال حتى جاءهم الموت؟

قلت: قال الطبري رحمه الله: «ألهاكم أيها الناس المباهاة بكثرة المال والعد عن طاعة ربكم وعما ينجيكم من سخطه عليكم – وأورد قول قتادة –

كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، ووالله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم».

قال: صدقني لقد صرت أكره كثرة المال، فماذا أفعل بما يزيد عن حاجتي؟ سأتركه لورثتي وأحاسب عليه أنا!

قلت: ذكرتني بقول يحيى بن معاذ رحمه الله: «مصيبتان في مال العبد حين موته؛ يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله».

قال: على هذا فإن أموال الأثرياء ليست لهم.

قلت: ليس لهم منها إلا ما أكلوا ولبسوا وتصدقوا، وما يزيد سيتركونه ويحاسبون عليه، ولقد بيَّن النبي ﷺ هذا خير بيان في حديثه الشريف: «يقول العبد: مالي مالي، وإن له من ماله ثلاثا: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس». رواه مسلم.

قال: سبحان الله! كم يغيب هذا الحديث عن كثير من الناس؛ إنهم ينسون أو يتناسون أو يغفلون عما جاء فيه من حقيقة «وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»، إنهم يحسبون أنهم يجمعون لأنفسهم، بينما هم يجمعون لغيرهم.

قلت: رغم أن النبي ﷺ أرشدهم إلى ما يجعلهم يجمعون أموالهم لأنفسهم.

قال: في أي حديث أرشد ﷺ إلى هذا؟

قلت: في الحديث نفسه، أما قال ﷺ: «أو أعطى فأقنى»؟

قال: «أقنى» تعني: «أبقى»؟

قلت: قال النووي رحمه الله: «أقنى: ادخره لآخرته، أي ادخر ثوابه».

قال: و «أعطى» معناها: «تصدق»؟

## كلما كثر المال زادت محاسبة الإنسان عليه

قلت: نعم، وتوضحه رواية أخرى للحديث في صحيح مسلم أيضا: «أو تصدقت فأمضيت».

قال: آه، ليت الناس يذكرون أنهم لن يأخذوا معهم إلى قبورهم فلسا واحدا.

قلت: رغم أن النبي ﷺ ذكرنا بهذا في حديثه الشريف.

قال: أي حديث؟

قلت: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله» رواه البخاري ومسلم.

قال: جزاك الله عني كل خير؛ فبعد أن كنت حزينا صرت سعيدا، وبعد أن كنت أحسب نفسي فقيرا تيقنت أنني غني.

قلت: الحمد لله الذي شرح صدرك.

قال: لكن يبقى في صدري شيء!

قلت: ما هو؟

قال: هذا كله يجعلني أتوقف عن حسد الأثرياء الذين يجمعون ولا ينفقون ولا يتصدقون، فقد صرت أراهم فقراء وأرى نفسي أغنى منهم، لكن كيف أفعل وأنا أرى أثرياء يتصدقون فيثابون ويؤجرون وكان يمكنني أن أتصدق فأثاب وأؤجر مثلهم إذا كان عندي أموال كأموالهم؟

قلت: هل تنوي ذلك حقا؟

قال: ماذا تقصد؟ ألا تصدقني؟

قلت: بلى، لكني أردت أن أبشرك بأنك تنال أجرا مثل أجرهم بنيتك هذه وإن لم تملك مثل أموالهم.

قال: كيف؟

قلت: هاك بشارته ﷺ في حديثه الشريف الذي قال فيه: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء».

قال: إذن فإن نيتي الصادقة هذه تجعلني أنال أجر الثري الذي يتصدق بماله.

قلت: كما قال ﷺ: «فأجرهما سواء».

قال: الحمد لله الذي لا يظلم الناس شيئا.

قلت: ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

قال: أشكرك جزيل الشكر، لقد بددت بكلامك الحزن الذي كان يملأ قلبي وحلت مكانه طمأنينة وسعادة.

قلت: هل ما زلت ترى نفسك فقيرا؟

قال: بل أنا الآن غني بالله الغني الحميد، وبعد أن كنت أحسد الذين يكنزون الذهب، ويجمعون الملايين، صرت أشفق عليهم وأرثي لحالهم.

قلت: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

قال: ليتك تنشر ما دار بيننا من حوار ليستفيد مما جاء فيه كثيرون يغيب عنهم هذا الذي كان غائبا عني.

قلت: هل أجعل عنوانه: حوار مع فقير؟

قال: ليتك تضيف إليه كلمتين ليكون «حوار مع فقير صار غنيا».

محمد زكي يوسف عيادة
كاتب سوري

# ندى الحجارة

في لحظة باردة في غرفته المعتمة طوقت خواطره نسائم الحياة؛ فاشتاق إلى فراق السرير، حاول النهوض مستجمعا ما تبقى منه، وفي تلك اللحظة كان أقصى ما يتمناه يد حانية تمد إليه، تنتشله من ضعفه وانكساره.

في فضاءات الغرفة الخاوية مسح ببصره كل الزوايا باحثا عن تلكم اليد، وكفه الممدودة غصبا يخترقها الهواء، ويحاصرها الفراغ، بدأت نيران القهر تأكل صدره وهو يهمس لوسادته البيضاء: وحدة قبل الموت، يا لها من نهاية يا والد الأبناء الخمسة، يا صاحب القوة والجبروت.

ولكن، ألست من بادرهم؟ أهملت أمهم، وتركتها وحيدة في صراع مرير كهذا؟ ألم أكسر فيها كل جميل بانشغالي وشرودي، فبقيت على أمل الوفاق حتى الفراق؟

بلى، لكنها غربة الأرزاق من حجبتني، وقسوة الحياة من عدتني.

أين أنتم؟ صحيح أني لم أعانقكم بالحب يوما ولا بالخوف، ولم أسمح لأحلامكم البريئة أن تمتطي كاهلي فتمرحوا، وصحيح أني لم أسامركم ليلة تحت ضوء، وربما لم أذرف دمعة تغسل أوجاعكم. صحيح كل هذا، ولكن ألم أقاتل الفقر لأجلكم لأبعد عنكم شبح العوز والحرمان؟ فكم من حجارة كسرتها للناس لأجبر كسركم؟ وكم من جرح غائر كتمته ليشتد عودكم؟

ربما ذاك الذي أورثني غلظة القلب، فهلا نسيتم ما علي وتذكرتم ما عليكم؟ ألا يشفع لي ضعفي فتأتي يد ندية منكم تنتشلني من عجزي وقهر السنين؟

سأبقي يدي ممدودة حتى يجف الصبر في كفي، وتتساقط أصابعي التي لا أقوى حتى على أكلها ندما، فلربما يأتي أحدكم غافرا أو شاكرا أو طائعا أو طامعا يأخذ بيدي المغروسة في الهواء.

يده المعلقة تحكمها الرعشة والأمل، وعينه الشاخصة توشك على الغرق، وإذ بصوت خافت يتهادى إلى روحه الوسنى من إحدى مآذن المدينة «اللّه أكبر، اللّه أكبر»، وكأنه يستمع تلك الكلمات لأول مرة، طردت هواجسه، ونسجت على قلبه المقفر قطرات الندى ونسائم السكينة، حينها حدق في يده، يهمس في نفسه: «اللّه أكبر، اللّه أكبر»، حقا إنه أكبر.

شيء ما تغير في كيانه، تشربت حواسه جلال الحروف لتنزل بردا وسلاما على قلبه المحتضر، تجلت في أجوائه صبغة العبودية، ودبت الألوان في وجهه الباهت، وكأن دفة التوسلات قد شاحت بوجهها عن الأرض لتبتهل إلى السماء بعز العبودية.

انطلق لسانه عاريا من كل أكاذيب الحياة:

أي ربِّ: هذه حقيقتي؛ «لا شيء».

وهذه حقيقتك؛ «أكبر من كل شيء».

مولاي، اجبر ضعفي لا لأني أستحق الجبران، فلا زرع لي أحصده اليوم، ولا معروف أتذكره يزحزح عني صخرة اليأس.

صمت أخير ساد المكان، سكنت رعشاته، وأخمد الرضا حرقة انتظاره، هبطت يده بسلام، أنامله الصفراء تزحف على صدره المنهك، تطرد عنه دغل القلب وكدر الخاطر، يسابق الزمن مفتشا في نعيم العفو عن أعذار للغائبين الذين اشتاقتهم روحه، استحضر براءتهم تجاه كيد الحياة؛ فطغى حبه الدفين لهم على جميع خيالاته، وأضاء الصفح عتمة روحه، والندى يملأ أخاديد جبينه.

أطياف بيضاء غطت أجواءه، استسلم لنورها مبتسما، وبحنان لم يألفه حرروه من جسده.

حاورها
طارق إبراهيم حسان

## د. ثريا العسيلي لـ «الوعي الإسلامي»:

# من ينفصل عن تراثه يصبح بلا هوية

الدكتورة ثريا العسيلي، أكاديمية وباحثة مهمومة باللغة العربية، وهي أيضا كاتبة إسلامية وناقدة أدبية، حصلت على الدكتوراه في الأدب الحديث من جامعة القاهرة، صدر لها عن دار المعارف «تأملات في كتاب الله» و«السعادة بين الجهادين الأصغر والأكبر»، كما صدرت لها دراسة بعنوان «القيم الإسلامية والسعادة الأبدية» عن مكتبة الآداب. أما النقد الأدبي، فقد قدمت د. العسيلي دراستين متعمقتين لا غنى للباحثين عنهما، وهما: «المسرح الشعري عند صلاح عبدالصبور» و«أدب عبدالرحمن الشرقاوي» نشرتهن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ويعد الأول أحد أهم المراجع الحديثة في المسرح الشعري، والدراسة الأخرى -عن أدب الشرقاوي- هي واحدة من أبرز الدراسات الأكاديمية التي تناولت إبداع هذا المبدع الكبير. ود. العسيلي أيضا شاعرة، صدر لها العديد من الدواوين الشعرية.

في حديثها لـ«الوعي الإسلامي» أوضحت أن نقادنا القدامى، من أمثال الجرجاني والباقلاني، كان لهم أثر كبير على نقاد الغرب مثل سوسير، الذي ينبهر به نقادنا العرب المعاصرون، مشيرة إلى ضرورة الاهتمام بالتراث العربي؛ باعتباره من المكونات الأساسية لوجدان الأمة الملونة لنظرتها للحياة والكون. وأكدت على أهمية تطوير ما لدى العرب من تراث نقدي عظيم للوصول إلى نظرية نقدية عربية خاصة، لاسيما أننا بحاجة إلى حداثة عربية تهز الجمود، وتعالج التخلف، حداثة تفرزها الثقافة العربية بثوابتها، ومتغيراتها؛ لا حداثة نقل عن الآخرين، وقالت إن التراث العربي حافل بالاتجاهات اللغوية والنقدية، وعلى المبدع أن يستلهم تراثه دون أن ينغلق على منجزات الآخر.

ومعها كان اللقاء:

**• ظهرت في عالمنا العربي العديد من الحركات والتيارات والمدارس النقدية، هل يمكن أن تكون لدينا نظرية أدبية؟**

- لابد أن أوضح أولا ما يتوجب على المهتمين باللغة العربية القيام به، وكيف لهم أن يسترجعوا ماضيها العريق، وأن يوظفوا كل الإمكانات المكنة من أجل النهوض باللغة.. هنا لابد من مناقشة موضوعين أساسيين، يتعلق الأول بالعلاقة مع المنجز الغربي، تأثيرا وتأثرا، على صعيد الإبداع العربي النقدي والأدبي، ويتركز الآخر في الإمكانات والجهود التي يجب أن تبذل للنهوض باللغة العربية واستعادة توهجها. فمن الملاحظ أنه قد زادت الهوة بيننا وبين لغتنا العربية مع زيادة تأثرنا بالثقافة الغربية، خاصة في القرن العشرين، وقد نتج عن ذلك أن زاد ابتعادنا عن تراثنا العربي، مما كان له تأثيرات سلبية على الحركة الأدبية العربية عموما، إبداعا ونقدا، شعرا ونثرا، والدليل غلبة الغموض في الشعر من أجل الغموض، وأصبح الخروج على التقاليد الشعرية ملمحا من ملامح الشعر العربي المعاصر؛ تقليدا للشعر الغربي، وبرزت قصيدة النثر لدى الشعراء الشباب وغير الشباب تأثرا بمثيلتها في الغرب. ولاشك في أنه ينبغي الاهتمام بالجديد الذي يناسب العصر، لكن مع الالتزام بالأصالة العربية المعبرة عن هويتنا وتراثنا، ولاشك أنها مهمة ليست سهلة؛ لأسباب عديدة، من بينها أننا مازلنا في مرحلة استيعاب للمناهج النقدية التي نشأت في الغرب خلال القرن العشرين، وقد كثرت هذه المناهج خلال العقود الثلاثة الأخيرة وتفرعت بصورة تجعل متابعتها في حد ذاته أمرا شاقا جدا، فلا بد من الاهتمام بالتراث العربي؛ لأن التراث حياة متصلة يأخذ غدها من حاضرها ويمتد أمسها في يومها، وهو من المكونات الأساسية لوجدان الأمة الملونة لنظرتها للحياة والكون والكائنات. فما

**على المبدع أن يستلهم تراثه دون الانغلاق على منجزات الآخر**

بالك بالاستيعاب والتمثل ثم التأصيل.

### الذهنية النقدية والنموذج الجامد

**● وكيف يتراءى لك العمل النقدي العربي تنظيرا وتطبيقا؟**

- هناك من النقاد من يهتم بمتابعة المدارس والمذاهب النقدية الغربية، وبخاصة أوروبا الغربية وأميركا، وهذا التصور هو الذي يسمى أصحابه بالتابعين ذهنيا للنموذج الغربي، وهناك فئة أخرى من النقاد ينادي أصحابها بنظرية عربية في الأدب والنقد، ويرى أصحاب هذه المدرسة الاقتصار في هذه النظرية على البلاغة والنقد العربي القديم، وهذه الدعوة أيضا تقف عند الماضي وتجمد حركة الزمن.. وأرى في هذا الموقف، أن الخروج من مأزق النقد العربي الحديث يقوم على إسهام يعي جيدا الاحتياجات الجمالية للعرب، وقراءة متأنية للنصوص الأدبية العربية حديثها وقديمها، والاستفادة من الإنجاز النقدي في كل مكان وزمان، وليس فقط في الغرب، بهدف تقديم خصوصية العرب في قيمهم الجمالية وإبداعاتهم، وهذا ما يحقق الدور المفقود للناقد العربي المعاصر في تحقيق التواصل بين الإبداع والتلقي من ناحية، ويضيف إلى نظرية الأدب بحيث تكون عالمية من جهة أخرى.

إننا بحاجة إلى حداثة حقيقية تذيب الجمود، وتعالج التخلف، وهي حداثة عربية تفرزها الثقافة العربية بثوابتها، ومتغيراتها.. لسنا ضد الحداثة لكننا ضد نقل حداثة الآخرين الجاهزة، ونتائجها النهائية التي تتناسب معهم ولا تتناسب مع سياقات الثقافة العربية. علينا ألا نتجاهل تراثنا

**التراث العربي حافل بالاتجاهات اللغوية**

العربي العظيم، اللغوي والنقدي، الحافل بالاتجاهات التقدمية اللغوية والنقدية. إن من ينفصل عن تراثه، يصير بلا هوية يعيش ثقافة الشرخ، أو ثقافة الانفصال بكل سلبياتها. لابد أن يستلهم المبدع العربي تراثه الفكري والنقدي والحضاري، دون أن ينغلق على منجزات الآخر، لابد أن نعود إلى التراث العربي النقدي والأدبي، نتأمله وندرسه، وندعو إلى العودة إليه ودراسته والوقوف عند كبار كتابه ومبدعيه مثل: الجاحظ وعبدالقاهر الجرجاني وابن المقفع وحازم القرطاجني وغيرهم، نعرف آراءهم ونستخلص أهم الأسس التي تأسست عليها النظرية النقدية العربية.

**● أنت يا دكتورة تحثين العقل العربي على التفكير والإبداع، ما الذي تريدينه من هذا الحظ والتحفيز؟**

- العقل العربي نجح في تقديم مكونات عصرية من موسيقى شعرية، وخيال، وصور، علينا ألا نقلل من شأن هذا المنجز.. كما علينا ألا نستهين بتراثنا النقدي القديم الذي أبدع فيه نقادنا القدامى أمثال: عبدالقاهر الجرجاني،

**نحن بحاجة إلى حداثة عربية تفرزها الثقافة العربية بثوابتها ومتغيراتها**

والباقلاني وغيرهما، هؤلاء الذين كان لهم أعظم التأثير في نقاد الغرب..

إن تراثنا العربي الأصيل في الأدب وفي النقد ليس تركة جامدة، لكنه قابل للتطوير والتجديد، وواجبنا ألا نظل منبهرين بالغرب ونظرياته ومحاولة تقليده.. لدينا حاليا نقاد مفتونون بالنظريات النقدية الوافدة التي تنظر للحداثة بانبهار والتي تحفل بالغموض والألغاز للحد الذي يحول دون فهم القارئ، أما مصطلحاتهم النقدية فقد بدت أكبر من حجمها وحقيقتها، على حين أن تراثنا العربي يزخر ببذور يمكن تطويرها في نظرية لغوية، أو نقدية كاملة.

### دورة التاريخ

**● كيف تنظرين ككاتبة وأديبة وباحثة إلى هذا الأمر؟**

أود أن أذكر بالعالم الغربي الكبير الذي اعترف بتأثر الغرب بحضارة العرب والمسلمين، وبتراثهم الذي لا نعطيه ما يستحق من الاهتمام ونعيده إلى الحياة، ونعلمه لأبنائنا وأحفادنا. لقد اهتم الكاتب «مايكل هاميلتون مورجان» بالتراث العربي فدرسه دراسة متأنية جيدة، وتحدث عنه وعن أثره الكبير على حضارة الغرب، وفكره وتقدمه في كتابه «تاريخ ضائع»، وأعجب بهذا الكتاب الكثيرون حتى قال عنه الرئيس الأميركي الأسبق، جيمي كارتر: يقدم لنا «تاريخ ضائع» إحدى حلقات الوصل المفقودة في قصة العالم المترابط، حيث يظهر الكتاب الأثر الذي خلفته الحضارة الإسلامية وإنجازاتها عبر الشرق والغرب. وقال عنه إدوارد أل وايدمر: «كتاب تاريخ ضائع هدية منحنا إياها مايكل مورجان تمكننا من استعادة تاريخ ظل ضائعا لحقبة طويلة

من الزمان، ويؤكد «مايكل هاميلتون» أن التاريخ المذهل للعالم العربي الإسلامي الذي اكتشفه من خلال قراءاته وأبحاثه كان يزخر بالاختراع والإبداع والأفكار العظيمة، ويعزز قيم التسامح والتعايش، ويعج بالإنجازات الفكرية أكثر من أوروبا المسيحية في هذا الوقت.

إن هذا الكتاب ينبغي قراءته على كل شخص يساوره شك في أن الواقع الحقيقي للتاريخ إنما ينطوي على ما هو أكثر وأعمق من التعبير عما يسمونه «صدام الحضارات».

**• العلاقة بين التعليم واللغة العربية تمر بمنعطف خطير، خاصة مع انتشار المدارس والجامعات الأجنبية.. كيف يمكن النهوض باللغة، من جهة، والنهوض بالتعليم، من جهة أخرى، في ضوء هذه الازدواجية التي نمر بها؟**

- التعليم في بلادنا العربية يحتاج إلى إعادة النظر، وعلى المسؤولين في بلادنا العربية أن يولوا تعليم اللغة العربية كل الاهتمام، فالنهضة اللغوية التي نتوق إليها لا تتحقق دون إنقاذ اللغة بجهود لابد أن تبذل لتطوير أسس التعليم من خلال دراسات جديدة للمناهج، وإعداد المعلم، والاهتمام بالوسائل التعليمية، وحل مشكلات تعليم العربية، حيث يتعلم معظم أبنائنا في المدارس الأجنبية التي يدرسون بها كل المواد الدراسية باللغة الأجنبية إنجليزية أو فرنسية أو ألمانية، حتى أصبح لدينا جيلان من أبناء وطننا العربي لكل منهما طريقة تفكيره وقدراته اللغوية الخاصة.

> **هناك من الغربيين من درس التراث العربي وصرح بتأثر الغرب بالحضارة العربية والإسلامية**

### مشروع لغوي

**• هل يقوم إعلاميونا العرب بالدور المنوط بهم تجاه اللغة العربية؟**

- لا نستطيع إغفال دور الإعلام الحيوي في النهوض باللغة العربية، سواء منه المقروء والمسموع أو المرئي. عليه أن يقدم الفصحى المبسطة العصرية التي يفهمها الجميع، ويتعاملون بها، والتي تقترب من العامية الراقية التي يتحدث بها المثقفون وأنصاف المثقفين. على الإعلام أن يؤثر في المجتمعات العربية ويحاول مقاومة الإحساس بالغربة التي تعانيها اللغة العربية في ديارها ويحاول الالتزام بالصحة اللغوية فيما يذاع أو يقال، حيث يعاني الشارع العربي من افتقادها.

على الإعلام مسؤولية تعريف الناس بصحيح لغتهم، وأن ينأى عن الأخطاء النحوية، والإملائية فهذه قضية قومية، وقضية ثقافية في صلب مسؤوليته، ومن أدلة خطورة دور الإعلام على سلامة اللغة العربية، أن الإذاعيين في الإذاعات المسموعة والمرئية يكونون قدوة للناس ومن الواجب أن يعدوا إعدادا جيدا لأداء مهمتهم لتقديم اللغة العربية الصحيحة، وممن أسهموا من علماء اللغة في تقديم كتب وأبحاث تؤكد أهمية القيام بهذا الدور في إعلامنا العربي، الدكتور أحمد مختار في كتبه الهامة ومنها «أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند مقدمي الإذاعة المسموعة والمرئية»، وأيضا كتابه «اللغة واللون»، الذي تضمن دراسة فريدة من نوعها تتناول قضايا اللون وارتباطه بالفن واللغة، ودراسة ألفاظ الألوان واستخدامها في «القرآن الكريم والحديث الشريف»، فاللون الأخضر مثلا أهم الألوان في «القرآن الكريم» ويعني الحياة والطبيعة.

> **النهضة اللغوية التي نتوق إليها لا تتحقق دون إنقاذ اللغة**

إنها لغتنا العربية المقدسة، وأؤكد أنها مقدسة لأن اللغة المقدسة عند علماء اللغويات توصف بها اللغات التي كتب بها نص مقدس. والعربية كتب بها «القرآن الكريم» ونزل بها: قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف:٢)، وقال سبحانه: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر:٢٨)، وأشير إلى مشروع الكاتب الكبير الراحل أحمد بهاء الدين في سبيل النهوض باللغة العربية كأداة سياسية، وحضارية، وثروة قومية، ومعنوية وكان الجانب العملي من مشروعه اللغوي هو التركيز على الوسائل العملية التي تضع اللغة في مكانها الطبيعي من حضارة الأمة، وتطلق قدراتها الكبيرة على تحقيق نتائج واقعية مهمة وذلك بنشر استخدام اللغة العربية في العالم كله. واعتمادها كلغة رسمية في كل المحافل والمؤتمرات في العالم والالتزام بها.

عبد الله الناصري
باحث تربوي - المغرب

# دور الكتاتيب في تعليم القراءة والكتابة

من منا لم ينهل من منهل الكتاتيب القرآنية في بلداننا العربية والإسلامية، فهي تعتبر الملاذ الأول للطفل، يتعلم فيها الحروف الهجائية ويحفظ ما تيسر من القرآن الكريم وبعض العلوم الشرعية الأخرى قبل التحاقه بالمدرسة. وعندما كانت الكتاتيب منتشرة بكثرة في بلداننا لم يكن الطفل يعاني من مشكلات القراءة والكتابة عند التحاقه بالمدرسة.

إن الكتاتيب تسهل على الطفل الاندماج في مسار التعليم المدرسي، ويستفيد منها كل أطفال المجتمع دون استثناء، فقد كانت في كثير من الأحيان مجانا دون مقابل مادي إلا ما جاد به الأهالي لصالح الشيخ أو المعلم. وكان لها دور كبير في تحفيظ الأطفال القرآن كاملا أو ما تيسر منه منذ الصغر، فتلقين الطفل القرآن الكريم في هذه السن المبكرة يكون بمثابة المفتاح العلمي له، والمكسب الحصين المنيع في الأخذ من مشارب العلوم الأخرى. بل إن حفظ القرآن الكريم هو النبراس المضيء لحياة الطفل العلمية.

## الكتاب واللغة العربية

وعملت الكتاتيب على تعليم الأطفال طلاقة اللسان، وسلامة النطق باللغة العربية الفصحى، مما سهل على الطفل الولوج إلى المدرسة دون عثرات تذكر في القراءة والكتابة. كما أن التحاق الطفل بالكتاب القرآني ساعده

**القيم الحسنة ومبادئ الوسطية أهم مخرجات التعلم في الكتاب**

على اكتساب القيم الإسلامية النبيلة، والأخلاق الفاضلة، وهو عمل يقوم به الشيخ، حيث يزرع في الطفل القيم الحسنة، والأخلاق الفاضلة، ومبادئ الوسطية والاعتدال للدين الإسلامي السمح.

وعندما كانت الكتاتيب القرآنية منتشرة في كل قرية وحي؛ كنا لا نجد فردا من المجتمع لا يعرف القراءة والكتابة. فقد كان الكل يعرف القراءة والكتابة، سواء التحق بالمدرسة أم لا. فنجد الصانع والحرفي والفلاح كل يعرف قدرا من القراءة والكتابة، ويحفظ ما تيسر من القرآن الكريم، لكن اليوم بعدما أهملنا الكتاتيب تفشت فينا الأمية، التي أصبحت أحد العيوب المنتشرة في مجتمعاتنا العربية، رغم التقدم التكنولوجي في عصرنا الحالي.

**حفظ القرآن الكريم في الكتاب ساهم في محو الأمية**

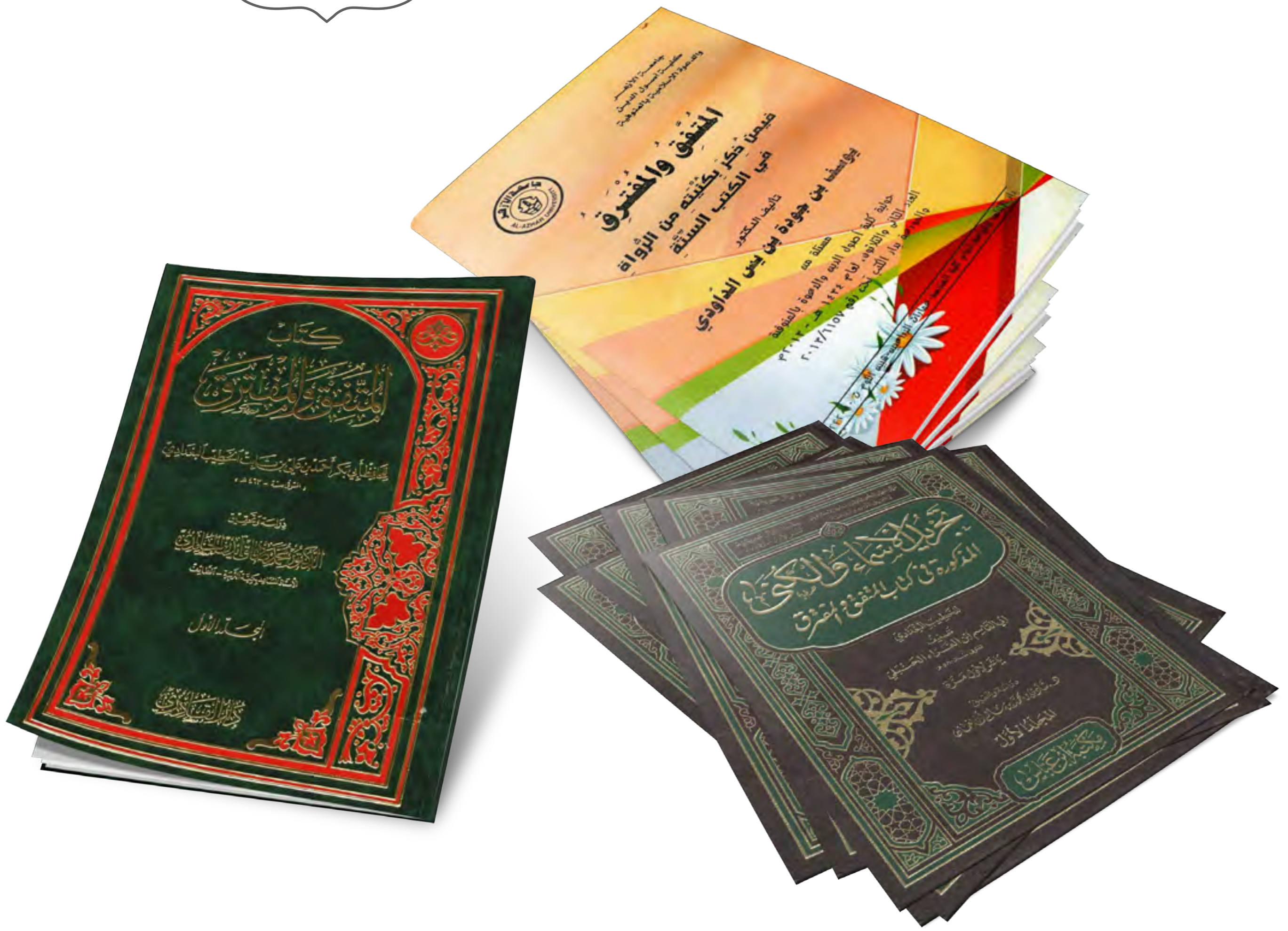
## رياض الأطفال

لقد أصبحت الكتاتيب القرآنية تتقلص في بلداننا الإسلامية، وأصبحت تعوض برياض الأطفال، وهو أمر له مشاكل عديدة، ومن بينها:

- الكتاب كان في متناول كل فئات المجتمع؛ على اعتبار أن شيخ القرية أو الحي يحمل على عاتقه رسالة تعليم الصغار والكبار، وغالبا ما يكون ذلك دون مقابل، الأمر الذي يساهم في نشر العلم بين أفراد المجتمع وييسر درب التعلم للجميع، بينما رياض الأطفال غالبا ما تكون مقابل مبالغ مالية قد لا تستطيع الكثير من الأسر دفعها.
- الابتعاد عن تحفيظ القرآن؛ فالآن بدأنا نعاصر جيلا بلغ مراتب عليا من التعلم، ولا يكاد يحفظ شيئا من القرآن الكريم.
- تجاهل اللغة العربية؛ لقد أصبحنا نفتخر بأبنائنا وهم يتحدثون لغات أجنبية على حساب اللغة العربية، بكل تأكيد، لست ضد تعلم لغات أجنبية؛ لكن من العيب أن نجد جيلا يحمل أعلى الشهادات، ولا يستطيع إلقاء كلمة باللغة العربية أمام جمع أو حفل، أو التحدث باللغة العربية الفصحى، وهذا مرده إلى إهمال العربية.

وختاما: إن لنا تقاليد في التعلم لا بد أن نحافظ عليه، ونرعاها، ونطورها؛ حتى تبقى لأمة القرآن الريادة في العلم والتعلم والرقي والحضارة.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١٦)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

## المتفق والمفترق في اسم «العجلوني»

### ١- شمس الدين العجلوني (ت:٨٢٠هـ):

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن جعفر العجلوني ثم القاهري، المعروف بالبلالي، فقيه شافعي.

ولد بقرية بلالة (من أعمال عجلون) سنة ٧٥٠هـ، تميز بالتصوف، ولازم النظر في كتاب «الإحياء» للغزالي، واستقدمه نائب السلطنة إلى مصر، فتولى مشيخة «سعيد السعداء».

من مصنفاته: «مختصر إحياء علوم الدين للغزالي»، و«السول في شيء من أحاديث الرسول»، و«مختصر الروضة في فروع الفقه الشافعي»، و«جنة المعارف».

توفي بمصر (١).

### ٢- برهان الدين العجلوني (ت:٨٢٥هـ):

هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد عيسى بن عمر العجلوني الدمشقي الشافعي، ويعرف بابن خطيب بيت عذراء فقيه.

ولد بعجلون سنة ٧٥٢هـ، من مصنفاته: «شرح المنهاج»، توفي بدمشق (٢).

### ٣- شمس الدين العجلوني (ت:٨٣١هـ):

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن موسى الكفيري العجلوني الدمشقي الشافعي، محدث، فقيه.

ولد في الكفير من أعمال دمشق سنة ٧٥٧هـ، وانتقل إليها وحدث ودرس وأفتى.

من تصانيفه: «شرح على الجامع الصحيح للبخاري»، و«معين النبيه على معرفة التنبيه»، و«زهر الروض» مختصر الروض الأنف للسهيلي، و«الإحكام في أحكام المختار» وغيرها.

توفي بدمشق (٣).

### ٤- نجم الدين العجلوني (ت:٨٧٦هـ):

هو نجم الدين أبو الفضل محمد بن عبدالله بن ولي الدين العجلوني الشافعي، المعروف بقاضي عجلون.

ولد بدمشق سنة ٨٣١ هـ، ونشأ بها، ورحل إلى القاهرة، وولي إفتاء دار العدل وتدريس الفقه في جامع طولون.

من تصانيفه: «بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني» و«التاج في زوائد الروضة على المنهاج للنووي في الفروع»، و«التحرير شرح المنهاج للنووي»، و«مغني الراغبين في شرح منهاج الطالبين»، و«نصيحة الأحباب في لبس فرو السنجاب».

توفي في بلبيس، ودفن بالقاهرة (٤).

### ٥- العجلوني الكبير (ت:١١٤٨هـ):

هو محمد بن خليل بن عبدالغني العجلوني الدمشقي الجعفري الأزهري، فقيه، من علماء الشافعية المشتغلين بالحديث، يعرف بالعجلوني الكبير، تمييزا له عن ابنه العجلوني الصغير الآتي ذكره.

ولد في عين جنة من قرى عجلون سنة ١٠٦٠هـ، وسكن دمشق.

من مصنفاته: «ثبت العجلوني»، و«رسالة في شرح معراج الغيطي»، و«حاشية على شرح الشنشوري في الفرائض»، و«شرح فرائض الرحبية».

توفي بدمشق (٥).

### ٦- أبو الفداء العجلوني (ت:١١٦٢هـ):

هو أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبدالهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، محدث الشام في أيامه.

ولد بعجلون سنة ١٠٨٧هـ، ونشأ بها.

من مصنفاته: «كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس»، و«الفيض الجاري في شرح صحيح البخاري»، و«شرح الحديث المسلسل بالدمشقيين»، و«عقد الجوهر الثمين»، و«حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال» وغيرها من المصنفات.

توفي بدمشق (٦).

### ٧- العجلوني الصغير (ت:١١٩٣هـ):

هو أبو الفتح محمد بن محمد بن خليل العجلوني: فقيه شافعي، متصوف.

ولد بدمشق سنة ١١٢٨هـ، أصله من عجلون، تعلم بدمشق وبمصر.

من مصنفاته: «حاشية على شرح المنهج»، و«تعليق على شرح الألفية في مصطلح الحديث».

توفي بدمشق (٧).

### الهوامش

١- ينظر شذرات الذهب، (١٤٧/٧) (٢٦٠/١)، والأعلام للزركلي (٢٨٧/٦)، ومعجم المؤلفين (٣١٣/١٠).

٢- ينظر الضوء اللامع (١٥٦/١)، ومعجم المؤلفين (١٠٣/١).

٣- ينظر الضوء اللامع (١١١/٧)، وهدية العارفين (١٨٦/٢)، ومعجم المؤلفين (٢٣/٩).

٤- ينظر الضوء اللامع (٩٦/٨)، والأعلام للزركلي (٢٣٨/٦).

٥- ينظر سلك الدرر (٣٨/٤)، والأعلام للزركلي (٢٣٨/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٩٠/٩).

٦- ينظر سلك الدرر (٢٥٩/١)، والأعلام للزركلي (٣٢٥/١)، ومعجم المؤلفين (٢٩٢/٢).

٧- ينظر شذرات الذهب (٢١٧/٥)، والأعلام للزركلي (٦٩/٧)، ومعجم المؤلفين (٢١٤/١١).

عبد المجيد قاسم
باحث تربوي - سورية



# الأطفال والإنترنت.. إيجابيات وسلبيات

**تطورت وسائل الإعلام بأنواعها في العقود الأخيرة تطورا مذهلا، حيث استطاعت أن تدخل إلى كل بيت، وأن تخاطب كل فرد من أفراد المجتمع، وتحيط بهم إحاطة السوار بالمعصم؛ حيث التلفاز، والإذاعة، والهاتف المحمول، والحاسبات الشخصية، وشبكات المعلومات المتطورة، نتيجة لما أحرزه الإنسان من التقدم العلمي والتقني، خصوصا في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.**

لم يعد خافيا أن هذه الوسائل تؤثر في نمو الأطفال تأثيرا كبيرا من النواحي النفسية والفكرية والقيمية والسلوكية، وتشكل مصدرا مهما لمعارفهم وخبراتهم، وتفتح أمامهم آفاقا استكشافية واسعة. من جهة أخرى فإن من خصائص هذا العصر الذي نعيشه، أن الأسرة والمدرسة لم تعودا وحدهما مصدرا للثقافة والمعرفة والأخلاق، بل ظهرت وكالات اجتماعية ووسائط معرفية وثقافية أخرى تشاركهما هذا الدور، وتقدم للأطفال المادة المعرفية والثقافية والقيمية باختلاف أشكالها.

والإنترنت كأهم أنواع وسائل الإعلام الحديثة، يعرف بأنه شبكة حاسوبية دولية عملاقة، نشأت من قبل وزارة الدفاع الأمريكية، عام ١٩٦٩م، عندما قررت إنشاء وكالة مشاريع للأبحاث المتقدمة. ثم تطور الأمر بدءا من ثمانينات القرن العشرين، حتى وصل لقيام بعض الدول ببناء شبكات خاصة بها، وصولا إلى ربطها بشبكة واحدة، وكان ذلك قفزة هائلة

جدا في هذا المجال. وقد أصبحت هذه الشبكة جزءا هاما في حياتنا، وتسهم في صياغة قيمنا واتجاهاتنا ورؤيتنا للحياة، وضرورة لم يعد بالإمكان الاستغناء عنها، سواء كأفراد أو مجتمعات.

ويجمع الإنترنت بين الكثير من المزايا التثقيفية والتربوية والترفيهية بالنسبة للأطفال، نتعرف عليها من محاور عدة؛ أولها: المحور التربوي؛ حيث يسهم الإنترنت في تنمية شخصية الطفل، وتوسيع أفكاره ومداركه، وتطوير إمكاناته وقدراته المعرفية والفكرية والتعبيرية واللغوية. فقد أصبح مصدرا هاما للمعلومات، ورافدا من الروافد التي تمده بالعادات والقيم والاتجاهات، بل منظومة تربوية متكاملة تماما، إذا ما وظف بشكل سليم.

ثانيا: المحور التثقيفي والتعليمي؛ فقد شكل الإنترنت وسيلة هامة لتطوير ثقافة الطفل، وأتاح له التعرف على أحدث المعارف والاكتشافات، والاستفادة من خدمات المواقع الثقافية والمكتبات الإلكترونية. كما أدى دورا إيجابيا في عملية التعليم، ويمتلك مميزات كبيرة في تزويده بخبرات متنوعة. ناهيك عن تعزيز المفاهيم الإيجابية حول القيم الثقافية والتعليمية الحديثة.

ثالثا: المحور الانفعالي؛ إذ اضطلع الإنترنت بدور فعال في تهذيب انفعالات الطفل، ومعالجة بعض المشكلات النفسية، يضاف إلى ذلك فضائل الحوار والتفاعل، وتبادل الأفكار والآراء مع الأقران، وإشاعة أجواء البهجة والمتعة والتشويق، كونه يجمع بين المادة المسموعة والمرئية والمقروءة، وما يحمله هذا الجمع من الموسيقى واللون والحركة المتواترة.

رابعا: المحور الاجتماعي؛ فالإنترنت ينمي مفهوم الحياة الاجتماعية لدى الطفل، ويساعده في عملية التكيف مع البيئة المحيطة به، واكتساب السلوكيات التي ترسخ علاقات اجتماعية سليمة، واكتساب القواعد الأساسية التي تنظم تلك العلاقات. هذا إضافة إلى خدمات المراسلة والبريد الإلكتروني، وإمكانية التصفح في أي مكان يريده.

**من المفيد تسليط الضوء على سلبيات الشبكة العنكبوتية**

## سلبيات الإنترنت

بالرغم من الجوانب الإيجابية لهذه الوسيلة الحضارية، فإنه بات يشكل مصدر قلق للكثير من الآباء والمربين، لاسيما بعد الانتشار الهائل للشبكات والمواقع التي تتعدد أهدافها وغاياتها ومصادر تمويلها، ومع قضاء الأطفال للكثير من الوقت أمام شاشات الإنترنت، لحد قد يصل إلى الإدمان. وتشكل طبيعة المواد التي يطالعها الأطفال أولا، والفترات الطويلة التي يقضونها أمام هذه الشاشات ثانيا؛ أهم المشكلات مع الإنترنت. لذا نرى من المفيد تسليط الضوء على الآثار السلبية الناجمة عن الاستخدام السيء والمفرط للإنترنت؛ من أهم تلك الآثار: التأثيرات السلبية التي تفرزها مشاهدة بعض البرامج والأفلام والمسلسلات التي تحتوي على أفكار وقيم لا تتناسب مع خصوصية الطفولة وطبيعة المراحل التي يمر بها الأطفال. ومن جهة أخرى احتواؤها على مفاهيم عقدية أو فكرية غريبة عن الأعراف الدينية، وعادات لا تنسجم مع ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه. كذلك أيضا

**الإنترنت شكل مصدر قلق للآباء بالرغم من مزاياه**

الآثار التي تفرزها محاولات الطفل فى استكشاف بعض المواقع، كمواقع العنف والمواقع الإباحية، ومواقع الشذوذ والانحراف السلوكي، وما تشكلها من ضرر في توجيه سلوكياته، ودمج قيم مختلفة في شخصيته. إضافة لما تكرسها من القيم السلبية، كالعالم الذي يعتمد على الصراعات، أو الحلول السحرية للمشكلات والمواقف. ومن الآثار السلبية أيضا التسبب في اضطرابات صحية ونفسية عدة للأطفال نتيجة الإدمان على الإنترنت؛ منها اضطرابات النظام الغذائي، ومشكلة زيادة الوزن. والعرضة للإصابة باضطرابات ما قبل النوم وأثناءه أكثر من غيرهم. ناهيك عن مشاكل نفسية أخرى؛ كسرعة الانفعال، والجنوح عن الواقع، والبرود العاطفي والتقلب المزاجي، والانعزال والانطوائية. كما يكون التأثير سلبا بحرمان الطفل من فوائد الحوار والمشاركة والتفاعل الأسري الطبيعي، وضعف اكتساب مهارات التواصل مع الآخرين، حيث إن الاستخدام المفرط للإنترنت يؤثر سلبا على علاقات الطفل الأسرية، ويخلق فجوة اجتماعية نتيجة العزلة التي يفرضها التعاطي السلبي مع هذا العالم الافتراضي. أيضا من السلبيات؛ حرمان الطفل من ممارسة الأنشطة الثقافية والفنية التي يحتاجها نموه الفكري والجسدي والاجتماعي، والتي من المفترض أن يخصص لها الوقت الكافي، كالقراءة والرياضة. ولا ننسى التأثيرات السلبية للإسراف في الجلوس أمام الحاسب، كالشعور بالتعب والإرهاق والخمول، وإهمال الواجبات المدرسية، وغيرها من المشكلات. وتعرض الطفل لممارسات ضارة، قد تصل إلى حد تهديده أو ابتزازه أو استغلاله استغلالا غير مشروع.

## دور الأسرة

إن الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأهم في تكوين مرحلة الطفولة، وعلى عاتقها يقع الدور التأسيسي في إنمائها وتفتيحها. وهي الوعاء التربوي الثقافي الأهم الذي تتفاعل ضمنه مكونات شخصية الطفل وتتبلور ميولها وملامحها. وبالرغم من تعدد المؤسسات التربوية والتعليمية التي تتشارك في تربية الأطفال، تبقى الأسرة أهم البيئات التربوية التي تعنى بتنشئة الطفل، وتنميته من النواحي الجسمية والنفسية والاجتماعية.

وأصبحت الدعوة ملحة لتفعيل الآثار الإيجابية لاستخدام الإنترنت، وحماية الطفل من تأثيراته السلبية. وهذه الدعوة موجهة إلى الأسرة بشكل رئيسي، لأنها تشكل الجهة الأساسية في ضبط العلاقة بين الطفل والإنترنت وتنظيمها، وهي الطرف الأكثر أهلية لهذه المهمة، حيث يتطلب منها القيام بجملة أمور، أهمها:

تنظيم جلوس الطفل أمام شاشة الحاسوب، وتحديد الفترة الزمنية التي يقضيها في استخدام الإنترنت، بحيث لا تتجاوز الساعتين يوميا مهما طالت، ومراقبة سلوكه عن بعد أثناء استخدامه للإنترنت، ومشاركته في الاستكشاف والبحث عن المفيد والممتع في هذا البحر المتلاطم، واستخدام الحوار الهادئ معه، ومناقشته حول ما يتصفحه، وتشجيعه على النقد البناء، وتنمية قدرته على التمييز بين الغث والسمين، والزيف والحقيقة، وكذلك توجيهه للاستخدام الصحيح للإنترنت، وتعليمه أساليب استخدامه بالطرق الآمنة، وتبصيره بالآثار السلبية الناتجة عن الإفراط في استخدامه، وتعليمه كيفية التعامل مع الأشخاص الغرباء، وعدم إعطائهم أية بيانات أو معلومات شخصية، وتوعيته بالاستفادة من نظام «الإنترنت الآمن»، واستخدام «فلتر» لترشيح المواقع غير المرغوب فيها، وبرامج رصد المواقع، وبرامج التصفح الآمنة، بهدف حمايته من المواقع المشبوهة، والعمل على الموازنة ما بين جلوسه على الإنترنت، وبين الأنشطة المناسبة، وتشجيعه على القراءة والمطالعة، وممارسة هواياته الأدبية والفنية والرياضية، وتشجيعه على الاندماج والتفاعل الاجتماعي المطلوب، وتكوين علاقات اجتماعية جيدة، فضلا عن مرافقته في النزهات والرحلات وزيارة المعارض وبعض النشاطات الأخرى.

إن من أهم واجباتنا تجاه أطفالنا، هي أن ننمي التواصل بينهم وبين العالم الخارجي، ونتيح لهم فرص الانفتاح على الثقافات العالمية، وأن ندربهم على لغة الحوار والمشاركة وتفهم الرأي الآخر، لكي ينشأوا مؤمنين بذواتهم أولا، وقادرين على التكيف مع الأهداف الإنسانية المشتركة ثانيا، ولعل الإنترنت هو أحد أفضل الوسائل لتحقيق هذه الأهداف، والوصول إليها بطرق سالكة.

أيمن دراوشة
كاتب أردني

# الموهوبون وبرامج التربية

يحتاج الطلاب الموهوبون والمبدعون والمتفوقون إلى رعاية تربوية وتنمية مهاراتهم وقدراتهم من خلال البرامج الخاصة بهم والتي تتمايز عن الخدمات التقليدية في المدارس العادية.

وهذه البرامج غاية في الأهمية؛ لأنها «تعمل على تأهيل وإنتاج أفراد من ذوي الصفات المحببة كارتفاع الإنجازات التعليمية والعلمية مرتفعة الجودة، وهو ما يعرف باسم «الجودة أو النوعية في التعليم» (١).

وأثبتت الدراسات الميدانية والمسحية، أن الطلبة الملتحقين ببرامج رعاية الموهوبين والمبدعين والمتفوقين من أكثر الطلبة الحاصلين على شهادات التقدير؛ لأنهم الأكثر انخراطا في المشاريع العلمية المتخصصة، وهم الأكثر خبرة تطبيقية والأكثر قدرة على خدمة المجتمع.

واستندت فلسفة إنشاء برامج خاصة لتربية وتعليم الموهوبين والمبدعين والمتفوقين إلى عدة أسباب أهمها:

## قصور مناهج التعليم العام

تتصف برامج التعليم العام بأنها ذات طبيعة جماعية؛ بمعنى أنها موضوعة لجميع الطلبة دون مراعاة للفروقات الفردية ولا ضعف الطلبة، فهي لا تلائم الطلبة الموهوبين والمبدعين والمتفوقين، كما أنها لا تصلح للطلبة من ذوي صعوبات التعلم، لكنها تناسب الطالب المتوسط.

كما أن المعلمين القائمين على تدريس هذه المناهج، ليسوا مؤهلين وعلى كفاءة عالية «للتعامل مع فئات خاصة دون الوسط أو أعلى من هذه الفئة، وأيضا لا يركزون إلا على الطلبة الوسط ويهملون الطرفين الآخرين» (٢). وبالنسبة للطلبة المتفوقين والموهوبين؛ فإن هذه البرامج لا تلائم قدراتهم وإمكانياتهم وطموحاتهم؛ لذلك فهم بحاجة إلى معلمين وبرامج تعليمية من نوع خاص تختلف عن البرامج المقدمة للطلبة العاديين.

## التربية الخاصة حق للمتفوق

يمثل الطلبة الموهوبون والمتفوقون ثروة وطنية هامة للوطن، ولا يجوز أن يتم إهمالها وإغفال رعايتها. إن حاجة الطلبة الموهوبين والمبدعين والمتفوقين إلى رعاية خاصة حق من حقوقهم، مساواة بغيرهم من الطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة في المؤسسات والمراكز التربوية.

## تنمية المجتمع

لابد من استغلال الموهبة والتفوق حتى يستطيع المجتمع الوقوف في وجه التحديات التي يفرضها عصرنا، ويعتمد مدى نجاحنا في الوقوف بوجه التحديات على مدى الرعاية المقدمة لهذه الفئة من الطلبة، وتوفير الفرص التربوية الملائمة التي تساعد كل طالب على الوصول إلى قمة طاقاته. وكما هو معروف فإن الصراع الحالي والمستقبلي بين مختلف دول العالم «محكوم بقدراتها في المجالات العلمية والتقنية والاقتصادية والعسكرية، ولا شك أن العقول يمكن أن تلعب دورا بارزا في تحقيق إنجازات وطنية على هذه الصُّعُد» (٣).

## تكافؤ الفرص

لا شك أن المجتمع الناضج هو الذي يقدم فرصا متساوية لجميع فئاته وأفراده؛ فالجميع يجب أن يشعر بالمساواة أمام القانون وأمام الفرص المتاحة لهم من أجل التعلم والإبداع في مختلف مجالات الحياة.

## النمو المتوازن للطفل

نتيجة التفاوت في مستويات النمو الحركي، والعقلي والانفعالي للطلبة الموهوبين والمبدعين والمتفوقين، فإنهم يتعرضون لبعض المشكلات ناتجة عن عدم تكيفهم مع محيطهم.

فالاختلالات الكبيرة في النمو الفعلي والانفعالي للطفل الموهوب تؤدي إلى معاناة في الجوانب الاجتماعية والعاطفية، فالعزلة ونقد الذات والآخرين، والشعور بالملل والضجر، والفرار من مواجهة المواقف في بعض الأحيان، وتدني التحصيل المدرسي؛ هي بعض الأمثلة للمشاكل والصعوبات التي قد يتعرض لها الطلبة الموهوبين.

لذلك؛ يجب تقديم خدمات «التوجيه والإرشاد النفسي والإشراف الاجتماعي والرعاية الصحية» (٤) لهم عبر تدخل منهجي من قبل المعلمين والمرشدين من أجل وقاية وحماية هؤلاء الطلبة من المشاكل والمضاعفات التي تترتب على استمرارها.

---

## الهوامش

١. محمد قطناني، وهشام مريزيق. مرجع سابق، ص:١٩١.
٢- سعيد العزة. مرجع سابق، ص:٩١.
٣- فتحي جروان. مرجع سابق، ص:١٧١.
٤. عبد الحافظ سلامة، وسمير أبو مغلي. «الموهبة والتفوق»، عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢م، ص:١٠٥.

محمد شعطيط
باحث تربوي - المغرب



# الأسرة وأهداف الأطفال

**يتوقف النجاح في الحياة، بعد توفيق الله، على اتخاذ قرارات ورسم أهداف يمكن أن نسميها «نوعية لتغيير» جوانب كثيرة من حياة الإنسان.**
**يبدو الأمر عاديا عندما يتعلق بالأشخاص الراشدين. ولكن ماذا عن الأطفال؟ هل يمكن لهم أن يترجموا أحلامهم وطموحاتهم وقناعاتهم إلى برامج عملية ويحققوا، بالفعل، ما يصبون إليه عن طريق قرارات وأهداف، بدلا من أن يظلوا حبيسي اللوم والنقد والتثبيط أحيانا كثيرة؟**

قبل اتخاذ قرارات هادفة وفاعلة يحتاج الآباء والأطفال إلى مجموعة من المبادئ الأساسية، يمكن إجمالها فيما يلي:

- تقدير ذات الطفل واكتشاف قدراته ومعرفة إمكاناته والتحديات التي يمكن أن تواجهه.

- دعم الطفل والدفع به إلى الأمام؛ كما فعلت والدة المخترع توماس إديسون مع ابنها، رغم أن مدير المدرسة طرده بحجة أنه طفل بليد وغبي. فالطفل يحتاج إلى من يقتحم به حاجز الخوف بكل تبصر وثبات.

- الإنصات إلى الطفل: من مفاتيح الثقة، والتحرر من الضبابية، والشك والمناطق الرمادية التي يقف فيها الطفل مدة طويلة ويدفع ثمنها يافعا وشابا وكهلا.

المسؤولية: إحدى أهم مفاتيح النجاح، فعبارة: «أنت المسؤول، لا تختبئ وراء قدرات والديك»؛ تفعل فعلها في تثبيت الطفل ودعمه وتحفيزه ورفع همته.

- استقرار العلاقات بين أفراد الأسرة عامل مهم في دعم الطفل لاتخاذ قرارات صائبة.

- القرارات حسب الحاجات: الطفل المبدع لا يشبه غيره، وكلما كانت حاجة الطفل المعرفية والنفسية أكبر؛ زادت حاجته وارتفعت همته ورنا نحو الأعلى. وقد أصاب الشاعر حين قال:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

- الاختيار: ثقافة الاختيار هي إحدى أهم الثقافات الغائبة في المجتمعات العربية والإسلامية. وقد مدح الله عزوجل المؤمنين بأنهم أهل شورى. والطفل الذي يتربى على الشورى ينمو فكره وتزهو عقليته وتتقد.

- التخطيط: «إن البداية السيئة تؤدي إلى نهاية سيئة» (١). والطفل الذي يخطط لحياته بمبادرة منه أو بتوجيه من والديه ومساعدتهما يوفر على نفسه جهدا كبيرا في مستقبل حياته، وكثيرا ما تحدث خبراء التنمية البشرية عن فوائد التخطيط في حياة الإنسان، وأن الفرق بين الأشخاص الفاعلين ومن يعيشون على هامش الحياة هو هذه المسألة تحديدا؛ فالطفل الذي يخطط لحياته هو إنسان ناجح. وشتان بين شخص تقوم حياته على قرارات وأهداف وآخر يترك الحبل على الغارب وينتظر «العصا السحرية»، أو «مصباح علاء الدين» لحل مشاكله الحياتية.

## الأهداف والقرارات

اتخاذ الطفل لقرارات وتحديده لأهداف؛ هو مفتاح النجاح والتميز. ولابد للقرارات من شروط محددة، منها:

١- الوضوح: أي أن تكون محددة بدقة، ويعرف صاحبها ماذا يريد بوضوح.

٢- التميز: وفي هذا تقول الأديبة الأمريكية هيلين كيلير: «الحياة إما أن تكون مغامرة جريئة أو لا شيء على الإطلاق».

ومن ذلك أيضا، قول أحد الصالحين: «قراءة سير الرجال أحب إلي من كثير من أبواب الفقه»؛ والمراد أن السير تحفزه وترفع همته لتفتح ما بعدها من كل أبواب العلم.

٣- الواقعية: أي تجنب القرارات المثالية والحالمة؛ وهي إحدى أهم أبواب التميز وتحقيق الأهداف.

٤- النظام: فالطفل المنظم هو طفل ناجح بكل المقاييس. والقرارات النابعة عن ذات منظمة هي قرارات ناجحة؛ لأن النظام يؤدي إلى وضوح الأفكار ووضوح الأفكار يقود إلى الإبداع.

٥- المرونة: يحفظ الطفل جيدا مقولة «لا تكن صلبا فتكسر، ولا لينا فتعصر»؛ لكنه يحتاج إلى متابعة من والديه ليتعلم كيف يتخذ قرارات مرنة تتكيف مع مقتضيات الظروف والأحوال التي يعيشها لا قرارات هشة.

٦- الكتابة: يقول رجل الأعمال الأمريكي لي أياكوكا: «إن كتابتك لأهدافك هي أول خطوة لتحقيقها» فكتابة الأهداف والقرارات على سبورة المنزل أو في بيت الطفل على ورقة أو على مذكرة الهاتف أو في ممر المنزل تعتبر من أهم المحفزات لتحقيقها.

٧- الالتزام: فتغيير القرارات في كل لحظة ينم عن نفس خائرة وإرادة ضعيفة.

٨- العمل الجماعي: فضل العمل الجماعي لا يخفى على ذي بصيرة، فلم يعد هناك مجال للعبقرية الفردية التي تفهم في كل شيء.

# تقدير الطفل واكتشاف مواهبه يقوده إلى النجاح

## خطوات إضافية

لكن ماذا بعد تحقيق الهدف وإنجاز القرارات المسطرة، هل يقف الطفل ووالديه عند هذا الحد؟ أم لابد من اتخاذ خطوات إضافية للحفاظ على هذه المكتسبات؟ لاشك أن الغرور والاستغناء أحد أهم السلبيات التي تقتل الطموح والإبداع في نفس الطفل. ففي أحد الصفوف الدراسية التي عايشناها عن قرب، كان هناك طفل ذكي، وكان يستغني بذكائه عن المراجعة والإعداد المسبق للدروس في المنزل. وكان معه في الصف تلاميذ مكافحون يسعون إلى بلوغ مستواه. وبالفعل، تحقق لهم ما أرادوه بل تجاوزوا ذلك الطفل؛ وما كان لهم أن يبلغوا هدفهم لولا غرور هذا الطفل وثقته الزائدة في نفسه وعدم اتخاذه تدابير عملية للحفاظ على مخزونه المعرفي ومهاراته الدراسية.

ولكي يحافظ الطفل على أهدافه وقراراته؛ ينبغي اتباع ما يلي:

١- المتابعة: الدائمة لكل المشاريع والأهداف والقرارات التي يعتزم تحقيقها.

٢- تقبل الفشل: واتخاذه وسيلة للنجاح، فدائما ما يقال: «إن الحصان يجري بعد كبوته أفضل مما كان يجري قبلها».

٣- الحفاظ على مستوى العزيمة والنشاط.

٤- امتداح الأداء الجيد وتقديره ومنح دعم وجوائز عليه.

## مثبطات

تموت الأهداف والقرارات إذا أصابتها الأعراض التي تصيب مقومات الحياة. ومن العلل والمثبطات التي تصيب الأهداف في مقتل ما يلي:

- الشك في قدرات الطفل سواء منه أو ممن يحيط به.
- انعدام ثقة الطفل بنفسه.
- غياب الخطط العملية للتقييم والتقويم لرصد الثغرات والتعثرات ومعالجتها.

وختاما ندعو أطفالنا إلى الحرص دوما على أن يكونوا الأفضل، وألا يقنعوا بما دون النجوم.

### هوامش

١- كلمة ليوربيرس أوردها د. إبراهيم الفقي في كتابه: (١٢ مفتاحا تأخذك إلى القمة)، ص:٢٦٠، دار الراية للنشر والتوزيع، وشركة ميديا بروتك ط: ٢٠١٣م.

٢- نفسه ص:١٣٦.

صبحة بغورة
كاتبة جزائرية

# السلامة الأخلاقية لأطفالنا

إن الشباب أهم ركائز مستقبل الأمم الذين تحرص كل الأوطان على تأهيلهم علميا بصورة مناسبة وكافية؛ ليحملوا بكل الحب والوفاء رايتها، ويحملوا بكل إخلاص أمانة قيادتها، ويتحملوا بكل صبر وعزم مشقة مهام الأخذ بناصيتها.

وأطفالنا اليوم هم شباب الغد، وسلامتهم العامة الجسدية والعقلية والنفسية والعصبية كلها هي سلامة للوطن وحماية ومنعة له سلما وحربا. ولعل الدعوة إلى إضفاء المعايير الأخلاقية على العلم والأدب والرياضة والإعلام والسياسة تعود إلى وجود انحراف عن معايير الصدق والنزاهة والموضوعية شابَ الممارسة العملية والتطبيق الفعلي للقوانين وتنفيذ الإجراءات؛ وأدى إلى وجود حاجة للتصدي للانحراف بالأخلاق وبأشخاص مؤهلين نزهاء قادرين على مهمة تأصيلها في مختلف مجالات الحياة.

إن هذه الدعوة من الدعوات

النبيلة التي تهدف، كما هو ثابت في واقع مفردات حياتنا اليومية، إلى مواجهة انتشار مظاهر سلوكية هدامة للقيم والمبادئ ومكافحة الممارسات السلبية المثيرة للفوضى والانفلات ومحاربة الأفكار الغريبة الناشرة للفتن والدافعة إلى التمزق.

ومن هنا تبرز الحاجة الملحة للتأكيد على أهمية السلامة الأخلاقية للطفل وضرورتها منذ الصغر والتي تأتي في صلب عملية التربية الأسرية والمدرسية، وهي عملية مستمرة لغرس الآداب العامة والأخلاق الحميدة في النفوس البريئة؛ لأنها ستمثل في كبرهم الوازع الأخلاقي الكابح لهوى النفس الأمارة بالسوء، وحائط الصد المتين أمام الوساوس والهواجس، والرادع لزينة وإغراءات الانحراف وسبله اليسيرة.

وإذا كان البيت هو المؤثر الأول والوحيد في الطفل، على الأقل، إلى سن ما قبل دخول المدرسة؛ فإن ذلك يعني أن تأثير الوالدين عليه أكبر من أي تأثير آخر، حيث يمثلان للطفل القدوة في السلوك. لذلك فإن لدرجة تماسك الأسرة وتضامنها ومستوى الاحترام المتبادل بين الوالدين أثرا بالغا في تنشئة الأطفال وتحديد طبيعة سلوكهم، فالتربية تشكل ركيزة أساسية في تشكيل شخصية الطفل وتكوينه العقلي والنفسي وتكوين أرضية منظومته الأخلاقية

## درجة تماسك الأسرة تحدد طبيعة سلوك الأطفال

السوية التي من أبرز فضائلها تسلحه بأدوات الواقعية في حياته، وإكسابه القدرة على إزاحة الأوهام حتى لا يتهرب من واقعه الصعب بالانطواء على النفس ويكتفي بتجديد الذكريات أو بالانزواء في البيت والعيش مع الأطياف، وأن يعي جيدا مقدار الصدق الذي يمارسه مع نفسه أولا في تعامله مع الآخرين، ويتمتع بقدرة التكيف مع متغيرات الحياة بما لا يمس بمناعته الحضارية وهويته.

والتربية تنمي لدى الطفل، أيضا، شغفه بالجمال وحسه الجمالي ووعيه البصري تجاه الأشياء، وتشجع روح المبادرة والإبداع لديه وترقي مواهبه، وتجنبه اختلاق العداوات الافتراضية التي تدفع نحو الإفلاس المادي والأخلاقي.

وترسخ التربية في الطفل عدة مفاهيم أساسية منها؛ أن لرسم خطوات رحلة الحياة لابد من الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله، ثم اتباع الحيطة والحذر والمضي إلى

## التربية ركيزة أساسية في تشكيل شخصية الطفل

الغاية بخطة مرسومة الخطوات وأن تكون كلماته دائما صيحة قوة لنصرة الحق، وأن يحرص دائما على إحياء معنى جليل بمبادراته الطيبة تجاه الآخرين.

وتفرض المستجدات والتحولات التي يعرفها المجتمع العربي الإسلامي تحصين النشء بالمفاهيم الصحيحة التي تحصنهم من خطر الانحراف والانزلاق إلى متاهات التطرف والمغالاة أو الضلال والكفر. والتربية الأخلاقية السليمة القائمة على الرحمة والتفاهم والتسامح هي من صلب التربية الدينية التي تراعي تحقيق السلامة النفسية عبر التوازن الموضوعي بين المادي والروحي، وبين العلم والإيمان، وعمل الدنيا وتعمير الأرض والحرص على كسب ثواب الآخرة.

والسلامة الأخلاقية للأطفال هي سلامة لهم في حياتهم الدنيا ونجاة لهم في الآخرة، بها يكسبون محبة الناس واحترامهم وينالون رضا المولى عزوجل، وبها تبقى الأمة عزيزة شامخة ومن دونها تزول وتنتهي وكما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

**وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت**
**فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا**

فالأخلاق عامل فارق بين بقاء الأمم كقوة حية فاعلة تثري الحياة الإنسانية بفنون الحضارة وبين أن تكون، إن انعدمت، سببا لزوالها، ولنا في القصص القرآني والتاريخ درس وموعظة وعبرة.

د. عبد الله رمضاني
باحث مغربي

# النمو النفسي السليم لدى الطفل

## حنان الوالدين يحفظ الأطفال من الزيغ والانحراف

## فقدان الطفل لحب الأسرة ينمي لديه كراهية الآخر

يولد الطفل فيخيم على البيت فرحة عارمة، إلا أن ما يشغل الأبوين إلى جانب الحنان والرعاية الفطرية بالوليد؛ الإحساس بالمسؤولية وجسامتها من أجل تربيته وتهيئة البيئة المناسبة له حتى ينشأ سليم نفسيا وعقليا، ومعافى جسديا.

إن متطلبات الأطفال جميعا في مراحلهم الأولى أو حتى بعدها متقاربة ومتماثلة وإن اختلفت الطبائع والأمزجة كثيرا فيما بعد؛ فكل الأطفال يطلبون الحب والحنان والرعاية والأمن في حضن الأم أو قريبا منها، كلهم يريدون الدفء تحت هذا الرداء النفسي والروحي والمعنوي، والأم بفطرتها تمنح ذلك الحنان والحب وتؤدي تلك الرعاية المرغوبة.

إن الحب الذي تمنحه الأم للطفل، ولا يمكن لأحد أن يحل فيه محلها، هو الذي يعلم الطفل الحب، ويوازن في نفسه خط الكره الفطري الذي ينبت في النفس تلقائيا وطبيعيا؛ لأنه من خطوط الفطرة التي يولد بها الإنسان؛ فكل إنسان سوي يولد وفي نفسه مجموعة من الخطوط المتوازية المتعاكسة في الاتجاه كالخوف والرجاء، والحب والكره، والفردية والجماعية، والالتزام والتحرر. وكلها خطوط أصيلة وطبيعية في الفطرة البشرية، وتقوم بعملها في تكوين البناء النفسي للإنسان.

### أسباب الانحراف

ويرى المتخصصون في علم النفس الطفل أن الانحراف عند هذا الأخير ينشأ غالبا في الخطوط المتقابلة، فهي في حالتها السوية متوازنة ومتساوية في حدود معقولة من الميل هنا أو هناك. ولكن حين يبقى الطفل خارج دائرة التوجيه والرعاية فهو عرضة لنوع معين من الاختلال في هذه الخطوط. فمثلا: قد يحب الطفل نفسه أكثر مما ينبغي، فيتمركز حول ذاته، وبالتالي يكره الآخرين ويستقبحهم وينفر منهم. وهنا تأتي مهمة التربية لإعادة التوازن إلى هذه الخطوط المتقابلة ومنعها من الزيغ والانحراف.

وفي هذا السياق، يثمن المشتغلون بمجال التربية وعلم النفس الجهد النفسي والعاطفي الذي يبذله الوالدان نحو طفلهما، والذي ينشئ التوازن ويعيده إذا اختل، وهذا التوازن مرجعه الحب والحنان والرعاية الذي يضفيه الوالدان، والأم خصوصا، على ذلك الطفل، بالقدر المضبوط الذي يحتاج إليه، بلا زيادة ولا نقصان.

فإذا لم يجد الطفل ذلك الحب لأي سبب من الأسباب، فسوف يترتب عليه نتائج كلها سيئة على الإطلاق؛ وأبرزها أن ينمو خط الكره على حساب الحب، فتنشأ في نفس الطفل الكراهية للآخرين والحقد عليهم، فلا يرتبط برابط الحب والتعاون

الضروريين لبناء المجتمع، وينطوي على نفسه فيكون سلبيا لا ينتفع منه المجتمع بشيء.

والأم يجب عليها أن تدرك ذلك منذ البداية، وعليها أيضا أن تدرك أنه لا شيء على الإطلاق ينبغي أن يحول بينها وبين منح الطفل حاجته الطبيعية من الحب والحنان والرعاية. وأنها تفسد كيانه كله إن هي حرمته حقه من هذه المشاعر التي أودعها الله برحمته وحكمته في كيانها.

## العاطفة الأسرية

حينما تكون العاطفة الأسرية فاعلة وقوية وحاضرة لدى الطفل تكون هي المفتاح الحقيقي لكل أنواع الآداب، وهي شرط أساسي في تربية الطفل، بل توصل بعض الباحثين في هذا المجال إلى أن أهم العوامل التي تساعد الطفل على الطاعة والالتزام بالقيم هي هذه العاطفة الأسرية المشتملة على الحب والحنان والرعاية التي يشعر بها الطفل من كل أفراد الأسرة، وأن أصل هذه العاطفة هما الوالدان.

فحب الأطفال للوالدين هو رد فعل لحب الوالدين لهما، بل إن هذه العاطفة هي خير معين للطفل على استيعاب القيم، وهي توفر المناخ الملائم للنمو الخلقي في النفس. والطفل الذي لا يشعر بحب والديه، فإنه من الصعب تصور امتثاله لتربية أسرته وقيم مجتمعه.

## حدود

ويتعين على الوالدين أن يدركا، في الوقت نفسه، أن هناك قدرا مضبوطا ومحدودا من الحب والحنان والرعاية هو المطلوب، وأن الزيادة فيه كالنقص، كلاهما مفسد لكيان الطفل الذي هو رجل الغد أو امرأة الغد.

وعليه؛ فالحب والحنان والرعاية، كما رأينا، هي عناصر حيوية للنمو النفسي السليم للطفل، وللإنسان عامة، لكن حين تتجاوز حدها تنشئ الرخاوة والترهل البدني والنفسي والروحي والفكري، وتجعله غير متوازن، وغير صالح للاعتماد عليه في مهمات الأمور، ولا يعول عليه في المسائل الصعبة. والمدللون ذوو الطبائع الرخوة والمترهلة لا يقدرون على الكد والكدح، فيَتعبون في حياتهم ويُتعبون.

إن أي خلل في هذه العاطفة تجاه الطفل سيؤدي حتما إلى الجنوح والانحراف والابتعاد عن القيم المرغوبة في المجتمع، فقد ثبت من الدراسات العديدة، حول العلاقة بين الحرمان من حنان الأم والسرقة، مدى تكرار التصرفات غير المتكيفة في مؤسسات رعاية الأطفال المحرومين عاطفيا، كما أن الممارسة العملية تبرز أن غالب الجانحين والمتشردين يعانون من أحد أشكال الحرمان الدائم أو المحدد بفترة زمنية من حياتهم، وأن هذا الحرمان لا يزال قوة مؤثرة في الآلام المعنوية التي يعانونها والتي تساهم بقدر كبير في دفعهم إلى الانحراف.

وهكذا تتضح أهمية التربية الأسرية المؤسسة على منح الحب والحنان والرعاية للأطفال بكيفية معتدلة لا تفريط فيها ولا إفراط في ترسيخ القيم والمعايير التي يتبناها الوالدان، كما أنها تعتبر في حقيقتها مسؤولية أمام الله لقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (أخرجه البخاري ومسلم).

فنحن كلنا آباء وأمهات محاسبون أمام الله عزوجل عن كل فساد نحدثه في الفطرة السوية، وعن كل تضييع لطاقة كان يمكن أن تبذل في اتجاهها السليم والسوي. فإذا قدرنا هذه المسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه أبنائنا حق قدرها منذ النشأة الأولى، وراعينا جميع مراحلها ونموها حق رعايتها، وبذلنا ما في وسعنا من جهد وطاقة في الحفاظ على هذه البذرة وأسقيناها حبا وحنانا ورعاية، فإننا بذلك نكون فعلا نحب أولادنا، ونتمنى لهم استقرارا نفسيا ووجدانيا، ونضعهم على الطريق الصحيح نحو استشراف مستقبل خال من العقد النفسية والانحرافات السلوكية.

إنها تبدو مهمة صعبة في البداية، لكن مشوار الألف ميل يبدأ بالخطوة الأولى، ولا بد من التجمل بالصبر واليقظة ورباطة الجأش، لأن أولادنا هم عماد الغد، ونريدهم أن يكونوا أسوياء عقليا ووجدانيا، جسدا وروحا.

مصطفى طه عبدالغني
باحث تنمية بشرية

# مكبوتات النفس البشرية (١)

ليس من الضروري أن يكون عدوك ظاهرا واضحا لديك لكي تتعامل معه، أو تحذره، أو تحترس منه، فقد يكون عدوك داخلك وأنت لا تعلم، فمن أخطر أعداء الإنسان: القلق والتوتر والخجل، حيث إن هذا العصر الذي نعيش فيه يتسم بالسرعة المفرطة، فقد نرى مثلا أحد الموظفين خرج من بيته مسرعا إلى عمله لكي يصل في الموعد المحدد لأخذ علاوة ما، أو ترقية في عمله، فيتجاوز إشارات المرور ويسابق الريح بسيارته مما يسبب له الكثير من التوتر والقلق والانفعال والعصبية، فلم كل هذا؟ فمن الممكن أن يخرج بعد وجبة الإفطار مبكرا مبتسما ومؤديا جميع أعماله بنفس راضية هادئة مطمئنة؛ إذن فنحن المسؤولون عن قلقنا وعصبيتنا وتوترنا وانفعالاتنا، فقليل من التنظيم والهدوء تجعلنا أكثر اتزانا وثباتا.



فهنا ندرك جميعا أن الشعور بالقلق والخجل يفسدان الإحساس بكل ما هو جميل في حياتنا، فهما أمران مترابطان ولكنهما غير متطابقين، فقد سمي هذا العصر من قبل الكثير من الباحثين بعصر القلق؛ لأنه يأخذ المرتبة الأولى انتشارا بين الاضطرابات النفسية؛ ولأنه لب الصراع النفسي وأساس للاضطرابات النفسية، فقد لا يقتصر على الجانب النفسي فقط، بل يتعداه إلى أن يكون سببا في الأمراض البدنية مثل: داء السكري، والقولون العصبي وارتفاع ضغط الدم، وقرحة المعدة، وقد يكون أيضا باعثا قويا جدا للتقدم والنجاح.

**وقد عرف القلق بأنه:**

«خبرة انفعالية غير سارة، يشعر فيها الفرد بخوف أو تهديد، لكنه لا يستطيع تحديد مصدر هذا الخوف»، «فحسب إحصاءات علماء النفس لدينا فرد من كل ثلاثة أفراد يعتبر نفسه خجولا، وفرد من كل خمسة أفراد يعتبر

الحديث أمام العامة خوفا مطلقا، فعلينا أن ندرك حجم تأثير كل من القلق والخجل، وما قد يسببانه على الصحة النفسية ومزاج وسلوكيات الفرد عموما، فالإنسان ينتابه القلق بين الحين والآخر، فهو إحساس طبيعي وليس مرضيا، فالكثير من الناس يشعرون بالقلق إزاء التعرض لبعض المواقف، أو حين اتخاذ القرارات الهامة، ويعتبر القلق ثالث أكثر الحالات شيوعا في أميركا بعد الاكتئاب وشرب الكحول.

وقد عرف علماء النفس أيضا القلق بأنه «حالة داخلية من عدم الراحة»، فهو يكون مصحوبا بالشك، أو عدم المعرفة، وهو انفعال شديد الشبه بالخوف، ولكن هناك فرقا بين الخوف والقلق؛ فالقلق: إحساس نشعر به عندما نظن بأن هناك تهديدا ما.

والخوف: هو إحساس نشعر به عندما نتأكد يقينا بأن هناك تهديدا ما.

وهناك فرق أيضا بين الحياء والقلق، فالحياء: شيء يظهر من ملاحظة سلوك الفرد.

والقلق: شيء غير ظاهر حيث إنه غير كاف على أن نلاحظه من سلوك الفرد.

## بواعث القلق

يشعر الإنسان بالقلق عندما يشعر بضيق شديد؛ وذلك بسبب عدم قدرته على القيام بأشياء يحبها ويجب عليه القيام بها، حينئذ يلجأ للوم نفسه، فنحن ندرك جميعا أن القلق ليس مرضا مميتا، ولكن له تأثير على حياة الشخص ومدى كفاءتها، ومن أكثر السلوكيات شعورا بالقلق: سلوك التجنب واعتزال الناس، وسلوك الهروب من مواجهة الآخرين، وأيضا التركيز المفرط على الذات لأنه يجعل الشخص يشعر بقلق دائم، فعلى الفرد أن ينقل تركيزه من نفسه إلى الآخرين؛ لكي يهرب من دوامة القلق والصراعات النفسية.

يقول الدكتور بيتر كلار أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا بأميركا: إن القلق يفقد الإنسان بهجة الحياة، مما يجعل الإنسان، يصاب باليأس، فلا يهتم بصحته، مما يجلب على نفسه الشيخوخة المبكرة.

وضعف الإيمان من أهم أسباب القلق لدى الفرد، والتفكير في ما هو مقبل عليه في المستقبل، والتفكير الزائد في الرزق وكيف سيأتي، وكثرة المعاصي التي تجعل القلب والعقل يحملان قلقا وهما نتيجة لما اقترفه الفرد من الذنوب وما يتوقعه من نزول العقوبة من رب العالمين.

يقول عزوجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه:١٢٤).

## ومن أعراض القلق

صعوبة في النوم.. الخمول والكسل.. صعوبة في الهضم.. مشاكل تواجه الشخص دائم القلق مع الآخرين.

## للقلق أمثلة عديدة وصور كثيرة منها:

١- قلق التحدث أمام العامة.
٢- الخوف من لقاء الجنس الآخر.
٣- القلق من مواجهة الامتحانات.
٤- القلق حول الأداء الرياضي.
٥- الخوف من المواقف التفاعلية مع الآخرين.
٦- الخوف من الذهاب للمدرسة.

قد يتساءل أحدنا هل هناك فرق بين القلق الطبيعي والقلق المرضي؟

القلق الطبيعي: ليس ناتجا من أفكار الفرد، أو من داخله، بل من المحيط الخارجي وهو طبيعي ومطلوب في حياة الفرد.

أما القلق المرضي: فسماه العلماء «عصاب القلق»، وهو ينبع من داخل الفرد نتيجة ضغوط، أو كثرة تفكير في أمر ما، فقد يؤدي إلى التوتر والخوف الدائم والمستمر، وقد يصل القلق بنا إلى مضاعفات فعلينا أن ننتبه فمن تلك المضاعفات؛ الاكتئاب، الوحدة، التقدير الضعيف للذات، الإحباط.

## بعض الحلول التي تساعدك على التخلص من القلق

١- القرآن الكريم فيه شفاء من جميع الأمراض النفسية، وعلى رأسها التوتر والقلق.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

فإذا اطمأن القلب انشرح الصدر وذهبت الهموم وقضينا على التوتر والقلق.

٢- يجب على الإنسان أن يكون على يقين بأن الله وحده هو مفرج الكروب والهموم.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ (يونس:١٠٧).

٣- قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الرعد:١١)، فالعلاج في كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ، فعليك أن تدرك أن لديك قلقا تعاني منه بالفعل، ثم عليك بتحديد ذلك النمط من القلق.

٤- تذكر قول نبينا المصطفى ﷺ «عجبا لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له» (صحيح مسلم).

٥- أن تشغل وقتك بالطاعات حتى لا تشغلك نفسك بالمعصية.

٦- أن تغير طريقة التفكير، والإحساس عند الاقتراب من المشكلة.

٧- أن تغير سلوكياتك التي توحي بالقلق.

٨- إن تضاعفت حدة القلق والخجل لديك، فعليك أن تضع المعالجة النفسية من الحلول المتاحة لديك.

٩- أن تثق بنفسك وتكون على يقين بأن حلول تلك المشكلة بيد الله أولا ثم بيدك.

١٠- التغلب على الأفكار المثيرة للقلق وأهمها التفكير في كل شيء والتفكير التشاؤمي.

أما عن الخجل: فهو ميل الفرد إلى الانسحاب من أمام الآخرين، وخاصة الذين لا يعرفهم، فالخجل يكون موجودا بالفعل حينما يشعر الشخص بعدم الارتياح مع ذاته ومع الآخرين، فإن زاد الخجل تحول إلى خوف، فبعض علماء النفس يطلقون عليه الرهاب الاجتماعي؛ نظرا لما يحتويه من قلق وارتباك دائم للشخص، فيلجأ دائما إلى عدم مواجهة الناس والابتعاد عنهم وتجنب التفاعل معهم، أو حتى الاختلاط بهم.

● فنحن نصف الفرد بأنه خجول إذا كان يميل إلى الصمت وهو بصحبة آخرين ويشعر بضيق وتوتر وهو بوسط جماعة من الأفراد، ويكره أن تسلط الأضواء عليه، وأن يكون موضع اهتمام الآخرين ومحل النقاش.

● كيف تتعرف على الشخص الخجول؟

الشخص الخجول لديه صفات وسلوكات معينة تميزه عن غيره من الناس منها:

- الانطواء: يلجأ الشخص الخجول عادة إلى الانطواء؛ لكي يتجنب مواجهة الناس والاحتكاك بهم.

- الارتباك عند التحدث أمام العامة.

- الانسحاب المتكرر من مواقف التواصل الاجتماعي.

- لديه اضطراب وتقلب في المشاعر.

- التكبر: بعض الناس يصف الشخص الخجول بالمتكبر؛ لأنه يميل إلى الاختصار وعدم التحدث كثيرا مع الناس.

## ومن أعراض الخجل:

١- الهروب عند أي مواجهة تجمع بينه وبين الناس.

٢- سرعة دقات قلبه.

٣- الخوف الشديد والكثير من العرق.

٤- التلعثم بالكلام أحيانا، والنسيان أحيانا أخرى.

● وحسب رأي خبراء الصحة النفسية، فإن الخجل الشديد يعود لأسباب هي:

- أسباب وراثية: وراثة عن الآباء والأمهات.

- أسباب بيولوجية: فسيولوجية الدماغ عند الصغار تهيئهم للاستجابة لظاهرة الخجل.

- أسباب بيئية: في البيت، أو في المدرسة.

- أسباب صحية: منها نقص في تغذية الأم حين كانت حاملا به، أو لوجود خلل في الجهاز العصبي لديها.

● سنتحدث هنا عن الحلول التربوية والنفسية للخجل وليست الحلول الدوائية الطبية وهي في خطوات كالتالي:

١- إدراك الشخص الخجول حاجته للتغيير قبل كل شيء.

٢- أن يكسر حاجز الخجل بكثرة التواصل مع الآخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي، أو الاتصال، أو المقابلات مع الأصدقاء، أو غيرها، وذلك عبر تعلم فن التواصل مع الآخرين.

٣- لا يأتي الانخراط والتفاعل مع الناس مرة واحدة، بل بالتدرج والتسلسل لكي نبتعد عن الصدمات.

٤- هناك برامج تربوية ونفسية علينا أن نبحث عنها ونتعلم منها من قبل الأطباء النفسيين.

٥- اعتزاز المرء بنفسه وثقته بها لها عامل كبير في التغير والتحول من حال إلى حال.

٦- محاولة التخلص من الأفكار السلبية؛ لأنها دائما ستحول بينه وبين التخلص من الخجل.

٧- محاولة تجاهل الفرد لكل ما يضايقه من مشاكل، أو غيرها ولا يلقي لها بالا.

إسراء طلعت
دار الإعلام العربية

# كيف نتعامل مع أبنائنا تاركي الصلاة؟

يحرص كثير من الآباء والأمهات على تعليم أبنائهم الصلاة منذ سن السابعة وفق التوجيه النبوي الشريف، لكنهم لا يداومون عليها، ومن ثم ينحرف بعضهم عن الصلاة، حتى أنه قد يتركها بالكلية، الأمر الذي يوقع الآباء في حيرة وقلق شديدين؛ لإدراكهم أنهم مسؤولون عن تقويم أبنائهم، وفقا لقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»... «الوعي الإسلامي» سألت عددا من العلماء والمختصين، وجاءتكم بوصفة للتعامل الأمثل مع هذه الأزمة.

في البداية، يوجه د. جمال فاروق، عميد كلية الدعوة بجامعة الأزهر، بعض النصائح للآباء والأمهات للتعامل مع أبنائهم الذين يتركون الصلاة، قائلا: قال الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ (طه:١٣٢)، هي خير وصفة جاءت في القرآن الكريم لولي الأمر للتعامل مع أبنائه وأهل بيته المتقاعسين عن الصلاة؛ فلذلك إذا وجد الأب أن ابنه أو ابنته يتركان الصلاة أو لا ينتظمان فيها، فعليه أن يذكرهما بها إذا تركاها، ويصطحب معه الذكور من أبنائه للصلاة في المسجد، وينبه على الإناث بأدائها في المنزل، هكذا يكون تعويد الأطفال والأبناء على الصلاة.

**د. جمال: «الاصطبار» خير وصفة لتارك الصلاة مع النصح والترغيب**

وأما إذا كان الأبناء فوق سن الـ١٤ عاما، فعلى ولي الأمر أن يأمرهم بأداء الصلاة، ملتزما بالصبر، وعدم استخدام العنف في ذلك، ثم يبدأ كل من الأب والأم بالنصيحة والوعظ بأهمية الصلاة وفوائدها، مع ربطها بالمواقف اليومية، وأن الصلاة هي صلة العبد بربه، إذا وصلها وصله الله، وإذا تركها انقطعت صلته بالله.

وشدد د. جمال على ضرورة أن يتحرى الآباء والأمهات الصحبة الطيبة لأبنائهم وفتياتهم، وخلق مجال للحوار والنقاش معهم بشكل دوري، لمعرفة ما ينقله لهم أصدقاؤهم، علاوة على استخدام أسلوب الترغيب، بتقديم الهدايا والمحفزات المادية والمعنوية لمن يؤدي

صلاته؛ لأن أسلوب القسوة والعنف ينفر الأبناء تماما من الصلاة، وعلى أولياء الأمور الدعاء لأبنائهم بالهداية والالتزام.

## كن قدوة لأبنائك

ويوضح د. محمد الكيلاني، وكيل وزارة الأوقاف، أن «الاصطبار» على تارك الصلاة، وعدم نهره، أو تعنيفه، لعدم تنفيذ أمر الصلاة، هو الفيصل في التعامل، سواء كان ابنا أو أختا أو زوجة، لافتا إلى أن الله تعالى حين تحدث عن الأمر بالصلاة قال: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾، فقد استخدم الله هنا لفظ «اصطبر» وليس الصبر؛ لأن الاصطبار أقوى من كلمة «الصبر» لغويا؛ لأن الصلاة تحتاج إلى وقت، ومجاهدة، وهدوء على الأمر. وأشار إلى أن الأب هو المسؤول عن رعيته، وعليه أن يأمر أهله بالصلاة، ويكرر الأمر بها، مع الصبر.

وأكد الكيلاني أهمية القدوة الحسنة في البيت المسلم؛ فالأب قدوة لأبنائه وأهل بيته، فعندما يأمرهم بالصلاة يتعين عليه، أولا، أن يؤديها فور سماعه الأذان، ملبيا نداء الرحمن، مصطحبا معه ابنه إلى المسجد منذ صغره، ليعتاد على ذلك؛ فإن «من شب على شيء شاب عليه»، إذن فدور الأب أن يعود ابنه، منذ الصغر، على الصلاة، والمداومة عليها؛ ليزرع في قلبه حب التعلق بالمساجد، وأداء فروض المولى، عز وجل، في أوقاتها.

## ترغيب وإثابة

وقال أشرف سعد، من علماء الأزهر الشريف: إن رسول الله ﷺ، وضع منهجا لتعليم الأبناء الصلاة، والالتزام بها حين قال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»؛ لذلك يجب على الأب أن يعلم أطفاله منذ نعومة أظافرهم الصلاة حين يبلغون سن السابعة، ويكونون مدركين تماما لأدائها من خلال الترغيب والتشجيع وإثابتهم بالالتزام بها، وحدد النبي ﷺ سن السابعة؛ لأن اكتمال التكوين الكلي للعقل عند الأطفال يكون في هذه السن، فإذا تركوها، ولم يلتزموا بها بعد أن يصلوا إلى سن العاشرة، يحق للأب ضرب أبنائه على تركهم لها.

**د. الكيلاني: الأب قدوة لأبنائه وعليه المواظبة على الصلاة في وقتها**

وشدد على أهمية تعويد الأطفال على الصلاة من الصغر؛ لأنه كما تقول الحكمة: إن «العلم في الصغر كالنقش على الحجر»؛ يعني أن تأسيس الأبناء على القناعة التامة بأن الصلاة هي عماد الدين، يجعلهم مواظبين عليها في كبرهم. أيضا من المهم توضيح حكم تارك الصلاة، وعقوبته، حتى يرتدع الأبناء، ومن ذلك ما قاله الإمام ابن القيم عن حكم تارك الصلاة أنه: «لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدا من أعظم الذنوب والكبائر، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم الكبائر كلها، من قتل النفس، وأخذ المال، ومن إثم الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأنه متعرض لعقوبة الله، وسخطه، وخزيه في الدنيا والآخرة»... فإن من الأبناء من لا يستجيب للترغيب، فيكون التعامل معه في هذه الحالة بالترهيب.

**د.درويش: ابحثوا عن أسباب انشغالهم عن الصلاة واعملوا على تفكيكها**

## محاكاة

ويرى د. عبدالحميد درويش، أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب جامعة القاهرة، أن طريقة التقليد والمحاكاة هي أفضل طريقة لكي يتعلم الأبناء الصلاة والمداومة عليها؛ حيث نجد أن الأطفال، دون أن يدركوا ما يفعلون، يقلدون آباءهم في بعض حركات الصلاة والوضوء، وكذلك المشي والحركة؛ لذلك يجب على الآباء والأمهات أن يأخذوا من أفعالهم مأخذ الجد، ويبدأوا في توجيه أبنائهم خطوة بخطوة حتى يتموا تعليمهم الصلاة، ومن ثم يحثونهم أولا بأول على أداء كل فريضة.

وطالب د. درويش، أولياء الأمور بضرورة البحث عن أسباب الانشغال عن الصلاة، ودراستها جيدا، والعمل على تفكيكها، بالإضافة إلى إبعاد الأبناء عن المؤثرات الخارجية، وأي شيء يشغلهم عن الصلاة، سواء كانت وسائل التواصل الاجتماعي، أو الإنترنت، أو وسائل الترفيه الحديثة. وأشار إلى أهمية دور الإعلام في نقل مشاهد الصلاة، من المساجد والمناسبات والشعائر الإسلامية، بما يحفز الأبناء على أداء الصلوات في جماعة، علاوة على مجالسة كبار السن، والاستماع لحكايات وقصص

الجدات والأجداد عن الأسرة، وخصوصا ما يربط منها الالتزام بأوامر الدين بالنجاح.

## جنبوهم سبل الإلهاء

ويرى د. محمد عباس، عميد كلية التربية بجامعة الأزهر سابقا، أنه ينبغي تدريب الأطفال، الذين يبلغون من العمر ٧ سنوات، على الصلاة، وأن يواظبوا عليها، كالأكل والشرب والرياضة، كما ينبغي أن نغرس في نفوسهم مفهوم أنهم خلقوا للعبادة، والمواظبة عليها، وإذا تركوا الصلاة عند بلوغهم الحلم فيجب تأديبهم بالضرب غير المبرح، مشيرا إلى أهمية متابعة ما يشاهده الأبناء عبر وسائل الإعلام والتواصل الحديثة، والتي تلهيهم عن العبادة والصلاة، بالإضافة إلى ضرورة التناصح والارشاد والحث والوعظ والترغيب في الصلاة، والترهيب من تركها، ماداموا بلغوا الحلم فهم مسؤولون عن تصرفاتهم.

ويجب على الأب أن يتبع بعض الأساليب، التي قد تؤثر في نفوس أبنائه إذا تركوا الصلاة، كنوع من العقاب، فمثلا للأب أو الأم الامتناع عن تناول الطعام مع أبنائهم تاركي الصلاة؛ حتى يستشعر الأبناء غضب آبائهم وأمهاتهم، وكذلك غضب المولى عزوجل عليهم بسبب ترك الصلاة.

## اتساق

أما د. محمد خطاب أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس، فيرى أن المواظبة على الصلاة تأتي من خلال نظرية «التعلم بالمحاكاة» والتي تحفر داخل العقل الباطن للأبناء

**د. محمد عباس: جنبوهم سبل الإلهاء وتابعوا نصحهم وتقويمهم**

هذا الأمر، فهم عندما يرون آباءهم يصلون، ويؤدون عباداتهم بانتظام، أو يتبعون أي سلوك أو عادة معينة، فإنه يترسخ في أذهانهم ما يفعله آباؤهم، وبالتالي يقلدون آباءهم في هذا الفعل، وبالإضافة إلى هذه النظرية هناك تأثير ما يسمى بـ«الأنا العليا»، التي تتكون من خلال القيم التي يغرسها الآباء في أبنائهم. ويتعين على الآباء توجيه أمر الصلاة للأبناء بالحسنى، والنصح والإرشاد، دون توبيخ، كما ينبغي تجنب اللجوء للضرب القاسي، الذى يترك في نفوسهم أثرا سيئا؛ قد ينفرهم تماما من الصلاة، ومن أدائها، أو يجعلهم يؤدونها عند الضغط عليهم كعادة وليس كعبادة. وأوضح د.خطاب أنه في الآونة الأخيرة، ازدادت معدلات الإلحاد، بسبب التضييق، وسوء معاملة الآباء لأبنائهم.

## مراقبة ذاتية

من جانبه، يقول د. جمال عبدالمطلب، أستاذ علم الاجتماع بجامعة بني سويف: إنه يجب على الآباء أن يربوا أولادهم على قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق:١٤)، أي استحضار الرقابة الذاتية عن طريق تنمية عبادة الإخلاص لله وحده، وأن الله ينادي على عباده في كل صلاة، حتى لا يصلي خوفا من والديه، بل حبا وتعظيما، ورغبة ورهبة لله، فسيصلي الأبناء في غياب آبائهم. وأكد ضرورة ألا تظهر الأسرة اليأس من إصلاح أبنائها.

**أشرف سعد: عرفوهم حكم تاركها.. ومن لا يستجيب للترغيب فبالترهيب**

وأكد أنه يجب على الآباء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم تقديم أمور الآخرة والعبادات على أمور الدنيا في جميع الأحوال؛ ليتعود الابن أو الابنة على أن الأولوية للعبادات في كل شيء، كأن يذكر الأب لابنه أن أداء الصلاة في وقتها أهم من أداء الواجبات المدرسية، وإدراك ركعة أولى من إدراك لعبة كرة القدم، وأن مراعاة أوقات الصلاة أهم من مراعاة صديق، أو مكالمة هاتفية، أو برنامج في التلفزيون، وهكذا. ومن المهم أيضا اختيار صحبة طيبة، وبيئة مناسبة، تساعد الابن على أداء الصلاة، ويجب على أولياء الأمور أن يتابعوا مع المدارس، مواظبة الأبناء على أداء الصلاة، التي يحين وقتها أثناء وجودهم في المدرسة، وينبغي إثابة وتحفيز من يصلي الفجر في جماعة يوميا، بالإضافة إلى استغلال الاجتماعات العائلية لأداء الصلاة في جماعة، الصغار مع الكبار، كذلك أن يؤدي الأبوان الصلاة في جماعة معا، وليس منفردين، كل هذه الأمور تحفز الأطفال والأبناء على الاستمرار في أداء الصلاة في أوقاتها.

شيماء بدير
كاتبة مصرية

# استقرار الأسرة المسلمة.. قواعد وأسس

جعل الله سبحانه وتعالى الأسرة أساس بناء المجتمعات الإنسانية كلها، فإنها إن صلحت كان بها صلاح المجتمع ونموه وتقدمه؛ لذلك اهتم الدين الإسلامي بالأسرة منذ بداية تكوينها، فالزوج والزوجة إذا بنيا بيتهما على طاعة الله شملهما الله برعايته وتوفيقه، أما إذا قام هذا البنيان على معصية فقد يخرج بذلك من رعاية الله إلى رعاية الشيطان ليتولى إفساد هذه الأسرة ويقودها إلى مهاوي التهلكة، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء:١)، وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١).

وقد بيّن الرسول ﷺ قدر الأسرة وعظم دورها وأنها أمانة ومسؤولية يحاسب عليها كل من قام بأمرها يوم القيامة، حيث قال: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

ومن أهم العناصر المؤسسة لاستقرار الأسرة؛ حسن اختيار شريك الحياة (سواء الزوجة أو الزوج) القائم على التوافق بين الطباع والنفوس والثقافات بما يجعل المجتمع أكثر قوة ومتانة وأشد صلة وألفة بين أفراده؛ ولقد تحدث الإسلام عن هذه المسألة واعتبرها الأساس الذي تقوم عليه الأسرة المسلمة، فالإسلام يأمر الرجل أن يكون هدفه نبيلا وغايته شريفة، فيطلب المرأة ويختارها لدينها لا لجمالها، ولورعها ونبلها لا لأموالها.

### أسس الاختيار

ويعد صلاح أمر الدين من أهم القواعد التي يقوم عليها اختيار شريك الحياة، قال رسول الله ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» (ابن ماجه)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري ومسلم). وليس في الحديث أمر أو ترغيب في نكاح المرأة لأجل جمالها أو حسبها أو مالها، وإنما المعنى أن هذه مقاصد الناس في الزواج، فمنهم من يبحث عن ذات الجمال، ومنهم من يطلب الحسب، ومنهم من يرغب في المال، ومنهم من يتزوج المرأة لدينها، وهو ما رغب فيه النبي ﷺ بقوله: «فاظفر بذات الدين تربت يداك».

كذلك فإن من أسس الاختيار أيضا الحياء، قال النبي ﷺ: «لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء». والطاعة أيضا تعد واحدة من هذه الأسس فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق» (رواه ابن حبان، وأحمد وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة).

وتعد هذه الأمور الآنف ذكرها من دعائم استقرار الأسرة والأحرى لدوام هدوئها واستمرار معيشتها.

كذلك فإن المرأة أيضا معنية بحسن اختيار الزوج ووليها مأمور باتباع مجموعة من القواعد عند تزويجها، نذكر منها ما يلي:

## جواز عرض زواج الفتاة على الرجل الصالح

يجوز لولي أمر الفتاة أن يعرضها للزواج إذا وجد شابا صالحا، مثلما عرض الشيخ الصالح ابنته على نبي الله موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (القصص:٢٧).

فصاحب مدين عرض ابنته على نبي الله موسى عليه السلام، وقد جاء غريبا مهاجرا ولم يتحرج من هذا العرض، ولم يشترط في موسى أن يكون من قومه أو وطنه أو جلدته وإنما اكتفى بشرط هو الدين والخلق والكفاءة.

## البساطة والتيسير

من الأمور المستحدثة التي باتت عقبة أمام إتمام أمر الله في الزواج هو المغالاة في المهور وتحول الزواج لصفقة تجارية؛ يريد الكل الخروج منها رابحا، وهو ما يخالف روح الإسلام الذي دعا إلى البساطة والتيسير في مطالب الزواج عملا بقوله ﷺ: «أعظم النكاح بركة أيسره صداقا» (رواه أحمد والبيهقي)؛ لأنه لا طمع فيه.

ولنتأمل معا قصة سعيد بن المسيب رضي الله عنه حين طلب أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان ابنة سعيد بن المسيب لابنه الوليد، فرفض سعيد ابن المسيب إمام التابعين وسيدهم، ورعًا ومخافة من الله تعالى أن تعيش ابنته في بيت الخلافة. وفي أحد الأيام تفقد سعيد بن المسيب تلامذته فوجد أحدهم وهو عبدالله ابن أبي وداعة قد غاب عن حضور الدرس، فلما أتاه بعد ذلك، قال: لم تغيبت بالأمس؟ قال: ماتت زوجتي، قال: ألا تريد أن تتزوج؟ قال: ليس معي مال، قال: وما عندك، قال: درهمين فقال سعيد بن المسيب زوجتك ابنتي على درهمين.

## الاستعداد للزواج

من الصواب أن من يمضي إلى عمل لابد أن يؤهل نفسه لذلك، فما بالنا بمن يقبل على أمر الزواج الذي تقوم عليه الأسرة نواة المجتمع المسلم؛ لذلك كان من أوجب الواجبات تأهيل المقبلين على الزواج (رجالا ونساء) وتدريبهم على تحمل هذه المسؤولية الجديدة وبيان حقوق الزوجين وأبنائهما مستقبلا، وما أوجبه عليهم هذا الميثاق الغليظ من أمور؛ كنفقة الزوج على زوجته وعياله وتوفير حياة كريمة لهم وتربيتهم تربية صالحة، وأيضا طاعة الزوجة لزوجها، والحفاظ عليه وعلى ماله وأولاده في السر قبل العلن، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ (النساء:٣٤).

**صلاح أمر الدين من أهم قواعد اختيار شريك الحياة**

## الإحسان

أوصى النبي ﷺ بالإحسان بين الزوجين، وحث النساء على ذلك، حيث قال: «لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه» (النسائي والبزار)، ويقول ﷺ: «يا معشر النساء إني رأيتكن أكثر أهل النار، قالوا: مم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكفرن، قلن: نكفر بالله؟ قال: تكفرن العشير (أي الزوج) لو أحسن الزوج إليكن الدهر كله ثم أساء قلتن: ما رأينا منك خيرا قط» (رواه البخاري).

## الإسلام والمشاكل الزوجية

إن الحياة الزوجية كغيرها من أمور الحياة تمر باليسر والعسر وتواجهها العقبات والمسرات والاختبارات والابتلاءات، ولا يكاد بيت يخلو من المشاكل، والحفاظ على أسرار البيوت والعلاقة الزوجية من الواجبات التي شدد الإسلام على قدسيتها، وحرّم إفشاءها، وتوعد من يفعل ذلك بسوء العاقبة، فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها». وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها» (صحيح مسلم).

وبالرغم من أن نبينا محمد ﷺ أفضل البشر وأن نساءه أمهات المؤمنين، فإنه لم يخل بيته من تلك المشكلات المعتادة في البيوت. ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة بالصبر والتحمل والرفق بالزوجات.

فيصل سليمان حسن
إعلامي وباحث أكاديمي



# قصور الانتباه وفرط الحركة عند الكبار

**أحمد رجل في الخامسة والثلاثين من العمر، يأخذ عليه زملاء العمل والناس المقربون منه عدم التزامه بالمواعيد التي يقطعها لهم، على الرغم من أقواله المتكررة أنه يحاول أن يلزم نفسه بها، كما يأخذون عليه ضعف متابعته وإدراكه للقضايا التي يطرحونها، وتكون مدار حديثهم، وتكون عبارته اليتيمة «أنا ما فهمت. اشرحوا لي»، وهي الحالة ذاتها التي تسود مع رب العمل الذي لا تقتصر شكواه فقط من كثرة التأخر وعدم الالتزام بالأوقات المحددة للعمل، وإنما تمتد لتشمل الفوضى التي يعيشها في تعامله مع جدول الواجبات، ويعتقد أنها السبب في تدني مستوى إنتاجه قياسا بأقرانه، غير أن المعاناة الحقيقية الكبرى تتمثل في أسرة أحمد؛ حيث تؤكد زوجته أنها لا تكاد تعاتبه حول أي تقصير بسيط حتى تنفجر عصبيته في وجهها لأتفه الأسباب، وهي تشكو طبع التسويف والمماطلة في تأمين حاجيات البيت، وفشل تنظيمه وقته وواجباته، كما تشكو تغييره حرفا وأعمالا كثيرة دون أن ينجح بتحقيق أي هدف منها، لدرجة تسير حياته من فشل إلى آخر.**

يمثل أحمد نموذجا للرجل المصاب باضطرابي قصور الانتباه وفرط الحركة، وهما اضطرابان غالبا ما يكونان متلازمين، ويسودان عند شريحة واسعة من الأطفال، ويصنفان على أنهما من اضطرابات صعوبات التعلم عند الصغار، لذلك يستغرب الكثير من الناس أن يعاني منهما البالغون، غير مدركين الحقيقة التي يؤكدها خبراء صعوبات التعلم المتمثلة في أن نسبة تتراوح بين ٣٠ في المئة و٧٠ بالمئة من الأطفال الذين يعانون قصورا في الانتباه وفرطا في الحركة يحملون معهم أعراض هذين الاضطرابين إلى سن البلوغ والمراحل العمرية اللاحقة لها (١)، حيث يعاني البالغون المصابون اختلالا في نشاط السيالات العصبية داخل مناطق المخ المتحكمة في وظيفة الانتباه، ما يؤدي إلى الفشل في التركيز والانتباه، والفهم والتخطيط، وبالتالي إلى

إعاقة تقدمهم الوظيفي والمعيشي وطموحاتهم، واضطراب علاقاتهم بالآخرين المحيطين بهم، لكن ما يزيد الطين بلة أن الكثير من البالغين المصابين بقصور في الانتباه وبفرط في الحركة لا يدركون إصابتهم ولا يعلمون عنها (٢)، غير أنهم يتألمون من صعوبة تحقيق أهدافهم وطموحاتهم في الحياة، متسائلين عن السبب الذي غالبا ما يلقونه على «الآخرين» وحظهم «العاثر»!

## مظاهر وأعراض

تظهر مجموعة من الأعراض عند البالغين الكبار المصابين باضطرابي قصور الانتباه «Attention deficit» وفرط الحركة «Hyperactivity disorder» (٣)، تبدو بعضها جلية في سماتهم الشخصية الذاتية بشكل مباشر كالفشل في تنظيم الحياة الشخصية بما فيها من مهمات وأهداف وأوقات، والجنوح نحو التردد والتسويف والمماطلة واضطراب الثقة بالنفس وضعفها، ولاسيما عند اتخاذ قرارات مصيرية، وضعف التحكم بمشاعر الغضب والانفعال، حيث يصبح البالغ المصاب عرضة لثورة غاضبة تطلق العنان للمشاعر السلبية والتفكير السلبي حول أي موضوع يعيقه (٤)، بالإضافة لتدني الحصيلة المعرفية والفكرية من موضوعات قرائية أو سمعية أو مرئية وفق ما تعكسه «التغذية الراجعة «Feedback»، وإذا ما نظرنا إلى الجو المحيط الذي يعيشون فيه (كالبيت، المكتب، مكان العمل) وجدناه غير مرتب، تتبعثر أشياؤه بفوضى.

والحقيقة أن الأعراض الذاتية (نفسيا واجتماعيا) للبالغين المصابين بقصور الانتباه وفرط الحركة هي بحد ذاتها أمر محبط، لأنها تدعو للإحساس بالألم والمعاناة وبصور عديدة للفشل، ما يجعلهم عرضة للاكتئاب «Depression disorder» بآثاره السلبية، وللقلق «Anxiety» والوسواس القهري «Obsessive–compulsive disorder» وأمراض التوتر والإحساسات السلبية حول الحياة والفاعلية وتحقيق الأهداف والتطلعات والذات إجمالا (٥).

كذلك تبدو بعض أعراض قصور الانتباه وفرط الحركة عند الكبار المصابين، بشكل غير مباشر والتي تحتاج إلى فترات زمنية لتشخيصها واستنتاجها، وتتمثل في مجموعة من الجوانب العملية والاجتماعية والاقتصادية يمكن إجمالها فيما يأتي:

**بعض أعراضهما يمكن أن تظهر على الأشخاص الأسوياء**

– أعراض في العمل؛ يفرز قصور الانتباه وفرط الحركة على العمال المصابين بهما صعوبة حقيقية في إتمام المهام والواجبات الوظيفية التي يكلفون بها، نظرا لعدم قدرتهم على الإحاطة بالشروط الموضوعية اللازمة لها، كالفهم الوافي والالتزام المناسب، ذلك بالإضافة إلى عدم مقدرتهم على البقاء منظمين ومحافظين على مواعيد أداء الأعمال وإتمامها بشكل ناجح، مثلما هو الحال مع أقرانهم الأسوياء، وهذا معناه أن العمال المصابين بقصور الانتباه وفرط الحركة يتصفون بأداء وظيفي وحرفي ومهني متدن، ما يشكل خطرا على احتفاظهم بوظائفهم وانخفاضا في دخلهم مقارنة بأقرانهم الأصحاء (٦). وبالطبع فإن لذلك تأثيرا سلبيا لا يخفى على وضعهم الاجتماعي والأسري.

**المصابون بها يتصفون بأداء وظيفي متدن**

– أعراض في الأسرة؛ إذا كان المصابون بقصور الانتباه وفرط الحركة يتصفون بأداء وظيفي وحرفي ومهني متدن ويعانون انخفاضا في دخلهم المعيشي فإن ذلك يرخي بظلاله السلبية الخطيرة على العلاقات الأسرية والزوجية، حيث يصبح تواضع الدخل المعيشي أمام التزايد المطرد لاحتياجات الزواج والأسرة مادة لصراعات وخلافات زوجية أليمة، وما يزيد الوضع سوءا أن قصور الانتباه وفرط الحركة يَحُولان دون تذكر المصابين الارتباطات والمناسبات الزوجية والاجتماعية المعتادة والتي لها وقع خاص، والقيام بالمطلوب، ما يسعر الصراعات والخلافات داخل البيت الزوجي والأسرة (٧)، وإذا أضفنا فقدان المصابين للأعصاب بسهولة وعدم قدرتهم على ضبط المشاعر السلبية والإقدام بسهولة على سلوكيات متهورة مبالغ فيها، فإن ذلك يزيد حالات الانفصال والطلاق (٨). ولنا أن نتصور الجو السلبي القاتم الذي يعيشه الزوج ويعيشه الأبناء أيضا، وما عساها تكون مخرجاته إلى المجتمع؟!

– أعراض في المجتمع، تمتد الظلال السلبية التي يرخيها قصور الانتباه وفرط الحركة لدى المصابين البالغين لتشمل الحياة الاجتماعية التي يعيشونها، حيث تتأثر سلبا علاقاتهم مع محيطهم الاجتماعي بصورة كبيرة، بسبب الخلل الذي يعانونه في الانتباه إلى الموضوعات الاجتماعية كالالتزامات والواجبات والعادات والتقاليد ومتابعتها بشكل ناجح، بالإضافة إلى الخلل الذي يعانونه في فرط الحركة التي غالبا ما تدفعهم إلى بعثرة نشاطاتهم في فوضى لا طائل ولا نفع منها، ما يؤدي إلى تلاشي حركتهم ومساهماتهم في البناء الاجتماعي السليم إجمالا، ولاشك أن هذه الظلال السلبية سوف



تشتد خطورتها فيما لو كان المصابون البالغون من المدمنين والمدخنين.

## أسباب القصور

في الحقيقة إن اضطرابي قصور الانتباه وفرط الحركة لا يصيبان الكبار البالغين بصورة فجائية دون مقدمات، فلابد من توافر أسباب وراثية وبيئية ونفسية واجتماعية وغيرها.. وقد كانت هذه الإشكالية مثار نقاش حار حيال الأولوية والأهمية والتداخل المعقد بين المختصين والخبراء والاستشاريين الذين أجمعوا على أنه لا يوجد سبب واحد مباشر في نشأة هذين الاضطرابين، وإنما ثمة مجموعة أسباب معقدة متداخلة، نجملها فيما يأتي:

يؤكد علماء النفس والاجتماع وخبراء السلوك وصعوبات التعلم أن نسبة تتراوح بين ٣٠ في المئة و٧٠ في المئة من الأطفال الذين يعانون قصورا في الانتباه وفرطا في الحركة يحملون معهم أعراض هذين الاضطرابين إلى سن البلوغ والمراحل العمرية اللاحقة لها (٩)، وهذا معناه أن المصابين الكبار البالغين لهم تاريخ طويل مع هذين الاضطرابين، عانوا منذ صغرهم من أعراضهما وأسبابهما وتأثيراته، حتى ولو لم يتم تشخيصهم في ذلك الوقت، وأنه لابد أن يتم أخذ ذلك بعين الاعتبار، ولاسيما أسباب وآثار قصور الانتباه وفرط الحركة في مرحلة الطفولة، أثناء تشخيص الأعراض عند الكبار والبحث عن الحلول الناجعة (١٠).

والحقيقة أن الأسباب الوراثية، وإن كانت تتفاوت في الحدة والتأثير خلال حياة المصابين الكبار، لكنها تظل حاضرة بشدة في هذين الاضطرابين، حيث تعد العوامل الوراثية سببا رئيسيا في الإصابة بهما وفق ما أكدته دراسات التوائم؛ حيث أشارت إلى أنها وراء ٧٥ في المئة من الحالات، ما جعل الباحثين والمختصين والاستشاريين يعتبرونه ضمن الاضطرابات الوراثية «Genetic disorders» إلى حد كبير، عندما وجدوا أن الغالبية العظمى من الحالات المرضية تنشأ عن مجموعة من الجينات المختلفة بينها «ناقلات الدوبامين، مستقبلات الدوبامين D٢/D٣، مستقبلات الأدرينالين A٢، وإنزيم الكاتيولامين...» وغيرها.

وأشار الباحثون وعلماء النفس والاجتماع والاستشاريون إلى أنه لابد لهذه العوامل الوراثية أن تتفاعل بشكل معقد مع أسباب أخرى كالأسباب الذاتية المتصلة بالشخصية التي يعيشها المصاب، والأسباب البيئية ولاسيما الاجتماعية التي يحيا فيها، لحصول الاضطراب.

## التشخيص

لابد من الإشارة بداية إلى أن تفاعل الأسباب المؤدية لاضطرابي قصور الانتباه وفرط الحركة يفرز تعقيدا في الحالة، وبالتالي جهودا أكثر نشاطا وإصرارا وحكمة في التشخيص ولاسيما أن هذا النوع من الاضطرابات النفسية والسلوكية متقاربة الأعراض والتأثير في أحيان ومتداخلة في أحايين كثيرة، وعلى كل حال فإن العبرة في التشخيص تكمن في معرفة ما إذا كانت هذه الأعراض موجودة في مرحلة الطفولة أم لا، وإن لم تكن قد شخصت وقتئذ، ما يفرض معرفة التاريخ المرضي بدقة للأعراض منذ الطفولة بالإضافة إلى معرفة الأدلة المؤيدة للحالة من أفراد العائلة والمحيط الاجتماعي، وهنا لابد من عودة الطبيب المشخص والمعالج إلى الحديث مع الوالدين أو الملفات الطبية القديمة، وتدعيم ذلك بمناقشة المريض حول متاعب العمل ومشكلات الحياة الزوجية وصعوبات العلاقات الاجتماعية ليتبين التشخيص على نحو واضح جلي.

والحقيقة أن تقييم الكبار للوصول إلى التشخيص المحتمل يكون أسهل مقارنة بالأطفال الذين لا يملكون مقدرة الكبار في تقديم المعلومات عن تاريخهم ورؤيتهم، غير أن الكبار يحاولون إخفاء أعراض قصور الانتباه وفرط الحركة باتباع

استراتيجيات مختلفة وقلما يسعون من تلقاء أنفسهم إلى الطبيب المختص بالتشخيص والعلاج، وهنا تبرز أهمية الاختبارات التعليمية والنفسية والطبية التي تساعد كثيرا في تشخيص قصور الانتباه وفرط الحركة وتمييزها عن صعوبات واضطرابات أخرى قد تتداخل معها أو تصاحبها مثل صعوبات التعلم والتخلف العقلي والحساسية التي يمكن أن تصاحبها تصرفات تشبه حالات اضطراب قصور الانتباه مع فرط النشاط.

جدير بالذكر أن بعض أعراض قصور الانتباه مع فرط النشاط في بعض الأحيان يمكن أن تظهر على الأشخاص الأسوياء الطبيعيين في حالات التعب النفسي أو الجسدي أو تحت تأثير ضغوط على سبيل المثال، ولكن لتأكيد تشخيص وجود أعراض قصور الانتباه مع فرط النشاط فعليا يجب أن تكون قد بدأت منذ الطفولة ومستمرة إلى البلوغ، وتؤثر على حياة الفرد في مختلف المجالات كالعمل، والدراسة، والعلاقات الشخصية.

## العلاج

لعل السؤال الذي أصبح يتبادر إلى أذهان الكثيرين من المهتمين يدور حول وجود علاج فعال يتصف بالتوافر والمصداقية والنجاح، ولحسن الحظ فإن هذا العلاج بتلك الصفات موجود، غير أنه يتطلب قدرا كبيرا من الصبر والتأني والوقت، وقدرا أكبر من التحلي بالوعي والمعارف التخصصية والخبرات الاحترافية المهنية اللازمة، خصوصا أن العلاج متعدد الجوانب، يتكون من مزيج من الأدوية، وتدخلات سلوكية، ومعرفية، ومهنية، ويتصف، كما الاضطراب ذاته، بالتداخل والتفاعل المعقد بين هذه الجوانب كلها. وهنا نوجز أهم الجوانب العلاجية:

- الأدوية، حيث يبدأ العلاج بالأدوية التي تعالج أعراض قصور الانتباه وفرط النشاط لدى الكبار، ذلك لأنها تعد الطريق الأسرع والأقرب إلى المساعدة في زيادة التركيز والانتباه، وهنا تلعب الأدوية المحفزة «المنشطات» دورا جوهريا في هذا العلاج الدوائي.

-الاستشارات النفسية والاجتماعية، فمعلوم أن الأدوية قادرة على تصويب الأعراض الفسيولوجية لاضطراب قصور الانتباه وفرط الحركة، لكنها غير قادرة على تأمين المهارات التي فشل البالغون المصابون باضطرابي



قصور الانتباه وفرط النشاط في اكتسابها، ما يفرض حضورا أساسيا فعالا لخبراء الاستشارات النفسية والاجتماعية في مسار الجهود العلاجية (١١)..

ومن المستحسن أن تترافق هذه الجلسات ببيان أهمية ممارسة التمرينات الرياضية المعتمدة والهادفة وما تنطوي عليه من فوائد نفسية وجسدية غاية في الأهمية لتجاوز أعراض الاضطراب وآثاره والتقليل منها على أقل تقدير.

-التغذية، إذ يعتقد بعض خبراء الاستشارات النفسية والاجتماعية والغذائية وبعض المختصين بالاضطرابات النفسية والسلوكية بأهمية التغذية السليمة في تعزيز قدرات المخ والناقلات العصبية بما يؤدي إلى تخفيف أعراض قصور الانتباه وفرط الحركة عند الكبار، ويصفون بهذا الخصوص نوعيات من الأطعمة الغنية بالبروتينات (البقوليات مثلا) والنشويات (المعكرونات، والأرز مثلا)، والأحماض الدهنية الأساسية (Essential fatty acids)، ويصرون على ضرورة تجنب الأطعمة والأشربة التي يعتقد أنها تسبب فرط النشاط كالكافيين والملونات الغذائية الاصطناعية والمضافات الغذائية.

والحقيقة أن العلاج بجوانبه المتفاعلة المتداخلة يشكل فرصة ثمينة أمام المصابين بهذين المرضين لبدء رحلة تخفيف أعراض اضطرابي قصور الانتباه وفرط الحركة وآثارهما السلبية كخطوة أولى تليها خطوات تفضي إلى التخلص منهما بصورة مناسبة، وهي رحلة كلما تم فيها التحلي بالصبر والحكمة والالتزام بالنصائح والاستشارات أوصلت إلى الأهداف المرجوة.

## المصادر والمراجع والروابط


١- قصور الانتباه وفرط الحركة: مرض لا يقتصر على الأطفال. موقع كل يوم معلومة طبية: http://www.dailymedicalinfo.com/view-article

٢- المصدر نفسه.

٣- تم اعتماد هذا المصطلح وغيره من المصطلحات المترجمة في هذه المقالة وفق «المعجم الطبي الموحد http://www.emro.who.int/Unified-Medical-Dictionary.html

٤- قوة التفكير وتأثيره على أحاسيسك ونتائجك، د. إبراهيم الفقي، دار الراية للنشر والتوزيع، ص ١٣٠.

٥- المصدر ذاته، ١٣١.

٦- اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط لدى الكبار، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. https://ar.wikipedia.org/wiki/

٧- المصدر نفسه.

٨- المصدر نفسه.

٩- قصور الانتباه وفرط الحركة: مرض لا يقتصر على الأطفال، موقع كل يوم معلومة. مصدر سابق.

١٠- المصدر نفسه.

١١- قصور الانتباه وفرط الحركة: مرض لا يقتصر على الأطفال. موقع كل يوم معلومة طبية.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة
الأوقاف الكويتية

# مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (1)

«أرى المملكة العربية السعودية بعد خمسين عاما منبع إشعاع للإنسانية»

عندما قال الملك فيصل - رحمه الله - هذه الكلمات لم يكن يعلم أنه ستولد منها أعمال تخدم الإسلام والمسلمين، والطلاب والباحثين، ويعم نفعها على الإنسانية جمعاء.

فمن رحم هذه الكلمات ولدت منارة مباركة، عم نفعها أرجاء المعمورة من ساعة ولادتها إلى اليوم، وستبقى كذلك بإذن الله إلى ما شاء الله تعالى، فلنتعرف على هذه المنارة المباركة.

### الاسم والولادة

الاسم: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

مكان وتاريخ الولادة: ولد في المملكة العربية السعودية، في مدينة الرياض، حي العليا، سنة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

### قصة ولادة هذا المركز العظيم

عندما قرر أبناء وبنات الراحل الملك فيصل تأسيس «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» عام ١٩٧٦م، كان هذا القرار هو الموجه الأساسي، وبعد بضعة أعوام، وتجسيدا لإرث والدهم، وتحويل الرؤية إلى حقيقة، أسس هذا المركز المبارك، الذي رأت فيه أفضل وسيلة لحفظ التراث الفكري العربي والإسلامي. وسعت المؤسسة بالتعاون مع الخبراء في الداخل والخارج على حد سواء إلى البدء بالمشروع، وعقدت اتفاقية مع «معهد الإدارة العامة» في الرياض لتنفيذ المشروع على مرحلتين، يتم فيهما وضع الهيكل التنظيمي للمركز الجديد، وبعد هذه الخطوة وفي ديسمبر عام ١٩٨٣م، أبرمت اتفاقية تعاون بين «مؤسسة الملك فيصل الخيرية»، برئاسة مديرها



# مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
# King Faisal Center for Research and Islamic Studies

العام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، برئاسة مديرها العام حينها السنغالي أمادو مختار مبو، تقوم المنظمة بموجب هذا الاتفاق بتدريب الكوادر اللازمة للمركز الحديث التأسيس.

### رؤية المركز

تتطلع رؤية المركز إلى أن يكون نبعا إنسانيا للمعرفة العلمية والفكرية والثقافية.

### رسالة المركز

تكمن رسالة المركز في إثراء المشهدين العلمي والثقافي محليا وعالميا ببحوث أصلية وموارد وخبرات فريدة.

### قيم المركز

للمركز ثلاث قيم أساسية يسعى إلى تحقيقها والعمل عليها، وهي:

- نشر المعرفة.
- تمكين البحث العلمي.
- حفظ التراث الإنساني.

### الأهداف الإستراتيجية للمركز

يهدف مركز الملك فيصل إلى تحقيق خمسة أهداف، هي:

١- زيادة الوعي والمعرفة بتراث الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - لحفظ ذكراه، وتوثيق مساهماته في خدمة البشرية.

٢- تحفيز ودعم الحوار، وتوثيق عرى التعاون المعرفي لتحقيق الأهداف العلمية للمركز.

٣- التركيز على الإنتاج البحثي العلمي في العلوم الإنسانية.

٤- حفظ التراث الإسلامي وتحقيقه.

٥- رفع مستوى البنية التحتية التقنية، والتطبيقات الإلكترونية، والحضور الإلكتروني لتيسير تحقيق أهداف المركز.

لقد حقق المركز منذ تأسيسه قبل ٣٠ عاما أهدافا كثيرة وضعته في المرتبة الثانية على قائمة أفضل عشرة مراكز بحوث في العالم العربي، ومع ذلك تظل طموحات المركز ترنو إلى المزيد والأفضل.

### مكتبة المركز

توفر مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الموارد العلمية والثقافية لتسهيل عمل الباحثين في المركز، والباحثين الزائرين من داخل المملكة وخارجها. وتحوي المكتبة ما يزيد على ١٨٠ ألف عنوان في اللغة العربية واللغات الأجنبية، وهي من المكتبات الرائدة؛ إذ تمتلك أكثر مجموعات العلوم الإنسانية شمولا في المملكة، وهي مجهزة بالتكنولوجيات الجديدة، وأنجزت الكثير للمضي قدما في الحفاظ على المعلومات الخاصة من خلال تحويلها رقميا. ومما يعتبر تابعا للمكتبة الأقسام التالية:

### قسم قاعدة الرسائل العلمية

تتألف قاعدة بيانات الرسائل العلمية من نحو ١٤٢ ألف أطروحة أكاديمية جمعت من أنحاء العالم العربي، وأرسلت مباشرة إلى مكتبة «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية»، أو عبر مراجع «ببليوجرافية» وسجل أطروحات من الجامعات والمؤسسات الشريكة المختلفة، وتضم المكتبة أكثر من ١٥ ألف أطروحة من هذه الأطروحات. ويمكن للباحثين الاستفادة من هذه الوثائق من خلال التصفح، أو نسخ فصول مختارة من كل أطروحة وفقا لقواعد المركز ولوائحه. كما يدعم المركز الباحثين من خلال التواصل مع الجامعات والمراكز البحثية المختلفة للحصول على الأطروحات التي لا تضمها قاعدة بياناته، وتوفيرها للباحثين.

### قسم الدوريات

يجمع المركز النشرات الدورية في المجالات المختلفة، وتشمل المجموعة الموجودة حاليا في المكتبة أكثر من ٥٠ ألف دورية باللغة العربية، وأكثر من ذلك بلغات أخرى.

### قسم قاعدة البيانات

وضع المركز قاعدة بيانات متخصصة لمساعدة الباحثين في مختلف المجالات، ويتم تحديث قاعدة البيانات باستمرار من خلال الموضوعات البحثية والكتب والمقالات والأطروحات الأكاديمية، ويمكن البحث في قاعدة البيانات باستخدام رموز محددة متاحة عند الطلب. ولدى المكتبة مجموعة من المراجع والمعاجم العربية للغات الأجنبية والمعاجم المنظمة على رفوف ظاهرة وفق نظام «ديوي العشري»، مع إمكانية التصفح الإلكتروني أيضا، كما توفر المكتبة أمينا لإرشاد الباحثين.

هشام الصباغ
باحث لغوي



# العلامة
# محمد عبداللطيف السبكي

**في البدء كانت «اقرأ»..**
**أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عزوجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..**

انطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

### نسبه ومولده

● ٤٤ عاما، بين تخرجه في الأزهر ووفاته، قضاها في خدمة العلم والدين.. جند نفسه لتفسير الدين كما أنزله الله.. آخر من تولى منصب شيخ مذهب الحنابلة في الأزهر.. إنه الشيخ العلامة محمد عبداللطيف السبكي.

ولد الشيخ السبكي في ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٦م، في قرية «سبك الضحاك» بمحافظة المنوفية، ومنها جاء لقبه «السبكي»؛ نسبة إلى اسم القرية.

### نشأته ومناصبه

● نشأته الريفية أضفت عليه حالا من التأمل والصفاء والنقاء، فشب محبا للعلم، شغوفا بالقراءة والتحصيل.

● تخرج الشيخ السبكي في الأزهر الشريف عام ١٩٢٥م، وعين فور تخرجه مدرسا بمعهد الزقازيق الديني، ثم نقل أستاذا في كلية الشريعة عام ١٩٣٥م، وفي العام نفسه عين عضوا في لجنة الفتوى (حين كان الإمام الراحل الشيخ المراغي شيخا للأزهر)، ثم تولى رئاستها، واتسع نشاط اللجنة في عهده وأصبحت تتلقى الفتاوى وترد عليها.

● حصل على عضوية هيئة كبار العلماء، واختير مفتشا عاما للعلوم الدينية والعربية في الأزهر سنة ١٩٤٧م، وفي عام ١٩٥١م عاد إلى منصبه أستاذا في كلية الشريعة، ثم عميدا لها، وظل يعمل في الكلية حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٥٩م.

● تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر، وترأس لجنة التعريف بالإسلام، وعين عضوا في جماعة نشر الثقافة في الأزهر، وفي السنوات الأخيرة عين رئيسا للجنة إحياء التراث الإسلامي والعربي وعضوا بلجنتي الخبراء وموسوعة عبدالناصر للفقه الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

### شيوخه وتلاميذه

● ومن خلال الاستقراء قد يكون الشيخ درس على أيدي كبار مشايخ عصره، مثل: الشيخ عبدالمجيد سليم (مفتي مصر وشيخ الأزهر) وحسنين مخلوف (مفتي مصر) ومحمد الظواهري (شيخ الأزهر) والشيخ المراغي (شيخ

الأزهـر) والشيخ عـلام نصار (مفتي مصـر) والشيخ عبدالرحمن قراعة (مفتي مصر). ولعل كان من تلامذته الشيخ محمد خاطر (مفتي مصر) والشيـخ عبداللطيف حمـزة (مفتي مصر)، والشيخ جاد الحق علي جاد الحق (شيخ الأزهـر) والشيخ محمد عبدالرحمن بيصار (شيخ الأزهر).

## إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

هدفت مجلة «الوعي الإسلامي» منذ نشأتها أن تكون منبرا لكل قامة علمية سامقة، وكان العلامة السبكي ضمن كوكبة العلماء الذين أضاءت محابرهم صفحاتها، فكان مع عددها الثالث بمقال حمل عنوان «إشراقة الإسلام» (السنة الأولى - العدد الثالث - ربيع الأول - ١٣٨٥هـ/يوليو ١٩٦٥م). ولتزاحم أقلام نظرائه على صفحات المجلة، قسّم مقاله الثاني (أحمد بن حنبل)، فنشر الجزء الأول منه (السنة الأولـى - العـدد ١١ - ذو القعدة - ١٣٨٥هـ/فـبـرايـر ١٩٦٦م)، ونشر الجـزء الثاني فـي (السنة الثانية - العدد ١٤ - صفر - ١٣٨٦هـ/مايو ١٩٦٦م). أما مقاله الأخير (من ملامح النبوة والرسالة) فنشر في (السنة الثالثة - العدد ٢٥ - محرم - ١٣٨٧هـ/أبريل ١٩٦٧م).

## «إشراقة الإسلام»

● عـنـون مـقـالـه الأول فـي «الـوعـي الإسلامي» بـ «إشراقة الإسلام كانت بالدعوة إلى العلم».. أراد من خلاله أن يقول: «إن الحياة الجديدة التي هبط جبريل يحمل مصباحها إلى محمد ﷺ هي حياة العقل الراشد، والمعرفة الفياضة، والاهتداء بالعلم في آفاق هذه الدنيا، أو هي حياة الوعي الإنساني في أكمل أطواره.. أو هي حياة الإسلام وكفى..!». وبعد هذا التقرير يوضح أن القرآن: «يشيد بالقلم، لأنه الأداة الحتمية لقيد العلم، وتدوين بنوده، وضبط شوارده، ليكون عماد الإنسانية».

## «أحمد بن حنبل»

● مقاله الثاني كان باسم «أحمد بن حنبل»، تناول في جزئه الأول مولد الإمام أحمد، ونشأته، موضحا انكبابه على تحصيل العلم، يدفعه في ذلك «حفظ نادر، وفهم ممتاز، ورغبة لا يلحقها ملل، وتوفيق لم يعهد مثله إلا في رجال اختصهم الله تعالى بفضله، وقيضهم لحفظ السنة، وضبط الشريعة وصيانة الأحكام». ثم تناول مكانته في الفقه وعلم الحديث، قائلا: «استطاع أحمد أن يجمع من الحديث خمسين ألفا وسبعمئة ألف حديث، ثم نقدها نقد الصيرفي الخبير حتى صفاها من الدخيل، واستقر به الأمر على نحو من أربعين ألفا».

● وفي جزئه الثاني تناول تهمتين لحقتا بالإمام (فقه الإمام أحمد لا يتسع لحاجات الناس والتزمت والجمود)، ووصفهما بأنهما «كاذبتان»، متعجبا منهما وممن يتحدث بهما، واصفا إياهم بـ«بعض المتعلمين. وهؤلاء في حاجة إلى الإرشاد والتوجيه».

## «من ملامح النبوة والرسالة»

● في مقاله الرابع يوضح الشيخ السبكي أن النبوة والرسالة كانت لهما إرهاصات ومقدمات قبل الوحي، قائلا: «لم تكن نبوة الأنبياء، ولا رسالات الرسل، عليهم جميعا صلاة الله وسلامه، من قبيل الوحي المفاجئ كما يتوهم البعض، بل كانت بعد مقدمات من جانب الله تعالى تتعلق بالإنسان الذي سيختاره الله لنبوته، أو لرسالته».

ويوضح أن الله قد أجرى سنته «على أن يختار نبيه أو رسوله من بين قومه، ليكونوا على معرفة بشخصيته، وعلى علم بسيرته، وعلى خبرة بأصوله، وبكل ما يدور حوله فيهم».

## إرثه العلمي

● ترك الشيخ السبكي سجلا حافلا من التراث الإسلامي وعددا كبيرا من المؤلفات، أشهرها: «في رياض القرآن والهجرة والسيرة النبوية والجهاد، والحلال والحرام»، «نغمات القرآن» و«في ظلال الكعبة والهجرة النبوية». كما أصدر قاموسا «عربي - عربي» على غرار «القاموس المحيط» و«المنتخب من القرآن» و«الموسوعة الدينية» (أطلقوا عليها لاحقا اسم «موسوعة جمال عبدالناصر»)، وكتاب «المنتخب من السنة»، كما ترك عددا كبيرا من المقالات في مجلات: «الوعي الإسلامي»، «منبر الإسلام»، «لواء الإسلام»، «الأزهر» و«الشبان المسلمين»، وجريدة «الأهرام»، والعديد من الأحاديث المسجلة في التلفزيون والإذاعة في برامج: «نور على نور»، «رحاب الإيمان» و«رأي الدين».

وكانت مجلة «منبر الإسلام» قد اتسعت للكثير من المساجلات بينه وبين عباس العقاد.

## السبكي والقدس

● يذكر نجله د. هاني السبكي أن الشيخ في أواخر حياته كان منكبا على إنجاز كتاب عن القدس أراد أن يتوج به مسيرته في التأليف، وهو كتاب «القدس»، انتهى من فصوله ولم يتبق سوى الفصل الأخير.

## وفاته

● توفي الشيخ يوم ٣١ مارس من العام ١٩٦٩م، عن عمر ٧٣ عاما، ودفن بمسقط رأسه في محافظة المنوفية.




ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

## سلسلة الذخائر

# مجلة الكتاب

الكتاب

نوفمبر ١٩٤٥

الفهرست



دار المعارف للطباعة والنشر
بمصر

**تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.**

**وتأتي «مجلة الكتاب» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.**

## التعريف بالمجلة

هي مجلة شهرية للآداب والعلوم والفنون، تصدر عن دار المعارف بمصر، حيث صدر أول عدد منها في شهر ذي القعدة، سنة: (١٣٦٤هـ)، الموافق لشهر نوفمبر، سنة: (١٩٤٥م)، وكان رئيس تحريرها: عادل الغضبان.

التعريف بصاحب المجلة (دار المعارف):

وهي دار مصرية للطباعة والنشر، حيث إنها تعتبر من أقدم المؤسسات الثقافية والصحفية المصرية، أسسها صاحبها نجيب متري سنة: (١٨٩٠م)، في سنة: (١٩١٠م) تم تطوير الدار من مطبعة فقط إلى دار للطباعة والنشر.

أثرت الدار المكتبة العربية بالنشر للعديد من كبار الكتاب أمثال: عباس محمود العقاد، وطه حسين، وتوفيق الحكيم، والمازني، ومحمد مندور، وإبراهيم ناجي، وأحمد حسن الزيات، وعائشة عبدالرحمن، وشوقي ضيف... ومن مميزات هذه الدار أنها سمحت لكل الأطياف والألوان السياسية والدينية بالنشر في مطابعها.

**محتوى المجلة:**

لقد نشرت المجلة في أعدادها الشهرية مقالات ودراسات وقصصا وقصائد لمختلف الأقلام العربية، وبهذا جاء محتواها مزيجا متنوعا من الثقافات.

وقد تضمن عددها الأول مواد متنوعة تجسد في موضوعاتها المبادئ الستة التي سطرتها في خطتها، ومن الأقلام البارزة التي ساهمت وشاركت في تحرير عددها الأول: عباس محمود العقاد، أحمد زكي، شفيق جبري، زكي حسن، أحمد خاكي، هدى شعراوي، عائشة عبدالرحمن، أحمد شاكر، توفيق الحكيم، إسماعيل مظهر، المازني، عبدالوهاب عزام، علي الجارم...

فمن المواضيع الأدبية نشرت المجلة موضوعا لعباس محمود العقاد بعنوان: «السخرية عند برناردشو».

ومن المواضيع الثقافية نشرت المجلة موضوعا بعنوان: «جوهر الفنون الإسلامية»، بقلم: زكي محمد حسن.

ومن القصائد التي نشرت في عددها الأول: قصيدة «عفراء» لعروة بن حزام، وقصيدة: «الشرق» لعلي الجارم بك، وقصيدة: «أيها الجندي» لرئيس تحرير المجلة عادل الغضبان.

وهكذا تنوعت مواضيع المجلة في كل عدد من أعدادها التي صدرت طيلة فترة حياتها، إلى أن توقفت عن الصدور، حيث صدر آخر عدد منها في يونيو، سنة: (١٩٥٣م).

**نسخة مجلة الوعي:**

تزينت أرفف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه المجلة الثقافية، حيث جمعت أعدادها في اثني عشر مجلدا، وهي متوافرة للباحثين عن المعرفة والثقافة.

## المصادر

مجلة الكتاب.
مقال لإيهاب الملاح بعنوان: عادل الغضبان ومجلة الكتاب، منشور بتاريخ: ٢٠١٥/١٢/٣م، على موقع: اليوم الجديد.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

## من عجيب ما رأيت

قال العلامة ابن مفلح الحنبلي رحمه الله تعالى: «من عجيب ما رأيت ونقدت من أحوال الناس: كثرة ما ناحوا على خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف، والتحسر على قلة الأرزاق، وذم الزمان وأهله، وذكر نكد العيش فيه، والحديث عن غلاء الأسعار، وجور الحكام، وقد رأوا انهدام الإسلام، والبعد عن المساجد، وموت السنن، وتفشي البدع، وارتكاب المعاصي، فلا أحد منهم من ناح على دينه، ولا بكى على تقصيره، ولا آسى على فائت دهره، وما أرى لذلك سببا إلا قلة مبالاتهم بدين الإسلام، وعظم الدنيا في عيونهم».

**(الآداب الشرعية: ٣/٢٤٠)**

## المحنة والمنحة

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى: «صارت المحنة والمنحة جميعا بلاء؛ فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بواجب الصبر أيسر من القيام بواجب الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين، وبهذا النظر قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نشكر، ولهذا قال أمير المؤمنين: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله».

**(المفردات للراغب الأصفهاني: ص/١٤٥)**

## نصائح وحكم

قال العلامة شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي رحمه الله: «روي عن يحيى بن يحيى الليثي قال: آخر ما اجتمعت بمالك قال: أذكر لك شيئا تبلغ به حكمة الحكماء؛ إذا حضرت مجلسا فاستعمل الصمت، فإن أصابوا استفدت، وإن أخطأوا سلمت. وشيئا تبلغ به طب الأطباء؛ لا تأكل حتى تجوع، وارفع يدك وأنت تشتهي».

**(انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك: ص/٣١٤)**

## نصيحة غالية من إمام جليل

قال العلامة الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – ناصحا الشباب: « ... فاحذر على نفسك أمرين:

١ـ أن تنزع إلى البروز قبل استكمال المؤهلات المطلوبة.

٢ـ وأن تستكمل هذه المؤهلات لتلفت بها أنظار الناس إليك.

فليصنع المرء أولا نفسه في عزلة، وفي صمت، وفي تؤدة، كالشجرة التي يختفي أصلها في ظلمة التراب أمدا تتكون فيه التكون الصحيح، ثم تبدأ تشق طريقها إلى الهواء والضوء.

ما ضر الشباب أن يتواروا قليلا أو كثيرا، فلا يطلعوا على الناس إلا بعد أن تكتمل ملكاتهم، ثم من الإيمان – إذا استويت – أن تقوم بما عليه لله، لا للظهور».

**(الجانب العاطفي في الإسلام: ص/١٤٥)**

## داء الحرص

«لا ينكر أن الطباع تحب المال؛ لأنه سبب بقاء الأبدان؛ لكنه يزيد حبه في بعض القلوب، حتى يصير محبوبا لذاته، لا للتوصل به إلى المقاصد! فترى البخيل يحمل على نفسه العجائب، ويمنعها اللذات، وتصير لذاته في جمع المال! وهذه جبلة في خلق كثير، وليس العجب أن تكون في الجهال، بل العجب أن تكون في أهل العلم».

وينبغي أن يؤثر فيها عند العلماء المجاهدة للطبع ومخالفته، خصوصا في الأفعال اللازمة في جمع المال، فأما أن يكون العالم جامعا للمال من وجوه قبيحة، ومن شبهات قوية، وبحرص شديد، وبذل في الطلب، ثم يأخذ من الزكوات، ولا تحل له مع الغنى، ثم يدخره، ولا ينفع به: فهذه بهيمية تخرج عن صفات الآدمية، بل البهيمية أعذر؛ لأنها بالرياضة تتغير طباعها، وهؤلاء ما غيرتهم الرياضة، ولا أفادهم العلم!

**(صيد الخاطر: ١/٣٠٤)**

## نار الغضب

«اعلم أنه متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة؛ لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينيه حتى لا يرى بعينه، وتسود الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثل كهف أضرمت فيه نار، فاسود جوه، وحمي مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا يسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه».

**(منهاج القاصدين: ص/٢٥)**

## ليس للعبد أن يختبر ربه

ظهر إبليس لعيسى عليه السلام فقال له: «ألست تقول إنه لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك؟ قال: نعم. قال: فارم نفسك من ذروة الجبل، فإنه إن يقدر لك السلامة تسلم، قال له: يا ملعون، إن لله أن يختبر عباده، وليس للعبد أن يختبر ربه»

**(الأجوبة المسكتة لابن أبي عون: ص/١٤٤)**

## بين الانقباض والاسترسال

«ينبغي أن تحب المسلم لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال، فأما ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم أنه نادم عليها، فالأولى حينئذ الإغماض والستر، فإذا أصر على المعصية، فلا بد من إظهار أثر البغض بالإعراض عنه والتباعد، وتغليظ القول له على حسب غلظ المعصية وخفتها»

**(مختصر منهاج القاصدين: ص/٤٢)**

## مكفرات الذنوب

ذكر ابن القيم رحمه الله مكفرات الذنوب فقال: «تكفر: بالتوبة النصوح، والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين لهم في حياتهم وبعد موتهم، وبالامتحان في البرزخ وفي موقف القيامة، وبشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة، وبصدق التوحيد، وبرحمة أرحم الراحمين. فهذه عشرة أسباب».

**(إعلام الموقعين: ٢١٨/٢)**

## من حكم السلف

❖ قال عبد الله بن عباس: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء».

❖ وقال حكيم العرب أكثم بن صيفي: «ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا بالفقر».

**(أخبار العرب: ١٢/١)**

## ثلاث خصال

قال بعض الحكماء: إن لم يكن في التاجر ثلاث خصال افتقر في الدارين جميعا:

١- أن يكون لسانه نقيا عن ثلاثة: الكذب، واللغو، والحلف.

٢- أن يكون صافيا من ثلاثة: الغش، والخيانة، والحسد.

٣- أن يكون محافظا على ثلاث: الجمعة، والجماعات، وطلب العلم.

**(شرح لامية ابن الوردي للقناوي: ص/٢٦)**



إعداد: التحرير

# طوفان الكتابة وخطره

كنا قد تعلمنا على يد أساطين الدراسات المنهجية والبحثية -من العرب والمسلمين- أيام الدراسة الجامعية جملة من المسلمات والمبادئ الواجب احترامها لتحقيق النجاح والفوز في البحث العلمي، ومن بين تلك المبادئ الإكثار من القراءة والبحث والسؤال في الموضوع الواحد المراد والكتابة فيه؛ لأن المسلمة المنهجية عندهم تقرر أن (من قرأ كثيرا كتب كثيرًا، ومن قرأ قليلا كتب قليلا أو لم يجد ما يكتبه)، (ومن قرأ كثيرا تكلم كثيرا، ومن قرأ قليلا تكلم قليلًا، أو لم يجد ما يتكلم به في المجامع)، وانصاع جيلي وراء تلك المسلمات يطبقها ويعمل بها، على اعتبار أنها نصائح وقواعد ذهبية يجب أن تتبع وتحترم، وباستثمار واستغلال الزمان العلمي والدعوي والفكري والمنهجي والبحثي الفاعل بكثرة القراءة والبحث والسؤال؛ تبينا عكس تلك القاعدة، وقررنا بعد طول تجربة وتحليل ونظر أن (من قرأ كثيرا كتب قليلا، ومن قرأ كثيرا تكلم قليلا)؛ لأنه بكثرة القراءة والاطلاع تعلم حقيقة ومسار ومعالم مَن عمل وأنجز وبحث وكتب قبلك، ولذلك تجد مساحة الحديث والكتابة ضيقة جدا، وكأنما يقول لك السابقون والراحلون: لقد كنا هنا من قبلك، وكنا قد وقعنا بما وهبنا الله من علم ومعرفة في هذا المجال البحثي، وما عليك إلا إتمام أو تعديل أو إضافة أو إعادة تقديم ما لم نوفق إليه، وتكاد تتحقق مقولة (ما ترك الأول للآخر من شيء).

وتأييدا لهذا؛ ففي التراث العربي الإسلامي ما يدعم هذا، فقد تميز القرآن بسحره وبيانه المختصر، وأوتي نبينا محمد ﷺ مجامع الكلم، أي مختصره المبين والمفيد. وقد عرّف (صحار العبدي) البلاغة بقوله: «البلاغة هي الإيجاز»، وفي المثل العربي: «إذا تم العقل نقص الكلام»، وقديما كان الكتاب والأدباء والشعراء والنقاد والعلماء معدودين في كل عصر ومصر..

أما اليوم فنحن -للأسف- أمام طوفان وسيول من الكتابة الفيسبوكية المليئة بالأخطاء والأخطار والمهازل والانحرافات، فلو عرفنا قدر الكلمة في الإسلام، وأنها تقذف بصاحبها في طرفة عين في جحيم الكفر، أو لهيب النفاق، أو مستنقع الشرك، أو برَك الإلحاد، لما كان منا كل هذا الهدر؟ فهلا أدركنا خطورة هذا الطوفان الزاحف على الأجيال المسلمة؟ أم أننا انخرطنا في تسالي هذه اللعبة الخطرة بوعي أم من غير وعي؟

**المحرر:** كثرة الكتابة والقراءة أمر محمود، ولكن أن تكون بلا ضوابط فهذا أمر ينذر بالخطر، لاسيما أن أغلب الكتب والإصدارات تأتي من الخارج، وهي في عمومها لا تدرك ولا تحترم خصوصيتنا نحن المسلمون. والله المستعان.

● أ. د. أحمد محمود عيساوي

# كيف تحولت ماليزيا إلى نمر آسيوي

استطاعت ماليزيا أن تتحول كدولة وكمجتمع من وضعية تخلف إلى نمر آسيوي بفعل الاستثمار في التعليم، وخاصة التعليم العالي والتكنولوجيا؛ فلقد قامت ماليزيا في أواخر التسعينات بإصلاحات في التعليم، وتضمنت الإصلاحات الانتقال من الاقتصاد الصناعي إلى الاقتصاد المبني على المعرفة؛ واعتُبر الغرض الأكثر أهمية من التعليم تكوين شخصية متعلمة وأصبحت، رؤية الأمة عام ٢٠٢٠م حقيقة.

وعملت ماليزيا على تطوير المناهج فقد طورت المناهج الدراسية تطويرًا مركزيًا بمشاركة عدد من المعلمين والتربويين والمسؤولين بمكاتب التعليم في الولايات والمناطق، بهدف تنمية الفرد تنمية متوازنة ومتكاملة في المجالات المعرفية والنفسية والحركية، وإنتاج قوى عاملة مدربة وماهرة، والإعداد لاقتصاد معرفي كما ذكرنا؛ حيث اتجهت الوزارة لتوجيه التلاميذ نحو العلوم والتكنولوجيا.

**المحرر:** ماليزيا دولة مسلمة استطاعت أن تحقق المعادلة وتتحول إلى نمو آسيوي ولحسن الحظ أنها تجربة معاصرة وطازجة.

● محمد عباس عرابي



القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com



# شكر واعتزاز

إلى الإخوة في مجلة «الوعي الإسلامي» المحترمين..

تحية طيبة وبعد..

أتقدم لسيادتكم بجزيل الشكر على نشركم لبعض مقالاتي بمجلتكم المحترمة، وأحيطكم علما أن ذلك كان له دور مهم في إغناء ملفي العلمي، وقد ساهم في حصولي على شهادة الدكتوراه، فجزاكم الله خير الجزاء على ما تقومون به لمصلحة الأمة الإسلامية، ووفقكم وإيانا لكل خير.

• عبدالعلي الوالي

**المحرر:** الحمدلله الذي جعل من «الوعي الإسلامي» سببا لذلك الفوز العلمي، الذي نهنئكم عليه، وهذا هو دور المطبوعات الإسلامية عموما و«الوعي الإسلامي» خصوصا.. كما نسعد بمساهماتكم المقبلة التي تنفع الأمة بإذن الله تعالى.



شهادة الدكتوراه

Nom et prénom : LOUALI ABDELAALI

N°C.N.I : F359462

A obtenu le doctorat en: Lettres et Sciences Humaines

Formation Doctorale:

Option:

Titre de la thèse :

Mention: Très honorable

حرر بوجدة في: 2017/12/06

# وسائل التواصل الاجتماعي

في هذا العالم تتشابك الأحداث ويتشابك التاريخ، لاسيما مع تطورات التكنولوجيا الحديثة، ومن ثم تنحسر أشياء كثيرة، وتقفز إلى السطح قيم جديدة.

وقد غدت وسائل التواصل الاجتماعي، اليوم، موضة العصر ووسيلة التواصل الأساسية، والأكثر انتشارا. بل إنها بدأت تعوض التواصل الإنساني الحميمي المباشر لمصلحة الانفتاح الافتراضي الواسع.

في ظل هذا الوضع تطرح تحديات كبيرة أمام الإنسان بشكل عام، والمسلم بشكل خاص، الذي يجد نفسه رهين ثقافة تغزو محيطه وتقتحم عليه خلواته وجلواته، مما يرفع التحدي أمامه ويدعوه إلى البحث عن طرق وضوابط إيجابية فاعلة للتعامل مع هذا الوضع الجديد والتفاعل معه بالقدر الذي يسمح له بالحفاظ على ثقافته وقيمه، وقد وضع ديننا الحنيف مجموعة من الضوابط للتعامل مع الأشياء والسلوكيات والأفعال، يمكننا إدراجها ضمن «مقاصد الشريعة»، وما يتفرع عنها من أصول وفروع، والمسلم مدعو إلى استثمار عمره ووقته وماله وجهده، ومراقبة حواسه ونياته لتنسجم، جميعها، مع مراد ربه ورسالة وجوده.

**المحرر:** في وضع كهذا الحل يكون بالتقنين من قبل المسؤولين، مشاركة مع الأسرة التي تضطلع بدور ليس أقل أهمية، إن لم يكن يزيد.

• د.سعيد أصيل



# عالم بلا كتاب!

كنا نأمل ونتمنى مذ وعينا وتشكلت ذواتنا العاقلة كغيرنا من العقلاء والخيرين أن يكون مستقبل البشرية مليئا بالسعادة والخيرية والرغد، وأن تكون الحياة على الكرة الأرضية بلا عنف، وبلا حروب، وبلا عنصرية، وبلا كراهية، وبلا ظلم، وبلا أوبئة وأمراض، وبلا فساد ومفسدين، وبلا عدوان ومعتدين، وبلا مجاعات وضحايا، وبلا مخدرات أو إدمان ومدمنين، وبلا تصحر واحتباس حراري، وبلا مهجرين أو مشردين.

لقد كان من سبقنا يأمل كل هذا وذاك، ونشأنا من بعدهم نحمل نفس الأمنيات والتطلعات، ولم يكن يدخل في خلدنا يوما ما أن يصير عالمنا اليوم غارقا في كل هذه المعضلات، وينحدر إلى قاع اللاءات، ويصير عالما بلا قراءة، وبلا كتاب، وبلا مكتبات، وبلا قراء، على الرغم من توافر البلايين من الكتب والمكتبات التقليدية الورقية والإلكترونية الشبكية معا.

كنا نأمل أن تتحقق كل هذه الأمنيات مستقبلا، فتسعد البشرية بحياة رغدة، فتصير حياة خالية ومنزوعة من السلاح والدمار والظلم والفساد، ولكن للأسف لن يتأتى لتمنياتنا ولتطلعاتنا تلك بصيص أمل إلا بسبيل واحد، وهو الكتاب والمكوث الساعات الطوال معه، وإلا بفعل واحد فقط، هو ممارسة فعل القراءة المقدس، فمن غير قراءة سيبقى العقل ضامرا إلى أن ينكمش ويتلاشى نحو عالم الغريزة والبهيمية والشهوة والفساد، محققا نبوءة واستشراف القرآن الكريم في هذا الكائن الهمجي الحائد عن طريق الفطرة السوية ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ (الروم:٤١).

فهل تعتقد أيها الإنسان الغافل والذاهل عن ينابيع التفوق والفاعلية والخيرية السوية أن ترتقي بنفسك وبجماعتك وبالبشرية المفلسة من غير فهم وإدراك وتفكر ونظر وتوسم في خلاصة ما أنتجه العقل البشري عموما والإسلامي خصوصا؟

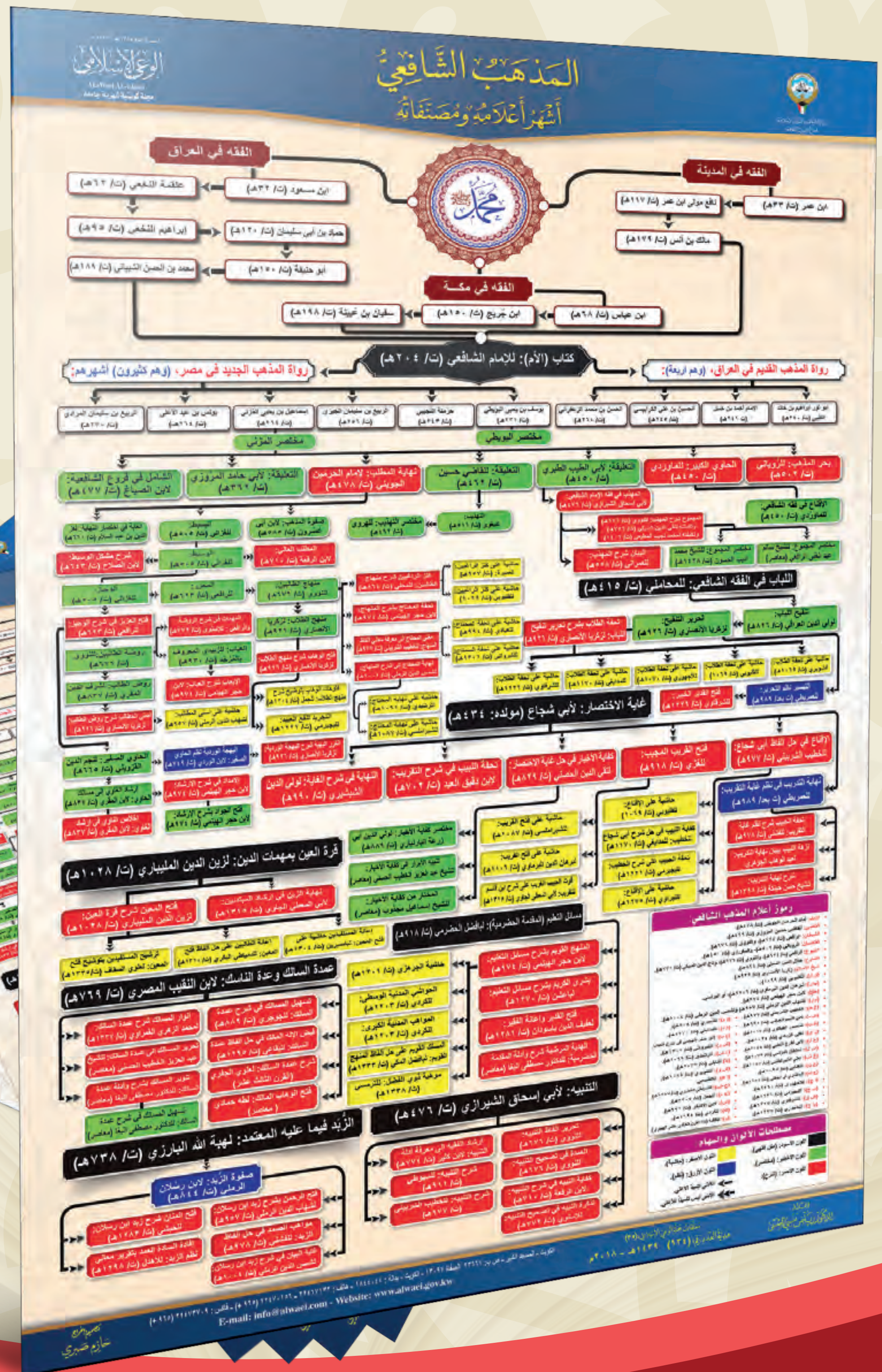
وهل تعتقد أن المعرفة هي تكديس الأشياء والكتب والمكتبات والأجهزة وتحميل المعارف في حاسوبك وجوالك دون أن تختزنها في فؤادك وعقلك وروحك وجسدك وسلوكك، وتمر عليك بالقراءة التحليلية الصابرة وبالتجميع الواعي الحليم؟

إننا لن نستطيع المضي قدما، ولن نقدر على أن نتقدم خطوة إلى الأمام، ولن نستطيع إنقاذ المفلسين منا ومن البشرية التائهة، إلا بالاطلاع والبحث التحليلي، وبالمعرفة السوية، وبالقراءة الجادة والمطالعة الفاحصة والممزوجة بالصبر والحلم والأناة، هذه المطالعة التي نعنيها هي عملية ثلاثية الأبعاد: (قراءة الماضي، واستبصار الحاضر، وترسم واستشراف ورنو المستقبل)، وبغيرها سنكون عدما ينضاف إلى لاءات الأمنيات الخادعة.

فلا تكونوا من الحثالة أو النخالة التي عناهم رسول الله ﷺ في حديثه عن أوان ذهاب العلم، ومن الحثالة التي تقوم عليهم القيامة، وتضيف إلى عالم اللاءات أسوأ لاءات، وهو عالم بلا قراءة، وعالم بلا كتاب، وعالم بلا مطالعة، بعد أن كانت لاءات من سبقنا تتطلع نحو محو آثار وخطا الفساد والمفسدين في الأرض، فشتان بين عالم بلا عنف، وعالم بلا كتاب، وعالم بلا حروب، وعالم بلا قراءة، وعالم بلا فقر، وعالم بلا أوبئة، وعالم بلا قراء..إلخ. وشتان بين إنسان بلا قيم، وإنسان قيم ومبادئ تمشي وتتحرك على الأرض، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

أ.د. أحمد محمود عيساوي

# جديدنا




## معلقة:

## ( المذهب الشافعي، أشهر أعلامه ومصنفاته )

معلقة علمية تخصصية ضمن سلسلة معلقات مجلة الوعي الإسلامي، تسلط الضوء على أهم أعلام المذهب الشافعي وأهم مصنفاته الفقهية، من متون وشروح ومختصرات وحواشي ونظم، من عصر الإمام الشافعي رحمه الله إلى عصرنا الحاضر، مع بيان إسناد الإمام الشافعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الإعلام الديني



دولة الكويت

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



فلاشات تلفزيونية

# بنك السعادة

سلسلة من أجمل الفلاشات التلفزيونية القيمة تناقش وتعالج أخطر المشاكل الأسرية، بطريقة سلسة وشيقة وإبداعية...

الإشراف العام صلاح أبا الخيل





شاهدونا على قناة اليوتيوب





+965 922 54 54 5

RedAwqaf



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٣٥) رجب ١٤٣٩ هـ - مارس - ٢٠١٨ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

# التسامح منهج حياة

- صناعة الوعي
- مكبوتات النفس البشرية
- أسس التماسك الأسري

هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (١٨)

# جديدنا




**لطائف الأدب في استهلالات الخطب**

**ويليه**

**لطائف الأدب في خواتيم الخطب**

يُعتبرُ هذا الكتاب من أنفس إصدارات مجلَّة الوعي الإسلامي؛ لما يحتويه من مادَّة علميَّة متميزة تضعُها المجلة بين يدي الخطباء الفضلاء كنماذج مختلفة تمثل بدائل متنوعة للاختيار منها لتنوع استهلالات خطبهم وخواتيمها، ويحتوي الكتاب على العديد من اللطائف الأدبية والقصائد الشعرية التي تغني الخطبة وتحسنها.

رئيس التحرير

الدكتور صالح سالم النهام



# الافتتاحية

## مفهوم التسامح في الإسلام

الحمد لله العفو الغفور، لا تنقضي نعمه ولا تحصى على مر الدهور، نحمده حمد القانع الشكور، وأشهد أن لا إله إلا الله جعل الظلمات والنور، خلق سبع سماوات طباقا ما ترى فيها من تفاوت أو فطور، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المزمل بالفضيلة والمبرأ من الشرور، إمام العفو والتسامح المبرور.

أما بعد؛ فالإسلام مجموعة من الفضائل الإنسانية والقيم العالية، التي مكنت له في الأرض، وبها انساح في العالم شرقا وغربا، ومن أخلاقه التسامح، الذي هو فضيلة من أعظم الفضائل، وصفة من أكرم الصفات التي تدل على سمو في النفس، وطهارة في القلب، ونقاء في السريرة، وقوة في الإرادة، وقدرة على التحكم في ميول النفس.

ولا شك أن التسامح في دين الإسلام بين المسلمين أمر معروف وواضح، فما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠). كما أن سماح المسلم لأخيه عن حقه مما يؤجر عليه عند الله، ويزداد به رفعة في الدنيا والآخرة، وأما تسامح المسلمين مع غير المسلمين؛ فقد كانت سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره، وهذا يرجع إلى عدل الشريعة وحكمتها، عندما رأى الناس ما لا عهد لهم به من قبل، كانوا يرزحون تحت الظلم والبغي وعبادة العباد؛ فأخرجتهم الشريعة من جور الأديان إلى سماحة الإسلام.

إن دعوة الإسلام إلى المسامحة شيء معروف، لكنها في الوقت ذاته ليست ذلا ولا تنازلا عن شيء من الدين. والناس من غير المسلمين لا يعاملون في الشريعة معاملة واحدة؛ لأنها قائمة على العدل، فهم أنواع، فمنهم مسالمون قال الله سبحانه في شأنهم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨)، ومنهم محاربون قال الله في شأنهم: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الممتحنة:٩).

لقد كان النبي ﷺ يقوم بدعوة أهل الكتاب ويزور مرضاهم طاعة لله، ولا ينهى المسلمة أن تبر أمها المشركة ما دامت جاءت راغبة في الصلة غير معادية للمسلمين. كما منع ديننا من خرق عهد الأمان مع الذمي أو الاعتداء عليه، فقال ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة» (رواه أبو داود).

ولا غرابة في ذلك؛ فالإسلام، الذي رضيه الله لعباده، دينٌ يرغِّب في الرحمة، ويحض على العفو، ويدعو إلى السماحة؛ ليكوِّن المجتمع المتحاب المترابط، الذي سلم قلبه من جميع الأمراض الفتاكة التي تعترض بناء الأمة، وتهدم كيان الدولة، وتزرع فيها كل عوامل التفرقة والضعف.

ورحم الله القائل:

تسامح ولا تستوف حقك كله ... وأبق فلم يستقص قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٥ | رجب ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
مارس ٢٠١٨م

**رئيس التحرير**

د. صالح سالم النهام

**مدير التحرير**

فهد محمد الخزّي

**التحرير**

علاء الدين عبدالفتاح
د. تركي محمد النصر
هداية الله نثار أحمد

**الإخراج والجرافيك**

أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

**الإشراف الفني**

مطابع فور فيلمز


**المراسلات**


رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




# في هذا العدد





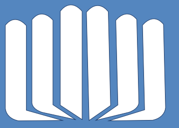

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





# كلمة العدد

## تسامح القوي

المسلم سفير فوق العادة لمجتمعه، يرى فيه الآخرون مرآة لكل ما هو نافع وجميل. ولما كان الدين المعاملة، وكانت البشاشة من خصال المسلم الحق، ولأن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه؛ عرفنا أن التسامح مع الآخر خصلة حميدة وقعها كالسحر في النفوس المفطورة على الحق. وقد قال تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ (سورة الحجر:٨٥)

ولكن التسامح لا يعني الضعف، أو التفريط في الحق، أو سوء التقدير.

فالمسلم قد يتسامح وهو قوي عزيز النفس مكّنه الله من أخذ حقه، لكنه آثر التنازل عنه؛ أملا في رضى الله وفضله. وقد يتسامح المسلم وهو ضعيف مغلوب على أمره، وإن كان المؤمن القوي خير إلا أن في كليهما خيرا إن شاء الله.

إن من نعم الله على عباده أن منّ عليهم بالرسالة الخاتمة التي تعتمد الوسطية منهجا قويما بلا إفراط أو تفريط.

مدير التحرير

فهد الخزي

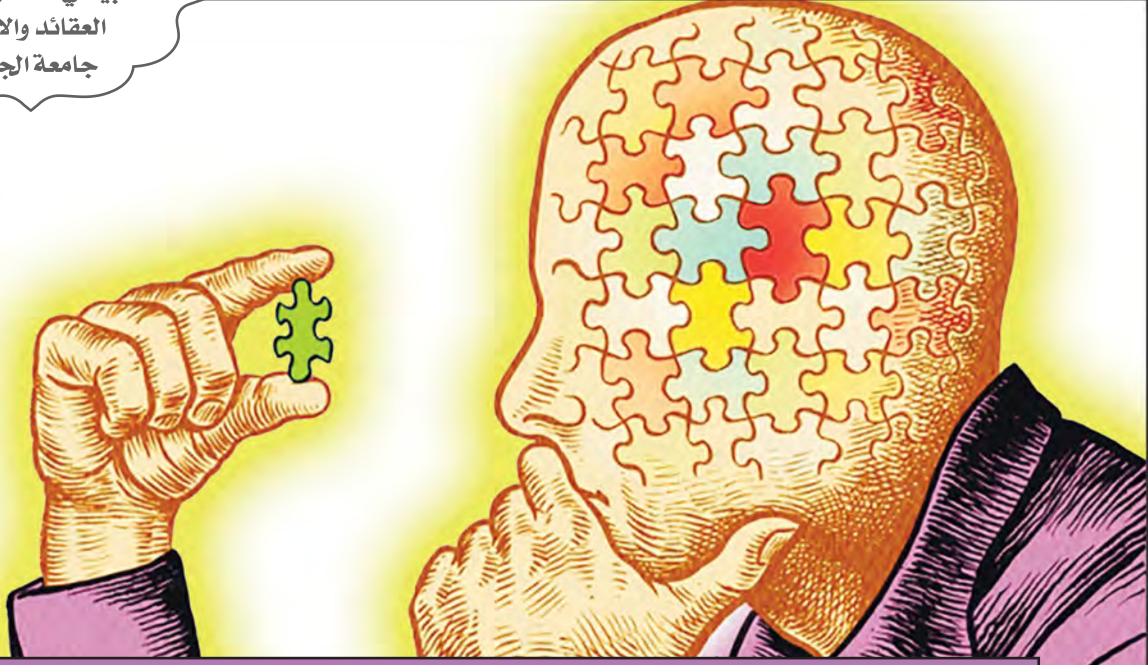

## الاشتراكات

● داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

أ. د. محمد عبدالحليم
بيشي - دكتوراة في
العقائد والأديان
جامعة الجزائر



# مكانة العلم في الإسلام

لا يوجد دين رفع من قيمة العلم، وأعلى من شأن العلماء كالإسلام، في نصوص تتلى في كل آن وحين، فسورة القلم بدأها الله تعالى بقوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم:١)، كما أن أول آية نزلت من القرآن الكريم لم تأمر بالصلاة، ولا بالزكاة، ولا حتى بالجهاد، وإنما بالقراءة، يقول الله عزوجل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ (العلق:١-٣).

وورثنا عن المصطفى عليه الصلاة والسلام، آثارا وسيرا متواترة في تقديم الفقهاء والعلماء والقراء من الصحابة على غيرهم في إدارة الدولة، وقيادة شؤون الجهاد والسرايا، وتحصيل الأموال وتوزيعها، وفي الحكم والقضاء.

وفي هذا المضمار فإننا نرفع آيات المعروف والتقدير لآبائنا وأجدادنا، الذين أورثونا قيما وحكما نبيلة، وأمثالا ممجدة للعلم والعلماء، فقد عرفوا حق العلم، وقدرته على تطويع الحياة،، وتذليل الصعاب.

نعم، ربما كان أجدادنا أميين، لكنهم لم يكونوا جهالا؛ لأن الجاهل من جهل حق الله وحق الناس، وكم من متعلمي اليوم، وحملة الشهادات يجحدون نعمة الله، وينكرون حق الأمة في رد الدين المناط بأعناقهم.

لقد ورثنا عن أجدادنا قيما ناظمة للحياة ممجدة للعلم، وكانوا يقدسون المسجد والكتاب، ويعتبرونهما من رياض الجنة. لكننا أهملنا هذه القيم، ما جعل أعداءنا ينتجون من العلوم والمعرفة أضعاف ما ينتجه العرب، رغم ماضينا المشرق في مجال العلم والعلوم.. فلماذا تراجعنا إلى هذا الحال؟

> **العلم طريق الجنة والسبيل لمعرفة الله**

لقد استشرف الصحابي ابن مسعود هذا الزمان، الذي تنقلب فيه القيم حينما قال: «أنتم في زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، تحفظ فيه حدود القرآن، وتضيع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يعطي، يطيلون فيه الصلاة، ويقصرون الخطبة، يبدون أعمالهم قبل أهوائهم. وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه، يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده، كثير من



يسأل، قليل من يعطي، يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة، يبدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم» (الموطأ، جامع الصلاة).

لذلك يجب التذكير دوما بالأولويات في ديننا الذي رفع العلماء إلى القمة إذ هم ورثة الأنبياء، ولا أشرف من النبوة، ولا أعظم من الرسالة المصطفاة.

### الإسلام والعلم

وفي ديننا: تعطى الزكاة لطالب العلم، ولا تعطى لمن يريد الانقطاع للعبادة؛ إذ لا رهبانية في الإسلام.. في ديننا يقدم الأحفظ لكتاب الله، والأفقه لإمامة الناس في الصلاة، كما جاء في الحديث «يؤم القوم أقرؤهم»؛ لأنه أعلم بتدبير أمر الصلاة.

في ديننا: العلم خير من نفل العبادة، وتفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة، وقد جاء أن ابن وهب أراد أن يقوم من مجلس الإمام مالك من أجل الصلاة، فقال له الإمام مرشدا: «ليس هذا الذي أنت فيه دون ما تذهب إليه إذا صح فيه النية».

في ديننا أيضا، العلم قبل الجهاد، ومداد العلماء يوزن بدماء الشهداء. وبالعلم يعرف فضل الجهاد، وبالعلماء يحشد الناس للقتال، ولولا العلم الرشيد لكان القتال خروجا مذموما أو انتحارا في سبيل الأهواء المضلة، كما فعل الخوارج قديما، وكما تفعل الحركات المتطرفة حاليا.

في ديننا: العلم طريق الجنة، وسبيل معرفة الله، ويدل على هذين النصين القاطعين من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١).

ومن السنة: أخرج الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء مرفوعا، قوله عليه الصلاة والسلام: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا، ولا درهما إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

د. محمد أحمد قنديل
باحث في الفلسفة الإسلامية

# التوثيق القرآني لبيت المقدس



لقد ذكرت «القدس الشريف» في القرآن الكريم في معرض حديث الله عزوجل عن حادثة الإسراء بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وكان ذلك ضمن سورة الإسراء؛ لذا لا يجوز للمسلم، مهما كانت الأسباب، أن تغيب عنه قضية القدس، لأن هناك سورة في كتاب الله تسمى «سورة الإسراء». وحينما يتلو الناس كتاب الله لا يتلونه إلا ويمرون بحديث «الإسراء» ويقرأون قول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء:١)، لذلك دائما يظل المسلم الذي يقرأ القرآن الكريم ويعرف ذلك هو الرقم الصعب في قضية القدس.

إن نصرة القدس تكون ببقائها حية في القلوب، وفي الكتب، والكتابات، وفي المناهج، وفي الإعلام، وفي كل السياسات. ثم بتأييد أشقائنا المرابطين في بيت المقدس وأكنافه، فهم في مقاومة شريفة، في قوتها وإرادتها وثباتها وتحملها، وسيبقى الرباط والمرابطون، والنصر قادم بإذن الله ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء:٢٢٧).

## فضائل بيت المقدس

لقد سجل القرآن الكريم لبيت المقدس فضائل كثيرة منها:

١- وصف الله تعالى له في القرآن بأنه مبارك: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (الإسراء:١)، والقدس هي مما حول المسجد وبهذا تكون مباركة.

٢- وصفه تعالى أرض بيت المقدس بأنها مقدسة في قوله على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة:٢١).

٣- في القدس يوجد المسجد الأقصى كما وثق القرآن الكريم، والصلاة فيه تعدل خمسمئة صلاة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مئة ألف صلاة وفي مسجدي ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمئة صلاة» (١).

## حق تاريخي

لقد أكدت كتب التاريخ أن أول من سكن فلسطين قبل الميلاد بستة آلاف سنة الكنعانيون، وهم قبيلة عربية قدمت إلى فلسطين من شبه الجزيرة العربية وسميت فلسطين بعد قدومهم إليها باسمهم (٢).

أما اليهود فكان أول دخولهم لفلسطين بعد دخول نبي الله إبراهيم عليه السلام بما يقارب

٦٠٠ سنة، أي إنهم دخلوها قبل الميلاد بحوالي ١٤٠٠ سنة، وعليه يكون الكنعانيون قد دخلوا فلسطين وقطنوها قبل أن يدخلها اليهود بما يقارب ٤٥٠٠ سنة (٣).

وجاء في سفر التكوين أن نبي الله إبراهيم، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، جاء إلى أرض كنعان قادما من العراق وسكنها وكان بها السكان الأصليون وهم الكنعانيون، وقد تقرر أن اليهود جاءوا بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام. إذن اليهود لا حق لهم ولا أسبقية، تاريخيا، على العرب في القدس.

وقد ذكر الدكتور عبدالوهاب المسيري في موسوعته الشهيرة «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» أن «الكثير من المؤرخين يرون أن أصول يهود أوروبا (الأشكيناز) ترجع إلى يهود الخزر وليس إلى فلسطين، وهم (أي الخزر) الذين كونوا مملكة المجر في شرق أوروبا خلال تولى خاقان (حاكم) الخزر ملكا عليهم ثم انتشر الخزر والمجريون وشعوب أوروبية أخرى بعد ذلك في أنحاء أوروبا شرقا وغربا، وكونوا نوى للجماعات اليهودية في أوروبا الوسطى والشرقية وذلك على خلاف ما تدعيه الصهيونية من أن أصل معظم اليهود فلسطينيون (٤).

## حماية القدس

يؤمن المسلمون عن يقين نابع من الإسلام أن بيت المقدس وما حوله إنما هو أرض مقدسة، لا يمكن التفريط فيها إلا إن فرطنا في تعاليم ديننا. ونحن الوحيدون في الأرض الذين يؤمنون بكل الأنبياء والرسل ونكرمهم وننزههم عن كل نقص، بدءا من آدم وإبراهيم ونوح، وحتى موسى وعيسى ومحمد، عليهم جميعا السلام. وليس في ديننا نص واحد، قرآنا وسنة، ينسب إلى أي نبي فاحشة أو جريمة أو نقيصة أخلاقية. ولا

## المسلمون حماة لكل التراث والمقدسات الدينية السماوية

يقبل إيمان أحد من أتباع النبي محمد ﷺ إلا إذا آمن بكل الأنبياء وأنزلهم جميعا منزلة كريمة؛ يقول تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٦)، وقوله عزوجل: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ (البقرة:٢٨٥). ورسالة الأنبياء منذ نوح وحتى محمد، صلى الله عليهم أجمعين، هي رسالة واحدة تنبع من مصدر واحد، وتهدف إلى غايات واحدة، ويكمل بعضها بعضا (٥).

وبالتالي، وانطلاقا من هذا الإيمان الكامل نقف نحن المسلمين حماة لكل التراث والمقدسات الدينية السماوية، وذلك بأمر ديننا الذي مثل آخر حلقة في سلسلة الوحي السماوي، والذي حمل أتباعه، نتيجة هذا، مسؤولية إنسانية عامة، جاءت في قوله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠)، وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ (الحج:٧٨).

## التوراة وصفت اليهود في عدة مواضع بأنهم قتلة الأنبياء

وحقيقة هذه المسؤولية العامة وقيمتها، لتتضح إذا ما قارناها بالموقف اليهودي من الأنبياء، وهو ذلك الموقف الذي لا يؤهلهم إلى أي لون من ألوان الحماية أو الهيمنة على أي مقدسات دينية في الأرض.

إن التوراة نفسها، والإنجيل والقرآن أيضا، تصفهم في مواضع عديدة بأنهم «قتلة الأنبياء» ومشوهوهم، وتقول: «قال الرب: هأنذا جالب شرا على أورشليم ويهوذا، وأدفعهم إلى أيدي أعدائهم غنيمة ونهبا لجميع أعدائهم؛ لأنهم عملوا الشر في عيني» (٦). وتقول: «هأنذا جالب الشر على هذا الموضع وسكانه؛ من أجل أنهم تركوني وأوقدوا لآلهة أخرى؛ لكي يغيظوني بكل عمل أيديهم، فيشتعل غضبي على هذا الموضع ولا ينطفئ» (٧).

فهل يمكن أن يؤتمن أناس بهذه الصفات على التراث الديني، أو على الحضارة البشرية؟! ويقول الله تعالى عنهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ (آل عمران:١١٢).

### الهوامش

١- مسند البزار، (١٠ / ٧٧).
٢- الصهيونية، نشأتها، تنظيماتها، أنشطتها: أحمد العوضي، ص٧.
٣- المرجع السابق، ص ٨.
٤- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبدالوهاب المسيري، (٣ / ٤١٦).
٥- مكانة بيت المقدس في الإسلام وعند المسلمين، الدكتور عبدالحليم عويس، شبكة الألوكة.
٦- «سفر الملوك الثاني»، ١٢/٢١ - ١٥.
٧- «سفر الملوك الثاني»، ١٦/٢١ - ١٧.

د. سليمان علي سليمان بدر
باحث دراسات إسلامية

# الاعتدال والتوسط في مفهوم الولاء والبراء

**الإسلام دين السماحة واليسر، دين التكامل مع الآخرين، لكن للأسف الشديد مال البعض من أبنائه عن الطريق الصواب والفهم السديد وظنوا - وظنهم خاطئ - أن الإسلام دين إقصاء يأمر بالابتعاد عن المخالفين لنا في العقيدة، بل إن حسن المعاملة لهم وبرهم دليل على الولاء لهم، فوقعوا في شبهات واشتبهت عليهم أمور ليست بخفية بل واضحة وضوح الشمس في كبد النهار، وكان عندهم غلو في القول بالولاء والبراء.**

وأول شيء في الموالاة الحب في الله سبحانه وتعالى والبغض في الله، فلابد للمؤمن أن يحب المؤمنين، وأن يحب الله عزوجل حب العبادة، وأن يحب الرسول ﷺ والمؤمنين حبا في الله سبحانه وتعالى، فهذا الحب تابع وأثر من آثار حب المؤمن لربه عزوجل. فإن كان هذا التقرب والود مقصودا به الله ورسوله والمؤمنين، فهو الموالاة الشرعية الواجبة على كل مسلم، وإن كان المقصود هم الكفار والمنافقين، على اختلاف أجناسهم، فهو موالاة كفر وردة عن الإسلام. فالموالاة إذا كانت بين المؤمن وربه أو بين المؤمنين بعضهم وبعض فهي الموالاة المحمودة المأمور بها شرعا، وهي التي تورث العز في الدنيا وتكسب الفوز والنجاة في الآخرة، أما إذا كانت الموالاة بين الكفار والمنافقين بعضهم وبعض أو بينهم وبين الشيطان، أو تلك التي يكون الكافر أو الشيطان طرفا فيها، فهي الموالاة المذمومة المنهي عنها، وهي التي تورث ذل الدنيا وغضب الله وعقابه في الآخرة، وهذه الأخيرة يتبرأ منها أطرافها ولا يغني بعضهم عن بعض شيئا في الآخرة (١).

وقد أوصانا ديننا الحنيف بالتعامل مع أهل الكتاب المسالمين لنا معاملة طيبة ومن هذه المعاملات:

١- كف الأذى والظلم، وعدم التعدي عليهم، وهذا مما يصدق عليه ما رواه عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما» (٢). هكذا يتحدد الوعيد على لسان رسول الله ﷺ لمن قتل المعاهد من أهل الكتاب.

> **الإسلام أمر بحسن المعاملة مع غير أهل الكتاب أيضا**

٢- التزام أصول الأخلاق في الإسلام معه، من الصدق والأمانة، والعدل والإنصاف، والرحمة في مواضعها الشرعية، وما إلى ذلك من أصول الأخلاق الحميدة.

٣- جواز إيصال البر والمعروف الإنساني إليه، ومن ذلك جواز الهدية والإغاثة، ونحو ذلك من أعمال الأخلاق الحسنة، بضوابطها الأخلاقية الشرعية. هذا وقد أباح الله سبحانه في القرآن الكريم تناول طعام أهل الكتاب وتزوج نسائهم في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ

﴿مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾ (المائدة:٥). توجهنا الآية الكريمة إلى حل التعامل مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وتبادل المنافع معهم وإباحة طعامهم ضيافة وشراء بل والتزوج من نسائهم (٣).

٤- عدم جواز سبهم وشتمهم ورميهم ظلما وباطلا بالزنى أو بغير ذلك، فقد ورد عن واثلة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار» (٤).

ولقد أمر الإسلام أيضا بحسن المعاملة مع غير أهل الكتاب، فالإسلام لم يكن دين جفاء ولا غلظة قط إنما هو دين مودة ورحمة، وقد أمر النبي ﷺ بقبول الهدية من المشركين، ليس ذلك فقط، بل وأمر بإهدائهم، ولذلك أدلة منها.

١- عن أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم، صلي أمك» (٥). فدل هذا الحديث على: جواز الهدية للمشركين، لاسيما إذا كانوا من ذوي القربى. ومشروعية صلة الرحم الكافرة كالرحم المسلمة. واستدل بعضهم على وجوب النفقة للأب الكافر (٦).

٢- أهدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حلة إلى أخ له مشرك بمكة، كانت قد جاءته من النبي ﷺ (٧).

٣- أباح الله قبول الهدية من المشركين والكافرين، فقد قال النبي ﷺ لصاحب الغنم المشرك عندما أراد أن يأخذ منها شاة: «بيعا أم عطية؟»، أو قال: «أم هبة؟». قال: لا، بل بيع، فاشترى منه شاة (٨). فدل هذا الحديث على أن الشراء والبيع من الكفار كلهم جائز، إلا أن أهل الحرب لا يباع منهم ما يستعينون به على إهلاك المسلمين من العدة والسلاح، ولا ما يقوون به عليهم (٩).

٤- أهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بردا وكتب له ببحرهم (١٠) (١١).

فالنبي ﷺ في هذا الحديث قد قبل الهدية من الكافر وأهدى إليه أيضا؛ وهكذا فإنه تجوز الهدية إلى الكافر، ويجوز قبول هديته، من حيث المبدأ، ما لم يقترن ذلك بما يجعله محرما كأن تكون على حساب شيء من الخلق والدين. وهذا حكم مطرد حتى بالنسبة إلى المسلم. على أن من اللازم أن يتنبه المسلم إلى الحذر من تحول تعامله مع أهل الكتاب أو الكافرين إلى موالاة أو محبة أو تفضيل لهم وتقديم لهم على المسلمين أو مجاملة لهم في مسائل الكفر أو إطراء لهم أو لعباداتهم أو تهنئة بأعيادهم، ونحو ذلك مما هو من شعائر دينهم، أو ملازم للكفر (١٢).

## الفاروق اقتص لقبطي من ابن عمرو ابن العاص

### واقع المسلمين اليوم

اتفق العلماء، رضوان الله عليهم، على أن إعانة المشركين أو غيرهم على المسلمين أمر يخرج عن الملة لو قام به أحد من المسلمين بقصد الإضرار العمد بالمسلمين.

بينما اختلفوا في بر غير المسلمين ومودتهم إن لم يقصد الإضرار بالمسلمين إلى قولين.

القول الأول: أن التقرب منهم ليس فيه شيء، بل إن التقرب منهم هو ما يدعو إليه الإسلام. فإذا نظرنا إلى السلف الصالح وجدناهم فهموا الولاء والبراء أفضل منا. مستدلين على قولهم بقولهم تعالى:

﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

أي: لا ينهاكم الله العليم الحكيم عن مخالطة المشركين الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتحسنوا معاملتهم وتكرموهم. وعن أن تقسطوا إليهم. ولا تجوروا عليهم في حكم من الأحكام (١٣).

ومنها أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهدر أي تفرقة بين مسلم وغير مسلم، ويتضح هذا عندما أمر أن يقتص أحد أقباط مصر من ابن عمرو بن العاص (والي مصر) عندما ضربه (١٤).

القول الثاني: يرى الابتعاد عن غير المسلمين وأن التقرب منهم كفر. وقال: إن مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين من نواقض الإسلام (١٥).

مستدلين على ذلك: من القرآن الكريم:

١- ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ (المائدة:٨١).

ووجه ذلك: أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب فلا بد من اتخاذهم عدوا (١٦).

٢- ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة:٢٢).

فالمقصود من هذه الآية الكريمة النهي عن موالاة المنافقين وأشباههم، فلا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا إذا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه (١٧).

وأجيب عن ذلك: أن الآية الأولى آية عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل، بينما الآية المذكورة في الدليل الثاني خاصة بمن لم يقاتل، بينما الأدلة القاضية بالجواز مكررة (١٨).

والراجح منهما: أن الولاء والبراء لـ داما من الإسلام، وهو وسط وسمح ورحمة. لا يشك في هذه النتيجة مسلم، ولا غير مسلم إذا كان منصفا فلذلك أقول: إنه لا مانع من مودتهم وبرهم بناء على النصوص الإسلامية إن كان ذلك بلا إضرار متعمد للإسلام والمسلمين وبلا انزلاق لهويتهم ولدينهم.

### وخلاصة القول:

إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب وغيرهم شيء، واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين، الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين ووظيفته، بوصفه دينا منهجيا واقعيا، يتجه إلى إنشاء واقع في الأرض، وتعميرها بما أمر به الله وفق التصور الإسلامي الذي يختلف في طبيعته عن سائر التصورات التي تعرفها البشرية وتصطدم من ثم بالتصورات والأوضاع المخالفة، فالبعض يختلط عليه حسن المعاملة معهم ومفهوم الولاء والبراء، فيخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ولرسوله وللجماعة المسلمة. ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب. بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة.

### ومن ثم تكون أهم النتائج والتوصيات:

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب وغيرهم، ولكنه منهي عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم. كما أنه من الواجب علينا أن نتفهم النصوص الإسلامية فهما شاملا لجميع مناحي الحياة. بمعنى أن لا نأخذ نصا ونغض الطرف عن نص آخر.

---

### الهوامش

١- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة، ط: الرابعة ٣٦٨٦/٨، بتصرف.

٢- صحيح البخاري، كتاب الجزية فرض الخمس، ب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (رقم ٣١٦٦) ٣٨١/٩، ط دار الغد العربي.

٣- مختصر تفسير ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) للصابوني، ط: دار التراث العربي، ٤٨٧/١، بتصرف.

٤- المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني (ت:٣٦٠هـ)، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة ٥٧/٢٢.

٥- فتح الباري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين، رقم (٢٦٢٠)، ١٤٧/٨.

٦- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري لحمزة محمد قاسم، الناشر: مكتبة دار البيان، ١٩/٤.

٧- فتح الباري، ك الجمعة، ب يلبس أحسن ما يجد، رقم (٨٨٤)، ٣٣٣/٣.

٨- فتح الباري، ك البيوع، ب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، رقم (٢٢١٦)، ١٥٣/٧.

٩- شرح صحيح البخاري لابن بطال (ت:٤٤٩هـ)، دار النشر: مكتبة الرشد- السعودية، ٣٣٨/٦.

١٠- (كتب له ببحرهم) أي جعله حاكما على بلدهم وأرضهم.

١١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ك الهبة، ب قبول الهدية من المشركين، ١٤١/٨.

١٢- الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها للدكتور عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، ص٢٨٢.

١٣- الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية لنعمة الله بن محمود النخجواني (ت:٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر ـ الغورية، ٤٠٧/٢، التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر،٣٣٥/١٤، بتصرف.

١٤- إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة لابن المبرد (ت:٩٠٩هـ)، الناشر: دار النوادر، سوريا، ص:١٧٦.

١٥- الأحكام الشرعية للثورات العربية لعلي ابن نايف الشحود، ص: ٨٤٢، التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة لإبراهيم بن الشيخ صالح بن أحمد الخريصي، الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ص:٢١.

١٦- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة لحاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، ص:٨.

١٧- التفسير الوسيط لطنطاوي ٢٧٤/١٤، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي (ت:١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، ص:٨٤٨، بتصرف.

١٨- نيل الأوطار للشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، ٢٨٦/٤، بتصرف.

حجازي عبدالنبي
كاتب وباحث في الشؤون الإسلامية

# مقتطفات من المنهج الرباني لإصلاح الفرد والمجتمع

**إن المنهج القرآني منهج رباني فريد من نوعه في إصلاح الفرد وتهذيب نفسه، وبالتالي إصلاح المجتمع كله، ووقايته من الفتن والتعرض للشهوات، ومن التدابير الوقائية الخلقية والاجتماعية لإصلاح حياة البشر وهدايتهم على سبيل المثال لا الحصر:**

**١- الإيمان بالله تعالى:**

إن خير ما يقوم بتربية الضمير الحي، ويعتبر المحرك للفضائل، والواقي من الفتن هو الإيمان بالله عزوجل، والإيمان باليوم الآخر.

إن هذا الإيمان يعطي لصاحبه شخصية قوية وعزيمة تجعله يتحلى بالخلق الحسن والخصال الكريمة، كمحاسبة النفس على تقصيرها، ويجعل الضمير يقظا وواعيا، حتى يحميه من الوقوع في الرذائل والمنكرات، وقول السوء أو فعله، حتى إذا مالت عليه الدنيا، وظن أنه واقع في الذنب لا محالة، وجد من ينادي عليه ويوقظ فيه نفسه اللوامة، خوفا من سخط الله وعقوبته.

والمتأمل سيدرك أن التذكير بحال الإنسان في الحساب يجعل النفس تستقيم، وتراقب تصرفاتها، وتجعل سيرها موافقا لشرع الله عزوجل خوفا من الحساب والعقاب، والقارئ في القرآن الكريم يدرك حقيقة ذلك في قوله الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩).

وفيها يقول أحد المفسرين: «أي لا يقي المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملء الأرض ذهبا. (ولا بنون) أي ولو افتدى بمن على الأرض جميعا». ولا ينفع يومئذ إلا الإيمان بالله وإخلاص الدين له والتبري من

الشرك وأهله ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، أي سالم من الدنس والشرك. وقال آخر: «القلب السليم أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور» (١)، فالقلب إذا فسد فسدت معه جل الجوارح. وخص القلب بالذكر؛ لأنه هو الذي إذا سلم سلمت معه الجوارح، ومن هنا فالإنسان حين يتذكر وقوفه بين يدي الله للحساب والجزاء، يوم توزيع الصحائف، وحين يتذكر هول ذلك اليوم الذي قال الله عنه في كتابه الحكيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ٢﴾ (الحج:١-٢).

فهذا مشهد حافل بالهول والفزع، فمن تصور نفسه في ذلك اليوم فلاشك أنه سيكون حافزا له على الاستقامة، وترك شهوات الدنيا وإن أتت وقرعت بابه.

### ٢- العبادات:

العبادات في الإسلام لها رونق وطابع خاص، فيكفي أن لها الأثر البالغ في تهذيب الإنسان وإبعاده عن الشهوات ومغرياتها، فالقلب الإنساني دائم الشعور بحاجته إلى الله تعالى، ولا يمكن أن يملأ هذا الفراغ إلا حسن الصلة بالله عزوجل، وهذا هو دور العبادة.

فالقلب لا يفلح ولا ينعم ولا يبتهج ولا يستلذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه سبحانه وحبه والإنابة إليه. قال الإمام الفخر الرازي عليه رحمة الله: «أعلم أن من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها» (٢). ناهيك أن من غاياتها وخاصيتها أن تمنع الفساد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت:٤٥).

وفي الصوم تربية للضمير، وائتلاف روحي، وتعاون اجتماعي، والزكاة فريضة ربانية، تطهر النفس والحس من الشح والبخل وتتجه إلى إيجاد مجتمع فاضل متعاون أدبيا وماديا.

والحج أيضا عبادة اجتماعية ويكون بالمال والبدن، فهو عبادة تهذب الروح وتوحد المسلمين في مؤتمرهم السنوي الكبير.

**من أعظم أهداف الرسالة المحمدية بناء الشخصية المسلمة**

### ٣- الأخلاق:

إن المتأمل في المنهج القرآني الفريد لجانب الأخلاق تحديدا، والآداب العامة الاجتماعية في شكل أوامر ونواه وقوانين إلهية، جاءت في آيات واضحات بينات لتكون اللبنة الأولى في بناء المجتمع الفاضل، وسياجا واقيا للمسلمين، وذلك للاحتفاظ بالقيم الإيمانية التي تحض على التحلي بمكارم الأخلاق المحمودة إلى غير ذلك من الفضائل الخلقية، التي تتمثل أصولها في طهارة القلب وسلامة الصدر، وعفة اللسان، واستحياء النفس من فعل ما يوجب اللوم والتأنيب.

وإن من أعظم أهداف الرسالة المحمدية بناء الشخصية المسلمة المتكاملة والمجتمع الفاضل وفق المنهج الرباني بالتحلية بالفضائل والتخلية عن الرذائل لإيجاد الأمة الربانية المتآلفة التي يعمل فيها الفرد لمصلحة الجماعة، والجماعة لمصلحة الفرد، في توازن وتناسق يؤدي إلى إيجاد المجتمع الفاضل (٣)، فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

### ٤- المعاملات:

وقد ربط الله تعالى أمورا كثيرة بالإحسان، الذي هو قمة العطاء والفضل والإيثار، وأما المعاملات فقد بينها المنهج القرآني الكريم بأحسن بيان، وفصلها، وأعطاها أعلى درجة الإتقان حتى وصلت لدرجة الإحسان، وذلك من خلال سن قوانين تنظم حياة الأسرة، سواء فيما يتعلق بالزوجين أو الوالدين أو الأولاد.

وقوانين تنظم المجتمع المالي من: بيع، شراء، قروض، كفالة، رهن، وديعة، الحجر، التفليس، الوقف، الهبة.. وغيرها من الأمور المالية.

ومن الجانب الاجتماعي: علاقات ذوي القربى، التكافل والتراحم.

ومن الجانب الإنساني: البر، المعروف وكل أنواع الخير.

### ٥- غض البصر:

من الآداب التي ينبغي على المجتمع المسلم أن يعتني بها ومن الأمور التي نوهت سورة النور بها غض البصر؛

لأن التساهل بإطلاق الرجل بصره له آثاره السلبية في حياة الفرد والمجتمع عموما.

قال بعض المفسرين: «أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم الله عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا» (٤).

وغض البصر: «كف النظر إلى ما يحرم النظر. والغض هو إطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية» (٥).

من أجل ذلك بين النبي ضرر إطلاق البصر وسوء عاقبته فعن أبي سعيد الخدري (٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها، قال: فأما إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: يا رسول الله، فما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» (٧).

إن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عزوجل عليه، عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه (٨).

### ٦- حفظ الفروج:

لقد حفظ الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بحفظ الفروج، وحفظ الفرج يشمل: حفظه عن الوطء الحرام، من زنى، أو لواط، أو مساحقة، أو إتيان الدبر أو ما دون ذلك. وحفظه من الإبداء للناس والانكشاف لهم، فهو يشمل إذا حفظه من الفواحش، وحفظه من أن ينظر إليه أحد، وكلا المعنيين ورد عن السلف رضي الله عنهم (٩).

وعن أبي العالية (١٠) قال: كل فرج ذكر حفظه في القرآن الكريم فهو من الزنى إلا هذه الآية: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (النور:٣١) (١١).

قال ابن عطية: وحفظ الفروج: يحتمل أن يريد في الزنى، ويحتمل أن يريد في ستر العورة، والأظهر: أن الجميع مراد، واللفظ عام (١٢).

وحفظ الفرج عما حرم الله أمر واجب ولذا أمر الله بحفظه حماية وصيانة للأعراض، ووصف من ابتغى المتعة في غير ما أحل الله له بالعدوان قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون:٧).

ولعل في ذلك أن يجد قارئ القرآن الكريم في ثنايا كتاب ربنا سبحانه جملة من الآداب النافعة اليافعة التي تحمل المجتمع على أن يكون نظيفا طاهرا.. وإن هذه الوسائل والأساليب الوقائية ضرورية في كل مكان وزمان؛ لأن هدف الإسلام من ذلك هو إقامة مجتمع طاهر عفيف خال من هيجان الشهوات.. والمتأمل يرى التدرج في توجيه وقاية الإسلام للفرد والجماعة كان واضحا وجليا وظاهرا، فأمر بغض البصر، ثم حفظ الفرج وإبقاء الطباع البشرية سليمة نقية، فبحفظهما صون للمجتمع من كل فاحشة وكل رذيلة.

**الهوامش**

١- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٣٤٠، عن محمد بن سيرين.
٢- د. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص٩٩-١٠٠، بتصرف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢٤، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٣- فاطمة نصيف، نقلا عن: الدكتور يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص٩٩-١٠٠ بتصرف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط٢٤.
٤- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/٢٨٦.
٥- الأستاذ محمد عتريس، معجم التعبيرات القرآنية، ص٤٤٢، الدار الثقافية للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
٦- أبوسعيد الخدري، هو سعد بن مالك ابن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر وهو خدرة ابن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، كان ممن حفظ عن رسول الله سننا كثيرة، وروى عنه علما جما، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم. وفاته: قيل: مات سنة أربع وسبعين. وقيل: أربع وستين. وقال المدائني: مات سنة ثلاث وستين. وقال العسكري: مات سنة خمس وستين.
٧- أخرجه مسلم: كتاب السلام، باب: من حق الجلوس على الطريق رد السلام، حديث رقم:١٠١٧.
٨- شمس الدين ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ص٦٧، دار ابن رجب، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ط١، تحقيق: رمزي بن صادق.
٩- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٦/٢٠٨، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٠- أبوالعالية، رفيع بن مهران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أبوالعالية الرياحي البصري، أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم. أدرك زمان النبي وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر ودخل عليه، قال أبوخلدة: مات أبوالعالية في شوال سنة تسعين. وقال البخاري وغيره: مات سنة ثلاث وتسعين. وشذ المدائني فوهم وقال: مات سنة ست ومئة.
١١- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٨/١١٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠١٤م، تحقيق بشار عواد معروف، عصام فارس الخرستاني.
١٢- أبومحمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤/١٧٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد.

مرهف حسين أسد
كاتب وباحث إسلامي

# صناعة الوعي

**في ظل الأزمات الداخلية المتفاوتة التي تمر بها المجتمعات الإسلامية، تطلع كثير من الناس إلى تلقف الحلول من خلال استيراد رؤى أو مشاريع إصلاحية غربية، من دون مراعاة لفوارق ظروف المجتمعات وطبائع أهلها وأحوالهم، فبد لا من أن يستفيدوا إيجابيا مما فرضته العولمة من مفاهيم، كانوا أداة من أدوات انتشارها وزيادة تأثيرها، غير مقدرين أن مجتمعاتنا فيها ما يكفي من ذوي العقول الواعية الناضجة القادرة على النظر في كل مشكلاتنا المزمنة التي تمكنت فيها واستفحلت، ووضع الحلول لها، وهم الأقدر على حلها، والأعلم بثقافة المجتمع وتكوينه الديني والعقدي من غيرهم.**

فلابد من منح الثقة للمفكرين المخلصين من أبناء أمتنا للبحث عن مخارج لكل أزماتنا الراهنة، من خلال غرس فسائل الوعي في نفوس الناس صغيرهم وكبيرهم، واقتناص الفرص التي ترفع من سويته ونسبه، فبمقدار ما يتأصل الوعي في المجتمعات، يزداد رقيها في مدارج السمو والفلاح.

وما دامت الحلول الجزئية السريعة لمشكلاتنا الراهنة بكل تعقيداتها هي العملة الرائجة، سيتكرس الوهن والتأخر في صفوفنا، وستسري مشاعر اليأس والإحباط في أعماقنا من كل دعوات الإصلاح الراهنة، وسنبقى ندور في فلك التبعية والتخلف ما بقي الوعي غائبا أو مغيبا عن تفاصيل حياتنا.

## ما هو الوعي؟

الوعي كلمة تدل على ضم الشيء. وفي قواميس اللغة العربية: وعيت العلم أعيه وعيا، ووعى الشيء، والحديث يعيه وعيا وأوعاه: حفظه وفهمه وقبله، فهو واع. وفلان أوعى من فلان، أي أحفظ وأفهم.

والوعي كلمة تعبر عن حالة عقلية يكون فيها العقل بحالة إدراك وعلى تواصل مباشر مع محيطه الخارجي عن طريق منافذ الوعي المختلفة المتمثلة في الحواس، أو ملكات المحاكمة العقلية المتنوعة، لتتكون لدى الإنسان أفكار ووجهات نظر ومفاهيم عن الحياة والطبيعة تساهم في الارتقاء والتقدم.

وقد يكون الوعي وعيا زائفا، وذلك

عندما تكون أفكار الإنسان ووجهات نظره ومفاهيمه غير متطابقة مع الواقع من حوله، أو غير واقعي، وقد يكون جزئيا، وذلك عندما تكون الأفكار والمفاهيم مقتصرة على جانب أو ناحية معينة وغير شاملة لكل النواحي والجوانب والمستويات المترابطة التي تؤثر وتتأثر بعضها ببعض ضمن عملية تطور الحياة.

ولعل من أجمل ما قرأت في تعريفات الوعي، للدكتور حمزة بن فايع الفتحي، قوله: «إن الوعي شيء آخر، غير مجرد القراءة والتعلم، وجمع الكتب. وإن كانت هذه بعض أدواته - إذ هو استعداد ذهني لتجاوز ما في المعلومات، والفهم الدقيق للظروف المحيطة بالإنسان عبر خيال فسيح، وأدوات سليمة، تتنافى مع الجهالة والتسطيح، والتزييف أو المزايدة».

### مقومات مؤسسية

الوعي كما غيره من المفاهيم يحتاج إلى مقومات يقوم بها، إن على المستوى الشخصي أو في إطار المؤسسات والتجمعات، ولعل من أهم تلك المقومات: المؤسسات التربوية والتعليمية على تنوعها وفي كل مراحلها، فالأسر والمدارس والجامعات والمناهج الدراسية والمعلمون والخطباء وأئمة المساجد، يساهمون بشكل جوهري في رفع مستوى الوعي لدى الأفراد والمجتمعات، ويسهمون إسهاما كبيرا في إكساب الإنسان الأدوات اللازمة لمحاكمة الأمور ومسبباتها ونتائجها.

كما أن الإعلام يعتبر من أهم وأخطر الوسائل في تقدم الأمم أو تخلفها، وما لم يحمل الإعلام مبادئ وقيما حضارية رائدة يترفع فيها عن الابتذال والإثارة ومحاكاة الغير بعمى وقلة بصيرة، فإنه سيتحول إلى وسيلة هدم سريع مهما كان البناء عتيدا والبناة كثرا.

**الإعلام من أهم وأخطر وسائل تقدم الأمم أو تخلفها**

وحتى تقوم تلك المؤسسات بدورها الفاعل، لابد من التخطيط الهادف الواعي المتكامل لإيجاد آليات ترفع من أدائها بناء على أسس علمية رصينة، لصياغة شخصية الفرد، وبناء الوعي الحضاري لديه، الذي لا يمكن أن يحقق نتائجه ويؤتي ثماره إذا كان منعزلا عن السمو الروحي والإيمان القلبي، إذ هو الفاعل الحقيقي للتقدم الراقي، والمحرك الأساسي للأفراد نحو العمل والإنتاج والإنجاز والإتقان المبدع، وهو المنظم لعلاقات الأفراد والموضح لأدوارهم وواجباتهم بمنتهى العدل والإنصاف.

لذلك تنبغي مراعاة أمرين مهمين، حتى تكتسب تلك المؤسسات مفاتيح علم الوعي؛ أولهما: سعة الاطلاع وعمومه، نظرا لتشعب علم الوعي وشموله، فلا بد فيه من الإحاطة بكثير من العلوم الشرعية والاجتماعية وعلوم السياسية وغيرها. وثانيهما: التجدد بشكل دائم، لأن هذا العلم يحتاج إلى قدرة فائقة في البحث في كل جديد، ومتابعة كل حديث، ومواكبة كل طارئ، لذا يلزم المتخصص أن يكون لديه دأب لا يكل في متابعة الأحداث، ودراسة أحوال الأمم والشعوب. وفي حال حدوث خلل في أحد الأمرين أو كليهما، فإن ذلك سينعكس سلبيا على القدرة في فقه الواقع، وتقويم الأحداث، وفهم مجرياتها، والحكم عليها.

**الوعي الحضاري لن يؤتي ثماره من دون إيمان راسخ بالقلب**

### مقومات فردية

أما مقومات الوعي على المستوى الفردي، فالقراءة المتعمقة تشكل الركن الركين والأساس القويم في بلورة الوعي وعمقه، لما تفتحه من آفاق أمام القارئ تختصر أمامه تجارب الآخرين، فتمنحه عصارة إيجابيات تجاربهم، وتجلي له سلبياتها.

كما أن السفر، والضرب في أرجاء الأرض، يمنحان المرء فسحة لرصد تجارب الحياة، وسبر أغوارها، من خلال الاطلاع العملي على منتجات عقول الآخرين على كل المستويات.

ولعل التقنية الحديثة التي نعيش مراحل تطورها السريع، هي من أهم مقومات صناعة الوعي على كلا الإطارين الفردي والمؤسساتي، فالمعلومة باتت حاضرة وسريعة، والعالم أصبح كقرية صغيرة، تستعرض أبعاده وزواياه من خلال جهاز صغير بحجم كف اليد، يضع بين يدي مقتنيه كما من المعلومات كان الحصول عليه ضربا من ضروب المستحيل. وكل ذلك يوجب علينا تطوير أدواتنا التعليمية، وأساليبنا التفكيرية، وخططنا ومناهجنا، وما لم نع ذلك، فسنظل في تخبط وعشوائية، ونذوق مرارة التأخر والتخلف والتقهقر.

### فوائد

لا ريب أن للوعي فوائد كثيرة وكبيرة، ونتائج مهمة، لا يدركها إلا من عاش في كنف المستبصرين، وحذا حذوهم، واقتفى أثرهم، وجد وثابر، ليرتقي بنفسه من حالة الانغلاق والجمود ومحدودية الأفق والرؤية، التي خلفتها تراكمات ثقافية ونفسية واجتماعية متجذرة، إلى أفق فسيح رحب يطلق للعقل العنان، ويزيل الغشاوة عن العقول والقلوب، ليحدث حالة من اليقظة التي تجنب صاحبها الحيرة والضياع، وتذيقه بعضا من حلاوة الوعي الذي اكتسبه، وتجلي للناس من حوله بعض ثماره وفوائده الكثيرة التي نستعرض بعضها، على النحو التالي:

١- سعة الأفق: هذه الفائدة وحدها تكفي كي يعتني الآباء والمربون والمفكرون، بترسيخ مفهوم الوعي ومحاولة غرسه، وتحسس طرق اكتسابه بين عموم فئات الناس صغيرهم قبل كبيرهم، لتتكون الأرضية الأساسية لبناء ثابت الدعائم والأركان.

٢- معرفة كنه الأمور وسبر أغوارها، وعدم الانخداع بظواهرها، لذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «نور العقل يضيء في ليل الهوى، فتلوح جادة الصواب، فيتلمح البصير في ذلك عواقب الأمور»، فما يصيب الأمة بمجموعها اليوم، ما هو إلا تراكم من المكائد والحيل التي تمرر على حين غفلة من بعض من أبنائها، وانخداع بعضهم الآخر. وغرس الوعي في النفوس، هو يقظة لهؤلاء وأولئك، وخطوة في سد الأبواب أمام كل مكيدة أو عبث.

٣- حسن التعامل مع الأمور عموما، والأزمات خصوصا، فعدم التعاطي

**سعة الأفق فائدة مباشرة لترسيخ مفهوم الوعي**

الناجح مع ظروف الحياة وتقلباتها، والخلط بين المواقف والأشخاص وعدم التمييز بين صالحهم وطالحهم، والتعامل مع الحياة بعفوية وتركها لتقلبات الأيام، تدير دفتها كيفما تشاء، من دون أي دور فاعل في إدارتها بإيجابيها وسلبياتها، ما هي إلا أعراض لبعد الناس عن العقلية الواعية التي تعرفهم سر خلقهم، وغاية وجودهم على وجه هذه البسيطة.

٤- تمييز الأولويات، فكثيرا ما بتنا نلحظ خللا واضحا في مختلف جوانب الحياة وبين سائر الفئات، العلماء منهم أو الأشخاص العاديين وحتى بين الأزواج، يتمثل في الكثير من العشوائية في ترتيب الأولويات، فتنتج عنها كثير من الخلافات والمخاصمات الناشئة بسبب التفاوت في ترتيب الأولويات، وعدم أخذها بالأهم ثم المهم، ثم الأقرب فالأقرب.

٥- حسن وضع الخطط والأهداف الاستراتيجية، بعيدة المدى، التي تأخذ في اعتباراتها المتغيرات الداخلية والخارجية للبيئة التي يعيش فيها الإنسان، وتلحظ كذلك الإمكانات المادية والطاقات المعنوية، وتحسن توظيفها من دون هدر أو تضييع، للوصول بها إلى أقصى

**تأخرنا في هذا المجال أصابنا بتغييب على كل المستويات**

درجات الحيوية والفاعلية.

٦- النهضة العلمية بكل مستوياتها، التي تبعث في الأمة روحا تنير فيها العقول، وتخلصها من حالة التسطيح الفكري التي تعيشها، لتقطع كل سبيل أمام كل متسلط يريد لتلك الحالة أن تبقى كي ينال أكبر قدر من الفوائد والمكاسب.

### تغييب الوعي

مع تأخر الأمة في مجال هذه الصناعة المهمة؛ شهد واقعنا وللأسف صورا عديدة من صور تغييب الوعي على كل المستويات وفي شتى الوسائل، حتى كبرت البلية وتفاقمت، وعظمت المشكلة وتأزمت، فبتنا نرى كثيرا ممن يدعون الفهم ويحوزون مفاتحه، يسوغون المخالفات، ويفتون بالأباطيل، ويجيزون الخرافات، وقد لعب الدور الأعظم في كل ذلك الإعلام بمختلف مستوياته، فبتنا نرى الكاذب صادقا، والجاهل عالما، وكثير الكلام فصيحا عالما، والتسيب والإهمال إتقانا، والاستهلاك تقدما... وصارت الأخبار الضعيفة صحيحة، والخرافة حقيقة، والباطل حقا، والابتداع المضل تقدما وتجديدا.

ولا ريب أن عودة الوعي تحتاج إلى وقفة صادقة حازمة توقف ذلك العبث، وتزيل تلك الغشاوة عن أعين الناس وقلوبهم، لتعود مظاهر الوعي ساطعة في صفوف الناس، فيعود المدرس صاحب هدف ورسالة، والخطيب صاحب فكر نير وقاد، والعالم ذو علم واسع متعدد، والمجتمع بعمومه يسير وفق هدف ورسالة وغاية تصنع له مكانة سامية بين الأمم والمجتمعات، فيعلو ذكره، وترفرف راياته، ويحسب له القاصي والداني كل حساب.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

أحمد صالح البسطويسي
باحث في أصول الفقه والشريعة

# التسامح وأثره على الفرد والمجتمع

إن التسامح هو أحد روافد تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، والتسامح يعني عفو الإنسان وحلمه على من يسيء إليه أو يقلل من إمكاناته، فهو إذا: (القدرة على التفاعل الاجتماعي وإدارة الخلاف بحيث تعترف بالآخر وتحترم رأيه ولا تلغيه وتناقشه بموضوعية وصولا إلى الإقناع أو إلى حالة قريبة منه)، فلغة التسامح تعني الاعتراف بالآخر ولكن عبر مساحات يتطلبها البناء الإنساني والاجتماعي.

فإذا غضبت من شخص ما فلا تهدر طاقتك في الغضب والضيق والحزن، والأفضل لك أن تسامح وترسل لمن يضايقك باقة جميلة من الطاقة، فطاقة الإنسان لو وصلت ببلد لأضاءته لمدة أسبوع كامل.. إنها طاقة هائلة أعطاها لك الله، فلا تضيعها بالضغائن والأحقاد؛ فالحياة قصيرة، ولن يكون لها إعادة.

إن الدين الإسلامي قد رفع شعار التسامح بشكله الشمولي في كل مناحي الحياة، وجعل التسامح دستورا كاملا لا يقبل التجزيء والتبعيض. وما هو مطلوب اليوم من الناس هو إحياء قيم التسامح كما جاء بها الدين الحنيف، والانتقال بها من التنظير إلى الحضور القيمي الذي يمارس في الواقع الاجتماعي للناس كافة.

## مفهوم التسامح

جاء في اللغة: السماح والسماحة: الجود، ورجل سمح وامرأة سمحة، وسمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء.

وسمح لي فلان أي أعطاني، وسمح لي بذلك: وافقني على المطلوب، والمسامحة: المساهلة. وتسامحوا: تساهلوا، وسمح وتسمح: فعل شيئا فسهل فيه، وقولهم: الحنيفية السمحة: ليس فيها ضيق ولا شدة (١).

والتسامح هو استعداد لتقبل الأفكار والمصالح التي تتعارض مع مصالحنا وأفكارنا، وتعريف التسامح بأنه تقدير الاختلاف الثقافي والتنوع في أشكال التعبير والصفات الإنسانية، وهو اعتراف بحقوق وحريات الآخرين.

إن ممارسة التسامح لا تعني تنازل المرء عن حقوقه أو التهاون في معتقداته أو قبوله لأي صورة من صور الظلم الاجتماعي ولا تعارض بينه وبين حقوق الإنسان.

وثقافة التسامح واحدة من الضرورات الإنسانية الهامة لبناء مجتمع تسوده روح المحبة، ويحل أفراده مشكلاتهم، مع من لا يتفقون معهم في الأفكار، بالتفاهم والحوار، وينظر كل منهم إلى آراء الآخرين باحترام وتقبل، وبهذا يبعدون شبح التوتر، ويبعدون عن رد الكيل بما هو أشد منه وأقسى كيلا يحققوا العلاقات الاجتماعية والإنسانية بسموم أفعال تهدم كل عوامل الاستقرار والطمأنينة بين أفراده.

إن التسامح سلوك حث عليه ديننا وحث عليه شريعتنا، وأجدر بنا أن نتأسى بهذا، وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تحض المسلم على الالتزام بسلوك التسامح مع الجميع، وقد ورد في السنة المطهرة ما يؤيد ذلك ويعضده.

لقد احتوى القرآن الكريم آيات كثيرة تحض المسلمين على التسامح؛ فلم يمنع المسلمين من البر بغير المسلمين ما داموا في سلم مع المسلمين؛ قال الحق تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الممتحنة:٨-٩).

ونهى الله سبحانه وتعالى عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت:٤٦).

وأمر الإسلام بالرفق في الدعوة إليه، ومناقشة المخالفين بالحسنى؛

قال جل شأنه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥).

وبين الله للنبي ﷺ أنه مكلف أن يبلغ الدعوة، ويبشر بالإسلام، وليس مكلفا أن يحمل الناس عليه بالقوة؛ قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الغاشية:٢١-٢٢).

وإذا أمعنا النظر في سماحة الإسلام في شخص النبي ﷺ لوجدناها تتجلى في أحسن صورها في يوم فتح مكة، حينما قال لأهلها الذين آذوه أشد الإيذاء: «ما تظنون أني فاعل بكم؟»، قالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال لهم ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».. نعم السماحة، ونعم العفو عند المقدرة.

والإسلام دين يدعو إلى العفو والصفح عند المقدرة، وأن من يتسامح في حقه ويعفو، ويصفح عن المسيء إليه يكون نبيل الخلق، عظيم الشأن، متساميا عن الدنايا؛

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (فصلت:٣٤-٣٥).

فالإسلام يجيز أن ترد الإساءة بالمثل؛ فتعاقب المسيء بمثل ما آذاك به، ولكن المثل الأسمى في الإسلام أن تحسن إلى من أساء إليك، وتعفو عمن ظلمك، قال جل شأنه: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ (الشورى:٤٠)، ثم قال بعد ذلك: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ... وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ (الشورى:٤٠ -٤٣).

فالإسلام يجيز المعاملة بالمثل، ولكنه يشجع على العفو والمغفرة عند المقدرة، وهذا هو النبل وكرم الخلق،

والعظمة الإنسانية، والتسامح في المعاملة، وليس ذلك من الضعف مطلقا.

## مظاهر التسامح في الإسلام

لقد تنوعت صور التسامح في الإسلام ما بين التسامح في العبادات، والتسامح في المعاملات، والتسامح مع أهل الديانات الأخرى التي يعيشون مع المسلمين، وإتماما للفائدة سوف نذكر هنا بعض الأمثلة لكل مظهر.

### أولا: مظاهر التسامح في العبادات:

إن التيسير أصل في الإسلام، ومظاهر ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة:١٨٤)، فقد رخص الله للمسافر الفطر في السفر وهو أقوى على الصوم من المريض، وهذا من يسر وسماحة الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ (النساء:١٠١).

أجمع العلماء -رحمهم الله تعالى- أنه لا يقصر في السفر إلا الصلاة الرباعية؛ الظهر، والعصر، والعشاء، واتفق الفقهاء على أن المغرب والفجر لا تقصران، يؤخذ من هذا يسر الشريعة وسماحتها.

قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام:١٤٥).

عن عكرمة قال: لولا هذه الآية: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ ، لاتبع المسلمون من العروق ما تتبع منه اليهود، وفي ذلك عسر يأباه يسر الشريعة السمحة، فلا جناح في أكل اللحم المذكى مع وجود بقايا الدم فيه؛ لأن ذلك معفو عنه شرعا (٢).

### ثانيا: مظاهر التسامح في المعاملات:

الإسلام حث على المسامحة ورتب عليها الثواب وحسن المآب، وأعظم مظهر من مظاهر التسامح هو العفو عن القاتل مع وجوب القصاص لولي الدم أو قبول الدية قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٨).

ولقد كان في بني إسرائيل القصاص، ولم يكن فيهم الدية، وكان في النصارى الدية، ولم يكن فيهم القصاص، فأكرم الله هذه الأمة المحمدية وخيرها بين (القصاص، والدية، والعفو)، وهذا من يسر الشريعة الغراء.

قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠).

عن سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق؛ حتى يخيره من أي الحور العين شاء» (٣)، إن كظم الغيظ ليس بالهين، بل هو أمر عظيم لا يستطيع عليه إلا العظماء الذين تتوفر فيهم صفات العفو والسماحة؛ فلذلك كان الجزاء من جنس العمل، فالإسلام مظهره هو التسامح والعفو، فهو عظيم.

### ثالثا: مظاهر التسامح مع الأديان الأخرى:

عهد النبي ﷺ لبني زرعة وبني الربعة من جهينة أن الرسول ﷺ كتب لبني زرعة وبني الربعة من جهينة: «أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم، إلا في الدين والأهل، ولأهل باديتهم -من بر منهم واتقى- ما لحاضرتهم»، وهذا أروع أنموذج من سماحة المسلمين مع غيرهم، والتعايش السلمي والأمن والمناصرة (٤).

في وصايا النبي ﷺ بأهل الذمة، قال رسول الله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة» (٥).

سماحة السلطان العثماني محمد

الفاتح مع نصارى القسطنطينية حينما فتحها، فأعلن أنه ضمن لهم حرية تدينهم وحفظ أملاكهم، فرجع من النصارى من كان مهاجرا منهم (٦).

## كيف نعلي قيمة التسامح لدى أطفالنا؟

١- الاهتمام بلغة الحوار لأنها حجر الزاوية في تعليم الطفل التسامح؛ فهي بداية المعرفة باستخدام الألفاظ وتوظيف المعاني، وهذا يوفر في البيت مناخا تسوده الحرية في التعبير، والعدالة بين الأبناء مما يساهم في تعريف الأطفال بحقوقهم وبحقوق الآخرين، وتنمي لدى الأولاد الاعتراف بمهارات الآخرين مما يهيئ لهم مقدمات تعلم التسامح.

٢- تجنيب الأطفال التنافس البغيض والمعايرة الكاذبة والصلف المزيف؛ حيث تخطئ بعض الأسر في إثارة التنافس بين أبنائها، فتلهب حافز الغيرة لحث الطفل على مضاعفة جهده واللحاق بمن تقدموا عليه من خلال المقارنة بين نتاجات الإخوة، وهذا يبذر الحقد والكراهية في أعماق الطفل.

٣- من المهم أن نعلم الطفل كيف يحرص على الأصدقاء، فالصداقات الوفية المخلصة تكون شبكة من العلاقات الاجتماعية التي يتكون نسيجها من الأصدقاء الذين يقدمون له العون ويساعدونه في حل مشكلاته، فيجمع حوله أكبر قدر من القلوب الصافية الودودة والصديقة، ولن يتم هذا إلا على أرضية معطاءة من التسامح الذي يؤلف القلوب، ويصنع الأصدقاء الأبرار.

٤- من الخطأ أن نعلم الطفل أن التسامح هو تنازل عن الحقوق، أو انسحاب من مواقف العمل الجادة، فالتسامح ليس مجرد عاطفة تدفع أصحابها إلى الانسحاب كما يظن البعض؛ إنه يمثل طاقة منتجة تدعم التعاون وتغرس الفضيلة الودودة، وهو دافع للعمل والإنجاز ومشجع للإرادة ومعترف بقدرات الآخرين.

## أثر التسامح على الفرد والمجتمع

التسامح من جملة الأخلاق الفضيلة الحميدة التي تضفي على صاحبها الكثير من الهيبة والوقار، ومن الآثار الطيبة التي يتركها التسامح في نفس الفرد أنه يجعل منه قدوة حسنة للآخرين، وهذا يساهم في أن يسود التسامح المجتمع، وأن يصبح جميع أفراد المجتمع متسامحين متحابين ومتوادين فيما بينهم، ولهذا حث الرسول ﷺ المؤمنين أن يكونوا متسامحين فيما بينهم، وألا يقفوا كثيرا عند الأخطاء والزلات، وأن يتغاضوا عن أي شيء من الممكن أن يسبب المزيد من القطيعة، ويرتبط هذا أيضا بالعفو، فالشخص المتسامح يعفو عن غيره وينال الأجر والثواب من الله تعالى.

ومن الآثار الطيبة التي يتركها التسامح في المجتمع أنه يؤلف بين القلوب ويرفع من قدر صاحبه، كما أنه يقلل من وقوع المشكلات والفتن بين أفراد المجتمع، ويمنع حدوث قطيعة بين الناس؛ لأنه مبني على أساس ثابت وهو قلب صفحة المشكلة والخطأ والبدء بصفحة جديدة خالية من العتاب والضغينة، فالتسامح قيمة عظيمة جاء بها هذا الدين القويم من رب عليم حكيم، فهذا الخلق مزك للنفوس، مطهر للقلوب من أدران الخسائس، يساعد المجتمع على التكاتف والتكافل، وهكذا دين الإسلام، رحمة بالبشرية رأفة بهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، حيث راعى الله فيه النفوس، وما جبل عليه الخلق، فجعل تكاليفه غير زائدة على قدرتهم، بل إنه من أجل ما يحمله من عناصر البقاء والعموم لجميع البشرية (٧).

### الهوامش

١- لسان العرب لابن منظور: مادة سمح.
٢- الدر المنثور في تفسير المأثور: (٢٦٣/٦).
٣- رواه أحمد (٤٤٠/٣)، وأبو داود (٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١،٢٤٩٣)، وابن ماجه (٤١٨٦)، من حديث سعيد بن أبي أيوب، وقال الترمذي: حسن غريب.
٤- أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٧٤/١- ٢٧٥).
٥- أخرجه أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي (٢٩٥٠)، قال السخاوي: وسنده لا بأس به. المقاصد الحسنة (١: ٦١٧)، وصححه الألباني؛ انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١: ١٨٥)، رقم الحديث (٤٤٦).
٦- انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (١٦٥/١).
٧- التسامح مظاهره وآثاره، ميمونة الناصر، شبكة الألوكة ٢٠١٢/٧/٢١م (بتصرف).

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

# منهج للعيش بسلام

قيمة التسامح من القيم التي لا غنى عنها في حياتنا، فحين لا نتسامح فإننا نفقد السلام الداخلي، حينها تنزلق عقولنا وأرواحنا في سرداب مظلم، تزيد من عتمته مشاعر الغضب التي تتأجج في أعماقنا وتغذيها الرغبة بالانتقام ورد الاعتبار؛ وكلما تعمقت هذه المشاعر السلبية وتوطنت قلوبنا؛ فإننا نتوه أكثر عن طريق العودة والخروج إلى النور والتصالح الروحي مع الذات والآخرين حولنا.

ولن يكون بمقدورنا الخلاص من الظلمة والقيود التي تكبل أرواحنا وعقولنا إلا عندما نؤمن بقيمة الصفح والمسامحة؛ العفو عمن سبب لنا الأذية، قبول الخطأ وتجاوزه، تهميش مشاعر الغضب وتقوية مشاعر الحب؛ حينها فقط نتحرر وتتلمس أرواحنا طريق الخروج إلى النور، نتصالح مع أنفسنا وبالتالي مع من حولنا، فينعكس هذا الإيمان إيجابا على تصرفاتنا وحياتنا، ثم ينعكس أخيرا على المجتمع ككل. فبعد أن نخرج من دائرة المشاعر السلبية التي تستنفد طاقاتنا وتقيدها في زاوية ضيقة؛ نجد أن عقولنا تتحرر وتتفرغ أكثر للتفكير والعمل والإنجاز؛ فننطلق بخطوات أوسع وأكثر ثباتا لتحقيق الذات وتطويرها.

وعليه؛ فالمتسامح ليس إنسانا ضعيفا كما قد يظن البعض أو يبدو عليه الأمر؛ بل هو إنسان متزن، لديه نظرة عميقة ورؤية بعيدة، إنه ينظر للأمور بمنظور أكثر إيجابية، هو أكثر وضوحا مع نفسه، وفي تساؤلاته؛ ما الذي سأحصل عليه إن أججت مشاعر الغضب في داخلي؟ ما الذي سأستفيد منه إن ضاعفت مشاعر الكراهية في قلبي؟ وعلى ماذا سأحصل إن سعيت للانتقام؟! لا شيء سوى مزيد من التشويش لأفكاري واستنفاد طاقتي الذهنية ووقتي؛ وبالتالي أفقد معالم طريقي وأبتعد أكثر عن أهدافي المفترض أني قد حددتها لنفسي وبدأت السير في درب تحقيقها.

إذا؛ كيف سأصل إلى نهاية الطريق ما دمت قيدت طاقتي وأفكاري وحصرتها في دائرة ضيقة قطرها (كيف إنتقم لنفسي وأرد لها اعتبارها؟!)

حسنا، ماذا بعد الانتقام، أو لنقل رد الاعتبار (المزعوم)؟ هل سينتهي الأمر عند هذا الحد ويصفو البال ونعود لعيش حياتنا بروح راضية ونفس مطمئنة؟ أم سنظل نخلق لأنفسنا مزيدا من الأعذار لمزيد من مشاعر الغضب، وهي ليست من النوع الذي يمكن السيطرة عليه أو ترويضه؛ لأنها -بكل بساطة- عبارة عن فتيل، ما إن يبدأ الاشتعال حتى

يواصل اشتعاله دون توقف، يفجر مكنونات صدورنا ويشوش علينا أفكارنا وصفاء ذهننا.

لذا؛ حذرنا الرسول ﷺ بقوله: «لا تغضب!»، وكررها ثلاثا؛ فالغضب عواقبه وخيمة ليس على الآخرين فقط، بل على أنفسنا في المقام الأول، فلحظة غضب واحدة بمقدورها أن تنسف بروجا عالية من العلاقات الإنسانية التي أمضينا أعواما عديدة ونحن نشيدها ونعتني بها، حتى يدوم البناء ويكبر نحتاج أن نبتعد عن مشاعر الغضب؛ نسامح ونتغافل.

فلماذا إذن نسلك هكذا طريق من البداية؟ لماذا لا نعوّد أنفسنا على الصفح والمسامحة والتغافل؟ قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩).

وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما من يبدأ بالسلام» (رواه البخاري ومسلم).

وكما يقال: عندما نقابل الإساءة بالإساءة فمتى تنتهي الإساءة؟! إذن هو طريق لا نهاية له، ولن يوصل لأي مكان سوى البعد أكثر عن الدرب الصحيح الذي ينبغي أن نسلكه لنصل إلى تحقيق أهدافنا المنشودة.

ومن أعظم دروس المسامحة ما علمناه الرسول ﷺ حينما دخل مكة، بعد الإساءة التي تلقاها وأصحابه على يد أهل مكة لأعوام طويلة وانتهت بخروجه متخفيا ثم محاربته. فلما عاد إلى مكة منتصرا، ووقف بينهم وهو في عز قوته؛ قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». بهذه الكلمات القليلة منه ﷺ طويت سنوات طويلة من القتال والأحقاد المتراكمة، وبدأ عهد جديد من الأخوة والبناء والتعمير، والتي ظهرت نتائجها لأعوام طويلة، وأصبح العرب أمة تتهافت عليها الأمم لتنهل من علومها وإنجازاتها.

وهكذا الأمر في حياتنا ما لم نروض أنفسنا على إخراج الآخرين من دائرة الحقد والكراهية، والصفح عن الأخطاء وتجاوزها والتعايش معها؛ فلن يكون بمقدورنا أن نركز على حياتنا وأعمالنا، لنتفرغ للبناء والتطوير، فتغيير الآخرين حولنا ليس بالأمر السهل؛ لكن التعايش معهم وتقبلهم كما هم هو الممكن.

فكما للآخرين أخطاؤهم وهفواتهم، نحن أيضا لنا هذه الأخطاء والهفوات، وفي الوقت الذي نعتقد أن أحدهم قد سبب لنا الأذية بكلمة أو تصرف، نكون نحن قد سببنا أذية أكبر لشخص أو أشخاص بقصد أو دون قصد. فإذا تعلمنا أن نسامح ونتجاوز فسيفعل الآخرون معنا المثل؛ لتنتهي دائرة الغضب المفرغة وتصيد الأخطاء والهفوات ونعيش أخيرا في مجتمع متماسك.

ففي الوقت الذي يعتقد فيه الابن أن والده قاس معه، يرى الوالد أن ولده عديم الاحترام والامتنان لكل التضحيات التي قدمها له. قد يكون كلاهما على حق، لكنهما أيضا ليسا على صواب؛ ما داما لم يحاولا فهم مشاعر الآخر والتماس العذر له؛ فالوالد قد يكون قاسيا؛ لأنه يمر بأوقات صعبة ليؤمن حياة أسرته ويحتاج من يتفهم وضعه ويقدر ما يقوم به، والولد أيضا يمر بمرحلة مراهقة ويحتاج من يحتضنه ويوجهه.

المدير في العمل يشعر أن مرؤوسيه لا شعور لديهم بالمسؤولية، والمرؤوسون يرون أن مديرهم له شخصية ديكتاتورية لا يقدر مجهودهم مهما تفانوا في بذله؛ لتكون النتيجة مؤسسات ينشغل أصحابها بالمشاحنات والمكائد بدلا من التفرغ للعمل والإنجاز والسير قدما، وكل هذا ممكن بقليل من التسامح والتغافل عن الأخطاء والهفوات وتقبل الجانب الآخر والتعايش معه.

في الوقت الذي تشعر الزوجة بأن زوجها يهمل مشاعرها ويفكر بنفسه فقط، يرى الزوج أنه يعيش مع زوجة لا تستوعبه ولا تقدر جهوده وتفانيه ولا تحاول التخفيف عنه، لتمتلئ قلوبهما أخيرا بمشاعر الغضب؛ ولو عمّرا قلوبهما بالتسامح والتفاهم؛ لتفرغا لتربية جيل صالح، بدلا من تربية أبناء معقدين يشعرون أن الأسرة بمشاكلها سجن لا يطاق، يحترقون شوقا للخروج منه بدلا من أن تمثل الأسرة البيت الدافئ الذي يشعرهم بالأمان والامتنان كما يفترض بها أن تكون.

باختصار؛ ما لم تعزز قيمة التسامح في نفوس أفراد المجتمع، ابتداء من الأسرة وانطلاقا للمدرسة والشارع والمؤسسات، إن ظل أفراد المجتمع يدورون في حلقات مفرغة من المشاعر السلبية والكراهية المبطنة، مشاعر الغضب المكبوت والحقد والرغبة في الانتقام وتصيد الأخطاء والهفوات والرغبة في رد الاعتبار؛ فكل ما سنحصل عليه هو العيش في بيئة هشة مفتتة لن توصلنا لأي مكان.

شيماء بدير
كاتبة مصرية

# هدي الإسلام في التسامح

من نعمة الله علينا أن جعل الإسلام الدين الخالد، الذي يجب أن يعتنقه البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران:١٩)، والدعوة إلية بالحسنى وأخذ الجزية من غير المسلمين لا من أجل المال ولكن لتهيئتهم لقبول الإسلام ولتشملهم سماحته.

والتسامح موضوع مهم للمسلمين لتعليمهم قيمة الوحدة والتماسك، فالتسامح في اللغة أصله: «سمح»، فالسين والميم والحاء أصل يدل على السلاسة والسهولة والسماحة، والسماح: الجود، سمح به؛ أي: جاد به، وسمح لي: أعطاني، فالمسامحة: المساهلة.

وفي الاصطلاح يمكن أن يقال: هو ما تميز به الإسلام في تعامله من بذل ما لا يجب تفضلا (١)، من لين وسهولة، وكرم وجود وعطاء، ورفع مشقة، والقيام بالعدل معهم ومن أشكال التسامح والتيسير في الإسلام ما يكون في:

## الصلاة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء:٤٣). التيمم إذا كان مريضا مرضا يتعذر معه استعمال الماء أو يضر الجرح، أو إذا كان على سفر وتعذر إيجاد الماء، وهذا مظهر من مظاهر التسامح والتيسير في أداء الصلاة وأن الإسلام لا يشق على المسلمين.

## الصوم

قال تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة:١٨٤)، رخص الله للمسافر الفطر في السفر وهو أقوى على الصوم من المريض، وهذا من يسر الإسلام وسماحته.

## الطعام

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (الأنعام:١١٩)، حيث إن وقع الضرورة بعدم وجود طعام واشتداد الجوع ولا يوجد إلا المحرم زال التحريم، وهذا يدل على مدى يسر الشريعة الإسلامية.

## الحج

قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (البقرة:١٩٦). من يسر الشريعة أن المحرم لما احتاج إلى ترفه بفعل بعض محظورات الإحرام (٢)؛ كحلق الشعر، ولبس المخيط، وتغطية الرأس، يكون عليه فدية، وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام، أو إطعام ستة مساكين، فيخير بينها، وهذا من رحمة الله بعباده.

## السفر

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ (النساء:١٠١).

أجمع العلماء - رحمهم الله تعالى - أنه لا يقصر في السفر إلا الصلاة الرباعية (الظهر والعصر والعشاء)، واتفق الفقهاء على أن صلاتي المغرب والفجر لا تقصران. يؤخذ من هذا يسر الشريعة وسماحتها.

## الشريعة

من يسر الشريعة الإسلامية التدرج في التشريع، والتمهيد، وتخفيف بعض الأحكام، إما بالنسخ أو الإبدال.

## مظاهر تسامح الإسلام في المعاملات:

١- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٨).

لقد كرم الله الأمة المحمدية بأن جعل

فيها «القصاص والدية والعفو»، لتيسير الشريعة، حيث إن هناك أقواما شرعت فيهم الدية فقط وآخرين القصاص فقط، أما الإسلام فدين شامل كامل نزل على سيد الخلق محمد ﷺ من دون نقص.

٢- قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الشورى:٤٠).
فالآية الكريمة صريحة في المعاملات بين الناس، فحمل السيئات على ما يسوء من معاملة الناس، ثم نادى بالعفو ورغب فيه بأن لمن يعفو الأجر والمثوبة.

٣- قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾ (لقمان:١٨).
لقد نهى لقمان ابنه عن احتقار الناس، وعن التفاخر عليهم، لأن الناس جميعا سواسية أمام الله، وهذا من مظاهر التسامح والتواضع في الإسلام.

٤- قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت:٣٤).
وهذه الآية تدل على مدى تسامح الدين الإسلامي والعفو والإحسان.

## ضوابط تسامح المسلمين مع غيرهم:

من جهة العقيدة، لا يتصور أن يقبل من شخص ينتمي إلى دولة وعقيدة الإسلام، أن ينتقص دين هذه الدولة، أو يشكك فيها؛ سواء في الذات الإلهية، أو في رسولنا ﷺ أو ما جاء به من أحكام وشرائع، فالله عزوجل يقول: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ (التوبة:١٢)، فلا يجوز الدعوة إلى غير عقيدتنا الإسلامية، فالكفار في دولة الإسلام يمنعون من إظهار عقيدتهم، فكيف بالدعوة إلى غيرها؟!
ولقد جعل عمر رضي الله عنه من الشروط التي اشترطها مع نصارى الشام ألا يظهروا شركا.

## صور من تسامح المسلمين مع غيرهم:

• عهد النبي ﷺ لبني زرعة وبني الربعة من جهينة فكتب: «أنهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وأن لهم النصر على من ظلمهم أو حاربهم، إلا في الدين والأهل، ولأهل باديتهم - من بر منهم واتقى - ما لحاضرتهم» (٣)، هذا أنموذج من سماحة المسلمين مع غيرهم، والتعايش السلمي والأمن والمناصرة.

• في وصايا النبي ﷺ بأهل الذمة، قال الرسول ﷺ: «إلا من ظلم معاهدا أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة» (٤).

• مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل، وكان شيخا كبيرا ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن؟ قال: فأخذه عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم».

• سماحة السلطان العثماني محمد الفاتح مع نصارى القسطنطينية حينما فتحها، فأعلن أنه ضمن لهم حرية تدينهم وحفظ أملاكهم، فرجع من النصارى من كان مهاجرا منهم (٥).

## آثار التسامح النفسية

التسامح يعمل على إكساب الفرد سلامة الصدر والمحبة والتعاون والإخاء والتقليل من الضغوط النفسية التي تؤثر على صحة الإنسان وتخفف من حدة التوتر، والتسامح ليس نسيان ما حدث أو التغاضي عنه أو الإذعان، بل هو التخلي عن المشاعر السلبية بصورة ودية ومتابعة الحياة، والتسامح له آثار على شخصية الفرد؛ حيث يزيد من تقدير الذات، وقوة الشخصية، ويجعل علاقته بالآخرين قائمة على المحبة والجود والسخاء، ويرسم على وجهه الابتسامة، ويكفي به حصول محبة الله؛ قال تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢).

## آثار التسامح الاجتماعية

التسامح قمة الرقي في المعاملات الاجتماعية بين الناس، حيث إن الكل في حاجة إلى الآخر، فاليوم أنت تسامحه وغدا تحتاج إلى أن يسامحك، التسامح قيمة عظيمة جاء بها هذا الدين القويم من رب عليم حكيم، لتطهير القلوب ومساعدة المجتمع والتكافل والتكاتف، فالإسلام دين الرحمة.

---

### الهوامش

١- التعريفات؛ للجرجاني (١٦٠/١).
٢- شرح سنن أبي داود (١٢١-٢٤٠)؛ لعبدالمحسن العباد: (٤٨٤/٩).
٣- أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٧٤/١ - ٢٧٥).
٤- أخرجه أبو داود (٣٠٥٢)، والبيهقي (٢٩٥٠)، قال السخاوي: وسنده لا بأس به. المقاصد الحسنة (٦١٧:١)، وصححه الألباني؛ انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٨٥:١) رقم الحديث (٤٤٦).
٥- انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (١٦٥/١).

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية



# الفضيلة الغائبة

يعد التسامح أحد المعالم الرئيسية للحضارة الإسلامية، وهو إلى جوار ذلك أحد أهم الدعائم التي تقوم عليها ثقافة السلم المدني.

والحقيقة أن غياب هذا المعلم تسبب في شروخ عميقة في بنيان الأمة، وتسبب كذلك في وجود أحقاد مطمورة في النفوس تنتظر أصغر شرارة لتشتعل وتأكل الأخضر واليابس والحرث والنسل.

التسامح في المعاجم العربية: بالرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد صاحب الصحاح يقول: التساهل: التسامح (١). ومنه قوله ﷺ: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» (٢). وكما أن التسامح ضروري في التعاملات المالية بين الناس فهو كذلك ضروري في العلاقات الاجتماعية وتبدو الحاجة إليه عندما يسود الخلاف بين الأفراد والجماعات وتشتد الحاجة إلى التسامح عندما يصل الخلاف إلى عداوة تنذر بحرب.

ويقول صاحب المغرب: مبنى الصلح على الحط والإغماض، يعني: التسامح (٣).

وحتى يقع الصلح بين المتخاصمين لابد من قدر من التغافل عن سيئات الآخرين وسوءاتهم بما يؤدي إلى التسامح..

وفي المعجم الوسيط: التسامح والتساهل ومنه بيع السماح وهو البيع بأقل من الثمن المناسب (٤).

وكما أن التاجر السمح يتنازل عن شيء من الثمن ليتم البيع، فكذلك المتسامح يمتلك ثروة من القيم يفيض منها على الآخرين حاجتنا إلى التسامح: اقتضت حكمة الله تعالى اختلاف ألسنة الناس وألوانهم واهتماماتهم وطبائعهم وقدراتهم العقلية والنفسية والجسدية، ومن الممكن استثمار هذا التنوع في سبيل إيجاد حياة متكاملة يعين فيها البشر بعضهم بعضا، ومن الممكن أن يتحول هذا التنوع إلى سبب من أسباب الصراع بين بني الإنسان، ولعل أهم ما يعين على التعايش واستثمار هذه الاختلافات هو التسامح الذي ينبغي أن يظلل الإنسانية بظلاله لتنعم بالخيرات.

**من مجالات التسامح:**

بالتأمل في نصوص الشريعة تجد روح التسامح تسري فيها، ويمكن أن تلحظ ذلك عند استقراء جملة منها فتجد التصريح به أو التوصية بما يؤدي إليه، كما تجد أن الدعوة إلى التسامح تتناول

الكثير من الحقوق من مثل:

### التسامح مع القاتل

يكفينا أن ننظر إلى الحق في الحياة وقد صانته الشريعة أعظم صيانة، فغلظت العقاب على هذه الجريمة أغلظ العقوبة، وقررت حق أهل المقتول في قتل القاتل، ومع ذلك أرشدت ولي المقتول إلى التسامح مع القاتل وأهله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (البقرة:١٧٨).

فتحت الآية الكريمة باب العفو، وهو من سلطان ولي الدم، وفي هذا النص تحريض على العفو، لكيلا تنهار دماء المسلمين، ولكيلا تتأرث الأحقاد، ولينسل البغض ويعود التسامح بين المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ يدل على ثلاثة أمور:

**أولها:** التحريض على العفو بذكر الأخوة الرابطة التي لم يقطعها الاعتداء؛ لأنها برباط الله تعالى فلا يفكه العبد.

**ثانيها:** أن أي قدر من العفو يسقط القصاص، فلو تعدد الأولياء في درجة واحدة، وعفا أحدهم سقط القصاص.

**ثالثها:** أن التعبير بالبناء للمجهول يدل على تلمس العفو.

ومن جانب القاتل وأسرته يكون الواجب هو الأداء بإحسان، أي تكون نفوسهم سمحة، ويؤدون الدية في مواقيتها من غير لي (مماطلة)، والإحسان: الإجادة والإتقان وهو في مثل هذا المقام يكون بالمسارعة في الأداء والسماحة، ولا مانع من الزيادة تطييبا للنفوس المكلومة (٥).

وكان النبي ﷺ كلما حكم بالقصاص دعا إلى العفو، ولكن بعد أن يعطي لولي الدم أو المجني عليه زمام الأمر ويمكنه من القصاص ليشفي غيظه، ويردع الجاني (٦).

### بين الزوجين

كثيرا ما يحدث بين الزوجين ما يعكر الصفو، ربما بسبب ضيق الصدر،، أو قلة الخبرة بالطبيعة البشرية، وقد تتفاقم الأمور بسبب غياب التسامح لتصل إلى حد الانفصال الروحي، فيعيشان تحت سقف واحد وبينهما ما بين المشرق والمغرب، أو الانفصال الجسدي بالطلاق.

أرشد القرآن الكريم إلى أهمية التسامح في الحياة الزوجية، وأنه سبب استقرارها ودوامها قال تعالى: ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٢٨)

أي: وإن تحسنوا العشرة فيما بينكم فتتراحموا وتتعاطفوا، ويعذر بعضكم بعضا، وتتقوا النشوز والإعراض، وما يترتب عليهما من منع الحقوق أو الشقاق، فإن الله كان بما تعملونه من ذلك خبيرا، لا يخفى عليه شيء من دقائقه وخفاياه ولا من قصدكم فيه، فيجزي الذين أحسنوا منكم بالحسنى، والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى (٧).

بين الطليقين:

وعلى الرغم مما يسببه الطلاق من مشاعر التنافر والبغضاء بين الرجل ومطلقته فإن الله تعالى يدعونا إلى أن نترفع عن هذه المشاعر السلبية، وألا تنسينا اللحظة الراهنة ما كان من سابق الود والعشرة الطيبة والذكريات السعيدة قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة:٢٣٧)، في هذه الجملة الكريمة إشارة إلى وجوب التسامح والتعاطف في وقت ذلك الافتراق القاطع، وإلى أنه تجب الرحمة في وقت الانفصال؛ ولذلك صرح سبحانه بأن العفو: أي ترك بعض الحقوق في ذلك الوقت، أقرب لتقوى الله سبحانه، وأدنى إلى رضاه، لكي يكون الافتراق بمفرده، ولا تكون مشاحة تدفع إلى المشادة، ثم إلى الخصومات التي تورث العداوات، وتستمر الأحقاد بين الأسرتين، وتكون الإحن ومن ورائها المحن.

ولقد ذكر سبحانه أهل الفضل بفضلهم فقال: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا يذهب بكم الغضب والمكايدة إلى درجة لا تتذكرون فيها ما يكون عندكم من شمم وإباء، وإرادة للتفضل والعطاء. والفضل في أصل معناه الزيادة في كل شيء، وأكثر ما يكون في الزيادة في الأشياء المحمودة؛ ولذا صار يطلق بمعنى العلو، فيقال: فضل هذا على ذلك كذا.

ومنه الفضيلة؛ لما فيها من خير زائد، ولما فيها من علو نفسي وكمال وسمو.

فالله سبحانه وتعالى، حين ذكر المطلقين بالفضل الذي أنساهم إياه الغضب، صرفهم إلى الاتجاه إلى الكمال، والتعالي عن سفساف المشاحنات والمنازعات؛ ليكونوا هم الأعلين دائما.

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ يتجهون ذلك الاتجاه السامي؛ «فيروى أن أحد الصحابة تزوج امرأة، وطلقها قبل أن يدخل بها، فأعطاها الصداق كاملا، فقيل له في ذلك، فقال: أنا أحق بالعفو منها» (٨) (٩).

### في مجال العلاقات الاجتماعية

تمتلئ المجتمعات بشتى النماذج الإنسانية ومنها الحسن ومنها السيئ، و«كل إناء بالذي فيه ينضح»، ويبقى استقبال الناس لتصرفات بعضهم البعض، هل يقابل السيئة بما هو أسوأ منها، أم يتغافل حتى لا يتسع الخرق على الراقع، أم يضمر في نفسه الشر حتى يتمكن من رد الضربة ضربتين واللطمة لطمتين؟ يرشدنا القرآن الكريم إلى سلوك أولي الألباب تجاه ما لا يحبون ولا يقبلون من المواقف، قال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾

(الرعد: ٢٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم»، وعن الحسن البصري: «إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا وصلوا».
وجملة هذه المعاني تتجه إلى نشر التسامح، ومنع مبادلة السوء بالسوء حتى لا يؤدي ذلك إلى التقاطع والتدابر، وأن يكون بأس المسلمين بينهم شديدا، وهذا هو ما أمر الله تعالى به منعا للعداوة، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤) (١٠).
من القواعد التي يقوم عليها بنيان التسامح: يتأسس الخطاب الإسلامي في التسامح على عدة أمور:
قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا﴾ (الحجرات:١٣).
فالتنوع الإنساني للتعارف لا للتناكر والاختلاف ولن يتم التعارف ونحصل على ثماره إلا بقدر من التسامح فيما بين بني آدم الذين تذكرهم الآية بوحدة أصلهم ﴿خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾.
إن الشخص المتسامح يمتلك رصيدا ضخما من القوة يمكنه من التجاوز عن أخطاء الآخرين، وقد صحح النبي ﷺ مفهوم القوة التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن فقال «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (١١).
إن الله سبحانه يعطي لعباده الفرصة تلو الفرصة ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى:٣٠) وتسامح الله تعالى مع عباده يحث المسلم على مسامحة الخلق.

إن مسامحة الناس سبب من أسباب مسامحة الله تعالى، قال النبي ﷺ: «كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه»، وقد رغبنا الله تعالى في مسامحة الخلق عندما قال ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢).
القلب الكبير الذي يتسع للظالم لنفسه، وللمقتصد، وللسابق بالخيرات، ويعلم أن الحياة مغالبة بين أهواء النفس، ونزغات الشيطان، وأوامر الحق تعالى ونواهيه، فتارة تغلب النفس الأمارة بالسوء، وتارة تنتصر النفس المطمئنة، فإذا رأينا من غلبته نفسه وشيطانه وارتكب ما يؤذي الآخرين من قول أو عمل، قدّرنا ضعف الإنسان، والتمسنا له العذر، ما لم يكن مجرما، يعتدي على حرمات الناس.
العقل الكبير الذي يوقن أن كل بني آدم خطاء، وأن الخطأ يحدث عمدا وسهوا وجهلا وغفلة، وأن النفس التي تمتلئ بالرغبة في الانتقام لا يمكن أن تحيا حياة مطمئنة، ولا يمكن أن تقدم شيئا لنفسها، أو للإنسانية من حولها غير الدماء والأشلاء، وما لهذا خلقنا الله.

## منارات في التسامح:

١- ضع لبنتك في بناء التسامح، وكن أحد دعاته، تتسع دائرته، وينعم بها الجميع.
٢- عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، فإذا كنت تنتظر العفو من الآخرين في حال تقصيرك وخطئك، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين.
٣- إن التسامح لا يعني ذوبان الكل في البعض، وأن تمحى الخصوصيات، وبذلك تفقد المجتمعات ميزة التنوع، التي جعلها الله تعالى ليحدث التعارف، ومن ثم التعاون، فترتقي الحياة، وتسعد البشرية.

إن من خصائص الحضارة الإسلامية «هذا التسامح الديني العجيب الذي لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدين. إن الذي لا يؤمن بدين ولا بإله، لا يبدو عجيبا إذا نظر إلى الأديان كلها على حد سواء، وإذا عامل أتباعها بالقسطاس المستقيم، ولكن صاحب الدين الذي يؤمن بأن دينه حق وأن عقيدته أقوم العقائد وأصحها، ثم يتاح له أن يحمل السيف، ويفتح المدن، ويستولي على الحكم، ويجلس على منصة القضاء، ثم لا يحمله إيمانه بدينه، واعتزازه بعقيدته، على أن يجور في الحكم، أو أن ينحرف عن سنن العدالة، أو يحمل الناس على اتباع دينه.. إن رجلا مثل هذا لعجيب أن يكون في التاريخ، فكيف إذا وجد في التاريخ حضارة قامت على الدين، وشادت قواعدها على مبادئه، ثم هي من أشد ما عرف التاريخ تسامحا وعدالة ورحمة وإنسانية! وحسبنا أن نعرف أن حضارتنا تنفرد في التاريخ بأن الذي أقامها دين واحد، ولكنها كانت للأديان جميعا» (١٢) يأمن فيها أهل كل ملة على حرماتهم ولا ينتقص شيء من حقوقهم.

### الهوامش

١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ١٧٣٣.
٢- صحيح البخاري.
٣- المغرب في ترتيب المعرب ص: ٣٤٦.
٤- المعجم الوسيط ١/ ٤٤٧.
٥- زهرة التفاسير (١/ ٥٣٦،٥٣٧).
٦- زهرة التفاسير (٤/ ٢٢١٣).
٧- تفسير المنار (٥/ ٣٦٥).
٨- تفسير القرطبي ٣/٢٠٦.
٩- زهرة التفاسير (٢/ ٨٣٣).
١٠- زهرة التفاسير (٨/ ٣٩٣٦).
١١- الصحيحان.
١٢- من روائع حضارتنا د. مصطفى السباعي.

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية



## الاختلاف بين البشر اختبار للإنسان وقدرته للتعايش مع الآخر

# التعايش مع الآخر في الإسلام

**خلق الله تعالى البشر وجعل الاختلاف بينهم؛ فهناك اختلاف في الشكل واللون والأفكار والاهتمامات والميول والمعتقدات، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ (هود: ١١٨-١١٩)، ولا يزال الاختلاف بين الناس في أديانهم واعتقاداتهم ومللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم موجودا إلى قيام الساعة.**

وهذا الاختلاف بين بني البشر هو إرادة الله تعالى في خلقه، ولحكمة أرادها، وقد تكون الابتلاء والاختبار للإنسان في قدرته على تقبل الاختلاف والتعايش مع الآخرين والذي قد ينجم عنه الكثير من السلوكيات والمشكلات، وقد يكون الاختلاف بين الناس من أجل التنوع في الحياة والتعارف والتآلف ومعرفة قدرة الله تعالى في تنوع مخلوقاته، فلو كان البشر أمة واحدة لأصبحت الحياة رتيبة وفرصها متساوية.

ولذلك جاء الدين الحق من الله تعالى يوجه الناس عبر الرسل إلى أنه لا يجوز لأحد أن يضمر الشر والحقد للآخرين واضطهادهم لمجرد مخالفتهم له في الدين والعقيدة والرأي؛ لأن هذه مشيئة الله الخالق الذي قال: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦)، ولهذا كان المسلمون أكثر الناس تسامحا مع باقي الأديان عندما فهموا هذه الآيات والتوجيهات النبوية فلا إكراه ولا إجبار.

لقد كان الإنسان عبر الزمن ديدنه الخلاف والتناحر والتقاتل والتصارع بسبب اختلاف الأفكار والمذاهب والغايات والقوى والمصالح؛ فكثيرا ما يجبر القوي الضعيف على ما يريد، كما فعل فرعون بجنده وشعبه حينما أجبرهم على عبادته، وكما فعل أتباع الكنيسة في القرون الوسطى؛ حيث كانوا يرغمون الناس على اتباع معتقداتهم بالقوة فكان التهديد لهم والحبس والقتل لمن لم ينصاع لدياناتهم، ما جعلهم ينبذون الديانات ويكرهون اتباعها، وكثيرا ما نشأ عن غياب التسامح الديني مذابح سودت وجه التاريخ على مر العصور.

## الإسلام أباح لأتباعه تناول طعام أهل الكتاب

### صور للتسامح:

من صور التسامح في الإسلام أن الله تعالى أباح طعام أهل الكتاب للمسلمين؛ فحلل ذبائحهم إذا دُعي المسلم إليها، وكذلك لمن يعيشون في الغرب ولا يوجد بديل لها، ومن التسامح الإسلامي أن سمح للمسلم أن يتزوج من المرأة الكتابية اليهودية أو النصرانية دون إجبارها على اتباع الإسلام؛ قال عزوجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ﴾ (المائدة:٥).

وأيضا نهى الإسلام عن قتل غير المسلمين طالما لم يقترفوا جريمة تستحق عقوبة القتل، وإنما المحاربة تكون للمعتدين منهم على المسلمين وديارهم وأعراضهم، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (المتحنة:٨-٩).

### رسول الله قدوتنا

رسول الله ﷺ هو مضرب الأمثلة في التسامح الديني والتعايش مع الآخر، وبالأخص في معاملة المشركين وأهل الكتاب، فقد روي أنه كان يحضر ولائمهم ويعود مرضاهم كما عاد جاره اليهودي عندما مرض فأسلم، وكان يستقبل ضيوفهم ويكرمهم، وكان يقترض منهم ويتعامل معهم ماديا، فتوفي عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند يهودي! وقد كان الله تعالى قادرا أن يجعل الدرع عند مسلم عند موت رسول الله ﷺ، ولكن ليعلمنا درسا في التسامح مع الأمم الأخرى المخالفة لعقيدتنا.

كما تزوج من صفية بنت حيي بن الأخطب زعيم اليهود وابنة عدوه عندما وقعت في أسر المسلمين، فعاملها أحسن معاملة، حتى إنها رفضت العودة مع أبيها بعد أن جاء يطلبها! فكان زواجه ﷺ منها فتحا كبيرا حيث أسلم أغلب قومها، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «لم أر امرأة أكثر بركة على قومها من صفية بنت حيي، حيث أكرمهم الله تعالى بالإسلام بزواجها من رسول الله»، فأي تسامح ديني أروع من هذا التسامح!

كذلك فإن خليفة المسلمين الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند فتح بيت المقدس استجاب لبطريركها «صفرونيوس» الذي اشترط قدوم أمير المؤمنين عمر لتسليم القدس، كما هو مكتوب عندهم في كتابهم، بعد حصار المسلمين لها ستة شهور. وبالفعل سافر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القدس لتسلم مفاتيح المدينة في فتح عظيم سجله

التاريخ دون إراقة قطرة دم واحدة، وإنما بعدل وسماحة الإسلام الذي شهد له القاصي والداني والمؤمن والمشرك. وقد ضرب سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أعظم الأمثلة في التسامح الديني الذي يسطر بماء الذهب، حيث أعطى أهل القدس عهدا سمي بالعهدة العمرية؛ سمح به لنصارى القدس أن يظلوا على دينهم ويمارسوا شعائرهم ولا تهدم كنائسهم.

ومن أعظم صور التسامح في الإسلام أنه حينما كانت الفتوحات الإسلامية مستمرة كان الخلفاء المسلمون دوما يمنعون جيوشهم من قتل الأطفال والشيوخ والنساء ومن قطع الشجر والنخيل وهدم البيوت، فقارن بين سماحة الإسلام وما يحدث اليوم، فارق كبير! فما أعظم ديننا الذي جاء بأعظم هداية وتوجيه.

## الإعلام وثقافة التسامح

إن بعض وسائل الإعلام في زماننا تلعب دورا خطيرا في تغيير الحقائق والمفاهيم وقلب المعتقدات والعقول وتغييرها لصالح الغرب! إنها تحاول تصوير الجاني على أنه الضحية، والضحية هي الجاني! وتسوق لفكرة «الإسلام الإرهابي» وظاهرة «الإسلاموفوبيا» وأن أتباع الإسلام إرهابيون وقتلة لا يستطيعون التعايش مع الآخر، وأنهم يقتلون من يخالفهم الرأي، ولكن الحقيقة تظهر بالرجوع للإحصاءات العالمية، فمن قتل على يد المسلمين، الذين يدعي الغرب أنهم إرهابيون، خلال حروبهم دفعا عن بلادهم لا يكادون يذكرون مقارنة بأعداد من قتل نتيجة الصراعات والحروب الاستعمارية التي كان هدفها التوسع والسيطرة على العالم، فكم من ملايين البشر قتلوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية! ألم تحصد هاتان الحربان الطاحنتان أرواح ما يزيد عن ستين مليون إنسان؟! وما سببها؟ وأي دور كان للمسلمين فيها؟ ألم تكن الدول التي تدعي المدنية والتحضر والسلم وحقوق الإنسان هي المسببة والقائدة لكل تلك المجازر البشرية والتدمير في البنى التحتية للدول التي خالفتهم المعتقدات والأفكار؟!

## نهضة

إننا في هذا الزمان الذي يوصف بأنه «زمان القرية الواحدة العالمية» أحوج ما نكون إلى التسامح والتعايش بين أبناء المجتمع الواحد؛ وإلا فإن الفرقة ستمزق المجتمعات لتعيدها مئات السنين للخلف، وكثيرا ما يدفع الإنسان الثمن غاليا حتى يتعلم درس التسامح مع الآخر والتعايش معه.

وقد فطن لذلك رئيس وزراء كندا «جاستن بيير ترودو»، الذي وصل لسدة الحكم عام ٢٠١٥م، وتفهم طبيعة بلاده فشجع على التعايش والتسامح الفكري وتقبل كل الفئات والأديان والمعتقدات. ففي كل مناسبة يدعو إلى التعددية الثقافية والتعايش في بلاده استنادا إلى شعاره: «إن قوتنا (قوة كندا) في اختلافنا»، إذ يدرك تماما أن من يعيشون على الأراضي الكندية ليسوا (بالحقيقة) متآلفين وليسوا أتباع جنس أو عرق واحد أو ديانة واحدة؛ بل هم مزيج من كل الثقافات والأديان والمذاهب والألوان والأفكار والمعتقدات من شتى بقاع الأرض، ولا يوحدهم ويجمعهم حاليا إلا كونهم يملكون الجنسية الكندية وحقوق المواطنة.

**العهدة العمرية رسخت لمبدأ قبول أصحاب الديانات المخالفة للإسلام**

فحينما تدعو أبناء مجتمع ما على اختلاف ألوانهم وأطيافهم ومذاهبهم ومعتقداتهم إلى التعايش والتسامح مع بعضهم البعض وتقبل العيش معا فإنك حتما تدعو إلى وحدة دولتك، وهذا ما يجعلها دولة قوية.

وعلى غرار كندا، تأتي دولة ماليزيا؛ فهي وإن كانت دولة مسلمة إلا أنها لا تمنع بعض أبنائها من الهندوس والبوذيين من ممارسة شعائرهم وإقامة معابدهم طالما أنها لا تتعارض مع مصالح الدولة والأفراد، أو تؤدي لصراعات وتناحر بين أطياف المجتمع، فأصبحت دولة متقدمة ومتميزة وأصبحت تسابق الأمم في التعليم والسياحة والصناعة والتكنولوجيا بعد أن كانت أمة ضعيفة. فالتعايش يقوي اقتصاد الدول، ويجعلها تركز على الإنتاج والإبداع والابتكار وتنهض بمجالات العلم والاقتصاد والتعليم والصحة وتحسن سبل معيشة أفرادها؛ بدلا من الفرقة والصراعات والحروب الأهلية التي تستنزف موارد البلاد وتحصد أرواح أبنائها.

والتسامح الذي نحتاجه في دولنا العربية اليوم لا يعني التخلي عن ثوابت ديننا؛ وإنما التسامح الذي يؤدي للتآلف بين أبناء المجتمع الواحد، فتصبح سبل العيش أسهل وتنتشر روح التواصل والتفاهم والأخوة الإنسانية بينهم، بدلا من نشر روح الفرقة والفوضى والكراهية والعداوة والعصبية القبلية والعنصرية المضللة ونشوب النزاعات لأتفه الأسباب، وقد قال ﷺ عن العصبية القبلية: «دعوها فإنها منتنة»، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

إسلام لطفي
دار الإعلام العربية

# التسامح منهج حياة

التسامح خلق عظيم، ما تحلى به أفراد مجتمع إلا انعكس أثره عليهم بالنفع والخير، فبه تتسامى الأمم وتنتقل من الغوغائية والعشوائية إلى الرقي والتقدم.. هذا ما أكده متخصصون ومفكرون تحدثت معهم «الوعي الإسلامي» عن هذا الخلق الذي غاب عن مجتمعاتنا حاليا.

وعن ذلك يقول أستاذ الحديث في كلية أصول الدين جامعة الأزهر د.أحمد محمد شبل، إن التسامح من أهم المقاصد التي جاءت بها رسالة الإسلام وأعظمها، قال الله عزوجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، و﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة:٦).

وأضاف أن التسامح مبدأ إسلامي يجب تطبيقه في كل مناحي الحياة، من بيع وشراء وتعليم وعبادات ومعاملات وغيرها؛ والتاريخ الإسلامي حافل بالكثير من الأمثلة على التسامح، فمثلا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما فتح «بيت المقدس» لم يحول «كنيسة القيامة» إلى مسجد، ونهى المسلمين أن يصلوا فيها، علاوة على العهد الذي أعطاه إياهم، كذلك ما فعله الفاتح المسلم صلاح الدين الأيوبي حينما حرر «بيت المقدس» من أيدي الصليبيين وأمر بالرحمة مع الضعفاء وحرم قتل الشيوخ والنساء، على الرغم من حالة الحرب؛ فهذا درس عظيم في التسامح.

## أسوة حسنة

ويؤكد العميد السابق لكلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر الدكتور سيف رجب قزامل، أن الأخلاق الطيبة التي تحلى بها الرسول ﷺ تعلمنا أن نتسامح ونعفوا عمن ظلمنا، ونرفق بالضعفاء والصغار والكبار، ونعامل الناس بالحسنى في كل مناحي الحياة؛ وهذه هي الأسوة الحسنة التي ينبغي أن نقتدي فيها بنبينا ﷺ، فهو القائل: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وأعطانا ﷺ درسا بطريقته المثلى في التعامل مع الأعرابي الذي اعتاد الغلظة ولم يحسن التعامل معه ﷺ بالطريقة الملائمة، إضافة إلى

إرشاداته ﷺ للتسامح في الشراء والبيع؛ لأن الإسلام يحث أتباعه على الإحسان مع الجميع.

## صناعة التسامح

أما أستاذ علم الاجتماع في كلية الآداب جامعة القاهرة د. أحمد مجدي حجازي، فأوضح أن التسامح قيمة أساسية حثت عليها الديانات بوجه عام، وتؤسس، بصورة أو بأخرى، لبناء العلاقات الاجتماعية الصحيحة القائمة على التعاون والتي تربط الناس بعضهم ببعض، كما أنه صفة مهمة لتحقيق التماسك بين أفراد المجتمع.

وأضاف أن صناعة التسامح تبدأ منذ الصغر داخل الأسرة؛ وغياب هذا الخلق يؤدي إلى ظهور التعصب والعنف.

وقال: «من هنا تأتي أهمية التنشئة الاجتماعية، سواء داخل الأسرة أو المجتمع؛ وعلى الإعلام أن يظهر هذه القيمة بشكل أساسي لترسيخ فكرة أن قيمة التسامح ركيزة في الطبيعة الإنسانية؛ حتى نتعلم ألا يطغى شخص على آخر، ولا يبحث عن التبريرات التي تؤدي إلى الصراعات الاجتماعية والاضطراب داخل المجتمع».

وشدد على أن كل الدول يجب أن تؤمن بتعدد الثقافات؛ ويتعلم أفرادها كيفية التعبير عن آرائهم وتقبل غيرهم، مهما كانت درجة اختلافهم، موضحا أن التباين بين البشر أمر طبيعي؛ إذ إن وجود ثقافات متعددة يؤدي إلى التقدم المستمر بشكل عام، بشرط تقبل ثقافة الآخر والتعايش معه بشكل فيه نوع من الاحترام والكرامة الإنسانية.

## سمة المسلم

من جهته، يؤكد خبير تطوير مناهج واستراتيجيات التعليم الفني د. علي فارس، أن التسامح سمة من سمات المسلم الذي يتصف بنقاء القلب، وهذا يعني نسيان ما مضى للتعامل مع ما هو آت، والصفح عنه والتعامل مع الشخص معاملة جديدة طالما خلصت النوايا.

وطالب بأن تضاف مادة «التربية الدينية» إلى المجموع الدراسي وبألا تكون مجرد مادة عادية، وإنما مادة أساسية تعلم الطلاب كيفية التعامل والتسامح مع الغير، وتاريخ التسامح في الإسلام معلوم للجميع ابتداء من عهد الرسول محمد ﷺ وانتهاء بالخلفاء الراشدين.

وأشار د. فارس إلى أن ظاهرة العنف التي سادت عدة مجتمعات سببها غياب التسامح بين أفراد هذه المجتمعات التي لم ترب أبناءها على هذا الخلق، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة حينما عاد إلى مكة فاتحا بعد أن غادرها مهاجرا إلى المدينة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: «ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم، حليم، رحيم... فقال رسول الله ﷺ: أقول كما قال يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين». قال: «فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام».

## فريضة غائبة

ويرى عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، أن التسامح أساس للتعايش وبناء أي حضارة متقدمة؛ فالحضارات لا تبنى إلا على التعايش، الذي لا يقوم بدوره إلا على التسامح البعيد عن التعصب، الذي يعد السبب الأول لتدمير أي حضارة. وبالتالي، فإن التسامح شريعة وفريضة، لكنها مع الأسف باتت غائبة عن مجتمعاتنا الآن.

وأضاف أن مشكلة التسامح ليست في وجوده بالمناهج أو الكتب من عدمه، بل تكمن في تطبيقه على أرض الواقع؛ فكثيرا ما نخرج بتصريحات ومطالبات لا تطبق فعليا؛ مما يجعلنا في حالة ازدواجية تعتبر آفتنا الكبرى. وإن من أوجب الواجبات تحويل ما لدينا من أفكار ومعتقدات وتعاليم عن التسامح إلى ثقافة ثم إلى واقع يطبق عمليا على أرض الواقع.

وأوضح د. عبدالمحسن أن التعايش مع الآخر ضرورة وأمر طبيعي نظرا لأن الإنسان بشكل عام يعيش ضمن جماعات بشرية، بينها تباين واختلاف؛ لأنه من دون هذا التعايش تظهر أشكال من الصراعات والنزاعات والإحباطات الاجتماعية التي تؤدي إلى التنافر والعنف.

## منهج حياة

وأخيرا، يقول أستاذ الموارد البشرية في الجامعة الأميركية د. حسام فرحات، إن «التسامح يعني قدرة الإنسان على تقبل فعل أو قول من الآخر ليس على هواه»، موضحا أن المتسامح يتغاضى عن أشياء ربما تصيبه بالضيق؛ لكنه يتقبل الأمر بصدر رحب.

وأضاف أن التسامح قيمة أخلاقية لابد للإنسان أن يشعر بها داخليا، ويجب غرسها في نفوس الأطفال منذ نعومة أظفارهم؛ ليكون منهج حياتهم، وبالتالي ينشأ جيل كامل متسامح.

وقال د. فرحات إن جميع الأنبياء حثوا أتباعهم على التحلي بهذا الخلق العظيم، مضيفا أن النسيج العربي زاخر بقصص التسامح، لكن بكل أسف اختلت منظومة القيم أخيرا نتيجة إقحام قيم غريبة في مجتمعاتنا العربية.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

**إذا كانت القيم في مجملها تمثل ضرورة للإنسان بصفة عامة؛ فردا كان أم مجتمعا. يتعامل مع نظرائه وبيئته، أو مع مخالفيه والمغايرين له. في حالة السلم أو الحرب، إذا كان هذا هو موقع القيم من حيث كونها ضرورة في مختلف الحالات وعلى كل المستويات؛ فإن التسامح هو قيمة أكثر من ضرورة؛ بمعنى أنها إحدى القيم المركزية التي يترتب على الالتزام بها مجموعة من القيم والسلوكيات الأخرى، بمثل ما يترتب أيضا على عدم الالتزام بها مجموعة من التصورات والخطوات العملية.**



# التسامح.. قيمة أكثر من ضرورة

والتسامح يمثل كذلك أكثر من ضرورة، بالنظر لما مر به عالمنا على امتداد قرونه، ولاسيما في العصر الحديث؛ من صراعات ونزاعات وسجالات، كان لها أثر سيئ في علاقات الناس بعضهم ببعض، وفي وجود حالة من التنافر بين الشرق والغرب.

## في التعريف والدلالة:

يأتي (التسامح) في التعريف اللغوي من اللين والسهولة، يقال: «سمح - سمحا وسماحا وسماحة: لان وسهل، وانقاد بعد استصعاب» (١). وهو في المنظور الفكري: «سعة صدر تفسح للآخرين أن يعبروا عن آرائهم ولو لم تكن موضوع تسليم أو قبول، ولا يحاول صاحبه فرض آرائه الخاصة على الآخرين» (٢).

و(التسامح) ضد (التعصب)؛ الذي هو غلو في التعلق بشخص، أو فكرة، أو مبدأ، أو عقيدة؛ بحيث لا يدع مكانا للتسامح. كما أنه -أي التعصب- ضرب من الحماسة الشديدة التي قد تؤدي إلى العنف والاستماتة؛ وهو بهذا حال غير سوية على مستوى الفرد والجماعة، ويصاحبها ضيق أفق وبعد عن التعقل (٣). ولذا، كان «التعصب نقيض الحرية والتسامح؛ إذا ازداد التعصب قلت الحرية، والعكس بالعكس» (٤).

ونلاحظ هنا، من خلال المنظور اللغوي والفكري، أن التسامح:

● بحكم الاشتقاق اللغوي -من (التفاعل)- هو علاقة متبادلة بين

طرفين، وليست من طرف واحد؛ مع أننا اعتدنا أن نرى خطاب التسامح يوجه للطرف الأضعف. وهذا وضع غير صحيح، يفقد التسامح معناه ومبناه.

● موقف فكري مثلما هو أخلاقي؛ يؤكد رحابة الصدر وحسن الخلق كما يؤكد سعة الأفق ونضوج العقل.

● يعني بالضرورة الاعتراف بالآخر؛ سواء أكان هذا الآخر مغايرا تماما في العقيدة، دون أن يكون هذا تمييعا للحدود الفاصلة بين الأديان، والاختلافات بينها، أو كان الآخر مغايرا في الاتجاه الفكري والاجتماعي؛ فالتسامح لا يكون إلا مع المختلف عنك؛ أما المتفق معك فعلاقة التضامن والتناصر هي ما تربط بينكما.

## في تأسيس المفهوم:

لقد أسس الإسلام لمفهوم التسامح من خلال جملة من التوجيهات القرآنية والنبوية، تمثلها المسلمون في حركتهم نحو بناء الحضارة ونشر كلمة الله بين الناس؛ بحيث جاء هذا التأسيس فريدا في بابه، غير مسبوق ولا ملحوق بأية محاولات عرفها التاريخ البشري.

فقد أكد القرآن الكريم في كثير من آياته أن الله تعالى هو من يفصل بين الناس يوم الدين، وأنه تعالى لم يجعل لأحد على أحد سلطانا ولا سيطرة ولا قوة تجبرهم على تغيير عقائدهم؛ مبينا أن وظيفة الرسل البلاغ المبين لا الحساب؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (النحل:٣٥)؛ أي «ليس عليهم إلا التبليغ؛ وأما الهداية فهي إلى الله تعالى» (٥).

وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ (النحل:٨٢)؛ أي «ما عليك إلا البلاغ، لا تقليب قلوبهم إلى الإسلام؛ أو لا تولي جزاءهم على الإعراض، بل علينا جزاؤهم؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ (الرعد:٤٠)» (٦).

كما جعل الإسلام الإيمان بالرسل والأنبياء السابقين ركنا من أركان الإيمان: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ (البقرة:٢٨٥)؛ ورتب على ذلك جملة من الأحكام، مثل جواز أكل طعامهم ونكاح نسائهم.

وجاء السلوك النبوي ليؤكد هذه المعاني ويجسدها نموذجا عمليا غاية في الرقي؛ فتجاور المسلمون مع أهل الكتاب في المدينة، وأبرم النبي ﷺ معهم (وثيقة المدينة) التي هي دستور التعايش والتسامح؛ ولم يخرجهم من المدينة إلا بعد أن أظهروا الغدر، ونقضوا العهد.

هذا عن التعامل مع الآخر المختلف من حيث الدين والعقيدة، أما الآخر داخل النموذج الإسلامي نفسه؛ فإن التسامح يصير أولى وأوجب؛ لأنه إذا كان من المقبول أن تتسامح مع من يختلف عنك كليا، كما أشرنا؛ فأولى أن تتسامح مع من يختلف عنك جزئيا، ويقف معك في الصف نفسه.

ولذا؛ أقر الإسلام بتعدد الأفهام والعقول، حين لم يجعل كل أحكامه الشرعية على درجة واحدة من الثبوت والدلالة؛ بل منها قطعي الثبوت والدلالة، ومنها قطعي الثبوت ظني الدلالة، ومنها ظني الثبوت وقطعي الدلالة، ومنها ظني الثبوت والدلالة معا. مما يفتح الباب واسعا أمام الاجتهاد، بما يستلزمه من تعدد الآراء واختلاف وجهات النظر.. بل رتب الإسلام أجرا للمجتهد المخطئ، وأجرين للمجتهد المصيب، كما جاء بالحديث الشريف (٧)؛ ما دام المجتهد ممن استوفوا شروط الاجتهاد وأهليته، وليس متلاعبا بالنصوص وساعيا خلف الأهواء.

والأمر هكذا؛ فلم يكن غريبا أن تتعدد المذاهب الفقهية، وتختلف فيما بينها في حكم المسألة الواحدة.. ولا شك أن هذا يتطلب قدرا كبيرا من السماحة والتسامح، وعدم التعصب للرأي الواحد، فضلا عن عدم الإنكار على الآخرين. ولهذا فصل العلماء في أسباب الاختلاف وموجباته، وفي آدابه التي ينبغي مراعاتها؛ حتى لا ينقلب الاختلاف العلمي السائغ والمقبول إلى تنابز وتنافر.. وقرر العلماء قاعدة مهمة في هذا الشأن، وهي: «لا ينكر المختلف فيه، وإنما ينكر المجمع عليه» (٨).

ونقل ابن تيمية في «الفتاوى» عن عمر بن عبدالعزيز قوله: «ما يسرني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل، كان ضالا؛ وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا، كان في الأمر سعة». وكذلك قال غير مالك من الأئمة: ليس للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه (٩).

بهذه التوجيهات وغيرها؛ سواء في

التعامل مع المخالفين في الدين، أو مع المسلمين بعضهم مع بعض؛ يتضح لنا أن الإسلام جعل للتسامح أساسا عظيما، ومكانة راسخة؛ وأنه يعده فضيلة أخلاقية وفكرية معا.

## لماذا غاب التسامح؟

إن حالة اللاتسامح التي نعاني آثارها؛ هي من العيان بما لا يخفى على أحد؛ ومن ثم، يجب أن تؤرق كل ذي ضمير راغب في أن يؤدي أمانة الكلمة، وفي أن يصلح بقدر ما يستطيع.

ولا شك أن ثمة عوامل عدة تضافرت حتى نتجت هذه الحالة غير الصحية وغير الأخلاقية من عدم التسامح.. وهذه العوامل منها ما هو فكري، واجتماعي؛ بجانب هذا الضغط الذي يتعرض له عالمنا العربي والإسلامي في العصر الحديث من طرف قوى تريد استنزافه وإضعافه.

● فيما يتصل بالجانب الفكري: نرى أن ضعف التكوين العلمي أحد أهم مسببات عدم التسامح؛ حيث يعتقد المرء أن ما يحوزه من علم بمذهب واحد أو برأي واحد في المسألة هو الحق، وما عداه شاذ وباطل. فضلا عن أن البعض قد ينشغل بتحصيل العلم دون التحقق بأخلاقياته وآدابه؛ فلا نرى العلم سلوكا في ممارساته ومناقشاته. مع أن علما لا يسنده عمل وحسن خلق؛ مردود على صاحبه، أو قليل الجدوى، أو يأتي بنتيجة عكسية لما يزعم صاحبه أنه يريده.

لقد كان الإمام أحمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة؛ فقيل له: فإن كان الإمام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، هل يصلى خلفه؟ فقال: «كيف لا أصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب».. في إشارة إلى أن الإمامين مالكا وابن المسيب لا يريان الوضوء من خروج الدم. وصلى الشافعي، رحمه الله، الصبح قريبا من مقبرة أبي حنيفة رحمه الله فلم يقنت -والقنوت عنده سنة مؤكدة- فقيل له في ذلك؛ فقال: «أخالفه وأنا في حضرته!» وقال أيضا: «ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق» (١٠).. هكذا كان أئمتنا من رحابة الصدر وسعة الأفق.

● أما في الجانب الاجتماعي: فإن عدم تحقيق التوازن فيه، بما لا يشبع حاجات الناس جميعا في الحدود الدنيا، وبما لا يقلل من الفجوة بينهم؛ كفيل بإشاعة نقائض التسامح، وبإثارة الضغائن والأحقاد بين أبناء المجتمع الواحد؛ ومن ثم؛ يجد البعض لنفسه مبررا للسطو على حقوق الآخرين وانتهاك خصوصياتهم.

ولهذا، شرع الإسلام الزكاة، وندب إلى الصدقة، ورغب في الهدايا وإقامة الولائم عند الأفراح وحدوث النعم.. كل ذلك، وغيره من تشريعات وتوجيهات، جاء لسل سخائم النفوس، ولترطيب علاقات الناس بعضهم ببعض، بما ينزع الأحقاد من بينهم، ويجعل التسامح وغيره من الفضائل ركيزة للبناء والتماسك، وخطوة أساسية نحو تحقيق «العدل الاجتماعي».

كما أن ضمان الحقوق العامة من حرية التعبير وتعدد الآراء، وترسيخ ثقافة الحوار والشفافية والمساءلة؛ هما الإطار اللازم لأن تتجذر ثقافة التسامح وأخلاقيته، على المستوى الفكري والعملي.

● وأما فيما يخص التسامح، باعتباره قيمة مطلوب ترسيخها في العلاقة بين الشعوب والدول والحضارات: فإن حالة الضغط الكثيف التي تعرض لها عالمنا العربي والإسلامي، تحت ضربات السيوف ونيران المدافع، خاصة في العصر الحديث، من طرف قوى تريد استنزافا.. هذه الحالة من الضغط قد أضعفت مصداقية دعوات التسامح على هذا المستوى، وجعلت هذه الدعوات تبدو كما لو كانت بهدف التسليم بالاختلال الحاصل في علاقة أطراف هذه المعادلة، وليس بهدف إقامة حوار متكافئ يضمن حقوق الأطراف جميعا، ويمنع من بغي طرف على آخر.

وللأسف، مازالت هذه المخاوف قائمة، بالرغم مما نظم من مؤتمرات وندوات ولقاءات، رسمية وشعبية، لترسيخ الحوار الحضاري وما يستلزمه من تسامح وندية، وقد كانت الدول العربية والإسلامية سباقة في عقد الكثير من هذه اللقاءات؛ رغبة منها في إثبات جديتها، واستعدادها للتجاوز عن الرواسب. لكن يبدو أن فوائض القوة مغرية، والرغبة في السيطرة جامحة، وصوت العقلاء الداعين

للتسامح والحوار من الطرفين مازال خافتا.

ورغم كل هذه المعوقات، فإن الدعوة للتسامح تظل لها صدقيتها، لأسباب كثيرة؛ أهمها أن الإسلام دعوة للناس كافة، ورحمة للعالمين، وأنه جدير بعقيدته ومنهاجه بأن يحوز قلوب وعقول الباحثين عن هداية الله، وعن عالم تظلله القيم والمثل.

إننا يجب ألا نفقد الثقة في ضرورة التسامح، وفي نبل الدعوة إليه، بل إن هذه المعوقات ينبغي أن تكون حافزا للمضي في ذلك، تماما كما أن استفحال الداء يدفع لتأكيد أهمية الدواء والانتظام في جرعاته، غير أننا يجب ألا نغفل في الوقت نفسه عن أن دعوات التسامح ليست مبررا للتنازل عن المقدسات والحقوق، ولا مسوغا للتفريط فيها، وإلا كانت هذه الدعوة النبيلة -أي الدعوة للتسامح- غطاء لأفعال يأباها العقلاء وذوو الفطرة السليمة، أو كانت دعوة أخلاقية لتبرير أفعال غير أخلاقية، وهذا لا يستقيم أبدا.

## نحو استعادة التسامح:

إذا كان الأمر على هذا النحو، من التعقيد والتشابك، كما أشرنا بإيجاز؛ فثمة عدة خطوات لابد من إنجازها على نحو عاجل؛ لنستعيد قيمة التسامح المهمة والمؤسسة لقيم أخرى كثيرة، ومن هذه الخطوات:

أولا: العمل على استعادة التوازن الأسري في مجتمعاتنا؛ بما يجعل الأسرة محضنا تربويا لتنشئة الطفل على قيمة التسامح منذ الصغر.

ثانيا: العمل على تقوية النسيج الاجتماعي؛ بما يستلزمه من تحقيق العدالة الاجتماعية ومن توفير الحريات العامة؛ حتى ننزع من مجتمعاتنا عوامل الشقاق والاحتراب، ونوجد بيئة طبيعية لاستنبات التسامح وغيره من القيم.

ثالثا: مراجعة الخطاب الديني؛ بما يعيد لنا أجواء قروننا الأولى وسلفنا الصالح؛ التي كانت مترعة بالمدارس العلمية والفقهية المتعددة، مع توافر آداب الحوار والتسامح، وإبقاء الخلاف في دائرته العلمية، بحيث لا ينقلب إلى تنابز وتناحر.

رابعا: مراجعة برامجنا الإعلامية للتأكد من التزامها بمواثيق الشرف الإعلامي، وعدم السماح بأن يكون الإعلام نافذة لبث التحريض والكراهية.

خامسا: إظهار أوجه السماحة التي أرستها حضارتنا وتحلت بها، حتى وهي تتعرض لضربات الحروب الصليبية قديما والغزوات الاستعمارية حديثا؛ فكانت بلادنا نموذجا لتعايش أهل الأديان الأخرى تحت سقف حضارتنا، ولم تأخذ أحدا بجريرة أحد، بل كان العكس هو الحادث؛ فكان المحتل الأجنبي -قديما وحديثا- يحرص على إيجاد خروقات له داخل النسيج الإسلامي من خلال الأقليات الدينية التي تعيش فيه، ولوح لها بامتيازات وإغراءات، كما في النداء الشهير الذي وجهه نابليون لليهود، وهو أمام أبواب مدينة عكا.

سادسا: التأكيد باستمرار على الالتزام بأخلاقيات التسامح ومقتضياته، إدراكا بأهميته وضرورته؛ مع التأكيد في ذات الوقت أن هذا لا يعني تفريطا ولا مساسا بالمقدسات والحقوق الثابتة.

ما أصعبها من مهمة: مهمة استعادة التسامح، والاستظلال بظلاله الوارفة! غير أنها -مع صعوبتها- تبقى مهمة مطلوبة بإلحاح، ونبيلة بسمو، وتمثل أكثر من ضرورة!

---

### الهوامش

١- «المعجم الوسيط»، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص:٤٦٥، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٨م.

٢- «المعجم الفلسفي»، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص:٤٤، المطابع الأميرية، ١٩٨٣م.

٣- المصدر نفسه، ص:٤٩.

٤- «المعجم الفلسفي»، جميل صليبا، ٣٠٦/١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، بدون رقم الطبعة.

٥- «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي، تفسير «سورة النحل»، «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٦- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، تفسير «سورة النحل».

٧- روى عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران؛ وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» (البخاري ومسلم).

٨- «الأشباه والنظائر»، السيوطي، القاعدة الخامسة والثلاثون، ص:١٥٨، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م.

٩- «الفتاوى»، ابن تيمية، ج٣٠، ص:٨٠، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

١٠- «أدب الاختلاف في الإسلام»، د. طه جابر العلواني، ص:١١٨، ١١٩، كتاب الأمة رقم٩، ط٢، ١٤٠٦هـ.

شيماء علي جمال الدين
باحثة إسلامية - مصر

## بين دفاع المنصفين وهجوم الطاعنين

# منزلة البخاري

**قال حاشد بن إسماعيل، في معرض حديثه عن منزلة البخاري، سمعت قتيبة يقول: «مثل محمد ابن إسماعيل عند الصحابة في صدقه وورعه كما كان عمر في الصحابة» (١).**
**وقال الحافظ ابن حجر: «قد كان الشيخ أبو الحسن المقدسي، يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه، قال الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره، وهكذا نعتقد وبه نقول، ولا نخرج عنه إلا بحجة ظاهرة وبيان شاف» (٢).**

وكان ابن صاعد يسمي البخاري الكبش النطاح. لأن البخاري لم يكن يثبت له أحد في المناظرة، إذا حصل نوع من المناظرة في الحديث؛ سواء أكان في الحفظ أم في علل الأحاديث أم في أسماء الرواة أم كناهم، ما كان أحد يثبت للبخاري أبدا، فشبهه ابن صاعد بالكبش النطاح.

### سيد الفقهاء (٣) وإمام المحدثين!

لقد اتفقت كلمة المثنين عليه بأنه إمام زمانه، وأنه نادرة عصره، ولم ير مثل نفسه رحمه الله تعالى، (٤) والحديث عن الإمام البخاري رحمه الله ورضي عنه، وعن فضله ومناقبه يطول، وقد ذكر بالتفصيل في كتب القدامى والمعاصرين المنصفين (٥). أما الحديث عن صحيح الإمام البخاري فنختصره بقولنا: إن له مكانة خاصة في قلوب المسلمين، لما اشترط فيه مصنفه من ضوابط فاق فيها غيره، فلقد اشترط، رحمه الله، أعلى درجات الصحة لقبول الحديث، واستخرج من الحديث دقائق الأحكام من خلال التراجم التي وضعها لأبواب الصحيح، حتى عد هذا الكتاب خير كتاب بعد كتاب الله تعالى (٦).

### بحث علمي متكامل

قال الإمام البخاري، رحمه الله: «ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول»(٧).
وقد نص جمع من الحفاظ على أن أحاديث الصحيحين (٨) متلقاة بالقبول عند العلماء، وأنها في حمى من النقد والتضعيف والإعلال، وحكوه إجماعا مقطوعا به، وخالفهم آخرون كالدارقطني، وأبو علي الجياني وابن عمار الشهيد وأبو مسعود الدمشقي وابن القطان الفاسي فتكلموا في عدة أحاديث منه في كتبهم (٩).
يقول ابن حجر رحمه الله في كتابه «هدي الساري» -الكتاب العمدة في الدفاع عن البخاري-:
«قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كنا عند إسحاق بن راهويه فقال: لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح»، وروينا بالإسناد الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال: سمعت البخاري يقول: رأيت النبي ﷺ وكأنني واقف بين يديه وبيدي مروحة أذب بها




عنه، فسألت بعض المعبرين، فقال لي: أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح، وقال الحافظ أبوذر الهروي: سمعت أبا الهيثم محمد ابن مكي الكشمِيهني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: قال البخاري: ما كتبت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين (١٠).

### صحيح البخاري قبل اعتراضات الطاعنين وإنصاف الموافقين (١١)

هو بحث علمي جمعه محمد بن إسماعيل وعرضه على علماء التخصص في زمانه، وما خالفه أحد في شيء أتى به إلا بعض الاعتراضات، وقد أوفى العلماء ذكرها في العديد من الكتب.

قال العقيمي: «لما ألف البخاري كتابه الصحيح عرضه على ابن المديني ويحيى بن معين وأحمد ابن حنبل وغيرهم فاستحسنوه وكلهم قال: كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث، قال العقيمي:

والقول فيها قول البخاري، وهي صحيحة (١٢).

وتقرر أنه التزم فيه الصحة وأنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه «الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» (١٣).

وقال الحافظ العراقي: «اعلم أن درجات الصحيح تتفاوت بحسب تمكن الحديث من شروط الصحة، وعدم تمكنه، وإنّ أصح كتب الحديث، البخاري ثم مسلم» (١٤).

لذا؛ فصحيح البخاري نتاج مرحلة؛ جمعه البخاري ونقده المتخصصون في عصره والقرن الذي يليه، ومازاد مع الانتقادات إلا ثباتا وإحكاما، فحُق له أن يكون أصح الكتب بعد كتاب الله بإجماع الأمة الإسلامية.

وفي صحيح الإمام البخاري العديد من الأمور التي يعجب لها طالب العلم والباحث، من شدة دقتها وإحكامها، ومازال الباحثون يأتون على ذكرها في أبحاثهم شريطة الإنصاف والتزام القواعد العلمية المؤهلة لمثل هذا (١٥).

> «صحيح البخاري» لم يزده النقد إلا ثباتا

وعلى قوة الصحيح ورسوخه فقد كان صاحبه ورعا رحمه الله، كان الإمام البخاري يقول: «إني لأرجو أن ألقى الله، تبارك وتعالى، ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا»، وقد علق الإمام الذهبي، رحمه الله، على كلام البخاري، فقال: صدق، فمن نظر إلى كلامه في الرواة علم ذلك؛ لأن البخاري، رحمه الله، كان يستخدم الكلام اللطيف، حتى في الجرح -جرح الرواة- يقول مثلا في الراوي «فيه نظر» لا يقول «كذاب» مثلا، «مغفل» أو ما يشبه هذه العبارات التي تشعر بالقوة، في الجرح... كانت عباراته على أية حال عبارات رقيقة، أقوى عبارة استخدمها البخاري أن يقول: «منكر الحديث».

ويذكر في دقيق ما تميز به البخاري مسألة تعامله مع بعض رجاله المتهمين بالبدع، فتجده مثلا قد جاء براو على أحد المذاهب لحديث قد رفضه أهل ذلك المذهب أنفسهم، مع ملاحظة الفارق بين مفهوم المذهب في عرف المتقدمين والمتأخرين (١٦).

### تهم وطعون معاصرة

لماذا كثرت الطعون الموجهة للإمام البخاري ولصحيحه ولعموم السنة




في زماننا، بينما لم تظهر هذه الطعون في زمن علماء المسلمين ممن عاصروه وجاءوا بعده؟!

إن معول الهدم المسلط من أعداء الإسلام من المستشرقين المبشرين وأهل الأهواء المبتدعة والملحدين؛ ذاك المسلط على مصادر تاريخنا وأركان ديننا والذي لا غاية له إلا التضليل بطرق لا علم ولا أخلاق فيها، بغرض تعطيل السنة والتشكيك فيها ثم يعرجون على القرآن ليهدموا أركان الدين جميعها ليدركوا مرادهم الخبيث.

والهجوم على البخاري (حارس السنة) وصحيحه هو معركتهم الرئيسية التي يصلون بها إلى مبتغاهم، ونقدهم يخالف تماما في ظاهره وباطنه نقد القدامى من العلماء الأكابر.

ولاشك أن أزمنة الانحطاط والضعف والخنوع التي ألقت بظلالها على العالم الإسلامي كان لها أثر كبير على التراث الإسلامي، وكلما زاد انتفاش الباطل ضاعف من هجومه على الثوابت والأصول.. الشأن هنا إذن عقد مقارنة بين النقد سابقا والنقد في الأزمنة المتأخرة، فأول الأمر حينما كانت أقدام العلماء راسخة ثابتة على أرض الشرع كانوا إذا ما انتقدوا أقاموا أمرهم على أصول راسخة في النقد، والثابت عندنا هو النصوص الشرعية، فإذا ما نظروا فيها نظروا بعين الشرع وحكموا على النصوص بالنصوص، وتحروا واجتنبوا الأهواء ما استطاعوا، فإن كان ثمة زلل فيكون واضحا للعيان جليا لا يحتاج إلى بيان.

أما الذي حدث بعد ذلك فهو محاكمة النصوص إلى الأهواء بدعوى العقلانية في التعامل مع النصوص، والمراقب المتتبع لتطور المطاعن والنقد

**المنتقدون لـ«الصحيح» يقفون عند ظاهره**

لا يخفى عليه أثر الاستشراق ومناهج التغريب وزخم الابتداع، ويظهر جليا في كثير من الطعون الجهل وعدم امتلاك الأدوات العلمية، فتجد من يهذي بما لا يعلم، فإن قال إن الحديث خالف القرآن فإنما المخالفة جاءت من فهمه القاصر لظاهر الحديث والسنة.

**وكم من عائب قولا صحيحا**
**وآفته من الفهم السقيم** (١٧).

والحديث عن مراحل الاختلاف في المطاعن الموجهة للسنة عموما وصحيح البخاري بشكل خاص، تجد فيه تفاصيل لا يتسع المقام لذكرها، وتجدها في الكتب المعاصرة المؤصلة علميا وأبحاث مؤتمرات الانتصار للسنة وللصحيحين وغيرها (١٨).

ثم ظهرت في العصور المتأخرة بعض الكتابات التي تدعو إلى التخلص مما يسمونه ركام الماضي، والانقلاب عليه، وهي تنزع في حجاجها إلى العقل المحض، ومن هذه الكتابات ما يدعو إليه بعضهم من التفلت من قواعد المحدثين والتحرر من ضوابطها، فغاية ما هنالك أنها عندهم من أقوال الرجال، وعليه فلا يجوز وصفها بقواعد علوم الحديث، بل يقال: آراء رجال الحديث «ولا نقول مصطلح الحديث، ولكن نقول: نظريات قبول الأحاديث؛ لأنه ليس علما يعتمد على منهج؛ كعلم التاريخ والمنطق واللغة» (١٩). ثمة تحول لافت في ظاهرة نقد السنة في هذا العصر، وهو ما يظهر من ناحيتين، الأولى: أن الهجوم على السنة بعد أن كان يتوجه -سابقا- إلى نقض حجيتها ومناقشة مكانتها الشرعية من بين أدلة التشريع، تحول في السنوات المتأخرة إلى محاولة تفكيك

بنائها من الداخل ونقض قواعدها.
الثانية: أن هناك تحولا ظاهرا في اختيار شريحة المستهدفين، فبعد أن كانت الشبهة، في السابق، عبارة عن قناعات شخصية يكتبها الكاتب لجمهور القراء، أصبحت اليوم تكتب بشكل دقيق لتستهدف طلاب العلم والدارسين في علوم الشريعة، حتى ذهب بعضهم إلى التفتيش في تراث المحدثين، وتوظيف بعض القواعد والآراء وفصلها عن سياقاتها؛ خدمة للمشروع الذي يحمله (٢٠).

## أصول التفرقة بين المنهجين

يجب انتهاج منهج المتقدمين عند مخالفته لمنهج المتأخرين، إن وجد عند الطرف المنكر للتفريق، إجمالا، لأن المتقدمين أعلم بهذا الفن، وعنهم ومن كلامهم أخذ علم المصطلح الذي اصطلح عليه المتأخرون.

من ذلك تقديم المتقدمين على المتأخرين في العلم والحفظ والمعرفة والفهم وعلم العلل الذي هو أصل التصحيح والتضعيف. ومنه عدم جواز مخالفة ما أجمع عليه المتقدمون لأن إجماع أهل الفن المتخصصين فيه حجة على غيرهم، كما نبه عليه غير واحد من أهل العلم. ومنه أيضا عدم التزهيد في كتب المتأخرين والمعاصرين وعلمهم أو التحقير من شأنهم، وإن اتهم الطرف المفرق بالتزهيد بكتب المتأخرين والمعاصرين فلا يلتفت إلى هذا، فليس له أساس من الصحة وإنما هو ذر للرماد في العيون (٢١).

إن الكتب والأبحاث والمقالات القديمة والمتأخرة والمعاصرة تحدثت كثيرا عن كل المطاعن الموجهة للسنة والصحيح والبخاري نفسه، فلا تجد أكثر تلك المطاعن إلا غثاء كزبد البحر تذهب جفاء، ويمكث في الأرض الصحيح، فينفع الناس ويكون شهادة سرمدية في ميزان حسنات البخاري وكل من صدق النية من علماء الأمة لنفع الإسلام والمسلمين.

ويبقى السؤال.. لماذا يتهمون الثوابت بالتحاكم إلى متغيراتهم التافهة ويطعنون الحق بسهم الباطل، ولماذا يجدون من يصفق لهم رغم دفاعات العلماء والمنصفين على مر السنين؟!

### الهوامش

١- سير أعلام النبلاء، الذهبي، الطبقة الرابعة عشرة، ص ٤٣١.
٢- الحافظ ابن حجر في مقدمة الصحيح.
٣- هناك مقال مميز كتبه أبوجعفر عبدالله بن فهد الخليفي بعنوان «من دقيق فقه الإمام البخاري» وقد ذكر فيه دقة استنباطات البخاري وضرب أمثلة لذلك.
http://alkulify.blogspot.com.blog-post_2917./10/eg/2013 =html?m
٤- مكانة الصحيحين، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ص ٢١.
٥- يحال في مثل هذا إلى العديد من الكتب مثل: «هدي الساري» للإمام الحافظ ابن حجر، «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي، «سيرة الإمام البخاري» للعلامة المباركفوري وغيرها من الكتب القديمة والمعاصرة.
٦- (بتصرف)، من مقدمة بحث عنوانه «التناسب في صحيح الإمام البخاري»، دراسة تأصيلية، د. علي إبراهيم سعود عجين.
٧- التقييد والإيضاح، العراقي، ص ٣٠.
٨- صحيح البخاري وصحيح مسلم.
٩- (بتصرف)، من كتاب «الأحاديث المنتقدة في الصحيحين»، مصطفى باحو، ص ٢١.
١٠- هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ص ٧.
١١- يحال في مثل هذا إلى العديد من الكتب مثل: «الأحاديث المنتقدة في الصحيحين» لأبي سفيان مصطفى باحو، وانتقادات الدارقطني للصحيح، «مكانة الصحيحين» للأستاذ الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر، وغيرها من الكتب القديمة والمعاصرة.
١٢- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ٤٣/٩.
١٣- هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ص ٨.
١٤- «مكانة الصحيحين» نقلا عن «فتح المغيث» ٢٣/١.
١٥- مثال لتلك الأبحاث بحث بعنوان «التناسب في صحيح الإمام البخاري: دراسة تأصيلية» للدكتور علي إبراهيم سعود عجين.
١٦- الشيوخ الذين وصفوا بالتشيع مثل: إسماعيل بن أبان الوراق، أسيد بن زيد الجمال، فطر بن خليفة المخزومي، نعروف بن خربود المكي، عباد بن يعقوب الرواجني.
١٧- المتنبي.
١٨- يحال في مثل هذا إلى العديد من الكتب مثل: «الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة» لعبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، وغيره من الكتب.
١٩- (بتصرف) من: الاتجاه العقلي وعلوم الحديث: جدلية المنهج والتأسيس، د. خالد أبا الخيل، ص ٥.
٢٠- (بتصرف) من: الاتجاه العقلي وعلوم الحديث: جدلية المنهج والتأسيس، د. خالد أبا الخيل، ص ٦.
٢١- (بتصرف) من: مناقشة في منتدى موضوعها «الفرق بين منهج المتقدمين والمتأخرين في الحديث».
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=95021

إعداد: د. بدر العازمي
باحث دراسات إسلامية
فريق مركز الكويت
للاقتصاد الإسلامي

# الاقتصاد الإسلامي

أول سؤال يمكن أن يطرح: ما الاقتصاد الإسلامي؟

الإجابة على هذا السؤال تكون في جزئين؛ لأن مصطلح الاقتصاد الإسلامي مركب من جزئين:

أولا – الاقتصاد الإسلامي حيث أنه النظام الذي جاء في الكتاب والسنة، أي هو الهيكل القانوني أو الآلية التي يعمل بها الاقتصاد في المجتمع المسلم. وبالتالي يمكن الإجابة على الأسئلة التي تحدد أي نظام اقتصادي من خلال القرآن والسنة والإجماع والقياس (أصول الفقه).

ثانيا – الاقتصاد الإسلامي من حيث هو علم الاقتصاد من منظور إسلامي، أي علم الاقتصاد التقليدي، ولكن من وجهة نظر إسلامية (إسلامية علم الاقتصاد)، وهذا هو الهدف الأساسي الذي نشأ من أجله مفهوم الاقتصاد الإسلامي. وبما أن علم الاقتصاد علم إنساني يتعلق بسلوك الإنسان، وهدف الشريعة تحويل السلوك الإنساني من الواقع إلى المثال؛ جاءت فكرة تحويل هذا العلم لما يتوافق مع الشريعة الإسلامية لنقل المجتمع المسلم مما هو كائن لما يجب أن يكون، وبالتالي فأول ترجمة لعلم الاقتصاد كانت الاقتصاد الإسلامي، أي علم الاقتصاد من منظور إسلامي (علم الاقتصاد الإسلامي)، الذي يعالج المشكلة الاقتصادية ولكن من منظور إسلامي وإيجاد حلول لها متوافقة مع مقاصد الشريعة من أجل تحقيق رؤية المجتمع الإسلامي وما يجب أن يكون عليه. وقد توسع مصطلح الاقتصاد الإسلامي حتى شمل النظام الاقتصادي وفقه المعاملات المالية، وإن كان الأخير لا علاقة له بالاقتصاد الإسلامي.

## التمويل الإسلامي

التمويل علم نشأ في الغرب، وهو يعتمد على الفائدة (الربا) في تمويل المشاريع الاقتصادية. وبالتالي التمويل جزء من علم الاقتصاد، يساعد في حل المشكلة الاقتصادية. غير أن التمويل قد تغير وبدأ يبتعد عن علم الاقتصاد وأصبح علما بذاته، وذلك من خلال فصل العملية الإنتاجية عن التمويل، وبالتالي فإنه يطلق على الأزمة العالمية المالية في ٢٠٠٨م، أزمة مالية وليست أزمة اقتصادية.

التمويل في الإسلام هو جزء من علم الاقتصاد الإسلامي (علم الاقتصاد من منظور إسلامي)، لأن التمويل الإسلامي مستمد من الشريعة الإسلامية التي تحرم الربا (الفائدة)، فلا يمكن للتمويل الإسلامي أن ينفصل عن النشاط الاقتصادي في نظام الاقتصاد الإسلامي، وبالتالي لا يمكن أن تحدث أزمة مالية في الاقتصاد الإسلامي من حيث هو علم ونظام.

## إشكالية مفهوم الاقتصاد الإسلامي

من أجل ألا يكون هناك لبس في الذهن يجب أن نحدد المفاهيم.

## مفاهيم الاقتصاد الإسلامي:

الاقتصاد الإسلامي: هو فقه المعاملات المالية.

الاقتصاد الإسلامي: هو النظام الاقتصادي الإسلامي.

الاقتصاد الإسلامي: هو ضد الرأسمالية والاشتراكية.

## قبل الإجابة سوف نحدد المفاهيم:

فقه المعاملات المالية المعاصر يتعلق بالتمويل بشكل مباشر لأنه يهتم بالمال. إذن ليس هو الاقتصاد الإسلامي بل جزء منه يدخل إلى الاقتصاد الإسلامي من خلال النظام الاقتصادي الإسلامي الذي هو الهيكل القانوني في الدولة الإسلامية، وبالتالي فقه المعاملات جزء من النظام الاقتصادي الإسلامي.

علم الاقتصاد من منظور إسلامي يتعلق بعلم الاقتصاد الذي نشأ في الغرب وتم تدريسه وتطبيقه في الدول الإسلامية. إذن فالاقتصاد

الإسلامي يمكن أن يكون علم الاقتصاد ولكن من منظور إسلامي. من خلال ذلك يتبين أن لفظ الاقتصاد الإسلامي يمكن أن يطلق على النظام الاقتصادي الإسلامي ويمكن أن يطلق على علم الاقتصاد ولكن من منظور إسلامي، وبالتالي يمكن أن نفهم أن الاقتصاد الإسلامي جسد له جناحان؛ نظام وعلم.

أما فقه المعاملات المالية فبعضه جزء من النظام (من خلال منع الربا وفرض الزكاة) وبعضه جزء من التمويل (من خلال صيغ التمويل الإسلامية)، ولا يمكن أن يكون هو الاقتصاد الإسلامي.

الإجابة على السؤال تبين أن الاقتصاد الإسلامي هو نظام اقتصادي جاء من الكتاب والسنة، وبالتالي فهو نظام رباني يهدف إلى تحقيق الرفاه المادي والروحي للمجتمع البشري، والذي يمكن تحقيقه من خلال علم الاقتصاد من منظور إسلامي الذي يعالج المشكلة الاقتصادية من وجهة نظر إسلامية ولتحقيق أهداف الشريعة الإسلامية (مقاصد الشريعة)، وبالتالي يكون الإسلام حقق رؤيته من تحويل المجتمع مما هو كائن إلى ما يجب أن يكون.

## لماذا يحتاج المجتمع إلى نظام اقتصادي وعلم اقتصاد؟

الإجابة: من أجل تحقيق أهداف اقتصادية. فكل مجتمع يضع أهدافا اقتصادية ويسعى إلى تحقيقها، أبرزها:

١- القضاء على الفقر.

٢- تلبية الحاجات المادية الأساسية لجميع الأفراد.

٣- إتاحة الفرص للجميع لكسب معيشتهم.

٤- التوزيع العدل للدخل والثروة.

٥- التنمية الاقتصادية المستدامة.

تحقيق هذه الأهداف يحتاج إلى آلية، وهذه الآلية هي النظام الذي يتبناه المجتمع من أجل المساعدة على تحقيق أهدافه الاقتصادية. وبما أن كل مجتمع لديه مصادر محدودة وحاجات غير محدودة، فإنه يواجه المشكلة الاقتصادية التي يتصدى لها علم الاقتصاد.

علم الاقتصاد علم غربي وهو علم حديث بدأ في الحضارة الغربية في ١٧٠٠م، وهو يرى أن كل مجتمع له حاجات غير متناهية ومصادر محدودة. وبالتالي فإن علم الاقتصاد يدرس كيف يمكن إشباع أكبر قدر من الحاجات في ظل المصادر المحدودة، فهو يهتم بالكفاءة في تخصيص الموارد والعدالة في توزيعها.

النظام الاقتصادي هو الهيكل القانوني الذي يعمل من خلاله الاقتصاد المطبق والممارس في مجتمع ما. ويمكن معرفة أي نظام اقتصادي في أي مجتمع (دولة) من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

ماذا ننتج؟ أي من يحدد ماذا ننتج «السوق من خلال حركة الأسعار» أم «الدولة من خلال القرارات»؟

كيف ننتج؟ أي ما هي أفضل وسيلة يمكن أن تقلل التكلفة لأجل استخدام المصادر المحدودة بكفاءة، هل هي زيادة قوة العمل (العمال) أم الاعتماد على الآلات (رأس المال الإنتاجي) في عملية الإنتاج؟

لمن ننتج؟ للسوق من خلال الأسعار (سعر التكلفة + الربح)، أم للدولة التي سوف تقوم بتوزيع السلع بغض النظر عن سعر التكلفة، أي من الذي سوف يستهلك هذه السلع ويستفيد من الخدمات؟

إن علم الاقتصاد الموجود حاليا ويدرس في الجامعات هو علم وفق النظام الاقتصادي الرأسمالي، بمعنى أن النظام الرأسمالي (النظام الحر - السوق الحر) هو الإطار الذي يعالج فيه علم الاقتصاد المشكلة الاقتصادية (حاجات غير متناهية في ظل مصادر محدودة) من خلاله.

من خلال الأسئلة السابقة يمكن تحديد النظام الاقتصادي الرأسمالي:

ماذا ننتج؟ ما يطلبه السوق (كيف نعرف ما يطلبه السوق من خلال ارتفاع سعر سلعة ما).

كيف ننتج؟ بكفاءة (أي بأقل تكلفة) لتعظيم الربح وهو الهدف من الإنتاج.

لمن ننتج؟ للسوق (لمن يكون قادرا على دفع سعر السلعة أو الخدمة).

فمن خلال الإجابة على تلك الأسئلة حددنا النظام الاقتصادي لمجتمع ما (دولة ما). أضف إلى ذلك أن النظام الاقتصادي الحر يسمى الرأسمالية. غير أن الرأسمالية ليست نظاما اقتصاديا فقط بل هي عقيدة تحدد أن الهدف من الحياة هو إشباع الحاجات المادية فقط.

بعد أن حددنا مفهوم علم الاقتصاد ومعرفة النظام الاقتصادي والرأسمالية سوف نحدد مفاهيم الاقتصاد الإسلامي.

د. عبد الواحد عبدالله
الخميسي - الأستاذ
بجامعة الإيمان - اليمن

# من بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم

التقديم والتأخير: أحد أساليب البلاغة، أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق (١).

والأصل في ذلك أن يقدم ما حقه أن يقدم، ويؤخر ما حقه أن يؤخر، وهذا هو الترتيب المنطقي والعقلي، بل والشرعي في مثل هذا الأمر، وقد جرى القرآن الكريم على هذه القاعدة في كثير من سوره وآياته، ومن ذلك -على سبيل المثال- قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

حيث قدم الجن على الإنس؛ لكونهم قبلهم في الخلق والإيجاد، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ (الحجر:٢٧)، أي: والجان خلقناه من قبل آدم من نار السموم. فذكر الجن أولا، ثم ذكر الإنس بعدهم (٢).

أقول: هذا هو الأصل، إلا أنه لا يطرد في القرآن الكريم، فقد يأتي في بعض سياقاته تقديم ما حقه التأخير؛ وذلك لمعان بيانية، ولطائف بلاغية انفرد بها كلام الله دون غيره من الكلام، وإن كان هناك الكثير من الأدباء والشعراء قد نمقوا كلامهم المنثور والمنظوم، فإنهم لا يكادون يصلون ولو إلى عشر معشار بلاغة القرآن؛ وذلك للفرق بين كلام الخالق والمخلوق طبعا، وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨).

وبالمناسبة فإن تقديم الإنس على الجن في هذه الآية هو من باب تقديم المؤخر؛ وإنما قدموا هنا لأنهم هم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، وهم المتحدون أولا.

**أسباب التقديم والتأخير:**

وأسباب التقديم والتأخير كثيرة:

أحدها: السبق، وهو أنواع، منها:

١- السبق بالإيجاد:

ومن أمثلته:

أ- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (الحج:٧٥).

فإن مذهب أهل السنة تفضيل البشر، وإنما قدم الملائكة؛ لسبقهم في الوجود.

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ (الأحزاب:٥٩).

قدم الأزواج؛ لأنهن الأسبق بالزمان؛ وإلا فالبنات أفضل منهن؛ لكونهن بضعة منه ﷺ (٣).

جـ- ومنه تقديم السنة على النوم



في قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة:٢٥٥).
قدمت السنة على النوم؛ لأن العادة في البشر أن تأخذ العبد السنة قبل النوم، فجاءت العبارة على حسب هذه العادة. وقيل: إنها وردت في معرض التمدح والثناء وافتقاد السنة أبلغ في التنزيه فبدئ بالأفضل؛ لأنه إذا استحالت عليه السنة فأحرى أن يستحيل عليه النوم (٤).

د- ومنه تقديم الظلمة على النور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ (الأنعام:١).
فإن الظلمات سابقة على النور في الإحساس، وكذلك الظلمة المعنوية سابقة على النور المعنوي، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ (النحل:٧٨)؛ فانتفاء العلم ظلمة، وهو متقدم في الزمان على نور الإدراكات (٥).

هـ- ومنه تقديم الليل على النهار، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ (الإسراء:١٢). وقوله: ﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ (سبأ:١٨).
ولذلك اختارت العرب التاريخ بالليالي دون الأيام وإن كانت الليالي مؤنثة والأيام مذكرة وقاعدتهم تغليب المذكر؛ إلا في التاريخ (٦).

٢- السبق بالعلة والسببية:
ومن أمثلته:
أ- تقديم العزيز على الحكيم في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة:١٢٩). قدم العزيز على الحكيم؛ لأنه عز فحكم. وقدم العليم على الحكيم في نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة:٣٢)؛ لأن الإتقان والإحكام ناشئ عن العلم.

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥). قدمت العبادة على الاستعانة؛ لأنها سبب حصول الإعانة. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة:٢٢٢). قدمت التوبة؛ لأنها سبب الطهارة. وفي قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الجاثية:٧)، قدم الإفك؛ لأنه سبب الإثم (٧).

جـ- ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ (النساء:١٤٧).
قال الزمخشري: قدم الشكر على الإيمان؛ لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع، فيشكر شكرا مبهما، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا، فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره.
وجعله غيره من عطف الخاص على العام؛ لأن الإيمان من الشكر وخص بالذكر لشرفه. (انظر: تفسير الكشاف:١/٦١٥، ٦١٦، والبرهان؛ للزركشي: ٣/٢٤٥-٢٤٨).

٣- السبق بالرتبة:
ومن أمثلته:
أ- تقديم سميع على عليم في نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٣٧).
فإنه يقتضي التخويف والتهديد فبدأ بالسميع؛ لتعلقه بالأصوات، وأن من سمع حسك فقد يكون أقرب إليك في العادة ممن يعلم وإن كان علم الله تعلق بما ظهر وما بطن.

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٣).
قدمت المغفرة؛ لأنها سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة (٨).

السبب الثاني: تقديم الأشرف والأفضل:
ومن أمثلته:
أ- تقديم محمد ﷺ على نوح والنبيين عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب:٧).
لما كان الكلام في هذه الآية عن الأنبياء، قدم نبينا محمدا ﷺ وإن كان آخرهم عصرا؛ لأنه كان ﷺ أفضلهم وأرفعهم ذكرا.
وأما تقديم نوح عليه السلام على محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (الشورى:١٣).
فإنه لما لم يكن الحديث في هذه الآية عن الأنبياء من حيث كونهم أنبياء، وإنما كان هنا حديثا عن الدين، وكان نوح عليه الصلاة والسلام أول رسل الله إلى الأرض؛ فلهذا قدمه الله جل وعلا باعتبار كونه أول مرسل؛ لأن الكلام هنا عن الرسالة والدين، لا عن الأنبياء والمرسلين الذين يحملون الرسالة والدين (٩).

ب- ومنه تقديم رواح الأنعام على سراحها في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ

﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ (النحل:٥-٦).

هذه الآية وردت في سياق الامتنان بالأنعام. فالناظر إلى الأنعام وهي تغدو إلى رعيها، ليس كنظره إليها حال أوبتها وعودتها، فإنها إذا عادت تعود عظاما ضروعها، طوالا أسنمتها، فمنظرها في العين -وهي عائدة- أجل وأمتع وإن كان منظرها يبقى حسنا وهي ذاهبة إلى المرعى، لكن لما كانت الأنعام في حال أوبتها تملأ العين أكثر -والآية مسوقة في سياق الامتنان- قدم الله عزوجل في الذكر ما هو مؤخر في الزمن؛ وذلك حتى يكون الوضع متناسبا مع كون الإنسان يراعي منظر ما يشاهده ويراه من نعم الرب تبارك وتعالى عليه، فالأنعام أملأ في العين حال أوبتها من حال ذهابها إلى المرعى. قال الرازي: «فإن قيل: لم قدمت الإراحة على التسريح؟

قلنا: لأن الجمال في الإراحة أكثر؛ لأنها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع، ثم اجتمعت في الحظائر حاضرة لأهلها؛ بخلاف التسريح، فإنها عند خروجها إلى المرعى تخرج جائعة عادمة اللبن، ثم تأخذ في التفرق والانتشار، فظهر أن الجمال في الإراحة أكثر منه في التسريح» (١٠).

جـ- ومنه قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ (آل عمران:١٤).

لما صدر الله تعالى الآية بذكر الحب، وكان المحبوب مختلف المراتب، متفاوت الدرجات، اقتضت الحكمة الإلهية تقديم الأهم فالأهم من المحبوبات، فقدم النساء على البنين؛ لما يظهر فيهن من قوة الشهوة ونزوع الطبع وإيثارهن على كل محبوب، وقدم البنين على الأموال؛ لتمكنهم في النفوس واختلاط محبتهم بالأفئدة، وهكذا القول في سائر المحبوبات، فالنساء أقعد في البيوت، والبنون أقعد في المحبة من الأموال، والذهب أكثر تمكنا من الفضة، والخيل أدخل في المحبة من الأنعام، والمواشي أدخل من الحرث.

وأما ما جاء خلافا لهذا من تقديم الأموال على الأولاد كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن:١٥).

فإنما قدم الأموال هنا؛ لأنها في معرض ذكر الافتتان، ولا شك أن الافتتان بالمال أدخل من الافتتان بالأولاد؛ لما فيه من تعجيل اللذة والوصول إلى كل مسرة، والتمكن من البسطة والقوة. وهذا بخلاف آية القناطير، فإنه إنما قدم البنين فيها لما ذكرها في معرض الشهوة وتمكين المحبة (١١).

د- ومنه الحث على المتقدم خيفة التهاون به، كتقديم تنفيذ الوصية على الدين في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ (النساء:١١).

فمن المتفق عليه بين الفقهاء رحمهم الله تعالى أن الدين مقدم على الوصية في الإخراج، وإنما قدمت الوصية هنا؛ لأنهم كانوا يتساهلون بتأخيرها، بخلاف الدين؛ ولأن الدين غالبا ما يكون له صاحب يطالب به ويكفي الغير أمره، بخلاف الوصية فربما لا يوجد من يعلم عنها شيئا، وقد لا يدرى بها أساسا فلا يكون لها من يطالب بها؛ ولذا قدمها الله عز وجل على الدين؛ اهتماما بشأنها، وتنبيها إلى عدم التساهل في إنفاذها.

وقيل: إنما قدمت لوجهين:

أحدهما: أنها قربة إلى الله تعالى، بخلاف الدين الذي تعوذ الرسل منه، فبدئ بها للفضل.

والثاني: أن الوصية للميت، والدين لغيره، ونفسك قبل نفس غيرك، تقول: هذا لي، وهذا لغيري، ولا تقول في فصيح الكلام: هذا لغيري وهذا لي (١٢).

السبب الثالث: الاختصاص بتقديم المعمول:

ويكون ذلك بتقديم المفعول، والظرف، والجار والمجرور، ونحوها على الفعل، وهذا النوع من التقديم في الغالب يفيد الاختصاص، وهو في القرآن الكريم كثير، ومنه:

١- تقديم المفعول به على فعله:

ومن أمثلته:

أ- قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ (الفاتحة:٥-٦).

قدم المفعول به «إياك» على فعلي العبادة والاستعانة دون فعل الهداية، فلم يقل: «إيانا اهد» كما قال في الأولين: «إياك نعبد وإياك نستعين». وسبب ذلك أن العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى، فلا يعبد أحد غيره، ولا يستعان بأحد غيره.

أما عدم تقديم مفعول الهداية على فعله، فلأن طلب الهداية لا يصح فيه الاختصاص؛ إذ لا يصح أن تقول: اللهم اهدني وحدي ولا تهد أحدا غيري، أو خصني بالهداية من دون الناس، وإنما تقول: اللهم اهدني كما تقول: اللهم ارزقني واشفني وعافني، فأنت تسأل لنفسك الهداية، ولم تسأله أن يخصك بها وحدك كما لم تسأله أن يخصك بالرزق والشفاء والعافية فلا يرزق أحدا غيرك ولا يشفيه ولا يعافيه (١٣).

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الزمر:٦٦)، وقوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٢).

حيث قدم مفعولي العبادة وهما «الله» في الآية الأولى، و«إياه» في الثانية على فعلي العبادة وهما «فاعبد» في الآية الأولى، و«تعبدون» في الثانية؛ وذلك لأن العبادة مختصة بالله تعالى، ومحصورة عليه (١٤).

٢- تقديم الجار والمجرور على فعله:

ومن أمثلته:

أ- قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨).

حيث قدم في الآية الجار والمجرور وهو قوله: «عليه» - على فعل التوكل، وقدم الجار والمجرور الآخر وهو «إليه» على فعل الإنابة؛ وذلك للدلالة على اختصاص الله بالتوكل عليه، والإنابة إليه، وأن التوكل لا يكون إلا عليه وحده، والإنابة ليست إلا إليه وحده (١٥).

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ ﴾ (الملك:٢٩).

فقدم الفعل «آمنا» على الجار والمجرور «به» وأخر الفعل «توكلنا» عن الجار والمجرور «عليه»؛ وذلك لأن الإيمان لما لم يكن منحصرا في الإيمان بالله فقط، بل لا بد معه من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وغيره مما تتوقف صحة الإيمان عليه، لما كان ذلك كذلك لم يقدم فيه ما حقه التأخير وهو الجار والمجرور «به»، بخلاف التوكل فإنه لا يكون إلا على الله وحده؛ لتفرده بالقدرة والعلم؛ لذلك قدم الجار والمجرور فيه؛ ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره؛ لأن غيره لا يملك ضرا ولا نفعا، فيتوكل عليه (١٦).

جـ- ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ (القيامة:٣٠).

حيث قدم الخبر الذي هو الجار والمجرور «إلى ربك» على المبتدأ الذي هو «المساق»؛ وذلك للحصر والاختصاص، أي: ما المساق إلا إلى الله وحده لا إلى ذات أخرى غيره.

وفي هذه الآية الكريمة يضاف إلى البيان المعنوي، الذي هو الاختصاص، البيان اللفظي وهو التقديم من أجل رؤوس الآي وهو ما يسمى بمراعاة الفاصلة؛ لأن قبل هذه الآية قوله: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ (القيامة:٢٩)، فكان لابد من مناسبتها لها في الانتهاء بحرف واحد وهو القاف؛ وذلك حتى لا تنخرم الفاصلة، فيضطرب التناسق الصوتي (١٧).

٣- تقديم الظرف على فعله:

ومن أمثلته:

أ- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ (لقمان:٣٤).

فقدم الظرف «عنده» وهو الخبر، على المبتدأ وهو «علم الساعة»؛ لاختصاص علم الساعة بالله وحده، و«مفهوم هذا الخطاب الإخبار بما يعلمه هو دون خلقه، وأن أحدا لا يعلمه إلا بإعلامه إياه» (١٨).

ب- ومنه قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ (الأنعام:٥٩).

فقدم الخبر الذي هو الظرف «عنده» على المبتدأ «مفاتح الغيب»؛ وذلك لاختصاصه سبحانه بعلم الغيب. ألا ترى كيف أكد ذلك الاختصاص بأسلوب آخر هو أسلوب القصر، فقال: «لا يعلمها إلا هو» (١٩)؟

فانظر إلى عظمة القرآن في كونه لا يقدم شيئا أو يؤخره إلا لحكمة ظاهرة بينة! وشواهد عظمة القرآن قائمة، علمنا منها ما علمنا، وجهلنا منها ما جهلنا.

هذا؛ وفي خضم النظر في هذه الآيات المذكورة تتبين لنا عظمة القرآن، وأنه منزل من عند الله تبارك وتعالى، وهذه إنما هي بعض الشواهد على ما في القرآن من عظيم المكانة، وجليل البلاغة، وروعة البيان التي أسرت العرب قبل ذلك، فكانت سببا في إسلام كثير ممن مَنّ الله عليهم بالهداية، ممن لحقوا بركب رسول الله ﷺ.

---

**الهوامش**

١- (البرهان في علوم القرآن للزركشي:٣/٢٣٣).
٢- (انظر: أسرار البيان في التعبير القرآني؛ لفاضل السامرائي:١/٢٩).
٣- (البرهان في علوم القرآن:٣/٢٣٩).
٤- (المصدر السابق: ٣/٢٤٠).
٥- (المصدر السابق).
٦- (المصدر السابق).
٧- (معترك الأقران في إعجاز القرآن؛ للسيوطي: ١/١٣٤).
٨- (أسرار البيان في التعبير القرآني؛ للسامرائي:١/٣٣، بتصرف).
٩- (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن؛ لزكرياء الأنصاري:١/٤٥٨ بتصرف).
١٠- (تفسير مفاتيح الغيب؛ للرازي:١٩/١٧٦).
١١- (الطراز لأسرار البلاغة:٢/٣٦).
١٢- (البرهان في علوم القرآن:٣/٢٦٥).
١٣- (أسرار البيان في التعبير القرآني:١/٢٥).
١٤- (لمسات بيانية؛ للسامرائي:١/٤٧٦).
١٥- (المصدر السابق).
١٦- (البرهان في علوم القرآن:٢/٤١٤).
١٧- (أسرار البيان في التعبير القرآني:١/٢٦).
١٨- (أحكام القرآن؛ للجصاص:٣/٤٥٩).
١٩- (أسرار البيان في التعبير القرآني:١/٢٧).

أ. د. عبدالله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية
للتربية والتكوين
بني ملال - المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها

## (الحلقة ٥)

### سابعا: مكر ودهاء اللغة لدى العرب القدامى:

ليس يخفى على من شدا قليلا من المعرفة بأسرار المكر والملاحن في كلام العرب، وما طرسوه من العبارات الساحرة الفاتنة التي لا ضفاف لها، وما تواصوا به من الحذر والفطنة في إصدار الأمور مصادرها التي تقتضيها، على شاكلة وصية المأمون لأحد رجاله الذي وجهه إلى مدينة السلام، وأمره بلقاء عبد الملك بن صالح العباسي قائلا له: «إنك ستلقى من عبد الملك رجلا بعيد الغور، دقيق الفطنة، سديد الحكم، رقيق اللسان، حسن التأني، فاحذره؛ فإنه يكثر المباحثة ويحسن المساءلة، ويحتال لاستخراج ما في ضميرك، ويعتبر عليك باختلاف ألفاظك. فلا تره الاسترسال فيتهمك، ولا الاحتراس منه فيحذرك. وعليك باستعمال الغفلة إلى انتهاز الفرصة؛ فباحثه مباحثة الآمن، واحترس منه احتراس الخائف. واعلم أن البحث الخفي يجلو الأمر، والتعبير يكشف ما في الضمير». قلت إن مبلغهم من العلم بأسرار الخلابة أن يدركوا بالمكر والدهاء من أين غرة الخصم التي يتسلق على احتوائه وخديعته، وألا يتركوا مقالا لقائل بمتخيرات من الألفاظ التي لا تمكن المتلقي من غرضها إلا بعد التدبر، الذي يجعله كالذي كشف عنه غطاؤه، ليبصر بعد العمش، ويدرك بعد الغفلة براعة الإخفاء التي تنجي من الموقف الحرج، وتخلص من جنف الظالم بمكر اللغة الذي يقصد منه المغالطة والتزييف لإخفاء الحقائق، بواسطة ما تحقن به اللغة من أدوات زخرفية من داخل بنيتها أو من خارجها، بإتقان لافت يريد شيئا فيموهون عنه بقول آخر، على شاكلة الشاب العربي الذي أسرته قبيلة طيئ «فقدم أبوه وعمه ليفدياه، فاشتطوا عليهما في الفداء، فأعطيا لهم به عطية لم يرضوها، فقال أبوه: لا والذي جعل الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبلي طيئ، لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم انصرفا. فقال الأب للعم: لقد ألقيت إلى ابني كليمة، لئن كان فيه خير لينجون. فما لبث أن نجا وأطرد قطعة من إبلهم. فكأن أباه قال له: الزم الفرقدين على جبلي طيئ، فإنهما طالعان عليهما وهما لا يغيبان عنه». يبدو من خلال هذا النص أن تفكيك العلاقات القائمة بين الكلمات، يولد معنى جديدا مرتبطا بمقاصد مرسل الخطاب، الذي حرص على إخفائه بواسطة عبارات حمالة لدلالات مختلفة تدعو القارئ النابه إلى إعمال أدواته اللغوية والمعرفية والسياقية، التي ترشده إلى كيفية العزل والتشطيب لبلوغ القصد الافتراضي الخفي، الذي ترجحه شواهد نصية وخارج نصية تتصل بسياق الكلام لافتراض المغزى الأرجح لمراد المتكلم، الذي عبرت عنه العبارة داخل سياقها الاجتماعي والنفسي والثقافي وطريقة نبر الكلام من لدن المتكلم، لأن السياق هو الذي يعمل على اصطفاء المغزى المراد، إذا لم يوجد ما يؤيد ذلك المغزى اعتمادا فقط على الوسائل اللغوية الموظفة، على شاكلة قول الأعور العنبري التميمي الذي كان أسيرا في بكر بن وائل فطلب منهم عبدا رسولا إلى قومه قائلا له: «أبلغ قومي التحية، وقل لهم: ليكرموا فلانا يعني أسيرا كان في أيديهم من بكر فإن قومه لي مكرمون، وقل لهم: إن العرفج قد أدبى، وقد شكت النساء، وأمرهم أن يعروا ناقتي الحمراء، فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملي الأصهب، بآية ما أكلت معكم حيسا، واسألوا الحارث عن خبري.

فلما أدى العبد الرسالة قالوا: لقد جن الأعور، والله ما نعرف له ناقة حمراء، ولا جملا أصهب؛ ثم سرحوا العبد، ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة، فقال: قد أنذركم. أما قوله: قد أدبى العرفج: يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح، وقوله شكت النساء، أي اتخذن الشكاء للسفر. وقوله: الناقة الحمراء، أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان، وهو الجمل الأصهب. وقوله بآية ما أكلت معكم حيسا، يريد أن أخلاطا من الناس قد غزوكم؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط. فامتثلوا ما قال، وعرفوا لحن كلامه. «بعد أن بصرهم الحارث بالمغزى من خطاب صاحبهم، وأوضح لهم الحقيقة المنكتمة فيه، وصرفها إلى الجهة التي إليها قصد، رغم الحرص على زخرفته وترقيشه بطبقات أسلوبية غاية في المكر والدهاء والإغماض».

ويعد التلطف من المكر الحسن الذي يأخذ من القلوب بمجامعها، فتقع عباراته في النفس أجود مواقعها على شاكلة سعيد بن عثمان الذي قال «لطويس المغني: أينا أسن، أنا أم أنت يا طويس؟ فقال بأبي أنت وأمي، لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب...! فانظر إلى حذقه وإلى

**«وقد كانت العرب تتعمد ذلك وتقصده، إذا أرادت التورية أو التعمية»**

معرفته بمخارج الكلام، كيف لم يقل: بزفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك؟ وهكذا كان الكلام فقلب وجه المعنى». ومعلوم أن «حسن المآخذ في المنازع التي ينزع بالمعاني والأساليب ونحوها، يكون بلطف المذهب في الاستمرار على الأساليب والاطراد في المعاني والإثلاج إلى الكلام من مدخل لطيف. فيوجد للكلام بذلك طلاوة وحسن موقع من النفس لا توجد مع وضعه على خلاف تلك الهيئة، والإثلاج إليه من غير ذلك المدخل. وهذا النوع من الكلام لا يكاد يميزه إلا الناقد البصير الجيد الطبع»، الذي يدرك مفعول العبارة الملطفة التي تفتح الأبواب الموصدة وتحقق المآرب على شاكلة صنيع الشاعر (عوف بن محلم الخزاعي) الذي كان ملازما لطاهر بن الحسين بن مصعب ومنادما له. فلما مات طاهر أراد الشاعر أن يلحق بأهله، لكن عبدالله بن طاهر لوى عليه يده وتمسك بالشاعر، وأنزله فوق المنزلة التي كانت من أبيه؛ وقد اجتهد الشاعر عوف بن محلم في التخلص، فلم يتمكن من ذلك «حتى خروج عبدالله ابن طاهر من العراق يريد خراسان... فلما شارفوا الري، وقد أدلجوا سحرة، إذ بقمري يغرد على سروة، بأشجى صوت وأرق نغمة، فالتفت عبدالله إلى عوف فقال: يا أبا محلم، أما تسمع هذا الصوت؟ ما أرقه وأشجاه! قاتل الله أبا كبير الهذلي حيث يقول:

**ألا يا حمام الأيك فرخك حاضر**
**وغصنك مياد ففيم تنوح؟**

قال عوف: أحسن والله أبو كبير وأجاد أيها الأمير... قال عبدالله: عزمت عليك إلا أجزت هذا البيت. قال عوف: أصلح الله الأمير، شيخ مسن وأحمل على البديهة، وعلى معارضة مثل أبي كبير، وهو من قد علمت! قال عبدالله: عزمت عليك وسألتك بحق طاهر إلا فعلت، فأنشأ يقول:

**أفي كل عام غربة ونزوح**
**أما للنوى من ونية فتريح**
**لقد طلح البين المشت ركائبي**
**فهل أرين البين وهو طليح؟**
**وأرقني بالري نوح حمامة**
**فنحت وذو اللب الحزين ينوح**
**على أنها ناحت فلم تر عبرة**
**ونحت وأسراب الدموع سفوح**
**وناحت وفرخاها بحيث تراهما**
**ومن دون أفراخي مهامه فيح**
**ألا يا حمام الأيك فرخك حاضر**
**وغصنك مياد ففيم تنوح؟**
**عسى جود عبدالله أن يعكس النوى**
**فتضحى عصا التسيار وهي طريح**
**فإن الغنى يدني الفتى من صديقه**
**وعدم الغنى للمعسرين طروح**

فاستعبر عبدالله ورق له لما سمع من تشوقه إلى أهله وبلده، فقال: يا ابن محلم ما أحسن ما تلطفت لحاجتك، واستأذنت في الرجوع إلى أهلك وولدك! وإني والله بك لضنين، وبقربك لشحيح، ولكن والله لا جاوزت مكانك هذا حتى ترجع إلى أهلك وولدك، وأمر له بثلاثين ألف درهم نفقة». وهو نفسه التلطيف الذي عبر عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما نزلت الآيات القرآنية موافقة لما كان قد أشار به إلى الرسول ﷺ؛ بالنسبة إلى دعوته لاتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وموقف كرهه أن يصلي النبي ﷺ على أحد المنافقين لما

**المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي**

مات، وموقف دعوة النبي ﷺ أن يأمر نساءه بالحجاب، وموقف دعوة الأطفال الذين بلغوا الحلم بالاستئذان بعد الفجر وحين الظهيرة وبعد العشاء، فلما أنزل الله قرآنا موافقا لهذه المواقف التي وقفها عمر رضي الله عنه، قال عمر: وافقت ربي، ولم يقل وافقني ربي، ليقينه أن علم الله أسبق وآكد. وهذا فهم بارع يشهد التأمل له بالفطنة والحكمة إلى الغرض الذي إليه قصد، بحيث يدعو النص القارئ إلى الانتباه الفطن لكل كلمة ساقها صاحب النص سوقا تفرض على المتلقي اقتفاء أثرها حتى يبلغ بها منابعها، وكيف يجب الظفر بما يسوغ للمتكلم التصرف في الكلام ومخضه حتى يستخلص إتاءه، ومعانيه المتطفلة الضمنية، التي لا يعثر عليها إلا بإكداء الطبع، وتقليب الكلام ظهرا لبطن بحثا عن الكلام الضمني الذي تتكفل به طرائق الرصف الوظيفية والاستعمالية والسياقية والثقافية والجمالية، التي يلغزون فيها لإخفاء مضمون رسائلهم التي تبلغ في التمويه والإخفاء مبلغا لا يدرك حقيقته إلا كل مدره مفوه بلغ المرتقى الأنأى، والمبتغى الأعلى، والأمد الأبعد في تجلية أغباشه، وإنارة أغطاشه، والتقاط إشعاعاته، وهتك أستار حيله الأسلوبية؛ لا تعتاص عليه الأسرار النائمة المودعة في العبارات، ولا تحتجب عنه مكائد تضريج الكلام وملاحنه، كما توضح هذه الحادثة التي تؤكد أن الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي يعد أنف الفصاحة الذي تعطس عنه في تخير الألفاظ؛ سأل المهلب ابن أبي صفرة قائلا: أنا أطول أو أنت؟ فقال المهلب: أنت أطول، وأنا أبسط قامة، حاملا المعنى على الطول وهو الفضل والإنعام، وليس على الطول وهو ارتفاع القامة اتباعا لأسلوب الحكيم وتلطفا مع الحجاج.

وفي إطار المكر السيئ تمكن الإشارة إلى حادثة وقعت بين عشيقين ومولى، إذ أرسل العشيق إلى عشيقته مع العبد

ثلاثين شاة، وزقا من خمر، فشرب العبد في الطريق بعض الخمر، وأكل شاة. فقالت الغانية للمولى لما أراد العودة إلى سيده: «اقرأ على مولاك السلام، وقل له: إن شهرنا نقص يوما، وإن سحيما راعي شائنا أتاني مرثوما. فلما أتى مولاه فأخبره، ضربه حتى أقر» وأفرخت بيضته بما كان منه في أثناء رحلته.

وتعد الحيلة والخدعة من المكر الكبار، كما حدث في أثناء قضية التحكيم بين كل من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، حيث اتفق المتناظران على أن يبعث كل واحد منهما حكما ينوب عنه، فحكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه (أبا موسى الأشعري)، وحكم معاوية (عمرو بن العاص)، وقد خلص المتناظران على أن يخلع كل واحد منهما صاحبه، وتعاهدا وتعاقدا على ذلك. «فلما دنا أبو موسى وعمرو من المنبر، قال لعمرو: اصعد فاخلع معاوية، قال عمرو: أنت تعلم أني لم أتقدمك في شيء، فتقدم أنت فاخلع صاحبك حتى أتلوك فأخلع صاحبي؛ فصعد أبو موسى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: قد خلعت عليا من هذا الأمر كما خلعت نعلي من رجلي، وخلع نعله، ثم نزل فصعد عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إني قد أقررت معاوية في هذا الأمر كما أقررت خاتمي في إصبعي، وأدخل إصبعه في خاتمه»، فتفرق الناس عن علي رضي الله عنه طرائق حزقا، وانصرف أبو موسى وقيذا محزونا من كلامه، فكان لمعاوية ما أراد بحيلة ودهاء صاحبه عمرو بن العاص (١).

ولقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي حكيما داهية يواري إربه، ولا يفطن الناس بنفسه، ولا يجرؤهم عليه مع إظهار الجرأة والبصر بما لم يبصر به الآخرون، ولا يخوض أمرا حتى يعلم مقدار غوره، مع توجيه الكلام الوجهة التي قصد إليها المرسل، الذي يعرض ولا يصرح في عبارات متلاطفة غير متكاشفة على شاكلة قول الشاعر (العديل) عندما قدم الحجاج العراق:

**دعوا الجبن يا أهل العراق فإنما**
**يهان ويسبى كل من لا يقاتل**
**لقد جرد الحجاج للحق سيفه**
**ألا فاستقيموا لا يميلن مائل**
**وأصبح كالبازي يقلب طرفه**
**على مرقب والطير منه دواحل**

فقال الحجاج لأصحابه، وقد بلغته هذه الأبيات التي يزعم فيها العديل مدحه: «ما تقولون؟ قالوا: إنه مدحك. قال: كلا، ولكنه حرض علي أهل العراق، فطلبه فهرب».

كما فرض الغلام الأعرابي منطقه على الحجاج بن يوسف الثقفي، فأمر له بجائزة رغم الجراءة عليه وعلى جلسائه، كما توضح الحكاية الآتية التي تذكر أن غلاما أعرابيا من الخوارج أدخل على الحجاج بن يوسف الثقفي، ومعه ملأ من أهل العراق، فلما رمق الفتى الأعرابي المنظرة التي جلس فيها الحجاج مع جلسائه، تلا قوله تعالى؛ من دون أن يعبأ بالحجاج وبمكانته: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ (الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩). وكان الحجاج متكئا فاستوى في مقعده قائلا: يا غلام، إني أرى لك عقلا وذهنا، أحفظت القرآن؟

فقال الفتى: أوخفت عليه حتى أحفظه؟

قال: أفجمعت القرآن؟

قال أوكان مفرقا حتى أجمعه؟

قال: أفأحكمت القرآن؟

قال: أوليس الله أنزله محكما؟

قال: أفاستظهرت القرآن؟

قال: معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهري.

فقال الحجاج وقد ثار غضبا: ويلك قاتلك الله... ماذا أقول؟

قال الغلام: الويل لك ولقومك، قل: أوعيت القرآن في صدرك؟

فقال له الحجاج: هذب ألفاظك وقصر لسانك، فإني أخاف عليك بادرة الأمر، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم.

فقال الغلام: لا حاجة لي بها، بيض الله وجهك، وأعلى كعبك.

فالتفت الحجاج إلى جلسائه وقال: هل علمتم ما أراد بقوله: بيض الله وجهك وأعلى كعبك؟

قالوا: الأمير أعلم.

قال: أراد بقوله: بيض الله وجهك؛ العمى والبرص، وبقوله: أعلى كعبك؛ التعليق والصلب، ثم التفت إلى الغلام وقال له: ما تقول فيما قلت؟

قال الغلام: قاتلك الله ما أفهمك!..

هذا نور في كمه ونور في أغباش ليل هذا الموضوع الذي يقتضي التبصر والتحفظ والاحتراز لقطع أطماع الدهاة الماكرين؛ ولابد للنور أن يتفتح، وللنور أن يشع ويسطع، لدفع ظلام الشبه والمبهمات بتفصيل ما أجملت، وتفريع ما أصلت، لأن موضوع المكر من فرائد الفوائد، يحوجنا إلى كثير من الاستقصاء الذي يظهر حسن ما ليس بحسن بأنواع من التحيل والمراوغة، وضروب من المعاذير والمعاريض التي تخفي المراد، حتى قيل: إن أعلى رتب البلاغة» أن يحتج للمذموم، حتى يخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيره في صورة المذموم». حسبي من هذا الموضوع الذي لا ينكش أن مد الوادي الغزير، من صغار الفولج والثغاب والأسرية، وفيضها من سبل القطرات والمطرات.

**هامش**

انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٥٧/٤) وتاريخ الطبري (١١٣/٣) وتاريخ دمشق لابن عساكر (١٧٣/٤٦).

محمود أحمد حسانين
قاص وروائي
مصر

# وكأنها الساعة

يستيقظ من نومه - كعادته - على صوت تواشيح صلاة الفجر، تقفز أعضاؤه من خمولها، ينهض نافضا عن نفسه كل ما علق بجسده من كسل وخمول، يطرد آثار النعاس، يستعيذ من كل شيطان رجيم، تتسابق خلجاته أكثر من خطاه إلى حيث سبيل الماء، يتوضأ، تتسابق من على جبينه حبات الماء، محملة بالذنوب، يتشهد، يتلو الآيات، تتمتم شفتاه بالأوردة والأدعية. يخرج من منزله والشوارع خلت تماما من المارة، المباني كأنها خاشعة لله، تبتهل وترتل مع صوت الآذان، الأضواء يكسوها الخجل، حيث تملكها الخفوت، الطرقات تملؤها السكينة المتدثرة بالاطمئنان، وكأن نجوم السماء تضوي مع كل تكبيرة للأذان في سمائها، الليل وقد ستر المدينة عن المتربصين والمنافقين، حتى يتجلى الإيمان بخطوات المؤمنين إلى مساجدهم، ملبين الداعي وقلوبهم وجلة لا يراءون أحدا، ولا ينافقون من أجل سمعة.

هكذا هو الفجر في بلادنا.

إنها ساعة الإجابة التي لا يرد فيها سائل يسأل خيرا، فالمؤمنون يتقربون منه سبحانه بالدعاء، والتضرع إليه في تلك الساعة، فتستشعر قلوب أهل الإيمان بهذه الأمور، فتزداد قوة إلى قوتها، وفرحا وسرورا وابتهاجا ورجاء لفضل ربها وكرمه.

تقوده قدمه من دون إدراك إلى المسجد، يخطو، يخلع نعله.

الأصوات المهمهمة من أفواه الجالسين في انتظار الإقامة، تنفرد قامات وتتعامد أخرى، وترى في كل ركن مصحفا يرتاح على حامله، وأمامه يجلس من يتلو الآيات، وآخر يتمتم بتسابيحه، ومن يرفعون الأكف في تضرع لله؛ ففي صلاة الفجر تتجلى سمات العبد الذليل، ليترجى القبول من وجه ربه الكريم.

يقف الإمام للصلاة، يتلو الآيات.. ترتعد أوصاله، أفكاره تتخبط..

يلتبس إبليس عن يمينه وعن شماله، استجمع شتاته..

تخطفه الآيات، تتداخل، تتجمع جزيئات كيانه..

يركع.. يسجد.. يتشهد...

يسلم الإمام، تنتقل أعضاؤه بالنوافل، يخرج من المسجد.. يسير في مناكب الأرض، فتنساب الطمأنينة إلى نفسه، تمر السويعات، ينتبه فجأة إلى مرور الوقت، يفزع، يتجهم، يرتجف، ترتعد أوصاله.

- أين الشمس، لماذا لم تشرق؟

ينظر حوله يرى أناس يلتفتون يمينا وشمالا، الكل من حوله تصيبهم الدهشة، الكثير منهم يهرعون إلى منازلهم، تمر ساعات.

آخر يفتح التلفاز.. الأخبار:

حالة من الكسوف المفاجئ.

قناة أخرى:

هناك خروج للأرض عن مدارها.

هناك من يحلل الأرصاد ويقول:

إن هناك ما يشبه الطبق الطائر يحجب الشمس.

تنتقل الإشاعات: الأميركان.. الروس.. الأسلحة.

ثم يعتلي الأئمة المنابر:

- إنه غضب الله أفيقوا، ارجعوا إلى رشدكم ودينكم. ولا نملك إلا أن نرفع أكف الضراعة إلى الله أن يرحمنا.

تتوالى حالات الفزع لقد قارب اليوم حسب عقارب الساعة على الانتهاء، تأبى جفون الناس أن تغمض، القلوب تصاعدت دقاتها كأنها الطبول، فجأة يمر اليوم وتتضح الحقيقة.. والناس كعادتهم لا يصدقون:

- أهي «الساعة» أم ماذا؟

فعلى الرغم من كل طفرات التقدم التي بلغت الآفاق في هذا القرن، فإن الإنسان مازال يقف موقف العاجز أمام مستجدات الأمور، لعدم تمسكه بالقيم والأخلاق.

يخرج الكثير إلى أن الحل هو في قانون الكون؛ القرآن والسنة.

الدعوات تتسارع، الألسنة تبتهل أكثر، يتوافد الجميع إلى منابر الإسلام والإيمان.

تتجمع ذرات الكون لحظة ليكون الحكم الوحيد والتفسير المطلق هو من خلال القرآن الذي أثبت أن هذا العالم يسير في اتجاه واحد آخره الموت والفناء.

يمسك بالمصحف، يتلو الآيات.

يتلمس إعجاز القرآن وبلاغة البيان فيه التي تظهر لكل من يتطلع إلى كلماته، لقد استشهد الجميع بعد هذا الحدث بآيات القرآن لكي يتأكد للمتشككين روعة هذا الكتاب العظيم.

فجأة وبعد مرور أيام يرى الجميع شمسا جديدة حينما يخرجون من المسجد الذي اكتظ بالمصلين.. بعد دقائق تنشق السماء عن شمس أخرى..

ولكنه يراها على غير ما اعتاده الناس.

إنها تخرج من مكان غروبها.. ترتجف أوصاله تتدفق من جديد الإشاعات.. والتحليلات.

يصحو من نومه فزعا يجد كل ما حوله كما هو غرفته وأوراقه، وكل مكتسبات حياته، تهدأ نفسه، يحمد الله يتوضأ، يصلي ركعتين، يستغفر، يسلم ويرفع يده بالدعاء، أن يغفر الله له خطاياه.

علي مدني رضوان الخطيب
باحث دراسات إسلامية وعربية

# اللغة العربية
# بين حسد أعدائها وعجمة أبنائها

إنه لا يكاد يمر يوم إلا ونرى على صفحات جريدة أو مجلة متخصصة أو غير متخصصة حديثًا مطولًا عن اللغة العربية ومستقبلها، وعن تدهورها وانحسار مدها أمام اللغات الوافدة والمصطلحات الطنانة ما بين ضعف أبنائها وعجمة ألسنتهم من ناحية، وما بين الأمية الثقافية التي تحتل النصيب الأكبر والحظ الأوفر بين سكان الوادي، ونطرح سؤالا مفاده: لماذا القلق على العربية؟

هل لأن غيرها من اللغات بات حيويًا مهما لكونه لغة التخاطب الدبلوماسي؟ أم كونه معبرًا إلى وظيفة متميزة أو تجارة رابحة، أم أن اللغات الأخرى، غير العربية، صار من الوجوب الحتمي تصديرها إلى الدول النامية باعتبارها من رسالة العولمة القادمة؟

أم أن صعوبة العربية جعلت البعض ينفر منها، ولا يقدر على التواصل بها؟ والحقيقة أن القلق على العربية ليس واحدا مما سبق، بل يكمن القلق على العربية في جملة أمور منها:

أولا: أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، والذي هو بدوره كلام الله تعالى؛ ولهذا وجبت صيانته والاهتمام به بما يليق بقدسيته وجلاله وعظمته، ولن يتحقق ذلك ما لم نهتم بألفاظه وحروفه، أي بالمعاني والمباني شكلًا ومضمونًا من باب القاعدة الأصولية المعروفة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»؛ ليكون الاهتمام بكتاب الله فرضا لازما، على الأمة في مجموعها القيام به وإلا أثم الجميع.

ثم كيف يكون القرآن الكريم معجزة ظاهرة وأتباع الرسول ﷺ يعجمون في الفهم، ويغربون في ألفاظهم؟.. وإذا كان القرآن الكريم معجزة ظاهرة واضحة فإن اللغة التي يخاطبنا بها لغة عربية خالصة. ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ (يوسف:٢)؛ لتبقى المحافظة عليها والاهتمام بها والذب عنها قربة إلى الله العلي الأعلى.. فإن من أحب الله أحب الرسول المصطفى ﷺ، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، أو من أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف عليها همته».

ثانيا: أن اللغة العربية جزء مهم، وركن ركين من مقومات الأمة، وبقية من ثوابتها وتراثها وأصالتها، بما يعني أن إهمالها وإقصاء أهلها عنها، واستبدالها بغيرها يعد هدم ركن كبير من ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها.

ثالثا: أن اللغة العربية هي أداة اتصال وتخاطب بين أبناء الأمة الواحدة، من أدناها إلى أقصاها، وهذا مدعاة إلى توحدها وعزتها.

ونطرح سؤالا آخر: إذا كان هذا الأمر من الأهمية بمكان، فلماذا يعجز مدرسو العربية عن تشويق الطلاب في لغتهم ودراستهم، والبحث فيها، والاهتمام بها، والتغني بأشعارها، فضلًا عن التخاطب بها؟

والجواب: أولًا؛ أن «فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه البتة»، و«من ذاق عرف» و«عند جهينة الخبر اليقين»، وهو لم يذق ولم يعرف وليس وراءه من خبر، لقد ساقه مجموعه الكلي إلى دخول هذه الكلية دونما شغف بها، أو تتبع لها؛ لهذا ليس غريبًا أن يكون المدرس ذاته معوقا جديدا فيخرج من بين يديه وتحت سمعه وبصره جيل لا يعرف نظما ولا نثرًا ولا أدبًا ولا تعبيرًا...

لقد كان مدرسو العربية، فيما مضى، يملكون حسًا لغويًا صافيًا، ورصيدًا وافيًا من المعاني الأصيلة والمفردات الحية التي تذخر بها لغتنا الجميلة. وفوق ذلك كان يمتلك من الموهبة رصيدًا يدفعه إلى الإبداع والابتكار وعلى سبيل المثال لا الحصر، في حصة المطالعة (القراءة) كان المدرس يطلب من أحد التلاميذ أن يقوم بقراءة النص، ثم يطلب منه أن يتوقف برهة لكي يناقش بقية الطلاب، طالبًا منهم أن يضعوا عنوانًا لهذه الفقرة، وفي هذا من المعاني التربوية والتعليمية ما فيه، من سرعة الانتباه، وشدة اليقظة. تنشيط الذهن بعملية الربط والتحليل من العبارات المختلفة؛ للوصول إلى هدف عام يربطها يصلح أن يكون عنوانا لها، ثم ثالثًا يأتي دور المعلم بتصويب الأخطاء، ووضع العنوان المناسب للفقرة، وكنا نكتبه بالقلم الرصاص على جانب الصفحة، وبهذا نكون قد استوعبنا الموضوع من كل جوانبه، بل كان منا من يتخذ كراسا خاصا ينقل من المفردات الجديدة

والعبارات القوية، فربما يستخدمها في موضوعات التعبير اللغوي؛ ليزيد من رصيد الثروة الأدبية والبلاغية عنده.

والسبب الثاني هو أن صعوبة الحياة وشدتها على المدرس جعلته يمارس عملًا آخر يدر عليه دخلًا يفي بمتطلبات الحياة الكريمة، وقد يكون هذا العمل بعيدا كل البعد عن مجال عمله ودراسته، مما يجعله مقطوع الصلة عن مادته وما يمكن أن يعطيه، ويمنحه للتلاميذ.

وثالثًا: أن فتور الهمم، وجفاف الروح، وانصراف النفس عن القراءة والتزود بالمعرفة، ساعد في انتشار هذه الظاهرة بما يترتب عليها من آثار.

وعلاج ذلك يكمن في جملة أمور منها:

أولًا: الارتقاء بمدرسي اللغة العربية، كمشروع للمستقبل، من الناحية المادية والروحية، فإن تحسين المستوى المعيشي للمدرس يجعله غير منصرف عن العلم والبحث والمتابعة، والتواصل بينه وبين طلابه، فقد يكون بينهم نابغة من النوابغ دون أن يدري عنه، أو يكتشف موهبته.. سيما أن تشوش الذهن في طلب المعاش يضعف القلب، ويتعب الجارحة، ويصيب النفس بكثير من العوارض والأزمات.

ثانيًا: عمل دورات منظمة ومكثفة لها أهدافها ومناهجها ودارسوها على أن تضع في اعتبارها وفق جدول زمني محدد أن مدرسي العربية يحتاجون إلى حفظ كتاب الله تعالى وحفظ قدر كبير من الأحاديث النبوية الصحيحة، مع الاطلاع على كتب البيان وأساليبه من أساطين اللغة، وعلماء البيان من القديم والحديث، وأن المكتبة العربية تظل زاخرة بأمهات الكتب ومراجعها، شامخة برجالها، كالمتنبي، والبحتري، وأبو تمام، وابن الرومي، والجاحظ، وابن قتيبة والخليل بن أحمد، والمنفلوطي، والرافعي، والعقاد، وغيرهم من القمم الكبار، وبهذا تزول إشكالية ضعف المستوى العلمي لمدرسي العربية، ولن تؤتي هذه الدورات ثمارها ما لم تؤخذ مأخذ الجد والحزم؛ للوصول إلى الهدف المنشود؛ ومما يعين على ذلك:

١- أن تعقد لهم امتحانات دورية للمتابعة، وحبذا لو صارت ترقية المعلم لا تتم إلى المستوى الأعلى إلا بعد إجازته ونجاحه، وهذه الدورة ضرورية بين حين وآخر؛ لأنها تحقق هدفين تربويين.

الأول: العناية بالمدرس، والذي هو أساس العملية التعليمية، والثاني: الطالب المتلقي وهو المحور الثاني للعلاقة، وبهذا يمكن المحافظة على التراث الإسلامي، «والذي هو ثمرة لقاح ثقافات وحضارات صهرتها بوتقة الإسلام، من خلال قرائح علماء أخلصوا قلوبهم وعقولهم لربهم، فقدموا أعمالًا خالدة مدى الدهر، استمسكت على عرك الخطوب، طوال عصور الإسلام المختلفة».

من المهم أيضًا: أن تكون المكتبة المدرسية تابعة لمدرسي اللغة العربية، بدلا من اعتبارها ضمن اختصاصات الاختصاصي الاجتماعي؛ فإن مدرسي العربية في أشد الحاجة إلى أن تكون المكتبة هي نواة القراءة للطالب، وعمل البحوث، وربطها بمادة التعبير، خاصة أن الطالب في حاجة ملحة إلى تنمية مهاراته، اللفظية وغير اللفظية، للتدريب على الكتابة والتفكير والتحليل والاستنباط، أما المهارات اللفظية فلا غنى عنها؛ ليتمكن الطالب من الإلقاء البدهي المرسل، مع حسن التوجيه والإفادة، ثم يبقى دور المعلم بعد ذلك، من الربط العام، والتنسيق بين العناصر المختلفة، فيكون الموضوع وحدة بنائية واحدة. ومن أسف أن مادة التعبير، والتي من الممكن أن تكون الشرارة التي ينطلق منها المبدعون من الفصحاء والبلغاء، لا تحظى باهتمام يذكر، فليس إلا كتابة رأس الموضوع، ثم يعطي العناصر، ثم تصحيح الكراسات.. لكن من الممكن لمدرس العربية أن يجعل من هذه المادة أداة شيقة من الإبداع والعبقرية، والعطاء المتجدد، وعلى سبيل المثال: من الممكن أن يستهل مدرس العربية قبل الدخول للموضوع ليهيئ أذهان التلاميذ، وهو ينساب بعباراته حتى يصل إلى بيت القصيد في سلاسة ويسر، سيما إن شاركهم في وضع العناصر، أو الأفكار التي تتكون منها لبنات الموضوع، إذن يقع على مدرس العربية في المقام الأول أن ينمي مهارات اللغة عند طلابه (مهارات التخاطب اللفظي والكتابي)؛ للتدريب على التأمل والتفكير المنظم، والربط الناتج عن وفرة المفردات، وثراء اللغة وحضورها ذهنيًا واستدعائها عند الحاجة.

إن لمعلمي اللغة العربية وقفات جليلات، وبطولات نادرات، طابت بفهمهم عقول، ووعت أفئدة، وتربت نفوس، وأنست أرواح، واشتدت عزائم، واستيقظت ضمائر.

إن كل من تعلمنا منهم، في قاعات الدرس في مراحل التعليم المختلفة، لم يبق من أثرهم شيء يستشهد به إلا مدرس اللغة العربية في جميع مراحل التعليم التي مرت بنا، ففي قولهم بركة، وفي توجيههم يقظة، وفي بيانهم ظرف وطلاقة، وكما قال الشاعر:

**تزول أحاديث الرجال وتنقضي**
**ويبقى حديث الفضل والحسنات**

أو كما قال آخر:

**وإن البر خير في حياة**
**وأبقى بعد صاحبه ثوابًا**

د.إبراهيم سند إبراهيم
الشيخ - أستاذ جامعي
بكلية دار العلوم

# التنوعات اللهجية في القرآن الكريم ضرورة حتمية

لقد شرف الله تبارك وتعالى اللغة العربية بنزول القرآن الكريم بها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف:٢)، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت:٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الزخرف:٣)، فالهدف من نزول القرآن الكريم باللغة العربية هو الفهم والإيضاح، والحق تبارك وتعالى هو القائل في كتابه العزيز: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥)، فالقرآن الكريم بين وواضح لكل من يتكلم العربية.

وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم أنه أرسل كل رسول بلغة قومه ليفهموه؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ (إبراهيم:٤)، وقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية التي هي لغة أهل شبه الجزيرة العربية.

وقد تعددت اللهجات في شبه الجزيرة العربية أيام الجاهلية قبل نزول القرآن الكريم، «فكان لكل قبيلة من القبائل لهجة خاصة بها، وكان التواصل بين أفراد القبيلة الواحدة يتم بواسطة لهجتها الخاصة، وعندما يخطب شخص ما أو يتحدث مع قبائل أخرى كان يستعمل اللغة المشتركة» (١)، فلما بعث النبي ﷺ نزل القرآن الكريم بهذه (اللغة/اللهجة) المشتركة بين جميع القبائل العربية؛ ومن ثم فإن الاختلافات والتنوعات اللهجية في القرآن الكريم ضرورة حتمية ليفهمه جميع (العرب/القبائل العربية) باختلاف لهجاتهم في العادات الكلامية والنطقية.

ولا توجد لغة من اللغات الإنسانية إلا وتتكون من مجموعة لهجات، هذه اللهجات هي التي تشكل البناء الكامل للغة؛ وهذا ما يجعل التنوع اللهجي ضرورة حتمية في لغة القرآن الكريم، فقد نزل القرآن ليخاطب كل القبائل العربية؛ وبناء عليه فقد استوعب عددا من اللهجات المعروفة بين القبائل العربية وقت نزوله، ولا يمكن أن ننسب كل ما في القرآن الكريم من ألفاظ وأبنية وتراكيب إلى لهجة واحدة دون اللهجات الأخرى.

والله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم:٢٢)، فعظمة اللغة جاءت من الاختلاف، واختلاف الألسنة سر وإعجاز إلهي من إعجازه سبحانه وتعالى، ومن مظاهر ذلك الاختلاف:

١- تعدد القراءات القرآنية في بنية الكلمة الواحدة نتيجة اختلاف اللهجات العربية في الأبنية والتراكيب.

٢- تعدد اللهجات العربية وتنوعها في لغة القرآن الكريم.

٣- وجود بعض الألفاظ (الأجنبية/ غير العربية) في القرآن الكريم؛ ولذلك كثر التأليف في غريب ألفاظ القرآن، ولكن اللغة العربية بنظامها اللغوي قادرة على استيعاب الأبنية غير العربية وتطويعها لأوزانها العربية.

ولاشك أن تعدد القراءات القرآنية صورة من صور التعدد اللهجي في القرآن الكريم، واختلاف القراءات القرآنية في الألفاظ والأبنية، بل وفي الأساليب والتراكيب، مظهر من مظاهر التيسير على القبائل العربية في العادات النطقية والكلامية، ولقد جمع القرآن الكريم لهجات

العرب في لهجة واحدة هي لهجة قريش، أو اللغة العربية الفصحى التي بها نزل القرآن الكريم، فكتب الله تعالى للغة العربية ولهجاتها البقاء والخلود بخلود الزمان لحفظه لكتابه العزيز، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، وحفظ الله تعالى للقرآن الكريم هو حفظ للعربية، وتشريف لأهلها، وتوحيد القبائل العربية على اختلاف لهجاتهم في لهجة واحدة.

ولقد كانت لهجة قريش خليطا من لهجات العرب، فقد «كانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم؛ فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب» (٢)، فكانت لهجتهم لهجة راقية جمعت بين الخصائص اللغوية لجميع اللهجات العربية؛ ولذلك لم ينكرها أحد من القبائل العربية حين نزل بها القرآن الكريم؛ لأنها تضمنت كثيرا من مفردات وألفاظ وتراكيب اللهجات العربية الفصيحة المعروفة في شبه الجزيرة العربية.

فلهجة قريش هي اللهجة المشتركة بين جميع القبائل في شبه الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الكريم؛ ولذلك يقول الدكتور/ رمضان عبدالتواب: «لسنا نوافق القائلين بأن نزول القرآن هو الذي وحد العربية وأوجد اللغة المشتركة؛ لأن هذه اللغة نمت وازدهرت قبل نزول القرآن الكريم بها؛ ولذا تخيرها القرآن ونزل بها ليفهمه جميع الناس في شتى القبائل العربية» (٣).

وأهل (مكة/ قريش) هم أهل البلاغة والبيان والفصاحة يتخيرون أرقى الأساليب والتراكيب؛ فتنقاد لهم المعاني طواعية، وقد نزل القرآن الكريم يتحداهم، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، باللغة، يقول تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة:٢٣)، وقد ترفعت قريش في لهجتها عن كثير من العيوب اللغوية التي أصابت معظم اللهجات العربية، فقد نقل الإمام السيوطي في المزهر عن ثعلب قوله: «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وعجرفية ضبة» (٤).

وقد تعددت العوامل والأسباب التي جعلت قريشا في مقدمة فصحاء العرب، ومن تلك الأسباب: موسم الحج، والأسواق الأدبية، مثل: (سوق عكاظ، وذي المجاز، وذي المجنة،... وغيرها)، إضافة إلى الندوات والمؤتمرات الشعرية والنقدية والثقافية، حيث تجتمع القبائل فيلقي الشعراء قصائدهم، ويتبارى الخطباء بأفصح الأساليب العربية.

وقد تنوعت الظواهر اللهجية في القرآن الكريم، ومن مظاهر ذلك اختلاف القراءات القرآنية في بعض الظواهر الصوتية، مثل: التفخيم والترقيق، والهمز والتسهيل، والفتح والإمالة، والإبدال بين الأصوات، وحذف بعض الأصوات وإثباتها، والإدغام/ المماثلة، والإشمام، وهي من الظواهر الصوتية التي اختلفت وتباينت فيها اللهجات العربية قديما حتى قبل نزول القرآن الكريم.

وقد كتب القدماء عدة كتب ومؤلفات في لغات القرآن الكريم، منها: كتاب (ما ورد في القرآن من لغات القبائل) لأبي عبيد القاسم بن سلام، ذكر فيه لغات القبائل مرتبة حسب سور القرآن الكريم؛ وسرد الألفاظ القرآنية وذكر معانيها موضحا القبيلة التي تنسب إليها كل لفظة، وكتاب «اللغات في القرآن» لابن حسنون، وقد ذكر المؤلف لغات قبائل: قريش، وهذيل، وكنانة، والأوس، والخزرج، وقيس عيلان، وسعد العشيرة، وجرهم، واليمن، وأزد شنوءة، وكندة، وتميم، وحمير، ولخم، وحضرموت، وسدوس، والحجاز، وأنمار، وغسان، وتغلب، وطي، وعامر بن صعصعة، ومزينة، وثقيف، وجزام، وخثعم (٥).

وهكذا تتعدد اللهجات العربية في القرآن الكريم؛ ومن ثم فإن التنوعات اللهجية في لغة القرآن الكريم ضرورة حتمية فرضها الواقع اللغوي للغة العربية في شبه الجزيرة العربية وقت نزول القرآن الكريم، وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز اللغوي في النص القرآني.

## الهوامش والإحالات

١- عبقرية اللغة العربية، محمد عبدالشافي القوصي، ص٣٩.

٢- الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس ص٥٥.

٣- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبدالتواب، ص٧٩.

٤- المزهر في علوم اللغة للسيوطي ص١٢٨.

٥- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، ص٥٢ و٥٣، والقرآن الكريم واللهجات العربية دراسة لغوية، د. البشري السيد محمد هاشم، ص ٩٧ و٩٨.

أسامة الزقزوق
كاتب - مصر

# المُبـــــــــــــــــــــرّد

جلس بجوارها وهي تحتضر.. مسح عنها عرقها المتصبب من فوق جبينها، أمسك يدها وهي ترتجف، طمأنها بقراءة بعض آيات من القرآن الكريم، ربت فوق كتفيها، دعا لها بخير، فاضت روحها بسلام، جهز لها كفنها الذي اشترته هي من مدخراتها من العمل بالحياكة بعد وفاة والدها الذي مات صغيرا وترك لهم معاشا صغيرا لا يكاد يفي باحتياجاتهم الضرورية والبسيطة.. نذرت نفسها لتربية ولدها الوحيد حتى يصبح شابا صالحا نافعا لوطنه ولدينه، وكلما اجتهدت هي في العمل اجتهد هو في المذاكرة والتحصيل حتى تخرج من الجامعة وعمل في وظيفة مرموقة ونذر أن يرد لها الجميل وأن يكافئها على قدر تعبها وعنائها وتحملها من أجله ضنك العيش وشظف الحياة وأن يخصص لها نصف راتبه كل شهر.. ربع يعطيه لها في يدها والربع الآخر يعمل به جمعية لكي تذهب بها إلى بيت الله الحرام حتى تؤدي مناسك الحج، لكن فرحته لم تكتمل فمع أول راتب قبضه من عمله فاضت روحها إلى بارئها، فعزم أن يجعل ربع راتبه كل شهر صدقة جارية عليها، وراح ينفق على الفقراء ويشتري مبردات للطرق والأماكن العامة صدقة جارية على روحها، ومرة دخل أحد المساجد التي تبعد عنه بثلاثة شوارع لكي يصلي فيه فلاحظ أن بعض العمال يقومون بتركيب مبرد جديد فحزن حزنا شديدا وأخذ يوبخ نفسه كيف لم أنتبه أن هذا المسجد ليس فيه مبرد، هل لأنني منذ فترة ليست بالطويلة لم أصلِ فيه أم أن الدنيا والأولاد شغلوني، لكن سرعان ما قطع عليه شروده وتفكيره صوت إمام المسجد حين نادى عليه ليستوقفه ويشكره على المبرد الذي أهداه للمسجد، لكنه ما تعود أن ينسب شيئا لم يفعله لنفسه حتى ولو كان الخير كله فيه، فالفضل لابد أن يرجع لصاحبه، فأنكر على الفور قائلا: ما تبرعت بشيء، لابد أن في الأمر لبسا، فقال إمام المسجد: ابنك محمد أحضره اليوم، وقال هذا تبرع من أبي للمسجد، انتظر الأب ابنه حتى فرغ من صلاة النافلة ليصطحبه إلى البيت، وفي الطريق سأله: يا بني كيف استطعت أن تشتري هذا المبرد؟ ومن أين لك بالمال؟ وأنت مازلت طالبا بالصف الثاني الثانوي، وما الذي حملك على هذا؟

قال الابن: كنت أدخر معظم مصروفي وكل عيدياتي، ناهيك عن ربحي البسيط الذي أحصل عليه من تربيتي للأرانب فوق السطح، وأردت أن أقتدي بك وأكون بارا بك في حياتك كما رأيتك بارا بأمك بعد وفاتها.



شعر: عبدالله أمين
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

# يا أمة التثقيف والتنوير

بحماس روح الفارس النحرير ... نقبت عن قلبي وروح ضميري
فوجدتني لكنني لما أجد ... باقِيَّ من أمل الجوى المأسور
ورأيت أمتنا العريقة هاهنا ... في ساحة التغريب والتبشير
لم يبق منها غير هاتيك الكنى ... كشواهد قد علقت بقبور (١)
يبكي عليها تارة زوارها ... حتى يُسَوّى زائر بمزور
وتسيح في ترب المتاهة أنفس ... سيقانها غاصت ببحر «جرير» (٢)
والآن تنهل من سراب ظامئ ... سمو روافده بحار النور
ما حصل البحار من أثمانه ... إلا مرارة ملحه المنشور
هذا تراثي بين أروقة السما ... مسك الحياة برشحه المسطور
فعلام أهبط ثم أقتات الهوى ... والقلب حج لبيته المعمور
هذا تراثي لم تزل أقماره ... كفًا تهيض عظام كل كسير
وتلم أشلاء الورى من بعدما ... تاهت نفوس الناس عبر «أثير»
ما بين «فيس» أودعت طعناته ... ضغث الأخوة في ربوع بور
ومواقع نفثت بها أربابها ... سم الهوى في شهدها المعقور
لا علم فند شبهة محبوكة ... تذر اللبيب كسائر مسحور
أو «كعب» حتى يسحقن أصولها ... ويسجر الأوهام في التنور (٣)
فترى فسائل من طليعة جيلنا ... سكروا بخمر مذاهب التكفير
وفتاتنا العصماء ظنت أنها ... في قمقم فسعت إلى التحرير
وتجردت وتجرأت وتساءلت ... كيف الكؤوس تدار خلف ستور
والأسرة انماعت أواصرها وقد ... نفشت بها غنم الخنا والزور
فإذا التقينا نلتقي وقلوبنا ... في حضن «آي باد» وكف سمير
وعقولنا قد سافرت لمجاهل ... تنأى بنا عن سنة التغيير
وتضمنا في العام مأدبة فلا ... تلقى سوى الأجسام دون شعور
خُشُبٌ مُسندة عليها ظل ... من قلة الإقبال والتقدير
هل فرقتنا في القلوب عداوة ... أم غيرتنا آلة التطوير
هذا سؤالي والإجابة عندكم ... يا أمة التثقيف والتنوير

**الهوامش**

١- يشير إلى مواقع التواصل الاجتماعي.
٢- جرير بن عطية الشاعر المعروف والمعنى: الانشغال عن ثقافتنا الأصيلة بالثقافة البديلة الدخيلة.
٣- يشير إلى قصة كعب بن مالك رضي الله عنه حينما تخلف عن رسول الله ﷺ فأرسل إليه ملك غسان يستقطبه فأحرق الرسالة في التنور.

د. محمد حسن بدرالدين
باحث وأكاديمي
تونسي

# الأديب الروسي دوستويفسكي وانشغاله بالإسلام والقرآن

كتب الكثير عن الأديب الروسي دوستويفسكي (١٨٢١م-١٨٨١م)؛ عن سيرته وحياته، ورواياته ومراسلاته، وعن عقيدته، وعن الأبعاد الدينية والروحية والنفسية في أعماله، وعن علاقته باليهودية والمسيحية. لكن شغفه بالإسلام وتعلقه به والتغني بفضائله لم تجد عناية من الباحثين. مع أن الإسلام مثّل محور اهتمام كبير لدى دوستويفسكي، ظهر في وقت مبكر من حياته، في مرحلة الشباب، وحتى قبل الاعتقال ومرحلة الأشغال الشاقة المريرة التي مر بها.

فقبل رحيله إلى السجن منح نصف ساعة ليودع أخاه ميخائيل، وكان هادئا، ومن جملة ما قال له: «ليس أهل السجن يا صديقي حيوانات مفترسة، بل بشر ربما أفضل مني وأرقى. سنلتقي مرة أخرى. لا أطلب منك إلا أن تراسلني وتمدني بالكتب. سأعلمك بأسماء الكتب التي أريد. لابد من القراءة بكثرة هناك».

وفعلا فقد حدد في رسالة لاحقة إلى أخيه ميخائيل أسماء هذه الكتب:

«أرسل إلي القرآن، ونقد العقل الخالص لكانط، وإذا كان بمقدورك أن تفعل ذلك بطريق غير رسمية فأرسل إلي هيغل، خصوصا كتابه عن تاريخ الفلسفة. إن مستقبلي متوقف على تلك الكتب».

نلاحظ أن أول كتاب على الإطلاق أراد قراءته وهو في السجن: القرآن الكريم في المحل الأول، وهذا له دلالة مهمة جدا، ثم جاء اهتمامه بكانط ثانيا، ثم هيغل ثالثا.

ما معنى أن مستقبله متوقف على هذه الكتب وهو في السجن؟ وعن أي مستقبل يتحدث؟

الجواب أنه كان يمتلك مشروعا فكريا مستقبليا يريد بلورته في عقله أولا، ثم في حياته وفي إنتاجه. إنه أراد أن يقرأ القرآن ليفهم رسالته وهدايته وماذا يقول عن الله والإنسان والحياة، ليقوم بعملية مقارنة وتمثل بين مفاهيمه الدينية، ويزيدها اتساعا وشمولا.

لم يكن يهدف إلى اتخاذ موقف أدبي لا محالة، وإنما أراد التمثل والاستيعاب ومعانقة الإسلام وثقافته. وقد تمتع بسعة أفق رحبة، ورحابة صدر معتبرة، وإعجاب كبير بالإسلام والقرآن والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

وقد كان متأثرا في هذا التوجه بالشاعر الروسي بوشكين (١٧٩٩م-١٨٣٧م) ومقتديا به. قرأ أشعاره وتغنى بها في المحافل الأدبية، واختار قصيدة الرسول التي كتبها بوشكين عام ١٨٢٦م، ليقرأها على الملأ في مهرجان الاحتفال بذكراه في موسكو عام ١٨٨٠م. واختيار هذه القصيدة المستلهمة من روح النبي العربي، وجهاده في سبيل الدعوة إلى الإسلام أمام الجمهور الروسي، اختيار له دلالته عند دوستويفسكي. تقول القصيدة:

«مضنى بالظمأ الروحي، تعذبت في صحراء موحشة. ظهر لي فجأة عند مفترق الطرق الملاك. وبأصابع خفيفة كالحلم، لمس قرة عيني. ثم لمس أذني وملأهما رنينا، فسمعت رعدة السماء. وتحليق الملائكة في الأعالي. انحنى الملاك وشق صدري. ناداني صوت: انهض، يا نبي، وأبصر، ولب إرادتي. جب البحار والأراضي، وألهب بقولك

قلوب الناس».
أعجب دوستويفسكي بروايات بوشكين وقصصه الرومانسية واستلهاماته الإسلامية، وأشاد بها. وظل مصدر إلهام بالنسبة إليه، خصوصا في معرفته بالإسلام وثقافته، وتوظيفها في كتاباته. وقد أراد أن يكون مثله. ونجد هذه النزعة الإنسانية العالمية في الإعجاب بالإسلام ونبي الإسلام لدى تولستوي (١٨٢٨م-١٩١٠م) ثم بونين (١٨٧٠م-١٩٥٤م) فيما بعد.

### إسلاميات دوستويفسكي

كانت القراءة والاطلاع والتمثل جزءا من مكونات عقل دوستويفسكي. كان يقرأ بعناية وتدقيق وترتيب وفق رؤية مخطط لها. وكان حب الاطلاع على القرآن هاجسا من هواجسه الدائمة. ففي رسالة أخرى لأخيه ميخائيل بتاريخ ٢٧ مارس ١٨٥٤م، يعيد طلب القرآن ويفرده بالتخصيص في النهاية: «لا أريد منك جرائد بل كتبا لمؤرخين أوروبيين، أرسل إلي آثار آباء الكنيسة وكتب المؤلفين القدماء، إذا أمكن: هيرودوت، توسيديد، تاسيت، بلوتارك. مترجمة إلى الفرنسية. ثم أرسل إلي القرآن».

نلحظ هنا التركيز على القرآن، فقد جعله خاتمة مطالبه، ليعلق بذاكرة أخيه باعتباره في سلم اهتماماته ومن أهم مشاغله الفكرية. يبدو أن أول ذكر للرسول ﷺ في كتابات دوستويفسكي ظهر في رواية «المزدوج» التي طبعت عام ١٨٤٦م، وقد ترجمها سامي الدروبي تحت عنوان «المثل»، وجعلها في المجلد الأول من المجموعة الكاملة (صفحات:٢٦١-٤٨٢). جاء فيها تعبير: «تيمنا بالنبي العظيم» على لسان أحد أبطال الرواية. هذا المقطع ورد في الصفحة: ٣١٦ من الكتاب، وهو يحمل دلالات عديدة: أولها وأهمها أن دوستويفسكي يريد أن يتحدث عن

## أشاد دوستويفسكي بالنبي ﷺ

العرب والمسلمين، ويجد لذة في ذلك، ولأنه لا يمتلك المعلومات الكافية، فإنه يقتنص أي مساق، ولو كان بعيدا عن الموضوع، ليقحم تعبيرا إسلاميا أو جملة أو إحالة عابرة عن العرب والإسلام. وفي المقطع المذكور استغل موضوعا ثانويا ليبرز من خلاله إشادة بنبي الإسلام ووصفه بالعظمة.

لم يتمكن دوستويفسكي من معرفة الإسلام والثقافة الإسلامية معرفة تامة، رغم تشوفه لتحقيق ذلك، وكان يغبط تولستوي وبوشكين لمعرفتهما العميقة بالإسلام والقرآن. وقد كان يحلم أن يقرأ القرآن كاملا، ويعتبر ذلك من أولى أولويات حياته.

في موضع آخر من رواية «المثل» نجد المقطع الآتي وفيه إشارة إلى النبي الكريم: «وخالف بطلنا آراء كثير من العلماء الذين يتكرون للنبي محمد فقال: إنه يعده رجلا عظيما». ورد هذا المقطع في الصفحة:٣٦٣، في سياق الحديث عن بطل الرواية جولدياكين، الذي كان يعرض الأفكار والجدل الذي كان، حسب الظاهر، سائدا في صحافة ذلك الوقت في روسيا حول الدين الإسلامي، وشخصية النبي ﷺ.

وقد استغل دوستويفسكي السياق الملائم في حواره الروائي ليجري على لسان بطل الرواية إشادة ثانية بنبي الإسلام، معتبرا إياه رجلا عظيما. وهذا موقف نزيه وثوري إذا عرفنا أن زمن الرواية هو زمن مشحون بالكراهية نحو الأتراك جراء الحروب الكثيرة التي تبادل فيها الروس والأتراك مواقع الهزيمة والنصر.

### الاستلهام من كارليل

ينبغي التذكير أنه في عام ١٨٤١م، ظهر كتاب توماس كارليل (١٧٩٥م-١٨٨١م) بالإنجليزية عن الأبطال، وترجم إلى الروسية. ومن المرجح أن دوستويفسكي اطلع عليه نظرا لمواكبته لما ينشر ويترجم محليا وعالميا، فضلا عن تعلقه الشديد بتنمية معرفته عن نبي الإسلام.

وإن كانت الطبعة الروسية ظهرت بعد صدور روايته بسنوات، إلا أنه يكون قد سمع عنه أو قرأ عنه قبل ترجمته إلى الروسية، فقد كان يتقن الفرنسية وملما ببعض الإنجليزية والألمانية، فضلا عن مواكبته لملخصات الكتب والتعريف بما يصدر، باعتبار عمله الصحفي أولا، واهتمامه الشديد بالقراءة والمطالعة العامة في الأدب والفلسفة والأديان ثانيا.

وكتاب كارليل عن الأبطال هو دراسة تاريخية ومقاربة أدبية تحليلية لمفهومي البطل والبطولة والريادة في التاريخ وصناعة الأحداث. وقد اختار لعرضها وتحليلها أرقى النماذج الإنسانية في نظره: البطل نبيا في شخص النبي محمد ﷺ، والبطل شاعرا في شخصي الشاعر الإيطالي دانتي والشاعر الإنجليزي شكسبير، والبطل راهبا في شخصيتي مارتن لوثر زعيم الإصلاح الديني الألماني وجون نوكس زعيم الإصلاح الأسكتلندي، والبطل كاتبا وأديبا في شخصيات صمويل جونسون وروسو وروبرت برنز.

سجل كارليل في كتابه الشهادات الآتية:

- «زعم المتعصبون أن محمدا لم يكن يريد بقيامه إلا الشهرة الشخصية ومفاخر الجاه والسلطان. كلا والله، لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير، العظيم النفس المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة، مبادئ بعيدة عن الطمع الدنيوي، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه. وكيف لا وتلك نفس صافية، ورجل من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين».
- «والله إني لأحب محمدا لبراءة طبعه

من الرياء والتصنع».
- «إنما محمد شهاب قد أضاء العالم. أرى فيه آيات على أشرف المحامد وأكرم الخصال، وأتبين فيه عقلا راجحا، وفؤادا صادقا، ورجلا قويا عبقريا، لو شاء لكان شاعرا فحلا، أو فارسا بطلا، أو ملكا جليلا، أو أي صنف من أصناف البطل».

أما بالنسبة إلى المناخ الثقافي السائد في زمن دوستويفسكي في أواسط القرن التاسع عشر، فقد كان مضطربا بالأحداث والنظريات والتقلبات السياسية والدينية والعلمية، وكان اليسار واليمين مشغولين بالمناقشات الدينية. ومن المؤكد أن دوستويفسكي قد انشغل بالمسألة الدينية وجعلها محورا جوهريا في حياته ورواياته. ومن الثابت أن هذا الانشغال قاده إلى قراءة القرآن والتعرف عليه منذ بداية عام ١٨٤٠م، عبر ترجمة فرنسية أو روسية. وقد ترجم القرآن الكريم عدة مرات إلى الروسية طوال القرن الثامن عشر. ومن المرجح أيضا أنه درس القرآن في السنة الخمسين، وكان يملك نسخة من القرآن الكريم في مكتبته بالفرنسية. وربما كانت الترجمة الفرنسية التي اعتمدها هي ترجمة المستشرق المجري كازيمرسكي (١٨٠٨م-١٨٨٧م) التي ظهرت في باريس عام ١٨٤٧م.

وقد ظل اهتمام دوستويفسكي بالرسول الكريم في جميع أعماله الفكرية الناضجة، ففي الجريمة والعقاب (١٨٦٦م) وضع النبي محمدا في قائمة الزعماء مثل قيصر ونابليون. وهذا له دلالته عند الروس، وليس عند المسلمين لا محالة. وهذا التصور لشخصية الرسول إنما نشأ قبل ذلك مع بوشكين الذي قلد القرآن، واقتبس منه الكثير من المعاني والتعابير في أشعاره. وكان دوستويفسكي مفتونا ببوشكين كما ذكرنا، لعدة أسباب: منها المنهل الوطني

## كارليل قال عن النبي: «إنما محمد شهاب قد أضاء العالم»

الصافي لدى بوشكين وتعلقه بالإسلام ثقافة وحضارة، وتلوين أعماله بالرموز الإسلامية.

وانعكس هذا التوجه لدى دوستويفسكي بصفة تلقائية نتيجة التأثر والاقتناع. وقد كان حريصا على اقتناص الفرص لتحلية موضوعاته ببعض التعابير الإسلامية أو الإحالات إلى الإسلام والقرآن. وهذا مثال آخر نجده في رواية المراهق (١٨٧٥م)، فهو يسرد على لسان أحد أبطال الرواية وهو «فرسيلوف» استشهادا بالقرآن: «في موضع من القرآن أمر الله الرسول بأن ينظر إلى العصاة برفق، وأن يحسن معاملتهم، وأن يمر في طريقه».

من الواضح أن الإحالة مقتبسة من روح القرآن الداعية إلى الدفع بالتي هي أحسن مع المخالفين والمنافقين. والاستشهاد بالقرآن في الرواية له دلالته المهمة في تأكيد حضور المصطلحات والمصادر الإسلامية.

وقد ظل دوستويفسكي وفيا لهذا التوجه الإسلامي مع مرور الأيام والأعوام. وكان يزداد قوة وتألقا. وظهر جليا في آخر نشاط ثقافي شارك فيه قبل وفاته بعام واحد. أي في الثامن من شهر يونيو عام ١٨٨٠م، في جمعية أصدقاء الأدب الروسي، حيث ألقى خطابا شهيرا عن بوشكين نشر في الفصل الثاني من يوميات كاتب في شهر أغسطس ١٨٨٠م. ومما جاء فيه: «في موازاة هذه الصوفية الدينية، انظروا الآن إلى تلك الأبيات الدينية الأخرى المستمدة من روح القرآن، أعني «اقتباسات من القرآن»، ألا تحسون حين تقرأونها أن مسلما هو الذي يتكلم؟ ألا تحسون تلك العظمة البريئة في عقيدته؟ وتلك القوة الهائلة الرهيبة في تعاليمه؟».

هذا الخطاب عن بوشكين موجود في الطبعة العربية لسامي الدروبي في الجزء الثاني من رواية المراهق، ضمن المجلد الخامس عشر، صفحة ٦٤٣. أما النسخة الفرنسية فقد حذفت هذا الكلام عن القرآن!

ومن الواضح أن دوستويفسكي وهو يمجد بوشكين، إنما مجد الإسلام. وقد استخدم في سبيل ذلك تعابير التعظيم والإكبار لتعاليم القرآن، بروح فياضة بمشاعر الصدق والإخلاص والتفاعل النبيل.

---

### إحالات

١- دوستويفسكي في مذكرات زوجته، ترجمة: هاشم حمادي، دار طلاس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٩م.

٢- ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

٣- دوستويفسكي، دراسات في أدبه وفكره، ترجمة: نزار عيون السود، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٢م.

٤- أندريه جيد، دوستويفسكي، مقالات ومحاضرات، ترجمة: إلياس حنا إلياس، منشورات عويدات، باريس ١٩٨٨م.

٥- دوستويفسكي، الأعمال الأدبية الكاملة (١-١٨)، ترجمة: سامي الدروبي، دار ابن رشد، بيروت، ١٩٨٥م.

٦- هنري ترويا، دوستويفسكي: حياته وأعماله، ترجمة علي باشا، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠١٠م.

٧- مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة، عدد:١٥٥، نوفمبر ١٩٩١م.

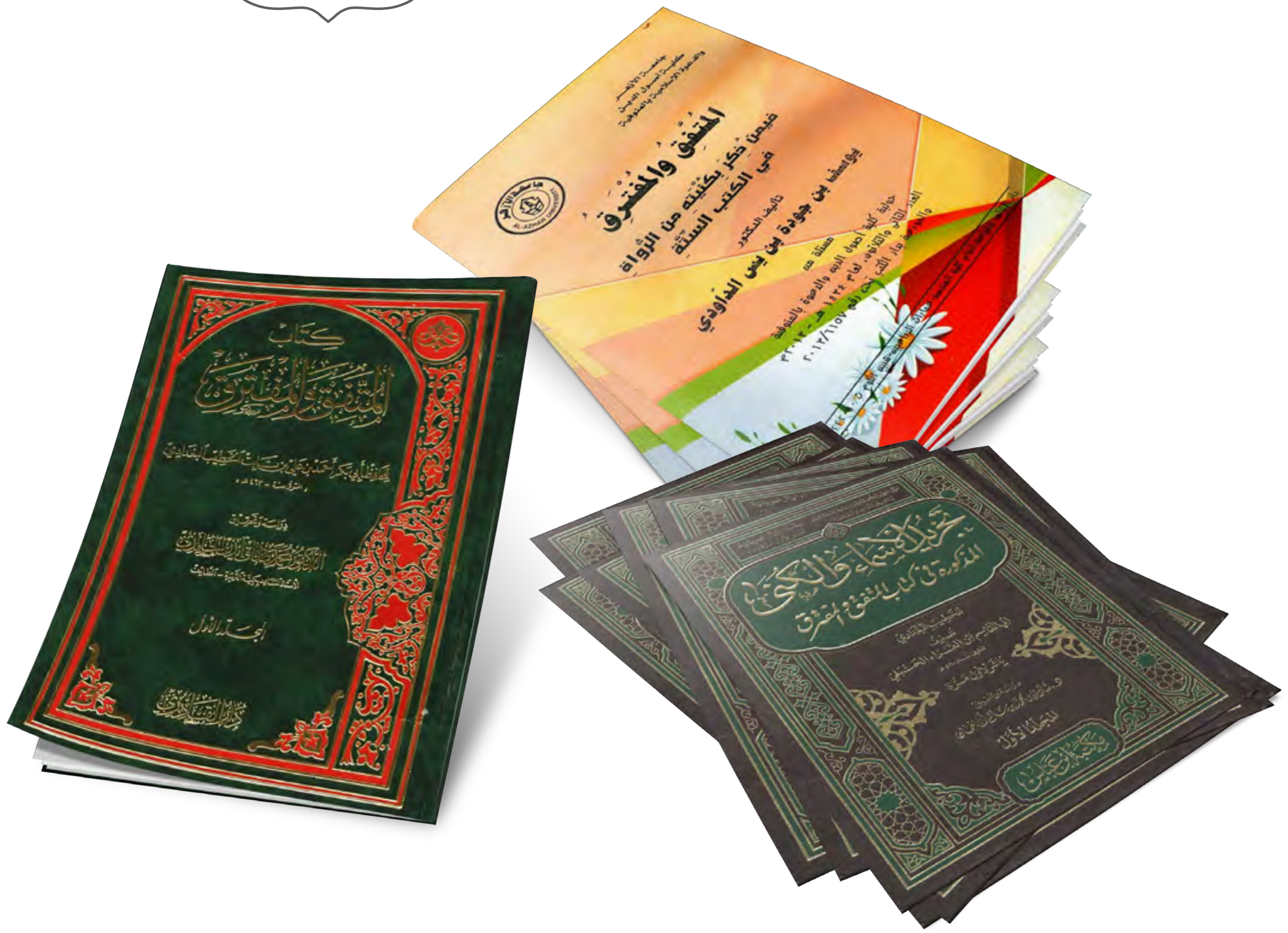
الزناتي خليفة الفرنواني
شاعر

# لبيك يا قدس فلن ننساك

القدس تذبح والعيون بواك ... من ظلم وغد فاجر فتاك
قتل وتعذيب وحرق أماكنَ ... تشكو من التدمير والإهلاكَ
في كل يوم تستبين فظائع ... كبرت على التصوير والإدراك
همجية هوجاء تجتاح الذرى ... والناس ملتاع وآخر شاك
طفل يقتل والقلوب رواجف ... من فعل أهل الكفر والإشراك
وبريئة قتلت لأول عمرها ... ما قدمت سببا لأي عراك
وتدفقت منها الدماء غزيرة ... تحكي سطور الظلم فى إمساك
(إيمان) يا رمز البراءة والصفا ... أفجع بيوم كان يوم نعاك
(إيمان) قد أدميت كل قلوبنا ... وتقطعت أنواطها ببكاك
(إيمان) قد وسدت أطيب بقعة ... طابت وطاب ثراها من مثواك
أنا لست أدري عهد (نيرون) مضى ... أم عاد هل من مخبر أو حاك؟
لو أن (جنكيزا) و(هولاكو) هنا ... لتعجبا ولأجفلا لدماك
والناس في نوم فهل من يقظة ... تمحو غبار الذل والإنهاك؟
لا لوعة تجدي ولا دمع جرى ... الدمع لا يجدي مع السفاك
أتصد أعداء الورى وتردهم ... تلك الأماني أو توجع باك
أيردهم غضب دفين وحده ... أيخيفهم خوف من الأشواك؟!
لا يرجع العادين إلا غضبة ... للحق تزأر في سما الأفلاك
لا يوقف الطاغين إلا وحدة ... تمحو غرور مخرب فتاك
يا أمة العرب العظيمة إننا ... كثر ولكن أين أين صداك؟
يا أمة العرب الأصلية فاعلمي ... ما نصر قدس كائنا بسواك
يا أمة العرب الأبية رددي ... لبيك يا قدس فقد جئناك
يا دولة الظلم ارجعي ولتخسئي ... فالله سوف يدك كل بناك
يا أختنا يا قدسنا لا تيأسي ... فالنصر آت مسرعا لحماك
يا أختنا فلتصبري ولتصمدي ... إياك أن تتخوفي إياك
أنخاف؟! إنا لا نخاف؛ لأننا ... في حفظ من برأ الورى وبراك
وأتى الغشوم مضللا ومخرفا ... ومكررا قولا بلا إدراك
عربية وعزيزة وعريقة ... وحماك ربي دائما ورعاك
ولقد شفى نفسي تفاني فتية ... باعوا النفيس وأنفسا لنداك
حملوا كتاب الله مع إيمانهم ... خلطوا زكي دمائهم بثراك
يا قدسنا صبرا ولا تستسلمي ... فالنفس في باب الفداء فداك
هبوا جميعا يا أباة لنصرها ... لبيك يا قدس فلن ننساك



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١٧)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

## المتفق والمفترق في اسم (أبو عبيد):

### ١- أبو عبيد الهروي (ت: ٢٢٤هـ):

هو أبو عبيد القاسم بن سلام -بتشديد اللام- الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء، الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه.

ولد بهراة سنة: (١٥٧هـ) وتعلم بها، وكان مؤدبًا، ورحل إلى بغداد، ثم إلى مصر فسمع الناس من كتبه.

أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي وأبي محمد اليزيدي وابن الأعرابي والكسائي والفراء وغيرهم.

من مصنفاته: (غريب الحديث)، وهو أول من صنف في هذا الفن، و(الطهور) في الحديث، و(أدب القاضي)، و(فضائل القرآن)، و(المذكر والمؤنث)، و(المقصور والممدود) في القراءات، و(الأموال)، و(الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته) وغيرها من المصنفات.

توفي في مكة حينما حج في آخر عمره (١).

### ٢- أبو عبيد (ت: ٣١٩هـ):

هو أبو عبيد علي بن الحسين بن بحرب، فقيه مجتهد، من القضاة.

ولد ببغداد سنة: (ت: ٢٣٢هـ)، وقدم مصر سنة: (٢٩٣هـ)، فولي قضاءها، ثم عزل منها سنة: (٣١١هـ)، فخرج إلى بغداد، فتوفي فيها (٢).

### ٣- أبو عبيد الهروي (ت: ٤٠١هـ):

هو أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبدالرحمن الباشاني الهروي، من أهل هراة (في خراسان).

قرأ على أبي سليمان الخطابي وأبي منصور الأزهري، وروى عنه: عبدالواحد المليجي وأبو بكر الأردستاني.

من مصنفاته: (الغريبين: غريب القرآن وغريب الحديث)، و(ولاة هراة). توفي في شهر رجب (٣).

### ٤- أبو عبيد البكري (ت: ٤٨٧هـ):

هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب محمد البكري الأندلسي، نسبته إلى بكر بن وائل، مؤرخ لغوي أديب، له معرفة بالنبات.

ولد غربي (إشبيلية) سنة: (٤٣٢هـ)، وانتقل إلى قرطبة.

من مصنفاته: (المسالك والممالك)، و(معجم ما استعجم)، و(أعلام النبوة)، و(شرح أمالي القالي)، و(التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماليه)، و(فصل المقال في شرح كتاب الأمثال)، و(الإحصاء لطبقات الشعراء)، و(أعيان النبات)، وغيرها من المصنفات.

توفي في شهر شوال بقرطبة، ودفن بمقبرة أم سلمة (٤).

## المتفق والمفترق في اسم (ابن منده):

### ١- أبو عبد الله بن منده (ت: ٣٠١هـ):

هو أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن منده العبدي، مؤرخ، من حفاظ الحديث الثقات، و(منده): لقب جده إبراهيم بن الوليد.

ولد بأصبهان، من مصنفاته: (تاريخ أصبهان)، توفي في شهر رجب (٥).

### ٢- أبو عبد الله بن منده (ت: ٣٩٥هـ):

هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد، ابن منده، العبدي الأصبهاني، من كبار حفاظ الحديث، وهو حفيد محمد بن يحيى السابق.

ولد سنة: (٣١٠هـ)، قال ابن أبي يعلى: بلغني عنه أنه قال: كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ.

من مصنفاته: (فتح الباب في الكنى والألقاب)، و(الرد على الجهمية)، و(معرفة الصحابة)، و(التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته على الاتفاق والتفرد)، وغيرها من المصنفات (٦).

### ٣- أبو القاسم بن منده (ت: ٤٧٠هـ):

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن منده العبدي الأصبهاني، حافظ، مؤرخ، واسع الرواية، له أصحاب وأتباع في الاعتقاد يعرفون به.

ولد سنة بأصبهان: (٣٨٣هـ)، وصنف كتبًا كثيرة، وردودًا على أهل البدع.

من مصنفاته: (تاريخ أصبهان)، و(المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة)، و(صيام يوم الشك)، و(حرمة الدين).

توفي بأصبهان (٧).

### ٤- أبو زكريا بن منده (ت: ٥١١هـ):

هو أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن محمد ابن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده العبدي الأصبهاني، مؤرخ، حافظ للحديث، من بيت علم وفضل.

ولد بأصبهان سنة: (٤٣٤هـ)، رحل إلى بغداد، وحدث بها، وأملى بجامع المنصور.

من مصنفاته: (تاريخ أصبهان)، و(مناقب الإمام أحمد بن حنبل)، و(التنبيه على أحوال الجهال والمنافقين)، و(ذكر من عاش مئة وعشرين سنة من الصحابة)، وغيرها من المصنفات.

توفي بأصبهان (٨).

### الهوامش

١- ينظر تذكرة الحفاظ (٢/٥)، وتهذيب التهذيب (٣١٥/٧)، وبغية الوعاة (٢٥٣/٢)، والأعلام للزركلي (١٧٦/٥).

٢- ينظر الأعلام للزركلي (٢٧٧/٤)، ومعجم المؤلفين (٧٢/٧).

٣- ينظر بغية الوعاة (٣٧١/١)، والأعلام للزركلي (٢١٠/١)، ومعجم المؤلفين (١٥٠/٢).

٤- ينظر بغية الوعاة (٤٩/٢)، والأعلام للزركلي (٩٨/٤)، ومعجم المؤلفين (٧٥/٦).

٥- ينظر تذكرة الحفاظ (٢٧٦/٢)، والأعلام للزركلي (١٣٥/٧)، ومعجم المؤلفين (١١١/١٢).

٦- ينظر ميزان الاعتدال (٢٦/٣)، والأعلام للزركلي (٢٩/٦)، ومعجم المؤلفين (٧٢/٧).

٧- ينظر فوات الوفيات (٢٦٠/١)، والأعلام للزركلي (٣٢٧/٣)، ومعجم المؤلفين (١٧١/٥).

٨- ينظر وفيات الأعيان (٢٢٥/٢)، والأعلام للزركلي (١٥٦/٨)، ومعجم المؤلفين (٢١٠/١٣).

د. إبراهيم والعيز
باحث دراسات إسلامية
المغرب



# استقرار الأسرة.. الشروط والمقومات

**الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، والركيزة الأساسية التي يقوم عليها صرحه المتين، وعلى مدى قوتها وتماسكها المستمدين من عقيدة الأمة المستوحاة من هدي الكتاب والسنة، تتوقف البنية الاجتماعية برمتها في مناعتها وسلامتها وفعاليتها وقدرتها على الاستقرار والصمود والعطاء.**

فما مفهوم الأسرة؟ وما هي وظائفها في المجتمع؟ وما شروط ومقومات استقرارها؟ وكيف يمكن صونها وحمايتها من التفكك والانحلال؟

الإجابة على هذه الأسئلة تستلزم مناقشة هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور، يتضمن أولها الأسرة الصالحة كأساس لصلاح المجتمع؛ فالأسرة في التصور الإسلامي أساس العيش الطيب؛ لذلك أولاها الإسلام عناية خاصة، فخصها بالحظ الأوفر من تشريعاته في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة صيانة لها وضمانا لسلامتها؛ لأن سلامتها تعني سلامة حاضر ومستقبل الإسلام والمسلمين والبشرية جمعاء، وخرابها يعني خراب كل ذلك.

ويمكن تعريف الأسرة بأنها: «الوحدة التأسيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية من نسب وزواج ومصاهرة، والتي تبث في أفرادها الراحة النفسية والإحساس بالأمان والاستقرار الاجتماعي، وتساعدهم في حل مشاكلهم الخاصة والعامة»، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم٢١).

والأسرة باعتبارها نواة المجتمع واللبنة الأولى في بنائه، تتلخص وظيفتها في إصلاح المجتمع وضمان استقراره، وتحقيق نمائه وازدهاره، من خلال توفير ظروف الصلاح وأجواء الاستقامة القائمة على الفعالية والإيجابية وتولي زمام المبادرة. ويمكن تلخيص ذلك في ثلاث نقاط:

- الأسرة تحفظ أمن المجتمع وتضمن استقراره، وذلك بتطهيره من مختلف الآفات التي تهدد أفراده، كانتشار جرائم القتل والاغتصاب، وتفشي ظاهرة العنف، وازدياد ظاهرة تشرد الأطفال واستغلالهم في الدعارة والمخدرات من قبل العصابات الإجرامية.

- الأسرة الصالحة تهيئ الجيل الصالح الذي يصلح الأرض ويعمرها بالعمل الصالح، وحفظ حقوق الغير، وأداء الواجبات كما أمر الله سبحانه وتعالى، ويساهم في القضاء على الفساد بكل ألوانه، أو التخفيف منه على الأقل، عملا بقوله تعالى:



﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ (الأعراف ٥٦).

الأسرة الصالحة هي الأصل في إنشاء مجتمع صالح يكثر فيه الإنتاج والفعالية وأخذ المبادرة في مجال فعل الخير والتعاون عليه، لبناء مجتمع متماسك قوي تسود فيه أخلاق التكافل والتضامن، استجابة لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ (المائدة ٢).

### الأسرة المستقرة

إن الأسرة التي تحافظ على الوظيفة المنوطة بها في صناعة الإنسان وبناء العمران وإصلاح المجتمع والسعي إلى حفظه وصيانته من كل الآفات وجميع الأخطار؛ هي الأسرة المستقرة، واستقرار هذه الأسرة لابد له من شروط ومقومات، أختصرها فيما يلي:

١- الاختيار الموفق للزوج الصالح، وقبول الزوجين بعضهما ببعض، وتوافقهما في المشاعر والتصورات والأهداف.

٢- الحضور المؤثر للأبوين في الأسرة وفي محيطها؛ بالقدوة الحسنة والنصح والتوجيه وزرع المحبة بين أفرادها.

٣- اهتمام الأبوين بالوازع الديني وتربية الأبناء عليه، صيانة للأسرة من الضياع والانحراف؛ لأن الدين صمام الأمان من جميع الأخطار.

٤- تحلي أفراد الأسرة جميعهم بمكارم الأخلاق كالصبر والعفو والعفة والمعاشرة بالمعروف، لحفظ تماسك الأسرة وغرس أخلاق التراحم والتعاون بين كل عناصرها.

**اهتمام الأبوين بالوازع الديني يؤسس لاستقرار الأسرة**

٥- توفير الدخل المناسب الذي يؤمّن للأسرة احتياجاتها الأساسية؛ ضمانا لقسط من الرفاهية والطمأنينة والسعادة والاستقرار.

فإذا توفرت هذه الشروط والمقومات، لاشك سيتحقق المقصد الشرعي من دعوة الإسلام إلى تأسيس الأسرة وبنائها لمقصد السكينة والطمأنينة، والمودة والرحمة؛ وتحقق هذا المقصد هو العامل المؤثر الأول الذي يساعد الأسرة على القيام بوظيفتها الاجتماعية المتمثلة في حفظ الفضيلة في المجتمع، والتغلب على ضدها من مختلف الرذائل التي تهدد سلامة المجتمع وأمنه.

### تحصين ضد التفكك

حتى تكون الأسرة على مستوى المسؤولية المنوطة بها، لابد من التفكير في حمايتها من عوامل التفكك والانحلال، خاصة في الزمن الحاضر الذي أصبحت فيه الأسرة مستهدفة

**الالتزام بالمقومات الشرعية سر نجاح الأسرة**

بالتخريب من قبل المغرضين الذين يتربصون الدوائر بالإصلاح وأهله، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الأسرة العمود الفقري للمجتمع.

وهناك جملة من القواعد يساعد حضورها وتفعيلها على صيانة الأسرة وحمايتها من الضياع والتفكك والانحلال، ومن هذه القواعد نذكر ما يلي:

- التزام كل أفراد الأسرة بالمقومات الشرعية للأسرة الناجحة، ويتحقق ذلك بتفعيل أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها فقها وتطبيقا؛ (الاختيار الحسن للزوج، والمعاشرة بالمعروف بين أفراد الأسرة، واستحضار الوازع الديني في التربية، وبر الوالدين...).

- تنظيم دورات تدريبية وندوات علمية بهدف إطلاع الأزواج والأبناء وجميع أفراد الأسرة على الأدوار الشرعية المنوطة بكل فرد، مع الاجتهاد في ربط ذلك بسيرة الرسول ﷺ نموذج الكمال البشري في حسن معاملة أهل بيته.

- قيام جميع مؤسسات المجتمع (مساجد، ومدارس، ووسائل الإعلام...)، بواجبها في دفع جميع الأخطار المهددة لاستقرار الأسرة، خصوصا ما يتعلق بسوء المعاشرة، والعقوق، والعنف، وإهمال حقوق الأسرة، وغيرها من الأخطار التي تفرغ الأسرة من فحواها وتعرقل وظيفتها في التربية والإصلاح.

د. رشيد الحمداوي
باحث تربوي
المغرب



# أسس التماسك الأسري من المنظور الإسلامي

الأسرة نواة المجتمع الصالح ولبنته الأولى، فصلاح الفرد ينبع من صلاح الأسرة، وصلاح المجتمع بأسره ينشأ عن صلاح الأسر التي ينتظم منها؛ ولذلك اهتم الإسلام اهتماما بالغا بشأن الأسرة، وأسس تكوينها، وأسباب دوام ترابطها (١)، لتبقى الأسرة المسلمة مستقرة، يسودها الوئام، وترفرف عليها أعلام المحبة، وتسري في أوصالها مشاعر المودة والرحمة. والأساس الذي تقوم عليه الأسرة هو الزواج الناجح المبني على قواعد سليمة، وغايات مستقيمة، ولهذا حظيت الحياة الزوجية في الإسلام كغيرها بتشريع متكامل عالج جميع جوانبها، مما يضمن حياة سعيدة رضية مطمئنة.

وإذا كانت الأسرة لا تؤتي ثمارها اليانعة إلا باستقرارها وتماسكها، فإن الإسلام قد وضع أسسا إذا التزم بها المسلمون كانت أسرهم في غاية الثبات والاستقرار. وقد تتبعت بعض النصوص الشرعية التي تتحدث عن الزواج، وحاولت أن أستخلص بعض الأسس التي يجب أن ندعو الناس إليها، وننبههم على أهميتها، ونذكرهم بلزومها إن أرادوا الصلاح والسعادة:

### ميثاق غليظ

استحضار هذا المبدأ هو المفتاح الأول لعلاقة زوجية تسودها مشاعر التقدير والمسؤولية، فعقد الزواج إنما يعقد أصالة للدوام والاستمرار حتى تنتهي الحياة، ولهذا وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه ميثاق غليظ

فقال: ﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ (النساء:٢١). فعقد النكاح ليس لعبا أو لهوا، ولا يماثل البيع أو الإجارة أو غيرهما من عقود المعاوضات مع أهميتها، وإنما هو عهد مؤكد أمرنا الله أن نرعاه، وميثاق تترتب على طرفيه حقوق وتكاليف وواجبات، وبما أن هذا العقد ميثاق غليظ كما وصفه الله، فإنه لا ينبغي الإخلال أو التهاون فيه، فهو أمانة استأمننا الله تعالى عليها، كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في حجة الوداع حيث قال: «فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله (٢)، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (٣). ولذلك كان أولى ما ينبغي أن يوفي به المسلم هو الشروط التي اشترطها على نفسه في عقد الزواج، كما قال نبينا ﷺ: «إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج» (٤). ومما يجب عليه أن يؤديه ما أوجبه الشرع على الرجل وجعله شرطا لقيام الحياة الزوجية، كالصداق والنفقة.

وفي المقابل حذر الإسلام من أن تفرط الزوجة في هذه العلاقة، وتطلب الطلاق من زوجها من غير بأس أو سبب قوي، وتوعدها النبي ﷺ بعقوبة شديدة فقال: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة» (٥).

## الزواج عبادة

الزواج -في نفسه- عبادة لله وقربة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، فهو أفضل من نوافل العبادة؛ لأنه يعين على تحصين الفرج وغض البصر وسلامة العبد من الوقوع فيما حرم الله عليه، ولذلك قدمه

**النكاح عهد مؤكد أمرنا الله برعايته**

النبي ﷺ على الصيام، فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» (٦). بل إن النبي ﷺ جعل الزواج بامرأة صالحة بمنزلة شطر الدين، لما يحصل به من إحصان وعفاف وتعاون على الطاعة، فقال: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي» (٧).

## الزواج مسؤولية

القيام بالواجبات الأسرية أمانة سوف يسأل عنها الزوجان يوم القيامة، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق بقوله: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها...» (٨). فالزوج سيقف أمام الله سبحانه وتعالى، وسيحاسب عن تصرفاته وسلوكه تجاه أهله وأولاده، كما يحاسب على الصلاة والزكاة والصيام وغيرها من الأعمال. وكذلك الزوجة أيضا مسؤولة أمام الله سبحانه وتعالى عما استرعاها الله إياه، وستحاسب على مدى رعايتها لزوجها وأولادها وبيتها.

**الحياة الزوجية ليست لهوا أو تسلية بل تبعات وواجبات**

ومن ثم لا بد أن يستشعر المقدم على الزواج أن بناء الأسرة على الوجه الرشيد ليس أمرا هينا، بل هو واجب جليل يحتاج إلى إعداد واستعداد، وأن يستحضر أن الحياة الزوجية ليست مجرد لهو أو تسلية واستمتاع، بل هي تبعات وواجبات، من تعرض لها دون قدرة عليها كان غافلا عن حكمة التشريع الإلهي، ومن أساء استعمالها أو ضيع حقوقها استحق عقاب الله له، ولذلك ينبغي أن يكون الإنسان متهيئا لهذه الحياة، قادرا على النهوض بتكاليفها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦). وقد جعل الله تعالى الرجل قواما على المرأة، فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ (النساء:٣٤) والقوامة تعني أن رب الأسرة يقوم على شؤون زوجته ماديا ومعنويا، ويجب عليه أن يسعى في تحصيل ما يصلح به معاشهم ومعادهم (٩). وللأسف نجد أن كثيرا من الأسر مفككة من الداخل؛ لأن لكل واحد من الزوجين همومه ومشاغله الخاصة، ولا يشعر بأنه ملزم بشيء تجاه شريكه في الحياة الزوجية، وهنا تتفجر المشاكل المتتابعة التي تنتهي بالطلاق الحقيقي أو العاطفي.

## أساس الدين والخلق

لا يخفى على أحد أن النبي ﷺ- وهو يوجه الأمة إلى تكوين الأسرة من

بدايتها - كان يحض على اعتبار الدين والخلق في اختيار شريك الحياة، فقد وجه الرسول الكريم ﷺ الرجل إلى اختيار المرأة الصالحة، وعدها خير ما ينعم به الإنسان في دنياه، فقال: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» (١٠)، وقال ﷺ في حديث آخر: «قلب شاكر، ولسان ذاكر، وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك: خير ما اكتنز الناس» (١١). وقد جعل الرسول ﷺ معيار الدين مقدما على سائر المعايير الشائعة بين الناس في اختيار الزوجة، فقال فيما رواه أبوهريرة رضي الله عنه: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك (١٢)» (١٣)، وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة على إحدى خصال ثلاث: تنكح المرأة على مالها، وتنكح المرأة على جمالها، وتنكح المرأة على دينها، فخذ ذات الدين والخلق تربت يمينك» (١٤)، وكأن النبي ﷺ يقول: إن لم تتزوج بذات الدين والخلق فقد يعود عليك ذلك بالفقر والشر، وفي المقابل يقول الرسول ﷺ لأولياء المرأة: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (١٥)، وبهذا تنشأ الأسرة من بدايتها نشأة صحيحة.

## استحضار مقاصد الزواج

تختلف دوافع المرء وأهدافه للزواج من شخص لآخر، ومن بيئة لأخرى، بحسب اختلاف نظرة الإنسان إلى الحياة الزوجية، فنجد بعض الناس في نظرته ودوافعه من الزواج ينحط إلى مستوى لا يرقى إلى معنى الإنسانية، حيث يجعلون الهدف محصورا في المتعة الجسدية واللذة الجنسية التي يشاركهم فيها البهائم، أما الإسلام فإنه سما بالزواج وجعله يهدف إلى عقد رابطة روحية سامية فاضلة، تنظر إلى كل مطالب الإنسان بشقيه: المادي والروحي (١٦). فإذا وجدنا الرجل المسلم ينظر إلى زوجته على أنها لا تعدو أن تكون جارية يقضي منها وطره، أو ألفينا المرأة المسلمة تنظر إلى زوجها نظرة السيد إلى الخادم الذي يقضي حوائجه ويلبي مطالبه، ولا يجوز أن يرفض لها طلبا، أو يعصي لها أمرا، فهذان نموذجان يخالفان التصور الإسلامي للزواج، ويناقيان مقاصده الشرعية.

**معيار الدين مقدم على سائر المعايير عند اختيار الزوجة**

## تكامل الزوجين

ومن اجل ان يعيش الزوجان حياة تسودها السكينة، بين القرآن للزوجين أن كلا منهما ضروري للآخر ومكمل له، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف:١٨٩)، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)، فالزوجان بعضهما لبعض يكونان كاللباس للابس، إذ اللباس يستر عورة المرء، ويقيه من ألم البرد، ويكون له زينة وجمالا، وفوق ذلك فإن اللباس هو الذي يباشر البدن ويلتصق به؛ وكذلك الزوجان يلتحمان بعضهما ببع، وبهذا الالتحام تحصل المودة والرحمة التي أشار إليها الحق سبحانه بقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١).

**القوامة ليست استعبادا للمرأة ولا إلغاء لشخصيتها**

## توزيع الأدوار

إن للحياة الأسرية أعباءها وتكاليفها، لذا فهي تحتاج إلى ربان يوجه حركتها ويشرف على سيرها، وهذه القيادة هي التي تسمى في التشريع الإسلامي: القوامة، وقد كلف بها الرجل، كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ (النساء:٣٤). فالرجل هو الذي ينفق على الأسرة، وهو الذي يتولى مسؤوليتها في الدنيا، وأمام الله عزوجل يوم القيامة، وهو الذي يتولى حمايتها، وهو أكثر تحكما في عواطفه من المرأة، ولذلك كان الأنسب في سياسة شؤون الأسرة والقوامة عليها (١٧). والقوامة ليست استعبادا للمرأة وتسخيرا لها، ولا تعني إلغاء شخصية الزوجة وإهدار إرادتها، وإنما هي قيادة إشراف ورعاية للأسرة.

إن هناك فروقا بين الرجل والمرأة تجعل كلا منهما صالحا لأداء وظيفته التي هيئ لها دون سواها، بحكم التكوين الجسدي والنفسي والاجتماعي، فقد هيأ الله المرأة لوظائف وأحالها لأدائها، وهيأ الرجل لوظائف وأحاله لأدائها، والأصل في المرأة أن تكون مسؤولة مسؤولية أولية عن البيت في الداخل،

والرجل مسؤول عنه في الخارج، فإذا تحولت القوامة من الرجل إلى المرأة كلفت المرأة ما لا يلائمها، وانحرفت الأسرة عن مسارها، وإذا سلب الرجل قوامته أو انتقص منها فسيحدث الخلل والاضطراب في الأسرة، وستنشأ مشكلات جمة، ويسري الخلل من طبيعة الحال إلى الأولاد، وإذا صار هذا غالبا على الأسر سرى ضرره إلى المجتمع كله.

### التشاور

تقوم الأسرة على أساس التفاهم، وتمارس أعمالها بتشاور، وتبنى حياتها على التراضي، وقد جلى القرآن الكريم لنا في بيان قرآني بليغ هذه المبادئ السامية؛ ففي معرض الحديث عن مسألة رضاع الأولاد وفطامهم ولو بعد الانفصال يقول تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة:٢٣٣)، إلى أن يقول: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة:٢٣٣) (١٨).

وما يشيع على لسان كثير من الناس من أن ثمة حديثا نبويا جاء فيه: «شاوروهن وخالفوهن» فليس بحديث أصلا (١٩)، ومعناه باطل لمخالفته الآية آنفة الذكر، وتعارضه مع استشارة النبي ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها في الموقف المشهور بعد صلح الحديبية (٢٠).

### المعاشرة بالمعروف

إن الحكيم الخبير سبحانه وتعالى علم أن النفس في أجواء الخلاف قد تثور فيها أحيانا مشاعر الكراهية، فيجد الشيطان ضالته المنشودة لهدم كيان الأسرة، فجاء التوجيه القرآني لتنقية المشاعر

## القيام بالحقوق وأداء الواجبات أفضل وسيلة لحفظ الأسرة

حتى يعود للحياة صفاؤها، وللأسرة بهاؤها، فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩)، ومعناه كما قال الإمام ابن كثير في تفسيره: «فعسى أن يكون صبركم مع إمساككم لهن وكراهتهن فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة» (٢١). ولو كان في الزوجة ما يكرهه الزوج فإن النبي ﷺ يوجهه إلى النظر الى النواحي الإيجابية، فقال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي آخر» (٢٢). وهو في كل الأحوال يعاشرها بالمعروف، ولذلك أوصى الله تعالى عباده بذلك فقال: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾،أي: إن أمسكتم النساء في عصمتكم فأمسكوهن على الوفاء وحسن العهد والذمة والمحبة والصفاء، إمساك الخير، لا إمساك الإضرار. ولذلك كان السلف الصالح، رحمهم الله، إذا أرادوا تزويج الرجل لم يشترطوا شيئا سوى أن يقولوا: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (٢٣).

وقد دعا النبي ﷺ إلى معاملة الزوجة بالخلق الحسن، فقال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» (٢٤). وقال ﷺ في حديث آخر: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم» (٢٥).

### الوفاء بالحقوق والواجبات

لن نحافظ على الأسرة إذا لم يقم كل واحد من الزوجين بدوره أحسن القيام في هذه المؤسسة العظيمة، وأحسن وسيلة إلى ذلك أن يؤدي كل واحد منهما ما عليه تجاه الآخر، قبل أن يطلب ما له، وقضية الحقوق الزوجية يجملها الله عزوجل في قوله سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨). فعلى كل واحد من الزوجين أن يقوم بواجباته تجاه الآخر ويوفيه حقوقه، وما حصلت المشكلات الأسرية ولا ارتفعت نسب الطلاق في كثير من المجتمعات إلى حد ينذر بخطر على البيوت إلا بسبب عدم قيام كل واحد من الزوجين بما يجب عليه تجاه الآخر، وكم كان ذلك سببا وراء انحراف الأحداث وتشرد الأبناء ووقوعهم فريسة في أيدي قرناء السوء.

ومن أبرز حقوق الزوج تجاه الزوجة طاعته في المعروف (٢٦)، وهذه الطاعة لها أثرها الكبير في استقامة الحياة وسعادة الأسر، بل هي سبب في دخول المرأة إلى جنات النعيم، قال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت بعلها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت» (٢٧).

وأبرز حقوق المرأة ما تقدم ذكره من المعاشرة بالمعروف وما تستتبعه من الإنفاق عليها بالمعروف كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٣٣).

ونستخلص مما تقدم أن الزواج الناجح يبنى على الأسس الأخلاقية والإيمانية

والتربوية أكثر مما يبنى على العوامل المادية. وإذا التزم الزوجان بتلك الأسس المتقدمة في بناء الأسرة، واستقاما على التعامل بها، عاشا في ظلال الزوجية الوارفة سعيدين آمنين، لا تعكر صفوهما المشاكل، ولا تقلقهما حادثات الأيام.

## الهوامش

١- ينظر نظام الأسرة في الإسلام: د. محمد عقلة (١/٤٧- ٤٨) مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن. ط١، ١٩٨٣م.

٢- صحيح مسلم: الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم ١٢١٨ (٢/٨٨٦)، وأبو داود: المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ، رقم ١٩٠٥ (٢/١٨٢)، وابن ماجه: المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ رقم ٣٠٧٤ (٢/١٠٢٢).

٣- قال النووي في «شرح مسلم» (٨/ ١٨٣): «(واستحللتم فروجهن بكلمة الله): قيل: معناه: قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ (البقرة:٢٢٩) وقيل: المراد: كلمة التوحيد، وهي: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم، وقيل: المراد بإباحة الله تعالى والكلمة، قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ (النساء:٣) وهذا الثالث هو الصحيح، وبالأول قال الخطابي والهروي وغيرهما. وقيل: المراد بالكلمة: الإيجاب والقبول، ومعناه على هذا: بالكلمة التي أمر الله تعالى بها».

٤- رواه البخاري في صحيحه: النكاح، باب الشروط في النكاح، رقم ٢٥٧٢ (٢/٩٧٠)، ومسلم: النكاح، باب الوفاء بالشرط في النكاح، رقم ١٤١٨ (٢/١٠٣٥).

٥- رواه أبو داود: الطلاق، باب في الخلع، رقم ٢٢٢٦ (٢/٢٦٨)، والترمذي: الطلاق، باب ما جاء في المختلعات، رقم ١١٨٧ (٣/٤٩٣)، وقال: «هذا حديث حسن». ورواه أيضا ابن ماجه: الطلاق، باب كراهية الخلع للمرأة، رقم ٢٠٥٥ (١/٦٦٢)، والحاكم (٢/٢١٨ رقم ٢٨٠٩)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

٦- رواه البخاري في صحيحه: النكاح، باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج»، رقم ٤٧٧٨ (٥/١٩٥٠)، ومسلم: النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤنة بالصوم، رقم ١٤٠٠ (٢/١٠١٨).

٧- أخرجه الحاكم (٢/١٧٥، رقم ٢٦٨١) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٨٣، رقم ٥٤٨٧). وأخرجه أيضا: الطبراني في الأوسط (١/٢٩٤، رقم ٩٧٢). وضعف الحافظ سنده في التلخيص (٣/١١٧)، ولكن الشيخ الألباني حسنه بمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٠٠).

٨- البخاري: الاستقراض، باب العبد راع في مال سيده، رقم ٢٢٧٨ (٢/٨٤٨)، ومسلم: الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم ١٨٢٩ (٣/١٤٥٩).

٩- ينظر قوامة النساء، المشكلة والحل الإسلامي: زينب عبدالسلام أبو الفضل (ص١٨ - ١٩) مكتبة جزيرة الورد. القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٠- رواه مسلم: الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم ١٤٦٧ (٢/١٠٩٠)، وغيره.

١١- أخرجه الطبراني (٨/٢٠٥، رقم ٧٨٢٨)؛ قال الهيثمي في المجمع (٤/٢٧٣): «فيه علي ابن يزيد، وهو ضعيف وقد وثق». والبيهقي فى شعب الإيمان (٤/١٠٤، رقم٤٤٣٠) عن أبي أمامة. وله شاهد من حديث ثوبان أن بعض الصحابة قال: «فلو علمنا: أي المال خير اتخذناه، فقال رسول الله ﷺ: «أفضله: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة صالحة تعين المؤمن على إيمانه» أخرجه الترمذي: التفسير، باب ومن سورة براءة، رقم ٣٠٩٤ (٥/٢٧٧)، وحسنه؛ ولهذا صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ٢/ ٨١٢ رقم ٤٤٠٩.

١٢- (تربت يداك): التصقت بالتراب، وهذا الدعاء وأمثاله كان يرد من العرب ولا يريدون به الدعاء على الإنسان، إنما يقولونه في معرض المبالغة في التحريض على الشيء، والتعجب منه ونحو ذلك؛ جامع الأصول (١١/ ٤٣٠) تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، وآخرين.

١٣- أخرجه البخاري: النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم ٤٨٠٢ (٥/١٩٥٨)، ومسلم: الرضاع، باب استحباب نكاح ذات، رقم ١٤٦٦ (٢/١٠٨٦)، وغيرهما.

١٤- رواه أحمد في مسنده (٣/٨٠ رقم ١١٧٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ٣٤٥ رقم ٤٠٣٧)، وعزاه الهيثمي كذلك في مجمع الزوائد (٤/ ٢٥٤) إلى أبي يعلى والبزار، وقال: «ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٦١٧ رقم٣٠٧).

١٥- الترمذي: النكاح، باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، رقم ١٠٨٥ (٣/٣٩٥)، وهو حسن لغيره، كما بينه الألباني في «إرواء الغليل» (٦ / ٢٦٦ رقم ١٨٦٨).

١٦- ينظر نظام الأسرة في الإسلام: د. محمد عقلة (١/٢٠).

١٧- ينظر قوامة النساء (ص٢٦ - ٢٧).

١٨- ينظر قوامة النساء (ص١١١ - ١١٣).

١٩- ينظر الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي (ص: ١٣٤ رقم ٢٦٧)، وكشف الخفاء للعجلوني (٢/ ٤ رقم ١٥٢٩).

٢٠- قال المسور بن مخرمة: «فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا». صحيح البخاري: الصلح، باب الشروط في الجهاد، رقم ٢٥٨١ (٢/٩٧٤).

٢١- تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٣) تحقيق: سامي ابن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط ٢، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٢- مسلم: كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم ١٤٦٩ (٢/١٠٩١).

٢٣- سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢١٧ رقم ٦٨٩) عن عروة بن الزبير قال: لحقت ابن عمر فخطبت إليه ابنته، فقال لي: «إن ابن أبي عبدالله لأهل أن ينكح، نحمد ربنا ونصلي على نبينا ﷺ، وقد أنكحناك على ما أمر الله عز وجل: ﴿فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾».

٢٤- الترمذي: المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم ٣٨٩٥ (٥/٧٠٩)، وقال: «حديث حسن صحيح». وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس (١/٦٣٦، رقم ١٩٧٧).

٢٥- الترمذي: الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم ١١٦٢ (٣/٤٦٦) وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن حبان (٩/٤٨٣، رقم ٤١٧٦).

٢٦- ينظر قوامة النساء، ص٢٧.

٢٧- أخرجه ابن حبان عن أبي هريرة (٩/٤٧١ رقم ٤١٦٣)، وأخرجه أحمد (١/١٩١ رقم ١٦٦١) من رواية عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

عثمان حسين
كاتب مصري



# المناخ الأسري.. الواقع والمأمول

المتأمل في واقع المناخ الأسري، عن قرب وبمعايشته، يدرك أن قضية «الترابط الأسري» باتت تفرض نفسها وتعلن عن حقيقة واقعها الذي تعتريه بعض الشوائب، غير أنه من الممكن ملاحظة ما طرأ على المناخ الأسري في الحقبة الأخيرة من القرن الماضي وتواصلا مع أوائل هذا القرن، والذي كان صدى حقيقيا لمتغيرات مقصودة ومنهجية ومخطط لها من قبل أعداء الإسلام ومجتمعاته، حيث صوبت سهامها تجاه المجتمع الإسلامي عامة وتغلغلت حتى نالت بعضا من صميم الأسرة المسلمة وفطرتها وهويتها، بل استطاعت، للأسف، أن تفقدها بعضا من توازنها بعد أن أصابتها بتلك الهزات المفاجئة والمتلاحقة، والتي اضطربت معها، بالطبع، أسس وقواعد فطرتها التربوية مما أوقع الأسرة المسلمة في عالم الصراعات ومحاولات التحدي من ناحية والإصرار على الثبات والاستقرار بما وهبها الله تعالى من قوة الايمان ورسوخ العقيدة من ناحية أخرى.

ومن هنا يمكن أن نطلق على تلك المرحلة التي تتعرض لها الأسرة المسلمة الآن مرحلة «الترنح الأسري» التي كانت نتاج فقد بعض من مقوماتها والمتمثلة في هوية التكيف الأسري واقعا وفقدا.

> تحقيق التكيف الروحي يبدأ بتطبيق منهج ديننا الحنيف

### أمثلة:

ومن أسباب ما آل إليه واقع «الترابط الأسري»؛ ما تعانيه الأسرة تجاه ما تفرضه عليها الحياة الحديثة والمعاصرة التي فرضت «سمة السرعة» غير المسبوقة وفاجأت الهدوء الأسري المعهود واستقراره المشهود، فغلبت المادية الشرسة على قناعة البشر، فلم تعد الأسرة ذات مسؤولية وأهمية عند راعيها وولي أمرها بعد أن سلبتها المادية المتوحشة أمنها وأمانها وأصابتها بالخلل في مناخها الطبيعي وفطرتها التي فطرها الله عليها.

استطاعت سلبيات الحياة الحديثة

ممارسة اعتداءاتها الصارخة على نظام الأسرة الذي اعتادت عليه.. ومنها الجلسة المسائية الأسرية التي كانت المتنفس الصادق الوحيد للحوار والمشاورة حول الأمور الحياتية اليومية والمستقبلية مما كان له بالغ الأثر في الترابط الوجداني والتربوي وتقوية الأواصر بين أفراد الأسرة الواحدة.. حيال ذلك غلب الطابع الفردي والانفرادي على مناخ المجتمع الأسري، حيث حولت نمطية الحياة الحديثة أفراد الأسرة الواحدة الى عوالم أحادية الحياة والموقف والسلوك، كل له عالمه وذاته وحياته مما أدى إلى التنافر والتشتت لأعضاء الأسرة الواحدة.

كذلك أضفت الحياة الحديثة «طابع التوتر» المخيف بأنماطه وأحواله المختلفة على المناخ الأسري نتيجة عوامل متباينة تكمن في الصراعات الحياتية اليومية والطموحات المهلكة والعمل على سرعة تحقيقها واللهث بشدة وراء كل ما هو جديد وحديث حتى ولو كانت ممارسته تحمل سوء العاقبة.

إن ما سبق من أمثلة، على سبيل المثال لا الحصر، أدى إلى تلك الهزة التي زلزلت كيان الأسرة.

### أسس إسلامية

وإزاء هذا الفقد وعواقبه تتجلى عظمة الدين الإسلامي الحنيف حيث أرسى أسس وثوابت «فقه الترابط الأسري»؛ تقديرا لمكانة الأسرة وحرصا على عظم دورها في تكوين مجتمع يظفر فيه الإنسان بأرقى صنوف التكريم الإنساني والآدمي، حيث نال شرف أمانة رعاية الأسرة التي هي بحق دعامة

**الحياة الحديثة فرضت «طابع التوتر» المخيف على الأسرة**

المجتمع واللبنة الأولى له وأساسه ونسيجه الداخلي، كما أرادها الدين الإسلامي أن تكون، فتكون ثمرتها ذلك الإنسان الصالح والمجتمع المتماسك القوي بدينه وعقيدته والمعتز بهويته وذاته.

ولأن الأسرة لها جلالها وهيبتها في الإسلام فقها وبناء واهتماما؛ كان تشريع «الترابط الأسري» الذي يضمن رسوخها وبقاءها ويتحقق وجوده بوجود سمة الانسجام والتآلف والمودة بين أفراد الأسرة الواحدة؛ وبداية هذا التشريع جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١).

ومن مظاهر «الترابط الأسري» الذي أقره الإسلام غاية ومقصدا:

### التكيف الروحي

وهو محاولة إيجاد هوية صادقة مصدرها تلك الحالة الدينية لتتحقق الألفة الروحية بين الزوجين

**القرآن الكريم والسنة يكسبان الأسرة الطهارة والنقاء**

من ناحية وأفراد الأسرة من ناحية أخرى.. حتى يشعر كل فرد أنه الآخر بناء على ما يدعو إليه مقتضى الحال من نقاء الضمير وصفاء النية وشفافية السلوك، وهذا كفيل بتحقيق مبدأ المودة والرحمة وضمان الطريق إلى تقديم التنازلات كما وكيفا، وهذا ليس ضعفا بقدر ما هو إصرار على استمرار وتذوق لذة الحياة.

على أن بدايات تحقيق التكيف الروحي تبدأ بالالتزام بتطبيق المنهج الصحيح الذي أقره ديننا الحنيف ودعا إليه بأن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الروح والجوهر؛ وشعائر الإسلام وأركانه عمادها وقوامها، ومن البدايات أيضا المداومة على قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف تفهما وتدبرا، مما يضفي على الأسرة هالة من الطهارة والنقاء والصفاء ويمنحها الثقة في حاضرها وغدها بما قدره الله تعالى امتثالا لقوله عزوجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨).

وبهذا تتنزل رحمات الألفة والمودة على الأسرة بتلك الهبة والمنة الربانية التي يختص بها الكريم عباده المؤمنين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال:٦٣). وكما في الأثر: «المؤمنُ يألَفُ ويُؤلَفُ ولا خيرَ فيمَن لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ». فدعوة الإسلام إلى التكيف الروحي لن تتحقق إلا

بعقد صلة بين العبد وربه في كل لحظة عمل وفكر وشعور، فإذا ما تحقق ذلك ظفرت الأسرة بكل سبل السعادة والدوام والاستقرار.

### النفسي والوجداني

وهو من أرقى وأسمى درجات الانسجام والتوافق بين أفراد الأسرة، خاصة بين الزوجين، وقد ذكر القرآن الكريم دلائل صدق الانسجام والتوافق النفسي في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)، ومقياس نجاح هذا النوع من التكيف يظهر في إتقان ومهارة وفن استخدام المشاعر والأحاسيس المتبادلة في الأسرة؛ فالمشاعر المشتركة بين النفوس السوية الصالحة تعد ترسيخا وتثبيتا للكيان الأسري عندما تلتقي وجهات النظر في بوتقة واحدة تجاه الأشياء، مما يزيل العقبات تجاه ما يعترض الأسرة ويعكر صفوها، ما يكون له الأثر الطيب في تفهمهم للأمور وحسن معايشتهم لها.

ولما كانت النفس الإنسانية تغلب عليها أحيانا الأهواء، ونحن في عصر غلبت عليه الصراعات، وأوقعتها في براثن الحيرة والتحير وقسوة التخير وسيطر عليها التوتر وفقدان الثقة واضطراب الذات؛ وجب على أفراد الأسرة خلق مناخ تسوده شفافية المشاعر وصدق الأحاسيس ومصارحة القلوب وسمو الأفئدة بعيدا عن الزيف والتزييف والرياء والأثرة المغرضة، وهو مناخ يجلب معه رضا الله عزوجل، مناخ تحيطه العناية الربانية انطلاقا من قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢).

## الحوار والمشاورة يقويان أواصر الصلة بين أفراد الأسرة

فتحقيق التكيف النفسي والوجداني داخل الأسرة أمر يكاد يكون صعبا، لكنه ليس مستحيلا لأنه من السهل الرجوع إلى ثوابت ديننا الحنيف منهجا وطريقا أسلوبا وحياة.

### التربوي

ويقصد به تحقيق ما تهدف إليه المسؤولية التربوية بين أفراد الأسرة للسمو بالسلوك الفطري والمكتسب، وتنميته حسب ما تقتضي المواقف الحياتية اليومية. وتحقيق هذا النمط من التكيف يعتمد على إتقان أساليب التربية والمحاسبة والتقييم للمسؤولية التربوية للوالدين، انطلاقا من حديث رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيتها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها» (متفق عليه)، إضافة إلى مسؤولية الأبناء تجاه الوالدين والتي تحمل أمانة الطاعة والمعاملة الحسنة، وفقا لما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (الإسراء:٢٣).

كذلك يتوقف تحقيق التكيف التربوي على ما تتمتع به الأسرة من ممارسة المودة والمحبة والرحمة والعدل الأسري والتوافق التربوي؛ ويعد ذلك نتاج المهارة الحسنة في تربية الأبناء خلقا وسلوكا، تلك التربية التي اتبعت أساليبها الصحيحة من قدوة وحوار ووفاء وإخلاص.

وتفرض مؤثرات الحياة العصرية وسلبياتها وأخطارها على شخصية الأبناء من التصادم بالرذائل موقفا وسلوكا، وتكنولوجيا الدمار والهلاك أحيانا، وأصدقاء السوء والإغراءات الحياتية اليومية ذات التقلب والتغير السريع والمفاجئ والذي يعجز المرء عن ملاحقته؛ أن تتخذ الأسرة من ترابطها عالما وملاذا آمنا تلجأ إليه شرط أن يكون ذلك مبنيا على المنهج الصحيح كما قال النبي ﷺ: «ترَكت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله» (قال الألباني: إسناده حسن).

لقد آن الأوان أن تعيد الأسرة المسلمة حساباتها وتضع نصب أعينها أن هناك من يتربص بها هدفا وتخطيطا وتدميرا، لذا وجب عليها أن تتسلح بالتحدي والمواجهة والإصرار على مقاومة تلك التيارات القبيحة والخبيثة التي تتسلل إلينا، وأخذ الحيطة والحذر تجاه ما يدبره أعداء الإسلام في مخططاتهم بعيدة المدى، خاصة ما يتعلق بـ «الترابط الأسري» الذي هو غايتهم ومرادهم، لاسيما أنه عمود الأمر في المجتمع الإسلامي؛ فإذا نالوا منه، لا قدر الله، تحقق مسعاهم. لكن تمسك المسلم الحق بثوابت دينه وشريعته هو الحصن الحصين والملاذ القوي الذي يصونه ويحفظه ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يوسف:٦٤).

باسمة حامد
كاتبة وصحفية سورية

## هل تلاشى دورها في زمن الإنترنت؟!

# المكتبات المنزلية

لعبت المكتبات المنزلية على مدى عقود طويلة دورا معرفيا هاما في حياة الأسرة العربية، فقد أسهمت بشكل مباشر وإيجابي في تشكيل وعي أفرادها وتنمية ثقافتهم وإثراء معارفهم، إلا أن الثورة التكنولوجية ومواكبتها السريعة لمتطلبات العصر الراهن؛ جعلا دور هذه المكتبات ينحسر، كونها لم تعد المصدر الرئيسي والأول للمعلومة لدى شرائح واسعة من الباحثين وطلاب العلم والمثقفين.. فهل تحولت المكتبات المنزلية إلى ديكور شكلي لا يستفاد منه؟

في كثير من الأحيان قد لا تكون المكتبة المنزلية مجرد ديكور جمالي كونها تعكس نضج أصحابها ومستواهم الثقافي والاجتماعي، وواقع الحال يعد هذا الجزء في المنزل عنصرا فاعلا في تكوين السلوك الذي تنتهجه الأسرة في تربية أولادها حيث تلعب الثقافة التي يكتسبها الوالدان دورا مباشرا في تعليم الصغار وتقويم تصرفاتهم وتصويب أفعالهم وتشذيبها وضبط المصطلحات التي يستخدمونها في حياتهم اليومية بالبيت والحي والمدرسة والنادي.

وتأكيدا على أهمية العلاقة الوطيدة بين الطفل والمكتبة؛ نورد ما جاء في إحدى الدراسات العلمية المتخصصة والتي قالت بأن: الطفل المولود لعائلة غنية بالكتب لديه فرصة ٢٠في المئة أعلى لإكمال الجامعة من طفل يعيش في بيت لا توجد فيه مكتبة».

ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف ينصح علماء النفس والاجتماع بتخصيص ركن هادئ في المنزل للمكتبة، ويوصون باجتماع أفراد الأسرة في وقت معين من الأسبوع في هذا المكان لممارسة عادة القراءة مجتمعة ومناقشة محتوى كتاب واحد، لأن هذا السلوك الجماعي سيقوي كيانها، ويشد أزر أفرادها بعضهم نحو بعض وسط ما يعانيه الإنسان المعاصر من تشتت وأنانية وعزلة بسبب ما تمارسه وسائط التكنولوجيا (الفضائيات، الإنترنت، الألعاب الإلكترونية الترفيهية، وسائل التواصل الاجتماعي) من طغيان مقيت على حياته.

في الحقيقة لكل زمن متطلباته وأدواته –ورغم كل ما وفرته التقنيات الحديثة من معلومات لا حصر لها في مجالات شتى– لا يمكن الادعاء بأن الشبكة العنكبوتية حلت محل المكتبة المنزلية أو أخذت دورها حتى اليوم!

وهذا الكلام لا يحتاج إلى إثباتات أو براهين لعدة أسباب؛ تتعلق أولا بمتعة القراءة من الكتاب الورقي وخاصة (الرواية، القصة، ديوان الشعر.. إلخ)، إذ إن للكتاب سحره

ووجهه الخاص، وتتعلق ثانيا بالحاجة لوجودها في المنزل من أجل تعويد الأطفال الصغار على عادة القراءة!.

وهنا نؤكد على الدور المعرفي والثقافي الذي يمكن أن تؤديه المكتبة المنزلية إذا أحسنّا التعويل عليها والاهتمام بمحتوياتها، جديا لا شكليا، خصوصا إذا ما وضعنا نصب أعيننا دائما أننا أمة «اقرأ»، فالتنشئة المبكرة على المطالعة -على وجه الخصوص داخل البيت- تدعم بناء أسرة ناجحة وسليمة، وبالتالي تؤسس لسلوك حضاري في المجتمع وتصنع أجيالا مبدعة ومستنيرة ترفض الجهل والتطرف والعنف.



## كيف نستفيد منها؟

من المفيد التنويع في الكتب التي نقتنيها في مكتباتنا المنزلية بحيث لا تقتصر على نوع واحد، فالتنويع والتحديث في مصادر المعرفة يشجعان أفراد الأسرة على استثمار أوقات الفراغ في البحث والمطالعة في مواضيع متعددة كالقانون والتنمية البشرية وتطوير الذات والسير الذاتية وقصص الأنبياء والصالحين والأمومة والصحة العامة والرياضيات والأدب والفن والتراث وغيرها، وعلى هذا الأساس يجب الاعتناء بتنظيف المكتبة وترميم المجلدات المهترئة، ووضع فهرس خاص بأسماء الكتب والرفوف حتى يصل المتلقي إلى مبتغاه دون كلل أو ملل أو إهدار الوقت في البحث عما يريد.

وفي هذا الإطار ولكي تؤدي وظيفتها على أكمل وجه؛ لا بد من الحرص على اقتناء أحدث وأهم الإصدارات التي تواكب القضايا الراهنة، وتشكل دافعا لأفراد الأسرة بمختلف أعمارهم وخلفياتهم العلمية وأذواقهم؛ للاطلاع على محتوياتها، وبحكم ميل الأطفال للاستكشاف والبحث في كل ما يحيط بعوالمهم؛ من الضروري الاهتمام بالكتب التعليمية والقصصية والإبداعية الهادفة المخصصة لهم مع مراعاة اختيار الأحجام المناسبة والتصاميم المفعمة بالألوان الزاهية والجذابة والرسومات التوضيحية بما يتناسب مع فئاتهم العمرية.

وقد يكون من المناسب تخصيص جزء صغير في المكتبة المنزلية للأقراص المدمجة المتنوعة السمعية والبصرية التي تحتوي على معلومات أو مسابقات مشوقة تثري ثقافة القارئ في التاريخ والجغرافيا والآداب العالمية واللغات الأجنبية والعلوم الطبية والهندسية والمعمارية.

## متعة القراءة

صحيح أن هناك فرقا بين دور المكتبة المنزلية والإنترنت لكن لكل منهما فوائده ومزاياه، بالإضافة إلى أن التكنولوجيا ليست متاحة للجميع وخاصة لكبار السن ممن لم تسعفهم ظروفهم الصحية والعقلية والاجتماعية على كيفية التعامل مع الأجهزة الحديثة واستيعاب قوانينها (الكمبيوتر، اللابتوب، الجوال) أو عدم التكيف مع سطوع الشاشة والإضاءة القوية المجهدة للنظر.

وأمام هذا الواقع تظل المكتبة المنزلية حاجة معرفية وفكرية واجتماعية ماسة، من شأنها تعزيز ونشر الثقافة في الأسرة والمجتمع. وأهمية هذه الحاجة تزداد مع مرور الوقت وذلك من أجل مواجهة الأنماط السلوكية الوافدة والغريبة على مجتمعاتنا في عصر العولمة، والذي يحاول قلب المفاهيم والقضاء على خصوصية هذه المجتمعات المتميزة تاريخيا بالخصال الإنسانية الكريمة؛ كإغاثة الملهوف ومساعدة الجار وبر الوالدين والكرم والشجاعة والعطاء والبذل والوفاء والإخلاص..

مصطفى طه عبدالغني
باحث تنمية بشرية

# مكبوتات النفس البشرية (٢)

**لقد خلق الله الإنسان وكرمه وستره ووهبه السمع والبصر والفؤاد والعقل والصحة وأحاطه برعايته منذ الأزل، فقد قال الله عزوجل في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ (المؤمنون:١٢-١٤).**

## العزلة - الاكتئاب - الإحباط

اعلم أخي القارئ أن مجرد الوقوع في بعض الأمراض النفسية يضعف القلب والعقل، ويقلل من همة المسلم وإرادته على النجاح والتقدم والقدرة على المنافسة بما نمتلكه من علم ودين، فما أحوجنا إلى النظر الدقيق في تعاليم الدستور الذي وضعه الله لنا جميعا، والتفهم والاعتبار بأن نظرتنا السطحية للأشياء تفقدنا تفهم العظات والعبر والإيمان العميق والإذعان الدقيق لقدرته وفضله، فلنسلح أنفسنا بالإيمان بالله حتى يصبح لدينا علم اليقين بأن الله هو النافع، وأن نتعلم أسباب وأعراض ونتائج أي مرض نفسي نتعرض له، وكيف نتعامل معه بالشكل الصحيح، فلقد اهتم الفلاسفة المسلمون بالنفس وما بها من أمراض، وتفننوا في تشخيص أحوالها، ومن أبرزهم الشيخ أبو حامد الغزالي أحد الذين وقفوا على الآليات التي تحكم النفس البشرية وشخص العديد من العلل والأمراض التي تصيبها، واجتهد وأبدع في وصف علاجها، فقد سماها أيضا أمراض القلب وهي غالبا ما تحدث حينما يكون هناك صراع بين الخير والشر، والعقل والغريزة، وبين الرغبة في الإشباع وطلب اللذة، ولا

ننسى أن هذه الأمراض النفسية ما هي إلا صفحات يكتبها إبليس في مذكراته كي يفسد على المؤمنين والمسلمين إيمانهم وإسلامهم وكي يجد منفذا لكي يخرب ويهدم قيمهم ويفسد عليهم دنياهم وأخراهم، وأحد هذه الأمراض التي سنتحدث عنها هنا هو العزلة وأسبابها وما ينتج عنها، فهي: تجنب الاختلاط مع الآخرين، والإقلال من الحديث، وتحاشي التواجد وسط الأعداد الكبيرة من الناس، والتذمر من البدء بالحديث أو التخاطب مع الآخرين، والابتعاد عن تجمعات الأقارب والأصدقاء، وعدم المبالاة بالمواقف والظروف، وضعف التأثر بالانتقادات، وضعف التأثر بالنصح والإرشاد بسبب برودة المشاعر، والاستغراق في أحلام اليقظة.

فالعزلة ليست كلها شرا في مجملها فقد تكون مشروعة: وذلك من أجل التفكر كأن يصبح صاحبها مبتكرا ومبدعا في أعمال الرسم والكتابة أو يكون منعزلا للقيام بمحاسبة النفس والعبادة، فالمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ويعتزلهم ولا يصبر على أذاهم.

«قد تكون العزلة كلية، وذلك إذا فسدت الدنيا والناس وإذا خاف الإنسان على نفسه الفتنة أو الوقوع في الحرام فوجبت عليه العزلة» (فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين)

وقد تكون العزلة مرضية ذات تداعيات نفسية وصحية واجتماعية يحذر منها بعض علماء النفس أشد الحذر لأنها قد تنتهي بعواقب سيئة، ففي دراسة تحليلية للباحث جوليان هولتلنستد، من جامعة برغام يونغ الأميركية طالت ١٤٨ بحثا، نتج عنها:

تأثير العزلة يشبه تأثير شرب ١٥ سيجارة يوميا، ويشبه الضرر الناتج عن شرب الكحول، ويماثل ضعف ضرر فرط الوزن مرتين.

**❖ ولا ترحم العزلة الأطفال:** فهي تعتبر من أكثر الاضطرابات السلوكية شيوعا لديهم وأكثرها تأثيرا على حياتهم وتعليمهم وتواصلهم مع الآخرين، إلى درجة أنها قد تصبح مزمنة يصعب تشخيصها وعلاجها.

**❖ من مؤشرات العزلة عند الأطفال:** التراجع في المستوى التحصيلي الدراسي، وصعوبة التكيف مع الآخرين، والانسحاب أحيانا إن اضطر الأمر لذلك، وقلة الثقة بالنفس، وكثرة الشرود الذهني، وقلة التحدث والتعبير عما بداخلهم.

**❖ فمن أبرز أسباب العزلة الاجتماعية المرضية:** الخوف من رفض الآخرين، وفقدان أحد من الأسرة، واضطرابات القلق، والحواجز النفسية واختلاف اللغة، والتشوهات الخلقية عند البعض.

**❖ من مؤشرات العزلة الاجتماعية المرضية:** (الاكتئاب وعدم القدرة على التواصل مع الآخرين و عدم الخروج كثيرا من المنزل).

**❖ مدى خطورة العزلة المرضية:** فقد تصيب الأشخاص بكثير من الأمراض منها: (القلق والتوتر ونوبات الفزع والتدخين بشراهة ونقص في التقدير الذاتي وتدهور الحالة الصحية والمزاجية والصداع...).

**❖ إستراتيجية التعامل الأمثل مع العزلة المرضية:**

١- التخلص من الطاقات السلبية لدى الفرد؛ كأن تأتي بورقة بيضاء وتكتب فيها جميع التجارب والمواقف السلبية التي مررت بها ثم تقطع الورقة لكي تشعر بالراحة.

٢- إشغال وقتك بالطاعة وبالأعمال التطوعية والخيرية لكي تشعر بقربك من الناس.

٣- الانخراط مع المجتمع والتواصل مع الآخرين.

٤- وضع اللجوء إلى الطبيب النفسي من الحلول الواردة.

والآن سنتحدث عن أحد مكبوتات النفس البشرية التي يصاب بها حوالي ٤٠٠ مليون شخص سنويا حول العالم ألا وهو الاكتئاب، ففي تعريف مبسط له: هو عبارة عن مزيج من مشاعر الحزن، والوحدة، والشعور بالرفض من قبل الآخرين، والشعور بقلة الحيلة والعجز عن مواجهة مشاكل الحياة.

أدى انتشار هذا المرض حول العالم إلى المزيد من القلق والخوف نظرا لما يحويه من نتائج سلبية على صحة ونفسية الفرد، فإذا نظرنا إلى تقارير منظمة الصحة العالمية نرى أن كثيرا من حالات الانتحار بسبب الاكتئاب تحدث أغلبها في أميريكا واليابان وغيرهما من الدول البعيدة عن الإسلام، وتقل في دول أفريقيا والدول العربية نظرا لقوة الإسلام بها وتعلق الناس بالدين الذي يصرف عنهم الكثير من الأمراض النفسية بفضل الله وحوله وقوته، وثبت أيضا بالدراسات أن ٥٠ في المئة من حالات الانتحار بسبب الاكتئاب.

**❖ من أعراض الاكتئاب:**

أعراض نفسية عاطفية (الانشغال بأفكار سلبية، اليأس، الشعور بالخوف، الشعور المتكرر بالقلق)، أعراض سلوكية (نقص في النشاط والطاقة، عدم التركيز، اضطرابات في النوم، اللوم الشديد للنفس)، أعراض جسدية (الصداع، التعرق، آلام العضلات).

**❖ من أسباب الاكتئاب:**

أسباب اجتماعية مثل (موت أحد الأقارب، الاضطهاد، مشاكل الأبوين

أمام الأبناء..)، أسباب سلوكية مثل: (شدة الغضب، الكسل، العزلة، الحزن، الاهتمام المفرط بملاحظة الناس،..)، أسباب جسدية مثل (شدة الفقر، آلام الغربة، فقدان اللياقة البدنية، بعض الأمراض تقلل من الحالة المزاجية مثل الإنفلونزا،..)، أسباب نفسية مثل: (الخوف من الناس، عدم الرضا بما قدره الله لنا، الخوف من المستقبل، ضعف الإيمان بالله).

## العلاج الشرعي والتربوي والنفسي للاكتئاب

يرى العلماء أن ثمة مناعة قرآنية شرعية مضادة للأحزان بين أيدينا، غير أننا ننشغل عنها في أحيان كثيرة لكونها البديل المناسب لمئات من أنواع الأدوية والعقاقير المهدئة التي قد يتعود عليها الجسم فتكون مرضا أدهى وأمر من المرض ذاته، ولربما تتدهور الحالة النفسية فقد تصل حالته إلى أعلى درجات من الحزن وفراغ الفؤاد والهلع والخوف.. (ولسنا هنا نصف المنهج القرآني كعلاج دوائي لمرض ما، وإنما هو منهج عملي متكامل وشفاء لأمراض الجسد والنفس، وبصائر من الله، سبحانه وتعالى، يهدي به من يشاء إلى الحق وإلى صراط مستقيم).

وفي كتاب الله العديد من الآيات التي تساعد على التخلص من الاكتئاب منها:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)، فالتسلح بالإيمان مقرون بالعمل الصالح الذي يحيي القلب ويبعده عن الأمراض النفسية.

وهناك أدعية نبوية تساعد المسلم على التخلص من الاكتئاب منها:

في «جامع الترمذي» عن أنس، أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»، ومن تلك العوامل التي تساعد على التخلص من الاكتئاب أو الحد منه: الاعتصام بحبل الله واللجوء إليه والتحصن به، والأمل في فضله والرجاء في رحمته، والتمسك بالصلاة في جماعة، فهي زاد روحي لكل مسلم، ومنها أيضا الاجتهاد في مساعدة الناس، وخصوصا الضعفاء منهم، مثل الفقراء واليتامى والأرامل والمعوقين وأصحاب الحاجات، فيجب على كل مسلم أن يعرف حقيقة الدنيا بأن متاعها قليل وأنها فانية وأن يجعل همه الآخرة وأن يعمل لها، وأن يتعلم قول رسولنا الكريم ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (رواه مسلم).

قال الكفوي: «الإحباط هو إبطال الحسنات بالسيئات»، فهو قرين اليأس والقنوط، أما عن الإحباط: فالإحباط يكون حينما يعلق الإنسان آماله بغير الله، ثم يجد أن هذا الشيء لا قيمة له، لم يحقق هدفه فيصاب حينها بحالة نفسية مؤلمة جدا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (الزمر:٦٥).

يتعرض الإنسان يوميا للكثير من المشكلات ومواقف الفشل أو عدم الوصول للنجاح المرغوب فيه، على سبيل المثال نرى شابا فشل في النجاح في مادة ما في الجامعة، فحينها ينتابه الكثير من مشاعر الحيرة والإحباط وفقدان الأمل، وكأن باب الأمل بات مغلقا، وأن ما بني في سنوات كثيرة قد يهدم في لحظات أو أيام قليلة.

فالسؤال هنا! متى يحدث الإحباط؟ يحدث الإحباط (بمفهومه الحديث) عندما يكون الشخص مهيئا لتحقيق هدف ما ومستعدا لعمل ما يوصله إليه، ثم يجد عائقا يمنعه من أداء ذلك العمل أو يعوقه عن تحقيق هدفه.. فإن ذلك يؤدي إلى التوتر والضيق والشعور بالألم والحسرة ونحو ذلك من المشاعر المؤلمة الناجمة عن هذا الإخفاق.

١- من مسببات الإحباط هو إحباط عمل الفرد، فقد يكره الشخص ما حرم الله مثل الاختلاط أو ارتداء الحجاب، فكان عقاب ذلك في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (محمد:٩).

أو اتباع ما أسخط الله وحرمه، من غش وربا ورياء،.. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (محمد:٢٨).

٢- شعور الإنسان بالإحباط في بعض الفترات الانتقالية من حياته مثل ترك العمل والطلاق وتركه لمنصب ما.

٣- التوقع من أبرز أسباب الإحباط، فمثلا أن يتوقع الشخص حدوث مفاجأة أو مستقبل واعد أو موقف جيد من أحد أصدقائه ثم يفاجأ بعكس ذلك فيصاب بالإحباط.

٤- التقليد الأعمى للغرب: قوله ﷺ «لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب دخلتم» (صحيح الجامع).

٥- يصاب الإنسان بالإحباط حينما يكون كل همه الدنيا: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (هود:١٥).

ولم يعد للآخرة شيئا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ

﴿مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (هود:١٦).

ومن أنواع الإحباط، كما ذكره د. أيمن غريب قطب، في كتابه «رؤية نفسية وإيمانية»:

١- إحباط داخلي وهو ناتج عن صفات شخصية للفرد مثل العاهات أو الأمراض العقلية.

٢- إحباط خارجي وهو ناتج عن عوامل بيئية محيطة بالفرد مثل الفقر.

٣- إحباط إيجابي وهو وجود عائق يرفقه تهديد يحول دون إشباع الفرد من تحقيق هدف ما، مثل نزول المطر مع رغبة الفرد في الخروج من المنزل.

٤- إحباط سلبي وهو وجود عائق لا يرفقه تهديد يحول دون تحقيق الحاجة مثل رغبة الفرد في شراء ملابس مفضلة لديه ولكنه يعزف عن شرائها.

٥- إحباط أولي هو شعور الفرد بالحاجة مع عدم وجود ما يحقق إشباعه مثل شعور الفرد بالجوع مع عدم وجود الطعام.

٦- إحباط ثانوي هو شعور الفرد بالحاجة وهي موجودة أمامه مثل الأكل والشرب ولكن هناك ما يمنعه أن يتناولها.

## معالجة الشعور بالإحباط

تنمية الشعور بالرضا حتى يقبل كل شخص ما قدره الله له. على الإنسان أن يتعود على الأخذ بالأسباب، والصبر على البلاء، وعدم اليأس أو القنوط إذا حدث له ابتلاء أو وقع في كرب، وقد بينت بعض الآيات من كتاب الله وتحدثت عن (الإحباط):

١- ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الأنعام:٨٨).

٢- ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف:١٤٧).

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ (الحجرات:٢).

ومن الأحاديث الواردة في ذم الإحباط:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» (أخرجه الترمذي)، وقال: حسن غريب.

٢- عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلا حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا وأوقدوا فيه نارا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها ثم انظروا يوما راحا فاذروه في اليم، ففعلوا. فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله له» (أخرجه البخاري).

فلا يجب أن تنتظر الرحمة والعطف من الآخرين لكي تحقق هدفا تريده، بل يجب أن تعتمد على نفسك كلما كان ذلك متاحا، عليك أن تتيقن بأن الكثير من الناس قد يشاركونك أفراحك وأحزانك وقد لا يمكنهم ذلك فلا تفاجأ وتحبط، وعليك بالجد والاجتهاد والإصرار على تحقيق ما لديك من طموحات ولا تقف مكتوف الأيدي عند أول مواجهة لمشكلاتك، ولكن حينما تشعر بالإحباط عليك أن تلجأ لمن لا يرد عنده أحد، إلى خالق كل شيء سيسمعك وسيرضيك وسيهديك، ثم تلجأ لشخص يحبك وتثق به، حينها سترتاح عندما تتحدث معه، وحينما تمر على ذاكرتك مواقف الإحباط والألم والتي ستثير الانفعالات السلبية لديك، فحاول تغيير مجرى تفكيرك وذكرياتك.. فابحث عن ذكريات وأفكار سعيدة ومفيدة، بدلا من إغراق نفسك في دوامة الإحباط المدمرة لوضعك النفسي والصحي، وغير مكانك الذي تجلس به، ومارس أنشطة وهوايات تحبها، فاعلم دوما أن الإنسان الناجح (والناجح فقط) هو من يتعرض للنقد والمحاربة ومحاولات الإحباط والتدمير وتذكر أن الأنبياء والعظماء والعلماء تعرضوا للكثير من مواقف الإحباط والفشل، إلا أنهم لم ييأسوا من رحمة الله تعالى، ولم ييأسوا من إمكاناتهم ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧).

ومن أجمل ما قيل عن التفاؤل والبعد عن الإحباط:

١- قول رسولنا ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد».

٢- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله».

٣ – قال الإمام أحمد بن حنبل «التوكل: قطع الاستشراف باليأس من الناس».

٤- قال أحمد أمين «اليأس لا يليق بكبار النفوس».

٥- وقال هارون الرشيد:

**النفس تطمع والأسباب عاجزة**
**والنفس تهلك بين اليأس والطمع.**

محمد التلاوي
صحفي مصري

### صدر ضمن مشروع روافد

# «الشهود الحضاري للأمة».. في زمن العولمة

في ظل الأوضاع المعاصرة وضغوط العولمة وتأثيراتها على الفرد والمجتمع وما يحيط بنا من متغيرات عربية وإقليمية ودولية، علاوة على تنامي الجدل حول الإسلام وحضارته ورموزه، يسعى الفرد منا إلى محاولة فهم ما يدور حوله من الأحداث المتسارعة والتحولات الكبرى التي تؤثر بصورة مباشرة أو غير مباشرة على حياة الإنسان وفكره وقيمه.

يقدم لنا الكاتب الجزائري د. عبدالعزيز برغوث في كتاب له بعنوان «الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة» – دراسة في أهمية التجديد الثقافي والتربوي والتعليمي، فهما دقيقا لكل ما يجول بخاطرنا حول هذه القضية، علاوة على صورة لواقع المسلمين اليوم في عصر العولمة بقراءة نقدية واعية للواقع المعاصر، ويرصد طبيعة الحراك الخفي والظاهر بين قوى العولمة التي تسعى جاهدة للسيطرة على العالم ملغية كل مظاهر التنوع والخصوصية، وبين قوى أخرى لا تزال تجد لنفسها موضعا للتنافس والتدافع.

صدر هذا الكتاب عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ضمن مشروعها الثقافي، والفكري، والأدبي «روافد» الذي أطلقته إدارة الثقافة الإسلامية بالوزارة، وجاء في ٢٣٥ صفحة من القطع الصغير.

مؤلف هذا الكتاب، هو الكاتب الجزائري د. عبدالعزيز برغوث الحاصل على شهادة الدكتوراه في الدراسات الحضارية وله مؤلفات عديدة في الفكر الحضاري، منها: «مشروع الفكر الحضاري.. ضرورة تغيير الإنسان والفكر والتربية والثقافة»، و«المنهج النبوي والتغيير الحضاري»، و«القضايا الكبرى في التجديد الحضاري عند مالك ابن نبي»، وغيرها من المؤلفات والدراسات. وعمل الكاتب أستاذا جامعيا في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا ومديرا لمجلة «الإسلام في آسيا»، ومنسقا أكاديميا لبرنامج الدراسات الإسلامية الخاص بالطلبة الأميركيين.

ينبه الكاتب في هذا المؤلف، الذي يأتي في خمسة فصول، إلى أن الوضع المعقد الذي يمر به العالم والأمة الإسلامية خصوصا يوضح أن هذه الأمة بحاجة ماسة إلى استنهاض قواها واستنفار طاقاتها البشرية والمادية والفكرية من أجل الدخول مجددا في دورة شهود حضارية عالمية.

## طبائع الأمة

ويأتي الفصل الأول، من فصول الكتاب الخمسة، بعنوان «الإطار المنهجي لدراسة طبائع الأمة الوسط والشهود الحضاري»، ويستعرض الكاتب في هذا الفصل رؤية المسلم الكونية للحياة وأنها «رؤية أماتية حضارية وسطية» بحكم انتماء المسلم «للأمة الوسط» التي أنيط بها مسؤولية «الشهادة الحضارية الشاملة»، وأنه كلما تخلت الأمة الإسلامية عن منهاج الوسطية أو تركته وراء ظهرها أو تنكرت لمناهجه وشرائعه وأخلاقه تحولت إلى أمة مشلولة، مهانة، ضعيفة، لا وسطية، ذليلة. لكنها إذا أدركت حقائق وسطية الإسلام وفهمتها وطبقتها، تحولت إلى أمة نشطة، قوية، وسطية، شاهدة ومتمكنة.

ويلفت الكاتب إلى حقيقة الأمة الوسط باعتبارها كيانا بشريا وبناء شيده النبي ﷺ ووضع أسسه وحقائقه على أرض الواقع، وباعتبارها الأمة الوحيدة في تاريخ الأمم التي جُعلت أمة وسطا دون غيرها.

## العولمة وتأثيرها

أما الفصل الثاني للكتاب فجاء تحت عنوان «طبائع العولمة وتأثيرها على الشهود الحضاري للأمة وضرورة المقاربة الحضارية»، ويقدم الكاتب تحت هذا العنوان بعضا من أقوال الباحثين المتخصصين في شأن العولمة ومحاولاتهم في إثبات

أن الحضارة الإنسانية والثقافة البشرية في ضوء العولمة ستؤدي إلى ميلاد واقع حضاري كوني معولم.

وواصل الكاتب عرض بعض الآراء التي تعرض لمضار أو منافع العولمة حيث رأى البعض أنها تدفع نحو التكامل والوحدة والتعاون، بينما رأى البعض الآخر أنها تدفع في اتجاه الصراع بين الأمم والتفكك وفرض الهيمنة.

وقدم الكاتب مجموعة من المقولات كمداخل في تعريف العولمة ومنها: مقاربة العولمة بوضعها الخصخصة الرأسمالية وينظر إليها هنا على أنها عملية تكامل اقتصادي بين الدول، ومقاربة العولمة بوصفها فعلا استعماريا حضاريا بمنطق علمي تكنولوجي صارم وهذا النوع من الاستعمار قد لا يحدث بالضرورة عن طريق السلاح والقوة العسكرية، ولكن عن طريق سلاح الخوف والفقر والمرض وسلاح احتكار المعرفة والتكنولوجيا، وسلاح امتلاك مفاتيح المقاييس العالمية للتقدم والتحضر، وسلاح السبق في غزو الفضاء.

ويرى د.برغوث أن العولمة في المنظور الإسلامي لها عدة أطروحات من وجهة نظر بعض المثقفين العرب أو أصحاب الفكر الإسلامي، لكنها رغم تفاوتها وتباينها لا تكاد تخرج عن مقاربات العولمة في الخطاب الغربي، والتي ذكرنا بعضا منها آنفا.

## تفاعل

ويأتي الفصل الثالث وعنوانه «الأمة الوسط والعولمة الحضارية وضرورة التفاعل المبدع والسلام الحضاري» ليتحدث عن الرسالة الحضارية للأمة وضرورات التفاعل المبدع مع العولمة، لاسيما أنها ليست كلها شرا قاتما ولا خيرا سيعم البشرية بأسرها، ويرى د. برغوث أن تحقيق العولمة العربية الإسلامية الاستخلافية يحتاج إلى مشروع حضاري متكامل تتحدد به الرؤى والتصورات والمناهج والأهداف والوسائل والإستراتيجيات لتحقيق ذلك، وهذا الأمر لا يتقبل مطلقا الجهود الارتجالية غير المخطط لها والعواطف الجياشة والكلام الرنان.

## بناء الإنسان

وشمل الفصل الرابع وعنوانه «أهمية التجديد الثقافي والتربوي في بناء إنسان الشهود الحضاري» عدة محاور عن بناء الإنسان والقيادات البشرية القادرة على الشهود الحضاري، ومنها: الأمة الوسط والشهود الحضاري للإنسان القيادي المنشود، وأهمية البناء الثقافي في تخريج أمة الشهود الحضاري، وأهمية البناء التربوي في تخريج إنسان الشهود الحضاري وتضمن ذلك مسألة التربية كخيار إستراتيجي في تخريج إنسان الشهود الحضاري والإصلاح التربوي وضرورة تشكيل الشخصية الشهودية الحضارية.

## التعليم

وجاء الفصل الخامس والأخير بعنوان «الأمة الوسط وضرورة تجديد فلسفة التعليم وأدوار المعلم الشاهد حضاريا»، وعرج فيه الكاتب على أهمية التربية في المشروع الحضاري المنشود والتعليم ودور المعلم في بناء الأمة الوسط القيادية في ظل سيادة مفاهيم العولمة والمعلوماتية والمعرفة، لاسيما أن التعليم أصبح أكثر اتصالا والتصاقا بحياة الإنسان والحضارة معا.

وخلص الكاتب في نهاية هذا العمل الثري، إلى أن ما ينبغي أن يترسخ في وعي الناشئة ووعي أمتنا أن الطريق السليم لإنهاض الأمة هو طريق العلم والوعي والشهود الحضاري المؤسس على العمل المنهجي المخطط والمتوازن والمتكامل.

وأكد أنه على الرغم من الظروف الراهنة للأمة وأوضاعها المعقدة، إلا أنها مازالت قادرة على التفاعل المبدع مع العولمة، ومواجهة التحديات والتصدي لكل أنواع المحاولات التفكيكية التي تستهدفها باستمرار.



د.ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب - الكويت

# كرم الرسول ﷺ وجوده وصفحه

كان كرمه وجوده، ﷺ لا يرد أحدا عن منشوده؛ يعطي الشاة والبعير وليس في بيته صاع من الشعير، رغم أنه كانت لا توقد في بيته النار، ويمر عليه الهلال والهلالان، لا طعام له إلا الأسودان التمر والماء، وربما بات أياما طاويا لا يجد العشاء، وكان يجيب الدعوة على الإهالة السنخة والشعير، وكان يجلس على الأرض والبساط والحصير، ومع هذا فقد كان عبدا شكورا، حامدا لله ولنعمائه ذكورا.

وإذا سألت عن موقفه فيمن أخطأ في حقه وأساء، فالعفو شيمته كما قال لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وما انتقم لنفسه ﷺ، يوما ما لم ير أمرا محرما فيكون النكير حينئذ محتما.

وفي غزوة أحد لما شج وجهه ﷺ، وكسرت رباعيته، وسال الدم على وجهه الشريف، لم يصدر منه ﷺ تشف ولا انتقام بل قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (١).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن هذا الحديث، لقد جمع ﷺ في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، أولها أنه قابل إساءتهم العظيمة إليه بعفوه عنهم، وثانيها استغفاره لهم، وثالثها اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، ورابعها استعطافه لهم بإضافتهم إليه، حيث قال: «اغفر لقومي»، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا صاحبي فهبه لي.

وروى الشيخان عن عائشة - رضي الله عنها - في الحديث الذي بين فيه ﷺ ما لقي من أذى ومشقة وتكذيب من أهل الطائف لما ذهب إليهم ليدعوهم إلى الإسلام، حيث ناداه ملك الجبال وقال له: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» (٢). ومعلوم أن الأخشبين مثنى أخشب، وهو الجبل الخشن العظيم، والأخشن من الجبال أغلظها.

وإذا سألت عن معاملته للخدم فلا تحريج ولا عتاب ولا ذم، فهو لم يقل يوما لخادمه «أف» قط، لسوء خدمة أو فعل غلط! وإذا سألت عن خلقه مع أهله، فقد كان خير الناس، يقوم في مهنة أهله، يخيط ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته، وكان يقول: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (٣).

وأما هديه ﷺ، مع سائر البشر، فهو رحيم بمن آمن به ومن كفر، بل تجاوزت رحمته حتى بلغت البهائم والدواب، لينال من الله تعالى عظيم الثواب، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧).

ومما يذكر في ذلك قوله ﷺ وهو يدافع عن راحلته القصواء: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»، وإذا سألت عن مدافعته عن المظلومين، فكان يقول «إنه لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع» (٤).

إن نبينا محمدا ﷺ كان لا يأنف عن عمل فيه لله قربة وطاعة، ولا يستنكف عن المشي مع أرملة محتاجة، ولا يتأخر في تلبية حاجة المساكين والأيتام، وربما تجوز في الصلاة إذا سمع بكاء الغلام، وكان لا يختلف عن أصحابه بجلسة ولا لباس، وإذا دخل عليه الغريب لم يميزه عن سائر الناس، ولم يكن بين يديه حراس ولا حجاب، ولم توصد دون مقابلته الأبواب، وقد بلغ فيه الحياء أنه أشد حياء من العذراء في خدرها، وتكفي في ذلك شهادة الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ

﴿مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ (الأحزاب:٥٣).
وقد كان من وفائه لأصحابه أنه لما توفيت امرأة سوداء كانت تقم المسجد، لم يشهد دفنها، ذهب إلى قبرها وقام عليه وصلى ودعا لها.
وإذا سألتم عن إقدامه ﷺ وشجاعته وخروجه للعدو وملاقاته، فكان إذا حمي وطيس الحرب احتمى به أصحابه من شدة الخطب، فهو شجاع مقدام بلا عنف ورؤوف رحيم بلا ضعف، فهو نبي الرحمة ونبي الملحمة.
وكان من هديه الرحيم أنه لا يصرح باسم مذنب وإنما يقول: «ما بال أقوام»، ولم يعنف الأعرابي حين بال في المسجد، بل علمه طريق الرشد والصواب، ونهى أن ينهر أو يعاب.
كما أنه ﷺ كان رحيما بالأحياء، القريبين منه والغرباء، وكان كذلك مع الأموات، فإذا جن الليل خرج إلى بقيع الغرقد فاستغفر للمؤمنين والمؤمنات ودعا لهم بصالح الدعوات بأن يسبغ الله عليهم شآبيب الرحمات.

## أحبكم وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة

عن عبدالله بن بجينة الأسدي أن رسول الله ﷺ قال في مجلس: «ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني

# بلغت رحمته حتى البهائم والدواب والشجر

مجلسا يوم القيامة»، ثلاث مرات يقولها، قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: «أحسنكم أخلاقا» (٥).
لذلك، وتأسيا برسول الله ﷺ، لا تكون صاحب خلق إلا إذا نقيت السريرة، وأصلحت السيرة، وكان القلب خالص الصفاء، مليئا للمسلمين بالمحبة والإخاء، ولا أخلاق لمن في قلبه الشحناء والبغضاء، فإذا فسدت القلوب فسدت الجوارح، وأولها اللسان، وحلت بالمجتمعات أسوأ العواقب.
ومن حسن الخلق للعبد أيضا أن يكون واسع الصدر، متجنبا الخيانة والغدر، زكي النفس، رحيم القلب، بعيدا عن الفخر والعجب، كثير الحياء، حسن الرجاء، سمح المعاملة، طيب المجاملة، عفّا كريما، وقورا حليما، هينا لينا، عطوفا حنونا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا ظلوما ولا كذوبا، ولا فاحشا ولا متفحشا، ولا حسودا ولا حقودا، ولا قتورا ولا بخيلا، وأن يكون عمله لله مخلصا، وللرياء والسمعة ممحصا.

## وإن تطيعوه تهتدوا

قال الجنيد رحمه الله: إن الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته، فإن الخيرات كلها مفتوحة عليه. وقال أبو العباس بن العطاء، رحمه الله: من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة. ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره، وأفعاله، وأخلاقه، والتأدب بآدابه، قولا، وفعلا، وعرفا، وعقدا، ونية.
اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، اللهم كما حسنت خَلْقَنا فحسن خُلُقنا، اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك التقى والهدى والعفاف والغنى.

### الهوامش

١- جاء في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٦، ص١١٧.
٢- رواه البخاري برقم ٣٢٣؛ ومسلم برقم٤٦٥٣.
٣- رواه الترمذي.
٤- رواه ابن ماجه برقم ٢٤٢٦، وصححه الألباني برقم ٢٤١٧.
٥- رواه ابن حبان برقم ٢٦٧٨؛ وأحمد، ج١١، ص٢٠٢؛ وصححه الألباني برقم ٢٦٤٩.

هشام الصباغ
صحفي مصري



# محب الدين الخطيب العالم الكبير والكاتب الحجة

**في البدء كانت «اقرأ»..**

**أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..**

**وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.**

■ من ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلاني.. أبوه كان أمينا لدار كتب الظاهرية وأحد وعاظ الجامع الأموي بدمشق، كما تولى التدريس فيه.. إنه محب الدين بن أبي الفتح بن عبدالقادر ابن صالح بن عبدالرحيم بن محمد الخطيب، العراقي الأصل (من بغداد).

■ أسرته هاجرت إلى حماة، ونزح فرع منها إلى مدينة دمشق، التي ولد فيها في حي القيمرية في الشهر السابع من سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م.

■ نشأ في بيئة محافظة، فأسرته ذات دين وخلق وعلم. كان محب الدين صغيرا في حجر أمه ساعة موتها في فلاة بين مكة والمدينة بريح السموم، وهي قافلة من فريضة الحج في ركب المحمل الشامي.

■ عند رجوعه إلى دمشق من رحلة الحج ألحقه والده (وهو في السابعة من عمره)، بمدرسة الترقي النموذجية، وحصل منها على الابتدائية، ثم التحق بمدرسة مكتب عنبر.

## دور الجزائري بحياته

■ بعد سنة من التحاقه بمدرسة مكتب عنبر توفي والده، فتولاه الشيخ طاهر الجزائري، الذي كان مشرفا على المكتبات والمدارس في بلاد الشام، ووجهه نحو العلم وملازمة العلماء، وغرس فيه حب الدعوة إلى الله، وحرضه على إيقاظ العرب ليقووا على حمل رسالة الإسلام.

■ وعن الشيخ طاهر الجزائري يقول العلامة محب الدين الخطيب: «من الشيخ عرفت إسلامي وعروبتي».. «ثم قيض الله لهذا اليتيم الضعيف أستاذا في أسمى مراتب الإنسانية، فأخذ بيده، وأحسن توجيهه في الطريق الذي هداه الله إليه في الحياة..، فهو أبوه الروحي».

## «عبدالله باشا العظم»

■ أوصاه الشيخ طاهر الجزائري بالتردد على العلماء: أحمد النويلاتي، وجمال الدين القاسمي، ومحمد علي

مسلم، في مدرسة عبدالله باشا العظم، حيث كانت لهم غرف. وفي هذه المدرسة تفتحت آفاقه العلمية، فقرأ فيها على النويلاتي ألفية ابن مالك، وأتقن تلاوة القرآن.

■ تردد فيها أيضا على حلقة شيخه الجزائري (حلقة دمشق) يستمع إلى رواد الفكر والإصلاح، كالشيخ طاهر والقاسمي والشيخ عبدالرزاق البيطار ومحمد كرد علي وسليم البخاري.. وغيرهم، وكان هو الاستثناء بينهم لصغر سنه، وكانت الحلقة محضنه الأساسي لصقل شخصيته ومنهجيته، لذا شكل على منوالها حلقة سماها «دمشق الصغرى» مع الأمير عارف الشهابي، و د. صلاح القاسمي، وصالح قنباز، وكان هو حلقة الوصل بين الحلقتين.

## بين إسطنبول والقاهرة.. مرورا باليمن

■ في نهاية عام ١٩٠٥م، وصل إسطنبول، والتحق بكليتي الحقوق والآداب. صدمه جهل غالبية الطلاب العرب هناك بقواعد النحو والإملاء، فضلا عن الأدب والثقافة العربية، فأسس عام ١٩٠٦م، جمعية «النهضة العربية» وكان عمره وقتها ٢٠ عاما.

## نشاطه باليمن

■ سافر إلى اليمن مرورا بالقاهرة، فلقي شيخه الجزائري وصديقه كرد علي، كما التقى عددا من قادة الرأي والعلماء كان على رأسهم الأديب التركي عبدالله بك جودت والسيد رشيد رضا ورفيق بك العظم.

■ وصل اليمن ١٩٠٧م، وهناك حرص على التواصل مع اليمنيين والتعرف على أحوالهم، فجدد وطور المدرسة الأميرية فيها، وطلب من زملائه التطوع للتدريس مجانا، وحث التجار على التبرع بأحذية وأقمشة لتوفير زي مدرسي للطلبة، فارتفع عدد الطلبة من ٣ إلى ٣٠٠ في أسبوعين.

■ عمل على إنشاء مطبعة وجريدة تنهض باليمن ثقافيا، فحث زملاءه على تأسيس شركة مساهمة لهذا الغرض وخاطب شركات آلات الطباعة للحصول على «كتالوجاتها»، لكنه لم يتمكن من إتمام المشروع.

## المُعلم في فكر محب الدين

■ يؤمن أن المعلم هو المسؤول الأول عن نقل الأمة من حالة التخلف والجمود إلى حالة الرقي والتقدم، ولذلك ألف في هذه القضية كتابه «إصلاح الأزهر»، كما شارك في تجربة السيد رشيد رضا بإنشاء مدرسة «الدعوة والإرشاد»، التي كانت تهدف إلى إعداد الدعاة.

■ وصل القاهرة في أغسطس ١٩٠٩م، وهنا تبدأ مرحلة جديدة في حياته استمرت ٦٠ عاما ظهر فيها الجانب الثقافي والإعلامي أكثر من الجانب السياسي.

## إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كان حديث الأستاذ محب الدين الخطيب عن شخصية عثمان رضي الله عنه في حلقات عدة في برنامج «شخصيات إسلامية» على تلفزيون دولة الكويت، «واحدا» من دوافع مجلة «الوعي الإسلامي» لدعوته للكتابة عن تلك الشخصية.

■ بدأ سلسلته (ذو النورين) عن سيدنا عثمان رضي الله عنه بترجمة موجزة، تناول فيها، نشأته، مبينا أنه «كان فيها إعداد من الله ليكون حجرا من الأحجار الأولى في بناء الإسلام»، ثم تناول إسلامه ومصاهرته النبي ﷺ وهجرته إلى الحبشة، ثم عرض إلى بعض جوانب أخلاقه وفضائله، مستعرضا قصته مع بئر رومة وشراءه الأرض لتوسعة المسجد النبوي، وتجهيزه جيش العسرة. ثم تحدث عن أيام خلافته، وكيف تولى أمرها، متوقفا بين يدي خطبته بعد توليته الخلافة، ومسألة محاباة أقربائه وتوليتهم، وأوضح موقفه رضي الله عنه من عبيدالله بن عمر في حادث مقتل الهرمزان، وموقفه من أبي ذر الغفاري وإقامته في الربذة، ذابا عما ألقي عليه من افتراء، ثم تناول مسائل عدة أخرى.

## تراثه العلمي

■ كان العلامة محب الدين الخطيب يجيد أربع لغات: العربية والتركية والفارسية والفرنسية، وترك مؤلفات إسلامية عدة تدل على عبقريته وموسوعيته، نذكر منها: «الحديقة» (١٤ جزءا، مختارات في الأدب الإسلامي في مختلف العصور والموضوعات)، «مراسلات بينه وبين الأمير شكيب أرسلان» (بلغت ألف رسالة)، «الأزهر ماضيه وحاضره».

وله تعليقات على كتب عديدة، منها تعليقاته الرائعة على كتاب «العواصم من القواصم» لابن العربي المالكي (وهي أكبر وأهم من الكتاب).

## وفاته

■ توفي عن ٨٣ عاما، قضاها في البحث والتحرير والتأليف، يوم ٢٢ شوال سنة ١٣٨٩هـ/ ٣٠ ديسمبر ١٩٦٩م، بمستشفى الكاتب بالدقي بعد عملية جراحية.

---


## المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٣٨ و٣٩ و٤١ و٤٣.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- «الأعلام» للزركلي.
٤- «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري».
٥- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).




ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

# جريدة البصائر

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

**وتأتي «جريدة البصائر» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.**

## التعريف بالجريدة

هي جريدة أسبوعية جزائرية، تصدر عن جمعية العلماء المسلمين، وهي لسان حالها، شعارها: العروبة والإسلام. صدر أول عدد منها يوم الجمعة ١ شوال، سنة ١٣٥٤هـ، الموافق ليوم ٢٧ ديسمبر، سنة ١٩٣٥م. تولى رئاسة تحريرها الشيخ الطيب العقبي. وهذا الإصدار الأول للمجلة، وقد توقف سنة ١٩٣٩م.

ثم أعيد إنشاء الجريدة من جديد، وقد صدر أول عدد منها يوم الجمعة ٧ رمضان، سنة ١٣٦٦م، الموافق ليوم ٢٥ يوليو، سنة ١٩٤٧م، وتولى رئاسة تحريرها الشيخ البشير الإبراهيمي.

## التعريف بصاحب الجريدة (جمعية العلماء المسلمين)

هي جمعية إسلامية جزائرية أسسها مجموعة من العلماء الجزائريين خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكان من أهدافها إحياء الشعب الجزائري، والنهوض به، وإصلاح مجتمعه، وزرع القيم والأخلاق الإسلامية الرفيعة، والمحافظة على هويته من أجل أن يتبوأ مكانة رائدة بين الأمم وفق هويته الإسلامية والعربية. واتخذت الجمعية «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا» شعارا لها.

تأسست الجمعية على يد الشيخ عبدالحميد بن باديس، في ٥ مايو سنة ١٩٣١م، بنادي الترقي في الجزائر العاصمة، وذلك بعد مرور سنة على إحياء ذكرى مضي قرن على احتلال الفرنسيين للجزائر. وقد حضر الاجتماع التأسيسي ٧٢ من العلماء من مختلف المناطق.

وبعد مضي ست سنوات من تأسيس الجمعية؛ وضع ابن باديس ميثاقا للجمعية، حدد من خلاله دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها.

## أهداف الجمعية

حددت الجمعية الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها في منشور للجمعية نشره الشيخ ابن باديس في جريدة البصائر في العدد رقم ١٦٠، الصادر في السابع من أبريل سنة ١٩٣٩م. وتشمل أهداف الجمعية: «التعليم والتربية، وتطهير الإسلام من البدع والخرافات، وإيقاد شعلة الحماسة في القلوب بعد أن بذل الاحتلال جهده في إطفائها حتى تنهار مقاومة الجزائريين، وإحياء الثقافة العربية ونشرها بعد أن عمل المستعمر على وأدها، والمحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الحضارية والدينية والتاريخية، ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء عليها».

## محتوى الجريدة

لم تخرج الجريدة في محتواها عما هو مبين في أهداف الجمعية، فكان محتوى الجريدة موضوعات وأخبار تخص الجزائر بالدرجة الأولى، ونذكر بعض ما نشر في عددها الأول من الإصدار الثاني، أي سنة ١٩٤٧م.

بعد الاستهلال الذي كتب بقلم الشيخ البشير الإبراهيمي، والذي بدأه بالدعاء، ثم التعريف بالجريدة، ثم التعريف بالجمعية؛ جاء موضوع: من الحقائق العريانة، وهو بقلم الشيخ البشير الإبراهيمي أيضا، تكلم فيه عن التعليم العربي والصحافة العربية، ثم جاء بعده موضوع بعنوان: القضاء الإسلامي بالجزائر، بقلم: حمزة بو كوشة، وقد تكلم فيه عن القضاء الإسلامي في الجزائر قبل دخول الاستعمار الفرنسي.

كما نشر في الجريدة بعض قرارات جمعية العلماء وبلاغاتها.

وفي العدد الثاني كتب الشيخ البشير عن الجمعية وأعمالها ومواقفها، وكتب أبو محمد موضوعا بعنوان: اقتلوا الاستعمار أو يقتلكم... وهكذا مشت الجريدة مدافعة عن العروبة والإسلام داعية إلى الحرية ومكافحة الاستعمار إلى أن توقفت عن الصدور سنة ١٩٥٦م، بسبب حرب التحرير وتأزم الوضع. ثم عادت للصدور سنة ١٩٩٢م، لتتوقف بعد سنة واحدة، أي سنة ١٩٩٣م، وبعد مضي ست سنوات (١٩٩٩م)، عادت البصائر من جديد لتكمل مسيرتها الإصلاحية.

## نسخة مجلة الوعي

تزينت أرفف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» بنسخة كاملة من هذه الجريدة، حيث جمعت أعدادها في اثني عشر مجلدا، أربعة مجلدات للإصدار الأول (١٩٣٥م-١٩٣٩م)، وثمانية مجلدات للإصدار الثاني (١٩٤٧م-١٩٥٦م)، وهي متوافرة للقراء والباحثين.

---

## المصادر


جريدة البصائر.
موقع جمعية العلماء المسلمين.
الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

سلامة عبدالقادر المحاميد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية




# مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (٢)

«أرى المملكة العربية السعودية بعد خمسين عاما منبع إشعاع للإنسانية» عندما قال الملك فيصل - رحمه الله - هذه الكلمات لم يكن يعلم أنه ستولد منها أعمال تخدم الإسلام والمسلمين، والطلاب والباحثين، ويعم نفعها على الإنسانية جمعاء.

فمن رحم هذه الكلمات ولدت منارة مباركة، عم نفعها أرجاء المعمورة من ساعة ولادتها إلى اليوم، وستبقى كذلك بإذن الله إلى ما شاء الله تعالى، فلنتعرف على هذه المنارة المباركة.

تحدثنا في الحلقة الأولى عن نشأة المركز وقصته ورؤيته ورسالته وقيمه وأهدافه الاستراتيجية، ثم شرعنا بالكلام عن مكتبته ونكمل في هذه الحلقة الكلام عنه.

### قسم المخطوطات

افتتح قسم المخطوطات والوثائق سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، وكانت مهمته جمع المخطوطات الأصلية والمصورة وفهارسها وما يتصل بها، وفهرسة هذه المخطوطات وإتاحتها للباحثين والمهتمين، وإنشاء قواعد بيانات باللغة العربية متصلة بالحاسب الآلي تخزن فيها جميع تلك الفهارس والمعلومات في حقول بحثية استرجاعية. كما يقوم القسم بجمع الوثائق المحلية والخارجية المهمة، والصور، واللوحات، والقطع النقدية. ويبلغ عدد المخطوطات الأصلية المقتناة في المركز نحو ٨٠٠٠ عنوان في أكثر من ١٦ ألف مجلد، وعدد المخطوطات المصورة أكثر من ٥٠ ألف عنوان، وعدد فهارس المخطوطات في مكتبات العالم أكثر من ١٠٠٠ عنوان، ويصل عدد الوثائق المسجلة إلى الآن أكثر من ١١ ألف وثيقة، وعدد القطع النقدية نحو ٢٠٠٠ قطعة.



# مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

### قسم ترميم المخطوطات

في إطار سعي المركز إلى جمع الوثائق النادرة والقيمة وحفظها، اهتمت مكتبة المركز بترميم المخطوطات القديمة والنادرة، وإصلاح الأوراق التالفة منها، وقد حصل قسم الترميم في المكتبة على براءة اختراع عن «جهاز الفيصل للتعقيم بالتبريد الجاف»، الذي يقوم بتعقيم المخطوطات والوثائق والكتب عن طريق التبريد الجاف البالغ أكثر من ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، وصنع الجهاز، واقتناه عدد من المكتبات والمراكز البحثية في المملكة وخارجها.

ولا تقتصر أنشطة قسم الترميم على التعقيم فحسب، بل تشمل ترقيم الصفحات، والتنظيف الجاف، واختبار مستوى مادة «اللجنين» في العجينة الورقية، وإزالة الحموضة، والتصليح والتسطيح. وقدم القسم دورات تدريبية معتمدة في معالجة المخطوطات وحفظها لعدد من المكتبات والمؤسسات والمراكز المرموقة داخل المملكة وخارجها، منها: «مكتبة الملك فهد الوطنية»، و«أرشيف ديوان مجلس الوزراء»، و«أرشيف الحرس الوطني»، و«مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث» في دبي، و«وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية» في الكويت، و«مؤسسة الفرقان» في باكستان، و«معهد البيروني للدراسات الشرقية» في أوزبكستان.

ولقد نمى المركز مكتبته خلال السنوات الأولى، وصقل خبرته في الحفاظ على الكتب والمخطوطات من مختلف أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وعقد الاتفاقات مع عدد من المكتبات العالمية المشهورة، منها: «مكتبة المتحف البريطاني»، و«المتحف الوطني الفرنسي للتاريخ الطبيعي»، و«مكتبة الكونجرس الأميركية». ومد المركز عام ١٩٩٨م، يد العون والمساعدة لإعادة افتتاح «المكتبة الوطنية في أوزبكستان»، وأسهم في تجديد «مجمع ضريح الإمام البخاري في سمرقند»، وحصل منه على مخطوطات لا تقدر بثمن.

بدأ المركز توسيع أنشطته عام ١٩٩٩م؛ لتنتقل مهمته من مجرد مكتبة ومركز لحفظ الوثائق إلى جمع الأعمال المعاصرة ونشرها؛ حتى جمعت مكتبته تدريجيا مجموعة كبيرة من الدراسات وأطروحات الدكتوراه على مر السنين. وأصدر المركز في العام نفسه مجلة «الدراسات اللغوية» في اللغة العربية، فكانت نقلة جديدة للمركز ليصبح دار نشر، وأصدر عام ٢٠٠٤م، مجلة «الإسلام والعالم المعاصر»، التي تهتم بنشر أعمال الباحثين المقيمين بالمركز. وهكذا أصبح المركز تدريجيا معروفا لدى المؤسسات الأكاديمية والبحثية في بلدان أخرى؛ بمكتبته ومخطوطاته ومنشوراته، وأسس عام ١٩٩٩م، برنامج «الباحث الزائر» لتسهيل المشاريع البحثية لطلاب الدكتوراه وأساتذة الجامعات والباحثين من جميع أنحاء المملكة ومختلف دول العالم.

ومع الدور المتزايد في مجال البحث العلمي، وبدعم من مكتبته الراسخة وقسم حفظ المخطوطات، انتقل الاهتمام الرئيسي للمركز عام ٢٠١٣م، من الحفاظ على البحث العلمي إلى إنتاجه؛ فتأسست «إدارة البحوث» عام ٢٠١٣م، التي أصدرت عددا من الدوريات التي تهتم بالدراسات الثقافية والأدبية والأنثروبولوجية، وتحلل القضايا السياسية والاستراتيجية؛ مثل: دراسات، ومسارات، وقراءات.

وللمركز موقع رسمي على الشبكة العنكبوتية، يمكن من خلاله التواصل والاستفادة من معلومات ومحتويات المركز بشكل كبير.

ولابد أن نذكر أن رئيس مجلس الإدارة لهذا الصرح العلمي والحضاري والإنساني هو: صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وأن الأمين العام له منذ ٢٠١٦م، هو الأستاذ الدكتور سعود السرحان.

### وختاما

لقد أنشئ هذا المركز العظيم، والصرح الكبير؛ لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعد المركز اليوم منصة بحث تجمع بين الباحثين والمؤسسات؛ لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، ويهدف إلى توسيع نطاق المؤلفات والبحوث الحالية؛ لتقديمها إلى صدارة المناقشات والمساهمات العلمية، واهتمامات المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، والفنون والآداب.

ففي عصر يكثر فيه الانقسام يبرز المركز بوصفه منارة للتسامح والعلم وتعزيز التفاهم بين الثقافات، ومنبع إشعاع للإنسانية كما أراد الملك فيصل رحمه الله.

## ذاكرة الحفاظ

«كان الصديقان الحافظان ابن عساكر وأبو سعد السمعاني يمشيان في طلب الحديث ولقاء الشيوخ، فاستوقف الحافظ السمعاني شيخا ليقرأ عليه كتابا في الحديث، فبحث عن الكتاب في جعبته فلم يجده، فاغتم وضاق صدره. فقال له الحافظ ابن عساكر: ما الكتاب الذي تبحث عنه؟ فقال السمعاني: كتاب البعث والنشور لأبي داود. فقال ابن عساكر: لا تحزن، ثم قرأه أو بعضه من حفظه!».

**(ذيل تاريخ بغداد، ١٤٢/٢١)**

## اللعب بالعمر

قال العلامة سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «من لعب بعمره ضيع أيام حرثه، ومن ضيع أيام حرثه ندم أيام حصاده».

**(حفظ العمر لابن الجوزي، ص:٦٥)**

## ورع وديانة

حكى الحسن بن عرفة أن عبدالله بن المبارك استعار قلما من رجل بالشام وحمله إلى خراسان ناسيا، فلما وجده معه بها، رجع إلى الشام حتى أعطاه لصاحبه.

**(تهذيب التهذيب، ٣٨٧/٥)**

## عقوق اليوم

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى: «من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه؛ فقد عق يومه وظلم نفسه».

**(فيض القدير، ص:٢٨٨)**

## منهج قويم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أهل السنة لا يبتدعون قولا، ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفا لهم، مكفرا لهم، مستحلا لدمائهم، كما لم يكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين المخالفين لهم».

**(منهاج السنة النبوية، ٩٥/٥)**

## المشاهد

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «اذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد أحدها: مشهد التوحيد، وإن الله هو الذى قدره وشاءه وخلقه وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. الثاني: مشهد العدل، وإنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه. الثالث: مشهد الرحمة، وإن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وانتقامه، ورحمته حشوه (أي ظاهرة بلاء وباطنه رحمة). الرابع: مشهد الحكمة، وإن حكمته سبحانه اقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاه عبثا. الخامس: مشهد الحمد، وإن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه. السادس: مشهد العبودية، وإنه عبد محض من كل وجه تجرى عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت أحكامه الدينية فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه».

**(الفوائد، ٣٢/١)**

## الرشيد والمعلم

قال الشيخ خلف الأحمر رحمه الله: بعث إلي الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين فقال: «يا أحمر إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعلمه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه. ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه، فتميت ذهنه. ولا تمعن في مسامحته، فيستحلي الفراغ ويألفه. وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة».

**(مقدمة ابن خلدون، ٣٤٨/١)**

## تغير الصديق

قال العلامة ابن حزم الأندلسي رحمه الله تعالى: «وأنا أعلمك أن بعض من خالصني المودة، وأصفاني إياها غاية الصفاء، في حال الشدة والرخاء والسعة والضيق والغضب والرضا؛ تغير علي أقبح تغير بعد اثني عشر عاما متصلة في غاية الصفاء، ولسبب لطيف جدا ما قدرت قط أنه يؤثر مثله في أحد من الناس، وما صلح لي بعدها، ولقد أهمني ذلك سنين كثيرة هما شديدا.

ولكن، لا تستعمل مع هذا سوء المعاملة فتلحق بذوي الشرارة من الناس وأهل الخب منهم، ولكن هاهنا طريق وعرة المسلك شاقة المتكلف، يحتاج سالكها إلى أن يكون أهدى من القطا، وأحذر من العقعق حتى يفارق الناس راحلا إلى ربه تعالى، وهذه الطريق هي: طريق الفوز في الدين والدنيا يحرز صاحبها صفاء نيات ذوي النفوس السليمة والعقود الصحيحة، ويحصل مع ذلك على سلامة الدهاة وتخلص الخبثاء ذوي النكراء والدهاء، وهي: أن تكتم سر كل من وثق بك وأن لا تفشي إلى أحد من إخوانك ولا من غيرهم من سرك ما يمكنك طيه بوجه ما من الوجوه، وإن كان أخص الناس بك... إلا لضرورة لا بد منها، واجتهد وعلى الله تعالى الكفاية».

**(مداواة النفوس لابن حزم، ص:٢٢)**

## العلم مواهب

قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله: «العلم مواهب يؤتيه الله من أحب من خلقه، وليس يناله أحد بالحسب، ولو كان لعلة الحسب؛ لكان أولى الناس به أهل بيت النبي ﷺ».

**(انظر: طبقات الحنابلة، ١/ ٧٥)**

## درجة الأبرار

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من أحب أن يلحق بدرجة الأبرار؛ فلينو في كل يوم نفع الخلق فيما يسر الله من مصالحهم على يديه».

**(انظر: الإيمان الوسط، ص:٦٠٩)**

## من لم يعمل هنا ندم هناك

قال الإمام المبجل أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «الدنيا دار عمل، والآخرة دار الجزاء، فمن لم يعمل هنا؛ ندم هناك».

**(الزهد للبيهقي، ص:٢٨٢)**

## لطف الله

أوصى العلامة ابن قدامة رحمه الله إخوانه قائلا: «واعلم أن من هو في البحر على اللوح، ليس بأحوج إلى الله تعالى وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله».

**(الوصية المباركة، ص:٧٧)**

## خصلة تستر العيوب

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «بلغنا أن قس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟

فقال: هي أكثر من أن تحصى... فوجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها.

قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان».

**(كتاب الأذكار، ١/ ٤٢٣)**

د. زياد موسى عبدالمعطي
باحث بقسم الأمراض
البكتيرية - مركز البحوث
مصر

# الأعداء والأصدقاء من الميكروبات

**الميكروبات هي الكائنات الحية الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة، وترى بوسائل التكبير المختلفة، والفكرة السائدة عند عامة الناس أن الميكروبات ضارة وتسبب الأمراض وقد تسبب الوفاة، وهذا جزء من الحقيقة، وبقية الحقيقة أن الكثير من الميكروبات نافع ومفيد للبشرية، ففي كل المجالات في الحياة هناك ميكروبات صديقة ونافعة، وأخرى من الأعداء ضارة، كما تبين السطور التالية أمثلة قليلة على ذلك:**

توجد أنواع من الميكروبات تسبب الأمراض، وهناك أنواع أخرى تستخدم لعلاج الأمراض:

- **ميكروبات ممرضة:** الكثير من الميكروبات تسبب الأمراض للإنسان والنبات والحيوان، وقد تؤدي إلى الوفاة.
- **ميكروبات علاجية:** بعض الميكروبات تستخدم لعلاج الأمراض مثل بعض الفيروسات البكتيرية التي تقضي على البكتيريا المرضة، وكذلك هناك أبحاث تجرى لاستخدام بكتيريا لعلاج الحموضة، وهناك أبحاث حديثة لاستخدام بعض الميكروبات المفيدة لعلاج السرطان، بل هناك العديد من الأبحاث لاستخدام الميكروبات أو بعض منتجاتها في مكافحة الكثير من الأمراض التي تصيب النبات والحيوان والإنسان فيما يعرف بالمكافحة الحيوية للأمراض.

الميكروبات والطعام: هناك ميكروبات ضرورية لصناعة الأطعمة، وأخرى تفسدها، ومجموعة أخرى لحفظ الطعام.

• **الميكروبات الضرورية في صناعة الأطعمة:** هي كثيرة؛ منها الخميرة في صناعة الخبز، وبكتيريا لاكتوباسيلس في صناعة الزبادي.

• **الكثير من الميكروبات تسبب تلف الأطعمة:** مثل فطر عفن الخبز، وكثير من أنواع البكتيريا التي تسبب تلف الأغذية المحفوظة، والتي قد تؤدي عند تناول هذه الأطعمة إلى حالات التسمم، وقد تؤدي إلى الوفاة.

• **ميكروبات تستخدم لحفظ الأغذية:** مثل بعض الفيروسات البكتيرية التي تقضي على البكتيريا الضارة، حيث سمحت الولايات المتحدة الأميركية منذ عدة سنوات باستخدام خليط من الفيروسات البكتيرية لحفظ الأغذية؛ حيث تمنع هذه الفيروسات نمو البكتيريا التي تفسد الأغذية، وهذه الفيروسات ليس لها أي تأثيرات ضارة على الإنسان.

• **الميكروبات والبيئة:** هناك ميكروبات ملوثة للبيئة وأخرى تستخدم لمحاربة التلوث؛ حيث إن من أنواع التلوث المعروفة تلوث المياه بالميكروبات الضارة نتيجة الصرف الصحي، وإلقاء جثث بعض الحيوانات، وهناك ميكروبات أخرى مفيدة يتم استخدامها في تنقية المياه من التلوث الميكروبي والكيميائي نتيجة صرف المصانع في المجاري المائية، وتوجد ميكروبات يتم استخدامها في مكافحة التلوث الناجم عن تسرب البترول في البحار، بل منذ فجر التاريخ تلعب الميكروبات دورا أساسيا في التخلص من جثث البشر الحيوانات والنباتات.

• **الميكروبات والطاقة:** الوقود في الماضي والحاضر والمستقبل مرتبط بنشاط الميكروبات؛ في الماضي قامت بعض أنواع البكتيريا بتحويل بقايا الحيوانات والنباتات في أعماق الأرض في مختلف القارات والبحار والمحيطات إلى الوقود الحفري من الفحم والبترول والغاز الطبيعي، وفي الحاضر والمستقبل تستخدم الميكروبات في تحويل المخلفات النباتية والحيوانية إلى وقود حيوي، ويتم إجراء أبحاث لاستخدام بعض الميكروبات في المستقبل في تحويل ثاني أكسيد الكربون الموجود في الهواء إلى وقود، واستخدام ميكروبات أخرى في تحويل الطاقة الشمسية لطاقة كهربية.

• **عمليات استخباراتية ضد الأعداء من الميكروبات:** وذلك باستخدام بعض خلايا (أفراد) هذه الميكروبات لأخذ معلومات منها تفيد كيف تعمل هذه الأعداء من الميكروبات، واستخدامها في طرق وسياسات الدفاع المختلفة ضد هذه الأعداء، مثلما يستخدم في التطعيم ضد الأمراض البشرية والبيطرية، حيث يتم إعطاء جرعة أو جرعات من الميكروبات الضارة التي تم إضعافها، أو الميكروبات الميتة التي تم قتلها أو جرعة مخففة من سمومها تنشط أجهزة المناعة، مما يتسبب في تجهيز الوسائل الدفاعية اللازمة لمقاومة أي محاولة هجوم وغزو من هذه الأعداء من الميكروبات.

بل إن هذه العمليات المخابراتية ضد هذه الأعداء من الميكروبات تتم بصفة دورية وروتينية في معامل الأبحاث التي تعمل في مجال الأمراض التي تصيب الإنسان والحيوانات والنباتات، حيث يتم عزل المسببات المرضية، ودراستها، ودراسة أفضل الطرق للوقاية من الأمراض المختلفة وعلاجها.

بتغيير موقع الميكروب يمكن أن تتغير صفته من صديق إلى عدو والعكس، مثل بكتيريا إيشيرشيا كولاي E. Coli الموجودة في الأمعاء تعيش معيشة تكافلية داخل الأمعاء، فهي صديقة، وتستعمل في معامل الميكروبيولوجي ومعامل الوراثة في إجراء التجارب العلمية، ولكن عندما تخرج مع البراز وتلوث المياه ثم تدخل جوف الإنسان مع الشراب أو الطعام، فهي تسبب الأمراض فتصبح من الأعداء.

والأعداء من الميكروبات قد تصبح من الأصدقاء إذا تغير مكانها، فالبكتيريا المسببة لمرض العفن البني في البطاطس من الأعداء البكتيرية؛ حيث إنها تسبب خسائر لمحصول البطاطس ونباتات أخرى ذات أهمية اقتصادية في مختلف أنحاء العالم، أمكن استخدامها في بيئة أخرى لتصبح صديقة ومفيدة، حيث تم استخدامها في القضاء على حشائش غير مرغوب فيها في بعض الغابات.

لذلك؛ يجب الاستفادة من الأصدقاء من الميكروبات، والعمل على مكافحة الأعداء من الميكروبات، بل أيضا العمل على الاستفادة من هذه الأعداء وجعل بعضها صديقة.




# كيف تبدد الحزن والقلق؟

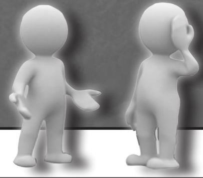
كثيرة هي الأدعية النبوية لتبديد الحزن والقلق منها دعاء الهم والحزن، ودعاء الكرب، وكثيرة هي الكتب التي تدور حول تبديد الحزن والقلق؛ منها «جدد حياتك» و«لا تحزن» و«دع القلق وابدأ الحياة»، وغيرها الكثير.

فإلى كل من يعيش ضائقة، أو أصابه هم أو حزن، أو مصيبة، أو من يعاني الأرق، نقول ما أسهل علاج مشكلاتك!! فقط؛ اذكر الله وألهج له بالدعاء المأثور، وتذكر رحمته وغفرانه، وتوكل عليه، وأحسن الظن به، وعش في حدود يومك، واترك القلق، واترك المستقبل حتى يأتي، وتذكر نعم الله عليك، وأحسن إلى الغير، وافعل الخير ينشرح صدرك، فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، والتحلي بالعفو والصفح والصبر الجميل طريق للسعادة، وأشغِل أوقات الفراغ بكل نافع مفيد، وأعط المحروم، وساعد المحتاج، وأنقذ المكروب، وأعِن المنكوب تغمرك السعادة، ويتبدد حزنك وقلقك.

ولنردد الدعاء الذي كان الرسول ﷺ يكثر منه: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال» (رواه البخاري، ٧/١٥٨).

المحرر: فضلا عن كل ما ذكرت يجب مواجهة المشكلة المسببة لهذا القلق وعدم الاكتفاء بالصبر عليها، وإلا اعتبر ذلك سلبية من صاحب المشكلة.

**• محمد عباس عرابي**



# أهمية الوقت

الله من علينا في عصرنا هذا بالأجهزة الحديثة التي وفرت الوقت، فزادت مسؤوليتنا أمام الله عما توفر لنا من وقت وجهد، فقد كان العلماء في الماضي يقطعون المسافات بالشهور والأيام؛ لتحصيل العلم، أو تحقيق الأحاديث، فيما تقطعه الطائرة اليوم في سويعات. وقد كانت ربة المنزل إلى وقت قريب تقضي يوماً طويلا في غسل الملابس، الآن في دقائق معدودة تستطيع بالغسالات الأوتوماتيكية الحديثة إنجاز المهمة، وهناك أيضا الوسائل التقنية؛ مثل: الحاسبات الآلية، والإنترنت، والبريد الإلكتروني، والهاتف، والهاتف المحمول، وآلات تصوير المستندات. والفاكس.

شدد العلماء على أن تقدم الأمم وازدهارها يأتي من حسن استغلالها للوقت واستثماره في العمل، مطالبين الشباب والنساء والرجال بحسن استغلال الوقت في القرب من الله، والإخلاص في العمل، ورفع طاقة الإنتاج؛ من أجل رفعة الأمة وعلو شأنها. ولفتوا إلى ضرورة العناية بالوقت، وملئه بالعمل حتى لا يوجد فراغ، فالفراغ داع إلى الفساد، والنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، فالشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة. إن وضوح الهدف، ومعرفة أهمية الوقت، سبب لاستغلاله، فعلينا بترتيب الوقت وتنظيمه واستغلاله بأن تجعل لك جدولا يوميا وأسبوعيا وخلال الإجازات لكي تستغل وقتك على الوجه المطلوب.

المحرر: لو لاحظنا سنجد أن أكبر فارق بين الإنسان في الدول المتحضرة ونظيره في الأمم الأخرى هو علاقته بالوقت، هل هي علاقة استثمار أم استهلاك!

**• د. عبدالله الزبير بكر**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com





## مرحبا بطلاب العلم

نحن مجموعة من طلاب جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، بالمملكة العربية السعودية. ونحن مهتمون غاية الاهتمام بالعلم الشرعي، ولاسيما: الفقه والأصول واللغة والتفسير والتاريخ.. وغيرها.

ونمى إلى علمنا أنكم توزعون الكتب العلمية التخصصية على طلاب العلم، وقد همتنا أنفسنا للسفر إليكم؛ لأننا في غاية الحاجة لها، وخصوصا كتاب: (المذهب عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة)، وسنسافر بإذن الله إلى الكويت لأجل زيارتكم والحصول على نسخ من إصداراتكم.

وما زاد طمعنا أنكم في كل خير تضربون، ومشاريعكم ذات جودة، وقد بحثنا في المكتبات؛ فلم نجد مطبوعات «الوعي الإسلامي» حتى قالوا لنا: هذه كتب وقفية نادرة الوجود ارحلوا إليها في الكويت.

كذلك تميزت مطبوعاتكم بالتفرد والنفاسة والجودة، أسال الله أن يبارك فيكم وأن يعينكم.عنهم

**عبدالله الغامدي**

**السعودية - مكة المكرمة.**

**المحرر**: مجلة «الوعي الإسلامي» ترحب بكل القراء الأفاضل، وتأنس بهم ومن واجبنا أخي الكريم تشجيع طلبة العلم بكل ما نملك من إمكانات متاحة.. وفقكم الله لما فيه الخير وأهلا وسهلا بكم.

## الشاعر العربي والطبيعة

ولع الشعراء بالطبيعة أمر لا يخفى على قارئ الشعر العربي، وهي خاصية لازمت الشعراء العرب؛ ذلك بأن الطبيعة، لدى هؤلاء تمثل تفجيرا للأحاسيس الإنسانية، وطلبا لما هو أحسن وأفضل وأصفى في الحياة، يقول الشاعر المغربي محمد بنعمارة، رحمه الله، في معرض استلهامه للطبيعة:

**«إلى الآن نحن في انتظار عاشق**
**يبايع الحدائق الجميلة،**
**ويزرع السنابل،**
**ويحرس الورود في مداخل القرى،**
**ويرسم استدارة الثرى،**

ويكتب القصيدة التي
يقول جرسها:

**محمد... محمد... محمد (١)».**

وقد تصبح الطبيعة، أو بعض عناصرها، إشارات قوية إلى مشاعر فياضة وأفراح تتوحد تتعانق إيذاناً بحياة جديدة أنقى، وأطهر، وأسمى.

يقول الشاعر بنعمارة أيضاً:

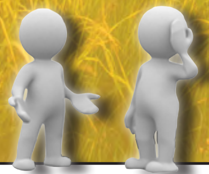
**كنا نأتي كالمطر، وكالثلج لتفرح أرض الله.**
**كنا نمزج زرقة ماء الشعر**
**بخضرة تصوير غيبي،**
**كنا نتوحد، نتوحد، نتوحد (٢).**

المحرر: الطبيعة هي الملهم الأول للشاعر يأتي بعدها تجربته الذاتية ومحصلته المعرفية والثقافية، ولعلنا نغتنم الفرصة ونوجه الدعوة للعناية بالطبيعة ومنع التغول عليها مما نشهده باسم التطوير والحداثة.

**الهوامش**

١ - ديوان «السنبلة»، محمد بنعمارة، طبعة دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص:٨٥-٨٦.

٢- المصدر نفسه، ص:١٢-١٣.



**• د. رشيد سوسان**

مسك الختام

# فوائد التسامح

ليس فقط لأنه أمر رباني وخلق إسلامي وفعل النبي الكريم محمد ﷺ، ومنهج الإسلام على مر التاريخ؛ لكن لأن للتسامح فوائدة كثيرة وعوائده مجزية لمن أراد الاستثمار في العفو والصفح عن الآخرين في الدنيا والآخرة.

هذا هو مطلب الكثيرين، ورغبة الناس أجمعين في الحصول على الأجر والثواب في دنياهم وآخرتهم. ربنا سبحانه وتعالى يدعونا إلى العفو والصفح عن الآخرين إذ يقول تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ (البقرة:٢٣٧). كما يقول تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ (الشورى:٤٠). ويقول أيضا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ (الحجرات:١٠).

أما النبي الكريم محمد ﷺ فله من الأحاديث الكثيرة التي تدعونا إلى التسامح والتواضع والتساهل مع الآخرين والصفح عنهم وصلة الرحم.

قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذي. وقال ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» رواه البخاري.

هذه صورة الإسلام في التسامح والصفح عن الآخرين، أما عن فوائد التسامح فهي كثيرة ومتعددة، لا يمكن حصرها أو تحديدها، لكن سنحاول رصد أبرزها، وما يعود بالخير على المتسامحين والمتساهلين مع الآخرين.

ولعل أول الفوائد المرجوة من وراء التسامح تعود على المتسامح نفسه، إذ إنه يتحرر من الماضي والضغوطات النفسية والاجتماعية التي تتولد عند الغضب والخصام والزعل مع الآخرين، فهو بمسامحته لمن أساء إليه يبني علاقات إيجابية، وينطلق نحو تحقيق أهدافه من دون أي تأثير سلبي لترسبات الماضي، وخلفيات الخصام التي قد تحد من انطلاقته وتضع أمامه العوائق والمطبات. كذلك فإن من فوائد التسامح توثيق العلاقات وتقوية الروابط الاجتماعية؛ وهو الأمر الذي يزيد شبكة المعارف؛ مما قد يساعد المتسامح في بلوغ أهدافه المختلفة من خلال تنوع معارفه وعلاقاته الذين سيساعدونه في تحقيق ما يسعى إليه.

يستفيد الإنسان من التسامح في بناء شخصيته وصقل ذاته وأفكاره من خلال قدرته على التحكم بانفعالاته وكسبه الاحترام وثقة الآخرين بتسامحه مع الغير، أيضا التسامح يجلب السعادة والرضا والشعور بالحبور؛ لتجاوزه عن أخطاء الآخرين وابتعاده عن الغضب والانفعال، إضافة إلى إدخاله السرور في قلب من يتم مسامحته والعفو عنه.

يقود التسامح كذلك إلى المودة بين أفراد المجتمع وبناء شخصيات محبة متآلفة يسيرها الرضا والقبول والخلق الكريم؛ لابتعادها عن الغضب والحقد والإساءة للآخرين.

ولا يكتسب المتسامح الراحة النفسية والشعور بالرضا فقط؛ إنما أيضا يكتسب محبة الله والناس، فهو شخصية سمحة متسامحة تحب الصفح عن الآخرين وتتجاوز عن الإساءات والغضب، وهذا يمنح صاحبها الرفعة وعلو الشأن والتقدير الكبير.

لسنا بصدد حصر فوائد التسامح وتحديد آثارها؛ إنما سلطنا الضوء على جانب منها؛ لنبين أهميتها وأثرها وقيمتها، وندعو الناس إلى أخذ التسامح منهج حياة ومسار عمل في هذه الدنيا القصيرة، عسى أن تكون أخلاقنا الطيبة وأنفسنا السمحة وعفونا عن الآخرين شفيعا لنا في الآخرة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (الشعراء: ٨٨-٨٩).

عايد الجاسم

# جديدنا




**جزء فيه التحذير من ترك الواضحة**
**وقول ما لم يقل السلف التقي والتنبيه على غلط القائل**
**كتب في يوم الحديبية النبي الأمي**

يأتي هذا الإصدار ليشكل لبنة جديدة في سلسلة ذخائر مجلة الوعي الإسلامي، ويركِّز فيه مؤلفه العلامة عبدالله بن مفوَّز المعافري المتوفَّى سنة: (٤٧٥هـ) رحمه الله على جزئية مهمَّة وهي مسألة غلط القائل: «كتب في يوم الحديبية النبي الأمي» صلى الله عليه وسلم، بعد أن حَذَّر القائل بما لم يقل به سلف الأمّة في هذه المسألة. وهو كتاب فريد في بابه، مفيد لقرائه.

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw




## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

العدد ٦٣٥ -السنة ٥٥ - رجب ١٤٣٩ هـ - مارس - ٢٠١٨ م

العدد (٦٣٦) شعبان ١٤٣٩ هـ - أبريل ٢٠١٨ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

هدية العدد مطوية: «أسباب اختلاف الرواية عن الإمام أحمد رحمه الله»

## الوعي الإسلاميُّ في مَهرَجان الثَّقَافة والكتاب العربي الثَّالث في إسْطنبول

- الرؤية القُرآنيَّة للأزمَة الاقتصَاديَّة
- تحويل القِبلة المغزى والمعْنَى
- البتكوين في ميزان الشَّريعَة



نائب رئيس الوزراء التركي رجب آقداغ
يصافح رئيس التحرير في جناح الوعي الإسلامي



مجلة الوعى الإسلامى


www.alwaei.gov.kw


alwaeiq8@gmail.com

موقع مجلة الوعي الإسلامي


# جديدنا




**أنظمة الدفع الإلكتروني المعاصر غير الائتماني**
**في الفقه الإسلامي.. دراسة مقارنة**

يعتبر هذا الكتاب من الإصدارات المهمَّة؛ لما يحتويه من دراسة أنظمة الدفع الإلكتروني من الناحية الشرعية، مع وضع الضوابط والمحددات لاستخدامها، ويبرزُ الكتاب إيجابيات هذه الأنظمة وسلبياتها من الناحية الاقتصادية، مع دراسة مستقبل النقد وتطوره في ظل التكنولوجيا الحديثة.

# الافتتاحية

رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام



# الاقتصاد الإسلامي.. الواقع والمأمول

الحمد لله الذي أرسى أصول الاقتصاد في كتابه؛ فقال جل جلاله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء:٢٩). وقال سبحانه مثنيا ومادحا لعباده المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان:٦٧). أحمده سبحانه حمدا كثيرا طيبا مباركا؛ فهو أغنى وأقنى، وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الغنى، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خير من حث على الاقتصاد ولقواعده أرسى.

أما بعد؛ فلا شك أن المال هو شريان الحياة التنموي والمادي، كما أن الدين هو شريان الحياة الروحي والمعنوي. وقد تنافس الناس بسعي حثيث في تحصيله وحيازته، غير أن صحة هذا السعي أو فساده مرهونة بحسن القصد؛ لأن المال سلاح ذو حدين، فهو لأهل الإسلام نعمة يحمدون الله تعالى عليها، وهو لأهل الكفر حسرة وبلاء؛ لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:٣٦).

لا ريب أن الشريعة الإسلامية جاءت حاضة على عمارة الأرض وتنميتها اقتصاديا بما يكون عونا على أداء حق الله فيها، قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم:٤٧٩).

ومن هنا فقد حرص الإسلام أشد الحرص على توفير ركائز لتحقيق هذه التنمية الاقتصادية واستمرارها، ولعل من أبرزها: تحقيق الاستقلال الاقتصادي والتنمية المستقلة لدى المجتمع المسلم؛ ليكون قائدا لا منقادا، ومتبوعا من قبل غيره لا تابعا.

فالاستقلال الاقتصادي يعني سيطرة المجتمع المسلم على مقدرات بلاده الاقتصادية دون تدخل الغير؛ لذا فإن التنمية الاقتصادية لدى المجتمع المسلم لا يمكن أن تتم دون التنمية المحلية المعتقة من رق الغير لها.

ولا شك أن التنمية الاقتصادية الإسلامية لا تعترف بتنمية الإنتاج الاقتصادي بمعزل عن حسن توزيعه، كما أن جهود الاقتصاد الإسلامي وأهدافه يجب أن تكون مصوغة بعناية فائقة للقضاء - قدر الطاقة - على فاقة المسلم، ولو تأمل الناس حقيقة المفهوم الاقتصادي الإسلامي؛ لما وقعوا في مثل ما نراه من فوضى وتخبط في بعض المجتمعات.

فالاقتصاد الإسلامي هو في الحقيقة توازن في التنمية، واعتدال في السوق المالية، ويحمل المجتمع المسلم إلى الاعتدال والموازنة دون إفراط أو تفريط؛ ولذا كان واجبا على المجتمعات المسلمة أن تسعى جاهدة إلى أسلمة اقتصادها وتنميته؛ فالتقدم الحقيقي في الاقتصاد؛ إنما يجيء في الدرجة الأولى من خلال ربطه بالقيم والمبادئ الإسلامية، والاحتفاظ له بالصبغة التي أرادها الله، وعدم تشويهه بوضعه في قوالب الاقتصاد الوضعي الذي ربما يكون من أسباب الذل والهوان والضعف؛ لقوله ﷺ: «إذا - يعني ضن الناس بالدينار والدرهم - تبايعوا بالعين، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم بلاء، فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» (رواه أحمد، رقم:٤٨٢٥).

وأخيرا؛ فإن الاقتصاد الإسلامي يحتاج إلى جهود المخلصين من العلماء وأهل الاقتصاد للنهوض به إلى المستوى المطلوب، مع مراعاة السير ضمن خطوات علمية مدروسة وجادة؛ للوصول إلى الهدف المنشود. ورحم الله من قال:

**في ازدياد العلم إرغام العدا ... وجمال العلم إصلاح العمل**
**لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل**

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٦ | شعبان ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
أبريل ٢٠١٨م



**المراسلات**
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد: ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان: ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر: دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net



# في هذا العدد





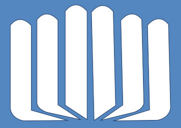

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس: ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



## المحتويات





## كلمة العدد

### انصر أخاك

جاء في عيون الأثر أن النبي ﷺ عندما عاد من رحلة الإسراء والمعراج وقص على قريش ما حدث، انطلق نفر منهم إلى أبي بكر رضي الله عنه يسألونه عن موقفه من الخبر، فقال لهم: «لئن كان قال ذلك لقد صدق». وكانت حجته رضي الله عنه منطقية للغاية؛ فهو يصدق الرسول الكريم فيما هو أبعد من ذلك، أي أن جبريل يأتيه بخبر السماء وآيات الذكر الحكيم، فلماذا لا يصدقه في أمر الإسراء والمعراج؟! هنا نتوقف عند الأخوة والصداقة والإيمان والثقة وإعمال العقل أيضا.. وهنا درس من أهم دروس نصرتك لأخيك المسلم ما لم يقترف إثما. فعندما قال سيد المرسلين في الحديث الصحيح يوصي أصحابه: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما»، ثم تعجب أحد الصحابة وقال: «أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما؟». عندها قال صلوات الله وسلامه عليه: «تأخذ على يده وتمنعه من الظلم فتكون قد نصرته». المسلم مطالب إذن بالوقوف مع أخيه المسلم يؤازره في الحق ويمنعه من الظلم، وهذا لو تدبرناه حق التدبير لانصلح حال مجتمعاتنا في ذكرى حادثة مهمة تحولت فيها قبلة الصلاة ودخل فيها المسلمون اختبارا مهما.

**مدير التحرير**
**فهد الخزي**

## الاشتراكات


• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

التحرير


زيارة نائب رئيس الوزراء التركي رجب آقداغ لجناح الوعي الإسلامي



بمشاركة «الوعي الإسلامي»

# انطلاق فعاليات مهرجان الثقافة والكتاب العربي الثالث بإسطنبول

انطلقت في مدينة «إسطنبول» التركية فعاليات مهرجان الثقافة والكتاب العربي الثالث تحت شعار «مدارسنا إحياء للتراث وبناء للمستقبل» بمشاركة وحضور عربي كثيف لكتاب وأدباء ومثقفين ودور نشر ومطبوعات كبرى في مقدمتها مجلة «الوعي الإسلامي».

وثمن رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي د. صالح النهام الدور المتميز الذي تقوم به الجهات المنظمة لهذا المهرجان، الذي انطلق برعاية مشكورة من رئاسة الجمهورية التركية، وبحضور نائب رئيس الوزراء التركي رجب آقداغ.

وأكد د. النهام، الذي شارك في هذه الفعاليات، أن مجلة الوعي الإسلامي التابعة لقطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية دائما ما تحرص على المشاركة الفعالة في المعارض الدولية انطلاقا من مسؤوليتها في إبراز الجانب الثقافي والأدبي العربي والإسلامي الوسطي المعتدل بهدف تحقيق الريادة عالميا في العمل الإسلامي من خلال خطة إستراتيجية على المستويين الداخلي والخارجي.

وشدد على أن مشاركة مجلة الوعي الإسلامي تؤكد الدور الريادي لدولة الكويت في هذه المحافل الدولية، عبر نشر الثقافة ضمن قالب إسلامي وسطي معتدل ومنهج مدروس.

وأوضح أن جناح مجلة الوعي الإسلامي في هذا المهرجان المتميز شهد إقبالا منقطع النظير، حيث توافد عليه الزوار على اختلاف مشاربهم لاقتناء المؤلفات العلمية والثقافية الصادرة عن مجلة الوعي الإسلامي، مضيفا أن هذه الإصدارات المتميزة تتنوع بين العلمي المتخصص؛ لإفادة المتخصصين وطلاب العلم، والثقافي؛ لتستفيد منه شريحة المثقفين بوجه عام.

ولفت إلى أن إقبال الأطفال كان كبيرا على معرض المجلة، ما عكس رغبتهم في اقتناء إصدارات مجلة براعم الإيمان الملحقة بمجلة الوعي الإسلامي، والتي تحاكي سن الطفولة بين ٦ و ١٢ سنة.

وأشار د. النهام إلى أن الكتب المعروضة ضمن المهرجان في نسخته الثالثة هذا العام تنوعت عموما بين ثقافية وإسلامية وتاريخية واقتصادية،


زيارة شيخ الخطاطين حسن چلبي لجناح الوعي الإسلامي


جانب من الحضور

باللغتين العربية والتركية، فضلا عن كتب الأطفال والمجلات العلمية.

ووجه د. النهام الشكر للجهات المنظمة لهذا المهرجان، خصوصا المكتبة الهاشمية ممثلة في مديرها الأستاذ جزمي آقكول، مثمنا جهودهم في التنظيم الدقيق لهذا المهرجان سائلا الله لهم دوام التوفيق والسداد.

جدير بالذكر أن مهرجان الثقافة والكتاب العربي الثالث بإسطنبول عقد في مدينة إسطنبول التركية في الفترة بين ٢ و ١١ مارس الماضي بمشاركة ١٢ دولة عربية هي: الكويت، السعودية، سوريا، العراق، لبنان، الأردن، مصر، الجزائر، تونس، المغرب، السودان وقطر، كما بلغ عدد المؤسسات المشاركة ٦٠ مؤسسة من ٢٢ دولة عربية وإسلامية، علاوة على أكثر من ٨ آلاف كتاب عربي.

ونظم المهرجان اتحاد الكتاب التركي (فرع إسطنبول)، وجمعية المعارف الخالدية للعلم والثقافة، ودار الهاشمي، وحرصت الجهات المنظمة على التنوع الثقافي وتعدد المشارب العلمية، من خلال دعوتها للعديد من المؤسسات العلمية الحكومية والأهلية للمشاركة بهذا المهرجان. وشارك في حفل الافتتاح أكثر من ١٠٠٠ شخصية من علماء وأدباء ومثقفين أتراك وعرب وأجانب.

وعقدت على هامش المهرجان عدة فعاليات وأنشطة تنوعت بين الندوات والنقاشات الدولية، وقمة علماء وأكاديميي العالم الإسلامي، ومعرض صور متنوعة (ثقافية، ووطنية).



إقبال على جناح الوعي

محمد التلاوي
صحفي مصري

## في ندوة للمكتبة الوطنية

# الكويت.. مركز تجاري قبل ٢٠٠ سنة

نظمت المكتبة الوطنية ندوة عن «موسوعة لمحات عن الاقتصاد الكويتي القديم» للباحث فهد غازي العبدالجليل، بحضور المدير العام للمكتبة كامل العبدالجليل، والأمين العام لرابطة الأدباء الكويتيين طلال الرميضي، ومجموعة من الأدباء، والمثقفين، والباحثين والمهتمين بالتاريخ الكويتي.

وتوثق الموسوعة لحقبة مهمة في تاريخ الكويت وتطور علاقاتها الاقتصادية والتجارية. وقد استغرق العمل في هذه الموسوعة، التي تقع في ٩٨٠ صفحة، نحو عامين، وتتكون من جزأين؛ تناول الأول منها لمحات عن تاريخ الاقتصاد الكويتي القديم، بينما تضمن الثاني تاريخ وإنجازات جمعية المحاسبين والمراجعين الكويتية منذ إشهارها في فبراير عام ١٩٧٣م.

واستهل الباحث فهد العبدالجليل حديثه بأن الدافع الأساسي وراء هذا العمل هو إعداد موسوعة توثق تاريخ ومسيرة جمعية المحاسبين والمراجعين الكويتية.

وأوضح أنه استعان في إعداد هذه الموسوعة بمجموعة من الكتب والوثائق من مركز البحوث والدراسات الكويتية إلى جانب مصادر تاريخية مهمة مثل كتب الدكتور يعقوب الحجي التي كانت المرجع الأول لتاريخ وتراث الكويت البحري، وكذلك كتب للرحالة الأجانب الذين تحدثوا في أعمالهم عن اقتصاد الكويت منذ نشأتها.

### الاقتصاد قديما

ثم انتقل العبدالجليل إلى الحديث عن الجزء الأول من الموسوعة المتعلق بلمحات عن الاقتصاد الكويتي القديم، وجمع اللؤلؤ، وكيفية تسجيل حسابات بيعه وتاريخ السفر الشراعي والحسابات الخاصة به وتسجيلها، علاوة على ما دونه الرحالة الأجانب من معلومات مهمة عن حجم أسطول الكويت والميناء القديم والعلاقات التجارية بين الكويت والهند، وكيف كانت الكويت مركزا تجاريا منذ أكثر من مئتي عام، والأسباب التي جعلتها تصل لهذه المكانة في وقت مبكر من نشأتها.

ولفت إلى أن: «اقتصاد الكويت منذ نشأتها كان يقوم على مهنة الغوص لاستخراج اللؤلؤ من باطن البحر ثم تطور الحال في الربع الأخير من القرن الثامن عشر إلى السفر ونقل التجارة بالسفن الشراعية».

### من البصرة إلى الكويت

وأشار العبدالجليل إلى أن: «الوضع الاقتصادي للكويت تطور ليشمل السفر والنقل وبدأ ذلك تحديدا في عام ١٧٧٥م، عقب انتقال الوكالة التجارية الإنجليزية (شركة الهند الشرقية الإنجليزية) إلى الكويت في عهد الشيخ عبدالله الأول الحاكم الثاني للبلاد، ويعد هذا التاريخ بداية للعلاقات المباشرة بين الكويت والهند، وكان لهذه العلاقة التجارية بين البلدين أثر إيجابي كبير على اقتصاد الكويت القديم».

وأوضح أن: «انتقال الوكالة التجارية الإنجليزية من البصرة إلى الكويت بعد محاصرة الفرس للبصرة آنذاك كان لعدة أسباب أهمها: الموقع الجغرافي الملائم للكويت حيث تقع في الطرف الشمالي من الخليج العربي، وأيضا لامتلاك الكويت أسطولا كبيرا من السفن والتي كانت حينها سفنا للغوص»، مضيفا أن: «أول من تحدث



## اقتصاد البلاد تطور بعد انتقال الوكالة الإنجليزية إليها

عن هذا الأسطول ممثل شركة الهند الشرقية الهولندية الذي بعث تقريرا لرؤسائه في المقر الرئيسي للشركة وتحدث فيه عن وجود أسطول من ٣٠٠ سفينة في الكويت يعمل عليها نحو ٤ آلاف رجل».

ولفت الباحث في موسوعته إلى أن: «التجار الكويتيون كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة في المنطقة نظرا لنشاطهم تجاريا حيث كانوا يصدرون التمور التي يجلبونها من العراق واللؤلؤ المستخرج من البحر، ثم تطور الوضع بعد ذلك لتصبح البلاد مركزا لتصدير الخيول، فبالرغم من أنها لم تكن تمتلك خيولا عربية إلا أنها كانت تجلبها من الدول المجاورة، ومن ثم تقوم بتصديرها للهند عبر أسطولها الضخم من السفن، وبعد الانتهاء من تسويق هذه البضائع، تجلب السفن بضائع هندية متنوعة مثل التوابل والشاي والأرز لبيعها في موانئ المنطقة العربية وشرق أفريقيا واستمر هذا الحال حتى خمسينيات القرن الماضي».

كذلك كانت الكويت محطة للقوافل التجارية قديما وأول من تحدث عن هذه المكانة ممثل شركة الهند الشرقية الإنجليزية في كتابه «رحلة من إنجلترا إلى الهند» في عام ١٧٧٣م، «وفي زمن الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت السابع زادت الحركة والنشاط التجاريين للبلاد؛ فجرى تأسيس دائرة للجمارك في عام ١٨٩٩م، وكان لهذه الدائرة دور كبير في تمويل الدوائر الحكومية التي تأسست لاحقا وأيضا في تمويل خزينة الدولة حيث كانوا يحصلون رسوما على واردات السفن القادمة إلى الكويت»، بحسب ما ذكره العبدالجليل.

### جمعية المحاسبين

ثم انتقل الباحث فهد العبدالجليل إلى الحديث عن الجزء الثاني من موسوعته والذي يتناول تاريخ جمعية المحاسبين والمراجعين، فقال إن: «فكرة تأسيس الجمعية ترجع لمجموعة من الطلبة الكويتيين الذين درسوا في كلية التجارة بمصر عام ١٩٦٨م، وبينهم العم يوسف صالح العثمان حيث علموا في أثناء دراستهم بالقاهرة أن هناك ما يسمى بنقابة التجاريين وكانت لخريجي كلية التجارة وتقتصر فقط على الخريجين المصريين دون الأجانب، فلما عادوا إلى الكويت راودتهم فكرة إنشاء جمعية للمحاسبين والمراجعين داخل الجامعة فأسسوا هذه الجمعية».




وأضاف أنه: «رغم أن طلبة المحاسبة كانوا قليلي العدد حينها؛ إلا أنه كانت لديهم رغبة قوية في تأسيس هذه الجمعية التي نظمت في تلك الفترة العديد من الأنشطة العلمية والثقافية والاجتماعية ووفرت الكتب الدراسية التي كانت تستوردها من مكتبات بعض الدول العربية بسعر زهيد».

وتطرق إلى الدور الذي قام به أعضاء الجمعية خلال الغزو العراقي الغاشم على الكويت سنة ١٩٩٠م، وأثنى على الدور المهم الذي لعبه أمين سر الجمعية حينها علي الهاجري، وحفاظه على وثائق وأسرار الجمعية وانتقاله إلى دولة الإمارات العربية الشقيقة لمواصلة عمل الجمعية من هناك.

واختتم العبدالجليل قائلا: إن «موسوعة لمحات عن اقتصاد الكويت قديما؛ ضمت بين دفتيها قصة كفاح الأجداد لبناء هذا الوطن الغالي خلال حقبة مليئة بالصعوبات والمعوقات، وكيف تغلبوا عليها».

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة
الأوقاف الكويتية

# الروح القرآني والقلوب الميتة

القرآن الكريم كتاب حياة يؤثر فيها تأثيرا لا تنكره عين؛ فينقل الناس من الظلمات إلى النور، ومن العمى إلى البصر، ومن الصمم إلى السمع.

لقد كان لهذا الكتاب الكريم التأثير الواضح في الجيل الأول من هذه الأمة؛ فنقلهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الشتات إلى الوحدة، ومن الجهل إلى العلم، ورأى العالم الحق والعدل والخير على أيديهم.

فتحوا العالم وأداروا شؤون الناس بالحكمة لا بالجهل؛ تلك الحكمة التي استمدوها من كتاب الله تعالى، ورعوا حقوق الإنسان حق رعايتها، فلم يظلموا من عاهدهم، وتمتع الناس في ظل حكمهم - المستضيء بالوحي - بما لم ينالوا من خير قبل دخول الإسلام بلادهم.

## القرآن والحياة

بين القرآن والكون أوثق الصلات، فكلاهما من الله تعالى، القرآن كلامه والكون خلقه. ولا تجد في الدنيا كتابا يحدثك عن الكون والحياة كما يحدثك القرآن. ومن أراد حياة سعيدة يستمتع فيها بما قسمه الله له من خيرات ويستطيع خلالها التغلب على العقبات، فليقرأ هذا الكتاب قراءة متدبرة، وكلما دققت النظر فيه وكلما تأملت حوادث الحياة تعجبت لغفلة الناس عن الدواء الذي يقدمه القرآن لما يعانون من مشاكل.

## عندما هجر القرآن

ما تشتت شمل المسلمين، بعد أن كانوا يعيشون أمة واحدة، ولا ذلوا بعد العزة، إلا عندما أداروا ظهورهم للقرآن، أو قسموه أقساما؛ يؤمنون ببعضه ويدعون عدم اقتناعهم بالبعض الآخر، أو يعملون ببعضه ويؤخرون العمل بالبعض الآخر حتى يقتنعوا! ما تأخر المسلمون عن المكانة اللائقة بهم إلا عندما تحكمت فيهم أهواؤهم فاتبعوها،

وعندما استمعوا إلى الآراء المتضاربة فعجزوا عن الاهتداء بهدي القرآن ووقفوا أمامها حائرين، والقافلة تسير وهم حيارى، وعندما برزت الفتن التي تعوقهم عن مسيرة التقدم فانشغلوا بها ولم يبحثوا عن مخرج منها في كتاب الله، وعندما اشتعلت نيران الشهوات فلم يهذبوها بآداب القرآن الذي يبقيها سبيلا للحياة وليس سببا للموت، وعندما وقفوا في مفترق الطرق يتساءلون: أي الطرق نسلك؟ والقرآن يهديهم إلى أقرب الطرق وآمنها، وعندما اختلطت المصالح بالمفاسد كان القرآن يناديهم:

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ (البقرة:٢٢٠)، وعندما تزينت العقائد الباطلة لتغوي الضعفاء كانت حقائق القرآن تكشف هذا الزيف وتبين الإله الحق وأدلة ذلك.

## نقلة ضخمة

لم يكن الجيل الأول، الذي عاصر نزول القرآن، يختلف عن غيره من العرب؛ فالأخلاق واحدة، والأفكار واحدة لما جاء القرآن واستقبلوه أحسن استقبال وعرفوا أنه الحق من ربهم فاستمسكوا به والتزموا بأوامره، استفادوا من العبادات التي جاءت في القرآن وزكت نفوسهم، يقرأ أحدهم القرآن فتنزل الملائكة لسماعه؛ عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «تلك السكينة تنزلت بالقرآن» (صحيح البخاري).

سمعوا قول الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ (النساء:٦٥)، فحكموا كتاب الله في أنفسهم وأحبابهم، وطبقوا حكمه ولو كان في مصلحة أعدائهم، بذلك صلحوا وأصلح الله بهم العباد والبلاد، سادوا الناس بالحق وقادوهم بالرفق، وزرعوا فيهم الرحمة والحب والسلام.

## دوام الحاجة إلى القرآن

في ظل الصراع المحتدم بين بني البشر، ذلك الصراع الذي يأكل الأخضر واليابس، والذي يتسلح فيه الخصوم بكل سلاح خال من الشرف والفضيلة، سلاح لا يبقي ولا يذر، بل يكفي لتدمير الأرض عدة مرات.

في الوقت الذي تعلو فيه صيحة الأنا فلسان حال البشر - إلا من رحم الله تعالى - أنا ومن بعدي الطوفان.

في الوقت الذي يعمل شياطين الإنس على نشر الإباحية والتحلل.

في الوقت الذي يشعر فيه الإنسان بأنه محروم من خيرات الكون الذي خلقه الله وسخره له.

وفي كل وقت وحين تبدو الحاجة ملحة للعودة لوحي السماء ذلك الكتاب الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ (فصلت:٤٢).

لكي ينعم العالم بالسلام، ويسعد الفرد بالطمأنينة، ويسعى جاهدا لما فيه خير البشرية واستقرارها.

لكي يسود التعارف بدلا من التناكر، والوئام بدلا من القتال، والتعاون بدلا من الشقاق.

إن الحياة مع القرآن وبالقرآن تبارك العمر والعمل وتزكي النفس وتقوي الإيمان ويبقى المسلم في حفظ الله ورعايته ما بقي مع كتابه الكريم «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (صحيح مسلم).

حمزة بلقروية
باحث في الفكر الإسلامي

# مسلمون ولكن...

كلنا نقر ونشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهذه الشهادة هي الفيصل بين المسلم وغير المسلم، بل هي الركن الأول في الإسلام ومن نطق بها بيقين وتصديق أصبح ينتمي إلى أمة الإسلام.

ولكن إذا بحثنا عن الإسلام في حياة المسلمين، اصطدمنا بالحقيقة المؤلمة والتي لا مفر منها وهي أننا مسلمون اسما وبلا إسلام واقعا، بل إذا أتينا بشخص محايد وقدمنا له مجموعة من الكتب حول الإسلام ومقاصده ومعانيه، ثم قلنا له: قارن ما قرأت بواقعنا نحن وحياتنا. فإنه سيجيبنا قطعا بأننا لا نمثل ما استنتجه من قراءته بل يمكنه القول بأن واقعنا هو نقيض ما قرأ، وهذا ما جعل المفكر والفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي يقول بعد إسلامه: «الحمد لله الذي عرفني بالإسلام قبل أن يعرفني بالمسلمين»، وهذه المقولة تصف حالنا اليوم وتنبهنا بالتمزق الذي حصل بيننا نحن المسلمين وبين حقيقة رسالة الإسلام.

فالمسلم هو من استسلم وخضع لله ورضي بأمره وحكمه قولا وعملا، ومشكلتنا نحن اليوم أننا جعلنا مفهوم الإسلام يقف عند القول، وأهملنا الجانب العملي، فغاب الإسلام في سلوكنا وتعاملنا فيما بيننا وفي تعاملنا مع الآخر.

وقد تجد كثيرا من المسلمين يحدثونك عن الإسلام ومقاصده، ولكن إذا نظرنا إلى أعمالهم ونظام حياتهم وجدنا العكس تماما، بل نقيض ما يقولون، ولهذا قال النبي ﷺ في حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عندما سأله الصحابي سفيان بن عبد الله أن يقول له في الإسلام قولا لا يسأل عنه أحد غيره فأجابه ﷺ بمعنى شامل ومختصر: «قل آمنت بالله، ثم استقم»، والاستقامة أن نلتمس الإسلام في أقوالنا وفي أعمالنا وحتى في أفكارنا لا تفريق بينهم، فعندما أصبح الإسلام عندنا شعارا دون عمل، وأقصيناه من واقع الحياة أصبحنا أمة متخلفة حضاريا وعلميا وأخلاقيا، ولا يكون الحل إلا أن نعيش بالمعنى الحقيقي للإسلام، ونجعله نظاما شاملا لكل مجالات الحياة.

نشرت منظمة الصحة العالمية تقريرا حول استهلاك الكحول لعام (٢٠١٤م)، والمفاجئ في هذا التقرير أن الدول الإسلامية هي في صدارة الترتيب من حيث الاستهلاك، والمعلوم لدى جميع المسلمين أن شرب الخمر حرام بالنص القرآني، وأكدت السنة النبوية هذا الحكم أيضا، أفلم يقل لنا الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ (المائدة: ٩٠-٩١)، وجاء في الحديث النبوي الذي رواه الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «مدمن الخمر إن مات لقي الله كعابد وثن»، ولا أحد منا ينكر أو يجهل هذه الآية وغيرها من الأحاديث النبوية التي تؤكد على حرمة شرب الخمر، ومع ذلك يقبل عليها كثير من المسلمين.

فعندما بدأت البحث عن السبب وطرحت السؤال على نفسي لم أجد إلا إجابة واحدة تفسر هذا الواقع وهي أننا لم نأخذ ديننا بجدية وبقوة، ولهذا قال لنا الله عزوجل منبها لهذا الأمر: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ (مريم: ١٢) ويقول العلامة الطاهر بن عاشور معلقا على هذه الآية في كتابه التحرير والتنوير: «والأخذ: مستعار للتفهم والتدبر، كما يقال: أخذت العلم عن فلان، لأن المعتني بالشيء يشبه الآخذ. والقوة: المراد بها قوة معنوية، وهي العزيمة والثبات. والباء للملابسة، أي أخذا ملابسا للثبات على الكتاب. أي على العمل به وحمل الأمة على اتباعه، فقد أخذ الوهن يتطرق إلى الأمة اليهودية في العمل بدينها».

وذكر الله لنا قصص الأمم الأخرى للاعتبار بها ولعدم الوقوع في نفس الأخطاء وهنا الخطر الكبير وهو أن نأخذ ديننا بضعف ووهن مع الفصل بين مفهوم الإسلام ورسالته وبين واقعنا وأعمالنا.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «ليس الإسلام طلقة فارغة تحدث دويا ولا تصيب هدفا، إنه نور في الفكر، وكمال في النفس، ونظافة في الجسم، وصلاح في العمل، ونظام



يرفض الفوضى، ونشاط يحارب الكسل، وحياة فوارة في كل ميدان».

وهذه هي حقيقة الإسلام التي يجب علينا كمسلمين الالتزام بها وجعلها منهاجا لحياتنا.

وتعتبر هذه المخالفات بعض آثار الفصل الذي نعيشه بين الإسلام وسلوكياتنا فأصبح مفهوم الإسلام عندنا مقتصرا على القول، وغائبا في الأعمال، وأكد على هذا المعني الإمام الآجري في كتابه «الشريعة»، حيث نقل ما قاله الإمام البخاري رحمه الله: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم - ثم ذكر بعضهم، ثم قال:- فما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء: إن الدين قول وعمل».

فلابد لنا أن نوقف هذا النزيف ونعود جميعا إلى الله ملتزمين بشريعته في أنفسنا كأفراد وفيما بيننا كجماعات، وعلينا أن نأخذ ديننا كاملا كما جاء به رسول الله ﷺ دون الفصل بين أجزائه، فإننا نحن المسلمين اليوم في حاجة ماسة للإسلام حتى يستقيم حالنا، ونبني حضارتنا من جديد، ونؤدي رسالة الإسلام، ونقيم شريعة الله في الأرض.

فعندما لم نأخذ القرآن والسنة بجدية وبصدق انحرفنا عن الطريق الصحيح، واتبعنا طريق الشهوات والهوى، كثير منا يقرأون القرآن ويحفظونه، ولكن لا يقفون على معانيه، ولا يعملون به، بل يمرون عليه مرور الكرام، وهنالك من جعل القرآن في الرفوف لا نلجأ إليه إلا في المناسبات ولقراءته على الأموات، ونسينا أن القرآن أنزل علينا لنعيش به وننطلق بمعانيه في الحياة ونعمل به، فهو الكتاب الخالد الذي وعدنا الله بحفظه، وأمرنا بإقامة حدوده وتطبيق ما فيه من أحكام وتشريع والالتزام بآدابه والعمل بأوامره وترك نواهيه، فالقرآن ليس كلاما يقرأ، بل هو منهاج حياة، لا يمكن فصله عن الواقع.

وفي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عندما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي ﷺ قالت: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» فقد كانت حياته تطبيقا وترجمانا لما جاء في القرآن الكريم، ومن هنا نفهم أن السنة النبوية لا استغناء عنها ولا فصل بينها وبين القرآن فهي تفسير لأحكامه وتطبيق لمعانيه مع انفرادها في التشريع بأحكام لا ترد في القرآن.

وقد فهم الصحابة الكرام هذا الأمر وارتقوا إلى هذه الدرجة من اليقين والتطبيق، وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنه بإسناد صحيح متصل أنه مكث أربع سنوات في تعلم سورة البقرة، وهو ما رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى»، فقد كان رضي الله عنه لا يمر من آية إلى التي تليها حتى يفهم معناها ويتعلم حكمها ويعمل بها.

وكانت همة الصحابة رضوان الله عليهم في فهم القرآن والعمل به، ويظهر ذلك في قول التابعي الجليل أبي عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا ما فيهن من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعا»، وهذا ما نحتاجه اليوم في واقعنا أن نأخذ القرآن والسنة بالعلم والعمل، وأن تكون سلوكياتنا تطبيقا عمليا للإسلام، لأن الصحابة عندما فهموا هذا الأمر خرجوا للحياة بقوة ونشاط، فأقاموا أعظم حضارة عرفها التاريخ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

محمد جمال الدين حليم
باحث دراسات إسلامية



# حضارة المسلمين.. ماض مشرق ومستقبل واعد

**إن كان لأمة من الأمم أن تتباهى بما أحرزته في الميدان الحضاري فلأمة الإسلام الحظ الوافر، والنصيب الأوفر. فلم يكن عيبا يوما أن نفاخر بما حققناه في هذا الميدان الرحب؛ فلقد خط المسلمون الأوائل بأقلامهم حضارة نيرة بفضل ما خلفوه من كنوز معرفية وثقافية انتقلت روافدها للغرب والشرق، وأضاءت الطريق، وشقت طريقها للتقدم والرقي للعالم أجمع، فكانت ضياء يستضاء به، وقبسا يقتبس منه.**

خط علماؤنا الأماجد بجهودهم واكتشافاتهم وإسهاماتهم في صفحات الحضارة ما يعود بالنفع على البشرية جمعاء، وكان لهم فضل السبق فيما وصلوا إليه.. ولم لا؟ وقد حملوا مشاعل نور تضيء الطريق للبشر عامة على اختلاف مشاربهم ومآربهم وراحوا ينثرون الخير على البسيطة كلها.

ومع خفوت ضوء التقدم للمسلمين، الآن، وارتفاع نبرات اليأس والتشاؤم، تجدر الإشارة إلى ما كان عليه الأسلاف الأوائل من تقدم ورقي؛ كي يتجدد الأمل، وتعلو الهمم، ويحدونا الشوق بوصل هذا الماضي العريق بمستقبلنا الزاهر، فنعيد صياغة حاضرنا بما يحقق لنا السعادة في عاجل أمرنا وآجله...

يحلو للبعض أن يقارن بين ما توصل إليه الغرب والمسلمون في فترة ما، وهذه ظاهرة تبدو صحية، لا نختلف معها، إلا أن ما يثير الدهشة والعجب حقا هو وصم هذا البعض المسلمين بالتخلف والرجعية، متذرعين بأسباب واهية، وكلمات منثورة.. ولندع التاريخ

**كانت الأندلس عند الفتح الإسلامي غارقة في الجهل والفوضى**

يقص بنفسه ما كان، فهو الحكم الفصل، والكلمة الباقية، والشاهد الذي لا يتجمل.

## ماض عريق

لقد كانت الأندلس، عندما فتحها العرب، في أوائل القرن الثامن، خاضعة للقوط المغتصبين الظالمين، ولا تختلف عن بقية بلاد غرب أوروبا المعاصرة؛ من حيث انتشار الجهل والتأخر والفوضى، بسبب النزاع الاجتماعي، والفتن الداخلية، ومن أكبر مظاهر التفكك والانقسام: أن جوليان، أحد كبار الأمراء، اشترك مع رئيس أساقفة إشبيلية في مساعدة

المسلمين على فتح الأندلس[١].
ويذكر جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: أن المسلمين ما كادوا يتمون فتح الأندلس، حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يبعثوا فيها الحياة، فعمروا الأراضي والمدن، وأقاموا المباني الفاخرة، ووطدوا صلات تجارية وثيقة مع الأمم الأخرى، وشرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب، ويترجمون كتب اليونان والرومان، وينشئون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوروبا زمنا طويلا، ومن ثم أصبحت «طليطلة»، بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس سنة ١٠٨٥م، مركز انتشار الثقافة العربية إلى باقي نواحي الأندلس وأوروبا[٢].

ويقارن «لوبون» بين الأندلس العربية وسائر أرجاء أوروبا، فيقول: «لقد تمتعت الأندلس بحضارة سامية بفضل العرب، بينما كانت بقية أوروبا غارقة في ظلام وتأخر، ولو سار الغرب تحت راية العرب لتسامت منزلته، ولو رقت أخلاق أهله ما وقعوا في الحروب الدينية».

ففي الوقت الذي غط فيه الغرب في الخرافات والأوهام في العصور الوسطى، انشغل المسلمون بالحديث عن كروية الأرض ودورانها، والأجرام السماوية وحركاتها، حتى برع العشرات من علماء المسلمين النابغين الذين كانوا، ولا يزالون، يحتفظون بمكانتهم العلمية ليس عند المسلمين وحدهم، بل وعند الغربيين أيضا.

ويشبه المفكر «راندل» العرب، في العصور الوسطى، بالألمان في العصر الحديث، فيقول: «كان العرب في القرون الوسطى، يمثلون التفكير العلمي، والحياة الصناعية العملية، اللذين تمثلهما اليوم ألمانيا الحديثة[٣]، وخلافا لليونان لم يحتقر

## المسلمون إبان عصر الفتوحات كانوا أشبه بالألمان في العصر الحديث

العرب المختبرات العلمية، والتجارب المصورة، وقد ورثت أوروبا عنهم ما ترغب أن تسميه بـ (روح بيكون)، التي تطمح إلى توسع نطاق حكم الإنسان على الطبيعة، فقد حفظ عرب الأندلس، في القرن العاشر الميلادي، العلوم والآداب التي أهملت في كل مكان، حتى في القسطنطينية، ولم يكن في العالم في ذلك الحين بلاد يمكن الدرس فيها، غير الأندلس العربية، وإليها كان يقصد الأوربيون المتعطشون، وكان منهم «جربرت»، الذي أصبح بابا للمسيحيين في سنة ٩٩٩م».

وفي التاريخ، تصدر ابن خلدون، وكانت مقدمته المَعين الذي لا ينضب، حتى استمد منها «أوجست كنت»، العالم الفرنسي، الكثير من آرائه، ولم يكن ابن خلدون وحده، بل زامله غيره من أمثال ابن حيان، والقرطبي، وابن الأثير، والطبري، وغيرهم الكثير.

وفى الكيمياء يقول «جوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب»: المسلمون وحدهم هم الذين اخترعوا ملح البارود كمادة متفجرة قابلة لإطلاق القذائف، وعنهم أخذته إنجلترا، ثم بقية أوروبا، ولقد كان المسلمون هم أول من حاول كشف الإكسير الذي يحول المادة والمعادن إلى ذهب، كما استفادوا من ذلك في التجميد، والتحليل، واكتشاف النشويات، والمواد السكرية»، ومن علماء المسلمين في الكيمياء، جابر بن حيان، كما أنه برع في الفلك، والهندسة، وعلم المعادن، والفلسفة، والطب، والصيدلة[٤].

ولقد حفلت جهود المسلمين في الطب بالكثير، فمن ينكر سبق أبى القاسم الزهراوي، صاحب كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»، وهو أول كتاب في الجراحة، وقد ذكر فيه مؤلفه كيفية تفتيت الحصى في المثانة، وكيفية تشريح الأجسام الحية والميتة، وإجراء عمليات العيون والأسنان والولادة، وغيرها مما يعمل بأصولها اليوم؟

فلم يقف المسلمون في القرن الثامن الهجري مكتوفي الأيدي، كما وقف الغربيون، مثلا، أمام انتشار الطاعون، الذي هب له الطبيب الغرناطي ابن الخطيب المسلم ليؤكد نظرية العدوى، ويبرهن عليها، من خلال كتابه «حقيقة السائل عن المرض الهائل».

كذلك يعد أبو بكر الرازي أول من وصف الجدري والحصبة، وأول من قال بالعدوى الوراثية، وأول من استخدم الماء البارد في علاج الحميات، كما يعد ابن سينا أول من تكلم عن السكتة الدماغية، الناتجة عن كثرة تدفق الدم، وهو من وصف أعراض حصى المثانة، وبين أثر المعالجة النفسية في الشفاء، ولقد كان كتابه «القانون في الطب» بمثابة المرجع الطبي لفترة طويلة، وهو أيضا مَعين العرب والإفرنج الطبي لفترة ناهزت الثمانية قرون.

وفي الفيزياء لمعت أسماء المسلمين القدامى كابن الهيثم وغيره؛ فهو أول من وضع أسماء لأجزاء العين؛ ومازالت تعرف بها إلى الآن، كالشبكية والقرنية والسائل الزجاجي والسائل المائي، وغيرها، ولقد تكلم عن العدسات وقوى تكبيرها بالأدلة والتجارب، ولعل كتابه «المناظر»، والذي يقع في سبعة مجلدات، هو أقدم الكتب في علم البصريات، ومن جهود المسلمين في هذا المجال: اختراعهم الإبرة المغناطيسية (البوصلة)، التي توضح الاتجاهات، واختراعهم «المزوار»، الذي يحسب الفترات الزمنية أثناء



رصد النجوم، وسبقوا أيضا بمعرفة قوى الجاذبية، وأن الضوء أسرع من الصوت، كذلك عرفوا آلات الظل والمرايا.. ولقد حار «شارلمان»، من هدية «هارون الرشيد» له، حينما أهداه الساعة الدقاقة، ولم يستطيعوا فهمها، لفترة ولا طريقة تركيبها.

ولم تقف جهود المسلمين عند هذا فحسب، بل تخطته، فمن علماء المسلمين القدامى من نبغ في أكثر من مجال، كل يشار إليه فيه بالبنان، كابن الهيثم الذي نبغ في الطب والفيزياء والرياضيات والفلك، وأيضا ابن سينا، والخوارزمي، وابن البناء.. وغيرهم.

ولقد حل المسلمون مشكلة أوروبا في علم الرياضيات بوضعهم «الصفر»، والكسور العشرية، وحلهم المعادلات المكعبة. ولنا أن نفاخر بأن أول رسالة في الرياضيات في أوروبا عام ١٤٨٣م، كانت مأخوذة من العلم المسلم «البتاني» وأن مصادر أوروبا الرياضية إلى الآن هي ترجمات لكتب المسلمين الأوائل.

### شهادات الغربيين

لم يقف التاريخ عند امتداح المسلمين أنفسهم بفضل ما حققوه من إنجازات بهرت العقول وخطفت الأنظار إليها لدقتها وتقدمها آنذاك، بل لقد ذكر المنصفون من الغربيين فى كتبهم وآرائهم ما يدل على تبوء المسلمين هذه المكانة بجدارة..

يقول الفيلسوف «برنارد شو»: إن أوروبا لن تتماثل من علتها، التي تكاد تودي بها، إلا إذا أخذت بأصول الحضارة الإسلامية وعملت بها.

وتقول المستشرقة «زيجريد هونكة»: إن هذه الطفرة العلمية الجبارة، التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري؛ فسيادة أبناء الصحراء، التي فرضوها على الشعوب، ذات الثقافات القديمة، وحيدة في نوعها.

وتضيف: إن الإنسان ليقف حائرا، أمام هذه المعجزة العربية العقلية الجبارة، التي لا نظير لها، والتي يحار الإنسان في تعليلها وتكييفها.

يقول المؤرخ الأميركي فيكتور: بينما كان أشراف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم، كان أبناء قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس، وكان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة، بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع مكتبة الإسكندرية العظيمة. ويضيف: كانت أوروبا تغرق في ظلام حالك بعد غروب الشمس، بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة.

بل لقد تعجب «دابر» الفيلسوف الأميركي من تقدم المسلمين قائلا: كانت تأخذنا الدهشة أحيانا، عندما ننظر في كتب العرب، فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد إلا في زماننا.

إن ما ذكرته عن وجود المسلمين، وتمكنهم حضاريا، غيض من فيض، وقليل من كثير.. فأي موسوعة تسع، وأي كتاب يتسع؟.. لكننا، والحالة هذه، نجدد الثقة في جهود علمائنا، الذين تبوا المكان والمكانة، وكلنا أمل أن نأخذ من ماضينا المشرق، ما يسهم في إعادة بناء حاضرنا، فلنجدد الثقة، وليعل الفخر، ولتعد أمجادنا تعانق السماء؛ لننعم جميعا بمستقبل زاهر واعد، خطته أيادي المسلمين المتوضئة، وعقولهم الذكية.

### هوامش

١- من أبحاث د. عبدالحليم عويس.

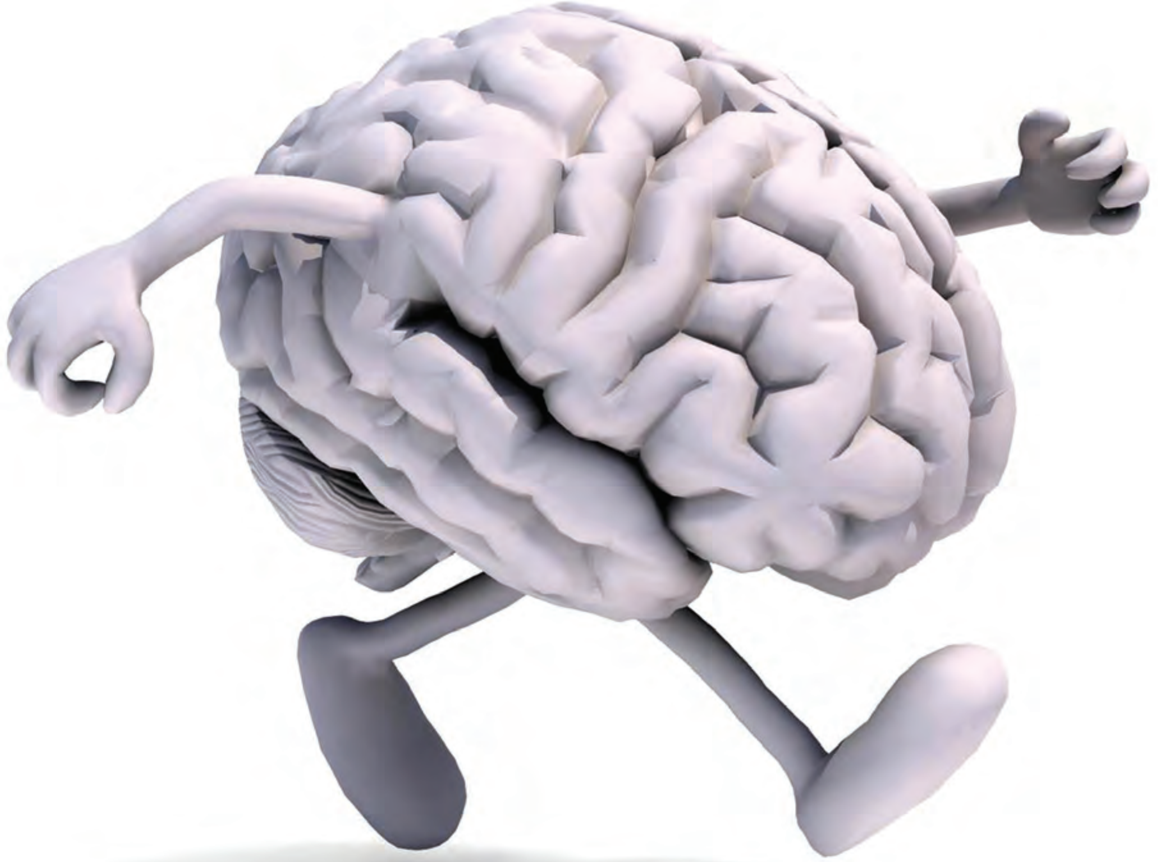
٢- د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة، ميادين الحضارة العربية الإسلامية وأثرها على الفكر الأوروبي: ج٢، تاريخ العلوم عند العرب، دار الفنون العلمية بالإسكندرية ١٩٩٤م.

٣- المرجع السابق، ص ب.

٤- من مقال د. مسعد عبدالسلام بمجلة التبيان العدد ١٥٠، بتصرف كبير.

مصطفى القلاوي
كاتب وباحث إسلامي
مصر

# تسليم العقل للنقل



من أبرز سمات المنهج الوسط الذي ميز الأمة الإسلامية عن غيرها أنه يوازن بين العقل والنقل (الوحي)، إذ الناس في تناولهما ليسوا على درجة واحدة، إنما حدث أن اختلفت مشاربهم وتشعبت مصادرهم فانقسموا إلى فئات مختلفة.

ففئة منهم اتخذت العقل دون غيره مصدرا لكل المعارف، ورأت فيه الغنى والكفاية، فألبسته ثوب الدليل الذي لا يخطئ، والهادي الذي لا يضل، والميزان الذي لا يختل، فاستغنت به عن الوحي السماوي، وتناست أن الوحي يقيل العقل من العثرات، ويصحح له الأخطاء، ويحفظه من الزيغ، ويهديه من الضلال.

وهناك فئة أخرى أكثر احتراما للوحي السماوي مقارنة بسابقتها، حيث تنازلت بعض الشيء فجعلت العقل أصلا وقائدا والوحي فرعا وتابعا، عند ظن وقوع تعارض بينهما، فتقدم ما يفيده العقل البشري على النص السماوي، مثلهم كمثل الذين ظهروا منذ عصر التابعين، فأوّلوا وأنكروا كل ما لم يتفق مع عقلهم القاصر وفكرهم الجامد، حتى تجاوزوا النصوص القطعية وردوا بعضها بحجة اتباع العقل، لا سيما إذا كان العقل المقصود مقلدا لحضارة بعينها قد شغف بها، واتخذها مثلا يحتذى به، وقانونا يقاس عليه في القبول والرد.

وفي مقابل هؤلاء فريق شذ فأرخى الستار على العقل، وإن شئت فقل إنه كفَّن العقل وكبَّر عليه أربعا، فنزعه حقه الأصيل، وعطل عمله جملة وتفصيلا، وجعل الوحي وحده مصدرا لجميع المعارف وفي شتى المجالات، فأمسى عديم الثقة في أي مصدر آخر، وحرم العقل حق الفهم والتدقيق

والاستنباط، على عكس مراد الله عزوجل.

أما موقف الأمة الوسط فقد أنزلت كلا من العقل والوحي في مكانه الصحيح، وأفسحت لكل منهما مجاله الذي يتقنه، فلا يجور واحد على الآخر بالتعدي عليه، ولا يجحده دوره المنوط به، فإن الله قد ندب أصحاب العقول إلى عقولهم، وحثهم على التفكر في مخلوقاته التي تحيط بهم، إذ بالعقل يفارق الإنسان سائر البهائم، ويتهيأ لقبول العلوم، فهو شرط في معرفة العلوم وكمال الأعمال.

فالعقل يُطلق على المنع والحبس، وسمي بذلك؛ لأنه يمسك ما علمه ويضبطه ويقيده، ويمنع صاحبه من الوقوع في المهالك، ويحبسه عن ذميم الأقوال والأفعال.

يقول الحارث المحاسبي رحمه الله: «فالعقل غريزة جعلها الله في الممتحنين من عباده؛ وأقام به على البالغين للحلم الحجة، وأنه خاطبهم من جهة عقولهم، ووعد وتوعد، وأمر ونهى، وحض وندب».

وقد اعتنى الإسلام بالعقل بالغ العناية، فجاءت الأوامر الإلهية الصارمة بالمحافظة على العقل من كل ما يضر به أو يعطله عن القيام بعمله، فحرم الله كل مسكر أو مخدر، له تأثير سيئ على عقل الإنسان.

وجعل الإسلام المحافظة على العقل واحدة من الضروريات الخمس التي عني بحفظها، والتي تدور أحكام الشريعة حولها، وهي حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، مما حدا بعلمائنا أن يجعلوا عقوبة ذهاب العقل دية كاملة؛ «لأنه أكبر المعاني قدرا، وأعظم الحواس نفعا؛ فإنه به يتميز من البهيمة، ويعرف به حقائق المعلومات، ويهتدي إلى مصالحه، ويتقي ما يضره، ويدخل به في التكليف، وهو شرط في ثبوت الولايات، وصحة التصرفات، وأداء العبادات، فكان بإيجاب الدية أحق من بقية الحواس» (المغني، لابن قدامة).

## القرآن الكريم خاطب الناس بإعمال عقولهم

ولقد جاء القرآن الكريم في كثير من آياته يخاطب الناس جميعا بإعمال عقولهم، فقد وردت مادة «ع ق ل» في القرآن ٤٩ مرة كلها بصيغة الفعل المضارع إلا مرة واحدة جاءت بصيغة الفعل الماضي هي «عقلوه».

وجاء كل من فعل «يعقلها، نعقل» مرة واحدة، وتكرر فعل «تعقلون» ٢٤ مرة، وفعل «يعقلون» تكرر ٢٢ مرة.

وكثيرا ما عاتب الله أفرادا وأقواما على عدم تعقلهم وتعطيلهم تلك الهبة التي وهبهم الله إياها وميزهم بها عن سائر المخلوقات، فخاطبهم بصيغة إنكارية تلهبهم وتحرضهم على التعقل والفهم كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ والذي تكرر في القرآن ٢٣ مرة.

وجاءت كلمة «تعقلون» مرتبطة ارتباطا وثيقا بآيات الله عز وجل، سواء الآيات المسطورة في القرآن أم الآيات المنظورة في الكون، فالآيات المنزلة المسطورة – وهي الأكثر – مثل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة:٢٤٢)، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١)، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (يوسف:٢)، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (النور:٦١).

كذلك جاءت مرتبطة بالآيات المبثوثة في الكون، حيث جعلت الكون بجميع ما حوى مما عظم ودق مجالا لعمل العقل والفكر، انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٤)، وقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (الرعد:٤)، وقوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (النحل:٦٧)، وقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (الروم:٢٤)، كلها تخاطب العقل بالتعقل في آيات الكون لتعود بعد ذلك بالتسليم المطلق للخالق جل وعلا.

وبهذا يغطي العقل كل آيات الله المنزلة في القرآن والمخلوقة في الكون، فمن عطله ولم يستخدمه في كل هذه المجالات كان عقله أقرب إلى الضلال من الهدى، والشقاوة من السعادة، ولهذا يسير في ركاب أهل النار سواء علم هذا أم غفل عنه، ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ

﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ (الملك:١٠-١١).

وكما يعد العقل نعمة من الله فإن الوحي أيضا من أعظم نعمه جل وعلا، فالعقل والوحي من آثار الله التي لا تتعارض ولا تتناقض، وإن بدا تعارض أو تناقض فإنما يكون في فهم من توهمه ولا يتعدى أكثر من هذا، إذ إن العقل الصريح لا يتعارض أبدا مع النص الصحيح.

والإسلام دوما يُعلي من قيمة العقل ويعتبره أبدا مناط التكاليف الشرعية، ومستقبِل الأحكام الإلهية، فجاء القرآن الكريم بتعاليمه وتوجيهاته يعمل على بناء العقلية العلمية المستقيمة، ويهدم العقلية الخرافية المنحرفة التي تسير على غير هدى، وتتبع بلا دليل، وتدعي دون برهان.

فالعقل الإنساني محدود المعرفة بحدود القدرة والخبرة البشرية، فضلا عن حدود الزمان والمكان، ما جعل معارف هائلة تحجب عنه ولا يستطيع إدراكها والوصول إليها، ولا يُلام في ذلك؛ لأنها فوق طاقته وفي غير اختصاصه، مثل عجزه عن معرفة عالم الغيب، وكيف يكون له ذلك وهو وحده يجهل كيفية خلق الإنسان ومراحل تكوينه.

إن العقل الرشيد يفتقر إلى وحي رباني، يرشده إذا ضل، ويعلمه إذا جهل، ويذكره وقت النسيان، وينبهه عند الغفلة، فالوحي بالنسبة إلى العقل هو نجم الاهتداء ومنار الظلمات والعاصم من الزلل.

فالوحي السماوي لم يُلغِ عقل الإنسان في توجيه إرادته وحرية اختياره، ولا في فهم النصوص وتفسيرها واستنباط الأحكام وترجيحها، بل

## العقل الرشيد يفتقر إلى الوحي الرباني

ترك له مساحات كبيرة من التشريع، من باب المسكوت عنه وما لا نص فيه وهو كثير؛ شريطة الانضباط بالنصوص المعصومة وفق قواعد ثابتة أصيلة، فقد روى الدارقطني والحاكم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعا: «ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله فإن الله لم يكن نسيا، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ (مريم: ٦٤)؛ ليظهر فيها العقل قدراته، ويقوي فيها ملكاته.

فترك الوحي للعقل أن يهتدي إلى وجود الله بفطرته النقية، من خلال اتباع الأدلة الكونية المنطقية، الدالة على وحدانية الله وانفراده جل وعلا بالخلق والأمر، يقول تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢)، ويقول عزوجل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون:٩١). ويقول سبحانه: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾ (الطور:٣٥ - ٣٦).

كما ترك الوحي للعقل إمكانية إثبات النبوة والرسالة، إذ العقل هو الحكم في قبول أو رفض هذه القضية، وتصديق أو تكذيب هذا المدعي، بالنظر في سيرته، ومطالبته بما يثبت صحة دعواه، فيقوم العقل بالتمييز بين هذه الإثباتات وما يأتي به من معجزات، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ (سبأ:٤٦).

فإن العقل السليم سرعان ما يهتدي إلى الأدلة الصادقة التي جاء بها النبي، ويدعو صاحبه إلى التصديق والتسليم لكل ما أخبر، مما أدركه وما عجز عن إدراكه.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه المستصفى: «العقل يدل على صدق النبي، ثم يعزل نفسه ويعترف بأنه يتلقى من النبي بالقبول ما يقوله في الله واليوم الآخر، مما لا يستقل العقل بدركه، ولا يقضي أيضا باستحالته، فقد يرد الشرع بما يقصر العقل عن الاستقلال بإدراكه».

فالعقل بمثابة البصر السليم من الآفات، والوحي بمثابة الشمس المنتشرة الضياء كما مثل لهما الإمام الغزالي، فلا يستغني أحدهما عن الآخر، فالعقل مع الوحي نور على نور، ولا عداء بينهما ألبتة؛ لأن لكل منهما اختصاصا مغايرا عن الآخر، وسلطان لا يتعداه أبدا.

فإن الوظيفة الكبرى للعقل تكمن في إثبات الشرع الحنيف عن طريق إثبات الخالق الجليل وإثبات النبوة المعصومة وما لها من حقوق، فإذا ثبت هذا وجب على العقل تسليم زمام الأمر لوحي السماء الذي جاء به محمد الصادق ﷺ من عند الله الخالق، ولا ينازعه أمر عجز عن الوصول إليه.

أحمد صالح البسطويسي
باحث في أصول الفقه والشريعة

# الاقتصاد الإسلامي والعالمية

خلق الله الإنسان، وأمره بالسعي والعمل لكسب قوت يومه، والقيام بنفقة نفسه وأسرته، وبناء مجتمعه، وبين له المباحات والمحظورات؛ ليتجنب الوقوع في أمر محرم في تعاملاته الحياتية والتجارية والمالية. وجاءت رسالة الإسلام كاملة جامعة لم تترك أمرا من شؤون المسلمين إلا وبينته؛ لذلك كان الاقتصاد الإسلامي جزءا لا يتجزأ من الدين.

والإسلام هو الرسالة السماوية الوحيدة التي تضمنت نصوصا صريحة تنظم العلاقات الاقتصادية والتعاملات التجارية بين البشر، والقرآن الكريم به من الآيات الدالة على ذلك الكثير، يقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٥) وقوله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٣٠).

والنظام الاقتصادي في الإسلام لا ينفصل كغيره من النظم الاقتصادية الغربية (الاشتراكية أو الرأسمالية) عن المبادئ والقيم الأخلاقية التي نص عليها الدين.

والنظام الاقتصادي في الإسلام ليس أساسه مجرد التصرفات المالية التي تدور بين الأفراد، بل أكثر من ذلك، فقوامه المهم الخضوع لأوامر الخالق والامتثال لها في جميع التصرفات، كما يتميز هذا النظام بفاعليته في تطور المجتمع وتحسين أوضاعه ونماء أمواله، وقوامه العلاقة بين الله والعبد، وهذه العلاقة الربانية توحي إليه بفكرة مسؤوليته تجاه الخالق والمخلوقات، ويستلهم منها صدقه وإخلاصه في القيام بهذه المسؤولية دون إفراط ولا تفريط.

ونعرض فيما يلي لبعض العناصر المميزة لملامح النظام الاقتصادي الإسلامي، وهي أنه:

١- جزء لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية ولا يمكن دراسته والبحث فيه منفصلا عنها.

٢- لا يمكن تحليل المتطلبات المادية لدى الإنسان إلا بمعرفة علاقته الوثيقة بالجوانب الروحية والدينية.

٣- يهدف الاقتصاد الإسلامي إلى إرساء العدالة الاجتماعية بين الناس وزيادة النمو الاقتصادي لتحقيق الرخاء والرفاه.

٤- التوازن بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى.

٥- ضمان الحاجات الأساسية للأفراد والحد من الفقر، وضمان معيشة كريمة لكل فرد في المجتمع.

**الإسلام عالج شؤون المسلمين كافة وبينها النظام المالي**

## التعريف

الاقتصاد الإسلامي يتكون من كلمتين، الأولى «الاقتصاد»؛ وتعني لغويا التوسط بين الإسراف والتقتير. وجاء في الحديث النبوي الشريف: «مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ»، أي ما افتقر من اعتدل في إنفاقه، أما الذي يسرف في إنفاق المال فإن إسرافه سوف يقوده إلى الفقر وسؤال الناس، ويجعله عالة على غيره. وأما الكلمة الثانية «الإسلامي» فهي الشريعة الدينية التي يستمد منها

هذا الاقتصاد قواعده وأحكامه، ليوافق بذلك قاعدة من أبرز قواعد شريعة الدين الإسلامي عند الأصوليين وهي أن: «الشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها». يقول ابن القيم كذلك: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه»[1].

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (البقرة:٢٠٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦)، وكلمة الفساد في القرآن شاملة جدا، ويندرج تحتها تدمير البيئة وتدمير الإنسان نفسه؛ لذلك نجد الشريعة الإسلامية لا تبيح إنتاج واستهلاك سلع الترف والكماليات التي تبدد الموارد. ويتوافق ذلك مع حقيقة أن الحاجات في الإسلام لا تحدد أو تستمد مفهومها من رغبات الناس وشهواتهم كما هو الحال في الاقتصاد الوضعي (الاشتراكي - الرأسمالي)، وإنما يتحدد مفهومها على أساس مشروعية هذه الحاجة وتقريرها ضمن نصوص الشرع أو ضمن أصوله والضوابط العامة، بمعنى أن الإسلام يقرر الحاجات عن طريق الموازنة بين ما تدعو إليه أحكام الإسلام وما جبلت عليه النفوس البشرية من خصائص حب المال والميل للشهوات من أجل تعزيز الجانب المادي والروحي والأخلاقي داخل المجتمع المسلم.

وعلى هذا النحو، نجد نظام الاقتصاد الإسلامي هو الوحيد الملزم في نشاطه الإنتاجي بإنتاج الطيبات وتجنب الخبائث، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف:١٥٧).

**الاقتصاد الإسلامي النظام الوحيد الملزم بتجنب المعاملات المحرمة**

وتعرف السلعة الطيبة بأنها تلك السلعة التي يطلبها المسلم حرصا منه على طلب الحلال وتجنب الحرام بحيث يترتب على استهلاكها صيانة لجسم الإنسان وحفظ للأخلاق والبيئة، بينما السلعة الخبيثة تعرف بأنها السلعة التي يترتب على استهلاكها تدمير لجسم الإنسان أو تدمير للأخلاق والبيئة. كما أن الاقتصاد الإسلامي في الجانب الاستهلاكي ملزم بالاعتدال والترشيد، ومن الأدلة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧)، وتحريم النبي ﷺ الإسراف في الماء ولو كنا على نهر جار.

إنّ الاقتصاد الإسلامي يحتكم إلى مجموعة من قواعد عامة تمنع الضرر وتدفع المفسدة عن الأفراد



وعن المجتمع، وهي قواعد فقهية استنبطها علماء المسلمين من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأهم هذه القواعد هي قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، المستمدة من الحديث النبوي: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» (رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندا، ورواه مالك في الموطأ مرسلا)، وتعني هذه القاعدة الفقهية أن الضرر ممنوع في الإسلام في جميع صوره وأشكاله، ومن ثم يجب على أولياء الأمور والأفراد اتخاذ كافة الإجراءات المناسبة للحيلولة دون أن ينتج عن أعمالهم أضرار، وإذا ما حصل أي ضرر فيجب عليهم معالجته دون تأخير.

كذلك فإن من القواعد المعمول بها في الاقتصاد الإسلامي قاعدة «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح»، وتستند هذه القاعدة على أن الشريعة جاءت في الأصل لجلب المنافع، ودرء المفاسد، فإذا تعارضت مصلحة ومفسدة قدم دفع المفسدة غالبا؛ لأن الشرع حريص على دفع الفساد، ويعتني بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات. ومثال ذلك وطبقا لهذه القاعدة؛ إذا كان استغلال موارد البلاد لتحقيق منفعة ذاتية ومؤقتة سوف يتسبب في الإضرار بهذه الموارد بإفسادها أو استنزافها، فلا يُسمَح به، إذ إن منع الضرر والفساد يجب أن يقدم على أي منفعة عند استغلال موارد وثروات البلاد.

## العدالة الاجتماعية والنماء

تراعي الشريعة الإسلامية في مجال المعاملات المالية أمرين مهمين: العدالة الاجتماعية والنماء الاقتصادي المستمر، والمال الذي جعله الله قواما للناس، ولا يجوز أن يتعامل معه إلا من يحسن التصرف فيه لكيلا يضيعَ المال، وإنما يتولى إدارة الأموال واستثمارها ذوو الكفاءة والنزاهة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ (النساء:٥). وقد وردت هذه الآية في سياق التعامل في أموال الأيتام، إلا أن حكمها عام وشامل لجميع السفهاء الأيتام وغيرهم، والسفهاء المشار إليهم في الآية هم الذين ليس لهم قدرة على التعامل الناجح والإدارة المفيدة. فالمال في هذه الأحوال يعرض للفساد والضياع، وسيعارضنا المتشككون هنا بسؤال مهم: كيف يعيش هؤلاء السفهاء إذا حرموا من حرية التصرف في الأموال؟ هل الإسلام يتركهم لكي يكونوا عالة على المجتمع؟ والآية السابقة نفسها تجيب عن هذا السؤال؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ فقد ضمن الله لهم ضروريات الحياة من الطعام والكساء، ووفر لهم فرص العناية والاهتمام من قبل المجتمع.

**الزكاة أحد محركات النمو الاقتصادي للأمة**

## الزكاة ونماء الأموال

إن المعاملات التي تدور بين أفراد المجتمع في صورة الزكاة والصدقة، تحمل في طياتها البركة والطهر والنماء، لأنها تزكي في آن واحد أموال صاحبها ونفسه من الدنس والرجس اللذين يكتسبوه بسبب ما ارتكبه من زلات وهفوات عفوية، وتطهر نفسه أيضا من الجشع والطمع. وقد أخرج الإمام أحمد والطبراني ما ذكر الرسول ﷺ بهذا الصدد وهو يقول: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، وإنما يؤكد صلاح المال إذا كان بمعزل عن الباطل والخداع، ويتنقل دائما بين الأفراد حتى يعم النفع به.

والمال من المنظور الديني أداة استثمار وليس أداة كنز، وإنما الفساد والوبال حين يكون كنزا راكدا كاسدا في أيدي البعض دون الآخرين، ورسولنا ﷺ أيضا يحثنا على صيانة المال بإخراج زكاته، يقول النبي ﷺ: «حصنوا أموالكم بالزكاة» (رواه الطبراني).

كما أن نظام الزكاة يقدم حلولا للإنسان للتخلص من أثقال الديون، ووسيلة سليمة لاستثمار الأموال، وقد أثبت علم الاقتصاد المعاصر كيف يضمن نظام الزكاة استثمار الأموال

فيعود على صاحبها بالربح الوفير الدائم، وضربوا لذلك مثالا بأصحاب قرية فيها عدد كبير من الأغنياء يؤدون زكاة أموالهم للمستحقين في وقتها، فيسرع المستفيدون من هذه الزكاة إلى الأسواق، لشراء مستلزماتهم المعيشية، وكلما يرتفع الطلب تنشط الأسواق العامة، والقطاع الإنتاجي، وعليه يضخ المستثمرون المزيد من الأموال لإقامة المزيد من المشروعات التي تلبي احتياجات المواطنين؛ نتيجة لذلك تتوافر فرص جديدة للعمل؛ ما يقود بدوره للحد من البطالة والفقر.

### أدوات الاستثمار الإسلامية:

المضاربة: وهي أن يدفع صاحب المال مالا لصاحب العمل، أو المؤسسة الاستثمارية من أجل استثماره له، على أن يتم توزيع الأرباح على أساس نسبة من الربح، وليس من أصل رأس المال، وهذا يحقق قدرا أكبر من العدالة في التوزيع عما يحققه النظام الربوي الذي يضع نسبا محددة للربح. ولا يتم توزيع الربح إلا بعد استعادة أصل رأس المال، وفي حال الخسارة يتحملها صاحب المال وليس صاحب العمل أو المؤسسة الاستثمارية، لأن صاحب العمل أو المؤسسة قد خسر جهده وعمل طوال العام ولم يتحقق له ربح مقابل جهده، لكن في حال ثبوت تقصيره فإنه يتحمل الخسارة مع صاحب المال.

المرابحة: هي أقرب شيء للتجارة العادية، وفيها يقوم صاحب المال بشراء سلعة من أجل بيعها بسعر أعلى، سواء كان هذا البيع الأخير آجلا أو تقسيطا أو نقدا.

المشاركة: في المشاركة يكون الأطراف مشاركين بالمال والجهد، أو بأحدهما، وتكون ملكية النشاط التجاري مشتركة بينهم. ويتشاركون في تحمل الربح والخسارة.

## الشريعة راعت العدالة الاجتماعية والنماء الاقتصادي المطرد

الإجارة: أن يشتري صاحب المال أو المستثمر عقارا أو معدات بغرض تأجيرها. ويكون هذا الإيجار، بعد مصروفات الصيانة، هو ربح النشاط التجاري.

السَلَم: وهي الصورة العكسية للبيع الآجل، ففيها يتم دفع المال مقابل سلعة آجلة. على أن تكون السلعة محددة وموصوفة وصفا يرفع الخلاف[٢].

### انطلاقة نحو العالمية

تملك الدول الإسلامية مقومات للنجاح والتطور من حيث الكفاءات البشرية والموارد المالية والمواد الأولية اللازمة لبناء طاقة صناعية هائلة تشكل قاعدة الانطلاق نحو الدخول في دائرة الفعل الاقتصادي العالمي؛ ويمكن إيجاز سبل تحقيق هذه الانطلاقة فيما يلي:

أولا: تأسيس جهاز مصرفي قوي ومتين يعمل وفقا للضوابط الإسلامية كخطوة أولى في بناء النظام الاقتصادي الإسلامي الساعي للعالمية؛ لاسيما أن شريعتنا الغراء تتضمن أسسا لهذا الاقتصاد ما يمكنه أن يستمد تحركاته ونشاطاته من قواعدها وأصولها الاقتصادية.

ثانيا: الاهتمام برأس المال البشري من حيث التعليم والتدريب؛ لأن الاستثمار في الإنسان يعتبر من أفضل وأجدى أنواع الاستثمارات، وقد ثبت ذلك بالدليل القاطع لدى كثير من المجتمعات الناجحة اقتصاديا.

ثالثا: التعاون والتنسيق المستمر والمتواصل بين الدول الإسلامية وتقوية التجارة فيما بينها للوصول إلى التكامل والشراكة الحقيقية، ويأتي ذلك عبر التوصل إلى تطبيق عملي يحظى بالتطبيق على أرض الواقع كإنشاء سوق إسلامية مشتركة.

رابعا: التخلص من التبعية للمؤسسات المالية الدولية لأنها سبب رئيسي من أسباب تأخر وتراجع التنمية في معظم البلدان الإسلامية؛ لأن الديون التي تقدمها إلى بلادنا الإسلامية في صورة قروض هي ديون مركبة تزداد عاما تلو الآخر.

خامسا: تشجيع حركة رؤوس الأموال بين البلدان الإسلامية مع بناء وإنشاء هيئة أو مؤسسة كبرى ترعى شؤون الاستثمار الإسلامي مع التركيز على زيادة الإنفاق الاستثماري وترشيد الإنفاق الجاري، عن طريق زيادة الاستثمارات البينية المشتركة علاوة على إعادة توجيه الاستثمارات نحو الأصول الحقيقية في الداخل، بدلا من الاستثمار في الأصول بالخارج لاسيما المالية منها، مع العمل على تنويع الموارد الاقتصادية.

سادسا: توحيد السياسات الجمركية بين الدول الإسلامية، وتحسين صناعة السلع والخدمات لتكون قادرة على المنافسة العالمية، وتنشيط الحركة الصناعية وتقديم التسهيلات والضمانات لها، وتنشيط حركة المواصلات والنقل بين الدول الإسلامية، وتوحيد نظم الاستيراد والتصدير بين تلك الدول[٣].

### الهوامش

١- خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام، د.زيد ابن محمد الرماني، طبع رابطة العالم الإسلامي سنة ١٤١٧هـ، المجلد الأول، صفحات (٥٤،٣١،١٩) بتصرف.

٢- أدوات الاستثمار في المصارف الإسلامية، د. عبدالحميد محمود البعلي، صفحات (٢٢٤،١١٠،٩٥،٦٨) بتصرف يسير جدا.

٣- مقال: التكامل الاقتصادي الإسلامي.. خطوة هامة نحو العالمية، هايل طشطوش، موقع موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي، ٢٠١٠/٣/٣١م، بتصرف يسير.

د. مصطفى عطية جمعة
محاضر بكلية التربية الأساسية الكويت

# الرؤية القرآنية للأزمات الاقتصادية

بداية، لابد من الإشارة إلى أن الأزمات ابتلاء يصيب الناس مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧). فخطاب الآية موجه للمؤمنين، يؤكد أن ما يصيبهم من خوف، وجوع، ونقص في المال والثمار، وخسارة بعض الأنفس؛ إنما هو من الابتلاء، ولأن الخطاب موجه إلى المؤمنين فإن الله جل شأنه يعطيهم النهج الصحيح، وهنا نجد أن المصطلح الدال على الأزمة جاء واضحا في لفظين: «لنبلونكم»، «المصيبة»، الأول يعطي دلالة البلاء ويعني لغويا الاختبار[1]، وهو نفس المعنى الشرعي تقريبا، فيمكن أن يكون الابتلاء خيرا أو شرا؛ في الخير بكثرة المال والولد والمزروعات والأنعام..؛ وفي الشر بتعرض الصحة للضرر والفقر والقتل والنفي والقحط..، ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف:١٨٦) ودلالة الحسنات تعني: الخيرات،



والسيئات تعني بعض الأزمات التي تصيب الفرد، من مرض وتعب وشقاء. ويمكن أن يكون هذا لذنوب اقترفها أصحابها: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ (الشورى:٣٠)، فاشتملت الآية على تنبيه المؤمنين أن المصائب تكون مما فعلوا من معاص، ولكن رحمة الله واسعة بالكثيرين، وكما قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ (الأنبياء:٣٥).

وعموم المفسدة في حد ذاته يعد من الأزمات، لأنها مؤدية إلى أزمات اجتماعية واقتصادية وإنسانية عديدة، وإذا قيل إن المجتمع الواحد يكون فيه من الأمور الصالح والطالح، فكيف يمكن التنبيه على وجود مفاسد قد تؤزم الحياة المجتمعية؟ يكون الجواب إن «المصالح والمفاسد الراجعة إلى الدنيا إنما تفهم على مقتضى ما غلب، فإذا كان الغالب جهة المصلحة، فهي المصلحة المفهومة عرفا، وإذا غلبت الجهة الأخرى فهي المفسدة المفهومة عرفا.. فإن رجحت المصلحة فمطلوب ويقال فيه إنه مصلحة، وإذا غلبت جهة المفسدة فمهروب عنه ويقال إنه مفسدة»[٢]، وهذا يتطلب أن يكون الراعي واعيا لحركة المجتمع، وحجم المصالح والمفاسد ومدى انتشارها فيه، كيلا تعم البلوى، وتشتد الأزمة.

ويمكن أن يكون البلاء بالنعم والخيرات.. ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ (الأنعام:٦).

والخطاب هنا موجه للجماعة المؤمنة، فالله تعالى عاقب بالهلاك أقواما، نالوا التمكين في الأرض، بما يستتبعه من سلطان وقوة وعمارة وتوسع، ونعموا بخيرات طبيعية من أمطار وأنهار وزروع وثمار، ولكنهم كفروا بأنعم الله، فكان الهلاك.

مرة أخرى: تكون الأزمة بمعصية الله، ويكون العقاب بالإهلاك. إذن، الوجه المقابل: في حالة استمرار الطاعة، فإن الله لا ينزل عقابه الجماعي، مادام عباده مؤمنين مؤدين طاعاته، إلا في حالات الابتلاء، التي قد تكون فردية أو لدى جماعة صغيرة، ليمحص الله بها المؤمنين.

ويمكن أن نرصد أشكال الابتلاء في القرآن على شكلين[٣]:

الأول: ابتلاء العقول: ويعني أزمات تصيب العقل البشري، فيفتقد الحكمة، وتغيب عنه البصيرة، فيتخبط في الحياة، ولا يهتدي إلى طريق الخير والرشاد، فمن المصائب أن يرزق الإنسان الذكاء، ويضل في الفهم. مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ (الإنسان:٢-٣).

والثاني: ابتلاء الأجساد وما يستتبعه من آلام ومشكلات في الحياة والمعيشة.

وقد جاء في تفسير البغوي: فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه؛ لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة، أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر؛ إما مؤمنا سعيدا وإما كافرا شقيا. وقيل: معنى الكلام الجزاء، بما يعني أننا بينا له الطريق إن شكر أو كفر[٤]، وهنا تكون الحكمة الربانية في جعل الابتلاء ضمن قدرات الإنسان، وبعد تمام تكوينه الجسدي والعقلي والنفسي، لتكون له الخيارات في حياته.

وتتفق الأزمة مع الابتلاء في أوجه ويختلفان في أوجه أخرى، أما أوجه الاتفاق فتبدو في أن كلا منهما ألم وتعب يصيبان الفرد المؤمن في حياته، وينال المؤمن الأجر على الصبر والاحتساب، وقد تكون تكفيرا للذنب، واختبارا للمؤمن، وسبيلا للترقي الروحي والإيماني والسلوكي؛ أما أوجه الاختلاف فتبدو في كون الأزمة حسب المفهوم المعاصر (في علم إدارة الأزمات) تصيب جماعة من الناس؛ قليلة أو كثيرة، في حين أن الأزمة وفق الرؤية الإسلامية تصيب الفرد والجماعة، ويمكن أن تتخذ أبعادا عديدة: نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وبعض هذه الأزمات يكون ابتلاء، وبعضها عقابا، والعقاب قد يشمل الفرد ذاته، أو الفرد والجماعة المنتمي إليها، أما في علم إدارة الأزمات، فإنه يركز على الآليات والإجراءات الواجب اتباعها من أجل الخروج من الأزمة في ضوء مسبباتها، أما في الرؤية الإسلامية، فإن هذه الإجراءات مطلوبة في ضوء واجب الراعي والرعية عند وجود الأزمة، ولكن لابد من مراجعة الذات النفسية والمجتمعية، لنرى هل هذه الأزمات عقاب أم ابتلاء، وكيف تكون النجاة من المعاصي لنيل رضا الله سبحانه.

وهنا تثار قضية مهمة، تتصل بمفهوم «دولة الرفاه الاقتصادية» وما يمكن تسميته بالنعم الموفورة والرعاية الاجتماعية والاقتصادية الكاملة

للمواطنين، على كثرة ما فيها من معاص وجرائم ونأي عن منهج الله، فالرؤية الاقتصادية فيها تعتمد على تلبية احتياجات الفرد / المواطن بكافة متطلباتها المادية، وذلك بتقديم خدمات كاملة له من قبل الحكومات، فهي تلبي الاحتياجات الإنسانية الأساسية لمواطنيها كجزء من إحقاق حقوقهم السياسية، وبشكل أكثر تحديدا أن دولة الرفاه تسعى إلى ضمان الأمن الاجتماعي لمواطنيها، وتوفير دخل ثابت، وتغذية، ورعاية طبية، وتعليم، وسكن، وعمل وخدمات رفاه خاصة لكل مواطنيها، وكذلك تقليص الفجوات الاجتماعية إلى حد معين. يتم تحقيق هذه الأهداف بواسطة فعاليات تبادر إليها الدولة بعدد من الطرق، تشمل: مدفوعات مباشرة لمخصصات التقاعد، تزويدا مباشرا للخدمات الاجتماعية، ضمان تقاعد غير مباشر بواسطة نظام الضرائب، وكذلك عمليات تدخل مختلفة في الاقتصاد وسوق العمل[٥]، وإن كان حدث تراجع كبير في هذا المفهوم في ضوء العجز في ميزان المدفوعات، واتساع حجم البطالة، وإعاناتها، وتكاليف شبكات الرعاية الاجتماعية المختلفة، مما حدا بالاقتصاديين إلى تبني مفهوم الليبرالية الجديدة، المعتمد على المزيد من تحرير الأسواق، وكبح النقابات العمالية، وتعزيز الاستثمار الأجنبي عبر البنيات التحتية القوية، وتخفيض أجور العمالة، وإعانات البطالة، وتقليل نفوذ الحكومات، والحد من ضرائب الإغراق والتحكم في الأسواق المحلية[٦].

فأمر دولة الرفاه محمود ومطلوب وواجب على من بيده الأمر، ولكن القضية أن تنحصر المهمات الموكولة في الجوانب المادية فقط، مما يجعل الفرد غارقا في إشباع ملذاته، وإهمال الجوانب الروحانية، فلن تكون «الأزمات» مادية، بل نفسية واجتماعية، وذلك ما نراه جليا في ارتفاع نسب الانتحار وإدمان المخدرات في دول كثيرة حظيت بالرفاه في أفضل نماذجها، والمنظور الإسلامي يعتمد على التوازن بين المادية والروحانية، بحيث لا يطغى جانب على آخر، ولا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، مع حفظ ملكية الفرد، والاهتمام بمصلحة الجماعة، بل جعل النشاط الاقتصادي سعيا في سبيل الله، فالهدف رباني، والأهم التقوى فهي مفتاح الخيرات[٧] لجماعة المؤمنين ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦) فالكفر بأنعم الله يصبح سبيلا لانتقام الله، وقد يحدث ما يسمى «الاستدراج بالنعم» حيث ينال أهل المعاصي لذة من عيش ويدركون أمنياتهم الدنيوية، فيكون ذلك استدراجا من الله ونقمة[٨]، عملا بقول الرسول ﷺ: «إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد ما يشاءون على معاصيهم إياه، فإنما ذلك استدراج منه لهم»[٩]، وتلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ (النساء:٤٤).

**إذن هناك أمور عديدة يجب التوقف عندها:**

فالإسلام يحض على حفظ حقوق الفرد والجماعة، ويوجب على الراعي وولي الأمر حفظ هذه الحقوق وفق السبل المقررة شرعا، وما تجود به القرائح البشرية من خبرات وأفكار تساهم في نهضة المجتمع، كما يوجب على الفرد المسارعة في النوائب؛ واجبة على الأهل والإخوان والجيران، وتبرعا على البعداء الذين لا يدلون بنسب ولا يتعلقون بسبب للفرد، ويعد هذا من



شيم المروءة، ومن حكم المؤازرة[10].

والإسلام في نهجه الاجتماعي والاقتصادي يرسخ مبدأ المادية والروحية، فلا يطغي جانبا على آخر، والروح هي الأساس، عكس ما يراه علم إدارة الأزمات وغيره من العلوم الحديثة، التي تقتصر على رصد المتغيرات المادية، وسبل علاجها، وتعد التغيرات النفسية من الآثار المترتبة على الأزمة فقط، ولا علاقة بالروح والنفس بالأزمات، فهي تبدأ بالمادي وتنتهي به، وتكون النفس تابعة للمادي، أما رؤية الإسلام فهي ترى أن الروح والمعاصي والخطايا مع أخطاء البشر المادية أيضا سبب في الأزمات والكوارث، ناهيك عن عقاب الله للعصاة والمجرمين.

ووفور النعم ليس دائما، فهذا شأن الدنيا، تتقلب بالناس والمجتمعات، والرؤية الإسلامية تعتمد على تحقيق متطلبات الفرد (الضروريات والحاجيات والتحسينات) وفق الأولوية لها على الترتيب، تحسبا لأي



تقلبات اقتصادية أو طبيعية مفاجئة، وقد أعد لهذا المجتمع المسلم، من الجانب الروحاني، بأن تكون الأزمة ناتجة عن عصيان لله، وقصور في عبادته، وإسراف في التمتع بالنعم إلى حد السفه، وقصور في إدارة الثروات في الدولة، ومن هنا لابد أن تكون المراجعة أثناء الأزمة فردية وجماعية، وحل الأزمة فردي وأيضا جماعي.

وعندما وضع الإسلام مبدأ التكافل وضمان الكفاية ضمن مبادئه الاقتصادية[11]، فإنه أوجب تضافر جميع القوى والأفراد والمؤسسات في المجتمع مع الحكومة قبل وأثناء وبعد الأزمة في علاج هذا الأمر، فلا ينأى الأغنياء عن مسؤولياتهم الاجتماعية، ولا يترك الفقراء تقطعهم الحاجة. وهذا ما أكدته البحوث الاقتصادية للأزمات التي تكتوي بها المجتمعات المأزومة، حيث رأت ضرورة: تعزيز السبل الضرورية وتوسيعها لمشاركة الأهالي مشاركة فعالة في الإجراءات الحكومية، وتغيير توزيع الدخل القومي ليشمل حصول كل شخص على متطلبات حياته، والأهم إحياء وتشجيع ومؤازرة الأغنياء للفئات الأخرى[12].

أيضا، فإن رؤية الإسلام لدور الفرد في جماعته، ودور الجماعة نحو الفرد تتعزز من أن «صلاح الدنيا معتبر من وجهين، أولهما: ما ينتظم به أمور جملتها (جماعتها)، والثاني: ما يصلح به حال كل واحد من أهلها، فهما شيئان لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه، لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمورها لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها، ويقدح فيه اختلالها.. ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها، لم يجد لصلاحها لذة، ولا لاستقامتها أثرا»[13]، وهو برهان أن الفرد والمجتمع متلازمان، تلازما نفسيا وماديا وروحيا.

## الهوامش

١- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، د ت، فصل الياء، باب الباء، ج١٤، ص٨٣.

٢- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، ص٢١.

٣- مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم، د. نصار أسعد نصار، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٠، العدد الأول ٢٠٠٤م، ص١٨، ١٩.

٤- معالم التنزيل، المعروف باسم: تفسير البغوي، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله العمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ج٨، ص٢٩٢، ٢٩٣.

٥- راجع: سياسات الرفاه الاقتصادي والاجتماعي في قطر: طبيعتها وإنجازاتها وآثارها السياسية، عبدالكريم محمود الدخيل، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص٣-٤ وانظر أيضا: دولة الرفاه، جون جيل، ترجمة: يوسف شحادة على موقع ort.org.il/APPS/.clickit٣ Public/GetFile.aspx؟inline

٦- راجع: اقتصاد يغدق فقرا، هورست افهيلد، ترجمة: د.عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، يناير ٢٠٠٧م، ص٢٢ وما بعدها.

٧- موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، د. علي السالوس، نشر: مكتبة القرآن، القاهرة، ط٧، ٢٠٠٢م، ص٢٨، ٢٩.

٨- أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص١٣٨.

٩- رواه ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، رواه أحمد بن حنبل في مسنده برقم (١٦٩٧٧) وذكره في كتاب الزهد، وذكر في كتاب الشكر لله لابن أبي الدنيا، وذكره ابن حجر العسقلاني في اتحاف البهرة برقم (١٣٣٦٩).

١٠- أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص٤٣٣-٤٣٥.

١١- موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي، د. علي السالوس، ص٣٨.

١٢- اقتصاد يغدق فقرا، هورست افهيلد، ص١١٥.

١٣- أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص١٨٠.

شيماء بدير
كاتبة مصرية

# البتكوين.. في ميزان الشريعة



جاءت رسالة الإسلام متكاملة جامعة لم تدع جانبا من جوانب الحياة إلا وتحدثت عنه ووضعت من الأسس والقواعد ما ينظم شؤون البشر الحياتية وتعاملاتهم خصوصا المالية منها من أجل استقامة هذه الأمة وبينت لهم الحلال والحرام، يقول تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة:٢٧٥)، ويقول أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ (البقرة:٢٨٢).

وقد أسست الشريعة لنظام اقتصادي قوي الدعائم يستمد أصوله وقواعده من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وازدادت الحاجة لإيضاح قواعد هذا النظام الاقتصادي وأسسه مع توسع الدولة الإسلامية واحتكاكها بمختلف الأمم وما صاحب ذلك من تطور تكنولوجي في العصر الحديث ساهم في انتشار التعاملات المالية خصوصا على شبكة الإنترنت. وفي الآونة الأخيرة طرأ على النظم الاقتصادية مفاهيم وتعاملات جديدة أثارت جدلا خصوصا لدى الدول الإسلامية، وأحدث هذه التعاملات هي عملة «البتكوين» الرقمية التي تجاوزت قيمتها حاجز العشرة آلاف دولار أميركي.

وللوقوف على أسباب هذا الجدل وبيان موافقة هذه العملة الرقمية ومثيلاتها لما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة، سنحاول أولا إلقاء الضوء على تعريف هذه العملة ونشأتها ثم سنوضح رأي الإسلام فيها، وسنبدأ أولا بتعريف عملة البتكوين، وهي:

عملة رقمية يجري تداولها في سوق العملات مثل الدولار وغيره، لكن مع عدة فوارق أساسية، من أبرزها أنها عملة إلكترونية صرفة تتداول عبر الإنترنت فقط من دون وجود فيزيائي لها (نقد معدني أو ورقي)، كما أنها أول عملة رقمية لامركزية؛ أي لا تصدر أو يتحكم فيها بنك مركزي أو هيئة تنظيمية مركزية مثل العملات التقليدية، وعملية

بيع وشراء هذه العملة تكون مباشرة على شبكة الإنترنت دون وسيط.

وفي عام ٢٠٠٨م، وبسبب تلقي الاقتصاد العالمي ضربات موجعة بسبب الأزمة المالية العالمية؛ ابتكر شخص مجهول أطلق على نفسه اسم «ساتوشي ناكاموتو» هذه العملة، ثم في عام ٢٠٠٩م جرى إطلاق عملة «بتكوين». وقد سبقت محاولات «ناكاموتو» محاولات مشابهة لمطورين إلكترونيين في تسعينيات القرن الماضي إلا أنها باءت بالفشل لعدة أسباب أهمها قلة عدد مستخدمي شبكة الإنترنت.

ومنذ بداية العام الماضي، سجلت عملة «بتكوين» قفزات مذهلة ليتجاوز سعر هذه العملة ١٠ آلاف دولار أميركي بدلا من ألف دولار مطلع عام ٢٠١٧م.

ويجري إصدار نحو ٣٦٠٠ عملة «بتكوين» جديدة يوميا حول العالم، ليصل عددها إلى حدود ١٦,٥ مليون وحدة يجري تداولها، ضمن الحد الأقصى المسموح به وهو ٢١ مليون وحدة «بتكوين». وللحصول على هذه العملة فإن على المستخدم شراؤها وإجراء المعاملات بها من خلال بورصات رقمية مثل «كوين بيز» **Coinbase** التي تتخذ من سان فرانسيسكو الأميركية مقرا لها، بحسب تقرير لـ«بي بي سي» البريطانية.

جدير بالذكر أن «بتكوين» ليست العملة الرقمية الوحيدة من نوعها فهناك عدد من العملات الرقمية المشابهة حاليا؛ إلا أن «بتكوين» اكتسبت هذه الشهرة والانتشار الواسع نظرا لأنها العملة الرقمية الوحيدة التي تحولت لأداة مضاربة مالية.

## عملة سرية

وتحظى عملة «بتكوين»، التي تقوم على مبادئ التشفير الرقمي في جميع المعاملات، بسرية عالية في التداولات إذ لا يمكن معرفة هوية مالكها، لكن بالرغم من ذلك لا تعد معرفة هذا الشخص أمرا مستبعدا، خصوصا

## «ساتوشي ناكاموتو» ابتكر هذه العملة عام ٢٠٠٨م

أن بيانات عدد عملات البتكوين التي بحوزته والعناوين التي أرسلت إليها هذه العملة متاحة. وبالتالي يمكن من الناحية التقنية وعن طريق عنوان المرسل إليه إجراء عمليات تحقيق عكسية للوصول إلى صاحب الحساب الأصلي الذي قام بعملية التحويل. صحيح أن كم البيانات المتعلقة بجميع عمليات التحويل ضخم، إلا أن قوة الحواسيب في تزايد مستمر وإمكانية تتبع هذه العمليات واردة جدا[١].

## نقد

ورغم تعدد إيجابيات عملة «بتكوين» إلا أن الكثيرين من خبراء الاقتصاد يؤكدون وجود مخاطر كبيرة تتعلق بالاستثمار في هذه العملة الرقمية، ومن بين هذه المخاطر نذكر ما يلي:

١- عدم وجود جهة رسمية أو حكومية تنظم عملية التداول بهذه العملة الرقمية، علاوة على غياب أي ضمانات للتعامل بها أو رفع أي شكوى بشأنها لأنها تدار من خلال مستخدمين مجهولين حول العالم.

٢- قيمتها متغيرة مما يعرضها لمخاطر تقلبات ارتفاع وانخفاض أسعار صرف العملات وفي مقدمتها الدولار الأميركي.

٣- لا يوجد اقتصاد حقيقي ملموس يدعمها وتتغير قيمتها حسب عدد المتداولين.

٤- الأموال المودعة عبرها معرضة للسرقة من خلال قراصنة الإنترنت، حيث إن شفرتها الرقمية يمكن فكها مستقبلا مع التقدم الهائل في صناعة التكنولوجيا.

٥- تدار من خلال هذه العملة أنشطة إجرامية وتجارة محرمة، نظرا لأنها غير خاضعة لأي جهات رقابية.

## رأي الشرع

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن «النقود لا يعرف لها حد وإنما تعود لتعامل الناس واصطلاحهم»[٢]، ويتفق ذلك مع رأي بعض العلماء وهو أن قيمة الأوراق النقدية ونحوها ناشئة عن تعارف الناس واتفاقهم على إعطائها قيمة سوقية، وهذا بخلاف الذهب والفضة فلهما قيمة ذاتية مختلفة كما يقول جمهور الفقهاء، وعلى هذا فيجوز الاصطلاح على إنتاج عملات أخرى جديدة؛ لكن البتكوين عملة افتراضية ليس لها وجود حقيقي يمكن حيازته، وإنما هي مجرد أرقام ورموز ومع ذهابها تضيع الثروة، وهذا مظنة للغرر والخسارة. هذا بالإضافة إلى أن هذه العملة ومثيلاتها لا تتفق وقواعد الاستثمار في الإسلام الذي يبنى على وجود نشاط اقتصادي حقيقي وملموس.

كذلك، لا يجوز أن تندرج ضمن الحكم الشرعي للاستثمار في أسهم البورصة؛ إذ إن إباحة تداول الأسهم في الإسلام مرجعها تبعية هذه الأسهم لنشاط اقتصادي حقيقي على أرض الواقع مباح ومعلوم للجميع. كما أنها عملة يشوبها الكثير من الغموض والمجازفات وبالتالي تعد مناخا خصبا للفساد وانتشار المخادعين والعبث في مقدرات الأمة من أموال وثروات دون وجود رقيب أو رادع قانوني يضمن الحقوق.

وختاما، يمكن القول: إن البتكوين قد تتحول مستقبلا إلى عملة متداولة بين الدول لكن بشرط توفير المزيد من الضمانات لها عبر وضع قوانين للمتعاملين بها بما يضمن حقوقهم ومدى استفادتهم منها[٣].

---

### الهوامش

١- «البتكوين».. فقاعة مالية أم عملة المستقبل؟، شادي الزعيم، موقع «العربية نت».

٢- الفتاوى لابن تيمية ٢٥١/١٩.

٣- البتكوين **Bitcoin** رؤية اقتصادية وشرعية، عبدالباري مشعل، موقع «رقابة للاستشارات المالية الإسلامية».

عبد الله شريف
دار الإعلام العربية

# الاقتصاد الإسلامي.. ضوابط وتحديات



**بين عناصره ضمانات ومبادئ قادرة على قيادة دفة الاقتصاد العالمي إلى المأمول وإخراجه من كبواته المتلاحقة.. إنه الاقتصاد الإسلامي الذي يحدد عدد من الخبراء ماهيته بأنها مجموعة من المبادئ والأصول التي تضبط النشاط الاقتصادي للدولة المسلمة وفقا للقرآن الكريم والسنة النبوية، وبما يتلاءم مع متغيرات الزمان والمكان. وحول هذا الموضوع، تحدث عدد من علماء الدين وخبراء الاقتصاد لـ «الوعي الإسلامي» عن أهم التحديات والمتغيرات التي طرأت على الاقتصاد الإسلامي كالاستثمار في البورصات، والمضاربات المالية في العملات الأجنبية (فوركس)، والسياحة الحلال، والتجارة عبر الإنترنت، فإلى التفاصيل:**

بداية، قال د. علي مهدي، أستاذ الفقه بجامعة الأزهر، إن الاقتصاد الإسلامي يبني الدول ويقومها بضوابط وسطية معتدلة تقوم على احترام كل الأطراف وتبتعد عن المغالاة، والكسب السريع غير المشروع، وتتصدى للظلم، مضيفا أن التحديات كثيرة أمام هذا النوع من الاقتصاد المنضبط؛ نظرا لضعف نفوس الناس وتكالبهم على الدنيا وبحثهم عن أسهل وأسرع الوسائل لكسب المال دون كد أو تعب.

وتابع أن: الاقتصاد الإسلامي ينقي الاقتصاد العالمي من شوائب الحرام، فنجد في البورصة الإسلامية، والفوركس الإسلامي والسندات الإسلامية والسياحة الإسلامية، أن الصدق في التعامل، وعدم الغش، والتعاون والاحترام المتبادل وعدم الاحتكار تغلب على التعاملات في كل هذه الفروع المكونة للاقتصاد الإسلامي

ولفت د. مهدي إلى أن شروط الاقتصاد الإسلامي واضحة، وأولها تجنب الربا: وأيضا منع الاحتكار، لأنه هادم للدول، قاهر للضعفاء والمحتاجين، كذلك منع الاتجار في القروض، فالمال لا يباع ولا يشترى، ولا بيع لما لا يملكه البائع، فلا رهان ولا مقامرة ولا بيع لمجهول كما نراه على الفضائيات، ولا بيع لحرام،

## ضوابط

من جانبه، قال د. يوسف إبراهيم، مدير مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، إن الإسلام وضع ضوابط للتعاملات الاقتصادية، بعكس النظام الرأسمالي غير المنضبط، كما منع أي من أساليب الاحتكار والتحكم في

السلع والبضائع، مضيفا أن الإسلام يقوم على الوسطية ويقيم ميزان حق.

وتابع؛ أن البورصة الآن تتحكم في رؤوس الأموال وهي مؤشر لنمو اقتصاد الدولة، وكيان اقتصادي شامل وسوق حر كبير فيه مؤسسات وتجار وتبادل واستثمار ومكسب وخسارة، وقوائم الأسعار فيها حسب العرض والطلب.

وأضاف أن من المعلوم أن التحركات في البورصة واضحة في لوحات مضيئة وأغلب التغييرات تكون أمام الجميع ومكتوبة في وسائل الاتصال المختلفة، مشيرا إلى أنه: «يسري على البورصة كل ما يسري على سوق المال الحقيقي في الإسلام وضوابطه، فالمعاملات يجب ألا يشوبها ربا أو قمار أو رهان أو احتكار، لأن هذه الانحرافات تؤدي دائما إلى انهيار الأسهم والبورصة».

واستطرد قائلا: إن من الضوابط في البورصة كذلك عدم التعامل بالأسهم الوهمية أو اتفاقات التلاعب في العملات، أو البيع بالاتفاق على الزيادة بعد ذلك، فهذا نوع من الغش والتدليس والمقامرة واستغلال الآخرين، ومن الصورة الممنوعة للتداول في البورصة أيضا ترويج شائعات سلبيا أو إيجابيا عن نظام مالي معين أو وضع شركة بعينها؛ لتحقيق مكاسب وأغراض شخصية لبعض المتداولين أو المنافسين.

## الفوركس والربا

وعن تجارة العملات الإلكترونية كأحد المتغيرات التي طرأت على الاقتصاد حديثا، أكد د. رفعت السيد العوضي، رئيس قسم الاقتصاد بكلية التجارة جامعة الأزهر سابقا، أن سوق تجارة العملات الأجنبية على الإنترنت أو ما يعرف بـ«فوركس» هو سوق واسع المجال، مضيفا أن آلية عمله تتلخص في طرح صفقات محددة في وقت معين ومحدد أيضا، يتم تثبيتها فلا بيع ولا شراء، وتتكون الفوائد يوميا، وهو ما يخالف النظام الإسلامي الذي يقوم على الاستغناء عن هذه الفائدة.

وأوضح أن في الإسلام نوعا من الربا اسمه «ربا النسيئة» ومعناه: «تأخير القبض في بيع كل جنسين اتفقا في علة ربا الفضل»، وهذا ما يحدث في «الفوركس»، إذ إن هناك نسبة على تبادل المال بالمال، وإذا تأخر التبادل تفرض نسبة أخرى إضافية، وهذا ما يرفضه ويحرمه الإسلام.

وأشار إلى أن التعامل في هذه السوق بدأ منذ مئات السنين يدويا بالاعتماد على التبادل وأخذ مبلغ محدد (عمولة أو نسبة)، وكان لها دور كبير في رواج التجارة، ولا يوجد مشاكل شرعية فيها، لكن مع تقدم الوقت دخل الربا شيئا فشيئا فأصبح أساسها.

## التجارة الإلكترونية

وعن مجال التجارة الإلكترونية، حدثنا د. فياض عبد المنعم، وزير المالية المصري الأسبق، قائلا إن عالم التجارة الإلكترونية اتخذ أشكالا عديدة، وحاله كحال أي سوق عادي، لكن ارتبط به الغش والتدليس والتزوير، مشيرا إلى أن «السوق الإلكترونية تسري عليها الأحكام الشرعية العادية، ولا تخلو أيضا من الصفقات المحرمة والاحتكار والغش».

وأضاف، أن الشباب الباحثين عن الثراء السريع اشتغلوا بما يسمى التسويق الهرمي على الإنترنت، فكلما تأتي بشخص تحصل على نسبة معينة، وأنت لا تعرف الشركة ولا منتجاتها ولا رأس مالها، وعندما يتحقق المطلوب يستغني عن الوسطاء، وهذا فيه شكوك كثيرة وأكل أموال الناس بالباطل. كما لا يوجد عليها رقابة من الدولة تستطيع من خلالها حماية حقوق العاملين في هذه الشركات.

وأكد أن هذه الصناعة تواجه تحديات عدة، منها: ضعف الإنترنت في بلدان كثيرة إضافة إلى انتشار عمليات النصب في هذا النوع من التسويق على وجه الخصوص، فضلا عن صعوبات نقل البضائع وارتفاع تكاليف الشحن والضرائب.

وأشار إلى إحصائية نشرها البنك الدولي عام ٢٠١٦م، تؤكد أن حجم التجارة الإلكترونية العالمية بلغ ١،٦ تريليون دولار، بينما لا تتجاوز حصة منطقة الشرق الأوسط منها أكثر من ٢٪ فقط.

## السياحة الحلال

وعن رافد آخر من روافد الاقتصاد هو السياحة الحلال، حدثنا باسل السيسي، رئيس لجنة السياحة الدينية السابق بغرفة شركات السياحة المصرية، قائلا إن المسلمين عددهم يقترب من المليارين على مستوى العالم، وأصبح مصطلح «السياحة الحلال» يفرض نفسه على كل دول العالم، وكلمة «حلال» تعني الابتعاد عن الخمور والعري وكل ما حرمته الشريعة الإسلامية.

وتابع أن: شركات السياحة العالمية تبحث عن الزبائن بأي طريقة، لذلك خصصت برامج عديدة للسياح المسلمين، فنجد مطاعم لا تقدم سوى أطعمة مذبوحة على الشريعة الإسلامية وشواطئ تمنع الاختلاط والعري، مشيرا إلى أن ذلك كله عمق مصطلح السياحة الحلال.

وقال إن: «تركيا وماليزيا أول من بدأتا تداول هذا المصطلح، كذلك بعض الأوروبيين المسلمين من أجل الاستمتاع بالسياحة دون أن يشوبها أي محرمات».

وأكد أن في دراسة حديثة أعدتها مؤسسة تومسون رويترز، عن النتائج المحلية والعالمية للمؤشر العالمي للاقتصاد الإسلامي، الذي يشمل ٧٣ دولة، تبين أن إنفاق المسلمين على قطاع السياحة سيصل إلى ٢٤٣ مليار دولار بحلول عام ٢٠٢١م.

أ. د. مجاهد مصطفى بهجت
مختبر القرآن الكريم
الجامعة الإسلامية الماليزية



# الإعجاز في معاني خواتيم سور القرآن الكريم (١-٣)

تعددت صور إعجاز القرآن الكريم وتنوعت، في مجالات مختلفة من البلاغة والعلوم والحضارة، وتأتي هذه المقالة لاستجلاء مظهر جديد في الإعجاز يتصل بخواتيم سور القرآن الكريم وأواخره، وللموضوع علاقة بموضوع الفاصلة في القرآن الكريم، وله علاقة بعلم المناسبة الذي يبرز العلاقة بين أول السورة ووسطها وآخرها، وبين أواخر السورة بأوائل السورة التالية كالعلاقة بين آخر سورة البقرة بأول سورة آل عمران، وهكذا لسلسلة السور في القرآن الكريم.

لكن مقالتي تعالج تصنيف الأواخر والخواتيم لسور القرآن، وهي محاولة للكشف عن المعاني المتضمنة في خواتيم سور القرآن على نحو مما قدمناه عن فواتح السور في مقال سابق[١]، ولعل حصر هذه المعاني للفواتح أقرب وأوضح من الأخرى، ولكننا سنلحظ وجود علاقة في المعاني بين الفواتح والخواتيم، والقرآن كما وصفه بعض المحدثين: «سبيكة واحدة»[٢] لا تفاوت فيه ولا اختلاف.

وقد عالجت مصادر علوم القرآن الكريم هذا الموضوع، ووقف عليه بعض الدارسين المحدثين لتصنيف أواخر سور القرآن الكريم[٣]، وقد تنوعت خواتيم سور القرآن الكريم فهي تختلف من سورة إلى أخرى مثل اختلاف مطالع سور القرآن الكريم.

وخواتيم السور لا شك تتصف بالحسن والكمال مما أشار إليه الإمام الزركشي حيث يقول: «وهي مثل الفواتح في الحسن لأنها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة

للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوق النفس إلى ما يذكر بعد، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل ووعد ووعيد إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب»[٤]. ويمكن تصنيف خواتيم سور القرآن إلى ثمانية أصناف[٥] بحسب مضمون معانيها المباشرة أو غير المباشرة، وقد يضم للآية الأخيرة ما قبلها: آية أو أكثر ليتضح المعنى[٦] خاصة إذا كانت الآية قصيرة، وقد تكون الآية طويلة[٧]، ويحتمل أن يكون معنى الآية منسجما مع أكثر من صنف، فليس التصنيف المقدم قطعيا، ولكن اخترنا الصنف الأقرب والأعمق والأبعد دلالة[٨]، وهذا عرض للأصناف الثمانية التي تدخل فيها معاني ختام سور القرآن الكريم:

أولا: ختام السور بالحمد والتسبيح، وعلم لله، والتعظيم له، ومشيئته وقدرته:

يشمل هذا القسم أربعة أنواع وهي: الحمد والتسبيح، وعلم الله، والتعظيم له، ومشيئته وقدرته.

١- الحمد والتسبيح: نجد المعنى الأول في حمد الله من الملائكة خلال التسبيح، والختم بالحمد لله رب العالمين في آخر سورة الزمر حيث يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٥). والمعنى ترى يا محمد الملائكة ينزهون ربهم، وقضى الله بين الخلائق والحمد لله على قضائه بالحق حيث أدخل أهل الإيمان الجنة وأهل الكفر النار. ويتكرر معنى الحمد والثناء على الله تعالى في أربع سور أخرى هي الإسراء في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (١١١).

والخطاب موجه للنبي ﷺ، وأمته بالثناء والحمد للمولى وتعظيمه عزوجل الذي تنزه عن الولد والشريك في ألوهيته. وفي سورة النمل حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣). والمعنى أن الله تعالى يأمر نبيه بأن يحمده على بيان آياته في الأنفس والآفاق والتي ستدلهم على الحق. وفي سورة الصافات حيث يقول الله تعالى: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢). والختم في هذه السورة بجملة الحمد، فهو وحده المستحق لجميع المحامد سبحانه وتعالى. وفي سورة الجاثية حيث يقول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (٣٦- ٣٧)، فلله سبحانه وتعالى الحمد لأنه مالك لما في السماوات والأرض وله الكبرياء فيهما أي العظمة والسلطان.

أما المعنى الآخر فهو التسبيح: نوع من الحمد بتنزيه الله عزوجل عما لا يليق به من النقائص، فقد تكرر في خواتم ست سور في القرآن الكريم: يس: حيث يقول الله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣). والمعنى تنزه الله سبحانه عن العجز فهو المالك لكل شيء، وقد ظهرت دلائل قدرته وإليه ترجعون للحساب والجزاء. وفي سورة الطور حيث يأمر الله تعالى بالتسبيح حين يقوم إلى الصلاة وحين يقوم من النوم فيقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ (٤٩). وفي سورة الواقعة والحاقة حيث يقول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٩٦) و(٥٢). وفي الآية الأمر بتنزيه الله تعالى العظيم. وفي سورة الحشر حيث يقول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤). فالله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى يسبح له جميع الخلق، وهو العزيز الحكيم في تدبير أمور خلقه. وأخيرا في سورة النصر حيث يقول الله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣). والتسبيح والاستغفار من ضروب العبادة، والله تعالى يتوب على التائبين المستغفرين.

٢- علم الله تعالى: يتكرر معنى علم الله تعالى في تسع خواتم في القرآن الكريم، في سورة النور حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ

﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ (٦٤). وافتتاحه للآية بحرف التنبيه إيذان بانتهاء الكلام وتنبيه للناس ليعوا ما يرد بعد حرف التنبيه، وهو أن الله مالك ما في السماوات والأرض، فهو يجازي عباده بما يستحقون وهو عالم بما يفعلون. وفي آخر سورة لقمان جاءت الآية حاصرة لمفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله تعالى حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ (٣٤). وعبر القرآن عن علم الله بالإحاطة في سورة فصلت حيث يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ (٥٤). فمن جلالته وعظمته أنه تعالى لا يخفى عليه شيء. وعبر عن علم الله بالإحاطة أيضا في سورة الطلاق حيث يقول: ﴿...وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ (١٢). ولما كانت إحاطة العلم دالة على تمام القدرة وإليهما يرجع جميع الأسماء والصفات قال: «قد أحاط» لتمام قدرته «بكل شيء» مطلقا. والعلم والإحاطة في سورة الجن حيث يقول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ (٢٦-٢٨). ليعلم الرسول ﷺ بما كان عليه الرسل عليهم السلام من قبل من التبليغ بالحق، وأنه حفظ كما حفظوا من الجن، وأن الله أحاط علمه بما عندهم وأحصاه.

وعلم الغيب والشهادة يتكرر في سورتي الحجرات والتغابن، في الحجرات بصيغة الفعل وفي التغابن بصيغة اسم الفاعل حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (١٨). فهو سبحانه يعلم كل مستتر فيهما، بصير بعمل عباده. ويقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (١٨). عالم ما لا تراه أعين عباده، ويغيب عن أبصارهم وما يشاهدونه، الحكيم في تدبير خلقه وصرفه إياهم فيما يصلحهم. وأخيرا تذكر صفة الخبير بالأعمال حيث يقول تعالى في سورة المنافقون: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (١١)، خبير بالذي تعملونه من خير وشر وسيجازيكم به. ويجمع الله تعالى بين العلم والخبرة في سورة العاديات فيقول: ﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾ (٩-١١). أي محيط بهم من جميع الجهات عالم غاية العلم ببواطن أمورهم، فكيف بظواهرها: جواهر وأعراضا، أقوالا وأفعالا، سرا أو علانية، خيرا أو شرا.

٣- العظمة الإلهية: يرد معنى جلال الله وعظمته في ست خواتم من القرآن الكريم: سورة القصص حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ (٨٨). أي ولا تعبد مع الله إلها آخر، وكل شيء فان إلا وجهه، وإثبات هذه الصفة كما يليق بكماله وعظمة جلاله، وإليه الرجوع للحساب والجزاء. وفي آخر سورة الشورى يقول الله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ (٥٣). ويؤكد هذا الختام أنه تعالى مالك لما في السماوات والأرض وأن أمور العباد جميعهم تصير إليه فيقضي بينهم بحكمه وعدله. ويقول الله تعالى في آخر سورة الرحمن: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ (٧٨). تبارك من البركة، وصيغة تفاعل تفيد الكثرة والمبالغة، و«ذي الجلال» أي العظمة، فهو جل وعلا له العظمة والإكرام من جميع خلقه. وفي آخر ثلاث سور قصار هي سورة التين وقريش والإخلاص حيث يثبت صفة الحاكمية في آخر سورة التين آية رقم: (٨). والله أحكم الحاكمين يفصل في الحكم بين الناس، ولا يترك خلقه سدى دون حساب. ويذكرهم في آخر سورة قريش آية رقم: (٤). بإنعامه

عليهم بالإطعام من جوع شديد، والأمن من فزع عظيم لعظمة رب البيت، وفي معنى التوحيد في آخر سورة الإخلاص: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (٤)، حيث ينفي الشبيه والمثيل عن المولى، ويدل على عظمته سبحانه وتعالى.

٤- المشيئة والقدرة الإلهية: وبمثل المعنى السابق يأتي معنى القدرة والفضل في ست خواتم من القرآن الكريم: سورة المائدة حيث يقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ (١٢٠) فمن عظمته سبحانه وتعالى أنه مالك لما في السماوات والأرض، فهو صاحب القدرة المطلقة، وهو سبحانه القدير الذي لا يعجزه شيء. وفي آخر سورة الحديد يقول: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢٩). لتعلموا أن فضل الله - الذي لا يحتاج إليه- بيده، فله الأمر كله يؤتيه من يشاء منهم أو من غيرهم، والله صاحب الفضل على الخلق أجمعين. وفي آخر سورة القيامة يقول: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (٤٠). أليس الله الخالق بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم؟ بلى إنه سبحانه وتعالى لقادر على ذلك. وفي سورة المدثر يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ (٥٦). وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى، وهو أهل لأن يتقى ويطاع، وأهل لمغفرة ذنوب من أطاعه. وفي سورة الانسان يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ (٣٠-٣١). وما تريدون أمرا إلا بتقدير الله وحكمته فييسر له اتخاذ السبيل للوصول إليه ويدخله في رضوانه، وأعد للظالمين عذابا موجعا. وأخيرا في سورة التكوير قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢٩). أيها الخلائق: إن الاستقامة على الحق والإيمان ليست بمشيئتكم، فإن لم يشأها الله لم تقدروا على مشيئته، فادعوه مخلصين له الدين يشأ لكم ما يرضيه فيوفقكم إليه.

---

## الهوامش

١. راجع المقال السابق بمجلة «الوعي الإسلامي» في العدد ٣٣٣ الصادر في مطلع جمادى الأولى، يناير ٢٠١٨م، ص١٨ - ٢٣.

٢. يقول الزرقاني: «فكأنما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار وتلعب بالعقول والأفكار على حين أنها مؤلفة من حلقات لكل حلقة منها وحدة مستقلة في نفسها ذات أجزاء ولكل جزء موضع خاص من الحلقة ولكل حلقة وضع خاص من السبيكة لكن على وجه من جودة السبك وإحكام السرد جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرقة وحدة بديعة متآلفة تريك كمال الانسجام بين كل جزء وجزء ثم بين كل حلقة وحلقة ثم بين أوائل السبيكة وأواخرها وأواسطها» مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٣١٦)، وراجع النبأ العظيم ص٢٠١.

٣. من مصادر علوم القرآن البرهان والإتقان والإحسان، ورسالة ماجستير بعنوان: فواتح السور وخواتيمها: آلاء الحبر يوسف نور الدائم، جامعة الخرطوم، قسم اللغة العربية بكلية الآداب، ٢٠٠٦م. والإعجاز القرآني في فواتح السور وخواتيمها: أحمد محمد المعيني، ط دار الإيمان، الاسكندرية، ٢٠٠٤م، في ٤٤٦ ص. وهو يركز على بيان علاقة آخر سورة الفاتحة بأول سورة البقرة، آل عمران والنساء، المائدة والأنعام، الأعراف والأنفال، التوبة ويونس... إلخ، ونفتقد العلاقة بين البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، والأنعام والأعراف ولم يتابع جميع السور فلا نجد سورة إبراهيم والحجر والنحل، ومجموع السور المذكورة ٤٧ سورة فقط. نظرات واختيارات في مناسبة خواتيم الآيات، مع فوائد بديعات: فكري محمود رجب الجزار، ط١، مكتبة أبوبكر الصديق للنشر والتوزيع القاهرة، ٢٠١٢م، في ٣٤٤ ص، لم يستوعب جميع السور بل ٣٥ سورة و٧٠ آية كما ذكر في المقدمة لظروف التأليف وهو من قبيل صيد الخاطر.

٤. البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٧م، ١/١٨٢-١٨٦. ورجع في البحث مصادر التفسير المعتمدة لاستخلاص معاني الآيات في خاتمة السور ومن أهمها: الطبري والقرطبي وابن عاشور والتفسير الميسر.

٥. يذكر اسم السورة أولا ونص الآية في آخر السورة ثم رقمها.

٦. راجع خواتيم السور: المعارج والجن، والإنسان والمرسلات والنازعات، والغاشية والبلد والليل، والبينة، والعاديات والقارعة، والتكاثر والهمزة، والماعون والمسد.

٧. راجع خواتيم السور الطويلة الآيات مثل: النساء والفتح والمجادلة والمزمل.

٨. راجع آخر سورة السجدة ضمن الصنف الثالث في الوصايا، ويمكن أن تكون مع الصنف الثاني ضمن الوعيد.

فيروز الجيزاوي
كاتبة مصرية

# في ذكرى الإسراء والمعراج

في كل عام يحل ضيفا على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها شهر الله الحرام رجب الفرد حيث تتراءى لهم ذكرى معجزتين عظيمتين هما الإسراء والمعراج لتضفيا على الأفئدة إشراقات الإيمان بالخالق العظيم.

لقد كان حدث الإسراء والمعراج بمثابة اليد الحانية التي مسحت على قلب النبي ﷺ فأزالت متاعبه ومحنه التي لاقاها من قومه خاصة بعد رحلته إلى الطائف وما قابله هناك من غلظة أهلها وسادتها من ثقيف ورفضهم لدعوته، فجأر بالدعاء إلى الله عزوجل، وهو يخشى أن يكون ما حل به غضب من الله عليه، فقال ﷺ: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين! أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» (ابن هشام ١/٤٢٠)؛ فجاءت هذه الرحلة الإيمانية لتزيل عنه ﷺ شك الغضب منه أو ريب التخلي عنه، وتقوي عزيمته التي لا تفتر، وتأييدا لرسالته السماوية.

لقد شاء الله جل وعلا في ليلة الإسراء والمعراج أن يخص رسوله محمدا ﷺ بشرف عظيم وفضل ما حباه أحدا قبله ولا من بعده، فقربه واصطفاه وجمع له الأنبياء ليصلي بهم إماما وأدناه من مناط النجوى بين يدي عرشه.

ويمكن تقسيم فترة الرسالة منذ بعثة رسول الله برسالة الإسلام إلى وقت انتقاله إلى الرفيق الأعلى إلى ثلاث مراحل:

**الأولى:** ما قبل الإسراء والمعراج وكانت هذه المرحلة مليئة بالتحديات العنيفة من أعداء الحق ودعوة الإسلام.

**الثانية:** مرحلة الإسراء والمعراج وجاءت في فترة من حياة رسول



اللّه ﷺ بلغت فيها شدة العداء له ذروتها؛ فاجترأ عليه كل جبار عنيد واستهان به كل من حرم نعمة العقل وسداد الرأي، وما زاد ألمه وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب اللذين كانا ملاذه في مواجهة أذى قومه.

**الثالثة:** ما بعد الإسراء والمعراج وهي مرحلة الانطلاق بالإسلام وإرساء قواعد الدولة الإسلامية، وبدأت هذه المرحلة بتنقية الصف الإسلامي من الدخلاء عليه وضعاف الإيمان الذين لا يثبتون أمام شدة ولا يتحملون أدنى مسؤولية ولا يواجهون أي عدوان، فقد كانوا مسلمين بألسنتهم لا بقلوبهم؛ لهذا حينما سمعوا بنبأ الإسراء والمعراج جهروا بمكنون صدورهم؛ فنحو عن الصف الإسلامي، وفي مقابل هذه الفئة كانت الصفوة المؤمنة من جند الإسلام القادرين على حمل تكاليف الجهاد في المرحلة الشاقة التي كانت تنتظرهم بدار الهجرة.

## الحكمة من الإسراء والمعراج

الإسراء هو انتقاله ﷺ من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، وقد ذكرت رحلة الإسراء في القرآن الكريم صراحة، يقول اللّه عزوجل: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

أما المعراج، وهو صعوده ﷺ من الأرض من بيت المقدس إلى السماء لسدرة المنتهى، فلم يُذكر في القرآن الكريم صراحة، وإنما أشار إليه اللّه تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾ (النجم:١ـ ١٨).

ولم تكن الحكمة الكبرى من الإسراء والمعراج هي المشاهد والآيات التي رآها النبي ﷺ في طريقه إلى بيت المقدس، وإنما أراد اللّه سبحانه وتعالى بهذه المعجزة أن يُشرف رسوله في الملأ الأعلى أمام ملائكته وأنبيائه ويمنحه هدية الصلاة في حضرته تكريما وإعلاء لشأنه.

لقد انطلق ﷺ بجسده إلى قلب المعجزة وعاش في عالمها بعد أن أعدته السماء لمقابلتها فتخطى الحدود وعبر الواقع وتجاوز المحسوس وركب متن الفضاء وهو في قمة الإدراك وأوج الاتزان وأعلى درجات الكمال للشعور والإحساس وأقوى حالات اليقظة والانتباه لما يشاهده وما يجري وما يقع؛ بل كان عقله ﷺ يسجل المشاهد ويختزن المواقف فذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

### فائدة

تولد المنح من رحم المحن وبعد العسر يأتي اليسر، وبعد التعب والنصب يأتي الفوز وحصاد الخير.

بذل النصيحة لمن يحتاج إليها ولو لم يستشر الناصح.

الدين الإسلامي لا يؤخذ بالعقل فقط، وإنما بالوحي والنص، فالعقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي، فمن استعمل عقله في خبر الإسراء والمعراج وتجاهل النص أضله عقله، ومن سلم للنص واستسلم له، وفق وهدي.

علاء الدين حسن
كاتب وباحث سوري

# معجزة الإسراء

أتـــاه جـبـريـل والأشـــــواق تحـمـلـه
والأفــق تكشف عـنـه الحجـب فـي عجل
وفــتـحــت كــل أبـــواب الــســمــاء لـه
فـي لـيـلـة مـا لـهـا فـي الـدهـر مـن مثل
واســتــبــشــرت كــل أمـــلاك الإلـــه بـه
بـالـيـمـن والـشـوق والإكـبـار والجـذل
والــكــل يـهـتـف هـيـمـانـا بـطـلـعـتـه
هــذا مـحـمـد.. هــذا سـيـد الـرسـل

رحلة مباركة طيبة، بدأت بأقدس بقاع الأرض، وانتهت بأعلى طبقات السماء. وعن هذه الرحلة الطيبة المباركة يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١).

وما من محنة إلا وفي طياتها منحة، وما من شدة إلا ووراءها لله مخرج، وما من عسر إلا ومعه يسران.. هذه قوانين ربانية، وقواعد سماوية، وسنن إلهية، يتجلى كل ذلك في رحلتي الإسراء والمعراج؛ حيث تعرض المصطفى ﷺ لشدائد جمة، وابتلاءات ضخمة، وامتحانات صعبة، خرج منها أقوى إيمانا، وأوسع صدرا، وأثبت يقينا، وأصلب عودا، وأعلى همة، مكنته من الصمود في وجه العوادي والنكبات، وسلحته ضد أهوال الحياة.

وهكذا يخرج المؤمن من الشدائد أقوى عزما؛ كالذهب الأصيل، يدخل النار فيخرج أكثر بريقا وأشد لمعانا.

تعرض رسول الله ﷺ مع صحبه الكرام لحصار خانق لمدة ثلاث سنوات، صنعه قساة القلوب، وموقدو الحروب، حتى أكل الرسول وصحبه أوراق الشجر من شدة الجوع. ثم توفي عمه ونصيره أبو طالب، الذي صد عنه كل أذى. وتوفيت زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها، التي آمنت به حين كفر به الناس، وأعطته حين منعه الناس، وواسته حين تخلى عنه الناس، فعرف هذا العام بـ «عام الحزن»، لا على فقدان الاثنين فحسب؛ وإنما لما أصاب الدعوة من بعدهما.

وكانت الشدة الثالثة في ذهابه ﷺ إلى الطائف؛ وقد أمل في أهل الطائف ما لم يؤمل في أهل مكة؛ فذهب إليهم ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه، يدعوهم إلى الله، ويأخذهم إلى الحق؛ فما تقبلت لرسالته بصائرهم، ولا تفتحت لدعوته قلوبهم، ولم يجد من صغارهم إلا هزءا، ولم يلق من صبيانهم إلا صدا، ولم ير من كبارهم إلا طغيانا وكفرا، حتى سلطوا عليه سفهاءهم، فرموه بالحجارة، فعاد جريح الجسد، دامي القدمين، وفي طريق عودته بث إلى الله حزنه وشكواه، في مناجاة جدا مؤثرة: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقله حيلتي، وهواني على الناس، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة؛ من أن ينزل علي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولك العتبى إذا رضيت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[١].

**إلهي!**

رضـــاك خـيـر مــن الـدنـيـا ومــا فـيـهـا
يــا مــالــك الـنـفـس قـاصـيـهـا ودانـيـهـا
فـلـيـس لـلـنـفـس آمـــال تحـقـقـهـا
ســوى رضـــاك فـــذا أقـصـى أمـانـيـهـا
ونـظـرة مـنـك يــا سـؤلـي ويــا أمـلـي
خـيـر إلــي مــن الـدنـيـا ومــا فـيـهـا

## وما أدراك ما البراق؟

والمهم أن هذه الرحلة الطيبة بدأت بعد عملية التهيئة، وجيء بالبراق الذي تعد طبيعته سرا من الأسرار الربانية، وحسبنا هنا ما وصفه به الرسول عليه الصلاة والسلام من أنه: «دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه»[٢].

وما كان ممكنا أن يوصف البراق بغير ذلك وفقا لمنهج التعامل مع العقول بما تطيق: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٨).

وقيل: البراق من البرق، والبرق ضوء، وسرعة الضوء رهيبة. هذا هو البراق..

ومضى البراق، فقطع المسافة من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، وهو يحمل أشرف نبي عرفته الأرض: يحمل محمدا بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين، كما يحمل أعظم ملك مطاع أمين عرفته السماء، وهو جبريل ملك

الوحي إلى الأنبياء - عليهم السلام.

**هــذا رســـول الله فـــوق بـراقـه**
**كـالـبـدر عـم بـنـوره الأرجـــاءا**
**وسـرى إلـى الـقـدس الـشـريـف بليلة**
**قـدسـيـة قـد شـعـشـعـت أضـــواءا**
**وهـــنـــاك أم الـمـرسـلـيـن مـصـلـيـا**
**وفـــؤاده لله فـــاض ثـــنـــاءا**
**وإلـــى الـسـمـاء رقـى يـلـبـي دعـوة**
**مـــن ربـــه عـــلـويـة شـــمـــاءا**
**جـاز المـدى وعـلا الـطـبـاق جـمـيـعـها**
**لا؛ بـــل تـجـــاوز ســـدرة غـــنـــاءا**
**وهـــنـــاك كـــان لـــه لـقـاء مـدهـش**
**أعـظـم بـذلـك مــنـــزلا ولـقـاءا**

وعندما عاد ﷺ من الإسراء والمعراج، وسأله المشركون - على سبيل الاختبار والتكذيب - سألوه عن صفة بيت المقدس الذي ذهب إليه وصلى فيه - ولم يكن الرسول ﷺ قد اهتم بالتفصيلات الدقيقة؛ لانصراف حواسه إلى الأمور الكبيرة - فجلى الله له صورته بين عينيه، ووصفه لهم وصفا تفصيليا مفحما. وليس من حق مسلم أن يزعم أن عقله يرفض هذه القصة؛ لأن الإسراء حقيقة أثبتها القرآن الكريم.

ولقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الناس في استيعاب هذا المنهاج العلمي الإيماني المعتمد على البديهيات والفطرة والحق؛ ولهذا بادر بالقول لمن سألوه عن دعوى صاحبه، فقال لهم بمقتضى العقل الراجح: إن كان قد قال فقد صدق، إني لأصدقه في الخبر يأتيه من السماء وهو أبعد من ذلك!!

ومعنى كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن الله الذي يجعل جبريل ينزل على الرسول ﷺ من السماء بالقرآن في لحظات، قادر على أن يجعل محمدا يصعد إلى السماء في لحظات، فالقياس واحد، لكنها العقول المضطربة المسحوقة تحت هيمنة الفكر المادي، وتحت سلطان العناد والاستكبار.

### الرؤية الكونية

وفي الملأ الأعلى فرضت الصلاة على الرسول ﷺ في المعراج خمسا في الفعل، وخمسين في الأجر؛ أي: إنها صلة ذات ديمومة واستمرارية انعقدت بين المسلمين والسماء بصورة مختلفة عن الصلوات السابقة.

وفي خصوصية الصلاة التي شرعت في المعراج، اختصار للإسلام كله؛ فكرا، وتدبرا، وخضوعا، وإخضاعا للجسد في الركوع والسجود، موصولا اتصالا متجددا في كل يوم بين الخالق والمخلوق، وعروجا في كل يوم بالروح إلى السماء.

وقد فضل ﷺ شرب اللبن على الخمر والماء، وكان تفضيله موفقا؛ لأنه فضل الفطرة، فكان دينه دين الفطرة والطبيعة الإنسانية السوية، وهذا من أسباب سريانه في الدنيا سريان الشمس والقمر، وكأنه يتحرك حركة الليل والنهار، ولا يعوزه إلا رجال يحملونه بفكرهم وأخلاقهم إلى آفاق المعمورة وأرجاء الحياة!!

### المستقبل المضاء

إن الإسراء يعلمنا أن اليسر مع العسر، وأن النصر يتحقق بالصبر، وأن الفرج يأتي بعد الكرب. وعندما نغير ما بأنفسنا من شر، يغير الله ما بنا من سيئات، ويهدينا إلى سبيل الرشاد. وإذا كنت مؤمنا صادقا، إذا كنت مؤمنا منيبا مقبلا، وجاءتك محنة، فليكن النبي ﷺ قدوة لك، وتيقن أن بعد هذه المحنة منحة.

**يـــا صـــاحـب الـهـم إن الـهـم مـنـفـرج**
**أبـــشـــر بـخـيـر فـــإن الــفـــارج الله**
**الـيـأس يـقـطـع أحـيـانـا بـصـاحـبـه**
**لا تـــيـــأســن؛ فـــإن الــكـــافـــي الله**
**الله يـــحـــدث بـــعـــد الــعـــســر مـيـسـرة**
**لا تـجـــزعـــن فـــإن الـقـــاســم الله**
**إذا بـــلـيـــت فـــثـــق بـــالله وارض بـه**
**إن الـــذي يـكـشـف الـبـلـوى هـــو الله**
**والله مـــا لـــك غـــيـر الله مـــن أحـــد**
**فـحـسـبـك الله فـــي كـــل لـــك الله**

مهمة المحنة أن تدفعك إلى باب الله. وربما أعطاك الله فمنعك، وربما منعك فأعطاك، وقد يكون المنع عين العطاء: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ (البقرة:٢١٦).

النبي ﷺ امتحن، ونجح في الامتحان، امتحن في الطائف، فكان الرد الإلهي: الإسراء والمعراج، وكان الرد التكريمي: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ (المعارج: ٥).

في كل حال من الأحوال، ينبغي ألا يتزلزل إيمانك.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[٣].

### رسالة وغاية

وها هو صاحب الإسراء ﷺ مشى على قدميه إلى الطائف ليبلغ دعوة الله، فلقي التكذيب والاستهزاء، ونال ما نال من الأذى، ومع ذلك كان يقول: «إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي»[٤]. ولله در المتنبي حين قال:

**على قدر أهل العزم تأتي العزائم**
**وتأتي على قدر الكرام المكارم**
**وتعظم في عين الصغير صغارها**
**وتصغر في عين العظيم العظائم**

وإنها لأعظم شدة، وأصعب عقبة، وأقسى ما لقي رسول الله ﷺ من قريش.. عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: يا رسول الله! هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، فكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم». قال: «فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك؛ لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»! قال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، ولا يشرك به شيئا»[٥].

ووالله، لو كان رسول الله ﷺ ممن ينتقم لذاته، أو لمكانته، أو ينتقم لقطرات دم نزفت منه، لأمر ملك الجبال أن يهلك قوما استكبروا وتحجرت قلوبهم.. لأمر ملك الجبال أن يدمر كل شيء، وألا يبقي على أرض الطائف من الكافرين ديارا.

ولكنه ﷺ الرحمة المهداة، والنعمة المسداة نهر الرحمة وينبوع الحنان، قلبه ينبض بالرحمة والحب والخير لكل الناس، وقد وصفه ربه جل وعلا وصفا ما اتصف به ملك مقرب ولا نبي مرسل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

فهو ﷺ ما خرج إلى أهل الطائف إلا وهو يعلم يقينا أن أصلابهم تحمل ربيعا قادما، تحمل أملا سيشرق كالفجر، وسيتحرك كالنسيم، ولذا لم يطلب من الله أن ينتقم منهم؛ بل قال ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا».

### نفحة بعد لفحة

رحلة الإسراء لم تكن رحلة عادية؛ بل كانت نفحة بعد لفحة، ورحمة بعد قسوة، ومنحة بعد زحمة، وتكريما بعد تمحيص، واصطفاء بعد ابتلاء؛ فقد مر النبي ﷺ بضوائق كثيرة، وتعرض لعوائق وفيرة، وهو في طريق الدعوة الكبيرة.

والدعاة السائرون على دربه والمتمسكون بسنته والمحافظون على دعوته كذلك، يتعرضون لذات الابتلاء؛ لينعموا بعد ذلك بقسط من الاصطفاء.

إنها سنة الله للمرسلين، ومن بعدهم الصحابة والتابعون والصالحون من عباده المؤمنين إلى يوم الدين، طريقة لن تتبدل، وسنة لن تتحول: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢).

تنكر الخلق لرسول الله ﷺ فاستقبله الخالق، وسدت في وجهة أبواب الأرض ففتحت له أبواب السماء، ولم يسمعه الناس في الطائف فجمع الله له الأنبياء والمرسلين في «بيت المقدس»، فكان لهم قائدا وإماما، وكان ذلك تكريما لشخصه، وتقوية لعزمه، وإعلاء لشأنه، واصطفاء لقلبه، وترقية لروحه، وتزكية لنفسه.

إنه ﷺ يعلمنا أن الطريق إلى الله عزوجل محفوف بالمخاطر، إنه طريق أهل التقوى والصلاح؛ الصالحين في أنفسهم، المصلحين لغيرهم.

ومن خصائص هذا الدين الحنيف: أنه يقف في وجه الطغاة والمستبدين، يقف للبغاة والظالمين، المنكبين على الدنيا، الهائمين في نزواتها، المفسدين فيها؛ ليرشدهم ويعظهم وينذرهم.

ولقد جاء المفسدون من قريش، جاؤوا إلى عم النبي ﷺ يقلبون الحقائق ويكذبون الحقيقة: ابن أخيك شتم آباءنا، وسفه أحلامنا، وعاب آلهتنا، قل له: يبقى في مسجده، ويعمل في بيته، ويظل مع قرآنه، ولا نريد منه شيئا غير ذلك؛ فجاء به، وقال له: يا محمد! دعك من هؤلاء؛ فقد شتمت آباءهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم.

فرد النبي ﷺ بقول أنار ربوع الدنيا، وأصبح منهجا ودستورا للدعاة القابضين على دينهم: «والله يا عم! لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري؛ على أن أترك هذا الدين، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[٦].

ومنذ أن وجد الخير والشر، منذ أن وجد الهدى والضلال، منذ أن وجد الحق والباطل، والصراع على أشده، لكن النتيجة الحتمية لهذا الصراع هي أن الحق دائما في انتصار وازدهار، وأن الباطل في اندحار واندثار، جولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، وفي الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك»(٧).

### استباقات الحق

ومن زحمة الابتلاء كانت رحلة الإسراء منحة واصطفاء، ورحمة واجتباء، وإنها لمنحة إلهية، ونفحة ربانية سبقتها إشارات على طريق الحق، وعلامات على سبيل النصر!

جاء عداس - وهو نصراني - يحمل قطفا من العنب، وبدأ النبي ﷺ يأكل، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم». إنه ﷺ يورث آداب الإسلام، لم ينس ربه عزوجل، ولم يفقد مهمته، رغم الأذى والبلاء، فتعجب عداس، وقال: هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلدة!. قال النبي ﷺ: «من أي البلاد أنت؟». قال: من نينوى - بلد في العراق. قال النبي ﷺ: «قرية أخي يونس بن متى!»(٨).

فانكب عداس يقبل رأس رسول الله ﷺ ويده، وتحول الصد والإعراض هناك إلى عناق وقبلات هنا، وأسلم الرجل في هذا الموقف.

**يا سيدي يا رسول الله يا أملي!**
**لولاك ما ازينت في الخافقين ربا**
**علمتنا الصدق، والإقدام في شرف**
**جملتنا بهدى، لقنتنا الأدبا**

وعاد النبي ﷺ إلى مكة، وفي طريق عودته قال له زيد بن حارثة رضي الله عنه: أترجع إليهم وقد أخرجوك؟!

قال النبي ﷺ واثقا في نصر الله له، وحفظ الله إياه: «إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، إن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه»(٩).

ودخلا مكة في جوار المطعم بن عدي؛ حيث أعلن في قومه: إني قد أجرت محمدا، فالبسوا أسلحتكم، وكونوا في أركان البيت، ثم خرج إلى مكة وقال: يا معشر قريش! إني أجرت محمدا؛ فلا يهجه أحد منكم، وخرجت كتيبة بأسلحتها تستقبل النبي ﷺ، وتحيط به، حتى وصل إلى الكعبة، وصلى فيها، ثم استقبل وفود الحجيج يعرض عليهم الإسلام، حتى دخلوا في دين الله.

**أسرى بك الله ليلا؛ إذ ملائكه**
**والرسل في المسجد الأقصى على قدم**
**كنت الإمام لهم والجمع محتفل**
**أعظم بمثلك من هاد ومؤتمم**
**لما خطرت به التفوا بسيدهم**
**كالشهب بالبدر، أو كالجند بالعلم**
**حتى بلغت مكانا لا يطار له**
**على جناح ولا يسعى على قدم**
**وقيل: كل نبي عند رتبته**
**ويا محمد هذا العرش فاستلم**

إنها معجزة الزمن، أحرج الله بها قلوب الجاحدين، وأقر الله بها أعين المؤمنين الصادقين، وصفى الله بها أفئدة المنتسبين إلى الدين.

### دروس للنفوس

ومن الدروس التي نقتبسها من هذه المعجزة: قدر النبي ﷺ وقيمته عند ربه، وبيان أن إسلامنا دين الفطرة، وأن الله لا يخذل أتباعه. ومن باطن الألم ينبثق الأمل.

هذا، وقد شاهد النبي ﷺ مشاهد عظيمة تعالج قضايا اجتماعية وأخلاقية في صميم المجتمع، ومنها: (عقوبة جريمة الغيبة والنميمة، عقوبة أكلة أموال اليتامى، عقوبة علماء السوء، عقوبة أكلة الربا، ومانعي الزكاة، والتهاون في الأمانة..). ولله در القائل:

**يا رحلة الإسراء، ذكرك ماثل**
**فينا على مر الزمان ضياءا**
**يحدو بنا همما، ويبعث عزمة**
**ويثير فينا المجد والعلياءا**

نسأل الله تعالى أن يحفظ بلادنا، وأن يجنبنا وأمتنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يأذن بتحرير المسجد الأقصى، إنه سميع قريب مجيب.

---

### الهوامش

١ - رواه الطبراني في الدعاء، ص٣١٥، وفي إسناده ضعف يسير.
٢ - صحيح مسلم، كتاب الإيمان، الحديث رقم ٢٣٨.
٣ - رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، وانظر: صحيح الجامع، الحديث ٢١٥٠.
٤ - الطبرابي، ص٣١٥.
٥ - مسلم، الحديث رقم ٣٣٥٨.
٦ - مسند أبي يعلى ١٢/١٢٦.
٧ - الطبراني في المعجم الكبير: ٢٠/٣١٧.
٨ - الطبراني، ص٣١٥.
٩ - الطبقات الكبرى لابن سعد، حديث رقم ٥١٤.

أ. د. أمان محمد قحيف
مفكر إسلامي

# تحويل القبلة.. المغزى والمعنى

**تستوقف مسألة تغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام عقل من يفكر في الإسلام ويتأمل تطوره وحركيته؛ لذا فقد أثارت هذه المسألة العديد من العقول والأذهان، ودفعت أصحابها إلى طرح عدة تساؤلات حول هذا الحدث الكبير، ووصل الأمر ببعض المستشرقين إلى أن تناول تلك المسألة باندهاش واستغراب كبيرين، بينما تناول البعض الآخر القضية بالتساؤل والتفكر والتدبر محاولا الوصول إلى فهم يقوم على الوعي والإدراك والاستيعاب السليم لأهدافها وغاياتها.**

والحق أن العقل المسلم من واجبه أن يقدم دائما ما عنده من حلول وإجابات لتلك الرؤى والأفكار والتصورات التي يطرحها العقل الاستشراقي ليرد العقل المسلم، بما عنده من علوم ومعارف، على تطاولات المتطاولين، ويثبت لهم تهافت عقولهم ووهن تصوراتهم عندما يلجأ المرء منهم إلى السخرية أو التطاول على بعض قضايا الإسلام أو تشريعاته.. ولاشك أن على العقل المسلم أن يفعل ذلك ليجيب - من جهة أخرى - على تساؤلات المتسائلين الباحثين عن الحق والحقيقة وينشدون الاقتناع والإقناع، وهؤلاء ليس عليهم من سبيل؛ لأن الإسلام هو دين الاقتناع الفكري والوعي الذهني ويرحب بالعقول المفكرة والأذهان الواعية، ويحاول الأخذ بيدها صوب الإيمان القائم على أسس من سلامة الوعي وحسن الإدراك.

إن تأمل مسألة تغيير القبلة من خلال النص القرآني، الذي تناولها، ينتهي بنا إلى الإجابة على العديد من التساؤلات التي طرحها المستشرقون، وصفق وهلل لها البعض من قليلي العلم وفاقدي البصيرة من أبناء جلدتنا.. ونسوق ذلك من خلال قراءة عقلانية إيمانية هادئة للنص القرآني الكريم الذي ورد في هذا السياق على النحو التالي:

**أولا:**

قال الله تعالى في بداية حديثه عن تغيير القبلة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة:١٤٢)، وكان بعض أهل الكتاب قد قالوا عندما غير المسلمون قبلتهم ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾ (البقرة:١٤٢)، فهم قالوا ذلك عقب علمهم بتغيير القبلة مباشرة، ورغم ذلك نزل القرآن الكريم بلفظ «سيقول»: أي في المستقبل، على الرغم من أنهم كانوا قد قالوا هذا الكلام



سابقا[1]، بهذا يكون القرآن الكريم قد جاء بالماضي وجعله مستقبلا؛ الأمر الذي يشير إلى استمرارية وقوع هذا القول وحدوثه.. ونعتبر ذلك من وجوه الإعجاز القرآني؛ لأن هناك بعض الناس الذين مازالوا يطرحون التساؤل نفسه حتى وقتنا الراهن.

ومن ثم يكون القرآن الكريم قد تنبأ باستمرارية التساؤلات بشأن تغيير القبلة. وعليه، نقول للذي يتشدق أو يهاجم الدين الحنيف من خلال مسألة تغيير القبلة: إنك تؤكد بحديثك هذا مصداقية القرآن الكريم؛ لأن قرآن ربنا تنبأ بأن هناك صنفا من الناس سيظل يقول ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَاۚ﴾.. وهنا يأتي الإعجاز في تعبير القرآن الكريم عن كلامهم في تلك القضية بلفظ «سيقول».

**ثانيا:**

ورد في التفاسير أن تحويل القبلة وقع بعد أن صلى رسول الله ﷺ والصحابة مدة ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا باتجاه بيت المقدس[2]، وكان رسول الله يعيش وقتذاك في المدينة، وكان الإسلام لايزال ضعيفا وعدد المسلمين قليلا. والعقل يقول لو كان تغيير القبلة من عمل الرسول ذاته لكان من الأولى الانتظار حتى يزداد عدد المسلمين وتقوى شوكتهم، فلا يستطيع أحد التطاول عليهم بسبب تغييرهم قبلتهم أو تعديلهم اتجاههم في الصلاة. وبالتالي، فإن تحويل القبلة والمسلمون على هذه الحالة يثبت أنه أمر إلهي وليس فعلا بشريا قام به الرسول ﷺ من تلقاء نفسه.

**ثالثا:**

كشف القرآن الكريم عن أنهم لما تساءلوا في موضوع تغيير القبلة قالوا: «ما ولاهم»؛ أي إنهم سألوا عن العلة والسبب ولم يسألوا عن الفاعل، وكان الواجب عليهم أن يقولوا: «من ولاهم عن قبلتهم؟»، الأمر الذي يؤكد لنا أنهم لم يدركوا أن الفاعل هنا هو الله تبارك وتعالى؛ لذلك رأينا القرآن الكريم يجيب عن هذا التساؤل بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:١٤٢)، فهو لم يقل لهم هنا ما سبب التحويل، ولكن وضح لهم أن الذي أمر بتغيير القبلة هو الله تبارك وتعالى الذي خلق المشرق والمغرب على السواء، بالتالي فهذا الفعل ليس فعلا بشريا، بل هو أمر رباني خالص.

## القرآن الكريم تنبأ باستمرارية تساؤلات تغيير القبلة

ونستخلص من قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة:١٤٢) أن في ذلك إجابة قاطعة معناها أن الجهات كلها لله، وأن الأماكن التي نتوجه إليها في العبادة لا تستحق هذا التوجه لذاتها.

وذكر «المشرق والمغرب» المراد به تعميم الجهات... ويجوز أن يكون المراد من المشرق والمغرب الكناية عن الأرض كلها؛ لأن اصطلاح الناس أنهم يقسمون الأرض جهتين شرقية وغربية بحسب مطلع الشمس ومغربها؛ والمقصود أنه «ليس لبعض الجهات اختصاص بالقرب من الله تعالى، لأنه منزه عن الجهة، وإنما يكون أمره باستقبال بعض الجهات لحكمة يريدها»[3].

**رابعا:**

يتبين للمتأمل والمتدبر في هذا السياق أن الله تعالى ربط بين هذه الأمة منذ نشأتها الأولى وبين الوسطية، عندما جعلها تتجه في صلاتها صوب الكعبة المشرفة التي تقع في وسط الكرة الأرضية، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:١٤٣). والوسط هو العدل، فنحن أمة تشهد للأنبياء السابقين على أممهم بالعدل لا بالجور، ونحن أمة لا تتجه بدينها لا إلى الإفراط ولا إلى التفريط، وتلك قمة الوسطية. فأمة الإسلام هي الأمة الوسط في كل شيء.

**خامسا:**

يدرك المتأمل في الآيات القرآنية التي عالجت قضية تحويل القبلة، أن القبلة الأساسية في الإسلام هي البيت الحرام، ولا أدل على صحة ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ (البقرة:١٤٣)، حيث يستشف من ذلك أن القبلة التي صلى الرسول عليه الصلاة والسلام في اتجاهها بداية الأمر كانت لفترة محدودة ولحكمة معينة.. فقد جعلها الله تعالى لسبب له أهميته وهو أنه سيتم تنقية الصف الإسلامي من الذين دخلوا في الدين الجديد ظاهريا ولم تتمكن العقيدة من قلوبهم عند العودة إلى القبلة الأصلية؛ وكان من المهم حدوث ذلك كي لا يتبقى مع الرسول، وهو مقبل على مراحل متوالية من الاجتهاد في نشر دين الله، إلا من حسن إسلامه ورسخت عقيدته، ولعل هذا هو المعنى الذي نأخذه من قول ربنا: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ (البقرة:١٤٣).

ونود التأكيد هنا على نقطة نراها من الأهمية بمكان؛ إذ نتحفظ كثيرا

على الرأي الذي يذهب إليه بعض العلماء من أن النبي ﷺ قد صلى باتجاه بيت المقدس تأليفا لقلب اليهود ثم عدل عن ذلك عندما رأى عنادهم.. ونتحفظ على هذا القول لأن الله عز وجل هو الذي جعل الرسول يتجه إلى القبلة الأولى، وهو سبحانه الذي أمره بالتوجه بعد ذلك إلى الكعبة المشرفة.. من هنا ندرك أن المسألة لم تكن بالتخطيط النبوي من أجل إجراء مواءمات مع اليهود أو مع غيرهم، بل كانت بالأمر الإلهي، وحاشا لله أن يسترضي أحدا من عباده على حساب الشرع والعقيدة.

**سادسا:**

تعامل القرآن الكريم مع مسألة تغيير القبلة بمنتهى الواقعية والشفافية، وأوضح أنها ليست مسألة سهلة ولا بسيطة على النفس البشرية، وكشف النقاب عن أن الامتثال لها والإيمان بصدقها كحدث سماوي يحتاجان إلى نفوس طاهرة وقلوب رسخ فيها الاعتقاد والتصديق.. ولقد أشار ربنا سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ (البقرة:١٤٣).

**سابعا:**

الملاحظ أن القرآن الكريم لم يترك شاردة ولا واردة دارت في أذهان الناس وقتذاك إلا توقف معها وعالجها وأوضح مختلف جوانبها؛ فقد حدث أن بعضهم تساءل وقتها عن موقف صلاة المسلمين السابقة على تغيير القبلة، وقالوا: أكانت صلاة صحيحة أم باطلة؟ مقبولة أم غير مقبولة؟ وتساءلوا عن موقف من مات ولم يتجه في صلاته إلى القبلة الجديدة، وقالوا أيضا: لو كانت القبلة الأولى هي الصواب فالثانية خطأ، وإن كانت الثانية صوابا فالأولى خطأ.. لقد أرادوا بأقوالهم

## حدث تحويل القبلة تنقية للصف الإسلامي من ضعفاء الإيمان

هذه فتنة المسلمين في دينهم، لكن القرآن الكريم لم يترك أحاديثهم تنتشر من دون الرد عليها؛ حتى لا تفسد على المؤمنين إيمانهم ولا تفتن المسلمين في إسلامهم، فرد عليهم القرآن الكريم قائلا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:١٤٣).

**ثامنا:**

أكد القرآن الكريم أن قلب النبي ﷺ كان يتطلع إلى الصلاة صوب المسجد الحرام؛ لأنه قبلة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وعلى الرغم من أن قلبه كان يرتاح إلى الصلاة صوب المسجد الحرام، فإنه لم يصلِّ صوبه إلا عندما جاءه أمر السماء، ولو كانت المسألة بيده ﷺ لكان قد صلى صوب الكعبة من البداية وفق رغبته وتلبية لنداء قلبه، لكنه لم يكن يملك من الأمر شيئا غير تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى.. وهكذا يتأكد لنا أنه نبي مرسل ولا يتحرك إلا وفق الوحي الإلهي الذي يأتيه من السماء.

**تاسعا:**

أشار القرآن الكريم إلى أن أهل الكتاب يعلمون أن هذا الرسول هو الرسول الحق، وأنهم يعلمون أن تحويل القبلة حق من خلال علمهم بأن محمدا ﷺ رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وأنه لا ينطق عن الهوى، ويعلمون أيضا أن تحويل القبلة حق من خلال بعض ما ورد في كتبهم عن تحويل قبلة نبي آخر الزمان عن بيت المقدس(٤)، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٤٦).

وهكذا يتأكد لدينا أن جميع الشبهات التي حاول خصوم الدين الإسلامي الحنيف إثارتها والتحدث بها بشأن مسألة تغيير القبلة لا تصمد، كباقي شبهاتهم، أمام التفكير الإسلامي العقلاني الذي يستلهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ويلتزم بأسس التفكير المنهجي السليم.. ولعل الدور المنوط بالعقل المسلم في مثل تلك الأمور هو أن يقوم بتوضيح الغامض وإبانة الملتبس في أذهان هؤلاء، ثم يتركهم لضمائرهم ولا عليه بعد ذلك لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩).

---

**الهوامش**

١- هناك من المفسرين من يذهب إلى أن الكفار وبعض اليهود تحدثوا بحديثهم هذا قبل نزول قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، ومنهم من قال إنهم لم يتحدثوا به إلا بعد نزول الآية. راجع في ذلك القرطبي في تفسيره لقول الله تعالى ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وكذلك الزمخشري في «الكشاف».. وغيرهم.

٢- راجع الزمخشري، «الكشاف»، المجلد الأول، طبعة دار الحديث، مصر، ص١٨٦؛ والرازي في التفسير الكبير، طبعة المكتبة التوفيقية، مصر، المجلد الثاني، جـ ٤، ص٩٠.. وغيرهما.

٣- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص١٢.

٤- راجع في تفصيل ذلك فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المجلد الثاني، جـ ٤، ص٩٠ وما بعدها.

مصطفى يعقوب عبد النبي
باحث دراسات إسلامية



كان وسيلتهم للتعرف على مكامن القوة والضعف عندنا

# الاستشراق.. فتنة وغواية وغزو فكري

**جاء في «لسان العرب» لابن منظور: «يقال: فلان مفتون بطلب الدنيا، قد غلا في طلبها، وأهل الحجاز يقولون: فتنته المرأة، إذا ولهته وأحبها. والفتنة: إعجابك بالشيء. والفتنة: الضلال والإثم[1]. هذا عن أمر الفتنة، أما الغواية فقد جاء في اللسان: «الغي: الضلال والخيبة، وغوى غواية: ضل، ورجل غاو وغوي: ضال. وفي الحديث: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى». والغواية: الانهماك في الغي[2].**

والحقيقة أن الفتنة والغواية لم يجتمعا في تاريخ الفكر العربي في النصف الأول من القرن الماضي، إلا في الاستشراق، وهو الوجه الآخر من الصراع بين الشرق والغرب، فبعد أن فشل الغرب في السيطرة عسكريا على العالم الإسلامي من خلال فشله في الحروب الصليبية، وهو من الأمور المعروفة تاريخيا، اتجه التفكير بالغرب وجهة أخرى، وهي التعرف على مكامن القوة والضعف في العرب كأمة، وفي الإسلام كعقيدة، ومن هنا بدأت حركة الاستشراق؛ لذا لم يكن من الغريب أن تكون طلائع نقلة التراث العربي إلى اللاتينية من الرهبان والقساوسة، بدليل أن كبيرهم، وهو جربرت دي أورلياك (٩٣٨-١٠٠٣) J.Oraliac، وهو راهب قصد الأندلس، وأخذ على أساتذتها في إشبيلية وقرطبة، حتى أصبح

أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك، ولما ارتحل إلى روما سما على أقرانه، وانتخب حبرا أعظم باسم سلفستر الثاني، فكان أول بابا فرنسي، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين: الأولى في روما مقر خلافته، والأخرى في «رايمس» وطنه، وبث الأعداد العربية في أوروبا، التي كان ينقصها رقم الصفر، وترجم بعض الكتب الرياضية والفلكية[٣].

ومعنى هذا أن طلائع المستشرقين الذين تولوا نقل التراث العربي، على اختلاف ألوانه، قد خرجوا من الأديرة والكنائس، ليس هذا فحسب بل إن الاهتمام الرسمي بالدراسات العربية والإسلامية، كما يقول إدوارد سعيد، «قد انطلق من مؤتمر فيينا الكنسي سنة ١٢١٣م. الذي أوصى بإنشاء كراسي للغات عدة، ومنها اللغة العربية في أكثر من مؤسسة تعليمية عالية في أوروبا»[٤].

وبعد أن تمت ترجمة التراث العربي إبان ما يطلق عليه «عصر النهضة الأوروبية»، الذي هو في حقيقة الأمر التراث الإنساني كله، حيث سبق للعرب ترجمة تراث الأمم السابقة من يونان وفرس وهنود، بالإضافة إلى إبداع المئات من العلماء العرب في شتى فروع العلم والمعرفة، أخذ الاستشراق منحى مضادا في كتبه ودراساته لكل ما هو إسلامي، ولكل ما هو عربي، ولعل السبب في هذا يجمله لنا الأستاذ محمود شاكر حيث يقول: إن «كتب الاستشراق ومقالاته ودراساته كلها مكتوبة أصلا للمثقف الأوروبي وحده لا لغيره، وإنها كتبت له لهدف معين لا يراد

## الاستشراق منحى مضاد لـ «العربي والإسلامي»

به الوصول إلى الحقيقة المحررة، بل الوصول إلى حماية عقل هذا المثقف الأوروبي من أن يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في الجنوب»[٥]، على الرغم من هذا فإننا نؤكد كذلك أن كتب الاستشراق ودراساته مكتوبة، أيضا، لأبناء العرب المسلمين، لأهداف شتى أهمها ما يتعلق بالتبشير، إذ إن الاستشراق والتبشير كانا مختلطين أو متكاملين، وإن هذا الاختلاط أو التكامل قد أوقعهما في البعد عن موضوعية العلم ونزاهته، وفتح الباب لهذا السيل المتدفق من الطعن والافتراء على كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين[٦].

ولقد وجدت مؤلفات وكتب الاستشراق سبيلها إلى العالم العربي والإسلامي عبر الترجمات المختلفة لتلك المؤلفات من لغاتها الأوروبية إلى اللغة العربية، وسرعان ما وجدت تلك المؤلفات من يفند ما بها من مزاعم وآراء مغلوطة حول الإسلام والمسلمين. ولعل خير مثال على ذلك ما جاء في تقديم الدكتور شاكر مصطفى المشرف على ترجمة كتاب «تراث الإسلام» لشاخت وبوزورث Sachat & Posourth، إذ قال: «يجب أن نعلم أن هذا الكتاب، كتاب غربي وليس بإسلامي، ويجب ألا نفتش فيه عن وجهة النظر الإسلامية، ولا عن إنصاف الإسلام وتقديره، إنه ليس منا، ولم يكتب لنا، هو غربي صرف في محرريه ومضمونه ومغزاه. وقد وفقوا حينا، وأخفقوا أحيانا، وكانوا في الغالب إلى غمط الحق أقرب، وإلى السلبية والهوى أدنى»[٧].

### الفتنة والغواية في ديار المسلمين

إن أخطر ما في هذا الشأن هو أن المستشرقين أنفسهم قد أصبحوا في قلب ديار المسلمين، وتحديدا في الديار المصرية من خلال المبعوثين المصريين، الذين درسوا في معاقل المستشرقين وتحت إشرافهم ورعاياتهم الفكرية. وتبدأ القصة فصولها عندما فتحت الجامعة المصرية أبوابها سنة ١٩٠٨م، أخذت البعثات العلمية إلى أوروبا ولاسيما فرنسا تتوالى كما استقدمت الجامعة من ناحية أخرى أساتذة من أوروبا لإلقاء المحاضرات على الطلبة المصريين في شتى فروع المعرفة حتى تدريس الأدب العربي، كما حدث مع الدكتور نللينو C. Nallino (الإيطالي) الذي تولى تدريس آداب اللغة العربية وقتها[٨].

وقد تشرب عدد كبير من هؤلاء المبعوثين آراء وأفكار أساتذتهم من المستشرقين، وما لبثت تلك الآراء والأفكار أن تسربت بدورها، وبطبيعة الحال إلى أطروحاتهم العلمية، التي أشرف عليها هؤلاء المستشرقون. ولم يكتف المبعوثون بأن تتضمن أطروحاتهم آراء وأفكار أساتذتهم المستشرقين، بل كانوا من مروجيها والداعين إليها بين أبناء وطنهم عندما أصبحوا، بعد عودتهم، في موقف الأساتذة.

ولعل مدرسة الاستشراق لم تنجب تلميذا مخلصا مثل طه حسين، الذي حمل آراء المستشرقين طواعية واختيارا؛ ليبثها من جديد بين أبناء وطنه وأمته العربية، حتى ملأ الدنيا وشغل الناس، إن صح التعبير، بما ألف من كتب ثار حولها جدل كبير. ولعلنا نفرق بين إيجابيات طه حسين، سواء في كتاباته الأدبية الرائعة الأسلوب والصياغة والبيان، أو في آرائه النقدية التي أسست مدرسة في النقد الأدبي ما زلنا نطالع أصداءها بين الحين والحين في الكتابات النقدية الحديثة. إننا لا نتحدث عن هذا الوجه المشرق من الرجل، ولكن نتحدث عن مدى تشبعه بآراء المستشرقين وأفكارهم التي تصطدم مع عدد من المفاهيم الإسلامية، وربما أوضح مثال على ذلك كتابه الشهير «في الشعر الجاهلي»، ولسنا بحاجة إلى أن نذكر القارئ بما جاء في الكتاب من آراء قد صدمت الجمهور المسلم في مصر، وفي البلاد العربية أيضا، فالكتاب قصته معروفة، كما أنه قتل بحثا بحيث لا مزيد لمستزيد، فقد تكفل جمع كبير من الكتاب بتأليف الكتب التي تقد وتنقض ما جاء في الكتاب، الأمر الذي حدا بطه حسين إلى أن يحذف فصولا ويضيف أخرى، ويصدر الكتاب تحت اسم «في الأدب الجاهلي». ولعل المؤسسات العلمية، وما أكثرها في أقطار الوطن العربي، وهذا ما نؤمله، أن تصدر مجلدا يضم كلا من «في الشعر الجاهلي»، وكل ما تم تأليفه من ردود وتفنيد لما جاء في الكتاب من آراء حادت عن جادة الصواب، حتى

## مثَّل الوجه الآخر للصراع بين الشرق والغرب

يكون النشء العربي المسلم بعيدا عما أريد له من التشكيك في بعض المفاهيم والثوابت الدينية والتاريخية التي تتعلق بالإسلام. والكتاب في جملته، كما يقول المستشرق اليوغوسلافي، أحمد سمايلوفتش، مأخوذ من آراء Smilovith، مرجليوث Margoliouth، ونيكلسون Nicholson، وجب Gibb، وغيرهم من المستشرقين، الذين أوغلوا في شكهم في الشعر الجاهلي، معتمدين على الخلاف بين لغة حمير ولغة عدنان[٩].

ولقد لفت نظرنا أمران قد غابا عن فطنة من تصدوا للكتاب على كثرتهم. ففي مقدمة كتاب «في الأدب الجاهلي» نجده يلوم الحكومة المصرية على أنها تعتني بالبعثات العلمية، ولا تعتني بالبعثات الأدبية، فيقول: «ومن غريب الأمر أن الحكومة ترسل البعثات العلمية إلى أوروبا، ولكن الحكومة لا تفكر أن ترسل بعثات لدرس الأدب»[١٠]، وكأن الشعوب لا تنهض إلا بدراسة الأدب، لا بدراسة العلم، وكأن الأدب العربي لا يصح إلا بدراسته في أوروبا، وعلى أيدي أساتذة من غير بني العرب. ويعبر عن مدى افتتانه وغوايته بكل ما هو أوروبي فيقول: «كيف تتصور أستاذا للأدب العربي، لم يلم ولا ينتظر أن يلم بلغة أجنبية، أو بأدب أجنبي. وكيف تتصور أستاذا للأدب العربي لا يلم، ولا ينتظر أن يلم بما ينتهي إليه الفرنج من النتائج العلمية المختلفة، حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه، إنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولابد من التماسه عندهم؛ حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا»[١١].

وكما أثار «في الشعر الجاهلي» ضجة كبرى حوله، أثار أيضا كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» ضجة كبيرة حول ما جاء فيه من آراء. وحسبنا للدلالة، على مدى خطورة هذه الآراء، أن نتعرف على الأصول أو الأفكار الأساسية في هذا الكتاب، إذ إنه «يمكن رد ما حواه الكتاب إلى ثلاثة أصول:

١- الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها، وقطع ما يربطها بقديمها وإسلامها.

٢- الدعوة إلى إقامة الوطن وشؤون الحكم على أساس مدني لا دخل للدين فيه.

٣- الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور، ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى، التي نزل بها القرآن الكريم، إلى أن تصبح لغة دينية فحسب، كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية»[١٢].

ذلك غيض من فيض من شواهد تبني طه حسين لآراء المستشرقين. ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا: إن القارئ لمؤلفات طه حسين سوف يجده منتحلا أغلب آرائهم. فقد أثبت الأستاذ محمود محمد شاكر أن طه حسين قد انتحل آراء المستشرق الفرنسي بلاشير Blachere في كتابه «مع المتنبي»[١٣]. كما يروي الأستاذ أنور الجندي أن طه حسين الذي شك في أصل وسيرة وفلسفة ابن خلدون قد جرى - في

بحثه - وراء آراء أستاذه دوركايم Durkheim[١٤] ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا: إننا أمام حالة من حالات الغزو الفكري التي يجب التنبه لها وتصحيح الآراء والأفكار المغلوطة عمدا أو جهلا. وتبلغ الفتنة والغواية والغزو الفكري أقصى المراتب عند طه حسين، رغم حسنات الرجل في الأدب والنقد الأدبي، عندما حاول إضافة عدد من الحروف الأجنبية إلى الحروف العربية، يقول الدكتور عمر فروخ: «في إحدى جلسات مجمع اللغة العربية، اقترح طه حسين أن يضاف إلى الحروف العربية عدد من الحروف اللاتينية».

نهضت أنا أسأل سؤالا قانونيا، توجهت به إلى طه حسين نفسه: ما الغاية من إضافة هذه الحروف؟ فقال: كي نستطيع أن نكتب مثلا اسم «فيكتور هيجو» بطريقة صحيحة. عندئذ قلت له: «أنت تعرف اللغة الفرنسية، وتريد حل مشكلة تتعلق بالفرنسية، فإذا كنت أنا، وأنا أعرف الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية، ثم أشياء من غير هذه اللغات أيضا، أحب أن أدخل على اللغة العربية أحرفا إضافية؛ لحل مشكلة في كل هذه اللغات، فماذا يحدث للغة العربية؟

عندئذ نهض العقاد، ثم قال ما أدى إلى صرف النظر عن مشروع طه حسين، وسلمت اللغة العربية مما كانت مهددة به»[١٥].

ولم يكن طه حسين يمثل حالة فريدة بين المبعوثين الذين اعتنقوا آراء أساتذتهم المستشرقين، بل سبقه إلى ذلك واحد من هؤلاء المبعوثين قد طواه النسيان، بل لعل جمهرة كبيرة من القراء لا تعلم من أمره شيئا، وهو الدكتور منصور فهمي.

فقد كان الطالب منصور فهمي ضمن البعثة التي أرسلتها الجامعة المصرية إلى فرنسا سنة ١٩٠٨م، حيث وضع رسالة للحصول على الدكتوراه، تحت إشراف المستشرق الفرنسي ليفي بريل، موضوعها: «حال المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها». وقد طبعت هذه الرسالة باللغة الفرنسية في باريس سنة ١٩١٣م، التي جاء محتواها هجوما على تعدد الزوجات في الإسلام[١٦].

وعن هذه الرسالة يقول بعض الباحثين: «وقال، أي منصور فهمي، ما ترجمته: «ولقد حد النبي من نظام تعدد الزوجات، إلا أنه تعدى بالنسبة إلى نفسه ما وضعه من حدود للآخرين، فمع أن بقية المؤمنين، لم يكن في مقدورهم أن يتزوجوا بأكثر من أربع نساء، فإن محمدا قد أجاز لنفسه أن يتزوج بأكثر من ذلك. هذا كما أنه استلزم لشرعية الزواج دفع مهر ووجود شهود، إلا أنه في زواجه أعفى نفسه من المهر والشهود.. إلخ.

ولما اطلعت إدارة الجامعة المصرية على هذا الكتاب بادرت ففصلته من الجامعة، وتبرأت منه، ومن كتابه، الأمر الذي اضطره إلى الاختفاء من المجتمعات زمنا طويلا»[١٧].

**مبتعثون مميزون لم يسايروا أساتذتهم**

وأمام هذا الغزو الفكري الصريح شرع كثير من الكتاب والعلماء المسلمين أقلامهم للرد على ما جاء في الكتاب من آراء هي أقرب إلى الكفر، فقد كتب المرحوم محمد لطفي جمعة، مقالا طويلا نشر في جريدة «المؤيد» في ٢٨ يناير سنة ١٩١٤م، يرد على مزاعم منصور فهمي، مبينا أن هذا الكتاب اعتمد على الأحاديث الموضوعة والضعيفة، ومع ذلك لم يشأ أن يفهمها على وجه صحيح، بل فهمها على وجه خطأ لأغراض قبيحة انطوت عليها نفسه الخبيثة.

وبين المرحوم لطفي جمعة الحكمة في زواج النبي ﷺ، بأكثر من أربع، والظروف التي أحاطت بكل زواج، وما ترتب على ذلك من فوائد سياسية واجتماعية.. إلخ[١٨].

ومن المؤسف أن عددا من الكتاب، الذين لم يتتلمذوا على أيدي المستشرقين، وحتى دون أن يسافروا إلى حواضر أوروبا لطلب العلم، قد تبنوا بعض آراء المستشرقين، وعلى سبيل المثال، فإن أحمد أمين يذهب مذهب المستشرق أوليري O'Leary حول ضعف الخيال عند العرب، حيث يقول: «يقول أوليري إن العربي ضعيف الخيال، جامد العواطف؛ أما ضعف الخيال فلعل منشأه أن الناظر في شعر العرب لا يرى أثرا للشعر القصصي ولا التمثيلي، ولا يرى الملاحم الطويلة كإلياذة هوميروس وشاهنامة الفردوسي»[١٩].

وقد فات الدكتور أحمد أمين، أن جملة ما قيل من أشعار العرب في الجاهلية، إبان حرب البسوس، أو حرب داحس والغبراء، لو سلم

من الضياع، لفاق ملاحم اليونان والفرس، والدليل على ذلك أن معلقتين من معلقات العرب قيلتا ارتجالا، فقد جاء في «الأغاني» أن الحارث بن حلزة قد ارتجل قصيدته «آذنتنا ببينها أسماء»، وأن عمرو بن كلثوم قد ارتجل هو الآخر قصيدته «قفي قبل التفرق يا ظعينا»[٢٠]، الأمر الذي يقطع بأن شعر الملاحم لم يكن بعيدا عن أيدي العرب القدماء.

إن هؤلاء المبعوثين إلى أوروبا لو كانوا قرأوا كتاب أحمد فارس الشدياق (ت: ١٨٨٧م) «كشف المخبا عن فنون أوروبا»، وكتابه الأشهر «الساق على الساق فيما هو الفارياق»، لما غرقوا في الفتنة والغواية إلى هذا الحد، ولما حملوا تلك الآراء المغلوطة فكريا وعقائديا إلى بلادهم قبل فحصها وتمحيصها، وتمييز الصحيح الطيب من الخبيث السيئ. يقول محمد عبدالغني حسن عن الشدياق: «فقد عرفهم (أي الشدياق) عن قرب، وكشف عن مواطن ضعفهم في اللغة، ولم يبال بأن يرميهم بالجهل، وقد حمل الشدياق على هؤلاء المستشرقين، مع ادعائهم الكاذب، وغرورهم الباطل بالمعارف المبعثرة، حتى يوهموا الناس أنهم علماء»[٢١].

## مثال من رفْض الفتنة والغواية

وعلى النقيض تماما من هذه النماذج من المبعوثين الذين استسلموا لآراء المستشرقين، بل وحملوها طواعية واختيارا إلى وطنهم داعين لها بين أبنائه، كانت هناك نماذج أخرى لا نملك حيالها إلا أن نقف إجلالا لها، وإعجابا بها، فهي نماذج أحرى بكل من قدر له أن يقف موقفها أن يقتدي بإيمانها، وينهج نهجها.

ومن هذه النماذج الدكتور محمد حسين هيكل، الذي اشتهرت إسلامياته، كما لم تشتهر كتب في الإسلاميات سواها، ولاسيما كتابه الأشهر «حياة محمد» وسائر كتبه: «في منزل الوحي»، و«أبو بكر الصديق»، و«الفاروق عمر»، فعلى الرغم من أنه كان مبعوثا في فرنسا لدراسة الحقوق، إلا أنه قد أبى أن يساير المستشرقين في آرائهم، بل على النقيض تماما، فإنه قد بين، في غير موضع من كتبه، فساد آرائهم فيما ذهبوا إليه. ولعل من يطالع كتابه «حياة محمد» يشعر شعورا قويا بأنه قد كتبه ليرد على المستشرقين، ويدرأ مطاعنهم في العقيدة الإسلامية، وذلك من خلال ثلاثة محاور: الأول: مقدمة الطبعة الثانية، فقد رد على كثير من المستشرقين، وفند مزاعمهم[٢٢]. الثاني: في ثنايا فصول الكتاب، لم يفته أن يرد على مستشرق في رأي من الآراء، ويوجهه وجهة الصواب، أما المحور الثالث: فقد أنشأ فصلا إضافيا بعنوان: «المستشرقون والحضارة الإسلامية»، وهي سابقة محمودة، تبعها كثيرون ممن تصدوا للكتابة في التاريخ الإسلامي، أو السيرة النبوية الشريفة، وغيرها من الموضوعات ذات الصلة.

وهناك نموذج رائع من المبعوثين الذين لم يسايروا أساتذتهم المستشرقين، بل كان لهم استقلالهم الفكري الذي جاء مخالفا لما أراد هؤلاء الأساتذة، ويتمثل هذا النموذج الرائع في الطالب وقتها عمر فروخ، الذي كان مبعوثا في ألمانيا لنيل أطروحة الدكتوراه، والذي نسوق على لسانه الراوية التالية:

وسألني يوسف هل J. Hell، وهو المستشرق الألماني، الذي أشرف على أطروحة الدكتوراه، عن الموضوع الذي كنت أفكر فيه لرسالتي، كنت وقتها عام ١٩٣٥م، في عنفوان الشباب، فقلت له: «مدى القومية العربية – عظمة الشاعر المتنبي – أثر العرب في الثقافة العالمية... وأشباه ذلك»، واستمع إلي بصبر، فلما سكت قال لي: احتفظ بهذه الموضوعات. فإذا أنت رجعت إلى بيروت فاكتبها وانشرها في الجرائد، ثم قال لي: هنالك موضوع مهم مازلت أعرضه على الطلاب الألمان الراغبين في الاستشراق، منذ عشرين عاما، فلم أجد الهمة عند أحد لمتابعته، مع أن نفرا منهم بدأ بتجميع مواده، ثم تخلى عن الاستمرار فيه، إنه موضوع يحتاج إلى رجل عربي سريع المضي في المصادر العربية، هذا الموضوع هو المشكلة التالية: يرى نفر من المستشرقين أن الإسلام لم يستقر في نفوس المسلمين إلا في العصر العباسي، (قياسا على أن النصرانية لم تبدأ في الانتشار بين الناس إلا في القرن الرابع الميلادي)، فهل تستطيع أنت أن تعالج هذا الموضوع، وتضع هذه المشكلة على أحد جانبيها؟

بدأت العمل، وجمعت عشرة آلاف بيت من الشعر مؤرخة بالسنوات، منذ السنة الأولى للهجرة ٦٢٢م، إلى موت الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ /٦٤٤م.

دخل في رسالتي أربعمائة بيت من تلك الأبيات، التي دلت بجزم ووضوح على أن تعاليم الإسلام كانت تستقر

في نفوس المسلمين، (ونطاق الرسالة كان منذ الهجرة)، في الوقت الذي كانت تلك التعاليم تفرض عليهم، أو ينزل فيها وحي[٢٣].

وإذا كان لهذه الرواية أكثر من دلالة تتعلق بنظرة المستشرقين حيال الإسلام، وحيرتهم الشديدة حيال سرعة انتشاره في عقود قليلة من السنين، فإن الدلالة التي يمكن أن نخرج بها، والتي تتعلق بشخص الدكتور عمر فروخ هي أن يوسف ربما أراد شيئا، بينما أراد الدكتور فروخ شيئا آخر عكس الأول، ومناقضا لما ذهب إليه أستاذه المشرف على رسالته، غير أن هناك أمرا يجب التوقف عنده، وهو موضوع الرسالة التي جهزها يوسف هل للطالب عمر فروخ، فيما يتعلق بإثبات أن الإسلام لم يستقر في نفوس المسلمين إلا في العصر العباسي، وأغلب الظن أن هذه الفكرة كان أول من نادي بها المستشرق الفرنسي الشهير إرنست رينان، والتي رددها في كثير من كتبه، وأجملها ضمن أفكار شتى في محاضرة شهيرة ألقاها في أخريات حياته، وقد كانت لكاتب هذه السطور مساهمة متواضعة، منذ ما يزيد على عشرين عاما، في غير هذا المكان، في تفنيد هذه الدعوى المسمومة، وغيرها من دعاوى هذا المستشرق المتعصب ضد العرب كأمة، وضد الإسلام كعقيدة[٢٤].

وهذا المستشرق، على وجه التحديد، يعد من غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والإسلام، ففي كتابه «الحضارة العربية»، وتحديدا ما جاء في الفصل الثاني من الكتاب، وهو الفصل الخاص بالرسول ﷺ.

فقد وجدنا أن الدكتور إبراهيم العدوي، مترجم الكتاب، يقول في بعض هوامشه: «اقتضى هذا الفصل تعديلا في الأسلوب، ولاسيما في بعض الفقرات التي عالج فيها المؤلف شخصية الرسول ﷺ ودعوته إلى الإسلام؛ إذ يحمل أسلوب المؤلف تجنيا يكشف عن تعصبه، ووقوعه في الخطأ الذي تردى فيه كثير من غلاة المستشرقين»[٢٥].

وأغلب الظن أن المترجم قد تحرج من ترجمة آراء هذا المستشرق، الذي يبدو أنه أساء الأدب أكثر مما أساء العلم.

إن الصورة السيئة لكل ما يمت إلى العرب أو الإسلام بصلة في أدبيات الإعلام الغربي، ليست وليدة حادثة هنا أو هناك، ولكن الجذور الأولى تكمن في كتابات المستشرقين، الذين حاولوا أن يغزوا بها ديار المسلمين، عبر كتاب هنا أو هناك، أو مبعوث من المبعوثين، وإذا كانت جمهرة من أفاضل العلماء والكتاب قد تصدوا في حينهم للفتنة والغواية، ومنعوا الغزو الفكري من احتلال العقل المسلم، إلا أن الأمر الآن تطور على نحو غير مسبوق، عبر مستحدثات التقنية التي جعلت من العالم قرية صغيرة، فآراء هؤلاء، وغيرهم ممن يعادون الإسلام وأهله، نطالعها ليل نهار على شاشات الحواسيب، وعبر الشبكة العنكبوتية التي دخلت كل بيت. إن جهود الغيورين على الإسلام وأهله مطلوبة الآن أكثر من أي وقت مضى؛ لصد مثل هذا الغزو الفكري؛ حماية للنشء المسلم، ووقاية للأجيال القادمة من شر الفتنة والغواية. إنها دعوة لعلها تلقى مجيبا.

## الهوامش

١- «لسان العرب للفيروزبادي»، تحقيق عبد الله الكبير وآخرين، ج٥ ص ٣٣٤٥.
٢- المصدر السابق ج٥ ص ٣٣٢٠.
٣- «المستشرقون»، نجيب العقيقي، ج١، ص ١١٠.
٤- الاستشراق، إدوارد سعيد، ترجمة كمال ابو ديب، ص ٨٠.
٥- رسالة «في الطريق إلى ثقافتنا»، محمود محمد شاكر، ص ٦١.
٦- «نظرات في حركة الاستشراق»، د. عبدالحميد مدكور، ص ٤٠.
٧- «تراث الإسلام»، شاخت وبوزورث، ترجمة د. حسين سلمان مؤنس وآخرين، ج١ ص ٢١٩.
٨- «تاريخ الجامعة المصرية»، د. رؤوف عباس، ص ٦٨.
٩- «فلسفة الاستشراق»، سمايلوفتش، ص ٣٨٧.
١٠- «في الأدب الجاهلي»، طه حسين، ص ٦.
١١- المصدر السابق، ص ١١.
١٢- «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، د. محمد محمد حسين، ج٢ ص ٢١٩.
١٣- «المتنبي»، محمود محمد شاكر، ص ٤٠٠.
١٤- «خصائص الأدب العربي»، أنور الجندي، ص ١١٥.
١٥- «الإستشراق» - العدد الأول، يناير ١٩٨٧م، «المستشرقون ما لهم وما عليهم»، د. عمر فروخ، ص ٥٧.
١٦- «فصول ممتعة»، محمد سيد كيلاني، ص ٥.
١٧- المصدر السابق، ص ٨.
١٨- «المعارك الأدبية في مصر منذ ١٩١٤م-١٩٣٩م»، أنور الجندي، ص ٣٣٠.
١٩- «فجر الإسلام»، د. أحمد أمين، ص ٣٦.
٢٠- «الأغاني للأصفهاني»، تحقيق د. إحسان عباس وآخرين، ج١١ ص ٢٩.
٢١- «أحمد فارس الشدياق»، محمد عبدالغني حسن، ص ٦٣.
٢٢- «حياة محمد»، د. محمد حسين هيكل، مقدمة الطبعة الثانية، ص٤٣-٧٧.
٢٣- «الاستشراق» - العدد الأول، يناير ١٩٨٧م، مصدر سابق، ص ٥٨.
٢٤- عالم الكتب، «التعقيب على محاضرة رينان»، مصطفى يعقوب عبد النبي، مج ١٥ ع ١ رجب - شعبان ١٤١٤هـ، ص ٤٧-٥٧.
٢٥- «الحضارة العربية»، يوسف هل، ترجمة إبراهيم العدوي، ص ٣٣.

أ.د. عبدالله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية
للتربية والتكوين
بني ملال - المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها

## (الحلقة ٦)

**«ليعلم الكاشف عن الحقيقة أن الأجوبة ثلاثة: مكني، ومصرح، وثالث لا يقدر عليه الآدميون» (إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء، ص ١٦٥)**

### أولا: أسباب وتجليات المكر اللغوي

**١- ائتناف**

حقيق علي في هذا الائتناف التأكيد أن موضوع المكر اللغوي بما هو تصرف في أوجه الكلام بالبراعة والخلابة والمداراة موضوع متشعب الطرائق، بالغ الجموح، لا يستطيع خوض غمراته إلا شراب بأنقع، قابض على خزائم الأدب، ماهر بطرق افتضاض أغشية الكلام المرقش، مدرك لمدافن العبارات المموهة، عالم بالأسرار التي لم يشق الآخرون أكمامها، ولم يعقدوا عليها خناصرهم، مدرك لأساليب المكر وعدم الجهر بالقصد الصادح الصريح، لوذعي في الكشف عن مخبآت الأساليب بمقدمات وعلامات يستدل بها على المغزى الخفي، لتظهر أسرارها وتتكشف حقائقها التي تخفيها أسجاف الاستعارات وأصناف الزخارف، حفي دري باتساع دلالات ألفاظ تجلت في نظمها عجائب البراعة، وسالت فيها جعافر البلاغة، أحوذي بخبيء العجائب والغرائب التي عميت عنا حقائقها. ولئن كانت هذه الظاهرة التي تعد أنف البلاغة الذي تعطس منه في العصور الذهبية للآداب العربية شائعة في كلام البلغاء الفصحاء، أكثر من الحصى وسط جمرة العقبة؛ حيث وضع الأوائل قدما على محجة المكر والدهاء، وارتقوا درجاته سافا من فوق ساف، حتى بدت الحقائق في عباراتهم الماكرة متلونة كما يتلون الماء بلون الزجاج الذي يظهر فيه، لا يستطيع إدراك المغزى الذي إليه قصد مرسل الخطاب، إلا من أوتي حظا عظيما من المعرفة بحسن التخلص وبكيفية ضم الكلام بعضه ببعض، على شاكلة زياد بن أبيه الذي يعد أكثر الناس إدراكا لأساليب المكر والدهاء حتى قيل: وقع الإجماع على أن الدهاة أربعة: معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة ابن شعبة، وزياد بن أبيه، الذي قال يوما لحارثة بن بدر الشاعر المفلق والخطيب المصقع: «من أخطب الناس، أنا أو أنت؟ فقال: الأمير أخطب مني إذا توعد ووعد، وأعطى ومنع، وبرق ورعد. وأنا أخطب منه في الوفادة وفي الثناء والتحبير، وأنا أكذب إذا خطبت، فأحشو كلامي بزيادة مليحة شهية، والأمير يقصد إلى الحق وميزان العدل، ولا يزيد فيه شعيرة ولا ينقص منه. فقال له زياد: قاتلك الله، لقد أجدت تخليص صفتك وصفتي، من حيث أعطيت نفسك الخطابة كلها، وأرضيتني وتخلصت. ثم التفت إلى أولاده فقال: هذا لعمركم البيان الصريح[1]. وقد ضرب لنا الحجاج المثل في السعي إلى توليد النصوص لإنتاج التأويل الذي يوسع أفق التلقي ويولد معنى إضافيا خفيا كما تثبت هذه الحادثة بينه وبين الشاعر أعشى همذان عندما انهزم أهل الكوفة، وقتل ابن الأشعث، فجيء بأعشى همذان الذي كان يهجو الحجاج، فقال له الحجاج: «أو لست القائل:

**نبئت حجاج بن يو**
**سف خر من زلق فتبا**

كلا يا عدو الله، بل عبدالرحمن بن الأشعث هو الذي خر من زلق فتب وحار وانكب وما لقي ما أحب. ورفع بها صوته واربد وجهه واهتز منكباه، فلم يبق أحد في المجلس إلا أهمته نفسه وارتعدت فرائصه. فقال له الأعشى: بل أنا القائل أيها الأمير:

**وما لبث الحجاج أن سل سيفه**
**علينا فولى جمعنا فتبددا**

وهي قصيدة طويلة فقال من حضر من أهل الشام: قد أحسن أيها



الأمير فخل سبيله.. فقال: أتظنون أنه أراد المدح؟ لا، والله، لكنه قال هذا أسفا لغلبتكم إياه، وأراد به أن يحرض أصحابه. ثم أقبل عليه فقال له: أظننت يا عدو الله أنك تخدعني بهذا الشعر وتنفلت من يدي حتى تنجو»[٢]. ولقد أظهر الحجاج نباهة عالية في الإبانة بجلي البرهان عن خفي الكتمان عن عبارات الشاعر، مزيلا الرغوة عن مذيقها، مظهرا ألغاز الشاعر كما اليربوع، الذي يحفر مستقيما، ثم يميل يمنة ويسرة ليوري ويعمي على طالبه؛ بعد أن ظن أصحاب الحجاج، الذين ليس لهم بصر بالعبارات الملغزة، أن أعشى همذان قد مدحه.

لذلك دعا البلغاء إلى البصر بعورات الكلام، والانتباه للصوارف التي تصرف الألفاظ عن دلالاتها المعجمية، والتمييز بين الحروف التي تشترك في معنى، وتنفرد بخصوصية في ذلك المعنى، فيوضع كل حرف في الموضع الذي يقتضيه، والعبارة التي توافقه، وذلك بأن تأتي «أم» في جواب «الهمزة»، و«أو» في جواب «هل»، و«السين» إذا قصد الاستقبال القريب، و«سوف» إذا قصد الاستقبال البعيد، و«أن» في الذي يترجح أن يكون أو لا يكون، و«إذا» في كل ما يعلم أنه كائن، كما نبهوا إلى أثر الغفلة في جعل دلالة الحرف «عن» بمعنى في «أسند أبو سليمان الخطابي (ت:٣٨٨هـ) عن مالك بن دينار (ت:١٢٧هـ) قال: جمعنا الحسن لعرض المصاحف أنا وأبا العالية، ونصر ابن عاصم، وعاصما الجحدري، فقال رجل: يا أبا العالية، قوله تعالى في كتابه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ (الماعون:٤-٥) ما هذا السهو؟ قال: الذي لا يدري عن كم ينصرف، عن شفع أو عن وتر. قال الحسن: مه يا أبا العالية، ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم، قال الحسن: ألا ترى قوله عزوجل: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾، وإنما وقع أبو العالية (ت:٩٣هـ) في ذلك، لأنه جعل دلالة الحرف «عن» بمعنى «في» ولم يفرق بينهما. قال أبو سليمان الخطابي (ت:٣٨٨هـ): وإنما أتي أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرف «عن» و«في» فتنبه له الحسن فقال: ألا ترى قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾، يؤيد أن

السهو الذي هو الغلط في العدد إنما يعرض في الصلاة بعد ملابستها، فلو كان هذا هو المراد لقيل: في صلاتهم ساهون، فلما قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ﴾، دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت»[٣]. كما جعلوا التمييز بين حروف المباني التي تتكون منها الألفاظ، وحروف المعاني التي تربط بين الألفاظ لتمنح للعبارة دلالة محددة أدخل في تحصيل المراد من الكلام مثل: «من» لابتداء الغاية، و«إلى» لانتهائها، و«ما... إلا» التي تستعمل للأمر أو الشيء ينكره المخاطب، ويشك فيه، أو ما يكون في هذه المنزلة، ولذلك لا يصح استعمال ذلك في الشيء الظاهر مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ﴾ (آل عمران:١٤٤)، أي إن الرسول ﷺ لا يتعدى الرسالة إلى أن يكون خالدا لا يموت، ولذلك استغربوا هلاكه إذا كان رسولا، كما نبهوا لمراعاة همزة الإزالة التي تصرف الفعل إلى ضده في أحيان كثيرة مثل: «عتب/أعتب (أي أزال عتابه)، جاء/أجاء (أي ألجأ)، قذى/أقذى (أي أزال عنها القذى)، وعد/أوعد، سمع/أسمع أي شتم...»، منبهين إلى الزلل والتحريف الذي وقع فيه أبو عمرو ابن عبيد (المتوفى: ١٤٤هـ) «قال ابن خالويه (ت:٣٧٠هـ): كان عمرو ابن عبيد يؤتى من قلة المعرفة بكلام العرب.. وقد كان كلم أبا عمرو بن العلاء في الوعد والوعيد، فلم يفرق بينهما، حتى فهمه أبو عمرو، وقال: ويحك، إن الرجل العربي إذا وعد أن يسيء إلى رجل، ثم لم يفعل، يقال: عفا وتكرم، ولا يقال: كذب. وأنشد:

**وإني إذا وعدته أو أوعدته**
**لمخلف إيعادي ومنجز موعدي»**[٤]

كما جعلوا الإجادة في إنزال كل لفظة في المكان الذي يقتضيها، وفي تحديد الفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ شبه المترادفة مثل: «الصمت والسكوت، والقاصف والعاصف، والنفش والهمل، والأز والهز، والكذب والإفك، والقسم والحلف، والشرعة والمنهاج، والتفضيل والإيثار، والتتابع والتتايع، والخشية والخوف، والحمد والشكر، والضوء والنور...»، ناهيك عما توجبه ألفاظ الأضداد والاشتراك اللفظي من حذاقة تدعو المتلقي إلى استحضار مقامات الخطاب لإدراك المراد من الكلام، بله الإلمام بتأثيل الكلمات العربية لمعرفة ما غشيها من ظلال البيئة التي تنفست فيها أنسام الحياة فأنسانا أصلها الذي يستغله الماكرون للتمويه والمداراة. وعلى الجملة فإن الذي يتصفح كتبا مثل «عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، وكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وأدب الكتاب لأبي بكر الصولي، والوشي المرقوم في حل المنظوم، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، والعمدة لابن رشيق، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر، وصبح الأعشى للقلقشندي.. وهلم على ذلك جرا وسحبا»، يدرك أن عمدة الأمر في الجودة تبدو خلاصة محضها في دعوة المفن إلى النظر «في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه موضع الواو من موضع الفاء، وموضع الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل؛ وينظر في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على وجهه؛ ثم إنه ليست المزية بواجبة لهذه المعاني في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض»[٥]، على شاكلة هذه الواقعة التي تثبت بلاغة الوصل بالواو يحكى أن الصديق رضي الله عنه مر بأعرابي في يده ثوب، فقال له الصديق: أتبيع هذا؟ فقال: لا يرحمك الله. فقال له الصديق: قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون، لا تقل هكذا، قل: لا ويرحمك الله. ويحكى أن الصاحب بن عباد قال حين سمع من بعض الناس: لا وأيدك الله، هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ على خدود الملاح[٦]. إذ لا ريب في أن الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، أو الوصل بينهما يظهر الفرق في المعنى بين الجملتين الآتيتين:

- رفع البناء قواعد الدار وابنه الكبير.
- رفع البناء وابنه الكبير قواعد الدار.

في الجملة الأولى نفهم أن البناء هو الذي قام بالعمل الأساس، أما ابنه الكبير فقد اكتفى بالمساعدة، حيث لم يتساويا في العمل. أما الجملة الأخيرة التي تم فيها الوصل بين

المعطوف والمعطوف عليه، فإنها تظهر اشتراك البناء مع ابنه بالتساوي في رفع قواعد الدار. وهذا ما يستفاد من الآية القرآنية الآتية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٢٧)، حيث إن الابن إسماعيل كان مجرد مساعد للأب إبراهيم، ولذلك تم الفصل بينهما لإثبات عدم المساواة بينهما في العمل. كما يجب على محلل الخطاب أن يكون ماهرا بضروب الإخفاء والتعمية، التي يتضمنها الكلام، كما يتضح ذلك من تخصيص اللفظة بقرينة مثل قولنا: «لقيت فلانا فعزرته» من دون ذكر صفة تحدد التعزير، فإن المتلقي يفهم من الجملة أنك لقيته فضربته وأهنته. أما إذا قلنا: «لقيت فلانا فعزرته وآويته» فإن المعنى ينتقل إلى الضد، أي: فأكرمته، بدليل قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧). ولا شك أن الجملتين الآتيتين تتضمنان من دهاء الصنعة ما يخفى على الذي لا يقوى على معرفة كيفية توليد المعاني، الذي يكتفي بامتطاء البرذون المفسكلة في حلبة البلاغة والبراعة:

- جاء الرجل بأدلة خرساء.
- جاء الرجل بأدلة خرساء لا تخضخض فيسمع لها صوت.

الجملة الأولى تفيد أن الرجل جاء بأدلة غير مبينة، وفي الجملة الأخرى نفهم من خلال إضافة لا تخضخض، أنه جاء بلبن حامض خاثر؛ فتأمل الفرق بين المعنيين لتدرك أن المكر اللغوي سر خفي، لا يدرك غوره إلا الحفي الذي يتدبر العبارات المتروكة في غواشي ظلماتها، يقلبها من جميع أوجهها حتى يدرك أسرارها الصحائح الصرائح، لكي لا تنطلي عليه حيلة رصف الألفاظ كما فعل بهذا الأعرابي الذي فهم باليقين الثابت أن الفتاة التي تزوجها بكيئة بدينة؛ وهما صفتان محمودتان في النساء عهدئذ على شاكلة قول الأحوص الذي ينعت المرأة بالريث والإبطاء والتحير في أثناء المشي لأن عجيزتها قد أثقلتها:

**قطوف المشي إذ تمشي ... ترى في مشيها خرقا**
**وتثقلها عجيزتها ... إذا ولت لتنطلقا**

معتقدا أنه قد ظفر برأس لقمان، وأدرك ثمرة الغراب، كما يبدو من قوله: تزوجت ورضيت، في الحكاية الآتية: «يروى أن رجلا من العرب خطب إلى آخر ابنة له، فقال المخطوب إليه: قد زوجتك خرساء اللسان، خرساء الدملج، خرساء الخلخال. فقال: قد تزوجت ورضيت. فلما زفت إليه، وجد بلسانها الخرس، فذكر لأبيها ذلك، فقال: ألم أخبرك أنها خرساء اللسان؟ قال: ظننت أنك تريد أنها قليلة الكلام والصخب، لا أنها عاجزة عن النطق»(٧)، كما نبهوا إلى مراعاة السياق للتمييز بين المصدر والجمع بالنسبة إلى: (حضور وظهور). ففي جملة: ❖ ظهور الداء في المجتمع، نفهم أن لفظة «ظهور» مصدر، أما إذا قلنا: ❖ حملوا متاعهم على ظهورهم، فإن لفظة «ظهور» جمع مفرده ظهر. وإذا قلنا: ❖ أيها الحضور الكرام، فإن كلمة «الحضور» جمع لكلمة حاضر، لكن عندما نقول: ❖ الحضور ضروري للاشتراك في المسابقة، فإن لفظة «الحضور» مصدر لفعل حضر.

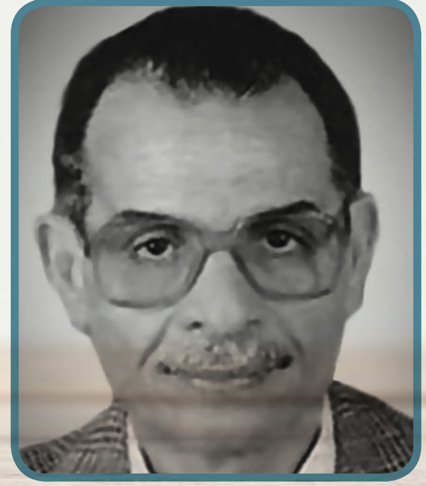
## اختتام

لا ريب أن العبارات الآنفة تحتاج أن ترى بالألباب التي تتجاوز الرؤية بالأحداق، لأنها لا توقع ألفاظها وعباراتها مواقع الحقيقة. حسبي أن أكون قد حومت طائر رجائي على هذا الموضوع، الذي يعد بحق ميدان جياد، ونبهت إلى بعض الفرائد المحجوبة التي روق أصحابها تطريزها، ليذهب القراء كل مذهب في الغوص على جواهره المكنونة، واستقصاء الطرائق والأسباب التي حركت المفنين البلغاء ولاسيما في أثناء الأزمات إلى ركوب هذه السبيل لإخفاء مذاهبهم، وبلوغ مآربهم باصطناع أساليب المكر والدهاء، التي تخلب الألباب وتجذب الأسماع لبلوغ الأطماع.

## الهوامش

١- أغاني الأغاني، ص:٦٧٦.
٢- أغاني الأغاني، ص:١٨٢.
٣- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ص٤١ و٤٢ ثم٤٣، ط١، رجب ١٤٢٢هـ، دار ابن الجوزي، السعودية.
٤- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص:٤٣.
٥- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبدالرحمن البرقوقي.. (مقدمة الشارح، ص:١٢)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٦ – المصدر نفسه، حاشية ص:١٨٠.
٧ – إتحاف الفضلاء برسائل أبي العلاء، دراسة وإعداد: محمد عبدالحكيم القاضي ومحمد عبدالرازق عرفان، ص:٣٤٧، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، دار الحديث، القاهرة.

د. محمد حسن بدرالدين
باحث في الفكر الإسلامي
تونس








# الأخلاق والحضارة في أعمال نجيب الكيلاني

تقوم رسالة الآداب والفنون في المجتمع الإسلامي، على تجميل الحياة، ودعم مسيرة الحق والخير، فهي ليست ترفا فكريا ولا طريقا لكسب العيش، ولا مجرد أصداء لوصف ما يحصل في المجتمع من قضايا ومشكلات، بل هي دعوة إلى تجاوز تلك الآفاق نحو واقع أفضل، يحل تلك المشكلات، ويقترح لها البدائل القويمة أخلاقيا وإنسانيا؛ لأن تلك الآداب والفنون لا تنطلق من فراغ، بل ترتكز على رؤية إسلامية، وتصورات إيمانية، عن الكون والإنسان والحياة.

وهذه الرؤية هي التي حاول الأديب الراحل نجيب الكيلاني (١٩٣١-١٩٩٥م) بلورتها في أدبه تنظيرا وإبداعا، فهو لم يكتف بالتنظير للأدب الإسلامي والدفاع عنه بالمقالات والدراسات، وإنما بالإبداع الفكري، والإنتاج الروائي والقصصي الغزير، الذي ملأ ساحة الفكر الإسلامي بنماذج من الأدب الرفيع.

وفي هذا المقال نقدم ملامح مختصرة عن حياته وأفكاره وبعض أعماله الأدبية، باعتباره نموذجا مثاليا يصلح للاقتداء حياة وفكرا وأدبا، وشخصية إسلامية معتبرة، تقتضي منا القيام بذلك وفاء للذكرى، وعرفانا بالجميل؛ لأن الأدب الرفيع يمكث في الأرض، والأدب الوضيع يذهب جفاء.

## نشأته وحياته

نجيب الكيلاني هو طبيب وأديب مصري، ولد يوم ١٤ محرم ١٣٥٠هـ، الموافق الأول من يونيو ١٩٣١م، في قرية «شرشابة»، التابعة لمحافظة الغربية. دخل كتاب القرية كغيره من الأطفال وحفظ جزءا من القرآن الكريم، ثم أكمل المرحلة الابتدائية، ثم انتقل إلى مدينة طنطا، وحصل على الشهادة الثانوية بامتياز، مما خول له الالتحاق بكلية طب قصر العيني بالقاهرة عام ١٩٥١م. وبعد تخرجه عمل طبيبا في مدينة الجيزة، ثم انتقل إلى وزارة النقل والمواصلات، ومنها سافر إلى الكويت عام ١٩٦٨م، ثم الإمارات، وقضى فيهما أكثر من ربع قرن من الزمان.

بدأت موهبته الأدبية مبكرا في الشعر، ثم اتجه إلى القصص والروايات، التي وجدها أكثر ملاءمة لعرض أفكاره، وأوسع أفقا في القضايا الاجتماعية والفكرية التي نهض لمعالجتها معالجة ملتزمة بروح الإسلام وهموم الناس.

## أعماله

أول عمل قصصي له تمثل في رواية «الطريق الطويل»، التي نالت جائزة وزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٧م. ثم أصدر رواية «اليوم الموعود»، سنة ١٩٦٠م، التي نالت جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمصر. ثم توالت رواياته على نمط غزير مثل: «قاتل حمزة، ونور الله، ومواكب الأحرار، وعمر يظهر بالقدس، وليالي تركستان، وعمالقة الشمال، وعذراء جاكرتا، واعترافات عبد المتجلي».

واهتم بالدراسات وكتابة السير إلى جانب الرواية، فأبدع بحوثا عديدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: «الطريق إلى اتحاد إسلامي، ومدخل إلى الأدب الإسلامي، والإسلامية والمذاهب الأدبية، وإقبال الشاعر الثائر، وفي رحاب الطب النبوي».

وقد ترجمت أعماله إلى عدة لغات مثل: الإنجليزية والتركية والأردية والفارسية والإندونيسية. وظل يبدع روائيا وفكريا متحملا آلام مرضه صابرا محتسبا وراضيا بقضاء الله وقدره، حتى وافاه الأجل في السابع من شهر مارس ١٩٩٥م. بعد أن ملأ الساحة الفكرية العربية ببدائل إسلامية سليمة، وإبداعات فنية ثرية؛ فكان بحق أغزر الكتاب إنتاجا، وأصدقهم تعبيرا عن واقعية الإسلام ومشاغل المسلمين.

## مفهومه للأدب الإسلامي

إن النزعة الإسلامية في أدبه حسب تعبيره هي: «منهج في الفكر والسلوك، وجمع بين النظرية والتطبيق. فالإسلام هو رحمة للعالمين؛ لأن الله تعالى أراد به إسعاد العباد في الدنيا والآخرة، وأراده منهجا يحقق التوازن للفرد والمجتمع، ويراعي التطور والثبات، وجعله أخلاقا تضمن تأكيد الخير والعدل والمحبة والإيثار»[١].

وإذا كان هذا التوجه الإسلامي يشمل الاقتصاد والسياسة وشؤون المجتمع، فمن الأولى أن يشمل الفكر والأدب. وفي نظر الكيلاني؛ فإن الفنون والآداب في الحضارة الإسلامية، استمدت أصولها من مصدرين هما: القرآن والسنة أولا، ثم من التجربة الحضارية الإسلامية التي شهدت ازدهارا كبيرا، حيث تألقت فنون الشعر والكتابة والقصة والمقامة، وقدم الكتاب والمؤلفون المسلمون تراثا خالدا، اتصف بالعمق والأصالة، في مختلف الميادين الثقافية والعلمية. كما تميز هذا التراث بالابتعاد عن الوثنية والانحراف العقائدي، فكان خادما لمجتمعه ومتناسبا مع تطلعاته وأشواقه[٢].

لكن الرؤية الإسلامية المنشودة، لن تكون حبيسة العقول والأذهان، بل لابد أن تتحول إلى واقع حي تجمع العمل والتطبيق مع النظر والتدبر، فتكون قدوة حسنة للناس ومشاركة بناءة في حل مشكلاتهم المطردة، باعتماد الأساليب العلمية المتطورة، من أجل مواجهة التحديات ومظاهر الفساد والانحراف[٣]، كما قال كيلاني.

## الآداب الإسلامية استمدت أصولها من القرآن والسنة

هذا الانتقال من التنظير إلى الفعل، في فضاءاته الفكرية والتربوية، يتعلق أساسا بمشكلة الصراع بين الأفكار الإسلامية والأفكار الغربية، وهو موضوع ثقافي وحضاري مهم جدا، تناوله بالتحليل والتفكيك، كثير من المؤلفين المسلمين المعاصرين، قبل نجيب الكيلاني. نذكر منهم الشيخ أبو الحسن الندوي (١٩١٣ - ١٩٩٩م) الذي ألف عدة كتب حول ضرورة التمسك بأصول الإسلام في مواجهة الأفكار الغربية، وخاصة في كتابه الشهير: «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية»، الذي بيّن فيه أن نهضة المجتمعات الإسلامية، لا يمكن أن تتحقق بالكامل، إلا إذا تمسكت بالعقائد والأخلاق، ومنهج الحياة الإسلامية، وقامت بوظيفة التوجيه والشهادة على الناس[٤].

ونذكر أيضا المفكر الجزائري مالك ابن نبي (١٩٠٥- ١٩٧٣م) الذي عرض في كتبه ومحاضراته منهجا تحليليا، بين من خلاله طبيعة الاستعمار، ومشكلة الأفكار، وكيف ننشئ أفكارا فعالة في مجتمعنا، وكيف يجب أن نفهم أسلوب الاستعمار في الصراع الفكري، حتى لا يكون له أي سلطان على عقولنا[٥].

## رواية «الطريق الطويل» أول عمل قصصي لكيلاني

لاحظ نجيب الكيلاني أن الآداب والفنون، كان لها أبلغ الأثر في تشكيل الفكر والوجدان في العالم العربي والإسلامي، أكثر من الاستعمار العسكري المباشر، فقد قلد كتابنا وأدباؤنا الأعداء فيما يكتبون، لذا نجد القصص والأفلام والمسرحيات والأشعار التي كتبوها، أغلبها مستعارا من الموضوعات والأساليب الغربية، التي تفننت في إبراز الشخصيات الشاذة في تصرفاتها وأفكارها، والتي نبعت تصوراتها وسلوكها من منبع آخر دخيل على منابعنا الأصيلة. ولذلك قل ما يمكن أن نسميه بالأدب الإسلامي. وكان حريا بكتابنا وعلمائنا أن ينهلوا من تراثهم، ومبادئهم وضمائرهم، فلا يسقطوا في براثن التقليد، ولا يبتعدوا عن المكونات الأساسية لشخصياتهم[٦].

## العقيدة والوطن

إن الثقافة في منظور الأدب الإسلامي في حاجة إلى الوجدان الديني، الذي يدفع إلى تهذيب المشاعر، وترقيق جوانب الحياة، عبر منظومة من القيم تصون الشخصية الاجتماعية وتمنع حدوث النزاعات والتشققات، وخاصة في خضم مخاطر الحياة المادية والاستهلاكية، التي جففت ينابيع الجمال من قلب الإنسان، وحصرت تطلعاته في فلك المادية القاتمة؛ وهذا ما عالجه نجيب الكيلاني في رواياته وأقاصيصه الأدبية؛ فمهمة الآداب والفنون لديه تستكمل وظائف العلم، الذي يتعلق بالبحث فيما هو الحق، أما هي فتتناول ما هو خير.

ولا يعني هذا، الالتزام الجاف بقضايا محددة، كما لا يمكن أن يكون تحررا تاما، يعطي الأدباء حرية مطلقة،

تتجاوز مجموعة القيم الاجتماعية، التي توحد الناس، وتمنع الإبداع من شطحاته المغالية، التي تجعل الفنون كلها مجردة، وبلا رسالة وظيفية في المجتمع. وهذه الوسطية اعتبرها نجيب الكيلاني واجبا إسلاميا عبر عنها بقوله: «لن يستطيع جيلنا الحائر أن يصل إلى شاطئ اليقين والثقة والاطمئنان، إلا إذا اتخذ من دينه دواء لعلله وسلاحا في معركته»[٧].

وقد جسم نجيب الكيلاني في رواية «رمضان حبيبي» تلك المعاني والأهداف، حيث صور فيها ما حدث في معركة العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ، الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، مبرزا فضائل شهر الصيام في تعبئة الروح المعنوية للشعب المصري، قبل خوض المعركة وأثناء المواجهة، مبينا أهمية العقيدة الإسلامية في دفع الناس إلى القوة والصبر والنصر، ملمحا إلى أحداث بدر الكبرى، ملتمسا العبر ودروس الحياة الإيمانية، واستخلاص السنن الإلهية في النصر والتمكين. وأبرز ذلك في شخصيات حية، تسعى نحو اليقين والحق، وفهم رسالة الحياة والدين، مثل الجندي الباسل أحمد المملوء بالإيمان بالله، والواثق بنصر الله عزوجل، وجليلة خطيبته التي تنسجم مع أجواء التحول نحو الحق والصدق، فتكشف لها التجارب والأحداث معادن الناس وطبيعة الحياة على حقيقتها. وعبد الفتاح والد أحمد، المناضل الذي لا يرهب الموت، المتفاني في خدمة الوطن والدفاع عنه[٨].

كما بين في رواية «مواكب الأحرار» أن الدين هو الدافع دائما، لمقاومة الظلم والاستعمار والفساد، وهو المسؤول عن مظاهر التكافل والتعاون بين الناس. فالحاج مصطفى البشتيلي، بطل الرواية، هو نموذج للإنسان المسلم، الذي لا يخضع للذل والظلم.

## موهبة الكيلاني الأدبية بدأت في الشعر ثم تحول للقصص والروايات

ويقاوم ويدافع عن وطنه، مهما كانت التحديات المقابلة. ورغم أنه قد ألقي عليه القبض، وسجن وعذب، فإنه عاد إلى ساحة القتال، مفضلا أن يموت ضمن مواكب الأحرار والشهداء، الذين قال في شأنهم الحق تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾. (آل عمران:١٦٩-١٧٠)

وفي رواية «الظل الأسود» وظف القضية الخالدة في عالم البشر، وهي: الصراع بين الحق والباطل، في تنويعات قصصية وفنية رائدة؛ فبطل الرواية «إيازو» الزعيم المسلم، رغم أسره وهزيمته، يظل منتصرا في أقواله وأفعاله، ويبقى مثالا للمجاهد البطل، الذي ترتبط بطولته بإيمانه، وبقدرته على التضحية من أجل قضية عادلة، والتفاني في إعلاء شأن الحق والعدل، وقهر الشر والظلم[٩].

قد لا يظل المسلم قويا وثابتا دائما، فيمكن أن تعتريه لحظات ضعف ويأس، حين تضغط عليه ظروف الحياة، ولكن إذا ما تسرب إلى نفسه اليأس أو الشك، أمام طغيان الظلم وانتشار الفساد، فإنه سرعان ما يثوب إلى رشده، ويهتف من أعماق نفسه، كما هتف بطل الرواية: «غفرانك يارب. فلترحم ضعفي. إنني إنسان محدود الطاقة. هكذا خلقتني. إنني أقرأ القرآن فينشرح قلبي، ويتسع ضيق السجن، ويتحول إلى جنة وارفة الظلال، وتفيض روحي بالأمل والإيمان»[١٠].

من الواضح أن نجيب الكيلاني وظف القيم الدينية الإسلامية الرفيعة، ومنظومة الأخلاق النبوية في خدمة الأدب، وبالتالي في خدمة الإنسان والمجتمع، وبناء الذات المسلمة، بناء فكريا ووجدانيا، لأن القصص كما علمنا القرآن الكريم، إنما هو للوعظ والاعتبار والإنابة إلى الحق. قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف ١٧٦). واحتوت الآية الكريمة أمرا للرسول ﷺ، بأن يقص القصص، ويضرب الأمثال الواردة في القرآن، ويرويها للناس، للتدبر والاعتبار، لعلها تظهر في آثار تربوية، ونتائج سلوكية، تنمي الاعتدال والتوازن، وتنهى عن المنكر والضلال. وتلك وظائف الأدب الإسلامي الرفيع.

### الهوامش

١ - نجيب الكيلاني، أعداء الإسلامية، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ١٩٨١م، ص٧.
٢ - المرجع السابق، ص١٤.
٣ - المرجع السابق، ص١٨.
٤ - أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار القلم، الكويت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٨.
٥ - مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٠.
٦ - المرجع السابق، ص٢١.
٧ - علاء الدين وحيد، نجيب الكيلاني والدعوة إلى الإسلامية، مجلة الدعوة، العدد:٥١، السنة:٣٠، أغسطس، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٥.
٨ - نجيب الكيلاني، رمضان حبيبي، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٧٠.
٩ - أحمد موساوي، في أدب نجيب الكيلاني، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٧٢.
١٠ - نجيب الكيلاني، الظل الأسود، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٩٣.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

إبراهيم محمد بسيوني
متخصص في علم المكتبات

# المكتبات وبناء الوعي المجتمعي

**تشغل قضية التربية، بمفهومها الشامل، مكانة كبيرة في بناء وعي المجتمعات، فهي تلازم الإنسان، الذي هو نواة المجتمع، منذ أن تطأ قدماه الأرض حتى يفارق جسده الحياة، فينعم فيما بين الميلاد والوفاة بأشكال مختلفة من التربية.**

أول تلك الأشكال تربية الأسرة لوليدها على المعايشة الحياتية، تعريفا وتدريبا، حتى إذا ما أصبح قادرا على التحصيل الدراسي، تأتي المدرسة لتتولى تربيته تربية تعليمية تثقيفية من خلال مقررات دراسية عامة، ثم يصير قادرا على الدراسة المتخصصة، فيندمج في إطار أكاديمي متخصص داخل أروقة الجامعات، ليجني المجتمع، بعد ذلك، ثمار مراحل التربية تلك.

ونظرا لأهمية التربية بمراحلها المختلفة، أولتها المجتمعات المتقدمة عناية قصوى، لما لها من أثر كبير في بناء الفرد والمجتمع، وتعد التربية المكتبية من أفرع التربية التي تشملها الدول المتقدمة برعاية خاصة. ومسألة التربية المكتبية من الأمور المهمة التي غفلت عنها معظم شعوبنا العربية؛ فالمكتبة هي ذاكرة الأمة، ومستودع العلم والمعرفة.

وللوقوف على أهمية التربية المكتبية يمكننا تناولها من خلال عناصر ثلاثة؛ أولها مفهوم التربية المكتبية؛ ويعني إكساب مرتادي المكتبات القدرة والمعرفة بالمكتبة وأوعيتها، وكيفية إعداد البحوث والمقالات، وكيفية البحث في المعاجم والموسوعات، واستخدام الفهارس، والوصول إلى الكتب، والتدريب على استخدام الكتب والمكتبات[1]. ومناط عمل التربية المكتبية يكون في خلق سياج من المهارات والقدرات المكتبية التي يمكن أن تحيط بعقل الإنسان، فيصبح قادرا على التعلم والتعليم فيما بعد.

## المكتبة وعقل الإنسان

أما العنصر الثاني فيركز على دور المكتبة في تشكيل عقل الإنسان؛ فالتربية المكتبية تصحب عقل الإنسان منذ تعلمه القراءة والكتابة، وتؤهله لأن يصبح عالما أو متعلما، وأن يصير ملازما للمعرفة، ومصاحبا للمعلومات. والتربية المكتبية لا تسعى إلى تقديم المعلومات والمعارف المختلفة فقط، بل تحولها إلى سلوك وممارسة عملية، فالمكتبات لم تعد مخزنا لأوعية المعلومات، لكنها كانت ومازالت مستودعا للعلم والمعرفة والمعلومات، وهي بمنزلة «المنتجع السياحي» الذي يأتي إليه المصطاف (القارئ) ليجلس على شواطئ الكتب، يغوص في بطونها مستخرجا اللؤلؤ والمرجان، ويسبح بين جنباتها مكتشفا الجواهر والدرر، متجولا بفكره، مشاهدا لماض لم يعايشه، ومستشرفا لمستقبل يتطلع إليه بفكره.

ويمكن القول إن التربية المكتبية القائمة على تأهيل القارئ

على إتقان التعامل مع العلم والمعرفة، حري بها أن يكون لها الدور الأكبر في تشكيل خريطة العقل البشري للفرد، وذلك من خلال رسم ملامح محددات وعيه وفكره، وتدعيمه بالمهارات والمعارف التي يحتاج إليها في التعامل مع العلم والمعلومات، حتى تصل به إلى غرس بذور المعرفة، وتكوين الخبرة العملية النافعة له في حياته.

### أهداف

ولضمان نجاح التربية المكتبية في تحقيق أهدافها، يمكن وضع وصفة بسيطة مقتبسة من واحدة من العلماء في علم المكتبات، حيث أوصت بضرورة اقتناء المكتبات لبعض المجموعات السريعة من أوعية المعلومات، والتي يمكن أن تساهم في تشكيل خريطة عقل القارئ بصورة كبيرة، والوصول به إلى مرحلة الإبداع المعرفي، وتتمثل تلك المجموعات فيما يلي:

- كتب الإعلام السريع: وهي كتب الحقائق التي تستشار ويرجع إليها للحصول على الحقائق والمعلومات في أسرع وقت ممكن.
- كتب المعلومات: وهي الكتب التي تزود القارئ بالمعارف في أي موضوع من الموضوعات.
- كتب العلوم السلوكية: وهي الكتب التي تتناول أساليب السلوك الاجتماعي وعلم النفس.
- كتب القراءة الترويجية: وتشتمل على القصص والروايات والهوايات، بالإضافة إلى أنواع الكتب الأخرى التي يمكن أن تقرأ للاستمتاع وتمضية وقت الفراغ في تسلية مفيدة.
- الكتب المناسبة للتلاميذ والطلاب المعاقين: التي تفيد في التعامل معهم وتعليمهم تخطي الحواجز النفسية والاجتماعية.
- الكتب المهنية للمعلمين: التي تزودهم بالمعلومات المهنية والموضوعية التي تعينهم في إعداد دروسهم والبرامج التربوية المختلفة وتحضيرها.
- الكتب الدينية: لدعم الاتجاه الديني وتنميته والرقي بالجوانب الروحية للإنسان المسلم.
- كتب التراجم لأعلام العالم العربي وشخصياته البارزة على مر تاريخه الطويل: التي يمكن أن تدور حول حياتهم وسيرتهم كقدوة ونبراس للقراء والباحثين.

بذلك يتشكل عقل الإنسان، الذي هو نواة المجتمع، ويصبح قارئا، واعيا بما حوله، متمسكا بقيمه ومبادئه، محافظا على مجتمعه ووطنه، متقنا لمهنته وتخصصه، منضبطا في سلوكه وفكره.

## التربية المكتبية تحول المعارف إلى سلوك عملي

### الوعي المجتمعي

أما العنصر الثالث والأخير فيما يخص مسألة التربية المكتبية، فهو بناء الوعي المجتمعي، ويعد من أهم العناصر وأخطرها؛ فتشكيل التربية المكتبية لعقل الإنسان ينعكس إما سلبيا أو إيجابيا على تشكيل وعي المجتمع ككل.

## الرقي بوعي المجتمع وفكره وتقدمه يبدأ من المكتبة

فالتربية المكتبية تسهم، بصورة مباشرة وغير مباشرة، في تشكيل الوعي السلوكي والاجتماعي لأفراد المجتمع، مما ينعكس بدوره على تربيتهم وتعليمهم وثقافتهم.

لذلك تسعى التربية المكتبية سعيا حثيثا إلى بناء وعي مجتمعي قائم على العلم والمعرفة، ومرتكز على حب التعلم وبناء العقل والفكر؛ حتى يصبح المجتمع قادرا على دفع الدولة نحو التقدم والنمو بخطى حثيثة.

إن التربية المكتبية لها الدور الفاعل في بناء فكر المجتمع ووجدانه ووعيه، فهي تقف جنبا إلى جنب مع المؤسسات التربوية والتعليمية في تربية أفراد المجتمع وتعليمهم لتنفيذ حاجاته ومتطلباته، بداية من التدريب على مهارات التفكير، ومرورا بعمليات تطوير المهارات المطلوبة لقوة العمل، وانتهاء بتحقيق أهداف تنمية الفرد والمجتمع، وتلك هي مسؤولية المؤسسات التي تعنى بقضية التربية بأشكالها المختلفة.

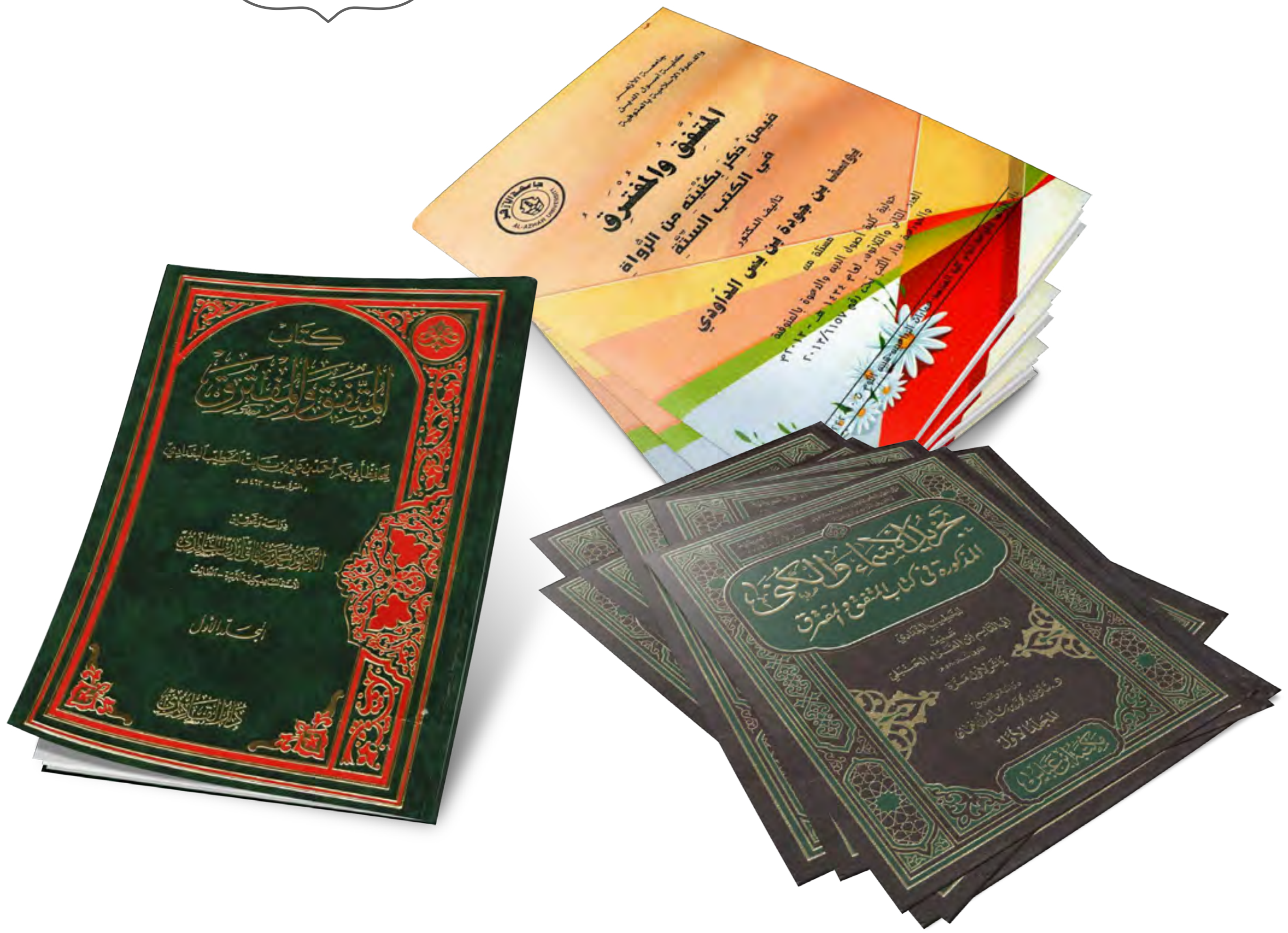
ولا نكون مبالغين إن قلنا إن التربية المكتبية هي سبيل الرقي بوعي المجتمع وفكره، حيث إنها تعد طريقا للتربية الذاتية والتعليم المستمر لمواجهة متغيرات العصر ومتطلباته، وهي التي تسعى إلى تنمية الاتجاهات التربوية والأخلاقية المرغوب فيها داخل المجتمع من احترام النظام والقوانين، والتعاون وتقبل المسؤولية وتوزيعها في إطار منظومة العمل الجماعي.

---

### الهوامش

١- محمد عبدالجواد شريف، التربية المكتبية بمراحل التعليم، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠م، ص٢٣.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١٨)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

## المتفق والمفترق في اسم (أم الدرداء):

**١- أم الدرداء (ت: ٣٠هـ) (الصحابية):**

هي أم الدرداء خيرة بنت سلامة بن عمير الأسلمية، الصحابية الجليلة، تعرف بأم الدرداء الكبرى (تمييزا لها عن أم الدرداء الصغرى، واسمها هجيمة بنت حيي) من فضليات النساء وذوات الرأي فيهن.

حفظت عن النبي ﷺ وعن زوجها.

وروى عنها جماعة من التابعين، منهم ميمون بن مهران وصفوان بن عبدالله وزيد بن أسلم.

كانت إقامتها بالمدينة، وتوفيت قبل زوجها أبي الدرداء عويمر بن مالك، وكانت وفاتها بالشام في خلافة عثمان[١].

**٢- أم الدرداء (ت بعد: ٨١هـ) (التابعية):**

هي أم الدرداء هجيمة بنت حيي الوصابية، تعرف بأم الدرداء الصغرى، فقيهة محدثة تابعية، من أهل دمشق.

نشأت يتيمة في حجر أبي الدرداء عويمر بن مالك بدمشق.

روت الكثير عن أبي الدرداء وأبي هريرة وسلمان الفارسي وعائشة، رضي الله عنهم، وروى عنها: كبار التابعين كـ: مكحول وسالم بن أبي الجعد وزيد بن أسلم وغيرهم.

تزوجها الصحابي أبو الدرداء، ومات عنها، فخطبها معاوية رضي الله عنه فأبت وفاء لزوجها الاول.

وعاشت معظمة عند بني أمية، تقيم ستة أشهر في بيت المقدس، وستة أشهر في دمشق.

من أخبارها: نودي لصلاة المغرب، وهي وعبدالملك بن مروان في صخرة بيت المقدس، فقامت متوكئة على عبدالملك، فدخل بها المسجد، فجلست مع النساء، ومضى هو إلى المقام، فصلى بالناس.

روى لها مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه[٢].

## المتفق والمفترق في اسم (الأثرم):

**١- أبو محمد الأثرم (ت: ١٢٦هـ):**

هو أبو محمد عمرو بن دينار الجمحي بالولاء، الأثرم، فارسي الأصل، كان مفتي أهل مكة.

ولد بصنعاء سنة: (٤٦هـ)، وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وغيرهم، وحدث عنه شعبة وابن جريج والحمادان والسفيانان وخلق سواهم.

قال شعبة: ما رأيت أثبت في الحديث منه. وقال النسائي: ثقة ثبت. واتهمه أهل المدينة بالتشيع والتحامل على ابن الزبير، ونفى الذهبي ذلك، قال ابن المديني: له خمسمئة حديث.

توفي بمكة[٣].

**٢- أبو سعيد الأثرم (ت: ٢٣١هـ):**

هو أبو سعيد محمد بن سعيد بن زياد القرشي البصري الأثرم، المعروف بالكريزي، من أهل البصرة.

سكن بغداد، وحدث عن حماد بن سلمة وهمام بن يحيى وأبان العطار وربيعة بن كلثوم وأبي هلال الراسبي وأبي الاشهب وأبي عوانة وغيرهم.

روى عنه: عبدالرحمن بن الأزهر ويعقوب بن سفيان ومحمد بن غالب التمتام، قال أبو حاتم عنه: ضعيف الحديث.

توفي بالبصرة[٤].

**٣- أبو الحسن الأثرم (ت: ٢٣٢هـ):**

هو أبو الحسن علي بن المغيرة، الملقب بالأثرم، عالم بالعربية والحديث.

كان مقيما ببغداد، وقدم الشام، ورجع إلى بغداد ولقي أبا عبيدة والأصمعي وأخذ عنهما، واشتغل نساخا في أول أمره.

من مصنفاته: (النوادر)، و(غريب الحديث)، توفي ببغداد[٥].

**٤- أبو بكر الأثرم (ت: ٢٦١هـ):**

هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الطائي أو الكلبي، الإسكافي الأثرم، فقيه، من حفاظ الحديث.

أخذ عن الإمام أحمد وآخرين.

من مصنفاته: (علل الحديث)، و(السنن في الفقه على مذهب أحمد)، و(ناسخ الحديث ومنسوخه)، وغيرها من المصنفات[٦].

**٥- أبو العباس الأثرم (ت: ٣٣٦هـ):**

هو أبو العباس محمد بن أحمد بن أحمد الأثرم البغدادي البصري، مسند البصرة.

ولد بسامراء سنة: (٢٤٠هـ) سكن البصرة.

سمع الحسن بن عرفة وحميد بن الربيع وعمر بن شبة وغيرهم.

وحدث عنه: محمد بن المظفر وأحمد ابن إبراهيم بن شاذان، وأبو الحسن الدارقطني وعمر بن إبراهيم الكتاني وغيرهم. أثنى عليه أبو الحسن الدارقطني وقال: الأثرم الخياط المقرئ شيخ ثقة فاضل.

انتقل إلى البصرة وسكنها حتى مات بها[٧].

### الهوامش

١- ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٧٣/٨)، والأعلام للزركلي (٣٢٨/٢).

٢- ينظر: تذكرة الحفاظ (٤٤/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٧٧/٤)، الأعلام للزركلي (٧٧/٨).

٣- ينظر: الثقات لابن حبان (١٦٧/٥)، وتهذيب التهذيب (٣٠/٨)، والأعلام للزركلي (٧٧/٥).

٤- ينظر: الأنساب للسمعاني (٨٣/١)، وتاريخ الإسلام (٣٢٣/١٧)، وميزان الاعتدال (٥٦٤/٣).

٥- ينظر: وافي الوفيات (١٩٨/١٢)، وبغية الوعاة (٢٠٦/٢)، والأعلام للزركلي (٢٣/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٤٤/٧).

٦- ينظر: المقصد الأرشد لابن مفلح (١٦٢/١)، تذكرة الحفاظ (١٣٥/٢)، والأعلام للزركلي (٢٠٥/١)، ومعجم المؤلفين (١٦٧/٢).

٧- ينظر: الأنساب للسمعاني (٨٣/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٠٣/١٥)، وشذرات الذهب (٣٤٣/٢).

د. محمد رشيد العويد
خبير تربوي

# دعوة مفتوحة للتدبر

**كان أحمد مع أصدقائه في حفل عشاء دعاهم إليه صديقهم عامر، وكانوا يتبادلون الحديث حول أحوال البلد، واستقراره، وازدهار اقتصاده، فأشاد أحمد برئيس الدولة الذي يحكم بالعدل، وينصر الضعفاء، ويمنع الظلم، وذكر أن ما يشهده البلد من خير ونماء إنما يعود إلى عدل الرئيس ورحمته بشعبه، ثم دعا له بالخير والتوفيق، وختم كلامه بأنه ينوي التوجه غدا إلى قصر الرئاسة لشكر رئيس البلاد على ما قدمه، ويقدمه لشعبه.**

تبسم أحد أصدقائه وقال: أتحسب الأمر بهذه البساطة؟ تزوره غدا دون موعد مسبق؟ حتى لو حاولت أخذ موعد لزيارته، أتحسب أنك تحظى بالموافقة؟

أضاف صديق آخر: لو أن الرئيس استقبل كل مواطن يريد زيارته لأمضى حياته كلها في استقبال الناس، بل لا تكفيه حياته كلها إلا لاستقبال بعض أفراد شعبه.

قال ثالث: أو تحسب أنه ليس عند الرئيس عمل إلا استقبال أفراد شعبه؟ إن عنده قضايا أهم بكثير ينبغي أن يحكم فيها، إدارة الدولة عمل عظيم جليل خطير.

لم تمض سوى دقائق قليلة على هذا الكلام الذي دار بين أحمد وأصدقائه حتى تقدم أحد رجال



الأمن من أحمد وقال له: لقد علم سيادة رئيس الدولة بما قلته من كلام أثنيت به عليه، وهو يثني أيضا على إخلاصك وولائك، ولقد أرسلني إليك لترافقني إليه الليلة بدلا مما نويته من زيارته في صباح الغد، وسيارته الخاصة في الخارج تنتظرك لتقلك إليه حالا.

علت أمارات دهشة عظيمة وجوه أحمد وأصدقائه وهم في أشد العجب مما يرون ويسمعون، كيف سمع الرئيس كلامهم؟ وما أسرع وصول سيارته الخاصة إليهم؟ وما أعظم اهتمامه بواحد من شعبه؟ وما أبلغ حرصه عليه، ودعوته إليه؟

قال أحمد لرجل الأمن: لحظات وأرافقك، ثم التفت إلى أصدقائه وقال: ألست محقا في ثنائي على الرئيس؟ هل رأيتم كيف ذكرني فور أن ذكرته؟ أَوَجدتم أسرع من إقباله هذا على شعبه واستجابته لواحد من هذا الشعب؟ هل تلومونني بعد هذا على حبه، وكثرة ذكره، والثناء عليه؟

لو أردنا أن نجيب أحمد عن أسئلته لقلنا: بلى، أنت محق في ثنائك على الرئيس، وإذا كنت قد ذكرته وسط أصدقائك؛ فقد ذكرك وسط وزرائه، وإذا كنت قد نويت زيارته في اليوم التالي؛ فقد كان أسبق إليك منك إليه، فأرسل سيارته الخاصة مع حرسه ليوصلوك إليه معززا مكرما، ولا يستطيع أحد بعد هذا كله أن يلومك على حبك العظيم له.

ولله المثل الأعلى.

كيف إذن إذا كان من ذكرك حين ذكرته هو الله سبحانه؟ كيف إذا كان من تقرب إليك حين تقربت إليه فكان أسرع إليك منك إليه هو الله عز وجل؟

كيف إذا ذكرك في الملأ الأعلى وأنت ذكرته في ملأ من الأرض ضعيف قليل؟

كيف لا تحب ملك الملوك، الرحمن الرحيم، القوي العزيز، وهو سبحانه يبشرك بهذا كله وأكثر منه؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزوجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». (متفق عليه).

قوله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي»؛ فيه حث على إحسان الظن بالله تعالى، فقد وعد سبحانه أن يكون لعبده ما يظنه فيه، وهذا يجعل العبد يظن بالله سبحانه كل خير، حتى يحصل منه على كل خير. يقول ابن حجر رحمه الله: «أي: قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به». وقال الكرماني رحمه الله: «وفي السياق ترجيح جانب الرجاء

**المؤمن يظن بربه الإجابة عند الدعاء**

على الخوف؛ فإن العاقل، إذا سمع ذلك، لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف؛ لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء».

وقال القرطبي رحمه الله: «معنى «ظن عبدي بي»: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكا بصادق وعده».

ويؤيده قوله ﷺ في الحديث الآخر: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»؛ لذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له؛ لأنه وعد بذلك، وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه، فهذا هو اليأس من رحمته وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن، كما في بعض طرق الحديث المذكور: «فليظن بي عبدي ما شاء».

قال: «وأما ظن المغفرة مع الإصرار؛ فذلك محض الجهل والغرة «أي: الغفلة الشديدة».

قوله: «وأنا معه إذا ذكرني» يحمل للمؤمن طمأنينة عظيمة، ورضا

كبيرا، وهو يستحضر معية مالك الملك، ورب الأرباب، وملك الملوك، العظيم الجبار، القوي العزيز، من بيده كل شيء.
كيف يمكن أن يخاف، أو يفتقد الأمن، أو يشعر بالهلع أو الجزع، من كان الله معه؟
كيف يخشى الفقر، ومالك الملك، الرزاق الواسع، من له ما في السموات والأرض معه؟
كيف يشعر بالهوان أو الذل من كان العزيز العظيم معه؟ هذه هي معية الله جل شأنه وعز قدره.
معية تحيل الضعف قوة، والفقر غنى، والخوف أمنا، والذل عزا، والقلق طمأنينة.
قوله: «فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» أي: إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب سرا. وقال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ (البقرة:١٥٢). ومعناه: اذكروني بالتعظيم؛ أذكركم بالإنعام. وقال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ (العنكبوت:٤٥).
أي: أكبر العبادات، فمن ذكره وهو خائف أمَّنه، أو مستوحش آنسه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)».
هذا الذكر عمل واضح سهل، يقدر عليه كل عبد لله سبحانه، حين يدرك أنه بهذا الذكر ينجو ويفوز، ينجو من الشقاوة ويفوز بالسعادة في الدنيا، وينجو من النار ويفوز بالجنة في الآخرة. يقول الرازي رحمه الله: «فإذا عرفوا كيفية التكليف وعرفوا ما في الفعل من الوعد، وفي الترك من الوعيد، سهل فعله عليهم».

## ذكر الجوارح عملها بطاعة الله

ولكن، هل يكون ذكر الله باللسان وحده؟
يقول القرطبي يرحمه الله: «أصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له، وسمي الذكر باللسان ذكرا لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم».
إذن فإن أساس الذكر وحقيقته في القلب، ومن كان يردد ذكر الله بلسانه، وقلبه غافل لا يعد ذاكرا. كذلك من زعم أنه يذكره سبحانه وهو عاص له، لا يطيع ما يأمره به تعالى؛ لا يعد ذاكرا لله كذلك. قال سعيد بن جبير: «الذكر طاعة لله، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن».
وروي عن النبي ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن أقل صلاته وصومه وصنيعه للخير، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثر صلاته وصومه وصنيعه للخير». (أخرجه الطبراني، وهو ضعيف).
والذكر، كما يكون بالقلب واللسان، يكون بالجوارح. وذكره تعالى بالجوارح هو استغراقها بالأعمال التي أمر العباد بها، وخالية عن الأعمال التي نُهوا عنها، وعلى هذا سمى الله تعالى الصلاة ذكرا بقوله: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة:٩).
وهكذا فإن ذكر الله يتضمن جميع الطاعات كما قال الرازي، وأنه سبحانه أجمل ذكره بأمره: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ حتى يدخل الكل فيه، كما قال سعيد بن جبير.
هذا ذكر العبد لله فماذا يعني ذكر الله للعبد؟
قال السدي: «ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره عز وجل، لا يذكره مؤمن إلا ذكره الله برحمته».
وقال ذو النون المصري: «من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضا من كل شيء».
وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله».
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله عزوجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه» (ابن ماجة).
وأورد الرازي ماذا يعني ذكر الله عبده:
«١- اذكروني بطاعتي؛ أذكركم برحمتي.
٢- قول أبي مسلم: أمر الخلق بأن يذكروه راغبين راهبين، وراجين خائفين، ويخلصوا الذكر له عن الشركاء، فإذا هم ذكروه بالإخلاص في عبادته وربوبيته؛ ذكرهم بالإحسان والرحمة، والنعمة في العاجلة والآجلة.
٣- اذكروني بالثناء والطاعة؛ أذكركم بالثناء والنعمة.

٤- اذكروني في الدنيا؛ أذكركم في الآخرة.
٥- اذكروني في الخلوات؛ أذكركم في الجلوات.
٦- اذكروني في الرخاء؛ أذكركم في البلاء.
٧- اذكروني بطاعتي؛ أذكركم بمعونتي.
٨- اذكروني بمجاهدتي؛ أذكركم بهدايتي.
٩- اذكروني بالصدق والإخلاص؛ أذكركم بالخلاص ومزيد الاختصاص.
١٠- اذكروني بالربوبية في الفاتحة؛ أذكركم بالرحمة والعبودية في الخاتمة».

هي، إذن كثيرة كبيرة ثمرات ذكر الله سبحانه عبده الفقير إلى رحمته، المحتاج إلى عونه وتوفيقه.

**«فاذكروني أذكركم»**

يا للتفضل الجليل الودود، الله جل جلاله، يجعل ذكره لهؤلاء العبيد مكافئا لذكرهم له في عالمهم الصغير.

إن العبيد حين يذكرون ربهم يذكرونه في هذه الأرض الصغيرة، وهم أصغر من أرضهم الصغيرة، والله حين يذكرهم يذكرهم في هذا الكون الكبير، وهو الله العلي الكبير، أي تفضل؟ وأي كرم؟ وأي فيض في السماحة والجود؟.

**«فاذكروني أذكركم»**

إنه الفضل الذي لا يفيضه إلا الله الذي لا خازن لخزائنه، ولا حاسب لعطاياه، الفضل الفائض من ذاته تعالى بلا سبب ولا موجب، إلا أنه هكذا هو سبحانه فيّاض العطاء.

وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ:

## ذكر الله للذاكرين فضل لا يعبر عن شكره إلا سجود القلب

«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة». (رواه البخاري).

إنه ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ، ولا يعبر عن شكره الحق إلا سجود القلب.

ولقد تجاوزت ثمرات ذكر الله أصحاب هذا الذكر إلى من جالسهم لحاجة له عندهم، فأي فضل عظيم هذا؟ يقول النبي ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإن وجدوا قوما يذكرون الله؛ تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. قال: فيقول هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول وكيف لو رأوني؟ قال: فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا. قال: يقول فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة. قال: يقول وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله ما رأوها. قال: يقول فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. قال: فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم» (رواه البخاري).

قال الحافظ: «هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»، تعريف الخبر - أي: الجلساء - يدل على الكمال، أي: هم القوم، كل القوم، الكاملون فيما هم فيه من السعادة، فيكون قوله: «لا يشقى بهم جليسهم» استئناء لبيان الموجب، وفي هذه العبارة مبالغة فينفي الشقاء عن جليس الذاكرين».

ألا يجعل ما سبق جميعه ذكر الله تعالى محبوبا ومعشوقا ومرغوبا فيه؟ ألا يدفع العبد إلى طلبه، والسعي إليه، وملء الأوقات به؟ ألا يقدمه المؤمن على كثير مما يشغله، ويهتم به، وينصرف إليه؟ ما أجمل أن تذكر الله تعالى! وأجمل منه أن يذكرك الله تعالى.

خلف أبوزيد
باحث علم نفس

# كيف تساعد طفلك على اختيار أصدقائه؟

**للصداقة أثرها العميق في توجيه النفس والعقل، ولها نتائجها المهمة فيما يصيب الجماعة كلها من تقدم أو تأخر، ومن قلق أو اطمئنان، وقد عني الإسلام بهذه الصلة الاجتماعية، التي تربط الإنسان بأشخاص يؤثر فيهم، ويتأثرون به، ويقتربون من حياته اقترابا لأمد طويل. وإذا كانت الصداقة للكبار مطلبا اجتماعيا مهما، فإنها لا تقل أهمية بالنسبة للصغار، إذ تمثل أحد جوانب التكيف الاجتماعي والخلقي والنفسي والحركي للطفل، الذي يقوده للنمو والتطور السليم.**

وللصداقة أهمية كبرى بالنسبة للطفل، فهي تبعده عن العزلة والانطوائية، التي تحوله إلى شخصية ضعيفة، هشة، سلبية، فاقدة الثقة في نفسها، مصابة بأمراض الخجل والجبن والقلق، الذي يقودها إلى الخوف الاجتماعي، وتكون بعيدة عن تحقيق أي تواصل وتفاعل إيجابي نحو الآخرين.

وتساعد الصداقة الطفل على التغلب على مشاكل الكلام، فلديه أصحاب يتحدث إليهم، ويتحدثون إليه، الأمر الذي يساعده على إنتاج تراكيب لغوية جديدة بشكل تلقائي، مما يساهم في تنمية مهارات اللغة عنده ويساعده على اكتسابها من خلال مواقف حوارية مختلفة.

من فوائد صداقة الطفل، أيضا، ما يلي:

١- عن طريق الصداقة يفرغ الطفل الشحنات الزائدة من الطاقة عنده، وذلك بالقيام باللعب وممارسة هواياته مع أصدقائه، ويخفف ذلك من حدة العنف عنده والرغبة في التدمير، ويساعده على التوازن النفسي السليم مع الآخرين.

٢- يتعلم الطفل من الصداقة معنى التعاون والعمل الجماعي، مع أصدقاء يشاركهم أفراحهم وأتراحهم، يستمع إلى مشكلاتهم،

كما يستمعون إلى مشاكله، يمد إليهم يد العون عند الحاجة، كما يمدون إليه أيديهم بالمساعدة، فكل ذلك يجعل منه إنسانا اجتماعيا، يميل إلى العطاء والتعاون وحب الآخرين.

٣- تحرره من الأنانية وتعلمه التسامح والمصالحة مع الآخر، فهو لديه أصدقاء قد يختلف معهم في الرأي، كما يختلفون معه، ويعتذر إليهم عند الخطأ، كما يعتذرون إليه، ومثل هذه الأمور تعلي من فضيلة التسامح والصفح في نفسه تجاه الآخرين.

٤- تنمي الصداقة روح المنافسة والإيجابية لدى الطفل، الأمر الذي يقوي شخصيته، ويخلق منه إنسانا طموحا، يسعى إلى الرقي والتقدم في حياته.

٥- تمثل أقرب طريق لتعويد الطفل الصفات الحميدة، والسلوكيات الحسنة، ذلك لأن الصديق المخلص في صداقته، الصادق في محبته، يكون أثره في بناء الخلق أبلغ وأعظم، لأنه سيكون رقيبا على صديقه، يلاحظ أحواله وأفعاله، فيشجعه على الخير، وينبهه ويحذره من الوقوع في الشر، يقول النبي ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (أخرجه أبوداود والترمذي).

### اختيار الأصدقاء

بداية نؤكد على قاعدة أساسية، وهي أن التدخل الشديد في اختيار أصدقاء طفلك، قد يأتي بنتائج عكسية، لأن الطفل لا يدرك معنى الصداقة بمفهومها عند الكبار، وهي وجود شخص نرتاح إليه ونفضي إليه بأخبارنا وأسرارنا، ونتفاعل معه في المواقف المختلفة، فالصداقة بهذا المعنى أكبر من فهم أطفالنا وقدراتهم على استيعاب ذلك، إلا أنه رغم ذلك يشعر الطفل بعظم حاجته إلى تكوين أصدقاء وأصحاب يقضي معهم بعض الوقت، ولذا على الوالدين أن يساعداه على ذلك عبر مجموعة من الوسائل، وبطريقة غير مباشرة، فلسنا مطالبين بأن نعثر لأطفالنا على أصدقاء، أو نشتري لهم أصدقاء، لكن المطلوب منا هو أن نوجد المجالات والسبل التي عن طريقها نفتح المجال أمام الطفل لكي يوطد علاقته بزملائه سواء في المدرسة أو مع الجيران أو عبر الحي الذي يقطنه، أو في المسجد، وذلك عبر عدة طرق نذكر منها:

١- المبادرة بإقامة حفل تعارف للطفل، إذا ما نجح في المدرسة، أو تمكن من حفظ أجزاء من القرآن الكريم، أو عند أي مناسبة سارة تحدث له، ونطلب منه دعوة عدد من زملائه لهذا الحفل.

٢- يجب على الوالدين بصورة غير مباشرة، تعريف الطفل الفرق بين الزمالة والصداقة، وغيرهما من العلاقات الإنسانية الأخرى، وترسيخ هذه المفاهيم في ذهن ونفس الطفل، لا يكون بمجرد السرد، بل عبر العديد من الوسائل غير المباشرة، التي يمكن الإشارة إليها في تصرفات وسلوكيات أطفال آخرين بمحيط الطفل، كالتعليق مثلا على السلوكيات الحميدة أو الخاصة التي تصدر من أطفال آخرين.

٣- يجب أن يحرص الوالدان على أن يكونا الصديقين المفضلين لطفلهما، وذلك بإشعاره أنهما يحبانه ويقدرانه ويحترمانه ويثقان به، ولهذه الصحبة من الوالدين دور كبير في تشجيع الطفل على التعبير عما يدور بخلده نحو أصحابه، ويمكن عن طريقها أن يسألاه عن الصفات التي يحب أن يجدها في صديقه، والتحدث معه عن أصدقائه سواء الحاليون أو المتوقعون، والصديق الذي يحتاجه أكثر من غيره، ويشاركه أسراره. وأهم ما في هذا النوع من الصداقة أن تكون في صورة طبيعية، بعيدة عن أسلوب الاستقصاء أو التحقيق. ولنا أن ندعو هذا الصديق إلى البيت مثلا لمشاهدة سلوكياته وتصرفاته عن قرب، فإذا كانت سلوكيات هذا الصديق سيئة وغير قابلة للتغيير، يجب علينا أن نصارح الطفل بضرورة ترك هذه الصداقة، ولنا في رسول الله ﷺ أعظم قدوة إذ يقول: «إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة» (رواه مسلم).

**الصداقة تجنب الطفل العزلة والانطوائية**

**يتعلم الطفل من الصداقة التعاون والعمل الجماعي**

د. محمد أحمد قنديل
باحث في الفلسفة الإسلامية

قضاء حوائج الكبير سنة من سنن الأنبياء



# إكرام الكبار

تشتمل المنظومة الأخلاقية في الإسلام على جملة أخلاق تنظم شؤون المجتمع وعلاقات أبنائه فيما بينهم؛ وهذا المجتمع هو مجتمع الأخوة الإيمانية، ولكبار السن في هذا المجتمع مكانة عظيمة، فتوقير الكبير وتقديره أدب من آداب الإسلام، وسنة من سنن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، لاسيما إذا كان من الأقرباء كالوالدين من الآباء والأمهات، كما قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤).

إن كبار السن كانوا يوما ما متمتعين بكامل قوتهم، وكانت فيهم الحيوية التي مرت بأي شاب، وقد وفر الإسلام لهم الكرامة في حال الكبر قبل كل شيء، يقول النبي ﷺ: «إن من إجلال الله، إكرام ذي الشيبة المسلم»[1].

ثم إن حق الكبير يعظم من جهة ما احتف به؛ فإذا كان قريبا فله حق القرابة مع حق كبر السن، وإذا كان جارا، فإضافة إلى حقه في كبر سنه فله حق الجوار، وإذا كان مسلما، فله مع حق كبر السن حق الإسلام، وإذا كان الكبير أبا أو جدا فالحق أعظم، بل إذا كان المسن غير مسلم فله حق كبر السن؛ إذ إن الشريعة جاءت بحفظ حق الكبير، حتى مع غير المسلمين، فلربما تكون رعايتك لحقه سببا لدخوله في هذا الدين في مراحل حياته الأخيرة[2].

## التغيرات والإنسان

الإنسان ينتقل من طور إلى طور، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح:١٤)، فقوة الشباب التي يعيش بها أجمل الأيام والذكريات مع الأصحاب والأحباب تمضي، وتتلاحق الأعوام، والأيام تلو الأيام، حتى يصير إلى المشيب والكبر، ويقف عند آخر هذه الحياة فينظر إليها وقد مرت سريعا كأنها سحابة مرت به، فيقف في آخر هذه الحياة وقد ضعف بدنه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً



﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾ (الروم:٥٤).

ولكن الله ينظر إلى ضعفه وقلة حيلته فيرحمه، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ (النساء:٩٨).

## تفريط

نقف اليوم مع حقوق الكبير، التي طالما ضيعت، ومشاعره وأحاسيسه، التي كثيرا ما جرحت، ومع آلامه وهمومه وغمومه وأحزانه، التي كثرت وعظمت.

لقد أصبح الكبير اليوم، غريبا، حتى بين أهله وأولاده، ثقيلا، حتى على أقربائه وأحفاده، من الذي يجالسه؟ من الذي يؤانسه؟ من الذي يباسطه ويدخل السرور عليه؟.

إذا تكلم الكبير، قاطعه الصبيان، وإذا أبدى رأيه ومشورته، سفهه الصغار والصبيان، فأصبحت حكمته وحنكته إلى ضيعة وخسران.

## فضل الكبير

توقير الكبير وتقديره أدب من آداب الإسلام، وسنة من سنن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وقضاء حوائجه سنة من سنن الأنبياء

## الشريعة الإسلامية حفظت حق الكبير وإن كان غير مسلم

وشيمة من شيم الصالحين الأوفياء، يقول الله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ (القصص:٢٣-٢٤).

وعن أنس، رضي الله عنه، مرفوعا بلفظ: «ما أكرم شاب شيخا لسنّه، إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه»[٣]، فهذا الحديث يبين أن إحسان الشاب للشيخ يكون سببا لأن يقيض الله للشاب من يكرمه عند كبره، ومن العلماء من قال: إن في هذا الحديث دليلا على إطالة عمر الشاب الذي يكرم المسنين[٤].

وما كان للكبار من الحسنات، فعلى الشباب نشرها بين الناس، وما كان من السيئات والهنات، فيجب على الشباب سترها، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول ﷺ: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»[٥]. فستر عورة المسلم الحسية والمعنوية مطلوب شرعا، خاصة إذا كان ذا هيئة ومكانة، وكبار السن مكانتهم في الإسلام محفوظة ومرعية[٦].

## القدوة

دين الإسلام دين القدوة، وأصحاب الهمم العالية هم الذين يسعون ليكونوا قدوة حسنة، وأعظم قدوة في الإسلام هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ ولذلك جعله الله لنا أسوة وقدوة، بل وأمرنا بذلك، فقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ (الأحزاب:٢١).

والكبار قدوة لأبنائهم وبناتهم وللمجتمع كله، فإذا كانوا في مجتمعهم محافظين على الخير والطاعات؛ أحبهم من حولهم وأجلّوهم، أما إذا وجدهم الصغار يسبون وينتقصون من غيرهم ويغتابونهم، نظر إليهم الشباب نظرة أخرى.

## الهوامش

١- سنن أبي داود ٤/ ٢٦١.
٢- حقوق كبار السن في الإسلام، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص:١٤.
٣- سنن الترمذي، باب ما جاء في إجلال الكبير، حديث: ٢٠٢٢.
٤- تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٧، ط دار الباز، مكة المكرمة.
٥- السنن الكبرى للنسائي ٦ / ٤٦٨.
٦- دليل الفالحين شرح رياض الصالحين، ابن علان الشافعي، ١٩/٣، مع التصرف.

صبحه بغوره - كاتبة
صحفية - الجزائر



# عنف الطلاب..
# إهمال أولياء الأمور أم المدرسة

**صار العنف بمختلف أشكاله ظاهرة اجتماعية شائعة نكاد نلمسها في طبيعة سلوك الأفراد، ونعيشها في كل مفردات حياتنا اليومية بالقول والفعل، وامتدت هذه الظاهرة إلى المؤسسات التربوية، فتحولت العملية التعليمية في الكثير من المجتمعات العربية إلى معاناة حقيقية للدارس والمدرس معا، ومع أن كلاهما طرف في العملية التعليمية إلا أنهما في الكثير من الحالات مسؤول عن نقل سلوك الشارع المنفلت إلى داخل المحيط المدرسي المنضبط، فتحولت المدارس إلى مراتع للسلوك غير الأخلاقي، بعدما صارت متأثرة وليس مؤثرة على محيطها، ففقدت بذلك الكثير من قدسيتها.**

لاشك أن نبرة الحزن وعلامات الأسى البادية على وجوه كثيرين من أولياء الأمور تجاه ما يحدث في المؤسسات التعليمية وفي زواياها من ممارسات عنيفة وقاسية لا يجب أن تنسينا أن المسؤولية هنا مشتركة، فإظهار العاطفة ضرورة على كلا الوالدين تجاه الأبناء، فالعائلة التي تعيش في بيئة همجية عنيفة سيكون الطفل فيها غير مستقر نفسيا ويعاني من الانطواء على النفس والانزواء بالبيت. وبعض الأطفال يجد في العنف وسيلته لتفريغ شحنة الغضب من الواقع الذي يعيشه كتعبير منه عن رفضه له. ومنهم

من اكتسب السلوك العنيف حتى أصبح طبعا أصيلا في تواصله مع الآخرين لإثبات وجوده وفرض شخصيته، وسيكون المجال الواسع المتاح لذلك هي المدرسة، التي بدلا من أن تكون ملاذا ينتظره كل طفل لمزاولة متعة التعلم، أصبحت بوتقة يفرغ فيها كل تلميذ طاقاته السلبية المكبوتة.



### عنف المعلم

ما من أسرة إلا ولاحظت تباطؤ الأبناء في الذهاب للمدرسة، في بعض الأوقات خلال الموسم الدراسي، واختلاقهم الأسباب والأعذار، كالمرض والإرهاق وقلة النوم، وعند الضغط عليهم ينفجرون بالبكاء وكأنهم يواجهون كابوسا، وبالبحث عن السبب يتضح أنه الخوف من ضرب المعلم أو المعلمة، والتخويف المستمر للتلاميذ، في حين من المفروض أن يكون المعلم بمثابة الوالد للتلميذ.

وإذا كانت العقوبة الجسدية ممنوعة في المدارس، فإن العنف اللفظي، أيضا، لا يقل خطورة، لأنه يسقط عن المربي أو المربية الهيبة والاحترام ولا يجعله قدوة، أما وقد يبلغ الأمر حد الإفراط في العقوبة، فإن النتيجة هي تحويل الطفل إلى شخص همجي عنيف كاره لمن حوله، هدفه الوحيد إزالة صورته المهينة أثناء تعرضه للعقاب من مخيلة زملائه لاستعادة الثقة بالنفس من خلال ضرب زملائه، خاصة الأصغر منه سنا، ليثبت أنه قوي وقادر على حماية نفسه، وليغطي على ألم يعيش بداخله ويسكن نفسه. وفي كثير من الأحيان، يمتد أثر ذلك إلى علاقته بمعلميه من خلال الغلظة في التعامل والقسوة اللفظية عند الرد واللجوء إلى أسلوب التعليقات الساخرة خلال الدرس للفت الانتباه، وهو ما يعرضه للمزيد من العقوبات.

**العنف اللفظي لا يقل خطورة عن العنف الجسدي**

### آراء

وقد تعددت الآراء حول مشكلة العنف في المدارس، فالبعض يرى أنها تشكلت في البيوت وطورت في المدارس، بمعنى أن العنف الأسري مهما كانت دوافعه، بسبب ظروف نفسية أو اقتصادية أو دوافع اجتماعية، قد أحدث تأثيراته على المجتمع، أي أنه تجاوز مرحلة «حب العنف»، التي تأصلت من خلال عدم مراقبة ممارسة الأطفال ألعاب الفيديو ومشاهدة أفلام الرعب، إلى مرحلة ممارسته بالمدرسة في صورة عنف جسدي أو عنف لفظي أو معنوي، وهو على كل الأحوال نمط من أنماط السلوك العدواني.

**تسقط هيبة المعلم واحترامه عندما يلجأ للعنف**

والبعض الآخر يرى أن المدارس فقدت دورها التربوي وأصبحت مصدرا لتصدير السلوك العنيف فكرا وعملا وقولا، من خلال ممارسات غير تربوية وغير متحفظة ولا منضبطة تفتقد الحكمة في التواصل والرشادة في المعاملة. وفي الحالتين، سيتشكل مجتمع همجي تغلب عليه روح الكسب المادي، وذلك على حساب القيم الأخلاقية، ولا يدري أفراده السبيل لتحقيق الاستقرار النفسي، فيفقد النشء القدرة على التمييز بين مفهومي الخير والشر.

مما لاشك فيه، أن الأسرة والنظام التعليمي شكلا عامل ضغط كبير على أطفال المدارس دفعهم إلى العنف أو الانقطاع عن الدراسة. وليس غريبا أن يكونا، بعد التخلي عن دورهما الأساسي في التربية والتأديب والتهذيب، سببا مباشرا في تكوين أجيال لديها قابلية نفسية لممارسة السلوك العنيف بأشكال أخرى منافية للدين والقانون... إنه الانحراف المقيت الهادم للمجتمعات والمدمر للأمم المتمثل في العنف كرد فعل أحمق يواجه به الإنسان تناقضات الحياة الاجتماعية، فكان «مستعظم النار من مستصغر الشرر»، عندما قصرت الأسرة في أداء رسالتها وتخلى المعلم عن دوره كونه كاد أن يكون رسولا.

محمود حسانين عبد الرحيم
باحث تربوي وكاتب



# أهمية تنشئة الطفل نفسيا

يعد بناء الشخصية الإنسانية السوية البعيدة عن الانحرافات السلوكية أو الجانحة للغلو والتطرف من أصول التربية الصحيحة للطفل؛ ولا نقصد بالتربية هنا التعليم فقط أو البناء البدني السليم أو كلاهما إنما نعني بقولنا هذا التنشئة النفسية للطفل التي تجعله شخصية سوية اجتماعيا وخلقيا ونافعة لنفسها ومجتمعها.

ومن بين أساليب هذه التنشئة حث الطفل على احترام الآخر وإبداء الامتنان له إذا تلقى مساعدة منه.

ومما ينبغي على الأسرة مراعاته في تربية أبنائها نفسيا تجنب معاقبة الطفل المذنب والتنكيل به والتقليل من شأنه أمام إخوته وأقرانه؛ إذ ينمي هذا الأسلوب لدى الطفل روح التباغض. كذلك يجب الثناء على الطفل إذا أقدم على تصرف محمود.



## طرق العقاب

لكن إذا لم يكن هناك بد من إنزال العقاب بالطفل، فلتكن الأسرة شديدة الحيطة والحذر عند اتخاذ هذا القرار، ويجب عليها ألا تلجأ إلى الضرب كوسيلة للعقاب فليس هناك ما يحطم الأطفال أكثر من الصراخ والضرب الذي يدفعهم إلى الانطواء والتأزم النفسي. إن توفير جو أسري هادئ، وحل مشكلات الأطفال العالقة وإنهاء المشاحنات والمشاجرات بينهم بهدوء وحكمة سبب في اكتساب الأطفال للسلوك الاجتماعي السوي، لذا لابد أن يكون الوالدان قدوة لأبنائهما في التعامل مع الآخرين، وطريقة كلام الوالدين وحسن سلوكهما مع الآخرين أمام أطفالهما يرتقي بهما.

## الثقة بالنفس

من العوامل التي تُفعل الثقة بالنفس لدى الأطفال التعامل معهم على أنهم أصدقاء، والاهتمام بأقوالهم وأفعالهم، وتقديم النصح والمشورة لهم، وتوفير مناخ عائلي يغلفه الحب والاحترام، ومساعدتهم على تخطي الضغوط النفسية التي قد تؤثر سلبيا على تصرفاتهم وسلوكهم، علاوة على تجنيبهم الضغوط النفسية التي تهدد بفقدانهم الثقة بأنفسهم، وتكرار وصفهم بأنهم «أذكياء، شجعان، صادقون، رائعون، ..إلخ»، فهذه الكلمات والصفات تدعم ثقة الطفل بنفسه.

## الغيرة

في محيط الأسرة الكثير من المشاكل التي تواجه رب الأسرة (الأب أو الأم في بعض الحالات)، وقد عانت الكثير من الأسر في سبيل الحفاظ على تماسك حياة أطفالهم الأسرية وعدم التمييز والتفرقة بينهم حتى لا يتسبب ذلك في إشعال نيران الغيرة بين أبناء الأسرة الواحدة. صحيح أن الغيرة سلوك طبيعي، لكن تهذيب هذا السلوك وإخماده بحيث لا يصبح مسيطرا على الإنسان من الأمور التي تجب مراعاتها في تربية الأطفال منذ نعومة أظفارهم لتجنيبهم الوقوع في براثنه ما قد يؤدي ببعض من خرج هذا الشعور عن سيطرتهم إلى حد قطع علاقاتهم الأسرية بأبويهم وإخوتهم.

## الطاعة

تعتبر السنوات المبكرة في حياة الطفل، هي الأكثر جهدا في التربية، ففيها تتضح عناصر التفكير وتكتسب الشخصية قوامها وانسجامها، لذلك لابد أن يهتم الأبوان بضرورة ترديد الآذان والتكبير أمام الأطفال، كما يجب عليهم أن يكثروا من الصلاة أمامهم، إلى جانب ذلك لابد أيضا من تلاوة القرآن على مسامعهم. وعندما يبدأ الطفل حفظ الحروف والكلمات، يجب على الأبوين حينها تحفيظ الطفل سورة الفاتحة، لينالا ثواب كل صلاة يصليها هذا الطفل بقية حياته، ثم بعد ذلك تأتي مرحلة تفسير النعم، وأن يكون الطفل طائعا لله يتضرع إليه بالدعاء ويلجأ إليه في يسره قبل عسره، حتى وإن كانت لعبة يريدك أن تأتي بها إليه فاجعله يطلبها بالدعاء من الله، وبهذا نرسخ في الطفل قواعد الطاعة لله عزوجل، فالطفل، وإن كان قلبه أصغر منه حجما، لكنه أكبر منه صفاء ونقاء.

د. نجيب الجباري
باحث تربوي. المغرب

# اضطرابات التواصل عند الأطفال

**يعتبر الاهتمام بالطفولة جزءا من الاهتمام بالواقع والمستقبل معا، حيث يشكل الأطفال شريحة واسعة في المجتمع كما يشكلون الجيل التالي، لذا فإن ما يبذل من جهود من أجلهم يمثل مطلبا من مطالب التغيير الاجتماعي الذي تعتبر التنمية البشرية إحدى صوره ومظهرا من مظاهره.**

وتعد الطفولة مرحلة حاسمة في تشكيل شخصية الفرد، كما أن هناك إجماعا على أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هي الفترة الأكثر خصوبة وأهمية، والتي تنجم عنها ملامح شخصية الفرد، كما أن بعض السمات الثقافية التي تدخل في كيان شخصية الطفل يصعب تغيير البعض منها، لذا تركز التربية الحديثة على هذه المرحلة لبناء شخصية الطفل بناء سليما، فأطفال اليوم رجال الغد، وداخل كل طفل يوجد رجل المستقبل. وليس ثمة مجال آخر لاستشراف مستقبل أي أمة غير استقراء طفولتها وما يحاط بها من عناية واهتمام.

لكن للأسف نجد بعض أطفالنا يعانون من اضطرابات ومشاكل ومعوقات في تواصلهم مع الطرف الآخر، فما أسباب هذه الظاهرة؟ وما الحلول الممكنة؟

يمكن إيجاز أسباب اضطرابات التواصل عند الطفل ومعوقاته فيما يلي:

عضوية – وظيفية: وهي عبارة عن إصابات في الأحبال الصوتية أو الحنجرة أو سقف الفم أو الشفاه بالقياس مع من هم في مثل سنه، أو لحدوث صعوبة في النطق بسبب اضطرابات عضوية في الجهاز العصبي مما يؤثر على الأداء الحركي.

اجتماعية – نفسية: تتمثل في الانطوائية والخجل والميل إلى العزلة عن الآخرين وعدم الاختلاط بهم، بمعنى الانسحاب من المشاركة الاجتماعية أو الأسرية والمشاركة الشفوية في الصف الدراسي وغيرها، بسبب الحرمان العاطفي من حنان الوالدين أو أحدهما، وإن كنا على قيد الحياة.

لغوية: تتمثل في صعوبات استعمال اللغة نتيجة تأخر النمو اللغوي على مستوى التواصل اللفظي والنطق، أي عدم قدرة الطفل على نطق أصوات بطريقة سليمة إما نتيجة مشكلات في التناسق العضلي أو نتيجة عيب في مخارج الأصوات والحروف أو قصر في الكفاءة الصوتية.

### العنف التربوي

ويمكن أن نضيف إلى كل هذه الأسباب أسبابا أخرى تتعلق بمثلث العنف التربوي حيث تبلغ السلبية التربوية مداها في ممارسة الثلاثي

**العنف التربوي يحول ١٠٪ من الأطفال إلى عدوانيين**





# احترام شخصية الطفل يقيه من اضطرابات التواصل

المحظور في العملية التربوية وهو الضرب باعتباره عقابا جسديا، والشتم كإهانة معنوية، والصراخ بصفته إرهابا نفسيا. فالعنف التربوي قد ينتج ١٠٪ من الأطفال العدوانيين، ويكون من بين هؤلاء ٩٠٪ سلبيين أي تابعين منقادين فيشكل هذا مظهرا من مظاهر فشل التواصل.

## حلول ومقترحات

يمكن اقتراح بعض الأساليب للعلاج فيما يعرف ببرنامج التحفيز اللغوي والمتمثل في:

- فحص أعضاء جهاز النطق كاللسان وسقف الحلق والشفتين والأسنان، مع استشارة اختصاصي النطق واللغة إذا لوحظ أي شيء مثير للشك حول الطفل من ناحية الاستيعاب، فهم اللغة، السمع والتطور النطقي ثم إعطاء الفرصة للطفل للاستماع حينما تعطيه إرشادات، ونتأكد من أنه يصغي لما نقوله ويفهمه.

. تشجيع الطفل على الاستجابة لك لفظيا أو صوتيا، مع تعزيز محاولاته لإصدار الألفاظ أو الأصوات مهما كانت بسيطة. ولا نتوقع من الطفل نتائج كاملة وفي وقت وجيز، بل نبتسم ونكرر الصوت أو نبين له بأي طريقة بأننا فهمنا ما قاله.

- الاستماع لما يقوله الطفل أو يحاول أن يقوله بانتباه شديد ومحاولة فهم ما يريد التعبير عنه بالاستفادة من تعابير الوجه والجسد ونص الحوار يعتبر أسلوبا مهما في معالجة هذه الاضطرابات التي قد يعاني منها الطفل.

- لابد للأم أن تقدم لطفلها نماذج لغوية صحيحة تشجيعا له على التواصل، وكذلك تقليد أصوات الحيوانات والآلات وغير ذلك وتشجيعه على محاكاتها.

- للأبوين معا: لا تنتقدا الطفل ولا تناقشا مشكلته بحضوره ولا تتوقعا أن ينطق صوتا أو كلمة ولا تطلبا منه أن يبطئ في الكلام أو أن يبدأ من جديد ولا تكملا عنه جملة أو عبارة. وباختصار ينبغي استغلال الفترات التي يكون فيها لدى الطفل الرغبة في التواصل والمشاركة في الكلام وفي الحوار.

وختاما: يجب على الآباء والأمهات والمدرسين والمربين احترام شخصية الأطفال ومعرفة احتياجاتهم وميولهم الشخصية حتى نوفر لهم جوا من الحب والحنان؛ لكي يكون التواصل إيجابيا وفعالا بيننا وبينهم، ويمكننا اكتشاف مواهبهم وقدراتهم، وأن نمنحهم الفرصة للتعبير عن أنفسهم في جو خال من الصرامة والقسوة.

وفيق صفوت مختار
اختصاصي التربية
وعلم النفس

# أبناؤنا والقراءة الإلكترونية

تغلغلت تقنية المعلومات في جميع جوانب حياتنا اليوم، بحيث أصبحنا لا نستطيع في غالب الأحيان إنجاز الكثير من الأعمال دون الحاجة لأحد الأجهزة أو البرمجيات الإلكترونية. وقد بدأت التقنيات التكنولوجية الحديثة بالتأثير في أحد أهم جوانب الحياة ربما دون أن ننتبه ألا وهي القراءة. فالكثير من أعمالنا اليومية تتطلب قراءات عن طريق أجهزة الهاتف النقال، أو الحاسوب كأعمال البريد الإلكتروني E-mail، وتحرير التقارير المكتبية، حتى الكتب والصحف والمجلات المطبوعة باتت تأتي هي الأخرى في شكل إلكتروني إما من خلال مواقع الإنترنت، أو بشكل رقمي مثل: «الكتب الإلكترونية» E-books.

الأمر الذي يجعلنا كمستخدمين أمام خيارين لا ثالث لهما بشأن القراءة: إما أن نقرأ باستخدام المطبوعات الورقية التقليدية، أو القراءة باستخدام الأجهزة الإلكترونية، فأيهما أفضل وأنفع؟

## • أهم فوائد ومميزات القراءة الإلكترونية:

١ـ تعد القراءة على الشاشات أكثر حرية، حيث بإمكان الفرد أن يطلع على كتب من جميع أنحاء العالم، ويمكن للقارئ الاحتفاظ بما يريده من كتب على قرص صلب واحد مضغوط CD بحيث يستطيع القارئ الحصول على مئات الكتب، وتبقى تلك الكتب في متناوله على هذا القرص، يرجع إليها وقتما يشاء، ولا تشغل أي حيز مكاني.

٢ـ القراءة الإلكترونية على الشاشات تساعد القارئ على التحكم في حجم الحرف ونوعه وشكله، فيحوله القارئ إلى النمط الذي يريده ويريحه، وتمكنه أيضا من وضع ما يريده من تعليقات أو ملاحظات على النص المقروء أكثر مما كان يتيحه الكتاب المطبوع، بل بإمكانه أن يقتطع سطورا من المادة المقروءة وأن يحتفظ بها.

٣ـ ولعل أكبر ميزة للقراءة الإلكترونية عبر الشاشات هي مساعدة القارئ على قراءة الموضوع الذي يبغي، إذ

توفر آلية البحث على الإنترنت للقارئ إمكانية الوقوف على الكتب التي ستفيده في مشروع بحثه من دون أن يقرأ الكتب جميعها، وهذه الآلية في البحث توفر على الدارسين والباحثين من الوقت والجهد قدرا كبيرا، وتضمن لهم استقصاء المادة المطلوبة.

٤. توفر القراءة الإلكترونية على شبكات الإنترنت للمواد ذات الطابع العلمي إمكانات كبيرة لعرض الصور والرسوم والمخططات بأبعادها المختلفة وأحجامها المتنوعة وألوانها الطبيعية المميزة، بحيث يمكن للباحث أو القارئ التعامل معها والتدخل فيها كما يشاء بالتصغير أو التكبير أو النقل أو الطبع.. الخ. كما توفر القراءة الإلكترونية على الشاشات للمواد ذات الصبغة الفنية إمكانات عرض اللوحات والأعمال الفنية من متاحف العالم أجمع، وبإمكانه أيضا التعامل معها بحرية واسعة، كما يمكنه أن يزور المتاحف والمعارض والمواقع ذات الصلة وهو جالس في بيته خلف أجهزته الإلكترونية الحديثة.

٥- وهناك أجهزة قرائية حديثة تتوفر ضمن تقنياتها العالية خاصية القراءة للمكفوفين، حيث يستطيع المكفوف بواسطتها أن يكتب عليها ما يشاء وأن يقرأ عليها ما يريد قراءته. وثمة برامج تجعل من تلك الأجهزة هي التي تقوم بقراءة النصوص أيا كان هذا النص، وهو يفيد الكفيف ويفتح أمامه مجالات واسعة للقراءة. كما يمكنه سماع ما يود سماعه بدلا من قراءته بالعين. وفي القراءة عن طريق تلك الأجهزة القرائية ما يشجع على القراءة فيغري بها لاسيما الأطفال والناشئة، وثمة برامج متطورة لتعليم الأطفال القراءة وتشجعهم عليها بأساليب شائقة وممتعة.

## استخدام الأجهزة الإلكترونية يسبب إضطرابات النوم

### • أهم سلبيات وعيوب القراءة الإلكترونية:

١. الكاتب الأميركي «نيكولاس كار» Nicholas Carr المتخصص في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لاحظ أنه بدأ يفقد قدرته على التركيز وقراءة كتب طويلة بعمق، وطرح في كتابه المعنون «المياه الضحلة: كيف يؤثر الإنترنت في عقولنا»، التغييرات التي تحدثها القراءة عبر الإنترنت على المخ مع تعدد الخيارات وتنوع المصادر التي تختلط بالنص المكتوب من صور وفيديوهات التي تتسبب في تشتت القارئ، وتفقده القدرة على القراءة بعمق، وتساءل: «هل جوجل Google يجعلنا أغبياء؟».

لقد استعان «كار» بعلم الأعصاب ليوضح أثر استخدام الإنترنت على المخ، في تجربة أجريت على مجموعة لم يسبق لها استخدام الإنترنت، لاحظ الباحثون تغييرا في قشرة الفص الجبهي، وهي المنطقة المسؤولة عن اتخاذ القرار وحل المشكلات، ينتج هذا من طبيعة القرارات التي نتخذها طوال الوقت على الإنترنت؛ أي بريد إلكتروني نقرأ؟ ومن نتابع على فيسبوك أو تويتر؟ وأي لينك نفتحه؟ لكن وبينما ينشط هذه الجزء من المخ، هناك جزء آخر يخبو وهو المسؤول عن تعزيز الأفكار ونقلها إلى الذاكرة طويلة المدى.

أما «آن مانجن» Anne Mangen، أستاذ في المركز القومي لدراسة القراءة في النرويج، ترى أن القراءة عملية تفاعلية بين القارئ والوسيط، فمثلا تشجعنا الشاشة على القراءة المسحية، والمرور السريع مقابل قلب الصفحة تلو الأخرى، وهذا يعود أيضا بسبب طبيعة التعامل مع كم كبير من المعلومات، فنحن نعلم أن هناك مئات المقالات والمواضيع الأخرى، فتجربة القراءة هنا مختلفة كليا، وقد فشل طلاب قرأوا قصة بسيطة على الأجهزة الإلكترونية القرائية في رواية أحداثها، بشكل متسلسل، مقارنة مع من قرأوها مطبوعة بالرغم من بساطة الحبكة، والأحداث غير المعقدة.

٢. وجدت «أني ماري تشانغ» Annie Marie Chang، أستاذ مشارك في الصحة السلوكية في جامعة «بنسلفانيا»، وزملاؤها عندما قارنوا القراء الذين يقرأون إلكترونيا مع أولئك الذي يقرأون الكتب المطبوعة أن الأشخاص الذين يستخدمون الأجهزة الإلكترونية تضطرب أنماط نومهم أكثر، ويستيقظون متعبين في الصباح أكثر من أولئك الذي يقرأون الكتب التقليدية.

فقد لوحظ فارق بين أنماط النوم واليقظة لكل مشارك تبعا لطريقة قراءته؛ فعندما قرأ المشاركون من جهاز «الآي باد» فإن مستويات هرمون «الميلاتونين» Melatonin فشلت في الوصول للمستوى المطلوب للجسم، في حين أنها بقيت في المستويات المتوقعة عند القراءة من الكتب الورقية التقليدية، وقد أدى ذلك إلى تأخير في الإشارة البيولوجية للجسم للاستغراق في النوم حوالي ساعة ونصف؛ مما جعل المشاركين أكثر يقظة، وبالتالي غير مهيئين للنوم.

٣- القراءة الورقية تساعد على



الاسترخاء تماما مثل الموسيقى والمشي، ووفقا لدراسة أجريت في عام ٢٠٠٩م؛ حيث قام الباحثون بقياس معدل ضربات القلب والتوتر العضلي، فوجدوا أن قراء الكتب الورقية يسترخون بعد ٦ دقائق من القراءة، في حين أن القراءة الإلكترونية تلغي تلك الراحة الناتجة عن قراءة الكتب الورقية وتسبب الإجهاد.

٤- أوضحت دراسة جديدة أن قراءة الكتب الإلكترونية تتم بصورة أبطأ كثيرا من قراءة الكتب الورقية التقليدية في نتيجة قد تعتبر مفاجأة للكثيرين. وكانت دراسة أجرتها مجموعة بحثية قامت من خلالها بمراقبة الفارق في سرعات القراءة لدى ٢٤ مستخدما، وقد لاحظت وجود فارق كبير ملحوظ بين القراءة على الأجهزة الإلكترونية والقراءة التقليدية للكتب الورقية المطبوعة.

٥- حذر الباحثون في كلية الطب بجامعة «هارفارد»، من الأدوات المضيئة المنبعثة من الشاشات الإلكترونية التي تعمل على تعطيل الساعة الداخلية للجسم، وبالتالي تزيد من خطر الإصابة بالسكر، وسرطانات: القولون، والمستقيم، والبروستاتة، والذي تسببه أيضا أوقات العمل والسهر ليلا.

٦- القراء الإلكترونيون يجدون صعوبة في تذكر المعلومات، عكس القراء العاديين، ولم يعلم الباحثون ما السبب وراء هذه النتيجة، لكن من المرجح أن لذلك علاقة بالقدرة على التواصل المادي والبصري مع الكتاب الورقي، أما في حالة قراءة الكتاب الإلكتروني؛ فيمكن أن تكون القراءة مجزأة وتخللها زيارات إلى روابط أخرى، أو إلى مواقع التواصل الاجتماعي، مثل: «الفيسبوك»، و«تويتر»، وهذه «الفواصل» أثناء القراءة الإلكترونية هي كثيرة في معظم الأحيان، ومن أجل الاحتفاظ بالمعلومات نحتاج إلى قراءة طويلة، دون فواصل متباعدة في الزمن.

٧. في دراسة قام بها معهد التربية بتكليف من الحكومة البريطانية بحثت تقييم المعلم لتطور الطفل بعد عام واحد في المدرسة، وتقييم القدرات الإدراكية لدى ما يزيد على ٨ آلاف طفل أعمارهم خمس سنوات، واستخدمت أيضا استبيانا لتقييم سلوك كل طفل، وركزت الدراسة على العوامل التي ترتبط مع الإنجاز في سن الخامسة، وأخذت في الاعتبار «المتغيرات الأبوية» Parental variables مثل: كيفية إنفاق الكثير من الوقت في القراءة مع الأطفال، وتعليم الحروف الهجائية والعد، ومشاهدة التلفزيون، وخلصت الدراسة إلى أن: «القراءة للطفل كل يوم مع وجود الأم التي يعتقد أنها مهمة لحفز الأطفال الصغار ارتبط إيجابيا مع كل النتائج المعرفية، وسلبا مع مشكلات السلوك.. وإن القراءة للطفل كل يوم تقلل المشكلات السلوكية».

وحقق الأطفال الذين كانت تقرأ لهم الأم يوميا نتائج أفضل في اختبار تسمية المفردات، كما أدوا أيضا أفضل في تقويم المرحلة التأسيسية، وحصلوا على أعلى الدرجات في السلوك، في المقابل، فالأطفال الذين كانوا يشاهدون ثلاث ساعات أو أكثر التلفزيون يوميا حققوا أدنى الدرجات في الاختبارات.

وعلى مدى سنوات، تتكرر نصائح خبراء تطوير الأطفال للأمهات والآباء بالقراءة لأطفالهم، مشيرين إلى ما أظهرته الدراسات من



فوائدها للمهارات اللغوية واللفظية والاجتماعية. وحثت النشرة الصادرة عن «الأكاديمية الأميركية لطب الأطفال» الأطباء على تذكير الآباء في كل زيارة بالقراءة لأطفالهم منذ ميلادهم، واقتراح الكتب لهم بالحماس نفسه الذي يوصون به بأهمية تناول الخضروات واللقاحات.

**● القضية لم تحسم بعد!!**

بات من الواضح أن القضية في مسألة القراءة الإلكترونية تتمحور في أن معظم الناس لا يفضلون كثيرا القراءة من فوق الشاشات، وأنهم يفضلون القراءة الورقية من الكتب التقليدية. ولكن من الممكن أن تتغير عادات الناس مع تغير الأجيال، ومن الممكن كذلك اختفاء صناعة الورق لتحل محلها صناعة الألياف البصرية. وأعتقد أن النشر الإلكتروني لن يلغي النشر الورقي، على الأقل خلال العشرين عاما القادمة، ولكن هذا النشر الورقي قد يختفي تدريجيا بعد ذلك، ودون أن يقصد الناشرون أو القراء ذلك. فبعد أن تنتشر المعارف والكتب الإلكترونية، ويكثر قراؤها والمتعاملون معها، لن تصبح هناك حاجة إلى الكتب الورقية، أو النشر الورقي إلا في أضيق الحدود.

أيضا عندما تجد الأجيال التالية كل ما تحتاج إلى قراءته منشورا على شبكة الإنترنت، أو على أقراص مدمجة (C D)، وتصبح هناك ألفة وعادات جديدة على القراء لم تعرفها الأجيال الحالية والسابقة، فإن ذلك سيكون مدعاة لاختفاء النشر الورقي، دون أن يشعر الناس بذلك.

«ماريان وولف» Marianne Wolfe التي نشرت كتابها المعنون «قصة القراءة» The story of reading تلقت العديد من الرسائل من مهندسين ومعلمين يشكون من انخفاض مستوى الفهم لدى أبنائهم وطلابهم واعتمادهم على عقلية «القص واللصق» Cut and paste التي تهدد فقدان الكثير من المعلومات التي يتعاملون بها، وفشلهم في الغوص لعمق الدراسة. تقول «وولف» إنه لا يمكننا العودة إلى الوراء، وينبغي التكيف مع الوسائل الجديدة. وأشارت إلى كون القراءة الإلكترونية تتطلب قدرا من ضبط النفس، والتحكم في الذات وأن تراجع القراءة العميقة ليس بسبب ضمور مهارات القراءة، بل بسبب احتياجنا لمهارات جديدة من نوع مختلف تماما، مثل تدريب النفس على تركيز الانتباه.

ويضع ذلك كله الأمهات والآباء في مأزق؛ فمن ناحية تبرز هذه التحذيرات، ومن ناحية أخرى تتحول القراءة نسبيا إلى التقليب في الصفحات على شاشة جهاز إلكتروني، ومتاجر تطبيقات تفيض ببرمجيات القراءة، وألعاب تعليمية تستهدف الرضع والأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة.. فأي منحى ينبغي للآباء اتباعه؟

يقول الباحثون إن الإجابة لم تحسم تماما بعد. وقال «كيلي سنو»، مدير الأبحاث التطبيقية في «الرابطة الوطنية لتعليم الأطفال الصغار: «نعلم كيف يتعلم الأطفال القراءة، لكننا لا نعلم كيف ستؤثر التكنولوجيا الرقمية على هذه العملية!».

ويرجع ذلك جزئيا إلى حداثة هذه الأجهزة؛ فالحواسيب اللوحية وأجهزة القراءة الإلكترونية لم تحظ بعد بالانتشار الواسع لفترة تكفي لإجراء دراسات موسعة تستكشف آثارها على التعلم والتعلم.

وعموما فإن الكاتب الأميركي المتخصص في علوم الكمبيوتر «ريموند كرزويل» Raymond Crzwell يقول: «إننا نفقد بالفعل أمام التطور التكنولوجي قدرات من دماغنا، تماما كما فقد أغلبنا قدراته الحسابية مع الاعتماد على الآلة الحاسبة». لكنه يؤكد أن قدرات أخرى تتطور بحيث تتكامل مع التكنولوجيا، ونصبح في المجمل أكثر ذكاء، بالإضافة إلى ما يستتبع ذلك من تطور القدرات البيولوجية للعقل البشري.

وعلى هذا نؤكد!.. أن المنافسة حاليا بين الكتاب المطبوع، والكتاب الإلكتروني، يحسمها في النهاية تفضيل القارئ، وقدرة المحتوى على جذب انتباهه، فيقرأه أيا كانت الوسيلة.

د. ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب - الكويت

# زهد النبي في الدنيا وقناعته فيها

زهد النبي ﷺ في الدنيا وأعرض عنها وقنع بقليلها، وهو الذي ملك الأرض من أقصى الحجاز إلى عذار العراق[١]، ومن أقصى اليمن إلى شحر عمان[٢]. وكان أبسط الناس فيما يقتني ويدخر، وأعرضهم عما يستفاد منه ويحتكر.. لم يخلف عينا ولا دينا، ولا حفر نهرا ولا شيد قصرا، ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا، ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها، فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها.

ومعلوم أن الزهد لغة هو: القلة في كل شيء، واصطلاحا هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة[٣]. وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله؛ وأما ما ينفع في الدار الآخرة، فالزهد فيه ليس من الدين، بل إن صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (المائدة:٨٧). كما أن الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع، إن كان مانعا عن فعل واجب أو موجبا فعلا محرما، وهو عصيان، وإلا فهو منقص عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين[٤]. وعن حقيقة الزهد يقول الإمام الغزالي: «الزهد هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه[٥]».

جاء عن عمرو بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ صالح أهل البحرين، وأمّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدومه، فوافقت صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم وقال: «أظنكم سمعتم بقدوم أبي عبيدة، وأنه جاء بشيء. قالوا: أجل يا رسول الله. قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم»[٦]، وفي رواية «فتهلككم كما أهلكتهم».

في الحديث نجد جملة فوائد، ففيه تحذير لمن فتحت عليه زهرة الحياة الدنيا من سوء عاقبتها وشر فتنتها. فيه كذلك معالجة من رسول الله ﷺ للنفس البشرية، فقد عرف ما يريد الأنصار فبشرهم وأملهم لتطمئن نفوسهم؛ ثم أعطاهم أمانا من الفقر أطول؛ ثم بصرهم بأن ما يحسبونه خيرا قد يكون شرا؛ فعندما يرون زهرة الحياة الدنيا تقع في نفوسهم الأثرة حيث يريد كل منهم أن تكون له وحده لا يشاركه فيها أحد؛ فيقع البغي والهرج وفساد ذات البين[٧].

وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

**رأيت القناعة رأس الغنى**
**فصرت بأذيالها ممسك**
**فلا ذا يراني على بابه**
**ولا ذا يراني به منهمك**
**فصرت غنيا بلا درهم**
**أمر على الناس شبه الملك**

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله فقال: «إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»[٨].

نستفيد أيضا من الحديث أن التعلق بالدنيا يفسد الدين، أي إذا كانت غاية وليست وسيلة، وفي ذلك شفقة من الرسول ﷺ على أمته وإخبار منه عن حال أمته، وما سيفتح عليها من زينة الحياة الدنيا وفتنتها.

## تربيته لأهله على القناعة

لم يقصر أمر الزهد والقناعة على نفسه بل جعله كذلك بين أهله،

بعد أن اختار أزواجه البقاء معه والصبر على القلة وترك أمر الدنيا حينما خيرهن بين الإمساك على ذلك أو الفراق والتمتع بالدنيا كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٢٩﴾ (الأحزاب:٢٨-٢٩). فهذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ أن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يجدن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل، فاخترن، رضي الله عنهن وأرضاهن، الله ورسوله والدار الآخرة، فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك خير الدنيا وسعادة الآخرة[٩].

والمتعة هي ما يعطى للمرأة المطلقة على حسب السعة والاقتدار من ثياب أو دراهم أو أثاث، تطوعا لا وجوبا.

و«سراحا جميلا» المقصود به الطلاق من غير ضرر ولا بدعة.

يقول المفسرون إن أزواج النبي ﷺ طلبن شيئا من عرض الدنيا، وطلبن منه الزيادة في النفقة، فنزلت الآية، ولما نزلت بدأ بعائشة، رضي الله عنها، وكانت أحبهن إليه فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، ثم اختارت جميعهن اختيارها، وكن يومئذ تسعا (خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة، والبقية ليسوا منها، وهن: صفية بنت حيي النضرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن جميعا)[١٠].

هذه القصة تكشف لنا كيفية تعامل النبي ﷺ مع المشكلات الاقتصادية التي تنشأ داخل الأسرة بسبب المطالبة بزيادة النفقات، وقد استعمل النبي ﷺ في حل هذه المشكلة أسلوب التخيير، وهي صورة مشرقة من صور مبدأ الشورى، وكيف يمكن الاستفادة منه في نظام الأسرة واستقرارها لأنه يستحق منا كل اهتمام، كونها تمثل آخر حلقة من الحلقات التي يستهدفها التآمر الغربي في صراعه مع الإسلام؛ عقيدة وشريعة وأخلاقا.

## مثال تطبيقي من حياة النبي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا»[١١]. ومعنى قوتا أي كفايتهم من غير إسراف، وقيل هو سد الرمق.

وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «إنا كنا آل محمد ﷺ لنمكث شهرا ما نستوقد بنار إن هو إلا التمر والماء»[١٢]. وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «توفي رسول الله ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني»[١٣]، وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين»[١٤]. وعن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا تركها صدقة»[١٥].

وعن حكيم بن خزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني: ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع. اليد العليا خير من اليد السفلى»، قال حكيم: فقلت يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه.. فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي[١٦].

ومعنى لا أرزأ أحدا، أي لا أصيب من ماله بالطلب منه. وقد أمتنع حكيم عن أخذ العطاء مع أنه حقه؛ لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه. أما قوله: «حتى توفي» فمقصود به أنه ما أخذ من أبي بكر ولا عمر حتى زمن معاوية عونا ولا غيره حتى مات لعشر سنين من إمارة معاوية.

نخرج من الحديث بجملة فوائد، أهمها أن الأخذ مع سخاوة النفس يحصل أجر الزهد والبركة في الرزق؛ فبالزهد نحصل على خيري الدنيا والآخرة. وضرب ﷺ المثل بما يعرفه ويعهده الناس بقوله «كالذي يأكل ولا يشبع»، فالآكل إنما يأكل ليشبع فإذا أكل ولم يشبع كان عناء في حقه بغير فائدة، وكذلك المال ليست الفائدة في عينه وإنما هي لما يتحصل به من المنافع، فإذا كثر عند المرء بغير تحصيل منفعة كان وجوده كالعدم.

---

## الهوامش

١- عذار العراق هي قبائل هناك، والمقصود أرض العراق.
٢- شحر عمان هو ساحل البحر بين عمان وعدن مشتملا على أراض وأودية.
٣- المقاييس، ج٣، ص٣٠.
٤- مجموع الفتاوى، ج١، ص٢١.
٥- إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ج٤، ص٢١٧.
٦- فتح الباري في شرح البخاري، ج١١، ص٦٤٢٥.
٧- بهجة الناظرين، ج١، ص٥٢٨-٥٢٩.
٨- البخاري، ج٣، ص٣٢٧؛ ومسلم، برقم١٠٥٢.
٩- تفسير ابن كثير، ج٦، ص١٧٩.
١٠- تفسير الطبري، ج١٠، ص٢٩٠، فتح القدير للإمام الشوكاني، ج٤، ص٢٧٥، محاسن التأويل للقاسي، ج١٣، ص٢٤٦.
١١- البخاري، ج١١، ص٦٤٦٠؛ ومسلم، برقم١٠٥٥.
١٢- البخاري، ج١١، ص٦٤٥٨؛ ومسلم، برقم٢٩٧٢.
١٣- البخاري، ج١١، ص٦٤٥١؛ ومسلم، برقم ٢٩٧٣.
١٤- رواه مسلم، برقم٢٩٧٤؛ والترمذي، برقم٢٣٥٦
١٥- رواه البخاري، ج٥، ص٢٧٣٩.
١٦- رواه البخاري، ج٣، ص١٤٧٢.

أ. د. عبدالفتاح محمد العيسوي
باحث تربوي - مصر

# دور العمل في العلاج النفسي

لا شك في أن العمل له بالغ الأثر في العلاج النفسي، ذلك لأنه نوع من التعبير والتنفيس والترويح عن النفس البشرية، بل وتطهيرها من الانفعالات والاضطرابات النفسية، ولذلك أصبح العمل من أهم الأساليب العلاجية، لأنه يشغل وقت المريض حتى لا يصاب بما يعرف في علم النفس الحديث بـ«عصاب الفراغ» Vacuum Neurosis، الذي يؤدي إلى عدم شعور الفرد بقيمته، ويشعره بالإحباط، ويلقي عليه أعباء نفسية حادة، فإذا استمر مدة طويلة يؤدي إلى حالة من الاضطراب النفسي الحاد؛ تعبيرا عن فراغ الحياة وخلوها من المعنى والقيمة والفاعلية. العمل يفيد في علاج الأمراض السيكوسوماتية Psychopathy، أي الأمراض التي تنشأ عن أسباب نفسية ولكن أعراضها جسمية، ومنها: قرحة المعدة، والاثنا عشري، وضغط الدم المرتفع، والصداع النصفي، وبعض الأمراض الجلدية كالبهاق.. إلخ، والتي ترجع أسبابها إلى عوامل نفسية، مثل: الانفعالات والغضب والقلق والتوتر والعصبية. وعلى ذلك يجب اختيار العمل بدقة وعناية فائقة، بحيث يتفق ويتماشى مع قدرات المريض وميوله ورغباته وعمره ونوع مرضه والتطور الذي يمر به وحالته الصحية العامة، وذلك من أجل تحقيق الأهداف المنشودة، كما ينبغي توجيه المريض إلى عمل يمتص طاقاته ويصرف انفعالاته إلى الخارج، فضلا عن أنه وسيلة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس وعلاج الانطواء Introversion أو الانزواء أو الانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية، كما يخلص الإنسان من الاستغراق في أحلام اليقظة، ونقص الاتصال بالواقع، بل إنه يساعد في زيادة الانتباه Attention.

### أنماط العمل

من الممكن أن يقوم المريض أثناء وجوده في المستشفى أو خارجه بأعمال يدوية متنوعة، على أن يبدأ بعمل سهل وبسيط ومشوق وممتع ومسل؛ حتى يشعر أنه إنسان منتج وذو قيمة، وكذلك لإشباع الشعور بالإنجاز وبالفخر والزهو، مما يزيد من حماسه ويرفع دافعيته للإنتاج والاستمرار. ومن هذه الأعمال: صناعة السجاد، والغزل، والنجارة، وأشغال الإبرة، والتريكو، والخرز،



أو الرسم والنحت، ورعاية البساتين وصيانتها، وصناعة ألعاب الأطفال، والحياكة، وصناعة الخزف، وأعمال الخيزران، وصناعة السلال والحقائب الجلدية، أو القيام بأعمال تربوية أو ثقافية كإصدار مجلة للمستشفى أو إعداد مسرحية ما، أو الاشتراك في المباريات الرياضية، أو عمل رحلات خارجية لزيارة المصانع. جدير بالذكر أن نشير إلى أنه يجب ألا ننظر إلى تحقيق ربح مادي، وذلك لأن الهدف الأسمى هو تغير اتجاهات Attitudes المرضى وسلوكهم، فالربح الحقيقي يكمن في الشفاء ورجوع الشخص إلى رحاب السواء.

## دور القائمين على العلاج

من واجبات الاختصاصي النفسي واختصاصي العلاج بالعمل تحديد نوع العمل وكميته وكيفيته وأوقاته، في ضوء معرفتهما بشخصية المريض ونوع مرضه (أي تشخيص حالته) والتطور الذي يمر به؛ إلا أن بعض المعالجين يرون أنه من الضروري إتاحة حرية اختيار العمل للمرضى وعرض كل الأعمال المتاحة عليهم. مع الأخذ في الاعتبار أن العلاج بالعمل يجب ألا ينتهي بخروج المريض من المستشفى، فلابد من تردده على قسم العلاج بالعمل، خصوصا في فترة النقاهة، وذلك لضمان الوقاية من حدوث انتكاسة حتى وإن ظل مدة أطول، كما يجب أن يدرك المريض أهداف العلاج وقيمته حتى لا يتصور أنه موضع استغلال، مع مراعاة الدقة واليقظة من قبل المعالج وملاحظة سلوك المريض ويجب أن يسجل كل ما يطرأ من تغيرات على سلوك المريض، وما يستجد من أعراض أثناء العلاج أو نتيجة له، ربما يتطلب الأمر تغيير العمل، أو إيضاح بعض الأمور للمريض، وعلى المعالج أن يكون حذرا ومنتبها، حيث توجد معدات أو أدوات قد تستخدم في العدوان أو الانتحار أو محاولته، فعليه أن يتغلب على ذلك عن طريق تدعيم المريض وإبراز وتجسيد نقاط القوة لديه، وأن يشعره أن حالته بسيطة وسهلة، وأنه يتقدم نحو الشفاء؛ حتى يشعر المريض بالاطمئنان والتفاؤل والأمل في مستقبل أفضل واثقا من قدراته واستعداداته، حينئذ يشعر براحة البال والسعادة والبهجة وبأنه مقبول ومحبوب وليس منبوذا، وذلك من خلال سلوك المعالج وعمله، وليس بالألفاظ وحدها، وأن يعمل بالقول المأثور «الأعمال تتحدث أكثر من الألفاظ»؛ ومعنى ذلك اشتراك المعالج مع المريض في العمل، أو يقوم هو بالعمل ويحفز المريض أن يشاركه بالتدريج حتى يندمج المريض في العمل.

## فوائد العلاج بالعمل

من أهم فوائد العلاج بالعمل تجنب المريض الملل والضجر والتشاؤم والحزن والكآبة، فضلا عن تفريغ انفعالاته، ذلك لأن العمل يشغل وقته بما يعود عليه وعلى المجتمع بالنفع، كما أنه يقلل من التوتر والقلق النفسي، ويجعل المريض أقل احتياجا لتعاطي المهدئات Tranquilizers، كما أن النشاط يزيل الكسل والتراخي والاتكالية، ويزيل أيضا فكرة أن المريض عالة على أسرته ومجتمعه ويشعره بكينونته، كما ينمي اهتمامه بمن حوله، ويوجه اهتمامه وتفكيره إلى أمور أخرى غير أمراضه وأعراضه التي يعاني منها، كما أن العمل يرفع من روحه المعنوية، ويشعره بأنه مازال ينتج شيئا مفيدا، فتزداد ثقته بنفسه واحترامه وتقديره لذاته self – Esteem، كما يحس بالأمن والأمان والسلم والسلام، ويبعث فيه الأمل في الشفاء، ويجدد اتصاله بالعالم الخارجي وبالواقع، كما يؤدي العلاج بالعمل إلى تكيفه النفسي والاجتماعي معا، كما أنه يوجه طاقات الفرد الجسمية والعقلية والنفسية والروحية إلى اتجاهات إيجابية بدلا من توجيهها مثلا إلى العدوان والتحطيم والتدمير، كما أن العمل يهيئ للمريض حياة اجتماعية سوية ومتفائلة ومتفاعلة.

مصطفى طه عبدالغني
باحث تنمية بشرية



# متلازمة الصراع بين العقل والقلب

خلق الله الإنسان ذا قطبين أساسيين يبني عليهما أساس حياته؛ وهذان القطبان هما: العقل؛ بما يحمله من حكمة وتدبر وفهم، والقلب؛ وأساسه العاطفة والرغبة والتمني، ودائما ما يتصارع هذان القطبان مع أول مواجهة لأي مشكلة أو لحظة اتخاذ قرار حاسم، فهل يحكم الإنسان عقله دوما فقط ويصبح بذلك عمليا حادا كالآلة؟ أم يفكر بمشاعره وإحساسه فقط من دون إعمال عقله فيصبح أسيرا لتلك المشاعر.. أم يكون مذبذبا بين هذا وذاك؛ فيقع في دائرة الصراع النفسي ويتخبط ولا يقوى على اتخاذ قراراته؟

إن العقل هو القدرة المدبرة والمخططة للأمور، بينما القلب هو القوة الدافعة والمحركة، فهل يمكن للإنسان أن يحدد مصيره ومستقبله بقرار من العقل أم من القلب؟ وهل يتشاور العقل مع القلب في بعض الأمور؟ وهل يتفقان أم يختلفان؟! وإلام نحتاج كي نحظى بحياة سعيدة راضية هادئة مطمئنة، أمزيد من أحكام العقل.. أم عاطفة القلب وأحاسيسه؟ بالطبع أسئلة كثيرة ومحيرة للجميع.

## تعريف

وسنبدأ أولا بتعريف كل من العقل والقلب من منظور بعض العلماء والمفسرين: فالعقل لدى أبي حامد الغزالي، كما جاء في كتابه «إحياء علوم الدين»، هو: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، واستعد به لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

بينما عرف كثير من العلماء العقل بأنه التعقل وإدراك العلوم، فلم يلتفتوا إلى إثبات ماهيته، بل عدوه ذات العلوم. أما القلب فعرفه أبو حامد الغزالي في «إحياء علوم الدين» بأنه: لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ولها علاقة مع القلب الجسماني.

والقلب إن غفل يغفل العقل معه، وإن غفل العقل، تنشط الشهوات بغير رقيب ولا حسيب. وللقلب نور يشع بالعلم والإيمان والعمل بهما، وله أعين، وهي البصيرة، وله أذن وهي الإنصات، والقلب السليم هو العقل حين يتغلب على الشهوة، ويصير بيت الحكمة بجعل العلم محل عمل وتطبيق.

والعقل هو المسؤول عن عمليات المعادلات والحساب والتفكير والمنطق وغذاؤه الكتاب والمعلومات، بينما غذاء القلب هو الصبر وجهاد النفس، ذلك لأن العقل قد يضل الطريق إلى الله، وهو ما وصل إليه الملحدون رغم أن فيهم الطبيب والمهندس والعالم، لكن القلب يهتدي إلى الطريق المستقيم بنور الإيمان؛ ليعرف خالقه ويدرك اليقين، يقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد:٢٤).

وإذا تأملنا أيهما أكثر تأثيرا على قراراتنا القلب أم العقل؛ فسنجد أن هناك من يفكر بعقله ويتخذ القرار بقلبه، وهناك من نحى القلب جانبا عن اتخاذ قراراته. إذن هناك صراع أبدي متلازم ودائم بين العقل والقلب، وقد قيل إن العقل مركز الحكمة، والقلب مكمن العاطفة، وحين تتصارع العاطفة مع الحكمة يعيش الفرد في صراع نفسي عنيف لا يعرف مداه.

بيد أنه أحيانا ما يتفق القلب مع العقل، وتتفق العاطفة مع الحكمة، وينسجم الإنسان في قراراته وتوجهاته معهما، فتجده قادرا على اتخاذ قراره بدقة من دون تردد أو توتر.

لكن ما نتيجة سيطرة القلب على العقل عند اتخاذ القرارات؟! إن العقل لديه مساحة كبيرة من الحرية، لأنه يقضي ويحكم في كثير من الأمور فيراها على حقيقتها المجردة من دون تغيير أو تزييف، وإذا وقع تحت

سيطرة القلب ونفوذه، فسوف يحكم بما يهوى القلب ويحب، لا بما يقتضيه الحق والعدل. يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن: «من عشق شيئا أعشى بصره، وأمرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، وأماتت الدنيا قلبه» (نهج البلاغة/خطبة١٠٩).

## العقل والقلب في القرآن

**أولا:** النظرة القرآنية إلى العقل:

العقل هو إحدى معجزات الخالق، يتحقق به الإدراك والفهم والتصور، لأجل ذلك ذم الإسلام أتباع الأمم السابقة وحتى الأمم الحاضرة؛ بسبب عدم إعمال بعضهم للعقل، واتباعهم للتقليد الأعمى، الذي عرفه بعضهم بأنه مجموع العادات التي يرثها الآباء عن الأجداد، أو التي تسري بمجرد عامل الاحتكاك والتفاعل في بيئة من البيئات أو بلد من البلدان الذي لا دليل عليه يقويه ولا برهان يعضده، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(البقرة:١٧٠).

فالعقل هو أعظم النعم وأجل المنح، ولاريب أن صلاح العقل واستقامته في الإدراك والتفكير ووزنه الأشياء بميزان الحقيقة، وتحريه الإنصاف في أحكامه؛ يترتب عليه إصلاح الأعضاء كلها، فلا تصدر إلا خيرا ولا تعمل إلا صلاحا، ولا تقول إلا حسنا؛ لأنه الحاكم عليها والرئيس بينها، وإذا صلح العقل صلحت الحياة، أما إذا فسد العقل واختل نظام التفكير فسدت الحياة، فلا يصدر إلا الشر،

فبالعقل كلف الله تعالى الإنسان وخاطبه بكتابه العظيم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣).

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجده حافلا بالدعوة إلى إعمال العقل في الأمر، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك:١٠) وقال جل شأنه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء:٦٧).

**ثانيا:** النظرة القرآنية إلى القلب:

يحدد القرآن مكان القلب بأنه في الصدر، ويحدد ذاته بأوصافه ووظائفه كما يلي:

١ـ مركز الفهم والتعقل، فيقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦)، فإنه ينسب إلى القلوب عمل العقل والفكر.

٢ـ مركز المسؤولية: لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨٣)، وهكذا القلب يأثم ويعصي، ويطيع وينفذ.

٣ـ مركز الإيمان والكفر: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل:١٠٦)، فالقلب مكان الإيمان والكفر.

٤ـ مركز الإحساس، فيقول: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال:٦٣)، فالترابط بين المؤمنين هو ترابط الشعور، والإحساس العميق.

٥ـ مركز الوعي في الإنسان: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ (الشعراء:١٩٢-١٩٥).

٦ـ مركز الذوق: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر:٤٥). فالقلوب كما تشمئز، تفرح وتستبشر.

## الحل الأمثل للصراع

ولكي ينجو الإنسان من مغبة الشهوات التي تدمر الجسم والعقل والإيمان، وتخرب على المسلم دينه ودنياه، لا سبيل أمامه إلا تقوية سلطة العقل وعدم إعطائه النفوذ المطلق.

ومن وسائل تقوية العقل: جعل الإنسان تعقل الأمور والتفكر فيها عادة من عاداته، بحيث يستطيع تجنب الاستعجال في اتخاذ قراراته.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

# مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض (١)



**ما زلنا في معالم ومنارات حديثة أخذت مكانتها ومكانها وأثبتت وجودها في هذا العصر الرقمي والإلكتروني، الزاخر بالكتب والمطبوعات ومئات الألوف من المخطوطات، حتى صارت قبلة للدارسين والباحثين والمستفيدين من كافة المشارب والاختصاصات، يشع نورها ليصل إلى أقاصي البلدان، ومنارتنا هذه قد تطول صحبتنا معها إلى عدة حلقات؛ لكثرة خدماتها، ومهماتها، ووظائفها، وتنوع إداراتها، وأهدافها...**

المكتبة في أصلها عبارة عن معلم تذكاري شيد؛ ليكون تحفة معمارية بالتعاون مع أمانة مدينة الرياض التي قدمت الأرض والإشراف الفني والمعماري والإداري، وقد صمم المبنى ليكون مكتبة عامة، ثم حولت إلى مكتبة وطنية للمملكة العربية السعودية بناء على اقتراح خادم الحرمين الشريفين الملك (سلمان ابن عبدالعزيز) الذي كانت له اليد الطولى في إنشاء المكتبة وتجهيزها، حيث كان في ذلك الوقت رئيس اللجنة الاستشارية.

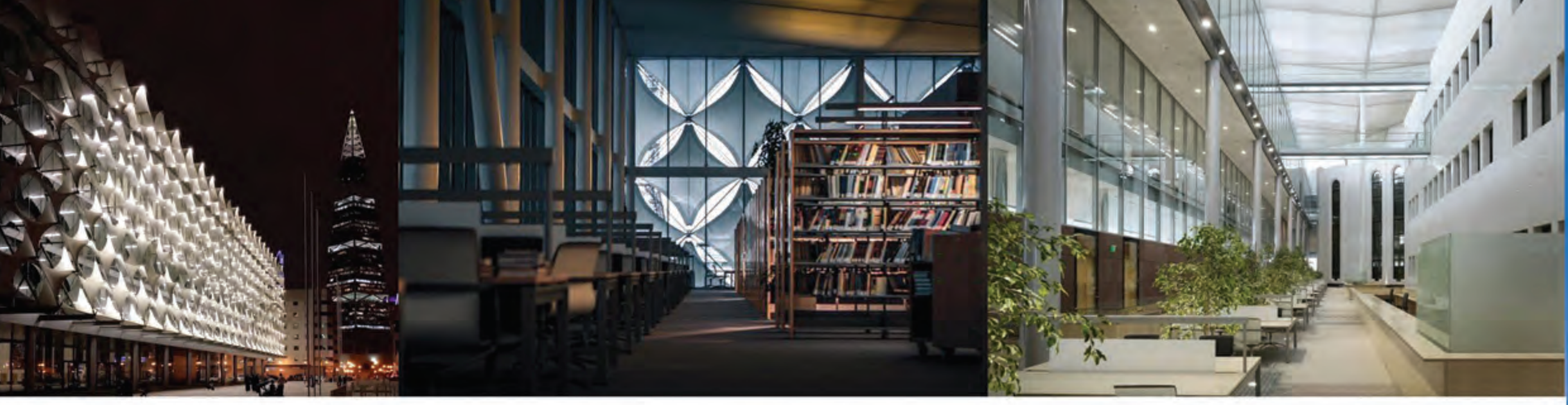
وكانت فكرة إنشاء المكتبة الوطنية تتكرر في كل خطة سابقة؛ فكان الإعلان عن مشروع المكتبة في الاحتفال الذي أقيم في عام (١٤٠٣هـ) والذي حظي بدعم مادي من الدولة نفسها.

بدأ تنفيذ المشروع عام (١٤٠٦هـ) تحت إشراف أمانة مدينة الرياض، وفي عام (١٤٠٨هـ) تكونت إدارة مؤقتة؛ تفرغت للتخطيط لعملية تنمية المجموعات وتنظيمها وإعدادها، ووضع نواة الجهازين الإداري، والفني لها، وفي عام (١٤٠٩هـ) تم البناء والتأثيث والتجهيز.

### ❖ وصف المكتبة

تقع مكتبة الملك فهد الوطنية على أرض مساحتها (٥٨,٠٠٠) متر مربع تقريبا خصصت منها مساحة (٣٠,٠٠٠) متر مربع حديقة للمكتبة وممشى ولمبناها (٢٨,٠٠٠) متر مربع، وتبلغ مسطحات مبناها الرئيس (٢٣,٠٠٠) متر مربع. ويتكون المبنى من دور أرضي تعلوه ثلاثة أدوار تغطيها قبة سماوية غاية في الجمال، وقد صمم بطابع معماري حديث مزين بالزخارف العربية والنقوش الرخامية، ولعل من أهم ميزات هذا الصرح الثقافي الكبير وقوعه في منطقة حيوية مهمة في مدينة الرياض بين طريق الملك فهد من جهة الغرب وشارع العليا العام من جهة الشرق، وهذا الموقع يعطي المكتبة إمكانية النجاح في أداء دورها بنسبة كبيرة نظرا لسهولة الوصول إليها ووضوح المكان وبروزه، فهو قلب الرياض الحديث، كما تتوافر داخل المكتبة نفسها أماكن للاستراحة والانتظار. ويتوافر للمكتبة مواقف في فنائها حول أسوارها من الجهات الأربع تتسع لحوالي (٣٠٠) سيارة.

وتستقبل المكتبة زوارها يوميا من الأحد إلى الخميس، من الساعة (٨) صباحا إلى الساعة (٧) مساء، أما الخدمات الإلكترونية فهي متاحة كل يوم على مدار الساعة.



### ❖ موارد المكتبة وميزانيتها

للمكتبة ميزانية مستقلة، وتتكون أموالها من:

- الاعتمادات التي تخصص لها من ميزانية الدولة.
- الدخل الذي تحصل عليه من ممارسة نشاطها.
- الهبات والإعانات والمنح والوصايا التي تقدم للمكتبة، وتقبل حسب القواعد التي يضعها مجلس الأمناء.

**ومجلس الأمناء هذا يتكون من:**

رئيس للمجلس، وخمسة أعضاء ممن لهم اهتمام بشؤون المكتبات، يتم اختيارهم بأمر ملكي، وتكون مدة عضويتهم ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط. كما يعتبر أمين المكتبة عضوا.

**أما وظيفة المجلس:**

فإنه يعتبر السلطة المسؤولة عن رسم السياسة العامة للمكتبة، وله أن يتخذ جميع القرارات اللازمة لتحقيق أهداف المكتبة وعلى وجه الخصوص:

- اقتراح الأنظمة الخاصة بالإيداع النظامي وحقوق الملكية الفكرية.
- حماية التراث الفكري الوطني، وغير ذلك من الأنظمة ذات العلاقة بمجال عمل المكتبة.
- إصدار اللوائح المالية والإدارية التي تسير عليها المكتبة.
- اعتماد برامج المكتبة ومشروعاتها.
- اقتراح مشروع ميزانية المكتبة والنظر في حسابها الختامي تمهيدا لرفعه إلى مجلس الوزراء.
- تكوين لجان دائمة أو مؤقتة من بين أعضائه أو من غيرهم للقيام بما يكلفها به المجلس.

### ❖ أهداف المكتبة

تهدف المكتبة إلى اقتناء الإنتاج الفكري وتنظيمه وضبطه وتوثيقه والتعريف به ونشره. ولها في سبيل تحقيق ذلك – من غير تحديد لاختصاصها – ما يلي:

١- جمع كل ما نشر داخل المملكة.

٢- جمع ما ينشره أبناء المملكة خارجها.

٣- جمع ما ينشر عن المملكة.

٤- جمع ما يعتبر من الموضوعات الحيوية للمملكة من إنتاج فكري عالمي.

٥- جمع كل ما يمكن جمعه من الإنتاج الفكري في الخارج، مما يساعد على دراسة الحضارة الإنسانية ومسايرتها في مختلف نواحيها.

٦- جمع كتب التراث والمخطوطات والمصورات النادرة والمطبوعات والوثائق المنتقاة، وبالأخص ما له علاقة بالحضارة العربية والإسلامية.

٧- تسجيل ما يودع لديها وفقا للأنظمة.

٨- إصدار الببليوجرافيا الوطنية والفهارس الموحدة وغيرها من أدوات التوثيق.

٩- إنشاء قواعد للمعلومات الببليوجرافية.

١٠- تقديم الدراسات المرجعية للأجهزة والهيئات الحكومية.

١١- تقديم الخدمات المرجعية والإعارة للأفراد والأجهزة والهيئات الحكومية والخاصة.

١٢- تمثيل المملكة في اللقاءات والمؤتمرات التي تتطلب تمثيلا دوليا، وذلك في مجال اختصاصها.

١٣- التعاون وتبادل المعلومات والمطبوعات مع المكتبات والهيئات والمنظمات الدولية.

١٤- إقامة وتنظيم معارض الكتب والندوات والمؤتمرات.

١٥- قيادة وتطوير أعمال وخدمات المكتبات ومراكز المعلومات عن طريق:

- المشاركة بدور أساسي في وضع الخطط الوطنية لأنظمة المكتبات والمعلومات والوثائق بالتنسيق مع الجهات المعنية.
- المشاركة بدور أساسي في وضع المواصفات والمقاييس الببليوجرافية الوطنية بالتنسيق مع الجهات المعنية وتشجيع ومتابعة تطبيقها في المكتبات ومراكز المعلومات.
- تنفيذ برامج استثمار المعلومات بما في ذلك إنشاء شبكة معلومات تعاونية بين المكتبات ومراكز المعلومات.
- الإسهام في إعداد ونشر البحوث والدراسات والأدلة الخاصة بأعمال المكتبات والمعلومات.



هشام الصباغ
باحث لغوي

# مالك بن نبي
# ابن خلدون العصر الحديث.. وفقيه الحضارة

**في البدء كانت «اقرأ»..**
**أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن.. وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.**

■ لم يستطع الغرب، الذي طالما نجح في إغواء كثيرين غيره، ومنهم معممون، وأبقى أيديهم - رضا - مغلولة بعنق حضارته، أن يسحر عينيه أو يسترهبه، رغم أنه قصد قلبه النابض ساعتئذ (باريس)، لكن بريق حضارته لم يأسر فكره أو يحرف بوصلته، التي تغيت نهضة إسلامية أصيلة، تبرئ أمته من سقم ألم بها فأقعدها؛ فهضم إيجابيات الحضارة الغربية، ولم تعم عاصمة النور عينيه عن رؤية سلبياتها.

■ أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين و«فيلسوف العصر» و«فقيه الحضارة» و«شاهد القرن».. إجمالا يمكن اعتباره امتدادا لابن خلدون؛ إنه مالك بن عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي.

■ ولد مالك بن نبي مع الإشراقة الأولى لعام ١٩٠٥م، في مدينة قسنطينة الجزائرية لأسرة متدينة «فقيرة»؛ فأبوه كان موظفا، وأمه كانت تحيك الملابس لتساعده.

■ في تبسة، التي نقل أبوه إليها بحكم وظيفته، قضى معظم طفولته، فالتحق لأربعة أعوام بكتّاب لتحفيظ القرآن إلى جانب دراسته في المدرسة الفرنسية حتى أتم تعليمه الابتدائي والإعدادي. نبوغه وتفوقه في هذه السن مكناه من الحصول على منحة لمواصلة دراسته في قسنطينة، وفيها تعرف عن قرب على الثقافة الفرنسية.

■ قصد فرنسا بعدما أتم تعليمه الثانوي بغرض الانتساب إلى معهد الدراسات الشرقية ليصبح محاميا، غير أن طلبه رفض، فتوجه إلى مدرسة اللاسلكي وحصل على شهادة مهندس كهرباء عام ١٩٣٥م.

## تجربته الفكرية

■ في قسنطينة طالع كتابين كان لهما بالغ الأثر في حياته، هما «الإفلاس المعنوي هل هو للسياسة الغربية في الشرق؟» للشاعر الإسلامي المعروف أحمد محرم، و«رسالة التوحيد» للإمام محمد عبده، ساعداه على رؤية أوضاع العالم الإسلامي في تلك الفترة، وقرأ كتاب «أم القرى» للكواكبي، كما تعرف على الإنجيل من خلال تردده على إحدى البعثات التبشيرية الإنجيلية، وناقش المبشرين في أدق الأفكار. وفي ١٩٢٨م، تعرف على الشيخ عبد الحميد بن باديس (رائد الحركة الإصلاحية ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين).

■ في باريس عاش مشكلات أمته ووطنه، وعمل صحفيا في «اللوموند»، وتعرف على «روح» الحضارة الغربية وأفكارها. وفي مارسيليا أشرف على نادي «المؤتمر الجزائري الإسلامي»، وشارك في تأسيس جمعية «الوحدة المغاربية» تحت إشراف الأمير شكيب أرسلان.

■ الثنائية الثقافية بين الحضارتين الإسلامية والغربية صاغت التكوين الفكري لمالك، وكانت لها انعكاسات واضحة في كتاباته، التي تميزت بالمزاوجة بينهما.. وكان أبرز مظاهرها زواجه من فرنسية، وإسلامها على يديه.

## القاهرة.. والبحث عن التغيير

■ الذهاب إلى القاهرة ظل أملا يراوده، إذ كانت تحتضن وقتئذ قضايا التحرر والعروبة، ورآها احد مواقع التغيير في العالم الإسلامي. فيها أصدر كتابه الأول باللغة العربية (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة).

## من أبرز أفكاره

■ القابلية للاستعمار: وهي جملة خواص اجتماعية تؤدي إلى استمرار الوضع المنحل للحضارة: «فهناك مجتمعات تعرضت للاحتلال العسكري لكنها مجتمعات غير قابلة للاستعمار، وفي المقابل توجد مجتمعات لم تتعرض للاستعمار لكنها قابلة للاستعمار».

■ تكديس منتجات الحضارة: يرى أنه «لا يأتي بالحضارة.. فالحضارة هي التي تكوّن منتجاتها، وليست المنتجات هي التي تكوّن حضارة».

■ الجاهلية: يرى أن الجاهلية التي ذكرها القرآن «لم تكن فقيرة في صناعة الأدب، لأن علاقتها المقدسة كانت مع الأوثان لا الأفكار.. وإذا كانت الوثنية جهالة فالجهالة بالمقابل وثنية».

■ أصالة الأفكار وفعاليتها: الفكرة عنده إذا خرجت إلى النور «فهي إمّا صحيحة أو باطلة، وحينما تكون صحيحة فإنها تحتفظ بأصالتها حتّى آخر الزمان، لكنها في المقابل يمكن أن تفقد فعّاليتها في الطريق حتّى لو كانت صحيحة».

## إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

لم يكن لمثل هذه العين الثقافية الثرة إلا أن تروي «الوعي الإسلامي» بمدادها ظمأ قرّائها، فكتب لهم بن نبي مقالات ثلاثة، هي: «إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث» (نُشر جزؤه الأول في العدد ٤٩، محرم ١٣٨٩هـ - مارس ١٩٦٩م، والثاني بالعدد ٥٢، ربيع الثاني ١٣٨٩هـ - يونيو ١٩٦٩م) و«المجتمع الإنساني والإنسانية العذراء (نُشر في العدد ٧٧، جمادى الأولى ١٣٩١هـ - يونيو ١٩٧١م).. كان مدارها يناقش تقريبا ما جاء في قوله مجملا: «المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتمامي منذ أكثر من ربع قرن وحتى الآن، هي مشكلة الحضارة وكيفية إيجاد الحلول الواقعية لها، وإزالة التناقض بين النجاح المادي والتخلف المعنوي؛ أعني تخلف القيم أو إهمالها».

## إرثه العلمي ووفاته

■ ألف أكثر من ثلاثين كتابا، من أشهرها «الظاهرة القرآنية» و«شروط النهضة» و«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي». ونشر له كتابان بعد وفاته هما: «دور المسلم ورسالته في القرن العشرين» عام ١٩٧٧م، والثاني «بين الرشاد والتيه» عام ١٩٧٨م.

■ كانت له ندوة أسبوعية يعقدها في بيته يقصدها الشباب المثقف، ومع استمرار هذه الندوات ونجاحها؛ وتكريما له حولتها الجزائر إلى ملتقى للفكر الإسلامي يقام كل عام.

■ كُتب عدة طبعت عن حياته وأفكاره، من أهمها: «في صحبة مالك بن نبي» و«مقاربات حول فكر مالك بن نبي» اللذان كتبهما عمر كامل مسقاوي، تلميذه الذي ترجم بعض أعماله إلى العربية.

■ توفي مالك بن نبي - رحمة الله عليه - يوم ٤ شوال ١٣٩٣هـ، الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٧٣م.

---

## المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، الأعداد: ٤٩ و٥٢ و٧٧.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- موقع الأستاذ مالك بن نبي.
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي


## سلسلة الذخائر

# المجلة التاريخية المصرية



الجمعية الملكية للدراسات التاريخية

SOCIÉTÉ ROYALE D'ÉTUDES HISTORIQUES



المجلة
التاريخية المصرية

تصدرها الجمعية مرتين فى السنة ويشرف على تحريرها
محمد شفيق غربال بك نائب رئيس الجمعية ووكيل وزارة المعارف
ومحمد مصطفى زيادة عضو مجلس إدارة الجمعية وأستاذ تاريخ العصور
الوسطى بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

المجلد الأول
العددان الأول والثانى

مايو واكتوبر
سنة ١٩٤٨

تطلب المجلة من الجمعية ومن المكتبات الرئيسية
وثمن العددين معا ٥٠٠ مليما

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «المجلة التاريخية المصرية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

## التعريف بالمجلة التاريخية المصرية

وهي مجلة تاريخية مصرية، تصدر مرتين في السنة، وقد بدأ صدور هذه المجلة عام: (١٩٤٨م)، حيث خرج إلى النور أول عدد لها في مجلدين، وقد أشرف على تحريرها محمد شفيق غربال نائب رئيس الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، والدكتور محمد مصطفى زيادة عضو مجلس إدارتها.

## التعريف بصاحب المجلة (الجمعية الملكية للدراسات التاريخية)

من أقدم الجمعيات العلمية غير الحكومية في مصر، تأسست في (٢٠ يوليو، ١٩٤٥م)، تحت اسم الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، بمرسوم ملكي، وتحددت أغراضها بالنهوض بالدراسات التاريخية ونشر الوعي التاريخي بين أبناء الوطن، وحفظ الوثائق التاريخية، وفي هذا الصدد تضم الجمعية مخطوطات ووثائق تاريخية كثيرة.

## أهداف الجمعية

- تنظيم الدراسات التاريخية وتشجيعها، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ مصر والوطن العربي.
- جمع الوثائق والمصادر والمذكرات التاريخية الخاصة بالتاريخ المصري والعربي.
- وضع فهرس عام للمؤلفات والنشرات فيما يتصل بالدراسات التاريخية عموما.
- نشر البحوث والمؤلفات المتصلة بالدراسات التاريخية.
- إصدار مجلة دورية تتضمن بحوث الجمعية لتكون سجلا للدراسات والبحوث التاريخية.
- تنظيم سمينارات تستهدف توعية الشباب بالتاريخ القومي المصري والعربي.
- تنظيم مواسم للمحاضرات ذات المستوى الرفيع في مختلف قضايا التاريخ.
- تنظيم ندوات سنوية للجمعية حول موضوع يهم الباحثين في مصر والوطن العربي.
- تنظيم الدراسات التاريخية الخاصة بمصر والوطن العربي.
- جمع الوثائق والمصادر والمذكرات الخاصة بهما ومعاجم الأعلام لمختلف العصور.
- عقد محاضرات تثقيفية للشباب للتوعية بتاريخ البلد.
- إصدار مجلة دورية تتضمن بحوث الجمعية.

## محتوى المجلة

لقد كانت المجلة في محتواها عبارة عن أرشيف لتاريخ مصر، وأبحاث ودراسات لإبراز هذا التاريخ وإظهاره للعلن.

فقد احتوت المجلة على مجموعة من البحوث، والدراسات المتنوعة والوثائقية، والمراجع التاريخية، ونقد الكتب، ونبذة عن مجملة عن المطبوعات الحديثة في التاريخ المصري، والحديث عن بعض الأعلام، والأطلس التاريخي، وأنباء المؤرخين.

فمن الأبحاث التي نشرت في عددها الأول بحث بعنوان: سكان مصر ودراسة تاريخهم الجنسي، بقلم الدكتور سليمان حزين.

ومن الدراسات المتنوعة، دراسة بعنوان: مكانة مصر في كتاب توينبي، بقلم الدكتور ج.ج أوكموتي، ونقله إلى العربية الأستاذ فؤاد أندراوس.

ومن المراجع التاريخية، مقال عن: مرجع تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي، بقلم الدكتور أحمد الحتة.

## أهداف المجلة

- نشر الأبحاث والوثائق والخرائط والصور المتعلقة بالتاريخ المصري والحضارة المصرية وعلاقات مصر الخارجية.
- عمل ملخص للمحاضرات الهامة التي تلقى تحت إشراف الجمعية.
- نقد المؤلفات التي تظهر في التاريخ المصري.
- عمل ثبت بالمؤلفات التي تظهر في مصر أو الخارج عن التاريخ المصري.

## نسخة مجلة الوعي

تتزين أرفف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة من هذه الدرة التاريخية، والتي تتكون من (٤٨) مجلدا، وهي متاحة للمهتمين بالتاريخ عامة، والتاريخ المصري خاصة.


## المصادر

مجلة: المجلة التاريخية المصرية.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

## العلم والحلم

قال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني، العلم حسن، وهو مع الحلم أحسن، والصمت حسن، وهو مع الحكمة أحسن، يا بني إن اللسان هو ناب الجسد، فاحذر أن يخرج من لسانك ما يهلك جسدك، أو يسخط عليك ربك».
وقال في الحلم أيضا: «حليم كلما لقيك قرعك بعصاه خير من سفيه كلما لقيك سرك».
وقال أيضا: «حليم في صورته خير من صورة لا حلم له».

**(الحلم للحافظ ابن أبي الدنيا، ص:٦٣)**

## شعبان

جاء الاسم من: تشعبت القبائل للإغارة والقتال بعد قعودها في رجب، وقيل يتفرق الناس فيه ويتشعبون طلبا للماء. وينبغي للمسلم أن يجتهد فيه بالطاعة اقتداء بالنبي ﷺ حيث قال: «ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان» (رواه أحمد).

## مكارم الأخلاق عشر

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «مكارم الأخلاق عشر: صدق الحديث، وصدق البأس، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء».

**(مواعظ الصحابة ووصاياهم، ص:٣٢٩)**

## حياك الله وبياك

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «معنى قولهم حياك الله وبياك: أصل بياك: بوأك: أسكنك منزلا في الجنة، وهيأه لك. وقال غيره: بياك: عجل لك ما تحب. وقال آخر: بياك: تغمدك بالتحية. وقال آخر: بياك: استقبلك بما تريد».

**(غريب الحديث، ١/٩٥)**

## العلم أكبر من أن أكتب به إليك

كتب رجل إلى ابن عمر – رضي الله عنهما – يسأله عن العلم، فكتب إليه ابن عمر: «إنك كتبت تسألني عن العلم، فالعلم أكبر من أن أكتب به إليك، ولكن إن استطعت أن تلقى الله كاف اللسان عن أعراض المسلمين، خفيف الظهر من دمائهم، خميص البطن من أموالهم، لازما لجماعتهم: فافعل».

**(أخرجه ابن عساكر)**

## أربع فيهن صلاح دينك

قال صالح بن كيسان: خرج علينا الزهري من عند هشام ابن عبدالملك فقال: لقد تكلم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ما سمعت كلاما أحلى منه! قال له: يا أمير المؤمنين، اسمع مني: أربع فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك. قال: ما هي؟ قال: «لا تعدن أحدا عدة وأنت لا تريد إنجازها، ولا يغرنك مرتقى سهلا إذا كان المنحدر وعرا، واعلم أن للأعمال آخرا فاحذر العواقب، وأن الدهر تارات فكن على حذر».

**(التماس السعد في الوفاء بالوعد لأبي الخير السخاوي، ١/٤٥)**

## التوسط بين الانقباض والاسترسال

ينبغي أن تحب المسلم لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال، فأما ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم أنه نادم عليها، فالأولى حينئذ الإغماض والستر، فإذا أصر على المعصية، فلا بد من إظهار أثر البغض بالإعراض عنه والتباعد، وتغليظ القول له على حسب غلظ المعصية وخفتها.

**(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ت:٧٤٢)**

## كثرة الكلام لا تدل على العلم

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك. وهذا جهل محض. وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف كانوا. كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم. فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد».

**(بيان فضل علم السلف على الخلف، ص:٥)**

## الأذكار المأثورة

قال العلامة عبدالحميد بن باديس رحمه الله: «ربما شغل اللسان بالتعلم والعلم عن الأذكار المأثورة حتى يتركها الطالب جملة، ويكون عنها من الغافلين؛ فيحرم من خير كثير وعلم غزير، وقد كان ﷺ معلم الخلق، وما كان يغفل عن تلك الأذكار».

**(آثار ابن باديس، ١/١٣٦)**

## المدح والذم

قال العلامة ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «واعلم أن أكثر الناس إنما هلكوا لخوف مذمة الناس، وحب مدحهم؛ فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق رجاء المدح خوفا من الذم، وذلك من المهلكات، فوجبت المعالجة».

**(مختصر منهاج القاصدين، ص:٢١٢)**

## حكم غالية

عن الأحنف بن قيس، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه قل خيره، ومن كثر أكله لم يجد لذكر الله لذة، ومن كثر نومه لم يجد في عمره بركة، ومن كثر كلامه في الناس سقط حقه عند الله، وخرج من الدنيا على غير استقامة».

**(الحلم لابن أبي الدنيا، ص:٦٣)**

## يعقوب بن إبراهيم

ذكر ابن رجب - رحمه الله - في ترجمة يعقوب بن إبراهيم العكبري الحنبلي: «كان مبارك التعليم، لم يدرس عليه أحد إلا أفلح وصار فقيها»

**(الذيل على طبقات الحنابلة، ١/١٦٩)**

## حافظان صديقان

كان الصديقان الحافظان: ابن عساكر، وأبو سعد السمعاني، يمشيان في طلب الحديث ولقاء الشيوخ، فاستوقف الحافظ السمعاني شيخا ليقرأ عليه كتابا في الحديث، فبحث عن الكتاب في جعبته فلم يجده، فاغتم وضاق صدره... فقال له الحافظ ابن عساكر: ما الكتاب الذي تبحث عنه؟ فقال: كتاب «البعث والنشور» لابن أبي داود. فقال ابن عساكر: لا تحزن، ثم قرأه أو بعضه من حفظه.

**(ذيل تاريخ بغداد، ٢١/١٤٢)**

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.



إعداد: التحرير

# من أحسن الناس قولا وعملا؟

لا يوجد أبلغ من كلام الله تعالى للإجابة على هذا التساؤل المصدر في العنوان ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣).

وهذه الدعوة عامة نزلت في كل من دعا إلى الله وآمن به وعمل صالحا؛ أي أدى الفرائض والمندوبات، وصرح باعتقاده، واجتنب المحارم، وهم أحسن الناس قولا وأسلمهم طوية وإخلاصا في العمل لله وابتعادا عن الرياء أو النفاق أو تكفير المخالف، وهم كذلك أهل محبة وقلب سليم ومجاهدة للنفس الأمارة بالسوء، وأهل اتباع للقدوة الحسنة ومجادلة أعداء الدين بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه:٤٤)، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (النحل:١٢٥).

من شيمهم احترام العلماء وقصر اللسان عن التهم والقذف، قال ﷺ: «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم» (رواه البخاري ومسلم).

فما أحوج خير أمة أخرجت للناس أن تطبق هذا المنهج القويم الذي دلنا عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المعطرة حتى يستمر تدفق تيار المد الإسلامي ورفع راية التوحيد والإيمان ببصيرة وعلم وبقلوب محبة رؤوفة تسعى لها بالخيرات، وتحملها عليه برفق، وتدعو لها بظاهر الغيب، ويتطلب ذلك الرحمة والشفقة ولين الجانب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وهذا وصف لأحب أهل الأرض إلى الله تعالى.

**أ. د. عبدالفتاح محمد العيسوي**

# رضاء الخلق ورضوان الخالق

في حياتنا المعاصرة يتردد دائما لفظ الخشوع، خصوصا في العبادات، فيقال: إن فلانا خاشع في صلاته؛ استنادا إلى ما قد يصدر عنه من انفعالات أو حركات أو سكنات تظهر هذا الخشوع.

وقد يدخل في تلك المسألة ما يشوبها من نفاق أو رياء أو ابتغاء رضا الخلق لا رضوان الخالق، وأوضح لنا علماء السلف الصالح الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق، فقالوا: «إن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والمهابة والوقار والحياء، فينكسر القلب لله تعالى كسرة يجتمع فيها الوجل والخجل والحب والحياء، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح والأعضاء، أما خشوع النفاق فيظهر على الجوارح تصنعا وتكلفا بعيدا عن خشوع القلب».

وكان أحد صحابة رسول الله ﷺ يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق! فقيل له وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع.

والخاشع لله هو عبد من عباده، قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدر وأشرق به نور الإيمان، فماتت شهوات نفسه وخمدت الجوارح واطمأن القلب.

وهكذا أوضح لنا العلماء معنى الخشوع الحقيقي، وكيف يكون بعيدا عن غلو الناس وتشكيكهم عن جهل وسوء فهم! فخشوعك منك؛ ناتج عن أفعالك، لا يعطيه لك أحد أو يمنعه عنك، فلا تلقِ تبعات نفسك على غيرك!!!

**• محمود مرغني**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com

# اقتران الكثرة مع الذكر

إذا تأملنا آيات القرآن، ونظرنا أين وردت فيها كلمة «كثيرا»، فسنجد في إحداها على سبيل المثال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٣٥)، حيث الكثرة قرنها الله مع الذكر، وأيضا في كثير من الآيات قرن الله الكثرة من الذكر، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٤١).

ويعلل الإمام الرازي ذلك بأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو فيه عسر، فإن الإنسان أكله وشربه وتحصيل مأكوله ومشروبه تمنعه من أن يشتغل دائما بالصلاة، ولكن لا مانع له من أن يذكر الله تعالى وهو آكل، ويذكره وهو شارب أو ماش أو بائع أو شار، وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران:١٩١)، وجميع الأعمال صحتها بذكر الله تعالى ومحلها النية.

• **محمد أحمد قنديل**

**المحرر:**

هي ملحوظة في محلها ويااليتنا نداوم على قراءة القرآن بالعقلية المتدبرة نفسها.

# ما مدى حاجتنا في عالمنا المرير إلى فوائد الضحك الاجتماعي؟

إن لكل فعل إنساني نابع من الداخل فائدة تطورية للإنسان. والضحك، كرد فعل فسيولوجي انفعالي، فائدته في إخراج الشحنات النفسية والطاقة السلبية الداخلية بطريقة سلسة بسيطة. يصفه الأطباء النفسيون كوسيلة للتغلب على الإرهاق، حيث يقلل من هرمونات التوتر والشعور بالألم من خلال إفراز هرمون الأندروفين.

ونظرا لكل هذه الفوائد، تطورت عملية الضحك لدى الإنسان بإنشاء علاقات اجتماعية صحية من خلال التعايش مع الآخرين والتفاعل الإيجابي معهم. لكن هل ما زال هذا المفعول السحري للضحك قائما، خصوصا أننا نعيش بإيقاع الحياة السريعة والمتغيرات المتوالية التي تزيد من حدة التوتر والقلق والاكتئاب، وأصبحنا نكتفي بمجاملة الآخرين بقناع السعادة فقط، متناسين أن في الابتسامة الصادقة مبعثا لحلاوة الحياة؟!

• **جميلة مرابط**

# الاقتصاد الإسلامي.. تحديات وفرص

وسط تنافس محموم في سوق مزدحم بالمنتجات المالية المتنوعة، يواجه الاقتصاد الإسلامي تحديات كثيرة لتحقيق أهدافه وبلوغ غاياته والوصول إلى الشريحة الأكبر من المستفيدين، بما يؤدي إلى المساهمة بشكل فعال في تعزيز النمو الاقتصادي والناتج المحلي.

ورغم أن الطلب على المنتجات والخدمات المالية الإسلامية ينمو ويتزايد بشكل مستمر ليواكب رغبات الكثيرين في الحصول على كل ما هو متوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية، فإن هناك العديد من المعوقات التي تحد من انطلاق الاقتصاد الإسلامي ليأخذ مكانه في الاقتصادات العالمية ويصبح أكثر اعتمادا عليه خصوصا لدى الراغبين في هذا النوع من الاقتصاد وما يقدمه من خدمات ومنتجات مالية.

وتتنوع مصادر الاقتصاد الإسلامي ما بين تمويل مالي وسياحة عائلية وصناعة المنتجات الحلال، إضافة إلى عدد آخر من المصادر المختلفة التي تمثل رافدا للاقتصاد الإسلامي وتدعم نشاطه بما يساهم في نمو وتوسع هذا الاقتصاد.

ولعل من أهم المعوقات التي تواجه توسع وانتشار الاقتصاد الإسلامي هو أنه مازال اقتصادا شابا فتيا في مواجهة اقتصاد تقليدي راسخ متنوع الخدمات والمنتجات، ويحتل مساحة واسعة في الأسواق العالمية؛ الأمر الذي يتطلب وقتا أكبر ورصيدا متراكما من الخبرات والكوادر المؤهلة، فضلا عن الأفكار والمنتجات الجديدة القادرة على استقطاب العملاء للاقتصاد الإسلامي.

كذلك من التحديات التي تواجه الاقتصاد الإسلامي؛ قلة الخبرات في هذا النوع من الاقتصاد، لحداثة نشأته، مقارنة بالاقتصاد التقليدي فضلا عن عدم توافر الثقافة والوعي بأهمية وجودة الاقتصاد الإسلامي وتنوع منتجاته وخدماته المقدمة، إضافة إلى ضعف النشاط الإعلامي والدعاية اللازمة لنشر الوعي بأهميته وقدرته على المنافسة، سواء بين المستهلكين لاستقطاب أكبر شريحة منهم، أو بين المستثمرين الراغبين في دخول مجالات استثمار جديدة تحقق مكاسب جيدة من خلال طرح منتجات وخدمات جديدة.

ورغم هذه التحديات التي تواجه نمو وازدهار الاقتصاد الإسلامي؛ إلا أن هناك العديد من الفرص والامتيازات والعوامل الإيجابية المتوافرة لتحقيق انطلاقة قوية لهذا الاقتصاد والمنافسة بقوة في ظل رغبة الكثيرين في التعامل مع المنتجات الإسلامية المتنوعة سواء في الدول الإسلامية أو غير الإسلامية.

وباتت كل العوامل اللازمة لتعزيز منظومة الاقتصاد الإسلامي وتحقيق الترويج والانتشار المطلوب مواتية حاليا أكثر من أي وقت مضى، لاسيما مع تزايد الطلب على المنتجات الإسلامية من الأفراد والمؤسسات وتوافر المناخ والبيئة التشريعية الملائمة لانطلاق قطاعات الاقتصاد الإسلامي ودفع عجلة هذا الاقتصاد، الذي يرى الكثير من الخبراء الاقتصاديين أنه ينمو بشكل سريع ومطرد باتجاه احتلال مكانة متقدمة في الاقتصاد العالمي، مع ارتفاع قيمة المبالغ المستثمرة في القطاعات الاقتصادية الإسلامية.

عايد الجاسم

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw




## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

 alwaeiq8@gmail.com

 @Alwaei_Alislami

 مجلة الوعي الإسلامي

 موقع مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

كويت

# فلاشات وطنية تلفزيونية

# أمير المكارم .. صباح العز

الفكرة والإشراف العام صلاح أبا الخيل




يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...


+965 922 54 54 5

RedAwqaf








العدد ٦٣٦ -السنة ٥٥ - شعبان ١٤٣٩ هـ - أبريل - ٢٠١٨ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٦٣٧) رمضان ١٤٣٩ هـ - مايو ٢٠١٨ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

## رَمَضَانُ شَهرُ النَّفَحَاتِ الرَّبَّانيَّة

- الكويت تحتضن الجائزة الدولية لحفظ القرآن الكريم التاسعة
- ملامح تربوية من شهر رمضان
- الخطُّ الجميلُ دليلُ المعَاني

هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (١٩)



سمو أمير دولة الكويت / الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح
يكرم الفائز الأول بدر العلي في الجائزة الدولية لحفظ القرآن الكريم

هدية العدد مطوية: «الحديث الموضوع»



 مجلة الوعي الإسلامي
 www.alwaei.gov.kw
 alwaeiq8@gmail.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي 

# جديدنا




## معجم أعلام التعمية واستخراج المعمَّى في التراث العربي والإسلامي

هذا كتابٌ رائدٌ في بابه، مُهم في موضوعه، كبيرٌ في خدمته للعربية والتراث العلمي العربي والإسلامي، فقد تضمَّن كثيرًا من تراجم الأقدمين من أعلام التعمية واستخراجها، كما تناول علم التعمية وأنواعها وطرائقها ومنهجياتها، وطرق حلِّ المُعمَّى وآلياته، وتناول توثيقًا لأهم جهود المعاصرين في هذا العلم.



رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

# رمضان.. وصقل الإيمان

الحمد لله الذي منّ على أمة الإسلام بمواسم الخيرات، وخص شهر رمضان بالفضل والبركات، وحث فيه على عمل الطاعات، والإكثار من القربات، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥)، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وصام، وأشرف من تهجد وقام، وعلى آله وصحبه البررة الكرام، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب النور والظلام.

أما بعد؛ فإن الله سبحانه قد هيأ لنا مواسم الخيرات، التي تصقل الإيمان في القلوب، فتزيد في الطاعات، وتضيّق مجالات الشر في المجتمعات، وتعطي المسلمين دروسا في الوحدة والإخاء، والتضامن والصفاء، والبر والصلة والهناء، والطهر والنقاء.

وهذه المواسم منهل عذب للطائعين، وفرصة لا تعوض للمذنبين، ليجددوا التوبة من ذنوبهم، ويسطروا صفحة جديدة في حياتهم. وإن من أجلّ هذه المناسبات زمنا، وأعظمها قدرا، وأبعدها أثرا: شهر رمضان المبارك الذي نرتوي من نميره، ونرتشف من رحيقه، ونشم عاطر شذاه، شهر مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات، ومغفرة الذنوب والسيئات، وإقالة العثرات، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين، من صامه وقامه إيمانا واحتسابا؛ غفر له ما تقدم من ذنبه؛ كما قال نبينا ﷺ: «من صام رمضان، إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري، رقم:٢٠١٤)، و«من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري، رقم:٢٠٠٩).

إن الأمة الإسلامية ما أعطيت في شهور السنة كلها كما أعطيت في رمضان من الهبات والعطايا، وخصت فيه من الكرامات والهدايا، كما قال ﷺ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين» (رواه البخاري، رقم:٣٢٧٧).

لا غرو؛ فرمضان مطلب للأمة لما فيه من الصفاء والراحة؛ وإنه فترة روحية تجد فيها هذه الأمة فرصة لإصلاح أوضاعها، ومراجعة تاريخها، وإعادة أمجادها، إنه محطة لتعبئة القوى الروحية والخلقية، التي نحتاجها، بل يتطلع إليها الأفراد والمجتمعات المسلمة لتجديد الإيمان، وتهذيب الأخلاق، وتحقيق التقوى.

لقد جهل أقوام حقيقة الصيام؛ فقصروه على الإمساك عن الطعام والشراب؛ فتراهم يطلقون للأعين والآذان الحبل والعنان؛ لتقع في الذنوب والعصيان، ولله در القائل:

**إذا لم يكن في السمع مني تصاون ... وفي بصري غض وفي منطقي صمت**
**فحظي إذن من صومي الجوع والظمأ ... فإن قلت إني صمت يوما فما صمت**

وختاما: حري بالمسلم السعيد أن يتفقد برمضان صيامه، ويشغل بالطاعات أوقاته وأيامه. والموفق من تفقد الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وأخرج ما عليه من زكاة ماله ثم شفعها بالصدقات. والتقي من ترك الغيبة والنميمة والحقد والرياء، وارتدى ثوب الصدق والإخلاص والبر والحياء.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٧ | رمضان ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
مايو ٢٠١٨م

**رئيس التحرير**

**د. صالح سالم النهام**

**مدير التحرير**

**فهد محمد الخزّي**

**التحرير**

**علاء الدين عبدالفتاح**

**د. تركي محمد النصر**

**هداية الله نثار أحمد**

**الإخراج والجرافيك**

**أبورواش زكي محمد**

**فاطمة الجندي**

**الإشراف الفني**

**مطابع فور فيلمز**



**المراسلات**

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع
دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية
- المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




# في هذا العدد





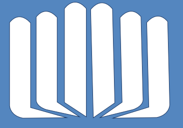

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥-٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





## كلمة العدد

# تعبد وتأمل وعمل صالح

ينظر بعض المسلمين إلى الشهر الفضيل في حاضره فقط، يغتنمون الفرصة بالصوم نهارا والقيام ليلا والتقرب إلى الله بكل ما عرفوا من وسائل وعلى قدر المتاح لهم من وقت وجهد، لكن قد نغفل عن حقيقة مهمة، ألا وهي أن الشهر الكريم الذي قدر الله أن نشهده قد لا يمر علينا ونحن في هذه الحياة الدنيا مرة أخرى ومن عرف ذلك فلا أشك أبدا في أنه سيضاعف الجهد، وسيوفر الوقت ويخترع الحلول اختراعا ليفوز بأقصى ما يمكن مع تركيز الوقت في التعبد والتأمل والعمل الصالح. وهنا وقفة تدعونا للتدبر؛ فالعمل الصالح النافع لأخيك المسلم ولمجتمعك ووطنك يمنحك الحسنات المضاعفة إن شاء الله والتأمل رياضة روحية وذهنية ترسخ الإيمان وتجعلنا نتدبر ونثبت على الدين القويم، أما التعبد فهو ما نعرفه عن ظهر قلب ونقوم به في كل عام فرادى وجماعات نشجع بعضنا بعضا عليه في البيت والمسجد، وفي السَّحر حيث خلوة القيام.

**مدير التحرير**
**فهد الخزي**


## الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي

# المسلم ومجتمع المعرفة

تشغل قضية المعرفة والتنمية التكنولوجية أنظار الفكر العالمي، وتتسابق الأمم والدول للحصول على المعرفة بوضع سياسات وخطط تنموية وبرامج فعالة من أجل تحقيق التنمية والتقدم العلمي والمعرفي، والتسابق الزمني العالمي للاستثمار في مجال الإنترنت وصناعة الاتصالات والاقتصاد الجديد، حيث تمر الكرة الأرضية بحالة من التحول المعلوماتي ضمن إطار القرية العالمية، شئنا أم أبينا، فالبعض ينذر بقدرة الثورة الرقمية على حل مشاكل البشر على كثرتها واختلافها، بل وامتصاص الآثار السلبية التي نجمت عن التكنولوجيا الصناعية.

والبعض الآخر ينذر بفجوة رقمية ساحقة تصدع كيان المجتمع الإنساني، تفصل بين من يملك المعرفة ومن لا يملكها، فلقد غيرت تكنولوجيا المعلومات بصورة جذرية طبوغرافية خريطة المعرفة الإنسانية، فكانت بمنزلة معول هدم للحواجز الفاصلة بين نواحي المعرفة المختلفة من علوم وفنون وهندسة، وغير ذلك من وسائل العلم والمعرفة.

وإذا نظرنا إلى هذا الأمر بعين الاعتبار لوجدنا أن تاريخ الميلاد الحقيقي للتنمية وعمارة الأرض وبناء القوة الشاملة في المجتمعات، بكل أبعادها العلمية والتكنولوجية والاقتصادية، إلى جانب القوة الإيمانية والأخلاقية، إنما هو رسالات السماء إلى الأرض، وآخرها رسالة النبي محمد ﷺ.

واليوم تزداد الفجوة المعرفية بين ما يعرف بالعالم المتقدم وعالمنا العربي والإسلامي، ذلك أن المعرفة الإنسانية تتضاعف بسرعة، وتتغير تغيرا جذريا في شتى المجالات ولا يمكننا أن نتنبأ بها، خصوصا أن الأبحاث والدراسات العلمية تؤكد أن المعلومات في أغلب ميادين البحث العلمي تتضاعف كل عشر سنوات أو أقل.

ويرتفع عدد العلماء بمعدل مذهل، إذ يمثل حاليا ٧٥ في المئة من مجموع العلماء الذين عاشوا على هذا الكوكب منذ بدء التاريخ البشري، هذا إلى جانب أن العالم يستقبل اختراعا جديدا كل دقيقتين، وهناك أكثر من ٣٠ مليون براءة اختراع مسجلة وتتزايد سنويا بمليون براءة اختراع جديدة.

وإذا افترضنا أن ١ في المئة من هذه البراءات يجد طريقه للتطبيق، فإن ذلك يعطي فكرة عن حجم

التكنولوجيات المتاحة، التي من المحتمل أن تتضاعف بتضاعف الأبحاث العلمية والتكنولوجية كل عشر سنوات أو أقل من ذلك[1].

نعيش حاليا في هذا العصر الذي يعرف بعصر المعرفة والمعلومات، هذه المعرفة التي تدعو إلى الندية والمنافسة والتعامل على أساس أن الجميع شركاء في إحداث التقدم. ويدعونا هذا الأمر المهم إلى ضرورة أن يكون الإنسان المسلم في هذا العصر متسلحا بسلاح العلم والمعرفة.

فعلى مستوى التحديات العلمية، التي أصبح يموج بها عالمنا المعاصر، لا يعقل أن تتجه جهود العالم المتقدم إلى محو الأمية التكنولوجية بين مواطنيه؛ بينما عالمنا العربي والإسلامي مازال يعاني من الأمية الأبجدية، إنه لأمر لا يليق بأمة لها رصيدها الحضاري والمعرفي الهائل، الذي يعرفه التاريخ، ولها من تعاليم دينها وقيمه ما يدفعها إلى التقدم والرقي إلى أبعد الحدود.

## المعرفة المطلوبة

وإذا كنا نتحدث عن مجتمع المعلومات والمعرفة، فالسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي المعرفة التي نريدها للمسلم في هذ العصر المثقل بالمعلومات والمعارف؟ لقد تعددت الاتجاهات وتشعبت في هذا الزمان بصورة يصعب تحديدها حتى باتت حقول المعرفة متداخلة، فاختلط الغث بالسمين. إن المعرفة التي ننشدها للمسلم في هذا العصر، هي المعرفة الراقية التي تبني إنسان التنمية القادر على الارتقاء إلى مستوى يواكب القرن الحالي.

لكن العقبة الحقيقية التي تعيق التنمية وتوقف انطلاقها، ليست ندرة الموارد أو نقص التمويل، وإنما غياب القدرة على إعداد إنسان التنمية، العنصر الأهم والأخطر في عناصر البناء، وتحقيق الارتقاء.

ولننظر إلى اليابان، فرغم أنها لا تملك ثروات طبيعية على الإطلاق، فإنها تملك ما هو أهم وأخطر من كل الثروات؛ تملك إنسان التنمية.

## في ميزان الإسلام

وإذا نظرنا إلى ديننا الإسلامي، فسنجده يؤسس بناء معرفيا يستند إلى منهج تربوي يسعى إلى جعل الإنسان المسلم على مستوى التحديات العصرية التي يعيشها، حيث احتوى القرآن الكريم على قيم تحدد متطلبات الحياة، وتدعو إلى التقدم والبقاء واكتساب العلوم النافعة التي تعود بالفائدة على المجتمع وتتطلب المثابرة والجهد في تحصيلها، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر:٣)، فيؤكد الخالق عز وجل قيمة الإيمان والتواصي بالحق والصبر على الجهد المطلوب للبقاء وتحقيق التقدم والنجاح والفلاح في الحياة.

إن التقدم قضية لا تتصادم مع الدين والأصول، بل تتآلف معه وتؤكده بما يضيف عمق الأمان والرفاهية، ويزيد من كفاءة المواطن الصالح وقدرته على إحداث التقدم، والنتيجة أن يقوى المسلمون على مواجهة التيارات الهدامة بالعمل والتجديد في جو التنافسية العالمية[2]. ويدعونا هذا الأمر إلى ضرورة دفع أبنائنا، منذ الصغر، إلى طلب العلم والدأب في تحصيله، وكل ذلك هو إدراك لحكمة الله وسننه في الخلق.

---

### الهوامش

١- نحو حضارة إسلامية أساسها الإيمان والعلم، د. إبراهيم جميل بدران، د. علي حبيش، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٨٦، ص٥٩.

٢- الإسلام ومتغيرات العصر، د. إبراهيم بدران، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ٦٢، ص٧٩.

التحرير



# ختام فعاليات جائزة الكويت للقرآن الكريم برعاية وحضور أمير البلاد

تحت رعاية وحضور حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه، أقيم حفل جائزة الكويت الدولية لحفظ القران الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته في دورتها التاسعة على مسرح قصر بيان.

وبدأ الحفل بالنشيد الوطني ثم تلاوة آيات من الذكر الحكيم قرأها الفائز الأول بجائزة فرع القراءات العشر الكويتي بدر أحمد محمد العلي بعدها ألقى وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار الدكتور فهد العفاسي كلمة رحب في بدايتها بحضرة صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير البلاد المفدى حفظه الله ورعاه وسمو الشيخ جابر المبارك الحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء حفظه الله والوزراء والضيوف والمشايخ والحافظين المشاركين في مسابقة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وتجويد تلاوته في دورتها التاسعة، مثنيا على هذه المناسبة التي تعد «من أظهر المناسبات التي يتوق القلب إليها ويخشع عند حضورها وتحيط بها الملائكة يشهدونها ويبلغون رب العزة أن ثمة رجالا ظلوا يذكرونك ويتسابقون في حفظ كتابك ويتنافسون فيه يبتغون مرضاتك ويرجون رحمتك ويخافون عذابك».

وأضاف أن: «السنون تمضي وينمو

## وزير الأوقاف: «القرآن بوسطيته واعتداله غدًا مكونًا أساسيا من مكونات الهوية الكويتية»

# ١٣٩ متسابقا من ٧٩ دولة شاركوا في منافسات الدورة التاسعة للجائزة



الزرع ويكبر الغرس ويؤتي ثماره جنية ممتعة للناظر ومبهجة للمستظل بظله، ذلكم الغرس الذي يرعاه صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه برعاية هذه الجائزة المباركة كل عام، رعاية أبوية شخصية، والتي غدت تاجا في منظومة المسابقات ودرة في عقد الجوائز ومازال يوليها سموه عظيم عنايته وفائق رعايته حتى أضحت بحمد الله شجرة باسقة تطاول عنان السماء، أصلها ثابت وفرعها في السماء تعنى بأهل القرآن ولدانا وشيبا، حفاظا ومبتدئين، تؤتي كل عام أكلها، وتزداد بهجة ونضارة، وتتطور عاما بعد عام بفضل الله وكرمه، ثم بما توليه سيدي صاحب السمو من العناية والاهتمام بها، مع حرصك البالغ على حضور الحفل الختامي كل عام مع كثرة المهام، وتعدد المسؤوليات، فشكر الله سعيكم، وجعل ذلك في صحيفة حسناتكم، ورفع قدركم في الدارين، وحفظكم بحفظكم للقرآن ورعاية أهله».

وأوضح أنه: «انقضت تسع دورات من هذه الجائزة وهي تزداد تألقا وبهاء وزيادة في إقبال المشاركين عليها من فئات مختلفة صغارا وكبارا حتى شهدنا زيادة ملحوظة في عدد المتقدمين لهذه المسابقة في هذا العام وتنافسا قويا في الحفظ والإتقان فصار اسم الكويت يتردد في آفاق الأرض وعنان السماء كدولة راعية للقرآن معتنية بأهله مكبرة من شأن ما يحتويه من قيم أخلاقية رائدة ومشتركات إنسانية فاضلة وتشريعات حكيمة رائدة، وذلكم هو هدف المسابقة: بث روح التسابق في الخيرات على ثرى هذه البلاد المباركة حرسها الله وزادها أمنا وأمانا واطمئنانا ورخاء والتي عرف أهلها منذ القدم بالاعتناء بحفظ القرآن ومدارسته حتى غدا القرآن بوسطيته واعتداله مكونا أساسيا من مكونات الهوية الكويتية المتضلعة بمعاني الوسطية والاعتدال، وغدت السماحة المجتمعية وقبول الآخر والتعايش بين الأطياف بسلام وأمن طابعا عاما وقاسما مشتركا وسمة أساسية تغطي كل مظاهر الحياة في الجماعة الكويتية القديمة والحديثة، ساعد على ذلك تعامل الإنسان الكويتي القديم مع شعوب مختلفة المشارب واللغات والعادات والحضارات، نقل اليها وأخذ منها وتفاعل معها وزود مجتمعه بخير ما تحمله هذه الشعوب من أفكار وعادات وسبل حياة لا تتعارض مع أحكام الدين والخصوصية الكويتية».

وقال وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار الدكتور فهد العفاسي: «إن مما تنعم به الكويت من أمن وأمان وازدهار واستقرار وتسامح وتعايش بين أهلها لهو بفضل الله، ثم بفضل تمسك قيادتها الكريمة وعلى رأسها حضرة صاحب السمو أمير البلاد، بالقرآن باعتباره أهم مكون من مكونات الشخصية الكويتية التي عرفت بحبها للخير، وتسامحها مع الآخر وتسلحها بقيم الوحدة الوطنية والتعايش السلمي والحوار الحضاري وإرساء قواعد العدل والقيم الإنسانية والحضارية النبيلة التي عززها القرآن وأكدها وشارك في تشكيلها ورسم معالمها».

ولفت إلى أن «الوزارة قامت في سبيل إنجاح هذه الجائزة القيمة بوضع تصور متكامل لإقامة هذه المسابقة وكونت فرقا ولجانا ووضعت الأسلوب الأمثل في كيفية تحكيمها واختيار مجموعة أهل العلم والاختصاص والخبرة في القرآن وحفظه وتجويده من شتى أقطار العالم الإسلامي كما تم وضع منهج للتحكيم يتميز بالدقة والعدالة والموضوعية حتى تخرج هذه الجائزة بالصورة اللائقة بالقرآن العظيم».

وفي ختام كلمته توجه بالشكر الجزيل



والثناء المقدر لحضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ورعاه على عنايته الأبوية الحانية واهتمامه البالغ بجائزة الكويت الدولية ولولي عهده سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح حفظه الله ولسمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح حفظه الله ولكل من شارك وساهم في إنجاح هذه الجائزة.

## تكريم

بعدها تفضل سمو أمير البلاد رعاه الله بتكريم الشيخ عبدالعزيز فاضل العنزي رئيس لجنة التحكيم بجائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويد تلاوته وأعضاء اللجنة: د. أبكر عمر عبدالواحد من الكاميرون والشيخ محمد نافع من المملكة المغربية ود. حسن العواجي من المملكة العربية السعودية ود. سامي عبدالفتاح هلال من جمهورية مصر العربية والشيخ عبدالكريم زكريا من ماليزيا.

كما تفضل سموه بتكريم لجنة تحكيم الفرع الرابع للجائزة المهندس علي سمير عمار العنزي من دولة الكويت ود. سليمان عبدالله الميمان من المملكة العربية السعودية والمهندس نواف خالد المشري والمهندس عادل مفلح الرشيدي والمهندس يوسف عبدالله الجلاهمة من الكويت.

## الفائزون

وقد فاز بالمركز الأول في فرع حفظ القرآن الكريم كاملا محمد طاهر إدريس من ليبيا، أما المركز الثاني فكان من نصيب صهيب بن سلمان الحجيلي من المملكة العربية السعودية، وحل ثالثا إدريس عثمان من جمهورية النيجر ورابعا عبدالحكيم ناجي محمد العوسجي من جمهورية اليمن وخامسا رشيد بن عبدالرحمن العناني من الجمهورية التونسية.

وفي فرع القراءات العشر، فاز بالمركز الأول بدر أحمد محمد العلي من دولة الكويت، وبالمركز الثاني إسماعيل فؤاد إسماعيل جادو طه من جمهورية مصر العربية وكان المركز الثالث من نصيب عدين شهزاد رحمن من الولايات المتحدة الأميركية ورابعا عثمان نور أبي من جمهورية كينيا وخامسا محمد أمين بن عبداللطيف بوعزيز من تونس.

أما في فرع التلاوة والترتيل، ففاز بالمركز الأول آزراي بن عبدالحق من ماليزيا، وحل ثانيا مهدي بيكر غلام نجاد من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بينما كان المركز الثالث من نصيب حمزة وارش من المملكة المغربية، ورابعا عبدالله داود محمد من جمهورية تنزانيا، وخامسا فرقان تشينار من الجمهورية التركية.

وفي المجال التقني الفرع الرابع للجائزة فاز بأفضل تطبيق إلكتروني فهد خالد رشيد الظفيري من المملكة العربية السعودية، وفاز هلال بن حمود ابن سالم الريامي من وزارة الأوقاف بسلطنة عمان بجائزة أفضل موقع إلكتروني، أما الشخصية القرآنية لجائزة هذا العام فكانت من نصيب الشيخ إبراهيم بن الأخضر القيم شيخ قراء المدينة المنورة من المملكة العربية السعودية، وتكريم الجهة القرآنية كان لمسابقة الملك عبدالعزيز الدولية، وجائزة الوقف فكانت من نصيب وقف الخيرات وتسلمها جنكيز كونايدن عضو مجلس الأمناء ورضوان عبود ممثل المؤسسة بالخارج من تركيا، كما شهد الحفل تكريم اسم الشهيد الشيخ الدكتور وليد بن محمد العلي رحمه الله.

## اللجنة العليا للجائزة

كذلك شمل التكريم المهندس فريد أسد عمادي رئيس اللجنة العليا للجائزة ود. وليد عيسى الشعيب نائب رئيس اللجنة ورئيس اللجنة التنفيذية للجائزة وأعضاء اللجنة: المهندس دواد عبدالوهاب العسعوسي وبدر تركي العتيبي ود. محمد فلاح مندكار ووليد خالد العمار ومشعل فهد ناصر العتيبي ومقرر اللجنة العليا للجائزة ناصر أحمد الكندري.

## تكريم أمير البلاد

بعد ذلك قام وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزير العدل المستشار الدكتور فهد العفاسي ولجنة الجائزة

**تكريم اسم الشهيد الدكتور وليد العلي**



بتكريم راعي جائزة الكويت الدولية للقرآن الكريم صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وقدموا له هدية تذكارية عبارة عن لوحة بعنوان «القرآن وحب الأوطان» فكرة الأستاذ يعقوب محمد الأحمد.

وكان الوكيل المساعد لشؤون القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف د. وليد الشعيب قد ذكر أن عدد المشاركين في فرع الحفظ بالجائزة ٧٢ متسابقا، وعدد المشاركين في فرع القراءات ١٩ متسابقا، وعدد المشاركين في فرع التلاوة ٣٩ متسابقا، مؤكدا وجود مشاركين عبر وزارة الخارجية، علاوة على متسابقين عبر الموقع الإلكتروني، إضافة إلى مشاركة الكويت ليصبح إجمالي الدول المشاركة ٧٩ دولة، لافتا إلى أن عدد المتسابقين بلغ ١٣٩ متسابقا، ويشارك من الكويت ٣ متسابقين.

## الجوائز

أما عضو ومقرر اللجنة العليا والتنفيذية ورئيس لجنة التخطيط والتطوير بالجائزة ناصر الكندري فقد أوضح أن الجائزة تنقسم إلى أربعة فروع أولها حفظ القرآن كاملا مع التجويد، أما الفرع الثاني فهو حفظ القرآن بالقراءات العشر، وثالثها التلاوة والترتيل، والفرع الرابع جائزة أفضل مشروع تقني لخدمة القرآن الكريم.

وبين الكندري أن إجمالي قيمة الجوائز يبلغ ١٣٠ ألف دينار، وفي فرع القراءات العشر يحصل الفائز الأول على ٢٠ ألف دينار، والثاني على ١٥ ألفا، والثالث على ١٢ ألف دينار، وفي فرع الحفظ مع التلاوة يحصل الفائز الأول على ١٠ آلاف دينار، والثاني على ٩ آلاف، والثالث على ٨ آلاف، والرابع على ٧ آلاف، والخامس ٦ آلاف دينار، وفي فرع التلاوة والترتيل يحصل الفائز الأول على ٥ آلاف دينار والثاني ٤ آلاف، والثالث ٣ آلاف، والرابع ألفي دينار، والخامس ألف دينار.

وفي فرع المشروع التقني لخدمة القرآن يحصل الفائز الأول على ٤ آلاف دينار والثاني يحصل على ٣ آلاف دينار والثالث يحصد ألفي دينار.

تجدر الإشارة إلى أن جائزة الكويت الدولية لحفظ القرآن الكريم وقراءاته وتجويده وتلاوته، جاءت تتويجا لجهود دولة الكويت في مجالات تحفيظ وتجويد القرآن الكريم، وتنشيطا للمنافسة بين أبناء الأمة الإسلامية ودفعهم للتزود من هذا الزاد الروحي والنبع الديني الكريم، وجاءت كذلك تعبيرا عن اهتمام المجتمع الكويتي بجميع فئاته بالقرآن الكريم. ونظرا لأهمية وجلال موضوع المسابقة، فقد تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد حفظه الله ورعاه، فشملها برعايته امتدادا لاهتمام سموه بكل ما يتعلق بشؤون خدمة ديننا الحنيف.

وتؤكد هذه الجائزة مكانة دولة الكويت كدولة رائدة في خدمة القرآن الكريم وانتقاء المتميزين من أهل القرآن الكريم ورعايتهم والمحافظة عليهم والاستفادة من خبراتهم في هذا المجال، علاوة على السعي إلى الارتقاء ورعاية حفظة القرآن الكريم والقائمين عليه أفرادا ومؤسسات على مستوى دول العالم تحقيقا لدور الكويت كدولة راعية لشؤون القرآن الكريم.

## أهداف الجائزة

وتهدف هذه الجائزة إلى تعريف الأمة الإسلامية والعربية بالقراءات القرآنية وترغيب حفظة كتاب الله في دراسة علم القراءات وإشاعة روح التنافس الإيجابي في حفظ القرآن الكريم والتشجيع على بذل مزيد من الجهد والوقت في الحفظ والتلاوة وتحفيز الأجيال على مختلف مستوياتهم على الالتزام بتعاليم الدين وإدراك واجباتهم نحو العقيدة الإسلامية السمحة ورعاية حفاظ القرآن الكريم من الجيل الصاعد وتحفيزهم، وصولا إلى زيادة عددهم وتكريمهم والعناية بهم.

كما تسعى الجائزة إلى إبراز دور أئمة القراءات وعلوم القرآن المحققين في هذه الفنون وإظهار الوجه الحضاري لدولة الكويت كراعية للقرآن الكريم على مستوى العالم وإبراز القراء المجيدين للقراءات في العالم الإسلامي والعربي وتكريم الشخصيات البارزة المعنوية والاعتبارية والمراكز والمعاهد التي تقوم على خدمة القرآن الكريم على مستوى العالم، علاوة على ترسيخ القيم الإسلامية من المنظور القرآني من خلال فعاليات الجائزة والسعي لجذب واستقطاب شباب الأمة نحو كتاب الله تعالى واستشعار علو قيمه وسمو معانيه.

# د.سامي هلال: حفاظ القرآن أمان للمجتمعات




في ختام تصفيات جائزة الكويت الدولية للقرآن الكريم، قال أ. د. سامي عبد الفتاح هلال عضو لجنة التحكيم بالجائزة إن: «جائزة الكويت الدولية كان لها السبق في التأصيل للقراءات العشر للقرآن الكريم؛ حيث جعلت القراءات العشر فرعا أساسيا ضمن منافساتها، وهو أمر غائب عن المسابقات الدولية للقرآن الكريم، بحسب علمه، فالكثير من المسابقات تهتم بفرع الحفظ أو التلاوة أو المعاني فقط».

وأضاف أن: الكثير من الناس غاب عنهم سماع قراءة القرآن برواية الدوري عن الكسائي أو برواية السوسي عن أبي عمرو أو برواية خلف عن حمزة، وفي هذه المسابقة شاء الله أن تسمع الدنيا كاملة آيات القرآن بهذه الروايات وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩).

وشدد هلال على أن: «حفاظ القرآن الكريم أمان للمجتمعات فهم موضع الأمن النفسي، لأن القرآن هو الذي يصلح القلوب ويزيل الأمراض ويؤلف الأمة».

وقال: «رأيت في هذه المسابقة ما يؤكد عالمية القرآن وعالمية الرسالة فكل القارات تشارك وهذا دليل على عالمية القرآن. لقد شاهدت من لا يستطيع أن ينطق العربية ولو سألته في غير هذا الموطن بكلام عربي قد لا يفهم وقد لا يجيبك؛ لكن إذ به عندما يسمع القرآن يجيب دون نقاش أو اعتراض ولا استفهام؛ لأن القرآن نزل في قلبه بلسان عربي مبين ولن يسمح وما سمح بأن يترجم تلاوة، وما يأتي من تراجم للمعاني أمر آخر، لكن يبقى القرآن معجزا في لفظه».

وأكد أن: «جائزة الكويت الدولية للقرآن في دورتها التاسعة جاءت لتحقق معنى من معاني قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، فعند إمعان النظر في هذه الآية في معنى الحفظ لألفاظ القرآن الكريم بقراءاته نجد أن التاريخ شاهد عدل على حفظ الله للقرآن من أول الأمر».

وأضاف أن: «الله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨﴾ (القيامة: ١٧ و١٨)، وعليه فلا يمكن أن يتعلم أحد قراءة القرآن إلا بالتلقي وهذه خصيصة وميزة للقرآن الكريم أن يأخذ الطالب عن شيخه والشيخ عن شيخه إلى أن يتصل السند إلى جبريل إلى رب العزة سبحانه؛ فهذا معنى دقيق في قضية الحفظ. وقد جمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن، ثم جاء جمع سيدنا عثمان لقراءات القرآن، ثم جاء جمع الضبط والشكل للحفاظ على اللفظ القرآني، وشاء الله أن يأتي الخطاطون ليكتبوا بمداد جميل هذا اللفظ القرآني ليكون حلقة جميلة يعنون بها للخط العربي».

وأشار إلى أنه: «في العصر الحديث جاء الجمع القرآني، والمقصود هنا الجمع الصوتي للقرآن الكريم، ليكتمل الجمع المكتوب مع المحفوظ بزيادة مع الجمع الصوتي؛ الذي شاء الله أن يملأ الدنيا في كل مناحيها ويسمع القرآن في كل دروب الأرض. وهذا المعنى كنا نظنه هو المعنى الذي بقي لنا في قضية الجمع؛ لكن جاء معنى آخر وهو أن ترى أن القرآن الكريم تقام له المسابقات القرآنية التي تقوم بها البلاد الإسلامية للحفاظ على اللفظ القرآني لتشجع أبناءها على الحفاظ على القرآن الكريم بهذا المعنى الذي صار عنوانا في أيامنا هذه للحفظ».

وحول الاستماع للمتسابقين والتصفيات في منافسات الجائزة، أكد د. سامي عبدالفتاح هلال أن: «البعض يجد تداخلات في لجنة التحكيم من أجل الحفاظ على النطق أو لمصلحة المتسابق، والكل يعلم وجود بعض الفوارق الدقيقة بين الإمالة والتقريب مثلا، كذلك ما بين التسهيل والتحقيق أيضا شعرة ضعيفة جدا. واللجنة حريصة في كل لحظاتها على أن تحافظ على اللفظ القرآني وأن تعطي المتسابق حقه؛ لكن الكمال لله وحده».

التحرير



صورة أرشيفية

# مجلس قراءة وسماع صحيح الإمام البخاري بالأوقاف الكويتية



نظم مكتب الشؤون الفنية بقطاع المساجد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، مجلس سماع وقراءة صحيح الإمام البخاري ضمن مشروع مجالس قراءة وسماع وشرح الصحاح والسنن والمسانيد (٢٧) خلال الفترة من يوم السبت الموافق ٢٠١٨/٤/٢١م وحتى يوم الاثنين الموافق ٢٠١٨/٤/٣٠م من الساعة الرابعة عصرا إلى العاشرة مساءً بقاعة علي ثنيان الغانم بمبنى الأئمة والمؤذنين بقطاع المساجد – الرقعي – الكويت.

وجاءت القراءة على المشايخ الفضلاء: الشيخ المسند: عبدالوكيل عبدالحق الهاشمي من السعودية، الشيخ المسند: محمد إسرائيل الندوي والشيخ المسند: محمد الأنصاري الأعظمي من الهند، وقد بدأ التسجيل اعتبارا من يوم الإثنين ٢٠١٨/٤/٩م حتى اكتمل العدد المطلوب.

يذكر أن مدير مكتب الشؤون الفنية سالم العنزي يشجع بشكل مستمر كل من يريد حضور هذه الجلسات المباركة.

وغالبا ما يلقي كلمة الافتتاح نيابة عن راعي مجلس السماع – الوكيل المساعد لشؤون المساجد م. داوود العسعوسي.

وقد زف مدير مكتب الشؤون الفنية بشرى مجلس سماع صحيح الإمام البخاري كاملا بالسند المتصل على ثلة من أهل العلم المسند لمتابعي مجالس السماع ومحبي سماع الحديث النبوي الشريف، ودعا الإخوة والأخوات المشاركين بالحضور إلى اغتنام الأوقات، وحثهم على الاستزادة والاستفادة من فوائد وآثار المجلس، راجيا من المولى جل وعلا القبول والسداد للجميع.

ويتميز هذا المجلس بتوفير خدمة البث المرئي المباشر للجلسات عبر قنوات مكتب الشؤون الفنية المختلفة (يوتيوب، تويتر، وفيسبوك) بهدف إتاحة الفرصة لمن لم يتمكن من الحضور، ورغبة في نشر الوعي والثقافة الشرعية وتحقيق الريادة في هذا الشأن.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة
الأوقاف الكويتية

# الروح القرآني والقلوب الميتة

القرآن الكريم كتاب حياة يؤثر فيها تأثيرا لا تنكره عين؛ فينقل الناس من الظلمات إلى النور، ومن العمى إلى البصر، ومن الصمم إلى السمع.

لقد كان لهذا الكتاب الكريم التأثير الواضح في الجيل الأول من هذه الأمة؛ فنقلهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الشتات إلى الوحدة، ومن الجهل إلى العلم، ورأى العالم الحق والعدل والخير على أيديهم. فتحوا العالم وأداروا شؤون الناس بالحكمة لا بالجهل؛ تلك الحكمة التي استمدوها من كتاب الله تعالى، ورعوا حقوق الإنسان حق رعايتها، فلم يظلموا من عاهدهم، وتمتع الناس في ظل حكمهم - المستضيء بالوحي - بما لم ينالوا من خير قبل دخول الإسلام بلادهم.

## القرآن والحياة

بين القرآن والكون أوثق الصلات، فكلاهما من الله تعالى، القرآن كلامه والكون خلقه. ولا تجد في الدنيا كتابا يحدثك عن الكون والحياة كما يحدثك القرآن. ومن أراد حياة سعيدة يستمتع فيها بما قسمه الله له من خيرات ويستطيع خلالها التغلب على العقبات، فليقرأ هذا الكتاب قراءة متدبرة، وكلما دققت النظر فيه وكلما تأملت حوادث الحياة تعجبت لغفلة الناس عن الدواء الذي يقدمه القرآن لما يعانون من مشاكل.

## عندما هجر القرآن

ما تشتت شمل المسلمين، بعد أن كانوا يعيشون أمة واحدة، ولا ذلوا بعد العزة، إلا عندما أداروا ظهورهم للقرآن، أو قسموه أقساما؛ يؤمنون ببعضه ويدعون عدم اقتناعهم بالبعض الآخر، أو يعملون ببعضه ويؤخرون العمل بالبعض الآخر حتى يقتنعوا! ما تأخر المسلمون عن المكانة اللائقة بهم إلا عندما تحكمت فيهم أهواؤهم فاتبعوها،

وعندما استمعوا إلى الآراء المتضاربة فعجزوا عن الاهتداء بهدي القرآن ووقفوا أمامها حائرين، والقافلة تسير وهم حيارى، وعندما برزت الفتن التي تعوقهم عن مسيرة التقدم فانشغلوا بها ولم يبحثوا عن مخرج منها في كتاب الله، وعندما اشتعلت نيران الشهوات فلم يهذبوها بآداب القرآن الذي يبقيها سبيلا للحياة وليس سببا للموت، وعندما وقفوا في مفترق الطرق يتساءلون: أي الطرق نسلك؟ والقرآن يهديهم إلى أقرب الطرق وآمنها، وعندما اختلطت المصالح بالمفاسد كان القرآن يناديهم: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ (البقرة:٢٢٠)، وعندما تزينت العقائد الباطلة لتغوي الضعفاء كانت حقائق القرآن تكشف هذا الزيف وتبين الإله الحق وأدلة ذلك.

## نقلة ضخمة

لم يكن الجيل الأول، الذي عاصر نزول القرآن، يختلف عن غيره من العرب؛ فالأخلاق واحدة، والأفكار واحدة لما جاء القرآن واستقبلوه أحسن استقبال وعرفوا أنه الحق من ربهم فاستمسكوا به والتزموا بأوامره، استفادوا من العبادات التي جاءت في القرآن وزكت نفوسهم، يقرأ أحدهم القرآن فتنزل الملائكة لسماعه؛ عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: «تلك السكينة تنزلت بالقرآن» (صحيح البخاري).

سمعوا قول الله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ (النساء:٦٥)، فحكموا كتاب الله في أنفسهم وأحبابهم، وطبقوا حكمه ولو كان في مصلحة أعدائهم، بذلك صلحوا وأصلح الله بهم العباد والبلاد، سادوا الناس بالحق وقادوهم بالرفق، وزرعوا فيهم الرحمة والحب والسلام.

## دوام الحاجة إلى القرآن

في ظل الصراع المحتدم بين بني البشر، ذلك الصراع الذي يأكل الأخضر واليابس، والذي يتسلح فيه الخصوم بكل سلاح خال من الشرف والفضيلة، سلاح لا يبقي ولا يذر، بل يكفي لتدمير الأرض عدة مرات.

في الوقت الذي تعلو فيه صيحة الأنا فلسان حال البشر - إلا من رحم الله تعالى - أنا ومن بعدي الطوفان.

في الوقت الذي يعمل شياطين الإنس على نشر الإباحية والتحلل.

في الوقت الذي يشعر فيه الإنسان بأنه محروم من خيرات الكون الذي خلقه الله وسخره له.

وفي كل وقت وحين تبدو الحاجة ملحة للعودة لوحي السماء ذلك الكتاب الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ (فصلت:٤٢).

لكي ينعم العالم بالسلام، ويسعد الفرد بالطمأنينة، ويسعى جاهدا لما فيه خير البشرية واستقرارها.

لكي يسود التعارف بدلا من التناكر، والوئام بدلا من القتال، والتعاون بدلا من الشقاق.

إن الحياة مع القرآن وبالقرآن تبارك العمر والعمل وتزكي النفس وتقوي الإيمان ويبقى المسلم في حفظ الله ورعايته ما بقي مع كتابه الكريم «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (صحيح مسلم).

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

# وقولوا للناس حسنا

آيات القرآن الكريم مليئة بالمواعظ والحكم وأساليب التربية والتوجيه والتعليم التي إن تم اتباعها وتطبيقها واقعا في حياتنا ستصبح أهنأ بكثير وأكثر اتزانا، ويعم الخير والصلاح ونقترب من عهود الخير المزدهرة السالفة. فتمعن مثلا في هذه الآية الكريمة العظيمة: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣)، فالبرغم من قلة عدد كلماتها إلا أن معانيها عظيمة وتحمل في طياتها كل الخير للبشرية وتتضمن كل أساليب الحوار والمحادثة والتواصل مع الناس، والتي باتباعها نتجنب الكثير من المشكلات وتعم الألفة والمحبة بين بني البشر. وتاليا سأوضح مضامين تلك الآية الشريفة وكيفية توظيفها في حياتنا.

فالآية الكريمة السابقة توجه الإنسان لكيفية التعامل والتخاطب مع الغير؛ ما يجعلها تدخل في كل شؤون الحياة والمعاملات الاجتماعية، فمثلا في الحياة الأسرية في البيت تستطيع الأم أن تجعل من هذه الآية الكريمة ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ شعارا لها ولأبنائها، وكيف ذلك؟

أيتها الأم حينما تتحدثين مع ابنك علميه أن يتحدث معك بصوت معتدل منخفض لا يرفع صوته عليك ويتأدب في القول لأن هذا من القول الحسن، وعلميه أن يقول الصدق من الكلام لأن هذا أيضا من القول الحسن الذي يرضي الله تعالى، بينما الكذب من القول القبيح الذي يستجلب غضب الله عزوجل، وأيضا دربي ابنك على أن يقول كلمات الشكر للناس عندما يسدي أحدهم له خدمة، فيقول مثلا: «جزاك الله خيرا، أو شكرا، أو بارك الله فيك، أو لن أنسى معروفك..»، وعلميه أن يطلب بأدب فيتعلم منذ الصغر أن يستخدم كلمات من الذوق



الرفيع من مثل: «لو سمحت، إذا تكرمت، إذا ممكن، من فضلك».. فهذا من القول الحسن.

وعند الخطأ علميه أن يعتذر وكافئيه حينما يقول: «أنا آسف، أنا أخطأت، أعتذر عن خطئي..» ولا توبخيه لأنه أخطأ في حالة أنه اعتذر واعترف بخطئه وأدركه، حيث هذا الهدف من التربية؛ أن يدرك خطأه فلا يكرره وأن يقول الكلمات الحسنة التي تجعل القلوب تصفو وتهدأ، وتعمل على خفض وتيرة الصراع بين الناس، وهذا كله مما شمله قول الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾.

ولا تسمحي له بسب إخوته وأقربائه والشتم والكلام البذيء، فإن النبي ﷺ قال: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء» (من كتاب المستدرك من الصحيحين).

وقال الشاعر:

**عود لسانك قول الخير تحظ به**

**إن اللسان لما عودت معتاد**

## التحفيز الإيجابي

وتضمنت الآية الكريمة ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا﴾ معاني عظيمة جدا مثل أن تقول للناس الكلمات المحفزة الداعمة وهي ما تسمى اليوم، ضمن علم التنمية البشرية، بالإيجابية أو التفكير الإيجابي أو التحفيز الإيجابي، ونضرب مثلا لذلك؛ عندما تلقى طفلا متقنا لتلاوة القرآن الكريم وحافظا لجزء منه فتمدحه بكلمات معبرة ومؤثرة وداعمة، كقولك: «ما أروعك! إن لك صوتا نديا عذبا مريحا ومحببا للنفس، أنت متقن لكتاب الله، أنت ستكون قارئا مبهرا في المستقبل، أنت كإمام المسجد أو الحرم...»

وهكذا، وكمثال آخر؛ إن تعاملت مع طفل متفوق ومهذب فامدحه بالقول الحسن، كأن تقول له: «أنت مهذب جدا، أنت رائع، أنت ذكي ما شاء الله، أنت إنسان مفكر، ستكون مخترعا في المستقبل، ستصبح طبيبا في المستقبل بإذن الله، ستكون ابن سينا المستقبل إن شاء الله، أراك مهندسا مبدعا في المستقبل بإذن الله..

وكذلك علمه أن يقول لنفسه محفزا إياها: «أنا مبدع، أنا مفكر، أنا مهم، أنا ذكي، أنا محبوب، وأنا متعاون، أنا أحب أخي، أنا أحب أختي، وأحب صديقي..» وهذا أساس «علم البرمجة اللغوية العصبية» المنتشرة اليوم في دورات التنمية البشرية، والتي تقفز بالإنسان خطوات كثيرة للأمام وتغير مجرى حياته.

وكان رجل كبير وامرأة يمشيان في الطريق فشعرا بأن أحدا ما يتبعهما، فذهب الرجل ليسأل هذا الشاب لماذا تلحق بنا هل لك حاجة؟ فأخبره ألم تتذكرني؟ وأخذ يقبل رأسه ويشكره وعرفه بنفسه أنه كان تلميذه في المدرسة وأنه كمعلم قال له يوما أنت ستصبح طبيبا ناجحا، وهأنذا بفضل الله، أصبحت طبيبا والحمد لله. فلا تستهن أخي بالكلمة.

وهكذا فقد وجد بالدراسات أن مثل هذه العبارات تفعل فعلها وتترك أثرا عظيما في النفس يستمر مدى الحياة مصداقا لقول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ۝٢٦﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٦).

فالله تعالى أرشدنا في هذه الآيات إلى أهمية القول الحسن وكيف ننتقي الكلم الطيب من القول، ولو بكلمة واحدة فلها أثر عجيب في النفس، فإن هذه الكلمة ستنمو في الذهن عبر الزمن وستصبح كالشجرة اليانعة الجميلة المثمرة الخضراء طوال العام لا تتساقط أوراقها كشجرة الزيتون أو النخيل أو جوز الهند، فكلما تذكر هذا الشخص هذه الكلمة الحسنة فإنها تدفعه للأمام ولعمل الخير وتشحذ همته وتسمو به.

وفي المقابل بين الله تعالى أثر الكلمة السيئة فهي كشجرة سيئة خبيثة تفعل فعلها السيئ بالنفس وتحبط الهمم وترجع النفوس للخلف خطوات كثيرة، وكم من كلمة مدمرة توقد الآلام، وتجعلك تتمنى لو تخلعها من جذورها وترميها بعيدا عنك، فتخرجها من ذاكرتك كارها أن ترى أثرها في نفسك كما وصفت الآية السابقة،

**الأبوان قدوة للأبناء في صون اللسان أو الوقوع في النميمة**

فهذه آية عظيمة تبين كم للكلمة من أثر في النفس ولذلك لا تستهن بالكلمة الواحدة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

### آثار القول الحسن

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١)، فالقول الحسن الموزون الذي لم يخرج من صاحبه إلا بعد تفكير وترو وتفكير في العواقب، يعين صاحبه في الدنيا والآخرة، فهو بوعد من الله أنه سيصلح له أعماله وحياته في الدنيا، وأنه في الآخرة ينال مغفرة الله تعالى ورحمته، وهذا ما علينا تعليمه لأبنائنا.

وقد أشار علي بن الحسين رضي الله عنهما إلى أهمية القول الحسن بقوله: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسئ في الأجل، ومحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة». وورد في القصص أن لقمان الحكيم قدم لامرأة طلبت منه أن يقدم لها أفضل ما في جسم الشاة وأن يقدم لها أخبث ما في جسم الشاة؛ فقدم لها قلب الشاة ولسانها على أنهما أخبث ما فيها، وقدمهما مرة أخرى على أنهما أطيب ما فيها، ولما سئل عن ذلك قال: «إنهما (القلب واللسان) لا أخبث منهما إذا خبثا، ولا أطيب منهما إذا طابا». فاللسان هو موضع القول الحسن الطيب، والقلب هو المحرك للمشاعر والمحفز للسان.

وقال رسول الله ﷺ منبها على خطورة جارحة اللسان: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه؛ حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه» (مسند الإمام أحمد). فاستقامة القلب وصلاحه من استقامة اللسان، ومن القول الحسن الخير الذي يرضي الله، وانظر كيف ذكر رسول الله ﷺ في هذا الحديث الجار؛ ما يدل على ضرورة القول الحسن الجميل مع الجيران، وإلا ستسوء العلاقة وتتولد المشكلات.

**انتقاء الكلم الطيب يجذب الآخرين لسماعك ويشرح صدورهم**

وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها في الجنة درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم» (أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه، ومالك في الموطأ).

فعلينا بالقول الحسن والكلمة الطيبة لننجو في الدنيا والآخرة، في الدنيا بمحبة الناس لأن صاحب الكلمة الطيبة محبوب بين الناس، وفي الآخرة بالرفع درجات في الجنة لطيب الكلام.

### البعد عن النزاعات

نرى من تلك النصوص السابقة ضرورة التمسك بآداب الكلام، والقول الحسن وصون اللسان عن الكلام السيئ البذيء؛ فتخيل مثلا أن تدخل في حوار مع أحد أصدقائك أو مجموعة منهم، ثم يبدأ الحوار يأخذ اتجاها سلبيا فاحشا من القول، فكم تنشأ من مشاحنات وبغض وسباب وأحيانا تضارب بالأيدي أو يصل إلى حد الاعتداء على الآخرين أو القتل، وكل ذلك نتيجة للقول السيئ الذي قيل في ذاك المجلس والذي بدأ من كلمة واحدة خبيثة، فصدق الله تعالى حينما وجهنا بقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾تجنبا للمشاكل وبعدا عن التباغض والتناحر والصراعات.

وحتى في مجادلة أهل الكتاب أمرنا الله تعالى بأن تكون بالكلام الحسن الجيد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (العنكبوت:٤٦) وذلك تجنبا للصراعات والخلافات وتطور الأمور إلى كراهية الإسلام أو محاربته والتربص له وبأهله وحياكة المؤامرات حوله، أما القول الحسن فمن الممكن أن يحبب بعض أهل الكتاب في الدخول في الإسلام.

وقد وجه الله تعالى بني البشر، وخصوصا المؤمنين، في أكثر من

موضع إلى القول الحسن، فقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (الإسراء:٥٣)، وذلك في كل أمور حياتهم، فمثلا تشمل الابتعاد عن الكذب والخداع والغيبة والنميمة والسباب لأنها توقع بين البشر وتسبب الحقد والكراهية، فالغيبة والنميمة من الفحش بالقول وهي عكس القول الحسن الذي أمرنا به. ويدخل ضمن الآية الشريفة ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، الابتعاد عن ذكر عيوب الناس وذكرهم بما يكرهون وبما بهم وبما ليس بهم والإيقاع بين الناس، وهو ما يعرف بالغيبة والنميمة والبهتان، فالله تعالى يعلم تمام العلم خطورة الغيبة على الأفراد والمجتمعات ولذلك أمرنا بالقول الحسن لا القبيح.

وننبه إلى أن الأم والأب هما القدوة للأبناء في هذا المجال وغيره، فيتعلم الأبناء منهما إما سلوك الغيبة والنميمة وإما العكس وهو صون اللسان عن الزلل ومواقع الغيبة والتراجع عن الخطأ مخافة الله تعالى للخوض في أعراض الناس والتندر بقصصهم أو انتقاما منهم وتشويها لسمعتهم بين الناس.

## آداب الحديث

أيتها الأم وأيها الأب إن القول الحسن يشمل أن تنتقي أطايب الكلام، والكلام الجميل، والكلام اللطيف الذي يشرح القلوب، ويجذب الآخرين لسماعك، فانتق كلماتك وتفكر بها قبل أن تخرجها من فمك حتى لا تجرح أحدا، يقول ﷺ: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» (مسند الإمام أحمد).

وأنصح الأمهات بانتقاء الكلام الحسن لمخاطبة الأبناء والدعاء لهم والابتعاد عن الكلمات النابية أو السباب والصراخ والشتم لهم، وإنما استخدام ألفاظ محببة للأبناء للتحدث معهم ومحاورتهم، وإسماعهم بعض الأدعية فهي من القول الحسن من مثل: «الله يرضى عليك، الله يوفقك، الله ينجحك، الله يحفظك، الله يهديك، الله يسعدك...» فلا تعلم الأم كم لهذه الكلمات من أثر عظيم في قلوب وعقول أبنائها، وفي إثارة دافعيتهم للعمل والجد والاجتهاد ولطاعة الوالدين، والعكس بالعكس يقال.

ومن آداب القول الحسن تعليم الأبناء خفض الصوت عند التحدث، وقد نبه الله تعالى المسلمين لذلك، قال عزوجل: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ (لقمان:١٩) حيث وصف الصوت المرتفع جدا عند الكلام بأنه من أنكر الأصوات وكصوت الحمير، وهذا ذم شديد لمن يرفع صوته خاصة على من هم أكبر منه سنا وأعظم قدرا، فهو ليس من آداب الكلام أو القول الحسن.

كذلك ذم الله تعالى في سورة الحجرات الأعراب الذين قدموا على رسول الله ﷺ ولم ينتظروا حتى يخرج إليهم فنادوه بصوت مرتفع غير مهذب يا محمد اخرج إلينا، قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ (الحجرات:٢-٤). فقد كانوا يجهرون لرسول الله ﷺ بالكلام، ويرفعون أصواتهم بالتكلم معه أو مناداته، فوعظهم الله ونهاهم عن ذلك، ولا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضا: يا محمد، يا محمد. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» (سنن أبي داود، وحسنه الألباني). فاللهم ارزقنا حسن الخلق، والطيب من القول والفعل.

محمد خالد
باحث دراسات إسلامية

# كيف نقي الشباب من موجة الإلحاد المتصاعدة؟

**باتت موجة الإلحاد التي تضرب بعض أوساط الشباب العربي المسلم أمرا مثيرا للجدل، لاسيما مع تزايدها على نحو تدريجي بدأت معه تخرج تلك الأفكار الانحلالية إلى العلن، بعد أن كانت تتسم بالسرية في مراحل سابقة، باستخدام أصحابها لشبكات التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا الحديثة للترويج لأفكارهم ومحاولة استقطاب آخرين، في خط متواز مع أفكار قادمة من الخارج يتعرض لها الشباب المسلم عبر «الإنترنت»، يقدم من خلالها الملحدون الغربيون شبهاتهم حول الدين، يفتتن بها البعض من ضعاف النفوس وضعاف الثقافة الدينية أو أولئك الذين يعانون من ظروف وصدمات شخصية خاصة.**

تتمازج الأسباب الذاتية (النفسية والشخصية والاجتماعية) في سياق التعاطي مع دوافع بعض الشباب ممن انجرفوا إلى تلك الهوة السحيقة. ويعتبر علماء ومختصون أن تلك الأسباب الذاتية عادة ما تكون هي العامل الرئيسي لسقوط الكثير من الشباب في براثن الإلحاد، وهو ما أثبتته دراسات علمية غربية، من بينها دراسة حملت عنوان «النمط النفسي للملحد»، خلصت إلى أن غالبية من ألحدوا قبل بلوغ سن العشرين كانوا قد فقدوا أحد والديهم قبل هذه السن.

ويؤكد العديد من المختصين أن الملحدين من الشباب العربي المسلم لا يستندون إلى أسس منطقية، وليس لديهم مبررات عقلانية يمكن أن يقدموها؛ لأنهم في الأغلب الأعم اتجهوا إلى ذلك المسار انطلاقا من أسباب شديدة الذاتية تتعلق بصدمات تعرضوا إليها، أو مشكلات نفسية، أو ظروف اجتماعية يعانون منها تدفعهم دفعا إلى تلك النوعية من الحلول الانحلالية اقتداء بالموجة المنتشرة في الغرب، الذي يتخذه الكثير من الشباب مثلا أعلى في إطار الانبهار بالحضارة الغربية المادية. كما سهل شيوع التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال مهمة التواصل ونقل الأفكار من الخارج.

وتنتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي مجموعات للملحدين في عدد من البلدان، يعمل أولئك على نشر أفكارهم، وتشارك في تلك الصفحات أعداد كبيرة نسبيا، بعضهم شارك في هذه الصفحات من باب «حب الاستطلاع» وليس

**د. محمد الشحات: تطوير الخطاب الديني ومعالجة مشكلات الشباب من أهم أدوات التحصين**

## د. عبدالمنعم فؤاد: عدم الوعي والهجوم على رموز الدين والأمة سببا انتشار تلك الموجة

بالضرورة الاقتناع بما يتم تداوله من أفكار عبر تلك المجموعات. ولا توجد إحصائيات دقيقة يمكن الاعتداد بها أو الاعتماد عليها عن تعداد الملحدين من الشباب المسلم العربي، إلا أنه يمكن القول، وفق تأكيدات علماء ومختصين استطلعت «الوعي الإسلامي» آراءهم، إن «الإلحاد» لا يعتبر ظاهرة مجتمعية أو إقليمية، ولا يعدو كونه حالات فردية آخذة في الانتشار لما تجد البيئة الخصبة لنموها، بما يتطلب دق ناقوس الخطر حول تلك الموجة المتصاعدة.

### الإلحاد ليس ظاهرة

يفند عضو مجمع البحوث الإسلامية الدكتور محمد الشحات، الأسباب التي تدفع إلى موجة الإلحاد لدى الشباب المسلم العربي، مؤكدا في بداية حديثه أن «الإلحاد» لا يعتبر ظاهرة، ورغم أنه انتشر في الآونة الأخيرة بصورة ملحوظة، فإنه ليس ظاهرة مجتمعية أو إقليمية أصبح لها رواج وانتشار وأسس وعناصر تجذب وتستقطب من خلالها الآخرين بصورة عامة ومنتشرة.

ويرجع تزايد موجة الإلحاد إلى عدد من الأسباب، منها ما يتعلق بظروف المجتمعات العربية نفسها، ومنها ما يتعلق بالظروف الذاتية لدى الشباب أو الأشخاص الذين أقبلوا على «الإلحاد»، يتقدم تلك الأسباب عدم مواكبة الفكر الديني الإسلامي حاليا للعصر، وعدم نجاحه في تقديم حلول في بعض الأحيان، مما يدفع إلى سخط بعض الشباب على أوضاع معينة، في ظل عدم وجود صورة حقيقية شاملة عن الإسلام مع انتشار الكثير من التفسيرات والأفكار المغلوطة التي تعكس صورة خاطئة عن الدين، تجعل بعض الشباب يرى أن الإسلام عاجز عن مجاراة العصر وأنه لا يقدم حلولا.

ويشير إلى استخدام هؤلاء الربط بين سلوكيات المسلمين والإسلام نفسه كدين، رغم أن سلوكيات الكثير من المسلمين لا تتفق مع الإسلام، ولا يتم الالتزام بصحيح الدين، وهذا يعتبره خللا واضحا يكون دافعا لبعض أولئك من ضعاف النفوس إلى الانجراف في تلك الاتجاهات.

ومن بين الأسباب التي خلقت تلك الموجة - في رأي الدكتور محمد الشحات - الظروف التي تعاني منها بعض المجتمعات، منها ثالوث «الفقر والمرض والجهل»، مشددا على أن الظروف الاقتصادية وارتفاع نسبة البطالة قد يكونان عاملين لانجراف الشباب المسلم إلى تلك الأفكار. كما يشير إلى انتشار الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي؛ باعتبارها وسيلة للغزو الفكري الذي سهل عملية استقطاب بعض الشباب إلى تلك الأفكار، فالغرب استبدل القوة الفكرية بآلته

**د. حسن خطاب: من الضروري تأسيس مراكز مختصة بدراسة أسباب تلك الموجة وسبل علاجها**

العسكرية.

ويلفت عضو مجمع البحوث الإسلامية إلى عوامل الطائفية والمذهبية والتكفير في بعض المجتمعات باعتبارها من بين الأسباب التي قد تؤدي إلى «الإلحاد» لدى بعض ضعاف النفوس والوعي الديني، مشددا على ضرورة معالجة كل تلك الأسباب من أجل مواجهة هذه الموجة التي لم تتحول إلى ظاهرة، أولا من خلال اتباع خطاب ديني قادر على مجاراة ومواكبة العصر، وأيضا من خلال مواجهة التفسيرات المغلوطة عن الإسلام.

ويتابع: «ينبغي أن تكون هنالك برامج مدروسة خاصة بالشباب والنشء في مجتمعاتنا الإسلامية؛ من أجل تحصينهم من هذه الأفكار التي تعصف بهم وتجعلهم في حيرة وبلبلة، إضافة إلى ضرورة تضافر جهود كل المعنيين بأمر الأمة في ذلك الصدد، وحتى على المستوى الخاص فيما يتعلق بكل دولة يجب أن تتضافر النخب والمؤسسات الدينية والثقافية لمواجهة تلك الموجة، وأن يقدموا جميعا أفكارا لتحصين الشباب».

### عدم الوعي

يقول أستاذ العقيدة والفلسفة عميد كلية العلوم الإسلامية للوافدين بجامعة الأزهر الدكتور عبدالمنعم فؤاد، إن في مقدمة الأسباب الدافعة لانتشار تلك الموجة هو «عدم الوعي» أو غياب الوعي بالدين بشكل عام، وكذا غياب الاهتمام بمادة التربية الدينية في المدارس والجامعات، وأيضا ظهور بعض الذين يتحدثون في الدين من دون وعي ولا علم، وهم لا يعرفون من علوم الدين إلا رسمها فقط، الأمر الذي سمح بوجود تلك الموجة

وكان له تأثيراته في نفوس بعض الشباب.

ويشدد على أن من بين الأسباب أيضا التي دفعت إلى تلك الموجة الهجوم على الرموز الإسلامية، كالبخاري ومسلم، في بعض وسائل الإعلام وبعض الكتابات، وكذا الهجوم على علماء الإسلام واتهامهم بالعديد من الاتهامات، معتبرا أن كل تلك عوامل رئيسية أدت إلى انصراف الشباب عن علماء الأمة وعن رموز الأمة؛ ليقعوا بعد ذلك في براثن وأيادي جماعات أخرى وأفكار أخرى. ويردف: «للأسف بعض الفضائيات تساهم في انتشار ذلك، وتقوم باستضافة هؤلاء الذين يشتتون أفكار شباب الأمة، ولا هم لتلك الفضائيات سوى الإعلانات، لكن المصالح العليا للدين وللوطن فهي للأسف بعيدة عن هؤلاء».

ويعتقد فؤاد بأنه «لابد من رجوع الأمور إلى نصابها الصحيح، من خلال اتخاذ عدد من الإجراءات التي تعالج تلك الأسباب، ومن بينها منع فوضى الفتاوى التي تتاح الآن لكل من هب ودب، وكذا الرجوع إلى مناهج الأزهر الشريف وعدم مهاجمته، فالأزهر على مدار تاريخه لم يخرج متطرفين أو إرهابيين، والعالم كله يثق في الأزهر ومناهجه، لكن للأسف بعض الشواذ فكريا يتهمونه باتهامات ما أنزل الله بها من سلطان، كي ينصرف الشباب عن الأزهر وعن علمائه فتكون النتيجة كما نحن فيه الآن».

ويقر أستاذ العقيدة والفلسفة وعميد كلية العلوم الإسلامية للوافدين بجامعة الأزهر بالأسباب الذاتية «النفسية والاجتماعية والشخصية» للذين سقطوا في

**د. أحمد خليفة: مشكلات اجتماعية ونفسية ذاتية تدعم انجراف بعض الشباب لهذه الأفكار**

براثن الإلحاد، غير أنه يرى أنه من الضرورة بمكان ألا يتم توفير البيئة الخصبة لتلك الأفكار أو المساهمة في انتشارها من خلال الأسباب السابقة، وأن يتم تقديم خطاب طيب، وليس خطابا خبيثا تتم فيه مهاجمة رموز الأمة وعلمائها بما يعزز تلك الأمور في نفوس بعض الشباب.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٦).

### قضية القضايا

ويحلل أستاذ الدراسات الإسلامية في كلية الآداب جامعة المنوفية بمصر الدكتور حسن خطاب،

**د.عبدالحليم منصور: حسن استغلال وتوظيف طاقات الشباب يبعدهم عن تلك الأفكار**

الأسباب الدافعة إلى بزوغ موجة الإلحاد في أوساط بعض الشباب العربي المسلم، متطرقا إلى أبرز أدوات المواجهة على مختلف الأصعدة. ويستهل تحليله بالتأكيد على أن «من المشكلات التي يعاني منها المجتمع المعاصر قضية من أهم القضايا، بل هي قضية القضايا، وهي الإلحاد لدى الشباب المعاصر، الذي بدأ يظهر وينتشر بشكل لم يعهد من قبل، وذلك في ظل التقنيات الحديثة وانفتاح العالم بعضه على بعض، وربما كان ذلك من أهم أسباب تعقد المشكلة وانتشارها وزيادة حجمها».

ويعتبر أستاذ الدراسات الإسلامية أن «الإلحاد مرض وله أعراض وأسباب»، أما الأسباب فتتعلق بعدد من المحاور الرئيسية، يأتي في مقدمتها اتباع الشيطان والهوى؛ فالشيطان قد أقسم على إبعاد الناس عن ربهم.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الأعراف:١٦-١٧)

ومن بين الأسباب كذلك اتباع المرء الهوى والرغبة في الانحلال عن الدين وأوامره ونواهيه، حسب الدكتور خطاب، الذي يشير إلى أنه من بين أسباب ظهور الإلحاد بين بعض أوساط الشباب المسلم العربي الانبهار من قبل ضعاف النفوس بالماديات التي تأتي من الغرب، وانسياق أولئك إلى العديد من الإغراءات.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ (الروم:٧)

ويضيف: «إن من بين الأسباب كذلك

غياب الوعي بالدين داخل العديد من بيوت المسلمين، وكذلك انتشار بعض المواد المكتوبة (كتب وروايات وغيرها) التي تروج للإلحاد بشكل منمق، وأيضا عبر بعض الفضائيات وفي ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والوسائل التكنولوجية الحديثة، في خط متواز مع عدم وجود اهتمام كاف من قبل وسائل الإعلام الرسمية في بعض البلدان، وكذا عدم اهتمام المؤسسات التربوية من مدارس وجامعات ومعاهد بالتوعية ومواجهة خطر الإلحاد».

بينما عن أدوات علاج ومواجهة «الإلحاد» يقول أستاذ الدراسات الإسلامية إن هنالك العديد من المحاور الرئيسية في ذلك الصدد تأتي التوعية كأداة مهمة لتحصين الشباب، وكذا تأسيس مراكز مختصة بدراسة أسباب وسبل علاج تلك الموجة، بالإضافة إلى تنقية مكتباتنا من المؤلفات الداعية للفكر الإلحادي، بالإضافة إلى العمل على الجانب الوعظي والإرشادي، فضلا عن آلية المناظرة العقلية العميقة التي ترد على الشبهات.

### اضطرابات نفسية

ويرى أستاذ الفقه المقارن في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الدكتور أحمد خليفة شرقاوي، أن «الإلحاد» ليس ناتجا عن اضطرابات دينية أو آراء يطرحها الملحدون في جوهر الدين على سبيل المثال، وإنما الأسباب التي تؤدي إلى ظهور الإلحاد في بعض أوساط الشباب العربي المسلم تكاد تكون محصورة في مشاكل مجتمعية واقتصادية، ومشكلات نفسية في بعض الأحايين.

ويتابع قائلا: «الشاب أو الشابة كثيرا ما يتعرضون لضيق في العيش، سواء في ما يتعلق بالظروف الاقتصادية أو المشاكل الأسرية وخلافه، وكذا يشعرون في بعض الأحيان بضبابية المستقبل وإلى غير ذلك من الأمور التي يتعرض لها الشباب المسلم والعربي، وقد تكون دافعة لبعض أصحاب النفوس الضعيفة إلى الإقدام على الإلحاد»، مشددا على ضرورة دراسة مسألة الإلحاد من مختلف جوانبها الاجتماعية والنفسية والصحية.

> **د. إنشاد عز الدين: الأمر لا يعدو «حالات فردية» تتعلق بالفرد نفسه وظروفه وتركيبته**

ويقول إن صاحب الإلحاد ليس له نظرية عقلية يستند إليها، ولا يقدم أفكارا منطقية أو عقلية أو أية رؤى، مشددا على أن الكثيرين منهم منفصلون عن الواقع والوعي لأسباب نفسية تتعلق بتعرض بعضهم لصدمات نفسية شخصية، تجعل انجرافهم نحو الإلحاد انجرافا دون أدنى رأي عقلي أو منطقي يمكن أن يقدموه، ولربما ذهب بعضهم إلى ذلك بدافع من الإدمان في بعض الحالات.

ويلفت أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر، إلى دور التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصالات في تسهيل عملية نقل الأفكار الغربية وترويجها في المجتمعات العربية والإسلامية، وقيام بعض الشباب بـ«تسليم رؤوسهم» إلى الأفكار الغربية من دون أدنى تدبر أو تفكر.

ويشدد شرقاوي على أن مواجهة ذلك تتم من خلال التوعية الدينية والثقافية، مشيرا إلى دور الأسرة في غرس القيم الدينية والأخلاقية لدى الأبناء، وأن تقوم التربية على أسس وقواعد سليمة تحصن الأبناء من تلك الأفكار. وذلك جنبا إلى جنب مع دور المؤسسات الثقافية والدينية والإعلامية، وأيضا إلى جانب ضرورة الوقوف على مشكلات الشباب الحقيقية في كل صورها، حتى النفسية والمجتمعية منها، لتحصين الشباب من الانجراف إلى أي أفكار منحرفة يندفعون إليها من دون تفكير.

### التطور التكنولوجي

ويفند وكيل كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر بالدقهلية الدكتور عبدالحليم منصور، أسباب انتشار الإلحاد في عدد من المحاور الرئيسية، يأتي في مقدمتها ذلك التطور الذي شهدته وسائل الاتصال الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما سهل عملية انتقال ونشر الفكر الإلحادي، إضافة إلى الدور الذي تلعبه بعض وسائل الإعلام في تبني بعض العناصر الملحدة وتبني ظهورهم على الشاشات. وأيضا من بين الأسباب ما يتعلق بما نشهده من تراجع لدور العلماء المختصين في ذلك الصدد.

> **د. بثينة عبدالرؤوف: نشر صحيح الدين وتاريخ الإسلام يحصن الشباب من التطرف**

ومن بين الأسباب - كما يفندها الدكتور عبدالحليم منصور - تلك المتعلقة بالشباب أنفسهم، من

بينها ضعف الوازع الديني، وأيضا الظروف الاقتصادية الناتجة عن البطالة، وجنوح الشباب إلى الاقتداء بالغرب وتقليده بصورة دائمة، في ظل غياب دور الأسرة، وكذا ضعف دور المؤسسات التربوية وأهل العلم، مشيرا إلى أنه في مقابل ذلك فإن هنالك انتشارا كبيرا للمؤسسات التي تدعم الإلحاد حول العالم، وجميعها أسباب أدت إلى انتشار الفكر الإلحادي.

ويتطرق وكيل كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر إلى أسس مقترحة للتصدي لتلك الموجة الإلحادية، من بينها أهمية تفعيل دور المساجد في التوعية بتلك المخاطر التي تفرزها الموجة الإلحادية، وكذا الرد على ما يثار من شبهات، والاهتمام بالندوات والدروس والدورات التدريبية في ذلك الصدد، وكذا ضرورة تفعيل الدور الذي تلعبه المؤسسات التربوية، وتقويم دور الإعلام للعب دور في مواجهة الفكر الإلحادي، من خلال إطلاق قنوات وبرامج تشرح صحيح الدين، مع ضرورة إطلاق مواثيق شرف إعلامية لمنع غير المختصين من الإفتاء في أمور الدين في ظل ما نواجهه من فوضى فتاوى متفشية. كما شدد على ضرورة حسن استغلال طاقات الشباب ومعالجة مشاكلهم كي لا يقعوا فريسة لذلك الفكر.

## حالات فردية

ومن وجهة النظر الاجتماعية، تقلل أستاذة علم الاجتماع بالقاهرة الدكتورة إنشاد عز الدين، من تواجد تلك «الموجة»، مشددة على أنها ليست منتشرة إلى حد يتم اعتبارها نتيجة للتحولات التي تشهدها المجتمعات العربية، ومن ثم فلا يمكن لعلم الاجتماع رصدها على اعتبارها «ظاهرة»، فهي ليست ظاهرة، وإنما حالات فردية متواجدة، لا تعدو كونها غير ذلك، وإن تسليط الضوء عليها أو نعتها بالظاهرة قد يسهم في تزايدها.

وتفيد بأن حالات الإلحاد هي حالات «قليلة جدا» في المجتمعات العربية مقارنة بعدد السكان، وهي ليست منتشرة بالقدر الذي يجعل خبراء وعلماء علم الاجتماع يتناولونها على نحو ذلك، بل إنها لا تعدو حالات فردية لها أسباب خاصة جدا تتعلق بالفرد نفسه وظروفه وتركيبته، وليس لها علاقة بما تشهده المجتمعات من تغيرات أو تطورات، أو أنها وليدة تحولات اجتماعية أدت إلى تلك الظاهرة.

## الأفكار المتطرفة

ومن وجهة النظر التربوية، وعن الآليات والأدوات التربوية لتحصين النشء من الانسياق وراء تلك الاتجاهات، تقول الخبيرة التربوية المصرية الدكتورة بثينة عبدالرؤوف، إن هنالك العديد من العوامل التي تؤدي إلى انتشار الفكر المتعصب والمتطرف وكذا الفكر الإلحادي، من بينها انتشار الأفكار والمفاهيم المتطرفة والمغلوطة عن الدين، مثل انتشار الأفكار التكفيرية، ومن ثم تتولد الأفكار الأكثر تطرفا أو الإلحادية، من منطلق أن «لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه». وتشدد على أنه كلما اتسعت رقعة التشدد والتعصب والأفكار المغلوطة عن التحريمات وغيرها والمنتشرة من خلال العديد من الفتاوى غير المسؤولة، انتشرت تلك الأفكار، خصوصا في صفوف الشباب.

وتعتقد بأنه من الطبيعي أن تكون للشاب، خصوصا في فترة مراهقته، تساؤلات عن العديد من المفاهيم الدينية وعن الحياة والدين وغيرها من التساؤلات التي يجب أن تكون ماثلة وواضحة أمامه من خلال تربيته تربية سليمة في فترة التكوين، موضحة أنها كثيرا ما وجهت إليها أسئلة من قبل العديد من التلاميذ من نوعية تلك الأسئلة، وكانت بعض الفتاوى المتطرفة أو المتشددة هي مكمن اعتمال تلك الأسئلة في صدور التلاميذ الذين ينطلقون منها لاستفسارات أكثر من واقع اصطدامهم ببيئة وفتاوى متطرفة قد تصور لهم أن الدين وجد لقتل الناس كما تصوره بعض الأفكار المتطرفة.

وتشير الخبيرة التربوية إلى أن التحكم في فكر الشباب صار أمرا صعبا لأنه لم يصبح فقط على صعيد الأسرة والمدرسة والأصدقاء فحسب، بل إن مواقع التواصل الاجتماعي صار لها دور كبير، ويستقي منها الشباب معلوماته، بالتالي لابد أن توضع كل تلك الأمور في الحسبان، بالإصرار على نشر المفاهيم الصحيحة حول صحيح الدين وكذا التاريخ الإسلامي بوضوح.

وتؤكد في هذا الإطار على ضرورة تربية النشء على احترام وحب الآخر وتقدير الاختلاف، وتربيتهم على أن الله رحيم وعظيم ويحب كل البشر، لأنه بمقدور تلك المفاهيم أن ترسخ لأفكار إنسانية مهمة في عقل الطفل ينشأ عليها ليرفض بعد ذلك الأفكار المتعصبة والمتطرفة والفكر الإلحادي، مشيرة كذلك إلى ضرورة أن تقدم الأسرة النموذج الحسن والقدوة للأبناء. كما تلفت إلى أهمية دور المدرسة والمؤسسات التربوية وكذا وسائل الإعلام في تبني خطاب ملائم لتلك المفاهيم ويعلم النشء احترام الآخرين؛ كي لا يكونوا فريسة سهلة بعد ذلك للأفكار المتطرفة أو الإلحاد.

نبيل طنطاني
باحث مغربي

# فلسفة السجن في القرآن الكريم

**تعيش في هذه الحياة، وتمر بك مناظر في البرية، تستحق أن تقف عندها ضاحكا أو باكيا، وقد تطرق أسماعك كلمات منها ما يفرحك، ومنها ما يرعبك ويخيفك، فقد ترى الشيء قبيحا وغير مرغوب فيه، ولكنك ما إن تتنسم روائح القرآن الزكية، إلا ويتحول كل ما تراه قبيحا إلى حسن وما تحس به ثقيلا إلى خفيف، فكأن هذا القرآن مكمل الإنسانية ومجملها الذي ينقلها من الهدى إلى الرشاد، ومن القبح إلى الجمال، ومن الخيالات الباطلة وأضغاث الأحلام إلى رحاب الحقيقة المطلقة التي يخرج بها الإنسان عن التفكير المألوف إلى العيش في رحاب القرآن خير موصوف.**

فما يجهله الناس عن القرآن أنه يمتلك القوة المؤثرة في توجيه الفطرة الإنسانية، وتحسين الأذواق، وتربية الأحاسيس، وإصلاح الحركات النفسية والجسدية، ولهذا لا يتعجب العقلاء في معجزة القرآن الكريم الذي يمكن أن يحول كل ما يراه الناس قبيحا إلى جميل وحسن.

من ذلك السجن الذي ما إن ذكره الناس وتواصلوا في الحديث عنه، إلا تطيروا وفزعوا منه، وهو كلمة تتحول في دلالاتها إلى مفهوم يسلب سلبا تاما حرية الإنسان الممنوحة له هبة من الله تعالى.

لكن هذا الإحساس المخيف حين يعرض على طب القرآن النفسي، يرفع عنه الخوف، ويسكن النفس، ويركب فيها الأمن والأمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠)، وعلى هذا السنن يمضي القرآن الكريم في إرشاد الإنسان إلى الغوص بعمق في الحقائق التي ينبغي أن يجول بفكره فيها، ليستنطق المعاني الربانية والسنن الإلهية التي أودعها الله تعالى في كتابه، الذي سيبقى نورا يهدي القلوب إلى الحق، ويربي النفوس على التعقل والتأمل.

ومما يشرف بالإنسان أن يتفكر فيه ويرعاه بقلبه وعقله، آيات القرآن الكريم، وهي كلها ناطقة بمعالم الهداية البشرية. ومما وقفت عليه، وزادني يقينا أن هذا كلام الله تعالى، وأنه كتاب يتجاوز الحركة العقلية للإنسان في التاريخ البشري، قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (يوسف:٣٣)، ولأنها آية محكمة مليئة بالعبر التربوية، وغنية بالفوائد الإصلاحية، التي ما إن اقتنصها الإنسان سيحل بابا من الأبواب التي لا تزال مسدودة أمام الارتقاء البشري الذي يمشي بدون هدف أو ويمضي بدون مقصد، فقد أحببت أن أتناولها في ثلاثة سياقات:

## السياق الأول: مفهوم السجن في القرآن الكريم

السجن في القرآن جنة يخلد فيها الإنسان مكرما في هذه الحياة. والسجن الذي جاء القرآن لتحرير الإنسان منه حتى لا يرقد فيه، ويحس بالألم والعذاب النفسي، هو سجن المعاصي والذنوب، وهو ما جعل أصحاب الكهف يختارونه للخروج من سجون البشرية، التي أوقعتهم في الرذيلة والشرك، وأبت أن تفارقهم، فلما خاف الصالحون من أصحاب الكهف على أنفسهم من طواغيت الجلادين من أهل الوثنية، فروا من سجون الظلم والكفر والفساد إلى الكهف الذي يرمز في القرآن إلى مكان حقق فيه الإنسان الاستقلال والحرية،

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (الكهف:١٦).

وقد أرشدت السنة النبوية إلى من يجعل هذه الدنيا بكل الموجودات سجنا يبقيه في أسفل السافلين، معرضا لفقد حريته الحقيقية التي منحت له من الله تعالى، ليحقق بها التحرر من كل المعيقات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحبس أثره الإصلاحي ووظيفته الاستخلافية في الأرض، قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1].

وعليه تكون الآية الكريمة التي انطلقنا منها، تنبه على أن السجن الذي يسلب الحرية البشرية، ويجعل الإنسان ينتهك الكرامة الآدمية، هو السجن الذي يقع فيه الإنسان وهو يتحرك ويمشي في الحياة دون أن يوقفه أو يحبسه أحد، إنه سجن المعاصي والذنوب والكبائر، وكل التصرفات غير الإنسانية التي تصدر منه، فيقع في سجن الشهوة، وليس السجن سجن الجدران، وإنما هو سجن الأبدان وأسر الشيطان.

**ليس السجين سجين الشام واليمن**

**ولكن السجين سجين النفس والهون**

وهذا التصور للسجن في القرآن الكريم هو ما جعل يوسف عليه السلام يقول على لسان الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (يوسف:٣٣). لأن سجن الجدران لا يوقف حركة الإنسان في التاريخ التي يجعلها الإنسان في الدعوة إلى الله تعالى، ويسخرها في إرشاد العباد إلى طاعة الرحمن. والأعجب من ذلك هو من وجد خارج سجن الجدران، ولم يحبس وراء القضبان، ولا يستطيع أن يغتنم حياته في بناء معالم الإيمان في النفوس، فما هي حجتك أيها الإنسان الحر الطليق خارج أسوار السجون، ماذا فعلت بها؟ ما هي حجتك عند الله؟

انظر إلى سيدنا يوسف الذي لم يوقفه سجن الجدران عن الانخراط في مجريات الدعوة إلى الله تعالى، وهداية القلوب إلى الله، والإسهام في الارتقاء بالحياة المنحطة للإنسان وتوجيهها إلى مسار العبودية التامة لله تعالى، ورفع اليأس الذي يحل بها بسبب الخوف من سجن الجدران، قال الله سبحانه: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يوسف:٣٦ ـ ٤٠).

## السياق الثاني: السجن في القرآن الكريم

السجون في القرآن كثيرة، وقد شن عليها القرآن الكريم ثورة تربوية حتى لا تبقى في الأرض، وتقام جدرانها في الكيان البشري كيفما كان نوعها، بحيث لا يحق لأحد أن يسجن الخلق، وقد صدق عمر رضي الله عنه في قوله: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا»[2]. لأن السجون الموجودة في الأرض سجون ما أنزل الله بها من سلطان، فلو التفت الإنسان المدني إلى السجون التي قصدها القرآن الكريم، لهدمت سجون الأرض، ولعاد الإنسان إلى رشده، وأحس بالحرية التي يطالب بها اليوم في عالم مجهول تحت شعار الحرية بلا هدف ولا غاية.

إن أول سجن هدمه الإسلام وطمس أركانه هو سجن الجهل، وقد نبه عليه بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (العلق:١ـ ٥)، وهو سجن ما أحوج دعاة الحرية في المجتمعات الإنسانية، أن يوقظوا الناس من

غفلتهم التي أعمت العقول وأماتت الفهوم، وشلت الحركة الإنسانية.

ثم تلته معركة القرآن الكريم الحضارية في تحرير البشرية من أي سجن كيفما كان نوعه ورسمه، وهنا لا يلتفت حضاريا لمن قال بأن السجن في الإسلام لم يتوصل إليه لحل الجرائم البشرية، وهو ما جعله يشرع قطع يد السارق، فلو عرف من قال هذا عمق الإسلام الذي لم يكن أصلا بحاجة إلى سجن، لما قال ما قال، لأنه جاء لتحرير الإنسان من أسر أي سجن، ونجح في الاختبار الاجتماعي في لفت انتباه الإنسان إلى السجن الحقيقي الذي يحيا في أعماقنا، عندما يتحول فيه إلى عابد للشهوات والملذات، لأن أكبر وأخطر سجن في التاريخ البشري هو سجن النفس.

وقد نصت كل تعاليم القرآن الكريم على تحرير العباد من قبضته، فها هي السجون مفتوحة الأبواب، وكل يوم يدخلها آلاف ويخرج من أبوابها ألوف، سرعان ما يرجعون إليها.

والسؤال العميق هنا: ما هو السجن الحقيقي الذي ينبغي أن نثور ضده، ونمحو آثاره في المجتمعات البشرية؟ إنها السجون التي حذر منها القرآن الكريم، وجاء الإسلام لإخراج العباد منها، ولا يمكننا أن نحرر العباد من سلطتها، إلا بتفعيل كليات القرآن وفتح أبوابه في مجالات الحياة، وأن نمتلك الآداب الإنسانية لنتحاور مع حقائق القرآن في عصر لم نستطع فيه أن نجلس إلى موائد القرآن العقلية المنطقية القادرة على إرجاع الحرية المفقودة إلى الأنام.

ثم سجن الشرك بكل أقسامه ومراتبه، فالناس في الشرك درجات، ووقوعه قد يحصل من الغني والفقير، ومن القوي والضعيف، فالكل قد يقع في أسره حسب درجته في المجتمع، والشرك لا حصر له، فهو يتجدد في الحياة البشرية وتتنوع ألوانه، وهو لا يفارق دولة فقيرة ولا غنية، لأن العبرة في التحرر من سلطانه بتفويض الأمور كلها لله تعالى، والحكم في وجود الله بسننه الشرعية وقوانينه الأزلية، يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ (البقرة:١٦٥)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (الأنعام:٥٦)، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء:٣٩)، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحج:٣١).

ثم سجن النفس: وهو سجن تعيش فيه كل يوم، وما أحوجك إلى أن تفكر في الخروج منه إلى رحاب الآخرة التي تحررك من طغيانه وبطشه، فهو سجن تحس فيه بالأنانية والتطرف في حب الذات، وفي النهاية تتحول إلى عبد مطاع مسلسل، لا تملك القدرة على التحرر، وهنا تموت في سجنها مهانا، وقد كتب على حيطانه أنك عبد لها، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الجاثية:٢٣)، وهو من أكثر السجون التي يتعرض الإنسان لولوجها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:٥٣).

ثم سجن الشهوة: وهو من السجون التي يقع الإنسان في مدافنها، وقد كتب الله الحرية الأزلية على من اجتاز عقباتها وانتصر عليها، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ (المومنون:١٠٦-١٠٨)، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (الروم: ٥٩).

ثم سجن الشيطان: وهو سجن يسعى إبليس إلى بنائه في الأرض، ودعوة الخلق إليه بشتى المغريات المادية والنفسية، وهو سجن وقع فيه إخوة يوسف لما فكروا في قتله، ووقعت فيه امرأة العزيز، وسيقع فيه براثنه كل من خرج عن منهج الله، واختار الإقامة في المملكة الإبليسية، وقد نجا الله منه يوسف عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ

﴿أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ١٠٠).

وسيعترف الشيطان في النهاية أن السجن الحقيقي هو سجن الفساد والمنكرات ومعصية الرب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ (إبراهيم:٢٢).

ومن رحمة الله تعالى بالناس أن مكنهم من شهر في السنة، يدخل فيه الشياطين إلى سجونهم، حتى لا يستدرجون الناس إليها، وهو شهر رمضان الذي يمثل في عمقه شهر الحرية والاستقلال من سجن الشيطان، جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»(٣).

وما أحوج الناس اليوم، أن يستفيدوا من أيامه، فيغادروا فيها سجون الحرب والعداوة والبغضاء والقتل وسفك الدماء والفساد في البر والبحر، فيحققوا بذلك العتق الرباني والتحرر الإلهي من أي سجن، ويستحقوا أن يكونوا من عباد الله العارفين، وينالوا بذلك الحرية القرآنية التي لا يحوزها إلا من اختار المقام في مملكة الرب، ولم يخلد إلى الدعة في أي سجن من السجون مهانا.

ثم السجن البشري وهو أكبر جريمة في التاريخ البشري، لاسيما إذا لم يحقق أهدافه في تربية الإنسان، وأملته أفكار النفوس الظالمة، والقلوب المريضة، والمتأمل في انتشار السجون في المجتمعات البشرية، يجد أنها تنبئ عن فشل معركة الإنسان التربوية، وعن هشاشة الأنظمة الوضعية التي تسوس الإنسانية، فتفكيرها في بناء السجن هو فشل تربوي لمؤسساتها التربوية، وعجزها عن بناء الإنسان الذي لم يحتج القرآن الكريم إلى سجن ليملأ به الإنسان بدون فوائد، ويقطع بذلك رزقه في حركاته في المجتمع والتاريخ، التي لا ينبغي أن يحبسها أحد سوى خالقه، فلو أراد الله أن يسجن الإنسان، وكان كماله في سجنه، لخلقه مثل الجمادات، ولكن حكمة الله تعالى شاءت أن لا يمتلك أحد أحدا سوى الله تعالى، الذي بيده الإحياء والإماتة والمبدأ والمنتهى.

فالسجن البشري هو في عمقه إهانة للإنسان، الذي كرمه الله تعالى، ومكنه مما في الأرض والسماوات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠). فوضع الإنسان في السجن مما يتعارض مع تكريم الإنسان، ويخبر عن فشل المجتمع بكامل أفراده وأطيافه، ومؤسساته الأسرية والتربوية والإعلامية والاجتماعية والاقتصادية في النظر إلى الإنسان، والفشل في معرفة خبايا النفس التي لا يستطيع أي إنسان أن يعرفها إلا عن طريق العرض القرآني قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق:١٦).

ومن أنواع السجون التي نبه عليها القرآن الكريم، وحرص على إيقاظ النفوس وتحذيرهم من نشب أظافرها، هو أن يحبس الإنسان حركاته الممتدة في هذا الزمان الدنيوي، ولا يجعلها تنخرط في أبعاد الزمان الأخروي الذي يشمل الدنيا والآخرة، وعالم الغيب والشهادة، ولا يمكن للإنسان أن يتحرر من هذا الزمان الدنيوي الذي له بداية وله نهاية، ما لم يحقق المقصد من خلقه.

وأما الزمان الإلهي فهو يجعل التصرفات الإنسانية والأعمال التي يقدمها الإنسان كلها في عبودية لله تعالى، قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧٠).

## السياق الثالث: هدي القرآن في إصلاح سجون الجدران

إن إصلاح سجن الجدران بالهدي القرآني لا يتم إلا بجعله آخر الدواء، لا تحتمه إلا الضرورة

الاجتماعية والتربوية، بعد أن ينال الإنسان نصيبه من التربية والحنان والأمان والعطف الأسري والاجتماعي والنفسي والاستقرار الاقتصادي، لو توفر للإنسان أساسيات التربية والتحصين النفسي، ولم يفعلها في مجتمعه، ووقف بالمرصاد أمام سبيل الحرية العامة، لكان بمنزلة عضو أصيب بمرض، يحتاج إلى دواء، ولابد أن نتعرض لأسبابه وعوامله، فيكون السجن دواء يعيد تأهيل السجين وفق مقاصد القرآن، التي ترسخ في النفس أن السجن الحقيقي هو الذي جئت منه، وليس الذي قدمت إليه، ويعلم أن السجن هو قدرتك على السيطرة على النفس وحبس شهواتها، وكظم الغيظ، ويربى على وفق الاجتهاد بنفسه من إنقاذها من السجن الذي في نفسه ويجري في دمه، والذي أدخله إلى سجن الجدران، بأن يبتكر تصورات جديدة، يظهر من خلالها قدرته على التفاعل الاجتماعي الصحيح، وعلى النجاح في تغيير مساره الصحيح مع النفس والمجتمع.

مثل ما وقع لسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، حينما أبدع تصورا ضمنه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف:٤٢)، بعد ذلك سيحصل العجب وهو الرؤيا التي هزت عرش ملك مصر وحررت يوسف عليه الصلاة والسلام من سجن الجدران، يجسدها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (يوسف:٤٦،٤٥).

فالتصور القرآني يعيد تأهيل السجناء وفق قدرتهم على العطاء الاجتماعي، والإبداع الفكري الذي يستفيد منه المجتمع من وجود الإنسان، فيوسف عليه الصلاة والسلام اجتهد في ابتكار فكرة اقتصادية واجتماعية، بها حرر المجتمع من أزمة اقتصادية، لو قدر الله حصولها لأكل الناس بعضهم بعضا، ولتقاسم الناس التراب، قال الله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (يوسف:٤٧،٤٩).

## خاتمة

سيبقى القرآن الكريم يسائل التفكير البشري، عن باعث اتخاذ مؤسسة السجن، هل هو آخر حل يمكن أن يفكر فيه أي نظام بشري، وإن برر الإنسان موجباتها؟! فينطلق الخطاب القرآني إلى المساءلة الواقعية العقلية، التي تجعل التفكير البشري يجعل الإنسان في سجن الجدران يتربى ويتحرر من سجن الهوى والأبدان، وهو ما يجعله فاعلا في المجتمع، ومشاركا في بناء صرحه، وهنا الفلسفة القرآنية تجعل قيمة المجتمع وقدره في خلو دياره من سجون الجدران وملئها بمؤسسات تربوية واجتماعية، تحرر الناس من سجون الأبدان والهوان والخذلان، وهي مؤسسات لو قدر وجودها في المجتمع، لعفي الناس من تراكم قمامات الجرائم في المجتمع، والتي أصبح السجن في منظومته التوجيهية الحالية، يمثل عودة من جديد إلى عالم الفساد والجرائم، ليحقق بذلك الإسلام إعجازا تشريعيا وقانونيا حينما هدم سجون الجدران، وحرر الإنسان من قبضة حب الهوى والنفس والشيطان، فكان بذلك أول تشريع وآخر تشريع رباني يكرم الناس ويرعى آدميته التي ضاعت في جور القوانين الوضعية.

وهكذا يثبت القرآن الكريم مواجهة سجون الظلم باعتبارها معركة حضارية، لابد أن يخوضها الإنسان القرآني حتى يحرر الإنسان من ظلماتها وينقذه من جلادها.

---

### الهوامش

١. رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٥٦)، تحقيق فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، (١٤١٢هـ-١٩٩١م).

٢. مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي (ص٩٧)، تحقيق حلمي إسماعيل، دار ابن خلدون، (١٩٩٦م).

٣. رواه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، رقم (١٠٧٩).

د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي

# روح التضامن الرمضانية

الحياة التي نحياها مترعة بالابتلاءات والنقائص والهنات، فهي لا تخلو من تقصير في حق إخوة الدين والعقيدة ومن تربطنا بهم صيرورة الحياة ووشائج القربى والمواطنة، كما أنها لا تخلو أيضا من اختلافات قد يكون لها أثر عميق في الروابط والأواصر التي تجمع بين أبناء الأمة الواحدة والمجتمع المفرد.

وهذا يقع على الدوام في واقع البشر، بل هو من صميم تركيبة الناس التي فطرهم الله عليها؛ بيد أن لله نفحات ومواسم مباركة منيرة ما أن تهل على دنيا المسلمين حتى تنشرح الأرواح وترق النفوس، وفي طليعة تلك المواسم المباركة شهر رمضان. لذلك نشهد سعي الناس في هذا الموسم إلى الاستدراك على ما ارتكبوه من هنات ونقائص وتقصير، وذلك بأعمال خيرة نافعة تدخل المسرة على الأرواح والنفوس والأفئدة.

وفي هذا الشهر الفضيل المبارك، شهر القرآن والمسارعة في الخيرات، والإقبال على القربات والأعمال الصالحة، لا بد للإنسان المسلم أن يتذكر إخوة الدين والعقيدة والمصير، وأن يسعى بما آتاه الله تعالى من قدرات وما زوده من مواهب، من أجل نفعهم وتقريب ثمرات العون إليهم؛ لأن الوقوف بالصوم عند حدود المعاني البسيطة التي يعرفها الدهماء والرعاع من عوام الناس، مثل الامتناع عن الأكل والشرب وغيرهما من ضروب الشهوات، ليس فقها صحيحا ولا تبجيلا يليق بمقام ومنزلة هذا الشهر المبارك.

## شهر له إيحاء وتميز

يجمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على جملة الخلال والشمائل اللطيفة التي لا يمكن الشعور بألقها وأريجها إلا في شهر رمضان، فهو موسم أودع الله فيه القدح المعلى من الأسرار والضوامر واللطائف المبهجة. يقول فضيلة الشيخ الإمام محمود شلتوت رحمه الله تعالى: «لكل شيء في هذه الحياة إيحاء، فلأسماء الأشخاص إيحاء، ولأسماء الأمكنة إيحاء، ولأسماء الأزمنة إيحاء، وما من مرئي يقع عليه البصر أو مسموع يتصل بالسمع إلا وله إيحاء. ولعل أقوى ما يربط الإنسان بماضيه وينير له طريق مستقبله ويركزه في حاضره على أسس قوية وسبل بينة تكشف له سنن الخير، وتبعده عن سنن الشر، هو ما يتلقاه من هذه الإيحاءات.. ورمضان لم يكن إلا اسما زمنيا لشهر معروف في السنة القمرية، يقع بين شعبان وشوال، ولكن له عند المسلمين إيحاء تهتز له قلوبهم وتنشرح به صدورهم وتسمو به أرواحهم..»[1].

بيد أن علاقة المسلم بهذا الشهر الكريم، لا ينبغي أن تتوقف عند هذه التخوم، بل لا بد من رسم برنامج عمل متوازن دقيق يعمق الفهم، ويستثمر المناسبة الزمنية بأفضل جهد يمكن أن تفرزه الإرادة الإنسانية الكامنة في إهاب روح الإنسان المسلم، ومن ثمة فإن من يفقهون رمضان ويدركون خواصه التي تنطوي عليها أيامه وساعاته ولحظاته الزمنية فإن كلمة رمضان «توحي إليهم برحلة إلهية ميقاتها الشهر كله، يخلع



فيها المؤمن نفسه من حياة مادية مظلمة إلى حياة روحية مضيئة، يخلع فيها نفسه من هموم الدنيا وأكدارها إلى لذة لا يعرفها ألم، وسعادة لا يعرفها شقاء، فيبدأ يومه: باسمك اللهم صمت، ويختم نهاره: باسمك اللهم أفطرت، وفيما بين الوقتين يقوم لله قانتا، يركع مسبحا ويسجد داعيا، مرتلا وحيه وقرآنه حتى مطلع الفجر، وهكذا دواليك حتى يبلغ الغاية ويصل إلى النهاية»[٢].

إن المسلم خلال شهر رمضان بمكابدته لوطأة الجوع ولأواء الحر، يستشعر نداوة الإيمان الحق؛ مما يدفعه إلى تعميق شعوره وإحساسه بالآخرين ممن يعانون معظم أيام السنة من المسغبة والعوز ومصاعب الحياة ومتطلباتها ومشاقها في واقع يتميز بالقسوة وضعف منزع التضامن والتعاون.

لأن الإيمان في قلب المؤمن قوة فاعلة مؤثرة دافعة إلى المنجز الإيجابي، بها يطابق بين مختلف جزئيات مناشطه اليومية، وبين كل حركة من حركاته، وكل تصرف من تصرفاته، وهذا الإيمان لا يتحقق ولا يتجسد بمجرد التعلق بالأماني والمشاعر الطيبة، بل بواسطة العمل الحي ومكابدة الحياة بكل لأوائها ومشاقها؛ أجل إن العمل الصالح في السر والعلن هو الوسيلة الفذة التي تخرج ألق الإيمان إلى الواقع الحي المتحرك السيال[٣].

## ضرورة الاتساء بصاحب الرسالة العظمى

ولا شك أن أي مسلم يتطلع في حياته ويحرص في سلوكه على الاتساء برسولنا الكريم ﷺ، والاتساء هو الاقتداء والأسوة والاتباع؛ وقد ثبت في الصحاح أن صاحب الرسالة العظمى محمد ﷺ، كان كثير الصدقة والجود والعطاء في شهر رمضان.

فقد ورد عن ابن عباس أنه قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل. وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[٤].

فإذا علم المسلم أن من أولويات مقاصد الصوم بعد التقوى، تفعيل الشعور بآلام وحاجيات ذوي المسغبة والفاقة؛ فإنه سوف يمد يده لكل ذي حاجة يستطيع الوصول إليه، وسوف يعمل من أجل تخفيف معاناة من يعانون في معيشتهم أو من يصارعون الأمراض والجهل والكوارث الطبيعية والنوازل بكل أصنافها وألوانها؛ فالبعد الاجتماعي مقصد مهم جدا في فريضة صوم رمضان.

يقول الأديب الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله تعالى مبرزا هذا البعد أو المقصد: «والصيام في مظهره الاجتماعي يعطينا مظهر أسرة عظيمة تنتشر في جوانب الأرض، وتقترن شعائرها الدينية كل يوم بأمس ما يحسه الإنسان في معيشته اليومية، وهو أمر الطعام والشراب ومتع الأجساد: ملايين من الناس في جوانب الأرض يطعمون على نظام واحد ويمسكون عن الطعام على نظام واحد، ويستقبلون ربهم على نظام واحد، وقلما انتظمت أسرة بين جدران بيت على مثل هذا النظام»[٥].

ولا يتوقف نفع الصيام على شبكة العلاقات الاجتماعية، بل إن نصيب الفرد من النفع والخير مقرر أيضا ومشهود؛ وهو أمر يستشعره ويلمسه كل مسلم يتأمل في عبادته بطريقة صحيحة: «أما الفرد فيستفيد منه خير ما يستفيده الإنسان في حياته الروحية أو حياته الخلقية، وهو ضبط النفس وشحذ عزيمتها وقدرتها على الفكاك من أسر العادات وتطويع الجسد لدواعي العقل والروح»[٦].

ومن خلال ما تم بسطه يمكن لنا أن نستخلص الفوائد التالية:

١ــ الصوم عبادة وفريضة تقوي الإرادة وتشحذ النفس، وترتقي بالهمم والمطامح والآمال، وتجعل المسلم يتجاوز ذاته وأنانيته.

٢ـ شهر رمضان مناسبة جليلة، يراجع فيها المسلم نفسه ومساره، كي يعرف بدقة ما ينبغي فعله فيما بقي له من وقت، لأن الحياة بمقياس الإيمان هي استثمار في تزكية الروح والتخلص من أكدار النفس.

٣- صوم رمضان محطة سنوية إيمانية بديعة، عظيمة النفع على المستويين الفردي والجماعي.

٤- البعد الاجتماعي، والتفكير في الآخرين والسعي الجاد لإعانتهم، والتضامن معهم، من أهم مقاصد صوم رمضان.

---

### الهوامش

١- محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط ٧، ١٩٨٠م، ص٣٥١ / ٣٥٢.

٢- المرجع نفسه، ص٣٥٢.

٣- صبحي الصالح، الإسلام ومستقبل الحضارة، دار الشورى، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص٢٦٩.

٤- رواه البخاري برقم (٦) ومسلم برقم (٢٣٠٨).

٥- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، مطبوعات لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٤٧م، ص١٦٣.

٦- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

# ثنائيات في شهر رمضان

لئن كانت إحدى ميزات الإسلام الكبرى أنه جمع، في توازن ووسطية وانسجام، بين ما يظنه الناس قيما متباعدة متضادة؛ فإن شهر رمضان هو ذلك الزمان المبارك الذي تتجلى فيه هذه الميزة كأحسن ما يكون التجلي، وتتضح على أفضل صورة من الوضوح، وتتكامل بأشد ما يكون التكامل.

فلقد عرف الناس في مذاهبهم وأفكارهم وفلسفاتهم انحرافا ناحية قيمة ما على حساب قيم أخرى، أو إيغالا في اتجاه ما خصما من اتجاه آخر مطلوب وليس بأقل في المكانة والأهمية.

فاليهود قد أوغلوا في الماديات والحسيات، وعبدوا الدينار والدرهم، واستحلوا الربا، حتى قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، على النحو الذي أوضحه القرآن الكريم في أكثر من موضع، بمثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:٧٤).

وأما النصارى فقد أسرفوا في التزهد، وفي الجانب الروحي، وتركوا المباحات من النكاح والطعام وغيرهما، حتى ألزموا أنفسهم ما لم يأذن به الله تعالى، فقال عنهم سبحانه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (الحديد:٢٧).

لكن، وفي مقابل هذا الانحراف في اتجاهين متضادين، جاء الإسلام ليعيد التوازن المفقود بين الروح والمادة، وليجمع في تكامل بين متطلبات النفس وضرورات الجسد؛ من غير أن يجور طرف منهما على الآخر.

وقد تقرر هذا الأمر في غير آية من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧)؛ حتى كانت «الوسطية» خصيصة بارزة من خصائص هذه الأمة الخاتمة الشاهدة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾ (البقرة:١٤٣).

وقد جاء شهر رمضان ليكون زمانا مباركا تلتئم فيه هذه الثنائيات، ويذوب ما بينها من تباعد عرفته الأديان والمذاهب الأخرى.. حتى لكأن هذا الشهر الكريم، بل الأمر كذلك بالفعل، ليرسم لنا بما يعلمنا إياه الطريق الذي ينبغي أن نسير عليه بقية العام، والمنهج الذي يجب أن نتبعه ولا نحيد عنه..

ونركز هنا في هذه السطور على ثلاث من هذه الثنائيات، وهي: عبادة الله ونفع الناس، تزكية الروح وإشباع الجسد، العناية بالذات وبالآخرين.

## عبادة الله ونفع الناس

لقد خلق الله تعالى الإنسان لغاية محددة، وهي عبادته وطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦). وهذه العبادة يمتد معناها ليظلل كل حركات الإنسان في الأرض؛ بحيث لا يند فعل من أفعاله، ولا قول من أقواله، عما يحب الله ويرضاه؛ سواء أكان هذا في صورة إتيان لمأمور به، أو ابتعاد عن منهي عنه. لكننا نعالج هنا «عبادة الله» بالمعنى المختزل في أذهان البعض، ليشمل الشعائر التعبدية فحسب، وليس كل حركات الإنسان وسكناته.

وبالتالي، نقول: إن شهر رمضان الكريم هو فرصة لتلتئم هذه الثنائية المتباعدة في دنيا الناس، ألا وهي اهتمام البعض بالعبادة، بمعناها الضيق، دون أن ينشغل بنفع الناس، وبمد يد العون والخير لهم.

يأتي شهر رمضان ليعلمنا التوازن في هذه الناحية؛ فنحن مأمورون فيه بالصيام والقيام وقراءة القرآن؛ تماما كما أننا مأمورون فيه بإطعام الطعام، وبذل الخير، والتصدق بوجه عام على المحتاجين وإخراج صدقة خاصة بالشهر الكريم وهي صدقة الفطر.. والأحاديث في ذلك كثيرة ومعروفة.

والخلل الحاصل في هذه الثنائية يتمثل في تفرغ البعض للعبادة فيما يتصل



بالعلاقة مع الله تعالى، بينما يعرض عنها، أي عن العبادة، فيما يتصل بالعلاقة مع الناس! فترى أحدهم قابعا في زاوية من المسجد مصليا مستغفرا، ظانا أنه بذلك قد أدى ما عليه، وغير ملتفت لحاجة فقير، أو لإصلاح بين الناس، أو غير ذلك من وجوه الخير المتعددة والمطلوبة بإلحاح! فضلا عن أنه قد يمسك عن الطعام والشراب دون أن يمسك لسانه ويمنع أذاه عن الآخرين!

إن المجتمع الذي ننشده لا ينهض بهذا الخلل الحاصل في هذه الثنائية.. وشهر رمضان فرصة كبيرة لنتعود الجمع بينهما.

## تزكية الروح وإشباع الجسد

كما يعلمنا شهر رمضان أيضا، وبطريقة عملية، أن الإسلام لا يعرف التناقض بين تزكية النفس وتلبية حاجات الجسد، ولا يقر ما يعتقده البعض من أن الاهتمام بأحدهما يعني بالضرورة إهمال الآخر!

نعم، الروح هي أهم ما في الإنسان، وهي نفخة علوية إذا زكاها الإنسان يصير قريبا من عالم الملائكة، بل أفضل؛ لأنهم مجبولون على الطاعة بينما الإنسان مخير؛ فإذا أطاع الله يكون قد جاهد نفسه وتغلب على المغريات، بخلاف من يطيع الله دون مشقة.. نعم، الروح هذه هي مكانتها؛ لكن ذلك لا يعني في مفهوم الإسلام أن الجسد شيء مستقذر، كما هو الحال في فلسفات منحرفة.. بل الجسد هو الأداة التي تستخدمها الروح للعروج في مدارج المتقين.. وهذه العلاقة تشبه من زاوية أوسع علاقة الدنيا بالآخرة؛ فكما أن الدنيا مزرعة للآخرة، ومقدمة لها، والإحسان فيها شرط التمتع بالجزاء الأوفى الموعود في الآخرة.. كذلك فإن الجسد هو أداة الروح، والسلم الذي به تصعد إلى المعالي.

وفي شهر رمضان تأخذ الروح حظها الأوفر؛ إذ نمتنع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر حتى غروب الشمس، بما يسمح للروح أن تتخف من علائق الجسد والشهوة، وبأن تنطلق محلقة في عوالم الكمالات.. لكن هذا الإمساك عن الطعام والشراب لا يتكرر في سائر العام بالصورة المعروفة في رمضان؛ بل غاية الصيام، كما جاء في الصحيحين عن عبدالله بن عمرو، هي صيام داود: «كان يصوم يوما ويفطر يوما».. بل في أثناء شهر رمضان ذاته غير مسموح بوصل الصيام؛ ففي حديث ابن عمر أن النبي ﷺ نهى عن الوصال. قالوا إنك تواصل، قال: «إني لست كهيئتكم؛ إني أطعم وأسقى» (أخرجه مسلم).

فالإسلام لا يهدف إلى حرمان الجسد من ضروراته، تلك الضرورات التي لا تكون الحياة إلا بها، إنما يهدف إلى ضبط غرائزه، وتهذيب طباعه، وتنظيم حاجاته؛ حتى يتحقق التوازن بين الروح والجسد، على اختلاف متطلبات كل منهما.

## العناية بالذات وبالآخرين

بعض الناس ينكفئ على ذاته، وينشغل بها وحدها، وقد يكون هذا الانشغال انشغالا بالطاعة لا بالمعصية.. لكن الإسلام لا يرضى بهذا السلوك؛ لأن المسلم لا يحيا وحده في جزيرة منعزلة، بل يعيش في مجتمع؛ وهذا المجتمع، ابتداء من أسرته، له عليه حقوق ينبغي أن يستوفيها.

فانشغال الإنسان بنفسه فحسب، أمر مرفوض، ولو كان انشغالا بالطاعة.. ولهذا كان للدعوة إلى الله تعالى فضل عظيم؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣).

وهذا التوازن بين عناية الإنسان بنفسه وعنايته بالآخرين، نلحظه في شهر رمضان من خلال سلوك النبي ﷺ مع أهل بيته؛ ففي الصحيحين من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر». فاشتمل هذا الحديث الشريف على بيان عبادة النبي ﷺ في خاصة نفسه، وعلى بيان سلوكه مع الآخرين من أهل بيته.

وهذا درس لنا ألا نحرم بيوتنا من نفحات هذا الشهر وفضائله، وألا نبخل عليهم بنصح أو توجيه، مع الرفق والأناة والترغيب.. وبزاوية أوسع: هذا درس لنا ألا يقتصر نفعنا على ذواتنا، بل يتعدانا إلى الآخرين، سواء في دائرتنا الصغيرة من الزوجة والأولاد، أو في دائرتنا الكبيرة من الجيران والأقارب والمعارف ومن لنا صلة بهم.

إن شهر رمضان الكريم هو التدريب العملي لنا على الجمع بين كثير من الثنائيات التي يظنها الناس متناقضة، لا لقاء بينها.. بحيث نخرج من هذا الشهر الكريم ونحن أقدر على تمثل المنهج الإسلامي، وعلى حسن التعبير عنه والدعوة إليه في سائر العام.. سواء فيما يتصل بالجمع بين عبادة الله ونفع الناس، أو بالعمل على تزكية النفس وإشباع الجسد.. أو بالعناية بالذات وبالآخرين معا..

مصطفى عبدالعزيز
التوني - باحث بوزارة
الأوقاف المصرية

# التقوى.. ثمرة الصيام وغايته العظمى

**من المتصور، لاسيما في شهر رمضان الفضيل، أن يحول المسلم عاداته من نوم ويقظة ومشي ودخول وخروج وقضاء شهوة ونفقة وطعام وشراب، إلى عبادات؛ بأن يقصد فيما ذكرنا؛ التقوي على طاعة الله وإخلاص النية وابتغاء الأجر، ويلزم نفسه بالآداب الشرعية والأدعية والأذكار الواردة فيما يعرف بأعمال اليوم والليلة، فينال على كل ذلك من الله المثوبة.**

أما غير المتصور، فهو ألا يقع منه ذلك، وأشنع منه أن يحدث العكس، فيحول عباداته إلى مجرد عادات، فيحرم نفسه بذلك ما أعده الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأكثر الناس في شهر رمضان على أحد هذين النوعين الأخيرين، وهم فيما بينهما على درجات متفاوتة، وبقدر الاقتراب من التي قبلهما تكون درجاتهم من القبول للعمل أو الحرمان من الأجر.. وما ذلك إلا لأن قبول العمل متوقف دائما وأبدا على قدر الإخلاص ودرجة المتابعة لما كان عليه النبي الكريم ﷺ.

ومعلوم بالضرورة أن الأعمال تشرف بشرف الزمان، ولك أن تستشعر في هذه الأيام الفاضلة ما ذكرته لك آنفا وأنت ناو به وجه الله فتخلص وتعمل قدر جهدك لنحو ما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة»، وفي رواية لمسلم: «حجة معي»، وما جاء فيهما من قوله: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، ومن قوله فيما رواه عن ربه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».. أو أن تفعل ذلك لمجرد أن وجدت نفسك مسلما، أو لكونه يجيء منك على ما اعتدته طوال ما مضى من حياتك.. لتعلم وتدرك الفرق الشاسع بين المتعبد والمتعود.

فكم من الناس من يجهد نفسه في السعي لعمرات هذا الشهر الكريم وينفق في سبيلها، وعلى مدار سنواته، الغالي والنفيس من الوقت والجهد والنفقة، وهو مدرج عند الله فيمن تحولت عباداتهم إلى عادات.. وأكثر منهم من إذا حضر رمضان بالغ في إجهاد نفسه، وقتا وجهدا ونفقة، وتراه وقد رضي لنفسه أن يصوم كما يصوم الناس، وقنع بأن يقوم كما يقومون، فما يشعرها بحلاوة طاعة ولا بلذة عبادة.. ونحوا ممن ذكرنا من تراه يبالغ في الإنفاق وربما يتباهى بما قد صنع فيما يعرف بـ«موائد الرحمن» وهو في كل ذلك لا يبالي أكان من حلال أم من حرام، ويخرج من رمضان وما أحس بقيمة ما أنفقه وأتعب نفسه فيه، وربما سبقه في تحصيل الأجر رجل تصدق بتمرة وتحقق فيه حديث سلمان عن النبي ﷺ، فيما صح معناه وضعف سنده: «من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه» أخرجه ابن خزيمة(٣/٢٠٥)، قيل: ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم، قال: «يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة لبن، أو تمرة، أو شربة ماء».. وعلى هذا فقس.

**القرب من الله يكون بالتقوى وليس بالجاه ولا المال**

## محاذير

إننا في أمس الحاجة الآن لأن نقيم أيامنا وليالينا في شهر رمضان، وهن معدودات؛ على هدي النبي وصحابته والتابعين لهم من سلف هذه الأمة، لنتدبر الحكمة من وراء ما شرع الله، ولنعتد ما فعلناه فيهن فيما بعد.. فلا معنى لأن نستقبل شهر الإمساك عن الطعام بالإسراف فيه جمعا وتناولا وإنفاقا، فنقع فيما حذر الله منه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١) بعد قوله في الآية ذاتها: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾، وحذر نبيه منه في قوله كما في سنن النسائي: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا



مخيلة».. ولا معنى لأن تشغلنا أطايب الطعام والشراب عن إدراك صلاة المغرب في جماعة بالمسجد، فنترك بذلك ما كان يفعله النبي ومن تبعه عند الإفطار من فعل وقول وهدي.. ولا معنى لأن تتعلق قلوبنا بمشاهدة الأفلام وما إلى ذلك، فنكسب الإثم ونضيع الأوقات في غير تلاوة أو ذكر أو تراويح أو تهجد أو تنفل.. ولا معنى لأن نشغل عن إدراك الحكمة في صلاتنا وصيامنا، فيشكونا إلى الله نقرها وإهمالها وخدشها وضياعها.. ولا معنى لكثرة القيل والقال فيما لا طائل من ورائه، فنترك ما أحله الله لنا ونقع فيما حرم من غيبة ونميمة وكذب وقول زور إلى غير ذلك مما ألفناه ويقدح في الصوم إن لم تكن في ذلك إضاعته.. كما لا معنى لأن يصدر عنا من العبادات التي ألفناها شهرا كاملا ما يصدر، ثم نرجع، بتركها بعد ذلك، لنتجرع مرارة المعصية والبعد عن الله.

إن صيام بعضنا، في ضوء ما ذكرناه، ليحتاج إلى صيام، وإن استغفار بعضنا ليحتاج إلى استغفار، وإن صلاة بعضنا لتحتاج إلى صلاة، وإن توبة بعضنا لتحتاج إلى توبة، وإن دعاء بعضنا ليحتاج إلى دعاء.. وما كل ذلك إلا لأنه ينقصه: إخلاص النية وصدق المتابعة وقوة العزيمة وسلامة القصد واستحضار الهدف ونبل الغاية.

إن ثمة متطلبات سلوكية يجب على عقلاء المسلمين مراعاتها، وأهم ذلك: أن النية عمل القلب، وهي أساس الإخلاص، وتصديقها يتحقق بالجوارح قولا وعملا وسلوكا، فظاهر الصيام: الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، وجوهره وكنهه: ترك ما حرم الله لتصوم الجوارح كلها ولتستضيء بنور الطاعة وبرد التقوى، تحقيقا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ (البقرة:١٨٣-١٨٤)، إذ بعدها يكون المؤمن قد تعود أن يحول عاداته كلها إلى عبادات، فضلا عن أن يستبقي عباداته على ما هي عليه من إخلاص ومتابعة لطلب ما عند الله من رضاه والجنة.

### فوائد التقوى وثمراتها

إن التقوى منقبة جامعة لصنوف البر والخير؛ لذلك عظمت عناية القرآن بها، وحسبك أن المواطن التي ذكرت فيها التقوى ومشتقاتها في كتاب الله العزيز قد نيفت على أربعين ومئتي موطن، تؤمل بالتقوى، وتحث عليها، وتربط الفلاح بها، وتبرز منزلة المتقين في الدنيا والآخرة، عند الله وعند الناس، يقول تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة:١٨٩).

فالتقوى خير، ولباسها خير لباس، وزادها أنفع زاد، ويكفيها شرفا أن الله تعالى أمر عباده بها: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾ (الزمر:١٠)، وفي آية أخرى يقول المولى عزوجل: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ

﴿خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧)، وفي ثالثة: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف:٢٦)، وهي وصية الله لنا لمن قبلنا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ (النساء:١٣١).

وللتقوى ثمرات عظيمة، ونتائج كبيرة؛ لأن الله تعالى ما أمر العباد بها وكرر ذلك إلا لعظيم مكانتها عنده تعالى؛ لذا كان الجزاء عليها متناسبا مع عظيم منزلتها. ومن ثمراتها وفوائدها في الدنيا والآخرة، العاقبة والنصر لأهلها، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (طه:١٣٢)، ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف:١٢٨).

وبالتقوى يفرق العبد بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الضار والنافع، وتغفر له خطيئاته ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الأنفال:٢٩).

ولا يزال النور يلازم أهل التقوى، نور البصائر مع نور الأبصار؛ لأن البصائر هي التي تعمى، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦)؛ لكن المتقين حفظوا بتقواهم من عمى البصائر، فهم بنور التقوى يوفقون في أعمال دنياهم، وأعمال أخراهم. وقد جاء النداء القرآني آمرا بالتقوى من أجل الحصول على ذلك النور حتى تستنير به البصائر مع نور الأبصار، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد:٢٨).

### التقوى معيار التفاضل

والتفضيل عند الله تعالى لم يكن بالجاه ولا السلطان ولا المال، ففرعون ما نفعه سلطانه، وهامان ما سرته وزارته، وقارون ما أغنى عنه ماله. ولم يكن القرب من الله بالأحساب والأنساب، فكبار قريش وسادة مكة الذين كانوا أميز الناس حسبا، وأوسطهم نسبا، يتحلقون حول الكعبة ينتظرون ذلك العبد الحبشي بلال بن رباح رضي الله عنه، يصعد على ظهر الكعبة، وأقدامه فوق هام السادات؛ ليعلن النداء بالتوحيد بعد الفتح؛ ما كان بين عبوديته وبين مكانته تلك إلا سنوات قلائل، بينما عم النبي ﷺ أبو لهب في نار جنهم.



إنه العدل الرباني في إلغاء وسائل التفاضل بين البشر كلها إلا وسيلة التقوى، وهي التي يستطيع أن ينالها كل أحد متى ما تخلى عن الشهوات، وسارع إلى الطاعات ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣) أتقاكم! وليس أعزكم حسبا، ولا أوسطكم نسبا، ولا أوفركم مالا، ولا أعظمكم جاها، ولا أقواكم سلطانا؛ بل أكرمكم أتقاكم، وحسب.

### شرف المعية

ويكفي المتقين شرفا، معية الله تعالى لهم، يحوطهم ويرعاهم ويحفظهم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ (النحل:١٢٨)، ثم إنهم نالوا ولاية الله تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال:٣٤)، فكانت النجاة لهم يوم القيامة، ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ (مريم:٧١-٧٢)، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر:٦١).

ولما كانت النجاة نصيبهم في القيامة كانوا أبعد الناس عن الخوف والحزن، ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٣٥). بشروا بالجنة، وهل أعدت الجنة إلا لهم؟ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الشعراء:٩٠)، ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم:٦٣)، ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد:٣٥)، ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣).

**التقوى تشمل كل عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة**

ولا تسل عن ندم أهل النار على تقصيرهم في حق التقوى حينما يقول قائلهم: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾ (الزمر:٥٦-٥٧).

والتقوى سهلة النيل لمن وفق الله من عباده؛ لكن، ما أعسرها على من كان عن الرحمة مبعدا! يحصل العبد عليها متى ما تخلى عن الشهوات، وسارع إلى الطاعات. ومن يستطيع ذلك إلا من كان من عباد الله موفقا؟

إن الصيام أقوى وسيلة للتقوى لكون التقوى هي ثمرة العبادة الخالصة على مختلف أمور الحياة الدنيوية والأخروية. فالتقوى هنا ليست المفهوم الضيق الذي يفهمه بعض الناس، ويتمثل في أداء الشعائر الدينية من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج. ولكنه أوسع من ذلك بكثير إنه مفهوم يتسع لمختلف أمور الدنيا والآخرة. فالإسلام ليس فقط أداء هذه الشعائر. ولكنه عبادة، وشريعة، وعقيدة، وسلوك، وأخلاق، ومنهج. من هذا المنطلق لا يجوز بأي حال من الأحوال أن نفهم الدين فهما جزئيا أو نفهم التقوى فهما قاصرا، فالتقوى تشمل كل عمل يقوم به الإنسان في هذه الحياة ما دام قصد به وجه رب العالمين، وابتغاء رضوانه ومرضاته، ونفع به الناس، ودفع الأذى والبلاء عنهم. والتقوى هي أيضا توحيد رب العزة سبحانه وتعالى، والإيمان به، وبكل ما أخبر الله به رسوله بفعل ما أمر به، وترك ما نهي عنه من إخلاص لله تعالى، ومحبة له. وبذلك، يتقى العبد عذاب خالقه لكون هذا الصيام شعبة من شعب التقوى وقربة إلى الحق تبارك وتعالى. كما إن التقوى كثمرة للصوم فهي جماع الخير وملاك الإيمان. وحتى يكون المعنيين بهذه الأحاديث النبوية المشرفة.

إن الصيام وسيلة فعالة للتقوى لكون هذا الصيام عبادة جليلة من أعظم العبادات التي تسمو بها الروح على الشهوة لكونه وقاية من المعاصي والآثام. ويكفها عن الشهوات، ويصونها من الوقوع في المهالك والضلال. ولكون التقوى منبع الخيرات، ومصدر البركات، وأكثر خصال الخير ذكرا، وثناء على أهلها، ووصية الله تعالى لجميع خلقه، وجعلها طريق الفوز بالحسنى. ولكونها كذلك كلمة جامعة لكل الفضائل الإنسانية الظاهرة والباطنة. ولذلك، فالغاية المثلى من الصيام إذن هي تحقيق التقوى. وتحقيق هذه التقوى يكون عن طريق تصفيد الشياطين، وعن طريق تذكير الأغنياء بحاجة إخوانهم الفقراء، ومضاعفتهم لفعل الجود والكرم، وعن طريق محافظة الصائمين على الصلوات الخمس في رمضان، وفي غيره لكون هذه الصلوات في أوقاتها عمود الإسلام.

محمد عبدالعليم حسن
باحث في التاريخ
والحضارة الإسلامية

# رمضان شهر النفحات الربانية

**ضيف حبيب ما أعظمه، يجيء كريما ما أكرمه، يكسو الأرض ضياء ما أبهى مطلعه، يهب النفوس زكاة ما أطيبه، وألزم قلوب الخاشعين الوجل والإشفاق؛ إنه شهر رمضان، شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار.**

يقول رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه البيهقي في الشعب من حديث سلمان الفارسي قال: «خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء. قالوا: ليس كلنا نجد ما يفطر الصائم، فقال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه غفر الله له، وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما: فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة»[1].

إن أول ما يشعر به المسلم عندما يبلغ شهر رمضان وهو معافى البدن أنه في فضل من الله عظيم؛ فقد أمهله الله تعالى ومد في عمره ليصل إلى هذا الشهر ليقوم بالعبادات الربانية الرمضانية من صيام وقيام وسعي في قضاء حوائج الناس وأمر بمعروف ونهي عن المنكر... هذا الشرف الذي حرم منه كثير من الناس إما لمرض، أو لموت؛ فكم من حبيب أو قريب أو جار فارق دنيانا وانتقل إلى جوار ربه في هذا العام وكان يتمنى أن يكون معنا مصليا صائما لكن سبق عليه القلم وأفضى إلى ما قدم.

## نفحات

ومن أعظم النفحات الربانية والقربات في شهر رمضان صلاة القيام وهي من أفضل العبادات بعد الصلاة المكتوبة؛ فقد أورد البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، إذن صلاة القيام على وجه الخصوص من أسباب مغفرة الذنوب، فمن صلى القيام كما ينبغي فقد قام رمضان وعليه تكون الصلاة سببا في مغفرة الذنوب.

لكن النبي ﷺ وضع شرطا لقبول هذا القيام وهو أن يكون إيمانا



بالله واحتسابا للأجر عنده، لذلك يجب علينا الحرص على صلاة القيام وإتمامها على الوجه الأكمل. والمسلم يستمتع بالوقوف بين يدي الله ومناجاته مما يزيد من الطاقة والشحنة الإيمانية التي يكتسبها من صلاة القيام.

ويجب على المسلم أن يكون فطنا ويغتنم كل لحظة من لحظات هذا الشهر، لاسيما أنه يمر سريعا، فيصلي في خشوع وتدبر ليحصل الفائدة المرجوة من هذا الشهر وهو التقوى، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٤).

## العشر الأواخر

وفي شهر رمضان يزيد المسلمون من التراحم فيما بينهم بسبب ما يضفيه هذا الشهر من تعزيز وتقوية لقيم التسامح والتعاون وإطعام الطعام وتفقد أحوال الأقارب والجيران، فكل الصائمين يعملون من أجل اكتساب الخير، يقول الله تعالي: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ (يونس:١٦).

وفي هذا الشهر الكريم أيام العشر الأواخر التي خصها الله بخصائص نذكر منها: أن فيها ليلة القدر التي أنزل الله فيها القرآن، وقد كان النبي ﷺ يجتهد في هذه الأيام ما لا يجتهد في غيرها، فقد ورد في الصحيحين من حديث السيدة عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ «كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ الأهل وشد المئزر»[٢].

وفي ليلة القدر توزع أرزاق العباد ويقدر الله فيها كل شيء، يقول الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ ﴾ (الدخان:٤)، وقد جعل الله تعالى هذه الليلة خيرا من ألف شهر، وسبب ذلك ما ورد «أن النبي ﷺ ذُكر له رجلٌ من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب لذلك وتمنى ذلك لأمته، فقال يا رب أمتي أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا، فأعطاه الله ليلة القدر»[٣].

وقد ذكر أن ليلة القدر توافق ليلة السابع والعشرين من رمضان؛ لكن النبي ﷺ لم يؤكد ذلك، فقد جاء في الحديث الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أريت ليلة القدر ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الغوابر»[٤].

وفي حديث عائشة «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان». وفي العشر الأواخر أيضا عتق من النار، ومن أعتق الله رقبته من النار لم يعذبه أبدا، ففي الحديث الذي أورده ابن ماجه والألباني من حديث جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عند كل فطر عتقاء، وذلك في كل ليلة»[٥].

### الهوامش

١- ابن خزيمة في صحيحه ١٩١/٣، البيهقي في الشعب ٣٢١/٥.
٢- البخاري ١٩١٣، مسلم ١١٦٩.
٣- تفسير البغوي، ص٤٩١.
٤- صحيح مسلم، ٨٢٥/١.
٥-أطراف المسند للحافظ ابن حجر، ٢٠٣/٧.

د. أشرف زاهر محمد
أستاذ مشارك بكلية العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

# كيف نعايش القرآن ولا نهجره؟

القرآن الكريم هو حبل الله الممدود إلى خلقه، فبقدر إقبالهم عليه يكون إقبال الله عليهم، ولذا فإن حظ الإنسان في الجنة بقدر حظه من القرآن. يقول النبي ﷺ: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها»[1].

والقرآن هو معجزة الإسلام الباقية إلى يوم القيامة، كان، ومازال، مقصد الناس؛ يرومون فيه الهداية من الحيرة، ويبتغون فيه الرشاد من الزيغ. ومما يشرح الصدور ويبهج القلوب في عصرنا اهتمام المسلمين بحروف القرآن اهتماما بالغا، كطباعته في مصاحف فاخرة، وتشييد الدور لحفظه وتلاوته، ورصد الجوائز للتنافس في ذلك المضمار. بيد أن الاقتصار على مثل هذه المظاهر وحدها لا تبرأ به ذمة المسلمين، ولا يرفع عنهم مسؤولية هجرانه من كل جانب؛ فهجر القرآن لا يقتصر على ترك تلاوته أو حفظه؛ بل للهجر أنواع كثيرة؛ ذكر ابن القيم منها خمسة، وهي: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه، وهجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به، وهجر التحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، وهجر تدبره وتفهمه، وهجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره. وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ (الفرقان:٣٠)[2].

وقد أبصر سلف الأمة تلك الحقيقة، فكانوا كما قال عبدالرحمن السلمي: «كنا نتعلم العشر من القرآن، لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نتعلم حلالها وحرامها، وأمرها ونهيها»[3]، والروايات المفيدة لتأنيهم في الحفظ كثيرة؛ وليس ذلك التأني دليلا على ضعف عنايتهم بالقرآن؛ بل لأنهم عايشوا القرآن؛ تدقيقا وتطبيقا، فتعلموا القرآن والعمل جميعا.

**هجر القرآن لا يقتصر على ترك تلاوته أو حفظه فقط**

وبهذا الفهم الرشيد ملكوا العرب ودانت لهم العجم، وفتحوا ممالك الدنيا، فلم يصلوا إلى كسرى وقيصر بنسخ جيدة من المصحف الشريف، أو بأسطوانات المصحف المرتل! كلا.. بل ذهب إليه قوم على درجة مذهلة من وعي القرآن، والاهتداء بأنواره، طهروا له وبه قلوبهم، وتعلقوا به حتى لامس شغاف قلوبهم، وخالط لحمهم ودمهم، فلما بلغوا تلك المكانة السامية في معايشة القرآن سادوا الأمم قاطبة، ولذا وجب علينا البحث في موروثنا وتاريخنا عما يعيننا على التأثر بالقرآن، ومعايشته كما كان سلفنا، ولعل مما يحقق بغيتنا:

١- تهيئة النفوس لمعايشة الحالة الإيمانية التي يتم بها الفهم والتدبر، والتعامل مع القرآن الكريم بكل

المشاعر والأحاسيس. يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ (الزمر:٢٣)، ومما يحقق ذلك حفظ الآيات في الصدر، ومرافقة أهل الصلاح، وعدم الانشغال بأي شاغل أثناء التلاوة، وألا يكون هم القارئ كثرة القراءة، والاعتناء بمعاني القرآن وترديد آياته للتدبر والتأثر، وقد ثبت أن النبي ﷺ قام بآية يرددها حتى أصبح[٤].

٢- أن نحسن نظرتنا إلى القرآن، فنعتقد فضله على سائر علوم وفنون البشر، بل وعلى سائر الكتب السابقة. ويكفينا أن نطالع شهادات فلاسفة من غير العرب بحثوا عن الحقيقة بإنصاف وموضوعية فاهتدوا للإسلام من خلال القرآن، ومن ذلك قول الفيلسوف الفرنسي جرينييه الذي كان عضوا في مجلس النواب الفرنسي، وقد سئل عن سبب إسلامه فقال: «إنني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها منذ صغري، وأعلمها جيدا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت؛ لأنني تيقنت أن النبي ﷺ أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة.. ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت لأسلم بلا شك، إن كان عاقلا خاليا من الأغراض»[٥].

ويقول إبراهيم خليل أحمد (وكان قسا يعمل في التنصير): «القرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه: من طب وفلك وجغرافيا وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ... ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف»[٦].

ويقول المستشرق شيبس إن: «القرآن هو كلام الله تعالى.. وليس في استطاعة محمد، ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة، أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء، ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة، لا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة، وتلك البلاغة التي لم أر مثلها قط، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات»[٧].

وتقول الباحثة البولونية يوجينا غيانة ستشيجفسكا: «إن القرآن الكريم مع أنه أنزل على رجل عربي أمي، نشأ في أمة أمية، فقد جاء بقوانين لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا في أرقى الجامعات»[٨].

## القرآن كتاب شامل كفيل بضمان حياة راغدة لكل البشر

٣- الشعور بأن هذا القرآن موجه لكل واحد منا، وأنه يخاطبنا لنعرف حقيقة أنفسنا، وحقيقة الكون والدنيا التي نحياها، والمصير الذي ينتظرنا لا محالة، ولو أننا تجولنا في كل واد نبحث عن هذه الحقائق فلن نجد الجواب عند المنظرين ولا الفلاسفة، بل نجده في كتاب الله.

٤- الالتفات إلى الأهداف الأساسية للقرآن من: الهداية، وبيان التوحيد، والأحكام الشرعية، وما يصلح أحوال الناس، ويقيم الأمة المسلمة التي تقود الدنيا برسالة القرآن في معركتها مع الشيطان وأتباعه، كما ينبغي أن نحرر النصوص القرآنية من قيود الزمان والمكان؛ فهو كتاب شامل، ومنهج حياة متكامل لكل زمان ومكان، وهو كفيل بضمان حياة آمنة راغدة لكل البشر. يقول ليوبولد فايس (النمساوي الأصل الذي اعتنق الإسلام وتسمى باسم محمد أسد): «القرآن الكريم جاء ليحل مشاكل العالم الحالية والمستقبلية.. أيا كان نوع هذه المشاكل ومهما كانت مستعصية»[٩].

بمثل تلكم المعايشات مع كتاب الله يمكننا، برحمة الله ورضوانه، أن نصل إلى خالقنا فنفوز فوزا عظيما، وتصل أمتنا إلى ما تصبو إليه من حياة عزيزة في الحال والمآل، وتحظى بخيري الدنيا والآخرة.

### الهوامش

١- أخرجه أبو داود برقم ١٤٦٤، والترمذي برقم ٢٩١٤، وقال: حسن صحيح.
٢- الفوائد لابن القيم، ص:٨٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ.
٣- أخرجه عبدالرزاق الصنعاني في المصنف برقم ٦٠٢٧.
٤- أخرجه النسائي برقم ١٠١٠، وابن ماجه برقم ١٣٥٠.
٥- أوروبا والإسلام، د. عبدالحليم محمود، ص:٨٧-٨٨، دار المعارف، ط. الرابعة.
٦- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، ص:٤٧-٤٨، مكتبة الوعي العربي، ط. الثانية، ١٩٦٥م.
٧- المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية، د. علي بن إبراهيم النملة، ص:٣١، بيسان، بيروت، ط. الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٨- المرجع السابق، ص:٤٦.
٩- الإسلام على مفترق الطرق، ص:٦، محمد أسد، دار العلم للملايين، بيروت، ط. السابعة، ١٩٨٤م.

شيماء بدير
كاتبة مصرية

# شهر التكافل

رمضان شهر التربية الروحية والأخلاقية والسلوكيات الفاضلة والتكافل الاجتماعي بين المسلمين، ومن مظاهره: صلة الأرحام وذوي القربى والسعي في قضاء حوائج المسلمين، وولائم الرحمن، وزكاة الفطر وفدية وكفارة الصيام، يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ (المائدة:٢)، وقول الرسول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه البخاري)، وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (رواه البخاري ومسلم). ومن مظاهر التكافل الاجتماعي في رمضان:

## صلة الأرحام وذوي القربى

من العادات الاجتماعية العظيمة في شهر رمضان التزاور بين الأسر والعائلات والقبائل والعشائر بطرق ووسائل مختلفة، ويقوي هذا من الروابط بين الناس، ولقد أمرنا الله بذلك في رمضان وفي غير رمضان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٧٥)، ويقول ﷺ: «من سره أن ينسأ له في أجله ويبسط له في رزقه فليصل رحمه» (رواه الترمذي)، وقال رسول الله ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة» (رواه الترمذي).

والصلة قد تكون معنوية بالتزاور، وقد تكون مادية من خلال الصدقات والهدايا ونحو ذلك مما أشار إليه الرسول ﷺ عندما سئل عن أفضل الصدقات فقال: «على ذي الرحم الكاشح» (رواه الترمذي)، وهو ما يتصدق به على قريبه الذي يعاديه ويضمر ذلك.

## قضاء حوائج المسلمين

من سبل الخير في رمضان وفي غيره من الشهور؛ السعي في قضاء حوائج الناس، ولقد أثنى النبي ﷺ على من يسعى في قضاء مصالح المسلمين، فقال: «إن لله خلقا اختصهم الله لقضاء حاجات الناس، يهرع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله» (رواه الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما)، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (رواه البخاري ومسلم).

## فدية وكفارة الصيام

من يسر الإسلام أن جعل لمن لا يستطيع الصيام فدية يستفيد منها الفقير والمسكين، يقول الله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٤)، كذلك أوجب الله على من يفطر عمدا في رمضان بسبب جماع زوجته أو غيره، عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا، وبذلك تساهم فدية وكفارة الصيام في التوسعة على الفقراء والمساكين، وتحقيق التكافل الاجتماعي.

## ولائم الرحمن

من مميزات شهر رمضان التراحم





والتقارب بين المسلمين من خلال ولائم الرحمن التي تقدم وجبات الإفطار والسحور للفقراء والمساكين وابن السبيل ونحوهم في المساجد وقاعات المناسبات، وهذا العمل الجليل يدخل ضمن قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ (الإنسان:٨-٩). لكن لابد أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله دون رياء وتفاخر، وهذه العادة العظيمة تساهم في تحقيق التكافل الاجتماعي وتدعم التنمية الاجتماعية.

### زكاة الفطر

ومما يميز شهر رمضان عن غيره من الشهور زكاة الفطر التي جاءت لحكمتين، هما: تطهير الصائم من اللغو والرفث اللذين وقعا منه في أثناء شهر رمضان، وإطعام المساكين ومواساتهم والتوسعة عليهم في العيد، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ (المعارج:٢٤-٢٥)، وقول الله عزوجل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٧٧).

ولقد أوجب رسول الله ﷺ صدقة الفطر على الصائمين، فقد ورد عن الصحابة أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر «صاعا من شعير، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين» (البخاري ومسلم)، ويقول ﷺ بشأن الصدقة والزكاة: «إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما» (رواه الطبراني).

إن شهر رمضان يساهم في تقوية القيم الإيمانية والأخلاقية عند المسلمين، ويدفعهم هذا ويحفزهم إلى فعل الخيرات حتى يفوزوا بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، ويمتد ذلك إلى ما بعد رمضان؛ مما ينمي شعور كل فرد في المجتمع بمسؤولياته تجاه إخوته لتحقيق الكفاية المعنوية والمادية، لاسيما المحتاجين والعاجزين والمعاقين ونحوهم، فالناس بخير ما تعاونوا، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢)، فكل مسلم مسؤول أمام الله عما استرعاه بحيث يتضامن ويتكافل الجميع لتحقيق الحياة الكريمة، وأساس ذلك قول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (رواه البخاري ومسلم).

والخلاصة أن شهر رمضان يساهم في تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع، فيساهم الأغنياء في توفير الحاجات المعيشية للمحتاجين والفقراء والمساكين، ويوثق العلاقات الاجتماعية بين الناس على مستوى الأسرة والأمة الإسلامية، وبذلك يتحقق المجتمع المتكافل الفاضل.

أحمد صالح البسطويسي
باحث في أصول الفقه والشريعة

# ملامح تربوية من شهر رمضان

الصوم مدرسة إسلامية عظيمة تربي الإنسان بكل مكوناته ومقوماته النفسية والجسدية والروحية والخلقية والاجتماعية؛ لما له من فوائد جمة تنمي الشخصية الإسلامية، إنه مدرسة تربوية كبرى يتربى فيها المسلم على الإيمان الحقيقي الذي تزينه التقوى والمراقبة والمراجعة والمحاسبة.

والصوم من أهم العوامل والمؤثرات التي تربط الإنسان بخالقه وتوقظه من غفلته فيندم على ما ارتكبه من المخالفات والآثام.

والصيام إعلاء للجانب الروحي على الجانب المادي في حياة الإنسان، وتربية للإرادة والذات، وتعويد على الصبر.. وهل الإنسان إلا إرادة؟.. وهل الدين إلا صبر على الطاعة، أو صبر عن المعصية؟.. وهذان النوعان من الصبر يتمثلان بكل وضوح في عبادة الصيام.

وفي الإنسان كما هو معروف جانب يجذبه إلى أسفل، وآخر يرفعه إلى أعلى، فإذا تغلب عنصر الطين والحمأ المسنون هبط إلى حضيض الأنعام، وإذا تغلّب عنصر الروح ارتقى إلى أفق الملائكة المقربين.

في شهر رمضان تتكامل العبادات بالتسليم بعضها لبعض في رضا وحبور، ينطلق الأذان فترتفع المصاحف، لتقام الصَّلوات، يحدوها الخشوع، والخضوع للحق، وتنتهي الصلوات فيبدأ التسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار، ثم تتناول الأيدي المصاحف من جديد؛ لتمتد مائدة الله بين المؤمن وربه في إقبال على الله، بغير إجبار أو تكلف؛ بل بكل المحبة والرضا والتسليم لله رب العالمين.

وفي شهر القرآن تصوم الأجساد عن الأكل والشرب، وتصوم القلوب عن الغل والحقد والحسد، وتصوم الألسن عن قول الزور والكذب والغش والسب والخوض في أعراض الناس.

إن صيام رمضان مدرسة متميزة، يفتحها الإسلام مرة واحدة لمدة شهر في كل عام.. إنها مدرسة التربية العملية على أعظم القيم، وأرقى المعاني، فمن تعرض لنفحات ربه فيها، وأحسن الصيام والقيام، فقد نجح في الامتحان، وخرج من هذا الموسم الكريم بتجارة رابحة مع خالقه عزوجل، وأي ربح أجمل من تحقيق المغفرة والعتق من النار؟...

ونعرض فيما يلي لبعض الملامح والقيم التربوية لشهر رمضان الفضيل:

**أولا: قيمة التميز**

بما أن الله تعالى قد ميز هذا الشهر العظيم عن باقي الشهور الأخرى بالخيرات والبركات التي لا تحصى ولا تعد، فإنه حري بالمؤمن، تبعا لذلك، أن يعظم هذا الشهر وأن يكون هو الآخر متميزا بين الخلائق بالأخلاق الفاضلة، وأعمال البر، وأن يتميز كذلك في تفكيره وسلوكه وعلاقاته وسائر معاملاته، وفي طريقة عيشه، وأيضا في رؤيته وتصوره للإنسان والكون والوجود والطبيعة والحياة. كل هذا، يجعله قد لبس الحلية الرمضانية التي نسجت من خيوط ربانية نورانية لا تبلى ولا تسمل على مر الأزمان والدهور.

إن العقيدة المبنية على التوحيد وإخلاص العبودية لله وحده هي التي تحدد انتماء العبد ومصيره في الدنيا والآخرة. وكذلك نظام المعاملات إذا لم يكن مؤسسا على القيم الأخلاقية



الخالصة ومتميزا عن باقي القيم الجاهلية الأرضية يظل أجوف لا قيمة له في سلم القيم الربانية؛ فرمضان يربي المؤمن على مبدأ التميز في المجتمع الإنساني العام، إنه أمر مطلوب من المؤمن في كل أحواله وسكناته وحركاته، لكن وفق النموذج الرمضاني القرآني. وبالتالي، يعتبر التميز معيارا لتقييم سلوكيات العباد وتصوراتهم وتصرفاتهم، وبه يتم تصنيف مراتب الناس ودرجاتهم. فالتقوى، مثلا، معيار أخلاقي يستوي فيه الأبيض والأسود والعربي والأعجمي، لا فرق بينهم إلا بهذا المبدأ القيمي رغم وجود فارق اللون والجنس وغيرهما من الفوارق الدونية. وكذلك العلم، فالله تعالى جعل هذه الأمة القرآنية أمة العلم والمعرفة، إذ لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم، لأن الله يحب أن يعبد عن علم وليس عن جهل.

**ثانيا: قيمة الحرص**

يبدو المؤمن في هذا الشهر الكريم أكثر حرصا على فعل الخيرات وسلوك سبل البر والحسنات. فتراه يواظب على الصلاة في وقتها جماعة، ويكثر التردد على بيوت الله، والاستماع إلى دروس الوعظ والإرشاد. كما يخصص وردا يوميا للذكر وتلاوة القرآن. ويتفقد أفراد عائلته فيزورهم ويدعوهم إلى مائدة الإفطار في بيته. ويلجم نفسه عن السقوط في الرذائل

## الصيام يربي في المسلم وازعا يصده عن مخالفة مبادئ دينه وأخلاقه

وسفاسف الأعمال ومحقرات الأقوال. إنه يكون حريصا على ألا يصدر منه إلا طيب، مانعا نفسه من كل خبيث مهما كان نوعه. والدنيا لا تسعه في هذا الشهر المبارك، فكأنه يعيش في جنة فوق الأرض بما أحاط الله هذا الشهر من يمن ورحمة وسكينة وبركة. إن هذا الحرص على مكرمات الأفعال، وفضائل الأعمال، يخلق لدى المؤمن عادة جميلة تأصلت في نفسه، وتجذرت في كيانه، وصارت دماء تسري في عروقه وشرايينه. فالعادة عندما تتأصل في المرء وتترسخ تصبح صفة ملازمة له وسمة لا تفارقه.

**ثالثا: قيمة الصبر**

يتدرب المؤمن في رمضان على الصبر على الجوع والعطش والامتناع عن الشهوات. ويقوم المؤمن بعد ذلك بتعميم خصلة الصبر التي تعلمها من صيامه على جميع نواحي حياته الأخرى، فيتعلم الصبر على تحمل مشاق السعي وراء الرزق، وآلام المرض، ومتاعب الحياة ومصائبها، ونكبات الدهر.

والصبر من الخصال الإنسانية الحميدة التي أوصى الله تعالى بها المؤمن، فهي خير معين له على تحمل مشاق الكفاح في الحياة، ومجاهدة النفس، ومقاومة أهوائها وشهواتها.

وإذا تعلم العبد الصبر على تحمل مشاق الحياة، ومصائب الدهر، والصبر على أذى الناس وعداوتهم، والصبر على عبادة الله وطاعته، وعلى مقاومة شهواته وانفعالاته، والصبر على العمل والإنتاج، فإنه يصبح إنسانا ذا شخصية ناضجة متزنة متكاملة منتجة وفعالة، ويصبح عصيا على القلق، وفي مأمن من الاضطرابات النفسية والهلوسات الشيطانية.

**رابعا: الانضباط وقوة الإرادة**

إنّ تحلي المؤمن بهذه الخصلة، خصلة الصبر الرائعة، في حياته يولد لديه خصلة الانضباط الذاتي التي تجعله يضبط شهواته ويسيطر عليها مدة شهر كل عام، وسيؤدي ذلك، دون أدنى شك، إلى تعليم الإنسان قوة الإرادة، ومضاء العزيمة، لا في التحكم في شهواته فقط، وإنما في سلوكه العام في الحياة، وفي القيام بمسؤولياته وأداء واجباته، ومراعاة الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال. وفي ذلك أيضا تربية لضمير الإنسان، فيصبح ملتزما على الدوام بالسلوك الحسن الأمين بوازع من ضميره من غير حاجة

إلى رقابة عليه.

إن أسمى ما يصل إليه المرء من خلال الصيام هو المراقبة الذاتية التي ترسم الحدود ولا تتعداها، وتقف عند الموانع ولا تتجاوزها، وتتبصر الشبهات ولا تقع فيها. إن هذا التحكم الآلي الذاتي لا يحس بلذته وحلاوته إلا من صام هذا الشهر إيمانا واحتسابا. وهذه الخصلة عندما تتأصل في العبد تراه دائما يتحرك ويتصرف بانضباط واعتدال واتزان، وكأنه يعمل وفق منظومة أخلاقية مبرمجة داخل الذات فلا يمكن أن يحيد أو يزيغ عنها.

ولعل هذه الخصلة هي غاية ما يصل إليه المرء وهو يصوم ويعبد الله خلال هذا الشهر العظيم. فالصوم وظيفة فردية أولا، قبل أن يكون وظيفة جماعية. فالعبد مثلا لو أراد أن يفطر أو يأتي ببعض الأعمال المفطرة فمن يمنعه من ذلك؟ أو من سيراه من الخلق وهو يرتكبها؟

إذن، فالصيام يربي في الإنسان وازعا دينيا وأخلاقيا يصده عن فعل ما يناقض مبادئ دينه وقيمه الأخلاقية، وزيادة على ذلك، فهو يمنحه المناعة

## بالصبر يصبح الإنسان ذا شخصية متزنة منتجة وفعالة

الذاتية والحصانة النفسية حتى لا يقترب من كل ما يلوث شخصيته وخلقه. وبالتالي فإنه سيمضي في طريق الطاعة، وفي مسالك الواجبات التي يطالب بها مجتمعه، دونما حاجة إلى رقيب أو مراجع، لأن الإنسان في هذه الحال سيحاسب نفسه، وينتقد ذاته، فيصير مواطنا كاملا، وفردا مأمونا في كل الأحوال. كما يغرس فيه عادة النظام، لأنه يصوم بميقات، ويفطر بميقات، ويشعر بروح جماعية كبرى حين يتذكر أن ملايين المؤمنين يصومون ويفطرون مثله، فلا عجب فكلهم أبناء عقيدة واحدة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠).

**خامسا: استحضار المعاني الربانية**

يعلم المؤمن جيدا، شرعا وعقلا، أن هذا الشهر يعتبر من أعظم الشهور عند الله تعالى، ففيه أنزل القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية وناسخها، وفيه كذلك حدثت أكبر غزوة في تاريخ الإسلام، غزوة بدر، وكان فيها النصر للمسلمين، وما يزيده عظمة، أيضا، أن الصوم سر مودع في أمانة المؤمن، وجزاؤه متروك لله عزوجل كما ورد في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» (رواه البخاري ومسلم)، والأعمال والحسنات في هذا الشهر الكريم تكون مضاعفة أضعافا كثيرة ويزيد الله لمن يشاء.

إن استحضار المؤمن هذه المعاني الربانية العظمى لشهر رمضان يزيده تحفزا إلى الاستزادة من فعل الخيرات، ويقوي إرادته وعزيمته على مواصلة العمل الطيب، والاستمرار على هذا النهج الرمضاني على امتداد شهور العام كله، ويتواصل ليشمل العمر بكامله، ويغطي المساحة الزمنية المعيشة.

والشيء الجميل، في هذا الشهر الكريم، والذي يدخل الفرح في نفسية المؤمن، أنه يتكون لديه اقتناع يقيني بالنصرة الإلهية، وأنه منصور من



لدن الله عزوجل، وأن الله تعالى وعد عباده المؤمنين بالنصر والتأييد، وذلك حق عليه تعالى. كما يدرك المؤمن أيضا، أن من ارتضى النصرة والعون من غير الله فما له من ولي ولا نصير، ومآله الذل والهوان. بالإضافة إلى ذلك، يتوصل العبد إلى أن هذا النصر الإلهي لا يتحقق إلا بالأخذ بالأسباب وبذل الجهد والعمل والحركة، وذلك قانون إلهي حتمي في كونه.

**سادسا: فوائد نفسية واجتماعية وصحية**

من الفوائد النفسية والاجتماعية التي يجنيها الصائم من صيامه في هذا الشهر الفضيل أنه يشعر بآلام الجوع إن كان من طبقة الأغنياء، ويبعث في نفسه عاطفة الرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين، فيدفعه ذلك إلى البر بهم والإحسان إليهم، والقيام بأمر المحتاجين، والرعاية في هذه الحياة، مما يقوي في المجتمع روح التعاون والتضامن والتراحم والتكافل الاجتماعي.

إضافة إلى ذلك، فإن في الصيام تربية وتهذيبا وعلاجا لكثير من أمراض النفس والجسم، فهو يعمّق في نفسية المؤمن مشاعر وأحاسيس نبيلة كالفرح والحلم والرحمة والشفقة والتسامح. ويدرك العاقل أن هذه المشاعر لا تتقوى ولا تحضر بشكل كبير إلا في هذا الشهر العظيم، ومن ثم يكون خليقا بالمؤمن أن يستغل هذه المحطة الإيمانية وينهل منها، ويتزود بما لذ وطاب من القيم والأخلاق الكريمة، لكي تعينه وتساعده في مسيرة حياته، ويتقوى بها لتفادي جميع الأمراض النفسية والاجتماعية التي قد تعترض سبيله.

أما الفوائد الصحية للصيام فهي كثيرة، ويكفي أن نقول في هذا السياق: إن الأطباء ينصحون بالصوم في كثير من حالات المرض كعلاج للوصول إلى العافية والشفاء.

وفي رمضان، أيضا، يتذكر المؤمن أن دوام الحال من المحال، فمن غنى إلى فقر، ومن شبع إلى جوع، ومن استغناء إلى احتياج، فإذا لم يتعود الإنسان على هذه الأحوال المختلفة لم يقو على مواجهة نوائب الزمان، ومصائب الدهر؛ لأن الحياة غير مأمونة العواقب، فهي يوم لك ويوم عليك. ولهذا قال عمر الفاروق رضي الله عنه: «اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم».

إن أهم ما يجب أن يصل إليه المرء خلال هذا الشهر العظيم، أن يشعر ويدرك أنه ليس مأمورا بفعل هذه الفريضة بقدر ما يشعر عقلا وشعورا بأنه منغمس في حب رب هذه الفريضة، وبالتالي فهو يقوم بها حبا لمن كتب هذه الفريضة. وعليه يكون فعله وعمله وكل حركاته وإحساساته هي، ضمنيا، سلوك حب، وفعل رضا؛ لأن الذي جعله يأتي بهذا الأمر الإلهي ليس هو الأمر ذاته وإنما حب صاحب هذا الأمر.

وبناء عليه، يكون الحب الإلهي هو مصدر فعل المأمورات وترك المنهيات واجتناب المشتبهات. ولا يتم هذا الحب الإلهي إلا بحب النبي ﷺ، فهو الذي علمنا كيف نصوم وكيف نأتي بباقي الفرائض والعبادات الأخرى، وإليه يرجع الفضل في تعليمنا كيف نحب الله، وكيف نكون من المقربين لديه، ومن المذكورين عنده في ملئه الأعلى.

محمد جمال المغربي
كاتب صحفي

# قبسات رمضانية...

خمسة حروف هي بنيان كلمة «رمضان» ذلك الشهر الكريم الذي اقتضت حكمة الله تعالى تفضيله على سائر الأشهر الهجرية، بل وخصه بفضائل وخصائص فريدة تميزه وتفرده عن باقي الشهور الهجرية، فلم يجعله عزوجل شهرا للصيام فقط، بل اختصه بفضائل ونفحات وبركات يفيض ريحها على المسلمين.

فبداية أنزل الله تعالى في هذا الشهر الكريم القرآن يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥)، وجعله وسيلة لتطبيق ركن من أركان الإسلام الخمسة وهو الصوم يقول الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ واختص الله الصوم ليجازي به عباده بنفسه كيفما يشاء، ولعظمة ثوابه جعل ثوابه غير معلوم، وجعل الصدقة فيه من أفضل الصدقات.



وفي شهر رمضان تصفد الشياطين، وتغلق أبواب النار وتفتح أبواب الجنة فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «هذا شهر رمضان جاءكم تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتسلسل فيه الشياطين» (أخرجه البخاري في صحيحه).

وقد جعل الله تعالى العمرة فيه بمنزلة حجة في الثواب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة» (أخرجه مسلم في صحيحه)، والمعادلة هنا في الثواب فقط، وعليه فلا تسقط فريضة الحج عن أي شخص تنطبق عليه الشروط.

ومن فضائل شهر رمضان الاعتكاف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف زوجاته من بعده» (أخرجه البخاري في صحيحه).

وخصص الله تعالى بابا في الجنة لا يدخله إلا الصائمون اسمه باب «الريان»، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون» (رواه البخاري)، وفي هذا تكريم عظيم للصائمين، فللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه.

والصوم يأتي يوم القيامة شفيعا لصاحبه، فمن صام يوما في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا، وفي رواية مسيرة عام، فكيف الحال بصيام شهر رمضان؟! وجعل الله تعالى أجر المسلم في عبادته في رمضان مضاعفا، فصلاة السنن فيه بثواب صلاة الفرائض، فكيف حال ثواب صلاة الفرائض نفسها؟!

ورمضان شهر «العتق من النار» ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إذا كان أول ليلة في شهر رمضان صُفِّدت الشياطين ومَرَدَة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، ينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» (رواه الترمذي)، وهو شهر «الصبر» أيضا؛ فعبادة الصوم أجمل ما فيها الصبر، ففيه يحرم الصائم من شهواته وملذاته، طاعة لله وانصياعا لأوامره، لهذا قيل إن الصوم نصف الصبر، وجزاء الصبر الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)، وهو شهر «الجود والإحسان»، فكان الرسول ﷺ أجود ما يكون في شهر رمضان، كما ثبت في الصحيحين، فصيام رمضان يذكر العبد بحاجة إخوته من الفقراء والإحسان إليهم يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣) فأوضح الله لنا سبب الصيام وهو تقوى الله عزوجل.

يقول العلامة ابن باز رحمه الله واصفا شهر رمضان: «إنه شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنات، وتضاعف فيه الحسنات، شهر تجاب فيه الدعوات، وترفع فيه الدرجات، وتغفر فيه السيئات، شهر يجود فيه الله سبحانه وتعالى على عباده بأنواع الكرامات، ويجزل فيه لأوليائه العطايات، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام، فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه، وأخبرنا أن من صامه إيمانا واحتسابا غفر الله ما تقدم من ذنبه، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، فعظموه رحمكم الله بالنية الصالحة والاجتهاد في حفظ صيامه وقيامه، والمسابقة فيه إلى الخيرات، والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من جميع الذنوب والسيئات، واجتهدوا في التناصح بينكم، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم».



د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (١٩)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

## المتفق والمفترق في اسم (الدارمي):

### ١- أبو محمد الدارمي (ت:٢٥٥هـ):

هو أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل التميمي الدارمي السمرقندي، من حفاظ الحديث، مفسر، فقيه.

ولد سنة: (١٨١هـ)، وسمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان من خلق كثير، وأظهر علم الحديث والآثار بسمرقند، واستقضي على سمرقند، فقضى قضية واحدة، واستعفى فأعفي.

من مصنفاته: (المسند) في الحديث، و(الجامع)، و(التفسير)، و(الثلاثيات).

توفي يوم التروية بعد العصر، ودفن يوم عرفة[١].

### ٢- أبو سعيد الدارمي (ت:٢٨٠هـ):

هو أبو سعيد عثمان بن سعيد ابن خالد الدارمي السجستاني الشافعي، محدث، متكلم.

ولد قبل سنة: (٢٠٠هـ) بيسير، وطلب الحديث في الأمصار، وكان لهجا بالسنة، بصيرا بالمناظرة.

من مصنفاته: (النقض على بشر المريسي)، و(الرد على الجهمية)، و(المسند الكبير) وغيرها.

توفي في شهر ذي الحجة[٢].

### ٣- أبو الفرج الدارمي (ت:٤٤٩هـ):

هو أبو الفرج محمد بن عبدالواحد ابن محمد الدارمي البغدادي الشافعي، نزيل دمشق، فقيه، متكلم، شاعر.

ولد ببغداد سنة: (٣٥٨هـ)، ثم انتقل إلى دمشق فاستوطنها.

من مصنفاته: (جامع الجوامع ومودع البدائع) في الفقه الشافعي، قال الإسنوي: مطول مبسوط يشتمل على غرائب كثيرة، و(الاستذكار) كتب عليه بخطه أن غالبه من كلام ابن المرزبان.

توفي في شهر ذي القعدة بدمشق، ودفن في مقبرة باب الفراديس[٣].

## المتفق والمفترق في اسم (الحاكم):

### ١- أبو الفضل الحاكم (ت:٣٣٤هـ):

هو أبو الفضل محمد بن محمد ابن أحمد المروزي السلمي البلخي، الشهير بالحاكم الشهيد، قاض وزير، كان عالم (مرو)، وإمام الحنفية في عصره.

ولي قضاء بخارى، ثم ولاه الأمير الحميد صاحب خراسان وزارته.

من مصنفاته: (الكافي)، و(المنتقى)، و(المستخلص)، كلها في فروع الحنفية.

وقتل شهيدا في الري في شهر ربيع الآخر[٤].

### ٢- أبو أحمد الحاكم (ت:٣٧٨هـ):

هو أبو أحمد محمد بن محمد ابن أحمد النيسابوري الكرابيسي، ويعرف بالحاكم الكبير، محدث خراسان في عصره.

ولد سنة: (٢٨٥هـ)، تقلد القضاء في مدن كثيرة، منها الشاش، وحكم بها أربع سنين، ثم طوس، وعاد إلى نيسابور فأقبل على العبادة والتأليف.

من مصنفاته: (الأسماء والكنى)، و(العلل)، و(المخرج على كتاب المزني)، و(الشيوخ والأبواب)، و(شرح الجامع الصحيح) وغيرها من المصنفات.

وكف بصره آخر عمره، وتوفي بنيسابور في شهر ربيع الأول[٥].

### ٣- أبو عبدالله الحاكم (ت:٤٠٥هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله ابن حمدويه الضبي الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه.

ولد بنيسابور سنة: (٣٢١هـ)، رحل إلى بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ، وكان من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه.

وولي قضاء نيسابور، ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع.

من مصنفاته: (تاريخ نيسابور)، و(المستدرك على الصحيحين)، و(الإكليل)، و(المدخل في أصول الحديث)، و(تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم)، و(معرفة علوم الحديث) وغيرها من المصنفات[٦].

**الهوامش**

١- ينظر سير أعلام النبلاء (٢٢٤/١٢) ومعجم المؤلفين (٧١/٦) والأعلام للزركلي (٩٦/٤).

٢- ينظر سير أعلام النبلاء (٣١٩/١٣) ومعجم المؤلفين (٢٥٤/٦) والأعلام للزركلي (٢٠٥/٤).

٣- انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢/١٨) ومعجم المؤلفين (٢٦٦/١٠) والأعلام للزركلي (٢٥٤/٦).

٤- انظر: الجواهر المضية (١١٢/٢) والفوائد البهية (ص١٨٥) ومعجم المؤلفين (١٨٥/١١) والأعلام للزركلي (١٩/٧).

٥- انظر: الوافي بالوفيات (١١٥/١) ومعجم المؤلفين (١٨٠/١١) والأعلام للزركلي (٢٠/٧).

٦- انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦/١١) ومعجم المؤلفين (٢٣٨/١٠) والأعلام للزركلي (٢٢٧/٦).

أ.د. عبدالله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين - بني ملال - المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها

(الحلقة ٧)

قال أبو تمام:
هن الحمام، فإن كسرت عيافة
من حائهن فإنهن حمام

**ومن أسباب وتجليات المكر اللغوي:**

**٢- الخط**

الخط صورة وهندسة وصياغة للكلام، وتجسيد لصور المباني، وتقييد لنتائج الفكر، ومخبر عن مآثر الأسلاف، وسلك الكلام، موضوعه نبع لا يغيض، وكنز لا ينفد، لذلك فإن التقصير في مراعاة ضوابطه يذهب بهيبة الكتاب وسلطة الدول. ومعلوم أن الكتابة التي كان الناس يستعملونها في البدء هي الكتابة الصورية الرمزية؛ حيث كان الأوائل يصورون الشيء المقصود رامزين بذلك إلى ذاته، أو إلى صفة من صفاته المميزة. ويقدم لنا ابن وحشية طريقة الهرامسة النبطيين في الكتابة على هذه الشاكلة: «فإنهم قوم أكثر ما يعتمدون عليه في أشكال الحروف على صور الحيوان، ويرتبونه بحسب الوضع الطبيعي، ويقولون إن لكل شكل صورة تدل على أسرار ما خفي من بواطنها. مثال ذلك إذا أرادوا أن يصفوا ملكا شجاعا ذا هيبة ومكر وبخل، يجعلون صورة إنسان رأسه كرأس أسد، وبين يديه ذئب يشير إليه بأصبع واحد، وإن أرادوا وصفه بالعقل والذكاء والفطنة والحكمة، جعلوا صورة إنسان رأسه كرأس الفيل، وهو يشير بأصبعه إلى قرد جالس، وإن أرادوا وصفه بالعدل والكرم والجود، جعلوا صورة إنسان رأسه كرأس طائر باسط يديه صورة برج الميزان وصورة الشمس والقمر... فانظر يا ولدي إلى هؤلاء القوم، وما وضعوه من الرموز والأشكال التي لم يعرفها سواهم، التي هي مفاتيح خزائن الكنوز، وما قد احتوت عليه من أسرار علوم الأولين والآخرين، الذي يكل كل عارف عن معرفة جزء، فكيف كله. وعلى هذا القياس لا يمكن الاحتياط بكلية أمورهم، وإنما وضعنا وذكرنا أمورا، بحيث الحكيم العارف بمأوى الأشياء وغاياتها وعللها وحركاتها وتنقلاتها وأدوارها يدرك البعض بالبعض، فيتصل بمعرفته إلى خفايا أسرار العالم. وفي هذا القدر كفاية لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد»[1]. وعندما بلغت الكتابة اللفظية العربية الغاية في الحسن والتهذيب وجمال الوضع واعتدال الأقسام، وتفتقت أكمتها عن أحلى الخطوط وأجودها، لم يجد ملوك الروم غضاضة ولا حرجا أن يعلقوا على أبواب بيعهم الخط العربي الذي استحسنوا صوره وأشكاله المعتدلة اللطيفة؛ التي يضاهي صعود ألفاته ولاماته، حدور راءاته وواواته، وانفتاح صاداته وطاءاته، اختلاس تاءاته وحاءاته.

تأسيسا على هذه الحقيقة البدهية، فإن المتصدي لموضوع المكر في الخط العربي يحتاج إلى إنعام النظر واختلاس أسراره ومعارفه من أهله المهرة الذين ضربوا في قداح الإخفاء بأعلى السهام، لأن خدع الخطوط تقع مخبأة لا تعن للآخرين ولا يتفطن إلى كيدها وخبيئها إلا الذين غذوا من أسرار إخفاء النيات بأخلاف، الذين لهم قدم راسخة في عجائب الخط العربي وأوفرهم حظا بالمكايد، وأقمنهم بالدراية بالخبايا على شاكلة هذه الحكاية التي وقعت بين علي بن منقذ والملك محمود ابن صالح بن مرداس الذي قرر الانتقام من ابن منقذ بعد خلافه معه وهروبه من حلب: «وأدق من هذا كله وألطف ما يحكى عن رجل من المناقذة أصحاب شيزر، وهو أولهم الذي استنقذه من أيدي الروم بالمكر والخديعة.. وكان قبل ملكه إياها في خدمة محمود بن صالح صاحب حلب، وكان إذ ذاك يلقب بسديد الملك، فنبا به مكانه، وحدثت له حادثة أوجبت له أن هرب ومضى إلى مدينة ترابلس في زمن بني عمار أصحاب البلد، فأرسل إليه ابن صالح واستعطفه ليعود



إليه، فخافه ولم يعد، فأحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقا لابن منقذ، وبينه وبينه لحمة مودة أكيدة، وأجلسه بين يديه، وأمره أن يكتب إليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود، فما وسعه إلا أن يكتب وهو يعلم أن باطن الأمر في ذلك خلاف ظاهره، وأنه متى عاد ابن منقذ إلى حلب هلك، فأفكر وهو يكتب في إشارة عمياء لا تفهم؛ ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ، فأداه فكره أن كتب في آخر الكتاب عند إنهائه «إن شاء الله تعالى» وشدد إن وكسرها، ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح، فوقف عليه، وأرسله إلى ابن منقذ، فلما صار في يده وعلم ما فيه قال: هذا كتاب صديقي، وما يغشني، ولولا أنه يعلم صفاء قلب ابن صالح لي لما كتب إلي ولا غرني، ثم عزم على العود، وكان عنده ولده، فأخذ الكتاب وكرر نظره فيه، ثم قال له: يا أبت، مكانك، فإن صديقك قد حذرك، وقال: لا تعد، فقال: وكيف؟ قال: إنه قد كتب إن شاء الله تعالى في آخر الكتاب، وشدد إن وكسرها، وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدر مثله عن سهو. ومعنى ذلك أنه يقول: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك، وإن شككت في ذلك فأرسل إلى حلب»[٢]، هذا النص يعلمنا أن الخط لسان اليد، وأن الشكل يصون عن الإشكال، ولاسيما إذا صدر عن العارف الحاذق الماهر بالكتابة والترقين والشكل، كما يعلمنا أن الإمعان في النظر والتيقظ والتبصر وتلمح الأسرار بقدح زناد الفكرة والقريحة عندما يعمى علينا الأمر، يجعلنا نلمح أعقاب الأمور فنرعوي ونقطع أطماع الماكرين، كما تلمح ولد ابن منقذ خفايا وغوامض طريقة شكل عبارة «إن شاء الله» لم يربع ولم يتوقف عن التفكير حتى تبلج تدبره صبحا أظهر وجه الرأي المحصد الصائب، مدركا خيوط العنكبوت بالغة الدقة في خط صديق والده، طالبا من أبيه ألا يفعل ما عزم عليه إذا أراد أن يأمن غدر وكيد ابن صالح؛ بعد أن تنبه إلى باطن حيلة الكاتب الذي حذر صديقه بعدم العودة، لأن مثل هذا الخطأ في ضبط «إنْ شاء الله» هكذا: «إنَّ شاء الله» لا يمكن أن يصدر عن كاتب ماهر صناع إلا إمعانا منه في إخفاء ما يريده ابن صالح من سوء بالمرسل إليه، معللا «إنَّ» بالرجوع

إلى ذخيرته، مستحضرا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص:٢٠). فكتب الأمير إلى الملك رسالة جوابية يطمئنه ويذكره بالنعم التي أنعم بها الملك عليه، خاتما رسالته بقوله: «إنَّا الخادم المقر بالنعم»، فلما اطلع الكاتب على رسالة سجيره وصديقه تنبه إلى فطنة الأمير ونجاته من الملك، لكتابته «إنَّ» هكذا «إنَّا» التي تشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ (المائدة:٢٦) التي قالها أصحاب موسى عندما أمروا بالقتال والدخول إلى الأرض المقدسة، وعند ذلك اطمأن الكاتب من نجاة صاحبه. وهو درس بليغ خلده التاريخ في العبارة التي نرددها صباحا ومساء «في القضية إنَّ» من دون أن نفكر في معرفة أسبابها، ولماذا تلوكها الألسنة كلما انتابتنا الشكوك حول قضية من القضايا.

وفي هذا الشأن المرتبط بشكل الكلمة يروى أن امرأة عادت الإمام الشافعي في مرض ألم به، فقالت له: يُشفيك الله بضم الياء، فقال الشافعي: «اللهم بقلبها لا بلسانها»، لأن «يُشفي» تعني: يهلك، لأن الصحيح بفتح الياء «يشفيك» من: شفي يشفي، أما أشفى يشفي فإن همزة الإزالة قلبت المعنى إلى الضد وهو الهلاك. قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء:٨٠).

ومن هذا الوادي الذي سلك شعاب المكر والدهاء ولبس جلد النمر، مبتعدا عن محراب الحقيقة المكين، تخلف أحد الفقهاء المعروفين عندما بايع هارون الرشيد لأولاده الثلاثة بولاية العهد، «فقال له الرشيد: لم تخلفت؟ فقال: عاقني عائق، فقال: اقرأوا عليه كتاب البيعة، فقال يا أمير المؤمنين هذه البيعة في عنقي إلى قيامي الساعة، فلم يفهم الرشيد ما أراد، وظن أنه إلى قيام الساعة يوم الحشر، وما أراد الرجل إلا قيامه من المجلس»[٣]، فعلى الرغم من أن العبارة مفهومة، إلا أن خلط نطق «قيام»، التي تخالف طريقة كتابتها «قيامي» موه على الرشيد الكشف عن المعنى الخفي الماكر الذي قصده الفقيه.

وتظهر خلابة ما أومأت إليه عند الوقوف على حقيقة هذا النص الشعري الذي فاز بالخلابة، وبلغ الغاية التي لا أمد بعدها، حيث إن الكاتب ابن المدبر الضبي إذا جاءه شاعر مادحا وقصر في مدحه، يأمر غلامه بأن يمضي بالشويعر إلى المسجد الجامع لا يفارقه حتى يصلي مئة ركعة؛ وبذلك لم يجرء أحد بمدحه إلا إذا كان شاعرا مفلقا تتبدى حلل البيان منشرات في ما يقول على شاكلة الشاعر أبي عبدالله الحسين ابن عبدالسلام المعروف بالجمل الذي فتح أقفال صناديق الممدوح، وعثر على معادن الصنعة، ولعب بحركتي مبنى صوت «الصاد» في البيت الخامس لعب النوم بأجفان المؤرق قائلا:

**أردنا في أبي حسن مديحا**
**كما بالمدح تنتجع الولاة**
**وقلنا أكرم الثقلين طرا**
**ومن كفاه دجلة والفرات**
**فقالوا: يقبل المدحات لكن**
**جوائزه عليهن الصلاة**
**فقلت لهم وما تغني صلاتي**
**عيالي، إنما الشأن الزكاة**
**فيأمر لي بكسر الصاد منها**
**فتصبح لي الصلاة هي الصلات**

فضحك ابن المدبر مستظرفا كلامه، وأحسن صلته، ثم سأله عمن استمد منه مثل هذا، فقال له من الشاعر أبي تمام في قوله:

**هن الحمام، فإن كسرت عيافة**
**من حائهن فإنهن حمام**

ومن تاقت نفسه إلى الاستزادة على ما أسلفت من كلام البلغاء الذين ألبسوا عباراتهم بردات استبرقية، من صنف ما دق وغمض أورد له هذه الملحة التي تظهر أن التلاعب بكيفية الكتابة يولد ضروبا من المكر الذي تخفيه الكلمات، حيث إن أبا نواس كتب معرضا بـ «خالصة» جارية هارون الرشيد وعلق البيت الشعري على باب منزلها قائلا:

**لقد ضاع شعري على بابكم**
**كما ضاع حلي على خالصة**

فلما اطلعت خالصة وزكنت معنى البيت، شكته إلى هارون الرشيد، فأرسل إليه غاضبا، مستفسرا أبا نواس لماذا يعرض بجاريته؟ فقال أبو نواس ما الأمر يا أمير المؤمنين؟ فقال قولك: لقد ضاع شعري... وفي الحين استدرك أبو نواس قائلا لعلمه أن الكلمة التي استعملها «ضاع × ضاء» زليقة الصراط، قد عمل فيها عمل كيد الشيطان وتدبيره: لم أقل ذلك يا أمير المؤمنين وإنما قلت:

**لقد ضاء شعري على بابكم**
**كما ضاء حلي على خالصة**

فسكن غضب الرشيد وضحك ثم وصله بهدية. ويقال: إن هذه الواقعة ذكرت بحضرة أحد القضاة فقال:

هذا بيت قلعت عيناه فأبصر[٤].

وإذا كان لابد أن أكاثر من الشواهد الضاربة في المكر بعرقه، وفي الدهاء بحذقه وخفائه الذي يلبس على القارئ، فإنني أشير إلى الطرائق التمويهية المبتدعة في أدب المناظرة، والتي تتناهى في الخفاء إلى أقصى الغايات؛ ويعد بديع الزمان الهمذاني رأس هذه الطائفة من الكتاب الذين لمعت في كتاباتهم نجوم الدهاء، وأضاءت فيها مصابيح المكر، وعصفت فيها ريح الغموض والتمهر في اللغة، وإغراق المعنى في ضروب من الخفاء التي لا مطمع للمطلع عليه في الوصول إلى ثلج اليقين. وهناك شواهد عديدة تنهض دليلا لا يرد ولا يجحد، مثل النصوص التي إذا فسرت على وجه كانت مدحا، وإذا فسرت على وجه آخر كانت قدحا، والنصوص التي تقرأ معكوسة بسهولة مثل هذا النص: «اللّه شاء إن المحاضر، صدور بها وتملأ المنابر، ظهور لها وتفرع الدفاتر، وجوه بها وتمشق المحابر، بطون لها ترشق...» الذي تسهل قراءته من عكسه كما يأتي: «ترشق لها بطون المحابر، وتمشق بها وجوه الدفاتر، وتفرع لها ظهور المنابر، وتملأ بها صدور المحاضر إن شاء اللّه...»[٥]، والنصوص التي إذا قرئت بدت مديحا، وإذا عكست كانت هجاء على شاكلة هذين البيتين:

**حلموا فما ساءت لهم شيم**
**سمحوا فما شحت لهم منن**
**سلموا فما زلت لهم قدم**
**رشدوا فما ضلت لهم سنن**

أما قراءتهما عكسا فتكون هجاء كما يأتي:

**منن لهم شحت فما سمحوا**
**شيم لهم ساءت فما حلموا**
**سنن لهم ضلت فما رشدوا**
**قدم لهم زلت فما سلموا**

وقد أورد صاحب معجم عجائب اللغة أبياتا في المدح على هذه الشاكلة[٦]:

**إذا أتيت نوفل بن دارم**
**أمير مخدوم وسيف هاشم**
**وجدته أظلم كل ظالم**
**على الدنانير أو الدراهم**
**وأبخل الأعراب والأعاجم**
**بعرضه وسره المكاتم**
**لا يستحي من لوم كل لائم**
**إذا قضى بالحق في الجرائم**
**ولا يراعي جانب المكارم**
**في جانب الحق وعدل الحاكم**

وإذا اكتفى المرء بقراءة أشطرها الأولى، تحول المدح هجاء على هذا الطراز:

**إذا أتيت نوفل بن دارم**
**وجدته أظلم كل ظالم**
**وأبخل الأعراب والأعاجم**
**لا يستحي من لوم كل لائم**
**ولا يراعي جانب المكارم**

## ختام

هذا بستان مختلفة ألوانه وأثماره، بسطته للقراء قدر ما وسعني البسط، مؤملا أن يكون لهم فيه بعض ما يشتهون من جنات ذات أشجار معروشات مثمرات، وغير معروشات تبهج الأعين الروامق، وتلتذ بها الأسماع المصغية، فيتنقل القراء في ظلاله الوارفة، مرور نسيم عليل على عذبات أغصان أماليد؛ وقد تحلوا فيه بكل ما رق أو جزل من أصناف الزينة اللفظية والمعنوية، التي لا يضارعها إلا زينة الخط العربي بكل أصنافه وأشكاله: الكوفي، والنسخ، والثلث، والرقعة، والديواني، والأندلسي، والتعليق الفارسي، والإجازة والتوقيع، ثم الطغراء. أرجو أن يجد فيه كل عقل يمر به أثمارا موسقة دانية القطاف، تشفي من غير قليل من الركاكة التي تملأ أجواء البلاد العربية، من لدن المنشئين الذين ذبلت لديهم أزاهير العربية، وغابت عنهم عجائب التنضيد والرصف، التي تتشعب شعبا تشغل عن الانتباه عما فيها من دقة وخفاء.

### الهوامش

١- منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب: شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، لابن وحشية النبطي، إياد خالد الطباع، ص١٩٧ وما بعدها، ط١، ذو القعدة ١٤٢٣هـ/ يناير ٢٠٠٣م، دار الفكر، دمشق.

٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر اللّه بن محمد ابن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الموصلي، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، الجزء الثاني، ص٢٣٢ و٢٣٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣- المستطرف في كل فن مستظرف، المجلد الثاني، ص١٠٠.

٤- الانفتاح اللغوي وهجنة اللغة، عبداللّه أيت الأعشير، ص٦٥، ضمن كتاب: بحوث المؤتمر الدولي للغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية، المجلد الأول، جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، أبها، السعودية.

٥- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، الجزء الثاني، ص٤٢٣ و٤٢٤، ط ١٩٧٥م، دار الجيل، بيروت.

٦- معجم عجائب اللغة، نوادر ودقائق ومدهشات علمية، ويتضمن الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية، شوقي حمادة، ص١٥٥، ط ١، ٢٠٠٠م، دار صادر، بيروت.

أ.د. مجاهد مصطفى بهجت
مختبر القرآن الكريم
الجامعة الإسلامية الماليزية



# الإعجاز في معاني خواتيم سور القرآن الكريم (٢-٣)

ثانيا - ختام السور بالوعد والوعيد

يشمل هذا القسم نوعين: الإنذار والتخويف المباشر وغير المباشر لمن لا ينفعهم إلا هذا الأسلوب والخطاب، والتبشير مع الوعيد لمن يدرك الفرق بينهما ويتجه نحو الخير بعيدا عن مزالق الضلالة، وهو في ختام أكثر من ثلاثين سورة.

## أ- الوعيد والتهديد

يتكرر هذا الأسلوب في ختام سور كثيرة أكثر من الأسلوب الآخر المتنوع بالخير والشر، ونجد الوعيد في آخر سورة الرعد، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (الرعد:٤٣). والمعنى: قل يا محمد للمكذبين بالرسالة كفى بالله شهيدا ومن عنده علم الكتاب من اليهود والنصارى بصدقي وكذبكم. وفي آخر سورة طه قال الله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ (طه:١٣٥). قل يا محمد للمشركين: كل منا منتظر لمن يكون له النصر والفلاح، وستعلمون من المهتدي إلى الصراط المستقيم. وفي آخر سورة الفرقان قال الله تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ (الفرقان:٧٧). أخبر الله تعالى بعدم المبالاة بالناس لولا دعاؤهم، لتكذيبهم المفضي إلى لزوم العذاب، وأن الله مهلكهم في الدنيا والآخرة.

وفي آخر سورة سبأ قال الله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ (سبأ:٥٤). والمعنى: وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، كما فعل الله بأمثالهم من كفرة الأمم السابقة، إنهم كانوا في الدنيا في شك من أمر الرسل والآخرة في البعث والحساب. وفي آخر سورة فاطر قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر:٤٥). والمعنى يتضمن الوعيد، فلو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي لما ترك من دابة، ولكن يمهلهم إلى وقت معلوم عنده، فإذا جاء سيجازيهم بما عملوا.

والوعيد في آخر سورة غافر حيث يقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر:٨٥). والمعنى لم ينفع الكفار إيمانهم حين رأوا العذاب، لأن إيمانهم لم يكن إيمان اختيار ورغبة، وهي سنة الله في الأمم السابقة. وفي آخر سورة الدخان قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ (الدخان:٥٩). والمعنى انتظر يا محمد ما سيحل بالمشركين من العذاب، وهم ينتظرون موتك وقهرك، ولكن سيعلمون لمن يكون الظفر في الدنيا والآخرة.

وفي آخر سورة محمد حيث يقول الله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ (محمد:٣٨). وإن تتولوا عن الإيمان بالله والامتثال لأمره يهلككم، ويأت بقوم آخرين ولا يكونوا أمثالكم في التولي، بل يطيعونه في الجهاد والإنفاق. وفي آخر سورة الذاريات يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:٦٠). فهلاك وشقاء للذين كفروا بالله ورسوله من يومهم الذي يوعدون فيه بنزول العذاب بهم يوم القيامة. وآخر سورة الملك قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ (الملك:٣٠). أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهبا في الأرض لا تصلون إليه، فمن غير الله يجيئكم بماء جار على وجه الأرض ظاهر للعيون؟

وفي آخر سورة النبأ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (النبأ:٤٠). إنا حذرناكم عذاب يوم الآخرة القريب، حيث يرى كل امرئ ما عمل من خير أو اكتسب من إثم، ويقول الكافر من هول الحساب يا ليتني لم أبعث. وآخر سورة الطارق قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق:١٧). لا تستعجل لهم يا محمد العذاب، بل أمهلهم قليلا فسترى ما يحل بهم من النكال. وآخر سورة التكاثر قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ (التكاثر:٥-٨). احذروا من إلهاء التكاثر بالأموال عن الآخرة، فإنكم ستسألون يوم القيامة عن أنواع النعيم. وآخر سورة الهمزة قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾ (الهمزة:٤-٩). ينذر الله الكفار بعذاب النار الموقدة التي تنفذ من شدتها إلى القلوب مطبقة عليهم، في عمد ممددة لئلا يخرجوا منها. وآخر سورة الماعون قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ (الماعون:٤-٧). ويل لمن يتظاهر بالعمل مراءاة للناس ويمنع إعارة الآنية وغيرها، فلا أحسنوا العبادة لله ولا إلى خلقه. وآخر سورة الكوثر قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٣). إن مبغضك ومبغض ما جئت به من الهدى والنور هو المنقطع أثره من كل خير. وفي آخر سورة المسد قال الله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾ (المسد:٣-٥). تهديد لأبي لهب وامرأته لإيذائهما الرسول، فسيدخل النار مع امرأته، وسيكون في عنقها حبل محكم من ليف ترفع به في نار جهنم لتلقى إلى أسفلها.

## ب - الوعد والوعيد

يأتي هذا الأسلوب متنوعا؛ وعدا بالخير ووعيدا بالشر، متقدما أو متأخرا حسب السياق، ففي آخر سورة الأنعام قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ

﴿ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ (الأنعام:١٦٥)، جعلنا الله مستخلفين، رافعا بعضنا على بعض، متفاوتين في الرزق؛ لابتلاء الناس؛ فيظهر الشاكر من غيره، ويعاقب من عصاه ويغفر للتائبين. وفي آخر سورة مريم قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾ (مريم:٩٧-٩٨). يسر الله القرآن لتبشير المتقين وإنذار المكذبين، كما أهلك الأمم السابقة منذرا قريشا بما أصاب الأولين. وفي آخر سورة الشعراء قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء:٢٢٧). استثنى الله المؤمنين من الشعراء من الغاوين، ثم ذكر الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي، ولغيرهم بغمط حقوقهم، أو الاعتداء عليهم، وسوء المرجع والمنقلب لهم. وفي آخر سورة العنكبوت قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ (العنكبوت:٦٨-٦٩). وليس هناك أحد أشد ظلما ممن نسب إلى الله ما لم يشرعه، أو كذب بالدين الحق حين بلغه، إن في جهنم لمأوى لهؤلاء الظالمين الكافرين، والمؤمنون الذين جاهدوا أعداء الله سيهديهم الله سبل الخير، ويثبتهم على الصراط المستقيم، والله تعالى لمع من أحسن من خلقه بالنصرة والتأييد والحفظ والهداية.

وفي آخر سورة الأحزاب قال الله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ (الأحزاب:٧٣). ليعذب الله المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بستر ذنوبهم وترك عقابهم، وكان الله غفورا للتائبين من عباده، رحيما بهم. وفي آخر سورة القمر قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ (القمر:٤٧-٥٥). إن المجرمين في تيه وعذاب، وقد أهلك الله أشباهكم من الأمم الخالية، لكن المتقين في بساتين وأنهار، في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، عند الله تعالى الملك العظيم القدرة. وفي آخر سورة المجادلة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ (المجادلة:٢٠-٢٢). إن الذين يخالفون أمر الله ورسوله من الأذلين المغلوبين في الدنيا والآخرة، أما المؤمنون فيدخلهم الله تعالى جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار، رضي عنهم فلا يسخط أبدا، ورضوا بما أعطاهم من الدرجات، وهؤلاء هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة. وفي آخر سورة المرسلات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (المرسلات:٤١-٥٠). ذكرت الآيات ما للمتقين من النعيم جزاء على إحسانهم، ثم ذكر الهلاك والدمار يوم القيامة للمكذبين بنعيم الجنة، ويقال للكافرين: كلوا وتمتعوا متاعا ليس

له بقاء، إنكم مجرمون بإشراككم بالله، وهلاك يومئذ للمكذبين بيوم الحساب والجزاء، وإذا قيل لهؤلاء المشركين: صلوا لله.. لا يصلون، بل يصرون على استكبارهم، وهلاك يوم القيامة للمكذبين بآيات الله، فبأي كلام بعد هذا القرآن المعجز الواضح يؤمنون إن لم يؤمنوا به؟

وفي آخر سورة الانشقاق قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾﴾ (الانشقاق:٢٢-٢٥). والله أعلم بما تضمر قلوب الكافرين المكذبين فبشرهم بعذاب أليم مستهزئا بهم، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند الله أجر غير مقطوع عنهم ولا محسوب عليهم. وفي آخر سورة البلد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾﴾ (البلد:١٧-٢٠). ثم كان من أهل الإيمان الذين يتواصون فيما بينهم بالصبر وبالرحمة، أولئك الموصوفون بهذه الصفات هم السعداء أصحاب اليمين، والذين كفروا بالقرآن هم الذين يؤخذ بهم يوم القيامة إلى النار عليهم نار مطبقة مغلقة أبوابها.

وفي آخر سورة الليل قال الله تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ (الليل:١٤-٢١). فخوفتكم نارا تتوقد وتتلهب، لا يدخلها إلا من كان شديد الشقاء الذي كذب بالحق وأعرض عن آيات ربه، وسيبعد عنها الأكثر خشية لله وإعراضا عن معاصيه، الذي يعطي ماله في وجوه اليسر. وفي آخر سورة البينة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ (البينة:٦-٨). إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم يصلونها ولا يخرجون منها، أولئك هم شر الخليقة عقيدة وعملا، وأما الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات، فأولئك هم خير الخلق؛ جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار، تجري من تحت قصورها الأنهار، خالدين فيها أبدا، رضي الله عنهم ورضوا عنه، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه.

وفي آخر سورة الزلزلة قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة:٧-٨). فمن يعمل وزن نملة صغيرة خيرا ير ثوابه، ومن يعمل مثل ذلك شرا ير عقابه في الآخرة. وفي آخر سورة القارعة قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾﴾ (القارعة:٦-١١). أما من رجحت حسناته على سيئاته فهو في عيشة مرضية في جنة تطيب نفسه بها، وأما من خفت موازين حسناته ورجحت موازين سيئاته فمأواه جهنم وما أعلمك ما الهاوية؟! نار بالغة النهاية في الحرارة.

## ثالثا - ختام السور ببيان مهمة النبي ﷺ وتسليته

يشمل هذا القسم نوعين: بيان مهمة الرسول ﷺ في أداء الرسالة وتبليغ الأمة، وتسلية النبي في حمل هذه الأمانة لتنفيذ هذه المهمة بتعليم الناس جميعا العقيدة الصحيحة.

### أ - مهمة النبي ﷺ وصفته

نجد مهمة الرسول في صفة البشرية مع نزول الوحي عليه في آخر سورة الكهف حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ (الكهف:١١٠). والمعنى: قل أيها الرسول: إنما أنا إنسان مثلكم مرسل إليكم، أعلمكم ما علمني الله إياه، أنما إلهكم إله واحد لا شريك له، فمن كان يطمع في لقاء الله وثوابه؛ فليعمل الأعمال الصالحة مخلصا، وليتجنب الإشراك بالله في العبادة.

وفي آخر سورة السجدة توجيه للرسول بالإعراض عن المشركين، قال تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ (السجدة:٣٠). وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين، وانتظر ما يصنع الله بهم، إنهم منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء. والآية تضمنت

معنى الوصية والوعيد أيضا. وفي آخر سورة الفتح قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ (الفتح:٢٨-٢٩). فالرسول مرسل بالهدى ودين الحق، وهو مع الصحابة الكرام أشداء أقوياء على الكفار، متراحمون متعاطفون فيما بينهم، تبصرهم راكعين ساجدين كثيرا، يرجون بذلك ثوابا عظيما من الله ورضوانا عميما. وفي آخر سورة «ق» قال الله تعالى: ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق:٤٥). والمعنى: ما أنت عليهم بمسلط لتجبرهم على الإسلام، وإنما أنت منذر، فذكر بالقرآن المؤمن الذي يخاف عقابي؛ فمهمته ﷺ هي التبليغ. ومهمة الرسول أكثر وضوحا في سورة الغاشية حيث يقول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ (الغاشية:٢١-٢٦). فذكر بدعوتك؛ إنما مهمتك التبليغ، لست عليهم بمتسلط. ومهمة الرسول واضحة قبل ذلك في التذكير والبلاغ، وفيها وعيد لمن تولى فالله يعذبه بعد الحساب. وفي آخر سورة الضحى إشارة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ (الضحى:١١). والمعنى: وأما بنعمة ربك التي أسبغها عليك فتحدث بها، وهو مما ينبغي أن يعرف عن الرسول في طبيعة حياته. وأخيرا في آخر سورة الكافرون قال الله تعالى: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون:٦). أي لكم دينكم الذي أصررتم على اتباعه، ولي ديني، ومهمة الرسول التبليغ ولهم ما يعبدون، وليس له الإكراه على ترك عبادتهم، وفي الآية التبرؤ من دينهم المتضمن للوعيد.

### ب - تسلية النبي ﷺ بالصبر والصفح

نجد توجيه الرسول إلى الصبر على ما يوحى إليه في عدد من السور: ففي آخر سورة يونس يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ (يونس:١٠٩). واتبع يا محمد وحي الله واعمل به، واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الأذى والمكاره، وعلى ما نالك منهم حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل، وهو خير القاضين وأعدل الفاصلين.

وفي آخر سورة النحل يقول الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ (النحل:١٢٧-١٢٨)، بمعنى: اصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله حتى يأتيك الفرج، وما صبرك إلا بالله، فهو الذي يعينك عليه ويثبتك، ولا تحزن على من خالفك ولم يستجب لدعوتك، فإن ربك مع الذين اتقوا غضب الله، وأحسنوا لله أعمالهم.

وفي آخر سورة الروم دعوة للصبر أيضا حيث يقول الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الروم:٦٠). أوصى الله تعالى نبيه الكريم بالصبر على ما يجده من أذى المشركين لأن وعده حق في النصر والتمكين. وفي آخر سورة الأحقاف مثل ذلك كصبر الأنبياء من قبله حيث يقول تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (الأحقاف:٣٥). فاصبر يا محمد على الكافرين كما صبر أصحاب القوة والثبات من الرسل في الشدائد، ولا تستعجل لهم العذاب، فهو واقع بهم - لا محالة - وإن طال الأمد، كأنهم يوم يشاهدون هوله يحسبون مدة لبثهم قبله ساعة من نهار، وهذا الذي وعظتم به كاف في الموعظة، فلن يهلك بعذاب الله إلا الخارجون عن طاعته.

وفي آخر سورة الزخرف توجيه الرسول إلى الصفح حيث يقول الله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ (الزخرف:٨٩). والخطاب موجه للنبي ﷺ، بالإعراض عنهم وتركهم، وقل لهم سلام، وسوف يعلمون يوم القيامة عند حلول العذاب بهم صدق دعوتك، والآية كسابقتها جمعت معنى الوعيد مع التسلية.

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

# باب مغلق

«أقول لك يا أمي إنه يحاول سرقة المحل.. منذ أن انتقلنا إلى هنا وأنا أراه يوميا يجلس أمام المحل بشكل مريب».. قالت الفتاة وهي تمسك بثوب أمها وتجرها نحو النافذة.

اقتربت الأم من النافذة، في الجهة المقابلة، شاهدت رجلا يجلس أمام المحل المغلق، معطيا ظهره للشارع.

«لكن المحل مغلق منذ مدة طويلة يا بنتي، فماذا عساه أن يسرق؟».

«لا أدري، لكن يبقى شكله مريبا، لماذا يجلس أمام الباب معطيا ظهره للشارع، وكأنه يحاول فتح القفل؟!».

رغم أن كلام ابنتها بدا منطقيا، لكنها رمقتها بنظرة تشكيك، قبل أن تترك الغرفة وتعود لإكمال عملها.

«أمي، انتظري، نسيت أن أخبرك بشيء، كل يوم يأتي في مثل هذا الوقت».

هزت الأم رأسها قبل أن تمضي، مرت لحظات قبل أن تعود مجددا إلى النافذة، أخبرت زوجها بما رأته فذهب لتقصي الأمر.

«هل تمازحني؟!».. قال الرجل الجالس أمام المحل للزوج الذي طلب منه أن يبتعد عن المحل ولا يعتدي على حقوق الآخرين في غيابهم.

«بكل تأكيد لا!».

«يا رجل، اتق الله، أي محل هذا الذي أحاول أن أسرقه؟!».

«ماذا تفعل كل يوم أمام المحل في هذا الوقت المتأخر من النهار؟».

«لأن هذا الوقت فقط الذي بمقدوري أن آتي إلى هنا وأطعمها».

«تطعمها!».

«نعم، أطعم القطة».

«ماذا؟!».

«حسنا، سأشرح طالما أنك لاحظت وقوفي المتكرر هنا».

«ابنتي الصغيرة التي لاحظتك».

«أيا كان».. توقف قليلا ثم أكمل: «قبل بضعة أشهر وأثناء عودتي من العمل، مررت على هذا المطعم لتناول وجبة العشاء كما كنت أفعل نهاية كل يوم».

«أي مطعم؟!».

«هذا».. قالها وهو يشير نحو اللافتة، وأكمل: «عندما وقفت أمامه فوجئت بأنه مغلق، سألت صاحب المحل المقابل فأخبرني أن صاحبه أغلقه وسافر بشكل مفاجئ، حزنت حينها فطعامهم كان يعجبني كثيرا وأسعارهم رخيصة، أوشكت أن أمضي في حال سبيلي لولا أني سمعت مواء قطة يأتي من خلف الباب المغلق، أدخلت يدي من تحت الباب فلمستها القطة بقدمها، يا الله! أدركت أن الجماعة حين أغلقوا المحل نسوا القطة في الداخل، أعرفها، قطة بيضاء لها عينان زرقاوان، كنت أجدها دائما أمام الطاولات أو بينها كلما أتيت، وأقدم لها بقايا الطعام كما يفعل بعض الزبائن».

«ماذا فعلت حينها؟».

«اشتريت علبة تونة، أفرغت محتوياتها على قطعة خبز وأدخلتها من الفراغ المتاح أسفل الباب».. قال وهو يجلس ويدخل أصابعه من تحت الباب، أكمل وهو يستوي واقفا: «ومن يومها وأنا أحضر لها بعض الماء والطعام أثناء عودتي من العمل على أمل أن يعود صاحب المطعم ويفتح لها الباب!».

«وهل علي أن أصدق ما تقول؟!» سأل الجار متشككا.

«حسنا.. انتظر» قال الرجل ثم جلس مجددا، وأدخل يده من تحت الباب وهو ينادي: «هأنذا يا قطتي العزيزة».. حينها دهش الجار بمواء القطة الذي يأتي من الداخل.

«هل صدقت الآن؟!».

«يا إلهي! إنها قطة بالفعل، لكن كيف داومت على إطعامها طوال هذه الشهور؟!».

«هذه روح يا رجل! كيف أتركها تموت جوعا؟!».

وعندما لم يرد عليه، أقترب منه قائلا: «إن عثرت على أحد في الجوار يستطيع أن يتواصل مع صاحب المحل لنخرج القطة فسأكون ممتنا، وإن تعثر هذا الأمر فعدني بأمر واحد، إن انقطعت عن المجيء لسبب خارج عن إرادتي فأرجوك اعتن بهذه القطة المسكينة حتى يفرجها الله عليها».

حاوره: محمد التلاوي
محرر الوعي الإسلامي

المعراج لـ«الوعي الإسلامي»:

# الخط الجميل دليل إلى معاني الكلمات

الخط هو أحد أعظم الابتكارات في تاريخ الحضارة البشرية التي دوّن بها الإنسان تاريخه وأخباره وما يدور في نفسه، إنه الوسيلة التي نقلت الإنسان من ظلمات الجهل إلى نور الحضارة. لقد قضى الإنسان الأول حياته لعدة قرون دون تدوين أو تسجيل لأمور حياته نظرا لبساطة عيشه، ومع تطور فكره وابتكاره لوسائل ساعدته على الانتقال من البدائية إلى المدنية ظهرت الحاجة للتدوين وللخط. وكان التدوين في البداية عبارة عن رسوم ثم ارتقى إلى الرموز والأشكال إلى أن تطور للحروف والكلمات.

والخط العربي هو أداة اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وأحد الفنون الإسلامية التي ولدت بتطور اللغة العربية بعد ظهور الإسلام، وبات عنصرا أساسيا من عناصر الفنون التي مازالت تحافظ حتى اليوم على حيويتها وجمالها، وأصبح لأصحاب هذا الفن علماء ومدارس.

ويعد الخطاط الكويتي جاسم المعراج أحد الأسماء الشابة التي برعت وذاع صيتها أخيرا في عالم الخط وكان لها بصمة واضحة في هذا الفن العربي الإسلامي الأصيل، «الوعي الإسلامي» التقت المعراج للحديث عن رحلته مع فن الخط العربي وجمالياته وعلاقته بتهذيب النفس البشرية، فإلى تفاصيل اللقاء:

**● بداية، حدثنا عن رحلتك مع فن الخط..**

– البداية كانت في سن الـ ١٢عندما كنت طالبا في المرحلة المتوسطة وكان مدرس الرسم في حصته يطلب منا اختيار أي خطوط لمحاكاتها فنيا ثم كتابتها على الجلد أو الخشب مثلا، فوجدت في منزلنا صحنا خزفيا كتب عليه «الرحمن الرحيم» وكان بخط الخطاط محمد المؤذن، الذي كان يكتب في جريدة «الوطن» سابقا. ويعتبر المؤذن قدوة كبيرة لي في هذا المجال وكنت أحاول تقليد خطه من خلال الرسم.

**● ومتى كانت انطلاقتك الحقيقية؟**

– الانطلاقة كانت بحصولي على إحدى كراسات فن الخط الملهمة للأستاذ هاشم بغدادي، الذي توفي في ثمانينيات القرن الماضي، وقد جعلتني أتعلق بفن الخط كثيرا حيث كنت أمكث لفترات طويلة أحاكي الخطوط الموجودة بها وذلك في عام ١٩٩٥م أو ١٩٩٦م تقريبا.

**● إذن من يرغب في تعلم الخط ليس بحاجة لملازمة أستاذ، طالما أن هناك نماذج يمكن محاكاتها..**

– المحاكاة دون وجود أستاذ يشرف على ما تتعلمه أمر سلبي لا يمكن الاعتماد عليه، فالتلميذ يعتقد أن كل ما يحاكيه ويكتبه صحيح، وبوجود الأستاذ تكتشف أنك تسير على الطريق الخطأ، والأستاذ يختصر المسافة ويوضح لك الدرب الصحيح كما هو الحال في حفظ وقراءة القرآن الكريم، فالطريقة الصحيحة أن تسمع قراءة الشيخ وبعدها تكرر وتحفظ على هذا النسق، ثم تعيد التسميع على الشيخ الذي يصحح لك مرة أخرى. وهذا ما يجري مع فن الخط، فالمبتدئ في هذا المجال يبدأ بمحاكاة الحرف بأن يرى أمامه كيف يرسمه الأستاذ وما يتعلق بزاوية القلم وكيف يتحرك وغيرها من التفاصيل المتعلقة بكتابة الخط العربي.



**● هل كانت الدراسة عقبة أمام مواصلة تعلمك الخط؟**

– على العكس تماما، ففي عام ١٩٩٨م بدأت تعلم الخط على يد الأستاذ وليد الفرهود، وهو خطاط شهير كتب

اللافتة الخارجية للمسجد الكبير، وكنت أتابع دروسه مرة كل أسبوعين تقريبا وكان ناظر المدرسة يأذن لي بمغادرة الحصص لمتابعة الدروس لتفوقي. واستمرت دراستي عنده لأربع سنوات، وفي سنة ٢٠٠١م على ما أذكر قال لي الأستاذ شيئا مهما للغاية غير مسار حياتي في دراسة الخط، وهو أنني وصلت لمرحلة متقدمة يجب فيها أن أتوجه إلى تركيا لمتابعة دراستي في الخط وحدد لي أستاذين هما: حسن جلبي وداود بكتاش.

**● وكيف كانت تجربة الدراسة في إسطنبول؟**

– كنت أسافر إلى تركيا خلال الإجازات الصيفية، بسبب الدراسة الجامعية، لمتابعة تعلم الخط على يد الأستاذ داود بكتاش، والمعتاد في دروس الخط أنها مرة واحدة أسبوعيا، لكن نظرا لظروف السفر وقدومي من خارج تركيا كانت الدروس ٤ مرات أسبوعيا. ولم تخل دراسة الخط من بعض الصعوبات وحالات اليأس والإحباط مثل عدم التأقلم بالغربة أو تحقق نظرتك في كتابة الحرف، ولمرة واحدة في حياتي تمكن اليأس مني وكسرت قلمي بسبب سفر أستاذي لمدة ١٠ أيام لظرف معين حدث له، والعبرة من سردي لهذه الحادثة أن المتعلم يجب ألا يستسلم لليأس. وقد استمرت دراستي هذه في تركيا حتى نلت الإجازة عام ٢٠٠٧م.

**● لكن هل دراستك الجامعية كانت مرتبطة بالخط؟**

– ستعجب كثيرا عندما تعلم أن مجال دراستي مختلف تماما عن مجال الخط، فقد درست في قسم الكيمياء بكلية الهندسة. لكن لم يكن هذا التخصص يلبي طموحاتي؛ لذلك حاولت الانتقال إلى قسم آخر أقرب لفن الخط هو قسم العمارة، قبل أن ينفصل عن كلية الهندسة ويصبح كلية مستقلة، واستخرت الله تعالى وتوكلت عليه، وحققت كل الشروط واجتزت الاختبارات، لكن الصدمة كانت أنه لم يتم قبولي لعدم وجود أماكن شاغرة في هذا القسم، وبالتالي يجب علي الانتظار لمدة عام كامل لأجد موقعا شاغرا، ولم أجد بدا من الاستمرار في قسم الكيمياء وواصلت دراستي حتى التخرج.



**● لو قارنت بين حياتك قبل تعلم الخط وبعده، فهل هناك تغير ملموس؟**

– نعم، أثر بي الخط كثيرا، فقد هذب انفعالاتي خاصة أنه كان بي شيء من الغضب، كما جعلني أتوقف عند جماليات الآيات القرآنية وأتأملها... لقد جعلني فن الخط إنسانا آخر. وعلمني أيضا الصبر على العلم والأدب والتواضع؛ وهي كلها مفاتيح للعلم، فكلما ازداد الإنسان تواضعا زاد علما.

**● حدثنا عن المنهجية المتبعة في تعلم الخط؟ وبم يبدأ المتعلم دراسته؟**

– إن المنهجية التي نسير عليها في تعلم فن الخط تعود إلى القرن الثامن أو التاسع الهجري. ويبدأ المتعلم بكتابة عبارة بمثابة الدعاء هي «رب يسر ولا تعسر، رب تمم بالخير»، وبعض الخطاطين يضيف «وبه العون». ويعتبر الدرس الأول في تعلم فن الخط العربي من أصعب الدروس مقارنة بالدرس الذي يليه وهو كتابة الحروف الأبجدية.

**● ولماذا يكون الدرس الأول في الخط العربي الأصعب؟**

– الدرس الأول هو الأصعب؛ لأنه يبدأ بكتابة جملة حروفها صعبة والمتعلم حديثا يكون لديه مشكلة في ضبط السطر وشكل الجمل والحروف المتصل بعضها ببعض. فشكل الحرف في أول الكلمة غالبا ما يكون مغايرا لآخرها ووسطها. وبالنسبة لي يعد هذا الدرس بمثابة اختبار لقدرات الطالب الراغب في تعلم فن الخط هل سيصبر على تعلمه أم لا؟

والمرحلة التالية هي كتابة الحروف منفصلة، وتكون أسهل نوعا ما من كتابة الكلمات والجمل، والأحرف التي بها تنقيط تكتب مرة واحدة أو مرتين فمثلا الباء والتاء والثاء شكلها واحد، أما الجيم والحاء والخاء فتكتب مرتين؛ لأن لها شكلين في حالة الإفراد وغيرها من الأحرف، وهذا يسمونه مرحلة المفردات. ثم ينتقل الطالب بعد ذلك إلى مرحلة الاتصال أو المركبات وتشمل كتابة الحرف متصلا بباقي الحروف، فمثلا عندما نأخذ حرف الباء نتعلم




اتصاله بما يليه من حروف مثل الجيم والدال والراء إلى آخره من الحروف، وذلك لأن كل حرف يتغير شكله باتصاله بالآخر. ويتدرب المتعلم على كتابة شكل الحرف في البداية والمنتصف والنهاية ويصوب الأستاذ للمتعلم حسب القاعدة والمعيار في فن الخط.

**● وما هو هذا المعيار أو القاعدة التي يصحح عليها الخط؟**

- القاعدة هي النقطة وهي وحدة القياس لأبعاد الحروف بشكل عام، فلكل حرف قاعدة خاصة وانحناءات وأشكال كتب بها فقهاء الخط في مخطوطات قديمة. وفي مخطوطة لابن الطيبي نذكر مما قاله عن خط الألف على سبيل المثال «في خط الثلث أشكال متعددة منها المنتصب والمحرف والمشعر والمستقيم» وكلها أشكال الفروقات بينها طفيفة جدا، لكن تسميتها لها مغزى وهي تعبر عن نوع الكلمة، فمثلا عند استخدام عبارة فيها صرامة مثل «القوة هي المعرفة» نستخدم نوعا من الخط يعبر عن صرامة الجملة وبهذا أوجدنا بعدا دلاليا رمزيا يربط بين الشكل والمعنى.

**● إذن نفهم من كلامك أن للحرف كيانا وأنه يحزن ويفرح؟**

- نعم، فعليا كخطاط وممارس لفن الخط أجد ذلك لكن هذا أمر يصعب على الشخص العادي معرفته إلا إذا تأمل طويلا في الحرف وعاش معه حيث تظهر هذه الجماليات للحرف، وعندما تقف على بعض اللوحات قد تشعر بالبكاء والفرح والسعادة، من دون أن تقرأها وتفهم معناها... الشكل فقط هو ما أظهر لديك كل هذه المشاعر.

**● بانتهاء كتابة الحروف، هل يحصل المتعلم على الإجازة في الخط؟**

- بالطبع لا، الأمر ليس بهذه السرعة. فبعد الانتهاء من كتابة الحروف يكتب المتعلم عبارة «تمت الحروف بعون الملك العزيز الرؤوف»، ثم يكتب الاستعاذة فالبسملة وهذا ما يسير عليه معظم الخطاطين في الدراسة التقليدية لتعليم فن الخط، لكنهم يتفاوتون فيما بعد ذلك، فبعضهم يكمل بكتابة بعض الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالجانب الأخلاقي والدعاء، ثم أبيات شعرية خاصة بمدح النبي ﷺ مثل البردة. وتعد هذه المرحلة محاكاة لنصوص مكتوبة وتستغرق ما بين ٣ و٤ سنوات بحسب استيعاب الطالب إلى أن يرى الأستاذ في تلميذه أنه أهل لنيل الإجازة في الخط فيعطيه نصوصا جديدة لكتابتها كحديث أو آية أو يختار التلميذ بنفسه ما يكتبه، بعدها يأتي اختبار الإجازة ويكون بكتابة حلية النبي ﷺ.

**● وما هي حلية النبي ﷺ؟**

- المقصود بالحلية هو وصفه الشريف ﷺ. والمنتشر كثيرا بين قدماء الخطاطين الوصف المنقول عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، لكن في وقتنا الحالي يكتب بعض الخطاطين وصف أم معبد رضي الله عنها للنبي ﷺ.

**● وهل للحلية شكل أو طريقة للكتابة؟**

- الحلية لها دراسات، وكتب عديدة عن أشكالها وأنواعها. ومن بين هذه الأشكال شكل الشمس أو القبة التي تتوسط الصفحة ويكتب بداخلها وصف النبي ﷺ ومن حول هذه الشمس أو القبة تكتب أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة وتكون موزعة كركائز تحمل هذه القبة، فكأن من ابتكر هذا الشكل يريد أن يقول إن رسول الله ﷺ هو النور الذي أرشدنا للطريق القويم، والخلفاء الأربعة هم من حملوا أمر هذا الدين من بعده.

وتبدأ كتابة الحلية بالبسملة ثم جانب من وصفه الشريف بخط النسخ بعده يكتب قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، ثم نكمل كتابة الوصف الشريف وحوله تكتب أسماء الخلفاء الراشدين بعدها يقام حفل للطالب الذي حصل على الإجازة ويكتب له أستاذه المباشر وأستاذ أستاذه مثل تزكية تسمى «الكتبة»، يكون في بدايتها «الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، أنا الأستاذ فلان الفلاني وتلميذه فلان استحق أن ينال هذه الإجازة لإتقانه القواعد والأصول على منهج القدماء والسابقين...» إلى آخره، ويقول في النهاية «وأجيزه أن يكتب اسمه تحت أعماله».

سالم بن عميران
باحث في اللغة العربية
اليمن

# الفصحى والإعلام الجديد

**يشهد العصر الحالي تطورات علمية متسارعة، لاسيما في مجال الاتصال التقني؛ وأحدث ما يسمى بالعولمة تحولا ملحوظا في نمط الحياة الاجتماعية لدى المجتمعات الحديثة، حيث تقاربت الأفكار وتلاشت العادات بين الأمم والشعوب؛ ونظرا لما سببته العولمة من هزات اجتماعية؛ تعالت أصوات كثيرين تدعو للتصدي لآثارها السلبية، ومن أبرز تلك الآثار تهديدها للهوية الوطنية للشعوب.**

من المعلوم أن اللغة هي أساس الهوية وهي الصلة بين الإنسان والفكر والعلم؛ فأي تحول في نمط التفكير يصاحبه أيضا تغير في أداة التفكير[١]. وقد تحول نمط التفكير في المجتمعات الحديثة بعد ظهور شبكة الإنترنت إلى مجتمع المعرفة والمعلومات والانتقال الحر للمعلومات والأفكار وتنظيم الموارد وتمثيلها رقميا؛ بحيث يسهل الوصول إليها واستغلال المعرفة كأهم مورد للتنمية[٢].

ويشير تقرير الإنترنت في العالم العربي، الذي قدمته «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان» و«مؤسسة مهارات» اللبنانية، إلى أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي بلغ ١٥٧ مليون مستخدم بنهاية سنة ٢٠١٥م. كذلك تضاعف عدد مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» في العالم العربي لأكثر من ستة أضعاف خلال الفترة ذاتها ليقارب ٧٨ مليون مستخدم، مقارنة بنحو ١٢ مليون مستخدم سنة ٢٠٠٩م.

وذكرت دراسة إقليمية حول اتجاهات استخدام الإنترنت في المنطقة العربية، أصدرتها الإمارات نهاية شهر أبريل ٢٠١٣م، أن ما يزيد على ٥٣ مليون مستخدم للإنترنت في المنطقة العربية يتواصلون عبر وسائل التواصل الاجتماعي بصورة نشطة ضمن مجتمعاتهم. ويرى ٧١ في المئة من إجمالي المستخدمين العرب أن وسائل التواصل الاجتماعي تقدم بديلا عن وسائل التواصل التقليدية[٣].

## تحول

مع هذا العدد الكبير من المستخدمين العرب؛ يحق لنا أن نتساءل: هل تحول المجتمع العربي إلى مجتمع المعلومات؟ ترى د.ليلى فيلالي، الأستاذة بجامعة الأمير عبدالقادر بالجزائر، «أنه لا يمكن بناء مجتمع معلومات معرفي عربي أصيل دون أن تكون اللغة العربية عماده؛ وعليه إذا أردنا بناء مثل هذا المجتمع؛ يجب أن تصبح العربية لغة إنتاج المعرفة، ولغة التواصل المعرفي ونشر العلم والمعرفة في الأقطار العربية مع انفتاحنا على الثقافات واللغات الأخرى»[٤].

وفي ظل التطورات الكبرى لعالم الاتصالات، يطل علينا الإعلام بثوب جديد، يتشكل من اندماج ثلاثية الحاسوب وشبكاته والوسائط المتعددة، ويقوم على أساس تعدد الأصوات الفكرية وعدم الهيمنة الأحادية على عقول الناس كما كان عليه الحال في وسائل الإعلام التقليدية؛

وما اصطلح على تسميته حديثا بالإعلام الجديد؛ يتمثل في مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات الإلكترونية التي استهوت ملايين البشر خصوصا فئة الشباب، وتضم قوائم ومجموعات يجمعها اهتمام واحد، ويتاح لكل شخص فيها أن ينشر ويعلق بكل حرية؛ فلم يعد المستخدم مستقبلا للخبر فحسب، بل صار صانعا له ومشاركا فيه، وهو ما جعل بعض الباحثين يعتبر كلام الشبكة العنكبوتية وسيطا لغويا جديدا، فلا هو كتابة منطوقة، ولا هو كلام مكتوب، ولا لغة إشارة؛ بل هو شيء مختلف اختلافا جذريا عن الكتابة والكلام[٥].

إن هذا التحول الكبير في صورة الإعلام قد فرض تحديات كبرى

على اللغة العربية؛ ظهرت آثارها جلية عند بعض مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، ونجملها في الآتي:

– قصور الأداء اللغوي لبعض المستخدمين، ويتمثل ذلك في ضعف مهارات اللغة الأساسية لديهم كالنطق والكتابة؛ كالخطأ في الفرق بين بعض الحروف كحرفي الظاء والضاد، وكتابة نون بعد حركة التنوين، وزيادة حروف المد بعد الحركات.

– شيوع الأخطاء الإملائية والنحوية والأسلوبية؛ كالخطأ في رسم همزتي الوصل والقطع، وإهمال علامات الترقيم، واستعمال أساليب ركيكة في التحية والتهاني.

– تشويه صورة العربية من خلال استبدال ألفاظها الفصيحة بألفاظ أجنبية؛ فهي وإن بدت بحروف عربية إلا أنها تشكل خليطا لغويا غريبا يجتمع فيه العربي والعامي والدخيل؛ وينتج عن ذلك تأثيرات لغوية بنيوية داخلية تحل محل الألفاظ الفصيحة مثل: أوافق أو أؤكد بـ«أوكي»، وأعجبني بـ«لايك».. ويتشكل من هذا الهجين لغة عديمة تعرف عند اللغويين المحدثين بـ«العربيزي» أو «الأرابيش».

– تصدر العامية محل الفصحى؛ ما تسبب في تشوه رونقها وجمالها في المحادثات والتعليقات والأحاديث العابرة، وأظهر ذلك جيلا من الشباب يحفظ من الألفاظ العامية على تعددها وتنوعها أكثر مما يحفظ من مفردات الفصحى، فكثيرا ما تستعمل ألفاظ عامية مثل: (بس) أي: لكن، و(تبي) أي تريد و(لين) أي: إلى..

– هيمنة اللغات الأجنبية والترويج لها والحط من مكانة الفصحى، فقد أظهرت دراسة بحثية صدرت سنة ٢٠١٢م، حول توزع اللغات المستعملة في البلدان العربية بين العربية والفرنسية والإنجليزية؛ استعمال الإنجليزية في لبنان بنسبة ٩١٪، والإمارات بنسبة ٨٥٪، والصومال ٨٤٪، وقطر ٧٩٪، والكويت٧٠٪، والبحرين ٦٨٪، وعمان ٦٢٪.

بينما تستعمل العربية في اليمن بنسبة ٧٥٪، وفلسطين ٦٧٪، والسعودية٦٠٪. وتقاسمت الاستعمال بين العربية والإنجليزية الدول العربية التالية: مصر والأردن وليبيا والعراق. وغلبت الفرنسية على استعمال أهل تونس وجزر القمر والمغرب وموريتانيا[٦].



## تحديات اللغة

إن حالة التردي التي تشهدها اللغة العربية حاليا، وهي تترقب ضغوط العولمة المعلوماتية، تفرض على كل مستخدم لهذه المواقع السعي الجاد والوقوف أمام تلك التحديات بإرادة صلبة وعزيمة قوية؛ لتكون اللغة العربية سائدة ومتصدرة كل المنصات الإلكترونية؛ وهو هدف نبيل يطمح إليه كل عربي غيور على لغته الأم.

ويرى المتأمل في حال اللغة العربية أن المشكلة الحقيقية ليست فيها كلغة؛ وإنما تكمن في بعض أبنائها الذين قصروا في حقها واستعملوها في غير سياقها الصحيح. وبالنظر إلى التفاوت الكبير في المستويات اللغوية لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي؛ وحتى يقوموا بواجبهم اللغوي تجاه لغتهم العربية، فإنه يمكن تقسيمهم بحسب اختصاصهم إلى فئتين:

## الفئة الأولى

وهم المختصون من أكاديميين وأساتذة جامعات ومدرسين وشعراء وأدباء؛ وهؤلاء يقع عليهم العبء الأكبر في تحمل المسؤولية ورفع راية الفصحى ونشرها والتمكين لها؛ وتبيين زيف الدعوات التي تنال منها؛ ويكون ذلك من خلال القيام بأمور منها:

- الالتزام التام باستعمال اللغة العربية الفصحى كتابة ونشرا وتعليقا في الصفحات الشخصية والمدونات والمنتديات والمجموعات الإلكترونية التي يديرونها أو يشاركون فيها.

- السلامة اللغوية للمنشورات وتحريرها من الأخطاء اللغوية قبل وبعد النشر؛ لتأمين تعميمها وإعادة نشرها من قبل الآخرين.

- اعتماد اللغة العربية الميسرة في المحادثات والحوارات والتعليقات في المجموعات العامة؛ حتى تكون لغة مفهومة ومقبولة من الجميع.

- العمل على الإكثار من الصفحات والمنتديات والمجموعات المختصة باللغة العربية وعلومها وآدابها شعرا ونثرا حتى يصل صوت الفصحى إلى الآفاق.

### الفئة الثانية

وهم غير المختصين من مثقفين وكتاب ومهتمين وعامة على اختلاف تخصصاتهم ومجالاتهم العملية والعلمية؛ وهؤلاء قد نجد عند بعضهم من الغيرة على اللغة أكثر مما عند الفئة الأولى. ويتعين على هؤلاء القيام بدور عظيم للنهوض بالفصحى في المواقع التي يشاركون فيها أو التي يتولون الإشراف عليها من خلال الآتي:

- الاهتمام باللغة العربية في صفحاتهم ومجموعاتهم ومنتدياتهم وتخصيص جزء من نشاطاتهم لإبراز عظمة هذه اللغة الخالدة.

- وضع ضوابط لغوية للنشر في المجموعات والمنتديات العامة؛ للحد من استعمال الألفاظ العامية والدخيلة ومن الأخطاء النحوية والإملائية والأسلوبية.

- حذف التعليقات والمشاركات المشحونة بالأخطاء اللغوية التي تشوه رونق اللغة؛ كما يحصل عند حذف التعليقات البذيئة أو المسيئة.

- إعادة نشر الموضوعات التي تهتم باللغة العربية الفصحى على صفحاتهم الشخصية ومجموعاتهم ومنتدياتهم.

- حظر نشر الرسائل التي تنال من الفصحى وأهلها، مثل النكات المسيئة أو الإعلانات التي تروج للغات الأجنبية.

- دعم الحملات والمبادرات الداعية إلى الاهتمام بلغة الضاد على مواقع التواصل الاجتماعي مثل حملة لغة القرآن، التي نظمتها مدرسة سعودية للحد من استخدام الطريقة (الإنجلو-عربية)، ومبادرة «يوم للغة العربية على فيسبوك»، وهي مبادرة أردنية حديثة دعت إلى اعتبار يوم الرابع والعشرين من يوليو ٢٠١٢م يوما للتعامل باللغة العربية، وقد لفتت المبادرة نظر مئة ألف شخص ووعد عشرون ألفا آخرين بالمساهمة فيها حينها[٧].

- تشجيع المواقع والمجموعات والقنوات التي تختص بتعلم أصول العربية وآدابها من خلال التعريف بها أو نشر روابطها حيث تلقى قبولا لدى أكثر المهتمين بالعربية من العرب وغير العرب، وهي فرصة سانحة لنشر الفصحى.

إن قيام تلك الأطراف مجتمعة بدورها اللغوي سيحد، دون أدنى شك، من مخاطر الإعلام الجديد على اللغة العربية؛ بل وسيرفع من مكانة الفصحى في عالم الاتصال الحديث؛ وسيكون له عظيم الأثر إذا أضيف إليه الجهود الدؤوبة التي تبذلها المؤسسات اللغوية والتقنية في العالم العربي كالمجامع اللغوية ومراكز البحوث التقنية والبرمجيات والتخطيط الإستراتيجي؛ في تقليص الفجوة اللغوية بين الفصحى ومستحدثات الحضارة واستيعاب مستجدات تقنية الاتصالات الحديثة بألفاظ معربة، وجعل اللغة العربية الفصحى وسيطا إلكترونيا يساهم في تنمية المهارات اللغوية لدى المستخدمين لاسيما الشباب لأنهم الفئة الأكثر ارتيادا لهذه المواقع؛ مما يعمل على تهيئة اللغة العربية لتكون لغة مجتمع المعرفة والمعلومات التي تواكب العصر.

---

### الهوامش

١- انظر: سميح أبو مغلي، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس عمان - دار الفكر ط١ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٢٩.

٢- انظر: الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، مجموعة باحثين، كتاب العربي: وزارة الإعلام الكويتية، يوليو٢٠١٠م، ص١٦٣.

٣- ينظر: ليلى فيلالي، تداعيات العولمة الإعلامية والاتصالية على اللغة العربية وسبل مواجهتها، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص١٢.

٤- المصدر نفسه ص١٣.

٥- ينظر: محمد المنصور، تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على جمهور المتلقين: دراسة مقارنة للمواقع الاجتماعية والمواقع الإلكترونية «العربية أنموذجا» الأكاديمية العربية في الدانمارك، ص١٠.

٦- انظر: العربية في وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة: واقعها وسبل النهوض بها، مجموعة من الباحثين، ص٤٤٧.

٧- انظر: عماد الدين تاج السر فقير عمر، قراءة في لغة التآنس (الدردشة) عبر مواقع التواصل والهواتف النقالة، بحث مقدم لمؤتمر اللغة العربية الدولي الثاني، ص٨.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولًا: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

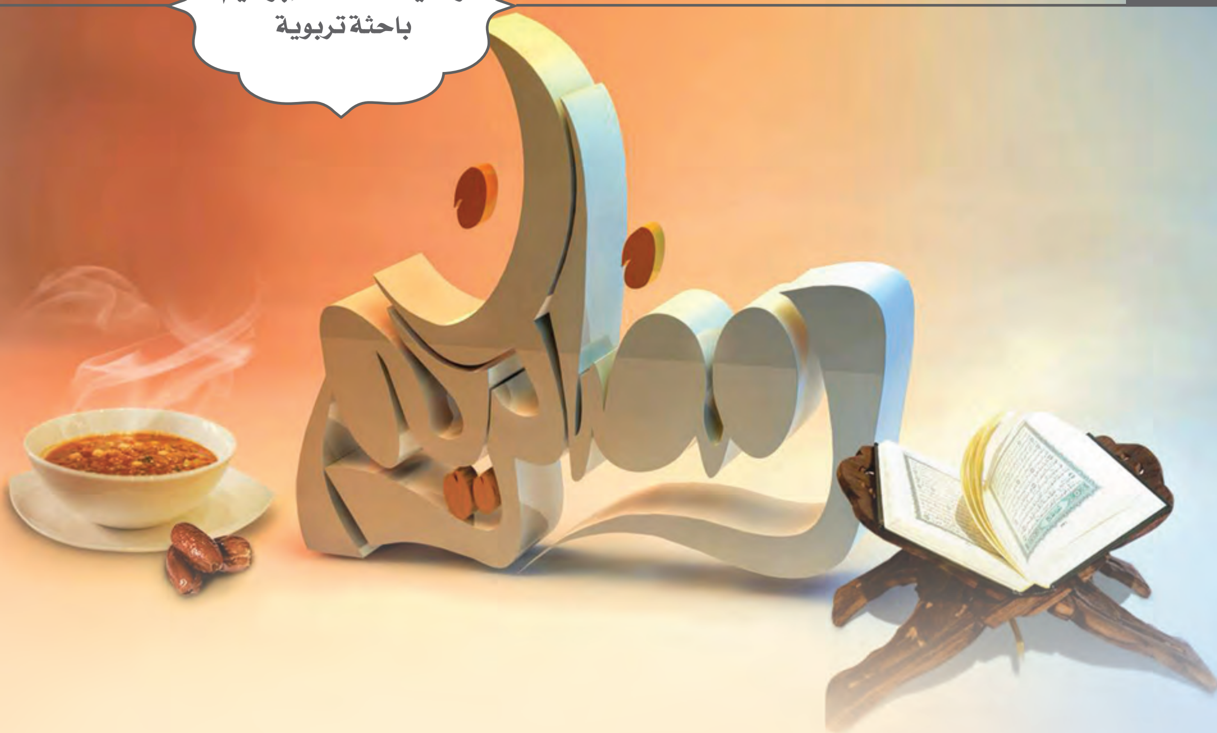
- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

رسمية محمد إبراهيم
باحثة تربوية



# الأسرة الرمضانية

يحظى شهر رمضان بخصوصية بين الشهور؛ إذ فيه ابتداء نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ في غار حراء، وفي أعظم لياليه نزل القرآن كاملا، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر:١)، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان:٣)، لذلك يعد شهر رمضان فرصة عظيمة ومناسبة فريدة نستطيع من خلاله تعويد أبنائنا على أداء الصيام خصوصا، وتعاليم الإسلام عامة، كالصلاة وقراءة القرآن وحسن الخلق واحترام الوقت والالتزام بالنظام. ويعتبر شهر رمضان شهر الدعاء والتضرع بامتياز، لاسيما أن أبواب الجنان مفتحة وأبواب النيران موصدة والشياطين مصفدة ومنح الرحمن تتنزل على الصائمين، والأجواء عامرة بالطائعين والخاشعين، والقرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، وأيادي أهل الخير تعم المساكين والمحتاجين.

ولشهر رمضان مذاق خاص في كل بلد، فهو من أجمل شهور السنة في بلاد المسلمين، فيحبونه ويقدسونه ويستقبلونه بفيض من الشوق والفرحة ويحيون الليالي بتلاوة القرآن حتى وقت السحور.

وللأسرة المسلمة دور مهم ومؤثر في تعظيم تلك الشعائر وتوقيرها في نفوس الأبناء وربط النشء بمحبتها وانتظارها وفهم معناها والتماسها، وفيما يلي بعض الخطوات والأفكار العملية التي يمكن للأم، بالتعاون مع الأب، ربط الأبناء بها وإفادتهم بأيام شهر رمضان، خصوصا العشر الأواخر منه:

## صلاة الجماعة

إن تربية الأبناء على صلاة الجماعة من الضرورات المهمة، فحين يؤذن بالصلاة يلبي الأب النداء ويتوجه إلى المسجد بصحبة ابنه، ومن ثم يجلس في المسجد وهو بجانبه، مع مراعاة مرحلته العمرية، فمن الأطفال من يستطيع المكث كثيرا في المسجد، ومنهم من لا يستطيع، ومنهم من له القدرة على المضي وحده إلى المسجد للصلاة، ومنهم من يحتاج إلى مساعدة، خصوصا عند أداء صلاة الفجر فقد يحتاج إلى من يوقظه لأداء الصلاة في وقتها.

## الصوم

ونقصد به هنا التعود عليه، وهذا بالطبع لمن لم يبلغ سن التكليف، فقد ثبت عن بعض السلف أنهم كانوا يصومون أبناءهم دون العاشرة ويشغلونهم باللعب بالعهن (الصوف) في عاشوراء، ورمضان أولى بذلك.

## مدرسة قرآنية

إقامة مدرسة قرآنية للأبناء بالمنزل للتلاوة والتدبر وعرض شيء من



السير والقصص عليهم، لربطهم بالخالق جل وعلا، علاوة على تعريفهم بالجنة، وأن الله أعدها لعباده الطائعين، ومنهم بالطبع الصائمون، وسرد قصص لبر الوالدين، وصلة الأرحام.. وغيرها من الآداب، خصوصا المتعلقة بشهر الصيام؛ ذلك لأن الحديث مع الأطفال مهم جدا ومفيد تربويا في كل شأن، خصوصا لشهر الصيام، وينبغي على الأم أن تشرح لأبنائها أهمية هذه الأيام وتذكرهم بأنها أيام فرح وسعادة وطاعة لله، وتعدهم إعدادا نفسيا لاستقبال حدث جميل محبب وأيام فاضلة ترضي الله سبحانه.

## تنمية وغرس حب ذكر الله

يتعين على الأم أن تظهر لأبنائها أن عبادة الذكر من العبادات اليسيرة التي لا تشترط تفرغا تاما، بل يرددها المرء في جميع حالاته. ولكي تلفت نظر أبنائها إلى تلك العبادة البسيطة تحرص الأم على ترديد الذكر أمام الأبناء لتذكرهم به من حين لآخر ولتنبههم لفضيلة الذكر، فحضور القلب والحرص على ذكر الله يحدث نوعا من العادة المحمودة التي بدورها تتحول إلى عبادة دائمة باللسان والقلب معا.

## التوبة إلى الله

يجب على الوالدين تذكير الأبناء دوما بأهمية التوبة وأنها تجب الذنوب طالما التزم العبد التوبة الصادقة، فيجدد نيته، ويخلصها لله عزوجل، ويقبل على الله بقلب سليم راجيا أن يتقبل توبته وإنابته، فيتعلم الأبناء معنى مجاهدة النفس والحرص على اغتنام الأوقات في الأعمال الصالحة والبعد عما يغضب الله.

## التآزر والتعاون

ولشهر رمضان العديد من الفوائد التربوية والاجتماعية في تهذيب النفوس وإيقاظ المشاعر وتنمية قوة الإرادة، فبتعليمنا الصيام لأطفالنا نرسخ في أذهانهم فكرة الالتزام، وروح المسؤولية، والنظام بصفة عامة، وذلك بالتسابق لفعل الخير والإحسان للمعوزين الذين لا يجدون قوت يومهم، ليس في هذا الشهر فقط وإنما في كل أيام السنة؛ وهكذا يكون أطفالنا قد اكتسبوا أكبر عدد من الصفات الحسنة من صبر وتحمل الشدائد، وكبح جماح هوى النفس، في معترك هذه الحياة.

حمزة بلقروية
باحث في الفكر الإسلامي

# الحياة الزوجية

من الفطرة البشرية ميل الرجل والمرأة بعضهما لبعض، وكل منهما يحتاج إلى الآخر، ويكمله. والإسلام دين الفطرة؛ فجعل الله عزوجل الزواج هو السقف الوحيد الذي يجتمعان تحته ويتقاسمان فيه كل تفاصيل حياتهما، فلذلك نظم الله هذه العلاقة وجعل لها آدابا وقواعد تسير عليها حتى تكون حياة زوجية سعيدة يشعر فيها كلا الطرفين بالسكينة والطمأنينة.

إن أول خطوة يقوم بها المسلم من أجل بناء أسرته هي البحث عن الزوج أو الزوجة، وقام الإسلام بتوجيه هذا الاختيار حتى تنجح هذه العلاقة الزوجية، وحدد له معاييره؛ فالرجل مطالب بحسن اختيار زوجته والمرأة كذلك. وجاءت السنة النبوية لتحدد معايير الاختيار السليمة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1]، وعن أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض»[2]، ونستنتج من هذين الحديثين أن القاسم المشترك في الاختيار هو الدين وحسن الخلق، فمن الخطأ اليوم في مجتمعاتنا أن نجعل اختيار الزوجة قائما على جمال جسدها أو مالها أو حسبها فقط، ونهمل جانب الأخلاق والدين فيها، فكأن النبي ﷺ يسعى إلى الارتقاء بأذواقنا المنحسرة في المظاهر المادية أو في الميول الشهوانية؛ لأن جمال المرأة قد يزول بتقدمها في السن، ومالها قد ينفد وتصيبها فاقة، وحسبها لا قيمة له إن كانت لا أخلاق فيها وإن كانت بعيدة عن دينها وغير ملتزمة به، فصلاح الزوجة يكون في صلاح دينها وخلقها؛ لأن الحياة الزوجية ليست مقتصرة على تلبية الغريزة الجنسية فقط، بل هي مشاركة الزوج لزوجته أعباء الحياة وكل تفاصيلها والبقاء إلى جانبها إلى آخر حياته، فلو فقدت الزوجة هاتين الصفتين الأساسيتين من حسن خلق ومن تمسك بدينها، فإن الحياة الزوجية لن تستقيم وستسوء العلاقة فيما بينهما وسينفر بعضهما من بعض؛ بسبب سوء الخلق في القول والفعل، وبسبب فساد تصوراتها واختلال القيم عندها لبعدها عن دينها الذي هدفه تهذيب سلوك الفرد وتصحيح مساره في الحياة ونظرته إليها. وكذلك معيار اختيار المرأة لزوجها يكون على حسب خلقه ودينه وليس على أساس المظاهر المادية الزائلة التي لا قيمة لها في ميزان الشرع، وقد قال رجل للحسن: «قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال: ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها»[3]، فالرجل السيئ الخلق لن يكون عنصرا ناجحا وفعالا في أسرته، وستكثر أذيته لزوجته، وقد يصل به الأمر إلى تعنيفها. وإذا أضيف إليه البعد عن الدين، فإنه سيحملها ما لا طاقة لها به، ولن يحترم حقوقها، وسيهملها ولن يخاف الله فيها. ولعل من الفتنة والفساد اللذين ذكرهما الحديث انتشار نسب الطلاق داخل المجتمع وتفكك الأسر وضياع الأبناء.

ويعتبر الإسلام الزواج عبارة عن علاقة حب ومودة ورحمة بين الزوجين وكل منهما للآخر؛ يلتمس فيه السند والعطف والمواساة والأمن، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١)، فالله عزوجل، بوصفه الدقيق، يخبرنا أن الزوجة جزء من الرجل، وأنه خلقها منه حتى يترفق بها ويحسن إليها ويكرمها.

يشهد عالمنا العربي اليوم ارتفاعا ملحوظا في نسب الطلاق، ويعود ذلك إلى عدة أسباب، فمن أكبر المشكلات اليوم بين الزوجين الإهمال وانشغال بعضهما عن بعض، فلا يتحدثان ولا يمضيان وقتا طويلا معا ولا يتقاسمان مشاق الحياة حتى تتسم العلاقة بينهما بالبرودة، وقد فطن رسول الله ﷺ لهذا الأمر، فنراه، رغم عبء الدعوة ومشاقها، يلاعب زوجاته ويتسابق مع أمنا عائشة – رضي الله عنها – فتسبقه ويسبقها، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث[4].

وكذلك اعتبر رسول الله ﷺ من ينفق على زوجته ويرفع اللقمة لفمها أن له أجرا عند الله فقد قال ﷺ: «إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها

حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك»، بل جعل الاهتمام بالزوجة في حالة مرضها كمن له أجر من جاهد معه، فعندما مرضت بنت رسول الله ﷺ أمر النبي ﷺ زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يبقى عندها ليمرضها وتخلف عن معركة بدر، فقال له النبي ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه»[٥]. ومن أكبر المشكلات أيضا قسوة الزوج على زوجته إذا صدرت أذية منها أو بسبب عيب فيها، مما يورث النفور بينهما، وقد ضرب لنا رسول الله مثالا عاليا في الصبر على الزوجة حتى نقتدي به، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة (إناء) فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت»[٦]. وكذلك أمرنا بالتجاوز عن عيوب الزوجة والنظر إلى محاسنها فقال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر»[٧]. ومن أكبر المشكلات أيضا أن تفقد الزوجة عطف زوجها ولا تشعر بمواساته لها إذا حزنت ويعاملها بجفاف عاطفي فلا تشعر بحبه لها، ولو نظرنا في حياة الرسول الزوجية لوجدناه يصرح بحبه لزوجته خديجة فيقول: «إني قد رزقت حبها»[٨]، وكذلك كانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان ذلك يومها، فأبطأت في المسير فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول حملتني على بعير بطيء، فجعل رسول الله يمسح بيديه عينيها، ويسكتها..»[٩]، ومن المشكلات أيضا أن يحمل الرجل زوجته ما لا تطيق من أعمال المنزل، فمن رحمة رسول الله بأزواجه أنه كان يخصف نعله بنفسه ويخيط ثوبه بنفسه، وعندما سئلت أمنا عائشة - رضي الله عنها - ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان في مهنة أهله[١٠]. ومن المشكلات أيضا أن يفقد الزوج سند زوجته له في شدائده، ويعتبر زوجات الرسول خير قدوة لكل مسلمة، فعند بداية الدعوة قامت أمنا خديجة بتثبيت النبي ﷺ عندما فزع إليها وقامت بالرفع من معنوياته، وفي صلح الحديبية عندما لم يستجب له الصحابة حين أمرهم بالنحر والحلق، دخل ﷺ غضبان على أم سلمة، فأشارت عليه وهدأت من روعه وقالت: «يا رسول الله، قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنسانا، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره، واحلق فلو قد فعلت ذلك، فعل الناس ذلك»، فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون[١١]. ومن المشكلات أيضا ربط السعادة الزوجية بالماديات وتكليف الزوج ما لا يطيق من مصاريف ومن كماليات، وفي المقابل كانت زوجات النبي ﷺ يصبرن على ضيق العيش، فيمر الشهر والشهران ولا توقد نار في بيته ﷺ، ورغم ذلك، فإنهن حظين بحياة سعيدة مع رسول الله. ومن المشكلات أيضا تمرد الزوجة المستمر على زوجها؛ فلا تسمع لأمره ولا تقيم لرأيه وزنا، بل تحرم الزوج في بعض الأحيان من حقه من دون سبب، وهذا من المهلكات التي تجعل الزوج يزداد حقدا وبغضا لزوجته، ولذلك قرن الرسول ﷺ دخول المرأة الجنة وبعدها عن سخط ربها بطاعة زوجها في ما هو مباح، وألا تمنعه عن نفسها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»[١٢]، وفي حديث آخر يقول ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[١٣].

ومن المشكلات أيضا إهمال الزوجة لزوجها، فلا تتجمل له ولا تحسن استقباله، ولذلك أخبر رسول الله ﷺ أن حسن تبعل المرأة لزوجها والاهتمام به يعدل الجهاد في سبيل الله، فلما سألته أسماء - رضي الله عنها - فقالت له: يا رسول الله: إن الرجال فضلوا علينا بالجمعة والجماعات وحضور المشاهد والجهاد في سبيل الله، فما لنا نحن النساء؟ فقال لها النبي ﷺ: «ارجعي إلى من وراءك من النساء فأخبريهن أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله»[١٤].

من المهم جدا أن يدرس الرجل والمرأة الحياة الزوجية لرسول الله ﷺ ليقتديا به وبأزواجه حتى تبقى الأسرة متماسكة ويستشعرا معنى السعادة الزوجية ويجتنبا ما يعكر صفوها ويعلم كلا الطرفين حقوقه وواجباته فيلتزم بها.

## الهوامش

١- متفق عليه.
٢- رواه الترمذي.
٣- كتاب إحياء علوم الدين للغزالي.
٤، ٥، ٦- رواه البخاري.
٧، ٨- رواه مسلم.
٩- رواه النسائي.
١٠- رواه البخاري.
١١- رواه أحمد.
١٢- رواه ابن حبان.
١٣- متفق عليه.
١٤- رواه الأصبهاني.

هبة محمد أبو الفتوح
كاتبة مصرية



فرض الله سبحانه وتعالى صوم شهر رمضان على كل مسلم عاقل بالغ، وجعله ركنا من أركان الإسلام الخمسة. وقد اهتم الإسلام بتنشئة الأطفال على ممارسة العبادات منذ الصغر امتثالا لتوجيهات الرسول ﷺ.

# الأسرة وتدريب الأطفال على الصيام

ويعد صيام شهر رمضان مدرسة من أعظم مدارس التربية قديما وحديثا، ووسيلة من أنجح وسائل تهذيب النفس، وتصحيح العادات، وتقويم السلوك وتقوية العزائم.

ومن المعلوم أن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تلعب دورا كبيرا في تشكيل شخصية الطفل، ففي نطاق الأسرة يتلقى الفرد مؤثراته الاجتماعية الأولى ونماذجه الثقافية؛ أي إن الأسرة هي التي تضع البصمات الأولى في تكوين شخصية الطفل، وتحدد اتجاهاته الاجتماعية والدينية والخلقية والنفسية، ويتطلب ذلك من الوالدين أن يكونا بمثابة القدوة الحسنة لأبنائهم حتى ينجحوا في إكسابهم هذه الاتجاهات على نحو إيجابي[1].

ويتيح شهر رمضان للآباء والأمهات، الفرصة لتدريب الأطفال على الصيام، بهدف غرس عادات وقيم حميدة، وسلوكيات منظمة، منضبطة على فعل الصواب ومراقبة الذات، وهذا التدريب يعد وسيلة عملية وناجعة لتقوية العزيمة والإرادة وتحمل المشاق والصعاب علاوة على التحكم في النفس وضبطها.

لكن كيف يمكن للآباء والأمهات استثمار فرصة صيام شهر رمضان لتحقيق طفرة نوعية في سلوكيات أبنائهم؟ إن هذا الأمر يتأتى بالتركيز على ثلاثة جوانب؛ الأول: الجانب العقلي، وعن طريقه ندرب أبناءنا على كيفية التعرف والتمييز بين السلوكيات الصحيحة والخاطئة، فمثلا يتعرفون على الصدقة وفوائدها للإنسان في الدنيا والآخرة، وفي المقابل يتعرفون على البخل والطمع وتداعياتهما السلبية على الإنسان





في حياته وبعد مماته.

الثاني: الجانب الوجداني، أي أن نربي في الأطفال الرقابة الذاتية للنفس بحيث يتمكن الطفل من تحديد جوانب الضعف والخطأ والتقصير بنفسه، وكيفية التغلب عليها في هذا الشهر الكريم.

الثالث: الجانب التطبيقي الحياتي، أو ما يسميه علماء التربية بالسلوك الإنساني الحميد، ويكون ذلك عبر القدوة الصالحة من الوالدين، والمدرسة، ومن خلال تدريب الأبناء على الأخلاق والسلوكيات الحميدة، مثل قول الصدق والأمانة وإتقان العمل والإخلاص فيه.

## التدرج في الصيام

وتعليم هذه الفريضة للأطفال ينصب على الصيام البدني، حتى إذا ما صار الأمر يسيرا عليهم، أرشدوا إلى الثمار الروحية التي يجنيها الصائمون، وهذا المنهج كان يطبق في العصر النبوي، فعن الربيع بنت معوذ بن عفراء، رضي الله عنهما، قالت: «أرسل رسول الله ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار حول المدينة: من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن أصبح مفطرا، فليتم بقية يومه. فكنا نصوم ونصوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياها حتى يكون عند الإفطار» (رواه البخاري).

وهكذا كان يدرب الأطفال مع الكبار، ويتم تعويد بطونهم على الامتناع عن الطعام والشراب حتى يعتادوا على حال الصوم[٢].

وعن ذلك يقول العلماء: إن الصيام ليس بواجب على الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، ولكن يتعين تدريب الطفل عليه قياسا على الصلاة، فقد قال رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه أحمد وأبو داود).

ولتأهيل الأطفال نفسيا لتقبل فكرة تدريبهم على أداء فريضة الصوم؛ يجب على الأمهات أن يتحدثن مع أطفالهم أولا عن أهمية الصيام في شهر رمضان بأن الله شرع علينا فريضة الصوم من أجل الشعور بألم جوع الفقراء ممن لا يتوافر لديهم المال لشراء الطعام.

كذلك يجب أن يعلم الطفل أن في هذا الشهر الفضيل أيضا يغفر الله الذنوب والأخطاء التي فعلها الإنسان طوال العام، وهكذا نستطيع أن نغرس في نفس الطفل الكثير من القيم والمعاني الإيمانية إلى جانب الالتزام بمنهج «الصيام بالتدريج»، وهو ما يجب على كل أم العمل به بالنسبة لطفلها الذي سيصوم لأول مرة، فلا يترك الطفل ليصوم اليوم حتى نهايته، بل تحدد ساعات لصيامه كأن يصوم في اليوم الأول حتى صلاة الظهر، وفي اليوم الثاني يصوم حتى صلاة العصر، وهكذا حتى يستطيع الصوم إلى نهاية اليوم.

## الهوامش

١- محمد جابر محمود، مجالات تربية الطفل في الأسرة والمدرسة من منظور تكاملي، ط عالم الكتب للطباعة والنشر بالقاهرة، ص٢٣.

٢- كارم عبد الغفار، كيف نربي أطفالنا على هدي النبي، ط دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، ص٢٥.

د. محمد محمود العطار
أستاذ مساعد - جامعة الباحة

# الطلاق.. وشخصية الطفل



**شرع الخالق سبحانه وتعالى الطلاق على أساس أن الزواج مشاركة روحية واجتماعية، ويقوم على الإيجاب والقبول من كلا الطرفين، ولما كان الأمر لا يخلو من وجود حالات يسودها التنافر، واستحالة قيام الحياة الزوجية على الوجه الصحيح، فإن الإسلام لا يجيز بقاء زوجين مترابطين على كره؛ لذلك أحل الطلاق على الرغم مما يترتب عليه من آثار وخيمه تمتد إلى الأطفال والمجتمع.**

إن الطلاق من أسباب انهيار الأسرة؛ حيث يؤثر على الطفل بفقدانه أحد الوالدين، وشعوره بالنقص عن أقرانه، والخوف من المستقبل، وعدم وجود القدوة التي تحتذى في سلوكه.

وقد يتسبب الطلاق في إحداث خلل في شخصية الأطفال مما يساعد في كثير من الأحايين على الجنوح والانحراف. فالقلق والخوف والحرمان... مشاعر تنتاب أعدادا كبيرة من الأطفال الذين يدفعون وحدهم ثمن الطلاق؛ حيث يظل الطفل في مجتمعاتنا حقل تجارب للمعاناة النفسية للوالدين المنفصلين، فالزوج الذي يطلق زوجته يتصارع كي يثبت أنه على صواب، ويلجأ إلى كل الأساليب المشروعة وغير المشروعة ليهزم مطلقته، والزوجة المطلقة تستغل حضانتها لأولادها

لتزرع في نفوسهم بذور الكره تجاه الأب.

إن الطلاق يلقي أيضا في نفوس الأطفال ظلالا كثيفة من الحزن والأسى والضياع لا قبل لهم بتحملها إلا إذا عمل الداهما على تخفيف هذه الآثار على أقل درجة ممكنة، ويمكن أن نوجز أهم الآثار المترتبة على الطلاق بالنسبة للأطفال فيما يلي:

التمزق العاطفي للأطفال بين حبهم لكل من الوالدين، وارتباطهم بهما معا، وعدم الانحياز إلى جانب دون آخر.

ترسب الانطباعات النفسية الحادة في نفوس الأطفال، والتي تؤثر على علاقاتهم بالمجتمع مما يعوق تكيفهم مع غيرهم من الناس.

استخدام الأطفال بقصد أو بدون قصد للانتقام والإيذاء المتبادل بين الزوجين وهم في هذا، وبحكم الضرورة سيكونون وسيلة الإيذاء وغايته في الوقت نفسه.

إصابة الأطفال بإحساس عميق بالتهديد والخوف نتيجة لما يصاحب الطلاق من اضطراب كبير في أوضاع الأسرة المادية والاجتماعية فتكون الأسرة عاجزة عن إشباع الكثير من حاجات الطفل المادية والنفسية والاجتماعية.

ينظر الطفل إلى المجتمع من خلال أسرته، فالأسرة بالنسبة للطفل هي المرآة التي يرى فيها المجتمع الكبير، ومن تجاربه فيها تترسب في نفسه الكثير من الانطباعات التي يتخذ منها أحكاما عامة تؤثر في سلوكه واتجاهاته وعلاقاته في المستقبل.

إن الطلاق يفقد الأطفال الرقابة والإشراف والمثل الأعلى الذي يحتذونه، وتشتتهم بين الأب والأم يجعلهم عرضة للتشرد والانحراف.

إن الطلاق بجانب هذه الآثار يؤدي إلى تفكك الأسرة وحرمانها من تأدية وظائفها، كما أنه يفقد المرأة الكثير من مكانتها في المجتمع كمطلقة، وهذا يعطلها عن الزواج، خاصة لو كان لديها أطفال، وقد لا تجد من يعولها.

إن الطفل الذي ينشأ في أسرة يتوافر فيها التسامح، والدفء العاطفي، والحب، والاحترام، والتقدير المتبادل، يكون قادرا على التغلب على الصراعات والاحباطات التي يمكن أن يواجهها في حياته.

كما أن الحب والأمن النفسي يحقق للطفل الاستقرار في علاقاته، وفي انطلاقاته نحو الحياة السليمة في شتى مراحل عمره، بعيدا عن عوامل القلق والاضطراب والاهتزاز في شخصيته في العلاقات الإنسانية مع الآخرين، بدءا بأفراد أسرته، وامتدادًا في المستقبل مع المجتمع الخارجي في علاقاته المختلفة تبعًا لما تمليه طبيعة مراحل نموه.

إن الجو الأسري الآمن المطمئن، الذي يسوده الحب، وتنتشر فيه المودة والعطف، ويرى فيه الأطفال المُثل العليا، والقدوة الحسنة، سيصبح تربة صالحة لنمو النبت الأخضر، وعندئذ نجني ثمرة طيبة من أسرة متماسكة متزنة.

كذلك الاستقرار العائلي، والعلاقات المتوازنة بين أفراد الأسرة، بدءا من علاقات الوالدين، والتزامهما بالحياة الأسرية السليمة، وأداء الوظائف الأسرية المتوقعة، في تعاون وثيق، وتكيف وتوافق كاملين، بعيدًا عن الصراعات والمنازعات الزوجية، يؤدي إلى خلق جو نفسي سليم. يساعد على نمو الطفل نموا سليمًا متكاملا كما تؤدي العلاقات الأسرية السوية إلى إشباع حاجة الطفل إلى الحب والرعاية والانتماء والأمن النفسي.

إيمان مصطفى علي
باحثة مصرية

# أفلام العنف والإثارة تهدد الطفولة!

إنها ليست الأولى ولا الأخيرة، لكنها الأهم والأحدث في خضم الرسائل العلمية التي تناولت آثار «الأفلام الأجنبية» على سلوك الأطفال؛ فقد حذرت الباحثة الدكتورة رحاب لطفي من خطورة أفلام العنف والإثارة والرعب والمغامرات، والتي يختارها النشء لمشاهدتها لما تحتويه من مشاهد عنيفة ومرعبة.

هذا، وأوضحت «الباحثة» أن مشاهد العنف على شاشة التلفزيون؛ تعد من القضايا المهمة التي شغلت اهتمام الباحثين، فقد أجريت حولها العديد من الدراسات خاصة في الدول الأجنبية، والتي أثبتت أن أفلام العنف تلعب دورا كبيرا في التأثير على اتجاهات الأطفال، وإكسابهم الميول والسلوكيات العنيفة، خاصة مع زيادة التعرض لمشاهدة هذه الأفلام، كما أظهرت نتائج العديد من الدراسات أن عرض العنف يدعم اتجاهات وسلوكيات الأطفال نحو العنف.

### الوسائل الجذّابة

تقول الباحثة: للظاهرة أبعاد ثلاثة، هي: «البعد الاجتماعي»؛ والذي يبين انتشار ظاهرة العنف في المجتمعات المختلفة. و«البعد الإعلامي» وهو يوضح الاتجاه الموجّه لوسائل الإعلام وتدعيمها لاتجاهات وسلوكيات وقيم عنيفة للأطفال، وذلك من خلال تكرار عرض هذه الأفلام لمشاهد العنف الإعلامية. وأخيرا: «البعد النفسي» حيث إنَّ تأثير المتغيرات والعوامل النفسية المحيطة بالطفل يساعد على دفعه لاكتساب سلوكيات عنيفة، ونظرا لأهمية المرحلة العمرية من ١٥-١٨ سنة تكمن مشكلة الدراسة من حيث أثر أفلام العنف على اتجاهات عينة من الأطفال نحو العنف في محاولة للتعرف على حقيقة هذا التأثير المحتمل بالنسبة لواقع المجتمعات العربية.

هذا، وتؤكد الدراسة: أن التلفزيون يعتبر من الوسائل الإعلامية الجذابة التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية وغرس قيم بعينها، بالإضافة إلى أنه وسيلة مرئية تقدم المعلومات المصورة البسيطة والمشوِّقة؛ مما يساعد الطفل على محاولة تقليد العنف المقدم له بالتلفزيون، كما أن ارتفاع نسبة مشاهد العنف في الأعمال الدرامية بالأفلام الأجنبية يؤدي إلى انفعال المشاهد بها، مما يجعله مؤهلا لتقليدها، وبالتالي ارتكاب ما بها من جرائم، إضافة إلى ذلك مساعدة التلفزيون في انحراف الشباب من خلال سيطرة العنف والجريمة ونزعات الشر وصور البطولة الخارقة في الأفلام الأجنبية، كما أن هذه الأفلام

تعتبر هي السمة الغالبة على الإنتاج السينمائي، والعادات العدوانية تبنى من خلال التأثير التراكمي للعنف الإعلامي المرئي، والأطفال في المرحلة العمرية «١٥-١٨ سنة» يقبلون على الأفلام الأجنبية المحتوية على كم من المشاهد المثيرة للعنف.

وقد لاحظت «الباحثة» وجود عنف بصورة فجّة ومخيفة لا تتناسب مع الأطفال الصغار، خاصة في الأفلام الأجنبية، وقد وجدت تصنيفاً تجاريا تُسمى به أفلام العنف وهو «أكشن»، وذكرت أن قانون الرقابة لم يضع حدودا أوْ بنودا محددة بذاتها لحذف مشاهد أو ألفاظ تدل على العنف البدني أو اللفظي، بل هي مسألة تقديرية للمسؤول عن الرقابة على المصنفات الفنية، كما ألقت اللوم على التنشئة الاجتماعية للأطفال، وعلى دور الآباء في الرقابة.

وتقدمت «الباحثة» بمجموعة من المقترحات، منها: أهمية التعرف على تأثير مشاهد العنف بعيدة المدى على كافة القطاعات المختلفة من المجتمع من أطفال وشباب، وضرورة الاهتمام بدراسة أثر العوامل التي تستطيع السيطرة على ظاهرة العنف، فالأسرة يأتي دورها في المرتبة الأولى، حيث إن التربية الأسرية السوية نفسيًا واجتماعيًا لها أثر كبير على سلوكيات الأطفال، ويجب أن يكون هناك قدر كبير من الرقابة والسيطرة على ما يعرض من أفلام العنف الأجنبية، وضرورة القيام بحملات ضد عنف الأطفال والشباب تتبناها وسائل الإعلام والمؤسسات التربوية والدولة.

## إشباع الاحتياجات النفسية

على جانب آخر، ترى «الباحثة» أنه من الضروري إشباع الاحتياجات النفسية للأطفال، وفي مقدمتها: الشعور بالأمن والاطمئنان، وإرضاء رغبتهم في تحصيل المعرفة الناتجة عن حب الاستطلاع وتحقيق طموحاتهم المستقبلية، بحيث لا تفرض عليهم السلطة بشكل قهري تؤثر على ضمور هذه الطموحات، كما أن الطفل في حاجة إلى أن نوفر له احتياجاته الاجتماعية، كأن يكون محبوبًا في دائرة تعاملاته الضيقة في الأسرة والمدرسة والمجتمع، وأن تكون بينه وبين الناس جسور اتصال ومودة، الأمر الذي يوفر له مناخاً ملائمًا لتحقيق الذات وبناء الشخصية، وإثبات وجوده داخل المجتمع الذي يعيش فيه؛ لأن إشباع هذه الاحتياجات لا يقل أهمية عن حاجته إلى التعليم وتحصيل المعارف التي تناسب قدراته.

## من السلبية إلى الإيجابية

وفي مجال تناولها لإستراتيجية تثقيف الطفل تقول الباحثة: إن النظرة المستقبلية تحتاج إلى الكثير من المواد الخاصة ببرامج الأطفال الإسلامية، وهي تعوزنا إلى حد كبير؛ لذا فإن الأفكار التي نعرضها لا نبدأ فيها سوى من منطلقات تصورية، وليس من أرض الواقع؛ لنضع بذرة في تربة طيبة، وكلنا أمل أن تنمو، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال الحوار والمناقشة في لقاءات التربويين مع رجال الإعلام والقائمين على ثقافة الطفل لوضع إستراتيجية تثقيف الطفل من خلال إعداد البرامج الجادة التي تجذب أطفالنا نحو التجاوب مع ثقافتنا الإسلامية، وإبعادهم عن مؤثرات ومغريات وسائل التثقيف الأجنبية؛ لأن ما يصلح للطفل في دول الغرب لا يصلح للطفل في الدول العربية والإسلامية، ومن الضروري أن يضع المهتمون بثقافة الطفل أمر مشاركة الأطفال في برامج التثقيف، حتى لا يتحولوا إلى مجرد مُتلقّين لهذه الثقافة بصورة سلبية قد تنفرهم وتدفعهم إلى الجانب الآخر من الثقافة المستوردة.

وأكدت «الباحثة» على أن أجهزة الإعلام والتثقيف والتعليم قادرة على أن تغير من ثقافة أطفالنا وتطورها، وذلك لحماية أطفالنا من السلبيات وتصونهم من هامشيات الفكر المتسرب إلى ديارنا وتحميهم من الأخطار التي يتعرضون لها بسبب الغزو الثقافي الموجه إليهم، والذي يعمل على استيعابهم وبناء شخصياتهم وفقًا للمنهج الغربي.

لذا؛ فإن وسائل تثقيف الطفل في بلادنا يجب أن تنهض لاحتلال موقعها في هذا المجال لتنشئة الأجيال المسلمة وفقًا لمفاهيم الدين الإسلامي الصحيح لتعمق لديهم الاعتزاز بأمتهم والانتماء السليم إلى القيم النبيلة الموروثة، فالأطفال هم شباب المستقبل، وأهم ثروة تملكها الأمة في دروب تصحيح المسيرة وحشد الطاقات لصالح الأوطان.

## البديل الأفضل

وحول رؤيتها بشأن تداول قصص الأطفال التي وضعها خبراء الغرب وأخطار ترجمتها ونشرها في دول العالم العربي، تقول «الباحثة»: إن سياسة منع تداول الأفلام السينمائية أو قصص الأطفال الغربية في بعض دول العالم العربي والإسلامي تنطوي على خطأ كبير، حتى لا يشعر الطفل لدينا أن بلاده تحرمه من حق الاستمتاع بما يتمتع به أطفال الغرب، إنما الواجب هو إيجاد البديل الإسلامي عن طريق تجويد الموجود الذي يناسب عمر الطفل وذوقه واهتمامه، بشرط ألا تقل هذه الأعمال المحلية عن مستوى الأعمال المشابهة لها في دول الغرب، والواجب استبعاد الأعمال التي تتحدث عن تفوق جنس على جنس؛ لأن ذلك من العنصريات التي يرفضها الإسلام، والتي يجب ألا تنتشر بين أطفالنا.

وأضافت: يجب التصدي لأخطار الترجمة في مجال تثقيف أطفالنا، ونعمل على تنحية المناهج الغربية التي لا تساير عقيدتنا وعاداتنا وتقاليدنا النبيلة، وذلك في إطار تقديم البديل الإسلامي الصالح لمخاطبة أطفال هذه الأمة، بعيدًا عن الأسلوب الوعظي الجاف، حتى لا تصبح أزمة الطفل المسلم أزمة مزدوجة تتمثل في حرمانه من أعمال الغير، وعدم صلاحية الأعمال التي تقدم إليه بمعرفتنا وعدم تناسبها مع نفسية الطفل.

د. محمود سعيد
ناقد مسرحي
عضو اتحاد كتاب مصر

# التسلل الغربي في أدب الطفل العربي

لم يكتف الغربيون بالإساءة للعرب في القصص البوليسي الموجه للشباب، وفي أدب الرحلات الذي يقرؤه بعض المثقفين كما يقرأه العامة.. بل اتجهوا لاستغلال قصص الأطفال لتسميم الأذهان الصافية، وشحنها ضد العرب.. مما يصعب محوه بعد ذلك بسهولة.

وخطورة هذا النوع من التشويه أيضا تكمن في إمكانية تداوله بين أطفال الغرب، وأطفال العرب، حيث انتشر الإلمام باللغات الأجنبية بين أطفالنا.. ولا يخفى ما لذلك من خطر على فكر النشء، إذ يتغذى من البداية بمبادئ هدامة، تشوه عقيدتنا الإسلامية، ومبادئنا السمحة، وتعرقل خطواتنا نحو بناء جيل جديد قوي الإيمان، ذلك ما تضمه كتب الأطفال، والمجلات المصورة الأجنبية من أفكار هدامة وصور مشوهة، تصل إلى الأذهان الغضة فتؤثر فيها وتدمغها بصبغتها.. لذا عمد الغربيون إلى التسلل من خلال أدب الأطفال الغربي إلى بغيتهم؛ بهدف نشر أفكارهم في أرض خصبة هي عقول الصغار القابلة للتأثر بسهولة، والتي يمكن ملؤها بما لا يمكن محوه مهما تقدم العمر.

ومن هنا كانت خطورة المواد الإعلامية الخاصة بالأطفال، والتي يجب أن نوليها اهتمامنا فنحجبها عن صغارنا، ونحاول التصدي للرد على ما فيها من افتراءات؛ تحسبا من خطرها.

وفي مقدمة هذه النوعية من الكتب.. الموسوعات والمعاجم الخاصة بالأطفال، والكتب الدراسية التي تدرس في المدارس الأجنبية المنتشرة في عالمنا العربي، وقصص المغامرات والمجلات المصورة والملونة، والأفلام الكرتون لما لها من جاذبية خاصة.

وتحديدا نعرض لبعض محتويات مثل هذه المواد الإعلامية، إبرازا لأوجه الخطر الكامنة بين سطورها على أطفالنا المتلقين للثقافات الغربية، ذلك أن الغربيين يعمدون إلى التسلل من خلال أدب الأطفال إلى تحقيق الغزو الفكري، ونشر قيم واتجاهات مرفوضة في مجتمعنا العربي، في محاولة لخلق جيل غير مكترث بقيمه، إن لم نقل رافضا لها، غير مؤمن بها.

ويدعم هذا الغزو الفكري أنه يأتي في قالب من المتعة، والتشويق والتسلية، بأساليب منوعة، تعتمد على الجذب عن طريق الطباعة الأنيقة، والورق المصقول، والألوان البراقة، والصور والرسوم، والرموز الموحية والجذابة.

وتكمن خطورة التسلل الغربي من خلال أدب الأطفال إلى خصوبة هذا المجال، ذلك أن الطفل في مراحل العمر المبكرة يصدق ويؤمن بكل ما يقرأ، ولا يملك القدرة على التفكير التجريدي، الذي يحقق له التمييز بين الخطأ والصواب، مما يؤثر تأثيرا سلبيا في تكوينه، وتنمية خلقه وبالتالي سلوكه.. ناهيك عما ينتابه من مشاعر الاغتراب والضياع؛ نتيجة لما يقرأه بعيدا عن واقعه المعيش.. محيرا إياه ما بين الواقع المحلي وما يقرأه.

ومن المواد الإعلامية الخاصة بالأطفال باللغتين الإنجليزية والفرنسية والتي من شأنها التأثير على أفكار النشء والتي تحظى باهتمام المترجمين، فتتحول دون تدقيق في محتواها إلى نصوص عربية يطلع عليها كل الأطفال ما يلي:

- الموسوعات والمعاجم المصورة.
- الكتب الدراسية.
- القصص.
- المجلات.
- الصور والبطاقات.
- أفلام الكرتون.

وكثر تداولها بين الأطفال من خلال المكتبات والمدارس الأجنبية، وتبرز خطورة هذه المواد على اختلافها في أنها أكثر من جذابة بالنسبة لجمهور الأطفال؛ نظرا لصدورها في طبعات أنيقة ملونة ومصورة، ولا يخفى ما لهذا العنصر من أهمية بالنسبة للأطفال، كما تبرز خطورة هذه المواد أيضا، رغم أن غالبيتها باللغة الإنجليزية، نظرا لانتشار هذه اللغة وإجادتها في المجتمعات العربية، ولاعتماد هذه المواد أحيانا على الصورة أكثر من الكلمة مما يمنحها رواجا أكبر، حتى بين من لا يجيدون لغة أجنبية.

أما عن أهم الاتجاهات السائدة في مثل هذه المواد جميعا فهي:

- التنصير.
- الإساءة للإسلام وتشويه التاريخ الإسلامي.
- تشويه صورة العرب في أذهان النشء.
- الترويج للمعتقدات والمزاعم الصهيونية.
- شرح لممارسات إباحية أحيانا.

وتبرز أهمية التصدي لهذه الاتجاهات والأفكار، من انتشارها بين جيل بكر، يمكنه كسبه إلى جانب القضايا العربية والإسلامية، حتى وإن لم يكن من العرب والمسلمين، وخلق رأي عام فيما بينهم مؤيدا للعرب وقضاياهم.. وتعريفهم بالإسلام وقيمه، كنواة لخلق رأي عام مؤيد في كل أنحاء العالم.

فأما بالنسبة للتنصير فنجده متمثلا في القصص، والبطاقات المصورة، وأفلام الفيديو، والرسوم المتحركة.

ومن هذه الكتب التنصرية ما يصدر باللغة العربية في أجزاء وعلى شكل كتيبات صغيرة، وأخرى تصدر باللغة

الإنجليزية، فمنها الكتب المجسمة «Pop-Up Books» التي تقدم للأطفال فنا جذابا كقالب للأفكار المطروحة من خلال القصص الدينية، ومثل هذه الكتب تشكل خطرا حقيقيا على الاتجاه الديني للطفل المسلم.

هذا، ونجد أن الكتب الدينية الغربية تتضمن غالبا إيراد معلومات تتنافى والعقيدة الإسلامية، ومغالطات مرفوضة إسلاميا، إلى جانب بث قيم وسلوك يتنافى وأخلاق المسلم، إذ تضم الكثير من المعلومات التي تتنافى مع ما ورد في القرآن الكريم.

هذا، وتعمد الكتب التنصيرية والأفلام أيضا استغلال سذاجة الأطفال وفطرتهم؛ لتوجيههم إلى الديانة المسيحية ليس مباشرة فقط.. ولكن من خلال الإيهام بأن هذه الديانة تأتي بالخير لمعتنقيها، وذلك من خلال قصص تحكي عن البدايات الأولى لدخول المسيحية في المجتمعات البدائية، وكيف نهضت بها صحيا واجتماعيا، وكنموذج لذلك سلسلة الكتب المسماة «حقيبة طبيب الغابة» أو «Jungle Doctor's Case Book» تأليف «بول هوايت»، وقد نجحت هذه الكتب أيما نجاح في أفريقيا السوداء؛ لذا لا يجب التهوين من خطرها على أطفال المسلمين في بقاع أخرى من العالم.

ولا يخفى ما في ذلك من مفاهيم مقلوبة تلقن للأطفال فتترسخ في نفوسهم، وتدفعهم إلى الاعتقاد بأن اليهود أصحاب حق، وأنهم شعب عظيم، ناهيك عما تناوله نفس الكتاب من وصف لظروف اليهود أيام النازية، وما لاقوه من عذاب، وإيراده لجزء من صلوات اليهود تقول:

«انفخ البوق إيذانا بحريتنا.. واجمع اليهود المشتتين من أرجاء الأرض الأربعة، واذهب بهم إلى فلسطين القدس.. دعنا نعود إليها ونعيد بناءها اليوم وإلى الأبد».

وعدا عن ذلك، يتناول الكتاب الأحداث المعاصرة بوجهة نظر مغلوطة، تقول بأنه من نتائج الصراع العربي الإسرائيلي في عام ١٩٤٨م لم تقم (أي دولة فلسطينية)، ولم توثق معاهدات سلام، بل ظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، متجاهلا اتفاقيات التقسيم، والمعاهدات المختلفة منذ التفوق الإسرائيلي، وانتصارها الساحق في حرب ١٩٦٧م الذي أدى إلى ظهور المنظمات الفلسطينية «التي اتخذت من التخريب وخطب الطائرات طابعا لها».

ويقارن الكتاب نفسه بين العرب وإسرائيل، فيتطرق إلى ما أسماه «مشاكل العالم العربي كانتشار الفقر والجهل والمرض وعدم الاستقرار السياسي، والتضخم السكاني» ويقول إنه:

بالرغم من أن إسرائيل تعاني من عداء العرب المحيطين بها، والخوف من جيرانها.. إلا أنها استطاعت أن تتقدم في كافة المجالات الأخرى، وتتفوق عليهم، بالرغم من اتفاقها العسكري الضخم؛ وذلك بسبب هجرة اليهود من كافة أنحاء العالم الذين يتمتعون بقدر كبير من العلم والتكنولوجيا الحديثة.

كذلك الحال بالنسبة لبعض مجلات الأطفال، مثل مجلة «MN-Conny» التي تنشر قصصا كاريكاتورية تظهر فيها العرب بصورة وحشية غير إنسانية؛ وذلك بالطبع يحدث أثرا سلبيا لدى الأطفال تجاه العرب.

وحتى كتب الصلوات أو التي تعرف بالديانات، تكرس أيضا حق اليهود في أرض الغرب، وكنموذج لذلك الكتاب المسمى: «The Golden Treasury of Prayers for Boys and Girls» الذي يورد الصلوات اليهودية التي تكرس هذا الحق، كما نجد أن أفلام الرسوم المتحركة تورد بإلحاح رموزا يهودية، وكمثال فيلم الفيديو مصباح علاء الدين «Alaa El-Din's Lamp» وغيره من أفلام الكرتون التي تورد شخصيات خارقة يرمز لها غالبا برموز يهودية، في حين ترد صورة العرب مشوهة في هذه الأفلام، فلا يصور العربي إلا بدويا ساذجا، يجر جعله، ويجعل خنجره، وهو رث الثياب، متلصص النظرات!!!

من كل ما سبق يتضح لنا كيف يحاول الغربيون من خلال أدب الأطفال نشر أفكار هدامة، والتشكيك في الإسلام كدين.. وتشويه صورة الإنسان العربي، والدعوة إلى ديانات أخرى، والترويج لمعتقدات تتناقض، وتخالف القناعات العربية، خاصة فيما يتصل بقضيتنا الكبرى مع الصهيونية.. كل ذلك في إطار جذاب، وبأسلوب يتفق وميول الأطفال، ويؤثر فيهم أعظم تأثير.

إذ لا يتصور الفرد العربي العادي أن صورته مشوهة إلى هذه الدرجة، وأن سمعته يلوكها الغرب على هذه الصورة، لكننا هنا حرصنا على ذكر هذه النماذج المفجعة لعلها تحدث لدينا صحوة وانتباها لما يقال عنا، حتى فيما يقدم للأطفال، لنشعر بحجم الهجمة الغربية الشرسة التي ترمي إلى تشويه الصورة العربية، كخطوة على طريق تصحيحها.

محمد عباس محمد عرابي
باحث تربوي

# الأسرة وعزوف الأطفال عن القراءة

تشكل الأسـرة الطفل وتوجهه، وتتكون في محيطها عاداته وميوله واتجاهاته وثقافته؛ خصوصا أن الطفل قبل دخوله المدرسة يعيش فترة حب الاستطلاع واستكشاف البيئة من حوله. ومن الأسرة يكتسب الطفل طرق التفكير والتعبير والدين واللغة والتقاليد والعادات وأسلوب الكلام، وهذه الخبرات المبكرة لها أهمية كبرى في حياته، كما أن لها بالغ الأثر في تكوين شخصيته.

وتعد الأسـرة المصدر الأول لتعامل الطفل مع الكتاب والمعرفة والقراءة، فإذا كانت تجاربه في مجال القراءة طيبة ومشجعة، وكان التوجيه من الأسـرة ترغيبا لا ترهيبا.. كانت علاقة الطفل بالقراءة طيبة.

وكما للأسرة دور فعال في تكوين ميول حب القراءة لدى الأطفال وتوعيتهم بأهميتها، فإن لها أيضا دورا في علاج عزوف الأطفال عن القراءة، تلك الظاهرة التي تفشت بين أطفالنا هذه الأيام، عن طريق ما يلي:

– ترغيب الطفل في القراءة عن طريق شرح أهميتها العملية له، وسرد نماذج للأطفال الذين تفوقوا في مدارسهم بفضل حبهم للقراءة، وحبذا لو كانت النماذج مألوفة لدى الأطفال؛ أي من أبناء الأقارب والجيران.

– أن يكون الأبوان قدوة ونموذجا للقراءة داخل المنزل؛ لأن جذب الطفل للقراءة يستلزم إقبال الآباء أولا عليها؛ فإذا كان البيت عامرا بمكتبة، ولو صغيرة، فإن الطفل سيتولد لديه حب القراءة والكتاب.

– تخصيص مكان مناسب للقراءة: ينبغي على الأسرة تخصيص مكان جيد يشجع على القراءة تتوافر فيه الإضاءة المناسبة والراحة الكاملة للطفل ما يحببه في القراءة.

– اختيار الكتب التي تجذب الطفل للقراءة، خصوصا في بدايات تشجيعه على هذه العادة المحمودة، فالكتب ذات الصور والألوان المبهجة لها بالغ الأثر في جذب الطفل.

– التدرج مع الطفل في قراءاته: لكي تعالج الأسرة عزوف الأطفال عن القراءة ينبغي التدرج معهم، فمثلا تبدأ الأسرة بكتاب مصور فقط، ثم كتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة صورة وكلمة فقط، فكتاب مصور يكون في الصفحة الواحدة كلمتان.. وهكذا.

– توفير مجموعة من الكتب البسيطة للأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة؛ فهي تساعد في تكوين اهتمامات الطفل مستقبلا؛ لأنه يتأثر بها إلى حد كبير، فتفضيل الطفل للقصص الخيالية أو الواقعية يتكون في طفولته الأولى وعن طريق ما تقدمه الأسرة من مواد قرائية مصورة وبسيطة.

– تشجيع الطفل على تكوين مكتبته الخاصة: فعلى الأسرة اصطحاب الطفل للمكتبات التجارية لشراء مجموعة من القصص والكتب، وترك حرية الاختيار له، وعدم إجباره على شراء كتب بعينها.

– استغلال المناسبات الدينية، مثل الصوم والحج، لتقديم القصص والكتيبات الجذابة للطفل حولها.

– ألا ينقطع الطفل عن القراءة حتى في الإجازة والسفر؛ لأننا نسعى إلى جعله لا يعيش من دونها.

– يجب على الأسرة زيارة المدرسة، والتعرف على معلم القراءة، وبيان اهتمام الأسرة بقراءة أطفالها، وسؤال المعلم عن كيفية تدريس القراءة للطفل، والأنشطة المدرسية القرائية التي يمارسها الطفل في المدرسة.

– ينبغي على الأسرة الحرص على توفير المجلات والقصص المناسبة في السيارة، وتقديمها للطفل، لاسيما إن كان سيجلس لمدة طويلة في السيارة.

د. ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب
الكويت

# الرسول القدوة ذو الخلق العظيم

الحمد لله الذي اصطفى من ينابيع جوده نبع بدائعه محمدا، أكمل الخلق روحا وعقلا، وأعلاهم قدرا وذكرا، وأرفعهم فضلا ونبلا، وأشرفهم مجدا وعزا، وأحسنهم خلقا، وأصدقهم قولا وفعلا، وأهداهم طريقا وهديا ﷺ.

يقول في وصفه الإمام الماوردي رحمه الله: إن كمال أخلاقه ﷺ تمثل في ستة خصال، الأولى رجاحة عقله وصدق فراسته، والثانية ثباته في الشدائد، والثالثة زهده في الدنيا، والرابعة تواضعه للناس، والخامسة حلمه ووقاره، والسادسة حفظه للعهد. فهذه ست خصال تكاملت في خلقه، فضله الله تعالى بها على جميع خلقه.

أما أولى خصاله وهي رجاحة عقله وصدق فراسته، فيدل على وفورها فيه خمسة أدلة، هي: صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه للناس وأنه ما استغفل في مكيدة، ولا استعجز في شديدة. يقول وهب بن منبه رحمه الله: قرأت في واحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن الله تبارك وتعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا بمقدار حبة رمل، وسنورد لكم بالأمثلة ما يظهر من رجاحة عقله وصدق فراسته ﷺ.

المثال الأول يتعلق بشأن الأمة «صلح الحديبية»، والمثال الثاني يتعلق بشأن الأفراد «لعله يكون نزعه عرق له» المثال الثالث يتعلق بتعامله مع أهله «غارت أمكم، كلوا» في المثال الأول، أي ما يتعلق بشأن الأمة صلح الحديبية، فإن ما قبله الرسول ﷺ أثناء التفاوض يوم الحديبية من تنازلات هامشية في سبيل تحقيق مصالح ذات أثر أكبر، يدل على ذكائه وبصيرته واهتمامه بالجوهر والمعنى دون الشكليات والظواهر.

فقد جاء في صحيح مسلم أن قريشا صالحت النبي ﷺ وفوضت سهيل ابن عمرو في شأن هذا الصلح. فقال النبي ﷺ لعلي، كرم الله وجهه، وهو يدون بنود المصالحة: «اكتب بسم الله الرحمن الله الرحيم»، فقال سهيل عن هذا الاستهلال: أما باسم الله، فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم. ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم. ثم قال رسول الله: «اكتب من محمد رسول الله». فقال سهل: لو علمنا أنك رسول الله لا تبعناك ولكن اكتب اسمك محمد بن عبد الله، ثم اشترطوا على النبي ﷺ أن من جاء منهم للنبي يرده إليهم، ومن جاءهم من عند النبي لا يردونه إليه، فقال الصحابة: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: «نعم أنه من ذهب منا إليهم، فأبعده الله ومن جاءنا منهم، سيجعل الله له فرجا ومخرجا».

### فوائد صلح الحديبية

كان للصلح فوائد عدة، فترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتابة باسمك اللهم، لا يضر، لأن المعنى واحد. كما أن ترك كتابة محمد رسول الله، وكتابة محمد بن عبدالله، لا ينفي عنه وصفه بالرسالة، حتى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «والله إني لرسول الله وإن كذبتموني». وهذه رواية البخاري، إن ما قام به الرسول ﷺ من قبول تغيير بعض الكلمات يضع معيارا لقياس الأهداف والموازنة بينها، ومن ضمن هذه المعايير أن المصلحة مقدمة على الشكل وأن المصلحة ذات الامتداد الزماني والمكاني مقدمة على المصلحة الآنية. ثاني هذه الفوائد والمرتبط بشرط من جاء منهم، وعدم رد من ذهب إليهم هو أنه قد بين رسول الله ﷺ ذلك والحكمة منه، فقال: «من ذهب منا إليهم فقد أبعده الله، ومن جاءنا منهم، سيجعل الله له فرجا ومخرجا». وثالث الفوائد هو عزل قريش عن نجدة حلفائها من أعداء المسلمين، ومن هنا سارع رسول الله ﷺ إلى خيبر بعد صلح الحديبية، وأنهى آخر معقل من معاقل اليهود في الجزيرة العربية يهدد الدولة في المدينة. رابعها اعتراف قريش في هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة.

وأما الخامسة فإنها قد أدخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين حتى تيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام، فدخل في الإسلام صناديد قريش كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص. والسادسة أنها أعطت الفرصة لنشر الإسلام، يقول في ذلك ابن هشام: إن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمئة، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف، وهذا يدل على أن الدعوة

تنتشر في السلم والأمان. سابعا، مكن عقد صلح الحديبية النبي ﷺ من تجهيز الصحابة لغزوة مؤتة وهذه خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية. ثامنا، ساعد عقد صلح الحديبية النبي ﷺ على بعث رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام. تاسعا، كان صلح الحديبية سببا ومقدمة لفتح مكة ولهذا فتحت مكة دون حرب أو قتال. عاشرا، في صلح الحديبية بيان واضح أن حرية الرأي مكفولة في المجتمع المسلم، حيث إن بعض الصحابة، رضي الله عنهم، راجع النبي ﷺ في هذه الشروط، منهم عمر بن الخطاب وسيد الأوس أسيد ابن حضير وسيد الخزرج سعد بن عبادة، وقد استمع رسول الله ﷺ لهم دون تهديد أو تخويف أو تعذيب أو إلغاء، حتى يبين لهم أن الإسلام يحترم الرأي المخالف وإن حاد عن جادة الصواب.

## تعامله مع الأفراد

في المثال الثاني نعرض لطريقة تعامله ﷺ مع الأفراد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود - وهو يريد الانتفاء منه - فقال له: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر، فقال له: «هل فيها من أورق؟» قال: نعم، قال: «فأنى كان ذلك؟» قال: أراه عرق نزعه، «قال: فلعل ابنك هذا نزعه عرق»، ولم يرخص له في الانتفاء منه» متفق عليه. فهذا رجل ولدت زوجته غلاما أسود فخشي أن يكون هذا الولد ليس منه، فأسرع إلى رسول الله ﷺ يقول: ولد لي غلام أسود وأنا وأمه ليس فينا سواد وإن قلبي يستنكره يا رسول الله، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «هل تملك إبلا؟» قال: نعم، قال: «هل ولدت؟» قال: نعم، قال «ما لونها؟» قال: حمر، قال: «هل في أولادها جمل أسمر؟» قال: نعم، قال: له الرسول عليه الصلاة والسلام «من أين جاء الجمل الأسمر وأبواه حمر؟» قال ربما أخذ هذا من أصل بعيد كالجد وجد الجد، قال: عليه السلام «لعل ابنك هذا الأسمر أخذ اللون من جد بعيد» فاقتنع الرجل ورجع إلى أهله راضيا مرضيا. ويدل الحديث على شدة حرص النبي ﷺ على الأنساب واحتياطه لها ودفعه عنها كل شبهة، وأن الزوج لا يباح له الانتفاء من ولده لمجرد شبهة عرضت، كما أن في الحديث دليلا على صحة القياس والاعتبار بالنظير مستلهما من فراسة النبي الكريم ومبلغ حكمته في مداواة الأمور.

## تعامله مع أهله

في المثال الثالث نتعرض لبعد آخر يتعلق بأحد أفراد الأمة، فعن أنس ابن مالك رضي رضي الله عنه كان النبي ﷺ عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعه فيها طعام مع خادم، فضربت التي هو في بيتها يد الخادم فسقطت القصعة فانكسرت، فأخذ النبي ﷺ الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى وجمع فيها الطعام، وجعل يقول: «غارت أمكم، كلوا». فأكلوا. فامسك الخادم حتى جاءت التي هو في بيتها بقصعتها، فدفع القصعة الصحيحة إلى الخادم وترك المكسورة في بيت التي كسرتها»[1]. وفي رواية الترمذي، قال ﷺ عن ذلك: «طعام بطعام وإناء بإناء». وفي وراية عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله ما كفارته؟ قال: «إناء كإناء، وطعام كطعام»[2].

ونستنبط من الحديث أن النبي ﷺ لم يعاقبها ولم يعنفها بكلمة جارحة، بل جعل يعتذر لها ويبين أن الذي حملها على ما قامت به هو غيرتها، فقال: «غارت أمكم».

كذلك فإن النبي ﷺ بحث عن الدوافع والأسباب لأن الدافع له أثر كبير في تفسير الفعل. والدافع هنا لكلا المتخاصمين هو حب رسول الله ﷺ، ولا ينبغي أن يكون الحب سببا للإساءة إلى المحبوب ولا يجزى الإحسان بالسيئة. فاعتذر ﷺ لعائشة بقوله «غارت أمكم» لئلا يحمل صنيعها على ما يذم بل بما يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركبة في النفس بحيث لا نقدر على دفعها. أيضا الحديث فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر عنها، لأنها في هذه الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة. نقطة أخرى، أن أسلوبه ﷺ في معالجة هذا الخلاف المتمثل في الهدوء، والتفهم لطبيعة المشكلة بل وتبرير موقفها هو الذي دفع عائشة رضي الله عنها للتراجع والندم على ما بدر منها بعد شعورها بالذنب. خامسا، هذا التعامل الراقي منه ﷺ لم يمنعه من إعطاء كل ذي حق حقه، ولهذا قضى بالضمان لأم سلمة عندما انكسر إناؤها.

وكما هو معلوم فقد أجمع شراح الحديث على أن التي كان في بيتها أم المؤمنين عائشة، وأن أم المؤمنين أم سلمة هي من أرسلت الطعام.

### الهوامش

١- فتح الباري، ج٦ص٦٠٤.
٢- فتح الباري، ج١١ص٦٧٨.

هشام الصباغ
باحث لغوي

# الشيخ محمد أبو زهرة العلامة الفقيه

**في البدء كانت «اقرأ»..**
**أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..**
**وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.**

■ سار على نهج أحمد وابن تيمية والعز ابن عبدالسلام، فمزج كلماته المكتوبة بصوت مسموع مدو، وحف جداول علمه بالعمل الجاد، ولم يكن من العلماء الذين استغرقوا بالتنظير وانشغلوا بالتأليف عن متابعة الواقع ومعايشته والدعوة إلى تغييره وإصلاحه.

■ أسلوبه في الدعوة كان سر قوته وتلهف الناس للاستماع إليه والالتفاف حوله، فهو أحد أبرز علماء الفقه والقانون في العصر الحديث الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الذود عن الشريعة وإعلاء كلمة الحق مهما كلفهم الأمر، وجرأته في مواجهة الظالمين واضحة لا لبس فيها، وقد حورب من أجلها فما تخاذل أو استكان.

■ امتلك صفات عدة هيأته للإمامة في عصره، وكانت سببا لرفعة منزلته بين أقرانه وتلامذته: فهو جريء «مجاهر» بالحق «مندد» بالباطل والظلم «كاشف» لعوراتهما غير هياب أو وجل.. إنه الشيخ الفقيه محمد أحمد مصطفى أحمد عبدالله الششتاوي، المشهور بـ«الشيخ أبو زهرة».

■ ولد في مدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية في مصر في ٦ من ذي القعدة ١٣١٥هـ/٢٩ من مارس ١٨٩٨م، لأسرة محبة للدين، عهدت به إلى أحد الكتاتيب (كانت وقتذاك تؤدي دور مراحل التعليم الأولي في وقتنا الحالي).

## تحصيله العلمي

■ بعد حفظه القرآن وتعلمه القراءة والكتابة، التحق سنة ١٩١٣م لثلاثة أعوام بالجامع الأحمدي في طنطا (كان يسمى وقتها «الأزهر الثاني»). رغب بعده في الالتحاق بمدرسة القضاء الشرعي، لكن تحديات ثلاثة وقفت أمامه: صغر سنه، قصر مدة تعلمه في الجامع الأحمدي وأخيرا امتحان صعب للمتقدمين.. اجتازها جميعها، وكان أول الناجحين، وحصل منها على شهادة «عالمية القضاء الشرعية»، وعادلها بعد ذلك بشهادة دار العلوم، بعد اجتياز اختبارها سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، فاجتمع له تخصصان قويان.

## أشياخه

■ ألمع علماء دار العلوم درّسوا للشيخ، وكان عظيم الوفاء لهم، يقول الشيخ عن بعضهم: «لقد تسابق إلى خاطري

شيوخي الذين تلقيت العلم عليهم، أو تنّسمت نسيم العلم في جوهم، وتغذت روحي بأفاويق المعرفة من فيضهم.. تذكرت أستاذ الأساتذة عاطف العبقري (محمد عاطف بركات باشا) الذي لم يفر فريه في التربية أحد.. وتذكرت الأستاذ عبدالحكيم بن محمد في سمته وتقاه.. وتذكرت الأستاذ محمد الخضري، تذكرت فيه الفقه، وتذكرت فيه المؤرخ.. وتذكرت الأستاذ محمد المهدي بك الألباني وموازناته الأدبية المصورة للخطباء.. وتذكرت بحر العلم الذي لا تكدره الدلاء، الأستاذ أحمد إبراهيم.. تذكرت دراساته الفقهية المقارنة المقربة للبعيد، والمؤنسة للغريب (....)».

## في ميدان العمل

■ رغم دراسته في مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم، فإنه لم يتجه إلى القضاء، وإنما إلى ميدان التعليم، فدرّس الشريعة والعربية بمدرسة «تجهيزيّة دار العلوم»، ثم اختير للتدريس في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكلف بتدريس مادة الخطابة والجدل، ثم انتقل إلى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (القاهرة) لتدريس الخطابة. وتقديرا لعلمه ونبوغه عهدت إليه الكلية بتدريس الشريعة الإسلامية، وترأس قسم الشريعة الإسلامية فيها، ثم شغل منصب الوكالة.

■ في عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م اختير عضوا في مجمع البحوث الإسلامية، وأسس مع جماعة من العلماء معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة. كما كان مقررا للجنة بحوث القرآن ولجنة المتابعة ولجنة السنة المطهرة، وشيخا في لجان التقنين للمذهبين الحنفي والشافعي. وكان أيضا عضوا في مجلس جامعة الأزهر، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومعهد البحوث الجنائية والاجتماعية، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، ومجلس محافظة القاهرة.

## تلاميذه

■ أشرف على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه، وترأس لجان مناقشتها في الفقه والقانون والتفسير والحديث وعلم الكلام وسائر فروع الثقافة العربية الإسلامية في كليات: الآداب والحقوق والشريعة وأصول الدين، في جامعات: القاهرة وعين شمس والأزهر والإسكندرية.. وغيرها.

■ من تلقوا العلم على يديه لا يمكن إحصاؤهم، لكن نذكر منهم: سيد قطب، والدكتور عبدالعزيز عامر، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ صلاح أبو إسماعيل، والعلامة الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، والدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور أحمد الحجي الكردي.

## مساهماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ مساهمتان في المجلة: الأولى كانت مع العدد ٦٤ (ربيع الثاني ١٣٩٠هـ/يونيو ١٩٧٠م)، تناول فيها مسألة زكاة الأسهم، بينما جاءت الثانية في العدد ٨٧ (ربيع الأول ١٣٩٢هـ/أبريل ١٩٧٢م)، تحدث فيها بإسهاب وتفصيل شديد عن «الطلاق»، معقبا على مقال نشر في المجلة للأستاذ علي الخفيف، يدعو فيه إلى ضرورة أن يكون الطلاق بعد التحاكم أمام القاضي، وتوقيع عقوبة بالسجن والغرامة على من يطلِّق من غير تحكيم للقضاء.

## مؤلفاته ووفاته

■ الفكر الحر في عرض قضايا الإسلام كان ما ميز الشيخ عن معاصريه، وقد ظل قلمه، حتى آخر أنفاسه، يمد المكتبة العربية والإسلامية بما يملكه من ثروة علمية هائلة، وخلف ما يزيد على ٣٠ كتابا، لاسيما في الفقه والقانون، مثل: «علم أصول الفقه»، «محاضرات في الوقف»، «العقوبة في الفقه الإسلامي»، «المعجزة الكبرى»، «خاتم النبيين» (...). كما ترجم لثمانية من كبار أئمة الإسلام (أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، وابن حزم، وابن تيمية) وأفرد لكل واحد منهم كتابا مستقلا.. كما ترجم لغيرهم.

■ ومع مؤلفه «زهرة التفاسير»، الذي فسر فيه القرآن حتى الآية ٧٣ من سورة النمل، ونحا فيه نحو محمد عبده ورشيد رضا، مع رعاية اختلاف العصر واختلاف النظرة إلى نظام الإسلام والحضارة الغربية، وافته المنية يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م). ومن تصاريف القدر أن المؤتمر الشعبي الكبير، الذي أُعِد على عينه ونفقته أمام بيته؛ ليحارب فيه التعدي على الشريعة، يصبح سرادق عزائه، إذ أثناء نزوله لتفقده، سقط ساجدا على المصحف مفتوحا على آخر ما وصل إليه في التفسير، وفاضت روحه إلى بارئها.


### المصادر والمراجع

١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٦٤ و٨٧.
٢- المكتبة الشاملة.
٣- موقع رابطة العلماء السوريين.
٤ - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).



ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

## سلسلة الذخائر

# مجلة الدكتور

العدد الأول
يونيو ١٩٤٧
السنة الأولى

## الدكتور

مجلة الثقافة الصحية
٨ شارع الشيخ حمزة تليفون ٤٦٧١٦

الثمن
٣
قروش

أغسطس ١٩٤٧

الطبعة الثانية

## الأمية الصحية

بقلم
الدكتور سعيد عبده

حوالى ٨٠ فى المائة من سكان مصر أميون لا يعرفون القراءة والكتابة... وهذه الأمية الأدبية وصمة كبرى فى جبين هذا البلد المتحضر، ولكن هذه الوصمة تصبح نعمة إذا قورنت بالامية الصحية على ضفاف النيل...

المقصود بالأمية الصحية هو أن يجهل الانسان جسمه وعقله ونفسه، وينمو نمو النبات البرى، عدوا للارض التى أنبتته، وطريدة دائمة للفأس والمحراث.

إن هذا النوع الخطير من الأمية يلقى على مصر ظلا ثقيلا يكاد كافة المصريين يعيشون فيه، من ساكن المدينة الى ساكن القرية، ومن الكبير الى الصغير، ومن المتعلم إلى الجاهل على السواء

نحن نتكلم فى السياسه وفى الأدب وفى الفن بطلاقة، وقد نخطىء وقد نصيب. ولكنا عندما نتزاق الى الكلام عن الصحة والمرض يكون أكثر كلامنا ترهات وأباطل...

واذا كان ضحايا الأمية الأدبية فى مصر ٨٠ فى المائة من السكان فان المعدل المئوى لضحايا الأمية الصحية هيهات أن يقل عن ٩٩ !!

لا يعرف أكثرنا شيئا عن أعضاء جسمه ووظائف هذه الأعضاء ولعلى لا أبالغ إذا قلت انه لا يوجد بين كل مائة من متعلمينا أنفسهم اثنان يعرفان وظيفة الكبد بالتقريب، بل ان كثيراً منهم يتحدثون عن القلب مثلا ويشيرون بأصابعهم إلى مكان المعدة، ولا أدرى أكانت فكاهة مرتجلة، أم كانت وحياً للحقيقة المرة، تلك الكلمة المعزوة للمرحوم حافظ إبراهيم الشاعر، يوم

— ٣ —

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

**وتأتي «مجلة الدكتور» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.**

## التعريف بمجلة الدكتور:

وهي مجلة شهرية في الثقافة الصحية، تعنى بنشر المواضيع المتعلقة بالصحة العامة والوقاية من الأمراض والأوبئة... وقد صدر أول عدد من هذه المجلة في: يونيو، (١٩٤٧م)، على يد مؤسسها ورئيس تحريرها الدكتور: أحمد محمد كمال.

## أهداف المجلة:

يظهر هدف المجلة من خلال عددها الأول وفي صفحتها الأولى، حيث افتتحت عددها الوليد بموضوع: الأمية الصحية.. ومن هنا يتجلى هدف المجلة الأول والأساسي، وهو نشر الوعي والثقافة الصحية التي يجهلها كثير من الناس خاصة في تلك الفترة من الزمن؛ بسبب قلة الموارد الثقافية والإعلامية.

## محتوى المجلة:

احتوت المجلة على موضوعات كثيرة ومختلفة، إلا أنها ذات علاقة بالصحة والطب، فالمجلة لم تخرج في محتواها عن اسمها.

فكان أول موضوع نشر في المجلة بعنوان: الأمية الصحية، بقلم الدكتور: سعيد عبده، وتناول الموضوع من حيث جهل الناس بموضوع الوقاية وخوفهم وتجنبهم للتطعيمات اللازمة.

وفي الموضوع الثاني تناول الحمامات البحرية وفوائدها الصحية، وتلاه الموضوع الثالث الذي يعتبر ملازما للموضوع الذي قبله، وهو بعنوان: أمراض الصيف.

والموضوع الثالث كان بعنوان: البرنامج الحديدي في تنشئة الطفل، بعده جاء موضوع بعنوان: شيوخ في ريعان الشباب، ثم موضوع: جديد في أحمر الشفاه، فتكلم عنه من منظور صحي، وكيف يمكن الاستفادة منه من دون الإضرار بالنفس.

وكان من محتوى العدد الأول أيضا موضوع: قصة الكلوروفورم، أي المخدر أو البنج... فتكلم عن نشأته وظهوره.

وهكذا تتابعت مواضيع المجلة دون أن تخرج عن طابعها الطبي والصحي.

## نسخة مجلة الوعي:

تحتوي مكتبة مجلة الوعي على نسخة كاملة من هذه المجلة النافعة، وقد جمعت أعدادها في (٢٨) مجلدا، وهي متوافرة لقرائها الكرام.

## المصادر:


مجلة: مجلة الدكتور.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

# مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض (٢)

**ما زلنا في معالم ومنارات حديثة أخذت مكانتها ومكانها وأثبتت وجودها في هذا العصر الرقمي والإلكتروني، الزاخر بالكتب والمطبوعات ومئات الألوف من المخطوطات، حتى صارت قبلة للدارسين والباحثين والمستفيدين من كافة المشارب والاختصاصات، يشع نورها ليصل إلى أقاصي البلدان، ومنارتنا هذه قد تطول صحبتنا معها إلى عدة حلقات؛ لكثرة خدماتها، ومهماتها، ووظائفها، وتنوع إداراتها، وأهدافها...**

## ❖ مهام المكتبة وأعمالها

**أولا: الإيداع النظامي**

أهم ما حققته المكتبة في هذا القسم هو صدور نظام الإيداع بمرسوم ملكي في (١٤١٢/٩/٧هـ)، ومنذ بداية تطبيقه عام (١٤١٤هـ)، بدأت المكتبة في تسجيل كل ما ينشر داخل المملكة من أوعية المعلومات مع تثبيت رقم الإيداع عليها قبل نشرها، حيث غيرت الكمية الكبيرة المسجلة والمودعة التقديرات المتواضعة التي كانت سائدة في المصادر الإحصائية العربية والدولية عن حركة النشر في السعودية.

وفي مجال الإيداع الراجع للكتب القديمة، تقوم المكتبة بمتابعة الحصول على الإصدارات النادرة والقديمة عن طريق التعاون مع المؤلفين وعن طريق الإهداء والشراء لأوائل المطبوعات السعودية التي ليست متوافرة في المكتبة ولا في المكتبات التجارية، وقد تمكنت المكتبة من جمع كثير من المطبوعات السعودية القديمة والنافدة، مما أثرى المكتبة وسهل عملية ضبط الإنتاج الفكري السعودي خلال فترة طويلة.

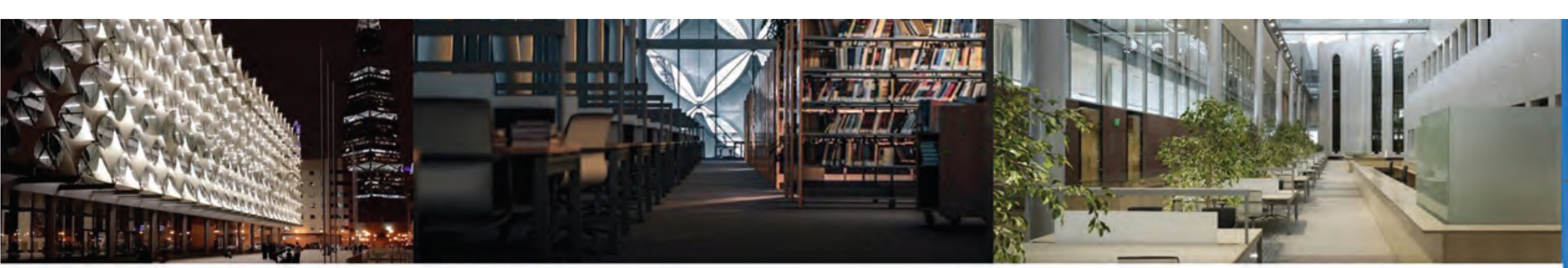
**ثانيا: التسجيل والترقيمات الدولية للمنشورات السعودية**

في هذا الإطار اتفقت المكتبة مع المركز الدولي لتسجيل المطبوعات وتخصيص الأرقام المعيارية للكتب والدوريات (ردمك، ردمد)؛ لتكون المكتبة هي المركز الوطني المسؤول عن تسجيل المطبوعات، حيث تظهر الأرقام المميزة على المطبوعات السعودية، إلى جانب فهرسة المطبوع التي تعدها المكتبة في أثناء النشر، مما أسهم في تحسين شكل المطبوعات السعودية وسهل عملية ضبطها على المستويين العربي والدولي. وقد سبقت المكتبة غيرها من المكتبات العربية في هذا المجال من حيث تطبيق المواصفات الدولية، كما شهدت بذلك المراكز الدولية، حيث تقوم المكتبة سنويا بتزويد المراكز الدولية في ألمانيا وفرنسا بحصر دقيق للمؤلفات السعودية، بما في ذلك أسماء الناشرين وعناوينهم.

وتقوم المراكز الدولية أيضا بإصدار أدلة للمطبوعات المنشورة في دول العالم كافة سنويا، بما فيها السعودية، حيث تطبق عليها المواصفات الدولية التي تمكن المكتبات ومراكز المعلومات والناشرين من التعرف على المطبوعات السعودية ومعرفة عناوينها ومواقع نشرها، كما تمد المكتبة منظمة اليونسكو سنويا بمسارد إحصائية عن حركة التأليف والترجمة في السعودية، وقد أصبحت المكتبة المركز الوطني لإيداع مطبوعات الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات بعد الاتفاق مع «إفلا»، وهي أكبر منظمة دولية للمكتبات العالمية.

**ثالثا: التكشيف**

تتمثل هذه المهمة في التكشيف لمحتويات الدوريات السعودية من



المقالات الأصلية والمترجمة وعروض الكتب، والرسائل الجامعية ومراجعاتها والإسهامات الببليوجرافية والبحوث المقدمة للندوات والمؤتمرات والمواد والأنظمة التشريعية المنشورة مفصلة؛ خدمة للباحثين، كما يتم تكشيف محتويات الدوريات السعودية وغير السعودية التي تتناول المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية.

**رابعا: صيانة مقتنيات المكتبة**

تبذل المكتبة العناية اللازمة للحفاظ على مقتنياتها من التلف بسبب العوامل الحيوية والجوية والاستخدامية، ويكون ذلك من خلال عدة أمور:

**١- التعقيم**

يجرى تعقيم المخطوطات والنوادر والوثائق لحمايتها من التأثيرات الفطرية والحشرية من خلال توفير أحدث أجهزة التعقيم.

**٢- التجليد**

تضم المكتبة ورشة للتجليد الفني يتم من خلالها تجليد الكتب المطبوعة للحفاظ عليها، إضافة إلى تجليد مصورات الكتب.

أما بالنسبة إلى الكتب النادرة التي يتم تجليدها تجليدا فاخرا فتسبق عملية التجليد عملية الصيانة، وتتم الكتابة المذهبة عليها.

**٣- المصغرات الفلمية**

تتيح المصغرات الفلمية للمكتبة الحفاظ على رصيدها من الصحف والمجلات والكتب والمخطوطات والوثائق بصورة مستديمة أكثر مقارنة بأصولها الورقية التي تكون عرضة لتأثيرات التقادم والتلف، ولهذا تحرص المكتبة على تصوير الصحف والجرائد والكتب من المخطوطات والوثائق إضافة إلى مستندات الإدارة المالية.

**٤- الاستنساخ**

توفر المكتبة خدمة الاستنساخ للمستفيدين من الأفراد والمكتبات والهيئات الحكومية؛ لأن الإعارة الخارجية للأفراد غير متاحة؛ حفاظا من المكتبة على مجموعاتها الوطنية من الفقدان والتلف. ويجري الاستنساخ في ضوء توجيهات إدارة المكتبة بمراعاة حقوق النشر والتأليف، كما يجري الاستنساخ للكتب والوثائق والأطروحات تلبية لحاجات المكتبة.

**٥- ترميم المخطوطات والوثائق**

انطلاقا من حرص المكتبة على مقتنياتها من الوثائق والمخطوطات النادرة أنشأت وحدة للترميم لحماية هذه المقتنيات القيمة.

**خامسا: النشر**

قامت المكتبة بنشر الكثير من الكتب والمراجع والأدوات الاستنادية والأدلة المطبوعة الدورية التي تلقى إقبالا واستخداما عند المتخصصين.

كما أصدرت «مجلة المكتبة» وهي مجلة نصف سنوية محكمة.

وخدمة منها للباحثين على اختلاف مشاربهم أصدرت: «نشرة المستخلصات».

**سادسا: خدمات المعلومات**

يرد المكتبة سنويا عدد من الاستبانات والأسئلة البحثية المتعمقة، مما يتطلب تجميع البيانات وصياغتها في قوالب وتقارير يحتاج إليها الباحثون والمؤسسات المستفيدة، كما قامت المكتبة بإعداد كثير من الببليوجرافيات الحصرية للإنتاج الفكري السعودي من الكتب والدوريات والمترجمات من أجل نشرها في مطبوعات «اليونسكو» أو «المنظمة العربية للثقافة والعلوم» عن طريق وزارة المعارف.

كما قدمت المكتبة البيانات الإحصائية المطلوبة عن حركة التأليف والنشر والمكتبات السعودية لمن يطلبها، سواء من المنظمات الدولية أو من الباحثين من جميع أنحاء العالم.

**الخدمات المرجعية**

تطورت الخدمات المرجعية المقدمة إلى المستفيدين كثيرا مع زيادة مصادر وقواعد المعلومات المتاحة، التي تشمل إضافة إلى قاعدة معلومات المكتبة الرئيسية وقواعد المعلومات والنصوص الكاملة المدمجة فيها وقواعد مساندة أخرى، مما مكّن المكتبة من تقديم خدمة مرجعية سريعة ومتقدمة.

وتتلقى المكتبة مجموعة كبيرة من الأسئلة المرجعية والبحثية بأنواعها؛ إضافة إلى الاستفسارات السريعة والمهمة التي ترد مباشرة أو عبر الهاتف.

كما تصدر المكتبة بطاقات للمستفيدين من الباحثين والدارسين والأكاديميين الذين يراجعونها باستمرار؛ لتيسير مراجعتهم للمكتبة وذلك لاستكمال بحوثهم ومؤلفاتهم.

وتوفر المكتبة الخدمة الإلكترونية التالية من خلال موقعها الرسمي:

- طلب تسجيل مادة مطبوعة (للأفراد ودور النشر).
- طلب تسجيل مادة مطبوعة (للجهات الحكومية).
- طلب تسجيل مطبوع دوري.
- طلب تسجيل مادة غير مطبوعة.
- طلب تسجيل مادة فنية.
- طلب إفادة عن موضوع بحث (ماجستير - دكتوراه).
- طلب قائمة مصادر باللغتين (العربية والإنجليزية).
- طلب حجز خلوة باحث بالقاعتين (العامة، والنسائية).
- طلب مخطوطة.
- طلب بحث في وثائق تاريخية.
- طلب صور تاريخية.
- طلب موافقة على نشر كتاب.

إعداد/ د. تركي محمد النصر

## أكمل الناس هداية

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «أكمل الناس هداية أعظمهم جهادا، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا. فمن جاهد هذه الأربعة في الله؛ هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد». قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص. ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا، فمن نصر عليها نصر على عدوه، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه.

**(الفوائد لابن القيم، ص:٥٦)**

## إخلاص واحتساب

صام داود الطائي أربعين سنة وما علم به أهله (صوم تطوع)، وكان خرازا، وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم.

**(تاريخ بغداد، ٣٥٠/٨)**

## يستغفر ثم يعود

سأل رجل الإمام العابد؛ والعالم الزاهد؛ الحسن البصري رحمه الله تعالى: «ألا يستحي أحدنا من ربه؟ يستغفر من ذنوبه؛ ثم يعود، ثم يستغفر؛ ثم يعود؟ فقال له الحسن: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار».

## علم السير والتواريخ

قال العلامة ابن الجوزي (ت: ٥٧٩) رحمة الله: «واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها...: أنه إذا ذكرت سيرة حازم، ووصفت عاقبة حاله؛ أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذكرت سيرة مفرط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول».

**(المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١١٧/١)**

## خير الأمة

قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: «من كان مستنا: فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ؛ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ، كانوا على الهدى المستقيم».

**(أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٣٠٥/١)**

## الصيام جنة

الصيام جنة من النار، وفضيلة من درجات الأبرار، إذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم، فإذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحا، ولا كان صوم هذا صالحا وصحيحا.

**(الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ص:٨٦)**

## ليس في قربه أنس

قيل للإمام المزني رحمه الله: فلان يبغضك. قال: (ليس في قربه أنس، ولا في بعده وحشة).

**(شعب الإيمان للبيهقي، رقم: ٧٩٨٩)**

## الليل والنهار مراحل

وقال داود الطائي رحمه الله تعالى: «إنما الليل والنهار مراحل، تنزل بالناس مرحلة مرحلة حتى تنتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل يوم مرحلة زادا لما بين يديه: فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأنك بالأمر قد بغتك».

**(أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٣٤٥/٧).**

## طول الأمل واتباع الهوى

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إنما أخاف عليكم اثنتين: طول الأمل؛ واتباع الهوى، فإن طول الأمل ينسي الآخرة، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل».

**(رواه ابن أبي شيبة، رقم، ٣٤٤٩٥).**

## الرفق نصف العفو

وقف رجل بين يدي المأمون، فقال له المأمون: والله لأقتلنك. فقال: يا أمير المؤمنين تأن علي، فإن الرفق نصف العفو، فقال: ويلك ويحك! قد حلفت لأقتلنك، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك إن تلق الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلا، فعفا عنه. وكان يقول: ليت أهل الجرائم يعرفون أن مذهبي العفو حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم.

**(البداية والنهاية، ٣٠٤/١٠)**

محمد حسن دنيا
باحث أكاديمي

# فوائد طبية لشهر الصيام

**ينتظر المسلمون قدوم شهر رمضان في لهفة وشوق كل عام، لما فيه من فوائد دينية وصحية ونفسية عديدة، يقول الله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:١٨٤). والصيام ممارسة صحية فعالة، إن تم تطبيقها على الشكل الصحيح، فهو يطرد السموم من الجسم، ويقلل من معدل السكريات في الدم، كما يخفض الدهون في الجسم. كذلك يعزز الصيام العادات الغذائية الصحية ما يعمل على تقوية جهاز المناعة للشخص الصائم، وسنسعى في هذا المقال إلى الحديث عن بعض فوائد الصيام من الناحية الطبية.**

إن الصيام يحافظ على سلامة القلب إذ يقل ضخ الدم إلى المعدة لتوقفها عن العمل طيلة فترة الصيام وبالتالي ينخفض العبء على القلب والجهاز الدوري، كما أن الصيام يساعد على تنظيف الشرايين والأوردة خاصة الصغيرة منها، والتي تكون عادة معرضة للانسداد بالكوليسترول والشحوم. ونتيجة لما يوفره هذا الشهر الكريم من أجواء الهدوء والراحة النفسية يقل إفراز الكثير من الهرمونات المحفزة للقلق مثل الأدرينالين..

وقد أكدت البحوث والتجارب العلمية أن للصيام دورا إيجابيا فعالا في تنظيم ضربات القلب، فقد نشرت مجلة «الأناضول لأمراض القلب» (The Anatolian Journal of Cardiology) نتائج دراسة عن الصوم وعلاقته بانتظام ضربات القلب، وتوصلت الدراسة إلى أن للصيام تأثير إيجابي كبير في إعادة تنظيم ضربات القلب.

## الصيام والجهاز الهضمي

من الفوائد الصحية التي يجنيها الجهاز الهضمي من الصيام: الراحة وإفراز العصارات الهضمية لتستمر الوظائف الفسيولوجية الطبيعية للمعدة، ما يساعد على هضم الطعام بمعدلات ثابتة. كذلك فإن الصيام يحسن من حالة الجدار المخاطي للمعدة ويساعد على شفائه؛ نتيجة للتغيرات البيولوجية والهرمونية التي تحدث في أثناء الصوم. ويقلل الصيام



من الإصابة بالحموضة التي تسببها بعض أنواع الأطعمة والمشروبات، كما يعالج اضطرابات المعدة ويسهل عملية الإخراج.

## تقليل السكر في الدم

يعمل الصيام على خفض مستويات السكر في الدم حيث يزيد من معدل تكسر الجلوكوز وبالتالي تنخفض نسبة الأنسولين ما يمنع من إصابة الإنسان بمرض السكري. كما أن فترة الصيام من الفجر إلى المغرب يوميا طيلة شهر رمضان تحافظ على خلايا البنكرياس الذي ينتج مادة الكولاجين التي تسهل من عملية تكسر الجلوكوز.

## علاج التهابات الجسم

ويعد الصيام علاج لبعض الأمراض كالحساسية والالتهابات مثل التهاب المفاصل والصدفية، وقد أثبتت دراسة أجراها باحثون إيطاليون وأميركيون، أن الصوم لمدة تزيد على ١٠ أيام مع الإكثار من تناول الخضروات، يساعد في التخفيف من حدة الآلام لدى مرضى التهاب المفاصل، وقد يشكل العلاج الشافي من هذا المرض. وأشارت الدراسة إلى أن مرضى التهاب المفاصل الذين اتبعوا نظام العلاج بالصيام شعروا بتحسن كبير بعد أسبوع من بدء الصيام، حيث خفت آلامهم بنحو ٥٠٪.

وكشفت الدراسة أن السبب في ذلك هو الصيام الذي يؤدي إلى زيادة تركيز مادة الأندورفين في الدم، والمعروفة بدورها الفعال في تخفيف الألم، ما يؤدي إلى الحد من ألم المفاصل وارتفاع نسبة الكورتيزون بدرجة معتدلة في الدم وهي مادة معروفة بخاصيتها المضادة للالتهابات.

## التخلص من الدهون

كذلك أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن الصيام فرصة للتخلص من الوزن الزائد والكوليسترول والترسيبات الدهنية على الكبد. وقد وجد الباحثون أن الإقلال من السعرات الحرارية اليومية في الطعام يحد من العجز والشيخوخة المبكرة؛ بسبب إفراز هرمون الأدرينالين الذي يحفز عملية تكسير الدهون، ما يساعد على إنقاص الوزن.

ويستفيد مرضى الكبد الدهني بصورة خاصة من الصيام لأنه يقوم بتكسير الجليكوجين مخزون الجلوكوز في الكبد، حيث يعتمد الجسم في طاقته على سكر الجلوكوز الموجود في وجبة السحور، إلا أن تلك الوجبة لا تلبي احتياجات الجسم من الطاقة إلا لساعات معدودة بعدها يجد الجسم نفسه مضطرا للاعتماد على الدهون المخزنة في الجسم. وبهذه الطريقة يجري حرق الدهون المخزونة وتخليص الجسم من السموم المتراكمة.

فالجسم في أثناء فترة الصيام يستخدم المواد المتراكمة مثل الدهون الملتصقة بالأوعية الدموية، ما يؤدي إلى تدفق الدم إلى الخلايا وتوفير الأوكسجين والغذاء، وهذا يزيد من حيوية الخلايا ويمنع تصلب الشرايين.. كما أن الصيام يساعد على شفاء بعض الأمراض، مثل الحساسية التي تسببها بعض الأطعمة كالبيض والموز والشوكولاتة؛ لأن مع الصيام يقل تناول هذه الأطعمة، مما يقلل من الحساسية وحب الشباب بسبب الإقلال من تناول الدهون.

## الصيام والشيخوخة

وللصيام أهمية كبرى في تأخير أعراض الشيخوخة، يقول البروفيسور الألماني هانزديتليف فاسمان، مدير قسم جراحة الأعصاب في مستشفى مونستر الجامعي: إن الصيام والتغذية الصحية يساعدان على تنشيط خلايا المخ بدرجة كبيرة وبالأخص لدى كبار السن.

وأوضح أن الأبحاث التي أجريت عن الحالة الصحية للمسنين واختبارات الذاكرة أظهرت أن الأطعمة التي تحتوي على كمية قليلة من السعرات الحرارية والأغذية الغنية بالحمض الدهني «أوميجا ٣» تزيد من كفاءة توصيل الإشارات في المخ.

كذلك نشرت مجلة «الطبيعة» (Nature) البريطانية الشهيرة تقريرا عن دراسة علمية تفيد بأن الصيام لعدة أيام ينشط الجينات المسؤولة عن إفراز هرمونات تساعد الخلايا على مواجهة زحف الشيخوخة على الإنسان وتزيد من حيوية ونشاط الجسم. وأكدت نتائج تلك الدراسة أن تكدس المواد السامة الناتجة عن عملية التمثيل الغذائي وهضم الطعام تتلف الخلايا، وأن الإقلال من كمية الطعام والإكثار من الحركة لحرق الطاقة يحسن من الوضع الصحي ويوقف عملية الهدم، كما يقوي الخلايا لتعيش أكبر مما يساهم بفاعلية في تأخير الشيخوخة.



# بريد القراء

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير



## موقع القراءة من اهتمام المجتمع العربي

في العقود الأخيرة أصبحت لا تخطئ عين الناظر كيف تهاوت القراءة في المجتمع العربي، وأصبح الاقتصار على الكتب المدرسية هو ما يقرأه المواطن العربي، بل الكتب المدرسية ذاتها ظهرت لها ملخصات تحاول حصر نقاط معينة للاختبار، تشير بعض التقارير لإحصاءات كارثية عن حجم القراءة في الوطن العربي، فتقرير التنمية البشرية عام ٢٠١١م، الصادر عن «مؤسسة الفكر العربي» يشير إلى أن العربي يقرأ بمعدل ٦ دقائق سنويا، بينما يقرأ الأوروبي بمعدل ٢٠٠ ساعة سنويا، والتقارير الأخرى مفزعة، والأمر يزداد سوءا...

لقد أصبحت أمة اقرأ هي الأمة التي لا تقرأ، وأصبحت الأمة التي قيل لها (أول ما خلق الله القلم)، كما في الترمذي وغيره؛ هي الأمة التي بها معدلات مخيفة في نسبة الأمية والجهل.

عمدت بعض الدول إلى التشجيع عليها، فالطائرات التي انتهت خدمتها لم تذهب بها لمصانع تدوير المخلفات بل زينتها وهيأتها لتصبح مكتبة يرتادها القراء كمظهر حديث لاجتلاب القراء.

يمكن طرح المشكلة على عموم المتخصصين للوصول إلى جمهور يقرأ وأمة تعلي شأن المكتوب، فالقراءة والمطالعة من دعائم الاستنهاض الحضاري للأمم.

د. محمد أحمد عزب



## الإسلام بريء من قتل الأبرياء

كثرت في عصرنا الحاضر جرائم القتل والاعتداء على الآمنين، وهو ما يسمونه إرهابا. وهذه الظاهرة، للأسف الشديد، تلصق دوما بالمسلمين والإسلام، وهما بريئان منها كل البراءة، فالإسلام جاء رحمة شاملة للبشرية ولكل المخلوقات. إن المرأة التي تحبس قطة فلا تطعمها ولا تتركها تبحث عن طعامها يكون جزاؤها النار، فكيف يبيح الإسلام قتل النفس البريئة؟ هذا هراء وافتراء على الإسلام والمسلمين. إن الإسلام كرم الإنسان وقدس النفس أكثر من الكعبة المشرفة، حفاظا على هذا المخلوق الذي استخلف في الأرض لتعميرها وإصلاحها، فلا يقتل إلا بالحق ولا يسجن إلا بالحق، ولا تعطل حريته ولا يهان مهما كانت الظروف والأسباب.

وينبغي لكل من يفعل تلك الجرائم أن يعلم هذه الحقيقة، وأن يستحضر قول الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة:٣٢). هذه هي حقيقة الشريعة التي جاءت بالمرحمة والتسامح والمحبة والعفو ليعيش الناس في سلام دائم، لا تمييز بينهم في العقيدة والجنس واللون والعرق والمكانة الاجتماعية، كلهم سواسية كأسنان المشط، ولا يفضل بعضهم على بعض إلا بتقوى الله.

د. محمد بن محمد الحجوي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com







# التربية الوجدانية للشباب

إن الشباب وخاصة في مرحلته الأولى، يتسم بالحدة في النظر إلى الأشياء والحكم عليها؛ مشاعره فياضة.. أحاسيسه جارفة.. تراه بعيدا عن الوسطية في غالب الأحوال، فهو متأرجح بين الإيمان الشديد بالقيم والمثل والفساد العريض.. بين الشجاعة المندفعة والأنانية والأثرة.. بين الخشوع والتقوى، والانحراف الشديد.. بين التمرد الضاري، والاستسلام الوديع... إنه يتسم بالشطط في مواقفه، ولذا وجب توجيهه، وصيانته برفق في هذه النواحي الوجدانية.. الإسلام بدوره يسمو بالشباب إلى عالم يرتفع فيه فوق شهواته دون أن يلغيها.. ويغرس فيه القيم والمثل، ويؤكد على صفات الفروسية والشجاعة والحياء والخلق الرفيع، ويحقق في نفسه التوازن بين الحرية المطلقة والكبت السجين.. وبين الحب المنفلت، والمودة المنضبطة.. إنه يصونهم من الضياع في عالم الأوهام، ولا ينفك يربطهم بواقعهم، إنه يعترف بغرائزهم ويرسم الطريق لإشباعها بغير فسق ولا فساد ولا فجور في إطار من الخلق القويم.

إن الأمر مهم وعاجل.. فما من بيت من بيوتنا إلا ويسكنه شاب أو أكثر أو فتاة أو أكثر.. كما يسكنه في الوقت ذاته أدوات التواصل المعلوماتي الحديثة.

إن شبابنا يستحق أن نشمر له ساعد الجد لنحقق التوازن بين تطبيق تعاليم الإسلام السامية وبين استمرار ارتباطه بواقعه دون انفلات.

نجاح عبدالقادر سرور



# قبل أن يكون الإلحاد ظاهرة!

راعني ما رأيت وما سمعت، عبر الإنترنت وعبر اليوتيوب، أشخاص يقودون حملة شرسة للدعوة للإلحاد وإنكار الألوهية، وإثارة شبهات حول الإسلام، بطريقة منظمة، وترتيبات ضخمة، برامج، مجلات، وإمكانيات مسخرة، وجهود ضخمة كلها تصب في خدمة الدعوة للإلحاد وإنكار وجود الله تعالى.

ولا ننكر أن هناك جهودا في الرد من أناس مجتهدين، يبذلون جهدهم في الذود عن الإسلام وعقيدة التوحيد، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكورا، أجرهم على الله تعالى، لكنها جهود مبعثرة متفرقة تحتاج إلى تجميع وتكثيف وتوحيد للصف فيما أرى، لا تكفي لرصد هذا الزحف الإلحادي الذي يفور ويكاد يتميز من الغيظ.

وجدت بعضا من أهل العلم أعطوا ظهورهم لهذه المحنة والفتنة المطلة على العالم، بل وانشغلوا بقضايا جانبية، وتراشقوا مع غيرهم السب والشتم، وإحياء قضايا فلسفية مات أصحابها وبقي جدالهم يشغل الأحياء، ولم يلتفت بعض العلماء لهذه الفتنة المقبلة ولم يعيروها أهمية، وفضلوا الصمت أمام هذه المحنة المفزعة.

فكيف لأهل العلم الوقوف أمام هذا الزبد والرغاء لتنقية هذا البحر من الشبهات؟

وماذا نحن فاعلون؟

د. مجدي محمد حسن

مسك الختام

# مادة الأخلاق

ليس ثمة شك في أن استيعاب الفضائل من أكمل أسباب العدة للظفر والنصر، وليست هذه الفضائل ببعيدة النوال أو عزيزة المطلب بل هي سهلة يسيرة لمن يسره الله تعالى إلى نوالها وتحصيلها.. ولهذا نفهم مغزى بعثة النبي ﷺ إلى العالمين بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وتتمه الشيء تكميله، وتقويته وغرسه ونشره والثبات عليه، أي إن جوهر الرسالة يكمن في تهذيب الطباع، وترويض النفوس لاستكمال أوجه النقص المختلفة، وستر عوار النفوس وسقطها وترخصها.

إن المسلم الصالح هو الذي لا يخون الأمانة وبالتالي لن يخون وطنه وأمته، ولا يكذب ولن يشهد زورا أو يغشى فجورا، ولا يظلم ولا يعتدي وهو ليس بالفظ الجافي، ولا بالعابس الكنود.

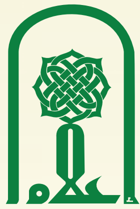
فالصدق، والكرم، والوفاء والشجاعة، والإيثار، والبر والصلة، وصناعة المعروف، والمروءة والنجدة والمواساة والإحسان، والحياء والقناعة وصلة الرحم والاعتدال والقصد والحلم والرحمة والتأني والعزة والشرف والشكر «كل هذه المسميات ليست إلا كساء ناصعا لمادة الأخلاق أو مادة الفضائل والآداب وهي -جزء من كل- من بين ما جاءنا به رسول الله ﷺ.

أليس من الوفاء للرسول ﷺ وللرسالة معا أن نطبق هذه المادة على جميع مراحل التعليم المختلفة بداية من فصول محو الأمية وحتى درجة الأستاذية والعالمية بما يتناسب مع كل الأعمار في كل مرحلة، وإذا كانت هناك «للآثار» كلية يتخرج دارسوها ليكونوا أوفياء على حفظهم للآثار وصيانتها فأين مكانة الأخلاق من جامعاتنا؟!

إن استدامة النفس على مكارم الأخلاق والتزود بالفضائل والتحلي بها هو خير مخلص للإنسان من آلامه وأوجاعه؛ لأن مخالفة القول للفعل وتباين المخبر للمظهر يؤدي إلى نتائج غير مرضية من القلق والشتات والضعف وازدواجية المعايير أو ما يعرف بـ«نقض التصرف» أو المصادرة على المطلوب، وليس غير الأخلاق، تأسيسا وتطبيقا وتنظيرا، حاجزا للإنسان عن الوقوع في الزلل أو الميل والخطأ.

علي الخطيب
باحث دراسات إسلامية




كويت



## فلاشات وطنية تلفزيونية

# أمير المكارم.. صباح العز

الفكرة والإشراف العام **صلاح أبا الخيل**

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...






+965 922 54 54 5

R e d A w q a f

العدد ٦٣٧ -السنة ٥٥ - رمضان ١٤٣٩ هـ - مايو - ٢٠١٨ م

العدد (٦٣٨) شوال ١٤٣٩ هـ - يونيو - ٢٠١٨ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

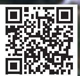
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

مجاناً مع العدد: براعم الإيمان

## بين وداع رمضان وفرحة العيد

- التفضيل بين القراءات المتواترة
- لا تستسلم للبطالة
- ولهن مثل الذي عليهن

هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (٢٠)


موقع مجلة الوعي الإسلامي

alwaeiq8@gmail.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا




**الكنز المنشور في التهنئة بالأعياد والأعوام والشهور**

ذخيرةٌ جديدةٌ ضمن سلسلة ذخائر مجلة الوعي الإسلامي، وهو كتابٌ نفيس في بابه، مفيد لقرَّائه، طرَّسه العلامة ابن السكري الدمشقي المتوفى سنة: (١٣٢٩هـ) رحمه الله، ووشَّحَهُ بالنقول الصحيحة، والدلائل الصَّريحة، وتناول فيه حكم التَّهنِئة بالأعياد والأعوام والشهور على المذاهب الفقهية الأربعة.

هذا، وتنتهز مجلة الوعي الإسلامي الفرصة لتقدِّمه لقرَّائها بمناسبة عيد الفطر المبارك.

# الافتتاحية

رئيس التحرير

الدكتور صالح سالم النهام



## البطالة.. المشكلة والحلول

الحمد لله، يحب الطيب الحلال، ويبغض الخبيث الحرام، أحمده، سبحانه، حمدا نرجو به المزيد من الإكرام والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين وسيد الأنام، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما دائمين ما تعاقبت الليالي والأيام.

أما بعد؛ فإن ارتفاع الأمم وهبوطها، وبقاءها واندثارها، يرتبط ارتباطا كبيرا بعمل أبنائها وتطلعاتهم، فلن تتقدم أمة يميل أبناؤها إلى الدعة والسكون وترك العمل.

ولا شك أن مشكلة البطالة من أخطر المشكلات التي تواجه المجتمعات عموما، والبلاد الإسلامية خصوصا؛ نظرا لما لها من آثار سلبية خطيرة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، فعلى المستوى الاقتصادي؛ تفقد البطالة المجتمع عنصر الموارد البشرية سواء بعدم الاستفادة منهم وتهميشهم، أو من خلال هجرتهم إلى الخارج. وعلى المستويين الاجتماعي والأمني؛ فإنها توفر الأرض الخصبة لنمو المشكلات والجرائم بأنواعها، بدءا بالسرقة وانتهاء بالانتحار.

ومن أبرز الحلول التي شرعها الإسلام لحل مشكلة البطالة؛ الأمر بالعمل، والسعي في الأرض واستعمارها، واستخراج ما في بطنها مما أودعه الله فيها، ثم تفعيل دور الزكاة التي أهملها بعض الناس، وإحياء دور الصدقة الجارية المتمثلة في الوقف الذي يدر دخلا يوميا على الموقوف عليهم.

وعليه؛ فإن الإسلام قد أعلى من شأن العمل والكسب الحلال، ورتب عليهما الثواب والأجر العظيم، وحذر من البطالة والتكاسل عن طلب الرزق الحلال.

ومما يؤكد ذلك أن الله قرن بين العبادة والعمل في نصوص القرآن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (البقرة:١٩٨). يقول ابن عباس رضي الله عنه: «كانوا يتقون البيوع والتجارة في المواسم والحج، يقولون: أيام ذكر؛ فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة:١٩٨)».

فطلب المال الحلال، والسعي على الأهل والعيال مما حث عليه الإسلام. قيل لرسول الله ﷺ أي الكسب أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور» (رواه أحمد، رقم:١٧٢٦٥). وقال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» (رواه البخاري، رقم:١٤٧١).

لكن هذا الكسب الذي دعا إليه الإسلام للقضاء على البطالة والفراغ والفقر، لا يكون طيبا إلا إذا كان مشروعا متقنا، ورحم الله من قال:

**إذا عمل المرء المكلف مرة ... عملا فإن العيب ألا يحسنه**

**فقد ذكر المختار أن إلهنا ... يحب لعبد خافه أن يتقنه**

وإنما يقوم الكسب المشروع على أساس رعاية الجانب الخُلقي، وذلك باحترام ما رسمه الدين للمتعاملين من مشاعر إنسانية نبيلة، من شأنها أن ترقى بمجتمعهم، وأن تديم بينهم عوامل المودة والاحترام.

وختاما: فإن مشكلة البطالة يتحمل مسؤوليتها المجتمع والفرد، وعلى الجميع السعي لحلها بما تيسر لهم من الطرق، كل بحسب موقعه وقدراته؛ حتى لا تنعكس على أمن المجتمعات واستقرارها.

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٨ | شوال ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
يونيو ٢٠١٨م





**المراسلات**

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




## في هذا العدد





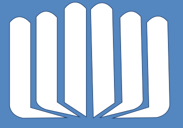

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

- الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- المغرب: ١٠درهم • تونس: دينار واحد تونسي.



## المحتويات





## كلمة العدد

# البطالة والتبطل

يسعى الإنسان لرزقه المكتوب.. يبذل جهده للحصول على عمل مقدر، وقد علم الله ما تقدم وما تأخر. يسعى لأنه بسعيه يقدم معذرة إلى الله بأنه لم يتكاسل ولم يفرط ولم يدخر جهدا!. وقد يحصل على عمل سريع وقد يتأخر عنه الاستقرار، لكن ماذا عن أولئك الذين «تبطلوا» بعدما أنجاهم الله من شر البطالة؟! ماذا عن عبد آتاه الله فرصة العمل الشريف المستقر، ثم أوهم نفسه أن أجره مستحق سواء عمل أم لم يعمل، سواء اجتهد أم لم يجتهد؟! ليس هذا فحسب، بل قد يفتح قنوات حقد على زملاء له تعدوه في الخبرة والكفاءة، فصاروا في منصب أرفع بامتيازات أكبر، ويأخذ من تلك السموم الجارية في قنوات الحقد وقودا يستعين به على الهرب من مقتضيات عمله. ماذا عن هذه الفئة؟ ألا يعد هذا بطر على نعمة أنعمها الله علينا؟ ألا يستوجب الأمر مراجعة وتوبة وعزما على تصويب السلوك؟ مجرد سؤال.

مدير التحرير
فهد الخزي


## الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

مرهف حسين أسد
باحث دراسات إسلامية

# علو الهمة سبيل تقدم الأفراد والأمة

**كثر التغني عند شباب وشيوخ الأمة في عصورنا الأخيرة بالتاريخ التليد الذي بناه عظماء أمتنا، والحضارة العريقة التي أشادوها، دون استفادة من الدروس والعبر في كثير من الأحيان من ذلكم التاريخ وتلكم الحضارة، وكأن ذلك التغني غدا مخدرا لأمتنا عن سلوك سبيلهم، والتأسي بهم.**

ولو تتبع شباب الأمة الركيزة الأساسية لقيام أي حضارة لوجدها قائمة على أساسين اثنين، أولهما العلم، وثانيهما الهمة والإرادة.

فبالعلم، يسير المرء على بصيرة، وبالإرادة والهمة تدور رحى العمل والبناء والإنجاز، ولمثل هذا المعنى يشير ابن القيم بقوله: «لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه».

## ما الهمة وعلوها؟

الهمة كما قيل: هي الباعث على الفعل، وجاء في المصباح المنير: الهمة: أول العزم، وتطلق على العزم القوي.

وهي عمل قلبي، والقلب لا سلطان عليه لغير صاحبه، وكما أن الطائر يطير بجناحيه، كذلك يطير المرء بهمته، فتحلق به إلى أعلى الآفاق، طليقة من القيود التي تكبل الأجساد.

وعلو الهمة: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، ومنه قول الشاعر:

**إذا غامرت في شرف مروم**
**فلا تقنع بما دون النجوم**

وقد عرف ابن القيم، رحمه الله تعالى، علو الهمة في مدارج السالكين بقوله: «علو الهمة: ألا تقف (أي النفس) دون الله، وألا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضى بغيره بدلا منه، ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات».

## القرآن والسنة يربيان المرء على علو الهمة

كثيرة هي النصوص من القرآن والسنة التي تحث المؤمنين على طلب معالي الأمور، والتسابق في نيلها، وتحذر من تدني الهمم، وتبين مآلات أصحابها ومصائرهم، وقد تنوعت صور التعبير عن كلا الفريقين في كل من القرآن والسنة، لما لهذا الأمر من أهمية تساهم في تشكيل العقلية الإسلامية الواعية التي تنتهج منهج أصحاب المعالي، وتترك السفاسف وأصحابها، فمن تلك الأساليب:

- تصوير أصحاب الهمم المتدنية بصور منفرة، تشمئز منها الأنفس، وتنفر منها الأفئدة؛ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:١٧٥-١٧٦).

- الثناء على أصحاب الهمم العالية:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

﴿ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمـران:١٣٣).

وقـال سـبحانه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثۡلِ هَـٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَـٰمِلُونَ ﴾ (الصافـات:٦٠-٦١)

وقـال عليه الصـلاة والسـلام كمـا فـي البخـاري وغيـره: «مـن هـم بحسـنة، فلـم يعملهـا، كتبهـا الله عنـده حسـنة كاملـة».

وقـال ﷺ كمـا فـي صحيـح مسـلم: «مـن سـأل الله الشـهادة بصـدق، بلغـه الله منـازل الشـهداء، وإن مـات علـى فراشـه».

وقـال ﷺ كمـا فـي مسـند أحمـد: «سـبق درهـم مئـة ألـف»، قالـوا: يـا رسـول الله، كيـف يسـبق درهـم مئـة ألـف؟! قـال: «رجـل كان لـه درهمـان، فأخذ أحدهمـا، فتصـدق بـه، وآخـر لـه مـال كثيـر، فأخذ مـن عرضهـا مئـة ألـف».

وقـال ﷺ: «إذا سـألتم الله فاسـألوه الفـردوس.. فإنـه أوسـط الجنـة، وأعلـى الجنـة، وفوقـه عـرش الرحمـن، ومنـه تفجـر أنهـار الجنـة».

فبالهمـم العاليـة والنوايـا الحسـنة، يعـان المـرء ويوفـق ويؤجـر، ويبلـغ الغايـة وينـال المنـى، لهـذا قـال أميـر المؤمنيـن عمـر الفـاروق رضي الله عنه: «لا تصغـرن همتـك فإنـي لـم أر أقعـد بالرجـل مـن سـقوط همتـه».

## علـو الهمـة يبـدل أحـوال الأفـراد والأمم

علـو الهمـة أسـاس وجـود أي قيمـة إيجابيـة فـي واقـع النـاس وحياتهـم، فيـه تتبـدل الـرؤى، وبـه تسـمو النفـوس وتتهـذب الأخـلاق، وبـه يغـدو التخلـف تقدمـا، والجبـن والخـور إقدامـا وشـجاعة، وقـد قيـل: «ذو الهمـة وإن حـط نفسـه تأبـى إلا العلـو، كالشـعلة مـن النـار يخفيهـا صاحبهـا وتأبـى إلا ارتفاعـا».

وفـي هـذا المعنـى يقـول الشـيخ محمـد الخضـر حسـين فـي رسـائل الإصـلاح: «يسـمو هـذا الخلـق بصاحبـه إلـى النهايـات مـن معالـي الأمـور، فهـو الـذي ينهض بالضعيـف فإذا هـو عزيز كريم، ويرفـع القـوم مـن السـقوط، ويبدلهـم بالخمـول نباهـة، وبالاضطهـاد حريـة، وبالطاعـة العميـاء شـجاعة أدبيـة...

أمـا صغيـر الهمـة فإنـه يصيـر بخصومـه فـي قـوة وسـطوة فيـذوب أمامهـم رهبـة، ويطـرق إليهـم رأسـه حطـة، ثـم لا يلبـث أن يسـير فـي ركبهـم ويسـابق إلـى حيـث تحـط أهواؤهـم».

## أسباب ضعف الهمة

ضعـف الهمـة أمـر عـارض علـى الإنسـان، يكتسـب فـي جملـة مـا يكتسـبه الإنسـان ممـن هـم حولـه مـن خصـال، ولخفـوت جذوتـه فـي النفـس البشـرية أسـباب نسـتعرضها فيمـا يلـي:

- إهـدار الوقـت مـع الأصحـاب التائهـين، قـال ﷺ كمـا فـي صحيـح البخـاري: «مثـل الجليـس الصالـح، والجليـس السـوء، كمثـل صاحـب المسـك، وكيـر الحـداد، لا يعدمـك مـن صاحـب المسـك، إمـا تشـتريه أو تجـد ريحـه، وكيـر الحـداد يحـرق بدنـك أو ثوبـك، أو تجـد منـه ريحـا خبيثـة». وقـال ﷺ كمـا فـي البخـاري أيضـا: «نعمتـان مغبـون فيهمـا كثيـر مـن النـاس: الصحـة، والفـراغ».

- التسـويف، والتأجيـل: لأن فـي التأجيـل مقتلة للأعمـال، وهـو مضعـف للعزيمـة، قـال الشـاعر:

**ولا أؤخـر شـغل اليـوم عـن كسـل**
**إلـى غـد إن يـوم العاجـزين غـد**

فبحـر التسـويف والتأجيـل بحـر لا سـاحل لـه، ولا يعتـاد ركوبـه إلا كل خـاو مفلـس.

- الكسـل: قـال تعالـى: ﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُـرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَـرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَـاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُـدُواْ مَعَ ٱلۡقَـٰعِدِينَ ﴾ (التوبـة:٤٦).

وقـال النبـي ﷺ: «إن لـكل عمـل شـرة، ولـكل شـرة فتـرة، فمـن كانـت شـرته إلـى سـنتي فقـد أفلـح، ومـن كانـت فترتـه إلـى غيـر ذلـك، فقـد هلـك». والشـرة هـي الحـرص علـى الشـيء والرغبـة والنشـاط.

قـال الطحـاوي: «فوقفنـا بذلـك علـى أنهـا هـي الحـدة فـي الأمـور التـي يريدهـا المسلمون مـن أنفسـهم فـي أعمالهـم التـي يتقربـون بهـا إلـى ربهـم عزوجـل، وأن رسـول الله ﷺ أحـب منهـم فيهـا مـا دون الحـدة التـي لابـد مـن القصـر عنهـا والخـروج منهـا إلـى غيرهـا، وأمرهـم بالتمسـك، فـي الأعمـال الصالحـة، بمـا قـد يجـوز دوامهـم عليـه ولزومهـم إيـاه، حتـى يلقـوا ربهـم عزوجـل عليـه».

- تقليـد النـاس بمـا هـم فيـه مـن تيـه وضيـاع: قـال رسـول الله ﷺ كمـا فـي سـنن الترمـذي: «لا تكونـوا إمعـة، تقولـون: إن أحسـن النـاس أحسـنا وإن ظلمـوا ظلمنـا، ولكـن وطنـوا أنفسـكم، إن أحسـن النـاس أن تحسـنوا وإن أسـاءوا فـلا تظلمـوا».

- المناهـج التربويـة والتعليميـة: فلهـا دور كبيـر فـي ضعـف الهمـم التـي نراهـا فـي مجتمعاتنـا العربيـة والإسـلامية، لـما فيهـا مـن فصـول تثبـط الهمـم، وتخنـق المواهـب، وتكبـت الطاقـات، وتحجـم العقـول وتقتـل نزعـة الإبـداع فيهـا.



## أسباب تحصيل الهمة العالية

كما أن لاكتساب الهمة الضعيفة أسبابا كذلك فان للارتقاء بها أسبابا، نذكر منها:

- الدعاء: فبه يحصل الإنسان خيري الدنيا والآخرة، وبه تنال العطايا وتكتسب المزايا.

- العلم: لأنه يرفع صاحبه من حمئة التقليد الأعمى، إلى نور التفكير والإبداع.

- الاجتهاد في إشغال الوقت بما ينفع: قال الحسن البصري رحمه الله: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

وقال المتنبي:

**وإذا كانت النفوس كبارا**
**تعبت في مرادها الأجسام**

- التحول عن صحبة السوء المثبطة، قال رسول الله ﷺ، كما في سنن ابن ماجه بسند ضعيف: «إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه».

- المداومة على الأعمال، وإن قلت، ومجاهدة النفس في ذلك: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وفي صحيح مسلم، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «أدومه وإن قل».

## مجالات علو الهمة

لا يبالغ المرؤ إن شمل كل ركن من أركان الحياة بحاجته لعلو الهمة فيه، فكل حركة وسكنة في مفاصل حياة الأفراد والمجتمعات، يحتاج لهمة عالية تدير عجلته، وتبعث الحيوية والفاعلية فيه، من تلك الأركان:

الهمة في طلب العلم: قال يحيى ابن أبي كثير: لا ينال العلم براحة الجسد.

وقال الشاعر:

**ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله**
**ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل**

الهمة في العبادة والاستقامة: قال الحسن البصري: من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياه فألقها في نحره.

وقال وهيب بن الورد: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل.

الهمة في الدعوة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

الهمة في العمل في شتى مناحي الحياة، وإتقانه: فعن عائشة، أن النبي ﷺ قال في الحديث الذي رواه أبو يعلى في مسنده: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

الهمة في خدمة الناس، والسعي في حوائجهم: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إلف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف، وخير الناس أنفعهم للناس».

مما تقدم يتبين أن أصحاب الهمم العالية هم أعمدة نهضة الأمم، وأساس أي حضارة، وعليهم يعول استمرارها وازدهارها، وتاريخنا الإسلامي ذاخر بأمثال هؤلاء، وحاضرنا كذلك فيه بعض النماذج الوضاءة التي تبعث الأمل في النفوس، لكنها لا تزال قليلة مبعثرة، تحتاج لعقد يجمع فيما بينها، لتتوحد القدرات ويكبر الإنجاز.

التحرير

# «الوعي الإسلامي .. دار نشر مُبهرة

انطلاقا من اهتمام مجلة «الوعي الإسلامي» بكل ما هو جديد ونافع في عالم الثقافة الإسلامية، ورعايتها لإبداع المؤلفين والكُتاب، وبعد طباعتها لكتاب: «لطائف الأدب في استهلالات الخطب»، عام: (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، قامت المجلة، من باب إتمام الفائدة، بطباعة القسم الثاني من هذا الكتاب الماتع وهو: «لطائف الأدب في خواتيم الخطب»، وضمت هذا القسم إلى القسم الأول لتصدره في مجلد واحد إكمالا للفائدة، ولاسيما لفئة الأئمة والخطباء ووسمته بـ: «لطائف الأدب في استهلالات الخطب، ويليه لطائف الأدب في خواتيم الخطب».

وتتقدم المجلة بالشكر العاطر والثناء الجميل لمؤلفه فضيلة الدكتور عبدالمحسن عبدالله الخرافي، الذي أرسل للوزارة هذه الرسالة الكريمة:



مبرة الآل والأصحاب

الأربعاء : ١١ رجب ١٤٣٩هـ
الموافق : ٢٨ مارس ٢٠١٨م

الأخ المفضال م. فريد عمادي المحترم
وكيل وزارة الأوقاف و الشئون الإسلامية
السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، و بعد

فبادئ ذي بدء نتقدم إليكم بأرق التحايا ورائق العبارات وأطيب الأمنيات بدوام الطاعات ومزيد القربات وسابغ الآلاء والرحمات.

وانطلاقاً من قول نبينا ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» (رواه الترمذي: رقم ١٩٥٥)

وتقديراً لجهودكم المعطاءة وتثميناً لدوركم الكريم ودور الوزارة الموقرة وإداراتها الكريمة في خدمة ديننا العظيم بعامة وتراث الآل والأصحاب بخاصة،

وإقراراً بعنايتكم الكريمة ورعايتكم النبيلة واللتان تستحقان الإشادة والثناء.

لكل ما سبق يطيب لي أن أتوجه إليكم بأسمى معاني التقدير والاحترام معبراً لكم عن عميق شكري وتقديري لكم شخصاً وصفة على ما سبق إضافة إلى تبنيكم النبيل لكتابي: لطائف الأدب في استهلالات الخطب(سبق وأن طبعته وزارتكم طبعة أنيقة) و لطائف الأدب في خواتيم الخطب، واللذين أحاطتهما وزارتكم الموقرة ممثلة في إدارة مجلة الوعي الإسلامي والعاملين الكرام فيها بعنايتها ورعايتها، وتبنت طباعتهما ونشرهما وأخرجتهما معاً في إصدار واحد في ثوب قشيب، وتوليف عجيب، وإخراج مهيب، وإنا لنفاخر بإصدار طبعته تلك تحت مظلة وزارتكم الموقرة ورعايتكم الكريمة، سائلين ربنا أن ينفع به الأئمة والخطباء وطلاب العلم النجباء، وأن يحقق المأمول ويحوز القبول.



مبرة الآل والأصحاب

واسمح لي بهذه المناسبة الطيبة أن أبدي إعجابي – بل انبهاري – من وجود طاقات وكفاءات داخل هذه الإدارة ، فهي أشبه بدار نشر من حيث تكامل الخدمات المطبعية في الإدارة، في أداء جاد ودقيق وسريع الأداء في انسيابية لطيفة يبدو فيها التمكن المهني، والاقتدار الإداري وبالتالي دقة وجودة التنفيذ لجميع مراحله من تصميم وصف وإخراج وتحرير وتدقيق وحسن إخراج الغلاف الفني للكتاب.

لذا أرجو التكرم بنقل شكري لهذه الإدارة المميزة ، مع كامل تقديري وتحياتي.

سائلين ربنا أن يعم نفعها البوادي والقصاب، وألا يحرمنا وإياكم الأجر والثواب، ومتطلعين في الوقت نفسه إلى مزيد من الإسهامات المشتركة والتعاون البناء بيننا وبين وزارتكم الموقرة.

والله نسأل أن يبارك وجهودكم وأوقاتكم وأن يجعلها في موازين الأعمال وصحائف الدرجات إنه ولي ذلك والقادر عليه.

و تفضلوا بقبول وافر التحايا و جزيل الامتنان
و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أخوكم
رئيس مجلس الإدارة
د. عبد المحسن الجارالله الخرافي

مبرة الآل والأصحاب

د. عبدالله البوعلاوي
باحث في الحضارة الإسلامية - المغرب

# بين وداع رمضان وفرحة العيد






مرت أيام رمضان مسرعة، وتركت في نفوسنا شوقا لفراقه ولوعة في قلوبنا، آملين أن نحقق قيمة التقوى؛ المقصد الأسمى منه كما قال ربنا عزوجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣)، إلى جانب مجموعة من المقاصد الروحية والمادية.

نودع رمضان ونحن بين مقام الفراق وفرحة العيد. فراق شهر تهيأت فيه فرص الطاعة، ووجدنا المعين والناصر على العبادة. شهر رمضان وجدت النفس جدة وقوة في الإنابة، شهر كثرت الخطى فيه وتعددت إلى أبواب الرحمة والهداية، حيث شنفنا أسماعنا بترتيل القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار، وعطرنا ألسنتنا بالذكر والاستغفار، وهذبنا أنفسنا بالأخلاق الحميدة والإرادة، وخشعت قلوبنا لله بالدعاء والمسكنة بين يدي الرحمن بالأسحار، ونحن على استعداد للقاء الله الواحد مقلب الليل والنهار، كما نفرح بأن أعاننا الله على صيام نهاره وقيام ليله، ونطمع في جائزة ربنا.

## وداع رمضان

إن المؤمن العاقل من يكون له من تصرم أيام رمضان ولياليه وقفة تأمل، ينظر إلى قلبه ومقامه ونشاطه في أنواع العبادة، وينظر إلى بره وإحسانه وأخلاقه، ينظر إلى علاقته مع ربه، وعلاقته مع ذاته، وعلاقته مع غيره من الناس والكون، ويقول

ما أسعد الفائزين برضا الرحمن وما أشقى المحرومين من توبة يظفرون بها للعيش إلى جوار المنان، والمؤمن يرجو أن يكون ممن قبل الله صيامهم ويخاف أن يكون من الخاسرين.

يأخذ المسلم من رحيل رمضان عبرة لمحاسبة النفس، فينظر يمنة ويسرة إلى ما قدم من أعمال في شهر كان ينتظره، ثم إنه ارتحلت أيامه مسرعة لتذهب ببعض عمره ولتقربه من أجله. إن رمضان لمن اعتبر فرصة العمر، فرصة لا تتكرر، وقد لا تمنح للإنسان إلا مرة واحدة، ثم بعد ذلك يأتي يوم: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (آل عمران:٣٠).

تطوى أيام رمضان، وتطوى معها ساعات العمر، «والكيس من دان نفسه»[١]، وحقق غايته من مدرسة رمضان، بعدما واصل الليل بالنهار، فهذب نفسه بقيم القرآن، وسكنت جوارحه وخشعت بالقيام، فراح يتقلب من ليله ونهاره بين مقام المراقبة ومقام المشاهدة لله تعالى ليظفر برضا الرحمن.

نودع رمضان، ولا نريد أن نودع ما ألفته النفس من لذيذ الأنس بالطاعة، والخضوع بين يدي الله تعالى، والتذلل بين يديه والانكسار لعظمته. نودع رمضان وكلنا أمل في مواصلة الفرار إلى الله تعالى والسير إليه، لنحيا بنغمات القرآن وهديه وسنة رسول الله ﷺ في حياتنا الروحية والمادية على حد سواء، نحيا بهما في الباطن والظاهر، نحيا بهما فردا ومجتمعا. نودع رمضان وقد أخذنا أمرنا إرادة وعزيمة لنعيش في كنف الرحمن في باقي الشهور، ونشعر بمعيته، فنزين معاملتنا بأخلاق القرآن وقيمه العليا.

## المسلم يأخذ من رحيل رمضان عبرة لمحاسبة النفس

والناس في توديع رمضان نوعان: منهم من يحزن لفراق رمضان ورحيله لمن فاته خيره، ولم يأنس بساعاته، يحزن من فاتته صلاة الجماعة، يحزن من لم يتلذذ بصلاة القيام وإطعام صاحب الحاجة، يحزن من لم تذرف عيناه عند سماع أحداث القيامة والساعة، يحزن من لم يخشع قلبه بذكر الله عند تمام يومه بالصوم في الطاعة، يحزن من لم يزين بيته بأجواء تلاوة القرآن والدعاء إلى الله بقبول الأعمال في كل ساعة... هذا وغيره يقول لرمضان ترفق، تمهل؛ لعله يعوض ما فاته من فضل عميم، لكنه لا يستطيع. ما أشد حزنه لموسم فتحت فيه أبواب الجنان، وغلقت فيه أبواب النيران، وصفدت فيه الشياطين، وهيئت فرص الإقبال على الله تعالى بأنواع البر المختلفة والمتنوعة. هيهات هيهات لكل مسوف راحت منه فرصة العمر التي قال عنها رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل: رغم أنف عبد دخل عليه رمضان فلم يغفر له، فقلت: آمين»[٢].

يعتبر رمضان موسما، تسمو فيه النفس وتتحرر من ضيق أثقال

## العاقل من يجعل من رمضان توبة تكون له بابا لمحبة الله ورسوله

الشيطان والمادة، فتنقطع إلى ربها بالعبادة، فتعلو الروح على الطين لتحلق في أنوار النفحات الربانية رغبة في طهارة النفس من المعايب، فتنشط في مناجاة ربها وتستغرق في ذكره، وتسبح في ملكوته تتلذذ بعبق رمضان الزكية.

إن المودع لأيام رمضان على استعداد مستمر ليودع يوما آخر يمضي به إلى أجله، يتزود من الدنيا لرحليه، يفكر في جني عمل صالح يشفع له عند لقاء ربه، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر:٩٩).

النفس تودع رمضان وتستقبل شهرا آخر، وقد تهذبت بأخلاقه، وكلها إرادة على أن تواصل السير إلى الله تعالى، وعزيمة قوية للحفاظ على حلاوة الإيمان التي اكتسبته في أيامه المعدودات. وأنها اكتشفت سر طمأنينة النفس وسعادتها، إنه في تغدية الروح؛ سر تكريم الإنسان على باقي الكائنات وسر تقويمه، من حيث إنه نفخة من الله تعالى.

إن الجسد المادي الطيني للإنسان يحمل النفخة الروحية الإلهية، التي بها نال درجة التفضيل على كثير ممن خلق الله تفضيلا، يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (الحجر:٢٩).

والإنسان مطالب بالاعتناء بهذه الروح كما يعتني بجسده أو أكثر، ويهتم بها ليحيا بروح الوحي، ويمشي على نوره وقيمه، وألا يعود إلى ما كان عليه من التفريط في جنب الله تعالى لكي لا تخبو، بعدما تعرض لنفحات الرحمن في شهر رمضان، وتعيش روحه على إشراقات صراط الله تعالى المستقيم، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾، ورحم الله الشاعر

# العيد فرصة للاستزادة في الخير

أبا الفتح علي بن محمد بن البستي (ت:٤٠٠هـ)، حين قال:

**يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته**
**أتطلب الربح فيما فيه خسران**
**أقبل على النفس واستكمل فضائلها**
**فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان**

المفلس من الناس من نقض عهده بما تلذذت به الروح من نعيم الأنس بتلاوة القرآن الكريم والقيام، ومن فضائل الحق والهدي بالليل والنهار والإحسان في أعمال البر، حتى عانقت الروح الملكوت والأنوار الربانية، ثم ها هي بعد هذه السعادة يخبو النور وتنطفئ الهداية بعد قوة ليحل محلها هوى النفس ومطامعها الشهوانية، يقول الله تعالى واصفا هذا النوع المودع للخيرات، والذي يرمي بنفسه في مهاوي الظلمات ليس بخارج منها ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (النحل:٩٢).

## فرحة العيد

يقول النبي ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣]. يفرح بالعيد من تاب إلى جنب ربه وتطهر في شهر الصيام والقيام، وأقبل على الله منكسرا متذللا، مبتهلا في ليله ونهاره، يفرح بصومه، إذ حفظه من كل المفطرات المعنوية والمادية. يفرح بما يجد من محبة في قلبه للطاعة والإنس في التوكل على ربه، يفرح بما اكتسب من معاني القرآن الكريم وتدبره والسياحة في عوالمه، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر، فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه. فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى إذا مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مئة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن»[٤].

يفرح المؤمن بالعيد، فيجده فرصة للاستزادة في الخير، بعد فرحه بما نال من رضا الرحمن، فيبدأ يومه بالتكبير والتهليل شكرا على توفيق الله له بإتمام صوم الأيام المعدودات، يفرح بما تفضل الله عليه من النعم، فيحسن إلى عياله وإلى ذي الحاجة، يفرح المؤمن لأنه يجمل قلبه قوة وسماحة وصفحا وعفوا على غيره من النسب والرحم، فيتناسب شكله الخارجي مع باطنه، فتصبح الأيام كلها عيدا.

وأعظم فرحة العيد أن يشعر المؤمن بفرح الله تعالى به، حيث أقامه فيما يحب الله ويرضى، يقول رسول الله ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة»[٥].

## ماذا بعد العيد؟

ينبغي للمؤمن أن يكون على حذر من مداخل الفتن، فيمضي في طريق الهدى حتى يجد من أيامه كلها عيدا. يوم العيد الحقيقي أن يشعر المؤمن بالطاعة، وأنه قريب من الله تعالى، بعيد عن المعصية؛ بعيد عن الشيطان، يشعر بالحاجة المستمرة إلى ذكر الله تعالى، فيرى تجليات الله عليه. والعاقل من يجعل من رمضان توبة تكون له بابا إلى محبة الله ورسوله مما سواهما، فيحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويختار ما قضى الله ورسوله، وينصر الحق ويدعو إليه ولا تأخذه في ذلك لومة لائم. ويفرح المؤمن بأهله وبيته وأقربائه وبالمؤمنين عندما يختارون الله ورسوله، يفرح عند أمنهم وطمأنينتهم، ويحزن عند تفرقهم وتنازعهم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال:٤٦)، وأن تدعو الله تعالى أن يوحد صفوفهم، وأن تشيع الأخوة، ويؤلف بينهم، ويلين قلوبهم بالحق، وبه يعدلون.

العيد دعوة للمسلمين لذكر الله حقيقة في قلوبهم، والتحاكم إلى أمره ونهيه ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ﴾

﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ (الأنعام:٥٧)، وأي فرح يحمله المؤمن في قلبه وله من أخيه المسلم شحناء أو ضغينة وشحناء أو قطيعة، يقول الله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣﴾ (محمد:٢٢-٢٣)، والنبي ﷺ يقول: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر»[٦]. أي سعادة يريد أن يحصلها وهو مقطوع عن الله، مقطوع من رحمته؟! فليتب هذا وأمثاله إلى الله تعالى، وليتحلل من كل مظلمة قبل أن ينزل به ملك الموت، فيقول: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ (الزمر:٥٦).

لو كان للإنسان وقفة تأمل حقيقية لوجد أن المسلمين تجمعهم وحدة العقيدة ووحدة القبلة، ووحدة الغاية والمنهج، أكثر وأغلى وأسمى من القرابة في الأهل والنسب، وهي أولى الأولويات التي يجب أن تحفظ وأن تراعى، لأن بالعقيدة تصان العقول والأنفس وتحفظ الأموال

## وحدة العقيدة تحتم على المسلم إشاعة التراحم والمودة بين المسلمين

والأعراض. إن وحدة العقيدة تحتم على كل مسلم أن يكون همه إشاعة التراحم والمودة بين المسلمين، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، يقول النبي ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[٧].

والمؤمن يفرح بصومه الذي تزود منه من دنياه لآخرته، يفرح لأنه اكتسب فيه قيما إنسانية كونية قرآنية، واستطاع من خلاله أن يفجر قوة روحية داخلية تجاوزت أثقال المادة الذاتية، فتحرر من قيود النفس وشهواتها وحظوظها، وتنزه عن الوقوع في مساوئ الفعال والأقوال، ليرتقي إلى ربه بلباس التقوى.

إن رمضان مدرسة الأخلاق الفاضلة بامتياز، تزكي النفس وتهذبها، وتعالج انحرافاتها وتسدد خطواتها، وتقوم سلوكها، فتنطلق النفس بإرادة قوية إلى معالي أنواع البر كلها.

**الهوامش**

١- سنن الترمذي، كتاب الرقائق، ٦٣٨/٤، رقم الحديث ٢٤٥٩.
٢- أخرجه ابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي هريرة.
٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢ هـ) ٢٢/١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٤- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبدالله ابن قيم الجوزية،١٨٦/١، دار الكتب العلمية - بيروت.
٥- صحيح البخاري، كتاب الدعوات، ٨٤/٤.
٦- سنن ابن ماجه.
٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب الأدب.

د. محمد إبراهيم الحلواني
أستاذ مشارك في قسم الحديث
وعلومه كلية العلوم الإسلامية
جامعة المدينة العالمية
ماليزيا

# إيثار الإسلام على الأنفس والأموال

تحمل رسول الله ﷺ وأصحابه في سبيل الإسلام الكثير من الأذى فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، إن التضحية في سبيل الإسلام هي أساس عزة الأمة، لذلك ضحى سلفنا الصالح بالغالي والنفيس والدماء والأرواح لوجه الله جل وعلا، تحملوا الجوع والعطش والبرد والأذى لخدمة هذا الدين، صبروا على الامتحان، وآثروا العقيدة على نعيم الدنيا، تركوا أموالهم وعشيرتهم وأوطانهم، ضحوا بالمصالح، وأواصر القربى والعلاقات والروابط، ضحوا بعلاقاتهم مع آبائهم وأبنائهم، وإخوانهم وأخواتهم وعشيرتهم في سبيل مرضاة الله جل وعلا، وفي سبيل إعلاء دينه، ورفعة كلمته، فكانت النتيجة الرفعة في الدارين والنصر على الأعداء.

## التضحية بالنفس في سبيل العقيدة

إن محبة رسول الله ﷺ عقيدة راسخة في قلوب الصحابة، ثمرتها الاقتداء والبذل والعطاء والتضحية والجهاد في سبيل نصرة دين الله عزوجل وإعلاء لوائه، ولا يوجد بين محبي رسول الله ﷺ مكان للعجزة النائحين، وما أجمل قول أنس بن النضر في غزوة أحد حينما مر بقوم من المسلمين قد ألقوا ما بأيديهم: ما تنتظرون؟ قالوا: قُتلَ رسول الله ﷺ، قال: وما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل المشركين فمازال يقاتلهم حتى قتل[1].

**التضحية في سبيل الله تحتاج لقوة إيمان وعقيدة راسخة**

وهنا سؤال يتبادر إلى الأذهان ما الذي يدفع إنسانا للتضحية بنفسه؟ هل المال دافع رئيسي للتضحية؟ هل المرأة دافع رئيسي للتضحية؟ هل الولد دافع رئيسي للتضحية؟ كلا، إن الدافع الرئيسي لبذل المهج والأرواح هو حب الله ورسوله. وهذا عمرو بن الجموح رجل أعرج لا جهاد عليه، قد أسقط الله عنه الجهاد، لكنه يسمع النداء: يا خيل الله اركبي، حي على الجهاد، يريد أن ينطلق للجهاد في سبيل الله جل وعلا، فيقول أبناؤه الأربعة الذين ما تركوا غزوة مع رسول الله: يا أبانا لقد أسقط الله عنك الجهاد، ونحن نكفيك، فيبكي عمرو بن الجموح وينطلق إلى النبي ﷺ ليشتكي لرسول الله وهو يقول: يا رسول الله! إن أبنائي يمنعوني من الخروج للجهاد في سبيل الله، ووالله إني لأريد أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فيلتفت النبي ﷺ إلى عمرو ويقول: «يا عمرو فقد أسقط الله عنك الجهاد، فقد عذرك الله جل وعلا»، ومع ذلك يرى النبي ﷺ رغبة عارمة في قلب عمرو بن الجموح للجهاد في سبيل الله، فيلتفت النبي ﷺ إلى أبنائه الأربعة ويقول لهم: «لا تمنعوه! لعل الله أن يرزقه الشهادة في سبيله». وينطلق عمرو بن الجموح، لا أقول يبحث عن النصر، بل يبحث عن الشهادة في سبيل الله جل وعلا، ويرزقه الله الشهادة في سبيله، صدق الله فصدقه الله جل وعلا[2].

## التضحية بالأم

إن والدة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما علمت بإسلامه قالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت فتعير بذلك أبد الدهر، يقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل، فأصبحت وقد جهدت، ثم مكثت يوما آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مئة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أسلمت وأكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت:٨)[3]، إنها صورة عظيمة من الثبات والصبر، حيث مارست أمه ضغطا شديدا عليه حتى يعود إلى دين آبائه وأجداده، لكنه رضي الله عنه رفض الاستجابة لهذه الضغوط، وأصر على التمسك بدينه فلم يتزعزع عنه قيد أنملة.

## التضحية بالمال

إن حب المال غريزة في النفس البشرية،



وجبلة في الطبيعة الإنسانية، ولقد شغل المال كثيرا من الناس اليوم عن القيام بالواجبات الشرعية، بسببه قست القلوب، وأريقت الدماء، وقطعت الأرحام، بينما كان عند المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان؛ وسيلة لرفع راية الإسلام ونصرة الحق وإعفاف النفس، وكفها عن الناس، ولقد ضحى حكيم بن حزام رضي الله عنه بماله في سبيل الله عزوجل، حيث إنه قطع على نفسه عهدا أن يكفر عن كل موقف وقفه في الجاهلية، أو نفقة أنفقها في عداوة رسول الله ﷺ بأضعاف أضعافها، وقد بر في قسمه، وصدق فيما عاهد، فيوم آلت إليه دار الندوة التي كانت تعقد قريش مؤتمراتها فيها في الجاهلية، باعها بمئة ألف درهم، فيقول فتى من قريش: بعت مكرمة قريش، فقال حكيم: «يا بني! ذهبت المكارم كلها، ولم يبق إلا التقوى، أوما يسرك يا بني! أن أشتري بها دارا في الجنة؟ إني أشهدكم أني قد جعلتها لله»[٤]، ضحى بثمنها كله في سبيل الله.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك أيضا ما حدث في غزوة تبوك حينما رغب النبي ﷺ في تجهيز جيش المسلمين، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدا[٥].

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق لدليل على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها، وخير ما يفعله المصلحون وزعماء أي النهضة هو غرس الدين في نفوس الناس غرسا كريما[٦].

## كل شيء في مقابل الإسلام لا وزن له ولا قيمة

### التضحية بالأهل والأحباب

إن التضحية في سبيل الله عزوجل تتطلب مفارقة الآباء والأبناء والأقارب، ولكن هذا يحتاج إلى قوة إيمان وعقيدة راسخة لا يؤثر فيها متاع زائل وظل زائل، وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤)، فهذه الآية الكريمة تبين في جلاء لا غموض فيه أن المؤمن الحق يؤثر رضا الله ورسوله على إرضاء والديه وأولاده وتجارته ومعاشه، وأن كل شيء في مقابل الإسلام لا وزن له ولا قيمة، إنها التضحية بالنفس التي دفعت حنظلة ابن أبي عامر الراهب إلى مفارقة زوجه التي لم تدم الصلة بينه وبينها إلا ليلة واحدة، ممتثلا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:٤١)، وكان من آثار تلك الاستجابة وذلك الانقياد أن يقتل شهيدا في سبيل الله عزوجل في غزوة أحد، وأن ينال شرف تغسيل الملائكة له، حتى لقب بغسيل الملائكة[٧]، وكفى بذلك شرفا وفخرا، بمثل هذه الجهود الصادقة والدعوات المخلصة والتضحيات المتباينة ينصر الله دينه ويؤيد جنوده، نسأل الله أن يجعلنا منهم وألا يحرمنا بركتهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

### الهوامش

١- ابن عبدالبر، الدرر في اختصار المغازي والسير ص١٤٩، دار المعارف، القاهرة، ط: الثانية،١٤٠٣هجرية.

٢- الغزالي، فقه السيرة ص٢٦٠، دار القلم، دمشق، ط: السابعة،١٩٩٨م، تحقيق: الشيخ الألباني، وقال: سنده حسن، روى بعضه أحمد بسند صحيح.

٣- جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير ١١٢/٤، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط: الخامسة،٢٠٠٣م.

٤- الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٠/٣، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٩٨٥م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٥- رواه الترمذي في كتاب المناقب، رقم (٣٦٧٥)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، تحقيق: د. بشار عواد معروف، وحسنه الألباني.

٦- د. مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر ص١٦١، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: التاسعة، ١٩٨٦م.

٧- أخرجه ابن حبان في صحيحه، ٤٩٥/١٥، رقم (٧٠٢٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٣م تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

سيد الطيب
شاعر وكاتب مصري

# عن كهوف الرحمة

الطمأنينة تورث القلب الإشراق الذي يدله على فواتح الخير ونواميس الرحمة؛ هناك في القدم فتية آمنوا بالواحد، فتمت ملاحقتهم من قوة وعتاد يفوقان قدراتهم وحجمهم، وأظلمت الدنيا الفسيحة ولم يطرأ على قلوب الفتية المطمئنة بما أقدمت عليه من توحيد إلا الاختباء في حفرة في جبل بجانب المدينة؛ كهف أشرقت له قلوبهم فهدهدتهم الرحمة في جوانبه.

أحاط جنود الله بالكهف إحاطة كاملة، فتخلل الأجساد الوهن والضعف، واستلقى كل منهم مكانه، ومد الكلب ذراعيه أمام باب الكهف؛ فحفهم جندي من أعظم جنود الله ليضرب على آذانهم وتتعطل حاسة السمع لدى الجميع حتى الكلب؛ جندي عجيب جعل العيون ما بين الإغماض والتفتيح، عطل وظائف المعدة والإخراج؛ فلا تسري في الخلايا العصبية أحاسيس الجوع والتغوط، وتم تعطيل الجهاز المسؤول عن إنبات الشعر والأظافر، وانتشر في الكهف الجنود المسؤولة عن الثياب التي يلبسونها حتى لا يصيبها التمزق والقدم، وعلى الملائكة الموكلة تقليب النائمين يمينا وشمالا حتى لا تتعفن الأجساد. أما الكلب فقد جعل الله في جلده ما يحركه حتى لا تأكله أرض الكهف، التي جعل الله من خصائصها حفظ الأجساد، كما يجب على الجنود الموكلة بالرؤى العذبة الطيبة أن تؤدي عملها تجاه أولئك الأولياء، وعلى جهاز التنفس أن يمارس عمله الشاق في الشهيق والزفير، والشمس المتحركة عليها أن تحيد يمينا عن الرقود في الكهف عند طلوعها وشمالا عند غروبها، والرياح لا يدخل منها إلى الكهف إلا القدر الذي يجدد الهواء ويحفظ لتربة الكهف خصائصها، ومحذور على البرد أن يقترب من أولئك الأولياء، ومحذور على الحر أن يمتد إليهم.

تتعاقب الأيام وتمضي السنون وتتابع ملائكة الإحلال والتجديد عملها في المدينة؛ فيموت كهل ويولد طفل، وتتبدل الأجيال وتتغير معالم وأفكار ومعتقدات المدينة من عقد إلى آخر حتى تأتي الأوامر العليا للجنود المسؤولة عن الكهف بالتوقف عن عملها، ليحل مكانها جندي واحد وهو الجوع؛ فتعود حاسة السمع للرقود وتنتفض حواس الإدراك والوعي، ليستيقظ الجميع في الوقت ذاته على طلب الطعام.

كهوف الرحمة لا يحدها توقيت، وهي من المنح الربانية؛ فالضيق والهم والحزن والكروب التي تعتري النفس يفتح لها الله كهوف رحمة تتطلب طمأنينة القلب وإشراقه فقط؛ لتصبح المحنة منحة! فلا تبخل على نفسك أخي الكريم وأسأل الله على الدوام كهفا من كهوف رحمته.

نادر أبو الفتوح
صحفي مصري

# ثبات القيم

كثيرة هي الأخطاء التي يقع فيها العديد من المسلمين بعد شهر رمضان، فالبعض يتكاسل عن العبادة، بعد أن كان حريصا على الصلاة في جماعة، ومواظبا على حضور دروس العلم في المسجد.. بكل أسف، تتراجع الهمم، ويقل النشاط بعد شهر الصيام، ويظهر ذلك جليا في قلة أعداد المصلين في صلاة الفجر، بعد أن كانت تشهد زحاما طوال أيام الشهر الفضيل.

إن هذه الظاهرة، التي تطول الكثير من المسلمين بعد انقضاء شهر الصيام، تستلزم توعية من الأئمة والدعاة وخطباء المساجد للمسلمين بأن المداومة على الطاعات لا ترتبط بمناسبات وأيام بعينها دون غيرها؛ فالمساجد التي كانت تشهد زحاما في رمضان، يجب أن تكون على الحال ذاتها في كل أوقات العام، كما أن المسلم الذي اجتهد في رمضان يجب عليه أن يجتهد ويعمل ويداوم على الطاعات، ويستمر في كل أعمال الخير والبر التي كان يفعلها في شهر الصيام؛ حتى ينال ثواب الخالق عزوجل ورضاه.

## نصائح

وحول هذه الظاهرة، التي تنتشر بعد شهر رمضان، ينصح الشيخ محمود عاشور (وكيل الأزهر الأسبق)، المسلم بأن يحافظ على العبادات والطاعات ويستمر في عمل الخيرات والتحلي بالقيم والأخلاق بعد رمضان، وهذا أمر يتطلب التوعية، لترسيخ القيم والمبادئ، فالأخلاق التي حملتها لنا الشريعة الإسلامية، والتي ظهرت في سلوك المسلم طوال شهر رمضان، ينبغي أن تظهر وتستمر بعد رمضان، فالتصالح مع الناس وعمل الخير والتكافل الاجتماعي، يجب أن تستمر بعد رمضان، والاجتهاد في العبادة أمر واجب على المسلم في كل الأوقات، لكن نحذر من الكسل والتراخي في العبادة بعد رمضان، وهذا أمر يتطلب ضرورة مجاهدة النفس.

ويؤكد عاشور أن الاجتهاد في العبادة يحمل الخير الكثير للمسلم، وهذا الاجتهاد يكون بأداء الصلوات في جماعة، وحضور دروس العلم في المسجد، والبعد عن المعاصي والذنوب، والتقرب إلى الله عزوجل، والتوسط في الإنفاق؛ فلا إسراف ولا تقتير، والتصالح مع الناس، والصلح بين المتخاصمين، وكل هذه القيم والمبادئ قد تحققت في شهر رمضان، نتيجة للتركيز والاجتهاد في العبادة، ومن الضروري أن تستمر هذه الأخلاق بعد رمضان من خلال المداومة على الطاعات، لأن تراجع الهمم والتكاسل من أكبر الأخطاء التي يقع فيها المسلم بعد رمضان، لذلك لابد من شحذ الهمم لبلوغ هذه المرتبة الطيبة، التي تجعل المسلم دائما في طاعة وتقرب إلى الله عزوجل.

## التحلي بالأخلاق الطيبة

من جانبه، طالب الرئيس الأسبق للجنة الفتوى بالأزهر الشيخ عبدالحميد الأطرش، بضرورة التحلي بالقيم والأخلاق الطيبة التي كان يتمتع بها المسلم في رمضان، لأن الصيام كان له تأثير كبير على حالة المسلم، وانعكس ذلك على تصرفاته داخل الأسرة وفي محيط العمل والمجتمع، ولابد أن تستمر هذه القيم والأخلاق الطيبة بعد رمضان، فالعفو والصفح والتسامح والتكافل الاجتماعي ورعاية الأيتام وصلة الأرحام.. قيم يجب أن تسود في كل أوقات العام. وإذا كانت هذه القيم تجسدت طوال شهر رمضان، فإنه من الضروري أن تسود بعد رمضان، من خلال القيام بالعبادات والطاعات على الوجه الأكمل؛ لأن ذلك سينعكس إيجابيا على تعاملات المسلم مع الآخرين، فتأثير القيام بالعبادات والاجتهاد فيها ينبغي أن ينعكس على سلوك الإنسان، وتجسد ذلك في رمضان وينبغي أن يستمر بعد رمضان.

## تدريب الأطفال على الطاعات

وطالب الأطرش بضرورة استمرار التربية الأخلاقية للأطفال بعد الشهر الفضيل، لاسيما أننا نجد الأسر تصطحب الأطفال إلى المساجد في رمضان لحضور دروس العلم وصلاة الجماعة، لكن بعد رمضان قد يتوقف البعض عن ذلك، وهذا أمر مرفوض، لأننا كما نعود الأطفال على الصيام في رمضان، لابد أن نرسخ لديهم القيم، ونبين لهم الأخلاق التي حثت عليها الشريعة الإسلامية، ويتحقق ذلك من خلال استمرار تردد الأطفال على المساجد؛ لأن ذلك يمنحهم جرعة إيمانية تحصنهم ضد الفكر المتطرف، وتجعلهم يتلقون العلم على يد العلماء المشهود لهم بالوسطية والاعتدال. كما أن مسؤولية خطباء المساجد تحتم عليهم بيان هذه الأمور، وحث المصلين على اصطحاب الأطفال إلى المساجد للتزود بالثقافة الإسلامية الوسيطة، والتعلم من الأخلاق التي تسود داخل المساجد، وأهمها عدم رفع الصوت، والحفاظ على النظافة، فكل ذلك يعد تربية أخلاقية للأطفال تؤثر في سلوكهم مدى الحياة وتجعلهم نماذج طيبة في المجتمع.



التحرير

# الكويت احتضنت مؤتمر «المالية الإسلامية.. أطروحة عالمية»

**تحت عنوان «المالية الإسلامية: أطروحة عالمية» عقدت في الكويت على مدار يومين فعاليات المؤتمر العالمي للمالية الإسلامية، التي نظمها بنك الكويت المركزي، برعاية صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت، وبمشاركة محافظي مؤسسات النقد والبنوك المركزية لمجلس التعاون الخليجي وعدد من الدول الإسلامية والأجنبية.**

وأكد وزير المالية الكويتي الدكتور نايف الحجرف في الكلمة الافتتاحية للمؤتمر أن دولة الكويت حاضنة لصناعة التمويل الإسلامي ومنشأ انطلاقتها في أيامها الأولى، خصوصا بعد الرعاية التي أولاها قادة الكويت لهذه الصناعة منذ كانت فكرة في أذهان روادها وإحدى المبادرات التي دأب أبناء الكويت على إطلاقها.

وأضاف أن المؤتمر يعد فرصة لاجتماع المعنيين بهذه الصناعة للمساهمة في تطوير الصناعة المالية الإسلامية، واقتراح الحلول والتوصيات لكل ذلك، وصولا إلى صناعة مالية إسلامية تؤدي الدور المطلوب منها وتسهم بفعالية في تعزيز الاستقرار الاقتصادي ودعم عجلة التنمية.

وأوضح الحجرف أن المؤتمر يتزامن مع الذكرى الـ٥٠ لتأسيس بنك الكويت المركزي، مما يدعم جهود المركزي الرقابية التي استمرت على مدى ٥ عقود من العمل المؤسسي والرقابي لمواجهة التحديات وتخطي المصاعب وتحقيق النجاحات.

من جهته، قال محافظ بنك الكويت المركزي الدكتور محمد الهاشل في كلمة له خلال افتتاح المؤتمر، إن المالية الإسلامية نمت على المستوى العالمي خلال العقود الأربعة الماضية نموا استثنائيا، إذ بلغت أصولها ٢,٢ تريليون دولار أميركي، وعلى الرغم من هذا النمو الكبير فإنها مازالت تشكل نحو ٢ في المئة فقط من حجم الصناعة المالية العالمية.

وأضاف أنه بينما تطبق أكثر من ٨٠ دولة بعض أشكال المالية الإسلامية، إلا أنها تبقى محدودة خارج حفنة من الأسواق الرئيسية لهذه الصناعة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وجنوب آسيا وجنوب شرقها.

وبين أنه توجد اليوم أكثر من عشر دول لديها نظام مصرفي مزدوج (تقليدي وإسلامي)، تشكل فيه البنوك الإسلامية ما قيمته ٢٠ في المئة من مجمل أصول القطاع المصرفي؛ مما يعكس أهمية المالية الإسلامية المطردة، بالإضافة إلى ٤٤ دولة قامت حتى اليوم بسن قوانين تنظم المالية الإسلامية لدعم تطورها في تلك الدول.

وشدد على أن المالية الإسلامية وأدواتها تسد ثغرا لا يستهان به في التنمية، ومن أمثلة تلك الأدوات «الصكوك» التي تستخدم على نطاق واسع لهذا الغرض، ففي السنوات الأربع الماضية استخدمتها حكومات أكثر من ١٩ دولة مسلمة وغير مسلمة لجمع نحو ١٠٠ مليار دولار لتمويل العديد من مشاريع البنى التحتية والمبادرات في إفريقيا وآسيا وأوروبا والشرق الأوسط، ولا تقف منفعة الصكوك عند حد جمع رؤوس الأموال فقط، بل تمتد لتساهم في تعميق الأسواق المالية وتطوير الصناعات وتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

## تحديات

أما محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي أحمد الخليفي فأكد أن

تحديات المالية الإسلامية معروفة إلا أن آليات مواجهتها مازالت غير واضحة؛ الأمر الذي يطول أيضا استراتيجيات توسعة المصارف والخدمات المالية الإسلامية، خصوصا فيما يتعلق بتلبية حاجات المجتمع.

وتابع أن أبرز تحديات المالية الإسلامية يتمثل في نقص علماء الشريعة والخلاف في الرأي بين عدة لجان حول منتج مالي إسلامي موحد، مبينا أن الاتفاق في الرأي هو التحدي الأكبر.

بينما قال محافظ بنك البحرين المركزي رشيد المعراج إن: «أصول المؤسسات المالية الإسلامية معرضة للخطر في ظل تركيز بعض المؤسسات المالية على تحقيق نتائج مالية تؤهلها للمنافسة في السوق بغض النظر عن القيم الفعلية القائمة على مبادئ الشريعة»، مضيفا أن الصناعة المصرفية الإسلامية تواجه تحديات تتعلق بالمعايير الموضوعة حولها.

من جهته، أكد نائب محافظ البنك المركزي الماليزي عبدالرشيد غفور ضرورة تعزيز الهيكلة المالية الإسلامية التنافسية لتواكب المنافسة مع النظام المصرفي التقليدي، لافتا إلى أن ماليزيا أسست نظاما رقابيا وتشريعيا مناسبا لتهيئة البيئة للصيرفة الإسلامية.

## تطور تكنولوجي

فيما نبه الأمين العام لمجلس الخدمات المالية الإسلامية بيلو دانباتا في كلمة مماثلة، إلى أن التطور المستمر في استخدام التكنولوجيا وتقنية المعلومات يعد أهم تحد يواجه قطاع الخدمات المالية الإسلامية، مما يستوجب تطويع حلول التكنولوجيا المبتكرة في خدمة القطاع.

وأشار إلى أن مجلس الخدمات المالية الإسلامية أسس عام ٢٠٠٢م برؤية واضحة تهدف إلى الاستفادة من خدمات المالية الإسلامية، لأنه جهاز يضع المعايير والتشريعات ويقدم الاستشارات للهيئات الرقابية المهتمة في الصناعة المالية الإسلامية، مضيفا أن خدمات المجلس وأعماله باتت تشمل قطاع البنوك وأسواق الأسهم وقطاع التأمين وهو ما وسع من نشاطاته لتشمل تطبيق المعايير الدولية الصادرة عن الجهات الدولية.

**المالية الإسلامية بلغت أصولها ٢,٢ تريليون دولار أميركي**

وتابع أن المجلس أصدر ٢٧ معيارا خاصا للسلطات الرقابية أكدت التزامه مع أعضائه بتطوير المالية الإسلامية، لافتا إلى وجود مبادرة يقوم بها المجلس حاليا تهدف إلى تطوير عمل الصناعة المالية الإسلامية.

واستعرض دانباتا بعض النقاط التي من شأنها تطوير عمل المجلس، أهمها إيجاد بيئة مصرفية إسلامية مستقرة ومستدامة، فضلا عن وضع ثلاثة مقترحات ومبادئ في مجال الرقابة المالية الإسلامية وتعميم هذه المبادئ على مستوى العالم.

وتطرق دانباتا إلى العمل على ثلاثة قطاعات هي: المصارف وسوق الشركات وقطاع التأمين؛ بهدف تطوير أطر التنظيمات للمالية الإسلامية، مشددا على ضرورة دراسة أفضل الطرق لتطوير المعايير المناسبة لخلق أفضل الأدوات للمالية الإسلامية

**نظام «الصكوك» جمع ١٠٠ مليار دولار في ٤ سنوات لمشاريع تنموية**

واستكمال عمل الهيئات الدولية، مثل «بازل».

من جانبه، قال أمين سر لجنة «بازل» للرقابة المصرفية نويل لدز، إن اللجنة وضعت المعايير التنظيمية للدول الخاضعة للجنة منذ عام ١٩٧٤م ووقتها لم تكن المالية الإسلامية رائجة، مبينا أن اللجنة وسعت أعمالها في ٢٠٠٩م لتشمل البنوك الإسلامية، وبلغ عدد الدول الخاضعة لرقابتها ٢٣ دولة جميعها عضوة في بازل.

جدير بالذكر أن لجنة «بازل» للرقابة على البنوك تأسست بمبادرة من محافظي البنوك المركزية للدول العشر الصناعية الكبرى عام ١٩٧٤م، لتنسيق شروط العمل المصرفي فيما بين هذه الدول، وبما يوفر أكبر قدر من الاتساق في القيود المفروضة على العمل المصرفي بينها.

من جانبه، قال النائب الأول لرئيس البنك الدولي الدكتور محمود محيي الدين في كلمته، إن تعزيز الصيرفة الإسلامية يهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة والشمول المالي والاجتماعي، مبينا أن تكنولوجيا المعلومات وتطورها مهم للصناعة المصرفية، خصوصا ما يتعلق بالتعاملات عبر الهواتف الذكية، مضيفا أن حجم المدخرات في الدول العربية شهد خلال السنوات الماضية تراجعا، مما سيجعل تلك الدول تلجأ إلى الاستدانة، الأمر الذي سينعكس على زيادة حجم الديون وتكلفة خدمتها «ولهذا علينا أن نأخذ مفهوم التنمية المستدامة على محمل الجد».

واعتبر رئيس قسم المالية الإسلامية في وكالة «ستاندرد آند بورز» العالمية للتصنيف الائتماني الدكتور محمد داماك، أن الجميع مطالب بالبدء في توحيد المعايير، وهو التحدي الأكبر في المالية الإسلامية، مشيرا إلى الجهود الهائلة التي يبذلها علماء الشريعة في المؤسسات المالية الإسلامية.

د. محمد مبارك البنداري
باحث دراسات إسلامية

# التفضيل بين القراءات المتواترة بين الجواز والمنع

الترجيح بين القراءتين المتواترتين (في السبع أو العشر) ليس بمحمود؛ لثبوت القراءتين، ولصحة أنهما من كتاب الله عزوجل، ومن كلامه سبحانه وتعالى.

وقد أكثر المنصفون في القراءات والتفاسير من الكلام في التفضيل والترجيح بين القراءتين، حتى إن بعضهم يبالغ في ذلك إلى حد يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى.

والترجيح أو التفضيل كمصطلح علمي عرفه المناوي (ت:١٠٣١هـ) بقوله: «تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر»[١].

وقد كان أئمة القراء والعربية، خصوصا المعتدلين منهم، لا يرون ذلك، ومن هؤلاء ثعلب (أحمد بن يحيى، ت:٢٩١ هـ)، وأبوعمرو الزاهد (ت:٣٤٥ هـ)، وأبوحيان (ت٧٥٤ هـ)، ومن أئمة علماء القراءات أبو شامة (شارح الشاطبية، ت٦٦٥هـ)؛ لأن القراءة سنة متبعة، كما قال سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ولأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها، وعدم تفضيل أو ترجيح قراءة على أخرى، قال الحافظ أبوعمرو الداني (ت:٤٤٤هـ) في كتابه «جامع البيان»: «أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت، والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة»[٢].

وقد يكون الترجيح والتفضيل مبنيا على اللغة، أو يكون بدلالة السياق أحيانا.

والترجيح سببه أن بعض القراءات لها حجة أقوى وأظهر من جهة القياس والاستعمال إذا قوبلت بالقراءة الأخرى المرجوحة، فيؤدي ذلك إلى ترجيحها.

وممن فضل قراءة على أخرى بسبب قوة القراءة في اللغة عالم اللغة الفراء (أبوزكريا يحيى بن زياد، ت: ٢٠٧هـ)، يقول في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧﴾ (الانفطار:٦-٧)[٣]: «من قرأ فعدلك بالتشديد، فإنه أراد - والله أعلم - جعلك معتدلا معدل الخلق، وهو أعجب الوجهين إلي وأجودهما في العربية؛ لأنك تقول: في أي صورة ما شاء ركبك، فتجعل في للتركيب أقوى في العربية من أن يكون -في- للعدل، لأنك تقول: عدلتك إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا أجود من أن تقول: عدلتك فيه وصرفتك فيه»[٤].

وأما المبرد فقد كسر هذه القاعدة، وفضل بعض القراءات السبعية أو العشرية على بعضها صراحة، من ذلك: يقول في «المقتضب» عن قوله تعالى: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ (النساء:٩٠)، فأما القراءة الصحيحة فإنما هي: «أو جاءوكم حصرة صدورهم»[٥]. وهذه القراءة التي جعلها المبرد هي الصحيحة قراءة من العشر، أما السبع فعلى «حصرت صدورهم».

٢ - يقول في «الكامل»: «والقراءة الجيدة في قوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنۡهُمۡ﴾ (النساء:٦٦)، وقد قرئ «إلا قليلا منهم»[٦]. وقراءة النصب سبعية -أيضا- قرأ بها ابن عامر»[٧].

٣- يقول في «المقتضب»: «فأما قراءة أبي عمرو: «هثوّب الكفار ما كانوا يفعلون» فإن التبيين أحسن مما قرأ» (أ.هـ)، وهي قراءة سبعية يقول العلامة ابن مجاهد (ت:٣٢٤هـ): «قرأ علي بن نصر عن هارون عن أبي عمرو «هل ثوب» مدغما، وكذلك حمزة والكسائي يدغمان، والباقون واليزيدي عن أبي عمرو لا يدغمون»[٨].

ويرى البحث أن تفضيل المبرد بين القراءات المتواترة لا يجوز، وأن هذا سقط من المبرد تبع فيه كثيرا من النحاة، والراجح ما جاء عن معاصره ثعلب: «إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعرابا على إعراب في القرآن فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى».

قال أبوحيان الغرناطي: «ونعم السلف

لنا أحمد بن يحيى، كان عالما بالنحو واللغة متدينا ثقة». وما فعله المبرد من المزالق الخطيرة التي وقع فيها كثير من العلماء التفضيل بين قراءة متواترة وأخرى مثلها، كأن مصدرها ليس واحدا، والمطالع لهذه المفاضلات أو لبعضها عند المبرد يظهر له بوضوح كأن من يقوم بهذه المفاضلة يريد الحكم على كلام الله حكما صريحا بأنه مثل كلام العباد يتفاوت في الجودة، فمنه جيد ومنه أجود، عفا الله عنا وعنهم.

ويرى البحث أن المبرد كان يحتكم إلى صحة المعنى ويترافع إليه، لذا يقول: «وهذا باب إنما يصلحه ويفسده معناه، فكل ما صح به المعنى فهو جيد، وكل ما فسد به المعنى فمردود»[٩].

ويقول: «فبالمعنى يصلح اللفظ ويفسد». ويقول: «للمعنى صلح»[١٠].

لا جرم أن هذه كبوة من كبوات كثير من اللغويين والمفسرين في حلبة القراءات، وقع فيها أكابر من عليتهم نسوق منهم على سبيل المثال، أيضا، لا الحصر: الطبري المفسر (محمد ابن جرير، ت:٣١٠هـ) وقد تناول هذه القضية في تفسيره المعروف.

ومما لا شك فيه أن الطبري له عناية بالقراءات، وصنف كتابا سماه «الجامع» جمع فيه نيفا وعشرين قراءة، قال ابن الجزري: «ويقول أبوعمرو الداني صنف كتابا حسنا في القراءات سماه الجامع، وفيه نيف وعشرون قراءة»[١١].

ولكن للأسف فإن هذا الكتاب مفقود فلم يصل إلينا.

ومع أن الطبري قارئ له أسانيد متصلة بحمزة وابن عامر وغيرهما، إلا أنه – رحمه الله – له موقف مع القراءات في تفسيره لا يليق بجلالة قدره، فقد ضمن تفسيره ما يفيد رفضه لبعض القراءات المتواترة أو تقليله من شأنها أو دعوته لترك إحداها لأجل الأخرى[١٢] من باب التفضيل، ولو تتبعنا القراءات التي تعرض لها في تفسيره نجده يرجح ويفاضل بين القراءات المتواترة وأخرى مثلها، وبناء على كثرة ذلك سأكتفي ببعض الأمثلة من تفسيره، وقد استخدم بعض الجمل في إظهار التفضيل بين القراءات المتواترة، يقول مثلا: «وأعجب القراءتين إلي قراءة كذا»، أو: «وهذه القراءة هي الأعجب إلي»، أو: «وأصح القراءتين في التلاوة عندي»، أو: «والصواب من القول والقراءة في ذلك عندنا»، أو: «والقراءة التي أستجيزها هي كذا»، أو: «هذه قراءة لا أستجيزها»[١٣]، وتجرأ في القول واتهم بعض القراء الثابتة قراءتهم بالتواتر بالغفلة والغباء، يقول: «فمن قرأ بكذا فقد أغفل أو فهو ذو غباء».

يقول عند قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ (البقرة:٩): «فالواجب إذن أن يكون الصحيح من القراءة «وما يخدعون إلا أنفسهم» دون وما يخادعون؛ لأن لفظ المخادع غير موجب تثبيت خديعة على صحة... وأخذ يسوق الأدلة المؤكدة لذلك». ويخادعون قراءة عشرية[١٤].

## شرط قبول القراءة: صحة السند وموافقة اللغة العربية

ويقول في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر:٥٦): «واختلف القراء في قراءة قوله تعالى «ومن يقنط»، فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة، ومن يقنط بفتح النون إلا الأعمش والكسائي فإنهما كسرا النون من «يقنط»... فكسرها في «ومن يقنط» أولى، وأما الفتح فلا يعرف ذلك من كلام العرب»[١٥].

ويظهر لنا جليا مذهب الطبري في التفضيل بين القراءات، والترجيح بين القراءتين، بيد أن البحث يرى، والله أعلم، أن الطبري، رحمه الله، لم يقصد المفاضلة بين القراءات المتواترة، فهي كلها من عند الله، وإنما يرى أن ما اتفق عليه القراء لا يجوز مخالفته وهو الذي يساوي التواتر حسب ما اصطلح عليه كمقياس حدث بعد عصر الطبري، فالطبري يرى أن ما اختلف فيه بعض القراء كانفراد أحدهم بقراءة، وإجماع الباقين على قراءة أخرى، فهو يعد المنفرد شاذا، وما اتفق عليه الباقون إجماعا لا تجوز مخالفته، ولا الخروج عليه.

ويرى بعض الباحثين أنه لولا تقدم الطبري في الزمن على الإجماع على قراءة الأئمة العشرة لما خالف في ذلك فكما هو معلوم أن ابن مجاهد مسبع السبعة معاصر للطبري، وكذلك لم يدرك الطبري عصر العلماء الذين وضعوا شروط قبول القراءة الثلاثة: صحة السند، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة اللغة العربية[١٦].

وممن فضل بين القراءات المتواترة أبوعلي الفارسي (الحسن بن أحمد، ت:٣٧٧هـ) في الحجة، والزمخشري (محمود بن عمر، ت:٥٣٨هـ) في كشافه، وفي العصر الحديث د. طه

حسين في كتاب «الأدب الجاهلي».

كل هؤلاء، سامحهم الله، قاموا برفض بعض القراءات المتواترة وسلوا عليها سيوف النقد، وقد جرأت هذه المفاضلة بعض الناس في الوقت الحاضر على الخبط في موضوع هذه القراءات في غير ما تحرج ولا مبالاة.

والذي لا مرية فيه أن التفضيل لا يجوز بين القراءات المتواترة، وأن تفضيل بعض العلماء لهذه القراءات مبني على شروط، وعلى دليل لغوي دون غيره، فكلها متواترة من عند الله عزوجل، وأن المبرد وغيره من العلماء والمفسرين الذين وقعوا في هذا المزلق الخطير، إنما فعلوا ذلك كثيرا بدعوى الانتصار للغة ولقواعد النحو حين لا تذعن لها القراءة لمخالفتها لقواعدهم، أو للأفشى في اللغة والأقيس في العربية، وأعملوا فيها رأيهم وأذواقهم وقياسهم وعقلهم!

وقد أنكر كثير من علماء المسلمين مبدأ التفضيل أو الطعن في القراءات، واشتد نكير المسلمين، منذ قديم، على اللغويين والنحويين الذين أنكروا بعض القراءات لمخالفتها قواعدهم، وكشفوا ما يختلجه من آفات، واعتبروا أصحابه مجاوزين الحدود، فالقرآن المعجز حجة على اللغة، وليست اللغة حجة عليه، والقرآن المعجز لا يجوز البتة إخضاعه لعلم النحو، الذي هو في الأصل خادمه، وكأين من استعمال لغوي لا يمتنع على القياس لغة أو نحوا، ولكن القرآن لم يجزه.

وأئمة القراءة، كما يقرر أبوعمرو الداني (ت:٤٤٤هـ)، لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، وكما يقول أيضا: «والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة».

وقد كان رؤساء الصحابة، رضي الله عنهم، ينكرون أن يقال عن القراءتين المتواترتين: أحدهما أجود.

بيد أننا إذا استطعنا أن نعرف التفضيل بأنه: تقوية إحدى القراءات المتواترة على بعض بوجه معتبر يكون أقوى من وجه القراءة الأخرى المفضولة، إذن قيدنا التفضيل بوجه، أي بدليل، فإذا فقد الدليل المعتبر فلا ثمة تفضيل، ولا عبرة لمن وهم أن ثمة أي فرق بين القراءات المتواترة؛ إذ هي أفضل من الشاذة من جهة القراءة والدلالة.

ويرى البحث أن عملية التفضيل بين القراءات المتواترة لابد لها من أركان ثلاثة، هي: القراءة المفضلة أو الراجحة، والقراءة المفضولة أو المرجوحة، ووجه التفضيل أو الترجيح.. وعدم التفضيل أو الترجيح بين القراءات المتواترة سببه أن التفضيل قد يفضي رد القراءة الأخرى أو تضعيفها، وهذا لا يصح قطعا، وقد ذكر الإمام الزركشي أنه: «قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط القراءة الأخرى، وهذا غير مرضي؛ لأن كلتيهما متواتر»[17].

فإذا فتح باب التفضيل والترجيح على مصراعيه، فإن ذلك يعني فتح باب الطعن في القراءة الأخرى ورميها بالضعف.

**القراءة سنة متبعة لا يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة**

## الهوامش

١- ينظر: التوقيف على مهمات التعريف، ٨٣/١ ت ح.د. رضوان الداية، دار الفكر – دمشق١٤١٠هـ.

٢- ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ١٥.

٣- قرأ بتخفيف «الدال» عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بتشديدها، ينظر: الغاية في القراءات العشر لابن مهران/٩٦، وإتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي/٤٣٤.

٤- معاني القرآن، وينظر على سبيل المثال أيضا: معاني القراءات للأزهري/١١٨، والكشف لمكي بن أبي طالب القيسي، ٩٤/٢، ١١٠، ٢٢٣.

٥- المقتضب، ٤٤١/٤.

٦- ينظر: الكامل ٢٤٤/٤، والمقتضب ١١٣/١تح، عبدالخالق عضيمة، ط عالم الكتب.

٧- ينظر: النشر ٢٥٠/٢ تح، الشيخ الضباع، والشاطبية ١٨٤، وغيث النفع للصفاقسي، ص٧٦.

٨- السبعة لابن مجاهد تح، شوقي ضيف، ص ٤٢٢، ط دار المعارف.

٩- المقتضب ٥٩٨/٤.

١٠- المقتضب ٥٤٢/٢، والمقتضب ٦٣١/٤.

١١- غاية النهاية في طبقات القراء ١٠٧/٢، نشر: برجشتراسر، ط١، بيروت دار الكتب العلمية، ١٣٥١هـ.

١٢- لبيب السعيد: دفاع عن القراءات المتواترة/٢٠ دار المعارف بمصر.

١٣- دفاع عن القراءات/٢٠، ود. نبيل بن محمد آل إسماعيل: علم القراءات: نشأته.. أطواره.. أثره في العلوم الشرعية/ ٣٣١-٣٣٢، ط. دارة الملك عبدالعزيز ١٤٢٣هـ.

١٤- ينظر: جامع البيان ٩٣/١، قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال (وما يخادعون)، والباقون من العشرة (وما يخدعون)، ينظر: النشر ٢٠٧/٢.

١٥- ينظر: جامع البيان ٢٨/١٤.

١٦- د. نبيل آل إسماعيل: علم القراءات/ ٣٣٣.

١٧- البرهان في علوم القرآن/٢٣٥.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولاً: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها .
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

د. أحمد راشد إبراهيم
أستاذ النقد والأدب المقارن

# دور الإسلام في مواجهة البطالة

من المعلوم أن القرآن الكريم جمع في كثير من مواضعه بين العلم والعمل، فالعلم بغير عمل لا قيمة له كروح بلا جسد لها تعمل فيه، كما أن العمل بغير علم لا خير فيه كجسد بلا روح تهديه وتقومه. وقد قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ (العصر:١-٣). وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم؛ فالسورة الكريمة جمعت ما يجب على الإنسان تعلمه من العلم، والعمل بهذا العلم، والدعوة إليه، والصبر على الأذى في تبليغه».

مما سبق يتبين لنا أن الدين الإسلامي الحنيف قد نبه وحث على العمل ودعا إليه، ونهى عن الكسل والبطالة وغيرهما من الأشياء التي لا خير فيها. وإذا كان الأمر كما ذكرنا، فإننا سنتناول في هذا المقال بصورة موجزة البطالة ودور الإسلام في مواجهتها والتصدي لخطرها، وذلك في النقاط التالية:

## أولا: البطالة في اللغة

يقال في لغة العرب: (بطل) الشيء يبطل بطلا وبطلانا: ذهب ضياعا. و(بطل) فسد وسقط حكمه، فهو باطل. وبطل العامل بطالة: تعطل فهو بطال. (بطل) في حديثه يبطل بطالة: هزل، فهو بطل. (بطل) يبطل بطولة: شجع واستبسل، فهو بطل. (ج) أبطال»[1]، «وقد وردت البطالة بالكسر والفتح والضم»[2].

## ثانيا: أسباب البطالة

للبطالة أسباب عديدة نذكر منها ما يلي:

١- عدم الاستعداد الشخصي للقيام بالعمل أيا كان نوعه، فالإنسان الذي لا يرغب في العمل وإن كثرت أمامه فرص العمل لن يعمل لأن استعداده للعمل منعدم.

٢- عدم وجود القدر الكافي من العلم الذي يؤهل الإنسان للعمل أيا كان نوعه، فالمعلوم أن الإنسان الذي يتخصص في دراسة علم ما من العلوم ويتقنه ويحبه ويفهمه تكون له قدرة عالية على العمل في مجال تخصصه بصورة عالية، أما الشخص الذي لا ينال قدرا كافيا من التعليم فإنه لا يكون مؤهلا للقيام بالعمل حتى في مجال تخصصه.

٣- قلة فرص العمل المتاحة؛ فبعض الناس قد تكون له القدرة على العمل في تخصص ما، لكنه إن أقدم على العمل لم يجد فرصة تناسبه في تخصصه، فيكون هذا الأمر دافعا وعاملا مساعدا على بطالته، وإن كان هذا الأمر في نظرنا لا يكفي لأن يكون الإنسان عاطلا، بل يجب عليه أن يبذل قصارى جهده ليحصل على فرصة العمل.

٤- نشأة الإنسان الخاطئة وتربيته تربية لا يعتمد فيها على نفسه، وهذا الأمر من أكبر الأسباب وأعظمها خطورة في وجود البطالة؛ لأن الإنسان حال تنشئته على الترف، وعدم تحمل المسؤولية يجعل منه إنسانا عاجزا عن خدمة نفسه، فضلا عن كونه عاجزا عن خدمة غيره.

٥- عدم إحساس الشباب بالخطر الذي يخترقهم من عدوهم، فالشباب قد يضيع وقته وعمره فيما لا ينفعه، بل قد يضيع عمره فيما يضره، ويضر معه غيره، وهو غير مدرك لحقيقة الأمر، فيفقد قواه العقلية والبدنية من غير تحقيق منفعة له ولأهله ولوطنه.

٦- فقدان الأمل عند كثير من الشباب، وهذا السبب راجع إلى اقتدائه بمن هو أكبر منه ممن هم عاطلون عن العمل، وهذا خطأ لا بد من تداركه.

٧- قلة الوعي الديني عند الشباب والذي يحثهم على العمل والحرص عليه، فمطالعة كل ما ورد في الدين الإسلامي فيها حث على العلم والعمل معا.

## ثالثا: أخطار البطالة

للبطالة أخطار متعددة بيانها على النحو التالي:

١- أخطار البطالة على الأفراد: البطالة تؤثر على الفرد سلبيا فيما يتعلق بحياته الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، فلا يجد مصدر دخل

يعيش منه، وهذا بدوره قد يؤدي إلى تحويل الشخص العاطل إلى لص حتى يحصل على المال، ومن الناحية الاجتماعية يكون الإنسان العاطل عالة على غيره، وينظر الناس إليه نظرة دونية. ومن الناحية النفسية قد تتسبب البطالة للإنسان في إحلال المرض به؛ نظرا لفراغه الكثير وإهداره الوقت في غير منفعة، وهذه الأشياء قد تجعل من العاطل مريضا نفسيا.

٢- أخطار البطالة على الأسرة: قد تسبب البطالة في كثير من الأحيان فسادا عظيما في الأسرة الواحدة؛ ذلك لأن الإنسان العاطل لا يقوم بدوره المطلوب منه؛ فإن كان رب أسرة فهو عاجز عن توفير احتياجات أسرته، وإن كانت أما فهي عاجزة عن أداء مهمتها الأولى في تربية النشء، وإن كان العاطل أحد الأبناء فهو عنصر ضعف وخلل وعجز؛ لأنه سيحمل الأسرة أكثر مما هو مطلوب منها ومنوط بها تأديته.

٣- أخطار البطالة على الدولة: للبطالة أخطار عديدة على الدول فهي تؤثر عليها اقتصاديا واجتماعيا وأمنيا، فمن المعلوم أن الدولة تسهم بشكل كبير في تلبية احتياجات أبنائها من متطلباتهم اليومية من توفير السلع اللازمة، وكذلك توفير متطلباتهم من الكماليات، وعدم وجود الأيدي العاملة في هذه المجالات يؤدي بدوره إلى خلل في الناحية الاقتصادية داخل الدولة؛ لأن الدولة بحاجة إلى من يروجون هذه السلع.

ومن ناحية أخرى، أقصد الناحية الأمنية، فالبطالة بدورها تؤدي إلى وجود جيل قابل للتطرف والإرهاب، نظرا لكونه مهمشا علميا وعمليا فتكون فرصة السيطرة عليه من أصحاب الفكر المتطرف أعظم، فيقع فريسة في براثن الترويع وهدم الدول؛ وبهذه الصورة يكون الإنسان العاطل معول هدم للدولة لا يد بناء وتعمير.

أما من الناحية الاجتماعية فالبطالة تؤدي بدورها إلى ازدياد روح الغيرة والحقد والحسد بين أفراد المجتمع، فالعاطل يرى غيره أفضل منه، والعامل قد يرى غيره من العاطلين أقل منه، فالأول بدوره يؤدي إلى الغيرة والحقد، والثاني بدوره يؤدي إلى الاحتقار والانتقاص، والأمران مذمومان، والنهاية تفكك روابط الود والإخاء بين أبناء الوطن الواحد.

## رابعا: سبل علاج البطالة في الإسلام

لم يترك الدين الإسلامي الحنيف مشكلة من المشكلات إلا قد طرح لها علاجا، والإسلام قد عالج مشكلة البطالة بأمور منها:

١- الحث على العمل وإتقانه، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥). وكذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣). وكذلك قال النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[٣].

٢- العمل على تهيئة المجالات الحياتية المختلفة لاستيعاب غير العاملين، وجذبهم للعمل فيما هم أقرب إليه، فالأقرب إلى باب المعاملات والتجارة يتم تهيئة الظروف له كي يكون تاجرا، وهكذا في كل المجالات.

٣- القيام بعمل الندوات العلمية التي تهتم بعلاج مشكلة البطالة والتنبيه إلى أخطارها حتى يعيها الكبار والصغار، ويحذرها الجميع، ويبتعدوا عنها.

٤- العمل على عقد الدورات التعليمية التي تنفع غير العاملين، لاسيما الذين لم ينالوا قسطا كافيا من التعليم، فهذا يؤهلهم ويبث في نفوسهم القدرة على تحمل الأعمال التي سيقومون بها في المجالات التي سيخوضونها بعد ذلك.

٥- التنبيه على ضرورة حفظ الإنسان ماء وجهه أمام الناس، فيبتعد عن التسول بأي صورة من الصور.

٦- قيام وسائل الإعلام الدينية المقروءة والمرئية والمسموعة ببيان ضرورة العمل وأهميته بالنسبة للأفراد والأسر والمجتمعات، مع عقد المقارنات بين الدول التي لا توجد بها نسبة بطالة والدول التي صارت البطالة بها ظاهرة مخيفة؛ لأن الأمر يتضح بنقيضه، كما قال الشاعر:

**ضدان لما استجمعا حسنا**
**والضد يظهر حسنه الضد**

### الهوامش

١- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، طبعة ٢٠٠١م، ٢٠٠٢م، ص٥٥.

٢- كيف عالج الإسلام البطالة، إعداد وتأليف د. زيد بن محمد الرماني، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ، ص١٤.

٣- مسند أبي يعلى الموصلي، الجزء السابع، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م. في إسناده لين. وهذا حكم المحقق حسين سليم أسد، ص٣٤٩.

إسلام لطفي -
محمد عبدالعزيز
دار الإعلام العربية

# لا تستسلم للبطالة..

**حثت العديد من آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة المطهرة على العمل، ونبذ التواكل والتقاعس عن تحصيل أسباب الرزق، وعدم الاستسلام لآفة البطالة التي أهدرت طاقات آلاف الشباب، وخصمت من رصيد أعمارهم أفضل السنين، لا لشيء إلا لأنهم انتظروا من يطرق بابهم حاملا عقد وظيفة الأحلام التي لا وجود لها على أرض الواقع..**

«الوعي الإسلامي» التقت عددا من العلماء والخبراء ليحددوا المشكلة، وسبل علاجها على أرض الواقع.. فإلى التفاصيل:

نبدأ مع دكتورة فاطمة رأفت فوزي حسين، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، والتي تطرقت أولا إلى مفهوم البطالة، مؤكدة تعدد تعريفاتها، إذ لا يوجد تعريف جامع مانع لها، لكن من أهم هذه التعريفات المعتمدة دوليا أن: «البطالة تتمثل في وجود أشخاص في مجتمع معين، قادرين على العمل ومؤهلين له وراغبين فيه وباحثين عنه وموافقين على الاستمرار فيه في ظل الأجور السائدة ولا يجدونه خلال فترة زمنية معينة».

وتطرقت د. فاطمة إلى بعض الأسباب غير التقليدية للبطالة ومنها التقدم التكنولوجي الذي أدى إلى الاستغناء عن الأيدي العاملة، وخروج المرأة للعمل

**د. ليله: الإسلام رغب في العمل وحذر من التواكل**

وإلى أنها تنازع الرجل في الحصول على الوظيفة.. إضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحتقر العمل المهني.

وأوضحت أن للبطالة مخاطر عديدة، فهي تعد مشكلة مركبة، فإن كان ظاهرها يبدو اقتصاديا وسياسيا، إلا أن باطنها اجتماعي وثقافي أيضا، ومن أهم مخاطرها: «ارتفاع معدل الجريمة، التفكك الأسري، ضعف الانتماء للمجتمع، انتشار حالات الانتحار بسبب الضغوط الحياتية، وانتشار ظاهرة العنف والتطرف بين الشباب».

وحول رؤيتها لكيفية مواجهة مشكلة البطالة، أشارت د. فاطمة إلى أنه وفقا للمنظور الإسلامي: «حث ديننا القويم على العمل وإتقانه وضرورة كسب وطلب الرزق، ليكفي الإنسان نفسه وأهله وليفيد مجتمعه.. كما شدد الإسلام على ضرورة إعطاء الأجير حقه بعد الانتهاء من الأعمال المكلف بها، وكذا عدم تحقير أي مهنة أو حرفة أو صنعة ما دامت مشروعة ولا تخالف الدين والقانون».

وعن الحل من منظور تربوي قالت إنه: «يجب ربط مستوى التعليم باحتياجات سوق العمل، ويتطلب ذلك إصلاح التعليم المهني وتطويره والتوسع فيه، وأيضا تدريب الطلاب على طرق البحث عن المعرفة ليتمكنوا من التعلم الذاتي، ومن المهم كذلك إنشاء جامعات إقليمية متميزة بتخصصات جديدة تخدم بيئات المجتمع، وتركز على احتياجاته، والصناعات البيئية القائمة فيه».

## حلول عملية

بدوره، أكد الباحث الإسلامي د. محمد مأمون ليله، المدرس المساعد بجامعة الأزهر، إن البطالة تعتبر من المشاكل الكبرى في المجتمعات البشرية، وهي في حقيقة معناها اللغوي تحمل معاني متعددة من «الضياع، والفساد، والخسران، والسقوط، والفشل»، وتمثل مأوى لكثير من الأمراض النفسية مثل «القلق، والإحباط، والاكتئاب، والفتور، والحسد، والغيرة»، والأمراض الاجتماعية «كالإرهاب، والتطرف، والمخدرات، والانحراف، والجريمة، وكره الوطن وما يتبعه من الانجرار للعمالة والخيانة، وتفكك الروابط الأسرية، وحدوث المشاكل الداخلية بين أفراد المجتمع»، علاوة على العجز عن الكسب سواء كانت بطريقة اختيارية أم إجبارية، أو كانت بطالة صريحة أو مقنعة تعني سوء استخدام الأيدي العاملة.

**د. فاطمة: مشكلة مركبة ظاهرها اقتصادي وباطنها اجتماعي ثقافي**

وأضاف: «لهذه المشكلة شق يخص الحكومات التي لا تقوم بواجبها من حيث تهيئة العمل المناسب لكل عاطل قادر على العمل، وضمان المعيشة الملائمة لكل عاجز عن اكتساب ما يكفيه، وشق آخر يخص الأفراد الذين اعتادوا الكسل، أو الاعتماد على غيرهم من الوالدين والإخوة، أو رفض كثير من الأعمال بحجة أنها لا تناسب مستواهم المادي أو العلمي أو الاجتماعي».

وتابع: أن الإسلام حث على العمل ورغب فيه، والأدلة من القرآن الكريم والسنة في الحث عليهما كثيرة، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف:٣٠)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥)، وفي الحديث الشريف الذي رواه البخاري، عن المقدام رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده».. وقال ﷺ أيضا في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا، فيسأله أعطاه أو منعه».

**د. شحاتة: إقامة مشروعات من زكاة المال أحد الحلول**

ولفت د. ليله إلى أنه من المعلوم أن الإيمان قول وعمل، فالعمل جزء فيه مهم، وقد دعا الله تعالى إلى الجمع بين نصيبي الدنيا والآخرة؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

ومن هنا يظهر لنا قصور فهم من يحبس نفسه في المساجد دون عمل، فقد قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠)، كما بيّن الإسلام أن الصحة والفراغ نعمتان كبيرتان، يجب على المرء أن يستغلهما، فقال ﷺ، في الحديث الذي رواه البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ».

وحذر الإسلام من سؤال الناس لمن كان قادرا على الكسب، ففي الحديث الذي رواه البخاري: قال النبي ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»، وفي حديث آخر للإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس أموالهم تكثرا، فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر».

وأوضح أنه في الأحوال الاقتصادية السيئة التي تمر بها المجتمعات، وانتشار معدلات البطالة سواء بين أصحاب الشهادات العلمية، أو غيرهم، فهناك عدة إجراءات يمكن اتباعها للقضاء على البطالة مثل فتح المدارس

والمعاهد للطلبة وغيرهم في فترات الإجازة الصيفية، ويقوم أصحاب الأموال الساعون في الخير بالتعاون مع مؤسسات الدولة بعقد دورات متعددة للشباب في المهن والحرف المختلفة، والتي يحتاجها المجتمع بصورة كبيرة، مثل النجارة، والنقاشة، والكهرباء، والسباكة، ونحوها، وتفعل عمليا وليس نظريا فقط، علاوة على إعطائهم دورات في التجارة وكيفية التسويق، وتطبيق ذلك عمليا من خلال مجمعات تجارية ترعاها الدولة مع رجال الأعمال في كل بلدة، ويقف فيها هؤلاء الشباب، ويأتون بالبضائع ويسوسون أمورها، لاسيما تعلم النساء بعض الحرف التي تليق بهن، ويعملن بها في بيوتهن، فتوجد الواحدة منهن مصدرا للدخل تساعد به بعد ذلك زوجها، وتملأ به وقت فراغها.

واستطرد قائلا: «أما الشباب الجامعي فيعطى للمتفوقين منهم دورات متخصصة في مجالاتهم، والتي تنفعهم في سوق العمل من خلال شركات يوزعون عليها في الإجازة الصيفية فيتعلمون، ثم إذا تخرجوا لن تجد الشركة أكفأ منهم للعمل عندها فقد ربتهم وعلمتهم.. ومن هنا يتعلم الشاب عدة حرف؛ فيستطيع الإنفاق منها على نفسه في أي مكان يذهب إليه، ويفتح بيتا وتكون له أسرة، وينفق على مواهبه ويرتقي، ونقضي على مشاكل الإرهاب والتطرف؛ لأنه لن يكون لديه وقت فراغ، ولن يستطيع أحد أن يستغل فقره وعوزه».

### الإنسان أولا وأخيرا

من جهته، أكد د. حسين شحاتة، أستاذ الاقتصاد بجامعة الأزهر، أن المنهج الإسلامي يعتمد في معالجة مشكلة البطالة على الإنسان أولا وأخيرا، ويتلخص ذلك في تحقيق الأمن والحرية للعامل وإعداده للعمل، ويجب على الحكومات التدخل في النشاط الاقتصادي بطريقة رشيدة بحيث تساعد العامل كي ينطلق ويبدع ويوفر فرص عمل لغيره من الأجيال الحاضرة والمقبلة، كما يجب عليها توجيه الاستثمارات نحو المجالات الضرورية للمجتمع والتي تستوعب عددا كبيرا من العاملين وتتجنب الاستثمار في الترف.

وأضاف: «إذا صلح الفرد صلح حال الأمة بأسرها، ومن هنا تبرز أهمية تأكيد الإسلام بناء الإنسان عقائديا وسلوكيا واجتماعيا وفنيا واقتصاديا».

وأوضح أن مقومات علاج مشكلة البطالة في ضوء المنهج الإسلامي، تتمثل في تحقيق الأمن والحرية للعامل وتأهيله للعمل، لأن العامل الأمين الكفء هو أساس العمل الفاعل للتنمية، وهذا يتطلب أمرين أولهما: إعادة النظر في نظام التعليم بحيث يركز على التدريب العملي، وثانيهما: الاهتمام بالتربية الروحية والخلقية للعامل وكذلك تنميته الفنية، وفي الوقت نفسه فرض الإسلام على ولي الأمر مسؤولية توفير فرص العمل وتهيئة وتدريب العاملين، ويؤكد ذلك الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري ومسلم: «كلكم راع ومسئول عن رعيته».

وأشار د. شحاتة إلى أنه يجب تحقيق الأمن للمال لينطلق نحو الاستثمار وتوفير فرص العمل، حيث حرمت الشريعة الاعتداء على الأموال دون وجه حق، ومن هنا فإن مواجهة مشكلة البطالة تتطلب من الحكومة أن تحافظ على الأموال ولا تهددها بالتأميم أو المصادرة أو الابتزاز في صورة الرشوة أو الضرائب المجحفة، لأن ذلك يؤدي إلى هروب المال إلى الخارج.

وشدد على ضرورة تطبيق صيغ الاستثمار الإسلامي وإلغاء الربا، إذ نجد أن أكثر من ثلثي مديونية دول العالم الثالث بسبب الفوائد المتراكمة، ما يضطر الدولة إلى مزيد من الاقتراض لسداد تلك الفوائد، وبالتالي أصبحت عاجزة عن إنشاء المشروعات لاستيعاب الخريجين، ويؤكد ذلك أن نظام الفوائد لا يساهم في معالجة البطالة بل يزيدها تعقيدا، كما أن الكثير من الشركات والمؤسسات أفلست بسبب عجزها عن سداد القروض وفوائدها للبنوك، وتأسيسا على ذلك لا يمكن علاج مشكلة البطالة من خلال القروض الربوية.

وذكر د. شحاتة أن «تطبيق نظام زكاة المال يساهم في علاج مشكلة البطالة، حيث يحقق عدة نتائج من أهمها: أن الزكاة تحفز على استثمار الأموال وعدم اكتنازها ما يزيد فرص العمل، كما أجاز الفقهاء توظيف جزء من حصيلة الزكاة في توفير أدوات الإنتاج للفقير القادر على العمل وفي هذا الأمر توفير لفرص العمل للآخرين، كما أجاز الفقهاء أيضا أن يدفع جزء من حصيلة الزكاة لأصحاب الأعمال الذين تعرضوا لأزمات اقتصادية حتى يعاودوا نشاطهم، ما يحمي المشروعات من التصفية وتشريد العاملين».

وأضاف أن «الحكومات يتعين عليها التدخل لتحقيق الالتزام بقواعد الشريعة الإسلامية في المعاملات، كما يجوز لها أن تباشر بعض الأنشطة التي يعجز الأفراد عن تحملها مثل إنشاء المرافق والخدمات العامة، ولضمان حد الكفاية لكل فرد، ولتحقيق

**د. إبراهيم: ينبغي على الشباب عدم الانتظار والمبادرة بالبحث عن عمل**




التوازن الاقتصادي في المجتمع حيث ينكر الإسلام استئثار أقلية بخيرات المجتمع، حيث قال الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر:٧)، أما فيما عدا ذلك فلا يجوز لها التدخل في النشاط الاقتصادي.

## اعمل من بيتك وسوّق إلكترونيا

أما د. أسامة مصطفى، خبير تكنولوجيا المعلومات، فقال إنه: «يجب توضيح أهمية التكنولوجيا في القضاء على البطالة؛ لأن هناك ملايين الأشخاص يستخدمون الإنترنت، وعليه يجب توعيتهم بكيفية استخدامه في تحسين دخلهم، علاوة على أهمية تصميم أدوات للشراء والبيع مثل فكرة التسويق الإلكتروني، وتجميع الخدمات مثل تصميم شيء يضم المحامين كافة أو المحاسبين أو أصحاب الحرف اليدوية، وسيدات المنازل، لكن هذا الأمر يحتاج إلى جهات منظمة».

وأضاف أنه: «يمكن استخدام التكنولوجيا في مناحي كثيرة من أجل محاربة البطالة، وأكبر مثال على ذلك هو التجارة الإلكترونية حيث الشراء والبيع لأكبر عدد من الناس بتكلفة أقل»، مشيرا إلى أن معظم الطلاب في

**د. أسامة: التقنية سهلت العمل من المنزل والتسويق الإلكتروني نموذجا**

الجامعات يستخدمون الإنترنت، وبذلك يمكن استخدامه في الربح خصوصا أن موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» وفر سوقا إلكترونيا جديدا.

## عدالة اجتماعية

وقال د. حسن الخولي أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس: «إن البطالة ظاهرة موجودة في جميع أنحاء العالم بنسب مختلفة، تظهر عند وجود فرص عمل أقل من عدد الشباب، والمسألة نسبية تختلف من مكان إلى آخر، وكلما كانت النسبة عالية كانت الإشكالية حادة في المجتمع».

وأضاف أن: «للبطالة تأثيرات كثيرة وخطيرة جدا، تؤدي إلى أن الشاب لا يستطيع تلبية احتياجاته مثل الزواج، إلا إذا كانت أسرته غنية وتوفر له ذلك، ومن ثم يتأثر المجتمع سلبيا، لأنه من

**د. الخولي: البعض يرفض أعمالا بعينها ويعتبرها تنال من مكانته**

المفترض أن يعد الشاب لكي يؤدي دوره في بناء المجتمعات خصوصا بعد إنهاء تعليمه». وشدد على أنه لابد من إعلاء قيمة العمل أيا كان، خصوصا أننا نجد البعض لا يحبذون بعض الأعمال حيث يعتبرونها تنال من مكانتهم.

## طاقة إيجابية

من جهته، أوضح د. إبراهيم حسين، أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس أن: «هناك دراسة استمرت ٤ أعوام على تأثير البطالة النفسي في ١٣ دولة أوروبية، أظهرت أن معدل تعاطي المخدرات يزيد مع ارتفاع نسبة البطالة وكذلك العنف والانتحار والجريمة، والإرهاب، كما أن البطالة تؤدي إلى اكتئاب تفاعلي بسبب القلق»، مشيرا إلى أن الأمر يختلف من مكان إلى آخر، حيث إن مجتمعاتنا خلافا لأوروبا لم تسجل بها نسب انتحار عالية على غرار أوروبا لوجود ثقافة دينية تمنعنا من ذلك.

وقال إنه: «في الوقت الذي أؤكد فيه على دور الحكومات في التصدي للبطالة، فإنني في الوقت ذاته أدعو الشباب إلى عدم الانتظار، والمبادرة بالبحث عن عمل، أو التوصل لفكرة مبتكرة يجدوا فيها أنفسهم ومن ثم يعملوا على تسويقها والارتقاء بها لشحن النفس بالطاقة الإيجابية التي تنعكس على الإنسان عند تحقيق إنجاز أو النجاح في عمل يحبه».

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي - مصر



# معالم من الرؤية الإسلامية لمواجهة البطالة

**البطالة هي إحدى المشكلات التي يعج بها واقعنا، وتمثل هما مشتركا بين كثير من الدول والمجتمعات، على اختلاف حالتها من التقدم والنهوض، لكن تفاوتت درجة البطالة من دولة لأخرى؛ فليست البطالة في أوروبا مثل نظيرتها في آسيا أو في أفريقيا.. وهكذا.**

وتأتي خطورة هذه المشكلة من أنها ليست متعلقة بالمجال الاقتصادي فحسب، كما يتبادر للذهن عند الوهلة الأولى؛ بل هي مشكلة ذات آثار متعددة تنعكس سلبيا على جميع مجالات الحياة؛ اجتماعيا وتربويا وسياسيا وثقافيا، بالإضافة لآثارها في المجال الاقتصادي بطبيعة الحال.

فكيف ينظر الإسلام لمشكلة البطالة؟ وهل له رؤية متميزة فيها؟ وما أهم معالم هذه الرؤية؟

## دين الحركة والفاعلية

من المهم لنا، في البداية، ونحن نحاول تجلية الرؤية الإسلامية في مواجهة البطالة، أن نشير إلى أن الإسلام في عمومه هو دين الحركة والفاعلية، ودين الإبداع و«الدينامية»، لا الخمول والكسل والاستكانة.. يتضح هذا في مجال الفكر والمعنى، تماما كما يتضح في مجال العمل والمادة..

ففي المجال الأول لم يقف الإسلام – في توجيهاته وتشريعاته – عند نصوص محددة تعالج واقعا بعينه ثم تعجز بعد ذلك عن مواجهة ما يستجد من مشكلات وما يطرح من أسئلة؛ بل جاءت نصوصه ذات مستويين.. مستوى يرسم المعالم والقواعد والكليات، والتي بإمكانها أن تستوعب ما يستجد على اختلاف الزمان والمكان.. ومستوى آخر يحدد الجزئيات ويعالج التفاصيل، وهذا يكون فيما لا يتغير ولا يتبدل.

بهذين المستويين يترسخ «الاجتهاد» ويتنامى، ويتفاعل الفكر الإسلامي مع بيئته باستمرار، دون جمود عند زمان أو مكان.. وتتحقق «دينامية الإسلام» في مجال الفكر والمعنى.

وأما في مجال العمل والمادة، فالإسلام أيضا له رؤيته الفاعلة ذات الحيوية، القادرة على مواجهة البطالة، وجعل المجتمع الإسلامي مجتمعا فاعلا نابضا بالحركة والعطاء والنماء..

## الرؤية الإسلامية

لقد جاء الإسلام برؤية متميزة لمواجهة البطالة؛ سواء من حيث بناء المفاهيم وإرساء التصورات العامة عن دور الإنسان في الحياة وفي عمارة الكون، أو من حيث الإجراءات التفصيلية والخطوات العملية.

ومن أهم معالم الرؤية الإسلامية في مواجهة البطالة، ما يأتي:

- استخلاف الإنسان: يقرر الإسلام

أن الإنسان مستخلف من الله تعالى في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠)؛ وهذه الخلافة تتحقق بعمارة الأرض من خلال مسارين أساسيين؛ الأول: وهو العمران المعنوي، أي بإقامة المنهج، والمحافظة على الفرائض واجتناب المنهيات، وتهذيب النفس، وتقويم السلوك، للأفراد والمجتمعات. وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه:١٢٣). وقوله أيضا: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (الحج:٤١).

وأما المسار الثاني: فهو العمران المادي، أي باكتشاف نواميس الكون ومعادلاته، والكشف عن أسراره المخبأة، وعن كنوزه المودعة في باطن الأرض وأعماق البحار، قال الله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (الجاثية:١٢-١٣).

وقد جمع القرآن الكريم بين هذه المسارين في آية واحدة، إذ يقول على لسان نبي الله صالح مخاطبا قومه: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١). فجمع بين العبادة وعمارة الأرض.

**الإسلام قرر مبدأ الملكية الخاصة ليأمن الإنسان على عمله وممتلكاته**

فحين يدرك الإنسان أنه مستخلف في الأرض، ليس لإقامة العبادة بمعناها المنحصر في الشعائر، بل لتحقيق العبادة بمعناها الأوسع؛ بحيث يصير كل فعل للإنسان عبادة حتى اللقمة يضعها في فم امرأته، ويصبح زرعه الذي تأكل منه الطيور والدواب عملا يتقرب به إلى الله تعالى.. فإنه لاشك سيبادر إلى أن يكون عبدا لله في محراب الكون كله، وليس في محراب المسجد فحسب.

● حماية الملكية الخاصة: لقد قرر الإسلام مبدأ الملكية الخاصة، وحماها بجملة من التوجيهات والتشريعات؛ حتى يكون الإنسان في مأمن على عمله وممتلكاته، وبالتالي يشارك بفاعلية في عمارة مجتمعه وهو ضامن أن جهده لن يذهب سدى، ولن يكون عرضة للسطو والغصب.

**ديننا الحنيف ذم الكسل وأقر عقوبة أخروية لمن يسأل عن غير حاجة**

فقد صان الإسلام الملكية الخاصة من السرقة والغصب وأساليب التواطؤ الباطلة والجباية الظالمة؛ لأنه – كما يقول الشيخ البهي الخولي- لا قيام للعمران على الفوضى، ولا إقبال للناس على أسباب المعاش وأموالهم مهدرة.

ولقد جاء الإسلام بتقرير هذه الحماية في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (المائدة:٣٨). وهو في تقرير تلك العقوبة لا ينظر إلى عدوان فرد على مال فرد؛ بل إلى موقع الجريمة من العمران، وسوء أثرها فيه إذا استمرأها المجرمون، وباتت الأموال مهددة أو مهدرة.

ومن نصوص تلك الحماية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩). ومن أكل الأموال بالباطل: الربا، تطفيف الكيل والميزان، الاحتكار، التزوير وافتعال شهوده، الرشوة، أكل أموال اليتامى. ذلك ونحو مما يدخل في أساليب أكل الأموال بالباطل، هو تخريب للاقتصاد، وتقويض لأخلاق المجتمع، وتقطيع لعلائق الود، وحشو للضمائر بغصص الألم والنقمة[1].

● النهي عن الكسل والمسألة: فقد نهى الإسلام عن الكسل وعن المسألة، وقرر عقوبة أخروية لمن يسأل الناس عن غير حاجة؛ فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه» (البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة).

وقال أيضا: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم» (متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر).

ولأن الإسلام دين يتصف بالجمع بين المثالية والواقعية، فقد راعى- مع نهيه عن المسألة- أن ثمة شرائح ضعيفة تحتاج للعون والمساعدة؛ ولهذا أباح المسألة لثلاث شرائح بيّنها الحديث الشريف بقوله: «إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»[٢].

● ضمان النتيجة لمن سعى وتوكل: لقد ضمن الله تعالى لعباده نتيجة عملهم إن هم توكلوا عليه كما ينبغي التوكل، وقاموا بما ينبغي عليهم القيام به؛ فمن أحسن العمل فلن يضيع أجره، ولن يخيب سعيه. وفي الحديث الشريف: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصا وتروح بطانا» (رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب، وقال: حديث حسن).

وقال عمر ﷺ: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني؛ فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. وقال ابن مسعود ﷺ: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغا؛ لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته»[٣].

● الحض على العمل واعتباره جهادا: حث الإسلام على العمل، وأخبرنا أنه أفضل وسيلة يقتات بها المرء، وأن عمله يعد صدقة إذا امتد نفعه للغير، حتى لو كان هذا الغير طيرا أو بهيمة! كما أخبرنا أن من يسعى ليعول نفسه ومن هم في رقبته - من والدين كبار أو أولاد صغار- فإنه يكون في سبيل الله بهذا السعي.. وكفى بهذا منزلة ودافعا للحض على العمل وترك البطالة!

فقال ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (رواه البخاري عن المقدام). وقال: «ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة؛ إلا كان له به صدقة» (البخاري ومسلم عن أنس بن مالك).

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال النبي ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»[٤].

● عدم التقليل من شأن العمل اليدوي: بخلاف فلسفات أخرى تزدري العمل اليدوي، وتضعه في مرتبة أدنى، مثل الفلسفة اليونانية؛ فإن الإسلام لا يفرق بينه وبين العمل الذهني، ويرى لكل أهميته وضرورته ونفعه؛ ولهذا دعا إلى أن يكون المؤمن صاحب حرفة، فروي عنه ﷺ: «إن الله يحب المؤمن المحترف»[٥].

وكان اتخاذ الحرف نهج الرسل والأنبياء في كسب معاشهم؛ فقد جاء عن ابن عباس- كما في «المنتظم في تاريخ الأمم» لابن الجوزي- أن آدم عليه السلام كان حراثا، وكان نوح نجارا وإدريس خياطا، وصالح تاجرا، وإبراهيم زراعا، وشعيب راعيا، وموسى راعيا، وداود زرادا، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يرعى غنما لأهل بيته بأجياد، وكانت حواء تغزل الشعر فتحيكه بيدها فتكسو نفسها وولدها.

ولعل في حياة الرسل والأنبياء درسا لأولئك الشباب الذين يأنفون من العمل اليدوي وينتظرون وظائف مكتبية في نسمات الهواء البارد، حتى تضيع أعمارهم وطاقاتهم سدى!

كما أن هذه النقطة تستلزم الاهتمام بالتعليم الفني، وإعطاءه أهمية قصوى ليخرج كوادر فنية مدربة لسوق العمل.. فالتعليم الفني هو قاطرة التنمية كما تدلنا تجارب الدول من حولنا.

● استحداث عمران جديد: والإسلام لم يقف عند الحث على العمل، بل جاءت توجيهاته لترشد المسلم إلى الإبداع في مساحات العمل، باستحداث ملكيات جديدة وزيادة رقعة العمل، وليس فقط التحرك في المساحة المعتادة؛ وذلك عن طريق مفهوم «إحياء الأرض».. مع ما في تعبير «الإحياء» من إثارة إيجابية للذهن والعقل ودفع للنفس نحو الجدية والفاعلية؛ فليس استصلاح الأرض مجرد حرص على الزيادة والنمو، إنما هو «إحياء» واستنقاذ لها من الخراب والبور، الذي هو «موت» لهذه الأرض الصماء!

فقال ﷺ: «من عمر أرضا ليست لأحد، فهو أحق بها» (رواه البخاري عن عائشة)، وقال أيضا: «من أحيا أرضا ميتة، فهي له» (رواه أحمد عن جابر ابن عبدالله). و«الإحياء» هو أن يعمد شخص إلى أرض لم يتقدم ملك عليها لأحد، فيحييها بالسقي، أو الزرع، أو الغرس، أو البناء؛ فتصير بذلك ملكه. والحديث كما نرى يذهب إلى ما وراء أهداف الأفراد من الملكية الخاصة، لتحقيق مراد الله تعالى في إشاعة الخصب والعمارة، وتوسيع الرقعة المزدهرة بها. وهو بعد ذلك يحمل تشجيع الدولة للأفراد على الملكية، وإثارة حوافزها في النفس؛ فهو ليس دعوة إلى العمل في تثمير ما بأيديهم؛ بل هو دعوة إلى «استحداث» ملكيات جديدة باستحداث «عامر جديد»[٦].

● مسؤولية الدولة والمجتمع المدني:

وإذا كان العمل مشروعا في نظر الإسلام، والسؤال محظورا، والأصل هو السعي للكسب والاجتهاد في سبيل تحصيل الرزق؛ كان من المسلم به أن تقوم الدولة بتسهيل سبل العمل والكسب للأفراد، وإيجاد العمل للمتعطلين، وإيجاد المشاريع النافعة لتشغيل الأفراد، وفي ذلك تقوم الدولة بإقراض الأفراد من بيت المال. وقد صرح الفقيه المعروف أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، فقال: إن صاحب الأرض الخراجية إذا عجز عن زراعة أرضه لفقره، دفعت إليه كفايته من بيت المال قرضا ليعمل ويستغل أرضه[٧].

ويقع على مؤسسات المجتمع المدني دور كبير في دعم الدولة لمواجهة مشكلة البطالة، من خلال ما تقدمه من الدعم المعنوي؛ بالتعريف بخطورة المشكلة، وضرورة المشاركة الفعالة في إنهاض المجتمع، ودورات التأهيل والتدريب.. وما تقدمه أيضا من الدعم المادي؛ بتقديم قروض ميسرة للمشروعات الصغيرة التي يمكن أن تمثل بداية معقولة للشباب الباحث عن فرصة عمل.

## رؤية مهمة

بجانب ذلك، هناك عوامل أخرى مهمة في الرؤية الإسلامية لعلاج البطالة، وقد أشار إليها د. حسين شحاتة، في بحث له، وهي:

- تنمية الباعث والحافز على العمل، بصرف النظر عن التأهيل العلمي والوضع الاجتماعي؛ باعتبار أن العمل عبادة وشرف وقيمة وعزة، كما قال النبي ﷺ للصحابي الذي جاء يطلب الصدقة: «اذهب واحتطب»، (المنهج التربوي لإيجاد العامل ذي القيم والأخلاق).
- تطبيق الصيغ الإسلامية لتمويل المشروعات الصغيرة ومتناهية الصغر، والقائمة على المشاركة وليس الفائدة؛ وهذا هو الاتجاه العالمي الآن (المنتجات الاستثمارية الإسلامية).
- إنشاء مراكز التدريب المهني والحرفي تحت رعاية المنظمات والمؤسسات غير الهادفة للربح مع إعطاء بعض الآمال لدعم المتفوقين لتمويل مشروعاتهم بنظام القرض الحسن أو المشاركة المنتهية بالتمليك (التدريب الفعال).
- الاهتمام بنظام الزكاة، والقرض الحسن، والهبات، والوصايا، والوقف؛ لدعم المشروعات الاستثمارية الهادفة لعلاج البطالة تحت إشراف المؤسسات الخيرية الاجتماعية والمدنية (دور مؤسسات المجتمع المدني).
- تجنب الإسراف والتبذير في النفقات العامة، وتجنب النفقات العامة في مجال الكماليات والترفيهيات وتوجيهها لتمويل المشروعات الصغيرة (ترشيد النفقات العامة).
- دعم سبل التعاون والتكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية، خاصة أن كل دولة تتميز بميزات وثروات طبيعية لا تتوافر لغيرها.. فالتكامل مصلحة للجميع.
- تخفيض الضرائب، والتركيز على الضرائب على الدخل ورأس المال، ومنح إعفاءات للمشروعات المهنية والحرفية والصغيرة التي تقع في مجال الضروريات والحاجيات[٨].

بهذه الخطوات وغيرها نكون قد وضعنا أنفسنا على بداية الطريق الجاد لمواجهة البطالة، والإفادة من طاقات أبناء المجتمع، لاسيما الشباب.. ونكون قد تجنبنا آثارا سلبية تنتج عن هذه المشكلة الخطيرة.

### الهوامش

١- «الثروة في ظل الإسلام»، البهي الخولي، ص:٧٤، دار الاعتصام، ط٣، ١٩٧٨م. بتصرف يسير.
٢- رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك. قال الترمذي «هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الأخضر بن عجلان». والأخضر بن عجلان قال يحيى بن معين: صالح، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه.
٣- «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين»، الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، كتاب آداب الكسب والمعاش. نقلا عن «المكتبة الإسلامية» بموقع «إسلام ويب».
٤- رواه الطبراني، وصححه الألباني في «الترغيب والترهيب»، (١٦٩٢).
٥- قال العراقي في تخريج «الإحياء»: رواه الطبراني وابن عدي من حديث ابن عمر وضعفه.
٦- «الثروة في ظل الإسلام»، ص:٨٠. بتصرف يسير.
٧- «أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية»، مجموعة مشاركين، ص:٢٠٩، دار السلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٨م.
٨- بحث «منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج مشكلة البطالة» للدكتور شحاتة، موجود على شبكة الإنترنت. بتصرف وإضافة يسيرة.

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية - الأردن

# البطالة.. أسباب وتداعيات وحلول



إن الإسلام دين حيوي وعملي يتعايش مع الواقع ولا ينفصل عنه، فهو ليس دين عبادات فقط كما يدعي البعض كالعلمانيين، بل يحث على العمل ويحفز عليه، وقد ورد ذلك في آيات كثيرة ومواقف متعددة من السيرة النبوية وجه فيها رسول الله ﷺ أصحابه للعمل، وجعله من لوازم الحياة ومقتضى الفطرة الإنسانية، وقد وضع الإسلام أنظمة كثيرة للعمل وللتعاملات التجارية والاقتصادية بين البشر.

ومن تلك الآيات، على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥). وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠). وقال تعالى عن السفر في البحر طلبا للرزق: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (الإسراء:٦٦)، فجميع الآيات السابقة تحث على طلب الرزق والسعي في الأرض والبر والبحر.

وقد قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[١].

وقال ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم»[٢]. وقال: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو منعوه»[٣].

وقد جعل الإسلام الكرامة للإنسان بالعمل في حد ذاته لا في نوع العمل، فاحترم وقدر الإنسان العامل المجتهد في حياته أيا كان نوع العمل الذي يمارسه، لأن الخالق عزوجل لم يجعل البشر متساوين في القدرات والمواهب والخبرات والذكاء والظروف الاجتماعية والثقافية، بل جعلهم مختلفين متفاوتين في كل ذلك، بل وفي طبائعهم وميولهم ورغباتهم؛ ما جعل أعمالهم في الحياة متنوعة، وقد قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف:٣٢). وحتى الأنبياء كانت لهم مهن يعملون بها، فمثلا كان نوح، عليه السلام، نجارا، وداود، عليه السلام، حدادا، وإدريس، عليه الصلاة والسلام، خياطا، قال ﷺ: «ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» قراريط: دراهم[٤].

وقد كان الصحابة الكرام يعملون في مهن مختلفة، حيث فهموا الإسلام فهما حقيقيا وأنه دين عمل وجد وكد، فمثلا كان سيدنا أبو بكر الصديق يعمل بزازا (تاجر منسوجات)، وكان عثمان بن عفان تاجرا، وعبدالرحمن بن عوف كذلك؛ حيث قال دلوني على السوق بعد الهجرة للمدينة المنورة وبدأ من الصفر خالي اليدين حين هاجر من مكة، وأصبح من أغنياء المدينة

المنورة، وكان عمرو بن العاص جزارا.. وهكذا كان الصحابة يعملون ويجتهدون ولم يمنعهم دخولهم في الإسلام من العمل الشريف مهما كان.

### العمل في مقابل البطالة

البطالة تعني وجود عدد من القوى القادرة على العمل من الشباب (الذكور والإناث) لا يمارسون عملا أو وظيفة وليس لديهم مصدر دخل، ويصبحون عالة على المجتمع في حال بقائهم فترات طويلة بلا عمل أو إنتاج.

ومعدل البطالة لا يقاس بعدد غير العاملين في المجتمع مقسوما على عدد أفراد المجتمع (مضروبا في ١٠٠)، بل يقاس بعدد القوى العاملة القادرة على العمل ولا تعمل مقسوما على عدد أفراد المجتمع (مضروبا في ١٠٠)؛ وذلك لأن هناك فئات لا تعمل ولا تدخل ضمن فئة البطالة كالأطفال وكبار السن والمتقاعدين وذوي الإعاقات الحادة (المعيقة عن العمل)، فهذه فئات لا تحتسب ضمن القوى العاملة. وفي هذا الصدد، إن زادت نسبة البطالة على ١٥ في المئة من القوى العاملة في المجتمع فإنها تعتبر نسبة كبيرة جدا وتصبح مشكلة مجتمعية تحتاج إلى حلول سريعة ومشتركة من جميع الجهات المسؤولة والفاعلة في المجتمع.

### البطالة نوعان

البطالة، كما أرى، في مجملها، نوعان: إما بطالة ذاتية تنبع من ذات الفرد، أو بطالة مجتمعية من المجتمع:

**النوع الأول: البطالة الذاتية، ومنها:**

**الإسلام جعل كرامة الإنسان في العمل بحد ذاته لا بنوع العمل**

١- بطالة بسبب سوء اختيار التخصص بما يتوافق مع حاجات سوق العمل، فهو بعد أن يدرس تخصصا جامعيا معينا ويحصل على شهادة جامعية أو عليا يكتشف أن هناك عددا كبيرا من خريجي هذا التخصص، وقلة حاجة سوق العمل إليهم، وهنا تبدأ مشكلة البطالة.

٢- بطالة بسبب قناعات الشخص السلبية، كقلة الدخل الذي سيجنيه من تلك الوظيفة أو هذا العمل، أو طول ساعات العمل بها، فيرفض الكثير من الفرص نتيجة عدم اقتناعه بالدخل والميزات! فيفضل البقاء بلا وظيفة أملا في مردود أفضل، لكن فترة مكثه تطول لينضم إلى العاطلين عن العمل.

٣- بطالة لأسباب نفسية محبطة، كسوء تقدير الفرد لذاته وقدراته وإحباطاته المستمرة من نفسه والآخرين، خصوصا مع تكرار رفضه من عدة جهات، مما يجعله لا يتجرأ على التقدم لبعض الفرص الوظيفية أو لأشغال معينة نتيجة الإحباطات أو خوف الفشل فيفضل البقاء عاطلا عن العمل عن التقدم له!

٤- بطالة بسبب الأمية أو توقف التعليم، وعدم استكمال التعليم الجامعي أو المهني، فالشخص ليس لديه شهادة جامعية أو معهد، ولا مهنة أو حرفة، فيبحث عن أي عمل، وغالبا ما يعمل أجيرا عند الآخرين، وفرصه تكون محدودة، فتزيد نسبة البطالة لدى هؤلاء الأشخاص لأنهم يبحثون عن أي عمل في أي مكان وبلا مؤهلات وكثيرا ما يرفضون.

٥- بطالة بسبب ارتفاع معايير الفرد للوظيفة التي يرغب في شغلها، فهو يفضل أن يبقى بلا عمل على أن يعمل في منصب أقل مما يتمنى، وكثير من الأفراد يقعون في هذا الفخ، حيث لا يدركون أن المناصب العليا التي يطمحون إليها لا تأتي بقفز السلم مرة واحدة، وإنما تحتاج إلى تدرج في المناصب، فالمناصب تتطلب الصبر والحكمة والخبرة، ومشكلتنا في عالمنا العربي أن الكثير من الناس يريدون أن يصبحوا مديرين، فإن كان الكل مديرين فأين الموظفون؟!

٦- بطالة سلوكية من الصور النمطية المجتمعية: وهذه البطالة سببها إحجام الأشخاص ورفضهم الانخراط في وظائف معينة بسبب النظرة الاجتماعية لهذه الوظائف كعامل النظافة مثلا أو السائق أو غيرهما.

٧- بطالة اختيارية: بحيث يستقيل الفرد أو يترك عمله باختياره قبل أن يجد وظيفة أو عملا آخر، وهذه بطالة قد تكون مؤقتة ولكنها قد تطول لأشهر أو سنوات.

٨- البطالة المرضية: وهذه تكون بسبب مرض يعاني منه الشخص أو أصبح يعاني منه خلال سنوات عمله، مما يعيق حركته وقدرته على العمل، فيصبح عدد ساعات العمل لديه أقل أو قدرته على العمل تتراجع، مما يعني استقالته أحيانا أو فصله من العمل نتيجة الغياب المتكرر أو المرض المتكرر الذي يقلل من قدرته على العمل والإنتاجية، مما يؤدي به في النهاية إلى الجلوس في البيت وزيادة

عدد العاطلين عن العمل. وقد يدخل ضمن هذه الفئة بعض ذوي الاحتياجات الخاصة أو الأمراض المزمنة.

**النوع الثاني: البطالة المجتمعية ومنها:**

١- بطالة بسبب نقص المصانع والمزارع والمشاريع الاستثمارية مع فرض الضرائب والرسوم عليها، وهذه تعاني منها أغلب بلادنا العربية، حيث يوجد نقص في عدد المصانع والمزارع وأماكن العمل التي توفرها الحكومات والتي ترفع من حجم التشغيل وتحسن اقتصاد البلاد وإيراداتها وصادراتها، أو لا تضع الحكومة خططا أو حوافز للاستثمار وتشجيع الإنتاج والتوظيف، بل قد تفرض الضرائب الباهظة والرسوم التي تحبط المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال فلا يوظفون أموالهم في أي مشاريع قد تفيد في تقليل نسب البطالة.

٢- البطالة بسبب الكوارث والحروب: وهنا حدث ولا حرج كم تخلف الحروب والمعارك الدائرة من العاطلين عن العمل، وكم يفقد الناس من وظائف وأماكن عملهم، وكم تزداد معدلات البطالة! وكم يضطر أشخاص إلى الهجرة خارج بلدانهم هربا من الموت في بلدانهم، وكم تتراجع البلدان ويضعف اقتصادها وتضعف عملتها، كما حدث في فلسطين والعراق وسوريا واليمن وليبيا وغيرها.

٣- البطالة القسرية والإجبارية: وهي الناتجة عن تسريح بعض العمال والموظفين من عملهم قسرا نتيجة مشاكل اقتصادية تعاني منها الشركة أو البنك أو المؤسسة أو الدولة، مما يجعلها تفقد الكثير من موظفيها قد يصل عددهم للعشرات أو المئات والآلاف أحيانا، مما يزيد من معدلات البطالة في المجتمع.

> **البطالة السلوكية سببها الإحجام عن وظائف معينة بسبب النظرة الاجتماعية**

٤- البطالة الناتجة عن الوساطة والمحسوبية: فكثيرا ما يعين الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب نتيجة المعرفة الشخصية وبغض النظر عن المؤهلات ومستوى الكفاءة، فيكون التعيين في الحقيقة على حساب شخص آخر مؤهل ويمتلك قدرات أفضل، مما يزيد في عدد العاطلين عن العمل من الأشخاص المؤهلين ذوي الكفاءات في مقابل غير المؤهلين أو الأقل كفاءة، وهذه الظاهرة أصبحت متفشية في عالمنا العربي للأسف، مما يقلل من حجم الإنتاج والإبداع المتميز؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

٥- البطالة المستوردة: وهي بطالة ناتجة عن استيراد الموظفين أو العاملين من بلدان أخرى؛ بسبب رفض أبناء البلد العمل في تلك الوظائف أو قلة خبرتهم بها، أو نتيجة لقناعة الشركات والمؤسسات الموظفة بأن أبناء بعض الدول الأخرى هم أفضل في هذا الجانب، مما يزيد أعداد العاطلين بين صفوف أبناء البلد.

٦- البطالة المقنعة: وهي البطالة التي يتكدس فيها عدد من العاملين أو الموظفين في مكان واحد لا يحتاج إلى مثل هذا العدد لإنجاز المهام المطلوبة، فيصبح كل عامل يتكل على الآخر؛ مما يقلل من حجم الإنتاج واستغلال المواهب والطاقات ويزيد وقت إنجاز المهام، وهذا ما يحدث كثيرا في الدوائر الحكومية؛ حيث تدخل على مكتب حكومي فتجد عشرة موظفين يعملون في مكتب واحد لا يحتاج إلى أكثر من موظفين اثنين.

### تداعيات البطالة

إن للبطالة آثارا وتداعيات خطيرة على المجتمعات، فالمتتبع لآثار زيادة معدلات البطالة يجد أن زيادتها تؤدي إلى زيادة الاكتئاب، وبالتالي زيادة معدلات الانتحار، خصوصا لدى ضعاف الإيمان، علاوة على زيادة معدلات الإصابة بأمراض القلب والضغط والتوتر النفسي والجلطات.

وتؤدي البطالة إلى زيادة معدلات الجرائم في المجتمعات، كزيادة معدلات السرقات والسطو على المحال التجارية والبنوك ومؤسسات الدولة؛ اعتقادا منهم بأن الأموال المسروقة من هذه الأماكن هي حقهم في مقابل إهمال الحكومات لهم، أو غياب اهتمام الدولة والأفراد بهذه الفئة من الناس، أو بسبب تركز الثروات في يد طبقة بعينها من بلدانهم. وتزيد البطالة من معدلات النزاعات وجرائم القتل نتيجة الفراغ وضيق ذات اليد.

ومن خطورة البطالة على المجتمعات أنها تعطل طاقات الشباب وقدراتهم على الإنتاج والإبداع، وتقلل إنتاجهم في العمر الذي تحتاج فيه المجتمعات إلى طاقات الشباب لتنمو وتزدهر وتعمر، وهذا

هو الفرق بين مجتمعاتنا العربية الحالية والمجتمعات المتقدمة، حيث تحاول الأخيرة البحث جادة عن حلول للبطالة لتقليل نسبها للحد الأدنى الممكن من أجل أن يعيش أبناؤها في رفاهية وأمان وازدهار، ويتنافسوا في العمل والإنتاج الإبداعي والابتكاري، فسبقونا بعشرات السنين وإن شئت فقل مئات السنين، نتيجة لتوظيف طاقات شبابهم وقدراتهم في موضعها الصحيح.

أما تداعيات البطالة على اقتصاد الدول فهي هائلة، فكلما زادت البطالة عانى اقتصاد البلاد من الترهل والتراجع والضعف، وبالتالي تقل قدرة البلاد على تحسين البنية التحتية ودفع الرواتب وبناء المدارس والمستشفيات والجامعات، مما يعني تراجعا فكريا وعلميا واجتماعيا وإنتاجيا على مختلف الأصعدة، وزيادة المشكلات الاقتصادية في البلاد.

## حلول لمشكلة البطالة

إن معرفة أنواع البطالة وآثارها السلبية على المجتمعات والأفراد، تعين في التوصل إلى الحلول، فإن كانت البطالة فردية تنبع من الشخص ذاته فإن عليه أن يفكر في حلول لنفسه كتغيير في الصور النمطية التي بعقله لبعض المهن في المجتمعات؛ فعليه احترام العمل أيا كان وممارسته كالعمل المهني، وليس التركيز على التعليم الجامعي والشهادات الجامعية المرموقة فقط.

وعلى الفرد محاولة تغيير قناعاته السلبية حول قدراته ومواهبه لتزداد جرأته على التقدم للأعمال، وكذلك تغيير قناعاته السلبية حول بعض المهن وما تدره من دخل. ويجب على الفرد، كذلك، السعي إلى تحسين مستوى تعليمه ومؤهلاته، كزيادة الدورات التدريبية في مجال تخصصه، وتعلمه للغات معينة أو برامج يحتاج إليها سوق العمل، وتغيير معاييره الشخصية في الدخل الذي يقبله أو المنصب الوظيفي الذي يرضى به، فالشخص طبيعي أن يتدرج من القليل إلى الكثير ومن الأدنى إلى الأعلى. وعلى الشخص دراسة حاجات سوق العمل قبل اختيار تخصصه، والبحث عن المهن النادرة لا على التخصصات المتكدسة! وإلا فإن شهادته سيكون مصيرها الإهمال والركود.

**الحد من جلب عمالة أجنبية وتوظيف أبناء البلد أحد حلول البطالة**

كذلك على الإعلام ممارسة دوره في المساهمة في حل مشكلات البطالة في المجتمعات، فعليه تحمل مسؤوليته تجاه مجتمعاته كالبحث عن المهن التي تعاني البطالة، والبحث عن حلول لها ومناقشتها مع المسؤولين وصناع القرار.

ويتعين على الحكومات ممارسة دورها في حل مشكلات البطالة، كبناء المصانع وجلب الاستثمارات والمستثمرين وتحسين البنى التحتية من أجل توظيف أبناء البلد، واستخدام مقدرات البلد من أجل خدمة الشعب في توفير فرص عمل لهم، وتشجيع القطاع الخاص على توظيف مزيد من أبناء البلد وتقليل العمالة المستوردة التي يمكن الاستغناء عنها، وأن تتضافر جهود وزارات العمل والتنمية الاجتماعية ووزارات الزراعة والتجارة والصناعة ودائرة الإحصاءات العامة ومؤسسات التنمية الاجتماعية والمستثمرين وغيرهم من أجل وضع حلول لمشكلة البطالة وزيادة توظيف القوى العاطلة عن العمل، وتشجيع المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية والاستثمارية مع تقليل الضرائب والرسوم عليها؛ لأن الكثير من المشاريع، خاصة الفردية، تفشل نتيجة كثرة الضرائب والرسوم الحكومية مما يرهق كاهل الأفراد ويؤدي إلى خسارتهم وصولا بهم إلى البطالة! ومن الجميل الأخذ بالتجارب الناجحة للدول المتقدمة التي استطاعت معالجة مشكلة البطالة والتقليل منها لقدر معقول كأن تصل إلى نسبة أقل من ٥ في المئة في المجتمع أو أقل، وأن نستفيد من موارد بلادنا ونبني مشاريعنا على أساس ما نملك من موارد، وأن نتوقف عن إثارة الحروب والمعارك في بلادنا العربية التي ترجعها إلى الوراء مئات السنين، ولا يتحقق ذلك كله إلا بالإخلاص الحقيقي للوطن وأبناء الوطن وتغليب المصالح العامة على الفردية.

### الهوامش

١- صحيح البخاري، ج٢، كتاب البيوع، ٣٩/ باب ١٥/ ح١٩٦٦.
٢- صحيح البخاري، ج٢، كتاب الزكاة، ٣٠/ باب ٥١/ ح١٤٠٥.
٣- صحيح البخاري: ج٢، كتاب الزكاة، ٣٠/ باب ٤٩/ ح ١٤٠٢.
٤- صحيح البخاري، ج٢، كتاب الإجارة، ٤٢/ باب٢/ ح٢١٤٣.

أحمد صالح البسطويسي - باحث في أصول الفقه والشريعة

# منهج الإسلام في حل مشكلة البطالة

**البطالة مشكلة من المشكلات التي تعم العالم كله، فما من دولة أو مجتمع إلا ويكتوي بنارها وأخطارها التي تبدو واضحة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي. والإسلام يعتبر البطالة شرا من الشرور، لما لها من خطر على الفرد والأسرة والمجتمع، فهي باب واسع للفساد والرذيلة، وهي خطر على العقيدة وعلى الأخلاق والسلوك البشري، كما أنها تهدم الأسرة وتحطم المجتمع وتفكك الأمة.**

لقد اهتم الإسلام بهذه المشكلة، ووضع الضوابط السليمة لمعالجتها، وبين دور الفرد والمجتمع والدولة تجاهها، من خلال فروض الإسلام، مثل فريضة الزكاة، والعمل وتحريم الربا والإسراف والتبذير والترف، وأوجب على الدولة مسؤولية إيجاد العمل الحلال الطيب للقادرين عليه. وتنشأ مشكلة البطالة عندما لا يلتزم الإنسان بالفطرة السجية التي خلقه الله عليها، أو أنه يسيء استخدام ما سخره الله له من نعم، أو ينحرف عن الرشد في استغلال الموارد البشرية والطبيعية، فالإنسان هو سبب هذه المشكلة، ولن تحل هذه المشكلة إلا من خلال الإنسان الرشيد الذي يطبق أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ومن مخاطر مشكلة البطالة أنها تحطم الجوانب المعنوية والنفسية للإنسان، وتسبب ارتباكا وخللا في الأسرة، كما أن لها العديد من الآثار السيئة حيث تسبب خطرا على استقرار البلاد.

وعطفا على ما سبق، فإن التصدي لها يعتبر من الضروريات الشرعية والواجبات الدينية والمسؤولية الوطنية، وهي قضية أولي الأمر والمجتمع بأسره، سواء بسواء، ولكن... كيف تعالج هذه المشكلة على أرض الواقع في ضوء المنهج الإسلامي؟ هذا ما سوف نتناوله في هذه السطور، لكننا سنعرج أولا على أنواع البطالة وأسبابها وآثارها.

إن للبطالة أنواعا متعددة، منها البطالة الهيكلية: وهي البطالة الناشئة عن اختلال التوازن بين هيكل الإنتاج وهيكل الطلب في المجتمع، أي وجود عمالة وآلات غير مستخدمة. ومنها البطالة الإجبارية: وهي البطالة الناشئة عن وجود قوى عاملة مستعدة للعمل ولكنها لا تجده، وهي تسمى بالبطالة السافرة. والبطالة المستترة: وهي البطالة الناشئة عن وجود فائض من العمالة متعطل تعطلا مستترا.. أي إن إنتاجيته متدنية إلى ما يقرب من الصفر. ومنها البطالة الموسمية: وهي البطالة التي تنشأ بسبب موسمية النشاط، وتظهر هذه بصورة كبيرة في القطاع الزراعي. وتعتبر البطالة الإجبارية أو السافرة أسوأ أنواع البطالة من حيث آثارها الاجتماعية والسياسية الخطيرة على المجتمع.

## الأسباب

تعد ظاهرة البطالة من أخطر الظواهر التي يمكن أن تواجه المجتمعات، حيث إنها تشكل عامل تهديد اقتصادي واجتماعي وأخلاقي وثقافي، كما أن ارتفاع معدل البطالة في العالم العربي يسبب عقبة كبيرة للتنمية والتقدم. لذلك لابد من الوقوف على أسباب هذه المشكلة، والبحث عن حلول لها، وتختلف هذه الأسباب باختلاف ظروف كل مجتمع، ونذكر منها:

• أسباب سياسية: حيث تعاني عدة دول من أزمات وحروب، تحول دون قدرة حكومات الدول المتضررة على دعم قطاع الأعمال، بالإضافة إلى انعدام التنمية السياسية، التي يجب أن تؤثر في تطوير الوضع الاقتصادي.

• أسباب اقتصادية: إن عدم قدرة الدول والحكومات على تطوير قطاع الأعمال يؤدي إلى تقلص فرص العمل المتاحة، فيما لا يتوقف نمو حجم المؤهلين، ويتسبب ذلك لاحقا في حدوث فجوة بين فرص العمل المتوافرة وأعداد الخريجين وحملة المؤهلات، ما يتجسد في مشكلة البطالة.

• أسباب اجتماعية وثقافية: تؤدي بعض الثقافات المجتمعية مثل «ثقافة العيب» إلى ارتفاع معدلات البطالة. ويمكن أخذ مشكلة عدم قدرة بعض المجتمعات على تطوير أفكار مشاريع جديدة بعين الاعتبار، بالإضافة إلى مخرجات العملية التعليمية، التي تنتج أحيانا أجيالا مؤهلة للاستجابة

لليأس، أو الاستسلام لانسداد الأفق[1].

### آثار البطالة

إن البطالة لها آثارها على المستويات الاجتماعية والسياسية والأمنية، نظرا لارتباطها بانقطاع الدخل ومن ثم صعوبة الحياة نتيجة العجز عن تلبية الحاجات الإنسانية الضرورية ما يترتب عليه الجنوح إلى الجرائم الاجتماعية والإرهاب والعنف وجرائم الآداب، كما يتضح في الجوانب التالية:

### أولا: الجانب الأمني

إن البطالة تعني حرمان العامل، الذي توقف عن العمل، من مورد رزقه، وهو ما يؤدي إلى عجزه عن إشباع حاجته الضرورية بالطرق المشروعة، ما قد يضطره إلى سلك سبيل الجريمة لتحقيق هذا الإشباع. كما أن الفرد حين يعجز عن الإنفاق على نفسه أو على من تلزمهم نفقته تسوء حالته النفسية، وقد يقدم، تحت تأثير تلك الحالة، على بعض أفعال الاعتداء على النفس أو الغير. وبوجه عام فيما يتعلق بالبطالة والجريمة، تبين ما يلي:

أ- تؤدي البطالة بل وتسبب السلوك الإجرامي لدى الفرد العاطل إذا توافرت بعض أو كل الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي تساعد على ذلك.

ب- العلاقة بين البطالة والجريمة علاقة ديناميكية حيث يصبح السبب نتيجة والنتيجة سببا مع استمرارية العلاقة وتعقدها وتشابكها بمرور الزمن.

ج- ثمة عوامل اجتماعية أخرى مثل انتشار الأمية، والتفكك الأسري ذات علاقة بالبطالة والجريمة.

**الاستثمار الإسلامي والزكاة أساسان لمنهج معالجة البطالة**

وعليه، يتضح أن هناك علاقة طردية بين ارتفاع معدلات البطالة والجريمة، ذلك لأن البطالة ظاهرة مركبة ذات أبعاد اجتماعية واقتصادية وسياسية. ومع ذلك، يلاحظ أن هذه التداعيات الخطيرة للبطالة ليست حتمية؛ بمعنى أنه ليس كل المتعطلين عن العمل يسلكون سبيل الجريمة لتلبية احتياجاتهم الضرورية، بل إن منهم من يقوى على الصمود في مواجهة هذه الأزمة الطارئة والوصول إلى بر الأمان.

### ثانيا: الجانب الاقتصادي

إن الإنسان هو المورد الاقتصادي الأول، وبالتالي فإن أي تقدم اقتصادي للدولة يعتمد أول ما يعتمد على الإنسان بإعداده علميا حتى يتحقق دوره في الإسهام في نهضة المجتمع. وتضعف البطالة من قيمة الفرد كمورد اقتصادي للدول، ويتحول كم من المتعطلين إلى طاقات مهدرة وبالتالي يخسر الاقتصاد هذه الطاقات، كما أنهم يعدون عبئا إضافيا على الاقتصاد القومي للدول. لذلك يجب مساهمة كل فرد في العمل فإذا لم تجد مجموعة من أفراد المجتمع فرصة للعمل فمعنى ذلك هدر وخسارة لإمكانيات وطاقات كان يمكن أن تساهم في الإنتاج وانتعاش اقتصاد الدول. وبالطبع فإنه مع تدهور الأحوال الاقتصادية في أي بلد، فإنه يتوقع أن زيادة عدد الجرائم الاقتصادية، كحالات الغش التجاري، خلال فترة قصيرة، وقد أظهرت دراسات عدة أن هناك علاقة بين التغيرات الاقتصادية في حالتي الانكماش أو الرواج الاقتصادي وبين الجرائم الاقتصادية.

### الجانب النفسي والاجتماعي

تؤدي البطالة عند الفرد إلى التعرض لكثير من مظاهر عدم التوافق النفسي والاجتماعي، إضافة إلى أن كثيرا من العاطلين عن العمل يصابون بحالات من الاضطرابات النفسية والشخصية فمثلا، يتسم كثير من العاطلين بعدم السعادة وعدم الرضا والشعور بالعجز وعدم الكفاءة ما يؤدي إلى اعتلال في الصحة النفسية. كما ثبت أن العاطلين عن العمل الذين تركوا الدراسة من أجل العمل ثم لم يتمكنوا من ذلك؛ يغلب عليهم الاتصاف بحالة من البؤس والعجز، والأمراض وحالة الإعياء البدني كارتفاع ضغط الدم، وارتفاع معدل الكولسترول والذي من الممكن أن يؤدي إلى أمراض القلب.

وتنعكس البطالة التي يعاني منها الأفراد على سلوكهم وتلقي بظلالها على المجتمع؛ حيث بدأت تظهر في مجتمعنا صورة متكاملة لأوضاع شاذة في شكل تعاطي المخدرات والسرقة والاغتصاب والإحساس بالظلم الاجتماعي وما تولد عنه من قلة الانتماء والعنف وارتكاب الأعمال الإرهابية والتخريبية وهناك فئة أخرى تقوم بالكبت بداخلها ما يتحول بمرور الوقت إلى شعور بالإحباط ويخلق شبابا مدمرا نفسيا وعضويا.

ومن تداعيات البطالة الاجتماعية أيضا: تأخر سن الزواج، وبالتالي ارتفاع متوسط هذا السن للذكور والإناث. ونتيجة مباشرة لذلك، نشأت مأساة أخرى هي «الزواج العرفي»

كمخدر ومخرج لعدم القدرة على الزواج الشرعي وكغطاء للعلاقات المحرمة البعيدة عن القيم والأخلاق.

كذلك تسببت البطالة في تفاقم مشكلة الهجرة، فهناك فرد واحد من كل خمسة وثلاثين شخصا حول العالم يعيش كمهاجر، وإذا جمعنا كل المهاجرين في مكان واحد فإنهم سيكونون دولة هي الخامسة على مستوى العالم من حيث تعداد السكان.

وتشكل هجرة الكفاءات خسارة فادحة على المديين القريب والبعيد للدول، وتكرس للمزيد من التبعية للغرب، ما يتطلب وضع إستراتيجية عاجلة يتضافر فيها الجميع وترتكز على تشجيع الإبداع والمبدعين، وتطوير نظم التعليم، ووضع الفرد المناسب في المكان المناسب، والعمل على استعادة العلماء من الخارج، وتسهيل تبادل الكفاءات بين الأقطار المختلفة.

## الربا والبطالة

وحول معالم المنهج الإسلامي في التصدي لمشكلة البطالة وسبل مواجهتها، تأتي دراسة قيمة أعدها الدكتور حسين حسين شحاتة، أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، والتي ناقش من خلالها أنواع البطالة وأسبابها وآثارها على الفرد والأسرة والمجتمع، والمنهج الإسلامي في معالجتها في مرتبة متقدمة من البحوث التي تناولت هذه المشكلة.

ويناقش الدكتور شحاتة في دراسته الربا ودوره في إحداث البطالة، مؤكدا ما أجمع عليه علماء الاقتصاد من جميع الأديان والجنسيات من أن الربا هو أساس خراب العالم ومشاكله الاقتصادية، إذ يؤدي إلى

**التعاملات الربوية تسبب أزمات اقتصادية حصادها البطالة**

إعاقة الاستثمار والإنتاج، وهذا بدوره يسبب أزمات اقتصادية مباشرة أو غير مباشرة، ويكون من حصادها الخبيث البطالة.

وتوضح الدراسة أن النظام الربوي يؤدي إلى توجيه الاستثمارات إلى المشروعات التي تحقق أقصى ربحية ممكنة، بصرف النظر عن عائدها الاجتماعي وقدرتها على تشغيل أكبر عدد من العاطلين. كذلك فإن ارتفاع سعر الفائدة على القروض يقود إلى انصراف المستثمرين عن التطوير والتوسع في مشروعاتهم أو إنشاء المشروعات الجديدة، خوفا من أن الربح المتوقع قد يكون أقل من سعر الفائدة، ما يسبب خسائر فادحة تنتهي بالإفلاس.

وأضافت أن النظام الربوي يؤدي أيضا إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج، حيث إن رجال الأعمال والتجار يضيفون فوائد القروض الربوية إلى التكاليف؛ وعليه ترتفع الأسعار، فيقل الطلب، ويقل الإنتاج، والنتيجة الحتمية لذلك تقلص فرص العمل.

أما عن الضرائب ودورها في تنامي البطالة، فيؤكد الدكتور شحاتة أن هناك علاقة قوية بين تعدد الضرائب وارتفاعها وبين البطالة، فالضرائب غير المباشرة مثل ضريبة المبيعات والرسوم الجمركية تؤدي إلى ارتفاع الأسعار، ويقود ذلك إلى تراجع الطلب، فيقل الإنتاج ما يقود إلى سلسلة من المضاعفات تؤدي في النهاية إلى توقف المشروعات

الإنتاجية أو عدم تطويرها وتوسعها، ما ينتج عنه عدم توافر فرص عمل جديدة.

كما أن ارتفاع معدلات الضرائب يجعل رجال الأعمال والمستثمرين يحجمون عن توجيه أموالهم نحو الاستثمار في المشروعات المختلفة، وهذا يقود إلى ضياع فرص عمل كان من الممكن توفيرها لحل مشكلة البطالة. ومن هنا فإن الضرائب تساهم بطريق مباشر وغير مباشر في تفاقم البطالة، ويتطلب هذا الأمر إحلال نظام زكاة المال محلها.

وبعد الربا والضرائب يأتي الإسراف والتبذير ودورهما في إحداث البطالة، فهما يسببان زيادة التكاليف وتبديد الموارد من ناحية أخرى، ما يقود إلى زيادة الأسعار ونمو البطالة أو ضياع فرص عمل.

وينتقل الدكتور حسين شحاتة في دراسته لبيان معالم المنهج الإسلامي لعلاج مشكلة البطالة، فيؤكد أن أول أساس للمنهج الإسلامي في التنمية الاقتصادية، وفي علاج مشكلة البطالة، هو:

## تطبيق نظام الاستثمار الإسلامي

إن التعامل الربوي، كما سبق - أن بينا-، هو أكبر أسباب البطالة ونقص التشغيل، كما أجمع على ذلك علماء الاقتصاد نظرا لإعاقته عملية الاستثمار. وجميع خطط التنمية، بلا استثناء، ما هي إلا برامج استثمار، والاستثمار وإقامة المشروعات لا بديل عنه لعملية التنمية بشكل عام، ولعلاج مشكلة البطالة بشكل خاص.. والنمو الأمثل للاستثمار سيؤدي تلقائيا إلى ضمان توفير فرص عمل كافية تقضي تدريجيا على البطالة. والاستثمار الإسلامي لا يقوم على

الربا ولكن على نظام المشاركة بحصة شائعة معلومة في الربح، أي في نتيجة الأعمال والأنشطة.

### الزكاة وعلاج المشكلة

إن منهج التنمية الاقتصادية في الإسلام يقوم على الزكاة التي توجه النشاط الاقتصادي للاستثمار في مجال الطيبات. فالزكاة تعتبر من حوافز الاستثمار الأساسية في منهج الاقتصاد الإسلامي، والاستثمار يعتبر من أهم سبل علاج مشكلة البطالة، كما تقوم الزكاة بتوسيع نطاق السوق المحلية، وتمكن الفقير القادر على العمل من إغناء نفسه، إذ يعطى من أموالها ما يمكنه من أداء حرفته، وبذلك تسهم الزكاة بشكل فعال في خلق فرص عمل حقيقية. ومن هنا فإن الزكاة تعمل على علاج مشكلة البطالة من عدة نواح أهمها: الاستثمار وزيادة الطلب الفعال في الاقتصاد القومي، من خلال إعادة توزيع الثروة والدخل، ومحاربة الاكتناز، الأمر الذي يشجع على الادخار الاستثماري وزيادة قدرة الاقتصاد القومي على استيعاب قوة العمل. والزكاة عندما لا تعطى للأقوياء القادرين على العمل، فإنها تحارب البطالة الاختيارية، وتحقق مستوى معيشيا مناسبا يوفر للفقراء والمساكين متطلبات الغذاء والكساء والعلاج والمسكن، ما يسهم في تحسين أفراد القوى الإنتاجية وزيادة قدرتهم على العمل والإنتاج.

### نظام الأولويات الإسلامي

وبعد الاستثمار الإسلامي والزكاة، كأساسين للمنهج الإسلامي في معالجة البطالة، يأتي الأساس الثالث وهو: نظام الأولويات الإسلامي في الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، وهي الضروريات التي لا يمكن أن تقوم بدونها الحياة، ثم الحاجيات التي يمكن تحمل الحياة بدونها، ولكن بمشقة زائدة، ثم التحسينات التي تجعل حياة الناس أكثر يسرا وسهولة ومتعة دون إسراف أو ترف.

وبالنسبة للحاجات الضرورية، فهي لا تشمل الجانب المادي فقط، ولكن أيضا الجانب المعنوي أو الروحي، وهي الضرورات التي أجملت كمقاصد للشريعة الغراء من حفظ للدين والنفس والعقل والمال والنسل أو العرض، وبإشباع هذه الحاجات سوف يتصرف الناس كآدميين، ويقومون بتبعة الاستخلاف ويتحملون مسؤولية إعمار الأرض، حتى تحدث التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

### توفير فرص عمل

ويأتي الأساس الرابع والأخير للمنهج الإسلامي في معالجة البطالة، وهو مسؤولية الدولة عن إيجاد فرصة عمل لكل قادر عليه، وقد أكد ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في قوله لنائبه على أحد أقاليم الدولة حين سأله «ماذا تفعل إذا جاءك سارق؟ قال أقطع يده، قال: وإذن فإني جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف أقطع يدك، إن الله سبحانه وتعالى استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها، يا هذا إن الله خلق الأيدي لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملا، التمست في المعصية أعمالا فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغل في المعصية». فقضية توفير فرص العمل هنا واضحة، وهذه لا تكون إلا بإيجاد الاستثمارات والأعمال.

ولابد إلى جانب مسؤولية الدولة، من السعي الفردي لإيجاد العمل الصالح، فالإسلام دين العمل.. ولا مكان للتواكل في الإسلام، وقد وردت نصوص قرآنية ونبوية شريفة في الحث على العمل قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (النبأ:١١) وقال أيضا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (المزمل:٢٠) وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥) وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره، ليتصدق به وليستغني عن الناس، خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه، ذلك بأن اليد العليا خير من اليد السفلى». فتوفير فرص العمل لكل فرد إنما هو مسؤولية مشتركة تتحملها الجماعة ممثلة في قيادتها السياسية، ويتحملها الأفراد فهم مطالبون بالسعي في طلب الرزق لإعمار الأرض[٢].

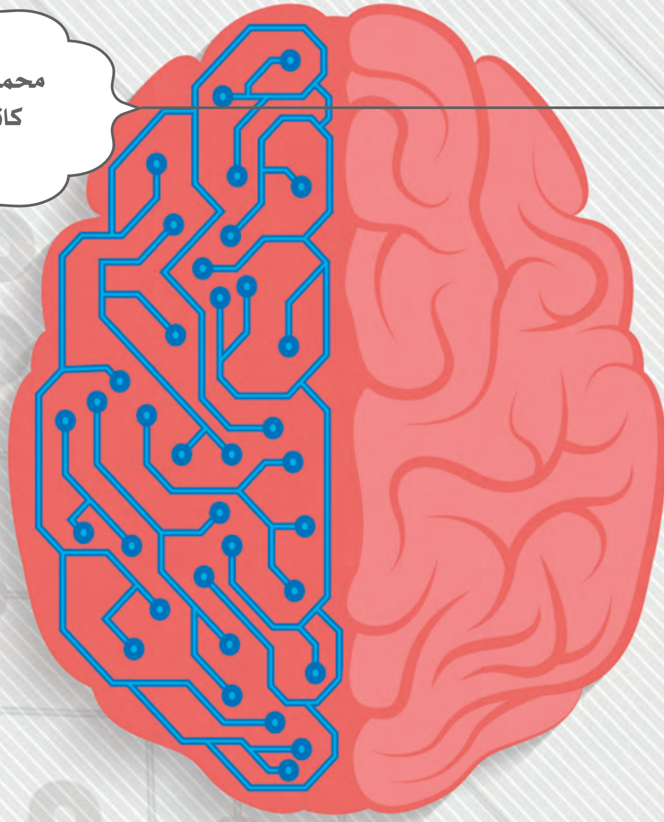
---

### الهوامش

١- البطالة المشكلة والعلاج، د. محمد حسين عبدالقوي، ٢٠١٥م.

٢- ملخص للدراسة التي أعدها الدكتور/ حسين حسين شحاتة والتي بعنوان: «منهج الاقتصاد الإسلامي في علاج مشكلة البطالة».

محمد حسن دنيا
كاتب مصري



# الذكاء الاصطناعي والمهن البشرية..

**برمجيات وأجهزة الذكاء الاصطناعي.. تقنية جديدة باتت تمثل تهديدا قويا للبشر في سوق العمل لاسيما بعد أن اتجهت العديد من كبرى الشركات الاستثمارية إلى التوسع في الاعتماد على الذكاء الآلي في العديد من الوظائف العامة والتي تحتاج إلى أوقات طويلة يعجز البشر عن المواصلة فيها لساعات طوال، ما دفع الكثير من الشركات والمؤسسات الكبرى في العالم لإحلال «العمالة الآلية» محل البشر من أجل مواكبة تغيرات العصر السريع وإنجاز ما كان يجري في شهور طويلة في وقت قصير جدا وبأكثر كفاءة عن البشر.**

نعم.. لقد أصبح ما كان خيالا في الماضي القريب واقعا، خصوصا مع القفزات المتوالية لبرمجيات الذكاء الاصطناعي، ما دفع العديد من الدراسات تتحدث عن مستقبل التوظيف، وما هو الخيار أمام الشركات: هل تقوم بتوظيف بشر أم آلات؟ وأيهما أفضل؟ وماذا سيحدث في الهرم الاجتماعي إذن؟ وهل ستحل الروبوتات محل بعض العمالة التي يراها أصحاب الأعمال أقل كفاءة وأعلى تكلفة؟

في دراسة تعود لعام ٢٠١٣م أجراها كارل بينديكت، عالم البيانات المختص بدراسة أثر التكنولوجيا على مستقبل الوظائف في جامعة أوكسفورد، يطرح الباحث آثار إحلال الروبوتات محل البشر على نتائج سوق العمل الأمريكية، إلى جانب تحليل عدد الوظائف المعرضة للخطر.

وتوصلت الدراسة إلى أن هناك احتمالية لتحل الروبوتات في قرابة ٧٠٢ مهنة بسوق العمل الأميركية. وأشارت التوقعات أن حوالي ٤٧٪ من إجمالي العمالة في الولايات المتحدة معرضة للخطر، جراء تنامي إحلال الروبوتات محل البشر في الوظائف، مما يؤدي إلى انتشار البطالة وتحول العمالة البشرية إلى مجرد عبء كبير على الدول، وبالتالي تصبح خطرا على اقتصادها وعلى الخدمات التي تقدمها؛ لذلك كان لابد من معرفة مدى تأثير هذه الروبوتات على العمالة

ومدى قدرتها على التطور وإحلالها مكان البشر ومحاولة تقليل تأثيرها من نشر البطالة بين القادرين على العمل، ويلفظهم سوق العمل من خلال ابتكار وظائف جديدة تمكن البشر من أن تعيش بجانب الروبوتات، بل تؤثر في الروبوتات وتجعلها في حاجة دائمة لهم[1].

ونعرض فيما يلي نموذجين من استثمار الشركات الكبرى في روبوتات الذكاء الاصطناعي:

### أولا: روبوتات فيسبوك

بدأت فيسبوك الاستثمار فعليا في مجال الذكاء الاصطناعي منذ خمس سنوات تقريبا، عقب تأسيس مركز أبحاث فيسبوك للذكاء الاصطناعي (Fair) في ديسمبر ٢٠١٣م. وتستخدم فيسبوك تقنيات الذكاء الاصطناعي في تطوير موقع التواصل الاجتماعي الأشهر عالميا، حيث بدأت فعليا في الاعتماد كليا على روبوتات الذكاء الاصطناعي في خدمة الترجمة، إلى جانب استخدامها في تحديد المستخدمين أو المجموعات التي تحاول الانخراط في تجنيد الإرهابيين.

لكن في ٢١ يوليو الماضي، نشر موقع «ديجيتال جورنال» تقريرا يتحدث عن قيام باحثين في «فيسبوك» بإيقاف روبوتات الذكاء الاصطناعي بعد أن طورت لغة خاصة للتحدث فيما بينها أثناء تجارب معملية. وإن كان مسؤولون في «فيسبوك» قد نفوا لاحقا أن يكون هذا الأمر يمثل أزمة حقيقية، مبينين أن إنهاء عمل الروبوتات هو إجراء روتيني في مثل تلك التجربة، ولا ينبع عن الشعور بالخطر كما صورت التقارير الصحفية التي تناولت الموضوع.

### ثانيا: دمج الدماغ البشري مع الحاسوب

وعلى الرغم من الجدل المتصاعد بسبب الذكاء الاصطناعي وتبادل الاتهامات بين «إلون مسك» المدير التنفيذي لشركة «تسلا موتورز» للسيارات الكهربائية و«مارك زوكربيرج» مؤسس «فيسبوك» بشأن الذكاء الاصطناعي وإحلال العمالة الآلية محل البشر كخطوة على طريق التقدم، علاوة على عدم تواني «مسك» عن التحذير من خطورة روبوتات الذكاء الاصطناعي على البشرية؛ إلا أن كليهما يستثمران في مجال بحوث الذكاء الاصطناعي منذ سنوات، حيث كانت آخر انطلاقات «مسك» في مجال بحوث تطوير الذكاء الاصطناعي، هو إعلانه عن شركة «نيورا لينك» «NeuraLink» التي تعمل من أجل دمج الدماغ البشري مع أجهزة الحاسوب، ما جعل البعض يرى تصريحاته المناهضة لآراء «زوكربيرج» حول إحلال روبوتات الذكاء الاصطناعي محل البشر بمثابة منافسة تجارية شرسة وترويج للعلامات التجارية التي يملكها «مسك»، وهو ما عكسته أعمال «كاتسو» فنان الجرافيتي في شوارع سان فرانسيسكو الأمريكية، عبر معرض حمل عنوان «مجرمو الذكاء الاصطناعي».

## «وسيط البيانات» مهنة جديدة للعنصر البشري في عصر الروبوتات

### مخاوف مستقبلية

إن النجاح الذي تحقق في مجال الذكاء الاصطناعي يدفعنا إلى الخوف منه وتجنب مخاطره على المدى الطويل ومعرفة الآثار المترتبة على التطور السريع له. وترتفع وتيرة هذه المخاوف من زيادة الاستثمارات في مجال بحوث الذكاء الفائق وهو ما يتفق مع الطرح الذي قدمه نك بوستروم، أستاذ الفلسفة في جامعة أكسفورد، والمهتم بدراسة مخاطر الذكاء الفائق Super Intelligence risks - في كلمة ألقاها في مؤتمر «تيد توك»، في محاولة للإجابة عن سؤال «ماذا سيحدث عندما تصبح أجهزة الكمبيوتر أكثر ذكاء منا؟

قال بوستروم إن محاولات جعل روبوتات الذكاء الاصطناعي فائقة الذكاء تجري على قدم وساق؛ إذ تشير البحوث التقنية أنه في غضون هذا القرن يمكن أن تكون روبوتات الذكاء الاصطناعي في مستوى ذكاء البشر، وربما تتجاوزه وتتفوق عليه. ويضيف بوستروم أن الذكاء الآلي ربما يكون آخر الاختراعات التي تحتاجها البشرية، «لذا ربما علينا التمهل والتفكير في عالم الذكاء الفائق الذي نبنيه الآن». وأبدى بوستروم مخاوفه من احتمالية انقلاب «آلاتنا الذكية على قيمنا الإنسانية» وأن تكون لتلك الآلات قيمها الخاصة بها.

### الذكاء الاصطناعي والاقتصاد العالمي

إن تأثير الذكاء الاصطناعي على العمال على المدى الطويل سيكون خطيرا حيث ستخفض أجورهم وسيفقدون وظائفهم تدريجيا بسبب الاستعانة بالروبوتات نظرا للاستغناء عن العمال في جزء كبير من المهام التي كانوا يؤدونها.

إن الروبوت يقوم بالعمل طوال الوقت وليس لديه إجازات أو أي ظروف طارئة أو خاصة، ولديه ضمان أن يعمل لفترة طويلة دون الحصول على أي عطلة، فأيهما ستختار؛ العامل أم الروبوت؟ بالطبع إن كنت صاحب عمل ستختار الأقل كلفة والأكثر ربحية وإنتاجية وهو الروبوت.. لكن ما تأثير ذلك على الاقتصاد العالمي؟

- انخفاض مستوى الطلب على السلع

والخدمات بسبب انخفاض القوة الشرائية للمستهلكين بسبب فقدانهم لوظائفهم أو تقليل أجورهم، مما يستتبع انخفاض في معدلات النمو وبالتالي حدوث ركود للاقتصاد، نتيجة لابتكار برامج وأنظمة فائقة الذكاء تستطيع القيام بنفس مهام البشر بدقة وكفاءة.

- زيادة العجز في الموازنة العامة بسبب زيادة النفقات التي تنفقها الحكومة على العاطلين في الدول التي تقدم دعما للعاطلين عن العمل[٢].

## حلول

مما سبق يتضح لنا أنه لامحالة عن استغناء الشركات والمؤسسات عن عدد كبير من العمال ليحل محلهم الروبوتات؛ لذا كان لابد من استحداث بعض الوظائف الجديدة التي توفر وظائف للعنصر البشري في عصر الروبوتات، ومن هذه الوظائف:

محقق البيانات: تقوم هذه المهنة على تحليل البيانات الواردة من أجهزة الإنترنت والشبكات وما إلى ذلك، بهدف توفير الأفكار القائمة على البيانات للأعمال والشركات، حيث تنفق الشركات الوقت والمال من أجل بيع وتسويق منتجاتها بناء على رغبات المشترين، ويمكن لهذه المهنة الذهاب لأبعد من ذلك مستقبلا من خلال القيام بفرز البيانات الخاصة بشخص اعتمادا على خدمات أمازون أليكسا أو جهاز Nest من أجل توفير خدمات أفضل لهم.

صانع رحلات «الواقع المعزز»: يظهر مستقبلا العديد من المهن الجديدة، مثل صناع رحلات «الواقع المعزز» (وهو تقنية تفاعلية تشاركية تستخدم الأجهزة السلكية واللاسلكية لإضافة بيانات رقمية للواقع الحقيقي بأشكال متعددة الأبعاد)، وسوف يكون صناع

## الروبوتات ستحل محل البشر في ٧٠٢ مهنة بسوق العمل الأميركية

رحلات «الواقع المعزز» بمثابة الرواد من حيث التجربة الاقتصادية، وينبغي على صانع هذه الرحلات خلق الجيل القادم من تجارب الترفيه، بحيث يكون صانع هذه الرحلات مسؤول عن تصميم وبناء تجارب «الواقع المعزز» وتوفير رحلات للعملاء في الوقت الفعلي من خلال «الواقع المعزز».

مدير تطوير أعمال الذكاء الاصطناعي: تتوفر هذه الوظيفة ضمن شركات خدمات الحوسبة الافتراضية المعتمدة على تقنيات الذكاء الاصطناعي، وبحسب ما أشارت إليه شركة «كوجنيزانت» Cognizant ضمن الوصف الوظيفي لهذه المهنة فإنه «مازال هناك شيء واحد لا يمكن للذكاء الاصطناعي القيام به، ولن يكون قادرا على القيام به مستقبلا وهو التسويق لنفسه وبيعها» مما يفرض وجود مثل هذا الشخص المسؤول عن المبيعات الأساسية لخدمات الحاسب المعتمدة على الذكاء الاصطناعي.

وسيط البيانات الشخصية: يتجه الناس مستقبلا إلى كسب المال من خلال البيانات الشخصية التي يقومون بجمعها، ولن يكون هناك حاجة إلى قيام فيسبوك ببيع بيانات شخص ما إلى أمازون، بل يمكن لكل شخص بيع البيانات التي يملكها وتحقيق الربح. وتقوم مهنة وسيط البيانات الشخصية بمراقبة وتداول البيانات الشخصية للعميل ضمن منصات وعمليات تبادل البيانات التي تم إنشاؤها حديثا لضمان حصولهم على الإيرادات المستحقة.

مراقب الطريق السريع: قامت المركبات ذاتية التحكم والروبوتات والطائرات من دون طيار المستخدمة لتسليم الشحنات؛ بتغيير الطريقة التي كان يجري من خلالها تنظيم الطرق والمساحات الجوية بشكل جوهري، وسوف تزداد الحاجة مستقبلا إلى مراقب للطريق السريع لتوجيه وإدارة الطريق البري والمجال الجوي للتأكد من أن العملية تسير بشكل فعال وآمن.

مسؤول الصحة المالية: قد يختفي مستقبلا الدولار الفعلي وتزداد الخدمات المصرفية الرقمية والعملات الافتراضية المشفرة مثل «بتكوين»، ما يعني إمكانية تسرب المال وضياعه، ويستدعي انتشار هذه الظاهرة في كل مكان وجود وظيفة جديدة هي مسؤول الصحة المالية، الذي يساعد الأشخاص على تتبع جميع المعاملات الرقمية والاستفادة القصوى من الأموال عبر منصات مالية ثورية تعمل كأساس للخدمات المالية.

مدير الفريق: بعد انضمام روبوتات الذكاء الاصطناعي إلى العمل ستحتاج الشركات مستقبلا إلى تنسيق التعاون بين الروبوتات والبشر، وذلك عبر وظيفة «مدير الفريق» الذي سيصبح مسؤولا عن معرفة نقاط القوة الخاصة بالروبوتات ومثيلتها الخاصة بالعنصر البشري، والدمج بينهما لرفع إنتاجية فريق العمل[٣].

## الهوامش

١- الذكاء الاصطناعي.. عهد جديد من البطالة، معتز صبري، ٢٠١٧/٨/٢٣م، موقع «المنصة».

٢- اقتصاديات الذكاء الاصطناعي.. مصطلح اقتصادي ربما تسمعه لأول مرة!، أشرف إبراهيم، ٢٠١٥/٨/١٨م، موقع «ساسة بوست».

٣- تحت الضوء.. ٢٠ مهنة جديدة توفرها الروبوتات مستقبلا، أحمد عنتر، ٢٠١٧/١١/٢٠م، موقع «البوابة العربية لأخبار التقنية».

شعر
نجاح عبدالقادر سرور

# هذي حكاية قدسنا

اللّه أسـرى بـالـنبي «مـحـمـد»
لـلـمـسـجـد الأقـصـى هـنـا
صـلـى صـلاة فـذة بـالأنـبـياء
لتعلموا أن الجميع لربهم قد أسلموا
يـا قـاتـلـي الـرسـل الـكـرام
يـا نـاهـبـي المـال الحـرام
يـا زارعـين بـكـل أرض مـأتـمـا
الأرض ضـجـت مـنـكـمُ
الـقـدس فـي سـمـع الـزمـان تـؤذن
الـقـدس لـلإسـلام دومـا مـوطـن
هـتـفـت هـتـافـا دائـمـا
هـذا الـثـرى مـا كـان إلا مسلما
مـا كـان «إبـراهـيـم» إلا مسلما
مـا كـان «إسـرائـيـل» إلا مسلما
مـا كـان «مـوسـى» ثـم «عـيـسى»
غـيـر عـبـد رافـع
رايـات إسـلام تـرفـرف فـي السـمـا
هـذي حـكـايـة قـدسـنـا
هـذي حـكـايـة قـدسـنـا

أ. د. مجاهد مصطفى بهجت
مختبر القرآن الكريم
الجامعة الإسلامية الماليزية



# الإعجاز في معاني خواتيم سور القرآن الكريم (٣-٣)

**رابعاً: ختام السور بالدعاء والوصايا**

يشمل هذا القسم نوعين: نصوص الأدعية الواردة في آخر بعض السور، والوصايا وبعض الأحكام الشرعية، فمن القسم الأول ختمت ثماني سور في القرآن الكريم.

**أ- الدعاء:**

تختم أم الكتاب سورة الفاتحة بطلب الهداية في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ (الفاتحة:٦-٧)، وهو دعاء من الله تعالى للهداية إلى الطريق المستقيم.

وتختم سورة البقرة كذلك بالدعاء في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٨٦)، وفيها تعليم المولى عزوجل عباده المؤمنين بما يدعونه. ربنا لا تعاقبنا إن وقعنا في النسيان لما كلفتنا إياه، أو تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ، ربنا ولا تشدد علينا في التشريع كما شددت على اليهود، ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به

من التكاليف وامح ذنوبنا واستر عيوبنا وأحسن إلينا، أنت مالك أمرنا ومدبره، فانصرنا على القوم الجاحدين.

وفي آخر سورة التوبة قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (التوبة:١٢٩). وهو خطاب للنبي ﷺ إن تولى عنك المشركون والمنافقون فقل حسبي الله: يكفيني ربي، لا إله إلا هو: لا معبود سواه، عليه اعتمدت: وإليه فوضت جميع أموري.

وفي آخر سورة الأنبياء طلب العون من الله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:١١٢)، والخطاب للنبي ﷺ بأن يدعو ربه للفصل بينه وبين قومه المكذبين بالقضاء بالحق، ونستعين بالله على ما يصفون من الشرك والتكذيب.

وفي آخر سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (المؤمنون:١١٨). وفيه أمر النبي ﷺ بأن يدعو ربه ويطلب منه مغفرة الذنوب والرحمة وهو سبحانه خير الراحمين.

وفي آخر سورة نوح قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح:٢٨). وهو طلب سيدنا نوح لنفسه ووالديه ومن دخل بيته والمؤمنين جميعا المغفرة من الله سبحانه وتعالى، وأن يزيد الظالمين هلاكا وخسرانا.

وفي آخر سورتي المعوذتين: الفلق في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ (الفلق:٤-٥). الاستعاذة من الدعاء، والله تعالى يعلم نبيه وجميع خلقه الاستعاذة به تعالى من شر المخلوقات: الساحرات والحاسدين. وسورة الناس في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ (الناس:٤-٦) الاستعاذة بالدعاء، والله تعالى يعلم نبيه وجميع خلقه كيفية الاستعاذة بالله من شر شياطين الجن والإنس.

**ب- الوصايا للمؤمنين والأحكام:**

من أهم الوصايا الوصية بالتقوى مع الصبر والمصابرة والرباط في سورة آل عمران حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:٢٠٠)، وفي الآية أمر الله تعالى المؤمنين بالصبر والمصابرة والجهاد والتقوى، رجاء الفوز برضاه دنيا وآخرة.

والوصية بالميراث وردت في آخر سورة النساء: قال الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء:١٧٦). يسألون الرسول ﷺ عن حكم ميراث الكلالة، وهو من مات وليس له ولد ولا والد، وبين الله لهم الحكم: إن مات امرؤ ليس له ولد ولا والد ...، ويوصي المؤمنين: لئلا تضلوا عن الحق في أمر المواريث، والله عالم بعواقب الأمور، وما فيها من الخير لعباده.

والوصية بأولي الأرحام ومنهم المؤمنون المهاجرون المجاهدون في قوله تعالى آخر سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٧٥). في هذا بيان لأهمية فريضة صلة الأرحام، وذوو الأرحام من المؤمنين لهم -فضلا عن ولاية الإيمان- ولاية القرابة، فبعضهم أولى ببعض في المودة والمال والنصرة والتأييد، وقد بين ذلك في كتابه وهو العليم بكل شيء.

والوصية بعكس ذلك في عدم ولاية المغضوب عليهم في قوله تعالى آخر سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ (الممتحنة:١٣). أمر الله تعالى الذين آمنوا بترك موالاة الكفار، فلا تتوالوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة وما فيها من ثواب وحساب، كما يئس الكفار من إحياء أصحاب القبور.

وأخيرا الوصية للمؤمنين بنصرة الرسول في سورة الصف حيث يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ (الصف:١٤). أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا أعوان النبي ﷺ وأنصاره، كما نصرت قبلهم طائفة من بني إسرائيل سيدنا عيسى عليه السلام، فنصرهم الله على عدوهم.

### خامسا: ختام السور بالحض على العبادة الشاملة

يشمل هذا القسم الدعوة إلى العبادة التي تختم بها سور القرآن، ونصوص الخواتيم تذكر ضمن العبادة التسبيح والسجود، والتوكل والاعتصام فضلا عن الصلاة والزكاة.

ختمت تسع سور في القرآن بالعبادة الشاملة، ففي آخر سورة الأعراف ذكر للملائكة المسبحة الساجدة حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ (الأعراف:٢٠٦). إن الملائكة لايستكبرون عن العبادة لله بل ينقادون لأوامره، ويسبحونه: ينزهونه عما لا يليق وله وحده يسجدون، فعظموا الله بالعبادة كما يفعل من عنده من الملائكة.

وفي آخر سورة هود خطاب للنبي بالعبادة والتوكل على الله تعالى في قوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ (هود:١٢٣). يخاطب الله تعالى نبيه بالتوكل عليه وعبادته، وما ربك بغافل عما تعملون من الخير والشر، وسيجازي كلا بعمله. وفي آخر سورة الحجر مثل ذلك بدوام العبادة في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ (الحجر:٩٩) واستمر في عبادة ربك مدة حياتك، حتى يأتيك الموت، فامتثل الرسول أمر ربه في ذلك.

وفي آخر سورة الحج يذكر الاعتصام بالله مع الصلاة والزكاة خلال الدعوة إلى الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج:٧٨). أمر الله تعالى المؤمنين بضروب من العبادات بدأها بالصلاة والزكاة والاعتصام بالله، ومن يفعل ذلك يتولاه الله وينصره.

وفي آخر سورتي النجم والعلق دعوة للسجود في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩﴾ (النجم:٦٢)، حيث يخاطب الله تعالى الناس فيأمرهم بالصلاة وإخلاص العبادة له دون سواه. وفي آخر سورة العلق يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩﴾ (العلق:١٩). يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ لا تطع أبا جهل فيما أمرك به من ترك الصلاة، واسجد لربك واقترب منه بالتحبب إليه بطاعته وعبادته. ومثل ذلك في آخر سورة الشرح دعوة من الله تعالى إلى العبادة والرغبة إليه: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾ (الشرح:٧-٨). فإذا فرغت من أمر دنياك، فاجتهد في عبادة الله والرغبة إليه.

وأخيرا ففي آخر سورة المزمل وهي من أوائل السور المكية قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ (المزمل:٢٠). وقد جمعت هذه الخاتمة بين الحض على العبادة والتيسير على العباد، فما يفعلوا من خير يجدوا ثوابه عند الله يوم القيامة. وتختم سورة العصر بالتواصي بالحق والصبر ففي آخرها قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ (العصر:٣). وفيها حض للمؤمنين على عبادة التواصي بالحق والصبر، مع الإيمان والعمل الصالح.

## سادسا: ختام السور بقيام الساعة واليوم الآخر

يشمل هذا القسم موضوع اليوم الآخر الذي تختم بها ست سور من القرآن الكريم، وهي:

سورة المعارج المتضمنة لليوم الموعود حيث يقول تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (المعارج:٤٢-٤٤). فاتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا بدنياهم، حتى يلاقوا يوم الآخرة الذي يوعدون فيه العذاب، يخرجون من القبور سراعا إلى الداعي، كأنهم إلى ما كانوا قد نصبوه وعبدوه في الدنيا من دون الله يسرعون، ذليلة أبصارهم لا يستطيعون رفعها تغشاهم المذلة والمهانة، ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون به في الدنيا وهم يكذبون.

وفي آخر سورة النازعات جواب على السؤال عن الساعة حيث يقول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾ (النازعات:٤٢-٤٦). والجواب ليس علمها إليك حتى تذكرها لهم، بل مرد ذلك إلى الله عزوجل، وإنما شأنك فيها أن تحذر منها من يخافها، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

وفي آخر سورة عبس وصف لقيام الساعة وتصنيف للناس، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ (عبس:٣٣-٤٢). فإذا جاءت صيحة يوم القيامة التي تصم من هولها الأسماع، يوم يهرب المرء من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وبنيه، لكل واحد منهم أمر يشغله ويمنعه من الانشغال بغيره، وجوه في هذا اليوم مضيئة مشرقة مسرورة بنعيم الله، ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودة تغشاها ذلة، أولئك هم الكفرة الفجرة، وفي الآية وعد ووعيد. وفي آخر سورة الانفطار وصف ليوم الدين: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار:١٩). بيان ليوم الدين، وأنه يوم الجزاء الذي لا تنفع فيه نفس نفسا أخرى، ولا ينفع فيه إلا العمل؛ والأمر فيه لله وحده لا سلطان لسواه.

وفي آخر سورة المطففين وصف للمؤمنين يوم الآخرة: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (المطففين:٣٤-٣٦). فيوم القيامة تجد المؤمنين من الكفار يضحكون جزاء ما ضحكوا سخرية بهم في الدنيا، على الأسرة والمتكآت ينظر المؤمنون ما أولاهم الله من النعيم، هل جوزي الكفار في الآخرة ما كانوا يفعلون في الدنيا؟ والاستفهام هنا للتقرير.

وأخيرا وفي آخر سورة الفجر وصف لرجوع النفس المطمئنة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر:٢٧-٣٠). يا أيتها النفس المطمئنة بالحق، ارجعي راضية بما أوتيت من النعم، مرضية بما قدمت من عمل، فادخلي في زمرة عبادي الصالحين، وادخلي جنتي دار النعيم المقيم.

## سابعا: ختام السور بمدح القرآن الكريم

يشمل هذا القسم موضوع خواتيم بعض السور المتضمنة لمضمون القرآن وأنه الذكر للعالمين.

في آخر سورة يوسف من صفات كتاب الله تعالى: الهدى والرحمة حيث يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:١١١). فما كان حديثا مختلقا ولا أساطير مفتراة، وإنما هو حق ووحي يؤكد صدق ما سبق من كتب السماء ومن جاء بها من الرسل، ويبين كل ما يحتاج إلى تفصيله من أمور الدين، ويهدى إلى الحق ويفتح أبواب رحمة الله للمؤمنين الصادقين.

وفي آخر سورة إبراهيم وصف القرآن بالبلاغ من الله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ

﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (إبراهيم:٥٢). هذا القرآن هو البلاغ لنصحهم ولإنذارهم من عذاب الله، وليعلموا أنه إله واحد فيعبدوه وحده وليتعظ به أصحاب العقول.

وهو التذكير والموعظة في سورة ص حيث يقول تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾ (ص:٨٧-٨٨). ما القرآن إلا تذكير للعالمين من الجن والإنس، يتذكرون به ما ينفعهم من مصالح دينهم ودنياهم، ولتعلمن -أيها المشركون- صدق هذا القرآن حين يغلب الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجا، ويقع عليكم العذاب. ويقول تعالى في سورة القلم: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (القلم:٥١-٥٢). وإن يكاد الكافرون ليزيلونك عن مكانك بنظرهم إليك عداوة وبغضا حين سمعوا القرآن، ويقولون: إنك لمجنون وما القرآن إلا موعظة وتذكير للعالمين من الإنس والجن.

وأخيرا هو العظيم الكتاب المحفوظ في آخر سورة البروج: قال الله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ (البروج:٢١-٢٢). بل ما جئتهم به قرآن عظيم بين الدلالة على صدقك في لوح محفوظ، لا يناله تبديل ولا تحريف.

### ثامنا: ختام السور بحقائق التاريخ

من حقائق التاريخ ما وردت الإشارة إليه في سورة الجمعة حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (الجمعة:١١). وإذا أبصروا متاعا للتجارة أو لهوا تفرقوا إليها، وتركوك قائما تخطب، وما عند الله أنفع من اللهو ومن التجارة، والله خير الرازقين.

ومن حقائق التاريخ ما ورد في سورة التحريم من أخبار قصص الأنبياء زوج نوح ولوط، وزوج فرعون وأم عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم:١٠-١٢). حقيقة امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عصمة عبدين صالحين، فخانتاهما بالتآمر عليهما وإفشاء سرهما إلى قومهما، فلم يدفع هذان العبدان الصالحان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئا، وقيل للزوجين: ادخلا النار، وضرب الله مثلا للمؤمنين بامرأة فرعون إذ طلبت بيتا في الجنة، والنجاة من سلطان فرعون وعمله. ومثلا آخر للمؤمنين بمريم ابنة عمران التي حملت بعيسى، وصدقت بكلمات الله من الأوامر والنواهي وكتبه المنزلة على رسله، وكانت من المواظبين على طاعة الله.

ومن أخبار الكتب المقدسة الصحف الأولى في سورة الأعلى حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (الأعلى:١٨-١٩). أي الوعظ العظيم بالتسبيح الذي ذكر في هذه السور وما تأثر عنه من التزكية بالذكر الموجب للصلاة والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة، لأنه جامع لكل خير، وهو ثابت في كل شريعة. خبر اليوم المبارك المتكرر في كل عام في سورة القدر: حيث يقول الله تعالى في سورة القدر: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ (القدر:٥). هي حقيقة أمن هذه الليلة فلا شر فيها إلى مطلع الفجر.

ومن أخبار التاريخ ما ورد في سورة الشمس عن قصة عقاب قوم ثمود الذين عقروا الناقة: قال الله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ (الشمس:١٣-١٥). كذب قوم عاد نبيهم صالحا، وعقروا الناقة وسقياها، فأنزل بهم العقاب، وهو جلت قدرته لا يخاف عاقبة عقابه

لـهـم. وفـي قـصـة عـقـاب أصـحـاب الفيل، قـال الله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴾ (الـفـيـل:٥). حقيقة قـوم أصـحـاب الفيل الذين جـعـلـهـم مـحـطـمـين كـأوراق الـزرع اليابسة التي أكلتها البهائم ثم رمت بها.

## الإعـجـاز فـي معاني خواتيم سور القرآن الكريم

يتصف كتاب الله تعالى بالرصانة والإحـكـام؛ فكل كلمة فيه وقعت في موقعها المناسب الذي لا يقبل التبديل أو الـتـعـديـل؛ وذلـك لأنـه كـلام رباني أمـين لا تقع فيه كلمة فـي مـوضـع يـحـسـن تـأخـيرهـا عنه أو تقديمها عليه، ولا يتصف بهذه الصفة القويمة الـعـادلـة إلا كـلام الله جل جـلالـه، فهو كتاب عزيز ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ (فصلت:٤٢).

إن إعـجـاز الـقـرآن الـكـريـم خـلال المعاني التي تجسدت في الخواتيم يكمن في كونها تضمنت الغايات والمـقـاصـد الـتـي جـاء الإسـلام الحنيف لتحقيقها، ممثلة في الأمور التي تصلح بها الآخرة والأولى، فقد ختمت (٣٢) سورة بالثناء على الله، والتعظيم له، وبيان علمه الواسع المحيط بكل شيء، ومشيئته التي ما فوقها مشيئة يقينا وجزما، وقدرته التي تتضاءل دونها القدرات كافة، وإذا أدرك العبد هذه المعاني حق الإدراك، واستوعبها على الوجه المـطـلـوب، سـلـم مـن الـوقـوع في المعصية والكفر، والجحود لنعمة الله تـعـالـى؛ لأنـه سيعترف بأنه العليم بكل شيء، الفعال لما يريد، المـتـصـرف فـي الـوجـود والـكـون، وبذلك تتحقق العبودية لله تعالى.

وقـد خـتـمـت (٣٢) سـورة أخـرى بالحديث عن وعد الله ووعيده، وتبشيره وإنذاره، وتأييده وتهديده، ولا ريب أن هذين الطرفين هما الدعامتان الراسختان اللتان يقوم عليهما الثواب والعقاب، والرحمة والقسوة، فأهل الصراط المستقيم موعودون ومبشرون بالثواب الجزيل الذي سينالونه في الدنيا أو الآخرة، والـكـافـرون مـوعـدون ومـهـددون بالعذاب الأليم الذي سينالهم في الدنيا أو الآخرة إن لم يتوبوا إلى الله تـعـالـى، وعـلـى هـذا الأسـاس المـتـين قـامـت بـلاغـات الأنـبـيـاء والمرسلين قاطبة.

وختمت (١٢) سـورة ببيان مهمة الـرسـول وتسليته ﷺ، وفـي بيان مهمة الرسول وتسليته إعجاز أي إعـجـاز، فـالله تـعـالـى عـلـم -وهـو العليم الحكيم- أن رسوله ﷺ له مهمة يجب عليه القيام بها، وتتمثل فـي التذكير والتبليغ والتبصير بسبل السلام، وهذه المهمة تجد من إنكار المنكرين وجحود الجاحدين مـا تـجـده؛ ولـذا سـلاه الله تعالى وهو يأمره بالصبر والصفح والعفو والإعـراض، ويـؤكـد لـه أن مصير الـظـالمـين والـجـاحـديـن لـرسـالـتـه الشريفة لن يكون لهم خيرا إن لم يؤمنوا بها.

وخـتـمـت (١٣) سـورة بـالـدعـاء والـوصـايـا، حيث نشهد في تلك الخواتيم توجه أهل الإيمان بالدعاء إلى الله بأن ينجيهم من العذاب، ويهديهم إلـى الـصـراط الحميد، ونجد وصاياه سبحانه وتعالى لهم بالتقوى والبر والإحـسـان، وكذلك ختمت تسع سور بالحض على عبادة الله جل جلاله، وختمت ست سور بالحديث عن اليوم الآخر، وانتهت خمس سـور بمدح القرآن الكريم، وخمس سور بذكر بعض الحقائق التاريخية.

وإذا اسـتـقـرأنـا تـلـك المـعـانـي حق الاستقراء نعثر على أن الخواتيم والـنـهـايـات لـسـور الـقـرآن الكريم اشتملت على جواهر الدين والمعاني الـشـامـلـة الـعـامـة الـتـي حملتها الـرسـالـة الـنـبـويـة الـطـاهـرة، مما يؤكد مرة أخرى أن ذلك الكتاب لا ريب فيه على الإطـلاق، فهو منزه ومتصف بالكمال المطلق من مبتدأه إلى منتهاه.

وأخـيـرا؛ فـإن الـتـصـنـيـف الـذي اهتدينا إليه في معاني خواتيم سور القرآن الكريم لم نعرف له جهدا سابقا من جنسه في دراسة المعاني، ولا بحثا قائما على منواله ورسمه في تصنيفها، وهو -على كل حال- جهد بشري قابل للخطأ والصواب، ونـرجـو أن يـحـالـفـنـا الـصـواب والتوفيق، ونشير كما سبق ذلك أن خاتمة واحدة قد تحتمل أكثر من معنى، وقد أخذنا في مثل هذه الحالة بالمعنى المستفاد من السياق، كما قد لا يبرز معنى الخاتمة في الآية الأخيرة من السورة إلا بضم آية أو أكثر إليها، وقد لاحظنا ذلـك فـي المـعـانـي ذات الطرفين، كـالـوعـد والـوعـيـد، إذ يـكـون وعد المؤمنين في الآية السابقة، ويكون وعيد الكافرين في الآية اللاحقة، والعكس صحيح، وواجهنا الظاهرة نفسها في قصار السور التي تتسم خواتمها بالتكامل في المعنى مع الآيـات السابقة لها، والله الموفق والحمد لله رب العالمين.

أ.د. عبدالله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
بني ملال - المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها

(الحلقة ٨)

**«قال إسماعيل، وسمعت الكندي يقول:... وزعمتم أنما سمينا البخل إصلاحا والشح اقتصادا، كما سمى قوم الهزيمة انحيازا والبذاء عارضة، والعزل عن الولاية صرفا، والجائر على أهل الخراج مستقصيا؛ بل أنتم الذين سميتم السرف جودا، والنفج أريحية، وسوء نظر المرء لنفسه ولعقبه كرما». البخلاء. الجاحظ. ص٩٠و٩١.**

٣- تهذيب الخطاب والعدول عن الألفاظ والعبارات المتطير بها تلطفا ومجاملة.

يجب أن نقرر مطمئنين في بداءة هذه الحلقة أن المجاملة وتلطيف الخطاب ضرب من المكر والدهاء، يحتال للتعبير عن المراد بتخير جمال المنظر الذي يظهر الألفاظ والعبارات في لباس فاتن يونق أبصار الناظرين، كأنها غواني استحيين أن يظهرن عاريات، فتسترن ولم يفصحن عن حقائقهن؛ وهو جمال يحتاج إلى كثير من أدوات الزينة والرصف والإحكام، التي تملأ الأعين، وتسحر القلوب، وتخلب الألباب، وتخدع العقول؛ بما يجعل الكلام يري الناظرين حسن الشيات الموجبة للفضل والثناء والذوق الرفيع، فتصغي له الآذان من دون استئذان، وتتلقاه القلوب بالقبول بلا احتراز، مقربا البعيد، ومهذبا الجافي، ومطفئا لنار العداوة، فاتحا الأبواب الموصدة بتعابيره التي لبست بردة استبرقية مرتكزها الإبساس والفتل بين الذروة والغارب، ولهذا يتضمن هذا الضرب من الكلام كثيرا من الملح والنوادر والإشارات الرائعة التي تملك السمع والبصر، نظرا لتوسعها في مذاهب الكلام وتفننها في الألفاظ والعبارات مثل العدول عن لفظ الملوك بعبارة: قوم موسى، «وعن الشفيع المقبول بالشفيع العريان، وعن المشهور أمره بقائد الجمل، وعن الشيخ بقائد العنز، وعن جامع كل شيء بسفينة نوح، وعن الكثير السفر بخليفة الخضر، وعن الكذاب بالفاختة، وعن النمام بالزجاجة»[1].

ولقد أدرك العرب قديما أهمية الكلمة، والظلال التي تبسطها للتعبير عن الأغراض المرتجاة، والصور المبتغاة بتلطف ودهاء بلغا الغاية في ركوب ضروب الإخفاء لعورات الكلام، ينتقرون أجود الألفاظ وأبلغ العبارات إدراكا لأغراضهم، وبلوغا لمقاصدهم، ونيلا لأوطارهم، لأن الألفاظ المتخيرة والعبارات المنتجاة «أوقع في النفوس، وأشد تأثيرا في القلوب، وأيقظ للهمم؛ ولذلك ورد: «إن من البيان لسحرا»... والأذن للكلام البليغ أصغى وأوعى، والطبع السليم إلى كل مستحسن أميل، والترغيب في العاجل، والترهيب في الآجل...

إذا لم يكونا بعبارات تخلب القلوب، وتأخذ بمجامعها، فلا تأثير فيها، ولا فائدة منها»[3]، كما تنطق بذلك مجموعة من الألفاظ والعبارات القرآنية التي ضربت في التلطيف والتهذيب بسهم أهزع، حيث كنى سبحانه وتعالى عن المرأة بالنعجة في قصة داود عليه السلام» ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ (ص:٢٢)». وكنى عن الممارسة الجنسية واتباع الشهوة والتماس اللذة بالملامسة والسر والاستمتاع والحرث والإفضاء.

والرفث واللباس والمباشرة قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ...﴾ (البقرة:١٨٦)، ونعت الأنثى عندما تكون في تآلف وتعاطف واتفاق مع بعلها زوجة أو زوج، قال تعالى في الاستجابة لدعاء النبي زكريا عليه السلام: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٨٩)، أما عندما تكون الأنثى في خلاف مع بعلها، سواء كان الخلاف في الاعتقاد أو في شؤون الحياة العادية أو كانت عاقرا، فهي امرأة، وآية ذلك قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٍ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِى عِندَكَ بَيۡتًا فِى ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ (التحريم:١٠-١١) وقد نطقت الأخبار والأشعار العربية والأحاديث النبوية عن الكناية عن المرأة بأهل الدار والفراش والعتبة والقارورة والقلوص والسرحة وهي الشجرة كما قال الشاعر:

وما لي من ذنب إليهم علمته
سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي
نعم فاسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي
ثلاث تحيات وإن لم تكلمي

ويقولون في الدخول بالأهل: بنى فلان على أهله». وقال النبي ﷺ لقائد الإبل التي عليها نساؤه «رفقا بالقوارير»، فكنى عن الحرم»[2]. كما أعرض القرآن عن التصريح بالألفاظ المستقبحة واستبدل بها ألفاظا مهذبة مأنوسة. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَا ...﴾ (فصلت:٢٠)، والمقصود: لفروجهم. كما قال تعالى: ﴿...وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ...﴾ (النساء:٤٣) عادلا عن قضاء الحاجة بالمجيء من الغائط، وهو المكان المنخفض من الأرض، الذي كان الناس يتسترون فيه في أثناء قضاء حاجاتهم. والقرآن الكريم يجر ذيله بالبيان الشافي في التوصل إلى بلوغ المراد بالملاطفة؛ ومن هذا الباب قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام مخاطبا أباه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِى عَنكَ شَيۡـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدۡ جَآءَنِى مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِىٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ

تنتهِ لأرجمنّك واهجرني مليًّا ﴿٤٦﴾ قال سلامٌ عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًّا ﴿٤٧﴾ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا ﴿٤٨﴾﴾ (مريم:٤٠-٤٨) هذه الحجة المأخوذة بالوحي النازل تؤكد بلا امتراء أن هذا «الكلام يهز أعطاف السامعين، ويبهج نفوس المتأملين... ألا ترى حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم، الذي عصى به أمر العقل، كيف رتب الكلام معه في أحسن سياق وانتظام مع استعمال المجاملة واللطف واللين والأدب الجميل والخلق الحسن، مستصحبا في ذلك نصيحته؛ وذلك أنه طلب منه أولا نقله عن خطيئته طلب منبه على تماديه، موقظ له من إفراطه وقلة تناهيه... ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترفقا به ومتلطفا، فلم يتهم أباه بالجهل المطلق، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكن قال إن معي لطائف... ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب، حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه، ولكنه قال إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فذكر الخوف والمس إعظاما لهما، وترك العقاب... وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: يا أبت، توسلا إليه واستعطافا»[٤].

وينخرط في هذا النجر من تحسين اللفظ والعبارة والعدول عما يتطير به «ما حكي أن المنصور كان في البستان، وكان معه الربيع فقال: ما هذه الشجرة؟ قال: شجرة الوفاق يا أمير المؤمنين. وكانت شجرة الخلاف. وقريب منه ما حكي أن الرشيد كان في يده خيزران، فقال لأحد أصحابه: ما هذا؟ فقال: أصول القنا يا أمير المؤمنين. وتجنب أن يقول: خيزران. وشبيه بذلك ما حكي أن المأمون كان في يده مساويك، فقال لولد الحسن ابن سهل: ما هذه؟ فكره أن يقول مساويك، فقال: ضد محاسنك يا أمير المؤمنين»[٥]. واضح أن مثل هذه الأجوبة الموسعة لمذاهب الخطاب لا تطؤها الأقدام، لأن بلاغتها أعلى وأغلى، حيث إن المجيب الأول (الربيع) عدل عن ذكر الاسم الحقيقي للشجرة (شجرة الخلاف) وهو بحضرة الخليفة أبي جعفر المنصور، لأن لفظة (الخلاف) من الألفاظ التي يتطير بها ولا يحسن النطق بها أمام الخليفة، كما عدل الآخر عن ذكر اسم (الخيزران) لأن إحدى زوجاته التي ولدت له المأمون تسمى بهذا الاسم، أما الثالث فقد عدل عن ذكر الاسم الحقيقي للمساويك التي كانت في يد المأمون تلطفا منه وإعراضا عن النطق بهذا الاسم الذي يوحي بدلالة منفرة.

وملاك الأمر من هذه العبارات المشحونة باللطائف، هذه النبذ التي يرددها العرب في أثناء نزول الموت بأحدهم متلطفين على هذه الشاكلة: لحق فلان باللطيف الأعلى، ولعق أصبعه، وقضى نحبه، ومات حتف أنفه، واستوفى أجله، واصفرت أنامله، وضحى ظله... كما كانت العرب تفرق بين (القتل) و(الإشعار) فكانت تقول للملوك والأمراء إذا قتلوا: أشعروا، وتقول للسوقة: قتلوا. والإشعار الإدماء بطعن أو رمي أو وجء بحديدة. جاء في الليلة الثامنة والعشرين من كتاب الإمتاع والمؤانسة: «ورمى رجل الجمار، فأصاب صلعة عمر بحصاة فشجه. فقال رجل: أشعرت يا أمير المؤمنين، لا يقوم عمر هذا المقام أبدا، فكان ذلك كذلك»[٦]. وقالوا في (الفلاة) (مفازة) لأن الفلاة في ركوبها الهلاك، فكان حقها أن تسمى مهلكة، لكنهم عدلوا عن ذلك وتلطفوا فقالوا: مفازة تفاؤلا، كما نعتوا اللديغ بالسليم، وقالوا للغراب: أعور لحدة بصره. وقد كان الأوائل يعدون الحياء لباس التقوى الذي يقي بستاره المجتمع، ولذلك عندما سأل الأصمعي أعرابية من بني عذرة، ما تعدون العشق فيكم؟ قالت: الغمزة والقبلة والضمة، ثم قالت:

ما الحب إلا قبلة
وغمز كف وعضد
ما الحب إلا هكذا
إن نكح الحب فسد

لكنها عندما سألته عن العشق، قال: كما قالت أم الضحاك المحاربية، وهي أبيات شعرية أعف عن ذكرها تلطفا وحياء، فقالت: يا ابن أخي ليس هذا عاشقا، هذا طالب ولد.

ولقد نثأت هذا الحديث وأظهرته للقول أن المكر يزين لمجموعة من الشعراء، الذين بلغوا من العمر ساحل الحياة أن يسوقوا كلاما يخاطبون به غيرهم، وهم في الحقيقة يقصدون به أنفسهم، وهو

مكر يخفون به مشاعرهم، ولاسيما في أثناء الوقوف على الأطلال، والتغزل بالمحبوبة، وما يلاقونه من مكابدات، لا تليق بهم في هذه المرحلة العمرية التي يكون فيها الشيخ مشغولا بالمتاب. وهذا ما يفسر لماذا سمى الفرنسيون بعض لباس المرأة الخاص باسم «داعم الحلق» إذ «إنهم فعلوا ذلك ليس لمكر لغتهم أو خصوبة استعارتها، بل لأن اللغة الفرنسية حاولت أن تعكس «حشمة» الفرنسيين في ذلك العصر أو عفتهم. نعم نقول: «الحشمة» ونؤكد أنها كانت متجذرة في أوروبا في ذلك العصر. ففي العهد الفيكتوري... على سبيل المثال، كانت المرأة تشير للطبيب الذي يعالجها إلى موضع ألمها في جسد الدمية التي تحملها معها؛ فالحشمة والتقاليد في ذلك الوقت كانت تمنع المرأة من عرض جسمها على الطبيب لفحصها. فإطلاق تسمية «داعم الحلق» حدث في وقت كانت فيه المرأة تشد صدرها بقطعة من القماش حتى لا تظهر مفاتنها»(٧) وقتئذ تلطفا وحياء.

ومن العبارات التي تنطوي على دهاء التلطيف والمجاملة، ألفاظ التحية التي يلقيها الناس صباحا ومساء مثل: (كيف الحال؟ كيف هي الأمور؟ كيف حال أهل الدار؟...) وهي عبارات لا يقصد منها المخاطب أن يعلمه المخاطب بالحقائق والتفاصيل، وإنما الغرض منها مجرد ربط الاتصال والمجاملة، ولذلك غالبا ما تكون الإجابة عن مثل هذه الأسئلة: (الحمد لله، كل شيء على ما يرام، الشكر لله، بخير وعلى خير...).

## تأزير

هذا هو ديدن اللوذعيين الأحوذيين النحارير وسدمهم في الإبداع الفني الذين يطاردون بيض الأنوق لتضمينها فيما ينشؤون من كلام بلغ الغاية في البيان والخلابة، فما بالنا نحن المعاصرين في هذا الزمن الذي فتل الناس لبعضهم بعضا حبلا من مسد، ليس لنا سبد ولا لبد ولا نقط ولا إعجام في ارتعاء هذا المرعى الخصب الذي وطأه القدامى، ولم نجر معهم حيث جروا، ولم نحصل قواعده التي تعيننا على رفع الإدراك إلى يفاع النباهة والاستبصار، ومن ثمة خسرنا أكثر القضايا العادلة، لأن الأدوات اللغوية التي نمتلكها لم تمكننا من الدفاع عن تلك القضايا بالمكر والدهاء الذي يكون برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر، ومفعوله أبلغ وأكثر في الاستمالة والإقناع اللازمين؟ لذلك جعلت من وكدي ومن سدمي إبصار هذا الجيل العولمي الذي إذا بحث عن الأسرار المكنونة وتبصر، أقصر عن بلوغ الأمد وقصر بنماذج من التعبير بلسان المقال، الذي افترعه القدامى وشقوا كمه، محتالين للكشف عما يقصدون بركوب ضروب من التعمية والإخفاء، وبتلطف ودهاء وحسن أدب في الاستدراج الذي ينطق من ذروة جبل في العلم بأسرار البراعة والخلابة والملاطفة، التي تجعل السامع معطلا لفاعلية العقل والاحتراس، تائها في أودية الحيرة والضياع، منساقا إلى القبول الطوعي لما يعرض عليه من كلام قد غبي عليه دهاؤه، فيعب ما يقدم إليه عبا يعطل حاسة النقد المميزة لجودة الأشربة.

### الهوامش

١- المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء. القاضي أبوالعباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي المتوفى ٤٨٢هـ. ص٥. ط ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م. ويليه: كتاب الكناية والتعريض لأبي منصور عبدالملك ابن محمد الثعالبي المتوفى٤٣٠هـ دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

٢- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. محمود شكري الألوسي. شرح وتصحيح وضبط. محمد بهجة الأثري. الجزء ٣. ص١٥٢. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

٣- فقه اللغة وأسرار العربية. أبو منصور الثعالبي. شرح وتقديم: د. ياسين الأيوبي. ص٤٣٩. ط ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

٤- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان. المنسوب خطأ إلى شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية ص٢١٢و٢١٣. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

٥- المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء. القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الجرجاني الثقفي المتوفى٤٨٢هـ. ص٧١. ط١٤٠٥هـ ١٩٨٤م دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان

٦- كتاب الإمتاع والمؤانسة. أبو حيان التوحيدي. تصحيح وضبط وشرح. أحمد أمين وأحمد الزين الجزء الثاني. ص١٦٤. المكتبة العصرية. بيروت. صيدا.

٧- مساورات الكلمات. د. نصر الدين العياضي. كتاب الرافد عدد١٤٥. ص١٣٠و١٣١. سبتمبر ٢٠١٧م. دائرة الثقافة. الشارقة بتصرف يسير.

د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي - الجزائر

# فضل الإسلام على تطور التدوين في تاريخ الثقافة العربية



من المؤكد المشهور أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا أمة قراءة أو أهل حضارة تعنى بالكلمة المكتوبة، ولعل هذه السمة هي التي جعلت فعل الأمر «اقرأ» ذا دلالة عميقة في سياق أول كلمة تتنزل من الوحي الخاتم، كما ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق:١)؛ بيد أن هذه الصورة الموروثة أو العالقة في أذهان وأفكار الكثير من الناس بحاجة إلى ضميمة أخرى تقرب الحقيقة وتكمل مختلف جوانب تصورها.

## التدوين في العصر الجاهلي

يوجد مقدار غير قليل من الغموض والالتباس في أذهان بعض الباحثين إزاء مسألة التدوين لدى العرب الجاهليين، إذ إن وصف العرب - قبل الإسلام - بأنهم أمة غير قارئة أو غير محتفية بالكلمة المكتوبة، لا يعني بالضرورة أن الكتابة كانت منعدمة تماما في بيئتهم؛ إذ أثبتت الكثير من الدلائل والأمارات والأبحاث معرفة بعض العرب القراءة والكتابة، حيث تعلمها بعضهم إما لغرض تجاري أو لغرض ديني أو ما شابه ذلك من أغراض؛ ومن ذلك على سبيل المثال: «النصوص الحميدية» الواردة في كتاب الأغاني للأصفهاني، فقد ذكر ناقلوها بأنها نقلت من مواد يسهل حملها ونقلها؛ مما يشي بأنها من الأمثلة القليلة التي تساق ضمن الحديث الذي يستهدف التدليل على وجود التدوين في تلك الحقبة التاريخية التي سبقت نزول القرآن الكريم.

ومن الأدلة أيضا ما أورده ابن قتيبة الدينوري في كتابه «الأخبار الطوال» عن وجود رجل من أحفاد أبرهة بن الصباح آخر ملوك حمير، كان يحتفظ بنسخة من حلف اليمن وربيعة، وهو حلف مشهور حدث خلال العصر الجاهلي. وقد ذكر أن وثيقة هذا الحلف مدونة بالشعر المنثور. ومن جهة أخرى، أشارت بعض المصادر إلى أن عرب الحيرة المناذرة كانت لديهم مدونات بسيطة تحوي أخبارهم وأنسابهم وأيامهم.

لكننا لابد أن نوضح في هذا السياق من الحديث، أن التدوين المقصود هو ذاك التدوين الموجود على الرق أوالبردى أو سعف النخيل، أي الأدوات والوسائل التي يسهل حملها ونقلها بين الناس وقراءة محتوياتها. أما النقوش على الحجارة والكهوف، فقد كانت موجودة بكثرة لاسيما لدى أهل اليمن. ثم إن العرب الجاهليين واكبوا وعاصروا الكثير من الحضارات القديمة في اليمن والبتراء وتدمر والحيرة وغيرها، ومن الطبيعي أن يكون لهذه الحضارات سجلات مدونة في وسائل منقولة، وهو ما يعني اطلاع العرب على تلك السجلات وتأثرهم بالكتابة.

## دلائل قرآنية على التدوين

أما القرآن الكريم فقد أكد أيضا حقيقة وجود التدوين واستعمال أدواته ووسائله في البيئة العربية قبل مجيء الإسلام، وإن كان ضمن دوائر

محدودة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ (الفرقان:٥)، وقوله عزوجل: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣﴾ (الطور:١-٣)، وقوله أيضا: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾ (الإسراء:٩٠-٩٣). وقوله عزوجل: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم:١). وقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١).

فهذه الكلمات الواردة في الآيات الكريمة آنفة الذكر مثل: اكتتبها - تملى عليه - كتاب مسطور - رق منشور - كتابا نقرؤه - القلم - يسطرون.. كلها كلمات وألفاظ ومفردات تدل بوضوح تام على أن العرب الجاهليين أو بعضهم على أقل تقدير، قد عرفوا الكتابة وأدواتها، ولكنها لم تكن يومئذ شأنا عاما كما هي في أوقاتنا الحالية، أو على النحو الذي أصبحت عليه بعد نزول القرآن.

### التدوين في صدر الإسلام

لقد بدأت الكتابة تنتشر في البيئة العربية مع انداح الإسلام وتعاليمه في شتى ربوع وأنحاء ونجود جزيرة العرب؛ كما لا يخفى ذلك على قارئ أو دارس لتلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام، ولاشك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى لفضل مبادئ الإسلام و تعاليمه الحاضة على القراءة والكتابة والتعلم، كما يتبدى ذلك جليا في آيات القرآن عامة والمكية منها بصفة خاصة.

لذلك فقد ظهرت مؤلفات في القرن الهجري الأول كانت مادتها الأولى تتمثل في تاريخ العرب ما قبل الإسلام، ويلاحظ على هذه المؤلفات أنها اعتمدت على المدونات القليلة التي تم الاحتفاظ بها من العصر الجاهلي، ومنها على سبيل المثال كتاب «أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها» لعبيد بن شرية الجرهمي (ت: ٦٨٦م)، وكتاب «تاريخ الملوك» لوهب بن منبه (ت: ٧٣٢م)، كما ألفت كتب أخرى في علم الأنساب اعتمد فيها على ما تركه سطيح الذئبي (ت: ٤٧٢م) وهذا الرجل كان عرافا وحكيما وعالما بأنساب القبائل والأفخاذ، ولم يكن يعتمد على الذاكرة فحسب في حفظ معارفه ومعلوماته، بل كان يستعين ببعض المدونات المطرسة على وسائل بسيطة وبدائية، منها عظام الأكتاف واللخاف والعسب والأدم (الأدم: نوع من الجلود كانت تدبغ في الطائف قريبا من مكة المكرمة).

ونلاحظ أن قول الله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ (القلم:١) -السطر هو الكتابة- فيه دليل واضح لا يدع مجالا للشك على كون وسائل الكتابة كانت معروفة لدى العرب الذين عاشوا أواخر العصر الجاهلي وبدايات عصر الإسلام (أي منذ شهر أغسطس سنة ٦١٠م)، لذلك اتجه الاهتمام بالكتابة منذ بدء نزول الوحي، ولم تمض إلا أشهر قليلة حتى كان الصحابة رضوان الله عليهم يدونون كل آية تنزل على قلب رسول الله ﷺ، إلى جانب حفظها في الصدور؛ إلا أنه يمكن اعتبار الخليفة الراشد الثاني عمر ابن الخطاب ؓ، هو صاحب الفضل الأول في توجيه العلماء والكتّاب إلى الفيافي والبوادي لتعليم أهل الصحراء القراءة والكتابة، وتشجيع الرواة والعلماء على جمع الشعر القديم والأخبار والحكم والأمثال حفاظا على أهمية الموروث الثقافي وصونه من التلاشي والنسيان والاندثار، ومما يروى أنه كتب إلى المغيرة بن شعبة (ت: ٥٠ هـ) طالبا أن يسأل الشعراء عما نظموه بعد ظهور الإسلام، وفي عهده أيضا تم جمع شعر الأنصار، ولقد شكلت ثلاث لجان، تكفلت الأولى بغربلة علم الأنساب، والثانية اتجهت إلى جمع التاريخ ورواياته وتحقيقها، بينما تكفلت الثالثة بمهمة تدوين البدايات الأولى لأحداث ووقائع التاريخ الهجري، الذي بدأ بعد ثلاثة عشرة سنة من نزول القرآن الكريم الذي نزلت أول آية منه يوم الاثنين ١٠ أغسطس سنة ٦١٠م (السابع عشر أو الحادي والعشرين أو الرابع والعشرين من رمضان على خلاف بين المحققين).

وصفوة القول إن العرب الجاهليين عرفوا الكتابة، لكنها ظلت محصورة في نطاق ضيق ومحدود حيث تعلمها بعض الوجهاء والسادة خاصة للأغراض والأهداف الدينية والتجارية؛ لكن الكتابة انتشرت بعد نزول القرآن على نطاق واسع في البيئة العربية. وهذا يعني أن الإسلام هو صاحب الفضل الأول على العرب -في شتى نجوعهم وأقطارهم- فيما يخص الكتابة والتعلم واكتساب المعارف والعلوم والتعرف على الأمم وما لديها من ثقافة وحضارة.

وليد عبد الماجد كساب
كاتب وقاص - مصر

# زفرة العربي الأخير

تمنى لو باغته الموت قبل أن تأتي هذه اللحظة، جال ببصره في أركان قصره المنيف مودعا، كان يدقق في كل تفاصيله، دارت به الأرض كثمل أثقله الشراب، تشبث بكرسي جاوره، توهم السقف سيخر عليه، تراجع خطوة وتقهقر أخرى، تعثر في بساط وثير، لم يجد من يأخذ بيديه ليقيمه، صرخت أخته ملء «الحمراء»: أضعتنا؛ أضاعك الله أيها المشؤوم، قضيت بحماقتك على أمة، كانت ملء السمع والبصر!

غاص أبو عبد الله محمد بن الأحمر الصغير داخل نفسه، وتجمد لسانه في فمه، لم يقو على النظر إليها، تقدمت نحوه في ثورة غضبها، جثت على ركبتيها الطويلتين، سألته بعصبية: كيف نترك بلدنا لأحفاد الجاهل شارلمان بعد أن صنعنا حضارتها.. ألم يحرموا الاستحمام ويروه خطيئة كبرى حين كنا نضيء شوارع قرطبة فيستضيء الساري بسرجها ثلاثة فراسخ.. فلمن نترك سلاح سرقسطة وطليطلة ومرسية، وجلود قرطبة وحليها، وسجاد رية، وزجاج مالقة، وورق شاطبة، ووشي المرية وجوخها وديباجها، وكتان باجة.. لمن نترك كل هذا أيها الزغابي الغر!

ظل آخر ملوك الأندلس خافضا رأسه، لقد أعطى الموافقة على تسليم غرناطة لفرناندو الخامس وإيزابيلا، ملكي قشتالة وأراجون، لينتهي بذلك حكم المسلمين لهذا البلد.. ليته رضي بالقتل في الأسر حتى لا يرى ذلك اليوم.

في بهو القصر وقفت الجواري والحسرة تملأ عيونهن، كن أكثر من أرغفة الخبز، وأكثر من القناديل المتدلية من السقف الشاهق، حزن الخدم والطباخون، وقف البستانيون ينظرون إلى بقية من حدائق، كانت يوما ذات بهجة، لكنها سنة الله في خلقه، يوم تسر فيه.. وآخر فيه تساء.

كان على آخر ملوك الأندلس التعجيل بالخروج، لقد ثار الغرناطيون مغاضبين بسبب من المعاهدة، إذ تقضي بانتقال ملك بني الأحمر إلى أندرش، ليكون عاملا على «البشرات» لملك قشتالة، يطارده هذا المشهد كثيرا، حين خرج للقاء ملك قشتالة على ضفة نهر شنيل ليسلمه مفتاح الحمراء، قالوا إنه ترجاه أن يسد الباب الذي سيخرج منه ليكون آخر من يجوزه، يقولون أيضا إنه لما رأى فرناندو هم بترك جواده والترجل، ولكن الملك المنتصر أبى ذلك وعانقه.. ترى هل كان يشكر له صنيعه.. أم كان يمعن في السخرية منه؟!

نكس آخر الملوك رأسه، وسكت قليلا ليستجمع أنفاسه، ثم قال لفرناندو: «إن هذه المفاتيح هي الأثر الأخير لدولة العرب في إسبانيا، وقد أصبحت أيها الملك سيد تراثنا وديارنا وأشخاصنا، هكذا قضى الله؛ فكن في ظفرك رحيما عادلا»، ثم سارا إلى حيث كانت إيزابيلا فحياها، وسرعان ما لحق بأسرته.

في بهو السباع، جفت مياه النافورة إلا من قطرات متباعدة، تساقطت على استحياء كدموع حرى، من عين امرأة مكلومة، أصبح القصر كطلل بال قديم، لقد هرم هو الآخر، اعتلت زهور حديقته الغناء، وهجرتها الطيور المغردة، وخلفتها الغربان فعششت، وصارت تنعق في أنحاء قصر كان يوما رمزا للفخار، أما الأسود الاثنا عشر؛ فمنذ نحتت من الحجر وهي فاقدة للحياة.

وقف زيدون يرقب المحتفلين من بعيد، كانت ضربات قلبه تدق كطبول الحرب، دخلت إيزابيلا القصر منتفشة في زهو، وخلفها جروها الأحمر لاهثا، لمعت عيناه كوبر شنترين الذهبي، لم يكن يحلم بهذا اليوم الذي يغادر فيه العرب بلا رجعة، عزفت الموسيقى فطار آخر عصفور، حتى الغربان انزعجت هي الأخرى، دخل الهمج القصر فعاثوا به، تعالت ضحكاتهم.. قهقهوا.. شربوا.. ثملوا.. وحق لهم؛ فالتاريخ لا يعترف إلا بمن غلب، والغالب هو من يكتبه، ولولا تفرق المسلمين وتشرذمهم، وموالاة الأعداء، وتكفل بعضهم بالقضاء على بعض ما كانوا ليتساقطوا كالبعوض في النار، ولولا العصبية المقيتة، ولولا الدسائس والخونة لكان لهم شأن آخر.

وقف كريستوفر كولمبس منتشيا يهز رأسه، انبعثت الهتافات من جموع المحتفلين: «أنت الرب.. الحمد لك». سالت دموع زيدون فحرقت

خديه، وهوت دمعة على الأرض فخشعت، حمل على ظهره ما تبقى من قديد وزيت زيتون، وقطعة من جبن غرناطة، وجوزة من أشجارها، ومفتاح بيت أضحى أثرا بعد عين، ترك حمراءه التي ساس فيها خيوله العربية، أتراها تتأبى على غير أصحابها.. أم تخضع هي الأخرى لتعيش.. لتعيش فحسب؟!
منذ أيام وأمه لا تتكلم، صامتة ترفض الطعام والشراب، تندب حظ أمة عثرا، تقول في نفسها: ليتني مت قبل هذا، لمن نترك بلاد الآباء والجدود! كان كل من حولها يستنطقونها؛ لكنها اختارت الاتشاح بالصمت والسواد.
على مقربة منها، وفوق ربوة عالية قريبة منها، وقف ولدها آخر ملوك غرناطة، أطل على قصر الحمراء، كان رغم كل شيء يبدو شامخا، ظللته سحابة سوداء ذهبت ببهجته، رأى الرايات يراودها الهواء فتتراقص كاللهب، لمح بجانبها صليبا فضيا عاليا، سمع الأجراس تدق دون هوادة، تحسر على مجده، ومجد أمته الذي ولى، تذكر تلك الليالي الصاخبة، ندم على ما فرط في جنب دينه وأمته، كان بوسعه أن يحافظ على غرناطة، آخر أمل للمسلمين في الأندلس.. لكنها الخيانة والحماقة!
بكى.. بكى بحرقة.. ارتفع نحيبه، تجاوب معه كل من حوله، إلا أمه عائشة الحرة، نظرت إليه نظرة خلعت قلبه، أطلقت صيحة صدعت جدران الصمت: «فلتبك كالنساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال» نكس الصغير رأسه من جديد، ثم أطلق زفرته الأخيرة في هذا المكان، لا يزال الإسبان يطلقون عليه «زفرة العربي الأخيرة»، وجاوز بأهله البحر قاصدا بلاد المغرب، وكتب إلى ملك فاس السلطان محمد شيخ بني وطاس معتذرا عما وصل إليه حال الأندلس: «اللهم لا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ولكني مستقيل، مستنيل، مستغيث، مستغفر؛ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء... ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا، عن أرض ورثها من شاء من عباده معقبا لهم ومديلا، وسادلا عليهم من ستور الإملاء الطويلة سدولا، سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا. فليطر الطائر الوسواس المرفرف مطيرا، كان ذلك في الكتاب مسطورا. لم يستطع غير مورده صدورا. وكان أمر الله قدرا مقدورا»؛ فقبله السلطان فاستقر بها، ومات فافتقر نسله من بعده، حتى رؤي بعضهم يعيش على الصدقات، وسبحان من ينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، وتلك الأيام نداولها بين الناس.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

# وجبة إضافية



كما وعد أولاده، ما أن تسلم حسن علاوته التي انتظرها طويلا حتى أخذهم إلى واحد من أرقى المطاعم في المدينة لتناول وجبة غداء، فقط وجبة غداء مميزة كانت أمنيتهم الوحيدة، رغم ثقل الأمر عليه وعلى ميزانيته المتواضعة؛ لكنه لم يقوَ على تجاهل إلحاح أطفاله.

في اليوم المحدد اصطحبهم بعد أن ألبسهم أفضل ما لديهم، اختار طاولة تطل على الشارع وتحلقوا حولها ضاحكين، مر بعض الوقت قبل أن يطلبوا وجبتهم ووقت أطول قبل أن تصل إليهم، خلال دقائق الانتظار تململ الأولاد كثيرا، وثرثروا أكثر، ولم تتوقف عيونهم عن التحديق فيما حولهم انبهارا وإعجابا، وحين وصل الطعام انكبوا على أكلهم، ولم يعد يصدر منهم إلا أصوات الملاعق وهي تلامس الأطباق، وصوت الضغضغة وهم يمضغون طعامهم بتلذذ.

ابنته الصغرى فقط من ظلت تحرك ملعقتها في صحنها دون أن ترفعها إلى فمها، حدق فيها مليا، قبل أن يدرك أنها تنظر مطولا عبر الجدار الزجاجي الذي يفصلهم عن الشارع.

«ما بال ابنتي الجميلة لا تأكل؟» سأل هامسا!

حولت وجهها نحوه قبل أن تهز رأسها نفيا راسمة على شفتيها ابتسامة خجلى

«هل الطعام سيئ؟» سأل مجددا

«إنه لذيذ» أجابت قبل أن تعاود شرودها

أخيرا نظر عبر الزجاج، حيث تركز

كل اهتمامها، ورآهما هناك؛ طفلان أحدهما فتاة بعمرها، والآخر طفل يكبرها بعام أو عامين، انزويا متلاصقين تحت عمود إنارة في الجهة المقابلة من المطعم، نظر مجددا نحو ابنته فلاحظ نظرة حزن تطفو في عينيها

«هل أطلب لهما الطعام؟» سألها

حولت نظرها نحوه بسرعة قبل أن تومئ برأسها راسمة على شفتيها ابتسامة عريضة.

«حسنا!» قالها وهو يخرج محفظته ليتأكد مما لديه

أشار لأحد العاملين في المطعم، وعندما أصبح واقفا أمامه قال له:

«أريدك أن تضيف طلبين وتضعهما في كيس» نظر نحوها ثم استوقفه قائلا:

«بل أريد كرسيين إضافيين لهذه الطاولة وأحضر الوجبتين هنا إذا تكرمت»

ابتسم لابنته وسط استغراب بقية الأولاد ثم ترك مقعده وخرج، قطع الشارع المزدحم واقترب من الطفلين، جلس مقابلهما، تأملهما للحظاتٍ قبل أن يبادرهما راسما ابتسامة حانية على شفتيه قائلا: «هيا معي»

«إلى أين؟» سأل الصبي بعدائية وهو يمسك بأخته.

«لنأكل» قال وهو يشير إلى المطعم، ثم أكمل «تلك الصغيرة ابنتي وهي تدعوكما لتناول الطعام معها، فهل ترفض دعوتها!»

وقف عائدا إلى المطعم، مشيرا لهما أن يتبعاه، وبعد تردد مشيا بعده بخطوات متعثرة، أخذهما للحمام وساعدهما على غسل أيديهما ووجهيهما، ثم أجلسهما رفقة أطفاله على الطاولة، راقبتهما ابنته حين صارا يجلسان في الجهة المقابلة لها، غمرتهما بابتسامة عذبة قبل أن تنكب على طعامها بنهم.

بعد أن أكمل الجميع طعامهم، طلب منهم انتظاره في الخارج بينما ذهب هو ليدفع حساب المطعم

«فاتورتك مدفوعة يا سيدي» قال العامل بتهذيب

«ماذا؟!»

«الحساب مدفوع بالكامل»

«لكني لم أدفع بعد!»

«السيد في الطاولة التي بجانبك دفع الحساب» قالها العامل وهو يشير نحو إحدى الطاولات.

حين التفت إلى الجهة المعنية، أصيب بالدهشة وهو يشاهد مديره في العمل يقترب منه، سلم عليه وقبل أن يتحدث بادره المدير:

«يا إلهي! هل صرفت العلاوة التي انتظرتها ثلاثة أعوام على وجبة غداء واحدة؟»

«رغبة الأولاد، لم أستطع تجاهلهم»

«أها ... حسنا»

«لكن ...»

«هل تدري أنا آتي إلى هنا بانتظام، أحيانا وحدي وأحيانا رفقة أطفالي، وأختار طاولة تطل على الشارع لكن ولا مرة انتبهت للأطفال الجالسين في الخارج، وأنت من أول زيارة لك قمت بدعوتهم»

«حتى أكون صادقا معك كانت ابنتي من فعلت»

«كنت قريبا منكما ورأيت كل شيء، ما رأيك أن تأخذ الأطفال ولتمضوا وقتا ممتعا بقية اليوم»

«والفاتورة!»

«دفعتها، كما طلبت من المطعم أن يوفروا للطفلين وجبة غداء كلما كانا بالقرب من هنا ويضيفوها على حسابي»

«لماذا؟!»

«لتطمئن ابنتك الآن عليهم، هيا، الجميع بانتظارك، فلا تتأخر»

حين اجتمع بالأولاد على الرصيف كانوا يعربون عن إعجابهم بوجبة الغداء.

«يبدو أن الحظ حليفنا هذا اليوم» بادرهم، كما أكمل «هيا بنا»

«إلى أين؟» سألته ابنته وهي تمسك بيد الطفلة

« لنشتري معاطف جديدة»

«لنا جميعا»

«وهل قلت غير هذا؟!»

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٠)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

**الحمد لله رب العالمين.**
**وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛**
**فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.**

### المتفق والمفترق في اسم «الهروي»:

**١- أبو عبيد الهروي (ت:٢٢٤هـ):**

هو أبو عبيد القاسم بن سلّام (بتشديد اللام) الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء، الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه.

ولد بهراة سنة: (١٥٧هـ) وتعلم بها، وكان مؤدبا، ورحل إلى بغداد، ثم إلى مصر فسمع الناس من كتبه.

من مصنفاته: «غريب الحديث»، وهو أول من صنف في هذا الفن، و«الطهور» في الحديث، و«أدب القاضي»، و«فضائل القرآن»، و«المذكر والمؤنث»، و«المقصور والممدود» في القراءات، و«الأموال»، و«الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته» وغيرها من المصنفات.

توفي في مكة حينما حج في آخر عمره[١].

**٢- أبو محمد الهروي (ت:٣١١هـ):**

هو أبو محمد عبدالله بن عروة الهروي، من حفاظ الحديث.

من مصنفاته: «الأقضية»[٢].

**٣- أبو عبيد الهروي (ت:٤٠١هـ):**

هو أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبدالرحمن الباشاني الهروي، باحث وأديب.

من مصنفاته: «كتاب الغريبين» (غريب القرآن وغريب الحديث)، و«ولاة هراة».

توفي بمكة[٣].

**٤- أبو المظفر الهروي (ت:٤١٤هـ):**

هو أبو المظفر محمد بن آدم بن كمال الهروي، عالم بالأدب.

من مصنفاته: «شرح الحماسة»، و«شرح المتنبي»، و«شرح الإصلاح»، و«شرح أمثال أبي عبيد».. وغير

ذلك.
توفي بغتة[٤].

**٥- أبو الحسن الهروي (ت:٤١٥هـ):**
هو أبو الحسن علي بن محمد الهروي، عالم باللغة والنحو، من أهل هراة.
من مصنفاته: «الذخائر في النحو»، و«الأزهية في علم الحروف»، و«المرشد في النحو»، و«المذكر والمؤنث».. وغيرها من المصنفات[٥].

**٦- أبو سهل الهروي (ت:٤٣٣هـ):**
هو أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي، لغوي، نحوي، أديب.
ولد في شهر رمضان سنة: (٣٧٢هـ).
كان رئيس المؤذنين بجامع عمرو بن العاص بمصر.
من مصنفاته: «إسفار الفصيح» شرح فصيح ثعلب، ومختصره وسماه: «التلويح في شرح الفصيح»، و«أسماء الأسد»، و«أسماء السيف».
توفي بمصر[٦].

**٧- أبو ذر الهروي (ت:٤٣٥هـ):**
هو أبو ذر عبدالله بن أحمد بن محمد الهروي، حافظ للحديث، من علماء المالكية، أصله من هراة.
ولد سنة: (٣٥٥هـ)، قام برحلة واسعة، وجاور بمكة أكثر من ٣٠ سنة.
من مصنفاته: «مسانيد الموطأ»، و«فضائل مالك بن أنس»، و«بيعة العقبة»، وكتابان في شيوخه، أحدهما في «من روى عنه الحديث»، والثاني في «من لقيه ولم يرو عنه»، و«الخصال في فروع الفقه».
توفي بمكة[٧].

**٨- أبو سعد الهروي (ت:٤٨٨هـ):**
هو أبو سعد محمد بن أحمد بن أبي يوسف الهروي، فقيه شافعي، من أهل هراة.
من مصنفاته: «الإشراف في شرح أدب القضاء» للعبادي، وهو شرح مفيد، بالغ الروياني في الاعتماد عليه.
قتل شهيدا مع ابنه في جامع همدان[٨].

**٩- أبو إسماعيل الهروي (ت:٤٨١هـ):**
هو أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي الحنبلي، شيخ خراسان في عصره، من ذرية الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري.
ولد سنة: (٣٩٦هـ).
من مصنفاته: «ذم الكلام وأهله»، و«الفاروق في الصفات»، و«كتاب الأربعين» في التوحيد، و«كتاب الأربعين» في السنة، و«منازل السائرين)، و«سيرة الإمام أحمد بن حنبل».. وغيرها من المصنفات[٩].

**١٠- أبو سعيد الهروي (ت:٥٣٧هـ):**
هو أبو سعيد عبدالمجيد بن إسماعيل بن محمد القيسي الهروي، قاضي بلاد الروم، من فقهاء الحنفية.
له مصنفات في الفروع والأصول وخطب ورسائل، وكتاب «الإشراف على غوامض الحكومات».
توفي بقيسارية، وقد أتى على الثمانين[١٠].

**١١- أبو الحسن الهروي (ت:٦١١هـ):**
هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي، رحالة، مؤرخ،.
ولد بالموصل، طاف البلاد، وكان له في حلب رباط.
من مصنفاته: «الإشارات إلى معرفة الزيارات من صحيح الروايات»، و«منازل الأرض ذات الطول والعرض»، و«الخطب الهروية»، و«التذكرة الهروية في الحيل الحربية»، و«رحلته».. وغيرها من المصنفات.
توفي بحلب[١١].

**١٢- أبو عبدالله الهروي (ت:٨٢٩هـ):**
هو شمس الدين أبو عبدالله، محمد بن عطاء الله بن محمد الرازي الهروي، قاض، من فقهاء الشافعية، من ذرية الفخر الرازي.
ولد بهراة سنة: (٧٦٧هـ) أمن مصنفاته: «فضل المنعم، في شرح صحيح مسلم»، و«شرح تلخيص الجامع» في فقه الحنفية، و«شرح مشارق الأنوار» للصاغاني.
توفي بالقدس[١٢].

---

**الهوامش**

١. ينظر تذكرة الحفاظ (٥/٢)، وتهذيب التهذيب (٣١٥/٧)، وبغية الوعاة (٢٥٣/٢)، والأعلام للزركلي (١٧٦/٥).
٢. ينظر الأعلام للزركلي (١٠٣/٤)، ومعجم المؤلفين (٨٢/٦).
٣. ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣٤/٣)، والأعلام للزركلي (٢١٠/١)، ومعجم المؤلفين (١٥٠/٢).
٤. ينظر سير أعلام النبلاء (٣٠٣/١٥)، والأعلام (٢٩٢/٥)، ومعجم المؤلفين (٣٥/٩).
٥. ينظر بغية الوعاة (٢٥٣/٢)، والأعلام للزركلي (٣٢٧/٤).
٦. ينظر الوافي بالوفيات (١٢٠/٤)، والأعلام للزركلي (٧٧/٥)، ومعجم المؤلفين (٦١/١١).
٧. ينظر الأعلام للزركلي (٦٦/٤)، ومعجم المؤلفين (٣٢/٦).
٨. ينظر الأعلام للزركلي (٣١٦/٥)، ومعجم المؤلفين (١٦٧/٢).
٩. ينظر الأعلام للزركلي (١٢٢/٤).
١٠. ينظر الفوائد البهية (ص:١٢٢)، والأعلام للزركلي (١٤٨/٤)، ومعجم المؤلفين (١٦٧/٦).
١١. ينظر الأعلام للزركلي (٢٦٦/٤)، ومعجم المؤلفين (٤٧/٧).
١٢. ينظر الوافي بالوفيات (١٩٨/١٢)، والأعلام للزركلي (٢٦٩/٦)، ومعجم المؤلفين (٢٩٣/١٠).

د. ناجي عبدالله الخرس
إمام وخطيب
الكويت

# ثبات الرسول ﷺ في الشدائد

إن أسمى شيء تضرب به الأمثال ويجند لذكره اللسان والمقال سيرة خير البرايا عالي الأخلاق والمزايا نبينا محمد ﷺ كريم الخصال والسجايا، وسنشير إلى بعض خلقه الكريم إشارة ونرفع لسمته الجليل منارة، فإن شمائله الفاضلة لا يحصيها كتاب، وأخلاقه الطيبة لا يحويها خطاب، حتى قال القائل: إن من يحاول أن يكتب عن أخلاق النبي ﷺ، كمن يريد أن يجمع محيطات البحار في كفيه[١]، فصلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين. فما ظنكم به وهو الموصوف في كلام الله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤). وحين سئلت زوجه عائشة، رضي الله عنها، عن خلقه قالت: كان خلقه القرآن، أي صار امتثال القرآن؛ أمرا ونهيا، سجية له وخلقا، فكان أحسن الناس طبعا ومنطقا.

وعن اتصافه ﷺ بامتلاك أمهات الأخلاق الطيبة ففي ذلك الكثير الذي يمكن أن يقال، فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس (أحسن الناس: صورة وسيرة، لأن الله تعالى أعطاه كل الحسن والجود. والجود هو إعطاء ما ينبغي أن يعطى، ومعناه أنه ﷺ أكثر الناس سخاء بما ينفع. ومعنى أشجع الناس أي أقواهم قلبا في حال البأس)، واقتصار أنس رضي الله عنه على هذه الأوصاف الثلاثة من جوامع الكلم لكونها أمهات الأخلاق[٢]. ففي كل إنسان ثلاث قوى، هي: الغضبية وكمالها الشجاعة؛ والشهوانية وكمالها الجود؛ والعقلية وكمالها النطق بالحكمة.

لقد واجه الرسول ﷺ من الفتن، والأذى، والمحن ما لا يخطر على بال، حتى قال: لقد أخفت في الله وما يخاف أحدٌ ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحدٌ. ولذلك استحق المقام المحمود، والمنزلة الرفيعة عند ربه. وقد صبر على ما أصابه؛ إشفاقا على قومه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة من العذاب، ولكي يكون قدوة للدعاة

**واجه الرسول الكريم من الأذى والفتن ما لا يخطر على البال**

والمصلحين. وتلك سنة الله في أصحاب الدعوات، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا.. اشتد بلاؤه، وإن كان في دينة رقة ابتلي على حسب دينه لا يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة[٣].

### «أنا النبي لا كذب»

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال وقد سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟ فقال البراء: ولكن رسول الله لم يفر. وكانت هوازن يومئذ رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فاستقبلونا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله على بغلته البيضاء، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها، وهو يقول (يعني رسول الله): «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب». قال البراء: كنا والله إذا اشتد البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به (يعني

النبي ﷺ). وقد ثبت مع النبي ﷺ قريب من مئة، وقيل: ثمانون[٤].

وللحديث جملة فوائد، فهو يشير إلى أن ثبات القائد في المعركة أدعى لأتباعه على الثبات، وإعلام القائد عن نفسه في المعركة فيه حث للناس على الثبات وإرهاب العدو، والمبالغة في الشجاعة والافتخار بالإباء مندوبان إذا كان فيهما مصلحة كما في الحرب.

ولأنه اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبدالمطلب رجل يدعو إلى الله ويكون خاتم الأنبياء، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان يعرفه. فيجوز في الحرب ما لا يجوز في غيرها. كما فعل بعض الصحابة كحمزة بن عبدالمطلب وأبو دجانة والزبير في بدر حين جعل على رأسه عمامة صفراء، ولهذا يجوز لبس الحرير لإغاظة العدو. ومما يدل على شجاعته أن العباس وأبا سفيان بن الحارث أخذا بلجام بغلته وركابها يكفانها عن الإسراع والتقدم إلى العدو. ومما يدل على شجاعته وثباته كذلك أنه لما أحاط به المشركون نزل من بغلته وقال: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب». وفيه جواز الأخذ بالشدة والتعرض للهلكة في سبيل الله إذا كانت المصلحة تدعو إلى هذا، خصوصا من كان قدوة ويعلم من نفسه الإخلاص. وفي ركوب البغلة إشارة إلى مزيد ثبات، لأن ركوب الفحولة منع لمظنة الاستعداد للفرار والتولي.

في موقف آخر، يقول أنس رضي الله عنه: ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت،

## كان النبي قدوة في الصبر وتحمل المشاق

فاستقبلهم النبي ﷺ (وقد سبق الناس إلى الصوت)، وهو يقول: لن تراعوا.. لن تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عري، ما عليه سرج، والسيف في عنقه، فقال: لقد وجدته بحرا. قوله البحر مقصود به الفرس الجواد السريع.

في هذا الحديث بيان لشجاعته ﷺ وشدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم وهو واحد، بحيث كشف الحال، واستبرأ الخبر، ورجع قبل وصول الناس. وركوبه الفرس من دون سرج سببه استعجاله لمعرفة مصدر الصوت، وهذا يدل على تحمله وصبره على المشاق، وكل ذلك دون أن يكلف أحدا.

وعن أنس بن مالك قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء (رواه البخاري).

### موت إبراهيم

ومما يروى كذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: دخلنا مع رسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك، وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله. فقال: يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى، فقال: إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[٥].

وفي هذا الحديث ندرك مبلغ رقة قلب الرسول ﷺ في تقبيل وشم ابنه وقت مرضه، وبكاؤه لما رأى إبراهيم يجود بنفسه (أي يحتضر عند الموت)، وفي حزن قلبه لما مات ابنه إبراهيم وأعلم أصحابه بهذا الحزن، فقال ﷺ: «وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون». ففي هذا ما يشير إلى أدبه مع الله عزوجل، حيث إنه ﷺ لم يقل مع حزنه الشديد أي كلمة تدل على جزعه وعدم صبره، بل قال: «ولا نقول إلا ما يرضي ربنا». فبكاء العين وحزن القلب عند نزول المصائب لا يقدحان في إيمان العبد وتسليمه بقضاء الله وقدره. فائدة أخرى ندركها، أن أولاد الرسول ﷺ سبعة وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة.

من هذه المآثر الكثير مما يروى عن رسول الله ﷺ، عرضنا لبعضها لنبين جانبا منها وهو شجاعته وثباته في الشدائد، فاللهم اجعلنا ممن يعتبرون.

### الهوامش

١- القائل هو إبراهيم محمد السلقيني.
٢- راجع المواهب.
٣- رواه الترمذي حديث رقم ٢٤٧٢، وابن ماجه رقم ١٥١، وفي مختصر الشمائل رقم ١١٥.
٤- مسند مسلم رقم ٤٥٧٢.
٥- رواه البخاري، ج٣، ص١٣.

د. عمرو محمد الكمار
باحث دراسات إسلامية
مصر

# زواج القاصرات..

**تعتري الزواج أحكام الشريعة التكليفية الخمسة، وقد يصل حكمه إلى الوجوب في حق من قدر عليه، وتاقت نفسه إليه وخشي العنت (الزنا)، لأن صيانة النفس وحفظها من الوقوع في الحرام واجب، ولا يتم ذلك إلا بالزواج. وقد اتفق الفقهاء على مشروعية الزواج، حيث قال الله عزوجل: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ (النور:٣٢)، وقال النبي ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج» (رواه البخاري).**

قال القرطبي، رحمه الله: «المستطيع الذي يخاف الضرر على نفسه ودينه من العزوبة لا يرتفع عنه ذلك إلا بالتزويج، لا يختلف في وجوب التزويج عليه. أما من كان تائقا له وقادرا عليه، ولكنه يأمن من اقتراف ما حرم الله عليه فإن الزواج في حقه مستحب».

ولا شك أن تزويج الفتاة الصغيرة القاصرة التي لا تقوى على الزواج يعد من الممارسات والعادات الخاطئة التي يجب التصدي لها، ولقد أوضح الإسلام المقاصد التي لابد أن يقع الزواج في إطارها، ففي الزواج منفعة يجب أن تحصل دون وقوع ضرر أكبر منها، ولا شك أن محاولة الرجل الاستمتاع بوطء طفلة قاصر أو التحرش بها هو أمر تأنف منه

**النبي لم يدخل بالسيدة عائشة إلا بعد بلوغها مبلغ النساء**

النفس البشرية السوية، فكيف يرضاه الإسلام دين الرحمة والسماحة.

وفي الزواج تؤسس الأسرة وهي الحاضنة الطبيعة لتخريج الرجال والنساء الصالحين، لذلك لابد من وجود القيم القادر على رعاية هذه

**الاستطاعة وتحمل العلاقة الزوجية شرط للدخول بالصغيرة**

الأسرة، فرسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها»... فهذا الزواج الذي يجعل فتاة قاصر مسؤولة عن بيت وأسرة وزوج، وهي في الواقع قد لا تحسن التصرف في القيام بأمر نفسها ويترتب على ذلك تقصير ومفاسد، يسأل عنه أولا وليها الذي فرط فيها، وزوجها الذي قام بهذه المهزلة، ثم كل من رضي وشارك في ذلك من مأذون وشهود.

### أحكام زواج الصغيرة

ومن الأمور التي يجب أن تدرك هو أن الأحكام التي تحيط بزواج

الصغيرة عقدا ودخولا إنما هي خاصة بيئتها، وظروفها وأعرافها الاجتماعية في كل عصر ومصر، فما كان سائغا في زمان قد يكون منكرا في غيره، فقديما كانت البيئات الطبيعية، خاصة الصحراوية، قادرة على إنبات الأجسام بصحة وعافية، مع سرعة نموها واكتمالها في سنوات قليلة، فيبلغ الولد مبلغ الرجال وتبلغ البنت مبلغ النساء في سن مبكرة.

أضف إلى ذلك ما عرف قديما من حفظ العهد وكمال المروءة والنخوة والرجولة، فلم يكن يعقل أن يقدم رجل على الزواج بقاصر لأجل متعة، ولا يتصور أن رجلا يزوج فتاته الصغيرة لأجل المال، فكانت الحقوق محفوظة، واختيارات الزواج إنما هي للأكفاء وأساسها النخوة والمروءة، ولا يدخل الزوج بزوجته إلا إذا بلغت مبلغ النساء في جسدها وعقلها.

### اختلاف الزمان

أما في مجتمعاتنا المعاصرة الآن، لا يتوافر جل ذلك، فقد قلت النخوة والمروءة عند كثير من الآباء، وربما باع الأب عرضه لأجل عرض زائل من الدنيا، وانتشرت الدناءة والخسة بين الناس، فقد يعمد بعض الأثرياء إلى استغلال حاجة الفقراء فيلجأون إلى الزواج من بناتهم الفقيرات في عملية أقل ما توصف بأنها «اتجار بالبشر»، وغالبا ما تنتهي هذه العلاقة الزوجية بعد فترة وجيزة عندما يقضي هذا الثري وطره من الفتاة الصغيرة، فتصير مطلقة، أو امرأة معيلة وهي في الواقع لا تزال في سن الطفولة.

**زواج الصغيرة يرتبط بالظروف والأعراف الاجتماعية لكل عصر**

أيضا فقد ضعفت الحالة البدنية والصحية وأصبح الخلق في نقصان، فالفتاة بنت العشرين الآن ربما تشبه فتاة في عمر الحادية عشر قديما، وفي الحديث يقول ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت» (متفق عليه)، فدل الحديث على أنه لا بد من أخذ إذن البنت البكر عند الزواج، وهذا يتطلب أن تكون بالغة راشدة، حتى يتسنى أخذ إذنها ومشورتها، وهو ما لا ينطبق على القاصر الصغيرة.

### استدلال باطل

وقد درج المتاجرون بهذا النوع من الزواج على الاستدلال بزواج النبي ﷺ بالسيدة عائشة، وهذا الاستدلال هو كلمة حق أريد بها باطل، فالنبي عقد على أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها – ولم يدخل بها إلا حينما بلغت مبلغ النساء وأصبحت تطيق الحياة الزوجية حسب طبائع وعادات الناس آنذاك، فهناك فرق بين العقد والدخول؛ فالأول: عملية إجراء العقد والتي يوضح فيها الفقهاء أنه لا يجوز للرجل أن يعاشر هذه الصغيرة حتى تبلغ وتستطيع تحمل تبعات هذه العلاقة. والثاني: الدخول بالزوجة ومعاشرتها معاشرة الأزواج وتحملها تبعات هذا الزواج ويعبر عنه أيضا بلفظ البناء.

**إقدام بعض الأثرياء على الزواج بقاصرات فقيرات اتجار بالبشر**

وقد جعل الفقهاء الاستطاعة شرط التمكين فلا يجوز لرجل أن يدخل بصغيرة ما لم تستطع تحمل تبعات هذه العلاقة الزوجية. يقول ابن عابدين والرملي وغيرهما: «وقد صرحوا عندنا بأن الزوجة إذا كانت صغيرة لا تطيق الوطء لا تسلم إلى الزوج حتى تطيق».

### تقييد المباح

لقد اتفق الفقهاء على وجوب طاعة ولي الأمر في تقييد المباح إذا تعينت فيه المصلحة أو غلبت، عملا بالقاعدة الفقهية التي تقول: «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»؛ فلولي الأمر سلطة سن قوانين يمنع فيها الناس مما كان مباحا لهم في وقت سابق، فالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع رجوع الرجل لامرأته إذا طلقها ثلاثا في مجلس واحد، رغم أنه كان من الجائز أن يعود إليها في السابق، وذلك حفاظا منه على مصلحة الرعية لما رأى كثرة تلاعب الناس بالطلاق فأراد أن يؤدبهم وأن يحافظ على كيان المرأة والأسرة. وأسقط الفاروق، أيضا، حدا من حدود الله تعالى عام المجاعة اعتبارا لأحوال الناس ومصالحهم ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ذلك، وبالتالي لا ينبغي مخالفة أمر ولي الأمر ما دام يصب في مصلحة الناس.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي



# أثر العولمة على العلاقات الأسرية

تعتبر الأسرة في مجتمعاتنا العربية من أهم النظم الأساسية التي تؤثر في تشكيل البناء الاجتماعي واستمراره وفعاليته، وتأتي هذه الأهمية من كون الأسرة مؤسسة التنشئة الاجتماعية التي تعمل على غرس القيم ونقل التراث الثقافي للمجتمع من جيل إلى آخر.

ومما لاشك فيه أن الأسرة تمر بتحولات سريعة في الوظائف والأدوار والعلاقات الاجتماعية نتيجة لتأثيرات العولمة التي أصبحت متغيرا جديدا تواجهه الأسرة اليوم، كما أن هذه التغيرات أفرزت أنماطا جديدة من السلوك والقيم والعادات غير المألوفة للأسرة، ما أدى إلى تعرضها إلى مجموعة من المشكلات المختلفة، وظهرت بوادر ضعف العلاقات الأسرية الداخلية، وعلاقات القرابة بسبب تحولات العولمة وتأثيرها في أسلوب الحياة بشكل عام والأسرة بشكل خاص.

لقد أصبحت العولمة تشمل كل جوانب الحياة البشرية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية والإعلامية، وسيطرت تقريبا على كل المجتمعات، وقد استهدفت العولمة الأسرة باعتبارها نواة المجتمع الأولى، ومرآة التغيير فيه.

إن العولمة تسعى إلى تغيير العادات والتقاليد التي تحافظ على بقاء الأسرة والمجتمع وتماسكهما، وأصبح لها تأثيرات متعددة على الحياة الأسرية نذكر منها ما يلي:

- تأثر ثقافة الزوجين بالمفاهيم والأفكار التي تنتقل عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وما ينتج عن ذلك من تداعيات على العلاقات الزوجية سواء على الجانب المادي أو المعنوي.
- تأثر ثقافة أفراد الأسرة من الناحية الاقتصادية؛ حيث ازداد السلوك الاستهلاكي باقتناء السلع الكمالية باعتبارها من الضرورات الحياتية.
- جعلت العولمة الأسرة غير قادرة على القيام بأدوارها الأساسية في التنشئة الاجتماعية بفعل



## العولمة أضعفت التماسك الأسري وعززت الفردية

التطور السريع في مجالات الحياة المختلفة، ووجود مؤسسات أخرى تتولى هذا الدور.

### الأسرة والمجتمع

لقد أدى الانتشار السريع للعولمة وتأثر المجتمعات بها إلى ضعف التماسك الأسري، وتعزيز النزعة الفردية، علاوة على التهوين من شأن القدوة الصالحة واتباع السلوكات الاجتماعية الحميدة في العلاقات داخل الأسرة والعائلة، وتحلل القيم الأخلاقية بين أفراد الأسرة؛ كالاحترام والطاعة وحقوق الآباء على الأبناء وافتقاد مبدأ التآزر والتضامن الاجتماعي بين أفراد الأسرة.

لقد غيرت العولمة المرجعية التي تشكل تحولا حضاريا في علاقة الأجيال بعضها البعض، حيث أصبح الجيل الجديد يتنافس مع جيل الكبار بعد أن كان يتخذ منه مرجعا، ونموذجا، وينخرط في نفس دروبه الحياتية في العمل والسلوك والتوجهات.

وأصبح الشباب هم مرجعية الكبار في العديد من مناحي الحياة؛ فالمراهق بات نابغة الأسرة في مجال الحاسوب والتعامل معه، وفي المجال المعرفي، والنشاط المهني، وأضحى الأبناء هم الذين يحددون كيفية قضاء الأسرة لأوقات الإجازات الخاصة بها، وتحول الكبار إلى مجاراة الشباب في المظهر والملبس والأذواق وممارسة الهوايات.

إن القيمة الاجتماعية للكبار تحولت في عصر العولمة من الاقتداء بالكبار واتباع تفضيلاتهم بصفتهم المثل الأعلى للأجيال الصاعدة إلى قيمة الشباب وحيويته، وما كان يعده بعض الكبار سلوكا مذموما أصبح غاية مرغوبة يبذل الجهد في سبيل الوصول إليها، بل إن الأمر وصل في بعض الأحيان إلى حد سعي الكبار لنيل رضا الصغار بعد أن كان العكس هو المعيار.

لقد تبدل ترتيب المكانات بين الكبار والشباب في الأسرة من علاقة فوقية، إلى علاقة أفقية، ومن علاقة مرجعية ووصاية إلى علاقة تكافؤ وتشاور وتحاور..

إن العولمة أدت إلى تحول اجتماعي عميق يجري بصمت، ولكن بشكل مؤكد؛ خصوصا في علاقات الوالدين بالأبناء والعلاقات المؤسسية والمجتمعية بشكل عام.

عادل محمد أبو الهيثم
باحث دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

# ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف

**الحياة الزوجية جنة وارفة الظلال، إذا تبارى كل من الزوجين في إسعاد الآخر، وبذل الجهد في سبيل دوام تلك السعادة، حتى تظل ترفرف بأجنحتها على ذلكم البيت. رسمت السنة النبوية كيف يعامل الزوج زوجته، ليصل الرجل بزوجته إلى شاطئ أمان الحياة الزوجية، وذلك من خلال محفزات عاطفية، من شأنها أن تؤدم بينهما، فالعواطف لها إشراقات في نفوس الباذل لها والمتلقي. وبيوتنا، في الغالب، تعاني من جراحات أسرية ينزف منها القلب، وربما هددت البيت بموت أو ضعف، لذا لابد من تجديد للخطاب الأسري، فما أكثر البيوت المتشرذمة، التي تنافرت بسبب خشونة المقال وقلق البال، فأوشكت على الانهيار، فمنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر؛ لابد من وفرة محفزات نمو لعاطفة الزوجية، محفزات من شأنها تقوية أواصر العاطفة.**

### ومن هذه المحفزات:

### ١- أن يبتسم في وجهها:

فالابتسامة أقصر طريق لكسب القلوب، وأعظم مفتاح لهداية الفؤاد، وأقرب باب يوصل إلى مرضاة النفوس، قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»[١]. والزوجة أولى بتبسم زوجها، قال ابن عيينة: والبشاشة مصيدة المودة، والبر شيء هين، وجه طليق، وكلام لين. وقال بعض العارفين: التبسم والبشر من آثار أنوار القلب.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩﴾ (عبس:٣٨-٣٩)[٢].

«وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك»[٣].

### ٢- مؤانسة الزوجة وملاعبتها ومداعبتها:

#### ولها صور متعددة منها:

أ- الملاطفة معها بإطعامها:

قال رسول الله ﷺ: «إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فم امرأتك»[٤]؛ لقمة لكنها تقرب الزوجين إلى أن يسكن أحدهما إلى الآخر، لقمة لكنها تهدف إلى إيجاد محبة ومودة بين الزوجين، لقمة لكنها ترسم الابتسامة على شفتي زوجين متحابين، هي وإن كانت، في ظاهرها، لقمة لا تقدم ولا تؤخر، إلا أن الشعور عقيب هذه اللقمة من حسن العشرة ورقة الطبع وتآلف القلوب لا يوصف[٥].

ب- الشرب من سؤرها:

فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضع فاه على موضع في، فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في، فيشرب»[٦]. وهنا نكتة أيضا أشار إليها بعض أهل العلم فقالوا: لم يكن يفعل ذلك شهوة ﷺ، وإنما إظهارا للمودة والمحبة؛ لأن المرأة حائض، ثم لا بأس أيضا من تقديم الزوجة عليك بالشرب والأكل، كل ذلك إظهارا للمودة والمحبة[٧].

ج- الاتكاء في حجرها:

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري، فيقرأ القرآن وأنا حائض»[٨]. وهذا من روائع مشاهد الحياة الزوجية، التي تبين كيف كان أيضا فن التعامل مع الزوجة، وإظهار المحبة والشوق لها، وهذا من تواضعه ﷺ، ومن طيب معشره، ومن كريم خلقه.

د- الاغتسال معها من إناء واحد:

ففي أحاديث عائشة وأم سلمة وميمونة وابن عمر، رضي الله عنهم، أن النبي ﷺ كان يغتسل هو وزوجته من إناء واحد حتى يقول لها: «أبقي لي (أي الماء). وتقول هي: أبق لي»[٩].

### ٣- ممازحتها ومضاحكتها:

قال رسول الله ﷺ لجابر بن عبدالله: «هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك»[١٠]. وعن عائشة، رضي الله عنها، أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر، وهي جارية، فقال لأصحابه: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لها: تعالي أسابقك[١١]. وعنها، رضي الله عنها، أيضا قالت: «كان الحبش يلعبون بحرابهم، فسترني

رسول الله ﷺ وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، تسمع اللهو»[12]. وعنها، رضي الله عنها، قالت: «كنت ألعب بالبنات[13] عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن إلي فيلعبن معي»[14].

### ٤- معاونتها في شؤون البيت:

سئلت عائشة، رضي الله عنها، ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه[15]. كان النبي ﷺ يخدم مهنة أهله ويقم[16] بيته ويرفو[17] ثوبه ويخرز نعله ويحلب شاته، بل قد يتجاوز الزوج حسن المعاشرة بالمعروف فيذكر زوجته بعد وفاتها بما كانت تحب أن يفعله زوجها من أجلها، وهذا، بلا شك، من كمال الوفاء وتمام المحبة لها، فعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: «ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين؛ لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب، وإن كان رسول الله ﷺ ليذبح الشاة ثم يهدي في خلتها منها»[18]. فالرجل يساعد زوجته في خدمة أعمال البيت وأشغال المنزل من تنظيف وترتيب وغيرهما، خصوصا أيام حملها للجنين، أو بعد وضعها للمولود أو وقت مرضها أو عند زحمة أعمالها[19].

### ٥- تنظيف الفم من أجلها:

قالت عائشة، رضي الله عنها، كان رسول الله ﷺ: «إذا دخل بيته بدأ بالسواك»[20]. والحكمة من السواك عند دخول المنزل: أن السواك من أجل النافلة؛ لأنه كان يصليها في البيت، وقيل: ربما تغيرت رائحة الفم عند محادثة الناس وإذا دخل البيت كان من حسن معاشرة الأهل إزالة ذلك[21].

### ٦- التطيب والتزين لها:

قال ابن عباس، رضي الله عنهما: «إني أحب أن أتزين لها كما أحب أن تتزين لي»[22]. فزينة الرجال على تفاوت أحوالهم وأعمارهم؛ فإنهم يعملون على تحقيق اللياقة والحذق والوفاق بالملبس اللائق والطيب وتطهير الفم وما بين الأسنان من فضول الطعام بالسواك وما شابهه، وإزالة ما علق بالجسم من أدران وأوساخ، وإزالة فضول الشعر، وقلم الأظافر، والخضاب للشيوخ، والخاتم وغيرها مما فيه ابتغاء الحقوق؛ ليكون عند امرأته في زينة تسرها ويعفها عن غيره من الرجال[23]. فلنصلح بيوتنا بهذه السنة الراقية.

### ٧- غض الطرف عن بعض نقائصها:

وذلك بالإغضاء عن بعض عيوب الزوجة التي يكرهها، وعن جوانب نقائصها وأخطائها ما لم يكن فيه تجاوز على حدود الشرع، لاسيما إذا كانت الزوجة تتمتع بخصال حميدة ومكارم حسنة، فالجدير به أن يستحضر حسناتها معه وهو ينظر إلى سيئاتها؛ إذ مقتضى العدل أن لا يركز على الجانب الكريه السلبي من زوجته وينسى الجوانب المضيئة الحسنة فيها، بل يتجاوز عن سيئاتها لحسناتها ويتغاضى عما يكره لما يحب[24]، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر» أو قال: «غيره»[25]، أي: ينبغي ألا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خلقا يكره وجد فيها خلقا مرضيا بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك[26]، وعلى الزوج واجب معاشرتها بالمعروف وإن أخلت هي بهذا الواجب تجاهه؛ لأنه ينبغي على الزوج أن يدرك أن المرأة خلقت بشيء من الاعوجاج؛ وهو ما يؤدي إلى شيء من التقصير في حق زوجها؛ لذلك كان من فقه الزوج أن يؤسس معاملته معها على هذا المبدأ الرباني من الإحسان إليها والصبر على عوج أخلاقها؛ لأنه لا يستطيع أن يغيرها عما جبلت عليه لعدم قابليتها للتقويم بصورة تامة ومرضية، وهو أمر متعذر عليها غير داخل في وسعها واستعدادها، فإن عزم على تحقيق كمال تقويمها بحيث يذهب عنها كل اعوجاج فإنه يعجز عن ذلك ويفضي الأمر في آخر المطاف إلى الشقاق والفراق، وهو معنى كسرها الذي ثبتت فيه الأحاديث، منها قوله ﷺ: «إن المرأة خلقت من ضلع، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها»[27].

### ٨- الاعتراف بحبه لها وعدم قدرته على الاستغناء عنها:

عن عائشة، رضي الله عنها، عن قصة أم زرع وزوجها الذي كان يحسن إليها ثم فارقها؛ قال ﷺ لعائشة، رضي الله عنها، عندها: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك» (صحيح البخاري).

### ٩- الوقوف معها في شدتها ورقيتها ساعة مرضها:

قالت عائشة، رضي الله عنها، في قصة الإفك: «كنت إذا اشتكيت

رحمني ﷺ، ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل علي وعندي أمي تمرضني قال: كيف تيكم؟! لا يزيد على ذلك»[٢٨].

وعنها، رضي الله عنها، قالت: «كان ﷺ إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات»[٢٩]، وهذا من قبيل الاعتناء بصحة أهل البيت، أو كما يقال: اتخاذ التدابير وإجراءات السلامة.

## ١٠- إعانتها على طاعة الله تعالى:

قال ﷺ: «رحم الله رجلا قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء»[٣٠]، قال العلماء، رحمهم الله، دل الحديث على أنه يستحب للرجل إذا استيقظ لصلاة الليل أن يوقظ لها امرأته، ويستحب للمرأة إذا استيقظت لها أن توقظ زوجها، وقد كان السلف، رحمهم الله، يحرصون على ذلك، قال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبعا، فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثا؛ يصلي هذا ثم يوقظ هذا[٣١]. وقال عبدالرحمن بن زبيد بن الحارث اليامي: كان زبيد قد قسم علينا الليل أثلاثا؛ ثلثا عليه، وثلثا علي، وثلثا على أخي، فكان زبيد يقوم ثلثه ثم يضربني برجله، فإذا رأى مني كسلا قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك، ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله، فإذا رأى منه كسلا قال: نم يا بني فأنا أقوم عنك، قال: فيقوم حتى يصبح[٣٢].

## ١١- الوثوق بها، وإحسان الظن بها، وعدم تخوينها:

نهى رسول الله ﷺ: «أن يطرق الرجل أهله ليلا وأن يخونهم، أو يلتمس عثراتهم»[٣٣]، قال ابن حجر، رحمه الله تعالى: يقع للذي يهجم بعد طول الغيبة غالبا ما يكره، إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما، وقد أشار إلى ذلك ﷺ بقوله في الحديث: «كي تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة»، وإما أن يجدها على حالة غير مرضية، والشرع محرض على الستر، وقد أشار إلى ذلك ﷺ بقوله: «أن يتخونهم ويتطلب عثراتهم»[٣٤].

## ١٢- التنزه معها ليلا:

عن عائشة أن النبي ﷺ «كان إذا خرج أقرع بين نسائه فطارت القرعة لعائشة وحفصة وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث»[٣٥].

## ١٣- ألا يضربها، على جسد أو وجه، أو يسب:

لا يجوز للزوج أن يضرب بغير وجه حق، أو يلحق بزوجته الأذى ظلما وعدوانا؛ لأنه إذا كان إلحاق الضرر بالغير ظلما منهيا عنه، وقد جاء في حديث معاوية القشيري رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»[٣٦]. في الحديث نهي عن ضرب الوجه لأنه أعظم الأعضاء وأظهرها، وهو مشتمل على أجزاء شريفة وأعضاء لطيفة، وقد جاء في الحديث: «إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته»[٣٧]. كما نهى أن يقول لها قولا قبيحا مثل: «قبحك الله»، أو يشتمها أو يعيرها بشيء من بدنها؛ لأن الله تعالى صور وجهها وجسمها، قال الله تعالى: ﴿أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة:٧)، وقوله ﷺ: «كل خلق الله عزوجل حسن»[٣٨]، وذم الصنعة يعود إلى مذمة الصانع[٣٩]؛ فإن ذلك أذى وضرر بها، وكل ضرر تنفيه شريعة الإسلام.

## ١٤- أن يسمر السمر معها ويؤانسها:

وذلك بالحديث معها والاستماع إليها، فقد كان هذا خلق النبي ﷺ مع زوجاته، رضي الله عنهن: «ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك ﷺ»[٤٠]. وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى عائشة، رضي الله عنها، وهي تروي له قصة إحدى عشرة امرأة جلسن فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا في حديث أم زرع[٤١]، وهو ﷺ يستمع إليها من غير ملل[٤٢]. ومن ذلك أيضا: تحمل نقاشها؛ جاء عن عمر بن الخطاب قال: صخبت علي امرأتي فراجعتني (أي ناقشتني في موقف)، فأنكرت أن تراجعني! قالت: ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه[٤٣].

وبعد؛ فهذه لآلئ الدرر من حياة خير البشر مع خير نساء العالمين، فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، تلك تدابير وقائية لحماية بيت الزوجية، فمن وفى وفى الله له، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، ألا فتمسكوا بحبل الله، وتعلقوا بهدي رسول الله ﷺ.

## الهوامش

١- سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف، (١٩٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٢).

٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد عبدالرؤوف المناوي، الناشر، ط. المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ، (٣/٢٢٦).

٣- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/٤٦٦).

٤- كتاب الإيمان، باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، حديث رقم ٥٦، وأخرجه مسلم في الوصية، باب الوصية بالثلث، رقم ١٦٢٨. «في في امرأتك» في فم امرأتك؛ أي تثاب على ما تنفقه على زوجتك من طعام وغيره، أو المراد: ما تطعمه زوجتك بيدك مؤانسة وحسن معاشرة.

٥- صور من مداعبة النبي ﷺ لأزواجه، http://islam.ahlamontada.com

٦- رواه مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سؤرها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، ح (٣٠٠).

٧- دروس للشيخ إبراهيم الدويش، الشبكة الإسلامية، https://ar.islamway.net

٨- صحيح البخاري، ك: الحيض، باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض، رقم (٢٩٧)؛ ومسلم في ك: الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، رقم (٣٠١).

٩- رواه مسلم في كتاب الحيض، باب القدر المستحب لغسل الجنابة، (١/٢٥٧)، رقم ٣٢١.

١٠ - رواه البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، رقم (٤٧٩١).

١١- مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة المبشرين بالجنة، سادس عشر الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (٦/٢٦٤)، (رقم الحديث: ٢٣٥٦٧)؛ وأبو داود في «الجهاد»، باب في السبق على الرجل، (٢٥٧٨)، واللفظ لأحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١/٢٥٤.

١٢- أخرجه البخاري في ك: النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل (٥١٩٠)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

١٣- «البنات»: التماثيل (الدمى من القطن أو الصوف) التي تلعب بها الصبايا، ينظر: النهاية، لابن الأثير (١/١٥٨).

١٤- أخرجه البخاري في ك: الأدب، باب الانبساط إلى الناس (٦١٣٠)؛ ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٤٠).

١٥- صحيح: رواه البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، رقم (٥٩٦٢).

١٦- قم البيت: كنسه، والقمامة: الكناسة، والمقمة: المكنسة، ينظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/١١٠).

١٧- رفأ الثوب، مهموز، يرفؤه رفأ: لأم خرقه وضم بعضه إلى بعض وأصلح ما وهي منه، مشتق من رفء السفينة، وربما لم يهمز، يقال: رفا، ينظر: لسان العرب، لابن منظور (١/٨٧).

١٨- أخرجه البخاري في «الأدب»، باب: حسن العهد من الإيمان (٦٠٠٤)؛ ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٣٥).

١٩- في واجبات الزوج تجاه زوجته، موقع الشيخ محمد علي فركوس، حفظه الله، الكلمة الشهرية رقم: ٨٨، ferkous.com

٢٠- صحيح: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك، حديث رقم (٤٠٥).

٢١- حاشية السندي على سنن النسائي، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (١/١٣).

٢٢- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٤٧٢٨)؛ وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٢٦٣).

٢٣- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣/١٢٤).

٢٤- في واجبات الزوج تجاه زوجته، موقع الشيخ محمد علي فركوس، حفظه الله، الكلمة الشهرية رقم: ٨٨، ferkous.com

٢٥- أخرجه مسلم في «الرضاع» (١٤٦٩).

٢٦- صحيح مسلم بشرح النووي (١٠/٥٨).

٢٧- أخرجه مسلم في «الرضاع» (١٤٦٨).

٢٨- صحيح: رواه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث الإفك، حديث رقم (٣٩١٠).

٢٩- البخاري في صحيحه، باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة، (حديث رقم ١٩٤)، صحيح مسلم كتاب السلام، باب رقية المريض بالمعوذات والنفث، حديث رقم (٤١٨٢).

٣٠- صحيح سنن النسائي للألباني، حديث رقم: (١٦١٠)، وصحيح الجامع حديث رقم: (٣٤٩٤).

٣١- صحيح البخاري ٥/٢٠٧٣ (٥١٢٥) في كتاب الأطعمة، باب الرطب بالقثاء.

٣٢- صفة الصفوة، ابن الجوزي، (٣/٩٨).

٣٣- صحيح: رواه البخاري، كتاب النكاح، باب تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة، حديث رقم ٤٩٦٩.

٣٤- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٩/١٢٣).

٣٥- صحيح: رواه البخاري، كتاب النكاح، باب القرعة بين النساء إذا أراد سفرا (٤٩١٣).

٣٦- أخرجه مسلم في الحج (١٢١٨) من حديث جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما.

٣٧- أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٧٣٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في الصحيحين: البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٢٦١٢).

٣٨- أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٤٧٢) من حديث الشريد بن سويد الثقفي، رضي الله عنه، السلسلة الصحيحة للألباني (١٤٤١).

٣٩- عون المعبود في شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (٦/١٨٠، ١٨١).

٤٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٤٦٦).

٤١- أخرجه البخاري في «النكاح»، باب حسن المعاشرة مع الأهل (٥١٨٩)، ومسلم في «فضائل الصحابة» (٢٤٤٨).

٤٢- في واجبات الزوج تجاه زوجته، موقع الشيخ محمد علي فركوس، حفظه الله، الكلمة الشهرية رقم: ٨٨، ferkous.com

٤٣- صحيح: رواه البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، (٤٨٩٥).

د. خالد صلاح حنفي
أستاذ مساعد أصول التربية
كلية التربية
جامعة الإسكندرية



# تربية الطفل في بلاد الشمس المشرقة

تتميز تربية الطفل الياباني بأنها موزعة ما بين البيت والروضة، وأن هناك قدرا كبيرا من التنسيق والتكامل والتناغم في تربية الطفل الياباني، حيث يعتمد تعليم الطفل الياباني منذ صغره على «التعليم المنزلي» أو «التعليم بواسطة الأم» الذي يعتمد أساسا على العلاقة الخاصة بين الأم وطفلها والالتصاق الجسمي والنفسي، وذلك النوع من التعليم يتيح الفرصة للأم لفهم سمات وسلوك وأحاسيس طفلها.

ويعتمد المنهج التربوي الياباني على ما يعرف باسم المنهج المنزلي الذي يعتمد على قيام الأمهات بتدريب أطفالهن على ركائز التعليم قبل الالتحاق بالمدرسة الابتدائية لما له من أهمية في نجاحهم دراسيا وهو ما يتم في سن الثالثة حيث تقوم الأم بتعليم طفلها الحروف الهجائية والعد حتى رقم مئة وأداء بعض العمليات الحسابية البسيطة التي لا يتجاوز ناتج أي منها رقم عشرة بالإضافة إلى حفظ وترديد بعض الأغنيات. وهذه المهارات القرائية والحسابية لا تعلمها معظم مؤسسات ودور رياض الأطفال، لأن اهتمامها يكون موجها نحو النمو الاجتماعي والقيمي والتهيئة العقلية والحركية لإعداد الطفل بشكل نظامي للالتحاق بالمدرسة الابتدائية.

وتهتم الأم بإكساب طفلها القدرة على التركيز والإخلاص في العمل حيث تعوده على الانغماس وبالقيام بعمل واحد في وقت واحد فيتعلم الانهماك المخلص وإنجاز العمل الذي يقوم به.

وأهم ما تركز عليه الأم اليابانية هو تعويد طفلها على تجنب المواقف التي تسبب مضايقات للغير، ومن هنا يتعلم تدبر العواقب المترتبة على تصرفاته، ويرتبط سلوكه منذ مراحله المبكرة بأمزجة وأحاسيس الآخرين.

ونظرا لانتشار دور الحضانة



والمؤسسات التي يلتحق بها الطفل في اليابان فقد روعي أن تكون بيئتها أقرب إلى البيئة المنزلية وأن يكون العاملون بها من الإناث حيث وصلت نسبتهن إلى ٩٦٪ كما يراعى في تلك الدور أن تكون مشبعة بالدفء والعطف وتهتم باللعب وبعيدة عن الأكاديمية المدرسية وأن تركز على الجوانب الاجتماعية والسلوكية وتدرب الأطفال على قضاء حوائجهم بأنفسهم وإلقاء بعض الدروس في الموسيقى والرسم والسباحة واللغة الإنجليزية.

وتمثل مرحلة رياض الأطفال في اليابان مرحلة التحول من التربية غير المنضبطة والمدللة التي يتعرض لها الطفل في المنزل إلى التربية الصارمة في الابتدائية حيث يشترك من أربعين إلى خمسين طفلا في مدرسة واحدة تهدف في أنماط تعاملها التربوي إلى تحويل الرغبات من رغبات فردية إلى رغبات جماعية. ويلتحق الأطفال برياض الأطفال من سن الثالثة أو الرابعة الى سن السادسة وهناك ما يربو على ٦٠ ألف روضة٦٠٪ منها غير حكومي و٤٠٪ منها حكومية. كما تقوم الروضة بدور كبير في غرس وتكوين القيم داخل الروضة وتنمية السلوك التعاوني بين الأطفال وذلك من خلال طرق وأساليب تتضمن الأسس الآتية:

### ١- تقسيم فصول الروضة:

يضم الفصل الواحد ثلاثين طفلا تشرف عليهم معلمة واحدة فقط. وكافة المعلمات من السيدات ويقضي الأطفال من ساعتين ونصف إلى خمس ساعات في الروضات. وترى الفلسفة اليابانية أن كثرة عدد الأطفال تتيح فرصة أفضل للطفل للتعرف والتعامل مع أنماط عددية من البشر والاستفادة منهم كما يخلق الكثير من المواقف التربوية التي يتعلم منها الأطفال ويمارسون خبرات علمية أو اجتماعية وحتى سلبية لكنها ضرورية لنموهم وتوازنهم.

ونصيب كل معلمة من التلاميذ كما تنص ضوابط وزارة التربية والتعليم في اليابان على الآتي:

- الأطفال في عمر سنة وأكثر: نصاب المعلمة الواحدة أربعة أطفال.
- الأطفال فوق سنتين نصاب المعلمة الواحدة ثمانية أطفال.
- أطفال ثلاث، أربع، خمس سنوات، نصاب المعلمة الواحدة ثلاثون طفلا.

فلا عجب من أن التلاميذ اليابانيين قد تمكنوا ومنذ الصف الأول الابتدائي من التفوق على كافة أطفال العالم بمن فيهم الأطفال الأميركيون في معظم الامتحانات العالمية.

### ٢- تعويد الأطفال على العمل بالمجموعات:

تعتمد الروضة على العمل الجماعي وتعاون الأطفال مع بعضهم البعض حيث يقسم الأطفال إلى مجموعات من تسعة إلى عشرة أطفال بشكل دائم اعتمادا على قبولهم لبعضهم البعض وليس اعتمادا على معايير علمية كالذكاء أو المهارات. وكل مجموعة لديها طاولتها الخاصة المشتركة ويقتصر دور المعلمة على تنظيم المشاريع التي يقومون بها. وكل مجموعة لها اسم خاص يميزها عن باقي المجموعات. كما أن التشجيع والمكافآت لا تعطى للأطفال كأفراد بل للمجموعة والعمل الذي يسند للمجموعة يتطلب عملهم مع بعضهم البعض بشكل تعاوني وتشاركي.

ومثلا إذا طلبت المعلمة من إحدى المجموعات أن يقوموا برسم قصة معينة، يتفق الأطفال على قصة معينة ثم يتفقون على تقسيمها بينهم. وقبل البدء في أي عمل جماعي تطلب

المعلمة من كل مجموعة أن يمسكوا بأيدي بعضهم البعض وأن يغمضوا أعينهم ويستشعروا وجود المجموعة التي بتعاونها فقط سينجز العمل. فوجود المجموعة في حياة التعلم لدى الطفل يعد أمرا أساسيا. والمعلمة إذا توجه إليها أحد الأطفال بسؤال تطلب منه توجيه السؤال للمجموعة. وتذكرهم بأنهم مطالبون بتنسيق صورة جماعية.

**٣- تصميم أدوات اللعب واستخدامها لغرس قيم تربوية:**

تتميز أدوات اللعب كالمكعبات في رياض الأطفال اليابانية بالحجم الكبير بحيث لا يمكن لطفل واحد أن يحركها بنفسه مما يستلزم أن يتعاون أكثر من طفل لعمل شكل معين. أما أدوات الرسم فتوزع على المجموعة بحيث يكون عدد الأقلام والفراشي أقل من عدد المجموعة حتى يقوم الأطفال بطلب المعاونة من الآخرين فلابد لهم من أن يتعاونوا مع بعضهم. وعليهم تعلم انتظار دورهم كما أنهم يتعلمون الحذر عند التقاط الفرشاة حتى لا تتطاير الألوان على الآخرين لأن أدوات الرسم والفراشي توضع في وسط الطاولة. كما أن المعلمات أحيانا يقمن متعمدات بسحب وتقليص عدد الألعاب حتى يتعلم الأطفال التعاون مع بعضهم البعض.

**٤- تقليل روح المنافسة بين الأطفال لجذب انتباه المعلمة:**

لا يوجد هناك تنافس بين الأطفال للحصول على انتباه المعلمة. لأن السلطة والمسؤولية أعطيت للأطفال أصلا. فالعمل الجماعي ومجموعات الأطفال هي قيم تحرص التربية اليابانية عليها.

**٥- التقليل من الإحساس بسلطة أو وجود المعلمة:**

تحاول المعلمة التقليل من استخدام سلطتها داخل الفصل حتى الحد الأدنى. وليس من الضروري أن تكون المعلمة موجودة دائما مع الأطفال فهي تفترض قدرتهم على السيطرة على أنفسهم وسلوكهم.

**٦- تفويض السلطة من المعلمة إلى الأطفال وتحمل الطفل مسؤولية نفسه ومسؤولية سلوكياته السلبية:**

يكون الأطفال في الغالب مسؤولين عن تنظيم المجموعات والإشراف على تنفيذ المشاريع وحتى حل الإشكالات والاعتراضات والخلافات داخل المجموعات. فالمعلمات يدربن الأطفال على الإشراف على عملهم وحل مشكلاتهم بأنفسهم مثلا: طفل كان يقوم بالقاء الأحجار البلاستيكية من ركن المنزل فأرسلت المعلمة طفلتين لإقناعه وطلبت منهما العودة وإخبارها بالنتيجة.

**٧- إتاحة الفرصة للطفل لتنمية شعوره بذاته والاعتماد على النفس:**

بالإضافة إلى المسؤوليات غير الرسمية الملقاة على عاتق الأطفال في إدارة الصف. فإن معظم رياض الأطفال لها ما يسمى (ملاحظين) من الأطفال أنفسهم وهم المسؤولون عن بعض الأدوار الظاهرة مثل توزيع الشاي على الأطفال في فترة الغداء، واتخاذ القرار داخل المجموعات فيما يخص من انتهى من عمله والانفضاض من المجموعة.. إلخ! وهكذا تساعد المعلمة الأطفال على إنشاء علاقات داخل المدرسة معتمدة على الأطفال الآخرين وليس عليها.

**٨- محاولة تجنب فكرة أن الأطفال يسيؤون السلوك بطبعهم:**

تعتمد وسائل الضبط المستخدمة من قبل معلمة الروضة غالبا على طريقة الشرح المبسط للسلوك المناسب أو مجموعة من الأسئلة المتتالية التي تبنى على فرضية أن الأطفال لا يمكن أن يقدموا على الخطأ وهم يعرفون، فالتربية اليابانية تنظر للأطفال على أنهم غير قادرين على ارتكاب الأخطاء ولا يميلون للإيذاء.

وبالنسبة لطرق تعامل المعلمات مع السلوك الخطأ، فإن التركيز على تعلم الطفل من خلال اللعب وإحساسه بمتعة التعلم في المدرسة هو المفتاح السحري للسلوك الجيد لدى الأطفال. إضافة إلى أن الارتباط العاطفي بين المعلمة والطفل والصداقة مع الأطفال الآخرين كانا عاملين أساسيين للتمتع بالمدرسة. ومن التقنيات المستخدمة لبناء علاقة طيبة بين الطفل والمعلمة إبقاء المعلمة مع الطفل لسنتين أو ثلاث كما تقوم المعلمة بزيارات متكررة لمنزل الطفل. كما تبذل المعلمات والإدارة جهودا كبيرة في أول العام لبناء المجموعات وتقوية الصلات بين الأطفال داخلها فتعقد لقاء لأمهات الأطفال في كل مجموعة بحيث تلتقي مجموعة الأطفال ومجموعة الأمهات في نفس الوقت.

أ. د. عبد الفتاح محمد العيسوي
باحث تربوي

# الصداقة وآثارها الاجتماعية لدى الأطفال

لاشك أن تكوين الصداقات له أهمية بالغة في حياة الأطفال من الناحية النفسية والعقلية والروحية والاجتماعية، وصداقة الطفل تتكون بشكل طبيعي ومباشر وعفوي لأنها تنسجم مع طبيعته.

وتتميز صداقة الطفل بصدق المشاعر والأحاسيس والتفاهم البريء والمشاركة وجدانية Sympathy التي تعبر عن حالة من تعاطف الطفل انفعاليا مع غيره من الأطفال، وتتسم بالتعبير اللفظي والمدح والتحفيز والخصوصية والتقارب النفسي والتشابه.

وتعمل المشاركة الوجدانية على تطور المهارات الاجتماعية للطفل Social Skills سواء كانت حركية أو حسية أو ذهنية أو فنية أو لغوية، ومعنى ذلك أنها توفر للطفل خبرات غنية بالحوار والمشاركة والتعاون والتفاعل وتعوده الأخذ والعطاء، كما تؤثر في ميوله ورغباته واتجاهاته ودرجة نضجه الانفعالي.

فالصداقة بمثابة تمرينات على القدرات الاجتماعية، حيث يتعلم الطفل من خلالها حل المشكلات والصراعات وفهم الاختلاف، فالآخرين ربما يكون لديهم رغبات شخصية مختلفة عنه بعض الشيء، زد على ذلك أنها وسيلة فعالة في حياة الصغار وتساهم في علاج كثير من الأمراض النفسية والانحرافات السلوكية.

ويؤكد علماء التربية أن خبرة الأطفال في عملية التواصل والتعامل مع العالم الخارجي تبدأ من داخل الأسرة حيث يستقي الطفل روح التعاطف والتعاون والإيثار والمودة والمحبة والرحمة والشفقة، والسكينة والتفاهم والتسامح والانسجام من أفراد الأسرة، فيستطيع أن يكون صداقات جيدة مليئة بكل المعاني السامية.

وبالإضافة إلى ما تقدم نستطيع أن نجمل الفوائد النفسية والاجتماعية لصداقة الأطفال وأهميتها على النحو التالي:

- القضاء على مشاعر الوحدة ودعم المشاعر الإيجابية وعلاج الانطواء أو الانسحاب من معترك الحياة الاجتماعية.
- الافصاح عن المشاعر مما يخفض التوتر وبعض الاضطرابات.
- تكوين علاقات تتسم بالثقة المتبادلة، وتنمي لديهم القدرة على التخاطب الناجح والتفاعل والتعبير عن الرغبات بصورة يفهمها أقرانهم وبالتالي الانخراط في المجتمع.
- الإدراك الواقعي لذواتهم أي تكوين عن صورة الذات self Image وإمكاناتها وخصائصها وسماتها فتتكيف مع نفسها ومع المجتمع.
- تُبصرهم بمعايير السلوك الاجتماعي الملائم في مختلف المواقف وتعلمهم كيفية المشاركة مع الآخرين وتحسن مستواهم الدراسي.
- التلقائية وشعور كل طرف بأنه على طبيعته في وجود الآخر والإفصاح عن الخبرات والمشاعر الشخصية.

ينبغي على الأسرة أن تتعرف على أصدقاء أبنائها وتعمل على إزالة معوقات الصداقات مثل سوء الفهم والغضب وتقديم النصح والإرشاد والتوجيه بصورة غير مباشرة، فمن الأمور بالغة الأهمية حسن اختيار الصديق المناسب بهدوء بعيدا عن اللوم أو التأنيب والتوبيخ أو التهديد، على أن تبنى الصداقات على الفضيلة مصداقا لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

عادل الحدان
باحث من المغرب

# أثر المكتبة في تنمية القراءة عند الأطفال

لا يهدف هذا الموضوع إلى تقديم تعريف نظري للمكتبة وأنواعها، وإنما يحاول وضع تصور إجرائي يحد من انعكاسات عزوف الأطفال والشباب عن القراءة، الذي أصبح معضلة اجتماعية خطيرة تعصف بحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، في ظل التحولات الحضارية المتسارعة التي فرضتها العولمة وعصر الإنترنت، وتفشي الأمية وغياب الوعي المجتمعي بأهمية القراءة في المجتمعات العربية، واعتبارها مرادفا مباشرا للمنفعة المادية على حد تعبير العقاد: «إن القراءة لم تزل عندنا سُخرة يساق إليها الأكثرون طلبا لوظيفة أو منفعة، ولم تزل عند أمم الحضارة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود»(١).

إن أمة اقرأ التي شرفها الله عزوجل بأعظم كتاب في الوجود، وافتتحه بقوله جل وعلا: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (سورة العلق:١)، ينبغي ألا تصنف في الدرك الأسفل من حيث القراءة، ولا يذكر أن أبناءها لا يقرأون سوى نصف صفحة في السنة، ولا يخصصون من جملة أوقاتهم للقراءة إلا ست دقائق، وغيرها من الأرقام والإحصاءات المهولة، التي تدق ناقوس الخطر. مما يدعونا جميعا إلى العمل سويا، كلٌ من مركزه ومهمته، لأجل الحد من هذه الطامة الكبرى، التي لا تنفع معها الحلول السحرية، ولا البرامج الاستعجالية ذات المفعول السريع، لذا نجد الجميع يتساءل عن السبيل لتحقيق ذلك.

السبيل عملي محض، يبنى على تخطيط استراتيجيات ومشاريع بعيدة المدى، تنطلق من الفرد وأسرته وتمر بالمدرسة والجامعة، وتنتهي إلى الدول والمؤسسات الراعية للثقافية. ليغدو المجتمع برمته متشبعا بثقافة القراءة والكتابة.

فالأسرة مطالبة بنشر ثقافة المكتبة داخل البيت وجعلها من أساسياته، حتى يألف الأطفال الكتب منذ نعومة الأظافر، وتترسخ في مخيلتهم مكانتها، بل هناك من الباحثين من عد مرحلة الحمل بداية تعرف الطفل على القراءة، يقول: «تمسح على بطنها وتتحدث مع جنينها! لكنها تعجبت مني حين اقترحت عليها أن تقرأ له من كتاب، ليفتح عينه على الدنيا ويستسيغ مسكه بيده»(٢). ولذلك فعلى الآباء والأمهات تكوين مكتبة داخل البيت تحوي كتبا مختارة تناسب أفراد الأسرة جميعها، ليتسنى لهم قراءة الكتب أمام أولادهم ليقتدوا بهم، خصوصا كتاب الله تعالى الذي يحيي القلوب والبيوت ويزرع فيها بلسم السعادة وهدوء السكينة، فقد عد الرسول ﷺ البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن بيتا لا حياة فيه، فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»(٣)، وقراءة السنة النبوية، وسير الصحابة والتابعين. علاوة على الموسوعات الثقافية الخاصة بالأطفال، والقصص المصورة، التي تغذي مخيلة الطفل وتشحنه برصيد بصري يجسد رؤيته المستقبلية للعالم والأشياء.

وإذا كانت مهمة الأسرة غرس ثمرة حب القراءة في نفوس أبنائها، فإن مهمة المدرسة تتمثل في تعهد هذه



الثمرة ورعايتها وصقلها لتتطور وتنمو وتستوي على سوقها، فتغدو عادة يومية عندهم. ولن يتأتى ذلك الدور إلا بإشراك أهم عنصر في العملية القرائية، ألا وهو المتعلم نفسه؛ ففي الفصول الدراسية يعمل كل مدرس على تكوين مكتبة للفصل تهم مادته المدرسة، فيدعو كل متعلم إلى اقتناء كتاب يختاره بنفسه، ثم يقرأه ويقوم بتلخيصه، ثم يقدمه للأستاذ الذي يمرره إلى متعلم آخر، وهكذا دواليك. أما على مستوى المدرسة فيجب أن تؤسس نواد للقراءة تعرض فيها ملخصات الكتب والقصص والروايات، وتخصص فيها حصص لقراءة كتاب معين وتدارسه. وتحضرني في هذا السياق مبادرة جليلة لإحدى المدارس، حيث سمحت للمتعلمين بكتابة أسمائهم على جدران الفصول الدراسية لسبب بسيط هو إتمام قراءة عدد معين من الكتب. كما تسهم القراءة الجماعية في تطوير المهارات القرائية للمتعلمين، لكونهم يتعلمون من أقرانهم أكثر من الآخرين. دون أن نغفل ضرورة دعوة الآباء والأولياء والأمهات لمشاركة أبنائهم حصص القراءة، مما يمنحهم الثقة والجاذبية، فيقبلون على القراءة بجد. أضف إلى ذلك إدماج أنشطة القراءة ضمن الألعاب المدرسية، أو الأنشطة الترفيهية، كالمسرح والأناشيد لكون المتعلم يميل إلى بعد الحس حركي أكثر من الدروس النظامية.

إضافة إلى الأسرة والمدرسة نجد المجتمع المدني، المتمثل في الهيئات والجمعيات المدنية التي تتصل بالناشئة اتصالا وثيقا؛ مما يجعل دورها مهما في الرفع من منسوب القراءة في العالم العربي لدى هذه الشريحة المهمة في المجتمع، فأنشطتها تلائم ميولهم واحتياجاتهم العمرية، التي تملأ حيزا من أوقات فراغهم. فمن الأنشطة التي تسهم في تحبيب القراءة نجد المكتبات المتنقلة، التي تجوب مختلف الأماكن سواء المخيمات أو المسابح والملاعب وغيرها، كما تمكن هذه المكتبات من إيصال الكتب إلى المناطق النائية، التي غالبا ما تضم طبقات فقيرة.

ومن المؤسسات المنوط بها تشجيع القراءة نجد مؤسسة الإعلام؛ التي تمثل سلطة تنويرية للمجتمع، بالإضافة إلى دورها في مراقبة عمل المؤسسات الحكومية، فالمنابر الإعلامية مدعوة إلى تقديم منتوج جيد يقترب من شرائح المجتمع، دون تكريس الخطاب النخبوي الفج الذي يؤدي -في الغالب- إلى الغموض والتعقيد، مما ينفر القارئ من الكتاب. والحال أنه هناك منابر سخرت أقلامها لخدمة اللغة العربية وقضايا الأمة الإسلامية. وفي هذا الصدد ننوه بمجهودات مجلة «الوعي الإسلامي» في تنوير هذه الطبقة الجوهرية في المجتمع، إذ دأبت على إصدار مجلة براعم الإيمان بمعيتها؛ التي تقدم للأطفال مجالا متنوعا وحافلا بالألوان والقصص والمعلومات والقيم.

أخيرا نأتي إلى بيان دور الدول والحكومات في النهوض بالقراءة، فنقول؛ إن دورها يتلخص في الدعم المادي والمعنوي لمشروع القراءة، وذلك من خلال توفير الكتب والمكتبات سواء التقليدية أو الوسائطية، وتشجيع الإبداع والكتابة، وتسهيل نشر الكتاب على نطاق واسع، وكذا تنظيم المعارض الوطنية والجهوية والمحلية للكتاب، وتحفيز الناشئة على القراءة بتنظيم مسابقات للقراءة، وجعل المناهج الدراسية مرنة وقابلة لدمج المؤلفات المناسبة، حتى يتسنى للمتعلم الانفتاح على العالم من خلال نافذة القراءة.

صفوة القول إن مشروع النهوض بالقراءة في العالم العربي يتطلب تضافر جهود جميع الفاعلين على حد سواء، وذلك بالقيام بمشاريع ممتدة تجعل الطفل في بؤرة اهتماماتها وتشركه في إنجاحها؛ بغية غرس بذرة حب القراءة في نفسه، لتتحول عنده من هواية إلى عادة أو إدمان إيجابي. وحفزه على تكوين مكتبة خاصة به، يصنف فيها كتبه ومجلاته المفضلة. فالطفل يميل بطبعه إلى حب التملك، مما يشعره بحس بالمسؤولية والاستقلالية، وبذلك يعي أهمية الكتاب الذي يرفع الله به أقواما ويذل به آخرين.

د. الطاهر خذيري
باحث جزائري

# مساجلات الأقران

الجزء(٢)

مساجلات الأقران ركن شرعي وأدبي وتاريخي توثيقي، يعرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمة الدين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربما تناول بالسرد والتحقيق ما تبارى فيه الشعراء والحكماء والمفكرون والبلغاء، كل ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدمون والمتأخرون من تمام العقل، وسعة الصدر، وجودة القريحة، وصفاء النفس، وهي رسائل ناطقة وصامتة للتعلم وحسن التهدي، تدعو من يقف عليها من عموم المثقفين إلى التأمل وطول التدبر في كيفية معالجة ما يقع للنفوس من الخلل والتأثر السلبي الناجم عن ضيق النفس، وكآبة الضمير، وقلة الدراية والفهم. جاء في «لسان العرب»: ١١/٣٢٥ «أصل المساجلة: أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثلما يخرج الآخر، فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة، فإذا قيل: فلان يساجل فلانا، فمعناه: أنه يخرج من الشرف مثلما يخرجه الآخر، فأيهما نكل فقد غلب. وتساجلوا، أي: تفاخروا، ومنه قولهم: الحرب سجال».

ولئن كانت الصناعات المختلفة، كما يقرر ذلك العلماء، لها درجات متفاوتة، فمنها ما يرفع أهله ويشرفهم ويغنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشرف المناصب، ومنها ما يضع المحترفين له أشد الضعة، ويخملهم أقبح الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممن سواهم نظراء في منزلة، ولا أكفاء في معاشرة.

لئن كان ذلك، فإن صنعة العلم، وسعة الاطلاع، وجودة المحفوظ، وتجدد الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدح به السامعون، وينهل منه المتلهفون.

**التحرير**

## بين شيخ الإسلام ابن تيمية وعلماء عصره(١)



**جرت للإمام أبي العباس ابن تيمية مناظرات ومحاورات حامية في مسائل علمية وعقدية مع كثير من مشاهير عصره؛ من علماء المذاهب أو مشايخ الطرق أو غيرهم، وكانت هذه المناقشات في غالبها متسمة بقوة علمية ونفس طويل لا يكاد ينقطع؛ منه ومن نظرائه أو من تطاول إليه. وكان، رحمه الله، يظهر في جميع مساجلاته تبحرا واتساعا في الدراية والرواية والاستنباط والتنزيل قل نظيره فيمن تقدمه، وفيمن تأخر عنه.**



وأعجب ما في تلك المجالس النقاشية أو الكتابات الجدلية من الصفات الجليلة؛ ما كان يؤكد عليه، رحمه الله، من أخوة الإيمان بينه وبين مخالفيه، وحرصه في ثنايا نقاشه على وجوب سلامة الصدر من الغوائل الناشئة عادة من الاختلاف ومآلات التجادل، وضرورة السعي في الإصلاح قدر الإمكان، واحتساب الثواب في ذلك؛ حتى إنه مع مجادلته لخصومه كان حريصا على هذا الجانب المهم، الذي لا تنطوي عليه إلا القلوب السليمة الصافية، والقصود الطاهرة البريئة، قال رحمه الله: «والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين، وطلبا لاتفاق كلمتهم، واتباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل

اللّه، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة»[1].
ولم يكن واسع الصدر عظيم الحلم على مناظريه المسالمين فقط، بل كان كذلك حليما متسامحا مع مخالفيه المؤذين له، الساعين في حبسه وقتله؛ ليس وهم أصحاب سطوة وسلطان وجاه فقط، بل كان كذلك وأكثر وهم مقموعون أوحشهم زوال الجاه وتحول السلطان! حتى إنه فرض عليهم احترامه وإجلاله لما رأوا من جلائل أخلاقه وسمو نفسه وصفاء معدنه، وما ذاك إلا من خبيئة صالحة للشيخ رحمه اللّه.
ومازال هجيراه مع من جادلهم (وهي وصيته لأصحابه ومن تأثر به): أن تكون النصرة للّه ودينه؛ لا انتقاما للنفس وثأرا لها، ولا شفاء للهوى وإيغالا في اتباع نزغات الشيطان، وقد سطر في هذا المعنى كلاما يفيض جلالا ونورا، قال رحمه اللّه: «لا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه؛ فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي...؛ فلو كان الرجل مشكورا على سوء عمله لكنت أشكر كل من كان سببا في هذه القضية لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة...، وأنتم تعلمون هذا من خلقي»[2].
وفي هذا السبيل كان أبعد الناس عن التسرع في التكفير؛ حتى مع الطوائف التي حمي وطيس جداله معها، ويقول في معرض رده على أحد أشد خصومه وهو البكري: «أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي؛ فليس للإنسان أن يعاقب بمثله؛ كمن كذب عليك وزنى بأهلك؛ ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق اللّه تعالى، وكذلك التكفير حق للّه فلا يكفر إلا من كفره اللّه ورسوله...؛ فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر»[3].
لقد كانت للإمام ابن تيمية معارك نقاشية طاحنة مع خلق من مخالفيه، وترادفت بينهم الردود والتعقيبات، واشتدت حدة الراد والمردود عليه، وصدرت من المختلفين كلمات في لحظات الغضب، اقتضتها ضرورات المحاججة وقطع الخصوم، ومع ذلك قهر ابن تيمية نفسه وأجراها على مراد اللّه وأمره، فكان إذا ذكر خصومه أو جرى ذكرهم بين يديه؛ أحسن الحديث عنهم، وألان الجانب لهم، قال مرة متحدثا عن الأشاعرة (أبرز خصومه): «ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين؛ ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف»[4]، وهذا ليس من قبيل المدح الشخصي للذات؛ لأن الشخص إذا ذكر عن نفسه ما ليس من خلقه وسجيته؛ سرعان ما يفتضح عند مترجميه والمؤرخين له، بل هو منهج اختطه الإمام لنفسه وعرف به عند الموافق والمخالف.
وهذا تلميذه الذهبي يذكر عنه هذه الخلة بثقة واطمئنان: «رأيت للأشعري كلمة أعجبتني، وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدوي، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد علي أني لا أكفر أحدا من أهل القبلة؛ لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات. قلت (القائل الذهبي): وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحدا من الأمة، ويقول: قال النبي ﷺ: «لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»؛ فمن لازم الصلوات بوضوء؛ فهو مسلم»[5].
ولو كان ثم من لاحظ على الإمام غير هذا المسلك لذكره وركز عليه، ولشن عليه الغارة بسببه، وها هي كتب بعض مخالفيه ممتلئة بالوقيعة فيه ورميه بأقذع الأوصاف، لكنهم لا يجرؤون على طمس هذه الخصلة الكريمة فيه، رحمه اللّه.
وسيأتي في المقالات التي ستسطر في هذا الركن ما يشهد لكل ما مر بإذن اللّه، ليكون نبراسا منيرا يتهدى به طلبة العلم وعموم المثقفين في هذه الأيام التي أوشكت فيها المحاورات على أن تنقلب إلى ساحات قتال، بل لقد تحولت بالفعل في بعض الأحيان إلى منصات تراشق بالكفر والفسق والزندقة، وتطور حال بعض المنفعلين إلى استحلال دماء مخالفيهم وأعراضهم!
ومع أن هذا الإمام مشهور شهرة طبقت الآفاق بين العلماء وتلاميذهم في عصره وما تلاه، إلا أن الواجب تعريفه لمن خفي عنه؛ لتكون هذه السلسلة مبنية على أساس معرف.
وعلى هذا؛ فهو الشيخ الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني، المشهور بابن تيمية (وهو لقب لجده الأعلى)[6]، ولد سنة ٦٦١هـ، وتوفي

# مساجلات الأقران

## الجزء(٢)

معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ، وهو من أسرة علمية معروفة؛ فأبوه وجده من أكابر العلماء، وأمه امرأة نجيبة صالحة، وكان إخوته من العلماء المعروفين، لهم من الآثار ما يدل على مكانتهم، أضف إلى هذا أن العصر الذي وجد فيه هذا الإمام كان متميزا بكثرة العلماء والمدارس العلمية، وكانت دمشق حاضرة من حواضر التألق والتميز؛ تعلما وتعليما؛ فراح الشيخ من صغره يجد ويكد، ويعب من العلم ما شاء الله له، ويحفظ المسائل والكتب، ويذاكر الكبار، ويتتبع الأسانيد، ويعكف على الفهم والتحرير والتصنيف؛ في إخبات وثقة وتوكل فريد، وحسن لجوء إلى الله، عرفه بذلك من خالطه، وظهرت علاماته وأنواره لمن لم يكن قريبا منه، وما هي إلا سنوات معدودات حتى غدا إماما حاضرا، وجد أو غاب؛ ملأ الدنيا بعلمه، وشغل الآفاق بمواقفه.

وتمت له آلة النظر، كما نضجت ملكاته الفقهية والأصولية والعقدية والحديثية واللغوية وغيرها في سائر الفنون النقلية والعقلية، وبرزت بروزا حير ذوي الألباب! فلم يكن بد من ظهور خصوم له ومعاندين ومناوئين، شأن كل من تميز وطار اسمه وبلغ في العلم مبلغ التبحر والاتساع العظيم، حتى قال فيه تلميذه الحافظ الذهبي: «كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف، ثم يستدل ويرجح ويجتهد، وحق له ذلك؛ فإن شروط الاجتهاد كانت قد اجتمعت فيه؛ فإنني ما رأيت أحدا أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضارا لمتون الأحاديث وعزوها إلى الصحيح أو إلى المسند أو إلى السنن منه؛ كأن الكتاب والسنن نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة رشيقة، وعين مفتوحة، وإفحام للمخالف، وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير والتوسع فيه»[٧].

وليس هناك اختلاف فيما علمت بين كتبة التاريخ والتراجم في مدى علمية هذا الإمام وأنه بحر متسع، بل محيط هادر لا يكاد ينتهي؛ حاشا المشاغبين الحاسدين، وإنما نقم عليه بعضهم ما كان يعتريه من الحدة التي يفهمها المخالف على أنها مزاج حاد لا ينبغي وتهور مذموم، ويفهمها المحب المتفهم على أنها غضبة واجبة لله، وفرق بين الأمرين لمن أنصف، وقرأ المسائل التي ظهرت فيها حدته على خصمه! ليتبين أكانت حدته مشاقة ومحادة وتهورا، أم أنها كانت نصرة للحق الذي ظهرت أدلته ووضحت معالمه!

ومما أثار حفيظة من عاداه إن سلم من الهوى والجهل والعصبية للباطل أن الشيخ ابن تيمية كانت فيه جسارة على التصريح بما يعتقده، ولو كان موحشا لا يستسيغه الناس؛ والعامة غالبا أعداء ما جهلوا، وأتباع العامة من العلماء تبع في هذا الوصف لمقلديهم؛ فقد «احتج له بأدلة وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها غيره، حتى قام عليه خلق من العلماء بالمصرين فبدعوه، وناظروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي...؛ فجرى بينهم حملات حربية، ووقعات شآمية ومصرية، ورموه عن قوس واحدة، ثم نجاه الله تعالى»[٨].

ومهما قيل في هذا العالم الجليل منذ عاش إلى أن مات، فلم يجف الحبر في بيان شخصيته ومنزلته إلى يوم الناس هذا، ولعله يبقى شاغلا للناس مادام في الدنيا حق وباطل، وذلك دليل من أدلة العظمة، ربما!

### قد مات قوم وما ماتت فضائلهم
### وعاش قوم وهم في الناس أموات

وبغض النظر عن كل شيء؛ فإن من أهداف هذه الكتابة أن نتعلم الإنصاف ورحمة الخلق، وخفض الجناح، والتماس الأعذار للمخالفين مهما شطوا ماداموا في دائرة الإسلام، (لعل له عذرا وأنت تلوم)، وأولى من لهم علينا الحق في هذا؛ ابن تيمية وغيره من علماء الأمة؛ إذ الأصل في كل راد من المسلمين وكل مردود عليه منهم؛ أنه مريد للخير معتقد للحق، وإن جانبه الصواب أو حاد عنه لسبب ما، والخلاف في الغالب لا يفسد لأخوة الإسلام قضية. هذا هو المعيار العام الواجب نصبه وتحريه في كل مسألة يختلف عليها عاقلان.

وإن مما يذكر فيشكر؛ أن هذه السجالات حصل بها خير عظيم؛ إذ ظهر بها فضل الأفاضل وعلومهم، وتميز بها من سواهم، وإذا كان الجدال العلمي في مسألة تكافأت فيها أدلة النظار وملاحظهم؛ كان في ذلك من السعة للأمة ما فيه، وذلك لا شك من الرحمة المبثوثة في ثنايا هذه المرادات والمحاورات.

ويبقى أن يقال: إن هذا العالم بشر من البشر؛ يخطئ ويصيب، ولا يحل التعصب لشخصه واتباع الهوى فيه؛ فليس هو بمعصوم لا يخطئ، بل هو عالم مجتهد، له أجران إن أصاب، وأجر واحد إن أخطأ، وأليق ما قيل في هذا المعنى؛ خلاصة تلميذه الذهبي، رحمه الله، في حديثه عنه: «وإن أنت عذرت كبار الأئمة في معضلاتهم، ولا تعذر ابن تيمية في مفرداته؛ فقد أقررت على نفسك بالهوى وعدم الإنصاف، وإن قلت لا أعذره لأنه كافر عدو الله تعالى ورسوله؛ قال لك خلق من أهل العلم والدين: ما علمناه والله إلا مؤمنا محافظا على الصلاة والوضوء وصوم رمضان، معظما للشريعة ظاهرا وباطنا، لا يؤتى من سوء فهم؛ بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم؛ فإنه بحر زخار بصير بالكتاب والسنة عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدين؛ فلو كان كذلك لكان أسرع شيء إلى مداهنة خصومه وموافقتهم ومنافقتهم، ولا هو يتفرد بمسائل بالتشهي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائله المفردة يحتج لها بالقرآن وبالحديث أو بالقياس، ويبرهنها، ويناظر عليها، وينقل فيها الخلاف، ويطيل البحث أسوة من تقدمه من الأئمة».

يقول: «فهذا الرجل لا أرجو على ما قلته فيه دنيا ولا مالا ولا جاها بوجه أصلا، مع خبرتي التامة به، ولكن لا يسعني في ديني ولا عقلي أن أكتم محاسنه وأدفن فضائله...؛ مع أني مخالف له في مسائل أصلية وفرعية؛ قد أبديت آنفا أن خطأه فيها مغفور، بل قد يثيبه الله تعالى فيها على حسن قصده، وبذل وسعه»[٩].

هذا هو ابن تيمية باختصار شديد، وهكذا ينبغي النظر إليه وإلى علماء الإسلام، بلا إحنة ولا محنة، ولا استصحاب لأجواء تلك الأيام وأمزجتها، وزج الأمة اليوم في أتون معارك لا وجود لها إلا في أذهان من يستمري التهارش والتطاحن، ويجلب على مخالفيه في مسائل سهلة خفيفة الأثر، ويدع ما ينفعه ويزكي فؤاده، ويعيش حياته متخاصما مع الأشباح والأرواح!

وعودا على بدء؛ أقول: كان لابن تيمية، رحمه الله، حضور قوي لافت بين علماء عصره، وكان منافحا عن عقيدته ومذهبه الذي ينصره بنصوص القرآن والسنة وفهم سلف الأمة، ولا توجد مسألة للشيخ فيها أخذ ورد إلا وله سيل من الأدلة وسلف وافر، ولم يشذ في مسألة أبدا بغض النظر عن رجاحة رأيه أو ضعفه في مسائله التي خالف فيها السائد المشهور؛ هذا حد علمي بعد القراءة عن حياة هذا الفحل الجهبذ، وفي المسائل التي سنتذاكرها مستقبلا بإذن الله، ونأتي على بعض تفاصيلها؛ خير دليل على هذا الزعم، وكما قيل: «عند الصباح يحمد القوم السرى».

هذا -عزيزي القارئ- تقديم خجول، يصور من طرف خفي شخصية الإمام ابن تيمية على وجه الاختصار الذي تقضي به المساحة المتاحة، وفي العدد القابل بإذن الله نتناول أولى المساجلات المختارة، وهي التي خاضها مع عصريّه الشيخ تقي الدين السبكي الشافعي، وفيها يظهر علم الشيخين ونباهتهما وطيب أصلهما، رحمة الله عليهما.



## الهوامش

١- مجموع الفتاوى (٣/٢٢٧).
٢- مجموع الفتاوى (٢٨/٥٥).
٣- الرد على البكري (٢/٤٩٢).
٤- درء تعارض العقل والنقل (٢/١٠٢).
٥- سير أعلام النبلاء (١٥/٨٨).
٦- راجع ترجمته في: «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون» جمع وإعداد: محمد عزيز بن شمس وعلي بن محمد العمران، فهو عبارة عن موسوعة جامعة، ضمت بين دفتيها جميع التراجم لهذا الإمام الفذ عبر قرون متتالية، كما ينبغي الاطلاع على مقدمة الشيخ بكر بن عبدالله أبوزيد، رحمه الله، لهذه الموسوعة؛ فهي مقدمة حافلة رسمت لمن يريد التعرف على شيخ الإسلام خريطة مفصلة لمن ترجم له عبر القرون. ومن باب زيادة العلم والخير، يراجع: «الحافظ أحمد ابن تيمية» لأبي الحسن الندوي، و«ابن تيمية: حياته وعصره، آراؤه وفقهه» لأبي زهرة.
٧- ذيل تاريخ الإسلام، نقلا عن الجامع: (١/٢٦٨).
٨- انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١/١٨٥).
٩- ذيل تاريخ الإسلام، نقلا عن الجامع: (١/٢٧١).



هشام الصباغ
باحث لغوي

# عبدالله مشاري الروضان الوزير الشعبي

في البدء كانت «اقرأ»..
أدرك رواد النهضة في الكويت أن الأمة الإسلامية لا يمكن أن تعود إلى ماضيها التليد، الذي طمرته الليالي بغبار الجهل، إلا بالعودة إلى النبع الصافي من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ.. وأنه لا يمكن للأمة أن تجابه التحديات الثقال التي تواجهها بها الحضارة المادية المعاصرة إلا إن وعت كتاب ربها وسنة نبيها.. ومن ثم فقد أصبح لزاما على أئمة العلم وقادة التنوير أن يجدوا لهم سبيلا للوصول إلى الأمة حتى ينهضوا بها من وهدتها التي طالت، وغفلتها التي أعمت عيونها عن رؤية ما يكيده أعداؤها لدينها ودنياها.. فعمل رواد العلم والفكر الكويتيون على إنشاء منصة ثقافية شاملة، دينية علمية فكرية أدبية اجتماعية، أسموها «الوعي الإسلامي».. التي أضحت المنبر الإسلامي الأبرز لأشهر علماء الإسلام ودعاته على مدى أكثر من نصف قرن..
وانطلاقا من مقولة «الناس موتى وأهل العلم أحياء»، نسلط في هذه الزاوية الضوء على أبرز كتّاب المجلة؛ مفردين في كل عدد علما من أعلامها؛ حتى يعرف القراء تاريخ المجلة وتاريخ كتابها، فتكون ويكونوا لهم منارات هداية وسبل سلام.

■ أسرته عربية عريقة، ضربت بجذورها ليس في أعماق الكويت فقط، ولكن في قلب جزيرة العرب، فعائلته تنتمي إلى الفضول، وهم من قبيلة عنزة بأرض نجد، وقد استوطنوا الكويت في سنيها الأولى، ومن ثم كان لهم شرف المساهمة في وضع لبنات الكويت الأولى، وسجل التاريخ لهم بذلهم أرواح أبنائهم رخيصة دفاعا عن وطنهم في جميع المواقع والمعارك التي خاضها أبناء الكويت للذود عن حياضها وحماية بيضتها.

■ من بيت طيب عصامي محبا للدين، اشتهر بين أهل الكويت بالمودة والصلة والكرم والإحسان، امتلك عددا من السفن الشراعية، وله نقعة (مرسى للسفن) باسمه في منطقة الشرق.. إنه بيت الروضان، الذي نشأ فيه واتصف بصفاته، المرحوم بإذن الله، عبدالله مشاري الروضان، وزير الأوقاف الكويتي الأسبق، الذي ولد في حي الشرق عام ١٣٢٨هـ الموافق لعام ١٩١٠م.

## نشأته وتحصيله العلمي

■ مات جده وأبوه في سن صغيرة، فنشأ أبوه معتمدا على نفسه متحملا المسؤولية ومحبا للدين والعلم، فضلا عن أنه أتم حفظ القرآن ودرس النحو والصرف، وتعلم الخط والقراءة والكتابة وشيئا من الحساب.. وتلك الصفات ورّثها مشاري لابنه عبدالله وغرسها فيه صغيرا، فتشرّب من أبيه كيفية النجاح في الحياة العملية.

■ على الرغم من عدم وجود مدارس نظامية في الكويت ساعتئذ، فإن مشاري الروضان كان شديد الحرص على تعليم أبنائه، فألحق ولده عبدالله بالكُتّاب ليتعلم مبادئ القراءة والحساب، ثم أرسله إلى مدرسة الملا عبداللطيف العمر (إحدى المدارس

الأهلية المنتشرة وقتذاك)، التي كانت تعنى بتدريس الدين وتحفيظ القرآن، وعندما بدأ التعليم النظامي في الكويت سارع إلى إدخاله مدرسة المباركية (أولى المدارس النظامية في الكويت).

### احتراف العمل باكرا

■ النوخذة والطواشة (البحارة والغوص على اللؤلؤ) صنعتان من ثلاث (الرعي) امتهنها أهل الكويت قديما، وما إن بلغ الروضان الخامسة عشرة من عمره حتى احترف الأوليين، وكان من البارزين فيهما؛ فغاص على اللؤلؤ مع أبيه، وتاجر فيه، وكان من القلائل الذين يعلمون خصائصه وأنواعه ويقيّمون سعره.

■ خبر التجارة بشكل أوسع وتعلمها على أصولها من خلال خوضه عباب البحر نوخذة على إحدى السفن الكويتية، التي كانت تجول البحار للتجارة ونقل البضائع.

■ لم يكن لظهور اللؤلؤ الصناعي وكساد سوق اللؤلؤ الطبيعي، أن ينالا من عزم تلك الشخصية أو يفتا في عضدها؛ فنوع أنشطته التجارية، ووسعها، فشملت، إلى جانب الغوص على اللؤلؤ والتجارة فيه، العديد من المواد والسلع الأخرى، وجالت قوافله التجارية سواحل أفريقيا والهند والبحرين ودول الخليج الأخرى، كما تاجر في العقارات.

### ذرية بعضها من بعض

■ أشرف على مشاريع والده الوقفية في حياته. ومن خلال عمله وزيرا للأوقاف، اطلع على خبايا والده، التي لم توقف على أعمال الخير داخل الكويت فقط، بل تعدتها إلى دول أخرى، وكان لا يعلم بها؛ فأدرك معنى كيف تجهل شماله ما تنفقه يمينه، فأكمل تنفيذها بعد موته، وزاد عليها.. فالبذل والمسارعة إلى الإنفاق في هذا الباب تشهد بهما سيرته وأعماله.

■ من نافذة الوزارة تحصّل على كشف بعناوين وأسماء عدد من الأسر المتعففة (حوالي ٣٠٠ أسرة)، تكفل بالإنفاق عليها ومساعدتها طوال حياته، وعهد إلى أبنائه من بعده باستمرار مساعدة تلك الأسر، حتى وُصف بـ «الوزير الشعبي».

■ صرف عنايته - رحمه الله - إلى طباعة كتاب الله مترجما إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية؛ حرصا منه على نشر كتاب الله تعالى في أوروبا وأميركا. كما تبرع للكثير من الهيئات واللجان الخيرية خارج الكويت واستمر في دعمها؛ إلى جانب قيامه ببناء بعض المراكز الإسلامية خارج الكويت كالمركز الإسلامي في بلجيكا.

### مناصبه

■ طلاقة الوجه والهدوء والوقار والحكمة والقدرة على اتخاذ القرار وقربه من الناس وتلمسه حاجتهم.. صفات اتسم بها وأهّلته لتولي مناصب خدمية في الدولة، ففي عام ١٩٥١م عين عضوا في المجلس البلدي، وبعد ظهور النفط كان أحد ثلاثة عشر عضوا انتُخبوا للمجلس البلدي، الذي ترأسه وقتها الشيخ فهد السالم. وعين عضوا في مجلس معارف الكويت عام ١٩٦١م، تحت رئاسة المرحوم الشيخ عبدالله الجابر الصباح، كما كان عضوا في مجلس الصحة عام ١٩٥٩م، الذي ساهم في تأسيس العمل الصحي الحكومي في الكويت. وكان عضوا في أول مجلس أمة عرفته الكويت، وبعد فوزه بأيام قليلة انتُخب وزيرا للشؤون الاجتماعية، ثم تولى بعدها حقيبة الأوقاف.

### إسهاماته في «الوعي الإسلامي»

■ كانت للشيخ عبدالله مشاري الروضان مساهمتان في المجلة: الأولى كانت بعنوان «رسول الله قدوتنا» مع العدد ٤٠ (ربيع الثاني ١٣٨٨هـ/يونيو ١٩٦٨م)، تناولت كلمته - رحمه الله - في حفل أقامته وزارة الأوقاف في ذكرى مولد الرسول ﷺ. بينما جاءت الثانية تحت عنوان «في سبيل جيل مؤمن» في العدد ٤٩ (المحرم ١٣٨٩هـ/مارس ١٩٦٩م).

### وفاته

■ توفي - رحمه الله - بعد مسيرة حافلة بالعطاء والبذل؛ حكوميا وشعبيا، داخل الكويت وخارجها، عن عمر يناهز ٦٩ عاما، يوم ١١ صفر ١٤٠٠هـ/٣٠ ديسمبر ١٩٧٩م.

### المصادر والمراجع


١- مجلة «الوعي الإسلامي»، العددان: ٤٠ و٤٩.
٢- كتاب «علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي».
٣- موقع تاريخ الكويت.
٤- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

سلامة المحاميد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

# مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض (٣)

**ما زلنا في معالم ومنارات حديثة أخذت مكانتها ومكانها وأثبتت وجودها في هذا العصر الرقمي والإلكتروني، الزاخر بالكتب والمطبوعات ومئات الألوف من المخطوطات، حتى صارت قبلة للدارسين والباحثين والمستفيدين من كافة المشارب والاختصاصات، يشع نورها ليصل إلى أقاصي البلدان، ومنارتنا هذه قد تطول صحبتنا معها إلى عدة حلقات؛ لكثرة خدماتها، ومهماتها، ووظائفها، وتنوع إداراتها، وأهدافها...**

## مهام المكتبة وأعمالها

سابعا: إدارات المكتبة ومهامها:

تحتوي مكتبة الملك فهد الوطنية على (١٨) إدارة، ولكل إدارة عمل مستقل بها، وهي على النحو التالي:

### ١- إدارة التسجيل والترقيمات

وترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للإيداع والتسجيل، وينحصر عملها في:

- تقوم بمهام المركز الوطني لنظام الرقم الدولي المعياري للكتاب (ردمك).
- تقوم بمهام المركز الوطني لنظام الرقم الدولي المعياري للدوريات (ردمد).
- تخصيص رموز الناشرين.
- تسجيل المطبوعات الدورية التي تصدر في المملكة.
- تسجيل جميع أوعية المعلومات الأخرى وتخصيص أرقام لها.
- تقوم بمهام الفهرسة قبل النشر.

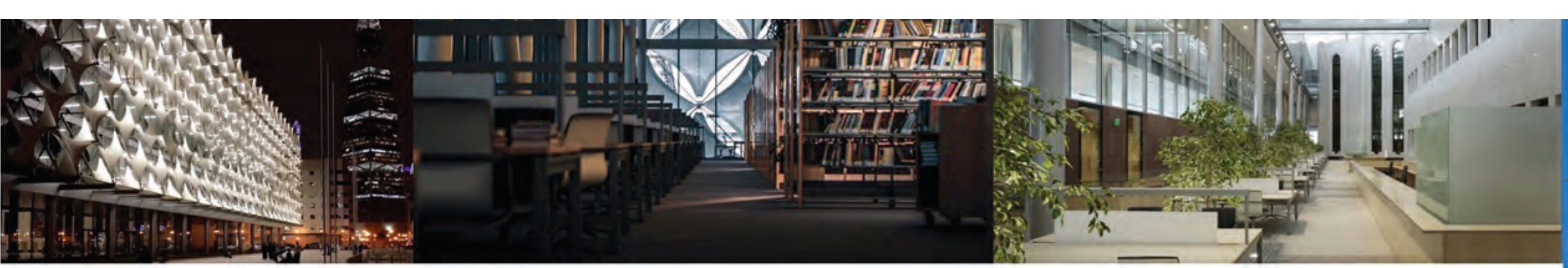
### ٢- إدارة الدراسات والخدمات المرجعية

- ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة لخدمات المستفيدين، وينحصر عملها في:
- استقبال الطلبات وتلقي الأسئلة والاستفسارات المرجعية والإجابة عليها.
- إرشاد رواد المكتبة وتعريفهم بالخدمات ومصادر المعلومات المتاحة.
- إعداد القوائم الببليوجرافية للمستفيدين بموضوع البحث.
- مساعدة الباحثين للقيام بمهام البحث في الفهرس العام للمكتبة وقواعد المعلومات وتقديم المشورة اللازمة.
- تقديم نصوص كاملة ومختصرة للباحث من قواعد المعلومات.
- تقديم الخدمات المرجعية للمستفيد عن طريق (الهاتف أوالبريد الإلكتروني).
- متابعة الإنتاج الفكري حول المجموعات المرجعية والمساهمة في تنميتها.

### ٣- إدارة المجموعات العامة

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة لخدمات المستفيدين، وينحصر عملها في:

- استلام الكتب من إدارة الفهرسة ثم فرزها وتوزيعها حسب أماكنها وترفيفها.
- الربط المباشر بين الباحثين ومقتنيات المكتبة.
- خدمة الباحثين بإحضار المادة المطلوبة للباحث للاطلاع عليها وإعادتها إلى مكانها بعد الانتهاء.
- الرد على استفسارات الرواد وتلبية رغباتهم حسب المتاح.
- توفير خدمة التصوير للرواد حسب النظام.
- الرد على الاتصالات الهاتفية الخاصة بالباحثين.
- يتبع لهذه الإدارة الفئات التالية:
- (مجموعات الكتب - المراجع - المكتبة التركية - المكتبات التذكارية (المهداة) - غرف البحث - الإعارة



التبادلية).

- تلبية الطلبات الخدمية للجهات الحكومية وغيرها من المؤسسات.

- المراسلات الخدمية كافة المتعلقة بخارج مدينة الرياض، سواء داخل المملكة أو خارجها.

- تقديم الخدمة للمتواجدين خارج الرياض بالطرق التالية: (الفاكس - البريد الإلكتروني - البريد) وذلك حسب الكمية وحسب ظروف طالب الخدمة.

### ٤- إدارة الإيداع النظامي

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للإيداع والتسجيل وينحصر عملها في:

- استلام وإيداع الرسائل الجامعية مع نسخة (CD) مع كتابة إقرار على المودع بالموافقة أو عدم الموافقة على نشر الرسالة على موقع المكتبة الإلكتروني.

- استلام وإيداع المواد المطبوعة وغير المطبوعة من كتب وأفلام وغيرها من مواد الإيداع.

- استلام وإيداع الدوريات والصحف اليومية السعودية.

- متابعة الجهات الحكومية والأهلية وحثهم على الالتزام بنظام الإيداع.

- الرد على استفسارات الباحثين حول تسجيل بحوثهم الجامعية.

- إصدار شهادات إيداع لجميع المواد التي يطبق عليها نظام الإيداع.

### ٥- إدارة التصنيف والفهرسة

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للاقتناء وتنظيم المعلومات وينحصر عملها في:

- فهرسة وتصنيف وتزويد مصادر المعلومات العربية والأجنبية.

- تنفيذ كل العمليات اللازمة لتنظيم جميع أنواع المقتنيات ومراجعتها وتحديثها.

- التركيز على فهرسة الإنتاج الفكري السعودي، وتخزينه في قاعدة البيانات المركزية، وإصدار الببليوجرافية الوطنية.

- تقنين أسماء الأشخاص القديمة والحديثة، وأسماء الهيئات الحكومية والخاصة، وتوحيد صيغها المختلفة.

- تقديم الخدمات الاستشارية والتدريبية والفنية للهيئات الأكاديمية والعلمية.

- فهرسة المجموعات الخاصة ومراجعتها وتكعيبها.

- تكعيب جميع أوعية المعلومات من كتب ودوريات وغيرها.

- المشاركة في حضور اجتماعات اللجان والمؤتمرات المتخصصة.

- المراجعة العامة للتسجيلات الببليوجرافية لتكون جاهزة للباحثين من خلال الموقع الإلكتروني للمكتبة.

### ٦- إدارة مركز معلومات المملكة

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة لخدمات المستفيدين، وينحصر عملها في:

- الاهتمام بكل ما يتعلق بالمملكة من كتب عربية وأجنبية والوثائق التي تتحدث عنها في جميع المجالات.

- جمع الخرائط والأطالس والعملات المعدنية وطوابع البريد السعودية.

- تقديم (الأرشيف الوطني للصور التاريخية) والذي يحتوي على (٣٠,٠٠٠) ألف صورة قديمة تمثل مناطق المملكة المختلفة والملوك والأمراء، إضافة إلى وكالات الأنباء التي ترد إلى المركز بصفة مستمرة وكذلك صورة الشراء والإهداء والتبادل ويبلغ عددها (٤٠,٠٠٠) ألف صورة، وجميع هذه الصور مفهرسة ومصنفة ومدخلة في الحاسب الآلي.

### ٧- إدارة الوثائق

وترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للمخطوطات والوثائق وينحصر عملها في:

- تقوم بفرز الوثائق وفهرستها، وتقديم خدماتها إلى الكثير من الباحثين والهيئات إلى جانب تسهيل مهمات الاطلاع على الوثائق لعدد من الأفراد والهيئات الحكومية، وتصوير الوثائق المطلوبة للباحثين.

### ٨- إدارة الوسائل السمعية والبصرية

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة لخدمات المستفيدين، وينحصر عملها في:

- الإشراف على المواد السمعية والبصرية الموجودة في القسم.

- طلب المواد (التزويد) والفهرسة والتصنيف.

- نسخ المواد داخل القسم.

- استقبال الباحثين والضيوف داخل القسم.

- يتولى القسم حفظ المواد السمعية والبصرية من أشرطة مرئية وصوتية وشرائح (سلايدات وميكروفيلم وميكروفش) وبعض وسائل التخزين الرقمية.

### ٩- إدارة تنمية المجموعات

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للاقتناء وتنظيم المعلومات وينحصر عملها في:

- متابعة الإصدارات الجديدة من الكتب والمصادر الأخرى.

- اقتناء ما يتناسب واهتمام المكتب من الكتب ومصادر المعلومات.

- اقتناء بعض المكتبات الخاصة المعروضة للبيع.

- تسجيل الكتب المقتناة.





ياسين محمد كتاني
باحث شرعي


## سلسلة الذخائر

# مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية

مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية

عدد خاص



«الحمراء» بغرناطة

العدد الأول – السنة الأولى

١٣٧٢ – ١٩٥٣

مطبعة المعهد المصرى

مادريد

**تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.**

**وتأتي «مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.**

## التعريف بمجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية

وهي مجلة سنوية تصدر عن المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد في إسبانيا، تنشر فيها الأبحاث المتعلقة بالدراسات الأندلسية، وقد صدر العدد الأول من المجلة عام ١٩٥٣م، في عهد مدير المعهد الدكتور علي سامي النشار، الذي رأس تحرير المجلة، وقد قسمت المجلة إلى قسمين: أوروبي وعربي، وترجمت المقالات الأوروبية إلى العربية، كما ترجمت المقالات العربية إلى الإسبانية.

## التعريف بالمعهد المصري للدراسات الإسلامية

هو معهد علمي تابع لوزارة التعليم العالي المصرية، مقره العاصمة الإسبانية مدريد، أنشأ في يوليو ١٩٥٠م، وكان اسمه عند إنشائه «معهد فاروق الأول»، وكان صاحب فكرة إنشائه ومؤسسه الدكتور طه حسين. وقد افتتح المعهد في حفل رسمي في ١١ نوفمبر ١٩٥٠م.

تعاون مع المعهد في مستهل عهده عدد من الباحثين والمستشرقين الإسبان، كما مد المعهد جسور التعاون مع مراكز الدراسات العربية والإسلامية في أنحاء إسبانيا، ومنها مدرسة الدراسات العربية في غرناطة، وجامعتا سرقسطة وسلمنقة، ومعهد الدراسات الإسلامية في باريس.

وقد تعاقب على إدارته عدة شخصيات بارزة منذ إنشائه، فكان أول مدير له الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة، أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة، ثم جاء بعده الدكتور علي سامي النشار، الذي كان أيضا أستاذا للفلسفة الإسلامية، وفي عهده أنشئت مجلتنا هذه، فكان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها، ثم خلفه الدكتور حسين مؤنس عام ١٩٥٤م، كما تولى إدارة المعهد بين الناقد الدكتور صلاح فضل، وخلفه الدكتور سيد حنفي حسنين، مستشارا ثقافيا ومديرا للمعهد، ثم الدكتور: أحمد مرسي، ثم الدكتور جمال عبد الكريم، كما تولى إدارة المعهد في تسعينيات القرن العشرين الدكتور محمود السيد علي، الذي نسخت في عهده أعداد مجلة المعهد منذ إنشائها عام ١٩٥٣م، وحتى عام ١٩٩٨م في وسائط إلكترونية. ومدير المعهد حاليا هو الدكتور باسم صالح داود وفي الوقت ذاته هو المستشار الثقافي المصري بمدريد.

## أهداف المعهد

نص القرار الوزاري لإنشاء المعهد على أن هناك هدفين لوجوده هما:

- إحياء التراث العربي والإسلامي والأندلسي.
- التعاون مع الباحثين الإسبان وغيرهم في ميدان الدراسات الأندلسية والإسلامية على وجه العموم.

## محتوى المجلة

احتوت المجلة على موضوعات كثيرة ومختلفة، فكان أول موضوع نشر في المجلة بعنوان «إسبانيا حلقة وصل بين المسيحية والإسلام»، بقلم الأستاذ رامون مننديث بيدال، ونقله إلى العربية الأستاذ لطفي عبد البديع.

أما الموضوع الثاني فكان بعنوان «قصيدة سياسية لابن طفيل» لم تنشر، بقلم الأستاذ إميليو غرسية غومس، وقد نقله إلى العربية الأستاذ أحمد هيكل.

والموضوع الثالث بقلم الأستاذ عبد الله كنون الحسني، بعنوان «ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث».

وهكذا توالت مواضيع المجلة بين التاريخ العربي والأندلسي الإسلامي وكل ما له صلة بينهم.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي مكتبة مجلة الوعي على نسخة كاملة من هذه المجلة، وقد جمعت أعدادها في ٣٠ مجلدا، وهي في متناول قرائها الكرام.

## المصادر

مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

## غاية الدراية

علم الحديث دراية، هو المراد عند الإطلاق، والذي كلامنا هنا فيه، ويحد بأنه علم يعرف به معاني ما ذكر عن رسول الله ﷺ، ومتنه ورجاله وطرقه وصحيحه وسقيمه وعلله، وما يحتاج إليه فيه ليعرف المقبول منه والمردود. وموضوعه: الراوي والمروي من حيث ذلك. وغايته: معرفة ما يقبل من ذلك ليعمل به، وما يرد منه ليجتنب. ومسائله: ما يذكر في كتبه من المقاصد.

**(الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، ص:٦٣)**

## الوقوف على الأبواب

كان الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، رحمه الله، إذا قرأ عليه الطالب وانتهى؛ يقول: اقرأ من الباب الذي يليه ولو سطرا؛ فإني لا أحب الوقوف على الأبواب.

**(مطالع البدور ومنازل السرور للغزولي، ١/ ١١)**

## شهر شوال

سمي شهر شوال بهذا الاسم من تشويل لبن الناقة فيه، أي: جف ونقص. وقيل: إن الإبل كانت تشول بأذنابها، أي: ترفعها طلبا للإخصاب.

ويلفظ أيضا بالألف واللام، فيقال: الشوال، وهو أول أشهر الحج.

## فوق الثقة!

جاء في ترجمة العلامة الحسن بن عبدالعزيز الجروي، رحمه الله تعالى، ما ذكره أبو عبدالله الحاكم أنه سأل الدارقطني قال: قلت: فالحسن بن عبدالعزيز الجروي؟ قال: فوق الثقة، جليل لم ير مثله فضلا وزهدا. قلت: مسلم لم يخرج عنه، قال: لا ولم يكتب عنه.

ومما كان يردده الحسن الجروي، رحمه الله: من لم يردعه القرآن والموت، ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع.

**(المعلم في شيوخ البخاري ومسلم لابن خلفون، ١/ ١٣٨)**

## أصل أصيل

قال العلامة ابن الجوزي، رحمه الله تعالى:... وكذلك ينبغي أن يستعد لآخر عمره بالمال، مخافة أن يحتاج فيذل أو يسعى، وقد كلت الآلة؛ ولأن يخلف لعدوه أولى من أن يحتاج إلى صديقه، ولا يلتفت إلى من يذم المال؛ فإنهم الحمقى الجهال الذين اتكلوا على خبز الراحة، فاستطابوا الكسل والدعة، ولم يأنفوا من تناول الصدقة، ولا التعرض للسؤال، وقد كان لكل نبي معاش، ولجميع الصحابة، وخلفوا أموالا كثيرة، فافهم هذا الأصل، ولا تلتفت إلى كلام الجهال.

**(صيد الخاطر، ١/ ٣٨١)**

## أمانة وورع

قال القاضي معاذ بن معاذ، رحمه الله، لابنه في يوم مطير: أي بني، امض بنا نجلس للناس. فقال ابنه: يا أبت، هذا يوم مطير لا يجيء فيه الناس. فقال: يا بني، امض بنا، فبم نستحل أن نأخذ كل يوم كذا وكذا درهما؟ وخرج وجلس.

**(أخبار القضاة لابن حيان، ٢/١٣٨)**

## مسائل الإمام أحمد

قال العلامة الحافظ إبراهيم الحربي للإمام أحمد بن حنبل، رحمهما الله:

من أين لك هذه المسائل الدقاق؟!

فقال الأمام أحمد: من كتب محمد بن الحسن الشيباني.

**(تاريخ الإسلام للذهبي، ٤/٩٥٤).**

## المخالطة بمقدار الحاجة

إن فضول المخالطة هي الداء العضال، الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات، وهي في القلوب لا تزول؛ ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة.

**(بدائع الفوائد للعلامة ابن القيم، ٢/٢٧٣)**

## أجوبة الحكماء

❖ سب رجل الشعبي بقبائح نسبها إليه.

فقال الشعبي: إن كنت كاذبا؛ فغفر الله لك، وإن كنت صادقا؛ فغفر الله لي.

❖ وسب رجل بعض الحكماء.

فقال الحكيم: لست أدخل في حروب، الغالب فيها شر من المغلوب.

**(الكنز المدفون والفلك المشحون، ص:٤٣-٤٤)**

## الإيجاز والإسهاب

سأل رجل الإمام الشافعي: يا أبا عبدالله، أيها أحسن عندك الإيجاز أم الإسهاب؟ فقال: لكل من المعنيين منزلة، فمنزلة الإيجاز عند التفهم في منزلة الإسهاب عند الموعظة، ألا ترى أن الله تعالى إذا احتج في كلامه كيف يوجز، وإذا وعظ يطنب في مثل قوله محتجا: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء:٢٢). وإذا جاءت الموعظة، جاء بأخبار الأولين، وضرب الأمثال بالسلف الماضي.

**(الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، ٢/٦٦).٢/٦٦).**

د. مصطفى عطية جمعة
باحث دراسات إسلامية
مصر

# علم الجينوم وقضايا التنبؤ والمتخيل والواقع

**يثير علم الجينوم كثيرا من الالتباسات بين الخيال والتنبؤ والواقع، فالإنسان العادي، الذي يقرأ الصحف والروايات، ويتابع التلفاز والقنوات الفضائية، ويشاهد السينما، يجد نفسه في حيرة كبيرة، فهو لا يستطيع التمييز على مستوى المتحقق بين المتخيل الذي يراه في السينما أو يقرأه في الروايات، وبين المعلومات المؤكدة التي توصل إليها العلماء. فيمكن القول إن هناك حالة من التشويش بين ما يقال وبين الكائن بالفعل.**

فالإشكالية التي تثيرها أبحاث الجينوم، أنها تشكل فاتحة جديدة للمستقبل البشري، وكيف اشتط الخيال بالعلماء والأدباء والفنانين، وهم يقرأون ما تمخضت عنه الهندسة الوراثية، وما بات يعرف باسم «العصر الجينومي The Genomic Era»، الناتج عن اكتشاف الإنسان للخريطة الجينية، وفق الإعلان الشهير في الخامس عشر من فبراير ٢٠٠١م، والآمال العريضة التي أنتجت حالة من الثورة المعرفية، حيث تحول الإنسان من البحث في الظواهر الكونية، إلى الغوص في أعماق تشكيله الوراثي، والنظر في إمكانية التحكم بخريطته الجينية، وهو ما أطلق عليه البعض «القنبلة الجينومية The Genomich Bomb»، والخوف الذي صاحب الناس من التحكم في تركيب الإنسان ذاته، واللعب في البنية التركيبية التي تكون بها، على مدى آلاف السنين(١).

وفي سبيل ذلك، من المهم تأسيس قاعدة للنقاش، حول علاقة الجينوم بكل من الخيال العلمي والتنبؤ والواقع، وهي ثلاثية إذا تأملنا فيها، سنجدها تكاملية، فلا خيال دون واقع، ولا تنبؤ دون إعمال الخيال في الواقع، ولا واقع يتحقق إلا بخيال مسبق، وتنبؤ علمي واثق.

بداية، فإن مفهوم الخيال العلمي هو نوع واسع شامل من الإبداع يعتمد على التأمل، الذي يقوم على أسس العلم والتكنولوجيا الحالية أو المستقبلية. وعناصر الخيال العلمي تكون ممكنة فقط داخل سياق الطبيعة المفترضة علميا أو التي تعتمد على العلم. إلا أنها متحررة بشكل كبير من قوانين الزمان أو المكان، أو السببية والمنطق العلمي. لذا؛ فإن الأعمال الإبداعية المعبرة عن الخيال العلمي تشتمل على وجود موقع للأحداث في المستقبل، في أزمنة أخرى بديلة، وقد تكون في الماضي أو المستقبل. ويمكن أن يكون المكان في الفضاء الخارجي أو في أمكنة أخرى في العالم ستوجد في المستقبل. وقد تشتمل أعمال

الخيال العلمي على قصص وأحداث وتكنولوجيا أو مبادئ علمية تتناقض مع المبادئ العلمية القائمة أو المستقرة بين الباحثين، مثل السفر عبر الزمن، واستخدام النانو تكنولوجي، أو الإنسان الآلي[٢]، أو المخلوقات المتكونة في مختبرات الجينوم.

تكمن مشكلة الخيال العلمي مع الجينوم، في هذا الإسراف في التخيل المستقبلي، وهو تخيل يخرج ليمثل تطاولا على القواعد الدينية والشرعية، عندما يبحثون في تخليق كائنات معمليا، والقفز على مفهوم الزواج من خلال الاستنساخ.

هذا؛ ومن المهم التمييز بين التنبؤ المؤسس على نظر علمي، وبين الرؤى اللاعلمية وهو المحتوى الإمبريقي، وما يتم الكشف عنه من وقائع، يمكن أن يستند إليها العالم في تنبؤاته المستقبلية. وهذا يفارق ما تسوقه نظريات وفلسفات، لا تستند إلى معطيات علمية ثابتة، وإنما تعتمد على خيالات، تسفها الوقائع والكشوف والتجارب. لذا؛ يرى العلماء أن نظريات التنجيم، والتحليل النفسي، والماركسية، تقدم رؤى وسرديات، قد تكون متسقة على مستوى الطرح النظري، من خلال النسق الذي تعرضه، ولكنها في الواقع لا أساس لها. ويستشهدون على ذلك بتنبؤات نيوتن وأينشتاين، فكلاهما بنى فرضياته العلمية، على وقائع وتجارب محددة، وجاءت على عكس المتوقع والسائد في أوساط العلماء، وكانت هناك طروحات تخالفها، ومع ذلك تم قبولها، لأنها تستند إلى براهين وأدلة، يمكن البناء عليها[٣].

وهو ما ينسحب إلى خيالات العلماء والفنانين في علم الجينوم، فمن المهم عدم الإسراف في التخيل دون الاطلاع المستمر على المستجدات العلمية، وأبحاث العلماء التي قد تثبت أو تنفي المتخيل، فكثير من

## رؤيــــة إسـلامـيــة فــقــهــيــة

الحالمين يأخذون بعضا من المعلومات والتجارب أو تنبؤات العلماء بعد تجربة ما، ثم يسرفون في التخيل، مقدمين أنساقا تبدو للمطلع عليها أنها مقبولة منطقيا، ثم تأتي تجارب لاحقة فتنفي كل هذا، بل وترى استحالته العلمية.

ينبع مفهوم التنبؤ العلمي «من قواميس الكون وأحكامه، ثم إنه يتماشى معها، ولا يتعارض مع قواعدها»، «فكلما تعمقنا في دراسة الظواهر الطبيعية والنواميس الكونية، والشرائع البيولوجية، ثم جمعنا كل هذا في حصيلة علمية هائلة، ثم صغناها في معادلات ونظريات وقوانين، فإن المعادلة والقانون يأخذان بأيدينا، ويرشداننا إلى توقعات وحقائق كثيرة قد لا تستوعبها حواسنا، لأنها تقع فيما وراء حدودها، ثم إن هذه المعادلات ليست من بنات أفكارنا، بل هي منبثقة من النظم التي تمتد فينا وحولنا بغير حدود»[٤]. فالتنبؤ العلمي لا يكون خيالا محضا، وإنما يعتمد على براهين وأدلة وقوانين ثابتة علميا وكونيا، ومن ثم يبنى عليها.

أما «التنبؤ الوراثي» فهو أداة قوية للمستقبل، وليس إلا أداة فحسب. وهو يستطيع أن يوسع مجال معرفتنا ويساعدنا على تخطيط استراتيجيات تعطي فرصا أفضل للعيش في صحة. ولكنه ليس جرد الآلة الجديدة أو الفكرة المبتدعة أو الطريقة الفضلى والأسرع والأكفأ لفعل شتى ما كنا نفعله دائما[٥].

بمعنى أن التنبؤ هو التخيل الأكثر دقة، الذي يدفع العالم بعدما تأكد من نجاح تجاربه، إلى التفكير في سبل تطويرها، وكيف تعود بالنفع على الإنسانية.

لذا؛ فإن التنبؤ الوراثي بالمعنى الحرفي أمر له القدرة على تغيير طريقة حياتنا. فهو سيدخل أولويات جديدة بالنسبة لبعض من أهم القرارات الرئيسة التي يجب علينا اتخاذها، قرارات عن المهنة التي نختارها والمكان الذي نعيش فيه، والشخص الذي نتزوجه فهو باختصار ينفذ إلى الصميم من حياتنا[٦].

ففي ضوء ما تم في علم الجينات، يمكن للتنبؤ العلمي مثلا بحث ما يفيد الإنسانية من مثل:

خصوصية المعلومات الوراثية Privacy of genetic information، فالأفراد (أو الوالدين في حالة الأجنة والأطفال) الذين يخضعون للفحوص الجينية ليسوا هم وحدهم من يهمهم الاطلاع على نتائج تلك الاختبارات؛ فأفراد الأسرة، والأزواج وأرباب العمل المحتملون، وشركات التأمين، ووسائل الإعلام (في حالة كون المفحوص شخصية عامة أو شهيرة) والحكومة، كلهم قد يرغبون في الحصول على معلومات بخصوص البنية الوراثية لشخص بعينه، وهذا لا بأس به، مادامت هناك تشريعات وقوانين تحسم الخصوصيات والسرية.

وكذلك استزراع الأعضاء (قطع الغيار البشرية)، فهناك ما يزيد على (٦٠,٠٠٠) إنسان في جميع أنحاء العالم ممن يحتاجون لزراعة الأعضاء سنويا في المتوسط، غير أنه لا يتوفر سوى نحو (٣٤,٠٠٠) عضو للزرع، فهل يمكن التنبؤ بأن قطع الغيار البشرية مستقبل الطب؟ و يتنبأ العلماء في أن يأتي اليوم الذي يتمكنون فيه من «إنتاج» قطع غيار لجميع أعضاء الجسم البشري وبكميات كافية؛ فعلى سبيل المثال، ففي عام ١٩٩٧م، لم يحصل سوى ٢,٣٠٠ من أصل ٤٠,٠٠٠ من مرضى القلب في الولايات المتحدة على القلب الجديد الذي يحتاجونه. ويأمل الباحثون في أن يتمكنوا من «توجيه»

الخلايا الجذعية، بحيث تتحول إلى أعضاء محددة قابلة للزرع في أجسام المرضى[٧]، وغير ذلك.

في ضوء ما تقدم، فإن أبحاث الجينوم فيها الكثير من الإشكاليات، عندما يتم النظر إليها من المنظور الشرعي الإسلامي، ولابد من وضع النقاط على الحروف في القضايا التي تحتاج إلى بحث وتمحيص من قبل الفقهاء.

ولاشك أن دعوى بعض الفقهاء الخاصة بالتجارب المشكلة في الجينوم، حيث يرون أنه يجب علينا الانتظار حتى تقع، حتى نحكم عليها من الجانب الشرعي، لأن الحكم على الشيء فرع من تصوره، فكيف نحكم على مجهول لم يره الفقيه ويعاينه عن قرب؟ خاصة فيما يتعلق بالاستنساخ البشري[٨].

وبالطبع فإن هذا الرأي المساق لا يمكن قبوله، فلا يمكن الانتظار حتى يتم استنساخ كائن بشري، ويعاينه الفقيه، ومن ثم يدلي بالرأي الشرعي فيه، ففي هذا الوقت، سيكون الاستنساخ البشري قد بات أمرا مستقرا، وشيئا مبهرا للإنسانية، عندما يرون كائنا بشريا يشابه آخر، تم استنساخه. المشكلة هنا أن الرأي الشرعي سيكون غائبا عن ساحة الحوار في العالم الإسلامي من جهة، وعن المشاركة في ساحة النقاش الدولية من الناحية الأخلاقية والقانونية والقيمية، فكيف تغيب الثقافة الإسلامية بكل تاريخها ومكانتها عن موضوع ساخن مثل هذا؟

لذا؛ في هذه الحالة من المهم تفعيل الفقه الافتراضي، الذي يوفر: الأدوات العقلية لتطوير الفقه ونظمه استجابة لتحديات الواقع، كما أنه من أساليب التيسير، وبهما نتجاوز صرامة الحرفية النصية للتعامل مع واقع مرن ومفتوح. والفقه الافتراضي يلتقي مع التنبؤ العلمي، في كونه يبحث في أمور متوقعة ومشكلات قائمة، وهو تبصير بحقائق ممكنة، لذا؛ فإن مجاله هو المستقبل، ولنا في القاعدة الشرعية التي تقول «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» مثال جيد على الفقه الافتراضي لأنها تؤسس لاعتبار «الممكن» واجبا لكونه مقدمة للواجب[٩].

إن الفقه الافتراضي يتحرك ضمن قاعدة معالجة أمر «واقع»، أو استعدادا لأمر «متوقع»، وكلاهما قائم وحادث في أبحاث الجينوم. لذا؛ فإن الفقيه عليه الاستنفار في دائرة هذا الفقه من خلال قاعدتين:

الأولى: افتراض يأتي تطبيقا لقاعدة «الأمر إذا ضاق اتسع» انطلاقا من المرونة في تنزيل الحكم على وقائعه وما تقتضيه من توسعة في الشروط بالنظر إلى المآلات.

الثانية: افتراض يأتي تطبيقا لقاعدة «الأمور بمقاصدها» وفيه «تصبح الآثار المترتبة على الحكم أكثر امتدادا وأوسع نطاقا».

ولا نقصد بها ما يثمره الافتراض من تنشيط لذهن الفقيه، والخروج به من ضيق حرفية النص إلى مقاصده الأشمل، وغاياته الكبرى[١٠]، والمتمثلة في مصالح الناس، وحل معاناتهم مع الأمراض، ومواكبة التقدم العلمي في هذا المضمار.

وتكمن المشكلة في أن كثيرا من الفقهاء والمشرعين القانونين يناقشون قضايا الجينوم على أساس أنه احتمالات وتوقعات مستقبلية، وهم لا يعرفون المستجدات الحادثة كل يوم، لأن غالبية أبحاث الجينوم تتم في دول غير مسلمة، كما لا يتوافر لدينا العالم الشرعي المتعمق والمتابع لأبحاث الجينوم، وقد يكون طبيبا وفقيها في آن، على الأقل سيكون أكثر قدرة على فهم ما يجري من أبحاث ومن ثم يقدمها للفقهاء والقانونيين، ويوضح الصورة لهم بشكل مستمر.

فخطورتها تعود إلى تعلقها بحقوق ومصالح الإنسان كتلك التي تتعلق بكليات الشريعة: النفس، والنسل، والعقل، ومن هنا تأتي أهمية الأبحاث (ضمن الفقه الافتراضي) التي يجب أن تضع الحدود لتطبيق مكتسبات علم الجينوم على البشر دون إخلال بالقواعد الأساسية للشريعة ولا هدر المصالح التي تدور حولها الأحكام الشرعية[١١].

وإذا نظرنا لأبحاث الجينوم، سنجد أن فيها جانبين: جانبا إيجابيا وآخر سلبيا. أما الجانب الإيجابي؛ فهو الأهداف والغايات السامية التي يسعى إليها هذا العلم، كتخليص البشرية من أمراضها الوراثية عن طريق تغيير الشفرات الوراثية وجودة الأجنة، كذلك التوصل إلى

أنواع العلاج لأمراض مستعصية كالسرطان، وغيرها من الخدمات في مجال الزراعة والتغذية والصناعة.
أما الجانب السلبي؛ فهو ما يحلم به بعض العلماء، كتغيير طبيعة البشر عن طريق تغيير تركيبهم الوراثي، مما يفقد الإنسان صفاته التي تشكل إنسانيته ويلغي حريته و إرادته. أو محاولة البعض الخلط بين الأجناس المختلفة من حيوانات ونباتات بهدف استخدامهم لأغراض متعددة كأن يتم الخلط بين الإنسان والنبات بهدف تخليق كائن يعيش على البناء الضوئي الإنسان الأخضر[١٢].
فإذا كان القصد هو الجانب الإيجابي فيما يتعلق بالاستبدال والعلاج وإنقاذ البشرية من أمراض وراثية، فإنه مما يندرج في التصرفات المشروعة، إن لم يكن على سبيل الوجوب فعلى وجه الندب أو الإباحة، لأنه من جنس المأمور به في نصوص الشريعة الداعية إلى التداوي وإزالة الضرر ودرء المفسدة وتحصيل النفع والحرص عليه. ونفس الأمر في التطبيقات الإيجابية التي تهدف إلى تغيير مستوى النبات والحيوان بحيث يستفيد منها الإنسان، وهو أمر يتقبله الشرع ولا يرفضه. ولكن التدخل في سنة من سنن الله لا يمكن أن يوافق عليه أي رجل دين بل وأي مسلم. فهناك حدود وضعها الله للإنسان لا يمكن تجاوزها، ولذلك لا يجب أن يأخذه الغرور فيعتقد أنه قادر على التلاعب بالحياة والأحياء، لأنه استطاع تغيير طبيعة النبات والحيوان البيولوجية[١٣].
وعلى هذا الأساس تم الاتفاق على جواز تطبيق تكنولوجيا التكاثر على مستوى الكائنات الدقيقة باستخدام خصائص الحامض النووي، بمعاودة الالتحام وذلك في مجالات إنتاج مواد علاجية وفيرة مع الحرص على استعمال خصائص الحامض المذكور



في كل ما ينفع الأمة ويدفع عنها الضرر[١٤].
وهي توصية جامعة مانعة، يمكن البناء عليها في أبحاث الجينوم، فهي تتعاطى بإيجابية مع كل ما يفيد الأمة والناس جميعا.
إلا أن المشكلة الأكبر تتمثل في المستجدات في الجينوم، والتي باتت تتلاحق على مدار اليوم الواحد، وتلقي عشرات الأسئلة على العلماء، ناهيك عن القضايا التي تتصل بها، فهناك آلاف الجزئيات والنثيرات التي ولجت فيها أبحاث الجينوم، في تطبيقاته المختلفة على الحيوانات والنباتات والإنسان، فلا يمكن حصر القضية في الاستنساخ البشري فقط، فهذا انجرار وراء ما يفجره الإعلام الذي يعتمد على الإثارة. أما الوقائع العلمية ومستجداتها، فهي غير مطروقة إعلاميا، وإن كانت أبحاث الإشكالات الأخلاقية والدينية في الغرب أكثر منها بكثير من الشرق، لأن الفلاسفة وعلماء الدين والقانونيين هناك، في حالة متابعة دائمة لعلوم الجينوم على صعيدين:



ما هو قائم بالفعل وما تم إنجازه، وما يتنبأ به العلماء في خططهم البحثية.

## الهوامش

١- العصر الجينومي: استراتيجيات المستقبل البشري، د. موسى الخلف، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٥م، ص١١و١٢.
٢- الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي، د. شاكر عبدالحميد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٩م، ص٢٥٣و٢٥٤.
٣- التمييز بين العلم واللاعلم: دراسة في مشكلات المنهج العلمي، د. محمد أحمد السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٥م، ص١٧٧-١٨٠.
٤- التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، د. عبدالحسن صالح، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١م، ص١٢و١٣.
٥- التنبؤ الوراثي، زولت هارسنياي، ريتشارد هتون، ترجمة: د. مصطفى ابراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٨م، ص٢٤٥.
٦- السابق، ص٢٤٥.
٧- الإطار الأخلاقي لأبحاث الجينوم والهندسة الوراثية البشرية، د. إيهاب عبد الرحيم محمد، نشر خاص، د ط، د ت. ص٣٦و٣٧.
٨- يعود هذا الرأي إلى مفتي مصر الأسبق د. نصر فريد واصل، والذي ذكره في إحدى ندوات دار الإفتاء المصرية. عدد جريدة المسلمون الدولية، رقم (٥٤٧)، ٢٧ يونيو ١٩٩٧م، ص٧.
٩- الموقف من الفقه الافتراضي: رؤية أصولية، د. محمد كمال الدين إمام، بحث منشور في مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، العدد ١٤٥/١٤٦، الثلاثاء، ١١ كانون١/ديسمبر ٢٠١٢م، ص١٤٣.
١٠- السابق، ص١٤٨.
١١- انظر: الهندسة الوراثية والأخلاق، ناهدة البقصمي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٣م، ص١٨١، بتصرف من جانبنا.
١٢- السابق، ص١٨١، ١٨٢.
١٣- د. عبدالستار أبو غدة، مؤتمر الإنجاب في ضوء الإسلام المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، وزارة الصحة، تحرير د. أحمد رجائي الجندي، الكويت ٣١٩٨ ص١٥٧و١٥٨.
١٤- من توصيات لجنة مؤتمر الإنجاب في ضوء الإسلام، ص٣٥٠.




في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير



## شكر وتقدير

الفضلاء في هيئة تحرير مجلة الوعي الإسلامي تقتضي النصفة، بعد اطلاعي في العدد ٦٣٦ أن مجلة الوعي الإسلامي قد توجت بتيجان التميز لعامي: ٢٠١٦/٢٠١٧م أن أعترف في محكم القول بأن (الوعي الإسلامي) أضحت غرة شادخة، وكوكبا منيرا طلع بأنواره في سماوات الدوريات العروبيات يستضيئون بأنوارها، ويستمدون من عباراتها التي طعمت من أيكة البلاغة والبراعة، التي تحمل بعض آثار مسطور فحول الكتابة العربية البليغة، فكانت بمثابة رحمة مرسلة في ما تنشره من مقالات مكتنزة معتدلة في أطروحاتها؛ لا تخاف بروقها، ولا تخلف وعودها، ولا تخلب رعودها. مقالات تشعرك في أثناء قراءتها بأنك تقع في روض أريض غب الطل، تجارى أصحابها في تتويجها بالفكر الصحيح الصريح، فأصبح القراء يتشوفون ويتطلعون إلى وصولها تشوف الصائم إلى أذان المغرب.

مبارك لكم ولنا هذا التميز الذي يطوقنا بالبحث عن ثمرة الغراب في قادمات الأعداد، والله أسأل أن ينسأ لنا في أعمارنا حتى تبلغ المجلة الذروة العالية التي لم تبلغها مياه غيرها من الدوريات.

أ.د. عبد الله أيت الأعشير.



## لماذا القلق؟

كثيرا ما يشعر الإنسان بالقلق على صحته دون سبب يوجب ذلك، فيقول له كل من حوله عبارة لا تتغير وهي: «ليس بك شيء، أنت واهم في قلقك، فدع القلق».

وحقيقة إن تلك العبارة لا تحل مشكلة القلق، فقد يكون القلق على الصحة مظهرا لقلق آخر أسبابه خفية، وخير وسيلة لمحاربة القلق ألا تشغل نفسك إلا بما يحدث لك فعلا ولا تعني عقلك بالغد والمستقبل وما يحفل من احتمالات بعيدة المدى.

ومن المفارقات العجيبة أن التحليل النفسي للقلق في حالات كثيرة يشير إلى أنه غرور يعتري الشخص القلق؛ إذ يعز عليه أن يكون شخصه العزيز عرضة لمكروه قد يكنه له الغيب، وهو الذي لا يستحق إلا أفضل وأطيب النعم.

لا ينبغي للإنسان أن تكون الدنيا أكبر همومه، ولا يجعل للقلق على حياته أو رزقه مجالا للوصول إلى قلبة وعقله، وإلا زاد ذلك من مرضه وقلقه. ينبغي على كل إنسان يعاني من القلق أن يذكر الله بالدعاء المأثور، ويتذكر نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، ويتحلى بالأخلاق الحسنة والصبر الجميل، فذلك خير طريق لنيل السعادة.

محمود الزوكي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com

# تربية الأطفال على الوسطية والاعتدال

تهتم التربية في الإسلام ببناء الإنسان في جميع مراحل حياته في شتى الجوانب العقدية والعقلية والعلمية والفكرية، كما تهتم بالتوازن بين متطلباته الجسدية والروحية؛ إنها تربية تقوم على الوسطية والاعتدال؛ اعتدال في التربية الروحية، والتربية الفكرية، والتربية الجسدية. وتتطلب التربية الروحية: تربية على الوسطية في العقيدة؛ فينشأ الطفل على التصديق بكل ما جاء من عند الله، وتربية الروح لها أثرها البالغ في وسطية الفكر والسلوك والمنهج؛ وتتطلب التربية الروحية بدورها تربية على الوسطية في العبادة؛ فتربية الأطفال على العبادة الصحيحة تربية لهم على منهج الوسطية التي جاء بها الدين الإسلامي، والبعد عن الغلو والمفاهيم الباطلة والأفكار المغلوطة، وتحقيق للتوازن بين متطلبات الفرد المادية والروحية بما يتفق وفطرته السليمة التي فطره الله عليها.

وأما التربية الفكرية فلها دور كبير في تعزيز الاعتدال في الفكر والسلوك، والوسطية في الفكر التي يجب غرسها في الأطفال تستلزم تقديم الكتاب والسنة وما بهما من القيم والأخلاق للأطفال.

وتقوم التربية الجسدية للطفل على الوسطية في العناية بالجسم من خلال الاهتمام باللياقة البدنية، والتوعية الغذائية، والنظافة الشخصية.

**محمد عباس محمد عرابي**

# ألوان من الإفلاس

الإفلاس أمر يتعرض له الأغنياء والفقراء والمؤسسات المالية الكبرى، بل حتى الدول، لكن هناك إفلاسا من نوع آخر أثره أشد قال عنه النبي ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا؛ فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (صحيح مسلم). لقد جمع حسنات كثيرة لكنه فقدها ولم يبق عنده شيء فصار من المفلسين.

وهناك إفلاس عاطفي يحمله ذلك الرجل الذي تحاول أن تستخرج منه مشاعر الشفقة أو كلمة ثناء فلا تنجح؛ بسبب جفاف قلبه وخلوه من التجاوب مع ما يصيب الآخرين من نعمة أو بؤس، وثالث تجالسه الأيام والأعوام فلا تجد عنده فكره أو تجربة؛ صفحات عمره بيضاء لم يُنقش عليها شيء فهو مفلس في خبراته في الحياة. ورابع مفلس من ناحية الأصدقاء، ربما لأنه يحمل طبعا جافا أو يعجز عن التأقلم مع الآخرين أو لا يريد أن يقوم بحقوق الصداقة وما تفرضه من واجبات.

وخامس مفلس في مفرداته وأسلوبه لا يستطيع أن يعبر عن الأشياء بتعبيرات تراعي مشاعر الآخرين أو تصف الواقع بدقة، ومثل هذا يحتاج إلى من يعلمه أن لكل لفظ معنى يناسبه وأن الناس يحاسب بعضهم بعضا على الكلام المسموع والمكتوب وليس على النوايا، كما أن العاقل هو الذي يزن الكلمة قبل أن تخرج من فمه.

إن الإفلاس المالي يمكن للإنسان تجاوزه بمعونة الله تعالى ثم بالعزيمة الصادقة ودراسة أسباب هذا الإخفاق، وكم من تجار أفلسوا مرات، لكنهم عادوا أغنى مما كانوا. أما الوقاية من الإفلاس من الحسنات فتأتي بكف الأذى عن خلق الله. وبالنسبة إلى الإفلاس العاطفي فسبيل دفعه مسح رأس اليتامى وإطعام المساكين كما أرشد النبي ﷺ. والإفلاس في التجارب سبيل الوقاية منه هو مصاحبة الحكماء أهل التجربة الذين يتعلمون من أخطائهم وأخطاء الآخرين.

**د. محمد عطية متولي**

**إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف**

مسك الختام

# البطالة.. خيارات المواجهة

تتنوع تعريفات البطالة وتتعدد أسبابها وتختلف أنواعها، لكن في كل حالاتها هي غير مقبولة في الدين الإسلامي، الذي ينفر منها ويعلي من شأن العمل وقيمته، ويحض على طلب الرزق؛ فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠).

ويقول رسولنا الكريم في الحديث الشريف عن المقدام ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (رواه البخاري).

والبطالة هي عدم القدرة على العمل مع الرغبة فيه، أو هي كما عرفتها منظمة العمل الدولية «كل فرد قادر على العمل ويرغب فيه ويبحث عن فرصة العمل، لكن لا يجد هذه الفرصة المطلوبة». ووفقا لتقديرات منظمة العمل الدولية فإن عدد الأشخاص العاطلين عن العمل في جميع أنحاء العالم تخطى ٢٠٠ مليون شخص.

وأظهر تقرير توقعات العمالة الدولية والآفاق الاجتماعية لعام ٢٠١٧م، الذي أصدرته المنظمة ارتفاع أعداد العاطلين بمقدار ٣,٤ ملايين شخص منذ العام الماضي. وقال المدير العام لمنظمة العمل الدولية غاي رايدر: «لايزال العجز في العمل اللائق واسع الانتشار، ويتعين بذل جهود إضافية لتحسين جودة عمل شاغلي الوظائف».

وحرص الدين الإسلامي على إعلاء شأن العمل والعاملين، ونفر من البطالة والعاطلين، لما لهذه البطالة من آثار اقتصادية واجتماعية وسياسية خطيرة، فكانت تعاليم ديننا الإسلامي تحضنا على طلب الرزق وترغب فيه وتبين أهمية أن يكسب الإنسان قوت يومه من عمل يده، وأن يختار العمل المناسب لإمكاناته وقدراته وما يتمتع به من مهارات، ومثلما قال ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيجيء بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه.. خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» (رواه البخاري).

هذا هو المنهج الإسلامي في معالجة البطالة والتصدي لها عبر إعلاء قيمة العمل والتأكيد على أهميته وعدم ازدراء أي مهنة مهما قل شأنها، وأن لا عذر للجلوس دون عمل بحجة قلة الإمكانات أو عدم توافر المؤهلات والخبرات، إذ كل شخص عليه المثابرة وبذل الجهد وتعلم الحرف والمهن التي تفتح أمامه فرص الحصول على وظيفة مناسبة وتوفر له الرزق المناسب الذي يعفيه من ذل السؤال ومد اليد وطلب الحاجة، فديننا الإسلامي خياراته واسعة في مواجهة مشاكل البطالة، فمن لم يجد وظيفة فباستطاعته مزاولة الأعمال الحرة والمشاريع الصغيرة والنشاطات التجارية المختلفة التي يشغل فيها وقته وتدر عليه العائد الذي يغنيه عن السؤال وطلب الحاجة، فالله سبحانه وتعالى سخر لنا الأرض للسعي في طلب الرزق والعمل وبذل الجهد لتحقيق المكاسب، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك:١٥).

عايد الجاسم
باحث دراسات إسلامية

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw




## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .



alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

كويت



فلاشات وطنية تلفزيونية

# أمير المكارم.. صباح العز

الفكرة والإشراف العام **صلاح أبا الخيل**

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...





+965 922 54 54 5

RedAwqaf



العدد ٦٣٨ -السنة ٥٥ - شوال ١٤٣٩ هـ - يونيو - ٢٠١٨ م



أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٦٣٩) ذو القعدة ١٤٣٩ هـ - يوليو - ٢٠١٨ م

مجانًا مع العدد: براعم الإيمان

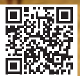
## التُّراثُ الصِّناعيُّ في الحضارة الإسلاميَّة

- التَّجديدُ ضرورةٌ حياتيَّة
- تمكينُ المرأةِ في عصرِ الرِّسالة
- التَّفكُّكُ الأسَريُّ.. أسبابُه وعِلاجُه

هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (٢١)


مجلة الوعى الإسلامى

www.alwaei.gov.kw

alwaeiq8@gmail.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي


# جديدنا




## مختار التبيان في آداب حملة القرآن

ذخيرة نفيسة من ذخائر مجلة الوعي الإسلامي، اختصر فيها الإمام محيي الدين النوري- رحمه الله تعالى- رسالته: ( التبيان) فجاءت صغيرة الحجم، كثيرة الفوائد والدرر، تناول فيها أحكام تلاوة القرآن الكريم وآداب حامله.

التحرير

# الافتتاحية

## الحضارة الإسلامية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه واتبع هداه، أما بعد؛ فقد عرفت الحضارة بأنها عبارة عن مجموعة من العقائد والمبادئ المنظمة للمجتمع، وتمثل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة، هكذا عرفت الحضارة عموما!

أما الحضارة الإسلامية؛ فهي الحضارة التي تقوم على الإسلام؛ لأن الإسلام هو الذي بناها وشيدها، وهي حضارة ربانية تعود إلى العلم الذي جاء به نبينا محمد ﷺ عن طريق الوحي. إلا أنها حضارة قد استفادت من مختلف الحضارات السابقة في قيامها وتجاذباتها.

هذا وتشتمل الحضارة الإسلامية حسب مفهومها الراسخ على نوعين: الأول: الأصالة والإبداع، والثاني: البعث والإحياء، فالأول لأنها تستمد وجودها من منبع وحيد هو الدين الإسلامي، والثاني لأنها، في بعض جوانبها، نتاج تطبيق المسلمين لأمور تجريبية في مختلف جوانبها.

لقد استطاعت الحضارة الإسلامية أن تحتوي على الجانب العلمي منذ نشأتها حتى وصفت بأنها (الحضارة الكريمة)؛ لأنها كرست نفسها لتسهيل التقدم والتطور.

لا غرو في ذلك، فهي ربانية من حيث الأصل، عادلة في تحقيق الأمن والاستقرار، شاملة في تعاليمها، حتى ساهمت في ازدهار البلاد ونموها وعمرانها.

إن مبدأ المساواة من أهم ركائز الحضارة الإسلامية، ففي ظل الإسلام لا فرق بين الراعي والرعية من حيث الواجبات والحقوق، ولا فرق بين طبقة وأخرى؛ هذا المبدأ الذي أوضحه نبينا ﷺ في خطبته المشهودة قائلا: (يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى) (رواه أحمد، رقم:٢٣٤٨٩). مستمدا هذه المبادئ الخالدة من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات:١٣).

وختاما: إن هذه الحضارة العريقة تميزت عن غيرها من الحضارات السابقة بأسباب تمنحها البقاء الدائم والخلود الأبدي، وذلك لأنها حضارة أخلاقية، عقلية علمية، تقوم على التسامح والعدل والمساواة والرحمة، إضافة إلى كونها حيوية ترفض اليأس، شاملة لأحكام الدنيا والآخرة، فهي لا تقع، فإذا وقعت؛ وجدت متكأ.

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٣٩ / ذو القعدة ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
يوليو ٢٠١٨م





**المراسلات**

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




## في هذا العدد





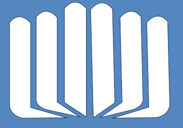

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥-٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣- فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

- الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





## كلمة العدد

### المتحضرون

المتحضرون لا يكذبون ولا ينافقون ولا يظلمون.. المتحضرون يطبقون على الكل القانون.. المتحضرون لا يحابون ولا يتملقون.. المتحضرون يستفيدون من دروس الماضي ويتعلمون.. المتحضرون سفراء للإسلام في كل مكان فيه يوضعون.

المتحضرون لا يركنون فقط إلى تاريخ الأسلاف المنتصرين وإنما إلى الجهد والبذل والعطاء ويضيفون في كل مجال من علوم وفنون.

المتحضرون لا ينتقمون لأنفسهم وعن الصغائر يترفعون.. المتحضرون يكرمون الجميع ومن اللئيم ينتبهون.. المتحضرون يوسدون الأمر لأهله وفق التخصص والكفاءة فهم لا متنفعون ولا متحزبون.

المتحضرون لا يأخذون الناس بالظن ومن حديث الفاسق يتثبتون.. المتحضرون يخططون ويعدون الدراسات المستقبلية.. ويتوقعون وبالوقاية يعالجون.

المتحضرون ليسوا حكرا على أمة واحدة بين الأخلاق والعلم لا يفصلون.

المتحضرون يعدون الكوادر لتتراكم الإنجازات في نظام يبني ولا يهدم.

المتحضرون واقفون شامخون وإن أصابهم الضيم كالوتد.

مدير التحرير
فهد الخزي


**الاشتراكات**

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

**ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

نعيم السلاموني
باحث وكاتب مصري

# الرضا مفتاح السعادة

**يسعى الإنسان جاهدا في حياته لراحة نفسه وطمأنينة قلبه، ولا يأتي ذلك إلا بالرضا؛ فكم من أشياء يكرهها الإنسان ويحسبها شرا فإذا هي تفضي إلى فتح وخير، يقول الله عزوجل: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:٢١٦)، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (النساء:١٩).**

والرضا بالله يستلزم محبته، والخوف منه، والالتجاء إليه، والاعتماد عليه، والاستجابة لأوامره، ومحبة رسوله ﷺ، والاهتداء بهدايته، والاقتداء بسنته وأعماله. وإذا كانت السعادة في الرضا، فإن الرضا أعلى من درجة الصبر ولا يبلغها إلا من أتاه الله إيمانا كاملا وصبرا جميلا. ونرى الراضي بقضاء الله مسرورا بما حل به، سواء كان مرضا أو فقرا أو مصيبة؛ لأنها حدثت بمشيئة الله عزوجل.

### الرضا نعمة

ونعمة الرضا لا تأتي لعاص أو جاحد؛ إنما يشعر بها الطائعون المستقيمون على شرع الله، يؤكد ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأعراف:٩٦).

ومن الرضا تأتي السعادة. وقد خط لنا نبينا ﷺ كلمات جامعة فيها خلاصة وافية لشرح أسباب السعادة المطلقة في قوله: «من بات آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» (رواه الترمذي).. إنه تلخيص لأسباب السعادة التي نسعى إليها جميعا، فتذكر جيدا حينما تمتلك قوت يومك وتشعر بالرضا فأنت أسعد إنسان في العالم. يقول نبينا ﷺ أيضا: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما» (سنن الترمذي). وقال: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» (رواه مسلم).

### نماذج

ومن نماذج الرضا ما كان من سيدنا عروة بن الزبير، رضي الله عنهما، عندما خرج في سفر ففقد واحدا من أعز أبنائه إليه وأصيب بداء في قدمه انتهى بقطع ساقه من منتصفها فصبر ولم يجزع ولم يسخط وقال: «اللهم إنك أعطيتني سبعة من الولد فأخذت واحدا وأبقيت لي ستة، ومنحتني أربعة أطراف فأخذت واحدا وأبقيت لي ثلاثة، فلئن أخذت لقد أبقيت، وإن ابتليت لقد عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وابتليت ولك الحمد على ما عافيت وأبقيت».

**الزوجة والأبناء الصالحون وصحة البدن من الرزق**

ومر أحدهم على رجل مقطوع اليدين مقطوع الرجلين وهو يقول حامدا شاكرا: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من الخلق». فقال له أحد الناس: «مم عافاك الله؟». فقال: «يا هذا لقد عافاني من كثير وأعطاني أكثر؛ الحمد لله الذي جعل لي لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وجسدا على البلاء صابرا». قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (إبراهيم:٣٤).

والرضا هو العطاء أو فعل الخير، ويندرج ضمنه البساطة كبشاشة الوجه عند لقاء الآخرين. والرضا فعل إرادي يخرج صاحبه من دائرة القلق والفراغ النفسي إلى دائرة المواءمة والسرور.

ورغم أن المال مطلب لضمان العيش الكريم، فإنه لا يلبي كل ما يحتاج إليه الإنسان في الحياة؛ فرزق الله أوسع وأشمل من أن يكون نقودا تكتسبها أو عقارات تمتلكها، إنما الرزق أيضا يكون في الزوجة والأبناء الصالحين



# الغنى الحقيقي يكون في القناعة برزق الله

وفي الهدوء وراحة البال وصحة البدن التي لا تقدر بمال.

فإذا رضي الإنسان بما قسم الله له وقنع بما رزقه فذلك هو الغنى الحقيقي، أما إذا لم يرض ولم يقنع فلن تشبع نفسه أبدا ولو ملك مال الدنيا كلها. إن المال لا يجلب للإنسان السعادة على طول الخط؛ فالغني البخيل حكم الله عليه أن يكون حارسا للمال لا يتمتع به أبدا، وصدق الإمام علي بن أبي طالب حين قال:

**أموالنا لذوي الميراث نجمعها**

**ودورنا لخراب الدهر نبنيها**

## دراسة

وحب الغير نوع من أنواع الرضا؛ وقد بينت إحدى الدراسات أن الأشخاص الذين يتمتعون بخاصية حب الغير تقل بينهم معدلات الإصابة بأمراض القلب مقارنة بالأفراد المحرومين من هذه النعمة. إذن، فإن للرضا مقدرة فائقة على شفاء المرضى. بينما على الجانب الآخر، يؤدي الغضب والكراهية والضغينة إلى إفراز هرمونات مدمرة ترفع نسبة الإصابة بأمراض القلب وتقلل المناعة ضد الأمراض.

أيضا فإن الصلاة والصيام وأداء الشعائر الدينية بشكل عام تمنح الإنسان الطمأنينة والرضا؛ ما يؤدي إلى إفراز هرمونات في الجسم تعمل على تنشيط المناعة وتخفض ضغط الدم والتوتر والاكتئاب.

إن الرضا يجلب السعادة، ويُكسب القلب السكينة والراحة والطمأنينة والشعور بالأمن والسرور والفرح، ويجعل الإنسان سليما في منعة من الغش والغل والاعتراض والتذمر والملل والضجر والتبرم. ومن رضا الله تعالى على عبده أن يملأ قلبه نورا وإيمانا ويقينا بقضاء الله وقدره. والرضا ثوابه الجنة قال ﷺ: «من قال رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا وجبت له الجنة» (أخرجه الترمذي وأحمد).

من أهم عوامل القلق تحسر الإنسان على الماضي وسخطه على الحاضر وخوفه من المستقبل؛ لذلك ينصح الأطباء النفسيون ورجال التربية أن ينسى الإنسان آلام أمسه ويعيش راضيا بواقع يومه فإن الماضي بعد أن يولي لا يعود أبدا.

إن السعادة تنشأ من الرضا بالمقدور والاستمتاع بما هو ميسور، والرضا يمنع الاقتراب من الشر والشرور فهو صيدلية مجانية. لقد ثبت علميا وطبيا أن الإحساس بالرضا عن النفس، وعدم استهلاك العمر في الصراع مع الآخرين، والتحلي بالتسامح، والتخلي عن العدوانية من أفضل السبل لتجنب التوتر والقلق والاكتئاب.

فما أجمل الرضا بما قسمه الله وما أوسعه بابا للسعادة.

نهى الفخراني
كاتبة صحفية

# كن سعيـدا

**من منا لا ينشد السعادة ويفتش عنها في كل وقت، بل يسعى إليها حثيثا؟! فأنت تبحث عنها منذ نعومة أظفارك. نعم، أنت. ومازلت تبحث عنها بعد أن صرت كبيرا! إنها عبادة، لكن قد تغفل عنها، فهي تفيدك كما تفيد المحيطين بك. إنها سر الابتسامة التي ترتسم على وجهك.**

**هل تبحث عنها بداخلك؟ هل تبحث عنها حولك؟ هل أنت الذي تصنع السعادة، أم هي التي تسعى إليك؟ هل تشعر بالسعادة الآن؟ وما هي أكثر الأمور التي تسعدك؟ هل أنت شخصية مبتسمة أم عابسة؟ هل تعتقد أن السعادة كالزجاج سرعان ما تنكسر؟ هل تسعى إلى أن تصنع من الليمون عسلا أم تعتقد أنه سيظل حامضًا لا محالة؟ هل تصاحب المبتسمين البشوشين؟**

كيف ترى السعادة؟ هل في جمع المال؟ هل السعادة نتيجة للنجاح أم أن النجاح نتيجة للسعادة والرضا؟ كيف تكون سعيدا؟ ماذا عن موانع السعادة؟ كيف لا تبتسم وقد أمرنا نبينا الكرم ﷺ بالتبسم حيث قال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة» (رواه الترمذي)؟!

إن الفقير والغني، الكبير والصغير، العاصي والملتزم، ينشد السعادة، لكن المؤكد أيضا أن ما يرضيك ويسعدك ليس بالضرورة يسعد غيرك.

إن السعادة حبيبة إلى قلب كل إنسان، عنوانها الابتسامة، وهي شعور داخلي يمنح الإنسان سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير، وما من إنسان إلا ويسعى إلى تحقيقها في حياته، ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب، فأكثر الناس يظنون أن السعادة في المال والثراء، والبعض يرى السعادة في الزواج وإنجاب الأولاد، بينما يرى فريق آخر السعادة في الوصول إلى منصب أو شهرة، أو قد يرونها في التأقلم مع طبيعة حياته والتكيف معها، ويحصرها البعض في المحافظة على الصحة واللياقة البدنية.. لهذا فالسعادة هي غاية الجميع وإن اختلف مفهومها وشكلها.

## مهمة في حياتك

يقول الكاتب أحمد أمين في كتابه «فيض الخاطر»: ليس المبتسمون أسعد حالا لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالا للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب والإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس.

كما يؤكد الدكتور إبراهيم الفقي في

كتابه «المفاتيح العشرة للنجاح»: أن أكثر الناس قدرة على السعادة هم من ينظرون إلى ما في أيديهم وليس الذي في أيدي الآخرين. كما يقول: إذا أردت السعادة فلا تبحث عنها بعيدا فإنها بداخلك. إن الابتسامة دليل حضارات الشعوب، ومرآة تعكس المستوى اللائق لتفكيرهم، فقد كان العرب قديما يمدحون الشخص المبتسم، ويرون الابتسامة من أهم الخصال الحميدة في المرء، ويجعلونها دليلا على سعة النفس، وسخاوة الطبع:

إن أول المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بهذا الإسعاد، ويجنون ثماره عاجلا في أخلاقهم وأنفسهم وضمائرهم، فإذا ضاق بك هم وألم بك غم، فامنح غيرك معروفا واسد إليه جميلا تجد الفرحة والراحة.

وحديثا أكدت العديد من الدراسات أن الشعب الياباني من أكثر شعوب العالم تبسما؛ ولكن لماذا يحب اليابانيون الابتسام؟ من وجهة نظر فسيولوجية يؤكد العلم الحديث أن الابتسامة تحرك في الوجه ١٧ عضلة، بينما يحتاج العبوس إلى تحريك ٤٣ عضلة.. فلماذا نجهد عقولنا وأجسادنا في العبس في وجه الآخرين بينما السعادة أبسط وأيسر بكثير؟!

والضحك يتيح للإنسان مواصلة عمله بنجاح بروح معنوية مرتفعة وحيوية ونشاط، لأن الشخصية البسامة أقرب للنجاح من غيرها، إذ تستطيع أن تغزو قلوب الآخرين سريعا. يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «إني لأجم فؤادي ببعض الباطل (أي اللهو المباح) لأنشط للحق».

وقد ثبت طبيا أن الضحاكين المبتسمين أقل الناس تعرضا لتقاسيم الوجه والهرم سريعا، ليس هذا فحسب، فالابتسامة تخفض ضغط الدم، وتعمل على هدوء الأعصاب، وتبعد التوتر عن الإنسان، وتزيد من مناعة الجسم، كما تعمل على صفاء الذهن وزيادة القدرات الإبداعية لديه.

وعن أهمية الابتسامة تقول الحكمة التايلندية: «الابتسامة طريقك الأقصر إلى قلوب الآخرين». وتقول الحكمة الصينية: «إن الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم لا ينبغي أن يفتح متجرا»، وهذا ما تؤكده إحدى القصص الواقعية، حيث طلب بعض العمال في أحد المحال التجارية الشهيرة بباريس رفع أجورهم، فرفض صاحب العمل ذلك، فما كان من عماله إلا أن اتفقوا على ألا يبتسموا في وجه الزبائن مطلقا، وأن يقابلوهم بوجه عبوس كرد فعل على موقف المالك، فكانت النتيجة أن انخفض دخل المحل في الأسبوع الأول حوالي ٦٠ في المئة عن متوسط دخله في الأسابيع السابقة.. يا لها من سلاح قوي لو أدركه صاحب المحل لما أقدم على هذا الرفض!

## أسعد الدول

وفقا للتقرير السنوي الرابع للدول الأكثر سعادة عالميا، والصادر عن هيئة SDSN، التابعة للأمم المتحدة عام ٢٠١٦م، والذي يقوم على عدة معايير؛ مثل حصة الفرد من إجمالي الناتج المحلي في دولته، ومتوسط العمر المتوقع، ومعدلات الفساد وكذلك الحريات المتاحة، فقد حازت الدنمارك لقب «أسعد دولة حول العالم»، بعد نجاحها في

**الضحك يتيح للإنسان مواصلة عمله بنجاح**

إزاحة سويسرا التي حصلت على هذه المرتبة عام ٢٠١٥م، بينما جاءت الإمارات الأولى عربيا، تلتها المملكة العربية السعودية. وقد ذهبت النسبة الكبرى من المراكز العشرة الأولى في القائمة إلى الدول الأوروبية، حيث جاءت سويسرا ثانية، وأيسلندا ثالثة، والنرويج رابعة، وفنلندا خامسة، بينما جاءت كندا في المرتبة السادسة عالميا، وعلى الرغم من كونها أكبر اقتصاد عالمي فقد احتلت الولايات المتحدة المركز الثالث عشر في القائمة.

بينما كانت المراكز العشرة الأخيرة من نصيب: مدغشقر، تنزانيا، ليبيريا، غينيا، رواندا، أفغانستان، توجو، وسوريا وبوروندي.

واللافت للنظر هو تصدر الدول «الباردة» والمعزولة عن ساحات الأحداث الدولية للمراتب العشر الأولى، لذا يبدو أن السعادة و«راحة البال» ترتبطان بشكل كبير بالابتعاد عن مشاكل هذا العالم والتفرغ لحياة هادئة وهانئة، تستطيع فيها السعادة إذابة الثلوج المتجمدة.

هل تشعر باليأس والتذمر أحيانا؟ هل تغرق في عملك لدرجة تنسيك الابتسامة؟

يؤكد العديد من الأطباء النفسيين، أن معظم أعراض الاكتئاب والملل أو الضيق تنشأ بسبب الاستغراق في العمل الجاد بصورة دائمة وبشكل روتيني، مما يجعل الإنسان ضجرا ملولا ثائرا عصبي المزاج. إن اليأس مثبط للعزائم والهمم، والوجه العبوس طارد للفرص وللنجاح، فإذا أردت النجاح فتوقع الخير وابتسم، وحارب اليأس بالابتسام. يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أجموا هذه القلوب فإنها تمل كما تمل الأبدان»، أي فرجوا عن القلوب. ويقول إيليا

أبو ماضي الذي أسماه بعض النقاد بشاعر التفاؤل:

**قال السماء كئيبة! وتجهما**

**قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما!**

**قال: الصبا ولى! فقلت له: ابتسم**

**لن يرجع الأسف الصبا المتصرما!**

فهذه الأبيات من قصيدة مطولة بعنوان «ابتسم»، فيها اثنان متحاوران، أحدهما حزين، والآخر يرد عليه ويخفف عنه حدة الألم والحزن وينصحه بمواجهة كل الصعاب والمشكلات بـ«الابتسامة»، لما لها من قدرة عظيمة على جعل اليائس متفائلا، والحزين سعيدا.

## دراسة عن السعادة

استطاعت دراسة علمية استغرقت ٧٥ عاما (١٩٣٥م - و٢٠١٣م) أجراها مركز دراسات تنمية الكبار التابع لجامعة هارفارد الأميركية، متابعة حياة البشر في سنوات مراهقتهم حتى بلوغهم سن الشيخوخة لمعرفة أسرار الحياة السعيدة!

الدراسة هي أطول دراسة زمنية أجريت في العالم حتى الآن، وخلال الدراسة تم تتبع حياة ٧٢٤ شخصا عاما بعد عام. يقول روبرت والدينجر، عالم النفس الشهير والقائم والمشرف على الدراسة، إنه كان يتم سؤال الـ٧٢٤ شخصا عن عملهم وحياتهم الشخصية وحالتهم الصحية، ولم تكتف الدراسة بإعطائهم استفتاء يجيبون عليه فقط، ولكن الدراسة اهتمت بعمل لقاءات شخصية دورية معهم ومع عائلاتهم في منازلهم، بل وتصوير بعض تفاصيل حياتهم على شرائط فيديو لتحليل هذه العلاقات، فضلا عن متابعة تقاريرهم الطبية وعمل فحوص لهم تشمل عمل أشعة على دماغهم، وغيرها من الفحوص.

بدأت هذه الدراسة الشاقة عام ١٩٣٨م، حيث تتبعت حياة العينة المختارة وتم تقسيمهم إلى مجموعتين: الأولى طلبة في السنة الأولى في جامعة هارفارد، وقد أنهوا دراستهم أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانوا من طبقات غنية إلى حد كبير، بينما ضمت المجموعة الثانية عددا من الصبية والبنات الذين ينتمون إلى الطبقات الفقيرة.



وكشف روبرت مؤخرا عن نتائج الدراسة، فبعد دراسة عشرات الآلاف من الأوراق البحثية، كشفت النتائج أن سر السعادة يكمن في اختيار الشخص لأن «يكون سعيدا». وأوضحت أيضا أن سر السعادة يكمن في العلاقات الإنسانية والاجتماعية الجيدة مع عائلتنا وأصدقائنا والأشخاص المحيطين بنا في المجتمع، لاسيما أن العلاقات الجيدة تبقينا سعداء وأصحاء وتطيل أعمارنا. فالأشخاص المعزولون عن الآخرين هم أقل سعادة وتبدأ صحتهم بالتدهور في منتصف العمر، كما تقل قدراتهم العقلية، ودرجة تركيزهم تبدأ بالضعف الشديد مع تقدم العمر، ويعيشون حياة أقصر. وبينت الدراسة أن العلاقات الجيدة ليست بعددها وإنما بنوعيتها ومدى قربها وعمقها وقوتها وتأثيرها الإيجابي. وأثبتت الدراسة أن الأشخاص الذين كانوا في علاقات جيدة ويعانون من آلام جسدية وأمراض، كان مزاجهم أحسن حالا مقارنة مع أولئك الذين يعيشون في علاقات تعيسة؛ لأن إحساسهم بالألم الجسدي تضاعف بسبب آلامهم النفسية.

وكشفت الدراسة عن عدة نتائج ونصائح للتمتع بحياة سعيدة، من أهمها:

- الاعتزاز بالعلاقات الشخصية، حيث تؤثر بشكل إيجابي في حياة الشخص.
- تقدير الحب وعدم التقليل من شأنه على جميع المستويات.
- كثرة المال والسلطة لا تعني زيادة معدل السعادة في حياة الشخص، حيث لا يرتبط الأمران.
- استخدام الذكاء الشخصي في أمور إيجابية وهادفة.
- بذل المزيد من الجهد في الأمور التي تجيدها.
- ممارسة الرياضة والاعتناء بنفسك للتمتع بصحة جيدة، حيث إن ٧٨ في المئة من الأشخاص السعداء يمارسون الرياضة على الأقل ثلاث مرات في الأسبوع.
- لم يفت الأوان على إدراك السعادة في الحياة، فطالما لاتزال حيا هناك فرصة.

## الحصول على السعادة

تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة على الرغم من طولها وعمقها فإنها قد لا تتناسب كليا مع المفهوم العربي والإسلامي للسعادة، حيث تعكس المفهوم الغربي فقط، إذ أوصت إحدى نتائج الدراسة مثلا بعدم الإفراط في شرب الكحوليات، وهو من الأمور المحرمة شرعا والمرفوض كليا في شريعتنا الإسلامية.

## أهم المراجع

- كتاب «ابتسم» للدكتور عائض القرني، الطبعة الخامسة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- «المفاتيح العشرة للنجاح» للدكتور إبراهيم الفقي.

# ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

**حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:**

## أولاً: ما يتعلق بالكاتب:

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، والبريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

## ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية:

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحية ولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة :

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

د. رضا عبدالحكيم
إسماعيل رضوان
باحث شرعي

# ثقافة الحوار مع الآخر



## الجدل يقتل روح الإنسانية التواقة إلى المعرفة

لقد انتشرت مظاهر التعصب والتطرف والإقصاء وإلغاء الآخر والكراهية.. وغيرها من المظاهر التي تبث عبر الوسائل الإعلامية المختلفة في وسط هذا العالم المشحون بتلك المظاهر السلبية بين عدد من أتباع الديانات المختلفة. وتأتي دعوات الحوار بين الأديان كبديل للصراع أو المواجهة أو الإقصاء، فالكل يعيش في عالم واحد، ويواجه مصيرا واحدا وقضايا عدة تكاد تكون واحدة، فحوار الأديان هو دعوة حضارية للتسامح والاعتراف بالآخر ونشر التعددية في المجتمع الواحد أو المجتمع الإنساني عامة، وهو دعوة أيضا للحوار بشأن قضايا العيش المشترك، كالعدالة والحرية والكرامة والمواطنة وحقوق الأقليات وحقوق الإنسان بشكل عام.

نحن اليوم في حاجة إلى العمل على بناء ثقافة يسود فيها التعايش والتنوع والتعددية والتسامح.. وغيرها، ونقد ورفض القيم الإقصائية التي تدعو إلى الانغلاق الفكري والانعزال والتشرذم والتكفير.

والذي أفهمه أن الحوار حديث عقلاني بين طرفين أو أكثر، محكوم بالمنطق الذي له معنى، وحصيلته تقييم الأفكار المهمة، مثل تعريف المحاور الإيمانية العقائدية والتساؤلات والاقتراحات والفرضيات والقيم أو وجهات النظر. ويكون النقاش موجها إلى هدف، هذا الهدف يكون باتجاه اكتشاف أو التأكيد على الحقيقة، الكذب، أو المعنى لمعتقد أو ادعاء. إن المحادثة المنطقية هي الهيكل الأساسي الذي من خلاله تقدم الأفكار وتناقش.

نعلم أن أهل الفكر والثقافة يسعون بكل همة لتأسيس أرضية مشتركة بين الثقافات والحضارات لتفعيل قيم التسامح وقبول الآخر والعدالة والكرامة الإنسانية والحرية.

إن المقصود بالثقافة ذلك النسيج الكلي المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير، والعمل وأنماط السلوك، وكل ما يبنى عليه من تجديدات، أو ابتكارات، أو وسائل في حياة الإنسان، مما نشأ في ظله كل عضو من أعضاء الجماعات، ومما ينحدر إلينا من الماضي ونأخذ به كما هو، أو نطوره في ضوء ظروف حياتنا وخبراتنا، أو وفق تعريف مالك بن نبي «مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه».

وواضح من هذا التعريف أن الثقافة المستهدفة هي ذلك المحيط، الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، ويعكس حضارة معينة، ويتحرك في نطاق الإنسان المتحضر، ولذلك يرى مالك بن نبي أن هذا التعريف يضم بين دفتيه: فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة، أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع.

فالثقافة في أقوى معانيها، وفي عمق جوهرها، وفي أجلى دلالاتها وتعبيرها، هي عملية تهذيب للنفس وإصلاح للفكر. تهذيب في بعدين: بعد توجيه الغرائز وضبط الشهوات والتحكم في الأهواء، وبعد تنمية الملكات الفطرية والمواهب والطاقات الداخلية، والله سبحانه وتعالى وصف النفس بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس:٧-١٠).

## ثقافة الحوار

لعل من أبلغ ما قيل في تحديد دلالة اصطلاح «ثقافة الحوار» أن هذه الثقافة تمثلها التربية على الانفتاح والتمرن على التواضع. وعموما المقصود بثقافة الحوار هو: تلك الثقافة التي تقبل الآخر وتتحاور معه من منطلق أن ما يجمع البشر أكثر مما يفرقهم، وأن الفروقات بين البشر اقتضتها حكم إلهية عليا بهدف إعمار الأرض، وصنع التقدم، وضمان الإبداع والتطور عبر التنافس الخلاق، والتدافع الحضاري المحفز للتقدم والارتقاء وفق الخصائص الثقافية المميزة لكل شعب وأمة، التي ينبغي أن تكون موضع احترام الجميع، وبما يضمن تفاعلها وتلاقحها عبر آلية الحوار الثقافي والتواصل الحضاري المعبر عنها قرآنيا ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ (الحجرات:١٣).

لقد دعا الإسلام أتباعه إلى الحوار بالحسنى، ومجادلة الآخرين بالأدب، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ (النحل:١٢٥)، وقال عزوجل: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (العنكبوت:٤٦). والملاحظ أن القرآن الكريم لم يرض لأتباعه المنهج الحسن في الحوار فقط بل المنهج الأحسن. يقول الإمام القشيري رحمه الله: «ينبغي أن يكون منك للخصم تبيين، وفي خطابك تليين، وفي قبول الحق إنصاف، واعتقاد النصرة لما رآه صحيحا بالحجة، وترك الميل إلى الشيء بالهوى». كذلك يقول العلامة ابن عجيبة رحمه الله: التي هي أحسن، أي ألطف وأرفق، وقد طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يكون هذا منهجهم في حوارهم وحديثهم كله مع الآخر، يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ (الإسراء:٥٣).

يقول العلامة ابن عجيبة رحمه الله: من أوصاف أولياء الله أنهم هينون لينون، لا ينطقون إلا بالكلام الأحسن، ولا يفعلون إلا ما هو أحسن، ويفرحون ولا يحزنون، وينبسطون ولا ينقبضون، ومن رأوه مقبوضا بسطوه، ومن رأوه حزينا فرحوه، ومن رأوه جاهلا أرشدوه بالتي هي أحسن. وهم متفاوتون في هذا الأمر، يفضل بعضهم على بعض في الأخلاق والولاية، فكل من زاد في الأخلاق الحسنة زاد تفضيله عند الله. وفي الحديث «إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم» (رواه أحمد).

الحوار وسيلة لتبادل المعرفة وتفتيح الفكر المعرفي ليصبح أكثر دقة وجدوى. والحوار الصحيح هو الحوار الذي يبنى على المعرفة، وليس الحوار جدلا ومغالطة تهدف إلى تزييف القناعات وتعقيم الإرادات. ولاريب أن الجدل يقتل روح الإنسانية التواقة إلى المعرفة، ويقطع على طالبها طريقه نحو الكمال الإنساني الذي ننشده جميعا. ولقد قدم القرآن ملامح رئيسية واضحة للحوار ونبذ الجدل.

نجد أن الحوار الإسلامي مع الأديان ليس لونا من ألوان العبث أو الحرب أو الخصومة، فقد نأى بنفسه عن كل ما يقارن المغالطة أو الزيف أو الباطل، بل جعل الحق والحقيقة هما عنوانه وغايته، ولخص القرآن الكريم ذلك في دعوته الحوارية لأهل الكتاب، قال تعالى:

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤)، وقال تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (القصص:٤٩).

برؤية إسلامية وسطية مستنيرة انضم إلى الرأي القائل بأنه ليس المقصود من الحوار بالنسبة إلى الحضارات، أو الأديان، أو المذاهب، هو مفهوم الحوار الذي يريد أن يقنع الآخر ليتنازل عن اعتقاده، لكن المطلوب هو «فهم الآخر» فهما سليما بعيدا عن روح الانتقاص أو التهوين أو التخطئة أو التشويه، فتصبح بالفهم كأنك هو. وهذا الفهم هو الخطوة الموصلة لقبول الآخر كما هو، وعلى حقيقته، ولا يترتب على هذا إصرار على تغييره، فعقائد الآخر ليست مطروحة للتفاوض، لكن للفهم والقبول به هو البحث عن تجاور متفاهم لا إلغاء لأحد فيه، أما التغيير فهو خاص بكل واحد له حرية الاختيار.

ويترتب على ما سبق أمران، أولهما: احترام متبادل للعقائد والأفكار.

والثاني: أن تتم الممارسة العقائدية من دون إساءة أحد الطرفين إلى الآخر. وهذا الأمر الأخير هو الذي يجب أن يركز عليه حوار العقائد وفهمها، ويزيله من الطريق إزالة الأعشاب الضارة، فالاختلاف طبيعة بشرية، يقول الله عزوجل: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ (المائدة:٤٨).

لذلك يجب ألا يتوقف الحوار عند مستوى الفهم الفكري، لكن يجب أن يمتد إلى محيط التطبيق العملي، حيث يتوقع من أعضاء الجماعات الدينية أن يمارسوا قيم الاحترام والتسامح والمساواة والحرية وتقدير الآخر. كما ينبغي تثمين آلية حوار الأديان باعتبارها الوسيلة المثلى للتفاهم بين الشعوب والأمم، مع المحافظة على تطوير تلك الآلية لتكون أكثر فعالية ونجاعة، والابتعاد عن النخبوية.

---

### مرجع

استخلصت أفكار هذا المقال من رؤى متنوعة في ندوة «حوار الأديان» التي أقامتها مجلة الثقافة العالمية في الفترة من ٢٠ إلى ٢١ نوفمبر عام ٢٠١٦م مساهمة منها في الاحتفال بالكويت عاصمة للثقافة الإسلامية.

د. خالد برادة
باحث - المغرب

# التجديد.. ضرورة حياتية

لا غرو أن التجديد من ضروريات الحياة؛ فهو مقصد جليل من مقاصد الحنيفية السمحة، الداعية بالحكمة، والتي انداحت فبسطت جناحيها على الإنسانية بالرحمة، لتغمرها بأريج السعادة، وسط تيار لجي من الأفكار الوافدة، التي زاحمت العقول، وقد آن لها - بإذن الله - أن تزول، ونحن نعلم يقينا أن الإسلام لا يحارب الأفكار ولا يصادمها، ولكنه يضع الضوابط التي تحمي المسلم من سمومها أو الارتماء في حضنها، والاحتواء في نهجها.

والناظر في تاريخ المسلمين يرى أن عوامل الركود والجمود الفكري التي نسج العنكبوت الأجنبي عليها خيوطه كانت شرا مستطيرا على المسلمين، بل كانت أشد وقعا عليهم من الطاعون الخطير فقد وجد المستعمرون في ذلك الجمود والتخلف الذي ران على صدر الأمة الإسلامية ردحا من الزمن ملاذا لهم، ضحكوا من خلاله على الذقون، والمسلمون وقتها نائمون، فكانت جائحة الاستعمار الغربي تغزو عقر دار المسلمين عسكريا، وعقولهم فكريا، ولم يخرجوا من ديارنا إلا وكانوا قد أعدوا جيلًا من التغريبيين الذين تربوا في مدارس الإرساليات التبشيرية، فكانوا أشد عقوقا لأمّهم التي تنكروا لها، المتمثلة في وطنهم، فلما عادوا من بعثاتهم التي جلسوا خلالها على موائد المستشرقين قدموا أنفسهم على أنهم «مجددون» ينشدون الإصلاح لوطنهم، وزعموا أنهم يريدون تخليص أمتهم من جمودها ورقودها، فخدعوا بني جلدتهم بمسميات برّاقة حملوها معهم من ديار الغرب في أمتعة سفرهم كالليبرالية والاشتراكية، وأغروا بها ضعاف النفوس من السذج الذين رقت قبضة الدين في نفوسهم، فاشرأبت أعناقهم تجاه بريق الحضارة الغربية الزائفة.

وقد تفاقم الأمر لما حوّرت العربية الفصحى من لدن المستعمرين والمبشرين، بل تردى الأمر من حالق عندما صارت لغة المستعمر هي اللغة الرسمية في الدواوين، وكانت الوظائف حكرا على من يجيد لغة الأجنبي تماما، وبلغ الأمر ذروته في الخطورة لما فشت على ألسنة الناس لغة المحتل؛ فطارت منها الفصحى، واحتوتها العجمة، وامتد هذا الخطر الداهم إلى الأدباء والشعراء، فعز عليهم اللفظ الجزل، والأسلوب الأنيق، فلا غرابة إذا رأينا مسحة من التجديد من لدن لفيف من الكتّاب والمثقفين يحاولون جهدهم لإحياء أساليب العربية الفصحى، فعملوا على إنقاذها من وهدتها، وإقالتها من عثرتها، وانبرت المدرسة البيانية إذ ذاك والتي علا فيها نجم أمير البيان شكيب أرسلان، تحاول أن ترقى بالأسلوب وروعة البيان المكتوب، وإن كان بعض أدعياء هذه المدرسة لم يسلم من تيار القومية العربية، وكان من أوائل من تأثروا بذلك الشاعر إبراهيم اليازجي وقصيدته البابية معروفة في ذلك، والأنكى من ذلك كله أن هذا التيار تلقح ببعض الأفكار الاشتراكية على

يد بعض السياسيين أمثال: صلاح الدين البيطار، وميشال عفلق.
وندع دعاة التجديد المزيفين وشأنهم فما لبثوا حتى تكشف للناس سوء طويتهم وفساد ركائزهم. ولا يحسب القارئ الكريم أننا نجرح أعضاء المدرسة البيانية كلا، فقد ظهر أعلام الفكر الإسلامي المنتمين إلى هذه المدرسة، والذين عرفوا بجزالة أسلوبهم، كمصطفى صادق الرافعي، والأديب مصطفى لطفي المنفلوطي، والأستاذ شكيب أرسلان، الذي اقتعد مكانا سامقا بين الأدباء بامتلاكه ناصية البيان في لغة القرآن، وسواهم كثيرون فلله درهم. والذي رمينا إليه بقولنا: «دعاة التجديد المزيفين»، إنما هم تلامذة المستشرقين ومن لف لفهم، الذين مرقوا من حظيرة الهوية الإسلامية، وقد أشرنا إلى ذلك في مستهل مقالنا هذا.
والذي نريد أن نلح في شأنه حيال قضية التجديد - الجوهرية وأمرها- التي نضعها بين أيدي القراء الكرام مفادها أن التجديد الحقيقي مرتبط ارتباطا وثيقا بالكتاب والسنة، فليس التجديد أن نلفظ القديم، ونغير الثابت من شرع الله تعالى كما يتمنى ذلك دعاة العصرنة، الذين يودون لو أن إسلامنا احتوته الأيديولوجية العصرية، وأنّى لهم ما تمنوا. ذلك أن الاجتهاد ضروري لتكييف حياة العصر مع شرع الله، وهذا ما نسميه تسليم العصر لا عصرنة الإسلام.
فالتجديد إذن: اجتهاد لتكييف العصر مع الشرع ولجمع شتات العلم.
ولا أحسب القارئ المسلم غافلا عن الكتيبة التغريبية التي دعت إلى تجديد الفكر العربي عن طريق مهاجمة التراث الإسلامي وانتقاصه، وإعلاء العقلانية المادية، فضلا عن اعتزازهم بالفكر المعتزلي على النحو الذي عمد إليه الدكتور زكي نجيب محمود، وحسين أحمد أمين، وحسن حنفي، وفتحي عثمان، وآخرون...
وقد سلكوا طريقا وعرا من خلال تقديمهم العقل على النقل، بل منهم من أنكر الوحي من أساسه، فهذا حسن حنفي يزعم أن: «النصوص الشرعية ليست حجة، والعقل أقوى في الاحتجاج منها»[1]، وأدع القارئ يحكم على هذا الكلام المتهافت وصاحبه، الذي أعلنها صريحة واضحة في قداسته لعقله، فهو سلطانه إذ يقول: «لا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه»[2].
وانظر إلى زكي نجيب محمود الذي يمدح المعتزلة ولا يجد حرجا في الدعوة إلى اقتفاء أثرهم والسير على منوالهم فيقول: «أهم جماعة يمكن لعصرنا أن يرثها في وجهة نظرها... هي جماعة المعتزلة التي جعلت العقل مبدأها الأساسي كلما أشكل أمر»[3] .
لقد زعم هؤلاء وأضرابهم أنهم يقدمون شيئا عليه وشاح التجديد عن طريق ما أسموه بالتنوير[4]، وما هو إلا شر مستطير.
ودعنا من هؤلاء الذين أخطأوا الطريق وتنكبوها من خلال أفكارهم الملتاثة الحائرة، فلسنا نريد إطالة رشاء القول عندهم.
والذي يعنينا أن نثبته في هذا المقال، أن التجديد في الفكر الإسلامي ضرورة لانتشال الأمة من واقع مكلوم مفتون، يئن من جراحه بخناجر الأعداء المسمومة التي تنغر في صدره - كفكف الله جراح أمتنا- والمخرج كما يرى الأستاذ عبدالسلام ياسين -رحمه الله- يكمن في التجديد، بعد أن كشف عن المرض فشخص الداء ووصف الدواء، في عبارة هي فصل المقال فقال: «إننا مسلمون فرديون مفتونون، وإننا في حاجة إلى تجديد يبصر المسلمين الفرديين بمنهاج العمل بعد أن يجدد لهم إيمانا»[5]، وأنعم بالتجديد من بلسم وشفاء لأمراض العصر التي استشرت في زماننا.
إذن لابد لنا من منهاج نمشي في رحابه بعد أن نجدد إيماننا، هذا الإيمان الذي يبلى في القلب كالثوب ورحم الله القائل: «وكل ثوب إذا ما رث ينخلع».
بل استمع معي إلى سيد الوجود محمد ﷺ الذي يقول: «إن الإيمان يخلق (أي يبلى) في القلب كما يخلق الثوب فجددوا إيمانكم»[6].
ناهيك عن التجديد المئوي الذي يهيئ الله فيه للأجيال في كل عصر من يحيي مواتها، ويبل أوصالها، ويغرس في تربتها بذور الإخاء، ويرسي دعائم الإصلاح الاجتماعي، بل حتى السياسي، انطلاقا من مفهوم الإسلام الشامل. ولن يتأتى له ذلك إلا بأن يجدد لها دينها الذي هو عصمة أمرها، وإليك حديث سيدنا رسول الله ﷺ في إرساء حقيقة التجديد المئوي: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[7].
يقول المناوي رحمه الله مظهرا حكمة الله تعالى من بعثه للمجددين رأس كل قرن: «لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل؛ اقتضت حكمة الملك العلام؛ ظهور قرم[8] من الأعلام في غرة كل قرن، ليقوم بأعباء الحوادث إجراء لهذه الأمة من علمائها مجرى بني إسرائيل مع أنبيائها»[9].
وقد كان تجديد الدين في فهم المجددين الربانيين حاضرا في أعمالهم، فهو يعني: «إعادة الدين بنصوصه وقواعده، ومناهج الفهم والاستنباط فيه، إلى حالته الأولى التي أنزله الله عليها، وإزالة كل ما تراكم عليه من سمات ومظاهر، طمست جوهره وشوهت حقيقته»[10]. أرأيت عمل المجددين في العودة بالدين إلى التشريع في الحياة بعد أن سيطرت في الآونة الأخيرة تلك العلمانية البغيضة (وعملها على محاربة

الشريعة الإسلامية وإقصائها)، فضلا عن جهود المجددين في تنقية جوهر الدين وإبراز أصالته، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك لما «قاموا أثناء ذلك بتقعيد القواعد، وتأصيل الأصول، ووضع الضوابط التي تعصم المسلمين من الزلل والانحراف، سواء في فهم الدين أم في تطبيقه»[11]، ولا سبيل إلى ذلك كما يرى الدكتور الشاهد البوشيخي إلا بفقه واقع الأمة، «ذلك بأن التجديد يتطلب فقها لما به يكون التجديد، وهو هاهنا الدين ممثلا في القرآن والسنة البيان؛ وفقها لما له يكون التجديد، وهو هاهنا الأمة ممثلة في واقع المسلمين، وفقها لكيف يكون التجديد، وهو هاهنا السيرة أو المنهاج ممثلا في كيفية تنزيل الدين على الواقع وإحلاله فيه، وكل ذلك مرتبط بالواقع ضربا من الارتباط»[12].

ولا تجديد بلا اجتهاد الذي هو شرط من شروط المجدد[13]، الذي يجب أن يكون ملكة عنده وسجية فيه، وتأتي أهمية الاجتهاد في كونه «أصلا من أصول التشريع الإسلامي، وهو الأساس لحيوية التشريع ونمائه، واستمرار عطائه في تعريف الأمة بأحكام الله في كل نازلة، ولهذا فقد بدأ الاجتهاد منذ عهد النبي ﷺ على يد الصحابة»[14].

وقد راقني الإمام السيوطي الذي أشار في أرجوزته إلى اتصاف المجدد بالاجتهاد في قوله:

**بأنه في رأس كل مئة**
**يبعث ربنا لهذي الأمة**
**منا عليها عالما يجدد**
**دين الورى لأنه مجتهد**

وإذا كنا ألمحنا في هذا المقال إلى ضرورة ارتباط التجديد بالوحيين (القرآن الكريم والسنة النبوية)، فلزاما علينا أن نؤكد حقيقة ناصعة كالشمس في كبد السماء فحواها: أن مجددي الأمة هم من العلماء العاملين، المدججين بسلاح الفهم الشامل لدستورنا الخالد (القرآن الكريم)، فهم - بما آتاهم الله من روح زكية، وحكمة ربانية، وفكر حصيف، وخلق عفيف - يسبرون أغوار القرآن الكريم، ليستخرجوا منه جواهره ولآلئه التي ينثرها حبات عقد في معصم الأمة حتى تنير لها طريقها لنهضتها وازدهارها. ولا غرو فالمجددون هم المفسرون الحقيقيون لكتاب الله تعالى العاملون به، فمما لا شك فيه أنهم فرسانه الأصلاء، فلا عجب إذا رأينا أن التجديد يسري في أوصال علم تفسير القرآن سريان الماء الرقراق في العود الفينان، فلا مندوحة للتفسير عن التجديد.

وقد ظهرت كتابات كثير من الباحثين والعلماء في هذا المجال، ودونك مثلا: كتاب «اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر»، لمؤلفه الدكتور إبراهيم شريف، وكذلك كتاب «التجديد في التفسير مادة ومنهجا»، للدكتور جمال أبو حسان، ولا يعزب عن حضرات السادة القراء ما قامت به مجلة «الوعي الإسلامي» مشكورة بإخراجها من بين إصداراتها المنشورة كتابا ينضوي مما نحن بسبيله، تحت عنوان «التجديد في التفسير: نظرة في المفهوم والضوابط»[15]، لمؤلفه سماحة الدكتور عثمان أحمد عبدالرحيم، الذي بذل جهدا مشكورا في بحثه القيم فجزاه الله، وها هو ذا فيلسوف القرآن، بل عاشق القرآن الكريم، الشيخ الدكتور محمد عبدالله دراز، الذي ركز على ضرورة التجديد في التفسير، باعتبار أن جميع العلوم تستمد زادها من القرآن الكريم، فيكون مجال تفسيره إذن حريا بأن تشمله جوانب التجديد، مثل تلك العلوم وخاصة الشرعية منها، فما كان من الدكتور دراز إلا أن لفت الانتباه إلى ذلك بقوله: «إذا اتسعت جوانب التجديد لتشمل كل المجالات والعلوم الشرعية، فإنه بلا شك سيتسع حتى يحتضن مجال التفسير من باب أولى، وذلك أن القرآن هو قطب رحى الحياة الإسلامية، فكل العلوم الشرعية راجعة إلى القرآن ومقاصده ومراميه، وما يريده من البشر»[16].

وقد أشار إلى ذلك أيضا صاحب تفسير «التحرير والتنوير»[17] الشيخ الطاهر بن عاشور (رحمه الله)، عند حديثه عن أهمية الرفع من شأن التفسير لتستفيد منه العلوم الأخرى، فأشاد بجهود المفسرين الذين تضافرت جهودهم في سبيل التفسير والإعلاء من شأنه، فقال بأنهم: «عملوا على الرفع من شأن درس التفسير والسمو به إلى مستواه العالي، لكي تستفيد من مردوديته باقي العلوم الشرعية، والآلية وغيرها، لأن التفسير منبع العلوم الشرعية وفي تأخره أثر قوي في تأخر كثير من العلوم الإسلامية»[18].

فحري إذن بالمفسرين أن يهتموا بتجديد التفسير ومناهجه، ذلك «أن عدم تجديدهم لمناهج التفسير يعد تقصيرا في حق القرآن»[19]، وعليهم أن يعلموا «أن الاقتصار على الحديث المعاد تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد»[20]، فقد كان لابن عاشور موقفا سديدا بعد أن رأى من هو - معتكف فيما شاده الأقدمون، ومن هو آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون - فاختار الشيخ ذلك الموقف السديد الذي تلمس فيه مسحة من التجديد في التفسير، وهو «أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون

فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده»[٢١].

لكن هناك أمرا يجب ألا يفوتنا الحديث عنه والتنبيه إليه في شأن التفسير، فهناك التفاسير التي ولج أصحابها من خلالها إلى التأويل العقلي تحت دعوى التجديد وموافقة بريق الحضارة المادية؛ فحرفوا الآيات عن معناها الحقيقي على النحو الذي جنحت إليه المدرسة العقلية[٢٢]، «وقد ابتدأ ظهور نزعة تقريب الغيبيات من المفاهيم المادية السائدة في الغرب على يد أحمد سيد خان، الذي اعتمد منهجا جديدا عصريا في تفسير القرآن، بحيث لا يتناقض القرآن وقوانين الطبيعة، ورفض كل التفاسير السابقة واعتبرها غير ملزمة له بشيء»[٢٣].

ويعد الشيخ محمد عبده من المتأثرين بهذه المدرسة إلى حد الهيام، والناظر في تفسيره (جزء عم) سيقف على أمثلة كثيرة من ذلك[٢٤]، وأصبح بذلك من رجال هذه المدرسة الوارثين لمنهجها.

وإنني لمستاء من أولئك الذين عمدوا إلى تفسير الآيات لتوافق هواهم الجانح، وفكرهم الشاطح، تحت تأثير الانبهار بالنهضة العلمية في الغرب، فرأيتهم قد «اتخذوا من نزوات نفوسهم حاكما مسلطا على عقولهم، واصطنعوا بذلك مدرسة فكرية ظاهرها الإصلاح الديني، وباطنها الاستخذاء النفسي، والانبهار الفكري بين يدي نهضة الغرب... فلا هم على حقيقتهم الدينية أبقوا، ولا على النهضة العلمية عثروا»[٢٥].

وإنني بعد هذا التطواف أزداد إيمانا حتى النخاع بضرورة التجديد في الحياة، ضرورة الروح للجسد، فهو كالماء الذي يصيب الأرض الموات فيبعث في أوصالها الحياة، فتراها قد أنبتت من كل زوج بهيج.

وإن أمتنا اليوم في حاجة ملحة إلى تجديد حقيقي، ينطلق من قواعد إيمانية تبعث لهذا الدين نضارته، على يد مجددين ربانيين يعملون على تنزيل الشريعة الإسلامية بمقاصدها في حياة الأنام، ليعيش الكل بسلام في بلهنية من العيش، ويومها يمد العدل رواقه، وتندرس النظريات الغربية الوافدة، وها نحن اليوم في طريق مرحلة رشدنا الفكري، ولنهمس في أذن العالم أن المسلمين تحت أضواء الصحوة الإسلامية قد أخذوا في تحقيق أصالتهم الفكرية المنبثقة عن دينهم، ومن ثم سيحققوا قومتهم المنشودة بإذن الله تعالى، حتى يرووا الحياة أفضل، ويلمسوا نواميسها أجمل.

وقصارى القول وأحمده: أن التجديد ضرورة حياتية تقوم على ثوابت إيمانية، لا تستغني عنها الإنسانية في حياتها الحضارية.

## الهوامش

١- ظاهرة اليسار الإسلامي، محسن الميلي، دار النشر الدولي، الرياض، ط ١، ١٩٩٣م. ص ٥٤.

٢- المرجع نفسه، ص ٥٧.

٣- تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، دار الشروق، بيروت ١٩٧١م. ص ١١٧ – ١١٨ بتصرف يسير.

٤- التنوير مصطلح أوروبي (Enlightcnmcnl)، ويرى دعاته أن العقل سلطان مطلق، بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا العقل وحده.

٥- الإسلام غدا، للأستاذ عبدالسلام ياسين، مطبعة النجاح، البيضاء، ط ١، ١٣٩٣هـ، ص ٤٧٢.

٦- رواه الإمام أحمد في مسنده، وحسنه السيوطي.

٧- رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ٤/١٠٩، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم ٤/٥٢٢. والحديث صححه جمع من الأئمة الحفاظ منهم: السخاوي، والسيوطي، والحاكم، والمناوي، والعراقي، وابن حجر.

٨- القرم من الرجال: السيد المعظم، يفيد الإطلاع على لسان العرب لابن منظور ١١/١٣٠.

٩- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤م/ ج ١ ص ١٤.

١٠- التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ص ٦.

١١- نفسه. ص ٦.

١٢- انظر مقال: «فقه واقع الأمة.. دراسة في المفهوم»، للدكتور الشاهد البوشيخي. منشور بمجلة حراء في عددها ٣٣ السنة الثامنة/ (نوفمبر- ديسمبر) ٢٠١٢م، ص ٩، ١٠.

١٣- يفيد الاطلاع على شروط المجدد وصفاته في المبحث السادس من كتاب «التجديد في الفكر الإسلامي»، للدكتور عدنان محمد أمامة، مرجع سابق، ص ٤٥.

١٤- انظر مقال: «مقومات الخطاب الديني المعتدل» بقلم/ سمير العركي. منشور بمجلة «منبر الإسلام» السنة (٧٢) العدد (٨) شعبان ١٤٣٤ هـ/ يونيو ٢٠١٣ م، ص ٨٣.

١٥- الإصدار الحادي عشر من سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

١٦- الدين، للدكتور محمد عبدالله دراز، ص ٩٠، نقلا عن «التجديد في التفسير» د. عثمان عبدالرحيم، ص ١٧.

١٧- سماه مؤلفه محمد الطاهر بن عاشور، «تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، واختصر هذا الاسم باسم «التحرير والتنوير من التفسير».

١٨- أليس الصبح بقريب، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ط ٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م، ص ١٨٤.

١٩- التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط، د. عثمان عبدالرحيم، ص٢١.

٢٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج ١، ص ٧.

٢١- نفسه، ج ١، ص ٧.

٢٢- المدرسة العقلية هي التي أولت الآيات القرآنية تأويلا عقليا، مما دفعها إلى أن تلوي عنق الآيات حتى توافق بذلك بين الأدلة الشرعية والمفاهيم الغربية المادية. لمزيد من الإطلاع على هذه المدرسة ينظر: «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» للدكتور فهد الرومي.

٢٣- التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، مرجع سابق، ص ٣٩٥.

٢٤- من ذلك تفسيره لسورة الفيل، بأن الله تعالى أرسل على جيش أبرهة ميكروبات فنشرت بينهم وباء الجذري، وذلك إرضاء للعقلية الغربية التي تنكر الغيبيات والمعجزات.

٢٥- انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ط ٣٤، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص ٢٣، ٢٤ بتصرف يسير.

د. محمود السيد خلف
باحث في التاريخ الإسلامي
جامعة الأزهر بالقاهرة



# أضواء على الحياة الثقافية والفكرية لقبيلة هذيل بين الجاهلية والإسلام

**لقد كان الوضع السياسي في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام وفي أوائل أيامه، قوى مستقلة، ورؤساء قبائل يتحكمون في مناطق نفوذ قبائلهم، ويعيشون على ما يأخذونه من أتباعهم من حق الرئيس على المرؤوس في السلم وفي الحرب، وهم فيما بينهم في خصام وتنافس، لم تتركهم الخصومة من الانصراف إلى شؤون رعيتهم، وهم أنفسهم لم يفكروا في الانصراف إلى ذلك، فتدهورت الأحوال، وظهر أفراد ينادون بالإصلاح، وبالتفكير في تحسين الأوضاع وثمت من يجيب.**

نزل الوحي على الرسول ﷺ في أول العشر الثاني من القرن السابع للميلاد، وظهر الإسلام داعيا العرب وغيرهم إلى الإيمان بإله واحد خالق لهذا الكون، وبرسالة محمد ﷺ وبما جاء به من أوامر وأحكام، فكان ظهوره نهاية للجاهلية، وبداية لعهد جديد، عهد الإسلام.

وبظهور الإسلام على أعدائه في جزيرة العرب، وبقضائه على أهل الردة، أوجد لجزيرة العرب وجها جديدا من وجوه الحياة، لم

تشهده في حياتها ولم تعرفه، وقد أوجد الإسلام موارد غنية من موارد الرزق، وبسط لهم الأرض من الصين شرقا حتى المحيط الأطلنطي غربا، وأخرج سكانها من ديارهم الفقيرة وأنزلهم في ديار غنية كثيرة السكان، وعرفوا بذلك نظما لم تكن مألوفة عندهم، وأمما لم يسمع أكثرهم بها، وخرج المؤمنون الأولون إلى خارج جزيرة العرب يحكمون باسم الإسلام، حدث كل ذلك في مدة لا تعد طويلة بالنسبة إلى ما وقع فيها من أحداث.

فالإسلام، إذن نهاية حياة قديمة، وبداية حياة جديدة، وتختلف عن الحياة الأولى كل الاختلاف.

أما عن قبيلة هذيل، فهي إحدى القبائل العربية التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وكانت لها إسهاماتها الحضارية العظيمة في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني، بل والثقافي والفكري أيضا، لذا فقد تركت بصماتها على صفحات التاريخ الجاهلي. وبعد ظهور الإسلام كانت قبيلة هذيل إحدى القبائل العربية التي صدت عن دين الله تعالى، فلم تسلم وجهها لله إلا بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة. ولكنها بعد إسلامها خرجت مشاركة في عملية الفتح الإسلامي للأمصار المختلفة، فنزل بعضهم في بلاد الشام وخراسان ومصر، وواصل البعض الآخر مسيره حتى وصل إلى بلاد المغرب العربي، ثم استقر بهم المقام في تلك البلدان، وقامت على أيدي أبنائها حركة علمية زاهرة استمرت منذ فجر الإسلام حتى الآن.

إن قبيلة هذيل من القبائل التي أثنى العلماء على لغتها، فهي من القبائل التي أعرقت في الشعر[١]، وقد استشهد العلماء بشعر شعرائها في اللغة وفي القواعد النحوية، ومن هنا عدت في القبائل التي أخذ علماء العربية اللغة منها.

يقول بعض العلماء المعاصرين: «والذين عنهم نقلت العربية وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب؛ هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم»[٢].

ولا بأس أن أسوق بعض الأمثلة على التراكيب اللغوية لقبيلة هذيل، فهم لا يبقون ألف المقصور على حالها عند الإضافة إلى ياء المتكلم، بل يقلبونها ياء ثم يدغمونها، توصلا إلى كسر ما قبل الياء، فيقولون في عصاي وهواي: عصي وهوي، ولا يفعلون ذلك إذا كانت الألف في آخر الاسم للتثنية، كما في نحو «فتياي»، بل يوافقون اللغات الأخرى[٣]، ويستعملون «متى» بمعنى «من» ويجرون بها، سمع من بعضهم قوله: أخرجها متى كمه، أي: من كمه. ويعربون «الذين» الاسم الموصول إعراب جمع المذكر السالم، فيقولون:

**نحن الذون صبحوا الصباحا**
**يوم النخيل غارة ملحاحا**[٤]

ومن لغة هذيل أيضا، فتح الياء والواو في مثل بيضات، وهيآت، وعورات، فيقولون: بَيَضات، وهَيَآت، وعَوَرات، وبقية العرب على إسكانها[٥]، ويقومون بإبدال أواخر بعض الكلمات المجرورة ياء، كقولهم في الثعالب والأرانب والضفادع: الثعالي والأراني والضفادي، وقد يبدلون بعض الحروف ياء كقولهم في سادس: سادي، وفي خامس: خامي[٦].

وبلغ من فصاحة لغة هذيل، أن بعض العلماء قد ذكر أن القرآن الكريم، نزل بلغة مضر، لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: «نزل القرآن بلغة مضر». وعين بعضهم فيما حكاه ابن عبد البر السبع من مضر أنهم: هذيل وكنانة وقيس وضبة وتيم الرباب وأسد بن خزيمة وقريش فهذه قبائل مضر، تستوعب سبع لغات[٧]؛ لذا فقد عد لسان هذيل من الألسنة العربية الجيدة.

قال يونس بن حبيب: «ليس في هذيل إلا شاعر أو رام أو شديد العدو»[٨]. وذكر الجاحظ أن «عبدالقيس» بعد محاربة «إياد» تفرقوا فرقتين، ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب، وفرقة وقعت إلى البحرين وشق البحرين، وهم أشعر قبيلة في العرب، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرة البادية وفي عدن الفصاحة[٩].

ولابن سلام رأي في هذا الموضوع، إذ يقول: «وبالطائف شعر وليس بالكثير وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة

ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف في طرف ومع ذلك كان فيهم»[١٠].

وأما عن شعر هذيل، فقد ذكر بعض علماء اللغة أن أفصح الشعراء ألسنا وأعربهم أهل السروات؛ وهن ثلاث، وهي: الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن، فأولها هذيل، وهي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة السراة الوسطى، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها، ثم سراة الأزد، أزد شنوءة؛ وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نضر بن الأزد، وقيل: إن قبيلة «هذيل» هي في طليعة القبائل عددا في الشعراء، فقد روى العلماء لأربعين شاعرا منهم في الجاهلية والإسلام، وهو عدد قياسي بالنسبة إلى عدد الشعراء الذين أنجبتهم القبائل الأخرى[١١]، وكان الإمام «الشافعي» رضي الله عنه يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها[١٢]. وقد عدت «هذيل» أشعر القبائل في رأي بعض العلماء[١٣].

يقول بعض أهل العلم: «من أراد الغريب فعليه بشعر هذيل، ومن أراد النسيب والغزل من شعر العرب الصلب، فعليه بأشعار عذرة والأنصار، ومن أراد طرف الشعر وما يحتاج إلى مثله عند محاورة الناس وكلامهم فذلك في شعر الفرسان»[١٤].

وقد أجمع المؤرخون على أن أشعر الناس حيا هذيل[١٥]. وروي عن عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) أنه كان يقول: «إذا أردتم الشعر الجيد، فعليكم بالزرق من



بني قيس بن ثعلبة، وبأصحاب النخيل من يثرب، وأصحاب الشعف من هذيل»[١٦].

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل الصحابة رضي الله عنهم عن هذه الآية: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل:٤٦)، فخاضوا في معناها، فخرج رجل ممن كان حاضرا فلقي أعرابيا، فقال التخوف: التنقص، وكان ذلك الأعرابي من هذيل، فقال له: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

**تخوف الرحل منها تامكا قردا**
**كما تخوف عود النبعة السفن**[١٧]

فقال عمر: أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم[١٨].

هذا، وقد جمعت دواوين القبائل، أو أشعار القبائل، وقد ضمت شعر جميع شعراء قبيلة أو شعر بعض من شعرائها، ممن اشتهر وعرف، وتحتوي بالإضافة إلى الشعر كلاما يتصل بالشعر وبالشاعر وبالمناسبة التي قيل الشعر فيها، وبنسب الشاعر وقبيلته، على نحو ما نجده في الدواوين الخاصة، فتكون بذلك وثائق مهمة جامعة لأمور شتى من حياة الجاهليين، وقد سميت هذه المجموعات بأشعار القبائل، مثل: أشعار الأزد، وأشعار حمير، وشعر هذيل[١٩].

وقد هلك أكثر ما جمع من أشعار القبائل، ولم يصل إلينا مطبوعا من هذه المجموعات إلا ديوان هذيل، وأكثر شعراء هذا الديوان إسلاميون، وقد نال شعراء هذيل بذلك حظا من العناية، كما نشرت لشعراء هذه القبيلة جملة دواوين[٢٠].

ولهذيل شعر جيد وشعراء مجيدون، وتعد من القبائل المخصبة في الشعر، ولا غرابة فقد اشتهرت بكثرة شعرائها؛ ويأتي في مقدمتهم: «أبو كبير الهذلي»، وهو: عامر بن الحليس، وهو جاهلي[٢١]، قال ابن قتيبة: «وله أربع قصائد، أولها كلها شيء واحد، ولا نعرف أحدا من الشعراء فعل ذلك[٢٢]، إحداهن:

**أزهير هل عن شيبة من معدل**
**أم لا سبيل إلى الشباب الأول**[٢٣]،

والثانية:

**أزهير هل عن شيبة من مقصر**
**أم لا سبيل إلى الشباب المدبر**[٢٤]،

والثالثة:

**أزهير هل عن شيبة من مصرف**
**أم لا خلود لباذل متكلف**[٢٥]،

والرابعة:

**أزهير هل عن شيبة من معكم**
**أم لا خلود لباذل من متكرم**[٢٦].

وورد في كتاب «الإصابة» اسم «معقل ابن خويلد الهذلي»، وكان شاعرا، وكان أبوه رفيق «عبد المطلب» إلى أبرهة، وكان بين أبي سفيان وبين معقل بن خويلد، خلاف في سلب

رجل من قريش. فقال النبي ﷺ: «يا معقل بن خويلد اتق معارضة قريش»[27]. وذكره «المرزباني» في الشعراء المخضرمين[28].

ومن أشهر شعراء هذيل المخضرمين: «أبو ذؤيب الهذلي» واسمه: خويلد بن خالد بن محرث[29]، شاعر مخضرم، مجيد، وهو من أعظم شعراء هذيل على الإطلاق، رحل إلى المدينة، فوصلها والرسول ﷺ مسجى، فكان ممن صلى عليه وشهد دفنه. قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان من أشعر الناس؟ قال حيا أو رجلا. قال حيا؟ قال أشعر الناس حيا هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب. قال ابن سلام: هذا ليس من قول أبي عمرو ونحن نقوله[30].

ولأبي ذؤيب شعر في رثاء الرسول ﷺ منها قوله:

**لما رأيت الناس في الدين نافقوا**
**أتيت التي كانت أعف وأكرما**
**وبايعت باليمنى يدي لمحمد**
**فلم أكتسب إثما ولم أغش محرما**
**تركت خضيبا في العريش وصرمة**
**صفايا كراما بسرها قد تحمما**
**وكنت إذا شك المنافق أسمحت**
**إلى الدين نفسي شطره حيث يمما**[31]

خلاصة القول، أن قبيلة هذيل قد اشتهرت بكثرة شعرائها وصفاء لغتها؛ ولذلك احتج اللغويون بكلامهم، وكانت أولى القبائل العربية التي يقتدى بها في البلاغة والبيان، ولا غرابة، فهذيل تمت إلى قريش بالنسب والمصاهرة والجوار، وكانت تحاكي قريشا في انتقاء الأفصح من الألفاظ، مما يسهل على اللسان في النطق، ويحسن عند المتذوق والسامع المتفهم.

أما عن شعر هذيل فمثله كمثل سائر الشعر الجاهلي الآخر، مصقول مهذب، هذب على وفق قواعد اللغة العربية؛ ولهذا قلما نجد في شعر هؤلاء الشعراء الهذليين ما يختلف عن قواعد اللهجة العربية.

---

## الهوامش

١- الزبيدي: تاج العروس، (١٢٦/٣١).
٢- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، (١٠٣/١)، د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، (٤٢٧/١٧).
٣- الرافعي، تاريخ آداب العرب، (١٠٤/١)، د. عبد الجواد الطيب، من لغات العرب لغة هذيل، (ص:٣٠-٣١) وما بعدها.
٤- الرافعي، تاريخ آداب العرب، (١٠٤/١)، د. ميساء صائب رافع عبود: لهجة قبيلة كنانة، دراسة لغوية، مجلة الأستاذ، العدد(٢٠٣)، (١٤٣٣هـ) (٢٠١٢م)، (ص:١١).
٥- الرافعي، تاريخ آداب العرب، (١٠٤/١)، د. عبد الجواد الطيب: من لغات العرب، (ص: ٣٨١) وما بعدها.
٦- الرافعي، تاريخ آداب العرب، (١٠٤/١)، د. ميساء عبود، لهجة قبيلة كنانة، (ص:١٣).
٧- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (١٦٩/١).
٨- الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (٤١٤/١).
٩- الجاحظ، البيان والتبيين، (٢٢/٣).
١٠- ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، (٢٥٩/١).
١١- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (٤١٠/٢)، الرافعي، تاريخ آداب العرب، (٢١/٣).
١٢- البيهقي، مناقب الشافعي، (٤٨/٢)، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، (٣٣٥/٥١)، السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، (١٢٦/١).
١٣- الثعالبي، لباب الآداب، (ص:١٣٧).
١٤- العسكري، المصون في الأدب، (ص:١٧٣)، د. جواد علي، المفصل، (١٠٦/١٧).
١٥- ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، (١٣١/١)، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، (٨٨/١)، ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، (١٢٧٦/٣).
١٦- ابن عبد ربه، العقد الفريد، (١٢٣/٦)، د. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي (ص:١٩٩).
١٧- التامك: السنام. القرد: الكثير القردان أو السمين. السفن: حجر ينحت به. والقرد: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها، أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر. والنبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي. ويروى: ظهر النبعة. والسفن: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر، كما تنقص المبرد عود النبعة، وفيه تشبيه بها في الصلابة. الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (١٣٥٩/٤).
١٨- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٦٠٩/٢)، الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (٢١٣/٢٠).
١٩- د. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، (ص:٥٥٥).
٢٠- د. جواد علي، المفصل، (٣٤٩/١٧).
٢١- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، (٦٥٩/٢)، ابن الأثير، أسد الغابة، (٢٥٧/٦).
٢٢- الجواليقي البغدادي، خزانة الأدب، (٢٠٩/٨)، السيوطي، المزهر، (١٣٣/١)، ابن رشيق، العمدة، (٧٥/٢).
٢٣- ديوان الهذليين، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، (٨٨/٢).
٢٤- ديوان الهذليين، (١٠٠/٢).
٢٥- ديوان الهذليين، (١٠٤/٢).
٢٦- ديوان الهذليين، (١١١/٢).
٢٧- ابن حجر، الإصابة، (١٤٣/٦).
٢٨- معجم الشعراء، (ص:٣٧١).
٢٩- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، (٥٣/١٧)، الصفدي، الوافي بالوفيات، (٢٧٤/١٣)، ابن حجر، الإصابة، (٣٠٥/٢)، ابن كثير، البداية والنهاية،(٤٠٨/١٠)، الزركلي، الأعلام، (٣٢٥/٢).
٣٠- ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، (١٢٣/١)، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (١٢٧٦/٣)، ابن رشيق، العمدة، (٨٨/١).
٣١- ابن هشام: السيرة النبوية، (٥٢١/٢)، السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، (٣٨٩/٧).

د. عبدالله بدران
دكتوراه في الإعلام
محاضر في الأكاديمية
الدولية للعلوم - الكويت



### منهج إسلامي رائد في حماية البيئة وصون مواردها

# الوقف الإسلامي والمحميات الطبيعية

**أدى نظام الوقف الإسلامي دورا بارزا في تطوير المجتمعات الإسلامية ونهضتها، وشملت تأثيراته معظم أوجه الحياة، إن لم يكن جميعها، وساهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية لتلك المجتمعات، وفي تعزيز تحضرها، كما ساهم في أداء الحضارة العربية الإسلامية الدور المنوط بها؛ باعتبارها حلقة مهمة من حلقات الحضارات المتميزة التي شهدتها البشرية.**

ولما كان الإسلام حريصا على صون البيئة وحماية مواردها وتعزيز الوعي بأهميتها للبشرية، فقد اهتم عبر أمور عدة، منها الوقف الإسلامي، بالبيئة وصونها اهتماما بالغا، وحرص على توجيه موارده إليها، وتنوعت السبل في ذلك لتشمل كل ما يخص البيئة من: حماية مصادر المياه، ورعاية الحيوانات والرفق بها، وتشجيع الزراعة، وبناء الأبنية وفق مواصفات بيئية، والاعتناء بالنظافة والطهارة، وصون الموارد الطبيعية للأرض لضمان مستقبل جميع الكائنات الحية، إضافة إلى المحميات الطبيعية.

وتشتهر مناطق عديدة في العالم باسم المحميات، وهي مناطق تتولى الدول رعايتها وحمايتها وكذا بعض المنظمات الإقليمية والدولية، سواء في البر أو البحر، باعتبارها مناطق طبيعية تحوي ثروات نباتية أو حيوانية معينة يجب صونها وحمايتها، لاسيما المعرضة للانقراض منها، وعدم السماح للبشر بأن يتلفوا محتوياتها أو يحدثوا أي أضرار فيها.

وإذا كان نظام المحميات معمولا به في دول العالم المختلفة، ومطبقا في البر والبحر، لاسيما في العقود القليلة الماضية، التي شهدت ازديادا كبيرا في الاهتمام بالبيئة، وكثرة المؤتمرات والملتقيات والمحافل المعنية بها، فإن العرب والمسلمين كانوا من السباقين إلى الاعتناء بذلك النظام، والاهتمام بتفاصيله.

ويعد نظام المحميات واحدا من أقدم النظم التي اتبعها العرب والمسلمون لصيانة موارد البيئة النباتية والحيوانية من التلف والتدهور ومن الاعتداءات عليها. وكان يطلق عليه اسم «الحمى».

وظهر أول نظام للمحميات الطبيعية في العصر الحديث في القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك عندما أعلنت الحكومة الأميركية تأسيس محمية طبيعية عام ١٨٦٤م، وبعد ١٠٠ سنة عقد أول مؤتمر دولي للمحميات في أميركا عام ١٩٦٤م.

وتعرف المحمية الطبيعية بأنها منطقة جغرافية محددة المساحة تخصص للمحافظة على الموارد البيئية المتجددة وتطبيق النظم الجيدة لاستغلالها، ويشرف عليها من قبل هيئة معينة، وتتميز باحتوائها على نباتات أو حيوانات ربما يكون بعضها مهددا بالانقراض. أما المحمية في اصطلاح علماء الشريعة فهي: «موضع من الموات يمنع من التعرض له ليتوافر فيه الكلأ، فترعاه مواش مخصوصة».

## الوقف الإسلامي وصون المحميات

تطور مفهوم الحمى تطور كبيرا في المنظور الإسلامي، فبعد أن كانت الأنانية والسمعة والرياء تدب في أوصاله، تحول إلى وقف لوجه الله تعالى ولخدمة الإنسان والحيوان والنبات والبيئة بشكل عام. وأوضح ذلك المفهوم رسول الله ﷺ في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة. منها قوله: «لا حمى إلا لله ولرسوله» (رواه البخاري).

قال الشافعي: يحتمل معنى الحديث شيئين؛ أحدهما: ليس لأحد أن يحمي للمسلمين إلا ما حماه النبي ﷺ، والآخر: معناه: إلا على مثل ما حماه النبي ﷺ؛ فعلى الأول ليس لأحد من الولاة بعده أن يحمي، وعلى الثاني يختص الحمى بمن قام مقام النبي ﷺ وهو الخليفة خاصة. وأخذ أصحاب الشافعي من هذا أن له في هذا قولين، والراجح عندهم الثاني، والأول أقرب إلى ظاهر اللفظ، لكن رجحوا الأول. والمراد بالحمى منع الرعي في أرض مخصوصة من المباحات، فيجعلها الإمام مخصوصة برعي بهائم الصدقة مثلا. والأرجح عند الشافعية أن الحمى يختص بالخليفة، ومنهم من ألحق به ولاة الأقاليم، ومحل الجواز مطلقا أن لا يضر بكل المسلمين.

وثمة محميات أوقفها رسول الله ﷺ لخيل الجهاد وإبل الصدقة في سبيل الله.. ومن ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ حمى النقيع لخيله» (رواه أحمد في المسند). و«النقيع» موضع قرب المدينة كان يستنقع فيه الماء، أي يجتمع. ويدل على ذلك أيضا ما روي أن أول من حمى «ضرية» في الإسلام هو الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حماها لإبل الصدقة وخيول الفاتحين.

وكان الإسلام أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية، وأقام ثلاثا منها في مكة والمدينة والطائف، وحدد حدودها وقدر أبعادها، وسن التشريعات المناسبة لحماية الحياة البرية بها، وبذلك كان له فضل السبق في إدخال هذه التشريعات الحضارية المتقدمة للحفاظ على البيئة.

## أولى المحميات في الإسلام

كان أول ما أعلنه رسول الله ﷺ من محميات طبيعية مكة المكرمة والمدينة المنورة، وضم بعض الباحثين إليهما الطائف.

**أولا – محمية مكة المكرمة**

جعل الإسلام منطقة الحرم في مكة «محمية» لا يمس فيها حيوان إلا المؤذي، ولا نبات إلا ما اقتضته الضرورة. وحظرت الشريعة الإسلامية على كل من أحرم بالحج أو العمرة أن يقتل صيدا أو يقطع شجرة في الحرم أو يكسرها أو يحرقها، أو يزيل نباتا إلا ما كان منه يابسا ولحاجته.

وقد حددت لحرم مكة حدود نصبت عليها أعلام في جهات خمس. وهذه الأعلام عبارة عن أحجار مرتفعة عن الأرض قدر متر، وهي منصوبة على جانبي كل طريق. فحده (أي الحرم المكي) من جهة الشمال: التنعيم، والمسافة بينه وبين مكة ٦ كيلومترات، وحده من جهة الجنوب: أضاة، بينها وبين مكة ١٢ كيلومترا، وحده من جهة الشرق: الجعرانة، بينها وبين مكة ١٦ كيلومترا، وحده من جهة الشمال الشرقي: وادي نخلة، بينه وبين مكة ١٤ كيلومترا. وحده من جهة الغرب: الشميس أو الحديبية، بينها وبين مكة ١٥ كيلومترا.

وذكرت روايات كثيرة ما يؤكد حرمة مكة، منها ما روي أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلى خلاه». فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر، فإنه لقينهم ولبيوتهم. قال: «إلا الإذخر» (رواه البخاري).

ومفاد الحديث أنه يحرم قطع الشجر والعشب، وإزعاج ما يقع فيه من حيوان، ولا تحل الأشياء الضائعة إلا لأصحابها.

وقد استثنى الحديث نبات «الإذخر»؛ لأن أهل مكة يستعملون رائحته الطيبة، كما يستخدمونه في سقف بيوتهم بين الخشب ويسدون به الخلل بين اللبنات في القبور، كما يستعمله الحدادون (القيون) في أعمالهم.

**ثانيا – محمية المدينة المنورة**

وردت عدة أحاديث في جعل المدينة المنورة محمية، منها ما رواه جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها: لا يقطع عضاهها[1]، ولا يصاد صيدها» (رواه مسلم). ومنها قول النبي ﷺ: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا، أو آوى محدثا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» (رواه البخاري ومسلم).

وقد حدد النبي عليه الصلاة والسلام بالحديثين شجر المدينة وعشبها وصيدها. وقد قدر حرم المدينة بـ«اثني عشر ميلا، وهو يمتد من عير إلى ثور. وعير جبل عند الميقات، وثور جبل عند أحد من جهة الشمال».

وكان الخلفاء الراشدون يتشددون في حماية المحميات. ومما يؤكد ذلك، بالنسبة إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه كان يذهب إلى شخص يتولى العناية بأرض لأحد الصحابة، ويقول له: «إني استعملتك على ما هاهنا، فمن رأيته يعضد شجرة، أو يخبط، فخذ فأسه وحبله».

وهكذا، يتضح لنا أن نظام «الحمى» أسهم في المحافظة على المراعي وصيانة ما فيها من موارد نباتية وحيوانية. وكان لذلك دور كبير في حماية أراضي هذه الحمى من التصحر ومن الاستنزاف الكبير لثرواتها الحيوية من حيوانات ونباتات.

---

**الهامش**

١- العضاه: كل شجر له شوك، صغر أو كبر. الواحدة: عضاهة.

د. عبدالواحد عبدالله
الخميسي
الأستاذ بجامعة الإيمان
اليمن

# من بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم (١-٤)

**الإيجاز: هو نوع من التأليف شريف، لا يكاد يلجه إلا فرسان البلاغة ومن ضرب فيها بالقدح المعلى؛ وذلك لعلو منزلته، وبعد مناله؛ والدليل على ذلك أنه أقل أنواع التأليف استعمالا بين أرباب هذه الصناعة.**

وقد اعتنى العرب بهذا الضرب من الكلام اعتناء زائدا، ومما يدلنا على إيثار القوم قوة إيجازهم وحذف فواصل كلامهم ما جاءوا به من الأسماء المستفهم بها، والأسماء المشروط بها؛ فإنهم استغنوا بالحرف الواحد عن الكلام الكثير المتناهي في الطول، فمن ذلك قولهم: «كم مالك»؟ ألا ترى أنه قد أغناك هذا عن قولك: أعشرة مالك، أم عشرون، أم ثلاثون، أم مئة، أم ألف؟ فلو ذهبت تستوعب الأعداد لم تبلغ إلى ذلك أبدا؛ لأنها غير متناهية، فلما قلت: «كم» أغنتك هذه اللفظة الواحدة عن تلك الألفاظ التي لا يحاط بها، وكذلك قولك: «أين منزلك»، فإن لفظة «أين» تغنيك عن ذكر الأماكن كلها، وكذلك «من عندك؟» فقد أغنتك هذه اللفظة عن ذكر الناس كلهم.

وأما الشرط ففي قولهم: «من يقم أقم معه»: كناية عن ذكر جميع الناس أيضا، ولولا ذلك لاحتجت أن تقول: إن يقم زيد أو عمرو أو خالد أو نحو ذلك، ثم تقف حسيرا مبهورا ولم تجد إلى غرضك سبيلا، وكذلك بقية أسماء العموم في غير الإيجاب نحو: «أحد، وديار.. وغيرهما»، فإذا قلت: «هل عندك أحد»؟ أغناك ذلك عن أن تقول: هل عندك زيد، أو عمرو، أو جعفر، فتطيل ثم تقصر إقصار الكليل المنقطع.. وهذا وغيره أظهر أمرا، وأبدى صفحة وعنوانا، فجميع ما ذكرناه هاهنا شاهد بانصباب همم القوم إلى اختصار كلامهم وإيجاز لغتهم[١].

## تعريفه وأقسامه

الإيجاز: هو دلالة اللفظ على المعنى من أقرب طرقه، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الإيجاز دون حذف: وهو الوجيز بلفظه. وقيل: هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ. وقيل: أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة.

القسم الثاني: الإيجاز بالحذف: وهو ما يحذف منه مفرد أو جملة، لدليل يدل عليه.

قال الشيخ بهاء الدين: الكلام القليل إن كان بعضا من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاما يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر[٢].

## الإيجاز من دون حذف

وهذا القسم على ضربين؛ الضرب الأول: ما يساوي لفظه معناه؛ ويسمى هذا النوع من الإيجاز بـ«المساواة»، ومما جاء منه في القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا

﴿يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣﴾ (عبس:١٧-٢٣).
فقوله: «قتل الإنسان» دعاء عليه، وقوله: «ما أكفره» تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله عزوجل، ولا ترى أسلوبا أغلظ من هذا الدعاء والتعجب، ولا أحسن متناولا، ولا أدل على سخط مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للائمة على قصر متنه، ثم إنه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه إلى منتهى زمانه، فقال تعالى: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾، أي: هيأه لما يصلح له، ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾، أي: سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه، والسبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر، وبعد تيسيره سبيله لما يختار من طريقي الخير والشر، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ أي: جعله ذا قبر يوارى فيه، ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾، أي: أحياه، ﴿كَلَّا﴾: ردع للإنسان عما هو عليه ﴿لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، أي: لم يقض - مع تطاول زمانه - ما أمره الله عزوجل، يعني: أن إنسانا لم يخل من تقصير قط. ألا ترى إلى هذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف جزءا من أجزائه لما قدرت على ذلك؟ لأنك كنت تذهب بجزء من معناه، ويختل عليك نظمه؛ فإن أسقطت الجملة الأولى التي هي صدر الكلام زال معنى الدعاء عليه، وإن أسقطت الجملة الثانية زال معنى التعجب من كفران نعمة ربه، وإن أسقطت الجملة الاستفهامية، أو غيرها زال ما تضمنته من المعاني التي لولاها لما كان[٣].

٢- ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ (الحجر:٤١). فقوله: «هذا» إشارة تدل على القرب فكأنه يشير إلى ما هو على مرأى من عيونهم ومسمع من آذانهم وبين متناول أيديهم، و«صراط» تدل على الطريق المسلوكة التي تفضي بسالكها إلى حيث يختار لنفسه من مذاهب، ولكن الطريق قد تكون معوجة ملتوية كثيرة المنعطفات فيتيه السالك في متاهاتها، وتلتبس عليه أوجه الاستهداء في سلوكها؛ لذلك جاء بكلمة «مستقيم»؛ والمستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، وأقل انحراف يخرجه عن سنن الاستقامة وحدودها، وكلمة «علي» تعني الإلزام والإيجاب، تقول: علي عهد الله لأفعلن كذلك، فتشعر أنك قد ألزمت نفسك بما هو حق مفروض الأداء، ثم إن الإشارة تضمنت كل ما يحتويه الاستثناء فيما بعد وهو قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (الحجر:٤٠)، فكأنه أخذ على نفسه وأوجب على ذاته حقا لا انفكاك له عنه وهو تخليص المخلصين من إغوائه، وقد تضمن تعريف «المخلصين» أيضا ما يؤكد هذا المعنى، ويجعله مستقرا في الذهن؛ لأن في التعريف - مع تحقيق الصفة للموصوف وهي الإخلاص - تفخيما لشأنهم وبيانا لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الإغواء عنهم، وفل معاول النقد أن تتوجه إليهم، فهذه الآية كلمات قليلة وقد احتوت على هذه الأغراض[٤].

٣- ومنه قوله تعالى إخبارا عن النملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (النمل:١٨).. فجمع في هذه اللفظة أحد عشر جنسا من الكلام: نادت، وكنت، ونبهت، وسمعت، وأمرت، وقصت، وحذرت، وخصت، وعمت، وأشارت، وعذرت.

فالنداء: «يا»، والكناية: «أي»، والتنبيه: «ها»، والتسمية: «النمل»، والأمر: «ادخلوا»، والقصص: «مساكنكم»، والتحذير: «لا يحطمنكم»، والتخصيص: «سليمان»، والتعميم: «جنوده»، والإشارة: «وهم»، والعذر: «لا يشعرون».

فأدت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله سليمان، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان؛ فحق الله أنها استرعيت على النمل فقامت بحقهم، وحق سليمان أنها نبهته إلى النمل، وحقها إسقاطها حق الله عن الجنود في نصحهم، وحق الرعية بنصحها لهم ليدخلوا مساكنهم، وحق الجنود إعلامها إياهم وجميع الخلق أن من استرعاه رعية وجب عليه حفظها والذب عنها وهو داخل في الخبر المشهور: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (البخاري برقم:٢٤٠٩؛ ومسلم، برقم: ١٨٢٩)[٥].

## الضرب الثاني

ما زاد معناه على لفظه؛ ويسمى هذا الضرب «الإيجاز بالقصر»، والقرآن الكريم ممتلئ من ذلك، ومنه:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ

﴿ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠).

فهذه الآية من أجمع آية في القرآن الكريم؛ لأنها جمعت أصول الشريعة في الأمر بثلاثة، والنهي عن ثلاثة، وإنما كانت أجمع آية؛ لأن ألفاظها تدل على العموم، فـ«ال» في «العدل، والإحسان» للاستغراق، وهي بمعنى «كل» الدالة على العموم، وكذلك هي في «الفحشاء، والمنكر، والبغي». ولفظ «إيتاء» اسم جنس أضيف إلى معرفة وهو قوله: «ذي القربى»، فدل على العموم أيضا، والتقدير: إن الله يأمر بكل عدل، وكل إحسان، وكل إيتاء لذي القربى، وينهى عن كل فحشاء، وكل منكر، وكل بغي. وفي حديث الشيخين أنه ﷺ قال: «بعثت بجوامع الكلم» (البخاري برقم: ٢٩٧٧؛ ومسلم، برقم: ٥٢٣).

والعدل: هو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، فمعنى أمره سبحانه بالعدل: أن يكون عباده في الدين على حالة متوسطة ليست بمائلة إلى جانب الإفراط وهو الغلو المذموم في الدين، ولا إلى جانب التفريط وهو الإخلال بشيء مما هو من الدين.

والإحسان: هو التفضل بما لم يجب، كصدقة التطوع، ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها، وقد صح عن النبي ﷺ أنه فسر الإحسان بقوله: «والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (البخاري، برقم:٥٠؛ ومسلم، برقم: ٨)..

وإيتاء ذي القربى: هو إعطاء القرابة ما تدعو إليه حاجتهم.. وفي الآية إرشاد إلى صلة الأقارب، وترغيب في التصدق عليهم، وهو من باب عطف الخاص على العام إن كان إعطاء الأقارب قد دخل تحت «العدل والإحسان»، وقيل: من باب عطف المندوب على الواجب.. وإنما خص ذوي القربى؛ لأن حقهم آكد، فإن الرحم قد اشتق الله اسمها من اسمه، وجعل صلتها من صلته وقطيعتها من قطيعته.

و«الفحشاء»: هي الخصلة المتزايدة في القبح من قول أو فعل، وقيل: هي الزنا، وقيل: البخل.

و«المنكر»: ما أنكره الشرع بالنهي عنه، وهو يعم جميع المعاصي على اختلاف أنواعها، وقيل: هو الشرك.

وأما «البغي» فهو الكبر، وقيل: الظلم، وقيل: الحقد، وقيل: التعدي. وحقيقته: تجاوز الحد، فيشمل هذه المذكورة، ويندرج بجميع أقسامه تحت المنكر، وإنما خص بالذكر اهتماما به لشدة ضرر ووبال عاقبته، وهو من الذنوب التي ترجع على فاعلها؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾ (يونس:٢٣)[٦].

٢- ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الحجر:٩٤).. فإنها ثلاث كلمات تشتمل على أمر الرسالة وشرائعها وأحكامها على الاستقصاء. «وذكر أبو عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، فسجد وقال: سجدت لفصاحته! وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة «اصدع» في إبانتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها، وكلمة «بما تؤمر» في إيجازها وجمعها».

والصدع: الجهر والإعلان، وأصله: الانشقاق، ومنه انصداع الإناء، أي: انشقاقه، فاستعمل الصدع في لازم الانشقاق وهو ظهور الأمر المحجوب وراء الشيء المنصدع، فالمراد هنا الجهر والإعلان.

والمراد بقوله: «ما تؤمر» الدعوة إلى الإسلام.. وحذف متعلق الفعل «تؤمر»، فلم يصرح به كأن يقول مثلا: فاصدع بما تؤمر بتبليغه، أو بالأمر به●، أو بالدعوة إليه؛ وذلك لقصد شمول الأمر كل ما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بتبليغه. وهو إيجاز بديع.

والإعراض عن المشركين: هو الإعراض عن بعض أحوالهم، بمعنى: الإعراض عن إبايتهم الجهر بدعوة الإسلام بين ظهرانيهم، وعن استهزائهم، وعن تصديهم لأذى المسلمين، وليس المراد الإعراض عن دعوتهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ مانع من ذلك[٧].

٣- ومنه قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٩)... فقد جمع فيه جميع مكارم الأخلاق؛ لأن في الأمر بالمعروف: صلة الرحم، ومنع اللسان عن الريبة وعن الكذب، وغض الطرف عن المحرمات، وغير ذلك من أشياء لا تحصى. وفي الإعراض عن الجاهلين: الصبر

والحلم وغيرهما.. وقد بين في هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس، فقال: خذ العفو وأمر بالعرف، قال أهل اللغة: العفو الفضل وما أتى من غير كلفة.

قال الفخر الرازي: «الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم، إما أن يجوز إدخال المساهلة والمسامحة فيها، وإما أن لا يجوز.

أما القسم الأول: فهو المراد بقوله: خذ العفو، ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضا التخلق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩). ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:١٢٥).

وأما القسم الثاني: وهو الذي لا يجوز دخول المساهلة والمسامحة فيه، فالحكم فيه أن يأمر بالمعروف، وهو كل أمر عرف أنه لا بد من الإتيان به، وأن وجوده خير من عدمه؛ وذلك لأنه في هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعفو ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال، لكان ذلك سعيا في تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز، ثم إنه إذا أمر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه، فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء؛ فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ (الفرقان:٧٢). وإذا أحاط عقلك بهذا التقسيم، علمت أن هذه الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير»[٨].

وقال القرطبي: «هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله: «خذ العفو» دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله: «وأمر بالعرف» صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. وفي قوله: «وأعرض عن الجاهلين» الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة»[٩].

٤- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢).. أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة. ويدخل تحت الأمن جميع المخوفات؛ لأنه نفى به أن يخافوا شيئا من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النقمة.

ولما كان المعنى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أحق بالأمن، عدل عنه إلى قوله مشيرا إليهم بأداة البعد «أولئك»؛ تنبيها إلى علو رتبتهم، أي: «أولئك لهم - خاصة - الأمن»، أي لما تقدم من وصفهم. «وهم مهتدون»، أي: وأنتم ضالون، فأنتم هالكون لإشرافكم على المهالك.

واللام في «لهم» من قوله: «لهم الأمن» تشير إلى أن الأمن مختص بهم وثابت، وهو أبلغ من أن يقال: أولئك آمنون. والضمير «هم» في قوله: «وهم مهتدون» للفصل؛ ليفيد قصر المسند على المسند إليه، أي: الاهتداء مقصور على الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم دون غيرهم، أي: إن غيرهم ليسوا بمهتدين، على طريقة قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:٥). وفيه إشارة إلى أن المخبر عنهم لما نبذوا الشرك فقد اهتدوا[١٠].

---

**الهوامش**

١- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور؛ لابن الأثير: ١٢٢/١، ١٢٣.
٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن؛ لجلال الدين السيوطي: ٢٢٣/١، ٢٢٤.
٣- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور؛ لابن الأثير: ١٤٢/١.
٤- إعراب القرآن وبيانه؛ لمحيي الدين الدرويش: ٢٤١/٥.
٥- البرهان في علوم القرآن؛ للإمام الزركشي: ٢٢٧/٣، ٢٢٨.
٦- تفسير فتح القدير؛ للإمام الشوكاني: ١٨٨/٣.
٧- التحرير والتنوير؛ للطاهر بن عاشور: ١٠٧/١، و٨٨/١٤.
٨- مفاتيح الغيب؛ للرازي: ٤٣٤/١٥، ٤٣٥.
٩- الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي: ٣٤٤/٧-٣٤٦.
١٠- انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٣، ونظم الدرر؛ للبقاعي: ٦٦٣/٢، والتحرير والتنوير؛ لابن عاشور: ٣٣٣/٧، ٣٣٤.

محمد جمال حليم
باحث إسلامي - مصر

# من أخلاقيات النظام الاقتصادي في الإسلام

**وضع الإسلام نظاما اقتصاديا لا يبارى في تحديد حقوق أفراده، تفرد به عن غيره من النظم الاقتصادية، ويستهدف هذا النظام تحقيق الرغد في الدنيا وانتشال الأفراد من فلسفة الاستهلاك وجعلهم قوة إنتاجية يتمتع بها كل فرد بدور إيجابي فاعل يعود نفعه على البشرية عامة. وقد راعى هذا النظام إمكانات وإمكانيات المجتمع جميعا فسخرها للنماء؛ داعيا للعمل والكسب، وألا يكون أفراده عالة على مجتمعاتهم.. ومن ثم عاش المسلمون الأوائل الذين باشروا النصوص (قرآنا وسنة) وتفاعلوا معها، في رغد وسادوا الأمم وخطوا أسماءهم في سجلات النابهين والمخترعين، ومازالت بصماتهم موجودة وشاهدة على عمران عصورهم وازدهارها إلى الآن.**

ويفارق الإسلام بنظامه الاقتصادي الأنظمة الاقتصادية الأخرى في العديد من الأمور، «فهو من حيث المبدأ يتباين مع الأنظمة الاقتصادية الوضعية (رأسمالية أو اشتراكية أو غيرهما)؛ ذلك أن هذه الأنظمة تعني بالدرجة الأولى تحقيق أقصى إشباع مادي ممكن وتكوين الثروات، دون أي اعتبار إلى الإشباع الروحي، وهي أيضا تقوم على منهج الفصل بين الدين وحلبة الحياة، فلا دخل للعقيدة والأخلاق بالاقتصاد؛ فالنظام الاقتصادي الاشتراكي على سبيل المثال يعمل في ظل سوق مخططة من حيث العرض والأسعار، فلا توجد فردية للإنتاج أو التسعير ونحو ذلك، وفي هذا قتل للحوافز البشرية عن الإبداع والابتكار، أيضا يقوم النظام الاقتصادي الرأسمالي على فكرة حرية السوق أو ما يسمى أحيانا باقتصاد الطلب المنبثق من السوق بدون ضوابط أو حدود لمنع الاحتكار والسيطرة والجشع وكل ما يمس ذاتية الإنسان وحفظ عقيدته وعقله وعرضه ونفسه وماله، وهو ما يؤدي في معظم الأحيان إلى تكوين التكتلات والاحتكارات والاستغلال، وهذا هو الواقع في الدول الرأسمالية التي تدخلت للحد من تلك التكتلات والاحتكارات»[1]..

لكن النظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على منهج عقائدي أخلاقي مبعثه الحلال والطيبات والأمانة والصدق والطهارة والتكافل والتعاون والمحبة والأخوة مع الإيمان بأن العمل (ومنه المعاملات الاقتصادية) عبادة، وأساس ذلك قول الله عزوجل: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (النحل:١١٤)، وقول الرسول ﷺ: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» (متفق عليه)، كما تضبط معاملاته بمجموعة من القواعد المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية: القرآن والسنة واجتهاد الفقهاء الثقات، أيضا يستخدم فقهاء ومطبقو قواعد الاقتصاد الإسلامي مجموعة من الأساليب والوسائل التي تحقق المقاصد والغايات شريطة أن تكون مشروعة، وعليهم أن يأخذوا بأحدث أساليب التقنية الحديثة، فالحكمة ضالة المسلم، أينما وجدها فهو أحق الناس بها بخلاف النظم الأخرى التي لا تراعي المصالح الشخصية، فالغايات فيها تبرر الوسائل.

كذلك لا يمكن استغلال مفاهيم العدل والحرية والمساواة وغيرها لتسويق بضاعة راكدة أو لتحقيق مكاسب زائفة «فالغرب الذي ركز على العدل الاقتصادي والاجتماعي، أخطأ الطريق، لأنه تصور أن الفرد هو الذي يظلم المجتمع فسحق الفرد تحت مظلة الشيوعية، وتصور - مرة من خلال تجاربه النسبية - أن المجتمع هو الذي يظلم الفرد فسحق المجتمع والأخلاق تحت مظلة الرأسمالية، وأصبح مفهوم الحرية كرة يتداولها الفريقان كأنهما في ملعب!!

بيد أن الإسلام وازن في عدله بين جميع القوى الفاعلة في الحياة، وأعطى كل ذي حق حقه، فأصبح مفهوم الحرية منضبطا متوازنا لا يطغى فيه المجتمع على الفرد ولا الفرد

على المجتمع، وأصبح مفهوم المساواة مفهوما شرعيا مرتبطا بالعدل، فالعدل هو الميزان الذي يضبط حركة الحرية وحركة المساواة، وهو أيضا الضامن لتحقيق إنسانية كل الناس وكرامة البشر كلها»[٢].

### الأخلاق والاقتصاد

يعتبر البعض الكلام عن أخلاقيات النظام المالي الآن نشازا؛ ذلك أن علم الاقتصاد تقرر فصله عن الأخلاق منذ القرن التاسع عشر، «بل يعتبر الاقتصاديون أن هذا الفصل هو الذي قاد إلى تأسيس علم الاقتصاد بعد أن كان أفكارا عامة متناثرة، ويعتقدون أن فصل علم الاقتصاد عن الأخلاق ينقل البحث الاقتصادي من اعتبار المعايير الشخصية إلى اعتبار المعايير الموضوعية، ويتقدم علم الاقتصاد بقدر ما فيه من موضوعية وتزول عنه صفة العلم بقدر اعتباره للمعايير الشخصية»[٣].

لكن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن الاقتصاد الإسلامي ونظامه المالي يفارق علم الاقتصاد في هذا الجانب؛ فالاقتصاد الإسلامي يعتبر النوعين معا: الموضوعية جنبا إلى جنب مع الجانب الأخلاقي الذي اصطلحوا على تسميته بـ«المعايير الشخصية».

ويظهر اهتمام الإسلام بأخلاقيات النظام الاقتصادي في اهتمامه بعدة أمور رئيسية منها اهتمامه بصفات من يعمل بالنظام المالي، فليس كل شخص صالحا لأن يلي أمرا في النظام الاقتصادي الإسلامي بل ينظر إلى مجموعة من الصفات يجب توافرها فيه، ولقد حرص أبو يوسف صاحب كتاب الخراج[٤] وهو يكتب إلى هارون الرشيد أن يبرز بعض هذه الصفات.

فذكر في كتابه أن الرسول ﷺ لم يكن يستعمل أقاربه في تحصيل الإيرادات وقد كانوا أهل فقه وكفاية، كما ذكر عددا من صفات من يلي مسؤولية في النظام المالي الإسلامي منها أن

## الأنظمة الاقتصادية الوضعية تعنى بتحقيق أقصى إشباع مادي وتكوين الثروات

يكون: فقيها عالما مشاورا لأهل الرأي، عفيفا، لا يطلع الناس منه على عورة، ولا يخاف في الله لومة، تجوز شهادته إن شهد، ولا يخاف من جور حكم إن حكم، ثم يضيف مجموعة أخرى من الصفات بألا يكون عسوفا لأهل عمله، ولا محتقرا لهم، ولا مستخفا بهم، اللين للمسلم، والغلظة على الفاجر، العدل على أهل الذمة، ينصف المظلوم ويعفو عن الناس على أن تكون جبايته للخراج على ما رسم له تاركا الابتداع وأن يساوي بين الناس في مجلسه ووجهه حتى يكون القريب والبعيد والشريف والوضيع عنده في الحق سواء.

كذلك ركز الإسلام على مفهوم «المراقبة» وجعلها شرطا للإمام يتابع بها من ولاه للجباية حتى يليها أولو الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته. ولم تهمل قاعدة الإسلام العامة (مراعاة الطاقة) في الجانب الاقتصادي فهي الأساس في الإلزام، يقول ﷺ: «من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه»[٥].

كما لم يهمل الإسلام بتعاليمه السمحة، وهو يقرر ويشرع نظامه الاقتصادي، آداب تحصيل الإيرادات تلك الآداب التي تفرد بها عن غيره من الأنظمة الاقتصادية الوضعية؛ ولهذا منع الإسلام التفتيش للجباية، وهو ما نقله إبراهيم بن المهاجر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أمرني ألا افتش أحدا»، كما منع الإسلام الالتزام وهو الأسلوب الذي شاع في العصور المتأخرة ويعبر عنه بـ«التقبل»، ومن أخلاقيات تحصيل الإيرادات أيضا التزام محصلي الخراج ببعض الصفات السلوكية، فقد كان عمر رضي الله عنه يشترط فيمن يستعمله للخراج ألا يركب برزونا ولا يلبس رقيقا ولا يأكل نقيا ولا يغلق بابا دون حوائج الناس، كذلك لا يتخذ حاجبا[٦].

### الزكاة معجزة اقتصادية

وبتطبيق ما جاء به الإسلام في الاقتصاد تخرج الأمة من كبوتها وتعود عزيزة رائدة، فالأمة غنية بمواردها الطبيعية وعناصرها الإنتاجية غير أنها في حاجة ماسة لتفعيل تعاليم وحيها المقدس، فالزكاة وهي أحد موارد الإسلام المهمة إن طبقت وحدها تطبيقا صحيحا لكفت حاجات الأمة، ولم لا وهي في تشريعها معجزة اقتصادية؛ حيث إنها لا تجب إلا في المال النامي وفي هذا قمة الإعجاز في التحصيل ذلك أنه يشجع على الاستثمار والنماء ولا تجب في المال غير النامي حتى لا ينفد، هذا في جانب التحصيل أو الإيرادات. أما في جانب الإنفاق فهي تصرف في مصارف وسعت كل ما يمكن تصوره من احتياج. فالزكاة إذن معجزة اقتصادية تحقق الرغد في العيش وتعالج العوز؛ وبهذا ترفع عن الأمة الحرج فينتفع الأفراد بما يتحقق لهم من تكافل اجتماعي.

### الهوامش

١- د. حسين شحاتة في بحثه «الفروق الأساسية بين النظام الاقتصادي الإسلامي والنظم الاقتصادية الوضعية».

٢- وفي كتابه «الإسلام وتحديات العصر» د. عبدالحليم عويس.

٣- النظام المالي في الإسلام د. رفعت العوضي ص٧٨و٧٩، بتصرف.

٤- هو كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم أحد أصحاب أبي حنيفة، وقد كتب هذا الكتاب بناء على طلب هارون الرشيد (أمير المؤمنين في ذلك الوقت) منه أن يضع له كتابا جامعا يعمل به في جباية الخراج والعشور.

٥- أبو داود رقم ٣٥٣.

٦- كتاب الخراج لأبي يوسف، ص١٢٥و١٢٦.

التحرير


وكيل وزارة الأوقاف م. فريد عمادي يسلم د. النهام مع فريق الإدارة درع التميز

# رئيس التحرير السابق د. صالح سالم النهام مسيرة حافلة بالعطاء والنجاحات

**الأصالةُ والعَراقةُ والمهنيَّةُ والإبداع؛ صفاتٌ لازمتْ مجلَّةَ «الوعي الإسلامي» طيلة ما يزيد على نصف قرن من الزمان... هذه المجلة العلمية التربوية الثقافية التي تأسست بقرار من مجلس الوزراء الكويتي عام: (١٩٦٤م)، لتُباشر إنتاجها في عام: (١٩٦٥م) ليصدر عددُها الأول في غرَّةِ شهر المحرَّم عام: (١٣٨٥هـ) مُعلنًا انطلاق مسيرة من العلم والتوعية بمنهج وسطي معتدل.**

تعاقب على رئاسة تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» ثُلَّةٌ من العلماء والأعلام والمثقفين، كان لهم دور بارز في استمرارها وتطورها على مدار السنوات السابقة، وكان من آخرهم الدكتور صالح سالم النهام الذي تسلّم رئاسة تحرير المجلّة بعد تدرُّج علمي وإداري، حيث اكتسب العديد من الخبرات العملية من خلال مشاركاته الفعَّالة في الدورات العلمية والتخصصيَّة والإدارية، والمؤتمرات الدوليَّة، والحوارات الصحفية، والزيارات الميدانية، فضلًا عن تقديمه للعديد من البحوث والدراسات التخصصيَّة، إضافة إلى مساهماته التي أنتجت العديد من الكتب (تأليفا وتحقيقًا)، كما ترأَّس الكثير من اللجان التخصصية في مجالات شتى، وكان من آخرها ترؤسه لفريق عمل (نشر ثقافة الخطة الإستراتيجية) على مستوى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

هذه الخبرات والمساهمات استخدمها الدكتور صالح النهام في عملية التفوُّق والتجديد التي أطلقها منذ تسلمه لرئاسة تحرير المجلة، فزادها بحرصه وتفانيه تميزًا، وسار بها بنهج إداري متميز؛ حيث رسَّخ العمل المؤسسي في الإدارة، وانتهج سياسة الباب المفتوح بينه وبين موظفي الإدارة خصوصًا، وبينه وبين الزوار والمراجعين عمومًا، وحقق لها انتقالات نوعية حتى أصبحت المجلة محطَّ أنظار المثقفين وطلاب العلم من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

كما أنه، حفظه الله، ترك كبير الأثر في المحافل الدوليَّة (الثقافية والعلمية) من خلال رحلاته إلى العديد من دول العالم الإسلامي ومشاركاته المتعددة في المؤتمرات ومعارض الكتب وغيرها من المشاركات التي كان يبرز من خلالها الدور الريادي لوزارة الأوقاف الكويتية -عموما- ولمجلة «الوعي الإسلامي» -خصوصا- فضلًا عن سعيه ونجاحه في فتح أسواق جديدة لتوزيع المجلة خارجيًا، وتوَّج هذا التحرك المبارك بتوقيع العديد من بروتوكولات التعاون، واتفاقيات التفاهم مع مختلف الجهات الحكومية والأهلية، هذا على المستوى الخارجي.

أما على المستوى الداخلي: فقد حقق الدكتور صالح النهام العديد من

آخر الإصدارات




النهام يستقبل ضيفي الوزارة رئيس جامعة فطاني بتايلند د. إسماعيل لطفي ونائبه د. زكريا هاما

الإنجازات الإدارية والثقافية، فكان جانبها المشرق الذي حمله على عاتقه منذ توليه لرئاسة تحرير مجلة الوعي الإسلامي هو إحياؤه لطباعة الكتب العلمية، والرسائل الجامعية، والذخائر التراثية، حتى بلغ ما صدر من الكتب والإصدارات في عهده ما يربو على (٥٠) إصدارًا، ما بين (كتاب، ومعلقة، ومطوية)، ومنها: ذخائر مجلة «الوعي الإسلامي» (وهي سلسلة تحقيقات تخصصية لمخطوطات لم يسبق لها أن نشرت من قبل) وذلك من الذخيرة رقم (١٠)، إلى رقم (٢١)، ومفاتيح سور القرآن الكريم بطبعتيه (الأولى والثانية)، تخريج الحديث، تطبيقات الحكمة، معالم الحكمة، فضل الخط والتوزيع الجغرافي، قواعد الأوقاف، البنوك الوقفية، المذهب عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة (الطبعة الثانية)، مقالات العلامة ابن باز في مجلة «الوعي الإسلامي» (الطبعة الثانية)، مقالات الدسوقي في مجلة «الوعي الإسلامي»، الجامع المفيد في أحكام الرسم والضبط والقراءة والتجويد، قوة الحافظة وكثرة المحفوظات، من مصادر التراث العربي والإسلامي، تنوير العيون باستعمال السواك المسنون، دور فهم مقاصد الشريعة في الحفاظ على حقوق الطفل، مجلة «الوعي الإسلامي».. عطاء يتجدد ومعين لا ينضب، الضوابط الفقهية للألعاب الترفيهية، جهود العلامة وهبة الزحيلي في مجلة «الوعي الإسلامي»، أنظمة الدفع الإلكتروني المعاصرة، لطائف الأدب في استهلالات الخطب ويليه لطائف الأدب في خواتيم الخطب، معجم أعلام التنمية واستخراج المعمَّى في التراث العربي والإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، جهود بعض علماء الكويت وأعلامها في


رئيس التحرير د. صالح النهام متحدثا إلى وكيل الوزارة م. فريد عمادي والوكيل المساعد داود العسعوسي



زيارة وفد وزارة الأوقاف لعميد كلية العلوم الإسلامية في جامعة السلطان محمد الفاتح د. أحمد طوران- تركيا

مجلة «الوعي الإسلامي».

أما المعلقات العلمية والأدبية، فهي: سند الخطاطين، قواعد الأوقاف، مواسم العمر، مفاتيح تدبر السنة، من خصائص النبي ﷺ، الحديث الموضوع، تدبر القرآن العظيم، علم القافية، علوم الحديث ونخبة الفكر، أسباب اختلاف الرواية عن الإمام أحمد، المذهب الشافعي.. أشهر أعلامه ومصنفاته.

إضافة إلى المطويات العلمية، ومنها: أسباب اختلاف الرواية عن الإمام أحمد، الحديث الموضوع.

هذا إضافة إلى ما كان يسديه من مقدمات قيمة في افتتاحية كل عدد من أعداد المجلة التي صدرت أثناء توليه رئاسة تحرير المجلة، والعديد من المقالات العلمية الأصولية وغيرها.

وقد أولى مواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بالمجلة اهتماما ملحوظا من خلال عمله على تفعيلها؛ الأمر الذي ساهم في انتشار المجلة وإصداراتها على نطاق إعلامي واسع؛ هذا الأمر وغيره من الإنجازات أدى إلى زيادة الاشتراكات الداخلية والخارجية للمجلة.

هذا وقد توَّج رئيس التحرير (السابق) الدكتور صالح سالم النهام هذه المسيرة المباركة بثلاثة نجاحات متتالية حصلت المجلة خلالها على دروع التميُّز في حفل: (نجاحات) الذي تقيمه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سنويا، وذلك عن السنوات: (٢٠١٥ - ٢٠١٦م)، (٢٠١٦ - ٢٠١٧م)، (٢٠١٧ - ٢٠١٨م).

وبهذه النجاحات المباركة ختم الدكتور صالح النهام هذه الحقبة المباركة كرئيس لتحرير مجلة «الوعي الإسلامي» في شهر مايو ٢٠١٨م، ليبدأ انطلاقة جديدة في حياة طيبة مُباركة إن شاء الله تعالى.

وإن أسرة التحرير ترفع أسمى وأرقى تحية إجلال وإكبار إلى شخصه الكريم على ما تحمَّل من أمانة الكلمة في أعرق منبر إعلامي إسلامي كويتي، ليؤدي حقَّ الواجب راضي الضمير، مطمئن الخاطر، متقنا لعمله، متفانيا فيه، متمثلا بذلك كلِّه قول النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» (رواه أبو يعلى).



نائب رئيس الوزراء التركي رجب آقداغ يصافح د. النهام في جناح المجلة بمهرجان الثقافة والكتاب العربي الثالث- اسطنبول


سليمان الرومي ودرع تكريم إلى المرحوم جاسم الخرافي رئيس مجلس الأمة السابق

# سليمان الرومي سكرتير التحرير السابق نشاط حافل وعطاء بلا حدود

## (من عام: ٢٠٠٨م إلى ٢٠١٧/٨م)

مهنية رفيعة المستوى وأخلاق سامية.. عطاء جزيل وتقوى وورع.. قوة شخصية ورفق في معاملة الآخرين كلها من صفات العم بوصالح أو الأخ الكريم سليمان الرومي سكرتير تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» طوال تسع سنوات من عام ٢٠٠٨م حتى أغسطس ٢٠١٧م.

أسرة تحرير المجلة تفتقده وتفتقد أيامه وتتمنى أن تعود، فقد ترك سيرة حسنة تبقى ما بقي التناقل الشفهي بين الناس، في الوقت نفسه يفتقده قراء المجلة المتابعون فقد أجزل العطاء المخلص طوال سنوات خدمته التي أسهمت في نجاح المطبوعة وحققت أهدافها المرسومة وفق إستراتيجية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. كان، حفظه الله، الأخ الكبير، عرفه الزملاء العاملون معه بـ«أبوصالح» وكم كان له من اسمه نصيب.. لم يرُد أحدا دخل مكتبه وسأله في طلب مادام في مصلحة العمل ومصلحة الزميل.

نشاطه في الفعاليات الخارجية لم يشغله عن متابعة دورة إنتاج المجلة، اتصل بالإعلاميين وفتح قنوات غير مسبوقة مع الصحافة والإذاعة والتليفزيون ليسلط الضوء على الجهد الذي تبذله وزارة الأوقاف، فقد كان مؤمنا بوظيفة الإعلام الإيجابية ومدركا أن الجهد المعلوم يحث الآخرين على مزيد من الجهد. لم يترك نافذة تكنولوجية إلا وفتحها على مصراعيها كما فعل مع نافذة مجلة «الوعي الشبابي الإلكترونية»، التي قال عنها: «إن إطلاق هذا المنتوج الجديد يهدف إلى الاستفادة من التقنيات الحديثة لتحقيق الإشعاع القيمي والفكري ودراسة المشكلات المعاصرة وطرح الحلول والبدائل، وإن المجلة تهتم بفئة الشباب وهي مجلة إلكترونية شبابية تستقطب جميع شرائح الشباب في شتى بقاع العالم».

وفي مناسبات عديدة أشار أبوصالح إلى أن أهداف المجلة تتلخص في تنمية الوعي الإسلامي بمفهومه الشامل وتأكيد الهوية الإسلامية وتعزيز الشعور بالانتماء للأمة، بالإضافة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والرد على الشبهات بالدليل العلمي.

تسع سنوات من العطاء المستمر داخل مقر المجلة وخارجها.. على صعيد «الوعي الإسلامي» و«براعم الإيمان». ومن صفاته التي لا ننساها، أنه كان يتحرى الصدق بقوة شخصية، ورفق في الوقت نفسه، كما كان يفتح بابه للجميع، يسمع منهم ويسمعونه منه، ولذلك ستبقى سيرته حسنة، مهما مرت الأيام وتقلبت الظروف.

التحرير


د. سلطان السهو يتوسط علي بن السيد آل هاشم مستشار الشؤون القضائية والدينية بأبوظبي ود. محمد مختار جمعة وزير الأوقاف المصري

# د. سلطان سهو المطيري رئيس قسم براعم الإيمان السابق
# تواضع وطيبة وسماحة خلق

تفتقد أسرة تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»، فارسا تقاعد عن العمل معها هو د. سلطان سهو المطيري رئيس قسم «براعم الإيمان» السابق فقد كان واحدا ممن شهد له الجميع بالتواضع والطيبة وحسن الخلق.

تميز الدكتور سلطان السهو بهدوء شخصه وبشاشته التي لا تفارق وجهه في كل الخطوب.

شغل الدكتور السهو منصب رئيس قسم مجلة «براعم الإيمان»، وكانت بصمته واضحة في الفعاليات التي نظمتها مجلة البراعم، حيث شارك فيها وأضاف إليها من خبرته الكثير.

وكان الدكتور سلطان السهو أخا للجميع، وكان مكتبه مفتوحا للجميع، حتى العمال البسطاء كانوا يلجأون إليه لحل مشاكلهم. رسالته الجامعية لنيل درجة الدكتوراه كانت في علوم الاقتصاد، لذا فغالبا ما استعانت به الدوريات، ومنها مجلة «الوعي الإسلامي»، في الحديث عن الاقتصاد الإسلامي.

كما مثّل المجلة مع السيد رئيس التحرير عند تسلم جوائز التميز الإداري التي تشجع بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إداراتها.


من اليمين فهد الخزي مدير التحرير ثم سلطان السهو وعدد من زملاء العمل بالمجلة

أحمد الظرافي
باحث في التاريخ الإسلامي

# الصراع الديني في إسبانيا.. والفتح الإسلامي

**مازال الفتح الإسلامي للأندلس، بسرعته واتساعه، يدهش المؤرخين، إذ لم يسبق له مثيل في التاريخ. ونحن وإن كنا نرى أن العامل الأول لهذا الفتح هو نشر الإسلام، فإننا لا ننكر دور العوامل الأخرى، ومنها الصراع الديني في إسبانيا، الذي سنسلط عليه الضوء في هذا المقال.**

لقد كان أهل شبه الجزيرة الإيبيرية وثنيين، كما كان القوط، إلى أن أخذت الديانة النصرانية، تدخل البلاد شيئا فشيئا في أواخر القرن الثالث الميلادي، وانتشر الدين المسيحي في شبه الجزيرة على أصله الموحد، على مذهب آريوس، في القرن الرابع الميلادي[1]، فكان أهلها: يؤمنون بالله الواحد، لا يؤمنون بالثالوث، ويؤمنون بالسيد المسيح، كنبي مرسل[2]، ولا يعترفون للقساوسة بحق الوساطة بين الله والناس، ولا يجعلون للعذراء مكانا متميزا في العقيدة[3]. وكان آريوس قد أعلن الثورة على القول بألوهية المسيح، مؤكدا بشريته، ومن هنا وصف أتباعه بالموحدين.

## الصراع قبل الفتح

وقد أحدثت آراء آريوس الجريئة هذه أزمة خطيرة في العالم المسيحي، دينيا وسياسيا (٣١٨-٣٢٠م)، فتدخل الإمبراطور قسطنطين، ودعا إلى عقد مجمع مسكوني (عالمي) في نيكيا، التي يسميها العرب نيقية (في آسيا الصغرى)، سنة ٣٢٥م. وقد أدان معظم الأساقفة المجتمعين في نيقية ما أطلقوا عليه «البدعة الآريوسية»، وحكموا على آريوس وأنصاره بالطرد من الكنيسة[4]،

> **مذهب آريوس لم يؤمن بالثالوث واعتبر المسيح بشرا نبيا**

وفرضوا «قانون الإيمان» الذي كرس عقيدة التثليث و«وحدة الجوهر» ليسوع والأب[5].

وفي سنة ٤٠٠م، عقد الرهبان القوط في طليطلة اجتماعهم الأول، وقرروا الانضمام إلى مبادئ الثالوث المعلنة في «نيكيا»، غير أن الدولة بقيت على مذهب آريوس. وبقي هذا الحال إلى ٨ مايو سنة ٥٨٩م، حيث عقد اجتماع مجمع طليطلة الكنسي الثالث، الذي انضم إليه الملك ريكاردو. وقد شجب القساوسة والملك مذهب آريوس في هذا الاجتماع، وتحولت الدولة من التوحيد إلى التثليث[6]. وتبع ذلك اضطهاد متواصل للموحدين دام سنين طويلة.

وتشبث أهل الأندلس، جنوب

شبه الجزيرة الإيبيرية، بمذهب التوحيد، ولم يرضوا عنه بديلا، واضطروا بعد سنين من العذاب إلى إخفاء عقيدتهم الحقيقية[٧]، واللجوء إلى المعارضة، في السر، لإعادة الدولة والكنيسة للمذهب القديم. ويعني هذا أن قرار التحول من الآريوسية إلى الكاثوليكية لم يحقق وحدة المجتمع الإسباني الدينية والسياسية كما كان يعتقد، فهو كما قال المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال: «لم يشف الغليل لفترة طويلة؛ لأنه أمد رجال الدين بالقوة وحولهم إلى مشاركين في ممارسة السلطة. لقد أصبحوا، بالإضافة إلى النبلاء، يملون وجهات نظرهم، وقراراتهم على الأمراء الحاكمين، وأصبحت اجتماعات المجامع الكنسية، التي كانت تعقد بصفة دورية في طليطلة، تضارع المجالس الملكية»[٨].

## تداعيات الصراع سياسيا

واستمر الحال هكذا حتى تولى غيطشة زعامة القوط، بعد وفاة والده الملك أخيكا في سنة ٧٠٢م، فأبعد رجال الدين عن نفسه، وحرمهم من بعض امتيازاتهم، وفرق شملهم[٩]. ولذلك سادت الفوضى إسبانيا في عهده، نتيجة للمؤامرات المتوالية، التي كان كبار القوط الطامحين للسلطة يدبرونها بالتنسيق مع رجال الدين الكاثوليك (أصحاب مذهب التثليث)، وذلك لكي يتخلصوا منه، ويعهدوا بالعرش لواحد منهم يحظى برضا الكنيسة، لأن غيطشة كان في

**يوليان حاكم سبتة ساعد المسلمين على تحطيم جيش ملك إسبانيا**

نظرهم آريوسي المذهب.

ولكون غيطشة قد بلغ من الكبر عتيا، وأيضا لكي يقطع طريق العودة على أنصار مذهب التثليث، فقد أراد أن يخلفه ولده الصبي، ويدعى أخيلا (أو وقلة). ومن أجل أن يعده للجلوس على العرش، عمد إلى تعيينه دوقا (أي حاكما عسكريا أعلى)، على الولايتين الطركونية والناربونية في الشمال الشرقي لإسبانيا، تحت وصاية رخشندش، الذي يقال إنه شقيق غيطشة. إلى جانب ذلك قام غيطشة بعدة تدابير وتغييرات أخرى، ضد إرادة الكنيسة الكاثوليكية؛ بغية إضعافها، والحد من نفوذها.

وكما كان متوقعا، فإن هذه التدابير أثارت سخط وجهاء القوط، وأدت إلى تآمر البعض، لكن جميع المؤامرات اكتشفت وعوقب مدبروها بشدة[١٠] من قبل غيطشة، فقد: عاقب تيودفريدو دوق قرطبة بسمل عينيه، ونفى ثائرا آخر اسمه بلايه من البلاط[١١]. ولكن يبدو أنه عندما مات غيطشة في عام ٧٠٩م أو ٧١٠م، بادرت جماعات قوية من نبلاء القوط ورجال الكهنوت (أصحاب التثليث) في مجمع طليطلة، إلى انتخاب الدوق لذريق، الذي كان يقيم بقرطبة، ملكا على إسبانيا[١٢].

وقال ابن القوطية بعد أن ذكر أبناء غيطشة: «وكانوا صغارا عند وفاة أبيهم، فضبطت عليهم أمهم ملك أبيهم بطليطلة، وانحرف لذريق، وكان قائدا للملك أبيهم، بمن يطيف به من رجال الحرب، فاحتل قرطبة»[١٣]. وترتب على ذلك اندلاع الحرب، بين لذريق وأنصاره الكاثوليك من جانب، وبين رخشندش (معلم أخيلا) وأنصاره الآريوسيين، من جانب آخر. وفي غضون ذلك زحف لذريق على رأس أنصاره من قرطبة، والتقى برخشندش وحزب غيطشة في واقعة حاسمة، يقتل فيها رخشندش، ويتفرق أتباعه. غير أن أخيلا استمر في مقر حكمه بالشمال، محتفظا بمقاطعته، التي عينه عليها والده، بل إنه صك نقودا تحمل اسمه في طركونة وأربونة، كما لو كان مستقلا[١٤]، وظل أنصار أخيلا يشكلون حزبا مناهضا للذريق وللكنيسة الكاثوليكية، التي عادت إلى أسلوبها القديم في فرض رأيها بالقوة والعنف، وانتهاج سياسة متسلطة تقوم على استئصال المخالفين، وأولهم الآريوسيون، الذين اعتبروا بنظرها هراطقة.

## فتح الأندلس

وعلى الرغم من أن لذريق، وفقا لما تذكره إحدى الروايات، قد صالح أولاد غيطشة بعد ذلك وضمهم إلى صفوفه، وأصبحوا قادة في جيشه، وهي الرواية الأكثر احتمالا، كما قال المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال[١٥]، فإن ذلك لم ينتزع بذور العداء والحقد من صدورهم. ولما غزا المسلمون إسبانيا بقيادة

طارق بن زياد، وكان ذلك في العام التالي لتبوؤ لذريق عرش المملكة القوطية، حاول لذريق جمع شمل القوط تحت رايته؛ لكي يكونوا يدا واحدة على عدوهم، ومن ضمنهم أولاد غيطشة: «وقد ترعرعوا وركبوا الخيل»[16]، «فدعاهم لمساعدته، وهو ماض لقتال طارق، فأجابوه لطلبه؛ امتثالا للقانون، الذي يحتم عليهم طاعة الملك، وإن كانت صدورهم منطوية على كراهيته وعداوته وعدم الثقة به، فاتفقوا فيما بينهم على التخلي عنه حين مواجهة العدو»[17]. و«كتبوا إلى طارق بن زياد كتابا يعلمونه بذلك عشية المعركة»[18]. وهكذا كان أخيلا وأتباعه إلى جانب حليفهم يوليان حاكم سبتة، ممن ساعدوا المسلمين على تحطيم جيش لذريق في معركة وادي لكة الحاسمة (في رمضان ٩٢هـ/يوليو ٧١١م).

وطبقا للمصادر الإسبانية والغربية، فإن جناحي الجيش القوطي كانا تحت إمرة مؤيدي أخيلا، وربما تحت إمرة إخوة هذا الأمير، وبمجرد أن بدأت المعركة، ولى قادة الجناحين مع جنودهم الأدبار، وحاول لذريق الثبات بقلب جيشه لكنه لم يجد في النهاية بدا من التقهقر أمام ضغط المسلمين، الذين تعقبوه وأنزلوا به خسائر فادحة[19]. وتساقطت بعدها مدن إسبانيا الكبرى بأيدي المسلمين الواحدة تلو الأخرى، وبسط المسلمون سيطرتهم على هذا الإقليم الواسع في غضون ثلاث سنوات.

يقول المفكر الفرنسي روجيه جارودي: «وكانت إسبانيا ما قبل الإسلام مسيحية، وفي شطر كبير منها آريوسية، مع طوائف يهودية مهمة. وهذا الفارق لا يفسر فحسب بسرعة التوسع بل وشكله كذلك، ففي شبه الجزيرة الآيبيرية لم يكن فتحا عسكريا بغزاة أجانب، ولكن قبل كل شيء كانت هناك حرب أهلية بين مسيحيين قابلين بعقيدة الثالوث وألوهية يسوع المعلنة في مجمع نيقية (عام ٣٢٥م) ومسيحيين موحدين، أعني رافضين للثالوث، ولا يرون في يسوع إلها بل رسول موحى له من الله، ثم حدث بعد ذلك تحول ثقافي ممتد ما يقرب من قرن ونصف»[20].

**المسلمون بسطوا سيطرتهم على إسبانيا في غضون ثلاث سنوات**

إذن فقد كان للخلافات الدينية أثرها البعيد في تيسير الفتح الإسلامي للأندلس، كما أن لها الأثر ذاته في فتح مصر[21]، حيث قامت جموع غفيرة من السكان بمساعدة العرب في وضع حد للحكم البيزنطي[22].

## الهوامش

١- علي المنتصر الكتاني، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٩.
٢- المرجع السابق، ص٣٠.
٣- حسين مؤنس، فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة - القاهرة، ط١، ١٩٥٩م، ص٥-٦.
٤- نعيم فرج، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، جامعة دمشق، ط٢، ١٩٩٩م-٢٠٠٠م، ص١٦٣.
٥- جارودي، الإسلام في الغرب، ترجمة ذوقان قرقوط، دار دمشق- دمشق، ط١، ١٩٩٥م، ص٢٠.
٦- الكتاني، مرجع سابق، ص٢٩-٣٠.
٧- المرجع السابق، ص٣٠.
٨- بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمه إلى الإسبانية إميليو جارثيا جومث، ترجمه إلى العربية علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٠م، ص٤٥.
٩- خليل السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٠.
١٠- بروفنسال، مرجع سابق، ص٤٦.
١١- مؤنس، مرجع سابق، ص١٣.
١٢- جارودي، مرجع سابق، ص٢٠.
١٣- ابن القوطية، مرجع سابق، ص٢٩.
١٤- مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، شركة المطبوعات- بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص٢٧-٢٨.
١٥- بروفنسال، مرجع سابق، ص٤٧.
١٦- ابن القوطية، مرجع سابق، ص٢٩.
١٧- دوزي، المسلمون في الأندلس، (٤٤/١)، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٥م؛ وانظر ابن القوطية، مرجع سابق، ص٢٩.
١٨- ابن القوطية، مرجع سابق، ص٢٩؛ بروفنسال، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار للحميري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص١٠.
١٩- بروفنسال، تاريخ إسبانيا، مرجع سابق، ص٥٢.
٢٠- جارودي، مرجع سابق، ص١١.
٢١- مؤنس، مرجع سابق، ص٤٧٩.
٢٢- أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن الإبراهيم وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٤٧م، ص١١١.

د. محمود أحمد هدية
باحث ومحاضر في التاريخ
والحضارة الإسلامية

# التـــراث الصنـــاعي في الحـــ

أعلى الإسلام من شأن الحرف والصناعات والقائمين عليها بشكل عام، بعد أن كانت تلقى نوعا من الاحتقار والازدراء في ثقافات العالم القديم من عبرانيين ويونان ورومان والعرب قبل مجيء الإسلام.

وتمتع نساجو المغرب والأندلس بالمهارة والإتقان في فنون صنعتهم ما أوجد نوعا من أنواع التنافسية الصناعية بينهم فكانت منسوجاتهم لا تضاهيها منسوجات أخرى في العالم بنوعية نسيجها وألوانها وطريقة صنعها، وهو ما أعطى لهم التميز عن غيرهم، فكثر الطلب عليهم في البلدان والمقاطعات الأوروبية نظرا لخبراتهم الكبيرة والطويلة، فيذكر أن حاكم أراجون جيمس الثاني أرسل نساجين للحرير من إسبانيا إلى صقلية لتعليمهم الحرفة، واستقدم نساجين مسلمين لنسج القطن من صقلية للاستفادة من مهاراتهم وخبرتهم، وما فعله جيمس الأول ملك أراجون في عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م، قد أعطى صناع المدينة المسلمين فرصة ليساهموا في ازدهارها صناعيا، لتعود لسابق عهدها مركزا للنسيج، ولم يكتف جيمس بهذا بل أعطاهم امتيازات خاصة لمواصلة صنعتهم وإنتاج سلعهم الجيدة والشهيرة، فمنح الحرفيين الورش والمصانع والحوانيت ملكا لهم دون البيع لمدة عشر سنوات، بالإضافة لتزويدهم بكل ما يحتاجونه من أدوات ومواد خام خاصة بعملهم، فكانت جميعها معفاة من الضرائب[١].

## التدرج المهني لنساجي المغرب والأندلس

أدى التماسك بين أصحاب الحرف والمهن إلى ظهور التدرج المهني والحرفي أو ما يعرف بالأصناف. فكان لهم صناع في بعض مدن المغرب والأندلس كانت لهم شارات، لكل صنعة شارة تميزها عن غيرها، وتبرزها عن الأخرى، خاصة عند الاقتضاء والنزاعات التي قد تنشب بينهم، والشارة عبارة عن علم يحمل شعار كل صنعة وما يناسبها، وهو ما ذكره القلقشندي[٢] عن بني مرين وخروج السلطان للاحتفال بليلة العيد بقوله: «وفي ليلة العيدين ينادي والي البلد في أهلها بالمسير ويخرج أهل كل سوق ناحية، ومع كل واحد منهم قوس أو آلة سلاح.. ومع أهل كل سوق علم يختص بهم عليه رنك أهل تلك الصناعة بما يناسبهم».



وكوّن النساجون فيما بينهم كتلة واحدة أو ما يشبه نقابة حرفية، فهي عقد تأسيسي يحدده العرف ويسلم به الداخلون ويقسمون على احترامه[٣]، لمواجهة بعض الأمور، فقد استحدث النساجون في سلا إبان القرن ٨هـ/١٤م بالاشتراك مع تجار النسيج صندوقا احتياطيا كان دخله من درهم واحد، يؤخذ عن كل قطعة قماش تباع، ورصدوا المتجمع في ذلك لمواجهة الضرائب العادية والاستثنائية وما يقابلهم من أخطار ومشاكل.

وساهم التخطيط الإسلامي في ترابط أصحاب الحرف فكان لكل نوع من الحرف والمهن منها شارع أو سوق باسمه[٤]، وحظي النساجون بوجود هذه النماذج بكثرة بدلالة أبواب وأرباض المدن كوادي القصارين بالقيروان، وحي الكمادين، وقنطرة الصباغين، ومقابر القصارين، وحي الطرازين بقرطبة، وباب

## ضارة الإسلامية

البزازين بغرناطة.

وأسهمت التطورات الداخلة على أهل الحرف والمهن في تنظيم هيكليتهم وإكسابهم نظاما متدرجا فيما بينهم، ولم تكن هذه التدرجات واضحة المعالم في بداية الحكم الإسلامي، لكن سرعان ما تمكن الصناع والحرفيون من تكوين سلم حرفي فيما بينهم.

### أولا: النساج المبتدئ

المبتدئ هو أدنى درجات النساجين، فهو الصبي أو الغلام، ينضم إلى معلمه ليكتسب ويتعلم أسرار المهنة وتقاليد أهلها، وفي بعض الأحيان لم يتقاض أجرا نظير عمله، بل إن ولي أمره كان يدفع أجرا لمعلمه مقابل تدريبه، أو كان الأجر تعلم الحرفة كما ذكر ابن أبى زيد[٥] «فيمن أجر غلمانا يخيطون مشاهرة، وهو يقاطع الناس على الثياب، فيطرح على أحدهم ثوبا على: إن فرغ منه اليوم فله بقية يومه، وإلا فعليه تمامه في يوم آخر لا يحسب له في الشهر».

وعمد الصناع وأولياء أمور المبتدئين إلى تحرير عقد ليحفظ كل طرف منهم حقه، بتحديد نوعية العمل، والوقت، بالإضافة إلى الأجرة المتفق عليها، وهو ما يظهر في هذا العقد «عقد إجارة الأب أو الوصي أو الحاضن لمن يلي عليه: أجّر فلان ابنه فلانا الصغير في حجره وولاية نظره أو يتيمه... ليعمل له في تحويل غزل الكتان في المسرقات والتقيط والتسدية في حانوته بسوق كذا من مدينة كذا لمدة كذا بكذا وكذا دينارا مقسطة بالسواء على شهور المدة المذكورة، وشرع الصبي في العمل المذكور لأول المدة المذكورة»[٦].

كما عانى النساجون المبتدئون من ثقل الجهد الموكول إليهم نتيجة لاستغلال معلميهم لهم بشكل قاس ومهين، خاصة إن كانوا أيتاما لا ولي لهم أو معيل، أما في حالة تعلم الأبناء للحرفة أو للصنعة من الآباء والأجداد؛ فإنهم يتقنونها بشكل بارع حتى يتوارثوا الحرفة فيما بينهم ولا تندثر، مثلما فعل أهل الذمة وبخاصة الصناع اليهود[٧].

### ثانيا: النساج الأجير

هو الصانع الذي يمارس عمله لحساب الغير لقاء أجر محدود يتقاضاه ممن استأجره، وكان يشترط عند الاستئجار أن تحدد الأجرة والوقت حتى لا تنشب خلافات بين الطرفين فكان «لا يجوز لرجل أن يستأجر رجلا في شيء من خياطة أو صبغ أو خرز أو دلالة حتى يتفق معه على أجرة معلومة»[٨].

وقد يشترك في بعض الأحيان أكثر من نساج في تأدية عمل واحد فيما بينهم، والنساج الأجير كغيره من العمال يبدأ عمله في الصباح، فمن عادة الأجراء العمل بعد صلاة الفجر، وقد يستمر العمل إلى صلاة المغرب، ويتوقف العمل يوم الجمعة ويخفف في شهر رمضان، وتختلف مواعيد العمل من الصيف إلى الشتاء نظرا لطول مدة النهار في الصيف وأثرها على أداء الصناع، وبعض الحالات كان يؤجر الأجير لمدة تطول تصل لشهر «بأن يؤجر نفسه في خياطةٍ شهرا»[٩].

ونظرا لطبيعة مجتمع المغرب والأندلس وما تمتع به من خصوصية، فقد أدى النساج الأجير في أغلب الأوقات عمله داخل بيت من أستأجره، إما لعدم وجود من يتابع العمل من الرجال، أو لحرص أصحاب العمل على خصوصيته، كقول أحدهم «فإن استأجرت خياطا يخيط لي في بيتي فضاع ما استأجرته له»، وفي بعض الأوقات كان يمنع دخول الغزالين الأجراء، خاصة من الشبان إلى بيوت النساء خوفا عليهن من الفتنة من هؤلاء الصناع[١٠].

وقد روعي عند استئجار النساج الأجير أن تحدد مواعيد عمله، وطبيعة العمل الموكل إليه، ومواصفات



الإنتاج، مع التنويه على ضرورة القيام بتوابع العمل، وعلى من تقع المسؤولية فيما يخص الأدوات، بالإضافة لضمان الصانع لعمل يده، كما في العقد الذي أورده الجزيري[١١]، حيث ذكر «استأجر فلان فلانا النساج لنسج الكتان أو القطن أو الحرير في طرازه وعلى آلته بحاضرة مدينة كذا بسوق كذا بحومة مسجد كذا لمدة أولها شهر كذا بكذا وكذا، دفع المستأجر منها كذا وقبضها الأجير ويدفع إليه باقيها عند انقضاء كذا... وشرع الأجير في العمل لأول مدة الاستئجار وعليه الاجتهاد من ذلك وبذل النصيحة وأداء الأمانة في سر أمره وجهره بأبلغ طاقته وأقصى مجهوده بلا شرط ولا مثنوية».

فضلا عن تحديد المقاسات والأطوال، كما جاء ذكره في إحدى العقود بشكل جلي، ففي «عقد تاريخه شعبان سنة إحدى وخمسين وأربع مئة فيه أنه دفع إلى مفرج بن مبارك النساج، عشرة مثاقيل قديمة طيبة على نسج أربعين شقة خز، كل شقة من ستين بيتا سعة كل شقة أربعة أشبار وطولها ست عشر ذراعا»[١٢].

### ثالثا: النساج الصانع

انقسم النساجون الصناع لفئتين؛ الأولى وهم الصناع المشتغلون بأجرة، خاصة في الأماكن التابعة للسلطة؛ كدور الطرز أو من يعملون لدى الصناع الكبار والمعلمين، والثانية هم من يعملون لحسابهم في حوانيتهم أو منازلهم، ويتوارثون حرفتهم عن الآباء والأجداد فيتقنونها بشكل جيد يسمح لهم بمزاولتها[١٣].

ووجب على النساج الصانع احترام معلمه أثناء مزاولة عمله؛ ومن مظاهر هذا الاحترام أن يمشي خلفه، ويقضي له حاجاته، مطيعا لأوامره، مدافعا عن مصالحه، يتحمل عنه العقوبة والهوان[١٤]، فضلا على أن يتبع إرشاداته ونصائحه، ولا يتبعه في أمور الغش والتدليس والتي عادة ما اشتهر بها بعض من صناع النسيج.

### رابعا: النساج المعلم

هو من يملك عناصر الإنتاج والصنعة من رأس المال والأيدي العاملة، ومحل الصناعة والعمل والتنظيم، ويقع عليه الضمان فيما يصنعه وما يقع تحت إشرافه من صناع ومبتدئين وأجراء، يعلمهم أسرار الصنعة ويمكنهم فيها ويعاونهم ويعاونوه، وقد يدفع الصناع أجورا مقابل العمل لديه، وفي الغالب كانت زهيدة، خاصة المبتدئين منهم[١٥].

وقد نهي عن اتباع أوامر المعلمين فيما يتعلق بمخالفة الشرع في عملهم، والتي يسفر عنها من الغش والتدليس، كمن يكلف الصانع الذي يعمل لديه أن يخيط بالخيط غير المفتول؛ لأنه إذا لم يفتل تكون خياطته ضعيفة، أو يأمره بأن يشل ويوسع بين الغرزتين أثناء الخياطة،

أو يخيط الثياب المنهي عن خياطتها أو التي لا يجوز لبسها[١٦].

### خامسا: العريف

وجد عريف للحاكة وتجار البَز يلجأ إليه عند وقوع الخلافات في أمور الصنعة والبيع، أو الوقوف أمام بعض الإجراءات الحكومية التعسفية التي يلاقيها الصناع، باعتباره أهل المعرفة بالصناعة [١٧]، وتمتع بسلطات واسعة بين أبناء صنعته، فهو مرجعهم في نزاعاتهم الشخصية والمهنية، واختيار الصناع الجدد، ووسيط بين أهل حرفته والمحتسب في كل ما يتعلق بشؤون الحرفة، وهو المسؤول أمام المحتسب عن أي مخالفة فيما يتعلق بالأمانة المهنية للصناع[١٨].

فنصب لنساجي الثياب عريف منهم «طاهرا مأمونا بصيرا بما يجري من الخطأ والتدليس»، لمنع الغش والتدليس، ومنها من يدعي أن الناسج قد أبدل غزله وأعطاه بدلا منه، فنهى العريف عن استخدام نثر الدقيق أو ماء الخبز أو النشا أو الجير المشوي أثناء الغزل؛ لأنه يداري عيوب النسج، فوضع بعض الغرامات على من يغزل وينسج الغزل المنقوض[١٩].

## أصناف النساجين

### نساجو الحرير

يعرف نساجو الحرير بالقزاز وهو القائم على تربية دود القز، ولم تقتصر هذه المهنة على الرجال فقط، بل النساء أيضا. ووضعت المعايير والقواعد لضمان جودة نسج ثوب الحرير، بأن الثوب لا يقل عن اثنتين وأربعين بيتا في النول، وواحد وعشرين أوقية في الوزن، فما خالف ذلك كان مغشوشا. وأفضل الحرير المنسج الذي تكون سداه قوية ومتينة، ناعمة الملمس، والثوب الجيد هو الذي انتظم نسجه وثقل وزنه، أما الرديء منه «فهو ضعيف السدى، خفيف الوزن، رخو النسج، غير زاهي اللون»[٢٠].

وتوجب على ناسج الحرير عدم خلط الغزل الغليظ والرفيع، لأن بعضهم أخذ الغزل الرفيع لنفسه ويبدله بأغلظ منه لغيره، أو بغزل الغزل العفن الضعيف مع الغزل الرفيع ما اعتبر نوعا من التدليس[٢١].

وأطلق أيضا على نساج الحرير لقب البزّاز وهو من يبيع الحرير، وأشهر من عمل بها العالم ظاهر بن يزيد الزاهد من أهل قرطبة فكان قزازا، وأحمد ابن قاسم بن محمد التميمي التاهرتي أبوالفضل (ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) كان بزازا، وعمل محمد بن عبدالله بن هاني ابن هابيل اللخمي (ت ٤١٠هـ/١٠١٩م) من أهل قرطبة بزازا، وكذلك هشام ابن محمد ابن عبدالفاخر المعافري كان بزازا، ويحيى بن عمر بن عبدالله ابن قحطة الأنصاري أبوبكر من أهل قرطبة فكان بزازا، وكان محمد بن عبدالله المطماطي بزازا أيضا، وسليمان بن يحيى المعروف بابن ستهم تاجر بالبَز.

### خاتمة

وفي النهاية نطمع أن نكون قد عرضنا صورة مصغرة عن تلك الفئة من صناع المغرب والأندلس والذين امتلكوا مقومات الصناعة من مواد خام ودقة وتنظيم وإتقان جعلتهم يعتلون قمة الصناعة الإسلامية.

### الهوامش

1-Margarita Campos.Kent; Figurative HispanoArabic textiles of the Almoravid and Almohad dynasties ,The Ohio State University, 1980, p.23.

٢- القلقشندي(ت: ٨٢١هـ/١٤٢٢م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، ١٩٢٢م، ج ٥، ص ٢٠٧؛ محمد المنوني، مشاهد عمالية من واقع مغرب الأمس، مجلة دعوة الحق، السنة (١٥)، ع (١٤٦)، ص ١١٣.

٣- محمد منير سعد الدين، النقابات عند المسلمين، مجلة التراث العربي، السنة (١٢)، ع (٤٧)، ١٩٩٢م، ص٥٧.

٤- ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص٤٣.

٥- المصدر السابق، ج ٧، ص ٤١.

٦- الجزيري، المقصد المحمود في تلخيص العقود، تحقيق: فايز بن مرزوق، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص ٣٢٧.

٧- نافذ سويد، الحرفيون ودورهم التاريخي في تطور المدينة العربية الإسل امية، مجلة التراث العربي، السنة (١٩)، ع (٧٦)، ١٩٩٩م، ص ١٥٥.

٨- القباب، شرح مسائل ابن جماعة التونسي في البيوع، دراسة وتحقيق: محمد إبراهيم الكشر، ٢٠٠٨م، ص ٢٦٦.

٩- القباب، البيوع، ص ٢١٠.

١٠- الجرسيقي، رسالة في الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ١٢٣.

١١- ابن فرحون، تبصرة الحكام، ج ٢، ص ٢٤٧؛ المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٠.

١٢- ابن أصبغ، ديوان الأحكام، ص ٣٨٠.

١٣- نافذ سويد، المرجع السابق، ص ١٥٥.

١٤- أحمادو تال ديالوا، المرجع السابق، ص ٩٤.

١٥- أحمادو تال ديالوا، المرجع السابق، ص ٩٤.

١٦- ابن الحاج، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٩.

١٧- الزهري، الجغرافية، ص ٩٢.

١٧- ابن عبدون، المصدر السابق، ص ٥١، ٥٣، ٥٨.

١٨- العقباني، المصدر السابق، ص ١٣٥.

١٩- الدمشقي، محاسن التجارة، ص ٢٦.

٢٠- ابن الحاج، المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

٢١- ابن بسام، معالم القربة، ص ٢٢٥؛ الشيرزي، المصدر السابق، ص ٦٩؛ السقطي، آداب الحسبة، ص ٦٤.

محمود عبده حسن
باحث دراسات إسلامية
مصر



# من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام معركة بلاط الشهداء

من قبيل المصادفة أن يشهد التاريخ الإسلامي صورة أخرى لمعركة أخرى غير أُحُد؛ كانت أسباب هزيمة الجندي المسلم فيها نفس الأسباب التي أدت إلى هزيمته في أُحُد؛ ألا وهي الحرص على الغنائم وجمعها. معركة يطلق عليها الغرب «معركة بواتييه»، ويسميها العرب «بلاط الشهداء»، تلك المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام الذي لو قدر النصر فيها للمسلمين لكانت أوروبا كلها تنعم الآن بنور الإسلام، وتعيش في



ظله، نتذكر هذه المعركة، ونتذكر أحداثها، وإذا كان الغرب يعتبرها نقطة فاصلة في تاريخه؛ فقد اعتبرها المسلمون درسا جديدا آخر استفادوا منه جيدا، ومنه انطلقوا حتى رفعوا راية الإسلام، فظلت عالية وضاءة تشهد على سماحة هذا الدين وعدله.. يقول كوستاف لوبون: «المسلمون لم يستكينوا للهزيمة في بواتييه، إنما استفاقوا واستردوا مواقعهم وتوغلوا من جديد في أوروبا..».

النجاح الكبير الذي حققه المسلمون في الأندلس أعطى الثقة والطموح للجندي المسلم، وجعله أكثر إصرارا على مواصلة نشر الإسلام في ربوع أوروبا كلها. كان هذا الأمل الذي كثيرا ما حلم به القائد موسى ابن نصير للانطلاق نحو فرنسا؛ لتكون هي البوابة لنشر الإسلام في أوروبا. توارث القادة المسلمون هذا الطموح، فبعد موسى هذا القائد العظيم الذي سيظل يتذكره الإسلام، ويتذكر بطولاته الخالدة، وستظل خططه العسكرية، وسعة أفقه دربا يسلكه من جاء من بعده من القادة المسلمين، تولى الإمارة بعده «السمح بن مالك الخولاني» في عهد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز الذي تولى الخلافة بعد وفاة ابن عمه سليمان بن عبد الملك سنة ١٠٠هـ، ٧٤٠م استأنف السمح سياسة الفتح، وبدأ فعليا فتح فرنسا. كانت فرنسا في هذا العهد أقاليم مترامية، ومملكة شاسعة، عرفت في التاريخ الروماني بـ«غالة»، وبعد سقوط الدولة الرومانية أصبحت تابعة للقوط الغربيين، وأصبح الإقليم الذي يحده نهر اللوار شمالا إلى جبال «البرانس» جنوبا دوقية مستقلة تسمى «أكيتانيا» أو «أكوتين» إلى شرقي نهر الرون، أما شمال نهر اللوار حتى ألمانيا الحالية فكانت مملكة تسمى مملكة «الفرنجة». وهكذا لم تكن فرنسا دولة واحدة؛ ومن هنا كان حلم فتحها يراود القادة المسلمين، ففتحها يعني تمكين راية الإسلام فيها، ونشر دعوته في أوروبا بأسرها فاخترق السمح بن مالك جبال «البرانس» الشاهقة، ثم زحف على مقاطعتي سبتمانية وبرفانس، ثم أغار بعد ذلك على «أكيتانيا»، وحاصر «تولوز»، ولم يستمر السمح في

زحفه طويلا، فقد استشهد في قتاله مع دوق أكيتانيا.

## عنبسة بن سحيم

بعد استشهاد «السمح بن مالك» تولى حكم الأندلس قائد شجاع آخر هو «عنبسة بن سحيم»، وكان ذلك عام ١٠٢هـ، واصل عنبسة زحفه حتى وصل إلى حوض «الرون»، ثم توغل في إقليم «برغندية»، حتى بلغ مدينة «ليون» واستولى عليها، ثم تخطى بعد ذلك نهر اللوار، وعندما كان على مقربة من نهر «السين» استشهد عنبسة.

كانت لهذه الانتصارات الرائعة للجيش المسلم بقيادة السمح بن مالك ثم عنبسة بن سحيم؛ النتيجة الإيجابية -كما يذكر الدكتور علي حسني الخربوطلي- في إثارة الرعب في الدوقيات الجنوبية والوسطى. وقد وصف المؤرخ «رينو» قوة هذا الجيش المسلم الذي حقق هذه الانتصارات، وتولى هذا الزحف قائلا: «بلغت حماسة العرب في تلك الغزوة دفع بعض مؤرخيهم ليشبههم بريح صرصر تقتلع كل ما جاء أمامها، أو بسيف ماض يقطع كل ما يصادفه».

كانت هذه الانتصارات كافية حتى تدرك مملكة الفرنجة أنهم بالفعل أمام عدو كبير، وقوة لا يستهان بها.

## عبدالرحمن الغافقي النقطة الفاصلة ودور أخير

بتولي القائد عبدالرحمن الغافقي إمارة الجيش المسلم بعد استشهاد عنبسة بن سحيم؛ دخل فتح فرنسا دورا جديدا وحاسما، فالغافقي يعد من أبرز القادة الذين شهدتهم بلاد الأندلس، وقد قضى حياته مقاتلا صلبا في أراضي ما وراء جبال «البرانس»؛ الأمر الذي جعله أكثر معرفة وخبرة بتلك المناطق، عالما بتضاريسها، وأماكن الوعورة فيها. بدأ الغافقي ينظم صفوف جيشه، مُصرا على إتمام الغاية وإكمال النصر. في صيف عام ٧٣٣م، بدأ زحفه، فاخترق جبال البرانس من ممرات «رونشفالة»، وهناك طريق قديم يمر بين «بسبتمانية» وحوض الرون لم يسلكه، واتجه بجيشه إلى بردال «بوردو» ففتحها بعد معركة ضارية، ثم تقدم بعد ذلك نحو اللوار؛ الأمر الذي جعله يقصد مدينة «تور» فيدخلها، ولهذه المدينة أهميتها ومكانتها عند الفرنجة؛ فهي تحتضن «ديرسان مارتن» المشهور بنفائسه الغالية. ظلت هذه المدينة محاصرة من قبل المسلمين، مما جعل دوق أكيتانيا يستنجد بأمير القصر في دولة الفرنجة؛ «شارك مارتل»، وقد استجاب هذا الأمير لنداء الدوق، فقد رأى شارك مارتل فتح العرب لدوقية أكيتانيا خطرا يهدد كيان الفرنجة، إذ إن العرب دون شك سيتابعون فتوحاتهم حتى يقضوا على دولته.. وبذلك توحدت القوى الأوروبية لوقف الزحف المسلم، وكان لشارك مارتل قوته، وصلابته، حتى كان يدعى لشدة دهائه «بالمطرقة مارتل»؛ لذا بذل جهدا كبيرا في جمع وحشد آلاف من الجند في معركة حاسمة يشتبك فيها مع المسلمين، يكون هو المنتصر فيها، وقد وصف الدكتور الخربوطلي صفات هذه الجنود الكاسرة الذين جمعهم شارك مارتل قائلا: «كان معظم جيشه من البدو الأجلاف الأشداء معظمهم شبه عراة، رغم برودة الجو، وباقي الجند يرتدون جلود الذئاب، ويغطون رؤوسهم بشعور ملبدة تتدلى فوق أكتافهم، وانضم إليهم الكثير من المتبربرين مثل السويف والآلآن..».

لقد أراد شارك مارتل من جعل جنده بهذه الصورة المخيفة أن يقتل الروح المعنوية للجيش المسلم، ويقع في قلوبهم الخوف والمهابة من جند الفرنجة، أما الجيش المسلم فكان على عكس ما أراد «شارك مارتل» وعلى عكس الصورة التي رسمها، كانت عزائمه أشد، روحه تزخر بالحماسة والإيمان، وكان أيضا كثير العدد، وافر السلاح، ورغم كل هذا الثبات والتهيؤ النفسي لخوض هذه المعركة من قبل هذا الجيش المسلم، إلا أن هناك عوامل تقلل من فرص النصر؛ فوجود الجيش المسلم في «فرنسا» على مسافة بعيدة وطويلة جدا من مركز الدولة الإسلامية، ومقر الخلافة في دمشق، أمر يجعل الجيش المسلم لا يستطيع أن تتهيأ له فرصة الحصول على حاجته من الإمدادات والأسلحة، ويجعل خطر التموين طويلا جدا، وأمر آخر هو وجود روح العصبية بين الجند العربي والجند البربر من

جهة، وبين العناصر العربية نفسها من جهة أخرى، مما يضعف وحدة الجيش المسلم، كما أن هذا الجيش كان يصحب معه الغنائم الكثيرة التي حازها في المعارك السابقة مما يقلل تحركاته.

وبدأت المعركة الفاصلة في هذا المكان الذي يقع شمال «بواتييه» في اتجاه تور، في مكان يسميه العرب «بلاط الشهداء» شعر الفريقان بأهمية المعركة، واستمرت المناوشات عدة أيام، ثم اشتبك الجيشان في معركة حامية، وأبلى الجند المسلمون بلاءً حسنا، لولا نقطة الضعف التي عرفها «شارك مارتل» وأراد استغلالها، وكان مارتل قد قاتل العرب مرارا، وعرف نقطة ضعف الجيش المسلم والتي تتمثل في الحفاظ على الغنائم والدفاع عنها، وقد كان من عادة العرب أن يحملوا غنائمهم معهم فيحتفظوا بها في مؤخرة الجيش مع حامية تحميها، أراد مارتل أن يشغل الجيش المسلم من ناحية الغنائم، لعل ذلك يخل نظامهم أثناء القتال؛ ولذلك قام بحركة التفاف سريعة مهاجما مؤخرة الجيش المسلم حيث الغنائم، وحدث ما قدره شارك مارتل، فقد اختل نظام الجيش، وتراجع الجند إلى المؤخرة لإنقاذ الغنائم، وأخلوا الميدان، لينقض «شارك مارتل» عليهم مستفيدا من اضطراب صفوفهم، وباءت محاولات عبدالرحمن الغافقي بإعادة الترتيب إلى الجيش بالفشل، وسرعان ما أصابه سهم قاتل استشهد على أثره، تاركا جنوده في وضع لا يحسدون عليه. وانتهت المعركة بانسحاب الجيش المسلم بعد أن سجل في تاريخ أمتنا هزيمة قاسية.

في تعقيبه على هذه المعركة يقول الدكتور محمد علي الهرفي: «ومرة أخرى يكون التهافت على حطام الدنيا الزائف، ومتاعها الزائل؛ سببا مباشرا في وقوع الهزيمة في معركة جد مهمة. معركة كان انتصار المسلمين فيها سيقلب موازين العالم، ليرتب أوراقه من جديد، ولكن زينة الدنيا ومغرياتها تتدخل لتحد من الطموح العالي، وتعيد إلى الأذهان صدى «موقعة أحد» التي خسرها المسلمون بسبب مماثل لما حدث في بواتييه..».

انتهت المعركة، وظلت «بواتييه» في ميزان التاريخ ذكرى معركة يعتبرها المؤرخون الأوروبيون من المعارك الفاصلة في التاريخ الأوروبي.

يقول المؤرخ جيبون: «إن العرب لو تحقق لهم الانتصار في تلك المعركة لانتشرت المساجد في باريس ولندن بدلا من الكاتدرائيات القائمة الآن، ولكان القرآن يُتلى ويُفسر في أكسفورد، وغيرها من المراكز العلمية...».

ويقول المؤرخ «جون دوانبورت» في كتابه (عنصر السيادة في القرون الوسطى): «المرجح أن معركة بواتييه التي نشبت بين عبدالرحمن الغافقي وشارك مارتل وسط فرنسا وانتهت بتقهقر العرب، كانت أعظم عامل على تقلص الحضارة العربية على الغرب، ولو انتصر العرب في هذه الموقعة لكانت أوروبا اليوم عبارة عن مقاطعة إسلامية بدون ريب...».

وبعد:

ماذا خسرت أوروبا والغرب بهزيمة الجيش المسلم في هذه المعركة؟

لقد خسروا الكثير؛ خسروا مشاعل النور، وقيم السماحة، والعدل، والخير، وافتقدوا مواثيق الأمان التي حملها الإسلام وورثها هؤلاء الفاتحون.

وما أصدق ما قاله الكاتب والمؤرخ البريطاني «لين بول» في وصف هذه الفتوحات للجيش المسلم في فرنسا والأندلس: «يجب ألا يجول ببال أحد أن العرب عاثوا في البلاد أو ضربوها بصنوف الإرهاق والظلمات، كما فعل قطعان المتوحشين قبلهم، فتلك البلاد لم تحكم في عهد من عهودها بسماحة، وعدل، وحكمة، كما حكمت بعهد العرب الفاتحين..».

بعد «بواتييه» انطلقت الجيوش الإسلامية وواصلت الفتوحات حتى ارتفعت كلمة الله عالية وضاءة، ولا يزال الإسلام أكثر الأديان انتشارا في هذه البقاع.

## المراجع


١- العرب في أوروبا، للدكتور علي حسني الخربوطلي، سلسلة المكتبة الثقافية، العدد ١٤٣، ١٥ أكتوبر ١٩٦٥م، الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

٢- الجهاد المقدس وشهر الأحداث الكبرى في حياة الأمة الإسلامية، للدكتور محمد علي الهرفي، دار الاعتصام ١٩٩٥م – مصر.

د. شاذلي عبد الغني إسماعيل
باحث دراسات إسلامية



# من مناهل الثقافة الإسلامية والعربية في تشاد

جمهورية تشاد هي واحدة من دول وسط إفريقيا، وموقعها هذا جعلها نقطة التقاء تجمع بين الحضارة العربية والإفريقية، وهناك لهجات كثيرة في تشاد، لكن اللغتين الرسميتين هما العربية والفرنسية، وتتجاوز نسبة المسلمين في تشاد ٨٠٪، ومنذ خمسة أعوام شرفني الأزهر الشريف بالابتعاث إلى دولة تشاد مدرسا في جامعة الملك فيصل، ومما لفت انتباهي أمران: أولهما: هو سماحة ذلك الشعب الذي يتسم بالطيبة والبشاشة والكرم والتدين، الأمر الثاني: هو الاهتمام الكبير بالثقافة الإسلامية، وباللغة العربية، وقد وجدت أن هناك الكثير من المناهل التي أثْرت الحياة المعرفية بشكل عام والتي أسهمت في نشر الثقافة الإسلامية، وعضدت من مكانة اللغة العربية فيها بشكل خاص، ومن أهمها من وجهة نظري: المساجد، المعاهد الأزهرية والمدارس العربية، جامعة الملك فيصل، الصحف العربية والمؤتمرات والندوات.

**مساجد تشاد منابر لنشر الثقافة الإسلامية**

## المساجد

في تاريخنا الإسلامي لم تكن المساجد مكانا لأداء الصلوات فقط، وإنما هي أيضا مدارس للتفقه في الدين وفي اللغة العربية ولتربية النفس وتنشئة أجيال واعية بأخلاق دينها وتعاليمه وقيمه وتاريخه، ولاشك أن مساجد عاصمة تشاد انجامينا كان لها فضل كبير في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية بين أبناء الشعب التشادي، ففي المساجد التي حضرت فيها صلوات الجمعة




وجدت حرصا كبيرا من الخطباء على استخدام اللغة العربية السليمة، وقلما يكون هناك أخطاء في التراكيب أو خروجا عن القواعد أو مخالفة للأساليب العربية الرصينة، وبعض الأئمة يتمتعون بملكة بلاغية وقدرات أدائية تجعل لخطبهم مذاقا خاصا وتمنحها تأثيرا قويا، وأهم ما يثير الانتباه في خطب البعض خاصة في المساجد الصغيرة هو اشتمال هذه الخطب على نواح نقدية تتعرض لما يعتري الواقع المعيش من مشاكل وتلقي الضوء على أي ظواهر سلبية، وتعلق على الأحداث التي يواجهها المجتمع بحرية بالغة، فحرية القول مكنت الأئمة من الإدلاء بآرائهم في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية بقوة وبصراحة وبكلمات لاذعة أحيانا، ومن اللافت جدا للنظر في الشعب التشادي عشقه للاستماع للخطب العربية، خاصة لبلغاء الخطباء العرب المشهورين.

ولا يقتصر دور المسجد على التوعية الإسلامية ونشر الثقافة الدينية على خطب الجمعة، بل هناك الدروس والمواعظ التي تجدها حتى في الزوايا الصغيرة، والتي يشارك فيها أعضاء البعثة الأزهرية، إضافة إلى حلقات تحفيظ القرآن التي تنتشر بكثرة يبدو معها جليا الحرص الرائع من الشعب التشادي على حفظ القرآن الكريم وتلاوته، وقد تجلى هذا الحرص في كثرة الحفاظ الذين نشأوا في ظل كتاب الله يتنافسون على حفظه ويحرصون دائما على تلاوته.

وفي المساجد أيضا توجد حلقات لتدريس العلوم الشرعية والعربية يلتف حولها الراغبون من طلبة العلم، والتي تمنيت أن تكون بشكل أكثر فاعلية وتنظيما، بحيث يختار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية من العلماء وأساتذة الجامعات من يلتزم بجداول أسبوعية لحلقات علمية تهتم بشرح أهم كتب العلوم الشرعية والعربية، وتخاطب مستويات مختلفة من الراغبين في العلم أو الطامحين إلى الاستزادة منه، وبذلك يتحول المسجد إلى جامع وجامعة كما يحدث في مساجد بعض المدن الإسلامية.

## المعاهد الأزهرية والمدارس العربية

في تشاد ثلاثة معاهد أزهرية، معهد في العاصمة انجامينا، ومعهد في مدينة سار في الجنوب، ومعهد في مدينة أبشه في منتصف شرق البلاد، وهي تدرس المناهج الأزهرية، ويقوم على التدريس فيها بعض أبناء تشاد، كما يرسل الأزهر الشريف بعثة سنوية من المعلمين لهذه المعاهد، التي يتخرج منها العديد من أبناء تشاد الذين يلتحق بعضهم بالجامعات التشادية، ويكمل بعضهم مسيرته العلمية في جامعة الأزهر بمصر، كذلك يوجد العديد من المدارس التي تدرس باللغة العربية في مقابل المدارس الفرنسية، وفي المعاهد الأزهرية والمدارس العربية تخرجت نخب في الأمة التشادية، منهم علماء دين وخطباء وشعراء وصحفيون ومدرسون وأساتذة جامعات ووزراء برزوا بصورة كبيرة، وأحدثوا نهضة ثقافية وأدبية لا تغيب عن المتأمل للواقع الثقافي التشادي، وقد التقيت عددا كبيرا من خريجي المدارس العربية والمعاهد الأزهرية، وكثيرون منهم يتمتعون بثقافة رفيعة، ويظهر عليهم الاهتمام القوي والتفاعل العميق مع قضايا الأمة الإسلامية والعربية، ولهم تتبع دقيق وتحليلات واعية لكل ما يجري في ربوع الأمة من أحداث، كل ذلك مع اعتزاز وفخر بانتمائهم للقارة السمراء.. والمثقفون بالعربية من تشاد يحملون الكثير من الأفكار والتطلعات والرؤى والآمال لوطنهم تشاد ولأمتهم الإسلامية، كما أنك تجد بينهم تنوعا في التوجهات والانتماءات الفكرية والسياسية، وبالمثل ترى الأدباء والشعراء ينتمون إلى مدارس أدبية ونقدية متنوعة، ولاشك أن هذا الاختلاف يثري الواقع الثقافي التشادي، ويزيد من حيويته.

## جامعة الملك فيصل

لقد كان لي شرف التدريس في جامعة الملك فيصل بدولة تشاد، ويمكن لي أن أقول بثقة إنها واحدة من المنارات التي تنشر الثقافة الإسلامية والعربية في وسط إفريقيا، فتأثيرها يمتد إلى بلدان مثل الكاميرون ونيجيريا والنيجر،

وطلاب هذه البلدان يأتون لينهلوا من معين هذه الجامعة، ثم يرحلون إلى أوطانهم محملين بالثقافة الإسلامية والعربية التي تلقوها على يد نخبة من الأساتذة المبدعين في مجالاتهم، وإضافة إلى كلية الشريعة واللغة العربية والقراءات تشتمل هذه الجامعة على كليات للتربية والقانون والحاسب الآلي والتمريض والاقتصاد.. والأمر الملاحظ هو اعتزاز الطلاب بانتمائهم لهذه الجامعة التي هي بالفعل تحتل مكانا مؤثرا ومكانة كبيرة لإسهامها في تشكيل الواقع المعرفي والثقافي والفكري والإبداعي داخل المجتمع التشادي.

والثقافة العربية المميزة للفيف من هؤلاء الطلاب تجعل المرء يقف مندهشا أمام قدراتهم الإبداعية ولفتاتهم الفكرية ووعيهم بما يدور في العالم وطموحاتهم في التأسيس لنهضة قوية لبلدانهم، وكنت قد شاركت في التحكيم لمسابقة شاعر وقاص الجامعة، وأدهشني فعلا وجود الكثير من نصوص هؤلاء الطلاب الذين لم يكونوا جميعا من تشاد، ووجه الدهشة نبع أولا من روعة النسيج الإبداعي الذي تشكلت به الكثير من هذه النصوص التي اتسمت بقوة التراكيب وجلال الصور وجمالها مع الحرص على الموسيقى وسلاسة اللغة، إضافة إلى التنوع الذي جعلنا نتنقل ما بين القصيدة التقليدية المحافظة بفخامتها، والقصيدة الوجدانية بكلماتها الرقراقة وبصورها الشجية التي تستلهم الطبيعة لتعبر بها عن الأحاسيس الدفينة، والقصيدة الحرة بغموضها الشفيف الذي يثير العقل والوجدان معا، أما الموضوعات فقد تنوعت ما بين إسلامية وقومية وعاطفية، ونصوص في الفخر والوصف وغير ذلك، والمدهش أننا

## جامعة الملك فيصل واحدة من المنارات الإسلامية بوسط إفريقيا

وجدنا شاعرات تمتعن بمواهب رفيعة وإلقاء فني معبر، كذلك وجدنا بعض القصص رغم قلتها تتمتع بوعي فكري وفني ملاحظ. وقد سعدت كثيرا عندما عرفت أن الجامعة قررت نشر كتاب يضم الأعمال الفائزة في هذه المسابقة.

واختيار شاعر وقاص الجامعة هو واحد من المحافل الثقافية، وإلا فإن هناك العديد من الفاعليات المتنوعة التي تنهض بها الجامعة، والتي تتنوع في برامجها، وبعضها يعتمد على استضافة الشخصيات البارزة في تخصصها من شتى البلدان.

### الصحف التشادية العربية

إذا تحدثنا عن الصحف التشادية فلابد من الحديث عن ناحيتي شكل الصحيفة والمضامين التي تحتويها، أما الشكل فإن أكثر الصحف يعتمد على دعم الأفراد، ومن ثم فإن محدودية هذا الدعم تبدو واضحة في إخراج الجريدة وصغر حجمها وقلة صفحاتها، أما من ناحية المضمون فإن هناك فئة من الكتاب في هذه الصحف لا تقل في روعة أساليبها وعمق القضايا التي تتحدث فيها عن أساليب أكبر الكتاب وأكثرهم انتشارا في العالم العربي، ويبدو من خلال اطلاعي على بعض الصحف أن الشأن السياسي والاقتصادي يشكل الهاجس الأعظم الذي يشغل معظم مقالات تلك الجرائد، كما أنها تعرض للحلول التي لو أخذت بعين الاعتبار لحلت العديد من المشاكل

ولأزالت الكثير من العقبات التي تقف أمام رغبات المجتمع التشادي القوية في النهضة الشاملة، ورغم غلبة الشأن السياسي فإننا نجد في تلك الصحف المقالات الأدبية والدينية والقصائد والقصص، وظني أن تلك الصحف كان لها تأثيرها في تنمية وعي الكثيرين، وأنها أثرت بشكل خاص على الشباب الذين يحرص الكثير منهم على الاطلاع عليها، كما أن عددا لا بأس به من كتابها هم من الشباب المثقف.

### المؤتمرات والندوات العربية

هناك العديد من المؤتمرات والندوات التي تهتم مؤسسات مختلفة بإقامتها وعلى رأس هذه المؤسسات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وقد أسعدني الحظ لحضور العديد منها، وبعض ما حضرته كان يناقش قضايا المجتمع مثل التعليم، وبعضها كان اهتمامه منصبا على اللغة العربية في تشاد، وبعضها كان تثقيفيا إلى غير ذلك من أغراض المؤتمرات والندوات، ولاشك أن الحضور والتفاعل وطرح الأفكار والأسئلة مما يثري الوعي ويعمق من الرؤى، ويجعلنا أمام ساحة للأفكار تتعدد فيها الصياغات التي لا تبتعد عن الفصحى غالبا، والكثير من الشباب الذي رأيته في تلك الساحات هم من شباب الجامعات الذين لديهم نهم للمعرفة والذين يسعون إلى تحقيق كينونتهم الثقافية وتشكيل آفاقهم المعرفية.

والحقيقة؛ هذه فقط بعض المناهل التي اعتنت بنشر الثقافة الإسلامية والعربية، بل لقد كان لها دورها في نشر الثقافة بمفهومها العام، والحقيقة أن هناك مؤسسات أخرى لم يتح لي التعرف عليها عن قرب.

أ.د. محمد أمان قحيف
مفكر إسلامي
مصر

# تمكين المرأة في عصر الرسالة

**كثيرا ما تتعالى بعض الأصوات المنبهرة بالآخر الحضاري مرددة لعبارات ومقولات تلوكها بعض وسائل الإعلام، وتتداولها أقلام العلمانيين، وتنشرها مواقع التواصل الاجتماعي التي تنتمي إلى تيارات الفكر المادي.. من هذه العبارات أو المقولات «إن التمكين للمرأة لم يحدث إلا في الحضارة الغربية».. والحق أنه إذا كانت هذه العبارة قد راجت وانتشرت في الآونة الأخيرة فإننا نشير إلى أنها أقرب إلى الخطأ منها إلى الصواب؛ ذلك لأنها تخالف التاريخ وتتعارض مع الواقع الحضاري الذي سجله التطور العام للإنسانية.. فالتمكين للمرأة قد حدث على أتمه في شريعتنا منذ نزول الوحي على قلب رسول الله ﷺ، وتجسد ذلك واقعيا على مدار سنوات حضارتنا ومختلف مراحل تاريخنا، ولم يحدث شيء من التراجع في التمكين للمرأة في مجتمعاتنا إلا عندما تراجعت الأمة حضاريا على مختلف الصعد، السياسية والاقتصادية والاجتماعية.**

وإذا كان عصر الرسالة هو العصر المؤسس، وهو العصر الذهبي للأمة، دون منازع.. وإذا كان القرآن الكريم هو النص المؤسس متبوعا بسنة وسيرة النبي ﷺ فليس أفضل للبرهنة على صدق قولنا -بأن التمكين للمرأة قد حدث على أتمه في الإسلام- من العودة إلى الكتاب والسنة لنتبين إلى أي مدى تم التمكين لها خلال عصر النبوة والرسالة الذي هو عصر نزول الوحي على قلب النبي ﷺ.

وغني عن البيان أن قضية «التمكين» التي تتغنى بها بعض وسائل الإعلام المعاصرة، يتم اختزالها في كثير من الأحيان في تمكين المرأة من تقلد بعض الوظائف الحكومية المتقدمة اجتماعيا.. من هنا فإنه يراد بـ«تمكين المرأة» هناك عدم حرمانها من الارتقاء في الطبقات الاجتماعية إذا كانت تمتلك المواهب والقدرات التي تسمح لها بذلك.. من ثم فيجب ألا يحال بينها وبين تطلعاتها كونها امرأة أو أنثى، بينما يتاح ذلك للرجال ولا يعوقهم في سبيله عائق.. ويراد بتمكين المرأة أيضا منحها الحق في اختيار شريك حياتها وصياغة مستقبلها الأسري.

وإذا كان هذا هو المراد بتمكين المرأة في الغرب فإن الدارس للمنظومة الفكرية للشريعة الإسلامية يتبين له من دون بذل كثير جهد أو كبير عناء أن الإسلام الحنيف قد مكن للمرأة منذ ما يناهز ١٤٣٩ سنة، سابقا بذلك الحضارة الغربية ومتجاوزا بذلك التشريعات الوضعية التي يتغنى العقل الغربي بالوصول إليها وإدراكها خلال القرن الواحد والعشرين.

والحق أن هذا الاحتفاء الغربي بتمكين المرأة ودعم قضاياها ليس في محله ولا يقع في سياقه الصحيح والسليم؛ ذلك لأن الغرب مسبوق في هذه الناحية، ما في ذلك من شك، حيث تبنى الإسلام الحنيف قضايا المرأة وأكد ضرورة العناية بها في مختلف المجالات على النحو التالي:

أولا: أقر الإسلام الحنيف للمرأة بحق التساوي مع الرجل في العديد من المجالات، كالتساوي في التكاليف، والحساب والجزاء.. إضافة إلى التساوي في المشاعر والأحاسيس والضمير والعقل.. من هنا فقد صاغ الوحي العلاقة بين الزوجين صياغة لم تكن معلومة للبشرية قبل الإسلام

على الإطلاق «فعلاقة النساء بالرجال في الإسلام، هي علاقة المساواة لكنها مساواة «الشقين المتكاملين»، لا مساواة «الندين المتماثلين»؛ وذلك حتى تدوم سعادة الجنسين بالتكامل، ولا يحدث التنافر، وبهذا تتميز هذه المساواة عن نظيرتها في الفكر الغربي»[1].

فالمساواة بينهما في الإسلام تقوم على التكامل والتعاون ولا تقوم على الندية والتماثل الذي قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى التنافر والتضاد.. فالشبيهان يتنافران في كثير من الأحيان أما المتكاملان فيحتاج كل منهما إلى الآخر لتحقيق السعادة للجنسين، هذه السعادة التي تقوم على التوافق والانسجام والتكامل والتعاون.

ولقد عبر القرآن الكريم أروع تعبير عن المساواة بين الرجال والنساء بقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:٢٢٨).. ويرى المحققون من أهل العلم والدراية في قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ أن «هذه كلمة جليلة جدا، جمعت، على إيجازها، ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلا أمرا واحدا عبر عنه بقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.. وقد أحال في معرفة ما لهن وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم في أهليهم، وما يجري عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم.. فهذه الجملة تعطي للرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشؤون والأحوال، فإذا همّ بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما «إنني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي»[2].

والمعلوم أن التكامل بين الرجل والمرأة أمر فطري، غير أن الثقافات والحضارات السابقة على الإسلام لم تركز على هذا المعنى ولم يرتق تفكيرها إليه على الإطلاق؛ فاليونانيون والرومان وضعوا المرأة في مصاف العبيد وأدرجوها في طبقتهم، ولم يسمحوا لها بالارتقاء المجتمعي أو التطلع إلى العيش في مستوى أعلى من مستوى العبيد المأجورين.. بينما العصور الجاهلية قبل الإسلام لم تكن ترى في المرأة غير أنها الكائن الذي خلق ليتمتع به الرجل، ولم يمنحها الجاهليون أية حقوق إنسانية أو أخلاقية، فكانت تورث كالمتاع، وكانت تباع وتشترى، وكانت تعدم وتوأد وهي طفلة عند ولادتها، أحيانا، خوفا من العار والمسبة، وكانت محل خزي لمن أنجبها، ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى في قول الواحد الأحد: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (النحل:٥٨-٥٩).. يقول الطبري، رحمه الله، في تفسير هذه الآيات: «وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بأنه أنجب بنتا، ظل وجهه مسودا من كراهته لها ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: كثير الغيظ»[3].

ثانيا: أنزل الله تعالى سورة كاملة باسم «النساء»، وسورة كاملة باسم السيدة «مريم»، وأنزل سورة «الطلاق» التي يسميها بعض العلماء سورة «النساء الصغرى»، الأمر الذي يعكس ويؤكد اهتمام القرآن الكريم بقضايا المرأة ومتطلباتها، ويبرهن من جهة أخرى على سمو مكانتها كإنسان وارتفاع قدرها كمخلوق من مخلوقات الله الواحد الأحد.. ولا يخفى أن القرآن الكريم تحدث عن العديد من النساء بلغة المدح والثناء ومن هؤلاء «امرأة فرعون»، و«بلقيس» ملكة سبأ، والسيدة «سارة» زوج إبراهيم عليه السلام، و«أم موسى»، وأمهات المؤمنين زوجات نبينا محمد ﷺ.. وغيرهن من عظيمات التاريخ وفضليات النساء[4].

يضاف إلى هذا أن القرآن الكريم خاطب النبي ﷺ بشأن السيدة «خولة بنت ثعلبة» التي جادلته في أمر زوجها، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:١). وهذا ما يؤكد عناية الخالق عزوجل بقضايا المرأة، وبضرورة وضع وصياغة الحلول المناسبة والتشريعات المتوافقة مع مكانتها وخصوصيتها المجتمعية وفطرتها الإنسانية التي خلقها الله تعالى عليها.

من هذا المنطلق فقد رسم القرآن الكريم صورة إنسانية سامية للمرأة، الأمر الذي أثر بشكل إيجابي في نظرة المجتمع المسلم إليها منذ زمن الرسالة وحتى لحظتنا هذه.

ثالثا: لم يقف الوضع الاجتماعي

للمرأة أو أنوثتها حجر عثرة أمام ارتقائها المجتمعي أو تقربها من خالقها عزوجل، فلم يجعل الإسلام أمورا مثل الحسب والنسب أو الغنى مقياسا للقرب من العزيز الحكيم، تأكد هذا المعنى من خلال قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣). فالارتقاء الإيماني لا يرتبط بحسب ولا نسب، ولا بذكورة ولا أنوثة، ولا بثراء ولا ثروة بل يرتبط بالتقوى التي هي نتاج الإيمان الراسخ واليقين الصادق.

رابعا: أكدت سيرة حياة النبي ﷺ احترامه الشخصي واهتمامه الذاتي بشأن المرأة وحرصه على متابعة قضاياها، الأمر الذي تجلى واضحا على النحو التالي:

أ - كان ﷺ يدعو بشكل متواصل إلى ضرورة تربية البنات تربية حسنة طيبة، فقد قال ﷺ: «من ولدت له ابنة فلم يئدها ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله بها الجنة» (رواه أحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي).. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة» (رواه الترمذي). وهناك العديد من الأحاديث النبوية التي تدور في نفس الفلك وتعبر عن ذات المعنى، الأمر الذي يؤكد عناية الإسلام بحسن تربية الإناث ورعايتهن كالذكور سواء بسواء.

ب - أكد ﷺ على ضرورة أخذ رأي المرأة في زواجها، فقد ورد أنه ﷺ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن» (متفق عليه).. ومعلوم أن المرأة في الغرب لم تأخذ هذا الحق إلا في العصور المتأخرة، حيث كانت تجبر، إلى وقت قريب، على الزواج ممن ترضاه أسرتها أو ولي أمرها.

ج - أمر ﷺ بحسن معاشرة الزوجات والنساء عموما، فعن معاوية بن حيدة أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن حق المرأة على الزوج، فقال ﷺ: «تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت» (رواه أحمد).

وحض رسول الله ﷺ على التوسعة عليهن في أمر المعيشة ومتطلبات الحياة، فعن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله» (الجامع الصغير).. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دينار تنفقه في سبيل الله، ودينار في رقبة، ودينار في أهلك، أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلك» (رواه أحمد).. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقه» (صحيح البخاري).

د - كان نبينا ﷺ وهو القدوة والمثل للمسلمين جميعا في كل زمان ومكان يداعب نساءه ويتلطف بهن، فقد روي أنه كان يسابق السيدة عائشة بنت أبي بكر، وكان في خدمة أهله، وكان يهتم بالطواف عليهن كل ليلة لتفقد أحوالهن والاطمئنان على أوضاعهن.

هـ - علّم رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم، والمسلمين جميعا من بعدهم ضرورة الإخلاص للزوجة حتى بعد رحيلها؛ من خلال احتفائه واهتمامه ورعايته لصديقات السيدة خديجة رضي الله عنها عندما كن يأتينه بعد رحيلها.

و - لم يتوقف ﷺ عن توصية الأمة بالنساء في كل وقت وحين، لدرجة أنه حرص على الإشارة إلى حقهن في أن يتمتعن بالرعاية والحنان، وذلك في خطبة الوداع حيث قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم» (سنن الترمذي).

## الخلاصة

ما نود الانتهاء إليه في هذا السياق هو أن التمكين للمرأة فعل إسلامي بالدرجة الأولى؛ ويرجع ذلك أول ما يرجع إلى أن الدين الحنيف تعامل معها من خلال كونها إنسانة، بينما عاملتها الحضارات المادية الأخرى من خلال كونها أنثى.

---

### الهوامش

١- د. محمد عمارة، حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص١٧.

٢- لمزيد من التفاصيل راجع: محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق: د. محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٢م، وطبعة دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣م. ج ٤، ص ٦٣٠-٦٣٥.

٣- راجع تفسير الطبري لهاتين الآيتين من سورة النحل، (بتصرف).

٤- راجع لمزيد من التفاصيل: د. محمد سيد طنطاوي، نساء تحدث عنهن القرآن، سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، القاهرة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

سهير أبو بكر الشاذلي
كاتبة مصرية

# فضل السبق للعرب والمسلمين في ابتداع الكتابة البارزة للمكفوفين

تعود الأصول البعيدة للكتابة والقراءة الخاصة بالمكفوفين إلى العرب، ففي التراث العربي خبران يؤكدان فضل السبق للعرب والمسلمين في ابتداع الكتابة البارزة للمكفوفين.

الأول: ما ذكره الإمام أبو محمد بن حزم في معرض حديثه كيف كان الناس في الأندلس وكيف كان والد مؤدبه أحمد بن محمد بن عبد الوارث يعلم مولودا له أعمى، حيث يقول في كتابه «التقريب لحد المنطق»: «ولقد أخبرني مؤدبي أحمد بن محمد بن عبد الوارث -من أهل الأدب والفضل وكان معلم ابن حزم- رحمه الله؛ أن أباه صور لمولود كان له أعمى ولد أكمه حروف الهجاء أجراما من قير ثم ألمسه إياها حتى وقف على صورها بعقله وحسه، ثم ألمسه تراكيبها وقيام الأشياء منها حتى تشكل الخط، وكيف يستبان الكتاب، ويقرأ في نفسه، ورفع بذلك عنه غمة عظيمة».

الثاني: ما ذكره صلاح الدين الصفدي في كتاب «الوافي بالوفيات» في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد الآمدي العابر حيث يقول: وكان يتجر في الكتب، وله كتب كثيرة جدا، وإذا طلب منه كتاب نهض إلى كتبه وأخرجه من بينها وإن كان الكتاب عدة مجلدات، وطلب من الأول مثلا أو الثاني أو الثالث أو غيره أخرجه بعينيه وكان يمس الكتاب أولا ثم يقول يشتمل هذا المجلد على كذا وكذا أكراس فيكون الأمر كما قال: «وإذا مر بيده على الصفحة قال عدد أسطرها كذا كذا سطرا فيها بالقلم الغليظ هذا وهذا المواضع كتبت به في الوجهة وفيها بالأحمر هذا وهذا لمواضع كتبت فيها بالأحمر وإن أتفق أنها كتبت بخطين أو ثلاثة، قال: اختلف الخط من هنا إلى هنا من غير إخلال بشيء مما يهتجن به».

هكذا وفي القرنين السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين؛ ابتكر زين الدين الآمدي الفقيه الوراق المسلم هذه الطريقة قبل العالمين الغربيين بريل الفرنسي ومون الإنجليزي.

وتفصيلا من هو الآمدي؟ زين الدين الآمدي (٠٠٠-٧١٤هـ / ٠٠٠-١٣١٤م) علي بن أحمد بن يوسف ابن الخضر الآمدي المهندس والفقيه واللغوي عاش في أواخر القرن السابع الهجري وأوائل القرن الثامن الهجري/ أوائل القرن الثاني عشر

الميلادي وأواخر القرن الثالث عشر الميلادي.
ولد زين الدين الآمدي في بغداد ولكن الموسوعات وكتب تاريخ العلوم لم تذكر عام ميلاده، ولكن من المعروف أنه عاش ونشأ في بغداد ولم يغادرها، إذ إنه أصيب بفقد بصره وهو صغير، ومع ذلك فقد درس على أيدي شيوخ اللغة في بغداد، وكذلك درس بعض الحيل الميكانيكية. ومن المعروف أنه قد أتقن الفارسية والرومية والتركية إلى جانب العربية، وكان تاجرا في الكتب محترفا لبيع الكتب في بغداد ولا ينخدع بأسعارها، فكان يضع ورقة بعد فتلها حرفا أو أكثر من حروف الهجاء بعدد ثمن الكتاب بحساب الجمل ثم يلصقها على طرف جلد الكتاب، ويجعل فوقها ورقة يثبتها بمادة لاصقة فإذا أراد معرفة ثمن الكتاب مس الحروف الورقية بيده.
اخترع طريقة الكتابة البارزة لهذه العناوين وتلك الأسماء والأسعار بلصق حروف مصنوعة من ورق مقوى في صورة كلمات حسب ترتيب حروف كل كلمة على كعوب الكتب التي يبيعها أو أغلفتها، وكان يدرك بيانات هذه الكتب عن طريق اللمس ببنان الأصابع. ثم استخدم زين الدين الآمدي هذه الطريقة في تعليم الصبية العميان ببغداد القراءة للحروف والكلمات. وقد اعتمد في اختراعه هذا في طريقة الكتابة البارزة على سمة مميزة للعميان؛ وهي أن الحواس الأخرى تقوى وتحل محل البصر، فاعتمد على حاسة اللمس لإدراك الحروف وترتيبها لمعرفة الكلمات والنصوص المراد قراءتها.
وكما نلاحظ فإن تلك الطريقة التي استخدمها زين الدين الآمدي لكي يسهل على نفسه معرفة أثمان الكتب توضح انشغاله كعالم لغة ومهندس بفكرة القراءة للعميان، فكان الآمدي كما ذكرت كتب تاريخ العلوم هو المبتكر الأول للحروف النافرة أو البارزة التي يقرأ بها العميان، وهي المعروفة الآن بطريقة برايل في الكتابة، وكان ذلك قبل اختراع المهندس الفرنسي لويس برايل لها بنحو ستمئة عام، وللآمدي تصانيف كثيرة في اللغة والفقه وخلافه كما عمل أستاذا في المدرسة المستنصرية ببغداد.
وبعد خمسة قرون قام العالم الفرنسي لويس برايل (١٢٢٤-١٢٦٩هـ/١٨٠٩-١٨٥٢م) بمحاولة أخرى لمساعدة المكفوفين على القراءة والكتابة عن طريق النقط البارزة، وكان يعمل مدرسا بمدرسة للعميان، وكان بدوره مثل زين الدين الآمدي كفيف البصر، فقد بصره منذ أن كان في الثالثة من عمره، وكان برايل قد لاحظ من تجربته في تعليم المكفوفين عن طريق المشافهة أن تلك الطريقة تجعل الكفيف يتعلم تعليما فيه اعتماد على الغير دون القدرة على القراءة أو التحصيل بنفسه، مما يعوق في أحيان كثيرة من إبراز بعض العبقريات الفردية فابتدع برايل طريقة الكتابة البارزة لكتابة الحروف والإشارات الموسيقية بهدف تعليم الكفيف القراءة بنفسه دون مساعدة. تلك الطريقة التي سميت باسمه عام ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م. وجاءت طريقته هذه أفضل من طريقة مون الإنجليزية في الكتابة البارزة السابقة عليه. وقد نشر برايل رسالة يشرح فيها طريقته هذه عام ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، فووجه بمعارضة شديدة، حتى في المدرسة التي كان يعلم بها المكفوفين عن طريق المشافهة، لم يواجه زين الدين الآمدي بمثلها في مدينة بغداد. ومنذ عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م أدخلت على طريقة برايل تعديلات وإصلاحات كثيرة، فانتشرت طريقته بعد ذلك في كل مدارس المكفوفين في العالم، ونسيت نسبة الفضل الأول إلى زين الدين الآمدي العالم المسلم في ابتكار طريقة الكتابة البارزة.
وكان أول شيء نشر عن طريقة برايل عام ١٨٣٧م، أما عن طريقته بأكملها فلم تنشر إلا في سنة ١٨٣٩م، ومع نجاح هذه الطريقة، إلا أنها قوبلت بعدة صعوبات من القائمين بالأمر في المدارس، فالمدرس أو التلميذ الذي أراد تعلمها كان عليه أن يفعل ذلك خارج ساعات الدراسة الرسمية، وحتى المدرسة التي بدأت فيها طريقة برايل، لم تستخدم رسميا إلا بعد مرور ما يقرب من أربع عشرة سنة وذلك بعد وفاة برايل بسنين. ولم تقبل طريقة برايل في بريطانيا إلا في عام ١٨٦٩م، وأما في أمريكا فبدأ استخدامها سنة ١٨٦٠م. وقد عدلت هذه الطريقة بعد عام ١٩١٩م، وعرفت بطريقة برايل المعدلة. أما كتابة برايل في اللغة العربية فقد دخلت على يد محمد الأنسي في منتصف القرن التاسع عشر. حيث حاول التوفيق بين أشكال الحروف المستخدمة في الكتابة العادية وشكلها في الكتابة النافرة، وبهذه الطريقة نقل الأنسي عددا من الكتب إلا أن هذه الطريقة لم تنتشر على نطاق واسع وبعد بذل محاولات عديدة اعتمد المهتمون بطريقة برايل لتطوير ما يتناسب واللغة العربية. وقد قامت منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة للأمم المتحدة (يونسكو) في عام ١٩٥١م، بتوحيد الكتابة النافرة بقدر ما تسمح به أوجه الشبه بين الأصوات المشتركة في اللغات المختلفة. وقد نتج عن هذه الحركة النظام الحالي للرموز العربية.

شعر/ عبدالله الشوربجي

# عادت سعاد

عادت سعاد
فقلبي اليوم
مشغول
عن الهوى..
بهوى ما فيه تبديل

فلم تجد بي مكانا
صار يسكنني
نور ببكة..
محمود
وموصول

الحب والده..
والطهر والدة
والنور سيرته..
والخلق إكليل

ما مثله نسم..
للخلق مبتسم
بالخير متسم..
للخير مجعول
حاولت قدر الهوى
نسجا لبردته

والشعر حب..
وحب القلب تنزيل

هل يكتب الشعر
فيمن وحده لغة؟!
من يطرق الباب
- باب الحب-
مقبول

وضأت شعري..
وجئت اليوم أقرأه
والشعر
في حب خير الخلق
ترتيل

حسبي أحاول
أن أدنو لشرفته
(فكل ما قدر الرحمن
مفعول)

محمد..
واسمه بالله مقترن
مادام في الأرض تكبير

وتهليل
يهدي إلى الرشد..
في أخلاقه سور
من الكتاب..
وبالقرآن مغسول

قلبي صلاة
على المختار
يحملها
في ليلة القدر
للرحمن
جبريل

محمد المصطفى /
عدل /
ومرحمة
بالعفو
واللين
والإحسان
مشمول

المنذر /
المجتبى /

محبوب خالقه
حق..
وإن كثرت فيه الأقاويل

الصادق القول /
والمأمون جانبه
هدي
على كتف الأزمان محمول

هو السراج المنير /
النبل /
سيدنا
دال إلى الله /
باسم الله مدلول

محمد العروة الوثقى..
شفاعته
لكل من آمنوا بالله
تجميل

ونودي اقرأ..
أتاه الروح..
كوثرها
تبارك الله -
فياض ومعسول

إسراؤه رحمة..
معراجه سور
في رحلة الحب حنان
ومتبول
أزواجه الدر
منظوم بمسبحة
أصحابه النجم..
مافي الضوء مجهول

إذ قال أحمد
إن الله ثالثنا

ماذا نخاف
وسيف الله مسلول

الـ «بدر» في غزوة
فاضت سنابله
والنصر بالله
عند الله مكفول

يبكي على أسد
ما عاد من «أحد»
إنا شهيد..
وهم بالشرك مقتول

يمحو الذي
سطر «الأحزاب»
خندقه
إنا فتحنا..
وعصف الشرك مأكول

الحكم بالله
والشورى سياسته
والناس كالمشط..
لا فضل
وتفضيل

أنفقت عمري
وبي شوق لرؤيته
متى أعود؟
وما في العود تعليل

كنت الذي في حياتي
غير ذي صفة
عن الهداية منفي
ومعزول

إني شغلت بدنيا
لا أمان لها

والقلب عن كل ما يحييه
مقفول

لي في المهالك
ميراث
يحاصرني
أزين الليل..
حتى قيل ضليل

من كل فج عميق
جاءني زمر
في صرة العمر عصيان..
وتضليل

أبكي أمامك..
عندي ألف مشكلة
دمعي
على باب حب الله
مبذول

لكنني ذات خوف
رحت أسألني
إلام؟..
هل ينفع الأموات تأجيل

غمرت بالنور
حين الفجر
صافحني
وعدت
والنور في جنبي
مغزول

صلوا عليه..
فإن الحب يحشرنا
في صحبه..
إن وعد الله مسؤول

د.عزيز كريوب
باحث دراسات إسلامية
جامعة القاضي عياض، مراكش
المغرب

# عرض كتاب: «الإسلام والإعلاموفوبيا»

كتاب «الإسلام والإعلاموفوبيا: الإعلام الغربي والإسلام تشويه وتخويف» للباحث المحجوب بن سعيد، صدر عن دار شباب لعصر المعرفة، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، عدد صفحاته ١٧٩ صفحة. وقد جاء الكتاب في فصلين اثنين، سنحاول في هذا العرض التوقف عند أهم الأفكار الرئيسية التي تضمنها الكتاب.

في مقدمة الكتاب ذكر الباحث أن صورة الإسلام تتعرض لكثير من التشويه والتحريف والتضليل في أغلب وسائل الإعلام الغربية، التي تروج صورا نمطية عن الإسلام والمسلمين تثير الشك والريبة والخوف، وتخلق كل أسباب النفور من كل ما له صلة بالدين الإسلامي. ومن أخطر هذه التحديات «انتشار ظاهرة التشويه الإعلامي لصورة الإسلام والمسلمين في العديد من وسائل الإعلام الغربية، مما أدى إلى تحريف الحقائق وتضليل الرأي العام الغربي وتأليبه ضد المسلمين في كل مكان، بمن فيهم المسلمون الذين يعيشون في المجتمعات الغربية».

## الفصل الأول: الغرب والعالم الإسلامي

توقف الباحث في هذا الفصل عند الدراسات الاستشراقية واهتمامها بالإسلام والمسلمين وثقافتهم وحضارتهم، مشيرا إلى أن موقف المستشرقين من الإسلام يمكن تقسيمه إلى قسمين: الأول يضم طائفة من المستشرقين الذين اتجهوا إلى المنهج الاستشراقي بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وقد أسلم بعض هؤلاء، كالنمساوي ليوبولدفايس الذي اعتنق الإسلام وغيّر اسمه إلى محمد أسد. أما القسم الثاني فهو قسم يشكل أكبر خطورة، حيث يشمل «طائفة من المستشرقين المتعصبين الشديدي العداء للإسلام، ويبذل هؤلاء قصارى جهدهم للطعن في الدين الإسلامي وتشويه صورته».

ومن النقط المهمة التي تطرق إليها الباحث، موضوع الإسلام والمسلمين في المناهج والكتب المدرسية في الغرب، حيث يذكر أن مؤلفي الكتب المدرسية الغربية، في تناولهم لموضوع الإسلام وحضارته، كانوا متأثرين بما درسوه بدورهم في طفولتهم عن الإسلام والمسلمين في كتب التاريخ الغربية التي أعدها جيل سابق من خبراء التربية والتعليم في الغرب. تلك المقررات والكتب المدرسية تقدم شخصية رسولنا ﷺ في صور متعددة، فأحيانا «رسول شاعر ملهم يرى رؤيا خارقة»،




وأحيانا «شخصية مستبدة برأيها». يعلق الباحث على ذلك بقوله: «ومما لاشك فيه أن الطالب الأوروبي غير الملم سيختزن في ذاكرته صورة سلبية عن شخصية عظيمة هي الرسول محمد ﷺ».

من المواضع التي اهتمت بها الكتب والمقررات المدرسية، تلك الصور النمطية عن المسلمين، حيث يتم تصوير المسلمين كغزاة معتدين أشرار ورمز للعنف. صورة المرأة نفسها حاضرة، إذ يتم التركيز على الحجاب والنقاب، ووصفها بالمرأة المهضومة الحقوق والخاضعة للزوج، مهمتها الإنجاب لا غير.

موضوع الجهاد حاضر، يذكر الباحث أن معظم كتب التاريخ في الغرب الأوروبي والأميركي قد أولته اهتماما ملحوظا، حيث تقدمه على أنه من الأسس الثابتة التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية، وتعده مصطلحا يعني الحرب المقدسة التي يتم بموجبها الاعتداء المسلح للمسلمين على غير المسلمين لإدخالهم إلى دينهم.

فما الحل إذن؟ يرى الباحث أن تصحيح صور الإسلام والمسلمين في الكتب والمقررات المدرسية يتطلب شجاعة أدبية وإرادة صادقة، تجعله يتخلص من أثر الموروث التاريخي المترسب في وعي أفراده ومواطنيه منذ قرون خلت، ويتمكن من النظر إلى الإسلام والمسلمين نظرة موضوعية وعقلانية تتغلب على الأنماط والقوالب المتجمدة عن الإسلام والمسلمين.

أما في ما يخص الفصل الثاني، فقد تمحور حول «رؤية الإعلام الفرنسي للشخصية المسلمة من خلال مجلتي لاكسبريس ولونوفيل أوبسر فاتور».

وبخصوص أبرز سمات الشخصية المسلمة المضمنة في الخطاب الإعلامي بالمجلتين، أظهرت نتائج تحليل المواد الإعلامية، وفق الباحث، أن مضامين هذه المواد عكست رؤية نمطية سلبية عن الشخصية المسلمة في جوانبها المختلفة وذلك على النحو التالي:

- الإسلام دين متخلف ومنغلق ورافض للتحديث والإصلاح ومواكبة العصر.
- الإسلام غير متسامح، عنيف متطرف.
- المسلمون في فرنسا ثلاثة أصناف:

١- مجرمون عاطلون عن العمل.
٢-كادحون يعشقون النساء والتوالد وجمع المال.
٣- متعلمون رافضون لقيم العلمانية وراغبون في تحويل فرنسا إلى بلد إسلامي.

- المرأة المسلمة مهضومة الحقوق، ومحتقرة في النصوص الدينية، وأقل شأنا من الرجل في العادات والمعاملات الاجتماعية والمالية.
- الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي جماعات أصولية، إرهابية، تمثل الوجه المتطرف للإسلام السياسي.

وقد انتقد الباحث هذا التوجه الأحادي من قِبل المجلتين، حيث لم تنشرا مواقف وآراء مفكرين ومثقفين وإعلاميين من العالم الإسلامي بخصوص القضايا المطروحة ذات الصلة بالإسلام والمسلمين داخل فرنسا وخارجها، مما قلل درجة الموضوعية في المعالجة الإعلامية للمجلتين بفعل تغييب الرأي الآخر.

في ختام هذا العرض، لابد من التنبيه إلى أن هجمة الغرب على الإسلام والمسلمين باتت متزايدة، إذ أصبحت أغلب الأحداث التي تقع منسوبة إلى الإسلام والمسلمين. وللأسف الشديد، إن الإعلام الغربي وجد من يناصره فيما يروج من بني جلدتنا، مما يفرض على العلماء اليوم ومراكز البحث والجامعات اليقظة والتسلح بالعلم الكافي للرد على تلك الاتهامات الخطيرة التي تريد النيل من الإسلام ومعتنقيه.

محمد فؤاد علي
كاتب مصري

# فرق العمل العلمية في الحضارة الإسلامية

بين يدي كتاب فريد في بابه، سطر مادته الدكتور خالد أحمد حربي أستاذ ورئيس قسم المخطوطات وعلوم الحضارة الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وصدر في طبعته التي بين أيدينا عن «المجلة العربية» السعودية، والهدف من تسطير الكتاب رغبة المؤلف تعريف القارئ الكريم بالفرق العلمية التي عرفتها الحضارة الإسلامية ابتداء من العصر الأموي وبيان تأثيرها في تأسيس قواعد العلوم العربية والإسلامية.

تناول المؤلف في الفصل الأول فرق عمل الترجمة إلى اللغة العربية عن اللغات اليونانية والهندية والسريانية، ومن أبرزها فريق بني حنين بن إسحاق الذي عمل على إرساء قواعد علمية ثابتة ومكينة في الترجمة يمكن بفضلها أن ينتقل العمل العلمي الجاد إلى الآخرين، وبسبب هذه القاعدة التف حوله الأتباع الذين عملوا معه وأنس بهم، وأكملوا مسيرته من بعده، وقد تميزت ترجمات حنين بن إسحاق بعدة مزايا، من أبرزها «حلاوة وفصاحة الأسلوب، رصانة العبارة، تجانس التركيب، مقاومته الاختصار في الترجمة، حرصه على الاطلاع على ترجماته السابقة للكتب اليونانية والعمل على تهذيبها وتصويب أخطائها وتنقيحها، كما حرص على أن تكون الترجمة العربية واضحة ومفهومة على قدر الإمكان». وقد امتدت جماعة حنين بن إسحاق لتشمل عددا من المترجمين الذين أجادوا فن الترجمة وشكلوا قوام المدرسة ومنهم حبيش ابن الأعسم ابن أخت حنين بن إسحاق وتلميذه، بل أقرب التلامذة إلى الأستاذ وأكثرهم ولاء وملازمة له، ومن أبرز ترجماته: «كتاب الحيوان الحي، كتاب الحيوان الميت، كتاب تشريح الرحم، كتاب في علم أبقراط بالتشريح، كتاب في علم أرسطوطاليس في التشريح، كتاب منافع الأعضاء، كتاب تركيب الأدوية، كتاب الحث على تعلم الطب، كتاب تعرف علل الأعراض الباطنة، كتاب النبض الكبير، كتاب تدبير الأصحاء، كتاب حيلة البرء» وغير ذلك، وجملة القول في حبيش إنه يمثل إحدى الدعائم الرئيسة التي ارتكزت عليها مدرسة حنين بن إسحاق في الترجمة، وفي عبارة موجزة وخطيرة عبر بعض المؤرخين عن ذلك بالقول: «من جملة سعادة حنين صحبة حبيش له»، أما إسحاق بن حنين فقد ترجم وألف العديد من الكتب في مجالات الطب والفلسفة والسيرة الشخصية، ومن أشهر هذه الكتب؛ كتاب إصلاح الأدوية المسهلة، اختصار كتاب إقليدس، كتاب المقولات، كتاب في النبض على جهة التقسيم، كتاب آداب الفلاسفة ونوادرهم، مقالة في التوحيد.

**العلوم تزدهر في ظل قيم الحرية والتعاون وقبول الآخر**

إذا كان جل عمل فريق حنين بن إسحاق قد انصب على ترجمة ونقل المؤلفات الطبية فضلا عن بعض الترجمات الفلسفية وغيرها، فإن فريق ثابت بن قرة وإن قام بنقل بعض المؤلفات الطبية والفلسفية والمنطقية، إلا أن عمله الأساسي انصب على ترجمة المؤلفات الرياضية «الحساب والهندسة»، وبذلك يمكن اعتبار هذا الفريق «فريق ترجمة الرياضة في مقابل فريق ترجمة حنين الطبية».

وإلى جانب الفريقين السابقين قام فريق «بني بختيشوع» الذي يعد من أهم الفرق العلمية التي قامت في بغداد ولعبت دورا مهما في حركة

الترجمة الطبية، وأعضاؤه «جورجيس ابن بختيشوع، بختيشوع بن جورجيس، جبرائيل بن بختيشوع» كانوا أطباء مهرة، واختص أعضاء هذا الفريق دون غيرهم بتدريس الطب.

### فرق العلوم البحتة

يتناول المؤلف في الفصل الثاني العلوم البحتة التي عرفتها الحضارة العربية والإسلامية، ومن أبرزها علوم الفلك والهندسة والحيل «الميكانيكا» والمساحة والفيزياء، وقد شهدت هذه المجالات العلمية قيام العديد من الفرق، ومن أبرز هذه الفرق فريق بني موسى بن شاكر الذي تشكل من محمد وأحمد والحسن أبناء موسى ابن شاكر، وقد كفلهم الخليفة المأمون بعد وفاة أبيهم، وحرص على تنشئتهم نشأة علمية صحيحة، وقد برز أعضاء الفريق في العديد من المجالات، وأظهروا تفوقا ونبوغا ملموسا في مجالات الفيزياء والطب والحيل، كما عكفوا على ترجمة العديد من المؤلفات الطبية والفلسفية.

وقد ترك لنا أبناء موسى بن شاكر العديد من المؤلفات والآثار العلمية التي لعبت أدوارا مهمة في تاريخنا العلمي، من بينها كتاب معرفة مساحة الأشكال البسيطة والكرية، وقد شكل هذا الكتاب تطويرا مهما لكتابي أرشميدس عن حساب مساحة الدائرة، وعن الكرة والأسطوانة، والذي استغل فيه الإخوة الثلاثة منهج الاستنزاف لدى يودوكس ومفهوم الكميات المتناهية الصغر لدى أرشميدس والذي كان بالغ التأثير في الشرق الإسلامي وفي الغرب اللاتيني معا، كما ترجم الإخوة الثلاثة كتاب الدرجات المعروفة في الفلك، ويعتبر كتاب الدرجات المعروفة موسوعة فلكية حاول فريق بني موسى من خلالها إحياء علم الفلك الهندي واليوناني بعد تنقيحه وتصحيحه من الأخطاء، وفيه يؤكد بنو موسى على حقيقة مهمة مؤداها نقل الإغريق العلوم التجريبية من الهند؛ لأن العقلية اليونانية كانت عقلية نظرية فلسفية أكثر منها تجريبية، كما للفريق كتاب مهم جدا في علم الميكانيكا، ويحمل الكتاب اسم «كتاب الحيل»، وترجع أهمية هذا الكتاب أيضا إلى أن التقاليد العربية المدونة في علم الحيل تبدأ به، كما استفاد المعاصرون لبني موسى من هذا الكتاب في وضع العديد من الكتب والمؤلفات المائية ووسائلها وألعابها وأدواتها، كما استفاد الغرب اللاتيني من هذا الكتاب أيضا، وقد أجمع مؤرخو العلم على أن هذه الأعمال تدل على عبقرية وذهن متوقد مبدع اتسم به أعضاء فريق بني موسى بن شاكر.

**لم يستطع الأوروبيون إغفال الدور الريادي للزهراوي في علم الجراحة**

### الفريق الطبي المغربي

قامت في بلاد المغرب والأندلس خلال الفترة من القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس الهجري، العديد من الفرق العلمية؛ أبرزها فريق بني زهر الذي ضم أبومروان بن زهر، وأبوالعلاء بن زهر، وأبومروان بن أبي العلاء بن زهر، والحفيد أبوبكر ابن زهر، وأبومحمد بن الحفيد أبي بكر بن زهر، وقد تميز هذا الفريق العلمي بالاطلاع والوقوف على التراث الطبي واستيعابه عند المشرقيين، خاصة الرازي أول من وصف مرض

الحصبة والجدري، وأول من ابتكر خيوط الجراحة المسماة بالقصاب، كما تنسب إليه أيضا عملية خياطة الجروح البطنية بأوتار العود، كما يعتبر الرازي أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته، وهو أيضا أول من استخرج الماء من العين، كما أنه أول من استخدم الأنابيب التي يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة، كما استطاع أن يميز بين النزيف الشرياني والنزيف الوريدي، واستعمل الضغط بالإصبع وبالرباط في حالة النزيف الشرياني، كما كان أول من استخدم طريقة التبخير في العلاج، كما أسهم في مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن، منها «المراقبة المستمرة للمريض والاختبار العلاجي»، وهو أن يعطي العليل علاجا مراقبا أثره وموجها للتشخيص وفقا لهذا الأثر، ومنها أهمية ودقة استجواب المريض.

كما قام الفريق المغربي بالاطلاع على تراث على بن العباس المجوسي، صاحب كتاب «كامل الصناعة» والذي اشتهر في اللاتينية بالكتاب الملكي، ويضم هذا الكتاب بين دفتيه حوالي عشرين مقالة تدور حول الجراحة والتشريح والعلاجات والأمور الطبيعية والبيئية وأثر الأدوية وتأثيراتها نباتية كانت أم معدنية، بالإضافة إلى أثر السموم في القوى الطبيعية المدبرة للبدن.

كما وقف الفريق الطبي المغربي على التراث الطبي لأبي القاسم خلف بن العباس الذي يعد أكبر جراحي العرب ومن كبار الجراحين العالميين ومن أساطين الطب في الأندلس، وصاحب العديد من الكتب الطبية القيمة أفضلها كتابه الموسوم بالزهراوي، وكتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» وهو أكبر تصانيفه وأشهرها، والكتاب ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ قسم طبي، وثان صيدلاني، وثالث جراحي وهو أهمها؛ لأن الزهراوي أقام به الجراحة علما مستقلا بعد أن كانت تسمى عند العرب صناعة اليد، كما يعتبر الزهراوي أول من نجح في عملية شق القصبة الهوائية، كما نجح في إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة، ويعتبر هذا فتحا علميا كبيرا ادعى تحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي أمبروازباري عام ١٥٥٢م، على حين أن الزهراوي قد حققه وعلمه تلاميذه قبل ذلك بستمائة سنة، وإذا كانت الأبحاث قد أثبتت أن مادة الصفراء تساعد على إيقاف تكاثر البكتيريا، فإن الزهراوي قد توصل إلى ذلك في زمانه، فكان يعقم ويطهر الآلات المستعملة في العمليات الجراحية بنقعها في الصفراء، ويأتي اهتمام الزهراوي بتعقيم الآلات وتطهيرها من كثرة استعمالها في التشريح، كما يكشف لنا كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف عن مقدرته في تشريح الجثث بنفسه ووصفها وصفا دقيقا لإجراء العمليات الجراحية المختلفة، كما أوصى صاحبنا في كتابه السابق ذكره في جميع العمليات الجراحية التي تجرى في النصف السفلي من الإنسان بأن يرفع الحوض والأرجل قبل كل شيء، وهذه طريقة اقتبستها أوروبا مباشرة واستعملتها كثيرا حتى عصرنا الحاضر، ولكنها نحلت زورا وبهتانا للجراح الألماني ترند لنبورج وعرفت باسمه دونما ذكر للجراح العربي العظيم، كما عنى الزهراوي بالتهاب المفاصل والسل الذي يصيب فقرات الظهر والذي سمي فيما بعد باسم الطبيب الإنجليزي برسفال بوت «الداء البوتي»، ومع ذلك لم يستطع الأوروبيون إغفال الدور الريادي للزهراوي في علم الجراحة، فضلا عن نبوغه في أمراض العيون والأنف والأذن والحنجرة وأمراض المسالك البولية والتناسلية فأطلقوا عليه لقب «أبو الجراحة».

د. مصطفى عطية جمعة
محاضر في كلية التربية الأساسية
الكويت

# اللغة العربية وإشكالات الهوية
## رؤية استشرافية لتعليم المستقبل

تتشكل هوية الأمة من عناصر عدة أبرزها: المجال الجغرافي الواحد الذي يعني وطنا تاريخيا مشتركا، مما ينتج عنه وجود ذاكرة تاريخية مشتركة للأمة، وثقافة شعبية تجمع فئات المجتمع، وبها منظومة حقوق وواجبات تنظم العلاقة بين الأفراد بعضهم البعض وبين الدولة والشعب، وهناك اقتصاد يشكل القوام المادي للأمة[١].

وبالنظر إلى الهوية العربية، فإن الإسلام هو أساسها، واللغة العربية لسانها، والجغرافيا الواحدة المتمثلة في تمركزها وسط العالم القديم (آسيا، أفريقيا، جنوب أوروبا)، جمعها تاريخ مشترك، وخلافة إسلامية واحدة وإن تعددت دولها وممالكها، كما تكونت قاعدة ثقافية وقيمية، وامتزجت القبائل العربية المرتحلة في الأمصار المفتوحة مع الشعوب الأصلية، وكان الإسلام رابطا موحدا بينها.

لقد وحدت الرسالة القرآنية سكان شبه الجزيرة العربية في لهجات تخاطبهم، ابتداء من القرن السابع الميلادي / الأول الهجري، فارتقت اللهجة المكية القرشية التي نزل بها القرآن الكريم، وصار لها النفوذ الأول على أهل الجزيرة العربية الذين تفرقوا قبل الإسلام إلى مجموعات لغوية ثلاث: الأولى وتحوي الحميرية، السبئية، اليمنية في جنوب الجزيرة العربية مع اللهجة العمانية في ساحل عمان، والثانية النبطية لدى سكان شمال الجزيرة العربية، والثالثة لهجة سكان الحجاز القريبة من مكة المكرمة[٢]. وقد ظلت كثير من اللهجات العربية متوارثة لدى القبائل العربية المهاجرة، ومنها تشكلت اللهجات العربية المعاصرة، والتي لا يمكن لصناع السياسة اللغوية تجاهلها، وهم بصدد تقويم اعوجاج اللسان العربي، ومكافحة الإسراف في العاميات، خاصة أن كثيرا من هذه العاميات ذات أصول فصيحة.

إن علاقة اللغة بالهوية تتصل في مجملها بأدبيات الدراسات اللغوية الاجتماعية، وينظر إلى دور فلاسفة اللغة وعلمائها في رسم سياسات اللغة في بلد ما. لذا، فإن هناك مصطلحات عديدة تلتقي معها، منها: التخطيط اللغوي Planifiquation Lingustique وهو الأكثر استخداما اليوم، والهندسة اللغوية الدال على أنشطة المخططين اللغويين، ومصطلحات عديدة مثل: التطور اللغوي، التنمية اللغوية، التنظيم اللغوي، التهيئة اللغوية، وتهدف في مجملها إلى النظر في السياسات اللغوية التي يتخذها صناع القرار في بلد ما، بهدف نشر اللغة، ودعمها، في مناهج التعليم وفي سائر شؤون الحياة، وفي رسم السياسات الثقافية بأبعادها الاجتماعية، على قناعة أن الممارسة اللغوية في المجتمع تكشف عن الكثير من طبيعة اللغة، وطبيعة المجتمع ذاته[٣].

تكاد تكون علاقة إستراتيجية اللغة بالهوية وجهين لعملة واحدة، فلا يمكن فصل التخطيط اللغوي عن هوية الأمة / الوطن، وإلا سببت كارثة ثقافية وتعليمية وفكرية، ولنتخيل وطنا يتعلم أبناؤه بسياسة لغوية تخالف اللغة الوطنية والثقافة المحلية، وترسخ لغة أخرى، ستكون المحصلة جيلا مائعا في لغته وثقافته وقيمه.

والنقطة التي ينبغي التأكيد عليها، أن تناولنا للتخطيط اللغوي وسياساته في تعليم العربية يتخطى مفهوم العرقية والقومية إلى ما هو أرحب وهو الرؤية الحضارية الثقافية، فما يسمى بالعنصر العرقي إنما هو مفهوم ضبابي، لأنه يرتكز على أسطورة الأصل المشترك، الذي يصل العرق بالأصل بالدم، فيتحول الأمر إلى

تعصب عنصري فيما يتم ترجمته إلى الأيديولوجيا العرقية، التي تحمل في طياتها تمايزا ناتجا عن الشعور بالاختلاف الثقافي بدلا من الخواص الفيزيقية المتوارثة[٤]. والأمر نفسه مع القومية، التي هي مصطلح سياسي في الأساس يكون عاطفة وحركة في مجتمع محلي أو إقليمي له حدود وسيادة، ويعرف سكانه أنفسهم كأعضاء لأمة تجمعهم، وتكون سبيلا لوحدة سياسية ويسعون إلى تقديم أبنية ثقافية تجمعهم، كي تكون قوميتهم قابلة للتحقق والعيش[٥].

ولاشك أن كلا الشعورين – القومي والعرقي – يثيران من النعرات والانتماءات العنصرية المتمايزة، أكثر من الاعتزاز بالهوية الحضارية بعمقها الإسلامي المعرفي.

ويكفينا أن نستعرض تاريخ الشعوب الإسلامية، لنجد أن العربية انتشرت بفعل أمرين: أولهما انتشار الإسلام ذاته كعقيدة ودين بين سكان الأقطار المفتوحة، والثاني: انتشار القبائل العربية واستقرارها في البلدان الإسلامية، وسعيها إلى نشر اللغة العربية. لذا، فإننا نجد دوما في الأقطار العربية فئتين من السكان: القبائل العربية المهاجرة، والسكان الأصليين، ففي المغرب العربي هناك عرب وهناك أمازيغ / بربر، ونفس الأمر في مصر وفي السودان، وإن انتشرت العروبة بقوة لدى أهل مصر حتى بين الأقباط النصارى الذين ظلوا على دينهم، أما في المغرب العربي فإن اللغة الأمازيغية تم توارثها بين القبائل حتى يومنا، وتعايشت مع العربية.

وهو ما يفسر رؤية علماء الإسلام السلبية ضد النزعة القومية / الشعوبية على امتداد التاريخ الإسلامي، على نحو ما نجد عند الفرس، والبربر، والترك وغيرهم[٦]، فهي نزعة مفككة مشتتة، تحيي ركاما من الجاهليات التي محتها العقيدة الإسلامية، وتربط العربية بكتاب مقدس يثاب حافظه.

على صعيد آخر، فإن العربية هي لغة علوم الحضارة الإسلامية، في الأقطار الإسلامية العربية وغير العربية، التي لم تنتشر بين شعوبها، والتي ارتضت أن تؤلف وتبدع بالفصحى بوصفها لغة رسمية للحضارة، وإن ظلت على لغاتها الأصلية (مثل الفارسية أو الهندية أو الصينية) لأنها لغات حضارية منذ القدم، كما لم تجد هذه البلدان حظا من هجرة القبائل العربية إليها بشكل كاف وامتزاجها بالسكان.

وقد كان علماء الحضارة الإسلامية عاشقين للغة العربية، يتعلمون ويؤلفون بها، ويعملون على إثرائها بالترجمة، وكان أبو الريحان البيروني – وهو فارسي متقن للغات عديدة – يقول: «إن الهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية». لذا، ظلت العربية وعاء إنسانيا وحضاريا وثقافيا للأمة المسلمة، وهي عنصر أساسي للهوية الإسلامية مع: الشريعة والرصيد الحضاري[٧].

حتى إن العالم والفيلسوف الإنجليزي روجر بيكون (في القرن الثالث عشر الميلادي) كان يعجب ممن يريد البحث في العلم والفلسفة وهو لا يعرف اللغة العربية، معترفا أن كتابات أرسطو لم تفهم ولم تلق رواجا في الغرب إلى أن أوضحتها كتابات الكندي وابن سينا وابن رشد وغيرهم. فالعربية كانت لغة العلم من سمرقند إلى غرناطة، من القرن الثامن الميلادي حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، أيا كانت لغاتهم الأصلية، وباتت مؤلفات العربية هي مستودعات العلم الكلاسيكي والمبتكرات العلمية في زمانها. وقد نجح علماء العربية القدامى (مثل الرازي والخوارزمي وابن سينا) في صياغة مصطلحات العلوم والفنون بالعربية وإن اختلفت ينابيعها من هندي أو سريانية أو يونانية أو فارسية، فالعربية قادرة على التوسع والاغتناء علميا[٨].

إذن، علينا التشديد على أن «الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية»[٩].

وهذا التعريف يضع سياساتنا اللغوية في إطارها الحضاري الثقافي، الذي تنتمي إليه العربية، فلا يمكن فصل اللغة العربية عن عمقها الحضاري، فشتان بين لغة تحمل رصيدا حضاريا كبيرا وثقافيا وامتدادا جغرافيا وبشريا كبيرا، وبين لغة محدودة الانتشار والثقافة وبلا حضارة. يقال هذا، تماشيا مع الدعوة التي أطلقها «صموئيل هنتنجتون» والتي رأى أن الحضارة الغربية قد تكون مستعلية



الشأن على سائر شعوب العالم في العصر الحالي، إلا أن الحقيقة أن الشعوب غير الغربية لن تكون ضمن نسيج الحضارة الغربية وإن استهلكت البضائع الغربية وشاهدت الأفلام الأميركية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أي حضارة تبدو في اللغة والدين والعادات والتقاليد والقيم، فهي تختلف عن الأصول الحضارية الغربية وريثة الحضارة اليونانية والرومانية القديمة. لذا، فإن التحديث لشعوب العالم لا يعني تغريبها، بل سيجعلها تتمسك بثقافتها ولغتها أكثر(١٠).

تلك الحقيقة ثابتة، ولكنها على المدى البعيد، ولا تعني أن تأثيرات العولمة والغزو الثقافي والتغريب ليست قائمة، بل هي حادثة ومؤثرة في المجتمعات العربية وأوجدت طبقة متغربة، ناطقة بلغات الغرب، مروجة لثقافته، منفذة لسياساته، متوحدة مع خططه وبرامجه وتوجهاته العالمية. ويكفي أن رواد التعليم العالي في القرن التاسع عشر في مصر كانوا على وعي تام بهذا، وجعلوا التعليم بالعربية. أنشأ محمد علي مدرسة طب القصر العيني في الربع الأول من القرن التاسع عشر، وكان تدريس الطب بالعربية، بناء على نصيحة «أنطوان برتسيلي كلوت» لمحمد علي باشا بأن التعليم بلغة أجنبية لا تحصل منه الفائدة المنشودة، ولا يؤدي إلى توطين العلم، فكان الأساتذة عربا ومعهم عدد من المترجمين. وظل الأمر حتى العام ١٩٠٣م، عندما استبدل اللورد كرومر الإنجليزية بالعربية(١١).

في ضوء ذلك، فإن خططنا اللغوية لها الدور الأكبر في دعم الهوية العربية في أقطار العربية بشكل عام، عبر تركيزها على اللغة العربية بوصفها لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة والثقافة، والرابط اللساني الجامع بين أبناء الأمة العربية، بل يمتد أثرها إلى خارج العروبة، إلى أقطار العالم الإسلامي التي تتخذ من العربية لسانا في صلواتها، وتحفظ آيات القرآن، وترنو إلى العربية بوصفها لغة دينية قبل أن تكون لغة علم وثقافة. وهذا ما يضع المسؤولية على صناع القرار التربوي، ليقدم نصوصا للتعليم والثقافة يدعم بها البعد الديني التراثي، لتتمكن الأجيال من قراءة تراث العرب بلغته العربية الرصينة، وأيضا الاطلاع على منجزات العلوم والحضارة والفنون المعاصرة والقديمة، وكل هذا يعزز المشتركات بين أبناء الأمة. والأهم من هذا مواجهة الظواهر اللغوية الطارئة في الواقع اللغوي العربي، فاللغة كائن حي، يتأثر بكل التغييرات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تضرب المجتمعات العربية، ويعكس مظاهر الغزو والاستلاب والفرقة.

## الهوامش

١- الموسوعة الفلسفية العربية، محمد عابد الجابري وآخرون، الاصطلاحات والمفاهيم (مصطلح الهوية)، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣.

٢- الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، موريس لومبارد، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م، ص١٢٨و١٢٩.

٣- السياسة اللغوية: المفهوم والآلية، بلال دربال، مجلة المخبر (جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (١٠)،٢٠١٤م، ص٣٢٧و٣٢٨.

٤- العرقية والقومية: وجهات نظر أنثروبولوجية، توماس هايلاند إريكسن، ترجمة: د. لاهاي عبدالحسين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١٢م، ص١٥. وللتدليل على تطور مفهوم العنصرية العرقية إلى الأيديولوجية العرقية، يتخذ من تجمعات المسلمين الوافدين في أوروبا نموذجا، فهم من أعراق مختلفة، ولكنهم اعتبروا الإسلام انتماء دينيا وعرقيا وعنصريا في آن، فيتحدثون عن هوية جامعة لهم أقرب إلى التعصب العرقي. ونرى أن هذا أحد نواتج صعود اليمين في أوروبا مثلما هو الحال في ألمانيا وصعود النازيين الجدد، حيث تلوذ الأقليات إلى هوية جامعة تتوحد خلفها، وتتخذها ملجأ لها.

٥- السابق، ص١٥٢و١٥٣.

٦- انظر للمزيد: تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١، ١٩٨٨م، ص٣١٠. حيث تمت الإشارة إلى التفاخر بين السكان الأصليين وبين العرب المهاجرين إلى الأندلس والمغرب العربي والعراق وغيرهم.

٧- تغريدات عصرية في الثقافة العلمية والتقنية، د. أحمد فؤاد باشا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦م، ص١٦٨و١٦٩.

٨- السابق، ص١٧٦و١٧٧.

٩- العالم الإسلامي في عصر العولمة، د. عبدالعزيز التويجري، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٤٦و٤٧.

10- The West: Unique, Not Universal, SAMUEL HUNTINGTON, foreign Affairs, Nov-Dec, 1996.

١١- العلم واللغة: متى يتكلم العلم العربية؟ د. محمود فوزي المناوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٤٠.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٢١)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.







**المتفق والمفترق في اسم (ابن مفلح)**

**١- شمس الدين بن مفلح (ت: ٧٦٣هـ):**

هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الراميني الصالحي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل.

ولد ونشأ في بيت المقدس سنة (٧٠٨هـ).

من تصانيفه: (كتاب الفروع)، و(النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية)، و(أصول الفقه)، و(الآداب الشرعية والمنح المرعية)، و(شرح المقنع) وغيرها.

توفى بصالحية دمشق[١].

**٢- تقي الدين بن مفلح (ت: ٨٠٣هـ):**

هو تقي الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح الراميني الدمشقي، شيخ الحنابلة في عصره.

ولد سنة (٧٤٩هـ).

من مصنفاته: (ذيل طبقات الحنابلة)، و(شرح مختصر ابن الحاجب)، و(كتاب الملائكة)، و(فضل الصلاة على النبي ﷺ)، وتلفت أكثر كتبه في فتنة تيمور بدمشق.

توفي بدمشق[٢].

**٣- نظام الدين بن مفلح (ت: ٨٧٢هـ):**

هو نظام الدين أبو حفص الراميني المقدسي الصالحي، قاض حنبلي.

ولد بالصالحية في دمشق سنة (٧٨٢هـ)، ناب في القضاء بدمشق ثم بالقاهرة، واستقل بقضاء غزة، وكان أول حنبلي ولي قضاءها.

وأنشأ مدرسة دار الحديث النظامية في شرقي الصالحية.

من مصنفاته: (مشيخة) علقها إبراهيم بن محمد بن المعتمد.

قال السخاوي: أخذ عنه الفضلاء والأئمة، وأكثرت عنه حين لقيته بالقاهرة والصالحية[٣].

**٤- برهان الدين بن مفلح (ت: ٨٨٤هـ):**

هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبدالله ابن مفلح، مؤرخ، من قضاة الحنابلة.

ولد في دمشق سنة (٨١٦ هـ)، وولي قضاءها، ثم عين لقضاء الديار المصرية فلم يذهب.

باشر القضاء في الديار الشامية نيابة واستقلالا أكثر من أربعين سنة.

من مصنفاته: (المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد)، و(المبدع بشرح المقنع)، و(الدر المنتقى والجوهر المجموع في معرفة الراجح من الخلاف المطلق والمرفوع)، و(مرقاة الوصول إلى علم الأصول).

توفي بدمشق[٤].

**٥- أكمل الدين بن مفلح (ت: ١٠١١هـ):**

هو أكمل الدين محمد بن إبراهيم ابن عمر ابن مفلح الراميني المقدسي، مؤرخ، محدث، من القضاة، أصله من القدس.

ولد بدمشق سنة: (٩٣٠هـ)، وهو آخر من عرف فيها من بني مفلح وكانوا بيت علم وقضاء.

سافر أكمل الدين إلى الآستانة، وولي قضاء بعلبك وصيدا، ثم استقر في دمشق.

من مصنفاته: (من ولي قضاء الحنابلة استقلالا في ولاية ملوك مصر)، و(تواريخ الأنبياء)، و(أخبار ملوك مصر)، و(التذكرة الأكملية المفلحية) وغيرها.

توفي بدمشق[٥].

---

**الهوامش**

١- ينظر الدرر الكامنة (٤/٢٦١)، والأعلام للزركلي (٧/١٠٧)، ومعجم المؤلفين (١٢/٤٤)، وهدية العارفين (٢/١٦٢).

٢- ينظر شذرات الذهب (٧/٢٢)، والأعلام للزركلي (١/٦٤)، ومعجم المؤلفين (١/١٠٧)، وهدية العارفين (١/١٩).

٣- ينظر الضوء اللامع (٦/٦٦)، والأعلام للزركلي (٥/٣٩)، ومعجم المؤلفين (٦/١٦٧).

٤- ينظر الضوء اللامع (١/١٥٢)، والأعلام للزركلي (١/٦٥)، ومعجم المؤلفين (١/١٠٠)، وهدية العارفين (١/٢١).

٥- ينظر مختصر طبقات الحنابلة (ص/٩٣)، والأعلام للزركلي (٥/٣٠٣)، ومعجم المؤلفين (٨/٢١١).



محمد عباس عرابي
باحث تربوي - مصر

# آراء العقاد التربوية في تنشئة الأطفال

**مما لا شك فيه أن الأديب الكبير عباس محمود العقاد، رحمه الله، ليس بالمختص التربوي، ومن ثم لم تكن التربية لها وزن كبير في تحليلاته العميقة، إلا أنه من خلال عرضه لموضوعات الطفولة قد لامس قضايا ومشكلات تناولها بنظرة المصلح الاجتماعي، فكانت له رؤية ثاقبة وحس تربوي مصبوغ بأسلوب أدبي متميز.**

ولقد ناقش العقاد في إنتاجه الغزير قضايا عديدة في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ودونها في يوميات نشرت، وقدم في ثناياها قضايا تمس التربية عرضها بعمق المفكر الأديب. ولقد تم حصر مقالات العقاد التي تعالج قضايا تربوية بشكل مباشر، فبلغت ٢٢٠ مقالة، نشرت في ١٣ دورية في الفترة من ١٩٠٨م إلى ١٩٦٤م، وهذا دليل على أن العقاد عاش قضايا مجتمعه، وكان له رأي فيها، من بينها آراء التربية.

وسنحاول في هذا المقال إلقاء الضوء على آراء العقاد التربوية في تنشئة ورعاية الأطفال، وذلك من خلال ما كتبه نثرا وشعرا، حيث يتناول المقال سمات الطفولة، أساليب تنشئة الأطفال، اللعب وأهميته للأطفال، دور الأسرة والمجتمع في رعاية الأطفال.

### سمات الطفولة

للطفولة مكان بارز في فكر العقاد، حيث إنه كتب فيها نثرا وشعرا صور من خلالهما ملامح البراءة، وعدم الثبات والحيرة، حتى جاء وصف

العقاد للحب والشوق مقرونا بصفات الطفل.

ويرى العقاد أن الطفولة أقوى من السلاح وأكثر سحرا في تأثيرها من المال، ويؤكد أن الطفولة هي أساس فهم الإنسان، وإذا ما صلحت أصبح الفرد في حياته إنسانا صالحا صحيحا نفسيا واجتماعيا وبدنيا.

ويرى أن عالم الطفل هو بداية البدايات في حياة الإنسان، وليس غريبا أن تكون مبادئ علم النفس التحليلي تشمل حتى حركة أصابع الأطفال، وتبدأ بتساؤلاتهم، ولذلك فعلم النفس التحليلي بكل مدارسه لا يمكن أن يكون شيئا هينا؛ لأنه يبدأ من الحركات وردود الفعل الصغيرة عند الأطفال.

ويبين العقاد أن الأطفال محبوبون؛ لأنهم أزاهير الإنسانية، وترجمان ربيعها، محبوبون لأنهم بشائر الشباب والحيوية، إنهم معلمون من الطراز الأول؛ لأن أخلاق الإنسانية مكتوبة في نفوسهم بالخط البارز الذي تقرأه لأول نظرة.

### أساليب تنشئة الأطفال

ويقدم لنا العقاد صورا كثيرة ونصائح من خلال قراءاته ورؤيته الخاصة حول الطفولة ورعايتها، فينصح بالاعتدال في مسألة التهذيب، ومعاملة الأطفال أمام الغرباء والزائرين؛ فيرى العقاد تعليم الطفل مع الاعتدال والحكمة، ولا يترك له العنان حتى لا يتجاوز حدوده، ولا يضيق عليه الخناق فيسأم ويتبرم ويحتال على التخلص من قيوده بكل ما يتفتق له.

أما الطفل قبل وصوله إلى دور التعليم فيحسن أن ينزع عنه الشدة بالمرة، وتطلق له الحرية في اللعب، وما يستدعيه من نشاط الصبيان ومرحهم مع الإشراف عليه من جانب اللين والراحة، وإرشاده على قدر ما



يسعه عقله الصغير بأسلوب تنبسط له نفسه وينشط له حسه، ولا يظن أن لعب الطفل وهو صغير يساعده على أن ينشأ في كبره لعوبا كبيرا، فإن لكل دور في حياة الإنسان عملا خالصا، وعمل الطفل لعب ومرح؛ لأن قوته لا تمكنه من تحمل الأعمال الجدية.

ويحث العقاد على ضرورة مراعاة مشاعر الطفل وأحاسيسه، ويرى أن نقدم له ما يناسبه ونبتعد عن التشدد في تربية الصغار.

### اللعب وأهميته للأطفال

كذلك عرض العقاد لدور اللعب في مرحلة الطفولة وأهميته بشكل وضح فيه دوافعه، كما بين أساليب التربية الصحيحة في معاملة الصغار والتوسط بين الشدة واللين؛ حيث يرى أن اللعب وعادات الفراغ مهمة جدا في دلالتها الاجتماعية والنفسية، وقد يكون منها ما هو أكثر أهمية من دراسة الأعمال الجدية.

ويبين العقاد فوائد اللعب ودوافعه بأسلوبه المتميز، فاللعب له فائدة في إعلاء الرغبات، وترويح عن النفس، ويؤكد أهمية اللعب للصغار فيقول: «الطفل في ذلك الدور يحتاج إلى اللعب كما يحتاج إلى الرضاع من قلبه.. ثم يتدرج في ذلك بما يناسب قوته، ويجري مع نموه حتى يصير رجلا فيكون له ما للرجال، وعليه ما عليهم».

ومن خلال ما كتبه العقاد، وجاء في كتب التربية وعلم النفس، نستطيع أن نحدد الواجبات والحقوق التي يجب أن توفرها الأسرة للصغار، ومنها التربية السليمة التي ينهلها الصغار من المنزل وفي رعاية الأم الرؤوم.

لقد ناقش العقاد قضية دور الأسرة والمجتمع في رعاية الأطفال، حيث صور مشاعر الأبوة بكل صدق، كما ركز على رسالة الأمومة، ودور الأسرة العام في التنشئة الاجتماعية.

د. محمد سعيد صمدي
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بطنجة
المغرب

# الثياب الممزقة وهجنة الذوق



يعتبر اللباس من الحاجات الأساسية لبني البشر منذ وجد، ولعل من أهم ما اعتنى به الإنسان الأول اعتناء كبيرا اللباس، سواء لحاجة اتقاء الحر أو البرد، أو لغرض الستر وإخفاء ما جبل وفطر على حرج إظهاره وكشفه للناظرين.

وهنا يبرز موضوع «النظر» المرتبط ارتباطا وثيقا أيضا بموضوع اللباس والثياب؛ وهو ما حدا بأحد محدثي وأعلام القرن السابع الهجري أبي الحسن علي ابن القطان الفاسي (٥٦٢ ـ ٦٢٨هـ) أن يحرر مصنفا دقيقا سمّاه بـ«النظر إلى أحكام النظر». وفي مقدمته مهد بالقول: «حاسة البصر أحد أبواب القلب، وأعمر الطرق إليه وعملها أكثر أعمال الجوارح وقوعا وتكرارا ما عدا التنفس، وقد تقرر الشرع بطلب النظر بها في مواطن كثيرة؛ إما على جهة الوجوب وإما على جهة الندب، وليس ذلك من غرضنا، وتقرر الشرع أيضا بالنهي عن النظر بها وإيجاب غضها أو الندب إليه في مواطن كثيرة، وإباحته والعفو عنه في مواطن كثيرة...»[1].

وبفعل الحاجة البيولوجية إلى التغطية والستر، نبه الباري تعالى إلى عناية بني البشر جميعهم أولهم وآخرهم بحتمية وضع اللباس، وبيّن وظيفته الحقيقية في بيئة يتعايش فيها الناس ويتكافلون ويمرحون ويحزنون ويتحاربون ويقضون مصالحهم ويخدم بعضهم البعض، فقال عزوجل: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الاعراف:٢٦).

سيظل اللباس عند الأمم، تحررت الشعوب أم حافظت على قيمها وأصالتها، طقسا اجتماعيا وحاجة بيولوجية وأمرا إلهيا صريحا يحفظ للجماعات خصوصياتها الإنسانية وجمالياتها المطلوبة.

واللباس حسب صريح الآية يدلل على وظيفتين أساسيتين هما: الستر والريش؛ الستر لما تتأباه الأفراد والجماعات وتعافه النفوس أن يتعرض للظهور أمام أعين الآخرين، أيا كان هؤلاء، قرابة أو غرابة. والريش: التجمل والتزين، وهو استشعار بالعمق الجمالي الذي فطر عليه بنو آدم في تحسين مظهره واختيار المناسب لوظيفة الستر وحماية الجسد من الضرر المقرون بجمال المنظر ورعاية المقامات والمناسبات..

قال ابن منظور في لسان العرب: «والريش والرياش: الخصب والمعاش والمال والأثاث و اللباس الحسن الفاخر... وقال محمد بن سلام: سمعت سلاما أبا منذر القارئ يقول: الريش الزينة، والرياش كل اللباس»[2].

ومما جاء في آيات الذكر الحكيم في الحث على التزين بالريش من الثياب؛ مع الملاحظة أن النداء جاء لبني البشر جميعا قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ (الاعراف:٣١).

وتؤكد دراسات علم النفس الاجتماعي أهمية اللباس وطريقته وألوانه وفخامته ودور كل ذلك في الانسجام والتوافق المجتمعي، ومدى الوعي بالخصوصيات الثقافية والأعراف والطقوس والموروثات ومراعاة المناسبات والمقامات.

وعقبت الآية الكريمة أن لباس التقوى والتزين والتحلي بقلائد

## لباس التقوى والتحلي بالفضائل أجمل ما يلبسه المرء

ودرر الفضائل والمثل والتوقي من الرذائل والمهلكات هي أجمل ما يلبسه المرء ويستتر به، ذلك هو الخير.

لقد أمسى التجوز في اللباس والتفريط في قيمه وحدوده، خاصة عند المرأة، أمرا عاديا حتى ظن البعض أن الأمر ليس ذا بال ومحاسبة؛ يقول أحد العلماء: «... ومثل ذلك من أفتى بأن لبس الثياب القصيرة التي تكشف عن الذراعين والساقين، أو الشعر، والتي تشف وتصف، على ما نرى عليه ثياب الحضارة الوافدة على المجتمع الإسلامي، ليس أكثر من صغيرة من الصغائر يكفرها أداء الصلوات ونحوها... ولو سلمنا أن لبس الثياب المذكورة من الصغائر، ينقلها إلى درجة الكبائر، كما هو مقرر عند العلماء، حتى قالوا: لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار»[٣].

### هجنة الذوق

لقد أضحت مظاهر اللباس اليوم عند فئة من الشباب والشابات تنحو منحى الشذوذ والتهجين، مما يفسر فعلا الدرك الاستهلاكي لثقافة الموضة الموجهة والمخطط لها من صناع الهندسة الفكرية والقيمية في العواصم الغربية. وبدأت تظهر في البيئة العربية والإسلامية فئات تصنع جماعات نفسية مغايرة لقيم الجماعة الواحدة؛ وتصنع لنفسها غربة داخل فضاءات عمومية أو خصوصية، تسبب حرجا كبيرا للناظر والمنظور إليه؛ إذ الأصل في الحرية الاجتماعية التعايش والمراعاة واستحضار ما تبقى من القيم المشتركة بين الناس بمختلف أجيالها، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (هود:١١٦).

وأضحت مؤسسات التربية والتعليم العالي فضاء لخروقات تتجاوز المبادئ التربوية والالتزام بقواعد جماعة الأقران والزملاء؛ وانعكست وضعية الألبسة وخاصة الممزقة سلبيا على سير العملية التعلمية التعليمية، بسبب عدم الاحترام المتبادل وانتهاك أعراف اللباس والهندام التربوي، ما عكر صفاء الدرس وحول الصفوف الدراسية من أمكنة مناسبة لاكتساب المعارف والمهارات والقيم إلى فضاءات موبوءة ومقلقة ومزعجة، تفوت فرص التلقي الهادئ والتركيز المطلوب للعديد من الطالبات والطلبة.

بل إن سكينة المساجد وقداستها، وهي المعنية بالتوجيه الإلهي للحرص على أخذ الزينة المطلوبة المراعية لخصوصية ظرف التعبد، أصبحت أيضا تعرف حضور ألبسة شبابية ممزقة لا تناسب البتة حرمة المكان ولا معايير الستر للعورة المطلوبة في أثناء أداء الصلوات، بل إخلالها بالحياء العام المستهجن في الفضاءات العمومية.

أذكر ذات ليلة رمضانية كان يصلي بجانبي في صلاة القيام شاب لا يتجاوز العشرين سنة، أثار انتباهي ففي جلسات بعد السجود تتوسع

## الملابس الممزقة شتتت تركيز الطلاب وأثرت سلبيا على تحصيلهم

الأجزاء الممزقة من سرواله، فلما نبهته بلطف كبير، استحى واعتذر لأنه لا يعلم بحدود العورة في الصلاة، وبعد التسليم من أداء ركعتين لاحظت أنه أخذ قميصا زائدا ليستر ما بدا من فخذه.

يجب التنبيه إلى أن اللباس ذوق وتجمل، تراعى فيه المقامات والمناسبات، وتحترم فيه القواعد والفوارق، والخصوصيات، والأماكن العامة المشتركة وحرمات البيوت الخاصة، وهذا الوعي يجعل المرء يتحرك في حياته دونما حرج أو إحراج، بل في احترام وتوقير وانسجام تام مع أبناء جماعته وأقرانه.

لقد أصبح العالم قرية صغيرة يربطها رابط الشبكة الرقمية التي سرعت التواصل البشري، ونوعت الثقافات ومجالات الترفيه والاستهلاك، لكن ذلك يجب أن يبقى في حدود تحفظ قيم الجماعة واستقرارها النفسي والأمني والروحي والوطني.

---

### الهوامش

١. النظر في أحكام النظر بحاسة البصر:١٤/ عناية الدكتور فتحي أبو عيسى/ط١/ ١٩٩٤م/ دار الصحابة للتراث/ طنطا .

٢. لسان العرب/ مادة ريش.

٣. تحرير المرأة في عصر الرسالة:١/١٦/ تأليف عبدالحليم أبو شقة رحمه الله، تقديم محمد الغزالي وتقديم يوسف القرضاوي/ ط١/١٩٩٠م/ دار القلم للنشر والتوزيع/ الكويت.

د. خالد راتب
باحث دراسات إسلامية

# التفكك الأسري.. أسبابه وعلاجه

مصطلح التفكك الأسري من المصطلحات التي انتشرت في الآونة الأخيرة واهتم به علماء الاجتماع، كمصطلح، اهتماما كبيرا، ونالت هذه القضية اهتمام العلماء المسلمين وغيرهم لما لها من تأثير كبير على بنية المجتمع، والمقصود بالتفكك الأسري: هو ضعف الترابط بين أفراد الأسرة وانهيار الوحدة الأسرية بسبب تقصير أحد الأطراف في القيام بدوره المنطوط به، وهذا التفكك من أخطر مظاهر التفكك المجتمعي؛ لأن الأسرة عصب المجتمع، وهي العماد الأساسي للحفاظ عليه، وإن أي خلل في الجانب الأسري يقابله خلل واضح ومدمر في المجتمع كله، ومن هنا يجب علينا الوقوف على أسباب التفكك الأسري، والسعي في وضع (وصفة) علاجية نافعة لهذا المرض.

## أسباب التفكك الأسري:

حقيقة أسباب التفكك الأسري متداخلة ومتنوعة، فقد تكون أسباب التفكك دينية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو فكرية، أو سياسية، وقد تكون الأسباب مجتمعة كلها وهذه طامة كبرى، وقد يكون سبب التفكك الأسري بسبب عامل واحد من العوامل السابقة، ومن أهم أسباب هذا التفكك:

● العزلة الأسرية: تحولت أغلب بيوتنا إلى مجموعة بيوت تحت سقف واحد، بمعنى أن كل فرد في الأسرة له حياته الخاصة، يريد أن يعيشها كما يريد لا كما ينبغي أن تكون، فالأب والأم جل اهتمامهما توفير المستلزمات الحياتية كي يعيش أفراد الأسرة عيشة طيبة مهما كلفهما ذلك من إحداث فجوة كبيرة بين أفراد الأسرة بسبب الانشغال بتحصيل هذه المستلزمات، والإهمال لبقية المسئوليات الأسرية التي تجمع في كلمة واحدة: (كلكم راع)، فالرعاية ليست مقصورة على الرعاية البدنية فقط، وتوفير مقومات الحياة، فهناك الرعاية الدينية والأخلاقية والفكرية والعلمية والثقافية..

ومن مظاهر العزلة الأسرية كذلك أن يعيش الأبناء في مجتمع خاص بهم، كل فرد منهم له نظامه الذي يراه من وجهة نظره أنه الأقوم والأفضل، فلا يريد توجيهات ولا تعديلات ولا نصائح، يريد أن يعيش بلا مسؤولية باحثا عن حقوقه وإن لم يؤدِّ ما عليه من واجبات.

ومن صور العزلة الأسرية التي تؤدي إلى التفكك الأسري؛ الإسراف التقني والتعامل مع الأجهزة الحديثة والوسائل المستجدة بطريقة خاطئة، فالفكر والجوارح والأوقات وكل شيء أصبح أسيرا لهذه الوسائل، فالكل مشغول بهاتفه والإنترنت، فأصبحت علاقتنا بهذه الوسائل أشد من علاقتنا بالأسرة، ومن هنا تزيد ظاهرة التفكك الأسري.

● ضعف الجانب الإيماني والأخلاقي: فضعف الإيمان والأخلاق يتسببان في مشاكل كثيرة؛ وذلك لأن من قوى إيمانه وخلقه استطاع أن يتغلب على جميع مشاكله، ومنها ظاهرة التفكك الأسري.

● غياب الدفء الأسري: فعند فقدان الجانب الوجداني والعاطفي داخل الأسرة يلجأ أفراد الأسرة إلى إشباعه بأي طريقة، وهذا يفسر لنا

المحادثات المحرمة التي تحدث على الشات وإقامة علاقات غير شرعية، سواء كان من الزوج أو من الزوجة، أو من الأبناء؛ لأنهم يجدون، في ظنهم، الدفء والحنان والكلام الراقي والمعسول الذي فقده داخل الأسرة، وهذا ليس مبررا للانحراف العاطفي من قبل الزوجين، ولكن تنبيه لهما بمراعاة هذا الجانب داخل الأسرة حتى لا يتم إشباعه خارج النطاق الشرعي.

● انعدام الحوار: فالحوار أمر مهم لمسيرة الحياة الأسرية، وقد كان النبي ﷺ يحاور ويشاور أزواجه في أخطر الأمور، فشاور وحاور خديجة رضى الله عنها عندما نزل عليه الوحي، وحاور أم سلمة وأزواجه كلهم، كما حاور أفراد أسرته وخلق داخل بيته جوا عاطفيا يجمع الأسرة ولا يشتتها.

● الفهم الخاطئ للحياة الزوجية: كثير من الأزواج يظنون الزواج متعة وخروج (وفسح) فقط.. وينسون جانب المسؤولية الأسرية، فكما أن الزواج من متاع الحياة الدنيا، فهو مسؤولية حددها رسولنا ﷺ بقوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

● عدم فهم المرحلة العمرية للأبناء والتعامل معها تعاملا صحيحا مما يتسبب في مشاكل أسرية بين الأبناء والآباء، وتفلت الأبناء من نطاق الأسرة والوقوع في صحبة فاسدة تدمر فكره وعقله وتسحبه إلى طريق الهاوية.

● التسرع في مسألة الطلاق: فكثير من الأزواج يجعلون الطلاق حلا أوليا بدلا من استخدام الوسائل الشرعية، وهذا الطلاق المتهور يفسد الأسرة ويشتت الأبناء ويصدر للمجتمع، في الغالب، مشاكل اجتماعية خطيرة.

## علاج التفكك الأسري:

يحتاج علاج التفكك الأسري إلى رؤية وصبر وحكمة وتجنب الأسباب المؤدية لهذا التفكك، مع الأخذ بوسائل العلاج، ومن أهم وسائله:

● تقوية الجانب الإيماني: ويبدأ ذلك بتقديم الشرع عند اختيار الزوجة أو الزوج، وهذا لا يمنع أن نهتم بجانب الجمال والنسب والحسب بعد ذلك، ولكن الأهم «فاظفر بذات الدين»، و«بمن جاءكم ترضون دينه وخلقه فزوجوه».

كما أن تقوية الجانب الإيماني يكون بتربية الأولاد تربية أخلاقية ومراقبة (ترمومتر الإيمان) عند الأبناء عن طريق متابعتهم، ومتابعة أصدقائهم عبر مواقع التواصل والحد من الإسراف في استخدام التكنولوجيا التي قد تسبب، عند استخدامها استخداما خاطئا، في تشويش الفكر والوصول أحيانا إلى الإلحاد، أو التطرف والإرهاب.

● العمل على إيجاد جو أسري هادئ يتسم بالحوار والاحترام والتفاهم، والبعد عن المشاكل خاصة أمام الأبناء.

● التحكم في الأعصاب والتزام الهدوء في مواجهة المشاكل: فالمشاكل الأسرية أمر طبيعي، ولكن غير الطبيعي التعامل معها بتهور، مما يتسبب في تفاقم المشكلة لتصل إلى إنهاء الحياة الزوجية وتشرد الأبناء، ومن هنا كان الحل الإسلامي للمشاكل الزوجية من أنجح الحلول، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ (النساء:٣٤-٣٥).

● مراعاة فقه التعامل الأسري بالنسبة للأولاد: فكل مرحلة عمرية لها تعامل خاص، وأهم هذا المراحل مرحلة التنشئة، وهي مرحلة تكوين القيم الإيمانية والأخلاقية عند الطفل، ومرحلة المراهقة وهي مرحلة بناء الشخصية، وإذا تعاملنا مع هذه المراحل بعنف وعدم حكمة فإننا نتسبب في انحراف داخلي وخارجي للأبناء، وبالتالي يخرجون بهذا الانحراف للمجتمع مما يحدث إفسادا في الأرض.

● أن يقوم الإعلام بدوره المحوري في توجيه الأسر إلى ما ينفعهم، ووضع برامج تساعد على تقوية العلاقة الأسرية، ببيان المفهوم الحقيقي للمسؤولية الأسرية، ودور كل فرد فيها، فالآباء والأمهات، والأبناء؛ الكل عليهم واجبات يجب أن يقوموا بها.. مع بيان خطورة إهمال هذه الأدوار، فإهمالها يصدر لنا مشاكل اجتماعية ونفسية وفكرية..

د. خالد صلاح حنفي
أستاذ مساعد أصول التربية
جامعة الإسكندرية - مصر



# تنمية ثقافة الطفل العربي ومواجهة الغزو الثقافي

**يمثل الاهتمام بثقافة الطفل أحد أهم مقومات رعاية وتنمية الطفولة، خصوصا في ظل التطورات المعاصرة، التي تفرض العديد من التحديات المتعلقة بثقافة الطفل، في ظل ما أطلق عليه «العولمة الثقافية»، والتي تتزايد المخاوف من مخاطرها على الهوية الثقافية للطفل.**

ومع التطور المتسارع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتطور الكبير في أنواع وإمكانات وسائط تثقيف الطفل، صارت الثقافة بلا حدود، في عالم بلا حدود، ونشأ التحدي الهائل الذي يتمثل في كيفية الاستفادة القصوى من تلك التطورات في مجال تثقيف الطفل، مع الحد من مخاطرها على هويته الثقافية، والتصدي لظاهرة الغزو الثقافي.

وفي هذا المقال سنعرض هذه الظاهرة وأبعادها، وأبرز مظاهرها، وعواملها، وأسبابها، وآلية التعامل معها، ومواجهة أخطارها، حفاظا على «هوية» ثقافة أطفالنا، وبنيتها في الاتجاه الصحيح، الذي يضمن لها الخصوصية والتأثير في واقع الطفل خاصة وفي واقع الحياة عامة.

## ثقافة الطفل

تتمثل ثقافة الطفل في مجموعة العلوم والفنون والآداب والمهارات، والقيم السلوكية، والعقائدية التي يستطيع الطفل استيعابها وتمثلها في

كل مرحلة من مراحل عمره، ويتمكن بواسطتها من توجيه سلوكه داخل المجتمع توجيها سليما. ويقوم بنقل هذه المعارف والقيم صفوة مبدعة من المجتمع، مسترشدين بالمبادئ الروحية والدينية، والإنجازات الفكرية والفنية للمجتمع، مستعينين أيضا بالعلم فيما يتعلق بخصائص الطفولة ومراحل نموها واحتياجاتها.

وثقافة الطفل هي إحدى الثقافات الفرعية في المجتمع وتنفرد بمجموعة من الخصائص والسمات العامة وتشترك في مجموعات أخرى منها، كما أن ثقافة الطفل ليست مجرد تبسيط أو تصغير للثقافة العامة في المجتمع بل هي ذات خصوصية في كل عناصرها وللأطفال أساليبهم الخاصة في التعبير عن أنفسهم وفي إشباع حاجاتهم.

إن «الخصوصية» في ثقافة الطفل، وآلياتها يمكن وصفها بـ«الهوية» الخاصة لثقافة الطفل والتي تميزها عن ثقافة المجتمع وعن سائر ثقافات الأطفال في المجتمعات المختلفة والخصوصية الثقافية؛ هوية أية شخصية تنفرد في جوانب ثقافية تميزها عن غيرها من الشخصيات الأخرى القائمة في المجتمع. واختراق خصوصية هذه «الهوية» يعد اختراقا وغزوا لثقافتها.

وتتعرض «ثقافة الطفل العربي» في وقتنا الحاضر، إلى جملة من «الاختراقات»، التي تحاول السيطرة على خطابها الثقافي، وتحريف الرؤى والقيم والأفكار، التي تحملها خصوصية هذا الخطاب، وهويته الموضوعية، عن مسارها الصحيح، إلى مسار آخر، تهيمن عليه، وتتحكم به قوى «ثقافية» تحمل «هويات» أخرى مغايرة لما تختص به الهوية العربية لثقافة الأطفال.

## الاختراق الثقافي

وللاختراق الثقافي مفاهيم عديدة، تتصل بأغراض، وأهداف متعددة، تؤدي بطبيعتها إلى العمل على خرق أواصر الثقافة المستهدفة، وخصوصيتها، بأشكال وطرق كثيرة، وقد تطورت مفاهيم الاختراق وأساليبه، لتشمل الجوانب المهمة من حياة الإنسان «المستهدف» وخصوصية «هويته» القومية، إضافة إلى الجانب الثقافي، شملت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وعبر ذلك تتوضح صورة الاختراق، ومظاهره المتبعة للإخضاع والتبعية.. ومن عوامل الاختراق الثقافي:

### العامل الأول: «داخلي»: ويحصل بطريقتين:

- الطريقة الأولى «غير المقصودة»: نتيجة لعدم الفهم الصحيح لآليات ثقافة الأطفال، وخصوصيتها المحددة بخصائصها المتعددة، فيعمل بعض الآباء والمربين على استلاب شخصية الطفل، وتحديد قدراته، واستقلاليته، والسيطرة عليه وجعله «تابعا» له، ويسير شخصيته وفق ما يريده الأب، لا وفق مميزات ثقافته الخاصة وحاجاتها، وانطلاقتها. فينشأ هذا الطفل «مقلدا» لثقافة الأب، وبالتالي ينشأ الطفل نشأة «مقيدة»، وتقليدية، تقتل في مخيلته مكامن الموهبة والخيال، والتفكير وروح الابتكار وضعف الوعي والمدركات الأخرى ما يقضي على شخصية الطفل، ويفتت «هويته» الثقافية، وبالتالي يشكل اختراقا واضحا لثقافة الأطفال وخصوصية «الطفولة» في شخصيته.

**الغزو الثقافي يستهدف احتلال العقل وخلخلة الثقة بالإرث القيمي**

-الطريقة الثانية «المقصودة»: تنشأ نتيجة لفهم البعض وتعاليهم على ثقافتهم الخاصة ورفضهم لبعض قيم هذه الثقافة، خاصة ممن تأثر تأثرا كبيرا بثقافات المجتمعات الأخرى الغريبة عن مجتمعه، وتعد ثقافات الأطفال في المجتمعات الأخرى أكثر أهمية وفائدة لطفله من «ثقافة أطفال» مجتمعه الأصلي، فيعمل على نشر مفاهيم، وقيم، وأفكار، وتقاليد «الثقافات الغريبة والمستوردة» التي تأثر بها، إلى طفله، فيجد هؤلاء الأطفال صعوبة التعايش في حياتهم الجديدة مع مجتمعهم الأصلي، ومع ثقافة أقرانهم من الأطفال في هذا المجتمع؛ لوصولهم إلى درجة التطبع الكامل بثقافة المجتمع الغربي الذي نشأت فيه أسرهم؛ وتنشأ ظاهرة الاغتراب الثقافي للفرد عن مجتمعه.

### العامل الثاني «خارجي»:

يتضمن هذا العامل آليات مختلفة تبث مجموعة «ثقافات» بأفكار و«سياسات» متعددة، من «مجتمعات»

**استسلام الطفل للفضائيات يولد لديه ألفة لمشاهد العنف**

متعددة، بعضها مدروس، وموجه، ومخطط له، لغرض «الاختراق» وآخر غير مقصود، إلا أنه يؤدي بطبيعته نفس الغرض الذي يؤدي إلى الاختراق، لكن بدرجات أخف، وبخطر أقل تأثيرا..

لقد صارت البيئة العربية في ضوء الأوضاع الحالية مهيأة أكثر من ذي قبل، أمام ظاهرة الاختراق والغزو الثقافي «لتجد لها مكانا واسعا، تنشط من خلاله للوصول إلى ثقافة الأطفال العرب، وتحقيق أهدافها المباشرة وغير المباشرة، الآنية والمستقبلية»؛ للسيطرة على عقل الطفل العربي، وتنميط ثقافته، عبر آلياتها الخاصة، وإمكاناتها المتطورة، التي توافرت لها، بعد التطورات التكنولوجية السريعة في مناحي الحياة العامة، وما حصل جراء ذلك من اختراعات، وتكنولوجيات، وفضائيات، متعددة الأغراض والوجوه، وسريعة التأثير في «ثورتها المعلوماتية»، التي سيطرت على حركة الحياة ومعطياتها على مدار الساعة.

ويعد «الغزو الثقافي» من أهم مظاهر «الاختراق» وأكثرها شيوعا، حيث يستهدف الغزو الثقافي بمفهومه العام احتلال العقل، وخلخلة الثقة بالذات، وبالهوية الثقافية، وبالإرث القيمي، والحضاري، والإنساني لهذه الهوية. ويمثل اختراقا خارجيا عبر وسائل الاتصال المتقدمة، التي تنقل صورة الذات «المتخلفة» وصورة «الغازي» المتقدمة لتجعله بذلك في حالات من الضعف المتواصل الذي يحيله إلى التآكل في الشخصية وفي الهوية، ومن ثم يفقد الفرد الثقة بـ«ثقافته» وقدراته، لينساق إلى تقليد ثقافة الآخر، والتفكير وفق أفكارها وأنماطها؛ فعملية «التقليد» هي غاية ما يسعى إليه «الغزو الثقافي» في مشروعه العام، وهي المرحلة البارزة في آليات «الاختراق» ليس في الجانب الثقافي وحسب، إنما في الأفعال، والسلوك، والملبس، والعادات، وأحيانا في اللغة أيضا.

لقد أثار «الغزو الثقافي» منذ زمن طويل، ومازال، في الأوساط الثقافية والفكرية والاجتماعية جدلا كبيرا وتباينت وجهات النظر حوله بين فئات المجتمع الواحد؛ ففئة تراه خطرا على خصوصية «الهوية» وتدعو إلى تشخيصه ومقاومته.. وإفشال آلياته في واقعنا الثقافي، وفئة أخرى لا تراه «غزوا»، فتختار تسميات أخرى، وتهون فئة أخرى من شأنه على أن الحديث عنه وعن مخاطره ألعوبة أو وهم، بل إن فئة أخرى تدعو له سبيلا للمثاقفة، ويعدون المثاقفة تلاقحا معرفيا وحضاريا يعزز التواصل بين «تراثات» الإنسانية ويغنيها، ويوردون حججا لا نهاية لها عن العلاقات الثقافية بين الشعوب واستكمال شروط النهضة أو التقدم.

## مخاطر

إن مفهوم الغزو الثقافي واسع وشائك، ومتعدد الاتجاهات، والوسائل ومتداخل مع مفاهيم أخرى متصلة بعضها مع البعض الآخر، إلا أن أبرز أهدافه تتمثل السيطرة على «العقول» والتأثير فيها لإحكام الهيمنة والتبعية الثقافية والإعلامية، وخطره الكبير في «التنميط الثقافي» الذي يعني إنتاج نمط ثقافي واحد وفق إرادة المنتج المهيمن، ويكون ذلك عبر وسائل السيطرة المختلفة كالتقنية والمعلوماتية والاتصالات.

فالتليفزيون «وسيلة اتصالية» جذابة تعني في توجهاتها بوضع الطفل تحت سيطرتها، والاستسلام لقنواتها الفضائية حيث تأتي برامجها أكثر إثارة وتشويقا للطفل، وأكثر توافقا مع نوازعه الغرائزية كالعنف والعدوانية، وينتج عنها استجابة نفسية تشكل نواة المخيلة الجمعية لدى الأطفال، أي النواة التربوية الأولى لثقافتهم العامة؛ فتصبح هناك



ألفة موضوعية بين الطفل ومشاهد العنف في تلك البرامج.. وينعكس ذلك على وعي الطفل وسلوكه فيتطبع بها، وهذا التطبيع يتحول إلى محاكاة لما هو سائد في هذه البرامج وتقليدها.

ولا شك أن أخطر مظاهر التنميط وسيلة؛ هو شيوع ثقافة الصورة بديلا عن ثقافة الكلمة. وانتشار الكتاب الإلكتروني بديلا للكتاب المطبوع، مما يضع جمهور الأطفال والناشئة أمام الاستبداد التقني، الذي يقلل الخيال والإبداع بعد ذلك ناهيك عن إضاعة الوقت، وهدر الطاقة الجسمية، والمشاعر والأفكار، ووضع الجمهور في حالة عطالة ذهنية وثقافية أمام منتجات التنميط الثقافي وقوتها الهائلة.

وبذلك تكمن أهمية مواجهة «الاختراق الثقافي» وأساليبه الحديثة التي بدأت بالغزو الثقافي وأشكاله وأساليبه، ليتطور إلى شكل آخر أكثر خطورة وسعة، ألا وهو «العولمة» التي تعمل، باختصار شديد، على محو الخصوصيات الثقافية للشعوب، واستبدال ثقافة «القطب الواحد» بها؛ لتتمكن من إحكام السيطرة الكاملة على العالم، واختراق ثقافاته وجعله تابعا لها، مسيرا بأوامرها، بعد أن هيأت لها التطورات التكنولوجية والوسائل الاتصالية الفضائية، وغيرها، المجال من أوسع جهاته للاختراق وتحقيق أهدافها.

**«العولمة» تمحو خصوصية الشعوب وتستبدلها بثقافة «القطب الواحد»**

## مواجهة

وإزاء ذلك، لابد من التوجه نحو وضع «استراتيجية ثقافية، عربية، علمية، متطورة، تعمل بوسائل وتقنيات تواكب التطورات الحديثة، وتستثمر تكنولوجيا العلم الحديث لتحصين «الهوية الثقافية» وتقف بمواجهة الاختراق وأساليبه القديمة والحديثة، لكي لا يتمادى في تأثيراته وأخطاره، وعلى أقل تقدير، تحجمه في مكامنه. ولا يحصل هذا الأمر، دون الانتباه إلى أهمية الخصوصية، ودورها الفاعل في «ثقافة الأطفال» والاهتمام بأساليب الكتابة للطفل، ومفاهيم الخطاب الثقافي الموجه للطفل، وجعله مؤثرا وفاعلا، ولا يقل أهمية عن غيره من «الخطابات» الأجنبية. وخلق قاعدة علمية عربية لثقافة الأطفال، تلبي حاجات الطفل، وتشبع نوازعه الغرائزية، وتنمي مدركاته وخياله، وتجعله ميالا لثقافته الخاصة أكثر من ميله للثقافات الأخرى ووسائلها وقنواتها المغرية.



د. عبد الله رمضاني
باحث مغربي

# خطوط حيوية للنمو النفسي للطفل

يولد الطفل فتتلقاه منذ اللحظة الأولى الفرحة الفطرية بالوليد، التي تلتقي عندها البشرية كلها، ويخيم على البيت فرحة عارمة غير محدودة، إلا أن ما يشغل الأبوين إلى جانب الحنان والرعاية الفطرية بالوليد، الإحساس بالمسؤولية وجسامتها من أجل تربيته وتهيأة الجو المناسب له حتى ينشأ سليما نفسيا وعقليا، ومعافى جسديا.

إن مطالب الأطفال جميعا في مراحلهم الأولى أو حتى بعدها متقاربة ومتماثلة وإن اختلفت الطبائع والأمزجة كثيرا فيما بعد. كل الأطفال يطلبون الحب والحنان والرعاية والأمن في حضن الأم أو قريبا منها، كلهم يريدون أن يستدفئوا تحت هذا الرداء النفسي والروحي والمعنوي، والأم بفطرتها تمنح ذلك الحنان والحب وتؤدي تلك الرعاية المرغوب فيها.

فالحنان الذي تعطيه الأم للطفل، ولا يمكن لأحد أن يحل محلها فيه، هو الذي يعلم الطفل الحب، ويوازن في نفسه خط الكره الفطري الذي ينبت في النفس تلقائيا وطبيعيا، لأنه من خطوط الفطرة التي يولد بها الإنسان، إذ كل إنسان سوي يولد وفي نفسه مجموعة من الخطوط المتوازية المتعاكسة في الاتجاه كالخوف والرجاء، والحب والكره، والفردية والجماعية، والالتزام والتحرر. وكلها خطوط أصيلة وطبيعية في الفطرة البشرية، وتقوم بعملها في تكوين البناء النفسي للإنسان.

**حنان الأم يوازن في نفس الطفل خط الكراهية الفطري**

ويرى المهتمون بعلم النفس الطفل أن أغلب الانحراف عند هذا الأخير ينشأ في الخطوط المتقابلة، فهي في حالتها السوية متوازنة ومتساوية في حدود معقولة من الميل هنا أو هناك. ولكن حين يبقى الطفل خارج دائرة التوجيه والرعاية فهو عرضة لنوع معين من الاختلال في هذه الخطوط. فمثلا، قد يحب الطفل نفسه أكثر مما ينبغي، فيتمركز حول ذاته، وبالتالي يكره الآخرين ويستقبحهم وينفر منهم. وهنا تأتي مهمة التربية لإعادة التوازن إلى هذه الخطوط المتقابلة ومنعها من الزيغ والانحراف.

وفي هذا السياق يثمن المشتغلون بحقل التربية وعلم النفس الجهد النفسي والعاطفي الذي يبذله الوالدان نحو طفلهما، والذي ينشئ التوازن ويعيده إذا اختل هو هذا الحب والحنان



والرعاية الذي يضفيه الوالدان، والأم خاصة، على ذلك الطفل، بالقدر المنضبط الذي يحتاج إليه، دون زيادة ولا نقصان.

فإذا لم يجد الطفل ذلك الحب لأي سبب من الأسباب، فسوف يترتب عن ذلك نتائج كلها سيئة على الإطلاق وأبرزها أن ينمو خط الكره على حساب الحب، فتنشأ في نفس الطفل الكراهية للآخرين والحقد عليهم، فلا يرتبط برابط الحب والتعاون الضروريان لبناء المجتمع، وينطوي على نفسه فيكون سلبيا لا ينتفع منه المجتمع بشيء.

والأم يجب عليها أن تدرك ذلك منذ البداية، وعليها أيضا أن تعلم أنه لا شيء على الإطلاق ينبغي أن يحول بينها وبين منح الطفل حاجته الطبيعية من الحب والحنان والرعاية. وأنها تفسد كيانه كله إن هي حرمته حقه من هذه المشاعر التي أودعها الله برحمته وحكمته في كيانها.

## أساس التربية

فالعاطفة الأسرية حينما تكون فاعلة وقوية وحاضرة لدى الطفل تكون المفتاح الحقيقي لكل أنواع الآداب، وهي شرط أساس في تربية الطفل، بل توصّل بعض الباحثين في هذا المجال إلى أن أهم العوامل التي تساعد الطفل على الطاعة والالتزام بالقيم هي هذه العاطفة الأسرية المشتملة على الحب والحنان والرعاية التي يشعر بها الطفل من كل أفراد الأسرة، وأصل هذه العاطفة هما الوالدان. فحب الأطفال للوالدين هو رد فعل لحب الوالدين لهما، بل إن هذه العاطفة هي خير معين للطفل على استيعاب القيم، وهي توفر المناخ الملائم للنمو الخلقي في النفس. والطفل الذي لا يشعر بحب والديه، فإنه من الصعب أن نتصوّر كيف يمكن له أن يتمثل معايير أسرته وقيم مجتمعه.

بالإضافة إلى ذلك، على الوالدين أن يدركا، في الوقت نفسه، أن هناك قدرا مضبوطا ومحدودا من الحب والحنان والرعاية هو المطلوب، وأن الزيادة فيها كالنقص، كلاهما مفسد لكيان الطفل الذي هو رجل الغد أو امرأة الغد.

وعليه؛ فالحب والحنان والرعاية، كما رأينا، هي عناصر حيوية للنمو النفسي السليم للطفل، وللإنسان عامة، لكن حين تتجاوز حدها تنشأ الرخاوة والترهل البدني والنفسي والروحي والفكري، وتجعله غير متوازن، وغير صالح للاعتماد عليه في مهمات الأمور، ولا يعول عليه في المسائل الصعبة. والمدللون ذوو الطبائع الرخوة والمترهلة لا يقدرون على الكد والكدح، فيتعبون في حياتهم ويتعبون.

إن أي خلل في هذه العاطفة تجاه الطفل سيؤدي حتما إلى الجنوح والانحراف والابتعاد عن القيم المرغوبة في المجتمع، فقد ثبت من الدراسات العديدة، حول العلاقة بين الحرمان من حنان الأم والسرقة، مدى تكرار التصرفات غير المتكيفة في مؤسسات رعاية الأطفال المحرومين عاطفيا، كما أن الممارسة العملية تبرز أن غالب الجانحين والمتشردين يعانون من أحد أشكال الحرمان الدائم أو المحدد بفترة زمنية من حياتهم، وأن هذا الحرمان مازال قوة مؤثرة في الآلام المعنوية التي يعانونها والتي تساهم بقدر كبير في دفعهم إلى الانحراف.

**العاطفة الأسرية المفتاح الحقيقي لكل أنواع الآداب**

وهكذا تتضح أهمية التربية الأسرية المؤسسة على منح الحب والحنان والرعاية للأطفال بكيفية معتدلة لا تفريط فيها ولا إفراط، في ترسيخ القيم والمعايير التي يتبناها الوالدان، كما أنها تعتبر في حقيقتها مسؤولية أمام الله لقوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (أخرجه البخاري ومسلم).

فنحن كلنا آباء وأمهات محاسبون أمام الله عزوجل عن كل فساد نحدثه في الفطرة السوية، وعن كل تضييع لطاقة كان يمكن أن تبذل في اتجاهها السليم والسوي.

فإذا قدرنا هذه المسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه أبنائنا حق قدرها منذ النشأة الأولى، وراعينا جميع مراحلها ونموها حق رعايتها، وبذلنا ما في وسعنا من جهد وطاقة في الحفاظ على هذه البذرة وأسقيناها حبا وحنانا ورعاية، فإننا بذلك نكون فعلا نحب أولادنا، ونتمنى لهم استقرارا نفسيا ووجدانيا، ونضعهم على الطريق الصحيح نحو استشراف مستقبل خال من العقد النفسية والانحرافات السلوكية.

إنها تبدو مهمة صعبة في البداية، لكن مشوار الطريق الطويل يبدأ بخطوة، ولابد من التجمل بالصبر واليقظة ورباطة الجأش؛ لأن أولادنا هم عماد الغد، ونريدهم أن يكونوا أسوياء

د. إيمان الشوبكي - باحثة في علوم الأسرة

# آخر العنقود...

**هكذا أطلقوا عليه كآخر ابن داخل الأسرة وأصغرهم، فهو الأكثر تفضيلا واهتماما ودلالا، وهكذا هي تتداول بين الأبناء حتى نشأت غيرة ومقارنة وصراع داخل الأسرة، وأن صاحب هذا اللقب يتمتع بدلال خاص على الرغم من شعوره بغير ذلك.**

ويزداد الصراع ضراوة وتكال الاتهامات عندما يكون هذا النزاع بين الابن الأكبر والابن الأصغر، وكل منهما يسرد مميزات يفتقدها الآخر، بل ويعتبرها منحة وتكثر الشكاوى من الابن الأصغر وتنشأ المشاكل، نتيجة بعض ممارسات الآباء المباشرة وغير المباشرة معه، أو لطبيعة الطفل نفسه وظروف البيئة من حوله.

فالتهاون معه من الآباء سواء عن قصد أو دون قصد قد يفهم على أنه ناتج عن حب وتفضيل؛ إلا أن الواقع أحيانا قد يكون مغايرا لذلك تماما، فليس الحب والتفضيل في كل الأحوال ولا في كل الأسر هو سبب هذه المعاملة والتفرقة. فالابن الأصغر بحكم ترتيبه بين إخوته ووجود من هم أكبر منه، خصوصا وإن كان الفارق في العمر كبير والعدد كثير، كان الاعتماد عليه شبه معدوم وتخويل أي مسؤولية له لا يتم إلا قليلا وتظهر وتبرز المشكلة مع خروج الأبناء الكبار من بين العائلة بزواج أو بغيره، ووقتئذ حينما يتوجهون ناحيته مطالبين إياه بتحمل المسؤولية وهو المدلل والمرفه المقضي أوامره من إخوته لا يجدونه.

وهكذا تسير الأمور عن قصد أو غير قصد من الآباء، فالأصغر هو عالة على من هم أكبر منه، خاصة مع زيادة الأعداد وطاعة بعضهم للأوامر بسهولة وتحملهم للمسؤولية برضا وهدوء؛ ما يدفع الآباء إلى التركيز عليهم وإهمال الباقي بما فيهم الابن الأصغر، إما استسهالا أو استسلاما منهم للراحة، مما ينشئ أبناء صغارا غير كفء لتحمل المسؤولية، فهم خارج حسابات الأسرة في أي مسؤولية أو تكاليف يكلف بها الأبناء إلا القليل.

## تشكيل الشخصية

ومن الأسباب التي تساعد على تشكيل شخصية الابن الأصغر بهذه السمات (عدم تحمل المسؤولية)؛ وجوده في بعض الأحيان في مناخ وبيئة غير متكاملة نفسيا، أي على سبيل المثال عندما يولد الطفل الخامس مع فوارق عمرية كبيرة ستجد هذا الابن الأصغر عندما يكبر قليلا ويصير طفلا يلهو يمنة ويسرة يلعب هنا وهناك، وسيكون ذلك في الغالب بين أيدي أخواته وإخوانه وليس والديه اللذين عظمت لديهما المسؤوليات؛ كأن صاروا جدودا وأصبحت لديهم مسؤوليات أكبر من أن يأخذانه إلى الحدائق أو الأماكن الخاصة بالأطفال، وقد يتولى هذه المسؤولية في الغالب إخوته الكبار أو أبناء إخوته. لذلك لا ينشأ ضمن كيان أسري متكامل (أب وأم وأبناء) يشبع لديه الحاجات النفسية للطفل، وهكذا الحال عند شراء مستلزماته الخاصة للروضة والمدرسة وغيرها، فهو ابن العائلة كلها وابن إخوته في غالب الأمر وليس ابن الأب والأم فقط.

كذلك فإن الأجواء العامة في البيت والاهتمامات أصبحت تعطي الكبار أولوية، فلو أن هناك نزهات مثلا لن تكون جماعية بالشكل الكامل أو بمتطلبات طفل صغير؛ بل الكبار أولا أي أحاديثهم وحواراتهم وجل اهتماماتهم التي لا تشبع اهتمامات ورغبات الطفل.

وقد يسري هذا على الجميع إلا أن من أكبر منه من الأبناء قد عاشوا طفولتهم مع أبوين وفي أجواء مناسبة لأعمارهم واهتماماتهم؛ ولذا فقد يتساهل الآباء مع الابن الأصغر تخلصا من إلحاحه نتيجة عدم تفرغهم وكثرة الضغوط عليهم لمثل هذه الأمور البسيطة، مقارنة بغيرها من الاهتمامات، سواء بقناعة أو بغير قناعة.

وبالتالي فإن نشأة الطفل في بيئة وظروف كهذه تنشئ ابنا له أكثر من أب وأكثر من أم، أي الإخوة والأخوات، وقد يعيق هذا الأمر التنشئة الطبيعية، ما يؤدي إلى انحراف في السلوك لعدم توحيد مصادر السلطة في البيت من أوامر ونواهٍ.

وقد يغلب على أصدقاء الأسرة من هم بعمر الإخوة الكبار ولم يلفت انتباههم وجود قرناء من سنه وعمره، فيبقى هذا الطفل الأخير (آخر العنقود) ملك وأسير، أي أسير هذه الشريحة الأبوية المحتوية له، لا المنافسة التي يتعلم معها ومنها، وملك مدلل ملبى الأوامر مطاع الطلبات.

## بناء نفسية الطفل

ومن العوامل الأخرى المؤثرة في بناء نفسية هذا الطفل بحكم ترتيبه الأخير بين إخوته؛ صغر وتدني حجم طلباته مقارنة بإخوة كبار في مرحلة الإعداد للزواج أو الإنجاب وانصراف اهتمام البيت كله نحو هذا الحدث أو هذه الأحداث المهمة في تاريخ العائلة، مستصغرين أي حدث من الطفل الصغير في ذاك الوقت وما أكثر تلك الأحداث وذاك التجاهل.

إن مثل هذه الأمور وغيرها قد يعتبرها

البعض شيئا لا يذكر بجوار تأمين مستقبل جيد له ماديا وتعليميا؛ إلا أن العامل النفسي يخرج إنسانا سويا يستطيع أن يكوِّن بنفسه المستقبل المادي والتعليمي، لكن العاملان المادي والتعليمي لا يكوِّنان بالضرورة إنسانا سويا تؤثر فيه وتشكل أدق المعنويات، فالبيت والأشخاص والظروف ثلاث عوامل لكل منها دور يلعبه في حياة هذا الطفل الأخير.

لكن وعلى الصعيد الآخر ومن الجبهة المضادة جبهة الأخ الأكبر (أول العنقود) ينظر للأصغر على أنه مفضل ببعض المنح والعطايا المعنوية والمادية التي لم تمنح له وهو الأكبر، فنظرة الآباء للأصغر على أنه حرم من الأشياء -نظرا للسن والظروف- التي سبق توضيحها يجعلهم يعوضونها في غيرها.

ويحاسب على أن خبرة الأب والأم قد أزهرت أوراقها وثمارها فطوروا وعدلوا وغيروا من بعض سلوكياتهم القديمة، فتجنبوا الكثير من الصدمات والخلافات مع الابن الأصغر، فهو أقل الأبناء ضربا وعقابا، وكذلك انشغال الآباء بمن هم أكبر منه وتفويضهم في إنجاز الكثير من الأعمال تقلل من الاحتكاك به كثيرا.

## أعطي الصغير

ثم تأتي الطامة حينما يسود في معظم الأسر سلوك: أعطِ لأخيك لأنه صغير... أو أنت الكبيرُ أعطه وأنا سآتي لك فيما بعد بمثلها.. وهكذا من مثل هذه العبارات التي ينظر فيها الآباء نظرة قاصرة وغير عادلة بينهم، فهم يرون أن الصغير لا يفقه شيئا فيأخذ ولا يؤخذ منه ويعطى ولا يوجه له نقد لأنه صغير، ومَن أكبر منه ولو بسنتين يتحمله لأنه الصغير مهما كان جوره ومهما كانت طلباته؛ لذا يراه الابن الكبير عنيدا ومجاب الرغبات وليس عليه أي مسؤوليات.

وحينما يشتد عود الابن على هذه الصفات والسمات مع اختلاف درجتها وشدتها من شخص لآخر وبيئة لأخرى، يؤثر سلبا على شخصيته، فقد لا يخرج أنانيا فحسب، بل يتهم الآخرين بالتقصير معه ومهما أعطي فهو مظلوم ومحروم ومهضوم الحقوق.

## نصائح تربوية

فعلى الآباء تجنب ذلك ما استطاعوا حتى لا يسهموا في تشكيل هذه الشخصية باستسلامهم أو تعاطفهم أو إهمالهم كأن:

- تقسم المسؤوليات في المنزل بين الأبناء من الصغر بجدول مرتب مكتوب ويحدد صلاحيات لكل واحد منهم بحسب سنه في التكاليف وتحمل المسؤوليات التي يستطيعون التشارك فيها.

- تبادل الحصص والأنصبة في بعض التكاليف في إطار عدم تنحية الطفل الأصغر أو عزله تماما عن تحمل أي مسؤولية وألا يستسهل الآباء لأنه سينشأ رجلا عديم المسؤولية أو أناني لا يسمع لأحد أو يقدم تنازلات.

- ألا يتساهلوا أو يستسلموا للإنجاز السريع من الأبناء الكبار عن الصغار فيهملوا بذلك تعليم الصغار وتوجيههم.

- عدم الشعور بالذنب لأن الأخير حرم من أشياء تمتع بها الكبير؛ كشبابهم وصحتهم وغيرها، فليس ثمة ذنب لأن هذا قدر الله وقسمته يوزعها كيف شاء.

ومن الأمور التي يجب أن ينتبه لها الآباء؛ أن يعطوا آذانهم، لا آذان أبنائهم الكبار، لأبنائهم الصغار فهم يريدون توجيهكم أنتم كأب وأم، لا توجيههم بالوكالة.. يريد خبرتكم أنتم بجوار خبرة الآخرين، دون إفراط أو تفريط، ولا توكلوا أبوتكم أو أمومتكم لأبنائكم، ولا توهبونهم سلطة على بعضهم أكثر من اللازم فلا تمنحونهم سوط الأخ الأكبر والأخت الكبرى، بل صوت الاحترام هو ما يتحدثون به ويتعاملون به، بل الحب بينهم والاعتراف بالجميل والثناء والمدح وأن كلٌ له حقوق وعليه واجبات.

فاعدلوا كفتي الميزان والإنصاف ستجدون الحب بينهم والود والتوفيق من الله عزوجل، وإن الهداية والصلاح من الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.. وما على الآباء إلا السعي في تقديم ما يستطيعون من وسائل لتجنب السلبيات والله عزوجل قادر على أن يحول بينهم وبين السوء.

إيمان مصطفى علي
كاتبة مصرية

# «وصفة» للباحثين عن السعادة

لا يزال «البحث عن السعادة» هاجسا مقلقا لدى البشرية كلها، بل هي أكثر الأمور التي تشغل الناس في هذا العصر بالذات، الذي اختفت فيه الطمأنينة والراحة النفسية، بعدما تحول الإنسان إلى جزء أو «ترس» في آلة تدور يمينا أو شمالا، بلا توقف. وفي كتابه «سعيا وراء السعادة» ينطلق الباحث الفرنسي «ستيفان أوسمونت» من ملاحظة بسيطة هي أن البشر كلهم يعانون ويلهثون في البحث عن السعادة التي أصبحت في واقع الأمر مطلبا ضروريا للحياة. فالسعادة، كما يقول المؤلف، أصبحت شاغلا اجتماعيا ونفسيا.

وإذا كان رجال العلم وخبراء الاقتصاد يحاولون قياس جرعة السعادة لدى البشر ويحددون معاييرها بدقة، فإن البسطاء كذلك يجرون وراءها، ويسألون عنها، ويبحثون عن أفضل الوسائل للحصول عليها.

والسؤال الذي يطرحه الكاتب بقوة هو: هل يمكن بناء السعادة أو شراؤها أو تصنيعها؟!

إذ يرى أن مثل هذه التساؤلات مطروحة على ذهن جميع البشر، وتشكل، رغم بساطتها الظاهرة، الشغل الشاغل لفروع كاملة في ميدان الطب النفسي، والعصبي النفسي، وفي ميدان علم الاجتماع، بل وفي الميدان الاقتصادي نفسه.

## «العزلة» تهدد السعادة

أما الطريقة التي يعالج فيها «المؤلف» موضوعه؛ هو أنه يضع نفسه في موقع من يعاني من مزاج سوداوي، ويحاول أن يعالج نفسه، ولذلك يتوجه إلى الخبراء المعنيين سعيا وراء السعادة.. فيذهب إلى مقابلة «دافيد سرفان – شرايبر» أحد المرجعيات الطبية في ميدان العلاج النفسي، الذي يرى أن «العزلة» هي أحد أكبر الأخطار المهددة للسعادة.

وهنا يذكر الطبيب النفسي؛ أن «القرود» عندما تصل إلى سن البلوغ؛ يتم فصلها عن مجموعتها الأصلية وتركها وحيدة في الغابة كي تندمج مع مجموعة أخرى، هذه الفترة الانتقالية تستمر قرابة ثلاثة أشهر يزداد فيها معدل احتمال موتها بنسبة ٥٠٪ كما دلت دراسات علمية عديدة.

البشر فيهم شيء من هذه الخاصية، إذ نعرف أن رفض الآخرين لنا قد يدفعنا نحو موتنا. لذلك نحن دائما في غاية الحساسية حيال طبيعة علاقاتنا في العمل والمنزل وداخل الأسرة ومع الأصدقاء، ذلك أن الأمر متعلق ببقائنا.

**«السعادة» تكمن في القلوب المؤمنة!**

## الإيمان أساس السعادة

يروي المؤلف أنه التقى ذات يوم بأحد المؤمنين، ووصف له السعادة بأنها «تكمن في الإيمان، ودون الإيمان والرضى، لا تتحقق السعادة أبدا»، ويحكي المؤلف: «قال الرجل المؤمن: إن الإيمان أساس السعادة؛ لأنه قوة عقلية نستعملها في كل الأوقات وتؤثر دوما في صحتنا وسعادتنا وحياتنا، فكل ما نؤمن به يمكن أن يتحقق في حياتنا، وربما حصلت نتائج باهرة، فالإيمان هو المركز الدائم لطاقة الإنسان الشخصية.. فهو يحرك إلكترونات العقل والدماغ للعمل الإنساني الخلاق، فعند تنشيط الإيمان يطلق للعمل طاقة عقلية أقوى من الطاقة الكهربائية آلاف المرات».

ومن خلال البحث والدراسة، يتوصل «المؤلف» إلى أن «جميع صلوات العالم لن تستطيع جلب السعادة إليك، إذا أنت ظللت تتوجه وتتقبل الصحة السيئة على أنها شيء ضروري لك، فاتجاه عقلك وتفكيرك يعطي نتيجة ما تتوجه إليه، لذلك عليك الحذر والانتباه لما تعطي له تفكيرك

وتوجهك وتصورك، فهذا هو إيمانك واعتقادك الذي سوف يتحقق حسب القوانين والمبادئ الخلاقة التي وضعها خالق الإنسان لتسري في الطبيعة ومنها ذاتك أنت».

### فليكن إيمانك عميقا

يقول المؤلف: «إنه باستطاعتك أنت وحدك أن تبعث السعادة بإرادتك ووعيك لتتدفق من مستوى عقلك الظاهر إلى مستوى عقلك الباطن، ومنها إلى الوظائف الحيوية اللاشعورية في داخلك؛ كالقلب والغدد والأحشاء الباطنية وما تحويه من أعضاء وما تقوم به من وظائف. وعليك بتحديد عقلك وما يحويه من أفكار تجدد جسمك وحيويته، فليكن إيمانك عميقا بقوة الله سبحانه الكامنة في جسدك وذاتك التي خلقها والتي تمدك بالشفاء والصحة في كل الأوقات».

### الإيمان حالة عقلية

يؤكد المؤلف أن «الإيمان» صانع المعجزات، ووحده قادر على تحقيق السعادة.. فالإيمان حالة عقلية يمكن بعثها وخلقها بالتوكيد وتكرار الأوامر للعقل الباطن بعد اختراقها للعقل الظاهر الواعي، فهذه هي الطريقة لتطوير وبعث عاطفة الإيمان. والشفاء يكون باتباع مبادئ الصحة وقوانين الطبيعة، وربما يلزم في بعض الحالات إجراء الجراحة كما يكون باستعمال العلاج والدواء الضروري.. فلكل داء دواء؛ لذلك فإن المبدأ الأساسي هو قوة الإيمان وقوة العقل اللذان يحفزان المناعة الداخلية ويغمران الجسم بالطاقة والحيوية والصحة والعافية والشباب الدائم».

**«الإيمان» صانع المعجزات، وقادر على تحقيق السعادة**

### مخزون السعادة

يرى المؤلف أن هناك مخزونا للسعادة في الجسم يطلق من خلال كلمات الإيمان، فعند النطق بالكلمات التي تصاحبها العاطفة يحدث تغير كيميائي وفسيولوجي في الجسم؛ لأن تيار الحياة في الإنسان يخضع للكلمة المنطوقة المصحوبة بالعاطفة. والإيمان هو الضمان المباشر لتحقيق السعادة، والذي يستطيع أن يكون سيد إيمانه باستطاعته أن يكون أسعد الناس؛ لأن الإيمان قوة تعطي نتائج عظيمة وطاقة هائلة في الحياة».

### الله أكبر.. الله أكبر

كتاب «سعيا وراء السعادة» يقع في ١٩٦ صفحة، مؤلفه الباحث الفرنسي «ستيفان أوسمونت» وهو مهتم بالدراسات النفسية والاجتماعية، وله كتاب مشهور بعنوان «صحتك بين يديك». وقد زار عددا من الدول العربية والإسلامية، مثل المغرب، والجزائر، وسوريا، وشاهد الناس تتردد على المساجد خمس مرات، وقد علت البهجة والمسرة وجوههم، ويتصافحون في الذهاب والإياب، ويتعانقون في مودة وإخاء؛ فهالته تلك المشاهد الإيمانية التي لم ير مثلها من قبل؛ فاقترب من هؤلاء الطيبين المتدينين، على حد وصفه، وسألهم عن سر البشاشة التي تعلو وجوههم؟ فأخبروه بأنهم آمنوا بإله واحد قدير، سميع عليم، رازق لا ينسى عباده، ولا يشق عليهم، ولا يكلفهم ما لا يطيقون؛ فاطمأنت قلوبهم، وصفت نفوسهم، وهدأت سريرتهم، بعدما أدركوا أن الأمر كله لله!

يقول «المؤلف»: بعدما اقتربت كثيرا من هؤلاء المصلين «الطيبين»، وحضرت مجالسهم، وسبرت أغوار نفوسهم، وتغلغلت في أعماقهم؛ أدركت أين تكمن «السعادة» التي يلهث وراءها الجميع، ويبحث عنها ملايين البشر.. إنها تكمن في قلوبهم الصافية، وتبدو واضحة للعيان مع كل تكبيرة يهتفون بها قائلين: (الله أكبر.. الله أكبر)!.



علي سلطان علي السيد
باحث دراسات إسلامية



# الوسطية في المزاح

السلوك، عملا أو قولا، هو ترجمة العقائد والأفكار، لذا كان الحكم على الأفراد من خلال أعمالهم وأقوالهم، ومن ثم يكون الإقرار والتعزيز لما وافق الكتاب والسنة أو التصويب والتصحيح لما خالفهما.

وتلك هي مهمة الرسل والعلماء والدعاة والمصلحين.. التصفية والتربية؛ تصفية العقائد والأفكار مما يشوبها من مخالفات للكتاب والسنة وغرس العقيدة الوسط والأفكار السليمة في قلوب الأمة.

وتصفية العقائد والسلوك من الشوائب المخالفة للوسطية يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالواجب على العلماء والدعاة والمصلحين وكل من يريد الخير للأمة ويسعى إلى تحقيق سيادتها وريادتها للأمم أن يقوم بعملية «التخلية – التحلية»، أي القضاء على العقائد والأفكار والسلوكيات الضارة و«إحلال» العقيدة الوسط.

فالإسلام دين وسط، فيه فسحة وسماحة، لم يغفل حاجات النفس البشرية المادية والروحية، لذا أباح الإسلام الترويح عن النفس بالمزاح واللهو المباح ولنا في سيد الأنام ﷺ الأسوة الحسنة فقد كان ﷺ يمزح ويمازح أصحابه الكرام، فقد ورد أن رجلا استحمل الرسول ﷺ فقال: «إني حاملك على ولد الناقة»، فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟»[1].

فمن هديه ﷺ المزاح من دون إفراط أو تفريط وإنما بقدر الملح للطعام.

وكذلك يجب أن يكون المسلم في مزاحه؛ فلا يكون ملولا لا يمزح، عبوسا لا يبتسم.. إذا ضحك يوما



استغفر ربه وأناب. وفي المقابل، كما يجب ألا يكون المزاح سمته، والخفة والطيش أخلاقه، وحياته كلها عبثا وإسفافا لا هم له سوى إضحاك الناس.

وربما غلا فوقع في الكذب ليضحك الناس فيحيق به وعيد رسول الله ﷺ القائل: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ثم ويل له»[٢].

وتدبر معي، أخي الحبيب، هذا النور النبوي لتفرق بين المباح والباطل من اللهو، قال ﷺ: «كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رمية بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته فإنهن من الحق»[٣].

واحذر، يا أخي، من أولئك الذين يهرفون بما لا يعرفون أصحاب هذه المقولة الضالة «ساعة لربك وساعة لقلبك»، فهي فهم خاطئ لحديث حنظلة «يا حنظلة، ساعة وساعة»[٤].

فالمؤمن حياته كلها لله تبارك وتعالى؛ حركاته وسكناته، قيامه وجلوسه، نومه ويقظته، فرحه وترحه، جده وهزله.. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:١٦٢).

كذا - أخي - يجب أن تكون في حياتك كلها أقدامك على الأرض وقلبك مع الوحيين (الكتاب والسنة)، لا تضع قدما ولا ترفع أخرى حتى تنظر ماذا قال الله ورسوله في هذا الأمر؟

فليكن مزاحك محكوما بهدي رسول الله ﷺ؛ لا إفراط فيجترئ عليك السفهاء وتسقط من أعين الرجال، ولا تفريط فيملّك إخوانك ويبغضك أحباؤك.



## الهوامش

١- رواه أبو داود في الأدب رقم (٤٩٩٨)، والترمذي رقم (١٩٩١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، والشمائل رقم (٢٣٩).

٢- رواه أحمد ٧/٥، وأبو داود في الأدب باب التشديد في الكذب ٢٦٥/٥ رقم (٤٩٩٠)، والترمذي كتاب الزهد باب فيمن تكلم بكلمة يضحك (٤/ ٥٥٧) رقم (٢٣١٥) وقال حديث حسن.

٣- رواه أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٣٧)، والنسائي (٢٣٣/٦)، وأحمد (١٤٤/٤).

٤- رواه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر (٤/ ٢١٠٦) رقم (٢٧٥٠).

محمود عبدالفتاح العيسوي
باحث في العلوم الطبية
مصر

# الوقاية والعلاج من تضخم البروستاتا الحميد



يعرف تضخم البروستاتا الحميد Benign prostatic Hyperplasia على أنه تضخم في غدة البروستاتا، وهي غدة من أعضاء الجهاز التناسلي، حيث تبدأ الخلايا المكونة لأنسجتها في الانقسام، مما يؤدي إلى زيادة حجمها عند الرجال فقط، وهي تحيط جزءا من الحالب ureter، داخل البطن أسفل المثانة بين عظم العانة من الأمام، والمستقيم من الخلف، وتتألف من فصين جانبين في الخلف، وفصين ثانويين أحدهما في الوسط، والثاني خلف الحبل المنوي، ويوجد قناة اتصال بينها وبين مجرى البول Urinary tract، ويبلغ حجمها الطبيعي حوالي ٣ سم طولا و٤ سم عرضا، ووزنها حوالي ٢٥ جراما، ويزداد حجمها مع تقدم العمر إلى ثلاثة أضعاف حجمها الأصلي، ووظيفتها إفراز سائل لزج، يزداد إفرازه مع الإثارة الجنسية، وعند القذف يخرج سائل الحيوانات المنوية والوسط الغذائي لتسهيل حركة الحيوانات المنوية، لحمايتها أثناء رحلتها الخارجية لإتمام عملية اللقاح.

لم تتضح أسباب تفصيلية وقاطعة لتضخم البروستاتا الحميد، إلا أن هناك بعض النقاط الأساسية في آليات حدوثه، والتي توضح جزءا كبيرا من العوامل التي تؤدي إلى تضخم البروستاتا وهي التقدم في السن حيث إنها ظاهرة شائعة لدى الرجال فقط، وتمر بمرحلتين من النمو المرحلة الأولى تحدث في المراهقة فيتضاعف حجمها عند سن ٢٥ عاما، ثم تبدأ في النمو من جديد حتى تصل إلى حجمها الطبيعي، ثم بعد التقدم في السن تبدأ تضخمها حسب





كل حالة وطبقا للفروق الفردية بين الرجال، وربما يحدث ذلك بسبب تناول أدوية الرشح أو الحساسية، ذلك لأن هذه الأدوية تحتوي على مادة تحفز الجهاز العصبي الودي sympathetic nervous System أو يحدث نتيجة لتناول المشروبات الكحولية والغازية أو بسبب التعرض للبرد «الطقس البارد» أو عدم الحركة والنشاط، كما يعتقد أن الرجال الذين أزيلت منهم الخصيتين قبل سن المراهقة مع تقدمهم في السن يصابون بتضخم البروستاتا ومن المعروف أن الرجال ينتجون هرمون التستوستيرون Testosterone وهو هرمون ذكري مهم، كما ينتجون أيضا كمية قليلة من الأستروجين Estrogen، وهو هرمون أنثوي عندما تزاد نسبته في الدم وينخفض مستوي التستوستيرون يحدث التضخم مع التقدم في السن، ذلك لأنه يزيد من فاعلية بعض المواد التي تحفز وتسرع تضخم البروستاتا، وربما يكون السبب أن يظل كبير السن ينتج هرمون التستوستيرون ويخزن أو يتراكم ويسبب التضخم.

وتشير بعض البحوث إلى أن التضخم يرجع إلى تعليمات تتلقاها خلايا البروستاتا في مرحلة مبكرة من العمر، وتستيقظ في مرحلة متأخرة من العمر وترسل إشارات إلى خلايا أخرى في غدة «البروستاتا» وتحثها على النمو أو تحويلها إلى خلايا أكثر حساسية لهرمون النمو، وقد تلعب بعض الهرمونات الأندروجبينية دورا في ذلك، حيث يتحول هرمون التستوستيرون إلى مركب ديهدروتستوسترون Dihydrotestosterone مما يؤدي إلى تضخم البروستاتا. كما أن هذا الهرمون هو المسؤول أيضا عن تساقط الشعر عند الرجال، كما يرجع البعض السبب إلى خلل في برمجة الحمض النووي لخلايا وأنسجة البروستاتا، مما يؤدي لعدم موت الخلايا في نهاية حياتها الطبيعية وتستمر في التراكم مع الخلايا الجديدة، مع وجود أنزيم خاص في نسيجها يؤدي إلى تحويل التستوستيرون إلى مركب هرموني آخر يرتبط بمستقبلات خلوية موجودة في البروستاتا فتؤدي لزيادة حجمها وتفاقم الأعراض.

## أعراض الإصابة بالتضخم

تختلف شدة الأعراض ونوعيتها تباعا لحالة المريض، وتزداد بزيادة التضخم ومنها طول الفترة التي ينتظر فيها المريض لخروج البول، وربما يضطر لاستخدام الضغط الداخلي لدفع البول إلى الخارج مع ضعف تدفقه، حيث يكون ضعيفا أو متقطعا أو على شكل نقط في بعض الأحيان أو يكون متشعبا عند خروجه، مع تعدد التبول ليلا أو نهارا، إلا أنه يكون مزعجا ليلا، حيث يوقظ المريض عدة مرات من نومه، مما قد يسبب له الإرهاق، كما يشعر بعدم إفراغ المثانة بشكل كامل، ضف إلى ذلك التهاب المسالك البولية الحاد، والقناة البولية نتيجة لاحتباس البول بسبب التضخم حول عنق المثانة لدرجة حرجة تمنع مرور البول من المثانة للقناة البولية بصورة طبيعية، مما قد يسبب تكوين حصوات بالمثانة أو الكلى، كما يسبب تضخم البروستاتا ضغطا على الإحليل urethra مما يؤدي إلى تكثف جدران المثانة وتهيجها فيشعر المريض بالحاجة إلى التبول في فترات زمنية متقاربة، ومع مرور الوقت تضعف المثانة وتفقد القدرة على إفراغ البول بالكامل نتيجة لضيق الإحليل، كما قد يحدث انسداد الإحليل وتضرر المثانة بشكل تدريجي.

وبعض الرجال يكتشفون الانسداد

بشكل فجائي إذ يفقدون القدرة على التبول كليا، ويطلق على هذه الحالة احتباس البول الحاد Acut urinary retention وربما يحدث سلس البول urinary incontinence، وهنا يكون ضرر المثانة مستديما وغير قابل للعلاج، ومن بين الأعراض أيضا انسداد في عنق المثانة التي تتحكم في آلية خروج البول خارج الجسم، ما يؤدي إلى احتباس البول في المثانة والحالبين، وفي المرحلة الأخيرة يحدث استسقاء الكليتين، مما يؤدي إلى قصور في وظيفتها بالإضافة إلى حرقة البول، إذا كان التضخم متلازما مع التهاب، وربما يخرج دم مع البول، مع الشعور بآلام شديدة، ثم حصر بولي، وزيادة نشاط الخلايا العضلية اللاإرادية في غدة البروستاتا.

### تشخيص التضخم الحميد

ينبغي على الطبيب أثناء التشخيص Diagnosis فحص وتمحيص المريض الذي يبدأ بإدخال أصبع الطبيب في فتحة الشرج، ومحاولة فحص جزء من البروستاتا القريب من المستقيم Rectum، ليعرف معلومات أولية عن حجمها وحالتها. وفحص أخر يطلق عليه المستضد البروستاتي prostate specific antigen واختصاره «PSA» من أجل التأكد من عدم وجود ورم سرطاني Prostate cancer «لا قدر الله» كمسبب للأعراض الظاهرة في المسالك البولية. ذلك لأن هذا النوع من الفحوصات يميز سرطان البروستاتا عن غيره من الأورام وهو عبارة عن بروتين تنتجه خلايا البروستاتا. وغالبا تكون نسبته مرتفعة عند المصابين بسرطان البروستاتا. هذا، وقد أقرت إدارة الأغذية والأدوية الأميركية على تنفيذ هذا الفحص مع الفحص الأصبعي الشرجي للمستقيم. ذلك لأنه يساعد الطبيب في تحديد نوع الورم.

**مع مرور الوقت تقل قدرة المثانة على إفراغ البول**

يجب على الطبيب قياس المتبقي من البول في المثانة بعد التبول، وكذلك قياس ضغط وعصبية المثانة، وقياس جريان البول، وتصوير البروستاتا بالموجات فوق الصوتية Ultrasound، كما أن هناك فحصا دمويا «PSA» من أجل التفرقة بين التضخم الحميد والسرطاني، يمكن عمل التنظير البولي السفلي، وذلك بادخال منظار مجهري ضوئي عبر الإحليل، وبتخدير موضعي للكشف عن الضخامة عيانا. وربما يكون هناك خلل في عمل الجهاز البولي، يكشف عنه عن طريق الفحص المباشر للبطن بمنطقة العانة وما حولها لمعرفة أي تضخم غير طبيعي في حجم المثانة ناتج عن انسداد بها أو في الإحليل حيث من الممكن أن يكون حجم البروستاتا كبيرا جدا ولكن درجة الانسداد صغيرة والأعراض قليلة. وفي بعض الحالات يكون حجم الغدة أقل ولكن درجة السدة كبيرة وبالتالي تكون المشاكل أكثر، بالإضافة إلى التحاليل المعملية مثل تحليل البول من أجل اكتشاف أي التهابات في مجري البول من خلال وجود صديد أو أملاح أو دم، ثم تحليل أورام البروستاتا هذا، وتشير التوصيات الطبية إلى أهمية إجراء اختبار الأجسام المضادات الخاصة بالبروستاتا، التي تعتبر دالة على الأورام الخاصة بها من أجل الاطمئنان والكشف المبكر لأي مشاكل. ومن المفضل عمل تحاليل وظائف الكلى للتأكد من عدم وجود مضاعفات، وذلك عن طريق الموجات فوق الصوتية وتقنيات التصوير الطبي المختلفة وذلك لمعرفة حجم البروستاتا والمثانة بشكل دقيق، ومن الممكن أخذ عينة من نسيجها يخضع لفحص معملي بالميكروسكوب، كل ذلك من أجل التأكد من عدم وجود خلايا سرطانية ومراجعة الطبيب للتأكد من صحة التشخيص واستبعاد أي احتمالات أخرى أو مضاعفات أو إذا كانت هناك حاجة إلى إجراء عملية جراحية وبالطبع تختلف هذه الفحوصات من مريض لآخر طبقا لحالته.

### الوقاية والعلاج

ينبغي على الرجل الامتناع عن تناول التوابل والبهارات، والتدخين بكل أنواعه وأشكاله وصوره، وكذلك عدم تناول المشروبات الكحولية والغازية أو المحتوية على الكافيين، بل والسوائل بكافة أنواعها قبل النوم بساعة أو ساعتين أو شرب كمية كبيرة من



الماء دفعة واحدة ويفضل تقسيم كمية السوائل على مدار اليوم، وعندما يشعر بحاجته إلى التبول فلا يحبس البول ولا ينتظر لوقت أطول لأن ذلك يؤذي عضلة المثانة، ويعطي نفسه فرصة كافية للتأكد من نزول البول بالكامل أو التبول على مرتين من أجل تفريغ البول والحرص على التدفئة الجيدة، وتجنب التعرض للبرد، ضف إلى ذلك معالجة الإمساك إذا وجد، كما يحرص على ممارسة الرياضة البدنية التي تتفق مع قدراته وسنه وحالته الصحية بوجه عام.

كما يجب التخفيف من تناول مضادات الاحتقان «أدوية الرشح والزكام» أو مضادات الهيستامين «أدوية الحساسية»، فهذه العقاقير تشد العضلات وتوترها حول الإحليل مما يؤثر على دفع البول ويزيد من صعوبة التبول أو احتباس البول التام، ومن الضروري البعد عن الاستثارة الجنسية دون اتمام العملية، ويفضل تنظيم أوقاتها. ثم بعد هذه الوقاية يجري الفحص الدوري السنوي وخاصة بعد سن الأربعين عاما.

وإذا كان الشخص يتناول بعض الأدوية المدرة للبول يجب مراجعة الطبيب من أجل تعديل مواعيد تناول الدواء، بحيث تكون بعيدة عن مواعيد النوم، ومن الممكن أن يغير الطبيب الدواء المدر للبول لنوع آخر أخف تأثيرا.

كما أن مراجعة الطبيب تكشف عن أي مشكلة في مرحلتها المبكرة فيسهل علاجها، أما عندما تتفاقم الحالة وتنطوي على خطر يهدد المريض أو يسبب له عدم الراحة فينصح بالشروع في العلاج، وفي الحالات البسيطة يمكن تناول زيت بذرة القرع العسلي Pumpkin seed oil أما في الحالات المتوسطة فيتناول المريض أدوية حاصرة لمستقبلات ألفا Alpha Blockers فهي تفيد في ارتخاء عضلات عنق المثانة، مما يسهل إفراغ المثانة من البول وكذلك تناول دوكسازوسين Dexazooine، وتيرازوسين Terazpcine ، وألفوزوسين alfuzosin، وتامسولين Hydrochloride Tamsulin وتأثير هذه الأدوية سريع خلال أيام قليلة. وهناك معالجة عن طريق كبح تأثير المركب دي هيدروتستيرون المشار اليه سلفا ويستخدم لذلك دواء Finasteride وهو ليس من حاصرات مستقبلات ألفا، كما يمكن استخدام أدوية لغلق مستقبلات ألفا Alpha blockers، حيث تعتمد هذه الأدوية على تعطيل أنواع خاصة من المستقبلات العصبية الموجودة في الخلايا العضلية المكونة للبروستاتا وجدران المثانة، وغلق هذه المستقبلات يقلل معدل تحفيز العضلات، ويترتب عليه استرخاء الأنسجة العضلية للبروستاتا والمثانة، مما يخفف من حدة الأعراض ويقلل حجم البروستاتا، أما في الحالات الشديدة فلا مانع من أن يستخدم المريض دوائين معا، وهناك أيضا العلاج بالجراحة التقليدية، والمعالجات الحديثة عن طريق الليزر أو بالتنظير، أو باستخدام الحرارة الموضعية «حرق» أو بالأمواج القصيرة Microwave أو بالتبخير Electro vaporization، ويلجأ البعض أحيانا إلى وضع قطعة معدنية داخل الإحليل في المنطقة المغلقة لتبقى مفتوحة، وذلك عبر التنظير، وهذه الطريقة تستخدم للمرضى غير القابلين للمعالجات الدوائية أو الجراحية أو تدمير الخلايا المتضخمة. هذا وصدق الرسول الكريم ﷺ حين قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء» رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

## بعض الرجال يكتشفون انسداد المجرى بشكل فجائي

### المراجع


1 - What I need to know about Prostate Problems, National Institute of Diabetes and Digestive and Kidney Diseases,9-2015.

2 - Erica Cirino (Reviewed on 6-6-2016), symptoms of Benign Prostatic Hyperplasia (BPH)، Health Line

3 - Lee C, Kozlowski J, Grayhack J: Intrinsic and extrinsic factors controlling benign prostatic growth. Prostate 2008.

4 - Reynard J: Does anticholinergic medication have a role for men with lower urinary tract symptoms/ benign prostatic hyperplasia either alone or in combination with other agents? Curr Opin Urol 2004.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

# مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض (٤)

**ما زلنا في معالم ومنارات حديثة أخذت مكانتها ومكانها وأثبتت وجودها في هذا العصر الرقمي والإلكتروني، الزاخر بالكتب والمطبوعات ومئات الألوف من المخطوطات، حتى صارت قبلة للدارسين والباحثين والمستفيدين من كافة المشارب والاختصاصات، يشع نورها ليصل إلى أقاصي البلدان، ومنارتنا هذه قد تطول صحبتنا معها إلى عدة حلقات؛ لكثرة خدماتها، ومهماتها، ووظائفها، وتنوع إداراتها، وأهدافها...**

### ١- إدارة البحوث والنشر:

ترتبط تنظيميا بأمين المكتبة، وينحصر عملها في:

- تمثيل الجهاز التنفيذي لمكتبة الملك فهد الوطنية في مجال النشر.
- وضع الخطط لبرامج النشر والطباعة.
- تنفيذ لائحة النشر في المكتبة.
- الإشراف الإداري والفني لبرامج النشر والطباعة.
- فحص الأصول وتقرير مدى صلاحية النصوص للنشر فنيا.
- تحرير الأصول وتطبيق قواعد الكتابة والمواصفات الدولية للنشر، وخاصة فيما يلي: (المستخلصات، المصطلحات، المسميات العلمية، الاختصارات، الوحدات، الهوامش، ترتيب المراجع وكمال عناصرها، العناوين ودرجتها في المئة، قواعد اللغة، توثيق الصياغة، الترقيم، الهجاء، العناوين الجارية، البيانات الببليوجرافية).
- وضع مواصفات الطباعة حسب طبيعة المادة ونوعية الوعاء وتشمل: (القطع، الجمع، الطبع، التجليد).
- طباعة أوعية المعلومات.
- تسويق مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية داخل المملكة وخارجها.
- المشاركة بمطبوعات المكتبة في المعارض والمناسبات المحلية والخارجية.
- التأكد من توافر الشروط الشكلية في المواد المطلوب صياغتها ومراجعتها لغويا.
- إعداد تقارير دورية عن نشاطات الإدارة وإنجازاتها ورفعها إلى أمين المكتبة.

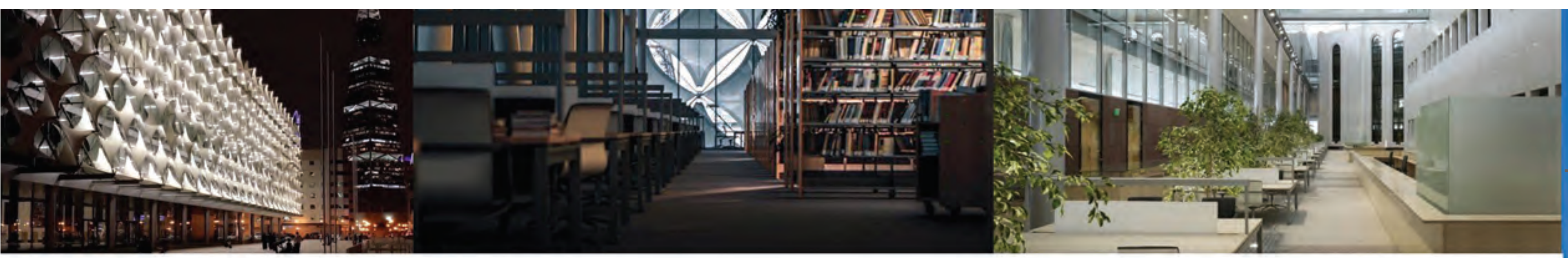
### ٢- إدارة الدوريات:

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة لخدمات المستفيدين، وينحصر عملها في:

- تحديد اشتراكات الدوريات وتجديدها سنويا.
- تسجيل الدوريات الحديثة.
- فهرسة وتصنيف الدوريات.
- تجليد وتكعيب الدوريات ثم عرضها للمستفيدين.
- خدمات المستفيدين داخل وخارج المكتبة، من خلال إمدادهم بالمقالات المطلوبة وتصويرها.

### ٣- إدارة البوابة والخدمات الإلكترونية:

- ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة لتقنية المعلومات، وينحصر عملها في:
- تطبيق المعايير الخاصة بالبوابات والخدمات الإلكترونية.
- إدارة وتحديث محتوى بوابة المكتبة الإلكترونية (الداخلية والخارجية).
- توفير الخدمات الإلكترونية عبر بوابة المكتبة حسب متطلبات التعاملات الإلكترونية الحكومية.
- الإشراف على نظام الرسائل الخاص بالبوابة.
- توفير الدعم الفني لمستخدمي البوابة والخدمات الإلكترونية.
- متابعة مقترحات وآراء المستفيدين



من بوابة المكتبة للاستفادة منها في التطوير المستمر للبوابة والخدمات الإلكترونية.

- إدارة حسابات المكتبة على مواقع التواصل الاجتماعي.

- إعداد تقارير دورية عن إدارة البوابة والخدمات الإلكترونية.

**٤- إدارة الإهداء والتبادل:**

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للاقتناء وتنظيم المعلومات، وينحصر عملها في:

- الإهداء والتبادل مع الهيئات الحكومية والأفراد داخليا وخارجيا.

- تشجيع المؤلفين السعوديين من خلال شراء مؤلفاتهم والتعريف بها وإهدائها.

- التبادل مع المكتبات ومراكز المعلومات.

- استقبال كتب ومجموعات الإهداء من الأفراد والمؤسسات.

- دعم المكتبة بالكتب والمواد غير المتوافرة عن طريق الشراء.

**٥- إدارة المخطوطات والوثائق:**

ترتبط تنظيميا بأمين المكتبة، وينحصر عملها في:

- تسجيل وتوثيق المخطوطات التي لدى الهيئات والأفراد ومنحهم ما يفيد ذلك.

- فهرسة وتصوير وحفظ المخطوطات المسجلة على وسائط مناسبة.

- إصدار فهرس وطني للمخطوطات.

- تعقيم وترميم المخطوطات وفق الأهمية.

**٦- إدارة نوادر الكتب والمخطوطات:**

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للمخطوطات والوثائق، وينحصر عملها في:

- اقتناء المخطوطات عن طريق الشراء أو الإهداء.

- التقييم المادي للمخطوطات والكتب النادرة.

- تسجيل وفهرسة المخطوطات.

- خدمة الباحثين في مجال المخطوطات والكتب النادرة.

- الإشراف على أعمال إدارة حماية التراث المخطوط ومعمل الترميم.

- تقديم الاستشارات في مجال المخطوطات.

**٧- إدارة التكشيف والببليوجرافية الوطنية:**

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة للاقتناء وتنظيم المعلومات، وينحصر عملها في:

- تكشيف مقالات الدوريات المقتناة في المكتبة.

- إصدار الكشاف الوطني للدوريات السعودية.

- إصدار الببليوجرافية الوطنية السعودية.

- الاهتمام بتوثيق ما يصدر من أوعية المعلومات داخل المملكة العربية السعودية، وخارجها أو ما يدعم نشره السعوديين أفرادا، أو مؤسسات.

- إصدار الببليوجرافيات الخاصة.

- الاهتمام بتوثيق ما يصدر من أعمال ومؤلفات خاصة بالأفراد أو الأماكن أو الموضوعات في قوائم ببليوجرافية.

**٨- إدارة الترميم والتعقيم:**

ترتبط تنظيميا بمدير عام المخطوطات والنوادر وينحصر عملها في ترميم وتعقيم المخطوطات والوثائق والنوادر والحفاظ عليها من الأكسدة ومن التفاعل مع تغيرات الأجواء والمحاولة إلى إرجاعها لحالتها الطبيعية بقدر الإمكان.

**٩- إدارة القاعة النسائية:**

ترتبط تنظيميا بالإدارة العامة لخدمات المستفيدين، وينحصر عملها في تقديم:

الخدمة المرجعية وتتمثل هذه الخدمة في:

- توفير المراجع والمصادر والمعلومة المطلوبة للمستفيدات.

- خدمة البحث الآلي في قواعد ونظم المعلومات:

وهي خدمة نظام استرجاع المعلومات والبيانات بشكل فوري ومباشر عن طريق الحاسوب.

- الخدمات المرجعية السريعة:

وهي الاستفسارات باستخدام الهاتف، أو البريد الإلكتروني.

- خدمة الإحاطة الجارية:

وتتمثل في استعراض الوثائق ومصادر المعرفة المختلفة التي تصل إلى المكتبة حديثا، واختيار المواد التي تناسب احتياجات المستفيدات وإعلامهن بها.

- تقديم الخدمات المساندة والمستمرة، مثل خدمة التصوير.

- تقديم العضوية للباحثات بحيث تتيح لهن الاستفادة من الخدمات.

❖ إحصائيات خاصة بمقتنيات المكتبة:

بلغ عدد الكتب وفقا لآخر إحصائية: (مليونا وأربعة وثمانين ألفا وخمسمئة وأربعة وعشرين كتابا).

بلغ عدد مقتنيات الإيداع السعودي من كتب ودوريات وصحف: أكثر من (٣٠٠٠٠٠) مادة.

بلغ عدد العناوين السعودية: أكثر من (٦٥٠٠٠) عنوان.

بلغت معدلات التزويد السنوي بين (٣٠ و٥٠) ألف كتاب.

يبلغ عدد الإيداعات السنوية فيها قرابة (٥٠٠٠٠٠) كتاب.

بلغ عدد الرسائل الجامعية: (٢١٠٠٠) رسالة ماجستير ودكتوراه.

تمتلك المكتبة أكثر من أربعة آلاف مخطوطة.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي




## سلسلة الذخائر

# مجلة دعوة الحق



**تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.**

**وتأتي «مجلة دعوة الحق» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.**

## التعريف بمجلة دعوة الحق

وهي مجلة مغربية شهرية، تعنى بالبحوث الدينية وشؤون الثقافة والفكر، تصدرها وزارة عموم الأوقاف بالرباط - المغرب، وقد صدر أول عدد منها شهر ذي الحجة، سنة: (١٣٧٦هـ)، الموافق: شهر يوليو، سنة: (١٩٥٧م).

## محتوى المجلة

احتوت المجلة على أبواب كثيرة في مختلف الفنون الدينية والفكرية والثقافية، كما نشر فيها عدد من الكتاب مؤلفاتهم في حلقات متتابعة، وهناك عشرات الكتب في الخزانة المغربية نشرت كمقالات وأبحاث على صفحات هذه المجلة (دعوة الحق)، مثل مؤلفات عبدالله كنون، وعبدالقادر الصحراوي، ومحمد الحمداوي، ومحمد تقي الدين الهلالي، وعبدالكريم التواتي وغيرهم.

كما أصدرت المجلة أعدادا خاصة عن المساجد الكبرى في المغرب، ومؤتمر القمة الإسلامي الأول، والمسيرة الخضراء، والذكرى الأربعمئة لمعركة وادي المخازن، بالإضافة لأعداد خاصة بمناسبة عيد الملك والشباب. صدر العدد الأول من المجلة في أقل من أربعين صفحة، بينما أعدادها اللاحقة ناهزت المئة وعشرين صفحة.

ونستعرض بعض ما جاء في عددها الأول:

فقد سطرت صفحة العدد الأول من المجلة -بعد التقديم- بقلم الأستاذ علال الفاسي، بعنوان: «لا جمود ولا جحود».

والمقال الثاني بعنوان: «المرأة في الشريعة الإسلامية»، بقلم الأستاذ: عبدالله كنون.

وثالث مقال نشر على صفحات مجلتنا هذه بعنوان: «حقيقة السعادة»، للأستاذ: مصطفى أحمد الزرقا.

أما موضوعها الرابع فقد سطره الأستاذ: أحمد الحمداوي، بعنوان: «وشهد شاهد»...

وهكذا تتابعت مقالاتها بأقلام كبار المفكرين والعلماء في تلك الفترة من الزمن.



العدد الأول
ذو الحجة ١٣٧٦
يوليوز ١٩٥٧
المراسلات
وزارة عموم الأوقاف

دعوة الحق

دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء

الاشتراك مدة سنة
١٠٠٠ فرنك
الحساب الجاري
البنك المخزني - الرباط
الهاتف
٣٢٧٠٣ - ٣٠٨١٠



تقديم

مولاى صاحب الجلالة ، الملك المعظم ، سيدى محمد الخامس

نصركم الله وايدكم ، وابقاكم لامتكم الوفية المخلصة ، أملا باسما ، ومنارا هاديا ، وضمانا لاستقرار حاضرها ، ولازدهار مستقبلها ، ولبلوغها اقصى ما تصبو اليه في ظل عرشكم المجيد من الرفاهية والسعادة والتقدم

مـــولاى

ان وزارة الاوقاف اذ تتقدم الى كريم أعتابكم بالعدد الاول من مجلة (دعوة الحق) انما ترد الى جلالتكم بضاعة انتم فى الحقيقة اهلها ، وتضع بين يديكم نتاج عقول انتم ملهمها ومربيها ورائدها ، وتنفذ امرا تفضلتم باصداره اليها ، استجابة لرغبة ملحة ، وتحقيقا لامنية طالما داعبت قلوب العاملين والمصلحين من افراد شعبكم المخلص، وحرصا على هذه الامة الكريمة الا تضل بين الدعوات ، والا تتفرق بها السبل ، والا تضطرب فى خضم التيارات الجارفة ، والا تنخدع بقشور الحضارة عن لبابها ، والا تغفل عن مقدساتها وتاريخها ، والا تنسى أن صرح المجد الذى تسعى جادة لبنائه ، لن يكون متينا الا اذا قام على اساس متين من هذه المقدسات ومن هذا التاريخ

لقد ادركتم - يا مولاى - ببصيرتكم النافذة ، وبتوفيق الله الذى لايتخلى ، ولن يتخلى عنكم ابدا ، ان امتكم فى الظروف التى تجتازها الان ، احوج ما تكون الى صوت يدعوها بدعوة الحق ، لينير لها الطريق الى الحق ، وان غاية ما ترجوه هذه المجلة، ان تكون عند حسن ظن جلالتكم ، وان توفق فى ضم اصوات الدعاة والمصلحين والعلماء، والشباب المثقف من ابناء هذا القطر السعيد ، بعضها الى بعض ، لتجهر جميعا بهذه الدعوة ، ولعلهم ان فعلوا ، ان يجدوا - لهذا الصوت - من الصدى اكثر مما كانوا يتوقعون ، والفضل أولا وأخيرا لكم ، فأنتم الداعية الاكبر ، وأنتم المثال الحى للاخلاص والتضحية والدين المتين .

5

## نسخة مجلة الوعي

تحتوي مكتبة مجلة الوعي على نسخة كاملة من هذه الدرة الثمينة، وقد جمعت أعدادها في: (٧٤) مجلدا، وهي في متناول قرائها الكرام.

## المصادر

- مجلة دعوة الحق.
- الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

## إضافة الفائدة إلى صاحبها

قال الإمام النووي رحمه الله: ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلى قائلها، فمن فعل ذلك بورك له في عمله وحاله... ومن أوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له فهو جدير ألا ينتفع بعلمه، ولا يبارك له في حال.
**(بستان العارفين، ص:١٦)**

## أم المؤمنين

وصف الإمام ابن القيم في مقدمة كتابه «أعلام الموقعين» الصحابة العلماء، وذكر منهم أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، وقال: وكانت مقدمة في العلم بالفرائض والأحكام والحلال والحرام، وكان من الآخذين عنها، الذين لا يجاوزون قولها، القاسم بن محمد وعروة بن الزبير رضي الله عنهم.
**(أعلام الموقعين، ٣٩/٢)**

## ضياع الأمانة

نقل العلامة ابن مفلح الحنبلي، رحمه الله، عن الفريابي أنه قال: كنت عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال: يا أباعمرو، هذا كتاب صديقك وهو يقرأ عليك السلام. فقال الأوزاعي: متى قدمت؟ قال: أمس. قال: ضيعت أمانتك، لا أكثر الله في المسلمين أمثالك.
**(الآداب الشرعية والمنح المرعية، ٤٠/١)**

## ستيتة بنت القاضي المحاملي

ترجم العلامة ابن كثير، رحمه الله، لستيتة بنت القاضي الحسين المحاملي فقال: قرأت القرآن، وحفظت الفقه والفرائض والحساب والدرر والنحو وغير ذلك، وكانت من أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي.
**(البداية والنهاية، ٣٢١/١٢)**

## العجلة

قال العلامة أبو إسحاق القيرواني: قال بعض الحكماء: إياك والعجلة؛ فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة، واعتزل السلامة.
**(زهرة الآداب وثمر الألباب، ٩٤٢/٤)**

## أوصني

قال ابن هانئ (أحد أصحاب الإمام أحمد): قال له رجل (أي: للإمام أحمد): يا أبا عبدالله أوصني.
قال الإمام أحمد: أعز أمر الله حيثما كنت؛ يعزك الله.
**(مسائل ابن هانئ، رقم:١٩٦٨)**

## إرشاد الألباب إلى التعلم

قال العلامة أبو العباس الوراق رحمه الله:

- ❖ من تعلم ساد، ومن تفهم ازداد.
- ❖ من جالس العلماء أدبوه، ومن قارب السفهاء أفسدوه.
- ❖ من عرف بالحكمة والوقار لاحظته العيون بالإجلال والإكبار.
- ❖ ما قرأت فتدبره، وما حفظت فتفكره.
- ❖ حسن الاستماع من العلم، ورد الجواب من الفهم.
- ❖ ليس للعلوم غاية، ولا للتجارب نهاية.
- ❖ من استغنى عن مشاورة الرجال؛ لم يدرك الآمال.
- ❖ تعلم عملا من الأعمال؛ يغنك إن كنت فقيرا من المال.
- ❖ الكسل والتواني ضر؛ والتضييع يورث الفقر.
- ❖ من كسل عن التكسب والعمل؛ فإنه على غير كسبه اتكل.
- ❖ الفقير غريب في بلده، ولو كان بين أهله وولده.
- ❖ عليك بالحرفة مع العفة.
- ❖ من ألح في مسألة الناس؛ استحق الحرمان والياس.
- ❖ اقصر في الإنفاق ولو ملكت العراق.

**(تأليف الافتراق من حكم ابن الوراق، ص:٣٠)**

## الغناء

عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، رحمهما الله، قال: سألت أبي عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني.
**(تلبيس إبليس لابن القيم، ص:٢٨٠)**

## وصية عزيزة

لما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه دخل عليه الحسن وهو باك، فقال له علي: يا بني، احفظ عني أربعا وأربعا. قال: وما هن؟
قال: أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الكرم حسن الخلق.
قال الحسن: فالأربع الأخر؟
قال: إياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.
وإياك ومصادقة الكذاب، فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب.
وإياك ومصادقة البخيل، فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه.
وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه.
**(وصايا وعظات للحموي، ص:٥٣).**

## إضاعة الوقت أشد من الموت

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها، والدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة فكيف بغم العمر.
**(الفوائد لابن القيم، ص:٣٢)**

## ذو القعدة

سمي بهذا الاسم لأن العرب كانوا يقعدون فيه عن القتال؛ لأنه من الأشهر الحرم، وهو من شهور الحج، فيستعدون فيه للحج.

سعيد عبيدي
باحث دراسات إسلامية

# الإرهاب الإلكتروني

لقد أدى ظهور الإنترنت والحواسيب والآلات الذكية وغيرها إلى تغير شكل الحياة اليومية، فقد أصبح الاعتماد على هذه الوسائل يزداد يوما بعد يوم، سواء في المؤسسات المالية أو المرافق العامة، أو المجال التعليمي، أو الأمني أو غير ذلك، بيد أنه وإن كان للوسائل الإلكترونية الحديثة ما يصعب حصره من فوائد، فإن الوجه الآخر، والمتمثل في الاستخدامات السيئة والضارة لهذه التقنيات الحديثة، أصبح خطرا يهدد العالم بأسره، فمع هذا التطور المطرد لهذه التقنيات تطورت أساليب المجرمين، وعلى رأسهم الإرهابيون الذين عمدوا في الآونة الأخيرة إلى استخدام التقنية الرقمية لتنفيذ عملياتهم الإرهابية، لذلك طغى على الساحة في عصرنا الراهن نوع جديد من الإرهاب، هو ما أصبح يعرف بـ«الإرهاب الإلكتروني» أو «الإرهاب الرقمي» electronic or digital terrorism، إذ بات من السهل عند هؤلاء تهديد الحياة العامة عن طريق اقتحام المواقع الإلكترونية وتدميرها وتغيير محتوياتها، أو الدخول على شبكات الاتصال بهدف تعطيلها عن العمل أطول فترة ممكنة أو تدميرها نهائيا، كما بات عندهم من الضروري ابتكار آلاف المواقع لنشر أفكارهم ومعتقداتهم والتخطيط والتجهيز لعمليات إرهابية، ولتنسيق وتبادل الخبرات الميدانية العملية فيما بينهم، فالإرهاب الإلكتروني هدفه إلحاق الشلل بأنظمة القيادة والسيطرة والاتصالات، وكذا تعطيل أنظمة الدفاع، واختراق النظام المصرفي، وإرباك حركات الطيران المدني، وشل محطات الطاقة الحرارية أو النووية، فهذا هو الأسلوب الجديد للإرهابيين حاليا في محاولة الوصول إلى أغراضهم بكل ارتياح وطمأنينة، لذا من الأهمية بمكان مدارسة مفهوم الإرهاب الإلكتروني، ومعرفة أشكاله، وطرق مكافحته.

## مفهوم الإرهاب الإلكتروني

يعرف الإرهاب الإلكتروني على أنه «جريمة العدوان أو التخويف أو التهديد، ماديا أو معنويا، باستخدام الوسائل الإلكترونية، سواء كان صادرا من الدول أو الجماعات أو الأفراد، على الإنسان بشكل عام. وعلى سبيل المثال الأعمال غير المشروعة التي يكون فيها الكمبيوتر أو الهاتف إما وسيلة أو هدفا أو كليهما، والتي من شأنها أن تؤدي إلى الأنشطة التخريبية أو التهديد بها في عالم الإنترنت، مع نية تحقيق المزيد من الأهداف الدينية أو السياسية أو نحوها، أو لتخويف أي شخص وبث الرعب في نفسه»(1).

ويعرف كذلك على أنه «العدوان أو التخويف أو التهديد المادي أو المعنوي الصادر من الدول أو الجماعات أو الأفراد على الإنسان، في دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله أو ماله بغير حق، باستخدام الموارد المعلوماتية والوسائل الإلكترونية بشتى صنوف العدوان وصور الإفساد»(2).

كما عرفته الاتفاقية الدولية الأولى لمكافحة الإجرام عبر الإنترنت في

بودابست عام ٢٠٠١م، على أنه «هجمات غير مشروعة، أو تهديدات بهجمات ضد الحواسيب أو الشبكات أو المعلومات المخزنة إلكترونيا، توجه من أجل الانتقام أو الابتزاز أو الإجبار أو التأثير في الحكومات أو الشعوب أو المجتمع الدولي بأسره، لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو اجتماعية معينة. وبالتالي لكي ينعت شخص ما بأنه إرهابي على الإنترنت، وليس مخترقا فقط، فلابد أن تؤدي الهجمات التي يشنها إلى عنف ضد الأشخاص أو الممتلكات، أو على الأقل تحدث أذى كافيا من أجل نشر الخوف والرعب»[٣].

## التشابه والاختلاف

من خلال التعاريف السابقة يتضح لنا أن الإرهاب الإلكتروني لا يختلف كثيرا عن الإرهاب «التقليدي»؛ فالقاعدة الأساسية التي يستند إليها الإرهاب التقليدي هي نفسها التي يستند إليها الإرهاب الإلكتروني؛ وهي التهديد وما يثيره من فزع وخوف وترويع، والذي يؤدي في نهاية المطاف إلى عدم الاستقرار النفسي لدى الضحية، ضف إلى ذلك أن كلا منهما الغرض منه الإخلال بالنظام العام وتعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر من جهة، وأن كليهما يقوم على خلفية سياسية أو عرقية أو دينية من جهة أخرى.

ورغم اتفاقهما في الهدف، فإن الإرهاب الإلكتروني يختلف عن الإرهاب التقليدي في عدة نقاط، أهمها الوسيلة المستخدمة.

## أشكال ومظاهر

## يتخذ الإرهاب الإلكتروني مظاهر وأشكالا متعددة نذكر منها:

١ - قيادة الجماعات الإرهابية ونشر الأفكار المتطرفة: حيث يمكن من خلال شبكة الإنترنت بث الأفكار المتطرفة، سواء أكانت سياسية أم دينية أم عنصرية، وبالتالي السيطرة على وجدان وعاطفة الأفراد واستغلال معاناتهم لتحقيق أهداف إرهابية، والإساءة إلى المجتمع ككل، فالجماعات والمنظمات الإرهابية تستخدم الشبكة المعلوماتية العالمية لنشر ثقافة الإرهاب والترويج لها، وبث الأفكار التي تنادي بها، كما تسعى جاهدة إلى توفير أكبر عدد ممكن من الراغبين في تبني أفكارها ومبادئها، فمن خلال الشبكة المعلوماتية تقوم هذه التنظيمات بتكوين من لديهم ميول واستعداد للانخراط في الأعمال التدميرية والتخريبية، مما يوفر لديها قاعدة ممن تجمعهم نفس الأفكار والتوجهات، فيسهل تجنيدهم لتنفيذ هجمات إرهابية في المستقبل[٤].

٢ - القصف الإلكتروني: ويطلق عليه كذلك مصطلح «التشبع» Saturation، أو الهجوم المعلوماتي، أو الإغراق بالرسائل؛ وهو نوع من الاعتداء ضد الجهوزية أو قابلية عمل النظام المعلوماتي، ويقضي بملء نظام معلوماتي بكم هائل من البيانات إلى حد لا يعود بالإمكان معه استعماله بشكل صحيح[٥].

## طرق الوقاية من الإرهاب الإلكتروني

للوقاية من الإرهاب الإلكتروني اقترح الباحثون وضع استراتيجيات متنوعة قصيرة وطويلة المدى؛ فعلى المدى القصير يجب أن تعتمد استراتيجية الوقاية من الإرهاب الإلكتروني على ما يلي[٦]:

١ - تخطيط وتنفيذ الضربات الوقائية الاستباقية ضد الخلايا الإرهابية وإحباط مخططاتها وشل قدراتها في الزمان والمكان المناسبين.

٢- استهداف وإضعاف القيادات الإرهابية وزعزعتها وتحييدها وضرب اتصالاتها وروابطها البينية وتجفيف مصادرها البشرية والمالية والفكرية.

أما على المدى الطويل فإن إجراءات مكافحة الإرهاب الإلكتروني يجب أن تتضمن ما يلي[٧]:

١- وضع خطط إستراتيجية شاملة ومترابطة مبنية على دراسات وأبحاث ميدانية معمقة في مجال مكافحة الإرهاب العالمي بكل أشكاله وصوره.

٢- بناء وتطوير وتفعيل مراكز ومؤسسات مكافحة الإرهاب الدولية في إطار القطاعين العام والخاص على مستوى العالم.

## الهوامش

١- محمد بن عبدالله آل فايع العسيري وحسن ابن أحمد الشهري، استعمال الإنترنت في تمويل الإرهاب وتجنيد الإرهابيين: الإرهاب الإلكتروني وبعض وسائله والطرق الحديثة لمكافحته، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ص:٢٢٥.

٢- مدحت عبدالحليم رمضان، الحماية الجنائية للتجارة الإلكترونية: دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص:١٥٢.

٣- انظر: حسن مظفر الرزو، الفضاء المعلوماتي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص:٦٣.

٤- عصام عبدالفتاح مطر، التجارة الإلكترونية في التشريعات العربية والأجنبية، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠٩م، ص:١٣٠.

٥- عبدالرحيم صدق، الإرهاب السياسي والقانون الجنائي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص:٤٥.

٦- نفسه، ص:٤٧.

٧- أيسر محمد عطية، دور الآليات الحديثة للحد من الجرائم المستحدثة: الإرهاب الإلكتروني وطرق مواجهته، كلية العلوم الإستراتيجية، عمان، ص:٣٨.

# بريد القراء

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير



## حقوق المرأة قضية قديمة متجددة

كثر الحديث منذ بداية القرن الماضي عن حقوق المرأة حتى تم تخصيص اليوم العالمي للمرأة في السبعينيات منه للتذكير بنضالها والمطالبة بحقوقها. وقد حاول البعض استنساخ تلك التجربة التي لم تنشأ في بيئتنا ولم تستمد من تعاليم ديننا، رغم الانتهاكات التي تتعرض لها المرأة في البلاد التي نالت ما يطمح إليه البعض.

ومجمل القول في العلاقة بين الرجل والمرأة أنهما من نفس واحدة، لكن هل الرجل كالمرأة في الخصائص والقدرات؟ يقول الخالق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ (آل عمران: ٣٦) فقد أعطى لكل نوع صفات تمكنه من القيام بدوره في الحياة، لكن ماذا عن الحقوق التي لكل طرف على الآخر؟

أجملها الله تعالى في قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨)؛ فلهن حقوق وعليهن واجبات وكل حق يقابله واجب والدرجة التي للرجال لتمكينهم من القيادة الرشيدة للأسرة. والمعروف يعلو على الحق تجده في حالة الزوجية وحالة الطلاق، يقول عزوجل: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ (البقرة: ٢٣١).

إن هذه التعاليم السمحة عندما نحاول صبغها بالأعراف والتقاليد تفقد نورها السماوي وتختلط بظلم البشر وظلمات الأرض؛ فحق المرأة أكبر مما يخدعونها به، حقها أن تنال التكريم الذي أعطاه الله لبني آدم وأن تنال العناية التي تستحقها اللآلئ المكنونة وأن يتاح لها القيام بمهماتها التي تناسبها في بناء الإنسان وعمارة الكون.

**د. محمد عطية متولي**
**إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية**



## هل الأمة الإسلامية لا تقرأ؟

سؤال قد يبدو غريبا، لكنه مشروع، لأن العديد من الباحثين يرون أن الأمة الإسلامية لا تقرأ، وهذا رأي فيه الكثير من المبالغة، بل والظلم أيضا، فكيف يعقل أن أمة «اقرأ» لا تقرأ؟! وكيف توصف بهذا الوصف وفيها العدد الكبير من المفكرين والعلماء والباحثين في مختلف مجالات الحياة والعلم والمعرفة؟! وكيف لا تقرأ وهي مازالت في حيويتها ونشاطها ومازال أعداؤها يحسبون لها ألف حساب وحساب؟!

ولو كانت كما يدعي المدعون لكانت قد ماتت من زمان، لأن الأمم التي انقطعت عن القراءة سرعان ما تموت. وإذا كانت أمة لا تقرأ، فلماذا تُطبع وتُنشر فيها الأعداد الهائلة من الكتب والصحف والمجلات كل يوم؟ وهذا ما ينفي عنها هذا الاتهام الذي يوجه إليها. ولا شك في أنها أمة تقرأ ولا يهم إن كان ما تقرأه ورقيا أو إلكترونيا، إلا أن الأمر الذي يُطرح وبإلحاح هو: هل تستفيد مما تقرأ؟ هذا يمكن الاتفاق حوله فالعديد من الناس يقرأون ولكن لا يجنون فائدة مما قرأوا، إما لكون المقروء غثا وتافها، وإما لتمضية الوقت فقط أو لاجتياز امتحان أو مباراة؛ ولهذا فالمطلوب من أبناء هذه الأمة أن يتخيروا ما يقرأون، ما يفيدهم في معاشهم ومعادهم.

**عبد اللطيف خروبة**



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com



## في حب القرآن

هدى تصير النار بردا بذكره
وهلّ مجيدا يغمر الكون عزة
لقد أثمرت آياته أدبا لنا
فكم ارتقى بالدهر في زمن الدجى
وينهال أفضالا علينا يصوننا
نراه حسان الخير في ظلمة الشر
وحلّ شفيعا كم يجير وكم يبري
نصول به سيفا يقود إلى النصر
ينير المدى يزدان حسنا من البر
برب فلا تخش لظى الكفر والقهر

معنى البر: الله سبحانه وتعالى. معنى يبري: ينفع

محمد طلعت دنيا



## إنسان العصر وإشكالية المعرفة

تقرر في توصيات البيان الختامي للندوة الدولية الإعلامية في مدينة هامبورج الألمانية سنة ٢٠٠٢م على ضرورة تنبه المجتمع الدولي إلى مسألتين مستقبليتين مهمتين جدا، سيكون لهما الدور الفعال في التميز والتفاضل والسبق بين المجتمعات البشرية. أما أولاهما فهي: رفع شعار الندوة المحذر (منذ متى وأنت غارق في شبكة المعلوماتية). وأما ثانيهما فهي: تحديد المراحل الزمنية التي مر بها المجتمع البشري في رحلة التعامل مع المعلومة والخبر والوسيلة، فعد البيان الختامي أن المرحلة السابقة لسنة ١٩٩٥م، هي مرحلة عصر الإعلام، وأن العالم بعدها دخل مرحلة المعلومات الفضائية، ليبدأ عهدا جديدا مع عصر المعرفة سنة ٢٠٠٢م، مع المعرفة البرقية الإلكترونية.

وبعد أن كان الصراع المحتدم منذ قرن بين الشمال المتقدم والجنوب المتخلف قائما على حجب العلوم والمعارف وكتمان العلوم التسخيرية النهضوية، وعدم التعاون مع الجنوب المتخلف في نقل التكنولوجيا والصناعة.. انقلب الأمر عكسيا، وصارت المعلومات متوفرة، بل المعارف متراكمة إلى حد العجز عن هضمها والتعامل معها.

وقد أعلن المتفوق ماديا والمتحكم في الدواليب والمحركات العالمية منذ سنة ٢٠٠٢م، أن عصر نشر المعرفة وبثها عالميا لا يخيفه البتة، وبناء على هذه القناعة فقد قرر طرح كل ما صدر ويصدر عنده من معارف وعلوم وابتكارات واختراعات واكتشافات في مختلف ميادين الحياة في عالم الشبكات الإلكترونية لتستفيد منه البشرية إن استطاعت إلى تلك الاستفادة سبيلا. وللأسف الشديد فلم يكن الفرد والمجتمعات المتخلفة مهيأة ومستعدة لاستقبال هذه المرحلة الموسومة بعصر المعرفة الإلكترونية والتعامل معها وفق المقتضيات الحضارية بل حتى المدنية المادية المطلوبة، لاعتبارات طويلة وعريضة ليس مقام عرضها أو مناقشتها الآن.

أ.د. أحمد محمود عيساوي

مسك الختام

# حقيقة التدين

يخلط الكثير من الناس بين التدين والمرض النفسي.. فبعضهم يتوهم نفسه، نتيجة حرصه الظاهر على الدين وشرائع الدين، أنه متدين ومتق وصالح، بينما هو في الحقيقية ليس سوى ضحية لبعض الأمراض النفسية الخطيرة.

وأهم اختبار يختبر به المؤمن نفسه حتى يعرف حقيقته، ولا يدع الشيطان يمده بحبل غروره هو أن يرجع إلى القرآن الكريم ليعرض نفسه عليه.. فهو الكتاب الإلهي الذي وضع الله فيه مقاييس الهداية ومقاييس الغواية والضلال ومرض القلب ونحو ذلك.

وأول صفات المتدينين في القرآن الكريم وأكثرها ذكرا هو ذلك الهدوء والطمأنينة والتواضع والتؤدة..

فالله عزوجل يقول: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان:٦٣)، ويقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال:٢).

وهم لذلك مسالمون محبون للخير ممتلئون بالرحمة لكل شيء. لا تجد فيهم حقدا ولا حسدا ولا غلا ولا كذبا. يعيشون مع الله وفي صحبة أوليائه. ولذلك ينزهون ألسنتهم وقلوبهم من أن يتسرب إليها أي مرض من الأمراض التي تحول بينهم وبين تلك الصحبة الشريفة.

أما أصحاب الأمراض النفسية، أو الذين مزجوا تدينهم بأمراضهم النفسية، فهم مثل أبي لهب الذي كان حريصا على دينه، ولذلك كان يسير خلف رسول الله ﷺ في كل محل يذهب إليه. يسير خلفه بحقده وكبريائه وغروره، لينفِّر منه، ويملأ قلوب الناس حقدا عليه..

وللأسف ما أكثر المتدينين بدين أبي لهب في عصرنا. نعم، هم لا يعبدون الأصنام الحجرية، ولكنهم يعبدون أصناما كثيرة عجنوها بأهوائهم، ثم راحوا يتمسحون بها، ويرمون كل من خالفهم في عبادتها بسهام أحقادهم وسموم قلوبهم التي عشش فيها الشيطان.

ومن المقاييس الشرعية التي يمكن من خلالها التمييز بين التدين والمرض النفسي علاقة الملتزم بأهله، فقد وضع رسول الله ﷺ مقياسا لذلك نص عليه بقوله: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) (رواه الترمذي وابن ماجه).

فالمتدين، كما ينص القرآن الكريم في مواضع كثيرة، يخفض جناح الذل لوالديه، ويرحمهما، ويحسن إليهما، ولو كانا مشركين ضالين عاصيين، حتى لو قررا رجمه ونفيه، فإنه لا يقابل ذلك إلا بالإحسان والاستغفار والتواضع.

أما المريض نفسيا، فهو الذي يترك ذلك الهدي القرآني والنبوي الراقي، ويتعامل مع أهله بكل قسوة. بل إن منهم من يلعن والديه، ويملأ حياتهما نكدا بسبب مخالفات بسيطة، أو بسبب انتقادات ونصائح منهما له. أما الزوجات والأخوات والبنات؛ فحدث ولا حرج.

---

د. نور الدين بولحية

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw




## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

العدد ٦٣٩ -السنة ٥٥ - ذو القعدة ١٤٣٩ هـ - يوليو - ٢٠١٨ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٤٠) ذو الحجة ١٤٣٩ هـ - أغسطس - ٢٠١٨ م

مجانا مع العدد: براعم الإيمان

## الرَّاحِلُونَ إلى الرَّحْمَن

- اصْنَعْ مُسْتَقبَلَ صَغِيرِك
- تحِقيقُ المخْطُوطِ الإسْلَامِي
- أزمَةُ الخِطَابِ التَّربَوِي

هديَّةُ العَدَد معلَّقة: «شجرةُ الرواةِ المكثرين»

 مجلة الوعي الإسلامي
 www.alwaei.gov.kw
 alwaeiq8@gmail.com
 موقع مجلة الوعي الإسلامي

# جديدنا




## جهود علماء الكويت

جمع هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة قيمة من المقالات العلمية والإيمانية، والكلمات الخطابية الرصينة لثلة فاضلة من علماء الكويت وأعلامها. ويأتي هذا السفر الجليل ليكون لبنة جديدة من لبنات خدمة تراث الكويت وإبراز علمائها، الأمر الذي تعتني به مجلة «الوعي الإسلامي» من خلال سلسلة إصداراتها العلمية والتراثية القيمة.

ويتضمن هذا الكتاب مقالات علمية وإيمانية ووعظية نشرت في مجلة «الوعي الإسلامي» في الفترة من: (١٣٨٥ - ١٣٩٥هـ) لبعض علماء الكويت وأعلامها، إبرازا لإسهاماتهم وجهودهم في هذه المجلة العريقة.



فهد محمد الخزّي
رئيس التحرير



# الحج.. توثيق الصلة وتجديد الولاء

ها هي وفود من الناس تتقاطر إلى هذا البيت العتيق، تهوي إليه أفئدتهم قبل أجسادهم، يفدون إليه رجالا ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧).

إن من تأمل قصة هذا البيت العتيق وما مر به عبر القرون والعصور، وهو شامخ البنيان، ثابت الأركان، بدأ في واد غير ذي زرع، لا ماء به ولا شجر ولا شيء، ليس به أنيس ولا جليس، ونراه اليوم بيتا معمورا، لا تمر لحظة إلا وفيه طائف أو راكع أو ساجد؛ يدرك أن العناية الإلهية تحيطه وترعاه.

هذا البيت الذي تظهر من بين جنباته معان عظيمة، فالشرع عندما منع الحاج والمعتمر مما حرمه الله عليه حال النسك، إنما كان هذا الأمر ليرسخ في أفئدتهم مبدأ الوقوف عند حدود الله، والسمع والطاعة له فيما أباح وفيما حرم، لا يجادلون في حرمة ذلك، ويتلقونه بعين الرضا، والتعبد للواحد القهار الذي منعهم من مزاولة وملابسة ما نهاهم عنه، فيدركون أن الحكم لله وحده، والأمر لله وحده، وأنه لا معبود بحق إلا الله، وبمثل هذا تصقل النفوس المؤمنة، وتجدد الولاء لربها بالتوحيد الخالص قائلة: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

في جنبات هذا البيت العتيق تصفو العقيدة ويخلص التوحيد، وتجتنب الكبائر، ويكون اجتنابها سببا في تكفير الذنوب، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء:٣١).

لا غرو، فمن مقاصد هذا الركن العظيم: إقامة ذكر الله بالتوحيد؛ فتارة يكون بالتلبية، وتارة يكون بالتهليل، وتارة يكون بالتكبير، وكلها أذكار تؤكد انفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وهكذا تظل جموع الحجيج تجأر بذكر الله، لها هدير لا ينقطع، يستحب لهم ذلك كله حال القيام والقعود والمشي والركوب، والاضطجاع والنزول، والسير في الليل والنهار، وعند الأسحار، وفي أدبار الصلوات؛ فقد سئل النبي ﷺ: أي الحج أفضل؟ فقال: «العج والثج» (رواه الترمذي).

وختاما؛ فمكة – البلد الحرام – عبق الذكريات الخالدة، وشذا البطولات الماجدة، هي مركز العالم، وقطب الرحى في كيان هذه الأمة، اسألوا عن ذلك التاريخ من آدم عليه السلام إلى إبراهيم، حيث بناء البيت، وحيث المقام والحطيم وزمزم وهاجر وإسماعيل، إلى نبينا محمد ﷺ، يصدع بدعوة الحق في تلك البقاع إلى أن يعود إليها فاتحا مظفرا، إلى الصحابة الكرام والفاتحين العظام وبذلك تتحقق أكبر منافع الحج بإذن الله.

وطيبة الطيبة، قد فضلها الله بجعلها البلد الذي يتجمع إليه الإيمان إذا ضعف في نفوس أهله؛ فقال ﷺ: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» (رواه البخاري). وقال ﷺ أيضا: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة» (رواه البخاري).

# الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٤٠ / ذو الحجة ١٤٣٩ هـ
العام الخامس والخمسون
أغسطس ٢٠١٨م





**المراسلات**

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net




## في هذا العدد





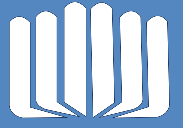

## التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

| | |
|---|---|
| • المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩ | • مصر: مؤسسة أخبار اليوم<br>هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠ |
| • مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ - ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤ | • السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣ |
| • قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر<br>هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩ | • لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠ |
| • الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧ | • المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف<br>هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢ |
| • سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع<br>هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠ | • تونس: الشركة التونسية للصحافة<br>هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤ |
| • الأردن: وكالة التوزيع الأردنية<br>هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣ | |

## سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٣ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠درهم • تونس: دينار واحد تونسي.



# المحتويات





# كلمة العدد

## الحج قوة

إنه حقا لدين قويم، وإنها لفريضة جامعة.. مظاهر أدائها تستحق التدبر حينا بعد حين؛ منذ أن يهم القادرون عليها بترك بيوتهم ومصالحهم الدنيوية وأهليهم إلى الوقوف على جبل واحد مهيب؛ مرورا بالطواف والسعي في زي أبيض بسيط غير مخيط.

يتدفق المسلمون من كل فج عميق فترى في تدفقهم قوة.. يبدأون الطواف في اتجاه واحد وحركة واحدة فترى في طوافهم قوة.. يسمعون إقامة الصلاة فيصطفون في ثوان معدودات خلف إمام واحد كمظهر جديد من مظاهر القوة.

هذا العدد الهائل المقترب من مليوني فرد؛ رجالا ونساء، شبابا وعجائز، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبلدانهم، لا يستطيع شيء أن يوحدهم كما يوحدهم نداء الله أكبر.. وهذا لعمري مظهر من مظاهر القوة، ولننظر إلى هذا الكم من اللحوم التي يوزعها أصحاب الأضاحي ومن يقومون عليها ليطعم منها البائس الفقير ويشكر الله على هذه النعمة التي أنعم بها على عباده المؤمنين أليس هذا بمظهر من مظاهر القوة؟!

التحرير

## الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

**ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

حجازي عبدالنبي
باحث دراسات إسلامية

# الأخلاق الإسلامية وأثرها في المجتمعات الإنسانية

يدعو الإسلام لحسن الخلق والمعاملة الطيبة للناس والإحسان إليهم، ونهى عن كل ما يضر بنا أو غيرنا، وعن القبائح التي ينفر منها الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ (النحل:٩٠)، والناظر في حقيقة الإسلام سيلحظ مكانة عظيمة وجليلة تحتلها الأخلاق، التي جاء النبي الكريم لإتمامها كما قال في الحديث الشريف: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (رواه أحمد)، فمكارم الأخلاق «دلالة على أداء الواجبات الاجتماعية بكفاءة وإتقان، ودلالة على جودة العمل الفردي والاجتماعي بمهارة، ودلالة حسن التكيف الاجتماعي بين الأفراد من أجل حياة سعيدة نامية متجددة»[(١)].

## مفهوم الأخلاق

الأخلاق كما يقول الأستاذ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني صاحب كتاب «الأخلاق الإسلامية وأسسها» هي: «صفة مستقرة في النفس -فطرية أو مكتسبة- ذات آثار في السلوك، محمودة أو مذمومة، ويقاس مستواه عن طريق قياس آثاره في سلوك الإنسان، والسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فالصفة الخلقية الحميدة تكون آثارها في سلوك الإنسان حميدة كذلك، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وكما أن الشجرة تعرف بالثمرة، فكذلك الخلق الطيب يعرف بالأعمال الطيبة»[(٢)].

وتعد الأخلاق الحسنة دليل نبوغ واستقلال شخصية الإنسان، فهو مطالب بأن يتعامل مع كل الناس، يدعوهم ويقوم بخدمتهم ونصحهم وإرشادهم، بل وهو أفضل من غيره الذي يقف مكتوف الأيدي دون أن يخالط مجتمعه ويكون عضوا فاعلا غير مهمل، ففي الحديث الذي رواه الإمام الترمذي وصححه الشيخ الألباني في صحيحه يقول رسولنا ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»، وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما في بشارته للدعاة يقول الرسول الكريم ﷺ: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم». ومن هنا تميز الإنسان صاحب الخلق الحسن عن غيره من الناس فهو ليس مثلهم لكونه غير مؤهل أخلاقيا، وقد جمع رسولنا الكريم ﷺ جل الأخلاق في الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد في مسنده: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فهو عليه الصلاة والسلام جمع كل خصال الخير ومكارم الأخلاق جميعها في هذه المقولة الموجزة والمختصرة.

يقول المؤرخ العالمي ول ديورانت في موسوعته «قصة الحضارة» عن مدى تفاعل أخلاق المسلمين في صدر الإسلام مع المجتمعات غير الإسلامية وكيف كان تعاملهم بالأخلاق الفاضلة سببا في نشر دعوتهم ونهضتها وشهرتها: «إن المسلم كان أرقى من المسيحي في خلقه التجاري، وفي وفائه بوعده، وإخلاصه للمعاهدات التي يعقدها مع غيره، ولقد أجمعت الآراء على أن صلاح الدين كان أنبل من اشترك في الحروب الصليبية»[(٣)].

## الأخلاق في القرآن الكريم

لقد أكد الله تعالى منذ الوهلة الأولى لنزول القرآن الكريم أنه كتاب هداية ونصح وإرشاد كي تضاء به الدنيا، وتهذب به الأخلاق، ويقوم به المعوج، ويصلح به حال الدنيا ومن ثم حال الآخرة، ولهذا كله اهتم القرآن الكريم ببث روح الأخلاق الإسلامية ومدى تأثيرها على الأفراد والمجتمعات، ومن هنا جاءت كل الأخلاق الإسلامية تعطي من الصفات ما يجب أن يتحلى به المسلم ليكون مثالا يقتدى به في المجتمعات غير الإسلامية.

إن القرآن الكريم هو أصل الأخلاق الإسلامية، والإسلام يمثل رباطا قويا متماسكا بين القول والعمل فهو يقوم على بناء مفهوم التقوى الذي يحسن النية ويحافظ على ما في داخل الإنسان حتى لا يرتابه الشك أو الكبر والرياء.

وحين ندرس النص القرآني ونقوم بتتبعه نجد أن كلمة «خلق» قد وردت

مرتين في القرآن الكريم:

الأولى وردت في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء:١٣٧)، وفي هذا يقولون له إن هذه الأخلاق التي جئت بها إلينا وتريد أن تبثها فينا ما هي إلا بعض مما جاء به الأولون أمثالك من قبل، وفي هذا يتبين لنا أن الدعوة الأخلاقية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون إنما هي منهج واحد متناسق يدعو إلى صلاح المجتمعات والأفراد؛ فالأخلاق الإسلامية إنما هي ينبوع من ينابيع الرحمة التي أودعها الله تعالى في قلوب عباده كي تكون موصلة إلى الفضيلة مما يشع في قلب العبد السعادة الأبدية بينه وبين أبناء المجتمع.

والثانية وردت في سورة القلم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) وفي هذه الآية الكريمة نرى أن الخطاب الرباني لنبينا محمد ﷺ واصفا إياه بالخلق الحسن، وتؤكد كتب السيرة أن هذه الأخلاق ليست لأحد إلا للنبي ﷺ فهو أحسن الناس خلقا وأكثرهم محبة ورأفة ورحمة.

كما وردت في مواضع أخرى، نذكر منها الآتي:

- ما يحض على الأمر بالمعروف والنهي عن نسيان الفضل ونسبته لأهله، قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧).
- من الحكم الجليلة والصفات الحميدة المعاملة بالحسنى لمن عصى الله فيك أن تطيع الله تعالى فيه، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢).
- في الأوامر والنواهي نرى أن الله تعالى قد حثنا على الفضائل جميعها ونهانا عن الرذائل والفواحش من الأقوال والأفعال قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠).

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على نشر الفضيلة والأخلاق الحسنة بين أبناء المجتمع مما دعا إليه القرآن الكريم من مكارم الأخلاق وما حسن من العادات، فكل ما كان طيبا من عادات وتقاليد لا يثمر إلا طيبا وخيرا.

## الأخلاق الحسنة دليل على نبوغ الإنسان

### الأخلاق في السنة

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» متفق عليه. وفي الحديث دلالة على أن إطعام الطعام وإفشاء السلام فيه من المودة والقربى ما تلين به القلوب ويزيد أواصر المجتمع حبا وفضلا وكرما، وهما طريق لسعة الفضل وسبب من أسباب النماء والخير. وقال ﷺ لأشج عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى ورسوله: الحلم، والأناة» (رواه مسلم).

ومن المعلوم أن المؤمن ببسط وجهه للناس يستطيع أن يؤلف قلوبهم نحوه، فالبشاشة والأخلاق الحسنة ليست لأي أحد إلا من وفقه الله تعالى ونضر وجههفعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» (صحيح الترمذي ٢٦٦١).

### أثر الأخلاق على المجتمعات

إن الأخلاق الإسلامية سبيل الرقي والتقدم للمجتمع ولأجل هذا ساد المجتمع الإسلامي بالأخلاق الحسنة في صدر الإسلام. ودعامة أي مجتمع «العلم والأخلاق» فهما أهم شيء في الحياة فبالعلم تتهذب النفوس وتنأى النفس بنفسها عن الخطأ والزلل فالأخلاق هي الوسيلة الوحيدة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة، والقرآن شفاء الأرواح فهو مصدر الأخلاق الأسمى.

وختاما نقول إن ديننا الحنيف قائم على ركائز ودعائم ثابتة تدعو للبذل والإنفاق في وجوه الخير لتنمية المجتمعات الفقيرة والمنكوبة، والمسارعة في فعل الخير، والوقوف بجانب أهل الفقر والحاجة والعوز من أبناء المجتمعات الفقيرة والمنكوبة.

---

### الهوامش

١- الطبيعة البشرية في القرآن الكريم د. لطفي بركات أحمد.

٢- «الأخلاق الإسلامية وأسسها»، الأستاذ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني.

٣- كتاب قصة الحضارة، ول ديورانت (ت:١٩٨١م) الناشر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

محمد حسني عمران
باحث دراسات إسلامية
مصر

# موقف الإسلام من العنف

**حفظ الإسلام للإنسان حقوقه فحرم الاعتداء على النفس والعرض والمال والعقل والدين، وهي الضروريات الخمس التي اعتبرها ديننا القويم غاية وأساسا لقيام المجتمع السليم.**

وقد نبذت رسالة الإسلام كل ما يؤدي إلى تكوين بذور الكراهية أو يساعد على نموها. وتعتبر الرحمة في الإسلام خلقا إسلاميا أصيلا، والعلاقة بين الإيمان والرحمة علاقة قوية وثيقة، فكلما زاد الإيمان في قلب المؤمن كانت أقواله وأفعاله ممتلئة بالرحمة، وكلما نقص الإيمان في قلبه قلت الرحمة وحل مكانها القسوة والعنف.

## العلاقة مع غير المسلمين

الإسلام لا علاقة له بالعنف، ولا يحرض عليه، وأما الذين مارسوا العنف مع أهل الأديان الأخرى بصورة عامة فإن صنيعهم ليس مسايرا لسماحة الإسلام[1]، ومن بين المظاهر التي تنظم العلاقة مع غير المسلمين ما يلي:

١- أقام الإسلام العلاقة مع غير المسلمين على أساس حرية الاعتقاد والتعبد، وهي بدورها تبني على البر وعدم التعرض لهم بالأذى، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة:٨).

٢- حرم الإسلام قتل النفس بغير حق وجعل قتلها كقتل الناس جميعا، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ (المائدة:٣٢). وشدد في قتل المعاهد؛ فعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما»[2].

٣- إن الإسلام لا يقر التطرف ولا العنف ولا الإرهاب ولا يرضى بها، ذلك لأنه دين من سماته الحب والتسامح والعفو، بل إن الدعوة فيه ومن خلاله أن تصل من قطعك، وأن تعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، كما أن الدعوة إليه قائمة على اللين والسماحة واليسر ورفع الحرج[3].

٤- يقر الإسلام الاختلاف في وجهات النظر؛ لكنه لا يقر أسلوب العنف لإجبار شخص على اعتناق فكر معين، ولعل أكبر مظهر على ذلك تعدد المذاهب الإسلامية والفكرية[4].

٥- ينتشر الإسلام بالدعوة الهادفة

والإقناع وليس بالعنف والإرهاب.

فلقد أقام الإسلام دعوته لغير المسلم على النقاش الهادئ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤).

وعليه ينبغي «اعتماد منهج القرآن في الحوار مع المخالف؛ فقد أرشد القرآن الكريم إلى قواعد مهمة في هذا المجال، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣)، وقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥). كما قدم لنا القرآن نموذجا رائعا في محاورة المخالف ولو كان غير مسلم، كما جاء في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف[٥].

## معاملة المسلم للمسلم

لقد أحاط الإسلام علاقة المسلم بأخيه المسلم بسياج آمن، ومنع كل ما من شأنه أن يعكر صفو هذه العلاقة، فحرم الحسد والحقد والغل والتقاطع والتدابر وسوء الظن والسخرية والاستهزاء وحرم سبابه والطعن فيه، فكيف بما هو أكبر من ذلك؟!

وحرم الإسلام قتل المسلم وتوعد فاعله بالعذاب العظيم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٩٣).

**الإسلام ينتشر بالدعوة الهادفة والإقناع وليس بالعنف**

وجعل جزاءه القتل قصاصا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة:١٧٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه»[٦].

## سبل الوقاية من العنف

إن تجنب العنف يتطلب وقاية المجتمع وأفراده من الأفكار المنحرفة الهدامة وتحصينهم منها، وهذه الوقاية تتطلب مجموعة من الإجراءات نذكر منها الآتي:

١. تطوير أسلوب الدعوة بما يتماشى مع مقتضيات العصر، ومناقشة القضايا المطروحة على الساحة بفقه الواقع الذي لا يتعارض مع ثوابت الدين.

٢. الرد على شبهات المتطرفين والغلاة ودحضها، ومحاورتهم ومناظرتهم لبيان فساد أقوالهم بإقامة الحجة عليهم، كما أثر عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في مناظرته الخوارج في زمنه.

٣- تصحيح المفاهيم الخاطئة حول مسائل الإيمان والكفر، والولاء والبراء، وتأصيل العلماء لمفاهيم الوسطية، لاسيما بين أوساط الشباب.

٤. الدعوة إلى فتح باب الحوار لمن يريد الإقلاع عن العنف، والرجوع عن أخطائه، وعدم نبذه، أو التشدد في معاملته، والعمل على إدماجه في المجتمع[٧].

٥. التأكيد على التوازن في الطرح الإعلامي لقضايا الدين والوطن، ووضع منهجية علمية لذلك، مع البعد عما يثير الفرقة والشتات، ويراعي التنوع الفكري والمذهبي[٨].

٦. تقنين أمر الفتوى، وعدم فتح المجال لغير المتخصصين.

٧. تعاون مؤسسات الدولة فيما بينها لنشر الفكر الوسطي، ومحاربة الفكر المتشدد.

**تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإيمان والكفر يقي من التطرف**

## الهوامش

١- قضايا ثقافية، د. السيد محمد الديب، ص:٢٥٠.

٢- صحيح البخاري، رقم ٦٥١٦.

٣- موقف الإسلام من العنف، حسن محمود خليل، ص:٨.

٤- المرجع السابق، ص:١٢.

٥- دور المؤسسات الإسلامية في مواجهة الغلو والتطرف، د. مطلق القراوي، http://www.wasatyea.net.

٦- رواه الإمام مسلم، رقم:١٨٤٨.

٧- دور التربية في التصدي للغلو والتطرف، د. عبدالحميد جبر الحمداني، ص:١٢٩.

٨- المرجع السابق، ص:١٢٩.

أحمد الظرافي
باحث في التاريخ
اليمن

# المشروع الصهيوني وقضية تـــ

«إذا حصلنا يوما على القدس، وكنت مازالت حيا وقادرا على فعل شيء، فلن أتوانى لحظة عن إزالة كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود، وسوف أدمر الآثار التي مرت عليها قرون».

(ثيودور هرتزل ١٨٤٠م-١٩٠٤م العقل المدبر للمشروع الصهيوني في فلسطين)

**أولا: مراحل تنفيذ المشروع الصهيوني**

مر تنفيذ المشروع الصهيوني الاستيطاني التهويدي العنصري، في أرض فلسطين، بمراحل عديدة، حتى استكمل الجزء الأساسي منه، ومن أهم تلك المراحل ما يلي:

**١- المؤتمر الصهيوني الأول**

والذي عقد في مقر بلدية بازل السويسرية، خلال الفترة (من ٢٩إلى٣١/٨/١٨٩٧م)، ووضع حجر الأساس، لإقامة وطن قومي لليهود بفلسطين، وأنشأ «المنظمة الصهيونية العالمية»، لتكون الأداة التنظيمية، لتنفيذ هذا البرنامج، الأمر الذي حول تعلق اليهود بفلسطين، من مجرد تعلق ديني إلى برنامج سياسي، يهدف إلى توطين اليهود في فلسطين، تمهيدا لإعادة تأسيس دولتهم فوق ترابها، استنادا إلى النظرية، التي ابتدعوها فصدقوها، بأن فلسطين أرض بلا شعب، وأن اليهود شعب بلا أرض. مع العلم بأن مسألة استيطان وتهويد القدس، كانت هي النقطة الجوهرية، في البيان الختامي للمؤتمر.

**٢- وعد بلفور**

أطلقته بريطانيا في ٢/١١/١٩١٧م،




على لسان وزير خارجيتها جيمس آرثر بلفور والذي قطعت بريطانيا بموجبه عهدا للحركة الصهيونية، بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وذلك قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، وقبل أن تكون قد سيطرت على حبة رمل واحدة من رمالها، وفي وقت لم يكن عدد اليهود فيها يتجاوز خمسة آلاف يهودي. لكن بعد صدور هذا الوعد المشؤوم، الذي باركته الإدارة الأميركية، سارعت بريطانيا باحتلال فلسطين عسكريا، بقيادة فيدل مارشال إدموند اللنبي، الذي دخل القدس، في ديسمبر ١٩١٧م، حيث تم تدشين عملية تهويد القدس، منذ هذا التاريخ.

**٣- الاحتلال البريطاني لفلسطين**

المعروف بالانتداب (١٩١٨-١٩٤٨م)، والذي أقرته عصبة الأمم عام ١٩٢٢م، لوضع وعد بلفور موضع التنفيذ، أي تهيئة الظروف الموضوعية لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية، وتسهيل هجرة اليهود إليها، من جميع أنحاء العالم، وأيضا تسهيل عملية تهويد القدس، لجعلها عاصمة أبدية لها، قد كان ذلك ، بدليل اختيار السياسي البريطاني المتصهين، هربرت صموئيل، كأول مندوب سام لبريطانيا في القدس، والذي شرع في تطبيق الصهيوني، على أرض الواقع، وفتح أبواب القدس خاصة، وفلسطين عامة، على مصاريعها لليهود.

**٤- قرار تقسيم فلسطين**

الصادر عن هيئة الأمم المتحدة، بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩م، والذي قضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين: دولة لليهود، ودولة للعرب، وهو القرار الذي رفضته وعارضته كل الدول العربية والإسلامية، التي كانت تتمتع بعضوية، في الأمم المتحدة، آنذاك. وقد حقق الصهاينة، بهذا القرار الظالم والمجحف «خطوة أساسية في المسار المرسوم»، وهو تحويل الوطن القومي، إلى كيان سياسي، ودولة خصصت لها المساحة الأكبر، من أرض فلسطين (٥٦في المئة)، وهي الأراضي التي تشمل أخصب الأراضي الزراعية، وأوفرها مياها وثروات.

**٥- قيام الدولة الصهيونية**

في ١٩٤٨/٥/١٥م، والتي اغتصبت عصاباتها المسلحة ٨٠ في المئة من أرض فلسطين، ومنها القدس الغربية، وقتلت عشرات الآلاف من أهلها، وشردت مئات الآلاف منهم، وهم الذين نجوا من المذابح المرعبة التي ارتكبتها تلك العصابات. وقد اعترفت الأمم المتحدة بهذا الكيان اللقيط، في ١٩٤٩/٥/١١م، في أعقاب حرب استعراضية، خاضتها الجيوش العربية، التي كان يهيمن عليها الاستعمار البريطاني، وخرجت منها مهزومة، بعد توقيع اتفاقيات هدنة مخزية مع الصهاينة المعتدين، جعلت وجودهم في فلسطين، أمرا واقعا، وهي

المعروفة عربيا باسم «النكبة».

**٦- احتلال القدس الشرقية**

وذلك في سياق عدوان يونيو ١٩٦٧م الغادر، والواسع النطاق، والمعروف عربيا باسم «النكسة»، والذي بدأ الصهاينة، ومن ورائهم القوى الاستعمارية، يخططون له، منذ نهاية خمسينيات القرن العشرين، نجم عنه أيضا احتلال الصهاينة، للضفة الغربية وقطاع غزة، وبالتالي ابتلاع فلسطين بالكامل، وقتل وتشريد عشرات الآلاف من أبنائها، وإلى جانبها احتلال صحراء سيناء المصرية، وهضبة الجولان السورية، وتدمير مقدرات مصر العسكرية، وقتل خيرة جنودها أو دفنهم أحياء في رمال سيناء، وبهذا العدوان الغاشم والمزلزل، وما نجم عنه من نتائج، استكمل المشروع الصهيوني الجزء الأساسي منه.

**ثانيا: مكانة القدس في المشروع الصهيوني**

تعتبر القدس، هي الأساس للمشروع الصهيوني الاستيطاني التهويدي العنصري، وبدونها لا يكون لهذا المشروع البغيض، أية قيمة، من وجهة نظر الحركة الصهيونية، وقد عبر عن ذلك، بن جوريون، أول رئيس وزراء صهيوني، والأب الروحي للسفاح أريل شارون، بقوله: «لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل». فالقدس، كانت ولاتزال، هي عامل الجذب والاستقطاب ليهود العالم، للهجرة إلى أرض الميعاد (فلسطين)، والاستيطان فيها بعد طرد وتشريد أهلها منها، وهي أهم أسباب تلاحم يهود العالم، وتكاتفهم لدعم هذا المشروع، والالتفاف حول الحركة الصهيونية، لأن القدس مدينة مقدسة لدى اليهود، وهي بنظرهم، مدينة النبي داود، وعاصمة مملكتهم القديمة، التي بها هيكلهم المزعوم، والعديد من المعالم الأخرى المقدسة لديهم، ومنها جبل صهيون، الذي استمدوا منه، اسم حركتهم (الصهيونية)، وفقا لديانتهم المحرفة، وتوراتهم المزيفة. وحول القدس تتمحور أهم أساطير اليهود، وخرافاتهم التلمودية، التي يقوم عليها، الفكر الصهيوني، ويصر الصهاينة، على استثمارها في دعاياتهم، وفرضها واقعا ينطلق منه كل موقف وعمل. هذا في حين أن أحد محاور حربهم النفسية ضد العرب، هي تصوير أهدافهم على أنها مجرد أوهام، ومحاولة إقناعهم، بأن تلك الأوهام، تفعل بهم ما هو أشد من السحر ومن تأثير المخدر، وغوايتهم، بأن الحل الوحيد، لمشاكلهم، هو في الاستيقاظ، من تلك الأوهام، أي التخلي، ببساطة، عن أهدافهم وقيمهم، والقبول بما هو متاح، أي بما يفرضه الصهاينة عليهم. ولهذا، فإن القادة الصهاينة يكررون دعواتهم للقادة العرب، بالحضور إلى القدس، لإبرام تسويات معهم... ونظرا لما تمثله القدس من أهمية دينية واستراتيجية في المشروع الصهيوني، ولكون الهدف الحقيقي للصهيونية، هو السيطرة على فلسطين كلها، وجلب اليهود إليها من أنحاء العالم، واعتبارها، بالتالي، قاعدة للهيمنة على المنطقة، التي سموها «الشرق الأوسط»، مع اعتبار القدس عاصمتها الأبدية، فقد بادر الصهاينة، خلال حرب ١٩٤٨م، باحتلال شطرها الغربي، ولذلك أيضا، ورغم أن القدس القديمة، لم تكن داخلة في القسم، الذي خصصته الأمم المتحدة، لإسرائيل، في قرار التقسيم، والتي بقيت، بالتالي، مستقلة، ضمن «الضفة الغربية»، التي كانت تابعة للإدارة الأردنية، إلا أن الحكومة الصهيونية، لم تعتبرها منفصلة عن الدولة اليهودية، بل اعتبرتها، جزءا منها، ابتداء، وهذا ما كشفه، قرار ضمها للقدس القديمة، في ١٩٦٧/٦/٢٨م، لكونها استندت، في ذلك القرار، إلى قانون الإدارة والتنظيم الصهيوني، لعام ١٩٤٨م، بمعنى أنها لم تعدها أرضا محتلة، ضمن الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧م، والتي هي ملزمة، بالانسحاب منها، بحسب قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الصادر بعد العدوان.

وقد تجسدت هذه الحقيقة في مفاوضات السلام المزعومة، بين الصهاينة وبعض العرب، فقد أظهرت تلك المفاوضات، مدى تشبث الصهاينة بالقدس، ولذلك لم يتم النص في أي اتفاق أو مذكرة تفاهم، على أن للفلسطينيين، حقوقا في القدس، ولا وعدوا حتى مجرد وعد، بأنه سيتم التفاوض حولها لاحقا، بل بالعكس، فقد أكد الصهاينة مرارا وتكرار أن القدس غير خاضعة للمفاوضات، وعلى أنها ستبقى العاصمة الموحدة والأبدية لإسرائيل، وكأن هذا الأمر مسلم به سلفا لأنه حق أزلي، غير قابل للنقاش أو التفاوض.

**ثالثا: الإجراءات الصهيونية لتهويد القدس**

بعد أيام قلائل من عدوان يونيو ١٩٦٧م، أصدرت الحكومة الصهيونية، قرارا بضم القدس إليها، ووضعت حدودا جديدة للمدينة، امتدت من مشارف رام الله شمالا، إلى بيت لحم جنوبا، طبقا للسياسة الصهيونية الهادفة، إلى الاستحواذ على أكبر مساحة من الأرض، مع أقل عدد ممكن من العرب. وبعد ذلك تم السيطرة على حائط البراق، وتحويله إلى ما يسمى حائط المبكى. وصاحب

هذه القرارات أو تلاها، قيام الحكومة الصهيونية، بالعديد من السياسات والإجراءات المنظمة لتهويد المدينة، وطمس هويتها الإسلامية، منها:

### سياسة الإلغاء والإلحاق والصهر

فقد قامت السلطات الصهيونية، بإلغاء مجلس أمانة القدس العربية، والمحاكم، ودوائر الصحة، والشؤون الاجتماعية، وإلحاق بعضها بالدوائر الصهيونية، كالبريد، والمدارس، ومستشفى الحكومة، وشمل الإلغاء، مناهج التعليم العربية للمرحلة الابتدائية، والتي فرضت المناهج الصهيونية، بدلا عنها، وذلك ليسهل تهويد الناشئة العرب فكريا. وقد استكملت هذه الخطة، عام ٢٠١٣م، عندما قامت وزارة التعليم الصهيونية، بتحويل المناهج الفلسطينية، إلى مناهج يهودية خالصة.

فرض القوانين الصهيونية على العرب وإجبارهم على استصدار هويات من وزارة الداخلية الصهيونية، وإلزام أصحاب المهن منهم، بتسجيل أسمائهم لدى المؤسسات الصهيونية المختصة، واستصدار تصاريح جديدة منها، طبقا للقوانين الصهيونية، حتى يسمح لهم بمزاولة مهنهم، وذلك لغرض إعادة تشكيل الهوية الخاصة، لجميع أشكال الأنشطة، وإذابة الاقتصاد العربي في الاقتصاد الصهيوني، لتكون النتيجة تهويدا للشخصية العربية، وتهويدا للاقتصاد والإدارة، حسب الأهداف الصهيونية.

### هدم الأحياء وتشريد السكان

كحيي المغاربة، وباب السلسلة، المجاورين للأقصى، فقد تم هدمهما بما فيهما من مدارس ومؤسسات إسلامية، وتشريد سكانهما، وبالتالي، إنشاء ساحة لعبادة اليهود مكانهما، مقابل حائط البراق، كما تم إجلاء معظم سكان حي الشرف، وإزالة مسجده، بجانب استملاك عشرات المساجد والمدارس والزوايا، ومصادرة كثير من منازل المواطنين وعقاراتهم، داخل المدينة، وذلك لتوطين مستوطنيها فيها، وبناء أحياء لهم داخلها، لتطويق الأحياء العربية، وتبع ذلك هدم جميع الأبنية الواقعة حول الأقصى، أو تحويلها لمواقع أثرية يهودية، أو لكنس ومدارس دينية، ومتاحف يهودية، والتي باتت تطوق الأقصى من كل جانب.

### سياسة العزل والحرمان والعقاب الجماعي

فقد تم فصل من تبقى من عرب القدس، عن إخوانهم في الضفة، بل عن بعضهم البعض، حيث تم عزل أحياء عربية كاملة، عن بقية الأحياء المجاورة لها، وأصبح هؤلاء بالاسم جزءا من سكان الدولة الصهيونية، لكنهم ظلوا عمليا «مجرد عرب»، محرومين، من الحقوق والخدمات، مع تقييد حركتهم، من خلال الحواجز، وإغلاق الطرق، وحظر التجوال...الخ. وقد تعرض هؤلاء، ولا يزالون، لأبشع أنواع التمييز العنصري، والعقاب الجماعي، وقد تجسدت هذه السياسة في الجدار العازل، الذي أقيم قبل سنوات، والذي فصل القدس عن محيطها. وهذا إلى جانب الترويج للمخدرات في أحياء القدس العربية، لتمزيق النسيج الاجتماعي، للعائلات المقدسية، وإشاعة الشعور باليأس والضياع، بين الشباب.

### المصادرات والاستحواذ

فقد تم مصادرة أموال الغائبين، بموجب «قانون أملاك الغائبين» الصهيوني، الساري المفعول، منذ عام ١٩٥١م، بمن فيهم المتواجدون خارج المدينة، والذين حرموا من الحصول على الهوية، وأيضا الاستحواذ على العقارات الوقفية والعامة، وإقامة منشآت صهيونية عليها، أو تحويلها إلى ثكنات عسكرية، وشق الطرق في مقابر المسلمين، القريبة من الأقصى، أو تجريفها وتحويلها إلى حدائق تلمودية. وذلك جنبا إلى جنب مع مصادرة الأراضي خارج المدينة، وإقامة مستوطنات عليها، أو تحويلها إلى أراض خضراء، كاحتياطي استراتيجي للتوسعات الاستيطانية المقبلة.

### تزوير التاريخ والجغرافيا

وذلك من خلال تغيير الأسماء العربية للأماكن والشوارع والمعالم المختلفة، التاريخية والجديدة، التي عرفت بها عبر الحقب الزمنية الفائتة، بأسماء عبرية، أو تحوير الأسماء العربية، لتلائم الأسماء العبرية. ويتم ذلك بصورة منظمة، عبر مؤسسة «تسمية الأماكن» الصهيونية.

وكل تلك السياسات والإجراءات، مقترنة بالاعتداءات الصهيونية الإجرامية، المستمرة والمتواصلة، بشكل منظم، على الحرم القدسي الشريف، وعلى المسجد الأقصى المبارك، والتي تستهدف تأكيد الوجود اليهودي فيهما بالقوة، وبدعم حكومي كامل، بما فيها سياسة الحفريات، تحت المسجد الأقصى، والتي بدأت عام ١٩٦٧م، بدعوى البحث عن الهيكل المزعوم، ولم تتوقف حتى الآن، رغم ما تشكله من خطورة بالغة على أساسات وجدران المسجد الأقصى.

أ. د. محمد فتحي فرج
كاتب وأكاديمي
مصر

# القرآن وتربية الإنسان



يحل موضوع «تربية الإنسان»، في وقتنا الراهن، على رأس أولويات المجتمع؛ نظرا للعوامل المناوئة، والتحديات الجسيمة التي تصادف الإنسان، وتحيط به من كل جانب، فتعمل عملها في إبعاد الإنسان عن فطرته السوية التي تدور وتسعى نحو تحقيق الهدف الرباني من خلق الإنسان وهو عبادة الرحمن مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، والتي تمثل، في الوقت ذاته، الخير كل الخير للإنسان سواء في دنياه أو أخراه. وكل عمل صالح يفيد الفرد والمجتمع عبادة لله تعالى.

وإذا تتبعنا مفهوم التربية فسنلجأ إلى معاجم اللغة، حيث يقول صاحب المصباح المنير: «يقال رباه إذا ساسه وقام بتدبيره، ومنه قيل للحاضنة ربة». أما الراغب الأصفهاني فيقول في مفرداته: «التربية هي إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام».

أما عند الفلاسفة، وقد كانت الفلسفة فيما مضى أم العلوم، فالتربية عند أرسطو تعني إعداد العقل لكسب العلم كما تعد الأرض للنبات والزرع، وعند سلفه أفلاطون: «إعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال والكمال». أما عند الفيلسوف الألماني «كانت» (١٨٢٧م-١٨٠٤م) فتعني: «الوصول بالإنسان إلى الكمال الممكن»، وعند فيلسوف التربية والاجتماع الإنجليزي سبنسر (١٨٢٠م-١٩٠٣م) هي: إعداد الإنسان ليحيا حياة كاملة.

### التربية والنظرة الإسلامية

وبناء على ما سبق فإن التربية هي: عملية تنمية إيجابية متواصلة للإنسان، من شأنها تعديل السلوك، وردود الأفعال بحيث تؤدي، عند ترسيخها في الأنفس، إلى إنتاج أفراد صالحين يفيدون أنفسهم ومجتمعهم؛ ومن ثم لا يقتصر دورها على البيت، رغم أهميته أو على مرحلة الطفولة على خطورتها، ولكن تتضافر في هذه العملية كل المؤثرات التي تحيط بالإنسان منذ نشأته الأولى وحتى تمام تشكله، بل وقد تستمر هذه العملية أيضا بعد هذه الفترة حتى إننا قد نسمع كثيرا عبارة «مدرسة الحياة» أو «الحياة مدرسة»!

وهنا نلتقي مع النظرة الإسلامية أو المفهوم الإسلامي الذي يهدف إلى ترقية الإنسان وتهذيبه وتعليمه باستمرار مادام هو على قيد الحياة؛ فالقرآن الكريم بدأ نزوله بفعل الأمر ﴿اقْرَأْ﴾ (العلق:١)، وهذه المادة الأولى من الدستور الإسلامي، كما يقول الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، غنية بالمعاني، ثرية بالتوجيهات، ومعانيها وتوجيهاتها ليست آتية من ألفاظها فحسب وإنما من الجو العام الذي تشير إليه أو الذي توحي به، فهي تبتدئ أولا بكلمة: «اقرأ».. إنه أمر بالقراءة التي هي من أهم وسائل العلم والمعرفة. واتسم الإسلام بها لأول لحظة زمنية من حياته، وتوالت بعد ذلك الآيات موضحة ومؤكدة هذه السمة جاعلة منها طابعا وشعارا... ثم توالت الآيات القرآنية في فضل العلم والعلماء، وفي الحث على العلم وفي تمجيد العلماء،

حتى إن الله تعالى قد أمر رسوله ﷺ أن يلجأ إليه متضرعا داعيا أن يزيده الله علما فيما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤).

وهذا الدعاء الذي يتجه به النبي ﷺ إلى الله إنما هو من أروع الأمثلة في التربية؛ ذلك أنه صادر من الإنسان الكامل ليبين للأمة أن الإنسان، مهما بلغت به المنزلة، ينقصه الازدياد من العلم. وإذا كان الرسول ﷺ، أكمل المخلوقات، يرجو أن يزيده الله علما فما بالك بأفراد الأمة!

وتصور زعيم أمة تكبره وتجله يعلن في صراحة لا لبس فيها أنه مازال، ولن يزال، بحاجة إلى الزيادة في العلم: إنه يدفع الأمة بذلك إلى السير على منواله فترجو الله أن يزيدها علما.

## التربية والعمل الصالح

دائما ما يقترن العمل الصالح بالإيمان في الإسلام، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تقرن بينهما، فكما لا يكفي الإيمان دون العمل فإنه لا يكفي العمل دون الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥)﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٥).

ورسولنا الكريم محمد ﷺ هو مثال الإنسان الكامل في أخلاقه وسلوكه ومعاملاته، والأسوة الحسنة، والرحمة المهداة، وكل هذا يرجع إلى أن الله تعالى هو الذي أدبه ورباه، يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤).

ولا يكفي في شريعة الإسلام مجرد الإيمان دون العمل؛ ولهذا اقترن العمل بالإيمان كما قلنا آنفا، يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ (البقرة:٢٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ (البقرة:٨٢). وهكذا نجد كثيرا من آيات القرآن الكريم تقرن بين الإيمان وما يصدقه من عمل اقتران الوسيلة بالغاية، ولا يكتفى بأحدهما عوضا عن الآخر.. فلا يكتفي الإسلام والقرآن بالجانب النظري وحده، ولكن لابد وأن يقترن هذا بالتطبيق العملي الذي إما أن يصدقه وإما أن يدحضه ويكذبه! فعلى الرغم من أهمية النية في الإسلام فإنها وحدها ليست كافية، بل لابد أن يتبعها العمل الذي يؤكدها ويصدق عليها.

وقد ورد لفظ «العمل» في القرآن الكريم في حوالي ٣٥٩ موضعا، وفي جميع هذه المواضع يلحق بـ«العمل» إحدى صفتين: إما صفة الصلاح فيوصف العمل بأنه «عمل صالح» كما أشارت الآيات السابقة وغيرها؛ وإما أن تقترن به صفة السوء، فيوصف بأنه «عمل سوء».

ومن الآيات التي تشير إلى هذا النوع الأخير من العمل قوله عزوجل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء:١٢٣)، وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام:٥٤).

ولما كانت جميع مناشط الحياة وحركتها تستلزم العمل، نظرا لدخوله في كل ممارسات الحياة، فقد أشار القرآن الكريم إشارات واضحة الدلالة على ذلك منها:

- الإشارة إلى العمل في المجال الزراعي في قوله تعالى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ (يس:٣٥).
- الإشارة إلى العمل في المجال الصناعي في قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (سبأ:١١).
- الإشارة إلى العمل المهني، بشكل عام، في قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ (الكهف:٧٩).

ولكي لا نعدد كل أنواع العمل التي وردت إشارات قرآنية بشأنها، فإن الآية الآتية تشمل ممارسات الإنسان جميعا في حياته، سواء بالنسبة للفرد أو المجتمع، وذلك في قوله عزوجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (يونس:١٤).

والتربية السليمة للإنسان هي التي تجعل من المرء إنسانا يتسق قوله مع عمله، وإنسانا يقدر العمل الصالح ويحترمه، ولا يستغني بالإيمان والانقطاع حتى لعبادة الله عن هذا العمل، والقرآن الكريم، مليء كما رأينا، بالآيات التي تحض على هذا وتأمر به.

وختاما نقول: لاشك أن أبناءنا أحوج إلى مثل هذه التربية الإيمانية السليمة التي تحفظ لهم دينهم ودنياهم وأوطانهم، خاصة في ظل ما يحيط بهم من عوامل التشكيك في الثوابت من جانب ضعاف الإيمان، وعوامل الهدم الآتية من قرناء السوء بالداخل، وعوامل التغريب الهابطة إليهم في منازلهم من الخارج.

علاء الدين حسن
باحث دراسات إسلامية
سوري

# حقيقة العيد

مناسبة كريمة تتجدد معها الذكريات، وترتسم الابتسامات على وجوه المحبين، وتتصافح الأيادي البيضاء، وتقال الأخطاء والعثرات..

إنه العيد.. موعد لزوال الخصومات، وتلاقي البعداء، وتواصل المنقطعين، فهو بحق يوم محبة ونقاء.

في العيد من المعاني الجميلة والمقاصد النبيلة ما لا يمكن حصرها في عجالة من الوقت.. في العيد تتزين حقائب الأطفال بألحان الأحلام، وتغدو قلوبهم مروجا من ورد وأرجوان.. ويخشع المدى، وتفيق الآفاق.. تخشع الأرض والسماء لجلال وجمال نداءات التكبير المنبعثة من مآذن الإشراق والآمال..

والعيد الحقيقي هو أن نصل من قطعنا: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (الأنفال:٧٥). العيد الحقيقي هو أن نعطي من منعنا، وليس ثمة شيء أروع من العطاء. العيد الحقيقي هو أن نعفو عمن ظلمنا.

العيد الحقيقي هو أن نصفي قلوبنا: «طوبى لأنقياء القلوب». العيد الحقيقي هو أن ندخل الطمأنينة إلى قلوب الناس، فخير الأعمال أن تدخل السرور إلى قلب إنسان..

العيد فرصة لنصفح عمن أساء إلينا.. جاء في سنن ابن ماجه، عن عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي، النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد» (أخرجه ابن ماجه).

والعيد في بعض مقاصده هو أن نحظى برضا الله، ورضا الوالدين، يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

**أطع الإله كما أمر**
**واملأ فؤادك بالحذر**
**وأطع أباك فإنه**
**رباك في عهد الصغر**
**واخضع لأمك أرضها**
**فعقوقها إحدى الكبر**

وهذا عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، كان له ولد صغير، فرآه في يوم العيد، وعليه ثوب خلق قديم؛ فدمعت عيناه؛ لأنه لا يستطيع أن يكسو ابنه ثوبا جديدا للعيد، فلما دمعت عيناه، رآه ولده، فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: يا بني، أخشى أن ينكسر قلبك إذا رآك الصبيان، بهذا الثوب الخلق.

قال: يا أبتاه، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه، أو عق أمه وأباه، وإني لأرجو أن يكون الله راضيا عني برضاك.

فبكى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، وضم ولده إلى صدره، وقبله بين عينيه، ودعا له بالخير والبركة. فصار من أغنى الناس بعد ذلك.

## التعامل الصحيح

وحقيقة العيد تتمثل في التعامل الصحيح مع الناس.. لنستمع إلى رجل من كبار الصحابة رضي الله عنهم، وهو يضعنا أمام حقيقة ينبغي أن ننتبه إليها؛ إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي فرق الله به بين الحق والباطل.. لننصت إليه وهو يقول: «لا تغرنكم طنطنة الرجل بالليل -يعني صلاته- فإن الرجل كل الرجل، من أدى الأمانة إلى من ائتمنه» (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا).

ولما جاء الصحابة رضي الله عنهم،



وذكروا لرسول الله ﷺ، امرأة تقوم الليل، وتصوم النهار، وتقرأ القرآن، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال عنها ﷺ: «هي في النار».

قالوا: يا رسول الله، تقوم الليل وتصوم النهار، فقال: «لا خير فيها، هي في النار» (أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد).

العيد في بعض معانيه: أن نشتغل بعيوبنا عن عيوب الآخرين.. والأصل أن يحاسب كل واحد منا نفسه قبل أن يحاسب الآخرين.. وأن يصحح كل واحد منا أخطاءه قبل أن يصحح أخطاء الآخرين.. ولله در القائل:

**لسانك لا تذكر به عورة امرئ**
**فكلك عورات وللناس ألسن**
**وعينك إن أبدت إليك مساوئا**
**فدعها وقل يا عين للناس أعين**

ورحم الله من قال:

**لا تنه عن خلق وتأتي مثله**
**عار عليك إذا فعلت عظيم**

## وصية جامعة

وقيل لسلطان الزاهدين إبراهيم ابن أدهم، رحمه الله، أوصنا بما ينفعنا، فقال رحمه الله: إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا بأمر الآخرة، وإذا اشتغلوا بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم، وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم، واتخذوا من هذه الدنيا زادا يوصلكم إلى الآخرة؛ فإنما الدنيا مزرعة الآخرة.

أخيرا: العيد.. تطلع لغد مشرق، وابتسامة أمل.. وتفاؤل مقرون بالعمل المتعدي حدود الأماني.. تفاؤل إيجابي واقعي يتخذ من الحاضر دليلا على المستقبل.. تفاؤل مبني على الثقة بالله.



د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة والفلسفة
جامعة القاهرة
مصر

**الرحيل إلى الله تعالى غاية تعم الخلائق أجمعين، فالكل على الله تعالى وارد لا محالة، وكل البشر من لدن آدم سيلقى ربه في يوم لا فكاك منه، ورحيل البشر وغدوهم يدوم ولا ينقطع قال فيه النبي ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»(١).**

# الراحلون إلى الرحمن

قال ابن رجب: «كل إنسان ساع في هلاك نفسه، أو في فكاكها، فمن سعى في طاعة الله، فقد باع نفسه لله، وأعتقها من عذابه، ومن سعى في معصية الله، فقد باع نفسه بالهوان، وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه»(٢).

إن طريق الله تعالى لا وقوف فيه أبدا، ولا يمكن للعبد أن يؤجل السير أو يؤخر الأجل، بل إن مجرد الالتفات في هذا الطريق مؤذن بعدم الوصول»... فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، إما إلى أمام وإما إلى وراء، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف ألبتة، ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطئ، ومتقدم ومتأخر، وليس في الطريق واقف ألبتة، وإنما يتخالفون في جهة المسير وفي السرعة والبطء»(٣).

## الغدو إلى الله بتعظيم شعائره

حين يستشعر الإنسان أن قيامه بالعبادة تعني حالة اتصال بالله تعالى، ويعرف أن مسافات لا تقع تحت التصور يقطعها وهو واقف بين يدي ربه، يدرك حينها عظمة وجلال من يقف بين يديه، ويتمثل وكأنه راحل بعد عبادته فورا، وهي وصية النبي لأحد من سأله النصيحة المشروطة بالإيجاز، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علـمني وأوجـز قال ﷺ: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع»(٤).

وهي وصية يتناقلها أئمة الصلاة للمأمومين في كثير من المواطن والبلاد، ووصية النبي فيها إيماء إلى استشعار الرحيل، وهو من بواعث تعظيم الشعيرة، والوفاء بحقها على الوجه الأتم، وفي هذه الحكاية تفاصيل استشعار الرحيل في لحظات الصلاة، عن رباح بن الهروي قال: مر عصام بن يوسف بحاتم الأصم، وهو يتكلم في مجلسه، فقال: يا حاتم، تحسن تصلي؟ قال: نعم. قال: كيف تصلي؟ قال حاتم: أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالسبيل والسنة، وأسلمها بالإخلاص إلى الله عزوجل، وأرجع على نفسي بالخوف، أخاف أن لا يقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت. قال: تكلم، فأنت تحسن تصلي(٥).

بهذا التحفظ وبتلك الرعاية يصلي حاتم، وبعد تحفظه ورعايته يخاف الرد، فهو في رحيله يحافظ على استدامة الرعاية والجهد حتى الموت.

## من مظاهر الرحيل والغدو

تتبدى رحلة الغدو إلى الرحمن في مظاهر أخرى عديدة يقوم بها المؤمنون الموحدون، فقد ترحل النفوس إلى خالقها بالجهاد،

الذي تستوفى فيه الشرائط والضوابط، فلا راية عُمِّية، ولا عصبية جاهلية، ولا سمعة ولا رياء، تتمثل في رحلتها بيعا حقيقيا رغب المولى سبحانه فيه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ (التوبة:١١١)، وقد ترحل النفوس إلى باريها بصدقات دائمة، تعد ما تنفقه هو الدائم الذي لا يفنى، وقد ترحل النفوس صوب بيت الله الحرام وهي تجيب نداء الخليل إبراهيم، حين رفع وإسماعيل القواعد من البيت.

والرحيل إلى الرحمن في الحج قصته ضاربة في عمق الزمن، راجعة إلى من كانت بعثة المختار أثرا لدعوته التي استجيبت بعد آلاف السنين.

### درس النداء في الأرض القفار

لقد دعا الخليل عليه السلام دعوة مبعضة قائلا: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ (إبراهيم:٣٧)، ولو كانت تامة شاملة لتزاحمت على البيت شوقا أمم الأرض، قال ابن عباس ومجاهد: «لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس، ولكن قال: من الناس» [٦].

وقد أمر الله تعالى الخليل أن يؤذن في الناس بالحج قائلا: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ (الحج:٢٧) فقال الخليل عليه السلام مستفهما: وكيف أبلغ الناس؛ وصوتي لا ينفذهم؟ فقد نظر الخليل عليه السلام نظرة البشر، التي تنظر إلى ما حولها وتقتصر على عالمها، فالمكان قفر لا حياة فيه والبلاغ في مثل هذا لا محل له، فليس ثمة بشر يسمعون النداء، لكن قال الله له: «ناد وعلينا البلاغ» فكان بلاغه تعالى لا يبلغه الوصف ولا يخطر على عقل، يقول ابن كثير: «يقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من في الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة؛ لبيك اللهم لبيك، قاله غير واحد من السلف»[٧].

يمثل نداء الخليل في الأرض القفر الخالية من أنفاس البشر درسا في الاستسلام لله تعالى في أمره بعيدا عن ضرورات العقل ومسلماته، ولعل ما أخرجه ابن حبان يزيد الأمر بيانا، فروي عن أبي هريرة قال: ذبحت لرسول الله ﷺ فقال: «ناولني الذراع»، فناولته ثم قال: «ناولني الذراع» فناولته ثم قال: «ناولني الذراع» قلت: يا رسول الله، إنما للشاة ذراعان، قال: «أما إنك لو ابتغيته لوجدته»، وفي رواية للدارمي: «لو سكت لأعطيت أذرعا ما دعوت به»[٨].

هكذا لابد أن يكون المرء مع الشرع، يستجيب دون أن يناقش أو يستبعد أو يتعجب، ووقتها سيرى من عطاء الله تعالى وفضله ما لا يقع تحت التصور، فسيجلب من الشاة الواحدة عشرات الأذرع، ببركة الطاعة والاستسلام.

جعل الله تعالى ببركة دعوة الخليل عليه السلام البيت مثابة للناس وأمنا، أي أنهم لا يقضون منه وطرا، يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه[٩]. وهي مشاعر يلمسها كل من زار البيت أو حج أو اعتمر.

ففي الرحلة إلى الله تعالى من خلال الحج أشواق لا يعلمها إلا من رأى دموع الراجعين أو العاجزين ألا يجدوا ما به يسافرون.

**يا راحلين إلى منى بقيادي ... هيجتموا يوم الرحيل فؤادي**
**سرتم وسار دليلكم يا وحشتي ... الشوق أقلقني وصوت الحادي**[١٠]

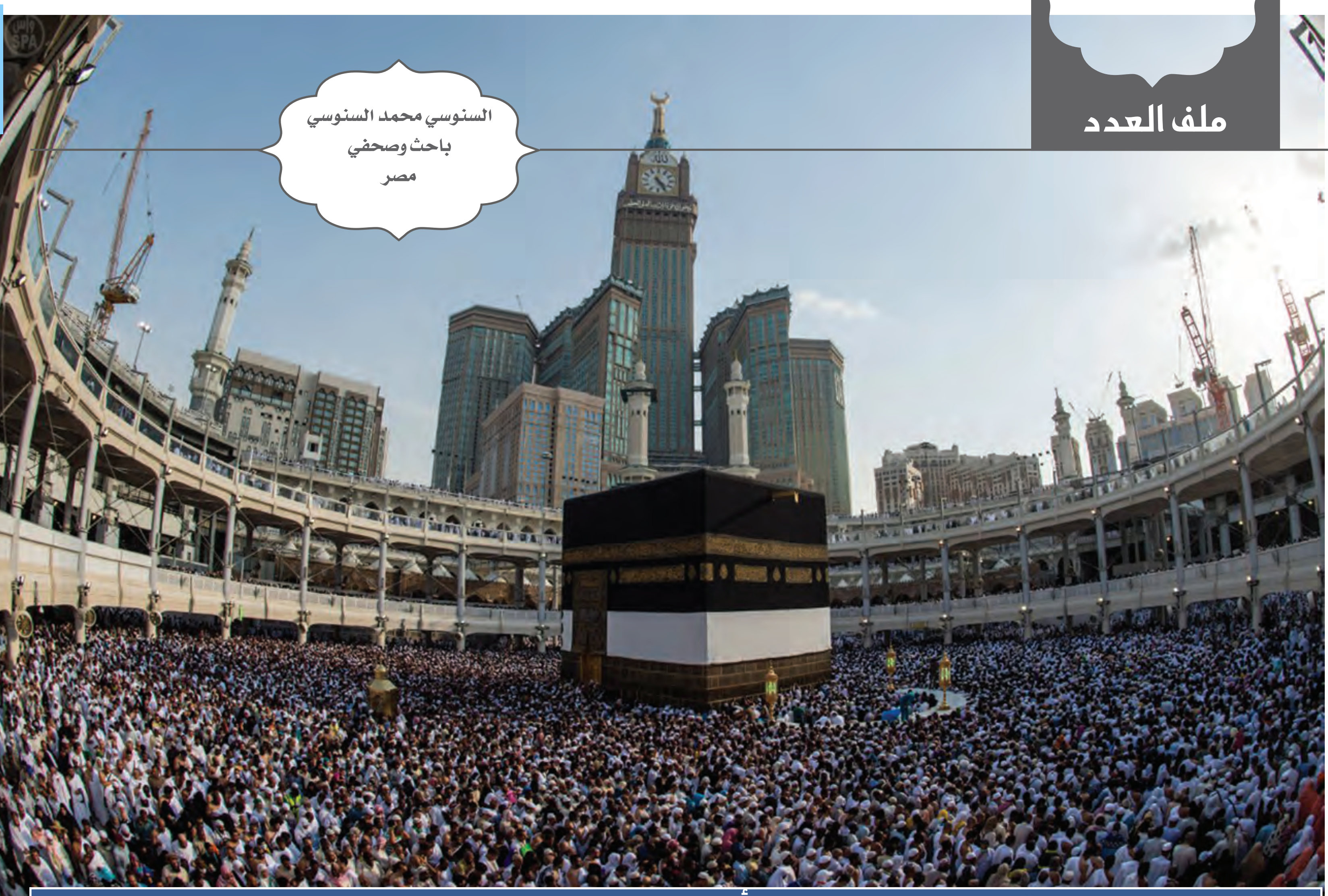
### الرحيل مع الرحيل

تبدأ سورة الحج بالحديث عن يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج:١)، وتختتم آيات الحج في سورة البقرة بالثناء على الداعين بخيري الدنيا والآخرة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة:٢٠١) فكأن رحلة الحج في مشقتها وفي أجناس الذاهبين من كل فج، وفي توحد ملابسهم وتلبيتهم وتوحد وقفتهم في يوم الحج الأكبر كأنه من مشاهد العرض الأكبر، أو كأنه تدريب على الموقف بكل ما فيه من زحام ومحاولة اللحاق، وهو رحيل يذكر بالرحيل الأكبر، فطوبى لمن غدوه في كل غادية إلى الله باستسلام، يدور بين تعظيم الأمر بالقيام به، وتعظيم النهي بالوجل من مقارفته، أولئك هم الراحلون حقا.

### الهوامش

١- أخرجه مسلم، في الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم: (٢٢٣).
٢- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، (ص:٢٢٠).
٣- مدارج السالكين، لابن القيم (٢٦٧/١).
٤- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، برقم: (٥٤٥٩)، قال الهيثمي: «رجاله ثقات»، انظر: مجمع الزوائد، (١٢٦/١١).
٥- حلية الأولياء، لأبي نعيم، (٧٥/٨).
٦- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣٧٣/٩).
٧- انظر: تفسير ابن كثير، (٤١٤/٥).
٨- صحيح ابن حبان (٤٠٣/١٤)، وسنن الدارمي (٣٥/١).
٩- جامع البيان، (٢٧/٢).
١٠- من قصيدة منسوبة للشاعر السوداني عبدالرحيم البرعي.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي
مصر



## الحج عبادة تذكر المسلمين بأنهم جسد واحد وإن تناءت بهم الديار

# رسائل ممتدة..

**ليس ثمة شك في أن العبادات، التي فرضها الله تعالى علينا، تمتلك إشعاعا روحيا وقيميا، وقدرة على النفاذ إلى عمق النفس الإنسانية ومشكلاتها ذات الجوانب المتعددة.. مهما كررنا هذه العبادات كل يوم، كما في فريضة الصلاة، أو كل عام، كما في فريضة الحج.**

فهي عبادات ذات إشعاع دائم، ولها رسائل متجددة ممتدة؛ تخاطب الوجدان والعقل، وترتقي بالروح والجوارح، ويجد فيها الإنسان، فردا أو مجتمعا، أدوية شافية لأدوائه وأسقامه.

ولهذا، يجب أن نؤدي تلك العبادات بهذا النوع من الوعي؛ الذي يرتقي بها عن كونها مجرد حركات أو أفعال نؤديها غافلين عن حكمها وأسرارها ومقاصدها.

وفريضة الحج تأتي كل عام لتذكرنا - وما أكثر ما ننسى - بمجموعة مهمة من المعاني والقيم، نحن بحاجة إلى استحضارها بصفة مستمرة؛ سواء كنا مع وفود الحجيج في مناسكهم ومشاعرهم، أو نراقبهم عن بعد والشوق يملأنا لأن نكون بين صفوفهم.

### رحيل

وأول ما يذكرنا به الحج، ونحن نرى الحاج قد لبس ملابس الإحرام، ذات اللون الأبيض التي تشبه كفن الميت، وغادر أهله وموطنه، هو الشعور بأننا راحلون عن هذه الحياة مهما عمرنا، وبأن إقامتنا فيها إقامة عابرة ليست دائمة، وبأن الدنيا مجرد محطة من المحطات التي لابد أن يمر بها الإنسان، تتبعها مرحلة البرزخ، ثم مرحلة الآخرة بما فيها من حساب وجزاء.

إن هذا المعنى، الذي تجسده رحلة الحج خير تجسيد، معنى ضروري لصلاح حال الإنسان، ولإصلاح

دنياه وطريقة حياته فيها.. فما شقي الإنسان وما شقيت الإنسانية، إلا لما غاب عنهم أنهم راحلون عن الحياة الدنيا، وأن إقامتهم فيها ليست إقامة الدائم الخالد، وأن الدنيا ليست محطة نهائية، بل تمهيد لما بعدها.

هكذا كان اعتقاد الكافرين: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية:٢٤).

لو أدرك الإنسان حقا أنه عن الدنيا راحل غير مخلد، وأن الدنيا ليست نهاية المطاف بل بدايته؛ لأطاع مولاه وخالقه، واستقام على الطريقة والمنهج، ولما ظلم أخاه الإنسان واعتدى على حقوق غيره واستحل ما لا يحل له.. لكنها الغفلة عن حقيقة كبرى من الحقائق التي يذكرنا بها الحج!

## وحدة المسلمين

ثم يأتي هذا الشعور العميق بمعنى وحدة المسلمين؛ إذ إن عبادة الحج ليست عبادة فردية كالزكاة، وليست عبادة تؤدى في محيط محدود مثل الصلاة التي يؤديها المرء في مسجد الحي، وهو محيط صغير جدا.. إنها العبادة التي يؤديها المسلمون من بلاد شتى متباعدة، في مكان واحد وزمان واحد؛ لتذكرهم بأنهم جسد واحد وإن تناءت بهم الديار، وبأن ثمة شيئا يجمعهم ويوحدهم، على اختلاف الألوان واللغات والأعراق.

ليست ثمة عبادة تجسد وحدة المسلمين كما تجسدها شعيرة الحج.. مسلمون كثيرون بأعداد لا تتوافر إلا في الحج، يجتمعون في صعيد واحد، يلبسون ملابس واحدة، يهتفون بنداء واحد، يتجهون إلى قبلة واحدة.. يا لها من وحدة يحسدنا عليها الآخرون! وقد نبهنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى أهمية الشعور بوحدة المسلمين، وضرورة الانطلاق من ذلك فيما يواجه المسلمين من عقبات وتحديات. فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:٥٢).

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

يجب أن نرتقي بهذه الوحدة إلى وحدة في الأهداف والغايات، ووحدة في جوانب الاقتصاد والسياسة وغيرهما مما يتصل بحاضر المسلمين ومستقبلهم؛ حتى يكون لهم ثقل في الميزان العالمي.. وهم جديرون بذلك.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: «إن مناسك الحج تنمية لعواطف المسلمين نحو ربهم ودينهم وماضيهم وحاضرهم. ويكفي أنها تجمعهم من أطراف الأرض شعثا غبرا، لا تفريق بين ملك وسوقة، ولا بين جنس وجنس، ليقفوا في ساحة عرفة في مظاهرة هائلة، الهتاف فيها لله وحده، والرجاء في ذاته، والتكبير لاسمه، والضراعة بين يديه. فقر العبودية ظاهر! وغنى الربوبية باهر! ومن قبل الشروق إلى ما بعد الغروب لا ذكر إلا لله، ولا طلب إلا منه سبحانه. إن الحج من (الناحية الروحية) إذكاء مشاعر، وتجديد عاطفة. ومن (الناحية الاجتماعية) فرصة ثمينة للتوجيهات الجامعة التي تكفل مصلحة المسلمين العليا»[2].

**الحج تجسيد لصلاح حال الإنسان وإصلاح دنياه**

## نسب الصالحين

ثم إذا ذهبنا إلى مناسك الحج، وطفنا بالبيت الحرام، ووقفنا بعرفة، وسعينا بين الصفا والمروة وغير ذلك من المناسك؛ تحققنا بهذا الشعور الذي يربطنا من جهة بالنبي ﷺ؛ الذي أخذنا عنه هذه المناسك، والذي شهدها هو وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان حتى يومنا هذا.. وتحققنا أيضا بالشعور الذي يربطنا من جهة أخرى بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام؛ الذي كانت بعثة النبي محمد ﷺ وزيارات وفود الحجيج للبيت الحرام، استجابة لدعوته وتحقيقا لرجائه: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ (البقرة:١٢٧-١٢٩).

بهذا التواصل مع النبي ﷺ ومن تبعه، ومع جده الخليل عليه



السلام؛ ندرك وحدة الدين الذي أنزله الله تعالى لعباده، وأن لنا نسبا ممتدا في الصالحين؛ فدين الله واحد وإن اختلفت الشرائع التي أرسلها لهداية خلقه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ (الشورى:١٣).

إن المسجد الحرام أول بقعة وضعت في الأرض ليعبد فيها الركع السجود ربهم وحده، مهدها الخليل إبراهيم، عليه السلام، بعد عراك طويل مع الوثنية المستكبرة العنيدة! فلما جاء إلى مكة بنى هذا البيت الشامخ، ودعا أن يحفه الله بالأمان؛ حتى لا يساور العباد القلق وهم بين يدي الله! ودعا أن يكون من ذريته نبي يحرس الوحدانية وينشر العلم والتقوى، وأن يقود أمة تسلم لله وجهها وتخلص قلبها. كيف لا يجيء المسلمون هنا وتاريخهم المادي والروحي يرتبط بهذا المكان، وذكريات الوحي الأول والخاتم ترف في ربوعه كلها؟

إنهم يجيئون ليترجموا عن وفائهم ويقينهم، ولتبقى دورات التاريخ متصلة المبنى والمعنى؛ لا يمر عام إلا أقبلت الوفود من كل فج كأنها الحمائم تنطلق إلى أوكارها، يحثها الشوق إلى مهاد التوحيد وحصنه[٣].

## تكامل ووسطية

ثم تأتي اللفتة المهمة في فريضة الحج وهي قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٨)؛ بما تدل عليه هذه اللفتة من أن الإسلام يروم تحقيق أمور الدنيا والدين معا بلا تناقض، وأن الإسلام يجمع بين المثالية والواقعية في تكامل ووسطية.

فكلمة «منافع» الواردة في الآية الكريمة تشمل مطلق المنافع؛ المادية والمعنوية، لأن الإسلام لا يقصد إيقاع المسلم في الحرج والمشقة، ولا يريده أن ينقطع للآخرة.. فعبادة جليلة مثل الحج تشتمل على منافع الدنيا والآخرة معا، ويعود فيها النفع على الإنسان، بكل ما تعنيه كلمة النفع والمنافع.

قال ابن عباس: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾: منافع الدنيا والآخرة؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والربح والتجارات. وكذا قال مجاهد وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة»[٤].

وهي إشارة مهمة تعكس تلك الحقيقة الأساسية من حقائق الإسلام؛ فهو متصالح مع الدنيا، ينزلها منزلتها ويعتبرها مزرعة للآخرة، من دون أن يقف عندها أو يسمح للإنسان أن ينغمس فيها وينسى القيام بوظيفته الأساسية في الحياة وهي العبادة، أو يقصر في الاستعداد للحياة الحقيقية الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع وهي الآخرة: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:٦٤).

بهذه المعاني وغيرها كثير، سواء في مناسك الحج أو في الخطبة الجامعة التي ألقاها النبي ﷺ بعرفة؛ ندرك أن عبادة الحج ذات رسائل متجددة ممتدة؛ ينبغي أن نقف عليها، وأن نستحضرها ونحن نبحث عن أدوية ناجعة لأدوائنا الموجعة.. وما أكثر أدوية الحج!

### الهوامش

١- رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير.
٢- «مئة سؤال عن الإسلام»، الغزالي، ١٠٠/١، دار ثابت، ط٢، ١٩٨٣م.
٣- «علل وأدوية»، الغزالي، ص:١٣٢، دار الشروق. باختصار يسير.
٤- تفسير ابن كثير، ٤١٤/٥، تحقيق سامي بن محمد السلامة.

علي نجم
باحث دراسات إسلامية
المغرب

# حبسهم عن الحج العذرُ.. ولم يفُتْهم الأجر

**يتوق المسلمون إلى حج بيت الله الحرام، وتهفو أنفسهم إلى تحقيق هذه الغاية؛ إلا أن تحصيل هذا المطلب يحتاج إلى الاستطاعة، وليس كل راغب في الحج مستطيعا، وهنا تتجلى رحمة الله تعالى حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧).**

فهل يعني هذا أن من لم يستطع الحج، سيغبن في الأجر، ويحرم من الخير؟ كلا وربي، لقد فتح الله سبحانه أبواب التعويض، ويسر فرص الاستدراك، وهو ما سنلقي عليه الضوء في مقالنا هذا.

لقد ربط الله جل وعلا وجوب أداء فريضة الحج بالاستطاعة، معنى ذلك أن غير المستطيع لا يجب عليه الحج، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها؛ ومن ثم، فإن من تخلف عن هذه الشعيرة كرها ورغما عنه، فلا إثم عليه.

ولا شك أن القلب الحي يعتريه الألم ويحرقه الشوق، إذا حن إلى مناسك الحج وحال بينه وبينها العذر؛ وهنا يأتي الأنس، وتحضر السلوة، حيث يعزيه في ذلك النية الصادقة، ويبشره الهم بالفعل، والعزم على الإقدام، فعن النبي ﷺ، فيما يروي عن ربه عزوجل أنه قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[1]، فمن هم بفعل حسنة الحج ولم يتمكن من ذلك، كتبت له حسنة بنص هذا الحديث.

فقد يحصل على الأجر العميم من حرم الحج رغما عنه، وبالمقابل قد يحصل من وفق إلى الحج على الإثم العظيم؛

لأن المحروم حبسه العذر، لكن استقر في قلبه العزم، فكان بنيته مأجورا؛ بينما حج الآخر رياء، ولم يؤد المناسك على حقها، ورفث وفسق وصخب وآذى الناس، فكان بعمله مأزورا.

ولذلك قيل: «إن النية أبلغ من العمل، ونية المؤمن خير من عمله؛ والنية دون العمل قد تكون طاعة، لأن من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، لكن العمل دون النية لا يكون طاعة»[٢].

وعليه فإن المرء قد يدرك بنيته أجر الحج، فكأن جسده في مكانه بينما تتنقل روحه بين المناسك، «على أن المتخلف لعذر شريك للسائر، وربما سبق بعض من سار بقلبه وهمته وعزمه، بعض السائرين ببدنه»[٣]، ولله در الشاعر حين قال:

**يا سائرين إلى البيت العتيق لقد**
**سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا**
**إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا**
**ومن أقام على عذر كمن راحا**

إن الأعمال التي نروم تحقيقها لا تتوقف على مجرد إرادتنا لها، فهناك حوائل تمنعنا من تحقيق ما نعزم على فعله، إذ إن الأجساد قد تضعف عن تحقيق المراد بسبب مرض مسهد، أو هرم مقعد، أو فقر مجهد، أو عدو قاطع للطريق، أو ظالم يحبسه في داره؛ لكن هذه الموانع والحوائل لا تمنع النية من التحقق والوجود، بما أنها طليقة من القيود التي تكبل الأجساد؛ فهي عمل القلب، والقلب لا سلطان عليه، ولذا فإن العبد الذي ينوي نية صادقة ولا يستطيع تنفيذها في الواقع، ينال ثواب الناوي الفاعل لما نوى[٤].

### أجر الحج بالنية

إن للنية شأن عظيم، إذ إنها تنوب عن قطع المسافات وبذل الأموال وشهود المشاهد، لمن لم يستطع إلى ذلك سبيلا، ومن ذلك الحج؛ فكما ذكرنا آنفا، فإن العبد الذي نوى الحج وبذل ما في وسعه لكنه عجز عن تحقيق الهدف،

## من حرم الحج وفي قلبه العزم كان بنيته مأجورا

فإنه يرجى له الأجر، وكأنه حضر مع الحجاج وقام بالمناسك، ويشهد لهذا أدلة كثيرة من الشرع ومنها:

أ- هاجر خالد بن حزام رضي الله عنه إلى أرض الحبشة فنهشته حية في الطريق، فمات قبل أن يصل، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (النساء:١٠٠)، فرغم أنه لم يكمل الهجرة، فإن الله تعالى بمنّه وكرمه قد كتب له الأجر بنيته الطيبة؛ فالعازم على الخير فاعل، والقاصد للوصول واصل، وليس على العبد إلا الاجتهاد، قال القرطبي: «النية الصادقة هي أصل الأعمال، فإذا صحت في فعل طاعة فعجز عنها صاحبها لمانع منع منها فلا بعد في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر الفاعل ويزيد عليه»[٥].

ب- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (التوبة: ٩١ – ٩٢)، فهؤلاء يريدون الجهاد وصدقت نياتهم؛ لكنهم قصروا عن المشاركة فيه بسبب الأعذار، فكتب لهم أجر المجاهدين، ويفسر ذلك سياق الآية[٦]، كما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «إن بالمدينة أقواما، ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»[٧]، وفي رواية مسلم: «إلا شركوكم في الأجر»[٨]، قال العيني في تعليقه على الحديث: «من حبسه العذر من أعمال البر مع نية فيها يكتب له أجر العامل بها»[٩]. وكما قيل في هؤلاء الضعفاء والمعذورين في الجهاد، يقال في الضعفاء والمعذورين الذين حبسهم العذر عن الحج.

ت- عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله صنعت شيئا في منامك لم تكن تفعله، فقال: «العجب إن ناسا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس، قال: «نعم، فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكا واحدا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم».

فهم يهلكون مهلكا واحدا بالخسف يقع عليهم جميعا، ويبعثون يوم القيامة مصادر شتى مختلفة باختلاف نياتهم، فالهلاك قد عم المطيع والعاصي وعند البعث يجازى كل بنيته، والحاصل أنه لا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب أو العقاب بل يجازى كل أحد بعمله على حسب نيته[١٠]، وكذلك لا يلزم من التخلف عن الحج تخلف الأجر، بل إن المتخلفين يتنوعون بين المفرط وبين العاجز الناوي المتحرق، والعاجز الذي لا نية له ولا هم.

ث- عن أبي بردة قال: سمعت أبا موسى مرارا يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد، أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا»[١١]، ويشبهه حديث أبي الدرداء، يبلغ به النبي ﷺ، قال: «من أتى فراشه وهو

ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه عزوجل»[١٢]. ويظهر من خلال الحديثين أن العبادات التي يعملها الإنسان أو ينوي عملها، ويحول بينه وبينها حائل، فإن الله جل في علاه يكتب له الأجر على ذلك بنيته، ويدخل في هذا ما نحن بصدده من الحج والعمرة، قال ابن عثيمين: «فالمتمني للخير، الحريص عليه؛ إن كان من عادته أنه كان يعمله، ولكنه حبسه عنه حابس، كتب له أجره كاملا، فمثلا: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي مع الجماعة في المسجد، أو يصلي تطوعا، أو يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؛ ولكنه حبسه حابس، كنوم أو مرض، أو ما أشبهه فإنه يكتب له الأجر تماما من غير نقص، أما إذا كان ليس من عادته أن يفعله؛ فإنه يكتب له أجر النية فقط، دون أجر العمل»[١٣].

ج- عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[١٤]. فمن نوى خيرا واعتقد فعله، حصل له أجر ما نواه وإن عاقه عائق، تفضلا من الله وأجرا على نيته، كما هو حال من سأل الشهادة بصدق، فإنه يعطى من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير[١٥]، وعلى غرار ذلك أقول إن من سأل الله الحج بصدق، يرجى أن يبلغه الله منازل الحجاج، وإن بقي في مكانه أو كان على فراشه.

## محاكاة الحجاج بالنية والعمل

إذا تحقق الراجي للحج من فوات فرصته، واحترق قلبه وحن فؤاده، فإن لهذا المتلهف أن يحاكي الحجاج باستثمار العشر من ذي الحجة، والتي قال عنها عزوجل: «والفجر وليال عشر». فقيل هي أول ذي الحجة؛ وقيل هي عشر المحرم من أوله، والصواب من القول في ذلك أنها عشر الأضحى، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه[١٦].

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذه؟[١٧]» قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء»[١٨].

فمن لم يكتب له الحج فعليه بهذه الأيام عساه أن يضاهي أجر الحجاج، وذلك بطرق أبواب الخير التالية:

أ- شراء الأضحية وذبحها: وفيه تشبه بهدي الحج.

ب صوم عرفة: لعله أن يجاري أجر الواقف بها في الحج، حيث قال رسول الله ﷺ: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده»[١٩].

ت- الكف عن قص الشعر والأظافر: بحيث يتشبه بالمحرم في ابتعاده عن محظورات الإحرام، فعن أم سلمة، أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة، وأراد أحدكم أن يضحي، فليمسك عن شعره وأظفاره»[٢٠].

وخلاصة القول إن رحمة الله واسعة، حيث فتح لعباده مجالات الخير، وجعلها منوعة ومراعية لقدراتهم وحاجاتهم، فمن شقت عليه عبادة وجد مندوحة في أخرى، فقد يقطع الناوي بقلبه مسافات في السير إلى الله يعجز عنها السائر بالجسد، ومثل ذلك أناس نووا الحج بقلوبهم وعقدوا العزم واشتاقوا وحنوا؛ لكن حبسهم العذر، وقصرت بهم الصحة أو النفقة، فكتب الله لهم الأجر بما ربطوا عليه أفئدتهم، كما فتح لهم باب استدراك التخلف القهري عن الحج بتيسيره لعبادات في العشر من ذي الحجة، يرقون بها منازل المأجورين، وربما يتجاوزون فيها الحجاج والمعتمرين.

## الهوامش

١. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، ١٠٣/٨. وأيضا: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب، ١١٨/١.

٢- انظر: شعب الإيمان، للبيهقي، ١٧٧/٩ -بتصرف يسير-، ط١، مكتبة الرشد.

٣- لطائف المعارف، لابن رجب، ص: ٢٣٨، بتصرف، ط١، دار ابن حزم.

٤- راجع: مقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، لعمر الأشقر، ص: ٨٤، ط١، مكتبة الفلاح.

٥- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، للقرطبي، ٢٩٣/٨، ط٢، دار الكتب المصرية.

٦. تفسير ابن كثير، لابن كثير، ١٧٥/٤، ط١، دار الكتب العلمية.

٧- صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، ٨/٦.

٨- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر، ١٥١٨/٣.

٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، ١٣٣/١٤، دون طبعة، دار إحياء التراث العربي.

١٠- فتح الباري، لابن حجر، ٦١/١٣، دون طبعة، دار المعرفة. وكذلك: التنوير شرح الجامع الصغير، للأمير الصنعاني، ٣٧٥/٧، ط١، مكتبة دار السلام.

١١- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، ٥٧/٤.

١٢- سنن النسائي، ٢٥٨/٣، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية. وأيضا: سنن ابن ماجه،٣٦٨/٢، ط١، دار الرسالة العالمية. وقد حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١٠٣١/٢، ط٣، المكتب الإسلامي.

١٣- شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٣٦/١-٣٧ -بتصرف يسير-، طبعة ١٤٢٦هـ، دار الوطن.

١٤- صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، ١٥١٧/٣.

١٥- انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ٥٥/١٣، ط٢، دار إحياء التراث العربي. وكذلك: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، ٣٣٤/٦، ط١، دار الوفاء.

١٦- تفسير الطبري (جامع البيان)، للطبري، ٣٩٧/٢٤، ط١، مؤسسة الرسالة.

١٧- يقصد العشر من ذي الحجة.

١٨- صحيح البخاري، أبواب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، ٢٠/٢.

١٩- صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، ٨١٨/٢.

٢٠- صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وهو مريد التضحية أن يأخذ من شعره، أو أظفاره شيئا، ١٥٦٥/٣.

د. أحمد راشد
أستاذ النقد والأدب المقارن
مصر



# منافع الحج بين الدين والدنيا

**من نعم الله تعالى على عباده أن جعل دينهم دينا وسطا فيه منافع لهم، وقد من عليهم بهذه المنافع في العبادات كلها والمعاملات والاعتقاد. ومن بين العبادات التي أشار القرآن الكريم بلفظه ومعناه إلى منافعها المتعددة عبادة الحج، وهي الركن الخامس من أركان الدين الحنيف، وفي هذا يقول الله تعالى:**
﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ **(الحج:٢٨)، فالآية الكريمة وضحت بلفظها أن للعباد في الحج منافع، وذهب المفسرون في معناها إلى أنها منافع دينية وأخرى دنيوية.**

وقبل أن نتطرق إلى ذكر المنافع بقسميها نبين أن لفظ «منافع» جاء في الآية بصورة الجمع لبيان التعدد والكثرة، وبصورة النكرة لبيان التعظيم؛ أي أن في هذه العبادة الجليلة منافع عظيمة تشمل أمر الدين والدنيا.

أما عن المنافع فهي على قسمين: أولهما: المنافع الدينية. وثانيهما: المنافع الدنيوية. وسنذكر فيما يلي جملة من كل واحدة من المنافع السابقة:

**أولا: منافع الحج الدينية**

نستطيع هنا أن نذكر جملة من منافع الحج الدينية، وبيانها على النحو التالي:

١- الحج فيه دعوة إلى اجتماع الناس ووحدتهم في كل أمورهم، ودليل هذا أنهم متحدون في مكانهم وزمانهم وملبسهم ومقصدهم، والمعلوم أن الاجتماع في الظاهر كثيرا ما يؤدي

إلى وحدة الباطن واجتماعه وتآلفه.
٢- في الحج تتحقق الوحدة في أداء المناسك والانتقال بين المشاعر، تعبدا لله تعالى وامتثالا لأمره عزوجل، ولسنة نبيه ﷺ.
٣- تحقيق للمساواة، وإذابة للفوارق، ونبذ الخلاف والتشاحن بين المسلمين، وفي هذا الأمر إقرار لمبدأ المساواة بين الناس، فالفارق والفضل بينهم لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح.
٤- تذكير بأحوال وأهوال يوم القيامة، فالناس مجتمعون بكثرة لأداء المناسك، لاسيما الوقوف بعرفة، ومنهم من قد توافيه منيته فيموت، ووقتها يعلم الحجاج ومن يشاهدونهم أن الدنيا ما هي إلا لحظات وستمر إلى دار المقامة، حيث هناك سيقف الجميع أمام ربهم للعرض والحساب.
٥- في الحج تحقيق الهدف الأسمى والأعظم وهو عبادة الله تعالى وتوحيده، ودليل هذا أن الحجاج جميعا يلبون مرددين قولا واحدا، ألا وهو «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وهذا القول فيه توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة، مع الاستسلام والانقياد لله بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.
٦- تعليم الناس النظام والترتيب في سائر أمور حياتهم، فلكل منسك من المناسك وقته الخاص به، وساعته التي يكون فيها لا في غيرها، وهذا الأمر يترتب عليه أن يوطن الناس أنفسهم على الامتثال لأمر الله ومراده، والتأدب في أداء العبادات بأركانها المختلفة.
٧- تعارف المسلمين من شتى بقاع الأرض، وهذا الأمر يربي في نفس المسلم أن دين الله تعالى له أهله في كل بقعة من بقاع الأرض، وفيه بيان أن دين الله له علو ورفعة في كل مكان.

## الحج يحقق المساواة ويزيل التشاحن بين المسلمين

٨- الحج تربية للنفوس على ترك الجدال والجدل والمراء في الدين، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧)، والمعلوم أن الجدال منهي عنه في الأوقات الشريفة كالحج.
٩- حث للناس على التنافس في أداء الطاعات والقربات إلى ربهم سبحانه وتعالى، ودليل هذا ما ينفقه الحاج من المال والهدي وغيرهما في عبادته هذه منذ بدايتها إلى نهايتها.

**ثانيا: منافع الحج الدنيوية**

وكما للحج منافع دينية فإن له من المنافع الدنيوية ما تحصل به الفائدة للمسلمين ولغيرهم في كل مكان، ويظهر ذلك بوضوح في باب التجارة والسياحة أكثر من غيرهما، والمطلوب الأسمى والأعلى قبل تحقيق المنافع الدنيوية أن يخلص الإنسان في عمله وجهه، وأن يبتغي به وجه الله تعالى، وألا يكون همه العمل والتجارة.
ومن المنافع الدنيوية التي قد تتحقق من الحج ما يلي:
١- يتمكن الحجاج وغيرهم من المسلمين من إقامة المعارض الصناعية والزراعية والتجارية بكل أنواعها، التي يمكنهم من خلالها تحقيق أرباح مادية تعود عليهم وعلى بلادهم بالنفع.
٢- في الحج تتمكن دور الطباعة والنشر من عرض كتبها التي يفيد منها الحجاج والمسلمون بصفة عامة، لاسيما كتب الحج ومناسكه، وكذلك الكتب المتعلقة بعلوم الشريعة واللغة العربية على وجه الخصوص.
٣- إعداد الشركات السياحية للرحلات الترفيهية وكذلك التعريفية بمعالم بلاد الحرمين الشريفين، كجبل أحد، وغار حراء، وغار ثور، وغيرها من الأماكن التي لها قدسيتها في قلوب المسلمين.
٤- الحج والعمرة بابان مفتوحان للخير على مدار العام، وذلك أن الحج في موسمه المحدد يدر خيرا وفيرا لأهل هذه البلاد وغيرهم، وكذلك العمرة التي هي على مدار العام تسمح أيضا بعقد الصفقات وفتح باب المعاملات بين التجار والمستثمرين في كل مكان.
٥- في الحج والعمرة يحصل من التكافل الاجتماعي والتصدق ما قد لا يحصل في غيرهما على مدار العام، وذلك من خلال التصدق على الفقراء والمحتاجين في هذه العبادات، وهذا الأمر فيه من إفشاء المودة والتسامح ما يؤدي إلى اجتماع القلوب ومودتها وتآلفها دائما.
والأمر ليس مقصورا على ما ذكرناه، لكن هذه المنافع المذكورة إنما هي على سبيل البيان والتمثيل وليس الحصر.

أحمد صالح البسطويسي
باحث في أصول الفقه والشريعة



# الحج وخصوصيته في الشريعة

أمر الله، عز وجل، نبينا إبراهيم، عليه السلام، بعد أن رفع قواعد البيت الحرام التي وضعتها الملائكة من قبله، بالحج، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٧-٢٨). توضح الآية الكريمة حالة الذهاب إلى الحج، التي حببها الله إلى خلقه ورغبهم فيها، حتى إنهم يأتون ﴿رِجَالًا﴾ (أي على أرجلهم من دون أي وسيلة مواصلات)، وأيضا ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (أي على أي دابة توصلهم أو تمكنهم من أداء الفريضة، سواء أكانت قوية غضة أم ضعيفة ضامرة)، المهم أن يصل الناس لأداء ركن الحج. وفي قوله ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ إشارة إلى ورود الحجيج من مختلف أصقاع وفجاج الأرض المختلفة من حيث بعدها أو قربها من مكة. وفي قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾، إشارة إلى منافع عظيمة وكثيرة تتحقق من وراء الحج.

لقد حبب الله تعالى أداء فريضة الحج لعباده؛ فحرصوا على أدائها زرافات ووحدانا، رجالا وركبانا، فقراء وأغنياء، عجائز وشبابا، ذكورا وإناثا، بيضا وسودا وغيرهم، كلهم راغبون في الحج، مقبلون عليه متشوقون لأدائه، وكم من فقير اقتطع من ماله لسنوات عديدة حتى يتيسر له أداء الحج، وكم من غنى تكفل بنفسه وبغيره من الفقراء ليمكنهم من الحج إلى البيت المعمور بذكر الله المحفوظ بقدرته عزوجل. وقد جعل الله عز وجل الحج هو الأساس الخامس الذي يبنى عليه الإسلام، والإسلام، بلا شك، جاء ليهذب المجتمعات، بل وينشئ المجتمعات من أساسها. والدليل على ذلك هو هذا التغير الاجتماعي الهائل الذي حدث في الجزيرة العربية وما حولها بسبب الإسلام وليس بشيء غيره.

وقد فرض الله الحج على المسلمين ليقضي على العزلة الفكرية أو المعنوية أو المادية التي حدثت أو تواكبت مع غيره من العقائد.

إن المسلمين حين يلتقون في الحج كل عام بمكة المكرمة، إنما يتقاربون في أفكارهم، وتشحذ هممهم، وترتفع معنوياتهم، ويسعون إلى التشابه حتى



# ـــــــــــة الإسلامية

في ملامحهم، على الرغم من اختلاف أقطارهم ومشاربهم، فالحج يقضي على الاختلاف والتشرذم والضعف؛ إنه الشحنة المعنوية الكبيرة التي تتأثر بها القلوب بصورة سنوية، هو الركن الأكبر الذي جعله الله كبيرا عظيما في قلوب المؤمنين وأمام أعين الناظرين من مختلف أصقاع الأرض.

ويتحمل الحاج في أثناء حجه العديد من المشاق البدنية والمادية، وأيا كان مستوى هذا الحج من حيث الراحة؛ فلابد أن يتعرض الحاج فيه إلى المشقة. ولكنه يعود، بعد أداء هذا الركن، وقد تجدد طموحه وزادت عزيمته، بعد أن رأى أمام عينيه صورة عملية لسعي السيدة هاجر بين الصفا والمروة ابتغاء الماء لوليدها إسماعيل، عليه السلام، وكذلك لجموع المسلمين تطوف حول الكعبة تقليدا للطواف الأول لملائكة الرحمن حول البيت المعمور. إن الحاج يرى أمام عينيه صورة لأرض المحشر في منى والمزدلفة، كل منشغل بأمر نفسه داع لله، ملح في الرجاء، راغب في النجاة من الأهوال.

يرمي المسلم الجمرات الكبرى والوسطى والصغرى في الموضع نفسه الذي رمى فيه إبراهيم، عليه السلام، الجمرات على إبليس اللعين، الذي أراد أن يغويه ويثنيه عن تنفيذ مراد الله عزوجل، حيث يقلد المسلمون ما فعله أبوهم إبراهيم، عليه السلام، فيرمون الموضع ذاته الذي رمى عنده إبراهيم، ويتذكرون ذلك العداء المتأصل بين إبليس اللعين وبني البشر بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة.

**الحج مسبوق بأيام وليال مباركة**

وبعد أداء هذه الفريضة؛ يعود الحاج إلى وطنه محملا بالعديد من المشاعر والأفكار عن إخوانه القادمين من مختلف بقاع الأرض، وقد تجدد الشعور داخله بوحدة الأمة، ووحدة آلامها وأفراحها.

والحج مسبوق بأيام وليال مباركة أقسم الله عزوجل بها في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ (الفجر:١-٣)، وهي من أعظم الأيام عند الله، والعمل الصالح فيها أفضل منه في سواها.

وربما جاء الحج متأخرا في الترتيب بين الأسس التي بني عليها الإسلام لسبب واضح، وهو أنه لا معنى للحج إذا لم يكن المسلم مقيما للصلاة، مؤديا لزكاة ماله، ملتزما بصيام رمضان، بل إنه لن يجد في نفسه الحافز المادي والمعنوي لأداء الحج إذا لم يكن بالفعل مرتبطا بالمسجد، حريصا على العطاء المادي للمسلمين من خلال الزكاة، وأيضا ذاق روحانية وحلاوة الإسلام من خلال الصوم.

الحج مؤثر اجتماعي كبير وعظيم بالنسبة إلى المجتمع الإسلامي، ولا شك في أن المسلمين يعودون إلى مجتمعاتهم محملين بهذه الشحنات المعنوية العظيمة التي اكتسبوها من خلال الحج؛ فيزداد بسببها تمسك المسلمين بإسلامهم وتعلقهم بشريعته الغراء.

إن خصوصية الحج وأسراره تتجلى في أمور عدة نذكر منها:




## أولا: الإحرام

إن الإنسان متقلب عادة بين إرادتين؛ إرادته وإرادة خالقه، وخارج الحج تنطلق إرادته مجردة من كل قيد، فيلبس ما يشاء ويأكل ما يشاء ويقضي شهوته متى شاء ويتطيب بما شاء.. لكن في الإحرام يستجيب لإرادة خالقه، وتتعطل إرادته، فيحرم عليه لبس المخيط والمحيط، كما يحرم عليه التطيب والتعطر، ويمنع من الصيد والأكل من الطرائد البرية، كما يمنع من الرفث إلى زوجه أو جماعها.. وفي كل ذلك سر عظيم؛ وهو تذكير الإنسان بحقيقة أمره، فرغم أنه يفرط أحيانا في استعمال إرادته، يأتي منسك الإحرام فيذكره بصاحب الإرادة الحقيقية الذي ينبغي أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى، فلا أمر إلا أمره، ولا إرادة إلا إرادته.. إنه الله رب العالمين.

وفي الإحرام تظهر المساواة بين جميع المسلمين، حاكمهم ومحكومهم، غنيهم وفقيرهم، ومظهر الحجاج في لباس الإحرام يذكر بيوم البعث والوقوف أمام الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما في الصحيح عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا»[1]. والإحرام في حقيقته تجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل ما سوى الله تعالى والتفكير في جلاله وعظمته.

## ثانيا: التلبية

من أسرار التلبية إجابة نداء الله عزوجل. والتلبية شهادة على تجرد النفس من الشهوات، والتزامها بالطاعة، والامتثال إلى أمر الله تعالى بتوحيده وتنزيهه عن الشريك الذي طالما جعله المشركون ندا له عز وجل، حيث كانوا يقولون في تلبيتهم أيام الجاهلية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك»، لكن التلبية الحقة التي جاءت ضمن تعاليم هذا الدين الحنيف، الذي لا يقر ولا يعترف بالند ولا بالشريك لله تعالى، تلبية التوحيد للخالق جلا وعلا في الحج والعمرة فهي: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

## ثالثا: الطواف

يدعي أعداء هذا الدين والمتربصون بأتباعه أن الطواف وبعض المناسك هي أفعال تشبه بعض أعمال المشركين أيام الجاهلية في طوافهم ببعض النصب، وتقبيلهم بعض الأحجار، وتعظيمهم بعض الأشجار والظواهر، والسعي إليها والسير طويلا لها..

لكن في حقيقة الأمر إن المسلم يمتثل أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ (الحج:٢٩)، ويعلم أنه يطوف طوع إرادة الله لا طوع إرادته، وهنا يحق لنا أن نتذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقبل الحجر الأسود الموجود في زاوية من زوايا البيت، وتقبيل الحجر من مناسك الحج المسنونة، قال: «إني أعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»[2]. وفي قوله هذا سر عظيم من أسرار الطواف والأعمال المقرونة به، وهو وجوب الخضوع التام لإرادة الله الآمر الناهي..

نعم إنه حجر لا يضر ولا ينفع، فهو لا يستحق التقبيل، وفق إرادة عمر رضي الله عنه، لكن وفق إرادة الله تعالى يستحق التقبيل ويستحب ذلك، لذلك يعطل عمر إرادته ويستجيب لإرادة ربه عزوجل فيقبل الحجر..

وكذلك الطواف أمر رباني يفعل وفق إرادة الله تعالى، يستحضر فيه التعظيم والخوف والرجاء والمحبة، ولذلك ينبغي ألا يكون الطواف بالجسم فقط، بل ينبغي أن يكون بالروح والقلب، أي يبتدئ بالأرض دائريا ثم يصعد إلى الأعلى حلزونيا ليجتمع القلب بالطائفين بالبيت المعمور الموجود في السماء المقابل للبيت العتيق في الأرض، فعن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور الذي في السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام، لو سقط سقط عليه، يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط، وإن في السماء السابعة لحرما على قدر حرمه»[3].

ومن أسرار الطواف تحقيق وحدة الأمة والذوبان في أطرافها، فإذا علمنا أن الطواف صلاة، كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «إنما الطواف صلاة، فإذا طفتم فأقلوا

الكلام»[٤]، علمنا بذلك أن الطائف يكون قد صلى إلى الكعبة من كل جهات المعمور، فتصير الأرض كلها بلدة واحدة له، وكذلك كل الحجاج.

### رابعا: السعي

في السعي ذكرى عظيمة لامرأة ضاقت بها الأرض بما رحبت، وهي ترى وليدها يوشك على الهلاك من الجوع والعطش، ولا أحد يستطيع كشف كربها وتيسير أمرها، إلا من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء عنه.. إنها السيدة هاجر، رضي الله عنها، التي سعت بين الصفا والمروة متضرعة إلى ربها لينقذ ولدها، وكلها يقين أنه قادر على ذلك، فجاء الفرج منه سبحانه، فسال ماء زمزم ليكون لها ولولدها طعاما وشرابا.. وهذا الماء الذي نبع بيقين، ينبغي على الحاج أن يشربه بيقين، ولذلك قال ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له»[٥].

فالسر في السعي بين الصفا والمروة هو تخليد لسعي السيدة هاجر، رضي الله عنها، بينهما وهي تنادي ربها وتناجيه، ليبقى مستمرا إلى قيام الساعة، ولم يكن فعلها هذا إلا وحيا وإلهاما منه عزوجل، لذلك لم يقل الله تعالى: إن الصفا والمروة من شعائر هاجر، أو زوج إبراهيم، وإنما قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ (البقرة:١٥٨)، فصار فعلها عبادة يتقرب بها إلى الله، وسبيلا لاستمطار رحمة الله تعالى، وسنة يفهم منها وجوب السعي وراء الرزق والحث على العمل والبعد عن الكسل.

### خامسا: الوقوف بعرفة

إن يوم التاسع من ذي الحجة يشهد أكبر تجمع بشري على وجه الأرض، في زمان محدد معدود بساعات، ومكان معلوم محصور في بضع آلاف من الأمتار المربعة.. هذه الصورة الرائعة لحشد يعد بالملايين في ثوب واحد، متوجه إلى رب واحد.. بلا شك يذكِّر الحاج بيوم القيامة واجتماع الأمم والعرض الأكبر على الله تعالى، وهو موقف يذكِّر بالموت الذي ينتقل به المرء إلى ربه بكفن شبيه بلباس الإحرام. ويشير أيضا إلى تجرد الإنسان في ذلك الوقت من ملذات الدنيا، وشهوات النفس، ما يحث المسلم على الإقبال على الله تعالى، والاجتهاد في الأعمال الصالحة.

## خصوصيات الحج أسرار كثيرة ومعارف شتى

### سادسا: رمي الجمار

أما رمي الجمار فمن أول أسراره التمرد على إبليس وطرد وساوسه، وإياك أن تظن أيها الحاج أن رمي الجمار هو مجرد فعل عبثي، فهذا الظن من وساوس الشيطان ليحرمك من الأجر. ومن أسرار الرمي أنه رمز للانقياد لأمر الله تعالى وإظهار لعبوديته من غير حظ للعقل والنفس فيه، وتشبه بنبي الله إبراهيم، عليه السلام، الذي عرض له إبليس، لعنه الله، في ذلك الموضع ليصرفه عن طاعة ربه فرماه بالحجارة، طردا له، وقطعا لأمله، ومحاربة لوسوسته وتضليله.

### سابعا: ذبح الهدي

فيه إظهار لنعمة الله، حيث يوسع المسلمون على أنفسهم والفقراء والمساكين في أيام العيد، قال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (الحج:٢٨)، وفي آية أخرى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّۚ﴾ (الحج:٣٦).

ومن أسراره التذكير بفعل أبينا إبراهيم، عليه السلام، حينما عزم على ذبح ابنه إسماعيل، عليه السلام، استجابة لأمر الله تعالى، ففداه الله بذبح عظيم، قال عز من قائل: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٠﴾ (الصافات:١٠٧-١١٠). وقد أصبح الفداء بعدها سنة متبعة تفعل كل عام؛ اقتداء بنبينا إبراهيم، عليه السلام، وبسيدنا محمد ﷺ، الذي أحيا سنة الخليل وأمرنا بها، ففي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: «ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين أقرنين»[٦]، بل ساق الهدي ليذبحه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، منذ عمرة الحديبية سنة ست للهجرة إلى حجة الوداع سنة عشر.

وهذه جملة من خصوصيات الحج وأسراره الكثيرة التي لا يتسع المقام لذكرها جميعا.

---

### الهوامش

١- رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة:١١٧)، حديث رقم: ٤٦٢٥.

٢- رواه البخاري في كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، حديث رقم: ١٥٩٧.

٣- رواه عبدالرزاق في مصنفه، كتاب المناسك، باب الخطيئة في الحرم والبيت المعمور، حديث رقم: ٨٨٧٤.

٤- رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: ١٥٤٢٣.

٥- رواه ابن ماجه في سننه، كتاب لمناسك، باب الشرب من زمزم، حديث رقم: ٣٠٦٢.

٦- رواه مسلم في كتاب الأضاحي، باب استحباب الضحية، وذبحها مباشرة بلا توكيل، والتسمية والتكبير، حديث رقم: ١٨(١٩٦٦م).

نادر أبو الفتوح
صحفي مصري




# يوم عرفة

تتعلق قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم بمشهد وقوف الحجاج بصعيد عرفات، ذلك المشهد العظيم الذي يعبر عن وحدة الأمة الإسلامية، ففي يوم التاسع من ذي الحجة كل عام يقف حجاج بيت الله الحرام بعرفة، ليؤدوا ركن الحج الأعظم، بعد أن تركوا أموالهم وأولادهم وتوجهوا لأداء الفريضة، طلبا للمغفرة والرحمة، وكل منهم يسأل الله عزوجل أن يتقبل منه حجه، ويعود إلى بلده وأهله خاليا من الذنوب كيوم ولدته أمه.

ويوم عرفة من الأيام العظيمة التي لها فضل كبير، ويدخل هذا اليوم فيما أقسم الله تعالى به في القرآن الكريم في قوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ (الفجر:١-٢)، ويمتد فضل هذا اليوم لكل المسلمين، وليس فقط لمن يؤدي فريضة الحج، لأنه يوم المغفرة والجائزة الكبرى، والنبي الكريم ﷺ قال في الحديث الشريف: «صيام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والسنة القادمة» (أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه)، وفسر العلماء تكفير السنة القادمة، بأن الله يبغض للصائمين في هذا اليوم المعاصي والسيئات في العام المقبل.

ويقول الدكتور مختار مرزوق الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، أن شعائر يوم عرفة تبدأ بعد أن يؤدي حجاج بيت الله الحرام صلاة الفجر في منى، وبعد ذلك ومع شروق الشمس يتوجه الحجاج إلى صعيد عرفة، حيث تهفو قلوبهم ومشاعرهم لأداء ركن الحج الأعظم في هذا اليوم المشهود، الذي هو أساس فريضة الحج، لأنه من وقف بعرفة فقد أدى الفريضة، ومن لم يقف بعرفة فلم يحج، لأن النبي الكريم ﷺ قال في الحديث الشريف «الحج عرفة» (أخرجه أحمد في مسنده ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في السنن)، ومع انطلاق الحجاج إلى عرفة تنطلق ألسنتهم بالتلبية



مرددين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، ويصدر عنهم هذا الدعاء رغم اختلاف ألسنتهم، وهذا دليل على الوحدة التي تجمع المسلمين في هذا اليوم.

ويشير إلى أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم، ومن فاته الوقوف بعرفة فاته الحج كما قال الرسول الكريم ﷺ. ويوم عرفه هو يوم الجائزة الكبرى التي أعدها الله عزوجل لحجاج بيت الله الحرام، كما روى ابن خزيمة وابن حبان والبزار وأبو يعلى والبيهقي عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي، جاؤوني شعثا غبرا ضاجين، جاؤوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ولم يروا عقابي، فلم ير يوما أكثر عتقا من النار، من يوم عرفة». ففي هذا اليوم المشهود يغفر الله عزوجل الذنوب، وتنزل الرحمة والسكينة على قلوب المسلمين الذين يتابعون مشهد وقوف الحجاج بعرفة عبر شاشات الفضائيات ووسائل التكنولوجيا الحديثة.

## فضل الوقوف بعرفة

ويؤكد الدكتور علوي أمين الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة، أنه من أهم ما يجب أن يفعله الحجاج في يوم عرفة، التضرع إلى الله عزوجل بالدعاء وطلب المغفرة والرحمة، وكثرة الذكر والشكر لله سبحانه وتعالى، لأنه وفقهم واختارهم لأداء الفريضة والوقوف بعرفة، وعلى الحاج الذي يقف على عرفة أن يشغل نفسه بالأذكار والأدعية الشرعية، وألا يضيع دقيقة واحدة في أي أمور أخرى، لأن الوقوف بعرفة له وقت محدد، يجب أن يستغله الحاج في التضرع إلى الله والدعاء للأهل والأقارب وللمسلمين، وأن يتذكر فضل الله عليه، لأنه اختاره للوقوف في هذا اليوم المشهود بهذا المكان الطاهر، ويؤدي الحجاج صلاتي الظهر والعصر جمعا وقصرا، ويظل حجاج بيت الله على عرفة حتى غروب شمس يوم التاسع من ذي الحجة، ثم يبدأ الحجاج في النزول للمزدلفة، وأداء صلاتي المغرب والعشاء جمعا وقصرا، كما قال الله عزوجل: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (البقرة:١٩٨).

## يوم الجائزة الكبرى

أما الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر، فأوضح أن هناك فضلا وثوابا كبيرا أعده الله عزوجل لغير الحجاج في يوم عرفة، فإذا كان حجاج بيت الله الحرام قد أكرمهم الله بأداء الركن الأعظم في هذا اليوم، فإن غير الحجاج لهم نصيب من فضل هذا اليوم العظيم، لأنه يوم الجائزة الكبرى، فيغفر الله عزوجل للحجاج الواقفين على عرفة، كما جاء في الحديث الشريف «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري ومسلم)، هذا بالنسبة لمن يؤدي الفريضة، ويغفر الله عزوجل أيضا لعباده الصائمين الذين لم يؤدوا فريضة الحج، فالمسلم الذي لم يؤدي الفريضة ويصوم يوم عرفه، ويتطلع قلبه للوقوف بعرفة في الأعوام المقبلة، فإنه ينطبق عليه حديث الرسول الكريم ﷺ: «صيام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية» (رواه مسلم).

وأضاف أنه كما أكرم الله تعالى الأمة الإسلامية بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فقد أكرمها بيوم عرفة، وصيام غير الحجاج في هذا اليوم له فضل كبير، فكل مسلم لم يؤدي الفريضة يتمنى الوقوف بعرفة في مثل هذا اليوم، وكل من أدى الفريضة قبل ذلك يتذكر هذه الرحلة، ويتوق إلى تكرارها مجددا..

مرهف حسين أسد
كاتب وباحث إسلامي
سوري

# نفحات عشر ذي الحجة

من المعلوم أن لله سبحانه تعالى خواص من الأزمنة والأمكنة والأشخاص، ففضل رمضان على سائر الشهور، وفضل أيام عشر ذي الحجة على باقي الأيام، حتى على أيام العشر الأواخر من رمضان، حيث خصها الله سبحانه بالقسم في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۞ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۞﴾ (الفجر:١-٢). قال ابن كثير رحمه الله: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما. والله سبحانه لا يقسم إلا بعظيم.

ولعل خصوصية تلك الأيام تكمن فيما قاله ابن حجر في فتح الباري (٢/٤٦٠): «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها».

وفيها يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر: يوم العاشر من شهر ذي الحجة، فقد أخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ وقف يوم النحر في الحجة التي حج فيها، فقال: «أي يوم هذا؟» فقالوا: يوم النحر، فقال: «هذا يوم الحج الأكبر». قال ابن القيم رحمه الله: «خير الأيام عند الله يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر»، كما في سنن أبي داود عنه ﷺ قال: «إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر». ويوم القر، هو: يوم الاستقرار في منى، وهو اليوم الحادي عشر من ذي الحجة.

فحري بالمسلم بعد أن علم خصوصية تلك الأيام وأفضليتها، بأن اختارها الله سبحانه وتعالى على ما سواها من الأيام، وجعلها من أفضل مواسم الطاعات والقربات والنفحات، أن يتعرض لها، وينهل من معينها، وينال من خيرها، فيشمر عن سواعد الجد طلبا لتلك العطايا والمنح الربانية، ويضع لنفسه منهجا يسير عليه، ويستفتح به هذه العشر كي لا يفرط، فيندم على تفريطه.

ومع أن أعمال البر والخير معلومة لعوام الناس وخواصهم، فلا ضير من بيان بعضها، تذكرة للساهي، وتثبيتا للعالم بها، لكي يسير المرء على هدى وبصيرة، ومن هذه الأعمال:

## التوبة الخالصة الصادقة

ففي هذه الأيام يقبل الله فيها على خلقه، ويتوب على من تاب، فهي أساس القبول بين يديه سبحانه، وهي مفتاح كل خير، ومغلاق كل شر، وفيها الخير العميم، والفلاح الدائم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم:٨).

## إخلاص العمل لله عزوجل

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة:٥)، وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري وغيره: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..». فبالإخلاص يتم القبول، وبه تنال أعلى المراتب والدرجات، لاسيما وإن تحقق مفهومه كما عرفه العز ابن عبدالسلام رحمه الله تعالى: «الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيما من الناس ولا توقيرا، ولا جلب نفع ديني، ولا دفع ضرر دنيوي». وقال الفضيل بن عياض: «إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا وصوابا. قيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، ولا يقبل حتى يكون خالصا صوابا؛ والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة».

## الحج والعمرة

فهما من أجل الأعمال وأرفعها، فمن وفق إلى أدائهما بلغ الغاية ونال المأمول، لما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

## الصيام

هو من الأعمال التي يعطي بها الله سبحانه وتعالى عباده من الجزاء ما لا يعلمه إلا هو سبحانه، لأنه قرين الإخلاص وصنوه الذي لا يفارقه، وهو

عمل خير وبر عظيم، وصوم يوم عرفة لغير الحاج، فيه من الفضل ما لا ينال بغير صومه، وقد روى أبوداود وغيره، بإسناد صححه الألباني وضعفه غيره، عن هنيدة بن خالد، عن امرأته، عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر: أول اثنين من الشهر والخميس».

## الاجتهاد في التحميد والتهليل والتكبير

يسن ذكر الله سبحانه في أيام عشر ذي الحجة، فهو من صالح الأعمال، وأعظمها أجرا، قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ (الحج:٢٨). وعن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن، من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد». كما يسن الجهر بالتكبير عموما، وفي دبر الصلوات خصوصا، إعلانا لتعظيم الله سبحانه وتعالى، وإحياء لسنة نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام.

## الدعاء

يستحب الإكثار من الدعاء في أيام العشر، وخاصة في يوم عرفة، لما أخرجه الترمذي في سننه عن عمرو ابن شعيب، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير».

قال الإمام أبو الوليد الباجي رحمه الله في «المنتقى شرح الموطأ»: قوله «أفضل الدعاء يوم عرفة» يعني: أكثر الذكر بركة وأعظمه ثوابا وأقربه إجابة، ويحتمل أن يريد به الحاج خاصة؛ لأن معنى دعاء يوم عرفة في حقه يصح، وبه يختص، وإن وصف اليوم في الجملة بيوم عرفة فإنه يوصف بفعل الحاج فيه، والله أعلم.

## الأضحية

من أعمال البر الجليلة في هذه العشر، ذبح الأضاحي، إحياء لسنة أبينا إبراهيم عليه السلام، وفيها تذكير بقصة الفداء والتضحية والتقرب إلى الله بذبحها، فعن أنس رضي الله عنه قال: «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما» (رواه مسلم). والسنة أن يشهد المضحي أضحيته، وأن يباشرها بنفسه، وأن يأكل منها شيئا كما فعل النبي ﷺ.

## حسن الخلق

لأنه أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، فقد أخرج أبو داود والترمذي وصححه عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق». وأخرج أبو داود وغيره عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم». كذلك أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق».

## الصدقة

كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وفي ذلك دلالة أنه عليه الصلاة والسلام، يتجاوز حدود الجود والكرم المعهود في الأوقات الفاضلة، فينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، لأنه يتعامل مع كريم مفضال، صاحب الجود والإحسان سبحانه، ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن:٦٠)، وإحسان الله لا يدانيه إحسان جل في علاه.

فكم من محتاج ينتظر من يسد له حاجته؟ وكم من جائع تهفو نفسه للقمة تطفئ لهيب الجوع في نفسه؟ وكم من عار يرنو لما يواري به سوءته؟

## صلة الرحم

صلة الرحم من أفضل الأعمال وأعظمها أجرا عند الله سبحانه وتعالى، وصلة الرحم الحقيقية، هي في أن تصل من أبعدتك الظروف والخصومات عنهم، فقد أخرج البخاري، عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها».

فالكيس من تحرى أبواب الخير واجتهد في الوصول إليها، وهي كثيرة وعديدة، كالبعد عن المعاصي، والصلاة على وقتها، والمحافظة على الأذكار في اليوم والليلة، وقيام الليل، وقراءة القرآن، وزيارة المرضى، واتباع الجنائز، وتفريج هموم العباد، وقضاء الدين عنهم، وإدخال السرور على قلوبهم، والدعاء لهم بظهر الغيب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الأهل والأبناء والجيران، إلى غير ذلك من أبواب الخير المعروفة.

ولله در من قال:

**إذا هبت رياحك فاغتنمها**
**فعقبى كل خافقة سكون**
**ولا تغفل عن الإحسان فيها**
**فلا تدري السكون متى يكون**

د. سعيد عبيدي
دكتوراه في الفكر الإسلامي
ومقارنة الأديان
المغرب

# من مقاصد الحج...

**فرض الله تعالى على عباده المسلمين عبادة حج بيته الحرام، ورتب على ذلك جزيل الأجر ووافر الإنعام، فهو طاعة عظيمة وعبادة جليلة، وقربة من أعظم ما يتقرب به المؤمنون إلى الله عزوجل، له مقاصد نبيلة وأهداف جليلة جدير بنا أن نستذكرها، وهي كثيرة، لكن في هذه المقالة سنقتصر على ذكر إحداها؛ وهي الوحدة والمساواة التي ما فتئ رسول الرحمة يسعى إلى تثبيتها في المجتمع الإسلامي، إيمانا منه ﷺ بأهميتها وبضرورتها في إقامة مجتمع قوي متماسك.**

تعتبر المساواة من أول المبادئ التي أرساها رسول الله ﷺ بين البشر؛ فالناس جميعا سواء في الحقوق والواجبات، فقد دعا ﷺ إلى رفض أي نوع من أنواع التمييز، بل لابد من اعتبار الناس متساوين بغض النظر عن عرقهم أو لونهم أو جنسهم أو لغتهم أو ديانتهم أو انتمائهم، وكل هذا مما يتحقق في فريضة الحج. ففي حج بيت الله تعالى تتحقق المساواة والأخوة الدينية والرابطة الإيمانية، «فها هم الحجيج يطوفون بيت الله ولباسهم واحد، ومقصودهم واحد، ومعبودهم واحد، وأعمالهم واحدة، وقبلتهم واحدة، ومتبوعهم رسول الله ﷺ واحد، يشتركون في الآمال والآلام»[1]، فتحقيق معاني الوحدة والأخوة الإسلامية من أهم



مقاصد الحج: «ففي هذه العبادة وحدها لا تستطيع أن تفرق بين غني وفقير، أو بين شريف ووضيع، أو بين رئيس ومرؤوس، فالكل يلبس البياض، إشارة إلى فقره وحاجته وضرورته إلى الله تعالى، وإلى أنه لن يخرج من الدنيا إلا بهذا الإزار والرداء، لا فضل هنا لأحد على أحد بمال أو جاه أو لون أو نسب أو أي عرض من أعراض الدنيا، إنما يشرف الإنسان في هذا الموضع بالتقوى والعمل الصالح»[٢].

### تدريب عملي

فالحج إذن تدريب عملي للمسلم على المبادئ التي جاء بها الإسلام، «فقد أراد هذا الدين ألا تكون مبادئه وقيمه الاجتماعية مجرد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعباداته وشعائره، حتى تخط مجراها في عقل المسلم وقلبه، فهما وشعورا، ثم تخط مجراها في حياته سلوكا وتطبيقا، وقد رأينا في صلاة الجماعة كيف تنمي معاني الأخوة والمساواة، وهنا في الحج نرى معنى المساواة في أجل صورة وأتمها، فالجميع قد طرحوا الملابس والأزياء المزخرفة، التي تختلف باختلاف الأقطار واختلاف الطبقات، واختلاف القدرات واختلاف الأذواق، ولبسوا جميعا ذلك اللباس البسيط، الذي هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى، يلبسه الملك والأمير، كما يلبسه المسكين والفقير، وأنهم يطوفون جميعا بالبيت، فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة، ومن لا يملك إلا قوت يومه، ففي الحج ترى معنى الوحدة جليا كالشمس، وحدة في المشاعر، ووحدة في الشعائر، ووحدة في الهدف، ووحدة في العمل، ووحدة في القول، لا إقليمية

**شعائر الحج تدعو لمحو فوارق اللون واللغة والجنس**

ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة، إنما هم جميعا مسلمون، برب واحد يؤمنون، وببيت واحد يطوفون، ولكتاب واحد يقرأون، ولرسول واحد يتبعون، ولأعمال واحدة يؤدون»[٣].

إن الحج عبادة سنوية يجتمع فيها المسلمون من جميع أنحاء البلاد ليؤدوا حق الله تعالى، بالإضافة إلى تلاقيهم من أجل التناصح والتعارف والتشاور الذي من شأنه أن يعود بالفائدة على جميع الدول الإسلامية، وذلك في جمع كلمتها، وصون وحدتها، وضمان سعادتها، وإعزاز رايتها، وزيادتها على مرور الأيام قوة على قوة، فانظر إلى قول الله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ (الحج:٢٨)، فمن هذه المنافع اجتماع المسلمين في بلادهم المقدسة وتعاونهم، وبذلك تتقارب قلوبهم وإن تباعدت أجسادهم، وتجتمع كلمتهم وإن تفرق شملهم، وتنتظم صفوفهم وإن تبعثرت وجهاتهم، فيصبحون على كثرتهم وتعدد أوطانهم وتباعد بلادهم جسما واحدا إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائره بالسهر والحمى[٤].

### عبادة جماعية

والحج عبادة جماعية يجتمع الناس فيه على «مناسك في وقت واحد، وفي صعيد واحد، بل في زي واحد، فهذا العنصر الجمعي إذن ركن ركين من دونه لا يكون الحج حجا، ولا يقع فرضا ولا نفلا، ولقد حرص الإسلام على هذا التجمع في الحج حرصا يفوق كل حرص، وجعله هو الحلقة الختامية العليا كل عام، يتوج بها سلسلة التجمعات المحلية التي دعا المسلمين إليها في مختلف المناسبات كالصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة العيدين، فهذا الاجتماع العالمي السنوي ضروري لبقاء الوحدة الإسلامية واستمرارها، لأنه يربط جميع الشعوب والبلدان الإسلامية بمهبط الوحي ومنبع الرسالة، وبذلك يعمل على التعارف والاختلاط والامتزاج والتزاور بين المسلمين، وهذا يؤدي إلى التقارب والحد من حدة التفاوت بين هذه الأجناس والشعوب، ويكون في الوقت نفسه تدريبا عمليا على التسامح والتغلب على الفوارق الشكلية التي يخشى أن تحدث صدعا في كيان الجماعة العظمى»[٥].

## الإسلام وسيلة وحدة الأمة دون سواه

إن على المسلمين أن يتنادوا بالوحدة الإسلامية، وخاصة في موسم الحج، بعد أن مزقتهم الدعوات التي تستهدف إضعاف شوكتهم وتفرقهم، وانشغال كل فريق منهم بذات نفسه، وقد حذرنا ربنا تعالى من هذا المصير فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ (آل عمران:١٠٥)، ولكن الوحدة التي نرجوها هي وحدة الإيمان والعقيدة، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة ولذلك فإن الله تعالى أمرنا بالاجتماع على كتابه والتمسك بحبله فقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران:١٠٣)، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ (الحجر:١٠)، فالإيمان هو المدار الذي تدور حوله روابط الأخوة والمحبة والتعاون[٦].

### مخططات ومتربصون

فالحج يعمل على هدم مخططات أعداء الإسلام الساعية إلى تمزيق هذه الأمة، والتهوين من شأنها، وفرض نطاق العزلة عليها، وتقطيع أوصالها وجعل كل قطر من أقطارها غريبا عن الآخر، فلقد «أوصى البهاء مؤسس الديانة البهائية بهدم الكعبة المشرفة لأنها الجامعة المانعة؛ الجامعة لشمل المسلمين على اختلاف الديار والألسنة والألوان، والمانعة من تصدعهم وتمزقهم، إذ يتجهون إليها أكثر من خمس مرات في اليوم، لا يذكرون إلها إلا الإله الواحد، ثم يحجون إليها كل عام، فيلتقي الأباعد والأقارب، السود والبيض، لا نسب بينهم إلا الإسلام، ولا تحية لهم إلا السلام»[٧].

إن اجتماع المسلمين من حجاج بيت الله الحرام «في مكان واحد وعلى صعيد واحد، وأدائهم نفس المناسك والشعائر، بلباس واحد ونداء واحد، وتوجههم بهذه العبادة والشعيرة إلى إله واحد، واتباعهم سنة نبي

واحد، مؤشر واضح على وحدتهم تحت لواء دين الله الإسلام، فأداء المسلمين لفريضة الحج في كل عام يذكرهم بأنهم أمة واحدة، وينبههم إلى حقيقة واضحة هي أن الإسلام هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الوحدة المنشودة، وأن بقية الولاءات والشعارات كالقومية وما شابه ذلك لا يمكن أن تحقق إلا المزيد من الفرقة والانقسامات، ففريضة الحج كانت عبر تاريخ الدولة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى عهد الخلافة العثمانية موسما لإرساء معاني التضامن والتكافل بين أبناء المجتمع الإسلامي، وفرصة لإنصاف المظلومين ومحاسبة المقصرين من الولاة والمسؤولين عن رعاية مصالح الأمة، فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجعل من موسم الحج فرصة للمراجعة والمحاسبة، واستطلاع آراء الرعية وحل مشكلاتهم، ولعل ما فعله في عام الرمادة من الاهتمام بمعاناة ومشاكل المسلمين خير شاهد على هذا الحرص الشديد على التضامن والتكافل بين أبناء الأمة الواحدة»[8].

## مودة وتواصل

لقد شرع الله تعالى الحج من أجل التواصل والتواد، ومن أجل أن تتفق الكلمة وتتوثق الروابط، ولكي تسود المحبة والوئام بين المجتمعات الإسلامية؛ ففي الحج يجتمع المسلمون «من سائر أنحاء الدنيا على اختلاف أجناسهم، وتعدد لغاتهم، وتباين عاداتهم، وتباعد أقطارهم، يؤمون البيت العتيق الذي شرفه الله وفضله، وجعله مثابة للناس وأمنا؛ ليجتمعوا في هذه المشاعر المقدسة في صعيد واحد، متمسكين بملة واحدة، متبعين شريعة نبي واحد، بمظهر واحد، قد زالت عنهم فوارق الأجناس، وظهرت فيهم الأخوة الإيمانية، ملبين لربهم، خاضعين له، يرفعون أصواتهم بالتوحيد وإخلاص العبادة لله»[9]، فحينما تتأمل شعائر الحج تجدها تدعو إلى محو فوارق اللون واللغة والجنس، ويتجلى ذلك واضحا في خطبته عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع؛ حيث قال: «أيها الناس اسمعوا قولي، فإني قد بلغت واعقلوه؛ تعلمن أن كل مسلم أخو المسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلموا أنفسكم»[10].

في الختام لا يسعنا إلا أن نقر بأننا في حاجة ماسة إلى الغوص في أسرار شريعتنا الربانية بصفة عامة، وفي مقاصد الحج بصفة خاصة، والتي من أهمها تحقيق مقصد المساواة والأخوة الإسلامية، وعلاج آفات الكبر والغرور، ونبذ عوامل الفرقة والشقاق، فلو وعينا مقاصد الشريعة في الحج، والدروس التي يجب أن تستفاد من هذه الشعيرة العظيمة لاستطعنا أن نقف صفا واحدا ضد من يريد ديننا بسوء، وأمتنا بشر، ولامتلكنا من أسباب القوة ما يؤهلنا لتبوء مكانتنا، واستحقاق الخيرية التي وصف الله تعالى بها هذه الأمة.

### الهوامش

١- عبدالرؤوف بن عبدالمحسن البدر، مقاصد الحج، سلسلة رسائل الفضيلة ١٨، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص:٦٢.

٢- عادل بن علي الشدي، مقاصد الحج في القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٤٤، ذو القعدة ١٤٢٩هـ، ص:٤٥.

٣- أحمد إدريس حسام الدين، العبادات في الإسلام، مجلة منتدى التوحيد، العدد١١، يناير ٢٠١١م، ص:٦٥.

٤- محمود إبراهيم طيرة، الحج، مجلة الإسلام، العدد ٤٦، السنة الرابعة، ذو القعدة ١٣٥٤هـ، ص:١٨١.

٥- انظر: محمد عبدالله دراز، نخبة الأزهار وروضة الأفكار، تحقيق: عبدالله إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، ١٩٧٩م، ص:١٩٨.

٦- انظر: محمد أبو شهبة، مقاصد الحج، مجلة الأزهر، المجلد ٢٨، العدد ٣٦، ذو القعدة ١٤١٣هـ، ص:٩٢١.

٧- أحمد محمد جمال، الحج روائعه ومنافعه، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد ٨٤، ذو الحجة ١٣٩١هـ، ص:٦٥.

٨- عامر الهوشان، من مقاصد الحج الغائبة، موقع المسلم، بتاريخ: ٣ ذو الحجة، ١٤٣٦هـ، الرابط: http://www.almoslim.net/node/٢٤٢١٣٤

٩- عبد العزيز مصطفى الشامي، الحج وإشاعة روح الأخوة بين الحجاج، موقع دليل المسجد، بتاريخ: ٢٠١٤/٠٩/٠٨م، الرابط:
http://daleelalmasjed.com/art.php?id=537#.WUzrw5IpzZ4

١٠- انظر: عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٥م، ج٢، ص:٦٠٣.

عادل محمد أبو الهيثم
باحث في التفسير
وعلوم القرآن
مصر





# خطبة الوداع في فكر الشيخ محمد الغزالي

كلما أهل هلال ذي الحجة، وأشرقت الأرض بمواقيت الحج، تاقت القلوب لزيارة بيت علام الغيوب، وتعلقت الأفئدة بمناسك الحج، فطاف القلب حول البيت، وإن طالت المسافات، فالحج ميزان العمر، ومن معالم الحج خطبة النبي ﷺ في أصحابه الكرام؛ هذه الخطبة التي حوت تلك المعاني الجامعة، والمبادئ البليغة، التي نادى بها رسول الله ﷺ في ثنايا حجته التي ودع الدنيا بعدها، رسخ فيها المبادئ التي ملأت الدنيا نورا وهدى، وسكبت مع عباراتها دموع الوداع الغالية، وشعرت القلوب بدنو أجل المحبوب ﷺ؛ لأجل ذلك سميت «خطبة الوداع».

ولقد تسابق العلماء على مر الزمان في الغوص في معانيها، والاغتراف من معينها الذي لا ينضب، ومن هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ العلامة محمد الغزالي، رحمه الله، الذي تناولها في خطبه، وكتاباته، ويعكس ذلك ما لها في فكره من تقدير وإجلال، وفي قلبه من تعلق وحب.

بين الشيخ الغزالي الجو الإيماني الذي واكب هذه الخطبة العاطرة، وسبب جمع الخطب لكثير من المعاني والأخلاق، فقال: «أقبلت وفود الله من كل صوب، تيمم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم!!. ونظر رسول الله ﷺ إلى الألوف المؤلفة وهي تلبي وتهرع إلى طاعة الله، فشرح صدره انقيادها للحق، واهتداؤها إلى الإسلام، وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلفات في النفوس، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلائق وأحكام، فألقى هذه الخطبة الجامعة»[1].

يستصحب الشيخ الغزالي، رحمه الله، عاطفة حبه للنبي ﷺ وهو يطالع الصحائف الأخيرة من السيرة الناضرة، ويتابع الكلمات التي قيلت في حجة الوداع، فالخطبة التي ألقيت في هذه الحجة لا تستغرق بضع دقائق؛ لكنها أهم من خطاب يستغرق بضع ساعات، ولا عجب فصاحبها أوتي جوامع الكلم، واختصرت المعاني له اختصارا[2].

ويشير الشيخ الغزالي إلى واقعية أسلوبه ﷺ، ووزنه لكلماته، ومتى يستعملها، فيقول: «إن النبي عليه الصلاة والسلام يعرف العرب معرفة جيدة، ويعرف أغوار الفرقة والخصام في أفئدتهم، ويريد إشعارهم بالنعمة التي أفاءها الله عليهم، ولذلك يقول لهم في هذه الحجة (حجة الوداع): «ويحكم أو ويلكم!! انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٣].

ويوضح الدافع النبوي لضخ هذه النصائح في عروق الأمة، فيقول: «كان الرسول ﷺ يريد، بعد بلاء طويل في إبلاغ الرسالة، أن يفرغ في آذان الناس وقلوبهم آخر ما لديه من نصح، كان يحس أن هذا الركب سينطلق في بيداء الحياة وحده، فهو يصرخ به كما يصرخ الوالد بابنه الذي انطلق به القطار، يوصيه بالرشد، ويذكره بما ينفعه أبدا، وكان هذا النبي الطيب ﷺ كلما أوجس خيفة من مكر الشيطان بالناس، عاود صيحات الإنذار، واستثار أقصى ما في الأعماق من انتباه، ثم ساق الهدى والعلم... وقطع المعاذير المنتحلة، وانتزع، بعد ذلك، شهادة من الناس على أنفسهم وعليه أنهم قد سمعوا، وأنه قد بلغ. لقد ظل ثلاثا وعشرين سنة يصل الأرض بالسماء، ويتلو على القاصي والداني، آي الكتاب الذي نزل به الروح الأمين على قلبه، وها هو ذا يقود الحجيج في أول موسم يخلص فيه من الشرك، ويتمحض فيه لله الواحد القهار، وها هو ذا على ناقته العضباء يستنصت الجماهير المائجة ليؤكد المعاني التي بعث بها، والتي عرفهم عليها، ويخلي ذمته من عهدة




البلاغ والتبيان التي نيطت بعنقه»[٤].

ويلمح الغزالي ويستشعر بحسه مشاعر الحاضرين للخطبة، فيقول: «والحق أن مشاعر التوديع للحياة والأحياء كانت تتضح بها بعض العبارات التي ترد على لسان الرسول ﷺ، منها ما سبق ذكره في خطبته بالموسم، ومنها ما يقع في أثناء تعليمه الوفود المحتشدة حوله، كقوله عند جمرة العقبة: «خذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا»[٥]، فيه إشارة إلى توديعهم، وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ، وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة من ملازمته، وتعلم أمور الدين، وبهذا سميت حجة الوداع[٦].

ويثمن الشيخ قيمة هذه الوصايا الجامعة، فيقول: «ما أغلى هذه الوصية، وما أبعد مداها في التاريخ لقوم يعقلون.. على أن العلاج النبوي ليس لطيش الغرائز عند جنس بعينه، إنه لأجناس الخلق كلهم والأمر كما قلنا في مكان آخر: إن الله ربَّى محمدا ليربي به العرب، وربَّى العرب بمحمد ليربي بهم الناس أجمعين، ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾(الحج:٧٨)، ومن ثم جاء في آخر الخطاب النبوي: «ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه»[٧]، وقد دخل في دين الله بعد ذلك ألوف وألوف كانوا على اختلاف الألسنة والوجوه أوعى وأقدر، ولا يزال المد متصلا إلى قيام الساعة».

### وصايا رئيسة

ثم أخذ الشيخ الغزالي، رحمه الله، يعرض الوصايا الرئيسة في الخطبة المباركة فقال: ونعرض الآن للمبادئ الرئيسة في هذه الخطبة الجليلة وفق ترتيب اخترناه يناسب عصرنا، كالتالي:

١- الإنسانية متساوية القيمة في أي إهاب تبرز، لا يفرق بينها سواد أو بياض، لا تفاوت بينها نسب إفريقي أو أوروبي، فالنزاعات العنصرية، والنعرات الوطنية ضرب من الدجل والإفك! وقد نبه النبي ﷺ إلى ضلال هذا المسلك في خطبة الوداع بقوله: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد»[٨].

٢- ولكسب المال قصة عميقة المجرى في تاريخ البشر، وقد راقبت الأنظمة المتضادة وهي تحاول توفير الطمأنينة بين الناس، راقبت نظام التحكير ونظام التسعير، نظام إطلاق الملكية وتقييدها، نظام سيطرة الفرد وسيطرة الشعب، فوجدت أن النفس تدور حول أثرتها، ولا تبالي في سبيل غايتها، وما لم

يكن هناك إيمان بالله فإن قوانين الأرض مسرح للعبث والتظالم، من أجل ذلك يقول الرسول ﷺ في هذه الخطبة: «أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه»، لكن هذه الإشارة المجملة لا تغني عن إيضاح أوسع يحسم مادة التظالم بين الناس في شؤون الحياة كلها، فلنستمع إلى هذا التوجيه المثير: «أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم؟ وفي أي يوم أنتم؟ وفي أي بلد أنتم؟ قالوا: في يوم حرام، وشهر حرام، وبلد حرام! قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم.. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهد»[٩]. كأن التاريخ سلسلة من المظالم من يفر فيها من الجناة أضعاف من تحيط بهم خطاياهم، وسوف يبقى الأمر كذلك حتى نعي قول الرسول ﷺ في هذه الخطبة: «إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم»...

٣- كان الربا قديما رذيلة ساذجة، أساسها إمهال المعسر بثمن يسير أو فاحش، ثم أمسى في المؤسسات العالمية رذيلة معقدة مدروسة تطيح فيها شعوب وجماعات، الدولة الفقيرة الآن تريد بناء مرفق هي في حاجة إليه، فتقترض المال المطلوب من دولة غنية، ثم تأخذه على شرط شراء مواد البناء من الدولة المقرضة، وجعل الجهاز العامل من أبناء هذه الدولة! وبعد أن تحدد سعر الفائدة الربوية كما تشاء، تحدد أجور الموظفين من بينها، وأسعار المواد التي تقدمها، وتصرف القرض مائة ليعود إليها عدة مئات، وجمهرة الدول الفقيرة الآن معرضة للإفلاس من جراء هذه السياسة الجشعة، وهي تترنح تحت وطأة الوفاء بما يبهظ كاهلها أو يقصم ظهرها، ووددت لو تبنت الدول كلها مبدأ تحريم الربا، وتقرير مصاريف إدارية معقولة للصناديق أو المصارف التي تشتغل بالإقراض؛ هكذا علم النبي ﷺ البشرية من خمسة عشر قرنا عندما قال: «... ألا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع، وإن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله ألا ربا، وإن أول ربا أبدأ به - أسقطه - ربا عمي العباس بن عبدالمطلب»[١٠] وكان العباس من كبار التجار المتعاملين بالربا.

ويعيب الشيخ على الحضارة المادية الجافة، فيقول: إن الحضارة المادية التي تقود العالم لا تعرف إلا اليوم الحاضر والربح العاجل، أما قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٨٠)، فحديث خرافة عندهم!

### حرمة الدماء

ويوضح حرمة الدماء كما جاءت في الخطبة، فيقول: وصيانة الدماء قضية خطيرة وعندما كتب الله القصاص في القتل والجراحات، كان يريد زجر المجرمين عن العدوان، وعندما يعلم امرؤ أنه لاق حتما المصير الذي يوقعه بغيره سيتردد طويلا في قتل هذا أو جرح ذاك... وإذا غلبه الطيش فاعتدى فإن منظره مقتولا أو معاقبا سيوقع الرهبة في قلوب الآخرين، وقد قيل: «القتل أنفى للقتل»، وقال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (البقرة:١٧٩)، وقد حسم الإسلام هذه الفوضى، بشرائعه العادلة، ويجب علينا إسدال ستارة سميكة على الانحرافات التي سادت العالم لتبدأ بعدها صفحة جديدة من تطبيق الأحكام السماوية.

وأشار إلى أن الإسلام لا يجامل أحدا ولو كان قريبا، فيقول: ولا كرامة لباطل كما قال رسول الله ﷺ في هذه الخطبة الجامعة: «ألا وإن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية، تحت قدمي هذه، وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب»، قتله الهذليون في الجاهلية وكان بين ظهرانيهم، وأراد النبي الكريم ﷺ أن يفتح العرب بالإسلام صفحة جديدة تجُبُّ الماضي، ويبدأ بها عهد جديد.

### حق المرأة

ثم عرج الشيخ الغزالي على موضوع حق المرأة، فقال: وتحدث النبي ﷺ عن حقوق النساء، وهو حديث يحتاج إليه المسلمون المعاصرون، كما يحتاج إليه بقية الناس في المشارق والمغارب، ذلك أن مواريث المسلمين الثقافية مثقلة بتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان، كما أن الأوروبيين أسفت بهم شهواتهم إلى مدى رديء، كان العرب لا يرون المرأة شيئا ولا يقيمون لها وزنا، بل لعلهم حسبوها شرا لابد منه! وقد لجأ بعضهم إلى قتلها وهي طفلة حسما للمتاعب والمخازي، ولما جاء الإسلام محا هذا المنطق محوا، وبين أن النساء شقائق الرجال، وأنهم سواء في تكاليف العقائد والعبادات والأخلاق، وأنهم سواء في استحقاق الثواب والعقاب بما يعانون من جهد في سبيل الله، وأن الزعم بأن

الذكورة تقدم صاحبها وأن الأنوثة تؤخر صاحبتها لون من الكذب.

ولفت إلى براءة الإسلام من ظلم المرأة، فقال: وبذلك رفض الإسلام ما كان شائعا بين العرب من ازدراء الأنوثة، وأقام مجتمعه الجديد على قواعد أخرى، وإن كانت الطبيعة العربية فيما بعد تمردت على هذه القواعد، وكما نزعت إلى التشرذم والعصبيات والمنافرات وسفك الدم نزعت إلى حصر وظيفة المرأة في شهوتي البطن والفرج، وضنت عليها بالوجود في ميدان العلم والثقافة والعبادة والإصلاح ودعوة الخير التي هي الصفة الأولى للأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ..﴾ (آل عمران:١٠٤).

ولا ريب أن وظيفة المرأة في بناء الأسرة خطيرة لا يقبل التفريط فيها، كما أنه لا ريب في أن المجتمع كله مطالب بصيانة الأعراض، ومنع أي عبث بها، والأمة الراشدة تستطيع التوفيق بين هذه الأهداف جميعا، فلا تضع المرأة في قفص الاتهام بغباوة، ولا تطلقها لتكون مصيدة للآثام، ولا تجور على غيرة الرجل، ولا تهمل حقوق الله، وقد يخطئ الرجل فيؤاخذه المجتمع، ولا يدع تأديبه، وقد تخطئ المرأة فلا يتركها الدين وإنما يدع أمر تأديبها إلى زوجها؟ ليكون جبارا بل ليمنع العوج والنشوز، ويعيد الاستقرار في جوانب البيت، وفي ذلك قول الرسول ﷺ في خطبة الوداع «أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا، وإن لكم عليهن حقا، فعليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا، ولا يدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه، إلا بإذنكم! فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وأن تضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف! وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا[11] ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم! قال: «اللهم اشهد».

ويرى الشيخ الغزالي أن عقد الزواج ليس عقد استرقاق: «ولا عقد ارتقاق لجسد المرأة، إنه أزكى من ذلك وأرقى، ولم يقل الشارع: إن المرأة إذا ارتكبت خطأ ارتكب الرجل ضدها خطيئة، والمحزن أن تقاليد المسلمين بعيدة عن دينهم، وليست قط صورة تشرف الإسلام، ولا نعتذر بذلك لدنايا الغرب أو نهون منها! وإنما نريد إنصاف الشريعة ومحو الغبار الذي أخفى معالمها، وشرع الله أفضل من أهواء الناس في الشرق أو الغرب».

## تحذير ودواء

ويحذر الشيخ أمته بقلب موجوع يتألم حزنا على حال أمته، فيقول: إنني أحذر أمتي الكبرى من فناء ذريع يجتاحها مع هذا الاسترسال في الغفلة والجهل بما يحاك ضدها من مؤامرات، وعجزها الشائن عن رد عدو يوشك أن يأتي عليها من القواعد.

ثم يصف الشيخ الغزالي الدواء فيقول: ولتعلم أمتنا، أن الحل الأول هو الحل الأخير، وأن التعاليم التي صنعتها قديما هي التي تصوننا الآن، وأن التفريط في الإسلام محو لكينونتنا قال عليه الصلاة والسلام: «أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم، فاحذروه على دينكم، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا: كتاب الله وسنة نبيه، وإنكم ستسألون عني! فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت! فجعل يشير بإصبعه السبابة إلى السماء، ثم إلى الناس وهو يقول: اللهم اشهد اللهم اشهد».

هذه هي المعاني التي شاء الرسول الكريم ﷺ أن يؤكدها في حجته الأخيرة بالناس وهو يقول: «أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا». والوصايا التي أودعها النبي ﷺ ضمائر الناس لا تتضمن قضايا فلسفية ولا نظرات خيالية، إنها مبادئ سيقت في كلمات سهلة سائغة، لكنها استوعبت جملة الحقائق التي يحتاج إليها العالم ليرشد ويسعد، وهي على وجازتها أهدى وأجدى من مواثيق عالمية طنانة.

---

## الهوامش

١- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ، (٤٥٣/١).

٢- الطريق من هنا، محمد الغزالي، ط روافد، وزارة الأوقاف الكويتية، الإصدار (١٤) الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ١٤٣٠هـ، ص ١٤٦.

٣- صحيح: رواه مسلم، كتاب الإيمان، «باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»، حديث رقم (١٢٨).

٤- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، دار القلم، دمشق، ط الأولى، ١٤٢٧هـ (٤٥٥/١).

٥- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، مرجع سابق (٤٥٤/١) والحديث صحيح، رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (٤١٣٤).

٦- شرح النووي على صحيح مسلم (٥٠/٩).

٧- صحيح: رواه البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب (١٠٤).

٨- صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٨٣) بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٩- صحيح: رواه البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب (١٠٤).

١٠- صحيح: رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (حديث رقم ٢٢٢٤).

١١- رواه الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم (١١٦٣)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، رقم (١٨٥١).

عبدالله شريف
دار الإعلام العربية



# الحج.. رمز الوحدة والـ

يتوافد المسلمون على الأراضي المقدسة، في هذه الأيام المباركة، من شتى بقاع الأرض ملبين دعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ (إبراهيم:٣٧)، ومقتدين بهدي النبي محمد ﷺ: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، ليرسموا لوحة مضيئة لأمة عنوانها الوحدة والقوة والفداء، وأنه «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» كما ورد عن النبي ﷺ في خطبة الوداع.. «الوعي الإسلامي» سألت عددا من العلماء حول خامس أركان الإسلام.. فإلى التفاصيل:

بداية، أكد د. محمد عبدالعاطي عباس، عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، أن مشهد الحج وحده كفيل بشرح أهم معنى من معاني الوحدة الإسلامية التي يجسدها الركن الخامس من أركان الإسلام. وأضاف أن الحج قديما كان عبر قوافل تتجه من شتى بقاع الأرض إلى البيت الحرام والمشاعر المقدسة، وفي رحلتها إلى تلك الأماكن كانت تمر بقبائل عدة وأناس من شخصيات وجنسيات مختلفة، وكان الحجاج أقوى وسيلة لنقل الثقافات وتبادلها وتعلم العلوم والمعارف وتبادل المنافع، كان المسلمون يمثلون حجر أساس الأخلاق والقدوة ومساعدة الضعفاء والتصدق والعلم والتعليم، ومثل الحج لأهل مكة ومن حولها موسما لتلقي العلم وثقافات الأمم، فعرف الحج بمعنى العلم ونقل الأفكار، فكم من مسلم صحح لآخر طريقة عبادة الله، وهذا التعاون دليل ومعنى من معاني التآخي والتكامل.

وأشار د. عباس إلى أن الحج صنع شخصية المسلمين في العالم، إذ يجتمعون في مكان واحد بلباس واحد



# قوة

يدعون ربا واحدا، مخلصين له الدين، فتجدهم سفراء في العالم يثير فضول الباحثين حول لماذا يجتمعون وما هذه العبادة العظيمة التي يتجردون فيها من كل شيء إلا ذكر الله وطاعته، ولماذا تأخذ هذه العبادة من وقت المسلمين أياما يتقربون فيها إلى الله، ويتحملون المشقة والتعب في سبيل ذلك، موضحا أن هذا الركن تأصيل للهدف من البشرية وخلق الإنسان مصداقا لقول الله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

وتابع أن الإسلام دعا من خلال الحج إلى التآخي والوحدة، وكان المستشرقون يقولون إن الحج هو الدليل الوحيد على أن المسلمين سيعودون صفا واحدا في يوم من الأيام.

وأكد أن المسلمين أقاموا حضارات ثقافية وهم في طريقهم إلى الحج ونجد ذلك في قصصهم ورحلاتهم الطويلة، ومن أهم الدروس التي يخرج بها المسلمون من الحج ضرورة التوحد والعمل يدا واحدة ونبذ الفرقة والخلاف.

## جهاد وتهذيب للنفس

أما د. جمال الدين محمد، أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر، فأوضح أن الحج إتمام لأركان الإسلام الخمسة، ويرتبط دائما بمعنى الجهاد في سبيل الله ومن معاني الجهاد أنه وسيلة لتربية النفس وتهذيبها، وفرصة للملمة شتات المسلمين، وقد روي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قلت: يا رسول الله! على النساء جهاد؟ قال: نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة» (رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له، وإسناده صحيح)، مؤكدا أن من أهم معاني الحج إظهار قوة المسلمين وتجمعهم ووحدتهم ويكون ذلك بذكر الله والتهليل وإظهار الاتحاد الروحاني وتجميع ما فرقته الدنيا.

وأضاف أن أركان الإسلام متنوعة، وعباداتها مختلفة فمنها ما يخص المال كالزكاة، والنفس كالصوم، ويحتاج إلى الصبر والمثابة كإقامة الصلاة، ومنها ما يجمع الأركان كلها وهو الحج، فتجد فيه الصلاة، والمشقة التي تفوق مشقة الصوم، وإنفاق الأموال في السفر وغيره، لذلك فهو جامع لكل أركان الإسلام.. ومن معاني الحج تدريب النفس على التوحيد قولا وعملا، فلا ينقطع التهليل والتلبية، ولا يكون الطواف إلا بالبيت الحرام فقط، وكثرة الذكر، والتربية على كثرة الحمد وفيه تذكر الموت بارتداء ملابس الإحرام التي تشبه كفن الميت.

**د. عباس: مشهد الحج كفيل بشرح أهم معاني الوحدة الإسلامية**

واستطرد قائلا: «إن الجميع في الحج متساوون، الفرق الوحيد بينهم فقط هو تقوى الله»، فقد روى أحمد عن أبي نضرة: «حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟» قالوا: بلغ رسول الله ﷺ» (صححه الألباني).

وأوضح د. جمال الدين محمد أن الفقهاء أكدوا أن الحج يدرب المسلمين على قبول الاختلاف في ٦ مواقف هي الاختلاف في أنواع النسك، وفي أعمال يوم النحر، وفي الذكر حال الانصراف من منى إلى عرفة فمنا الملبي ومنا المكبر، وفي حال الانصراف من مزدلفة إلى منى من حيث العجز وعدمه، وفي حال التعجل من مكة أو التأجيل، واختلاف الناس حال التقصير أو الحلق.

## سفراء للإسلام

وقال د. عبدالراضي محمد عبدالمحسن، أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان ووكيل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة: إن «صورة الإسلام على الرغم من محاولات تشويهها والنيل منها على مدار السنوات القليلة الماضية، لم تتأثر سلبيا بهذه المحاولات لاسيما أن مشهد الحج يوضح حقيقة هذا الدين، ويزيل أي مخاوف إزاءه برؤية جموع الحجيج، فالملايين يجتمعون على صعيد واحد، يدعون ربا واحدا، يتميزون بأخلاقهم الرفيعة،

يساعد بعضهم البعض».

وأشار إلى أن الحج يربي المسلم على أن الشريعة حاكمة على العقل، وهناك غيبيات يفعلها المرء طاعة لله وامتثالا لأوامره لا مجال فيها لإعمال العقل، موضحا أن الحج تأصيل لعلم الله السابق، وأن الأصلح ما كان على طريق الشرع.

ودعا الشباب إلى النظر بموضوعية إلى الحج، وكيف يطهر المسلم، وكيف أن أخلاق الحج ينبغي أن تسود حياتنا اليومية بشكل عام، كإماطة الأذى وذكر الله، ومساعدة الضعيف وإطعام الجائع وحمل العاجز، والصلاة في وقتها، والالتزام بأوامر الشرع الحنيف، قال الله تعالى في سورة الحج: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ (الحج:٢٧-٢٨).

واختتم قائلا: «عيد الأضحى المبارك، يظهر المسلمون فيه أكثر تجمعا ووحدة، إذ إنه يأتي بعد التجمع الطاهر لجموع الحجيج في يوم عرفة.. إنه ارتباط يعمق الاتحاد والتماسك والتجرد لله عزوجل».

### بذل وعطاء

أما د. شريف عبدالعظيم مؤسس ورئيس مجلس إدارة إحدى الجمعيات الخيرية، فيقول إن: «مواسم الخير كثيرة وحج بيت الله الحرام من أعظمها، حيث يجتمع المسلمون في مكان واحد، تلهج ألسنتهم بذكر الله قاصدين رحمته مجيبين لدعوته، يدعون بالخير لذويهم ولمن رحل عن دنياهم وللأمة الإسلامية جمعاء»، مشيرا إلى أن خير الدعاء والتصدق والنحر يعود على المسلمين والفقراء والمساكين في أنحاء العالم.

## د. شريف: الحج يزرع قيمة البذل والعطاء والتسامح في نفس الإنسان

وأضاف أن عيد الحج الأكبر من أهم مواسم الخير وإسعاد الأطفال وإيقاظ معنى التراحم والتوحد لديهم، وفي كل من ليس في المشاعر المقدسة هذا العام.

وأوضح أن من أهم معاني الحج الصبر، ففيه الصبر على مشقة السفر، وترك الأهل والوطن، وضبط النفس وإلزامها بتقوى الله عزوجل.. قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»، وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «ما لك يا عمرو؟»، قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «تشترط بماذا؟»، قلت: أن يغفر لي، قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» (رواه مسلم).

وأشار إلى أنه يحب مشهد الأطفال على صعيد عرفات وفي المشاعر المقدسة، مؤكدا أن تربيتهم على عظمة المسلمين واتحادهم رغم التفرق أمر مهم، ولابد أن نغرس فيهم أن الأمة مآلها إلى الاتحاد، وأنه مهما طال زمن الفرقة سيجتمعون لإعلاء لبيك اللهم لبيك.. وطالب بضرورة حفظ الأطفال وتهيئتهم للفريضة من خلال شرح المناسك وكيف تقام وما الهدف منها حتى لا تتحول إلى صورة من صور اللهو.

وتابع أن: «من أهم معاني الحج زرع قيمة البذل والعطاء والتسامح في نفس الإنسان لتجده يعطي بلا حساب ويغفر دون عتاب ويتواصل مع من قطعه، فيكون بهذا قد علم حجم الدنيا الحقيقي».

### طمأنينة وسلام

وأكد د. جمال شفيق أحمد، أستاذ علم النفس الإكلينيكي ورئيس قسم الدراسات النفسية بجامعة عين شمس، أن أركان الإسلام الخمسة وما تتضمنه من عبادات بالجوارح وعبادات روحانية، تمحو من النفس عثراتها وزلاتها وتزيل الأدران التي راكمتها الذنوب على القلب، ما يمنح الإنسان قوة روحية وإحساسا بالاتزان وأن للحياة معنى وهدفا.

وأضاف أن تفاصيل المشاعر المقدسة تتضمن فوائد نفسية كبيرة، منها السعادة وتخفيف الأحمال، فالذنوب تشبه الأحمال يحملها العاصي على ظهره حتى ترديه في جهنم والعياذ بالله، لذلك فإن الحج يخفف من هذه الأحمال بل ويزيلها حتى يرجع الإنسان كيوم ولدته أمه، وهذا الأمر يصنع في القلب طمأنينة وراحة وبالتالي يزول عن الإنسان الغم والهم.

وتابع أن: «التحكم في الشهوات واللسان وأيضا في عمل الجوارح من الأمور الصعبة على الإنسان الضعيف المعرض لذلك في كل وقت وحين خصوصا مع انتشار التقنيات الحديثة، وضعف الوازع الديني والأخلاقي؛ لذلك فإن الحج أعظم وسيلة لتدريب النفس على الامتناع عن هذه الموبقات، فيشغل المسلم لسانه وقلبه بذكر الله حتى ينصرف عن هذه الذنوب، فلا ينظر إلى النساء ولا تمتد يده إلى حرام، فهو في رحلة إيمانية عظيمة، تنميه وتحفظه».

وأكد أن «المسلم يتدرب في الحج على السلوك الحميد، وكيف يعامل المختلف معه في الثقافة والعمر واللون، إنه تدريب شامل على الإسلام الحقيقي».

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

# فضائل ونصائح لأداء ركن الإسلام الخامس

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، ومن أفضل الأعمال والقربات عند الله تعالى، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: «ثم ماذا؟» قال: «حج مبرور» (رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد).

وقد ورد في الفضل العظيم للحج عدة آيات شريفة وأحاديث نبوية، فقال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨﴾ (الحج:٢٧-٢٨)، فهو أمر من الله تعالى وبه المنافع والفضل العظيم للمسلمين، ويدخل في الآية السابقة التجارة والبيع والشراء فهي أمور مباحة في الحج وهي من المنافع للمسلمين.

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٧) فجعل الله من لا يؤدي الحج وهو قادر على أدائه في مرتبة الكافرين بقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، دلالة على قدسية الحج ومكانته عند الله تعالى.

ومن فضائل الحج التي وردت في السنة المطهرة أن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينها والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه البخاري ومسلم). وقال ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري ومسلم) فهو مغفرة ومحو للذنوب جميعها دقها وجلها. وقال نبينا ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة» (رواه الترمذي والنسائي، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما). وقال ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله عزوجل

إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم» (رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان). وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور» (رواه البخاري في صحيحه/ ح١٥٢٠). فالحج للمرأة هو الجهاد.

## اختبار الصبر

من ذهب إلى الحج وجربه يعلم تمام العلم واليقين أن الحج يحتاج إلى الصبر الكثير ومحاولة ضبط اللسان والنفس والأفعال، فكثيرا ما تتعرض لمواقف تزعجك إما من رفقائك في الحج أو من مسؤولي الحملة التي تكون معها، أو من شدة الحرارة، أومن نقص الخدمات المتوفرة من قبل الحملات؛ فأحيانا لا تكون كما يجب وكما تم الاتفاق عليه معهم قبل الخروج للحج، أو قد تجد مستويات منخفضة من متابعة أمور النظافة في الحملة والطعام وخيام المبيت في منى أو عرفة، ودائما ما تكون المساحات المخصصة للفرد الواحد في الخيمة في منى قليلة جدا فهي لا تكفي إلا لشخص واحد فقط للنوم عليها ويحدث هذا كل عام نظرا لصغر مساحة منى ككل، فلا يمكن مع هذه الأعداد من الحجاج توفير مساحة أكبر لكل حاج، وهنا تبدأ الاحتكاكات بين الحجاج والمشاكل أحيانا والاعتراضات والجدال، وهنا تشعر أن عليك الصبر وألا تخرج من فمك من الكلام والصراخ ما يفسد حجتك.

أخي الحاج؛ اعلم تمام العلم أنك في الحج ستتعرض لمواقف يمتحن الله بها صبرك، وهذا من الاختبار لك في الحج، فتأكد أنك ستختبر وسيمتحن صبرك من الله تعالى، فمثلا قد تضطر للمشي مسافات طويلة جدا من أجل الخروج من منى وصولا إلى المسجد الحرام للطواف سواء أكان لطواف الإفاضة أو لطواف الوداع، أو وصولا لموقع رمي الجمرات، وقد لا تجد المواصلات، أو قد تنتظر طويلا عند محطات القطار أو الحافلات حتى يأتي دورك للذهاب إلى عرفات أو منى، وأيضا ستجد الأعداد الرهيبة من البشر يطوفون البيت مما قد يرهقك، فعليك التحلي بالخشوع والصبر والتروي وعدم المزاحمة والتصبر، فأنت جئت من أماكن وبلاد بعيدة للحج وتفرغت للعبادة فلا تتعجل لإنهاء المناسك ولا تزاحم بها.

## مواقف عظيمة

عليك أيها الحاج أن تأخذ وقتك في أداء كل منسك وتتأمله وتتفكر به، وتذكر وأنت تؤدي المناسك نبي الله إبراهيم وبناءه للكعبة المشرفة مع ولده إسماعيل عليهما السلام، وقصة وضع الحجر الأسود التي حدثت في زمن رسولنا ﷺ عند إعادة بناء الكعبة المشرفة، وأيضا قصة نبي الله إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما السلام في رؤيا الذبح وافتداء الله تعالى لإسماعيل بكبش عظيم. وتذكر كذلك وأنت تسعى بين الصفا والمروة السيدة هاجر مع ابنها الرضيع إسماعيل عليه السلام وهي تسعى بين جبلي الصفا والمروة باحثة عن طعام وشراب لولدها وتفجر ماء زمزم تحت قدميه، وأيضا رمي الجمرات بمنى ووقوف نبي الله إبراهيم عليه السلام في وجه إبليس ورميه عليه السلام للجمار على إبليس، فالحج كله تذكر لذكريات ومواقف عظيمة حدثت مع الأنبياء وخاصة مع أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعائلته.

واصبر أيها الحاج وحاول ضبط أفعالك وألا يكون همك الفراغ من النسك لأنك حتما ستتعب نفسيا إن كان ذلك همك، فحاول الاستمتاع بالمناسك كنسك الطواف حول الكعبة فهو من أجمل المناسك ومن أعظمها وبه استجابة الدعاء والقرب من الكعبة المشرفة، وكذلك نسك الوقوف بعرفة وهو حدث عظيم في الحج مميز جدا فالحج عرفة، فلا تضيع منه لحظة دون دعاء وإلحاح على الله تعالى في الدعاء، وادعُ للأهل والمعارف والمسلمين. وتذكر أنها ما هي إلا ساعات ودقائق معدودات وتغيب الشمس في عرفات، فاحرص على المسامحة للناس والدعاء ولا تضع وقتك في التحدث مع من حولك بل استثمر كل لحظة في عرفات في الدعاء فهي لحظات معدودة إن أضعتها فأنت الخاسر، فألح بالدعاء وتأكد أن الله سيكرمك بإجابتها جميعا بإذن الله مادامت في الخير والصلاح.

وكذلك حينما تذهب لرمي الجمرات لا تجعل منه عملا شاقا تريد الفراغ منه وتأديته، بل اجعله رحلة ممتعة رغم ما قد تجد من صعوبات في الوصول إليه، ولكنها اختبار لك على الصبر فكيف ستغفر كل ذنوبك وتعود كيوم ولدتك أمك دون أن تبذل الجهد الكافي متحملا صابرا فرحا مستمتعا بأدائك للنسك دون تجهم وغضب وجدال وتأفف من صعوبة الوصول أو كثرة الزحام ونقص الخدمات.

### الحج فرصة فاغتنمها

أخي الحاج؛ لا تكن في أداء هذه الفريضة مجرد رقم أو حاج جاء لإسقاط الفريضة أو لأداء هذا النسك سمعة أو رياء أو غيره من النوايا، فأنت دفعت الكثير من المال وبذلت الجهد الكبير للوصول إلى هذا المكان، وانتظرت السنوات الطوال من أجل تحقيق هذا الهدف، ونلت فرصة عظيمة من الله تعالى يتمناها الكثيرون ولم يحصلوا عليها بعد، فاجتهد قدر الإمكان في أداء مناسك الحج وأنت فرح مستبشر متفائل برحمة الله تعالى بك وبمغفرته لذنوبك مهما بلغت، وتذكر ما سيؤول إليه حالك من الرحمة والغفران ومحو الذنوب جميعها خصوصا بعد الوقوف بعرفات وبالتالي ستشعر كأنك أصبحت إنسانا آخر مختلفا خفيف الأثقال والنفس والهموم وكأنك ولدت من جديد، صغرت الدنيا في عينيك وازددت قربا من الله تعالى.

ولذلك أشغل نفسك بالتسبيح والذكر والدعاء وقراءة القرآن الكريم ومساعدة الآخرين وتقديم العون لهم وإطعامهم، فإن لك الثواب العظيم إن أنت أعنت إخوتك في الله على أداء الحج أو في إطعام الطعام وفعل الخيرات. ولا تشغل نفسك بالكلام والأحاديث التي لا طائل منها، لأنها أيام معدودات ستنقضي وأنت الخاسر للثواب العظيم إن أضعتها، فاستثمر كل لحظة واستشعر هذه الفرصة العظيمة التي أكرمك الله بها ولا تضيعها حتى لا تصبح من النادمين.

ومن أهداف الحج التعارف بين المسلمين والتآلف والشعور بالوحدة باجتماع المسلمين في موقف رهيب يخيف أعداءهم، فلا يمكن لأي اجتماع آخر على وجه الأرض أن يكون بهذا الحجم وهذه الهيبة والرهبة، فكن على يقين بأننا أمة عظيمة قوية بإيمانها وتمسكها بتعاليم دينها وتطبيقها، وسنكون أقوياء ما دمنا نتمسك بقرآننا العظيم وهدي رسولنا الكريم ﷺ، وتأكد أن غير المسلمين يحسدوننا على ديننا، ولذلك اعتز بدينك وبأدائك للحج فهو إظهار لقوة المسلمين وتآلفهم واتحادهم معا، واحمد الله أن وهبك الوصول لتكون من جمع الحجيج هذا العام.

### نصائح

وحتى يكون الحج مبرورا فإننا ننصح الحاج بما يلي:

١- الإخلاص في نيته فيجعلها خالصة لله تعالى ليأخذ الثواب كاملا من الله عزوجل ويتقبله منه، وقد حرص رسول الله ﷺ على قبول حجته بقوله: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة» (صححه الألباني/ ح ٢٦١٧).

٢- الاجتهاد في معرفة أحكام الحج والعمرة ليعبد الله على علم، فيتعلم أركان الحج، وواجباته وأحكامها، وأن يعرف ما عليه فعله في كل ركن أو واجب أو سنة نبوية، وهكذا.. لأن معرفة الحاج بتفاصيل الحج وأحكامه يجنبه الوقوع في الكثير من الأخطاء والمحظورات، لذلك يتعين عليه أن يقرأ ويستمع للمحاضرات الخاصة بتعليم الحج ويحرص على حضورها.

٣- الحرص تمام الحرص على قبول حجته فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب، ويتحلى بالأخلاق الفاضلة، وهنا عليه أن يصبر ويرفع يديه عن النزاعات ولسانه عن الجدال والصراخ والدخول في نقاشات حادة، وإن رأى ما يزعجه ويحاول أن يصبر ويكتم أقواله ولا يجادل ويعرف أنه في عبادة خالصة لله تعالى تحتاج الكثير من الصبر.

٤- اختيار الرفقة الصالحة في سفره لأنهم خير معين في الحج، والابتعاد عمن يشعر بأنهم قد يعكرون صفو حجته أو يفسدونها عليه، فيحرص على مصاحبة ذوي العلم والصلاح ليكونوا له عونا على أداء مناسك الحج، فإن لم ينفعوه فإنهم لن يضروه.

٥- استثمار وقته في العمل الصالح من ذكر ودعاء وقراءة قرآن كريم، فمثلا في منى لدى الحاج الكثير من وقت الفراغ الذي أمر الله تعالى بالاستفادة منه في الذكر والتكبير خصوصا، لكن الكثير من الحجاج يقعون في فخ الجهل فيقضون الوقت في الكلام والثرثرة والتحدث إلى بعضهم البعض طويلا، ولكنها أيام معدودات يجب الإكثار فيها من ذكر الله تعالى وشكره على النعم ونعمة الحج، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (البقرة:٢٠٣).

٦- الاجتهاد في ألا يؤذي إخوانه بأقواله وأفعاله ويتعاون معهم ويكون سمحا يتقبل أخطاءهم لأن «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (رواه البخاري).

محمد حسن دنيا
باحث دراسات إسلامية
مصر

# الآثار التربوية للحج

**من عظمة الدين الإسلامي أن جعل عقيدتنا وشريعتنا قائمة على تربية النفس والرقي بها فالإيمان بالله كفيل بغرس الهيبة في النفوس لعظمته وجلاله سبحانه، والإيمان بالملائكة يربي فينا المراقبة الذاتية، وتأمل معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى يفيض على النفس شعورا بقرب السميع البصير فلا تجنح نفس المؤمن للخطأ ويطرد اليأس عنا معاني الحكيم الخبير، والشريعة وما بها من قواعد وأسس لبناء الدين لها بالغ الأثر؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتعود على الانضباط والإتقان، والزكاة مدرسة للبذل والعطاء وطهرة للنفوس، والصيام يعلم الصبر بأنواعه ويوحد مشاعر المجتمع في حالة يعز نظيرها. وهذه القضية عامة في جل العبادات غير أن لها ظهورا ومزيد جلاء في عبادة عظيمة تعاقب على أدائها الأنبياء والصالحون وسيبقى ولع المسلمين بها وشوقهم إليها إلى أن يأتي أمر الله سبحانه؛ هذه العبادة هي الحج، ركن الإسلام الخامس الذي يجعل للعبد فرصة الخروج من ذنوبه وآثامه كيوم ولدته أمه كما صح عن النبي ﷺ.**

ولهذا كان لابد من معرفة الآثار التربوية التي يتضمنها الحج على الفرد والمجتمع وما مدى الاستفادة منها والمنافع التي تترتب على مختلف الأبعاد التربوية لهذه الفريضة العظيمة التي تنعكس آثارها ونتائجها على سلوك وتربية الإنسان المسلم وحياة المجتمع الإسلامي. ولعل من أبرزها:

### التوحيد في النفوس وتأكيدها

وبهذا يتحقق الإخلاص وهو شرط صحة العبادة الأول؛ فنية الحج خالصة لله سبحانه: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾ (البقرة:١٩٦). وقال سبحانه: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ...﴾ (الحج:٣٠-٣١). وفي التلبية وهي شعار الحج جاء إفراد الله بالنسك صريحا «لبيك اللهم لبيك؛ لبيك لا شريك لك لبيك».

### البراءة من المشركين ومخالفتهم

وهذا مطلب شرعي حيث خالفهم النبي ﷺ في مواضع مختلفة من الحج مثل: الإهلال بالعمرة في أشهر الحج، التلبية، الوقوف بعرفة، الدفع من مزدلفة. فليتنا نأخذ درسا في العزة والبراءة من تقليد المشركين الذي ابتلي به فئة من أبناء المسلمين فتراهم مستهترين بالعدو الغازي مولعين بتقليد رجاله ونسائه في أمور أقل ما يكون فيها انعدام الفائدة، فكيف بخزايا الأعمال ومساوئ الأخلاق؟

### تعظيم شعائر الله

من أعظم الغايات التي نادى بها الدين الحنيف محبة وتجليل وإكرام أهل مكة وعدم المساس بها أو التعدي على حرمتها في أثناء الحج؛ قال جل شأنه في ثنايا آيات الحج: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢).

### الأخلاق الحسنة

كالعفة وكظم الغيظ وترك الجدال كما في قولة تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧). فالرفث هو الجماع ودواعيه من قول أو فعل. والجدال: أن تجادل صاحبك حتى تغضبه ويغضبك. ومن الأخلاق الحسنة الاندماج في المجموعة باللباس والهتاف وفي التنقل والعمل، والتواضع فالكل سواسية في الأركان والواجبات والصبر على مشقة الطاعة والصبر على التزاحم وكثرة الناس. ومنها أيضا البذل والسخاء فالحج عبادة بدنية مالية؛ وفي الأماكن المقدسة تتسامى المشاعر فيبذل الموسر من ماله لسقيا الحجيج أو

تفريج كربهم وسد حاجتهم ما يحقق المحبة والتآلف.

### تحمل تبعات الخطأ

يظهر ذلك في وجوب الفدية عند ارتكاب محظورة من محظورات الإحرام أو ترك واجب. ولا شك أن الشعور بالمسؤولية وتحملها علامة نضج وكمال الإنسان وهي غاية من غايات التربية لا ريب.

### التذكير باليوم الآخر

ويتضح ذلك في العديد من المواقف، منها:

- خروج الحاج من بلده ومفارقته أهله وأحبابه، ويذكر هذا بالفراق حال الخروج من الدنيا.
- التجرد من المخيط وترك الزينة، ويذكر بالكفن وخروج العباد من قبورهم حفاة عراة غرلا.
- الترحال والتعب والازدحام مع العطش والعرق ويذكر بمواقف يوم القيامة وحشر العباد.

### الاستسلام لأمر الله

ويتضح ذلك من خلال إيثار محبة الله على رغباته وشهواته؛ ما يقود الحاج إلى مرتبة أعلى ومنزلة أسمى حين لا يكون للعبد إيناس ولا استئناس إلا بما يرضي الرب سبحانه وتعالى؛ حينها يبلغ إيمان المسلم درجة عالية عزيزة بفضل الله وتوفيقه.

### الأخوة والوحدة الإسلامية

فالحج مؤتمر إسلامي عالمي كبير، تتحقق فيه الوحدة في مصدر التلقي وفي قصد القلب وعمل الجوارح وفي الزمان والمكان واللباس والذكر والمناسك، وتذوب فوارق اللغة واللون بين المسلمين. ويملأ المشاعر المقدسة ذكر الله ويكسوها الجلال والبهاء؛ قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة:١٩٨)، وفي الحديث النبوي الشريف: «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله في الأرض»[١]. وللحج مناسك مرتبة ومنظمة لا تقبل الإخلال بها، حتى وان كان الناس غير منضبطين فالحج لا يصح إلا بالانضباط.

### التربية الإيمانية

**ومنها:**

- الدعاء ومناجاة الله: فعن عبدالله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» (رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب).
- الاستقامة بعد الحج وغفران الذنوب وتبييض الصحائف. قال الحسن البصري رحمه الله: «الحج المبرور أن يرجع زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد:١٧)».

### التلبية تربية

ويتحقق من خلالها التوحيد وإجابة أمر الله ومعاهدة على الطاعة إثر الطاعة ومخالفة لطريق المشركين؛ فإذا لبى الإنسان داعي الله السنوي فما باله يتكاسل عن داعي الله اليومي؟[٢].

### التعلم والتعليم

يجب على الحاج أن يتعلم مناسك الحج ومحظوراته وعليه حضور دورة قبل الحج أو يسأل مفتيا في أثناء الحج عن المناسك والضوابط الخاصة بركن الإسلام الخامس لتأديته على الوجه الأكمل، وحسن السؤال نصف العلم؛ ويضبط الأحكام والفتاوى بإحكام يؤهله لنقلها لغيره مبلغا ومعلما[٣].

ومن خلال هذه القيم التي يتضمنها الحج تظهر فوائده الكبرى في بناء المجتمع وتكوين الشخصيات الإسلامية الرائدة، فهو يعمل على إحياء المعاني الربانية من الإيمان بالله وتوحيده وتربية الأمة على معاني التقوى والإخلاص لله، فمن روعة هذا الدين أنه جعل من فريضة الحج مدرسة تربوية متكاملة اجتمعت فيها غالبية العناصر التربوية المطلوبة في العمل التربوي الفعال، فتجد استعداد النفس المسلمة الراضية الممتثلة للتوجيهات، فتجتمع بذلك أطهر بيئة صالحة للتربية والتأثير والتغيير في نفس المسلم، إنها الصحبة الصالحة التي تجعل المسلم وسط جموع طاهرة جاءت تلبي نداء الرحمن كل هدفها السعي إلى مرضاة الله والفوز برضاه، تقدم العمل تلو العمل، لا تملك إلا أن تكون في معية الله وفي رحابه، فتكون تلك الصحبة خير معين على تزكية النفس وتربيتها التربية الإيمانية.

ودروس الحج وعبره كثيرة لا يمكن حصرها ولا تقف عند شكل ما، بل تمتد لتشمل حياة المسلم كلها وحياة المجتمع من حوله، فتكون التربية من خلال فريضة الحج تربية ذات أثر إيجابي في الفرد والمجتمع ولذلك كانت رحلة الحج هي رحلة العمر التي بها يبدأ عمر الإنسان من جديد، ويتجدد لديه الإيمان والإسلام ويقوى فيه العزم والإرادة، وينشط فيه الحرص على الطاعة والعمل الصالح، فيرجع المسلم كيوم ولدته أمه.

---

**الهوامش**

١- المنهاج في يوميات الحاج: خالد بن عبدالله الناصر، ٣٥.

٢- كتاب الحج لمحمد هشام البرهاني - ١٤١٣هـ و١٩٩٣م).

٣- الاستذكار، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، بتصرف.

رفيع الدين حنيف القاسمي
دار الدعوة والإرشاد
حيدر آباد
الهند

# أحكام عشر ذي الحجة وآدابها

إن من نعم الله التي أفاضها علينا، تتابع مواسم الخير والطاعات، فما أن ينقضي رمضان إلا وتجيء ليال عشر ذي الحجة وموسم الحج. وهذه المواسم نفحات ربانية، يصيب بها من يشاء من عباده، فالسعيد من اغتنمها ورجع إلى الله، وتقرب إليه، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات الربانية، فيكون مرضيا عند الله عزوجل، ويستحق الجنة، ويبتعد عن النار، فيدرك سعادة الدارين. والموفق في هذه المواسم من اغتنمها بالطاعات، والمسابقة إلى الخيرات، والمحروم منها حرم خيرها بالغفلة عن القربات والركون إلى الشهوات، واقتراف الفواحش والمحرمات.

والعشر الأولى من شهر ذي الحجة هي من مواسم الخيرات والبركات وشهد لها الرسول ﷺ بأنها أفضل أيام الدنيا، وحث على العمل الصالح فيها؛ بل إن الله عزوجل أقسم بها، وهذا وحده يكفيها شرفا وفضلا، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، لذلك رأينا الصالحين كانوا يستكثرون فيها من الأعمال الصالحة، ويتنافسون فيها بما يقربهم إلى الله عزوجل من خير وطاعات.

### فضائل العشر

١- يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾ (الفجر:١-٣)، وقد أورد الإمام الطبري في تفسير هذه الآية أن هذه الليالي: هي ليالي عشر ذي الحجة، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه[١]. ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة. كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف. وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام (يعني عشر ذي الحجة)»، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلا خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء»[٢].

وإن كان في تفسير الآية أقوال مختلفة، لكن ما رجحه المفسرون،

وعليه الإجماع أن المراد بالليالي العشر «عشر ذي الحجة»، وأخرج الإمام أحمد عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر».

٢- يقول الله عزوجل: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ﴾ (البقرة:٢٠٣). وقد أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية عن ابن عباس، رضي الله عنهما: «الأيام المعلومات» هي أيام العشر؛ كما سبق في قول الله عزوجل. وجمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة؛ ومنهم ابن عمر، وابن عباس، والحسن وعطا، ومجاهد وعكرمة، وقتادة، والنخعي.

ومن هنا نقول: إن فضل الأيام العشر من ذي الحجة قد جاء ذكره صريحا في القرآن الكريم، كذلك سماها الله تعالى بالأيام المعلومات لعظم شأنها وفضلها وشريف منزلتها.

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»[٣]. وكذلك عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في المعجم الكبير[٤].

## عمل السلف

كان سعيد بن جبير إذا دخل العشر اجتهد اجتهادا حتى ما يكاد يقدر عليه، وروي عنه أنه قال: «لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر» كناية عن القراءة والقيام[٥]. وسئل الإمام ابن تيمية عن عشر ذي الحجة فقال: «أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة». قال ابن القيم: وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب، وجده شافيا كافيا، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة، ففيها: يوم عرفة، ويوم النحر، ويوم التروية. أما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء، التي كان رسول الله ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة خير من ألف شهر، فمن أجاب بغير هذا التفصيل، لم يمكنه أن يدلي بحجة صحيحة[٦].

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: «والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيره»[٧].

## آداب وأحكام

وهناك بعض الآداب والأحكام التي تتعلق بالعشر الأول من ذي الحجة، نذكر منها ما يلي:

١- فضل صيام أوائل العشر ويوم عرفة: هناك العديد من الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ وتدل على فضل صيام العشر ويوم عرفة، فعن هنيدة بن خالد عن امرأته قالت: حدثتني بعض نساء النبي ﷺ أن النبي ﷺ: «كان يصوم يوم عاشوراء وتسعا من ذي الحجة وثلاثة أيام من الشهر أو الإثنين من الشهر وخميسين»[٨].

وأخرج عن الحسن قال: «صيام يوم من أيام العشر يعدل شهرين»[٩]. فصيام تسع ذي الحجة وإن لم يثبت فيها دليل بخصوصه في العشر؛ إلا أنه من أفضل الأعمال الصالحة التي حث عليها النبي ﷺ كما سبق، فيكون استحباب صومها مستفادا من عموم الأدلة.

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض فيقول: انظروا إلى عبادي شعثا غبرا، جاءوا من كل فج عميق، لم يروا رحمتي ولا عذابي، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار يومئذ»[١٠]. وإنما يستحب صيام يوم عرفة لأهل الأمصار، أما الحاج فلا يسن له صيامه، بل يفطر تأسيا بالنبي ﷺ.

٢- الإكثار من نوافل الصلاة، والصدقة، وسائر الأعمال الصالحة، مثل: بر الوالدين، وصلة الأرحام، والتوبة النصوح.

٣- الإكثار من ذكر الله تعالى، وتكبيره، وتلاوة كتابه المجيد، ودليل ذلك قوله عزوجل: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ (الحج:٢٨). والأيام المعلومات هي أيام العشر عند جمهور العلماء.

٤- الحج والعمرة، وهما من أفضل الأعمال، لمن استطاع ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧). وقال عليه الصلاة والسلام: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

٥- الحرص على الأضحية، وعدم التهاون فيها، لعظم أجرها عند الله تعالى، ولا يترك الأضحية مع قدرته عليها؛ لأن أداءها مع القدرة يتعين به براءة العهدة، والخروج من عهدة الطلب واجب، قال عزوجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ (الكوثر:٢)، ومن لم يقدر عليها؛ فإنها لا تلزمه. ويتعين على كل من أراد الأضحية اتباع

الآداب الواردة في سنته ﷺ، فعن أم سلمة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره حتى يضحي»، وفي رواية: «فلا يمس من شعره وبشرته شيئا»[11].

ويدل الحديث على أنه إذا دخلت العشر الأوائل من ذي الحجة وأراد المسلم أن يضحي؛ فإنه لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره، ولا من بشرته شيئا إلى أن يذبح أضحيته. وإن تعمد وأخذ فعليه التوبة والاستغفار، ولا فدية عليه إجماعا، ولا يؤثر ذلك على أضحيته[12]. وإن كان له أكثر من أضحية جاز له الأخذ بعد ذبح أول أضحية.

وعن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، إنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض، فطيبوا بها نفسا»[13].

وفي سنن ابن ماجه: عن أبي داود، عن زيد بن أرقم، قال: قال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، ما هذه الأضاحي؟ قال: «سنة أبيكم إبراهيم». قالوا: فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال: «بكل شعرة حسنة». قالوا: فالصوف يا رسول الله؟ قال: «بكل شعرة من الصوف حسنة»[14].

## يوم النحر

ويسن يوم العيد، وهو يوم النحر:

١- التكبير: يشرع التكبير من فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق، وهو الثالث عشر من شهر ذي الحجة وصفته أن يقول: «الله أكبر الله أكبر، لا إله الا الله. والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد».

٢- ذبح الأضحية: ويكون ذلك بعد صلاة العيد لقول رسول الله ﷺ: «من ذبح قبل أن يصلي فليعد مكانها أخرى، ومن لم يذبح فليذبح»[15]. ووقت الذبح يشمل أيام العيد؛ يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة لما رواه أحمد في مسنده من حديث جبير بن مطعم، رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كل أيام التشريق ذبح»، ومن السنة الأكل من الأضحية.

٣- الاغتسال والتطيب للرجال ولبس أحسن الثياب من دون إسراف.

٤- الذهاب إلى مصلى العيد ماشيا إن تيسر. والسنة الصلاة في مصلى العيد إلا إذا كان هناك عذر من مطر؛ فيصلي في المسجد لفعل رسول الله ﷺ ذلك.

٥- الصلاة وحضور الخطبة، والذي رجحه المحققون أن صلاة العيد واجبة، لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، ولا تسقط إلا بعذر شرعي.

٦- مخالفة الطريق: يستحب أن يذهب إلى مصلى العيد من طريق ويرجع من طريق آخر لفعل النبي ﷺ ذلك.

٧- التهنئة بالعيد: وهي قوله لأخيه المسلم «تقبل الله منا ومنكم»[16].

## خلاصة القول

إن إدراك هذه العشر نعمة عظيمة من الله عزوجل؛ لأن مواسم الطاعات تكون عونا على تحصيل الثواب، والمنافسة في الخيرات، وعلى المسلم أن يستشعر هذه النعمة، ويقدر قيمتها، ويستحضر عظم أجر العمل فيها، ويغتنم الفرص والأوقات للطاعات والخيرات، ويسعى لهذه العشر بمزيد من الطاعة، كما كان شأن السلف، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى.

### الهوامش

١- محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري: ٥٩٣/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢- ابن كثير، تفسير ابن كثير: ٥٩٣/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع.
٣- ابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من المعارف: ٤٤٧، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
٤- سنن النسائي، أيام كل شهر، وذكر اختلاف الناقلين للخبر، حديث: ٢٤١٧، والحديث صححه الألباني.
٥- أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، سعيد بن جبير، ٢٩١/٤.
٦- الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ٤٧٧/٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧- نفسه.
٨- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، باب فضل العمل في أيام التشريق: ٤٦٠/٢.
٩- مصنف عبدالرزاق، فضل أيام العشر، والتعريف في الأمصار، رقم الحديث: ٨١٢٦.
١٠- مسند أبي يعلى، رقم الحديث: ٢٠٨٦، موارد الظمآن في زوائد ابن حبان، باب ما جاء في الوقوف بعرفة والمزدلفة، حديث: ١٠٠٦، يقول المحقق حسين سليم أسد: إسناده حسن، من أجل محمد بن مروان العقيلي.
١١- صحيح مسلم، باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة، وهو مريد الأضحية، حديث: ١٩٧٧.
١٢- أحاديث عشر ذي الحجة وأيام التشريق، أحكام وآداب: ٧، عبدالله بن صالح الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
١٣- الترمذي: باب ما جاء في فضل الأضحية، حديث:١٤٩٣.
١٤- سنن ابن ماجه، باب ثواب الأضحية، حديث: ٣١٢٧.
١٥- صحيح البخاري، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد، حديث: ٩٨٥.
١٦- أحمد عليوي العيساوي، فضائل أيام العشر من ذي الحجة، الألوكة.

رمضان عبد الله إبراهيم
شاعر مصري

# اللغة العربية

كــم ذا نسجتم بغيظ حولــي الفتنا
ترجــون ألا تروني أعتلي الفننا
هل قــد أضركمو أني بأجنحـة
أهوى الفضاء ولا أهــوى الثرى سكنا
أنــا الذي عشت دهــرا فوق قمتكـم
أجدادكم كــم أثاروا خلفي الفطنـا
كــم علقونـــي على أستار بغيتهــم
بالتبر صاغوا مـدادي غلوا الثمنا
أعــيادهــم تـبـتـدي لما يــروا نغما
شق الصحارى مـن الفرع الذي فطنا
يحيي المنـــى ينسج الآمــال مفتخرا
حتـــى يروا فوق أبراج السما الوطنا
هــذا «عكاظ»، «مجاز»، «مربد» شهدوا
هذي: «خناس» «وحسان» إذ اقترنــا
فـــي كل عصر شدا الأفذاذ بــي أملا
فــي النصر حتــى أتاهم يحمل المننا
والآن قالـــوا بأن الضبط ترهـــة
قيد يعـــوق الرؤى لا يبهر الزمنا
صاحوا: مقاصدنا أضحت مزركشة
كيف ارتدادكمــو؟ لا تسكنوا الدمنـا
فطائرات الفرار استأنسـت بكمـــو
والعجم تعشقكـم لا تعشــق السننـا
مـــــا عاد يقدر أن يرقــى لكوكبنا
هيـا اقذفوا وجهه ولتحضروا الكفنا
لا لن يصيب الفنـــا أنغام أغنيتـي
لحني سيعلو ويعلو يقهر المحنـا
فالشمس منذ ابتداء الكــون مشرقة
أضواؤها دائمـــا لا تعرف الوهنا
والبدر يمحو الدجى ما اختل ديدنه
رغم الصناعي سيبقى يمحق الإحنا
يا صاحبي إنني الفن الـذي صعبت
عليهمو صهوتي فاستنفروا الفتنا
لا تخش يوما ذهابي، نبرتي نغـم
هل أنجبوا نغمة كي يسحروا الأذنا
فـــي حوزتي سيرة التاريخ تبخسهم
هل شاهدوا أنجما، هل حطموا الوثنا
هم كالفراشات حولي سوف يحرقهم
ضوئـــي ليبقى نشيدي يعتلي الفننا
لست الذي جهزوا مـن أجله الكفنا
لست الذي جهزوا مـن أجله الكفنا

أحمد محمد أبو رحاب
باحث في العلوم العربية والإسلامية
مصر

# تحقيق المخطوط الإسلامي ونشره

**المخطوط هو كتاب لم يتم طبعه بعد ولايزال بخط المؤلف أو الكاتب أو أخذت عنه صور تصويرية لتودع كل صورة منها في إحدى المكتبات العامة التي تحرص على اقتناء المخطوط.**

ومعظم هذه المخطوطات نادر الوجود وقد يفقد الكثير منها أو تضيع بعض أجزائه الهامة، وقد تتآكل بعض صفحات المخطوط بفعل الزمن أو نتيجة سوء الاستعمال.

مما يحتم ضرورة ترميمها وصيانتها وتصويرها على الميكروفيلم أو الحواسب الآن.

وتوجد المخطوطات في المتاحف والمكتبات العامة ودور المحفوظات والوثائق.

المخطوط الإسلامي والعربي من أطول المخطوطات في العالم عمرا وأكثرها عددا، ويرجع تاريخها إلى أربعة عشر قرنا، وقد خلف العرب تراثا فكريا وافرا عظيما ولكن تعرض الكثير منه للضياع والتلف، كما أحرق ونهب نتيجة للهجمات والغزوات التي تعرض لها العالم الإسلامي في الماضي.

### أصول النصوص المخطوطة

١- إن أهم النصوص هي المخطوطات التي وصلت إلينا حاملة عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وجميع مادة الكتاب على آخر صورة رسمها المؤلف وكتبها بنفسه، أو يكون قد أشار بكتابتها أو أملاها، أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها - وتسمى هذه النسخة «الأم».

٢- وتلي النسخة الأم النسخة المأخوذة عنها، ثم فروعها، ثم فرع فروعها، وهكذا.

### كيف تجمع الأصول

لا يمكن بوجه قاطع العثور على جميع المخطوطات التي تخص كتابا واحدا إلا على وجه تقريبي، فمهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من مخطوطات للكتاب الواحد فربما لا يستطيع لكثرة أعدادها وبُعد أماكن وجودها، فربما تكون في دول مختلفة.

والذي يستطيع أن يفعله المحقق هو أن يبحث فيما يتاح له من فهارس المكتبات العامة حتى يتعرف على جميع النسخ الخاصة بالمخطوط والعنوان والمؤلف الواحد. ويخاطب مكتبات الدول التي بها نسخ موثوق بها من المخطوط للحصول على نسخة ضوئية منه.

### منازل النسخ

يمكن ترتيب أصول المحققات في درجات شتى:

١- أولها نسخة المؤلف.

٢- يلي نسخة المؤلف النسخة المنقولة منها، ثم فروعها، وفروع فرعها، وهكذا.

٣- النسخة المنقولة من نسخة المؤلف جديرة بأن تحل في المرتبة الأولى مع نسخة المؤلف.

المبدأ العام أن تقدم النسخة ذات التاريخ الأقدم مالم يعارض ذلك اعتبارات أخرى كصحة المتن ودقة الكاتب وقلة الإسقاط.

### فحص النسخ

يواجه فاحص المخطوط جوانب شتى يستطيع بدراستها أن يزن المخطوطة ويقدرها قدرها.

١- فعليه أن يدرس ورقها ليتمكن من تحقيق عمرها، ولا يخدعه ما أثبتت فيها من تواريخ قد تكون مزيفة، ومما يجب التنبه له أن ليست آثار التآكل أو القدم والبلى تدل دلالة قاطعة على قدم النسخة، فإننا نشاهد تلك الآثار في مخطوطات بالكاد يتجاوز عمرها مئة عاما.

٢- أن يدرس المحقق المداد فيتضح له قرب عهده أو بعده.

٣- دراسة الخط؛ فإن لكل عصر نهجا خاصا في الخط ونظام كتابته يستطيع الخبير الممارس أن يحكم في ذلك بخبرته.

٤- يفحص عنوان المخطوطات وما



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى آله وسلم

باب فعل وفعل باختلاف المعنى

عليها من أختام مكتبات عامة أو خاصة.

٥- قد يجد في النسخة ما يدل على قراءة بعض العلماء أو تعليقاتهم.

٦- أن ينظر إلى أبواب الكتاب وفصوله وأجزائه حتى يستوثق من كمال النسخة وصحة ترتيبها.

٧- أن ينظر في خاتمة الكتاب لعله يتبين اسم الناسخ وتاريخ وتسلسل النسخة.

## تحقيق المخطوط

التحقيق هو الاصطلاح المعاصر الذى يقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات؛ فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان من أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه. وعلى ذلك فإن الجهود التي تبذل في كل مخطوطة يجب أن تتناول البحث في الزوايا التالية:

١- تحقيق عنوان الكتاب.

٢- تحقيق اسم المؤلف.

٣- تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

٤- تحقيق متن الكتاب حتى يظهر بقدر الإمكان مقارنا لنص مؤلفه.

## إعداد المخطوط للنشر

بعد الانتهاء من الخطوات السابقة تأتي مرحلة الإعداد النهائي للنشر، وأهم خطوة فيه وضع مقدمة لأي مخطوط ينشر، تطبع في أول الكتاب وتكون أرقام صفحاتها متسلسلة مستقلة أو مندمجة مع أرقام كل الكتاب.

وتحتوى المقدمة على العناصر التالية:

١- ذكر كامل لجميع النسخ التي اعتمد عليها المحقق في التحقيق.

٢- ترجمة للمؤلف.

٣- وصف عام للمخطوط.

٤- فهرس المحتويات؛ ويشمل ذكرا للفصول والأبواب.

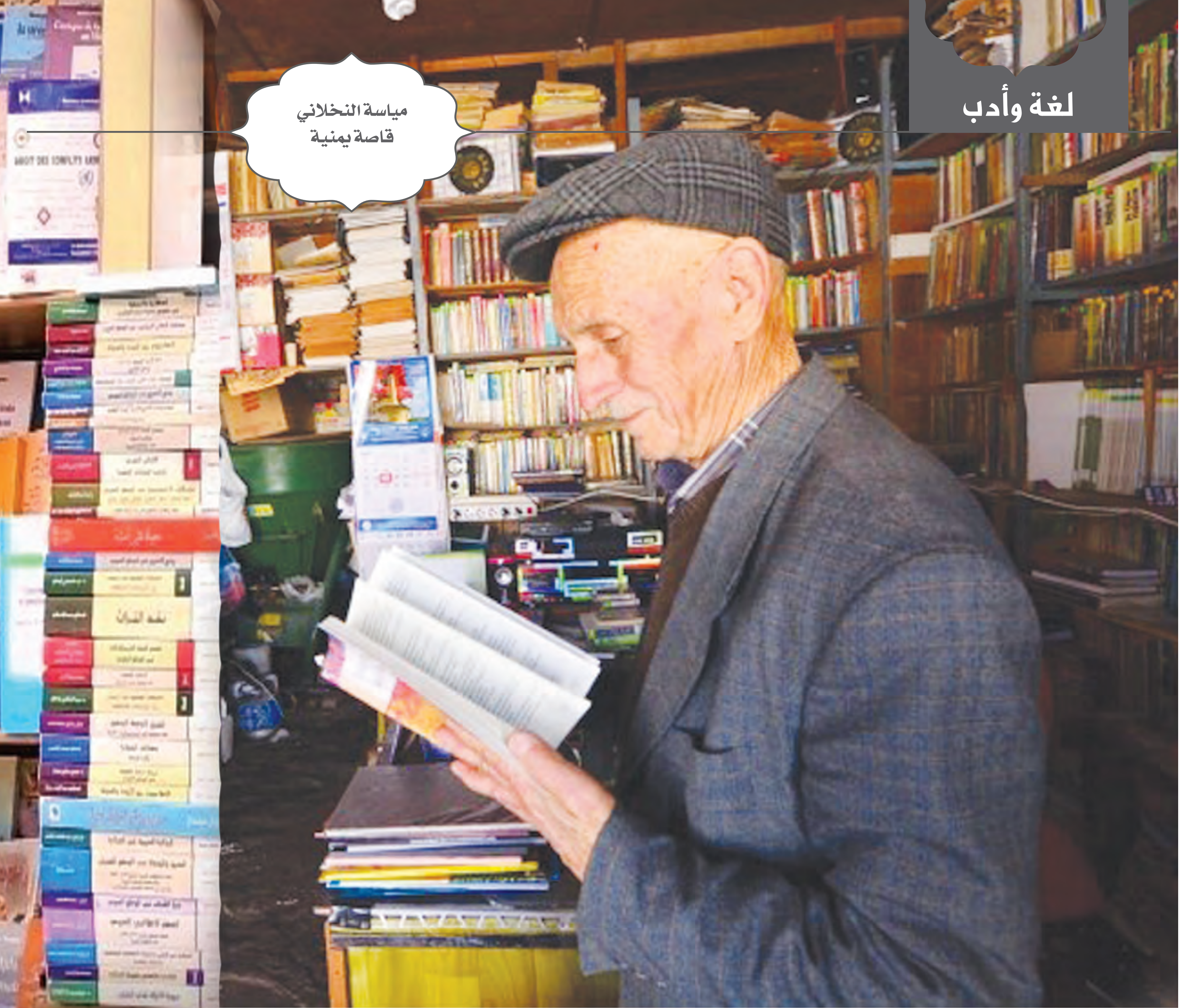
٥- فهرس هجائي لأسماء الأعلام الواردة في الكتاب.

٦- فهرس هجائي لأسماء الأماكن.

٧- فهارس للمصطلحات والتعبيرات الفنية وغير ذلك مما تقتضية الضرورة.

آخر خطوة هي طباعة المخطوط المحقق ليكون في أماكن البيع والتسويق.

مياسة النخلاني
قاصة يمنية



# امتنان

بعد سنوات من الغربة، وبعد أيام من استقراره في الحي الذي عاش فيه طفولته، لفت انتباهه الرجل الستيني الجالس أمام كشك كتب رصت على رفوفه وأمامه بعض الجرائد والكتب القديمة، بدا وجه الرجل مألوفا لديه رغم التجاعيد التي كادت تخفي ملامحه الأصلية، لم يستطع تجاهله ليس فقط لأنه يشفق على شيخ في عمره أن يقضي يومه تحت لهيب الشمس، ووسط عوادم السيارات لبيع كتب قديمة قلما يلتفت إليها أحد، لكن... «يبدو وجهه مألوفا جدا» يردد هذه العبارة قبل أن يمضي لحال سبيله.

أخيرا حزم أمره، ركن سيارته وتوجه ناحية الكشك، ألقى نظرة سريعة على الكتب قبل أن يأخذ أقربها إليه، حين أصبح قريبا بما يكفي ليتأمل ملامح الرجل وليسمع صوته، تدفقت الذكريات أخيرا لعقله...

«ياللّه!» تمتم وهو يحدق في الرجل المرهق، دفع ثمن الكتاب ومضى دون أن ينبس بكلمة واحدة، وقبل أن يبتعد ألقى نظرة سريعة على



الشيخ الذي عاد للجلوس على الكرسي القديم واستسلم للنوم.
«كم مضى من الوقت، عشرون عاما، لا بل ثلاثون أو تزيد قليلا» حدث نفسه، حينها لم يكن سوى طفلا يتيما بالكاد حصل على فرصة الالتحاق بالمدرسة بعد أن تكفل أحد رجال الخير بمصاريف دراسته، كان حينها هادئا، منطويا، كسره اليتم والجوع، لم ينتبه له أحد وكيف لهم أن يفعلوا وهو ذاته لم يكن سوى ظل يتوارى بخجل.
«لماذا تجلس هنا؟» انتفض واقفا ذات صباح حين أتاه صوت معلمه وهو يقترب من مخبئه، طأطأ رأسه وهو يتمتم «لا شيء»
«تكاد الاستراحة أن تنتهي، لماذا لا تذهب لتناول فطورك؟»
«حسنا» وحين هم بالابتعاد ناداه المعلم وطلب منه أن يجلس بجانبه...
شعر بخفقان قلبه الصغير يلامس صدره بينما تعلقت عيناه بالعصا التي لا تغادر يد معلمه، انتبه الأخير لنظراته فقال باسما:
«هل شاهدتني يوما أضرب بها طالبا؟»
«لا»
«إذن مم تخاف! تعال واجلس قبل أن تنتهي الاستراحة»
أخرج المعلم بعض الفطائر المحلاة ومد له اثنتين وهو يقول: «خذ وتناول هذه»
كان شكلها مغريا، فامتدت يده دون إرادة منه وتناولها على الفور، وسريعا امتزجت حلاوتها مع لعابه فشعر بانتعاش غريب، بكى دون أن يدري لماذا، فبات يأكل بيد وباليد الأخرى يمسح دموعه
«هل هي لذيذة؟» سأل المعلم
أومأ برأسه وهو يزم شفتيه التي كانت ترتعش
«حسنا! لدي زوجة طيبة ولا تتركني أخرج إلا عندما تعطيني خمس فطائر، وإذا عدت يوما ببعض منها تؤنبني وأنا لا أريد أن أصبح دبا في نهاية المطاف، لذا» توقف لحظات وأكمل «ستشاركني فطوري من اليوم فصاعدا كي لا أتعرض لتوبيخ زوجتي، هل اتفقنا!»
نظر للفطيرة المتبقية بيده، قبل أن ينظر ناحية معلمه، ابتسم له وعاد ليأكل بصمت.
«معلمي!» قالها وهو يمسك بمقود السيارة بشدة «معلمي!»
بعد أيام أوقف سيارته أمام الكشك، ومن سيارة النقل التي كانت تتبعه ساعد سائقها في إنزال مظلة كبيرة وكرسي جديد وعدة كراتين، ليضعها كلها أمام الكشك
«ما هذا؟» سأله الشيخ مستغربا
«كما ترى أعيد تجديد المكان الذي تجلس فيه؟»
«لماذا؟ ومن أنت؟»
ترك ما بيده واقترب منه:
«لعلك لا تتذكرني لكني أتذكرك جيدا، قبل ثلاثين عاما كنتُ يتيما معدما، وكنت أنت الوحيد الذي شعر بوحدتي وجوعي»
احتاج الشيخ لبعض الوقت كي يستوعب، وحين تحركت ذاكرته قال:
«يا إلهي لقد شاركتك بعض الفطائر فقط خوفا من غضب زوجتي»
«ما العمل فلا تزال حلاوة فطائرك في فمي يا والدي»
«والدك!»
«كما تعرف فأنا يتيم، وسيتحتم عليك أن تعتبرني أحد أولادك»
«لكن لا أولاد لدي!»
«حقا!» توقف لحظات ثم أكمل:
«في هذه الحالة أنا ولدك الوحيد، دعني أفرغ هذه الكراتين ثم تأخذني لمنزلك»
«هل تنوي شكر زوجتي على الفطائر؟»
«في الحقيقة أنا أكثر طمعا مما تظن، سأطلب منها أن تعد لي بعضا منها» توجه ناحية الكراتين وهو يقول «وبما أني انتقلت لهذه المنطقة فأعتقد أني سأزوركم كثيرا وأشاركك فطورك مجددا».

د. عبد المنعم مجاور
كاتب مصري

## الطريق إلى كتابة مقال جيد



# مقالك حصانك

ما أكثر المكتوب! وما أقل المميز المرغوب! وكي يكون مقالك مميزا؛ فتستحوذ على اهتمام قارئك ويجد مسوغا لقراءة مقالك؛ عليك أن تمتطي عدة وسائل لتصل إلى مرفأ غايتك وشاطئ مبتغاك؛ وأول هذه الوسائل عنوان مقالك؛ إذ إن العنوان هو أول عتبات نصك، وأول ما تقع عليه عين قارئك، والعامة يقولون: «الجواب من عنوانه» لذا وجب أن يكون عنوان مقالك جذابا، مشوقا، ولا تظنن أن التشويق يكون بالسجع الرنان المتكلف؛ لأن ذلك إن جذب القارئ خطوة، لأول وهلة، فإنه سينفر منه خطوات عند تعمقه وتأنيه والوقوف عند مراميه، وإياك من الإطالة فيه من غير سبب ولا علة، أو اختصاره اختصارا مخلا، ولكن اجعله منطقيا واقعيا، دالا على فحوى المقال ومضمونه، وقبل هذا وذاك ضع نفسك مكان القارئ واقرأ العنوان الذي اخترت بنظرة محايدة، واسأل نفسك: لو كان هذا العنوان كتبه غيري، هل كانت ستستهويني قراءته؟ فإن كانت الإجابة بالإيجاب فافترض أن ذلك لأن موضوع المقال قريب من اهتمامك، لصيق بتخصصك أو هوايتك، فتكون الإجابة بالإيجاب هنا خادعة! فإن سألت: ما الحل في هذه الحالة إذن؟ أجبتك: لعل الحل يكمن في استرجاع خبراتك، وشريط ذكرياتك مع عناوين كتب ومقالات أرغمتك على قراءتها وهي بعيدة عن مجال اهتمامك وتخصصك أو هواياتك؛ لذا عد إليها والتمس من معين جودتها وتشويقها ما يجعل عنوان مقالك جيدا ومشوقا.

فإذا نجحت في الاستحواذ على اهتمام القارئ، وأخذت بزمام فرسه ليطرق باب مقالك من خلال تشويق عنوانك فاغتنم تلك الفرصة، ولا تدع له مجالا للتردد أو التراجع، فالقارئ هنا كالزبون أمام باب البائع إن تركه تائها بارت سلعته، فادلف به إلى صدر «محلك» حيث تستقبله مقدمة حسناء، حلوة اللسان، ممشوقة القوام، ليس بها كلام ممجوج، ولا تركيب مشوه، ولا فلسفة عقيمة، ولا إعادة أو تكرار، واجعلها تستقبله بثغر باسم من حلو الكلام، على ألا يكون ذلك من باب الخضوع والاستسلام فيعافها القارئ، ويعلم أنها صيد سهل المنال فيزهد فيها وفي كاتب المقال، فإن سألتني: إذن أجعلها تقف أمامه شامخة متحدية، تخاطبه من عَلٍ، وتنظر إليه شزرا كي يعرف قيمتها، ويدرك نفاستها، قلت لك: «ليس هكذا يا سعد تورد الإبل» وإنما امزج فيها بين الحالين، فلا تجعلها خانعة مستسلمة، تلين

له حتى يظن أنه أمسك بعنانها، فما يكاد يطمئن منها على تلك الحال حتى يجدها نافرة متحدية، صاهلة ومولية، فيحتار لبه، وتشحذ عزيمته، ويزداد إصراره على أن يرغم أنفها، ويدرك مكنونها، وأنت تشاهد ذلك منه بثغر باسم، ورأي حاسم، فتخبره فيها حينا، وتسأله عنها أحيانا، حتى إذا أدركت أن صاحبك قد أنهكه التحدي بعدما أغراه الاستسلام، ساعتها خذ بيده إلى صلب المقال، فقد انتهت المقدمة، والحمد لله، على أحسن حال.

أما جسم المقال فقسمه إلى عناصر وأفكار، وتدرج فيه بالمقدمات التي تصل بك إلى النتائج التي ترجوها، والغايات التي تتوخاها، ويكون ذلك على هيئة فقرات؛ لكل فقرة عنوان دال عليها، مع الميل إلى التشويق في العرض من خلال ضرب الأمثلة والشواهد من حياة الناس المعاصرة، وتجارب أسلافهم الغابرة، فإن في ذلك إفادة لهم مع تسرية عنهم، ولا تجد فتتجهم فتنفر منك قارئك، ولا تكثر من التفكه والتندر من غير داع ولا علة، وإنما امزج بينهما في كلامك، على أن يكون جدا من غير تشنج، وتندر من غير إسفاف، وإنما سُق من الشواهد ما يدعم فكرتك مما يضحك السن، ويبعد عن الكذب، وأنت في ذلك محظوظ، فإن سألت: كيف؟ ولماذا؟ أجبتك في الحال: محظوظ كونك عربيا مسلما، وكونك قارئا كاتبا؛ فتراثك العربي الإسلامي بالنوادر النافعة مليء، وبالقصص الداعمة لكل لون ثري وبالحكايا المؤكدة لكل فن غني، فخذ منها ما تشاء لتغني به مقالك وتثريه، على أن يكون استشهادك بها بحساب، فهي كالملح للطعام، إن زاد أضر، وإن قل عن الحاجة أحوج وأخل.

على أن هذا كله، رحمني الله وإياك، لا يغنيك عن أن تضع كتاب الله نصب عينيك، وسنة نبيه ﷺ أمام ناظريك؛ ففيهما مبتغاك، ودواء لكل ما أتعبك وأعياك، مع الأخذ في الاعتبار حسن الاستشهاد، ووضع الكلام في مكانه الصحيح، فلا تستشهد في مواضع الترغيب بما يدل على ترهيب، ولا في دواعي الرضا والحبور بذكر الموتى والقبور، فلكل مقام مقال، واحذر أن تلوي أعناق الكلمات ليستقيم لك معنى معوج، أو غرض أبتر، أو فكرة شاذة، أو خاطرة نافرة؛ فأنت لا تكتب من باب «خالف تعرف» وإنما تكتب لتضيف، ولتصل إلى الحقيقة؛ فمتى وصلت إليها تمسكت بها وركنت إلى كنفها ولو كانت على لسان خصمك، جاء في عيون الأخبار لابن عبدالبر رحمه الله (٦/١) من قول ابن عباس: «ولا ينقص فضل ذي فضل فضل غيره عليه». قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود:٣).

ولا يعيبك أن ترجع في مقالك هذا عن رأي ارتأيته في مقال سابق، لأن غايتك، كما اتفقنا، الحقيقة، ولتكن نصب عينيك وصية عمر بن الخطاب لقاضيه أبي موسى الشعري «ولا يمنعك من قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه لرأيك وهديت فيه لرشدك – أن تراجع الحق؛ لأن الحق قديم، لا يبطل الحق شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل»، ولا تجعل مقالك يسير على وتيرة واحدة، وإنما نوع في أساليبك، وزاوج بين جملك وعباراتك، واعلم أن الحاطب إذا لم يحكم حزم ما جمع تبدد منه وتفلت، فكن كذاك الحاطب الحازم فاربط بين جملك وعباراتك، وبين عناوين فقراتك؛ ليكتمل بناء مقالك، ولا تكن حاطب ليل تجمع إلى مقالك كل غث وسمين، وإنما تخير من الكلام أحسنه، ومن الشواهد أدلها وأبينها، وإياك أن تجري وراء جمال صياغتك وأسلوبك وتنسى الغرض الذي كتبت من أجله مقالك، أو يستغرقك الغرض والمعنى على حساب اللفظ، وإنما اجعلهما رصيفين؛ فاللفظ للمعنى كالجسد للروح، كما قال الجاحظ في رسائله «الأسماء في معنى الأبدان، والمعاني في معنى الأرواح، اللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح» ومن حق المعنى الشريف لفظ شريف كما جاء عن الجاحظ في البيان والتبيين: «من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف».

واعلم أن مقالك حصانك، واللسان المعبر عن حالك؛ فعلى مرآة سطوره تنعكس صورتك، ومن بين ثنايا كلماته تظهر شخصيتك، وإذا كنت في حياتك تقابل من الأشخاص الوديع الظريف، والغث الثقيل؛ فكذلك حال المقال تحت ناظري القارئ، فاحرص على أن تكون وديعا في جد، ظريفا مع ود ليحصل بينك وبين القارئ الألفة، فإن حصل لك ذلك فقد أخذت بالتلابيب، وأصبح لك موضع قدم بين الكبار، ولكن احذر من فخ الشهرة أن يقودك إلى الغرور، وأن تركن إلى رصيدك السابق عند القارئ فيقل اهتمامك بما تكتب، فلا تقرأ له الكافي، ولا تتسلح له بالوافي؛ فيضعك قراؤك كما رفعوك، ويلتمسوا لهم واديا غير أوديتك التي سلكوها وراءك، ودروبا غير دروبك التي استهلكت من كثرة العابرين.

وإذا أويت إلى خاتمة مقالك فاجعلها جامعة لما تناثر، ضامة لما تفرق، واعلم أنها آخر وشيجة بينك وبين قارئك في هذا المقال، فلا تتركه إلا وقد رضي وأفاد، وشكر لك ما قدمت من غير طلب منك، ولا منة تمنها عليه؛ فإذا كان لك فضل الكتابة فله فضيلة القراءة، وتقديم النصح لك؛ فاجعل آخر كلامك في مقالك كآخر كلام تودع به صفيك وحبيبك، فتتفرقا على مودة وإحسان على أمل باللقيا على جناح الشوق والتحنان.

وأتركك الآن، حتى لا يطول بنا المقال فيظهر عليك الملل والكلال، على أمل أن أكمل لك الحديث عن فن كتابة المقال في مرة قادمة إن كان في العمر بقية، نفعني الله وإياك بما نقرأ وما نكتب، وجعل هذه السطور شاهدة لنا لا علينا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث



سلسلة الأعلام المتشابهة (٢٢)

# المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛

فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.







## المتفق والمفترق في اسم (أبو داود):

**١- أبو داود (ت: ٢٠٤هـ):**

هو أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي مولى قريش، من كبار حفاظ الحديث.

ولد سنة: (١٣٣هـ)، وسكن البصرة، وكان يحدث من حفظه.

من مصنفاته: (المسند) جمعه بعض الحفاظ الخراسانيين. وتوفي بالبصرة[١].

**٢- أبو داود (ت: ٢٧٥هـ):**

هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي السجستاني، إمام أهل الحديث في زمانه.

ولد بسجستان سنة: (٢٠٢هـ).

من مصنفاته: (السنن) وهو أحد الكتب الستة، و(المراسيل)، و(الزهد)، و(البعث)، و(تسمية الإخوة)، وتوفي بالبصرة[٢].

**٣- ابن أبي داود (ت: ٣١٦هـ):**

هو أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ابن أبي داود، من كبار حفاظ الحديث، وإمام أهل العراق.

ولد بسجستان سنة: (٢٣٠هـ)، ورحل به أبوه شرقا وغربا، فأسمعه بخراسان وأصبهان والبصرة وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والشام.

من مصنفاته: (تفسير القرآن الكريم)، و(المصاحف)، و(المسند)، و(الناسخ والمنسوخ) وغيرها. وعمي في آخر عمره واستقر ببغداد وتوفي بها[٣].

**٤- أبو داود (ت: ٤٩٦هـ):**

هو أبو داود سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأموي بالولاء، القرطبي الأندلسي، مقرئ وعالم بالتفسير.

كان أبوه مولى لصاحب الأندلس المؤيد بالله هشام بن الحكم.

ولد في قرطبة سنة: (٤١٣هـ) ونشأ بها، وتنقل بين دانية وبلنسية.

من مصنفاته: (البيان في علوم القرآن)، و(التبيين لهجاء التنزيل)، ثم اختصره بكتاب: (التنزيل في هجاء المصاحف)، و(الاعتماد في أصول القراءة والديانة)، و(الصلاة الوسطى).

توفي ببلنسية في شهر رمضان[٤].

## المتفق والمفترق في اسم (ابن أبي شيبة):

**١- أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ):**

هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم الكوفي، المعروف بابن أبي شيبة، محدث، حافظ مكثر، فقيه، مؤرخ، مفسر.

ولد سنة: (١٥٩هـ) قدم بغداد، وحدث بها،

من مصنفاته: (المسند) في الحديث، و(المصنف في الأحاديث والآثار)، وكتاب (الفتن)، وكتاب (الزكاة)، وغيرها.

توفي في المحرم ببغداد[٥].

**٢- أبو الحسن بن أبي شيبة (ت: ٢٣٩هـ):**

هو أبو الحسن عثمان بن محمد بن إبراهيم العبسي الكوفي، المعروف بابن أبي شيبة، أخو أبو بكر بن أبي شيبة، محدث، حافظ، فقيه، مفسر.

ولد سنة: (١٥٠هـ) أو (١٥٦هـ)، ورحل إلى مكة والري، ونزل بغداد، وحدث عنه البخاري ومسلم وابو داود وابن ماجه.

من مصنفاته: (المسند) في الحديث، و(السنن) في الفقه، و(تفسير القرآن)، وكتاب (العين) وغيرها.

توفي ببغداد[٦].

**٣- أبو جعفر بن أبي شيبة (ت: ٢٩٧هـ):**

هو أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد العبسي الكوفي، المعروف بابن أبي شيبة، محدث، حافظ، مسند فقيه، مؤرخ لرجال الحديث.

سكن بغداد، وحدث بها،

من مصنفاته: (تاريخ) كبير، و(السنن) في الفقه، و(العرش وصفته).

توفي ببغداد، وقد قارب التسعين[٧].

### الهوامش

١- ينظر تاريخ بغداد (٢٤/٩) والأعلام للزركلي (١٢٥/٣) ومعجم المؤلفين (٢٦٢/٤).

٢- ينظر تذكرة الحفاظ (١٥٢/٢) والأعلام للزركلي (١٢٢/٣) ومعجم المؤلفين (٢١١/٨).

٣- ينظر تاريخ بغداد (٤٦٤/٩) والأعلام للزركلي (٩١/٤) ومعجم المؤلفين (٦٠/٦).

٤- ينظر سير أعلام النبلاء (٣٩/١٢) والأعلام للزركلي (١٣٧/٣) ومعجم المؤلفين (٢٧٨/٤).

٥- ينظر سير أعلام النبلاء (٣٢/٨) والأعلام للزركلي (١١٧/٤) ومعجم المؤلفين (١٠٧/٦).

٦- ينظر سير أعلام النبلاء (٣٩/٨) والأعلام للزركلي (٢١٣/٤) ومعجم المؤلفين (٢٦٨/٦).

٧- ينظر تاريخ بغداد (٤٢/٣) والأعلام للزركلي (٢٦٠/٦) ومعجم المؤلفين (٢٨٥/١٠).

أ. د. عبدالله أيت الأعشير
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين
بني ملال - المغرب

# مكر اللغة ودهاؤها

## (الحلقة الأخيرة)

**في هذه الحلقة نستكمل حديثنا ونقول عن المغالطة: هي في الكلام ظاهرة فنية بالغة الخفاء في تشعباتها العديدة، التي تجافي التصحر البياني الضارب بجرانه في الكتابات المعاصرة، التي تكتفي بالأطراف والحواشي، وتقتصر من الغوص على الجواهر بالعثور على الأصداف. إنه موضوع يسكنه التمويه في معانيه ومبانيه، ولذلك لا ينهض به إلا كل نقاب بعيد الذهن، مستنير العقل، ثاقب القريحة، دقيق الفطنة، سديد الرأي، كثير الاعتيام للعبارة التي تجعل المتلقي في وضعية العماء بلا بصيرة. عباراته تقتحم نوفل التعمية والتمويه لتصطاد كرائم العبارات الزئبقية الفائضة بالأدب اللباب، الذي يقف بين صراط التلويح والإظهار.**

إنه نوع من مخادعات الأقوال التي تنوب عن مخادعات الأفعال، الغاية منه استدراج المتلقي إلى التسليم والانصياع الذي يقرب البعيد، ويطفئ نار العداوة، ويفتح الأبواب الموصدة؛ لدقة ملمحه وصعوبة اكتشافه ببادرة النظر؛ لأن في عباراته دقة وخفاء لا تطؤها الأقدام. لذلك لا ينبغي استعماله إلا في المواقف التي تقتضي حكمة الإخفاء، كما هو الشأن مع رسول الله ﷺ الذي كان إذا أراد القيام بغزوة ورّى وتظاهر بشيء آخر، لعلمه أن الحرب خدعة تقتضي الكتمان وحفظ الأسرار، كما يظهر من قوله لأحد السائلين الذي صادفهم في أثناء إحدى الغزوات، فسألهم ممن القوم؟ فقال ﷺ: «من ماء». وهو جواب بعيد الغور، يجوز

تفسيره بأنهم من إحدى القبائل العربية التي تسمى: «ماء»، كما يجوز أن يفهم الجواب: نحن قوم خلقنا من ماء!

وتتمظهر المغالطة في أشكال تعبيرية عديدة: منها المغالطة التي تقع في الألفاظ المشتركة وألفاظ الأضداد، والمغالطة التي تنهض على تعدد المعنى، ثم المغالطة القائمة على الألغاز.

## أ- المغالطات التي تقع في ألفاظ المشترك اللفظي وألفاظ الأضداد

وهي ضرب من الكلام محمود، ولاسيما إذا أريد به جلب منفعة أو دفع مفسدة، يحتاج الذي يروم تضمينه ما يطرس إلى دقة الرصف وجودة التأليف، اللتين تفرضان على القارئ الباحث عن حقيقته، تجاوز القشرة السطحية البادية لكل ذي وكال، لإدراك المغزى بعيد الغور المحتاج إلى عمليات الكر والفر، ومعرفة قوانين التشكل، والتقاط الإشعاعات الساطعة التي تنبض بها الألفاظ المشتركة على شاكلة هذه الآية الكريمة: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (الإنسان:١٣)، إذ إن الذين لم يترعوا في الثقافة التراثية، والدراية بطرائق رصف الكلمات، والمعرفة بالسياق وبالعناصر الثقافية والفنية التي تعد قرائن موصلة للقبض على عنقاء الإغراب في النص؛ لا يستطيعون القبض على الطريقة العذراء التي بدت عليها مخايل البراعة والإخفاء الواضحة في الآية التي ورد فيها لفظ «الزمهرير» الذي يدل على معنيين: البرد الشديد، واسم من أسماء القمر. لذلك لابد من تقليب لفظة «الزمهرير» في كل المسالك الدلالية لأجل رفع الاحتمال وإزالة اللبس بغية العثور على المغزى المطمور عن الأعين، والذي ترجحه الشواهد اللسانية وغير اللسانية التي يضيفها القارئ، اعتمادا على السياق الذي يتحدث عن الجنة. ومن المركوز في ذهن المسلم أن الجنة لا ليل فيها ولا نهار، ومن ثمة فإن المعنى المرجوح المستخلص كما يستخلص الإتاء من اللبن، هو أن أصحاب الجنة لا يرون فيها لا الشمس التي تدل على النهار، ولا القمر الذي يشير إلى الليل. وعلى الجملة فإن ركوب ظاهرة الاشتراك اللفظي مغالطة تفرض على متلقي الخطاب خبرات ومعارف فكرية وأدبية واجتماعية ودينية ولغوية تمنح شهادة ميلاد الفهم المنتقر المختار الذي يزيل الغموض والإبهام الذي أوجدته المغالطة على شاكلة قول أحد الشعراء:

**وخلطتم بعض القران ببعضه**
**فجعلتم الشعراء في الأنعام**

ومعلوم أن «الشعراء والأنعام» اسما سورتين من سور القرآن الكريم، كما أن الشعراء جمع شاعر، والأنعام تطلق على الإبل والبقر والغنم، ولا شك أن إزالة الغموض والالتباس بين الاسمين، وما يتوهم من الجمع بين المشتركين هو الذي يمكن من القبض على مقصدية الشاعر، انطلاقا من تجاوز الدلالة المنطوقة إلى دلالة افتراضية ترجحها عوامل لغوية وسياقية، لأن الأنعام والشعراء من بعض القرآن، كما أن عملية الخلط لا تصح إلا مع آيات السورتين، ومن ثمة يتدخل السياق وطريقة رصف الكلمات بعضها ببعض في تشكل المعنى في اتجاه المراد، فتحصل لذة النص بإدراك ملاك المغزى. ومن الأمثلة التي اجتنت ثمرة البراعة والخلابة «قول بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي رضي الله عنه:

**من مبلغ عني الوجيه رسالة**
**وإن كان لا تجدي لديه الرسائل**
**تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل**
**وفارقته إذ أعوزتك المآكل**
**وما اخترت رأي الشافعي تدينا**
**ولكنما تهوى الذي منه حاصل**
**وعما قليل أنت لاشك صائر**
**إلى مالك فافطن لما أنا قائل**

ومالك: هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضي الله عنه، ومالك: هو خازن النار. وتلك مغالطة لطيفة تدعو العاقل ذا الإحصاف إلى توقد الخاطر والاحتراس من خدع الاشتراك اللفظي لإدراك الخبايا، التي تخفي وراءها عالما من الأسرار، منبها بفطنته أن الذي أخفاه الشاعر في البيت الرابع يحتاج إلى أقصى مرامي النظر والتأمل، الذي يضيء لفظة «فافطن» وما يحيط بها من حقيقة ممزوجة بسحر المخاتلة، التي تجعل هذا المتنقل بين المذاهب صائرا إلى مثواه الأخير الذي يتلقاه فيه خازن النار (مالك) قبل عير وما جرى.

أما المغالطة بالنقيض فالغرض منها الزيادة في تقوية العبارة وإثارة

اهتمام المتلقي لإزالة اللبس والإبهام. وقد نطق بها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقرة:٢٢٨)، ناهيك عن قوله تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف:٧٩)، تاركا العقول تذهب كل مذهب لإدراك المراد من لفظة «القرء» هل يراد بها الحيض أم الطهر؟ وقل الشيء نفسه بالنسبة إلى لفظة: «وراء» هل تعني «قدام» أم «خلف»؟ وهي طريقة في التعبير جمع فيها القرآن الكريم بين الشيء وضده، رغبة منه في دفع الأفهام إلى الانتباه إلى الغايات التي لا يحصلها المرء إلا إذا كان نقابا فذا بالنمط الأسلوبي السهل الممتنع الذي يسكن الربوة العالية في انتقاء الألفاظ شديدة الخفاء. كما أكثر الشعراء المفلقون من المغالطات القائمة على ألفاظ الأضداد. قال عروة بن الورد:

**أليس ورائي أن أدب على العصا**

**فيأمن أعدائي ويسأمني أهلي؟**

ومما ينخرط في هذا النجر قول أحدهم:

**وما أشياء تشريها بمال**

**فإن نفقت فأكسد ما تكون**

حيث أوهم بلفظة «نفقت»، أي: راجت، من رواج السلعة، وزاد الأمر خفاء بذكر تشريها بمال التي توهم المتلقي بأن المراد من النفاق هو رواج السلعة، لكن عند إنعام النظر في عبارة «فأكسد ما تكون» إذا نفقت، يجعل القارئ اللبيب يحمل لفظة «نفقت» على ضدها وهو نفقت الدابة، أي: ماتت، لأن العرب تخص هلاك الدابة بلفظ «نفق» كما تؤكد كتب فقه اللغة. قال الثعالبي في تقسيم الموت: «مات الإنسان، نفق الحمار، طفس البرذون، تنبل البعير، همدت النار، قرت الجرح (إذا مات الدم فيه)». وواضح أن البيت الشعري فيه من الصنعة ما يخفى على الحذاق كما خفي المراد من هذه العبارة: «هي في النساء جارية حماء». لأن الأحم والحماء من ألفاظ الأضداد، يطلق على الأسود وعلى الأبيض. وقد أورد الجاحظ أن عبارة: «فلان ابن بجدتها، وفلان بيضة البلد. يقع ذما، ويقع مدحا».

### ب- المغالطة التي تنهض على تعدد المعنى

الذي يغزو تعميق البحث في هذا الموضوع الذي يختبئ وراء العبارات التي ترتع في الروض البهي، يدرك أن اجتناء الثمرة من غرسه الملتف، يقتضي التوفر على مقدمات وعلامات يستدل بها للكشف عن مخبآت عباراته باليقين الثابت، الذي يحول أسرارها إلى حقائق مجلوة كما تظهر هذه الحادثة: «قال أبو عبدالله بن محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي: كنت بمكة وسيف (الجنابي) قد أخذ الحاج، ورأيت رجلا منهم قد قتل جماعة وهو يقول: يا كلاب، أليس قال لكم (محمد) المكي: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ (آل عمران:٩٧)، أي أمن هنا؟ فقلت له: يا فتى العرب، تومنني سيفك أفسر لك هذا؟ قال: نعم. قلت: فيها خمسة أجوبة: الأول، ومن دخله كان آمنا من عذابي يوم القيامة؛ والثاني، من فرضي الذي فرضت عليه، والثالث، خرج مخرج الخبر وهو يريد الأمر كقوله ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾؛ والرابع، لا يقام عليه الحد فيه إذا جنى في الحل؛ والخامس، من الله عليهم بقوله: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ (العنكبوت:٦٧)، فقال: صدقت، هذه اللحية إلى توبة؟ فقلت: نعم. فخلاني وذهب. بعد أن قطع فهم الفتى بالحجة البالغة، وكما تنطق بذلك هذه النصوص: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فلم يقل لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته؟»، وهو قول على بساطة كلماته يحتمل فهمين: الأول نعت الرسول ﷺ بالحلم والصبر على أفعال الذين يخدمونه، والآخر أن أنس بن مالك يصف نفسه بالفطنة والذكاء، الأمر الذي يجعله يتنبه إلى ما يرغب فيه الرسول ﷺ فيفعله من دون حاجة إلى دعوته إلى فعل ذلك. ومن ذلك ما جاء في دعائه ﷺ على أحد المشركين قائلا: «اللهم اقطع أثره»، فإن استجلاء مغزى هذا الدعاء يجعلنا نحتمل له أكثر من تفسير على هذه الشاكلة: إما أنه دعا عليه بالزمانة فينقطع أثره من على وجه الأرض،

أو أنه دعا له بانقطاع نسله الذي يوجب له الذكر، أو أنه دعا عليه بانقطاع أي مأثرة توجب له الذكر، سواء كان ذلك من جنس العلم أو الولد أو العمارة أو الغراس. ومن ذلك قول المتنبي يمدح كافور الإخشيدي:

**وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا**
**لمن بات في نعمائه يتقلب**

الذي يحتاج إلى زيادة تأمل لدقة ملمحه ودهائه، ولاسيما في أثناء توجيه الخطاب لكافور الذي كان المتنبي يدس له السم في العسل في عبارات تغلفها جرأة التمويه ودهاء التضليل وحيلة المكر والتلبيس، حيث إن البيت الآنف يحتمل معنيين: الأول يشير إلى أن الأظلم هو الذي يحسد صاحب نعمته، والآخر يفيد أن الأظلم هو الذي يحسد كل صاحب نعمة على الإطلاق. ولهذا ينعت هذا الضرب من الكلام بالموجه، وهو دليل حنبريت على براعة ونباهة القائل. ومن العبارات الماكرة قول أحدهم لأعور: «ليت عينيك سواء»، فهي تحتمل أن تكون مدحا، إذا تمنى له أن تصبح العين العوراء سليمة، كما تحتمل أن تكون ذما، إذا تمنى أن تكون العين السليمة عوراء. قال بشار بن برد في خياط أعور:

**خاط لي عمرو قباء**
**ليت عينيه سواء**

### ج- المغالطة القائمة على اللغز

تعد اللغة بصفة عامة أداة تواصلية يستعملها الناس بغرض الفهم والإفهام، لكنها عندما تستعمل لأغراض خبيئة، تصبح أداة مضللة على شاكلة قول أحدهم: أرسلت لك شيئا إذا كتمته ذاع، وإذا خزنته ضاع. وهو لا يقصد من لفظة «ضاع» الذهاب من دون الانتفاع، ولكنه يريد: فاحت رائحته. ولقد سمي هذا الاستعمال الأسلوبي باللغز لأنه لا يتوقف عليه بدلالة اللفظ، وإنما بالحزر والحدس والفطنة والذهاب في شعاب خفية من الاستنباط لانحرافه عن نمط الكلام، ويسمى أيضا الأحجية والمعمى لأنه يتضمن معاني خفية دقيقة تحتاج إلى توقد البصيرة وإعمال الفكر لما فيه من الخفاء. وقد أكثر القدماء من هذا النوع في أشعارهم وفي رسائلهم وتوقيعاتهم، ومن ذلك قول أحدهم في «الخلخال»:

**ومضروب بلا جرم**
**مليح اللون معشوق**
**له قد الهلال على**
**ليح القد ممشوق**
**وأكثر ما يرى أبدا**
**على الأمشاط في السوق**

أما في المنثور فإن تأمل قصة المثل العربي، ولماذا قالت العرب «وافق شن طبقة» يكشف ما تحت هذه القصة من اللغز، حيث ألزم شن بن أفضى نفسه «ألا يتزوج إلا امرأة تلائمه، فصاحبه رجل في بعض أسفاره، فلما أخذ منهما السير قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال له الرجل: يا جاهل؛ هل يحمل الراكب راكبا؟ فأمسك عنه، وسارا حتى أتيا على زرع، فقال شن: أترى هذا الزرع قد أُكِل؟ فقال له: يا جاهل؛ أما تراه في سنبله؟ فأمسك عنه، ثم سارا فاستقبلتهما جنازة، فقال شن: أترى صاحبها حيا؟ فقال له الرجل: ما رأيت أجهل منك! أتراهم حملوا إلى القبر حيا؟ ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل، فسار به إلى بيته، وكانت له بنت، فأخذ يطرفها بحديث رفيقه، فقالت: ما نطق إلا بالصواب، ولا استفهم إلا عما يستفهم عن مثله، أما قوله: «أتحملني أم أحملك» فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث، وأما قوله: «أترى هذا الزرع قد أكل» فإنه أراد هل استسلف ربه ثمنه أم لا، وأما استفهامه عن صاحب الجنازة فإنه أراد هل خلف له عقبا يحيى بذكره أم لا، فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شن وحدثه بتأويلها، فخطبها، فزوجه إياها» فقيل: «وافق شن طبقة»، أي وافق ذكاء «شن» فطنة «طبقة»، وهي اسم ابنة الأعرابي التي تزوجها «شن» وبذلك وفى بما ألزم به نفسه.

### تأزير

تلك مغالطات ليس بمكنة المرء تحصيل أسرارها وخبيئها وهو مغمض العينين خامل الذكر جاف القريحة، وإنما يتوصل إلى دفينها بإعمال الفكر، الذي يستنبط ما تنبض به من فيض الدلالات والمعاني المطمورة المغيبة عن أعين الرائين. وقد نبهتها من خباياها، وأزلت عنها الأصداف التي تحجبها. أرجو أن يكون مفعولها في أعين القراء مثل صنيع قميص يوسف في أجفان أبيه يعقوب عليه السلام.

د.عبدالواحد الخميسي
الأستاذ بجامعة الإيمان
اليمن

# من بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم (٢-٤)

تحدثنا في الحلقة الماضية عن الإيجاز وأقسامه، وأخذنا في شرح وتمثيل القسم الأول منه وهو الإيجاز من غير حذف، وفي هذه الحلقة سنتحدث عن القسم الثاني وهو الإيجاز بالحذف، وبلاغته في القرآن الكريم.

والإيجاز بالحذف فن عظيم من فنون القول، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعاني، «لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[1]. «وقد أشاد البيانيون كثيرا بفن الحذف، وأفصحوا عن ملامحه الجمالية فقعدوا له القواعد، ووضعوا الشروط، وأظهروا المزايا، وكان لظاهرة الحذف في القرآن الكريم أكبر عون للبلاغيين على تعرف جهاته، ورصد حالاته، وكشف أسراره؛ مقيسا عليه كل فن بليغ وأدب ممتع»[2].

والحذف لغة: الإسقاط، ومنه: حذفت الشعر؛ إذا أخذت منه. واصطلاحا: إسقاط جزء الكلام أو كله؛ لدليل»[3]. وقد أجمع العلماء على أن «الحذف لا يصار إليه إلا إذا وجدت في الكلام قرينة تدل على المحذوف؛ حتى لا يصبح البيان ضربا من التعمية والغموض؛ لأن شرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة. والألفاظ: أوعية المعاني، فلا بد من ملاحظتها مذكورة أو محذوفة، ودل عليها دليل»[4].



والقرائن الدالة على الحذف كثيرة، وهي:

١- إما حالية نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ (هود:٦٩) فنصب المفعول المطلق يدل على محذوف هو الفعل، وتقديره: نسلم سلاما.

٢- أو مقالية مصرح بها، نحو قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ (النحل:٣٠) أي: أنزل ربنا خيرا.. فدل الفعل المذكور «أنزل» على فعل مثله محذوف.

٣- أو عادية؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾

(يوسف:٣٢). فقد دل العقل على أن هناك محذوفا؛ لأن يوسف لا يصلح أن يكون ظرفا للوم، وعليه فهل الحب هو المحذوف أو المحذوف المراودة؟ وتجيب العادة بأن الحب القاهر لا لوم عليه، فتعين أن المحذوف: هي المراودة.

٤- أو تصريحية صرح بها في موضع آخر؛ نحو قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (البينة:٢) أي: من عند الله للتصريح به في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:١٠١)[٥].

**أسباب الحذف**

السبب: هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى ترجيح الحذف على الذكر أو وجوبه، إذا كان أدل على فخامة المعنى، وسعة تصوره في بعض المواضع. وفي الداعي إلى الحذف يكمن السر الجمالي في التعبير؛ لكونه مظهرا من مظاهر مقتضى الحال والتصرف في إلقاء الكلام.

وتتمثل أسباب الحذف في أمور، منها:

١- التفخيم والإعظام، كقوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ (الزمر:٧٣) فحذف الجواب؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وتركت النفوس تقدر ما شأنه ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» (أخرجه مسلم، برقم: ٢٨٢٥).

٢- التخفيف؛ لكثرة دورانه في كلامهم كما حذف حرف النداء في نحو: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ (يوسف:٢٩).

٣- الصيانة للمحذوف، كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الشعراء:٢٣-٢٤). حذف المبتدأ «هو» قبل ذكر الرب عند قوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الشعراء:٢٤)، أي: هو رب السموات والأرض[٦].

**مظاهر الحذف في القرآن**

ومظاهر الحذف كثيرة جدا، ويمكن تصنيفه في القرآن الكريم على النحو التالي:

١- حذف حرف.

٢- حذف كلمة مفردة.

٣- حذف جملة.

٤- حذف أكثر من جملة.

أولا- حذف الحرف: وهو نوعان:

أ- حرف مبنى وهو ما كان من أصل الكلمة، كالزاي والياء، والدال من لفظ «زيد».

ب - حرف معنى وهو ما دل على معنى في غيره، كحروف النداء، وحروف العطف، وحروف الجر، ونحو ذلك.

وقد ورد حذف حرف المبنى وحرف المعنى في القرآن الكريم في مواضع متعددة، على النحو التالي:

١- حذف حرف المبنى

قد يحذف حرف من بنية الكلمة، فيدل حذفه على معنى مغاير لمعناها مع عدم حذف ذلك الحرف، ومن تطبيقات ذلك في القرآن الكريم ما يلي:

أ- الفعلان: «تبع»، و«اتبع»: وذلك كقوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨) مع قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه:١٢٣). حيث ورد الفعلان «تبع» و«اتبع»، في آية البقرة بدون همزة وبتخفيف التاء، وفي آية «طه» مقترنا بالهمزة وبتشديد التاء، فما الحكمة في ذلك؟

لعل الحكمة من ذلك:

١- أنه في آية البقرة لما كان الهدى، الذي هو البيان، لا يستلزم الاهتداء قال: «فمن تبع»، أي: أدنى اتباع يعتد به؛ فاكتفى في جزائه بنفي الخوف الذي قد يكون عن توبة من ضلال، فقال: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨)، بخلاف ما في «طه» من قوله «فمن اتبع»؛ حيث عبر بصيغة «افتعل» التي فيها تكلف وتتميم للتبع الناشئ عن شدة الاهتمام[٧].

٢- أن قوله: «فمن تبع»؛ لإنبائه عن الاتباع من غير تعمل ولا تكلف ولا مشقة، وأما «اتبع» فإن هذه البنية تنبئ عن تعمل وتحميل للنفس، فقدم ما لا تعمل فيه، وأخر «اتبع»؛ لما يقتضيه من الزيادة، ولم تكن إحدى العبارتين لتعطى المجموع، فقدم ما هو أصل، وأخر ما هو فرع عن الأول، وكلاهما هدى ورحمة[٨].

٣- أن المضعف كان مع أهل مكة، والمخفف كان مع أهل المدينة، ولا ينكر أحد ما بين البيئتين؛ لذلك كان القرآن شديدا في تعبيره مع أهل مكة، رقيقا فيه مع أهل المدينة.. ذلك هو منهج

القرآن مع الفريقين[٩].

ب- الأفعال: «تسطع» و«تستطع»، و«اسطاعوا» و«استطاعوا»: وذلك كقوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾(الكهف:٧٨). وقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الكهف: ٩٧).

فما الفرق بين الحذف والإثبات؟ والجواب ـ والله أعلم - أن عدم حذف التاء في قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، وحذفه في قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ - أن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضاح وتبيين فلم يحذف من الفعل شيء، وأما الآية الثانية فهي في مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها الخضر بكلمة، وفارق موسى عليه السلام، فاقتضى ذلك الحذف من الفعل، وأيضا فإن لسياق القرآني راعى الحالة النفسية لسيدنا موسى عليه السلام قبل أن يعرف تأويل سبب تلك الأفعال التي أنكرها، فكان إظهار التاء في «تستطع» مناسبا لبيان ثقل هذا الأمر عليه؛ بسبب الهم والفكر الحائر، فصار بناء الفعل ثقيلا؛ كي يناسب ثقل بناء الفعل ثقل الهم. وكان حذف التاء من كلمة «تسطع» قد جعل بناء الفعل مخففا، وهذا التخفيف مناسب للتخفيف في مشاعر سيدنا موسى بعد أن علم الحكمة من أفعال الخضر، فارتاحت نفسه، وزال ثقلها[١٠].

وأما زيادة التاء في فعل «استطاعوا» فإن الصعود على السد أهون من إحداث نقب فيه؛ لأن السد قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب؛ لذا استخدم «اسطاعوا» مع الصعود على السد، و«استطاعوا» مع النقب، فحذف مع الحدث الخفيف وهو الصعود على السد، ولم يحذف مع الحدث الشاق، بل أعطاه أطول صيغة. وكذلك فإن الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه، فحذف من الفعل وقصر منه؛ ليجانس النطق الزمني الذي يتطلبه كل حدث[١١].

**٢- حذف حرف المعنى**

حرف المعنى: هو ما يدل على معنى غير مستقل بالفهم مثل «هل، وفي، ولم». ف «إذا دل الحرف على معنى في غيره سمي حرف معنى، وهو ما أطلقه النحويون على هذه الحروف، ولها صلة وطيدة بفهم المعاني واستنباط الأحكام من نصوص القرآن الكريم، بطريق الاجتهاد أو التأويل. وسميت حروف معان لهذا الغرض؛ لأنها تصل معاني الأفعال إلى الأسماء، أو لدلالتها على معنى»[١٢]. ولمعرفة حذفه ضابطان:

**الضابط الأول**

دلالة الحرف المحذوف على معنى؛ مع بقاء هذا المعنى بعد الحذف، ومن تطبيقاته في القرآن الكريم ما يلي:

أ- حذف حرف النداء: يحذف «يا» النداء كثيرا في القرآن الكريم، وقد صرح العلماء بأن أداة النداء إذا حذفت وجب أن يقدر المحذوف «يا»؛ لأنها أم الباب. وقد التزم القرآن الكريم حذف «يا» النداء في مواضع كثيرة، وكثر الحذف في نداء الرب سبحانه، كقوله تعالى إخبارا عن زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مريم: ٤). أي: يا رب. ونحوه كثير.

والحكمة في ذلك: دلالته على التعظيم والتنزيه؛ لأن النداء يتشرب معنى الأمر، فإذا قلت: يا زيد، فمعناه: أدعوك يا زيد؛ لذلك حذفت «يا» من نداء الرب؛ ليزول معنى الأمر ويتمحض التعظيم والإجلال[١٣].

ولعل من أسرار الحذف هنا: المبالغة في تصوير قرب المنادى «رب»؛ حيث إن معناه: المربي والسيد والمالك، وهو بهذه المعاني من شأنه أن يكون قريبا حاضرا لا يحتاج في ندائه إلى وسائط؛ بالإضافة إلى أن هذه الكلمة «رب» أكثر استعمالا من غيرها في الدعاء، فروعي فيها من جهات التخفيف ما يجعلها أطوع في الألسنة، وأسهل في مجاري الحديث[١٤].

ب- حذف «لا» النافية مع «تفتأ»: ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (يوسف: ٨٥). حيث حذفت «لا» النافية الملازمة للفعل «تفتأ»، والتقدير: لا تفتأ تذكر يوسف.

ولعل الحكمة: أن «لا» حذفت لضيق المقام؛ لأن الأزمات النفسية عند إخوة يوسف قد بلغت ذروتها في هذا الموضع.. فقد تجمعت آثار الجريمتين: فقد يوسف، واحتجاز أخيه بنيامين، وتفجرت في نفس يعقوب عليه السلام عواطف اليأس والرجاء، وظهر ذلك على ملامحه، فأعرض عن إخوة يوسف غير آبه بما يقولون؛ شاكا في قولهم في مقام يفيدهم فيه التصديق؛ جائرا بالشكوى إلى الله، يكاد الأسى يمزق قلبه وهو شيخ كبير افترسه شعور الحزن على ولدين محبوبين. هذه المواقف الميئسة كان لها أثر بالغ على إخوة يوسف، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكان حسنا من القرآن -وهو يعبر عن تلك الحالات

النفسية الدقيقة- أن يكون في التعبير نفسه ما يشير إلى تلك الحالات بأبلغ وأوجز إشارة[١٥].

**الضابط الثاني**

اعتبار الحرف محذوفا بالقياس على موضع آخر مماثل ورد فيه الحرف مذكورا. ومن أمثلته في القرآن الكريم:

أ- حذف الواو في موضع وإثباتها في آخر: ومثاله قوله تعالى في شأن أهل النار: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ...﴾ (الزمر:٧١) ففي هذه الآية حذف حرف الواو، فقيل: «فتحت»؛ بدليل ذكرها في موضع آخر مماثل لهذا الموضع، وهو قوله تعالى في شأن أهل الجنة: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ...﴾ (الزمر:٧٣). فالواو محذوفة في الموضع الأول، مذكورة في الموضع الثاني.

ولعل الحكمة في ذلك:

أ- أن حذف الواو في الآية الأولى محض ما بعدها للشرط، فأصبح جوابا لـ«إذا». أما ذكرها في الثانية فقد حمى ما بعدها أن يقع جوابا للشرط، ولوح بأن الجواب محذوف؛ وهو صفة ثواب أهل الجنة، فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف.

ب- أن الحذف في الأولى دل على أن أبواب جهنم فتحت حين جاءوها؛ لأن «إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان، و«فتحت» جوابها. والذكر في الثانية دل على أن أبواب الجنة كانت مفتحة قبل أن يأتوها؛ وذلك لأن جهنم سجن، والسجن ذلك شأنه: حراس شداد، وأبواب محكمة الإيصاد: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ (الهمزة:٨-٩). والجنة دار كرامة وتشريف، فللترحيب بهم استعدت لهم قبل وصولهم: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ (ص:٥٠) [١٦].

ب- حذف حرف الجر في موضع وذكره في آخر:

ومثاله حذف «الباء» في قوله تعالى: ﴿جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾(آل عمران:١٨٤) مع قوله تعالى: ﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ (فاطر:٢٥).

هذان موضعان متماثلان، وقد خولف بينهما؛ حيث جاء التعبير في آية آل عمران بعطف «الزبر»، و«الكتاب المنير» على «البينات» محذوفا منهما حرف الجر «الباء» الداخلة على المعطوف عليه. ثم جاء التعبير في آية فاطر مذكورا فيه حرف الجر «الباء» في المعطوفين: «بالزبر»، و«وبالكتاب المنير».

وتوجيه ذلك كما يلي:

أ- أن ذكر الحرف في المواضع الثلاثة جاء في سورة «فاطر» وهي مكية النزول، فهي أسبق وجودا بين الناس، وبهذا الاعتبار فهي مؤسسة للمعنى الوارد فيها، بخلاف ما في «آل عمران»؛ لأن «آل عمران» مدنية النزول.

ب- أن القوم في مكة يختلف حالهم عن القوم في المدينة من حيث الاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان. فأهل مكة أهل عناد وتحد، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة.

جـ- أن هذين الاعتبارين يفيدان أن المقام في مكة كان يقتضي التأكيد في المعاني؛ لتقريرها ورسوخها؛ لتتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها؛ وعلى هذا جاء التعبير في «فاطر» المكية؛ لأن تكرار حرف الجر في المواضع الثلاثة يشعر بتكرار التعلق، فكأنه قال: جاءوا بالبينات، وجاءوا بالزبر، وجاءوا بالكتاب المنير.. وخلا التعبير المدني من هذا التكرار؛ لعدم الحاجة إليه؛ لإسلام أهل المدينة وطاعتهم[١٧].

---

**الهوامش**

١. دلائل الإعجاز؛ للجرجاني: ١/ ١٠٠ .
٢. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية؛ لعبد العظيم المطعني: ٢/ ٥.
٣. البرهان في علوم القرآن؛ للزركشي: ٣/ ١٠٢.
٤. خصائص التعبير القرآني؛ للمطعني: ٢/ ٥.
٥. الأصلان في علوم القرآن؛ أ. د. محمد عبد المنعم القيعي: ١/ ٣٢١، ٣٢٢.
٦. البرهان؛ للزركشي: ٣/ ١٠٥-١٠٧.
٧. نظم الدرر؛ للبقاعي عند تفسيره الآيتين.
٨. ملاك التأويل؛ لابن الزبير الثقفي الغرناطي: ١/ ٣٠، ٣١.
٩. خصائص التعبير القرآني؛ لعبد العظيم المطعني: ٢/ ١٩، ٢٠.
١٠. الإعجاز اللغوي والبياني؛ لعلي بن نايف الشحود: ١/ ٣٣٠.
١١. الإعجاز اللغوي؛ للشحود: ١/ ٢٣٢.
١٢. معجم القواعد العربية؛ للدقر: ١/ ٢٨٢، بحوث في اللغة؛ اتحاد كتاب العرب: ١/ ١٨٥.
١٣. البرهان؛ للزركشي: ٣/ ٢١٣.
١٤. خصائص التعبير القرآني؛ لعبد العظيم المطعني: ٢/ ٧، ٨.
١٥. خصائص التعبير القرآني؛ للمطعني: ٢/ ٩، ١٠.
١٦. خصائص التعبير القرآني؛ للمطعني: ٢/ ١٠-١٣.
١٧. خصائص التعبير القرآني؛ للمطعني: ٢/ ١٧- ١٩.

محمود القلعاوي
متخصص في شؤون
الأسرة والطفل - مصر



# اصنع مستقبل صغيرك..

لاشك أن حفظ القرآن حلم يراودنا، صورة ولدك وهو يكرم فائزا أولا في حفل لتكريمه لا تغيب عن طيفك، يقدمه الناس إماما وأنت معهم في صفهم تستمتع بحلاوة صوته، داعيا ربك أن يكون شفيعك بحمله للقرآن الكريم، صغيرك ذلك الشيخ الصغير السن الذي هو في أرض ربه نور يمشي بين ظلام نعيشه، وهو وإن كان صغير السن كبير المقام يقول الإمام الشافعي: «من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته»، واجب أن نحترمه ونقدره ونقدمه، صدق المصطفى ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه» رواه الطبراني.

وقد انطلق السلف والصحابة يعلمون أولادهم القرآن وينشؤونهم على حبه وتلاوته، حتى إنه من شدة حرصهم على ارتباط أبنائهم بالقرآن وحصول البركة لأولادهم تراهم كفعل أنس بن مالك فيما رواه الطبراني «أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده ودعا لهم»، فضاقت المساجد بالصبيان، فاضطر الضحاك بن مزاحم معلمهم ومؤدبهم أن يطوف على حماره؛ ليشرف على مكتبه الذي بلغ عدد صبيانه ثلاثة آلاف صبي..

وفي هذا الباب بذل سلفنا الصالح ما لخصه الإمام أبو محمد عبدالله ابن أبي زيد القيرواني في رسالته المالكية الشهيرة: «وأولى ما عنى به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون، إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ، وتنبيههم على معالم الديانة، وحدود الشريعة...»

ويقول العلامة الفقيه أبو زيد القيرواني رحمه الله في تعليم الصغار، وترسيخ المعاني الفاضلة وأثرها في نفوسهم بدءا بالقرآن الكريم العظيم: «اعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عني به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين؛ ليرسخ فيها، وتنبيههم على معالم الديانة، وحدود الشريعة ليراضوا عليها، وما عليه أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم، فإنه روي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الرب، وأن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر..»

ويبدع الحافظ السيوطي رحمه الله: «تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشؤون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال».

ويكمل ابن خلدون الإبداع: «تعليم

الـوالـديـن لـلـقـرآن شـعـار مـن شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمـصـارهـم؛ لما يسبق إلى القلوب من رسـوخ الإيمـان، وعقائده، بسبب آيات القرآن، ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات».

وهنا يكتب الأستاذ محمد الصباغ: «سمعت من الأستاذ مالك بن نبي، رحمه الله، أن رجلا جاء يسترشد لتربية ابن له أو بنت وُلدت حديثا فسأله كم عمرها؟ قال: شهر، قال: فاتك القطار، وقال: كنت أظن في بـادئ الأمـر أنـي مبالـغ ثـم عندما نظرت وجدت أن ما قاله هو الحق، وذلك أن الولد يبكي فتعطيه أمه الثدي فينطبع في نفسه أن الصراخ هو الوسيلة إلى الوصول إلى ما يريد.

وحول الآثار النفسية لحفظ القرآن الكريم أوضح الدكتور حسين زهدي الشافعي أستاذ الأمـراض النفسية والعصبية بجامعة القاهرة: «القرآن يصاحب من يصاحبه، وكل يوم تقرأ وتحفظ فيه تنفتح لك أسرار جديدة، وتشعر بأنه صديقك الذي يحلق بك في عالم مليء بالأسرار ليضع بين يديك منهاجا دنيويا وسيناريو أخرويا لكل إنسان خلقه الله ومن شأن ذلك أن يولد لدى الإنسان الشعور بالراحة النفسية والاسترخاء بفعل ما يفرز في الجسم من هرمونات «السيرتونين» المنشطة للخلايا العصبية والتي تنشط الموصلات العصبية وتقاوم الاكتئاب وقائمة طويلة من الأمـراض المعروفة بالنفس جسمانية وهـي الـتـي تبدأ بالنفس وتنتهي بالجسد ومنها القولون العصبي وأمـراض القلب والشرايين، كـمـا أن الـحـفـظ فـي الـصـغـر يقوي الـذاكـرة ويمرنها على الإلمـام بالعلوم ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى التفوق في كافة العلوم.

وهذه بعض الأفكار المقترحة جمعتها لك، أسأل الله أن تكون عونا في تحقيق حلمك ليكون ولدك حافظا للقرآن:

● الحرص على سماع ولـدك للقرآن يوميا: فيطهر به القلب وينظف به السمع، فيتم تشغيله صباحا خلال استعدادهم للذهاب إلـى المـدرسـة، أو مـسـاء خـلال تـنـاولـهـم لـلـعـشـاء واستعدادهم للنوم، والقنوات الفضائية بفضل من الله ما أكثرها.

● الورد اليومي: ولو صفحة واحدة، أو بضع آيات كل بحسب عمره، ويا حبذا لو ربطنا وقت التلاوة بوقت المذاكرة، فيقرأ الطفل بعض الآيات قبل شروعه في استذكار دروسه، فينشرح صدره، ويستجلب التوفيق من المولى عزوجل.

● الحرص على قراءة سورة الكهف يـوم الـجـمـعـة بـشـكـل جـمـاعـي في الأسـرة، مـا أروعـه أن يتعلق طفلك بمجالس القرآن الكريم.

● مسابقات حـول الـقـرآن الـكـريـم: وتكون منوعة في شكلها مثل: في أي سورة هذه الآيات، أكمل، آيات مبدوءه بكلمات معينة، الحيوانات التي ذكرت في القرآن الكريم، كم مرة ذكر اسم أحد الأنبياء؟.. وغير ذلك من أشكال المسابقات التي تحدث حركة تجعله يفتح المصحف ويبحث.

● قصص القرآن: احك لطفلك إحداها مشوقة سهلة، بأسلوبك الجميل، ومن الممكن أن يكون في شكل أفلام كرتونية أو قصص مطبوعة للأطفال الأكبر سنا، ما تراه مناسبا جذابا.

● ورد الحفظ: أن يكون لطفلك ورد يـومـي لحـفـظ الـقـرآن، سـواء حفظ الطفل في دار تحفيظ أو مدرس خاص يأتيه البيت.

● التحفيز: أن يكون تمييز الأبناء ومكافأتهم وتحفيزهم من خلال القرآن فمثلا: فمن حفظ قدرا معينا أو سورة في منهجه الدراسي ترصد له مكافأة مالية أو هدية قيمة، روى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سأل بعض الصحابة عن آية في القرآن، فلم يعرفوا الإجابة، وكان بينهم عبدالله بن عباس وهـو صغير الـسـن، فانظر إلـى ابـن عباس الـذي ربي على الثقة بالنفس، قال ابن عباس لما وجد الكبار كلهم لا يستطيعون أن يتكلموا: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين! انظر إلى التلطف والأدب والذكاء الشديد في العبارة، لم يقل: أنا أعلم ما لا تعلمون، فقال عمر: يا ابن أخي! قل ولا تحقر نفسك.

● أخلاق القرآن: نختار خلقا أسبوعيا: الـصـدق، الـرفـق، الأمـانـة، الاتـقـان، النظام، النظافة،.. إلـخ، نتكلم عنه ونحاول التخلق بأحد مظاهر الخلق خلال الأسبوع، وبالتأكيد يكون العماد آية من القرآن تتحدث عن هذا الخلق.

● اقـرأ الـقـرآن أمـامـه: وهـذه الفكرة تنمي عند الطفل حب التقليد فيكون ذلك بابا لجريان القرآن على لسانه.

● اجعله هدية: اهد إليه مصحفا خاصا به تجعله يشعر بخصوصية الأمـر له فيحتفظ به وسط خصوصياته.

● حفلة تكريم: وكلما أنجز جزءا أو سورة حفظا تكون حفلة صغيرة يحتفل بها بالطفل نقدم له هدية بسيطة، حين أتقن حماد بن أبي حنيفة سورة الفاتحة وهب أبو حنيفة المعلم خمسمائة درهم (وكان الكيس يشترى بدرهم)، واستكثر المعلم هـذا السخاء إذ لـم يعلمه إلا الفاتحة فقال أبو حنيفة لا تستحقر ما علمت ولدي، ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيما للقرآن.

● الاهتمام بمادة التربية الإسلامية: ومذاكرتها مع طفلك بطريقة محببة له بنفس الاهتمام الـذي نوليه لباقي المـواد الدراسية بل أكثر، مع متابعته وتشجيعه ومكافأته عليه.

● فضائل الـسـور: مـن المهم تعريف طفلك بفضائل السور التى اختصتها السنة النبوية بذلك كسورة الواقعة، وسورة الدخان، وسورة الملك، وسورة البقرة، وسورة آل عمران على سبيل المثال.

أسأل الله عزوجل أن يجعل أولادنا من حملة القرآن الكريم.

الهيثم زعفان ـ باحث
في القضايا الاجتماعية
مصر



# أطفالنا وألعاب الواقع الافتراضي

**تمثل الألعاب حاجة ضرورية لحياة الأطفال كما الماء والهواء، فبها يفرغ الطفل طاقاته، وعبرها تترسخ كثير من القناعات في وجدانه، ومن خلالها تتشكل مبكرا بعض نظراته لمحيطه ودوائر معارفه؛ وكم من الصداقات كان مبتدأها ونجاحها ألعاب الطفولة المبهجة. وألعاب الأطفال تتطور جيلا بعد جيل؛ فمنها ما ينقرض تدريجيا، ومنها ما يعاد طرحه بحسب معطيات العصر، ومنها المستجد المواكب للتطورات التكنولوجية، ومع كل ذلك تبقى الألعاب البدنية شاهدة على طفولة جميع الأجيال.**

لكننا الآن في عصر إلكتروني متقدم صنع نوعا من التنافس الشرس للألعاب البدنية، وحتى للألعاب التكنولوجية الهادئة والهادفة، يتمثل ذلك التنافس في الألعاب الإلكترونية المتطورة والمستخدمة عبر أجهزة الحاسوب المحمولة والهواتف الذكية، مستثمرة في ذلك الإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، والتطبيقات الذكية.

شراسة التنافس تعود لأمور عدة منها هذا التطور السريع لتكنولوجيا الحواسيب وشبكات الاتصال، وكذلك التنافس الاستثماري الشره بين شركات صناعة المحمول المتعددة، وأيضا بين شركات صناعة الألعاب الذكية، وفي أروقة المتاجر الإلكترونية، ببساطة شديدة إنه سوق استثماري جنوني، أرباحه تجعل معظم منسوبيه يقفزون فوق جميع القيم التربوية أو الأخلاقية وحتى العقدية. وفي أروقة هذا السوق المدمر قد يضيع الأبناء، ويفقدون بوصلتهم في الحياة، إذا تركوا بدون رقابة أو توجيه أو توظيف إيجابي للألعاب الهادفة.

الإشكال الرئيسي في تلك القضية هو أن نظرة كثير من الآباء للعب الأطفال هي نفس نظرتهم للعبهم وهم صغار، في ظل تصوراتهم حول ألعابهم في الصغر؛ حتى ولو كان بعض الآباء من جيل الألعاب التكنولوجية الأولية المشهورة مثل الأتاري وألعاب الكمبيوتر والفيديو والبلايستيشن، فهذه برامج ألعاب كرة وهذا سباق للسيارات وتلك لعبة اصطياد أسماك وغيرها من الألعاب المسلية. ومن ثم فالأب أو الأم ينظران إلى لهو الطفل على أنه لهو طبيعي، أقصى أضراره المكوث الطويل أمام الألعاب وما يجره معه من متاعب صحية أو تعثرات دراسية أو انعزال مجتمعي، وغيرها من المشكلات التي قد يرى الآباء أن علاجها البسيط في تقليل فترة المكوث أمام تلك الأجهزة.

لكن! في ضوء الأجهزة المحمولة البعيدة عن مراقبة الآباء، والمرافقة للأبناء طوال اليوم، وفي ظل شبكات الإنترنت المفتوحة على كافة الثقافات والخيارات، تختل المعادلة التربوية الأولى، ويدخل للبيت مرب جديد يشارك الآباء في تشكيل شخصية الأبناء، تشكيلا قد يجعل من الابن بؤرة خطورة على نفسه وعلى أسرته ومن ثم على محيطه المجتمعي.

### سلبيات ألعاب الواقع الافتراضي

إنه ببساطة الجيل الجديد من الألعاب الإلكترونية، والمعروفة بألعاب الواقع الافتراضي؛ والتي تحاول قدر الإمكان أن تجعل الطفل يعيش الواقع وهو يمارس لعبته، فهي تنقله بخياله من مجرد اللعب واللهو العابر إلى تنفيذ قواعد اللعبة على نفسه ومحيطه، فتطلب اللعبة من الطفل أن يقوم ببعض الأشياء غير المألوفة، مثل إرسال معلومات عن أسرته وبيته فضلا عن موقعه الجغرافي وذلك عبر تقنية «جي بي إس»، وخدمات «جوجل» في الخرائط والتعقب، وفي ضوء هذه المعلومات يتم الدفع بشخصيات كرتونية افتراضية، يتعقبهم المتسابقون ويحاولون اصطيادهم على شاشات هواتفهم المحمولة، غير مراعية في ذلك لخصوصية الأسر ولا حتى أمانهم، ومن ثم خصوصية المجتمعات وأمانها. ومن أشهر الألعاب في هذا الإطار لعبة «بوكيمون جو» والتي نالت حظا كبيرا من التسويق والترويج الإعلامي «المدفوع والموجه».

وقد تتطرق الألعاب إلى طلب صور ومعلومات واقعية من حياة أسرة الطفل بحيث يتم استثمارها في لعبته، فتكون شخصيات اللعبة الإلكترونية الافتراضية ومعلوماتها متوافقة مع الواقع المحيط بالطفل، فتجده يقتل أمه، ويسرق أباه، ويخطف أخته، وكله لعب افتراضي.

والخطورة في هذه النوعية من الألعاب أنها قد تطلب من الطفل طلبات عملية خارج نطاق الشاشة، بحيث ينفذها الطفل على نفسه ومحيطه، وكلما نفذ خطوة ارتقى إلى المرحلة التي تليها؛ ومنها طلبات كارثية مثل إصابة نفسه أو أحد أفراد أسرته، أو إشعال الحريق بالمنزل، أو فتح الغاز والأسرة نائمة، وذلك حتى يتمكن من مقابلة بطل اللعبة الخارق، وقد يصل الأمر إلى دفع الطفل إلى الانتحار، وهو ما حدث مع أكثر من ثلاثمئة حالة انتحار حول العالم من خلال لعبة «الحوت الأزرق»؛ ما دفع بعض الدول إلى حظر تلك اللعبة.

وهناك أيضا نوع من ألعاب الواقع الافتراضي التي تندرج تحت تصنيف الألعاب الانحلالية والتي تحلق بالطفل والمراهق في أجواء الواقع الافتراضي الانحلالي بكل ملوثاته وقاذوراته، فيكون التسابق واللهث وراء تحصيل النقاط المدفوعة الأجر، من أجل لذة يعيشها المتسابق في الواقع الافتراضي.

ولا يخلو الأمر من معتقدات فاسدة تبث من خلال ألعاب الواقع الافتراضي فتخلخل عقيدة الطفل، وتغرز فيها ما يكون بمثابة حائط صد تجاه العقيدة الصحيحة التي يحاول الآباء والمعلمون غرسها في نفوس الأبناء.

**بعض ألعاب الواقع الافتراضي تبث معتقدات فاسدة تخلخل عقيدة الطفل**

السياسة المباشرة لم تكن هي الأخرى بعيدة عن ألعاب الواقع الافتراضي، فنجد لعبة الأخبار التي تشكل ذهن المتسابق إعلاميا وسياسيا عبر غرس الخبر في وجدانه وهو يلعب ويلهو، فتكون اللعبة هي مصدره الإخباري الرئيسي في معرفة أحوال البلاد، وذلك وفق رؤية المتحكم في اللعبة، حتى ولو كان ذلك على حساب الحقيقة المجردة. وفي ذات الإطار نجد أيضا ألعاب الحرب الافتراضية والتي بدأها الأميركيون فيما يعرف بالمحاكاة العسكرية، فنجد ألعابا تشوه صورة اللاجئين، وألعابا أخرى تشوه صورة المسلمين تحت ذريعة ما يسمى الحرب على الإرهاب، فتجعل الطفل والمراهق شريكا في تلك المعركة يقتل ويرصد ويقدم معلومات، بل ويقدم رأيه في الخطط الحربية والاستخباراتية.

### ألعاب هادفة

ولا يخلو الأمر بالطبع من بعض الألعاب الافتراضية الهادفة؛ فهناك مصطلح في عالم الألعاب يعرف بـ «الألعاب الجدية» وهي ألعاب تسعى إلى إكساب الطفل والمراهق بل وكافة أطياف المجتمع المعلومات الهادفة عبر ألعاب الواقع الافتراضي؛ فنجد بعض الألعاب تتناول إجراء العمليات الجراحية وشرح الأجهزة الداخلية لجسم الإنسان، وأخرى تهتم بتنمية الذكاء والتنافس على المسائل الرياضية، وثالثة تهتم بمعالجة مشكلة الأمية، وغيرها. وقد تنبهت الجامعات الغربية وبخاصة الألمانية لهذا الميدان فعمدت إلى مشروعات بحثية تسعى إلى إخضاع الألعاب الإلكترونية للبحث والتجريب بغية إنتاج ألعاب إلكترونية معرفية يمكن من خلالها تبسيط العلوم وتقديمها للأطفال بطريقة جذابة عبر منهجية الواقع الافتراضي.

### تعامل الأسرة مع الواقع الافتراضي

والآن.. كيف تتعامل الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم مع ألعاب الواقع الافتراضي؟



لقد لمسنا من خلال الطرح السابق بعض سلبيات وإيجابيات ألعاب الواقع الافتراضي؛ حيث لمسنا بعضا من المخاطر العقدية، والانحلالية، والإجرامية، والتعارف الفاسد بين الطفل المسلم وبعض الشخصيات الغربية عن مجتمعاتنا وثقافتنا وهويتنا، ولا يخفى علينا دور تلك المخاطر في صناعة الشخصية الانطوائية، والعنيفة والمعتادة على العنف والظلم، والمنحرفة أخلاقيا وعقديا أحيانا.

كما لاحظنا كيف تقترب تلك الألعاب من دوائر التجسس والتوجيه الاستخباراتي والسياسي. هذا إضافة إلى إدمان الطفل لتلك الألعاب وما يصاحب ذلك من استنزاف لوقته وبدنه وذهنه ومال أسرته.

وفي ذات الوقت لمسنا كيف أن التوظيف الجيد لتلك الألعاب الافتراضية قد يكون له بعض التأثيرات الإيجابية على المستوى الشخصي والمجتمعي.

وعليه فإننا سنحاول رسم بعض المسارات للتعامل مع إشكاليات الألعاب الافتراضية بما يحقق التوازن التربوي المنشود داخل المجتمعات المسلمة؛ تلك المسارات المتمثلة في:

● تنبه الأسر لخطورة ترك الأجهزة المتطورة المحمولة في يد الأطفال بدون رقابة؛ فابتداء تدرس الأسرة مدى احتياج الطفل للأجهزة المتطورة، وعليه تحدد هل تمكنه من هذا الجهاز أم لا؟ وما السن المسموح فيها بحمل مثل هذا الجهاز؟ ثم تنظر في الاتصال بالإنترنت وتحدد متى يسمح للطفل أن يتعامل مباشرة مع الإنترنت، وما احتياجاته من الإنترنت، لتأتي بعد ذلك مسألة الثابت والمتحرك في الإنترنت، متى يكون الجهاز ثابتا في مكان محدد داخل البيت ؟ ومتى يسمح أن يكون استخدام الإنترنت في أي مكان وأي زمان ؟ ثم تكون الرقابة والمتابعة الدقيقة لما يشاهده الطفل، وما يقوم باللعب به عبر جهازه المحمول.

● مساعدة الأبناء في اختيار الألعاب الإلكترونية المناسبة لأعمارهم، وعدم تركهم للاستكشاف الشخصي عبر أجهزتهم المحمولة، أو عبر زملائهم في الدراسة، مع تحديد مساحة زمنية في اليوم أو الأسبوع يلعب فيها الأطفال عبر الأجهزة الإلكترونية، ولا مانع من مشاركة الآباء لأبنائهم بعض الألعاب، ففي ذلك اقتراب من الأبناء، وفرصة للمراقبة الهادئة والتوجيه الرشيد.

● محاولة تفريغ طاقات الأبناء وشوقهم للعب عبر الألعاب البدنية، وذلك بإشراكهم في النوادي، وترك مساحات للعب البدني مع الزملاء مع ضمان سلامة الصحبة، وعدم التأثير على التحصيل الدراسي، والبناء المعرفي.

● يقع على الدول دور مهم في محاصرة الألعاب الإلكترونية الهدامة، فما المانع من إنشاء إدارة تربوية مستقلة خاصة بمدافعة سلبيات التكنولوجيا الحديثة؛ فتقوم بفحص مثل هذه الألعاب وغيرها من المخاطر التي تهدد أطفالنا؛ لترفع توصياتها للحكومة لاتخاذ الإجراءات المناسبة تجاه تلك المخاطر.

● على الكليات التقنية والكليات التربوية والدولة والأثرياء يقع عبء استحداث المشروعات البحثية المتعلقة بتطوير الألعاب الإلكترونية، وتطويعها بحيث تكون هادفة وجذابة في نفس الوقت، فاللعبة فن ومحتوى؛ فن إلكتروني تطويره يحتاج لعقل نابه، وما أكثر العقول النابهة في جامعاتنا، ومحتوى هادف، يحتاج لمفكر مخلص، وما أكثر العقول المفكرة في مجتمعاتنا؛ وليت الحكومات بميزانياتها، والأثرياء بأموالهم يلتفتون إلى هذا الحقل البحثي المهم.

وأخيرا، فإن ميدان ألعاب الواقع الافتراضي وقطاع الألعاب الإلكترونية بالعموم يعد فرصة ذهبية للقطاع الدعوي، حيث يمكن للدعوة الإسلامية استثماره في التعريف بالإسلام، ونشره، وتعليم الصغار تعاليم الدين الإسلامي، وغرس القيم في نفوسهم، فكما قلنا فإن اللعبة الإلكترونية فن ومحتوى، فإذا كان لدينا المبرمجون ومطورو التكنولوجيا، فما المانع أن يكون المحتوى دعويا يقرب أطفالنا إلى رب العباد سبحانه وتعالى؟

هبة محمد أبو الفتوح
صحفية مصرية

# تدليل الأطفال.. منفعة أم مفسدة؟

اتفق علماء النفس والتربية على أن السنوات الأولى في عمر الإنسان، خصوصا في مرحلة الطفولة المبكرة، تؤثر إلى حد كبير في شخصية الطفل، كذلك فإن سلوكيات والديه والبيئة الاجتماعية من حوله تساهم في تشكيل شخصيته؛ إما إيجابيا أو سلبيا، فالأب والأم مسؤولان، بالدرجة الأولى، عن شخصية أطفالهما. وبالتالي، فإن أي أخطاء ينتهجها الآباء والأمهات في تربية أطفالهم يكون لها بالغ الأثر على شخصية الأطفال. ومن أكثر هذه الأخطاء الشائعة في التربية الإفراط الزائد في التدليل والحب، أو الحرمان منهما.

إن الآباء والأمهات يقومون بدور مهم في عملية التنشئة، خصوصا في تشكيل السلوك السوي وغير السوي لدى الأطفال، فإذا كانت أساليب الآباء والأمهات في عملية التربية تقوم على القهر والتسلط أو التدليل والحماية الزائدة، فإنها ستفسد الطفل مستقبلا، حيث إن الإفراط في التدليل شأنه شأن الحرمان منه نهائيا، إذ إن كليهما ضاران، فالتدليل يقلل من فرص استقلالية الطفل واعتماده على نفسه.

كذلك يولّد الإفراط في حب الطفل وتدليله الأنانية وحب الذات، ويجعله يتصور أنه مركز الحياة عند والديه، وعندما يصبح رجلا ولا يجد نفس مشاعر الحب والاهتمام التي اعتاد عليها في سنوات عمره الأولى، فإنه يشعر بالإحباط والكآبة. وبالتالي، فإنه يتحول إلى شخص عدواني، يعاني من الشعور بعدم التكيف مع من حوله؛ معتقدا أنهم لا يفهمونه.

على الجانب الآخر، فإن الحرمان من الحب يسبب للطفل مشاكل نفسية واجتماعية، إذ إن الحرمان يرتبط ارتباطا وثيقا بزيادة أعراض القلق التي تظهر في شكل اضطرابات النوم أو زيادة الخوف وضعف الثقة بالنفس والشعور بالحزن والتعاسة. إذن فحرمان الطفل من التدليل والدفء العاطفي قد يسبب مشاكل تتساوى في طبيعتها مع مشاكل فرط التدليل.

إن من الطبيعي أن يحتاج الطفل إلى الحب والحنان والطمأنينة والأمان، لذا فإن توفير تلك الاحتياجات الملحة، نفسيا واجتماعيا، أمر مهم وضروري. ومما يؤكد عليه علماء النفس والتربية في هذا الصدد أنه يتعين على الآباء والأمهات ألا يشعروا أطفالهم بأنهم مدللون يتصرفون وفق أهوائهم، ذلك أن التدليل الزائد لا يقل خطورة عن القهر والقسوة والتسلط في مناهج التربية، ويجعل الطفل غير قادر على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة مع الآخرين، أو يتحمل المسؤولية.

ومن ثم، فإن التوسط والاعتدال الذي اتسم به المنهج النبوي في التربية هو أفضل طريقة يمكن أن يتعلمها الآباء والأمهات لتربية أطفالهم، فرسولنا محمد ﷺ خير تجسيد للوسطية والاعتدال في كل أمور الحياة التي من بينها التربية. فقد كان النبي الكريم يمازح الأطفال ولا ينهرهم، ويستخدم العبارات الرقيقة في محادثتهم؛ لاستمالة قلوبهم ورفع الروح المعنوية لديهم، وينادى الطفل باسمه، بل بأحسن وأحب أسمائه، أو بكنيته، أو بوصف حسن فيه.

ومن رحمته ﷺ أنه كان عندما يسمع بكاء الطفل في الصلاة يخففها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه» (البخاري:٧٠٩، مسلم:٤٧٠). وذات مرة كان ﷺ يصلي، فجاء الحسن والحسين، فصعدا على ظهره، فتركهما، ولم يزجرهما حتى انتهيا فأكمل صلاته.

كل هذه المواقف وغيرها الكثير في السنة المطهرة تعد منهجا تربويا نستقيه من معاملته ﷺ مع الأطفال، فهو خير قدوة ومعلم لنا لمن يبحث عن تربية أبنائه على منهج وسطي قويم، وصدق الله إذ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:٢١).



حسين شعبان وهدان
إمام وخطيب
مصر

# أبناؤنا بين الرعاية والتربية

جلس الرجل السبعيني بوقاره بين أقرانه ومن هو أصغر منه سنا ومقاما، وهو يضارع الشمس في ضحاها من شهرته وعلو منصبه الذي انقضى زمانه، يحدث الحاضرين عن مجده الشخصي وسمو أصله وكرم محتده، وعطف بالبيان إلى التماجد المفرط في سيرة أبنائه وبناته، وطفق يذكر قصصا ومدائح طيبة المذاق على لسانه وأثيرة المعنى على قلبه، ومما أذاعه على الأسماع قوله في باب الرضا عن النفس: «ربيت أولادي وبناتي أفضل وأحسن تربية»، يقول ذلك القول ولا يجد فيه عوجا ولا مبالغة! وربما يكذبه الواقع، وهو الذي على شفير قبره الموعود ينتظر الإذن من الله العزيز الحميد.

فلكل دعوى برهان ودليل صادق يرقى إلى مراتب القبول عند العقلاء، فمن ادعى أنه قام بتربية أبنائه وبناته فليأت بدليل عملي من واقع سيرتهم وحديث الناس عنهم وشكرهم أخلاقهم وسلوكياتهم لا من حديثه الشخصي فإنهم بضاعته، وشهادته لهم مجروحة لا تقبل في الشهادات لأنه دوما ينظر إليهم بعين الرضا، وعين الرضا كليلة عن إدراك العيوب.

وحينما يكون مسلك التماجد الشخصي في حسن تربية الأبناء والبنات قاسما مشتركا بين جل شرائح المجتمع فنحن في ورطة حقيقية، وهل يصدق العاقل نفسه وعقله فيما يرى ويسمع من آثار سوء التربية الطام على المجتمع بأسره؟

أم يستمع إلى إلحاف المتماجدين؟! والظن الذي يشبه اليقين أن تصور أهل التماجد في تربية ناشئتهم ناقص وقياس يفتقر إلى الصواب، ولا يصدقه الواقع المتخم بالجراح والعثار الدائم، فقد تاهت القيم وضحلت الأخلاق وتوارت جماليات التعامل بين أخلاط المجتمع ليعلن القبح عن ذاته في فجاج الأرض بأنه سيد المواقف، فأين الأثر الحقيقي للتربية الصالحة وحسن المتابعة للآباء والأمهات؟ وأين ننفق بيانات المادحين لأنفسهم في تربيتهم أولادهم؟!

أليس من تضييع الحقائق أن يختصر الآباء والأمهات تربيتهم لأبنائهم وبناتهم في الجانب المادي، ولعل هذا المعنى هو ما يقصده المصرحون بهذا التماجد، وصورة التربية عندهم تكمن في توفير الغذاء والدواء وتغطية المطالب الحياتية والحوائج والكماليات التي تخدم البدن، حين تتوهم الأم أن كل مطالب بناتها وأبنائها تدور في هذا الجانب، وتختزل جهدها كله بل ربما تفني عمرها في تلبية مطالبهم المادية وبهذا تكون قد ربتهم التربية المنشودة!.. لكنها في الحقيقة قامت برعاياتهم فقط، ومعها أمثال هذا المعلن لبيانات الرضا في التربية، وهو الذي لم ينزل ميدان التربية لأولاده وبناته بعد، إلا إذا كان له في باب الأمر والنهي مع أولاده بدايات طيبة ومآلات كريمة وإقناعات مقبولة.

فالعناية والاهتمام المادي شيء والتربية والتقويم شيء آخر.

التربية هي أن تقول لناشئتك في طور التعليم والتعلم افعل ولا تفعل، بين الأمر والنهي والفعل والترك، فعن عمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك. فما زالت تلك طعمتي بعد» (صحيح البخاري ٥٣٧٦)، وفي ذات الميدان قال النبي الكريم ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع...» (أحمد شاكر في مسند أحمد ٣٦/١١ وقال: إسناده صحيح عن جد عمرو بن شعيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

التربية هي المتابعة الدائمة للأبناء لحفظهم من العوج والانحراف، لقول رسولنا الكريم ﷺ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (النور:٥٨).

وحتى لا ينفرط العقد، وينتهي زمن الاختيار، علينا أن نتذكر ولا ننسى أن قبول فروض التربية الحقيقية عند الناشئة يبدأ مع سن السابعة تقريبا، وينتهي مع بداية طور المراهقة، حيث يبدأ ما يشبه المصاحبة والصداقة بين الوالد وولده، لينطلق بعد ذلك إلى تحقيق آماله ومآربه الطيبة في تحقيق ذاته.

وكل ما هو مطلوب من الآباء والأمهات وأولياء الأمور هو التركيز على: «أساليب تربية الطفل على المبادئ السامية والفضائل السلوكية والمشاعر الوجدانية التي يكتسبها الطفل منذ صغره ويصبح فردا ذا شخصية متكاملة سوية»[2].

أما الرعاية فهي مجرد توفير الحاجيات اليومية من غذاء وكساء ودواء، وتجهيز أماكن النوم ومرافق الحياة المادية، وهذا قد ينوب فيه بعض الخدم أو الأقارب.

وخلاصة المعنى جمعا باختصار هو أن المجتمع الذي يشكله الأفراد في ميدان التربية يخلطون تماما بين التربية المنشودة ويستبدلونها بمجرد الرعاية الظاهرية ويفنون أعمارهم رهن هذا المعنى متوهمين أنهم بلغوا الكمال في الأداء ومن ثم يجتاحهم إعصار الرضا عن النفس، وهم الذين قدموا، في بعض الأحوال، عاهات للمجتمع وعوامل نقصه وآيات شقائه؛ لأنهم ركزوا على الرعاية وأهملوا التربية التي تكسب سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

وبهذا يظهر الفارق جليا، ويحتم علينا أن نقف على مفاصلة حقيقية في الفهم بين الرعاية والتربية، بأن كل فرد من المجتمع في زمن إعداده وهو صغير يحتاج إلى تربية وتأديب وتهذيب ومتابعة، فوق ما يحتاجه من رعاية بدنية ومطالب مادية.

### الهوامش

١- د. إيمان عبدالله شرف/ التربية الأخلاقية للطفل ص٢٢ ط١ ٢٠٠٨م، عالم الكتب – القاهرة.

٢- المنذري في الترغيب والترهيب ١١٥/٣ وقال: إسناده صحيح أو حسن أو ما يقاربهما عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

د. محمد إبراهيم الحلواني
الأستاذ بقسم الحديث وعلومه - جامعة المدينة العالمية - ماليزيا

# منهج النبوة في تربية المرأة المسلمة

بين الله عزوجل الغاية الأساسية من إيجاد الإنسان على الأرض، وهي توحيد الله تعالى وعبادته سبحانه وفق ما شرع، حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ (الذاريات:٥٦-٥٨).

وقد خلق الله عزوجل الرجل والمرأة شطرين للنوع الإنساني يشتركان في عمارة الكون، فالمرأة شأنها شأن الرجل تشترك معه في توحيد الله وعبادته وإسلام الوجه له والثواب والعقاب.

وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لأجل هذه الغاية، يؤكد هذا أيضا الرسول الكريم ﷺ حينما قال لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا»[١]. هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لأجلها وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة معرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه والإعراض عما سواه، فتمام العبادة متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه كانت عبادته أكمل[٢].

والمرأة المسلمة قد تنشغل بصلاح ظاهرها دون الاهتمام بصلاح باطنها، لذلك حرص الإسلام على ربط ظاهر المرأة بباطنها حتى لا ينقص إيمانها، ولتوقن المرأة أن امتثالها لأحكام الله عزوجل يحتاج إلى تحقيق التقوى في القلب، فالمرأة المسلمة مؤتمنة على عرضها وما في رحمها، ومؤتمنة على طريقة كلامها مع الرجال الأجانب، فلا تخضع بالقول، ولا تتلفظ بألفاظ بذيئة تخرجها عن حيائها ووقارها، ولن يعصمها من الزلل أو الانحراف إلا تقوى الله.

وقد بين الحق سبحانه وتعالى عظيم جزاء المرأة إن امتثلت أوامر الله عزوجل وراقبته في السر والعلن، منوها بشأنها، معليا لذكرها، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٣٥).

### التربية في سبيل الله

إن المرأة المسلمة قد عانت في بداية الدعوة للإسلام أشد العناء؛ بسبب إيمانها بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، لكنها صبرت وتحملت ولم تبال بالمكاره التي تعرضت لها، فكان جزاؤها رضا الله عنها في الدنيا

والنعيم الأبدي في الآخرة.

ومن أبرز الأمثلة التي تدل على صمود المرأة المسلمة في وجه الظلم والقهر لإعلاء كلمة الله ما حدث للسيدة سمية بنت خياط، رضي الله عنها، من العذاب الشديد الذي نالته على أيدي المشركين، لكنها لم تهن ولم تضعف حتى الممات، يقول ابن سعد: «أسلمت قديما بمكة، وكانت ممن يعذب في الله لترجع عن دينها فلم تفعل وصبرت حتى مر بها أبو جهل يوما فطعنها بحربة في قلبها فماتت»[٣].

لقد سطرت بهذا الموقف أعلى وأغلى ما تقدمه المرأة في سبيل الله عزوجل لتبقى كل امرأة مسلمة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ترنو إليها فلا تبخل بشيء في سبيل الله بعد أن جادت سمية بنت خياط، رضي الله عنها، بدمها في سبيل الله، فهل بعد بذل الأرواح بذل؟

### الدعوة إلى الإسلام

كانت المرأة المسلمة حريصة على هداية غيرها ممن لم يخالط الإسلام قلبه، إنها تريد إخراج غيرها من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور الإسلام، لم تنظر إلى ظل زائل، تقنع باليسير وترضى بالقليل، لم يشغل قلبها متاع الدنيا الفاني، ومن أبرز الأمثلة على ذلك عرض أم سليم الإسلام على أبي طلحة حينما أراد الزواج منها، فعن أنس رضي الله عنه قال: «خطب أبوطلحة أم سليم، فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري وما أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها». قال ثابت: «فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرا من أم سليم.. الإسلام، فدخل بها فولدت له»[٤].. إنه أنموذج فريد لامرأة تنازلت عن حقها المادي، واشترطت مهرها الإسلام لإنقاذ رجل من براثن الشرك وغياهب الضلال، فاجتذبته إلى الهدى وشعاع الحق والتقى، فنالت أجرا عظيما وثوابا جزيلا، وكان هذا خيرا لها من حمر النعم وأفضل من ماديات الحياة الدنيا وبهرجتها الزائفة ومظاهرها البراقة الكاذبة.

## نجاح الدعوة في أول عهدها سببه مساندة السيدة خديجة للنبي ﷺ

### مساندة الزوج عند الشدائد

إن نجاح الدعوة الإسلامية في أول عهدها كان بسبب السيدة خديجة، رضي الله عنها، فهي أول من آمنت برسول الله ﷺ، نصرته بمالها ونفسها، فكانت نعم الزوجة، وأعظم رفيق، إنها المثل الأعلى لبناتها المسلمات السائرات على نهجها في موكب الدعوة، ولهذا يقول المصطفى ﷺ مثنيا على خلقها الرفيع وأدبها الجم: «ما أبدلني الله خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء»[٥].

وإذا كان إلى جانب كل رجل عظيم امرأة يعتمد عليها في جهاده وفي الوصول إلى أهدافه، فقد كانت خديجة، رضي الله عنها، تلك السيدة العظيمة التي ناصرت النبوة وعاونت على رفع راية الإسلام وجاهدت في سبيل الدعوة الإسلامية، ولم تخذل زوجها في يوم من الأيام، بل كانت الأولى في كل شيء، في سماحة الخلق، ووفاء الزوجة، وشرف النسب، والنفس المخلصة، والقلب السليم.

وهل كان لأنثى غيرها أن تهيئ له الجو المسعف على التأمل وأن تبذل له من نفسها في إيثار نادر مما أعده لتلقي رسالة السماء؟ هل كان لزوج عداها أن تستقبل دعوته التاريخية من غار حراء بمثل ما استقبلته هي به من حنان وعطف فياض وإيمان راسخ دون أن يساورها في صدقه أدنى ريب، أو يتخلى عنها يقينها في أن الله غير مخزيه أبدا؟ كلا، بل هي التي من الله تعالى عليها بأن ملأت حياة الرجل الموعود بالنبوة، وأن كانت أول الناس إسلاما[٦].

لقد صنعت هذه النماذج المضيئة رجالا أقوياء بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الإسلام حتى انتشر نور الإسلام في أرجاء المعمورة رغم كيد الكائدين وحقد الكارهين، فاللهم ألحقنا بهن في دار السلام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

### الهوامش

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٨٥٦)، دار طوق النجاة، ط: أولى، ١٤٢٢هـ.

٢- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط: أولى، ٢٠٠٠م، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا.

٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢٠٧/٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

٤- أخرجه النسائي في السنن الصغرى، كتاب النكاح، باب التزويج على الإسلام، رقم (٣٣٤١)، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة، ١٩٨٦م، وصححه الألباني.

٥- أخرجه أحمد في مسنده، ٣٥٦/٤١، رقم (٢٤٨٦٤)، مؤسسة الرسالة، ط: أولى،٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وصححه.

٦- بنت الشاطئ، نساء النبي عليه الصلاة والسلام، ص٥٧، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

خالد العبادي
باحث في التراث التاريخي والثقافي جامعة عبدالملك السعدي
المغرب

# الإسلام ومعاملة غير المسلمين

**لا أحد ينكر اليوم أن العنف والإرهاب بشتى صوره قد أصبح حديث الساعة، لكون هذه الظاهرة الخطيرة أصبحت تشكل الهاجس الأكبر لجل الدول، خصوصا التي توجد بها بؤر لهذه الظاهرة الدموية الفتاكة، إلا أن الأمر الذي يجب التنبيه عليه، أن الغالب عند تناول هذه الظاهرة يتم ربطها بالإسلام، ناسين ومتجاهلين أن الإرهاب لا دين له، ومن باب الواجب علينا، نحن المسلمين، أن نخوض في الموضوع بأقلامنا مبرزين سماحة ديننا الحنيف، وهذا المقال يدخل في هذا الإطار، حيث سأتوقف على بعض الشهادات الغربية في حق هذه الدين الحنيف فيما يخص معاملة الإسلام لغير المسلم.**

## سير توماس آرنولد

يقول توماس عن صدق الرسالة: «إن الذي دفع المسلمين إلى أن يحملوا رسالة الإسلام معهم إلى شعوب البلاد التي دخلوها، وجعلهم ينشدون لدينهم بحق مكانا بين ما نسميه أديان الرسالة، لهي حماسة من ذلك النوع، من أجل صدق عقيدتهم. وليس موضوع هذا الكتاب - الدعوة إلى الإسلام - إلا صورة من تاريخ ظهور هذه الحماسة في تبليغ الدعوة ودواعي وألوان نشاطها. وأن انتشار مائتي مليون من المسلمين في الوقت الحاضر لهو الشاهد على ما كان لهذه الحماسة من أثر خلال الثلاثة عشر قرنا التي تلت ظهور الإسلام»[1]. يضيف توماس مبينا أسباب انتشار الإسلام: «يرجع انتشار هذا الدين في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى: اجتماعية وسياسية ودينية، على أن هنالك عاملا من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة، تلك هي الأعمال المطردة التي قام بها دعاة المسلمين، وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام، متخذين من هدي الرسول ﷺ مثلا أعلى وقدوة صالحة»[2]. هكذا فالصدق واتباع التعاليم السمحة لا شك سيلقى قبولا لدى المتلقي.

توماس تطرق إلى قضية جوهرية وهي العنف والقوة في نشر الإسلام، وهذه شهادة ذات قيمة عالية، لكونها رد مباشر على بعض ممن يدعي انتشار الإسلام بالسيف، يقول توماس: «لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي. ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرود وإيزابيلا دين الإسلام من إسبانيا، أو التي جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتي مذهبا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة خمسين وثلاثمئة سنة. وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالا تاما عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف إلى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين. ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن يحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم»[3].

نعم، إن تاريخ الإسلام يثبت مدى قمة التسامح مع الآخر، في وقت تعاني فيه الأقليات المسلمة في بلاد المهجر، فياليت الغرب يأخذ الدروس من التاريخ.

## ليفي بروفنسال

يقول بروفنسال في كتابه حضارة العرب في الأندلس: «إن الهدف الذي نبتغيه هو إلقاء الضوء على تداخل Interpenetration الإسلام والمسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية وهو تداخل حقيقي مستمر في إسبانيا في العصور الوسيطة سواء في داخل الحدود الإسلامية أم

في خارجها. وكذلك هو في أن نظهر الأندلس على أنها لم تكن حتى في ذات الوقت الذي تعرف بأنها لا تقهر، لتمتشق الحسام في وجه جيرانها، وإنما كانت هناك سنوات طويلة لهدنات حقيقية أعطت الأندلس خلالها أكثر مما أخذت، كما برهنت في أغلب الأحيان على عقل متسامح إزاء رعاياها المسيحيين لم يعد أحد يماري فيه اليوم»(٤). هذه شهادة أخرى تدل على التعايش الإسلامي المسيحي بعيدا عن العنف والإقصاء. يضيف بروفنسال بتعبير دقيق قائلا: «ما من مكان كانت العلاقات الدائمة ضرورية فيه بين الإسلام والمسيحية، أكثر منها في إسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل في القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقوت (القوات الغربيون)، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصارى أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالي أفضل، بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول (Depensar) وجابيها الخاص (Censor) وقاضيها الذي يطبق في محكمته، تحت إشراف الإدارة الأموية، القانون القوطي القديم من Liber Judicrum أما الاضطهادات التي عانتها فقد كان يسببها دوما مسيحيون متهوسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد»(٥).

## مارسيل بوازار

مارسيل بدوره له شهادة حول موضوع تعامل الإسلام مع الآخر يقول في ذلك: «حاول الإسلام منذ القرن السابع للميلاد أن يقدم حلا لمشكلة الأقليات فريدا في نوعه. وتستحق جماعة غير المسلمين على أرض الإسلام أن تتناول بالتحليل، لأنه ثبت أنها نهج لا مثيل له، في الوقت الذي كان فيه الغرب على أهبة الخروج من العصور الوسطى وإدراك ضرورة وضع الأنظمة المحدودة للعلاقات مع الغرباء»(٦). يضيف مارسيل أيضا: «منذ بدء الفتح العربي الإسلامي، كان المحاربون المسلمون قد فرضوا على أنفسهم روحا من التسامح مع غير المسلمين ومع الشعوب المغلوبة. وفي زمن لم يكن فيه العنف يعرف شرعا ولا عاطفة، أصدر أبو بكر رضي الله عنه أول خليفة للنبي ﷺ إلى جنوده التعليمات المشهورة المرنة كثيرا التي تختصر الروح الخلقي للقانون الإسلامي»(٧). هذه رسالة الإسلام وهذه أخلاق المسلمين في التعامل مع المخالف، أخلاق مثالية دخلت صفحات التاريخ من بابه الواسع.

## هنري دي كاستري

هنري دي كاستري بدوره تطرق لقضية انتشار الإسلام بالقوة يقول في ذلك: «إن الدين الإسلامي لم ينتشر بالعنف والقوة بل الأقرب للصواب أن يقال إن كثرة مسالمة المسلمين ولين جانبهم كانا سببا في سقوط المملكة العربية. ومن المظنون أن المسلمين لو عاملوا الأندلسيين مثل ما فعل المسيحيون بالأمم الساكسونية، لأخلدت إلى الإسلام واستقرت عليه، لأنها مع تمتعها بحرية دينها المسيحي كانت كثيرة الانشقاق والأحزاب. وما لنا ولهذه الظنون والتخمينات وأمامنا أمر واحد ينبغي الوقوف عنده وهو أن ديانة القرآن تمكنت من قلوب جميع الأمم اليهودية والمسيحية والوثنية في إفريقيا الشمالية وفي قسم عظيم من آسيا، حتى إنه وجد في بلاد الأندلس من المسيحيين المتنورين من تركوا دينهم حبا في الإسلام كل هذا بغير إكراه، إلا ما كان من لوازم الحروب وسيادة حكومة الفاتحين ومن دون أن يكون للإسلام دعاة وقوام مخصصون وهو ما يقنعنا بأن للإسلام جاذبية وقوة انتشار»(٨). نعم إن الإسلام لم ينتشر بقوة السيف، بل انتشر بحكم تعاليمه السمحة، وهذه الشهادة الغربية وغيرها تؤكد ذلك بعيدا عن أي ضغط.

انطلاقا مما سبق نقول إن عظمة الدين الإسلامي وتشبث المسلمين بتعاليمه الوسطية السمحة، جعلت منه دين الرحمة، دين الإنسانية، الأمر الذي أثار إعجاب الدارسين الغربيين. صحيح أننا لسنا بحاجة إلى من يثبت لنا سماحة ديننا، لكن اليوم في إطار الزمن الرقمي بات من الملزم لنا أن نستغل مثل هذه الكتابات لكونها صادرة عن الآخر.

## الهوامش

١- الدعوة إلى الإسلام، سير توماس آرنولد، ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النجداوي، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ط١٩٧١م، ص: ٢٥.

٢- نفسه، ص: ٢٧.

٣- نفسه، ص: ٩٨-٩٩.

٤- حضارة العرب في الأندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة بيروت، ص: ٧٧-٧٨.

٥- نفسه، ص: ٧٩.

٦- إنسانية الإسلام، مارسيل بوازار، ترجمة: د.عفيف دمشقية، ط١، ١٩٨٠م، ص: ١٨٧.

٧- إنسانية الإسلام، مارسيل بوازار، ص: ٢٧٨.

٨- الإسلام خواطر وسوانح، هنري دي كاستري، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، الناشر مكتبة النافذة، ط١، ٢٠١٨م، ٨٣-٨٤.

# أزمة الخطاب التربوي

د. خالد حنفي - باحث تربوي - مصر





تعد دراسة وتحليل النظم التربوية العربية الراهنة مسألة معقدة ومتشابكة بحيث تصير إمكانية الإحاطة بها والإلمام بالسياقات المتعددة التي حكمت وجودها، أمرا يبقى في حدود الطموح.

فالخطاب التربوي القائم في بلادنا العربية لم ينجح في التصدي لأزمة النظم التربوية العربية الراهنة، ومن ثم فإن هناك أسئلة تطرح نفسها بقوة مثل: هل أزمة النظم التربوية العربية هي أزمة ذاتية أو موضوعية؟ وهل المنظومات التربوية العربية بجميع أنساقها المؤسسة لها هي المأزومة في ذاتها، أم أن أزمتها ناتجة عن غياب مشروع مجتمعي تنموي متكامل؟

إن أزمة النظم التربوية العربية لها طابع متشابك، شمولي، مرهون، محكوم بشروط تاريخية، حيث المبادئ العامة ظلت في حدود المبادئ ولم تشكل إطارا لرسم تفاصيل فلسفة تربوية، بفعل الظروف السياسية والفكرية والاجتماعية.

ومن ثم، فإن هناك انفصالا بين النظم التعليمية القائمة من ناحية، والأوضاع الاجتماعية والثقافية السائدة لمجتمعاتها، فأزمة النظام التربوي تشكل جزءا من كل، والكل ليس مجموع الأجزاء منظورا إليها كجزر منعزلة عن بعضها، الكل هو مجموع العلاقات والارتباطات والتفاعلات والعلاقات، والظواهر والتشابكات، والتي ينتظم الكل وفقها ليحقق انسجامه وتماسكه الداخلي.

وغالبية النظم التربوية العربية هي أنظمة استهلاكية على المستوى التربوي تعتمد في معظمها على النقل والاستعارة من نماذج نجحت في بلدانها، وفي سياقات ثقافية أخرى تختلف عن السياقات الثقافية والاجتماعية لبلدان الوطن العربي، ومن ثم لم يكتب النجاح لمعظم تجارب النقل والاستعارة، ولم تنجح في التصدي للمشكلات القائمة بالفعل بالدرجة المنشودة بما يحقق نهضة مجتمعاتنا العربية بل جاءت تلك التجارب بمثابة ترقيع في الثوب البالي.

## أزمة النظم التربوية

إن أزمة النظام التربوي هي أزمة مركبة متشابكة العناصر والمكونات. وتتجلى مظاهرها في شتى مراحل التعليم، فبالنسبة للتعليم ما قبل الجامعي نجد تباينات في معدلات التعليم بين الجنسين، والانفصال بين ما يروجه النظام التربوي من معارف وبين ما يروجه الحقل الثقافي العام، علاوة على ضعف مردودية التعليم، والترويج لمفاهيم غالبا ما تكون ملتبسة ودخيلة على مجتمعاتنا. كما تشمل جوانب أزمة التعليم العالي أزمة البنية والهياكل التنظيمية، ومضامين التعليم وبرامج التعليم الجامعي، وأزمة البحث العلمي، وأزمة الثقافة الجامعية...

وترتب على الأزمة القائمة معاناة النظم التعليمية العربية من عدة آثار سلبية؛ فسمات المواطن المراد بناؤها غير واضحة، إضافة إلى ما تعانيه المجتمعات العربية من انفصال بين المدرسة والجامعة من ناحية وقطاع الإنتاج وسوق العمل من ناحية أخرى، ما ترتب عليه تزايد معدلات البطالة بين خريجي الجامعات والتعليم الفني،

وارتفاع معدلات الهدر التعليمي. كذلك أدت تلك الأزمة إلى انتشار عدة ظواهر سلبية كالأمية، فقد أوضحت إحصاءات المرصد العربي للتربية، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو)، وجود نحو ٥٤ مليون أمي في ربوع وأقطار الوطن العربي. ومن الآثار السلبية للنظم التعليمية العربية أيضا، تعرض فئة الشباب لاختلالات نفسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية، ناجمة عن حالة إحباط عام بسبب البطالة والظروف الاقتصادية القاسية لبعض البلدان، وغالبا ما يؤدي ذلك إلى انحرافات بين تلك الفئة، التي تشكل بيئة خصبة للاستغلال الأيديولوجي والسياسي.

### مفهوم الإصلاح

هناك حاجة إلى خطاب تربوي يرتبط بالحاضر ويمتزج معه، ويتجاوزه إلى طرح افتراضات مستقبلية، بعيدا عن الخطاب التربوي التقليدي القائم على فكر المدرسة البنيوية ذات المرجعية الليبرالية الهادفة إلى تذويب جل أشكال الاختلاف والخلاف مع الغرب، التي تهدف لإنتاج وإعادة إنتاج البنية ذاتها حتى تضمن وفاء دول العالم النامي لثوابتها الفكرية المبنية على الاستغلال والاستنزاف. فهذا الخطاب، إذا لم يتجاوز فكر هذه المدرسة، فإنه سوف يصير ترقيعا، يحافظ على البنية المأزومة ذاتها، ويكرس للوضع المتردي الحالي أكثر مما يسعى إلى إدراك عمقه ودفعه إلى المعالجة.

### الخطاب المنشود

إننا في حاجة إلى خطاب تربوي إصلاحي نقدي كبديل عن الخطاب التربوي السائد في نظمنا التعليمية العربية؛ لذلك، لا بد من التأكيد على المعالجة الشمولية، وضرورة الابتعاد عن التعميمات والشعارات المستنفدة، حيث التنمية الشاملة تستدعي الربط بين النظام التعليمي والنظام الاقتصادي وباقي النظم الاجتماعية. والإصلاح التربوي المأمول يتعين أن يكون عقلانيا

## النظم التربوية العربية تعتمد الاستعارة من ثقافات مغايرة لبيئتها

وإيجابيا ينطلق من التحديد الدقيق للأزمة التربوية القائمة، ومن المعرفة العلمية الكافية بأسبابها، ومكوناتها وتجلياتها، وامتداداتها. ويجب أن تكون الاحتياجات العربية الواقعية هي المحرك والقوة الدافعة لهذا الإصلاح وتشمل النظام التربوي في مجمله لا كجزر منفصلة عن بعضها بل كحقول مترابطة ومتشابكة، ففشل الكثير من الإصلاحات التربوية في مجتمعاتنا عائد إلى كونها غير نابعة من حاجات واختيارات المجتمعات العربية الواقعية.

ومن ثم، تبرز أهمية التخطيط في إنجاح أي نموذج إصلاحي، وما يستتبع ذلك من إنجاز وتطوير ومتابعة وتقويم، يبقى مشروطا بمعطيات داخلية لا بإملاءات مفروضة من الخارج. وعليه، لابد أن ينطلق الخطاب التربوي المنشود من المنطلقات الآتية:

١- الإصلاح عملية مستمرة ودائمة، يشترط فيه أن يكون مدعوما، من قبل المجتمع، وفقا لرؤية واضحة ودقيقة لجميع الاستراتيجيات والخطط الممكنة لتجاوز الأزمة الراهنة.

٢- الإصلاح تغيير، وتحول، وإستراتيجيات واختيارات، وتخطيطات، وهو إصلاح شمولي للكل المجتمعي، ومتسق معه، وغير منفصل عن المسار الديموقراطي بكليته.

### مسارات الإصلاح

ويبقى الخطاب الإصلاحي المطلوب خطابا تغييريا، يهدف إلى التعمق في واقع القطاع التعليمي.. منفتحا على الذات في كل أبعادها الثقافية والإثنية والحضارية والقومية، ومنفتحا على الآخر في الاعتراف به والاستفادة منه وعدم تقديسه... هكذا يصير الإصلاح مشروعا تنمويا وحداثيا شاملا.

وتبعا للسياق العام المرتبط بالإصلاح التربوي، وضرورة تحسين الظروف الاقتصادية للمعلمين وتبني سياسة التحفيز لتفعيل العملية التعليمية، وضرورة إعداد وإعادة تأهيل المعلمين باعتبارهم الشخصيات المحورية، والدعامة الأساسية في الإصلاح.

ومن ثم يجب أن يشمل الإصلاح التربوي المسارات الآتية:

١- المسار الفكري والسياسي العام: وهو ما يطلق عليه السياسة التربوية وهي الإطار العام المنظم للعملية التعليمية- التعلمية.

٢- المسار التعليمي: وهو مسار مرتبط بمكونات العملية التعليمية - التعلمية (المعلمين، البرامج، الوسائل التعليمية، التلاميذ وأوضاعهم الاجتماعية ...) كعناصر منتظمة ومتفاعلة ومترابطة.

٣- المسار الاقتصادي: يرتبط بالميزانية الخاصة بالتعليم، وآليات الإنفاق والتمويل الخارجي، و«ضرورة البحث عن الشروط الملائمة لإقامة شراكة حقيقة وتكاملية في هذا المجال بين كل الأطراف المعنية، والهدف من ذلك هو جعل التعليم رافدا للاقتصاد الوطني، وتوجيه هذا الاقتصاد ليكون دعامة للتنمية التربوية أيضا».

٤- المسار التنظيمي: يقصد به آليات إدارة المنظومة التربوية في مستواها المؤسسي، والأطر التربوية والإدارية، والدعوة إلى تغيير وتجديد هذه الآليات حسب متطلبات المرحلة.

٥- المسار الثقافي: المدرسة هي مركز إشعاع ثقافي وما يترتب على ذلك من دعم وترويج لقيم ومبادئ مشبعة بقيم العلم والتقدم.

لم يعد أمام النظم التربوية العربية في مواجهة مختلف التحديات والمتغيرات التي تمر بها في الوقت الراهن، إلا تبني مسار الإصلاح، ويتطلب ذلك من كل مجتمع عربي أن يتفق، في أسرع وقت ممكن، على خطاب تربوي واحد يعكس رؤيتنا لمستقبل وطننا ويأخذ في الاعتبار ثوابتنا وهويتنا وجل معطيات العصر وتحولاته.

أ. د. عبد الفتاح محمد العيسوي
باحث تربوي - مصر

# الضعف العصبي وسبل الوقاية والعلاج

**يعرف الضعف العصبي (neurasthenia) على أنه حالة من الشعور الذاتي المستمر بالضعف النفسي العام الذي تصاحبه أعراض عصبية، وجسمية، ومن أهم خصائصه: التعب المزمن، والإعياء، والفتور، والإنهاك، وقد يصل إلى درجة الانهيار، ويطلق عليه الانهيار العصبي، وهو من أشد الأمراض النفسية، ويظهر عند متوسطي العمر، وخاصة عند ربات البيوت في المجتمعات المتدنية اقتصاديا، واجتماعيا، والمهملات من قبل أزواجهن كما يصاب به الذكور أيضا.**

## أسباب الضعف العصبي

من أهم الأسباب التي تؤدي إلى الضعف العصبي الصراع النفسي ذو التاريخ الطويل نتيجة التعارض بين دافعين، أو رغبتين، أو أكثر، مما يؤثر على البناء النفسي، فيسبب الانهيار العصبي، وكذلك الإحباط المتكرر، والفشل، وعدم إشباع حاجات الفرد، والحرمان واليأس والشعور بالنقص، والتوتر النفسي، والاضطرابات الانفعالية العنيفة الطويلة، والصدمات الانفعالية، والشعور بالعجز المفاجئ في حيل الدفاع النفسي، كالتعويض، والتبرير، والإزاحة، التي يعتمد عليها الشخص في مواجهة ضعفه، ووجود عدوان مكبوت ومحاولة مقاومته. زد على ذلك النمو المضطرب، وعدم ضبط النفس، وضعف الثقة بها، وسهولة التأثر بالإيحاء والاستهواء، والشعور بقلة الحيلة، وضعف القدرات، وعدم وجود خطة أو فلسفة للحياة، وعدم وضوح الأهداف، والملل، والرتابة، ونقص الاهتمامات، فضلا عن الاضطرابات الأسرية كتفكك الأسرة، وتصدعها، وطرق التربية الخاطئة، كالقسوة، أو الحماية الزائدة، والتدليل...إلخ.

وضعف الروح المعنوية، والاجتماعية، والهروب من تحمل المسؤوليات، وسوء التوافق الاجتماعي، ووجود اضطراب مماثل لدى أحد الوالدين، أو الأفراد المهمين في حياة الفرد، واكتساب وتعلم الأعراض منهم، وخاصة في حالة وجود مكاسب ثانوية لهذا السلوك المرضي المكتسب.

بالإضافة إلى العمل الشاق المرهق تحت الضغط المصحوب بالقلق وبذل المجهود الشاق الذي يستنفذ الطاقة العصبية ويعوق الاسترخاء، ويحول دون الاستمتاع بمباهج الحياة. أضف إلى ذلك الضغوط الحضارية الحديثة ومطالبها، وعدم وجود الاستعداد لمواجهتها، والضغوط النفسية المتعلقة بالمنافسة في كل مجالات الحياة الراهنة، والخضوع، والإهانة، والنبذ، والعدوان، والحروب...إلخ.

هذا وقد لوحظ ظهور الضعف العصبي لدى الأشخاص ذوي التكوين الجسمي النحيف الواهن الذين يتصفون بشدة حساسية الجهاز العصبي.

## الأعراض الجسمية والنفسية

وتشمل هذه الأعراض التعب المستمر بدون أساس عضوي، والشعور بالضعف العام، والإجهاد، وتخاذل القوى، والإعياء عند بذل أقل مجهود، والكسل، والتراخي، والخمول: أي: نقص الحيوية والنشاط، والضعف الصحي، والعصبي والنفسي، وبعض الآلام العامة غير المحددة.

والصداع (Headache) الناتج عن تقلص الأوعية الدموية في المخ، والشعور بالضغط في الرأس، وانخفاض ضغط الدم، والإحساس بضربات القلب، وشحوب الوجه، والاضطرابات الحشوية، وفقدان الشهية أو ضعفها، وعسر الهضم، والإمساك، والضعف الجنسي عند الرجال، واضطراب العادة الشهرية عند النساء، وآلام الظهر خاصة الآم الفقرات القطنية، والجذعية، واضطراب النوم والأحلام المزعجة، والشعور بالتعب عند الاستيقاظ من النوم، فضلا عن الشعور بالقلق العابر المصحوب بالتوتر وعدم الاستقرار، والشعور بالضيق، والتبرم وتدهور الروح المعنوية، والشعور بالفشل، وضعف الطموح، والإحساس بالدونية، والضعف والعجز، وتشتت الانتباه، وضعف الذاكرة، وعدم القدرة على التركيز ومواصلة التفكير في موضوع معين، والاستغراق في أحلام اليقظة، والاكتئاب والهمّ، والقابلية الشديدة للاستثارة، وسرعة التهيج، والغضب، وعدم تحمل الضجيج والأصوات العالية، والثورة وضعف العزيمة والإرادة، وفتور الهمة، وضعف الحماس، وعدم الرغبة في العمل، أو القدرة على إتمام الأعمال، أو تحمل المسؤولية، والتردد في اتخاذ القرارات، والهروب من مجابهة المشكلات ومحاولة حلها، والشك في الناس والاستبطان المرضي، ومحاولة التعويض، والسلبية والتمركز حول الذات وضعف العزيمة والنشاط الاجتماعي، والاعتماد على الغير، والتبرم من أوضاع الحياة، وفقدان الاهتمام بها، وسوء التوافق، والخوف، وتوهم المرض.

## تشخيص الضعف العصبي

يلاحظ أنه من النادر أن يظهر الضعف العصبي كعصاب مستقل ولكنه يظهر



عرضا لمرض نفسي آخر، كما في حالة الفصام البسيط (Simple Schizophrenia) أو الاكتئاب، كما يجب أن نفرق بين الضعف العصبي، والاكتئاب؛ فالضعف العصبي مستمر والشكوى الأساسية للمريض من الأعراض الوظيفية، ويناقش المريض أعراضه ويتحدث عنها، كما ينبغي أيضا أن نفرق بين الضعف العصبي والفصام المبكر؛ ففي الفصام المبكر لا يهتم المريض بالمحيط الخارجي ويظهر لديه الهذاء (Delusion) وهو عبارة عن أفكار شاذة يعتقد المريض صحتَها، ويستحيل إقناعه ببطلانها.

كما يجب أن نفرق بين الضعف العصبي وبعض الاضطرابات العضوية الأخرى مثل: فقر الدم، أو نقص الفيتامينات، أو اضطراب الغدد الصماء، أو اضطراب عمليات الأيض (التمثيل الغذائي) في الجسم.

وكذلك لابد من التفرقة بين التعب النفسي، والتعب الجسمي، فالتعب الجسمي يحدث نتيجة الإجهاد في العمل، وقضاء الساعات الطويلة تحت الضغط الذهني، والعملي، ونقص النوم ويزول بالراحة، والاسترخاء، والنوم. أما التعب النفسي فيظل مستمرًا رغم الراحة الجسمية والنوم.

## علاج الضعف العصبي

من أهم التوصيات الطبية: العناية بالصحة العامة، وتناول الطعام الغني بالفيتامينات والحديد والكالسيوم، كالخضراوات، والفاكهة، والاهتمام بالأعراض الجسمية، والراحة، والنوم، وممارسة التمرينات الرياضية الخفيفة، والعلاج بالماء، والحمّامات، مع العلاج النفسي المناسب: كالتحليل النفسي، وتبصير المريض، وتقديم النصح والإرشاد، ومساعدة المريض على فهم نفسه، ومعرفة إمكانياته، وحل صراعاته ومشاكله النفسية، والعلاج التدعيمي (Supportive treatment) والاهتمام بمفهوم الذات، وإعادة الثقة بها، وتنمية وتطوير شخصية المريض نحو النضج وتعديل أهدافه وسلوكه، واستخدام العلاج الاجتماعي، والأسري، والعمل على تكيّف الفرد مع ذاته ومع المجتمع عن طريق تعديل اتجاهاته، وتحسين ظروفه الاجتماعية، وإثارة الميول والرغبات والاهتمامات، وتعديل البيئة المحيطة والاهتمام بالتوجيه المهني؛ بهدف تحقيق النجاح الحقيقي في العمل والإنتاج، وإظهار الإعجاب لما يبذله من جهد.

أما العلاج الدوائي فيكمن في تناول أدوية فتح الشهية ومضادات الأستيرودية (Nonsteroidal anti-inflammatory) مثل: سيلكوكسيب (Celecoxib)، أو ديكلوفيناك (Diclofenac)، أو إيبوبروفين (Ibuprofen)، علمًا بأن من آثارها الجانبية: الصداع والتأثير السلبي على الكلى، وزيادة وقت النزيف بعد الجروح أو العمليات الجراحية، وتستخدم أيضا مضادات الهيستامين غير المسببة للنعاس (Nonsedating antihistamine) مثل:، (citrizine)، Desloratidine، fexofenadine ومن آثارها الجانبية: الصداع، وجفاف الفم، وعدم وضوح الرؤية، واحتباس البول.

علي مدني الخطيب
باحث دراسات إسلامية

# السعادة

**لو أنك سألت فتى مقبلا على الحياة، أو فتاة في عمر الزهور أو امرأة تخطت الأربعين أو عجوزا انحنى عودها وظهر شيبها، أو سألت غيرهم عما يتمناه كل واحد منهم، لأجابك على الفور: أتمنى أن أكون سعيدا.. طلب مشروع، وأمنية بعيدة، وحاجة ملحة، حتى إن دعوات الأمهات والجدات ساعة أن يدعون لأبنائهن وأحفادهن لا تخرج عن فحوى هذه العبارة «ربنا يسعدكم ويريح بالكم» «ربنا يسعد أيامكم»...**

السعادة يا سادة كلمة تتوارثها الأجيال.. يلهث وراءها الجميع.. يتعبون ويكدحون ويسهرون ويسافرون عساهم أن يسعدوا، حتى أسهبوا في تسمية الأبناء والأحفاد: يسمونهم سعد، سعيد، سعدون، سعيدة، سعاد، سعدية، سعدة، أم السعد، سعدان، مسعدة، أبوالسعود، وبطاقات التهنئة في الأعياد مصحوبة بكلمة «عيد سعيد» حتى الوظائف العالية والمناصب الكبيرة في الدولة يتقدمها عبارات: سعادة السفير الفلاني، سعادة الباشا الكبير، كل ذلك تيمنا بالكلمة وبحثا عنها لأهميتها، وأهميةُ المبنى تدل على عظم المعنى، من أجل ذلك أردنا أن نغوص في أسرار هذه الكلمة الشفيفة الرقيقة الحبيبة إلى النفس.. فهل تتمنون أن تكونوا سعداء.. تستمتعون بجوهر الحياة وقيمتها؟ عندما تفهمونها جيدا فتدخلون جنة الدنيا مرقاة لذة لجنة الآخرة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود:١٠٨).

ما السعادة التي يركض الناس خلفها وتتقطع أنفاسهم حتى يصلوا إليها وينالوها؟

السعادة هي لفظ مشتق من سعد وأسعد، تقول سعد يسعد سعادة والجميع سعداء وهي عند ابن منظور تعني «اليُمْن».

تقول سعد الولد أي (فرح) وسعد جده أي أنماه والإسعاد «المعونة»، والمساعدة «المعاونة»، وسعد الماء أي جرى سيحا لا يحتاج إلى دالية واستسعد الرجل برؤية فلان (أي عده سعدا) وسعد بك إسعادا لك بعد إسعاد، والساعد ملتقى الزندين.

ويفهم من الدلالات اللغوية أن السعادة اسم جميل محبب إلى النفس يحمل معنى «البركة والنماء والرضا واليمن والإشباع والإرواء والعمل والتعاون والمساعدة».

### السعادة عند علماء المسلمين

يرون أن السعادة تكمن في إعمار الدنيا ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود:٦١)، وإعمار الآخرة ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ (طه:٧٣)، ولذلك قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها للحجاج بعدما صلب ولدها عبدالله بن الزبير،

على ثنية الحجون: «أراك أفسدت على ابني دنياه وأفسد عليك آخرتك».

والذي نؤكد عليه أن مفهوم السعادة قد ورد في القرآن الكريم بمعنى «الحياة الطيبة» فقد ورد ذلك في سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل:٩٧)، وذكر الإمام القرطبي وجها في تفسير هذه الآية أن الحياة الطيبة هي السعادة.

ولو أنك فصلت في الحياة الطيبة لوجدت أنها لن تخرج عن هذه المعاني: (الفرح - الغبطة - البشر - السرور - التوفيق - المودة - الموافقة - الراحة - الرضا - الأنس - اللذة - العافية - الطمأنينة - السكينة - الهناء - راحة الضمير).

والسعادة أمر نسبي، فليس في الحياة صفو مشارب مطلق، أما المطلق فهناك حيث يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ (الحاقة:١٩-٢٣).

الحياة الطيبة أراها في أخلاق حميدة، وعقول رشيدة ومفاهيم صحيحة، وأعمال صالحة، وقلوب رحيمة، ومشاعر طيبة، وأذواق رفيعة، وضمائر يقظة وأشواق نبيلة.. أو أراها في تجربة مفيدة، وخبرة متقنة واكتفاء يصون من العوز والحاجة.. أو أجدها في قلب متسامح مع إخوته الذين ظلموه فقال لهم ما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (يوسف:٩٢). تجدها في عرق مبذول، وجهد موصول يعقبه نجاح ووصول ونبوغ وثناء وتقدير.

تلقاها في زوجة وفية وولد بار وجار صالح ودار فسيحة، قد تجدها في قضاء عادل أو حجة سديدة أو براعة في بيان أو في أمن وأمان، أو في حب الناس لك، أو صحة كاملة، وقد تجدها في ابتسامة وليد خرج للتو لدنياه، أو في حبيب يشعر بك ويأنس ويسر لطلعتك وحديثك، أو في صداقة نزيهة أو نجاح مهني أو التزام أخلاقي أو طموح علمي، أو بذل معروف أو حل معضلة أو كفالة يتيم أو أرملة أو ستر عانس، أو قضاء دين أو وصل رحم بعيدة، وسوف تجد وأنت تطالع كتب التاريخ والجغرافيا أن الأكاسرة والقياصرة والأباطرة والملوك والأمراء والوزراء والسادة والملأ والكبراء ملكوا بعض الدنيا أو جزءا كبيرا منها وما سعدوا.. وصاروا كمن يشرب من ماء مالح، لا يرتوي منه مهما عب منه أبدا.. والسر في ذلك أنهم فقدوا الإيمان الذي يمنح صاحبه السعادة الحقة.. وقد قال أحد السعداء:

«إننا في سعادة لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليها بالسيوف»، ويقول ابن تيمية «في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة»، وصدق، وهو يقصد بذلك الحياة الطيبة التي ذكرها القرآن الكريم.

**السعادة يا سادة تكمن في:**

خفة الجسد وشفافية الروح تحدث في فضاء النفس المطمئنة أو هي بعبارة أخرى حالة نفسية تصل بك إلى سمو الروح فتتمتع بسكينة القلب وطمأنينة النفس. والحياة الطيبة التي هي السعادة هي مدد إلهي يحول صفاء القلب إلى قوة فاعلة مبدعة تتقن كل الأشياء فتبدو جميلة ولطيفة ومحبوبة، ومرد ذلك كله هو العطاء لا غير ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ (الليل:٥-٧) النفس السوية التي تعطي وتمنح وتبذل ما عندها من الفضل والزيادة والإيثار (فضل الزاد - فضل الظهر - فضل العلم - فضل الجاه - فضل النصيحة - فضل المشاركة والمعاونة) ساعتها يشعر الإنسان بالسعادة التامة.

**إنه تيسير اليسرى والحصول عليها بما فيها من:**

(هداية القلب - شفافية الروح - رجاحة الوعي - سلامة الفطرة - صحة الفهم - يقظة الضمير) وما ظنك بنور في القلب يكبر ويتسع حتى يبصر صاحبه كل الدروب البعيدة عادت معبدة بعد وعورتها وقسوتها.. لقد وجد ضالته.

إنها السعادة المستحقة التي تدلف إلى بيوت البسطاء تعانق مستحقيها الذين أحسنوا العطاء فنالوا الزيادة منها وأكثر.

وقد تسأل ما الذي جلب السعادة لهؤلاء المحسنين البسطاء؟.. أقول لك: قلوب سليمة، جباه ساجدة، أيد متوضئة تعطي أكثر مما تأخذ.

إن معنى السعادة أنك تجدها في أثنائها لا في نهايتها، ففي أثنائها مساحة من الكد والسعي والعمل والحركة والنشاط والسهر والتأمل والخيال، فيدفعك ذلك إلى حالة من الشوق الذي يصدر عن نفسك المتطلعة إلى الجديد والوصول إلى نقطة الهدف البعيد الذي يتراءى لك، ولطالما منيت نفسك بالوصول إليه ليكون جزءا من الراحة الكبرى التي تنشدها عند وضع أول قدميك في الجنان.

أما هنا في الدنيا فمازلت تستدرك بعض حاجتك وشيئا من سعادتك وعافيتك التي قد هربت منك بفعل يدك؛ وتحقيق المراد في مساحة بيئية قد تطول أو تقصر، حسب بعد الغاية وعظم الهدف، لكن لا بأس أن تدرك هنا -على كوكب الأرض- بعض حاجتك وبعض سعادتك، وذلك خير لك من أن لا تدركها أبدا.

وأن تصفو لك الدنيا بعض الصفاء خير لك من تكدر عيشك كله.

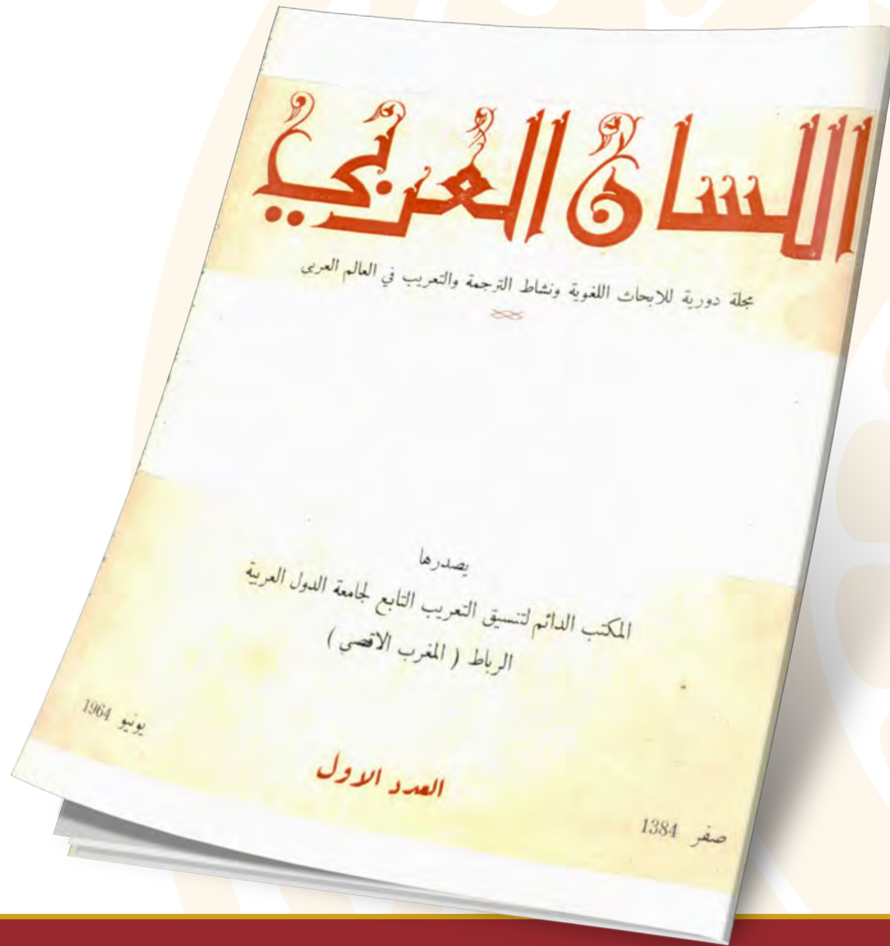
والخلاصة: من ظن أن السعادة في غير رضا الله وعمل الإحسان فهو مخطئ غير مصيب، ولن يفهم هذا المعنى الذي طرحته غير نفوس كبيرة وقلوب سليمة وعقول واعية وضمائر نقية، وإنا لنسأل الله أن نكون جميعا من هؤلاء.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي




## سلسلة الذخائر

# مجلة اللسان العربي


اللسان العربي
مجلة دورية للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي
يصدرها
المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية
الرباط ( المغرب الاقصى )
يونيو 1964
العدد الاول
صفر 1384

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

**وتأتي «مجلة اللسان العربي» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.**

## التعريف بالمجلة

مجلة اللسان العربي هي دورية علمية محكمة نصف سنوية، وتعنى بنشر الأبحاث اللغوية، والدراسات المصطلحية وقضايا الترجمة والتعريب في العالم العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابع لجامعة الدول العربية، بالرباط.

وقد صدر أول عدد منها في صفر، سنة ١٣٨٤هـ، الموافق يونيو، سنة ١٩٦٤م.

## الغرض من المجلة

تعد مجلة «اللسان العربي» مرجعا للمؤسسات الأكاديمية والهيئات اللغوية والمجامع والجامعات وللمتخصصين المهتمين بقضايا التعريب والترجمة والتنمية اللغوية، ومنبرا لنشر أبحاث في مجالات لغوية ومصطلحية متنوعة. وبفضل الإسهامات العلمية الرصينة للباحثين، وبناء على توصيات المجلس العلمي الاستشاري للمكتب في دورته الثالثة، المنعقدة على هامش مؤتمر التعريب (الحادي عشر بعمان سنة ٢٠٠٨م)، أصبحت دورية: «اللسان العربي» مجلة محكمة. تنشر البحوث الرصينة المتعلقة بقضايا اللغة العربية والتعريب والترجمة والمصطلح، المحررة باللغة العربية، أساسا، مع إمكان النشر باللغتين: الإنجليزية والفرنسية، فضلا عن نشر لمشروعات المعجمية الصادرة باللغات الثلاث المشار إليها.

## تعريف مكتب تنسيق التعريب

مكتب تنسيق التعريب جهاز تابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي أنشئت سنة ١٩٧٠م، وفق ميثاق: «الوحدة الثقافية العربية» الذي صادق عليه وزراء التربية والتعليم العرب في بغداد سنة ١٩٦٤م، بغرض التعاون بين الدول العربية في ميادين التربية والثقافة والعلوم. ويهدف دستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إلى تطوير الأجهزة الثقافية العربية التي كانت تابعة للجامعة العربية آنذاك، والتي تم إلحاقها بالمنظمة فور تأسيسها، ومن ضمنها: مكتب تنسيق التعريب بالرباط، الذي سيتابع جانبا مهما من مهام المنظمة، خاصة ما تعلق منها بتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية، ودعم حركة التعريب في الوطن العربي.

## أهداف المكتب

- تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة.
- تتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها.
- تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة.
- الإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب.
- تنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي.

## بعض مواضيع عدد المجلة الأول

فكان أول موضوع نشر في هذه الدورية القيمة بقلم الأستاذ: علال الفاسي، بعنوان: تحريف الدلالة، أما ثاني موضوعاتها كان بقلم: الأمين العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب؛ السيد عبدالعزيز ابن عبدالله، بعنوان: نحو تفصيح العامية في العالم العربي. وأما موضوعها الثالث فكان بعنوان: عوامل الوحدة الثقافية، بقلم عبدالفتاح الصعيدي، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ثم تلاه موضوع بعنوان: ازدواجية لغة التعليم، للأستاذ إدريس الكتاني. وهكذا تتابعت موضوعات المجلة بأقلام أكبر علماء اللغة العربية.

## نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسختين كاملتين من هذه المجلة النافعة، وهي تتكون من (٦٨) مجلدا، وهي في متناول القراء الكرام.


**المصادر**

مجلة اللسان العربي.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

إعداد/ د. تركي محمد النصر

## نور الإيمان

قال الحكيم الترمذي رحمه الله: فمن نوّر الله قلبه بالإيمان قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام به قلبه، واطمأنت به نفسه، وسكنت ووثقت وأيقنت، وأمنته على نفسها، فرضيت لها به وكيلا، وتركت التدبير عليه، فإن وسوس له عدو بالرزق والمعايش، لم يضطرب قلبه ولم يتحير، لأنه قد عرف ربه معرفة أنه قريب، وأنه لا يغفل ولا ينسى، فكما خلقه محتاجا مضطرا، فإنه سيوصله إليه من حيث يريد الرب تبارك وتعالى، لا من حيث يريد العبد؛ فعامة أهل التوحيد قد أيقنوا بهذا، إيمانا به، وقبولا له، ولم يستقر ذلك الإيمان في قلوبهم حتى إذا كان وقت الحاجة اضطربت قلوبهم وتحيرت، واشتغلت عن خالق الأشياء، ومالك الملوك، وأهل اليقين الذين قد استنار الإيمان في قلوبهم، سكنت القلوب، واطمأنت النفوس إلى ضمان ربها، وقربه منهم، وقدرته عليهم.

(انظر: أدب النفس للحكيم الترمذي، ص:١٦).

## فرض الكفاية وفرض العين

واعلم أن للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين، لأنه أسقط الحرج عن الأمة، حتى قال إمام الحرمين ووالده وغيرهما: «إنه أفضل من فرض العين؛ لأنه يصان لقيام البعض به جميع المكلفين عن إثمهم المرتب على تركهم له، وفرض العين إنما يصان بالقيام به عن الإثم القائم بتركه الفاعل فقط».

(الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، ص:٧٥)

## ما كان يكفيه قليل الطلب

قال الإمام أحمد بن حنبل: «كانت أقفيتنا أصحاب الحديث، في أيدي أصحاب أبي حنيفة ما تنزع، حتى رأينا الشافعي رضي الله عنه، وكان أفقه الناس في كتاب الله عزوجل، وفي سنة رسول الله ﷺ، ما كان يكفيه قليل الطلب في الحديث».

**(آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم الرازي، ص:٤٢).**

## فائدة جليلة في كراهية الموت

قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «فائدة جليلة: هي أن المؤمن قد يكره الموت ولا يخرج بذلك عن رتبة الإيمان الجليلة، ولا ينافي ذلك أن شأن المؤمن أن يحب لقاء الله سبحانه، كما ورد في الأحاديث الصحيحة لوقوع البيان فيها بأن محبة لقاء الله لا تستلزم ألا يكره صاحب هذه المحبة الموت، كما في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها: «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فقلت يا نبي الله أكراهية الموت فكلنا نكره الموت؟ قال: ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وأن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه».

**(انظر: ولاية الله والطريق إليها، للشوكاني، ص:٥٠٠)**

## طالب العلم

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وينبغي - أي: لطالب العلم - أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده على وجه النصيحة والمذاكرة. وبإرشادهم يبارك له في علمه، ويستنير قلبه، وتتأكد المسائل معه مع جزيل ثواب الله عزوجل، ومن بخل بذلك كان بضده، فلا يثبت معه، وإن ثبت لم يثمر».

(انظر: مقدمة المجموع، ٣٩/١).

## فائدة جليلة في الفرق بين المداراة والمداهنة

قال العلامة ملا علي القاري رحمه الله: «والفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معا، وهي مباحة، وربما استحسنت. والمداهنة: بذل الدين لصلاح الدنيا (ا. هـ). وهذه فائدة جليلة ينبغي حفظها والمحافظة عليها، فإن أكثر الناس عنها غافلون وبالفرق بينهما جاهلون».

(انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/٣٠٣)

## تحفة الأبرار في التحذير من الأضرار

قال العلامة أبو العباس الوراق رحمه الله:

❖ إياك ودعوة المظلوم، ولو كانت من فاجر غشوم.
❖ اجتنب الظلم؛ فإنه رأس الإثم.
❖ ويل للظالمين من أحكم الحاكمين.
❖ كف الأذى عن الناس، وأكرم الإخوان والجلاس.
❖ احذر اللجاجة، والمشي من غير حاجة.
❖ احذر السخر بالناس؛ فإنه ضرر وباس.
❖ احذر التجسس؛ فإنه من أعظم التلبس.
❖ اجتنب الخلف في الميعاد؛ فإنه قبيح في العباد.
❖ ليس لحسود راحة، ولا لحقود صداقة.
❖ بئس الزاد إلى المعاد التعدي على العباد.
❖ إفراط الحسد يورث في القلب الكمد.
❖ آفة الرأي الهوى، والحسود ليس له دوا.

(تأليف الافتراق من حكم ابن الوراق، ص:٣٢)

## صفة مجالسة العلماء

قال العلامة الآجري في صفة مجالسة طالب العلم للعلماء: «فإذا أحب مجالسة العلماء؛ جالسهم بأدب، وتواضع في نفسه، وخفض صوته عن صوتهم، وسألهم بخضوع، ويكون أكثر سؤاله عن علم ما تعبده الله به، ويخبرهم أنه فقير إلى علم ما يسأل عنه، فإذا استفاد منهم علما أعلمهم: أني قد أفدت خيرا كثيرا، ثم شكرهم على ذلك. وإن غضبوا عليه لم يغضب عليهم...، لا يناظرهم مناظرة يريهم: أني أعلم منكم. وإنما همته البحث لطلب الفائدة منهم، مع حسن التلطف لهم، لا يجادل العلماء، ولا يماري السفهاء، يحسن التأني للعلماء مع توقيره لهم، حتى يتعلم ما يزداد به عند الله فهما في دينه».

**(انظر: أخلاق العلماء للآجري، ص:٥٠).**

## ميزان الرجال

روى هشام بن عروة عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل: «ما تقول في فلان؟». قال: لا بأس به، يا أمير المؤمنين. قال: «هل صحبته في سفر قط؟». قال: لا، يا أمير المؤمنين. قال: «هل جرت بينك وبينه خصومة قط؟». قال: لا، يا أمير المؤمنين. قال: «فهل ائتمنته على درهم، أو دينار قط؟». قال: لا، يا أمير المؤمنين. قال: «لا علم لك بالرجل، إنما رأيت رجلا يضع رأسه في المسجد ويرفعه».

**(انظر: الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي، ص:٢١).**

د. مجدي حسن
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية
مصر

# الكوميديا والبديل الإسلامي!



قد يتذكر الإنسان موقفا أو حدثا يثير ضحكه في أي وقت، ربما يداهمه وهو يؤدي عملا مهما، لهذا الضحك أسباب وإن كانت خفية.

فالضحك ليس حالة سرور أو تعجب تعتري الإنسان فحسب، بل له أسباب ودوافع تدل على العقل والحكمة والفهم، وانفراد الإنسان عن سائر المخلوقات بصفة الضحك - كما يقول علماء المنطق - دليل على ذلك.

## معنى الضحك وآثاره

معنى الضحك: انكشاف الأسنان، ويجوز أن يكون الضحك إشراق الوجه. تقول: رأيت فلانا ضاحكا: أي مشرقا[1].

وفي الضحك انبساط النفس وسرورها وأنسها، وانشراح الصدر، واعتدال المزاج، ونشاط النفس، بخلاف الحزن والنكد، فإنه يلقي بظلاله على الوجه بكآبة وسحابة من الظلمة والعبوس، وما يصاحب ذلك من انقباض النفس وضيق الصدر مما يؤدي إلى حالة من العبوس النفسي، الذي يستقيم ويتوافق مع عبوس الوجه وشتان بين الحالين.

والضحك والعبوس حالة تعتري الإنسان جسدا وروحا، ظاهرا وباطنا، وليس لهوليود دخل فيها!

قد يكون هناك آثار صحية للضحك نتيجة لنشاط النفس وتفاعلها مع هرمونات السعادة، وما يصاحب ذلك من تدفق في الدورة الدموية ونشاطها وانتظام حركة القلب في ضخ الدماء وتقوية عضلات القلب، كما تتفاعل عضلات أخرى في الوجه وتتحرك بانسجام في لين وسهولة، فتكتسب كل هذه العضلات إيجابية في النمو، ونشاطا في الأداء، وديناميكية متفاعلة. وأعتقد أن عمل أجهزة الجسد وحركتها تحت حال تناغم النفس وانبساطها، واعتدال المزاج هو خير من عملها مع كآبة المنظر، وعبوس الوجه، وانقباض النفس!

لقد أورد القرآن الكريم ذكر العبوس في معرض الذم، حالة واحدة فحسب وقعت في حياة النبي ﷺ وبسببها وقع اللوم والعتاب للنبي ﷺ، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (عبس: ١)

وأغلب الظن أن اللوم والعتاب هنا للنبي ﷺ حتى يتخلص من هذه الصفة، وحتى لا يعود إليها مرة أخرى، ذلك لأن عبدالله بن أم مكتوم كان رجلا أعمى لم يتضرر بتقطيب جبينه ﷺ، وإنما كان انشغال النبي ﷺ بدعوة الملأ من قريش عن إجابة ابن أم مكتوم هو الأمر الملفت للنظر في هذه الواقعة، ولم يشر القرآن الكريم من قريب أو بعيد إلى رد فعل لعبدالله بن أم مكتوم يبين حزنه أو انكسار خاطره لانصراف رسول الله ﷺ عنه إلى الملأ من قريش رجاء إسلامهم، ولم يرد كذلك في السنة ما يفيد ذلك، فهو قد تلقى الأمر بالتسليم والقبول والرضا، لحبه لرسول الله ﷺ ولعلمه ويقينه أنه لا يفعل إلا الخير.

## هل ذم القرآن الضحك؟

هناك مواضع ذكر فيها القرآن الكريم الضحك على وجه الذم، لأنه خالف ضوابط الأدب والسلوك السوي كالاستهزاء بالمقدسات الدينية وشعائرها، والشخصيات والرموز الدينية، والكتب السماوية ورسالات السماء عامة، حتى النحل الأرضية لا يحل الاستهزاء بها والسخرية بأتباعها

أو شعائرها، وهذه أخلاق الإسلام وآدابه مع الآخر.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾(التوبة: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ (المطففين: ٢٩-٣١).

## بين الضحك والسخرية

إذا كان الإسلام يبيح الضحك والتبسم وينهى عن العبوس والتحزن ... فإنه كذلك جاء بالنهي عن الهزل وكثرة الضحك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ (الطارق: ١٣-١٤).

إن كثرة الضحك غير المبرر تعكس حالة مرضية، كضحك غير العاقل المسترسل في الضحك بدون أسباب ظاهرة.

وقد جاء النهي في الحديث الشريف عن كثرة الضحك، لأنها تميت القلب: أي تجعله قاسيا لا يلين، أو يخضع، أو يخشع للحق.

«وإياك وكثرة الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»[٢].

الإسلام يريدك مبتسما ضاحكا!

إن الإسلام حقا يريدك مبتسما مقبلا على الحياة ببهجة وسرور، ولم لا وقد ورد في الحديث الصحيح وصف الله تعالى بالضحك - كما يليق به سبحانه قال ﷺ: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة» (متفق عليه).

والقرآن الكريم يعلمنا أن الله تعالى هو خالق أسباب الضحك وأسباب البكاء، فقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (النجم: ٤٣).

وسيضحك أهل الإيمان في الآخرة، وذلك بعد ما أيقنوا بالنجاة، وحسن العاقبة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ (عبس: ٣٨-٣٩).

والنبي ﷺ وهو أكمل البشر، ما رؤي إلا مبتسما، فعن عبيد الله بن المغيرة، قال: سمعت عبد الله بن الحارث يقول: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ»[٣].

هذه النصوص التي أولت اهتماما بالضحك كحال يعتري الإنسان ألا تستحق الوقوف والتدبر والتأمل لاستنباط مفاهيم نحن في حاجة إليها.

لماذا يصر البعض على أن تغبن وتهدر أوقات العمر في النكد والعبوس والمشاكل وتقلبات القلب بين الأحزان والأحقاد والهموم!

لماذا تعود البعض على أن يمضي قطار الحياة بأسلوب حزين كئيب؟!

هل يعتقد بعض الناس أن النكد والهم والحزن هو دين الله؟ أو يظن النكد عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى؟!

كلا إن رسالة الإسلام أسمى وأجل من هذا الفكر العليل، إنها رسالة ترتقي بالإنسان جسدا وروحا فكرا وسلوكا، وتحصنه وتقيه من العلل التي تصيبه بسبب الخواء الروحي والجفاف العاطفي حتى لا يصبح هشيما تذروه الرياح.

ومما يدل على رقي الإسلام وحضارته النفسية والصحية أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله تعالى من الهموم والأحزان، فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال»[٤].

## علماؤنا والطرائف

من قديم وعلماؤنا يرون سوق الطرائف والمواقف المضحكة في أثناء الدروس والمحاضرات، فما الحكمة من ذلك؟

إن سير دروس العلم في سائر التخصصات على وتيرة واحدة من الشرح والاستدلال وحشد الأدلة والبراهين قد يؤدي إلى الملل والسآم، أو بعض حالات النوم عند البعض، فكانوا يستحبون إيراد الطرائف والملح الفكاهية لتجديد النشاط، ودفع حالات الملل والسآم عن طلاب العلم، ودفع الكسل والخمول والتراخي ومقدمات النعاس التي قد تعتري البعض بسبب المشقة الحاصلة بالانتقال لطلب العلم، أو كثرة المذاكرة، أو ما يصيب الجسم من تعب وإعياء لأي سبب آخر.

إن المزاح المحمود يستميل القلوب، والابتسامة والضحك طريقة سديدة من طرق الترويح، والترويج للفكر والعلم، بل والصفقات التجارية!

كذلك فإن تراثنا الأدبي الإسلامي حفل بأدب الفكاهة والطرائف، ومن ذلك: كتاب البخلاء للجاحظ، ومسامرة الأخيار، وجمع الجواهر في الملح والنوادر، وبهجة المجالس لابن الجوزي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والمستطرف في كل فن مستظرف للإبشيهي، وما المانع من الاستعانة بالمسرح بضوابطه الشرعية، والرياضة الفكاهية لإظهار هذه الكوميديا الهادفة.

لماذا لا تتوافر في حياتنا معروضا من الكوميديا الإسلامية؟ أو قل بديل إسلامي للفكر الكوميدي المعاصر؟ لاسيما بعد ما علمنا أن الضحك ليس مذموما دائما، وهو أمر مشروع لا سيما إذا تجنبنا الإسراف فيه.

لماذا ينعدم تقريبا المعروض الإسلامي في سوق الكوميديا وبورصة الفن، مع العلم أننا نملك ما نقدمه للعالم من فن طاهر شريف يحمل فكرا إسلاميا، عامة الناس في حاجة ماسة لمعرفته ؟

من السهولة بمكان أن تتم الدعوة إلى الإسلام وأخلاقه وفكره، وإيصال مفاهيمه للدنيا كلها من خلال الفن والكوميديا بالضوابط الشرعية، لاسيما وقد علمنا أن الضحك ليس هدفا مقصودا لذاته، بل له لوازمه وحكمه المترتبة عليه.

---

**الهوامش**

١- تفسير القرطبي (٦٣/٥).
٢- رواه الترمذي، رقم (٢٣٠٥)، وابن ماجه، رقم (٤١٩٣)، وأحمد، رقم (٧٧٤٨).
٣- رواه الترمذي، رقم: (٣٦٠٣).
٤- رواه البخاري، رقم: (٦٣٦٣).

# بريد القراء



في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير



## طريق التقدم

يعتبر التعليم الجيد بالإضافة إلى حسن الخلق هو الأساس في التقدم، لأن ناتج التعليم الجيد سينعكس على كل مرافق المجتمع مستقبلا، سواء كانت صحية أو صناعية أو خدمية.. أو غيرها.

ونتيجة لهذا التعليم الجيد وحسن الخلق سيصبح لدينا خريج تعلم منذ بداية دراسته ألا ينجح إلا بكفاءته، وأن يكون متقنا لعمله، حريصا على تطوير نفسه. فأساتذته الأكفاء لا يتهاونون في تمرير أي خطأ مهما كان. وبالتالي سيكون لدينا الطبيب الناجح، والمهندس الكفؤ، والأستاذ القدير والمهني المتقن لعمله.

إحسان عبدالعزيز الدبش



## الوصية باليتيم في آيات القرآن الكريم

أوصى الله تعالى بحسن معاملة اليتيم والرفق به وإصلاحه في غير ما آية من سور القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ﴾ (البقرة:٢٢٠)، ومن هذه الوصايا:

- إطعامه: إذ يقول تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٨).
- عدم قهره: ومن ذلك ما ورد في سورة الضحى من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى:٩)، لأن قهر اليتيم من صفات المكذبين ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ (الماعون:١-٢).
- تجنب تعنيفه وأذيته: ويوجب ذلك معاملة كل يتيم معاملة حسنة، قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾ (الفجر:١٧).
- الحفاظ على أمواله وعدم أكلها بالباطل: يقول تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء:٢) وعقوبة من لا يحفظ مال اليتيم شديدة وجزاؤه جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء:١٠)، ومن الضروري إعطاؤه حقه في الفيء والغنيمة: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ (الحشر:٧).

محمد عباس عرابي



القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

alwaeiq8@gmail.com





## مواجهة مكائد الشيطان الرجيم

خلق الله تعالى إبليس، لعنه الله، من النار كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ﴾ (الأعراف:١٢)، وبين أنه ليس من الملائكة لقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ (الكهف:٥٠). ولإبليس الملعون ذرية كما وضح ربنا تبارك وتعالى في قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ (الكهف:٥٠). ولإبليس وذريته أساليب وغايات لإضلال بني آدم وإيذائهم منها: الوسوسة، التزيين، إلحاق الضر من قبيل التأثير أو المس أو الإيذاء والأمر بالفحشاء والمنكر. وقد أرشدنا الخالق جل وعلا إلى أن التغلب على مكائد الشيطان ومخططاته أمر هين حيث قال: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء:٧٦)، وزوال هذا الكيد لا يكون إلا بالاستعاذة بالله والاستعانة به، يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف:٢٠٠).

**وجدي المصمودي - تونس**



## في ذكرى وفاة بنت الشاطئ

من أجل التحدي وحبها للتعليم.. تخلت الدكتورة عائشة عبدالرحمن عن اسمها الحقيقي واستعارت اسما رمزيا (بنت الشاطئ) احتراما لمكانة والدها الشيخ محمد عبدالرحمن وهو من علماء الأزهر الشريف واحتراما لتقاليد بيئتها التي تحرم على زوجات وبنات العلماء ورجال الدين الخروج إلى الحياة العامة ولو من أجل العلم والتعليم.

ولدت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بمدينة دمياط بمصر وحصلت على شهادة كفاءة المعلمات من المنزل وحصلت على المركز الأول على القطر المصري حتى وصلت إلى درجة أستاذ التفسير والدراسات في كلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب وأستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس وأستاذ زائر في جامعات أم درمان (عام ١٩٦٧م) والجزائر (عام ١٩٦٨م) وبيروت (عام ١٩٧٤م) والإمارات (عام ١٩٨١م) وكلية التربية للبنات في الرياض (من عام ١٩٧٣م حتى ١٩٧٥م).

وساهمت في تخريج أجيال من العلماء والمفكرين وخاضت في خدمة الدين والقرآن والحديث واللغة العربية ما لم تخضه كتيبة من العلماء وكتبت في جميع ميادين الكتابة من شعر وقصة ومقال ومؤلفات.

لها مواقف فكرية شهيرة أبرزها دعمها لتعليم المرأة وموقفها الشهير من البهائية وكتابتها عن علاقة البهائية بالصهيونية العالمية وهي أول امرأة تحاضر في الأزهر الشريف عام ١٩٥٩م.

وقد تركت بنت الشاطئ ما يربو على الأربعين كتابا في الدراسات الفقهية والإسلامية والأدبية والتاريخية.

ودعتها مصر عام ١٩٩٨م في جنازة مهيبة حضرها لفيف من العلماء والأدباء والمثقفين الذين قدموا من شتى الدول، ونعاها شيخ الأزهر آنذاك وأم صلاة الجنازة بنفسه وقد بلغ من تقدير الدول العربية لها أنها عندما رحلت أقامت المملكة المغربية سرادقا لتلقي العزاء فيها.

رحم الله الدكتورة بنت الشاطئ التي استطاعت في أحلك الظروف وفي وقت مبكر أن تنتصر لتعليم المرأة وتواصل مشوارها العلمي حتى وصلت إلى هذه المكانة الرفيعة.

**نعيم نعيم السلاموني**

مسك الختام

# الفرح في القرآن الكريم

مع ذكرى العيد نتذكر دائما معاني الفرح، ومعاني السعادة التي تبث من معاني الإيمان الطيبة، وما جاء في آي الذكر الحكيم من الحكم العظيمة.

ويأتي العيد لتقوية أواصر المحبة وتزكية مشاعر المودة وتوثيق أواصر العلاقات، ولا يكون هذا إلا بالحب، الذي يولد السعادة والفرح، فلا يعيش المرء بهجة العيد وفرحته إلا بذلك، ثم يكون التواصل وتنسجم اللحمة ويصدق التكافل ويتحقق التعاون، وعيد أهل الإسلام إذا تحقق فيه الحب، الذي يصاحب الفرح والسعادة، زال من النفوس الاكتئاب والانقباض، ذلكم أن الإنسان روح تسمو وعقل يدرك وقلب يحب وجسم يتحرك، وكل هذا الكل للإنسان لا يمكن أن يحقق له السعادة إلا بالحب، الذي يكون المرء به في حالته الصحية التامة روحا وعقلا وقلبا وقالبا.

والقلوب لا يتحكم فيها الناس، وأعمال القلوب فوق إرادتنا، مثل الحب والكره، وإنما الذي يملكه الإنسان هو الأسباب التي توصله، فأول أسباب الحب المعرفة الصحيحة.

وإذا ألقينا نظرة سريعة على القرآن الكريم وما فيه من معاني السعادة والفرح لوجدنا أن الفرح في القرآن الكريم مأمور به، وكذلك منهي عنه في بعض المواطن، أما الفرح المأمور به فهو كما قال الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨)؛ كان عبدالله بن عباس ﵄ يقول: «إن فضل الله هو القرآن الكريم، ورحمته هي الإسلام».

ففضل الله هو القرآن؛ لأنه المنبت الذي نبتت منه الأمة، واكتمل نمو الأمة بختم القرآن الكريم، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ (المائدة:٣).

والفرح المأمور به، هو السعادة القلبية بوصولك إلى غاية وهدف، فلو تمنى إنسان الحج منذ سنوات، ثم جاءه الحج ووصل مكة المكرمة وأنهى المناسك، فإنه يحس بفرح، ولو تمنى إنسان رجوع عزيز كابن أو أخ، فإنه يفرح برجوعه.. وهذا فرح لا يلابسه غرور أو طيش.

وأما الفرح المنهي عنه، فكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ (القصص:٧٦)، فقد وجه هذا لقارون، وكان فرحه بطرا واستطالة وغرورا، وهذا منهي عنه، لأنه فرح ملابس لتلك الأفعال.

والفرح المحمود ليس ترديد كلمات أو إنشادا، ولكنه عمل صالح واضح وهو الاعتزاز بالقرآن الكريم، والانتماء إليه، وعدم التشكيك في أحكامه، والوقوف أمام الاعتراض على القرآن الكريم بأي عنوان، لأن من يعترض على القرآن الكريم لا يصرح بذلك، لأنهم يرفعون شعارا في وجه القرآن الكريم، ليصبح القرآن الكريم - في نظرهم - متجاوزا أو تبعا للزمن الغابر، ويقولون إن القرآن الكريم لم يعد يلبي مطالب الناس.

فأساس الفرح بالقرآن الكريم هو القناعة بأنه لا يوجد منهج أفضل من منهج القرآن والتشبع به والقناعة به، وقد جربت المناهج الأخرى وثبت فشلها.

د. محمد أحمد محمد قنديل
باحث في الفلسفة الإسلامية جامعة القاهرة

# موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw







## مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .


alwaeiq8@gmail.com


@Alwaei_Alislami


مجلة الوعي الإسلامي


موقع مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

كويت



فلاشات وطنية تلفزيونية

# أمير المكارم.. صباح العز

الفكرة والإشراف العام **صلاح أبا الخيل**

يحمل عبر ثناياه حكمة القائد وقامة العطاء، ويبرز بعض المحاسن لفارس الخير والعطاء، أمير الكويت ونورها في الليلة الظلماء...






+965 922 54 54 5

RedAwqaf



العدد ٦٤٠ -السنة ٥٥ - ذو الحجة ١٤٣٩ هـ - أغسطس - ٢٠١٨ م

